AL-MUJTAMA'A

المجتمع

مجلة المسلمين في أنحاء العالم

العدد (2141) - السنة (51) رجب 1441هـ / 1 مارس 2020م

50 عدد خاص

بمناسبة مرور خمسين عاماً على إصدارها



2020

نصف قرن من الريادة الإعلامية

1970

 @mugtama  www.mugtama.com  facebook.com/mugtama  @mugtama

الكويت 750 فلساً - السعودية 10 ريالات - البحرين دينار بحريني - قطر 10 ريالات - سلطنة عمان ريال عماني - الأردن 1.750 دينار أردني - لبنان 4500 ليرة - المغرب 23 درهماً
USA $ 5 - Canada $ 6 - Australia AUD 6 - URB 3.5 - India INR 110 - Pakistan PRS 200 - Turkey TRY 7 - U.k £ 3


المجتمع
2020
نصف قرن
من الريادة
الإعلامية
1970


AL-MUJTAMA'A
المجتمع



AL-MUJTAMA'A

المجتمع

مجلة المسلمين في أنحاء العالم

العدد (2141) - (السنة 51)

إسلامية أسبوعية تصدر شهرياً مؤقتاً
تأسست عام 1390هـ - 1970م
جمعية الإصلاح الاجتماعي. الكويت

رأس مجلس إدارتها
حتى 1427/8/10هـ - 2006/9/3م
عبد الله علي المطوع يرحمه الله

رئيس التحرير
محمد سالم الراشد

مدير التحرير
جمال الشرقاوي

الإخراج الفني
مصطفى عزالدين

الآراء المنشورة بـ«المجتمع» تعبر عن رأي أصحابها وليست بالضرورة تعبر عن رأي المجلة

المراسلات

العنوان البريدي: الكويت ص.ب (4850) الصفاة.
الرمز البريدي (13049)

التحرير
22519539 - 22514180
22513616 (داخلي 205).
mujtamaa@gmail.com
info@mugtama.com

الاشتراكات والتوزيع
تليفاكس: 22560525 (00965)
sales@mugtama.com

الموقع الإلكتروني
www.mugtama.com

موقع جمعية الإصلاح
www.eslah.com

طبعت بمطابع «الهدف» التجارية





ادخل على موقع «المجتمع»

في هذا العدد

موضوع الغلاف

«المجتمع».. نصف قرن من الريادة الإعلامية

حركة «المجتمع» في فضاء الإعلام

أمر الله سبحانه وتعالى المسلم أن يعيش حياته نسيجاً واحداً متكاملاً شاملاً لله عز وجل، وأمره أن يكون شعاره في الحياة ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ (الأنعام).
وأراد الإسلام من أتباعه أن يعيشوا حياتهم الاجتماعية والسياسية والعلمية والنفسية والتربوية والإعلامية، وما شئت من أسماء ومسميات مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بعرى هذا الدين سواء بسواء، ومن هذا المنطلق القيمي تنطلق «المجتمع» في فضاء الإعلام، متخذة شمولية الرسالة الإعلامية شعاراً لها؛ فتجمع بين الشأن الديني والتناول السياسي والتحليل الاقتصادي والتوجيه الأسري والتربوي.■



آية العدد

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ ۝١ الْحَمْدُ
للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢ الرَّحْمـنِ الرَّحِيمِ
۝٣ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ
وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ اهدِنَــــا الصِّرَاطَ
المُستَقِيمَ ۝٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ
عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ
الضَّالِّينَ ۝٧﴾

(الفاتحة)

وكلاء التوزيع:

الكويت: شركة باب الكويت للصحافة:
ت : 22272733 ف: 22272736
distribution@alanba.com.kw

الشركة السعودية للتوزيع
Saudi Distribution Co.

الســعودية:الشركة الســعودية للتوزيع:
www.saudidistribution.com
الإدارة العامة: الرياض0096612128000
فرع الرياض: 0096612705837

فرع جدة: 0096626530909
فرع الدمام: 0096638473569

قطــر :
دار الثقافة ت: 4622182 / ف: 4621800
البحــرين :
مؤسســة الأيام للصحافة والنشر والتوزيع
ت :725111 / ف : 723763
TURKIYE- DUNY SUPER DAGITIM
Tel: (90 -1) 5120190
Fax: (90- 1) 5140883

الاشتراكات:

الكويت: 10 دنانير كويتية
الدول العربية: 17 ديناراً كويتياً
الدول الأجنبية: 25 ديناراً كويتياً
للمؤسسات والشركات: 30 ديناراً كويتياً

تشمل عمولة التحويل

الإعــلانات :
امتياز الإعــلان : مجلة المجتمع
ت: 22560525 - 22560526 الكويت.

افتتاحية العدد (1)
17 مارس 1970م

سمعنا النغمــة التقليدية تواكبها مصطلحات تقليدية كذلك ..

.. بدات الرجعيــة تتحرك لتعويق الزحف الثوري وضرب القوى التقدمية هذه المصطلحات ومئات امثالها دفع بها لتلقانا على الطريق وتعترك معنا ..

ثم ياتي بعد ذلك دور الاتهامات والاشاعات والذين يعرفون مخطط أعداء الاسلام سوف يطاون الاتهامات باقدامهم ويأتون معنا بعزم الى الغاية التي ننشدها جميعا

اما الذين يجهلون مخططاتهم فاننا نتكفل بكشف الحقائق لهم حتى يكونوا على بينة من اعدائهم .... ونستطيع ان نقول ونحن نطرح صحيفة اسلامية اننا سنكون صرحاء مع القراء وسنكاشفهم بكل شيء ولتكن صراحتنا من اول يوم ..

⊙ اولا : هذه الصحيفة تصدرها هيئة اسلامية هي (جمعية الاصلاح الاجتماعي) وهــي صحيفة تستمد فكرها الاصيل من الاسلام وعلــي ضوئه وبمقياسه وســوف تتقبل وبصدر رحب كل نقد هادف بناء وترفض النقد الغوغائي والتجريح الذي لا يقبله الخلق الاسلامي .

⊙ ثانيا : هذه الصحيفة سوف تمد يدها لكل الناس يدا ترفع راية الاسلام وتبشر بالخير والبر ولكنها سوف تقف في تحد من خصوم الاسلام .

⊙ ثالثا : وهذه الصحيفة سوف تكتب في كل القضايا التي تهم امتنا وتعالج مشاكل المجتمع بكل جراة وامانة والاســلام دين شامل يعالج جميع مشاكل الحياة فيصلحها واننا نرفض بشدة تجزئة العمل الاسلامي فالمسلم انسان يعيش في مجتمعه ولن يتخلى عن قضاياه .

⊙ رابعا : وهذه الصحيفة سوف تقف على ارض الاسلام في كل مكان وتدافع بكل قوة عــن المسلمين في كل قضاياهم فهي عالمية لان الاسلام دين عالمي .خامسا : هذه الصحيفة سوف تدق اجراس الخطر في كــل مكان حتى يجتمع المسلمون في صعيد واحد ويجابهــوا عدوهم في صراحة ووضوح حتى يتحقق لهم النصر ...اخي القارىء .. هذه صحيفة (المجتمع) وهــي صحيفتنا جميعا فمن اراد ان يكــون معنا فيدنا مبسوطة اليــه مهما بعدت الشقة بيننا وبينه ومن كان علينا فيدنا ممدودة اليه لنشده الى طريق الحق والخير وشعارنا قول الله عزوجل « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحســنة وجادلهم بالتي هي احسن ».

المجتمع

وما زلنا على العهد...

حجر صحي على القادمين من إيران..

الكويت تستنفر بعد تسجيل إصابات بـ«كورونا»



وزير الصحة الكويتي د. باسل الصباح يتفقد الإجراءات المتبعة لمواجهة «كورونا»

كتب - سيف الدين باكير:

ما أن أعلنت الكويت عن وصول 800 مواطن من إيران، أكدت وزارة الصحة عدم ظهور أي حالة اشتباه بالإصابة بفيروس كورونا المستجد بين الركاب، وتحويل جميع الحالات إلى الحجر المنزلي، بدأت تتكشف حالات الإصابة؛ فأُعلن عن إصابة أول ثلاث حالات بالفيروس، لترتفع بعد ذلك إلى 26 حالة حتى كتابة هذا التقرير.

وساد القلق والخوف، وتوالت ردود الفعل لاتخاذ الإجراءات الوقائية السليمة للحد من انتشار الفيروس، وأكدت وزارة الصحة أن جميع المصابين بصحة جيدة؛ حيث تم عزلهم في أحد المستشفيات التابعة للوزارة المعدة والمجهزة للتعامل مع الفيروس.

استجواب وزير الصحة

وتصاعدت المطالبات النيابية والشعبية بإقالة وزير الصحة الكويتي د. باسل الصباح، مشيرين إلى أنه خضع لضغوط نيابية، وسمح لمواطنين بالإقامة في منازلهم كـ«حجر منزلي» لا في المستشفيات.

وبينما أكد الوزير أن «الصحة» اتخذت إجراءاتها «بكل المهنية ودون انصياع لأي ضغوط أو حسابات سياسية»، أعلن أكثر من نائب توجيه استجواب للوزير، وصرح النائب عبدالكريم الكندري بأن واجبه البرلماني بعد الانتهاء من الأزمة يتطلب استجواب وزير الصحة ما لم يقدم استقالته تحملاً للمسؤولية.

في وقت وصف النائب عادل الدمخي استجواب الصباح بالمستحق؛ نتيجة للخضوع للضغط السياسي وعدم اتباع الإجراءات السليمة للحجر الصحي.

وقال النائب يوسف الفضالة: حياة المواطنين ليست لعبة، وأنت يا وزير الصحة لا تستحق أن تبقى في مكانك إن كنت قد خضعت لضغوط سياسية.

وشدد نواب على أهمية الحجر الصحي الإجباري، حيث قال النائب عبدالكريم الكندري: مسؤولية الحكومة تتمثل بتطبيق الحجر الصحي الإجباري على جميع من يصل من الدول التي أعلنت الإصابة بمرض «كورونا».

وحمّل النائب محمد الدلال كلاً من الوزير الصباح، ونائب رئيس مجلس الوزراء وزير الداخلية وزير الدولة لشؤون مجلس الوزراء الكويتي أنس الصالح، مسؤولية عدم تفعيل وضبط الحجر الوقائي المنزلي، وعدم التزام بعض المحجور عليهم بتطبيقه.

ووجه وزير الأوقاف الكويتي الأسبق د. نايف العجمي: أقول لمن قدم إلى الكويت من أي دولة انتشر فيها الوباء، وكان قدومه عن طريق محطات غير مباشرة، فأفلت من الفحص، موهماً الجهات الأمنية والصحية أنه لم يأت من تلك الدول: اتق الله في شعبك ووطنك والمقيمين فيه، واذهب مباشرة إلى الفحص، فقد تكون حاملاً للفيروس وأنت لا تدري، فتكون سبباً في نشره.

وأكد وكيل وزارة الصحة الكويتي مصطفى رضا، خلال مؤتمر صحفي، عقد في المركز الإعلامي بقصر السيف، أنه لم يتم استثناء أي من القادمين من «قم» الإيرانية من الحجر الصحي، وأنهم وقعوا على الإجراءات المتخذة قبل صعودهم إلى الطائرات، وإبلاغهم أنه سيتم فرض الحجر عليهم مدة 14 يوماً.

من جهة أخرى، دعا نواب إلى تعاون الجميع في مواجهة الفيروس، فقال النائب محمد الدلال: الهلع ونشر الإشاعات والتشكيك بجهود وزارة الصحة والطاقم الطبي والأجهزة الأخرى المعاونة في مواجهة وباء فيروس كورونا لا يحقق أي مصلحة أو منفعة أو يدفع ضرراً، بل يساهم في الفوضى وانعدام النظام ويحبط جهود العاملين في وزارة الصحة.

وأكد النائب بدر الملا أن أي تصعيد سياسي يجب أن يؤجل إلى حين تجاوز أزمة «كورونا»، داعياً إلى تضافر الجهود، وعدم إرباك الجهات المختصة

التي يجب عليها أن تلتزم بكل التدابير المقررة من منظمة الصحة العالمية.

استنفار وحظر

هذا، وقد دخلت الحكومة الكويتية في حالة استنفار من مختلف الجهات لمواكبة الأوضاع، فكلف مجلس الوزراء فريقاً من 8 جهات حكومية لمتابعة تطور هذا الوباء، وأوقفت جميع فعاليات الأعياد الوطنية والشعبية، وقررت الحكومة تخصيص فندق الكوت لإبقاء العائدين من إيران خلال فترة العزل الطبي البالغة 14 يوماً، ووضع الفندق تحت حماية القوات الخاصة لضمان إجراءات السلامة خارجه وعدم مخالطة المعزولين، وناشدت المواطنين بعدم السفر إلى دول انتشر فيها الفيروس، وأوقفت جميع الرحلات المغادرة والقادمة من العراق، كما حظرت دخول السفن القادمة من العراق وإيران وباقي الدول التي تفشى بها الفيروس، وأغلقت منفذ العبدلي أمام حركة نقل البضائع والأشخاص.

كما قررت إغلاق منتزه الخيران لتخصيصه لإيواء المشتبه بإصابتهم بالفيروس، خصوصاً أن نحو نصف مليون غادروا الكويت خلال عطلة الأيام الوطنية وسيعودون إليها، وأغلقت 19 صيدلية تلاعبت بأسعار الكمامات الطبية، فيما هددت كل مَنْ يخالف القرار بإحالته إلى النيابة العامة والإغلاق.

وكان وزير التجارة والصناعة الكويتي خالد الروضان أصدر قراراً وزارياً بناء على كتاب من وزارة الصحة بشأن تحديد أسعار بيع الكمامات الطبية حيث تتراوح أسعارها ما بين 100 فلس و1.320 دينار كويتي.

من جهتها، حذرت وزارة الداخلية الكويتية مروجي الإشاعات لزعزعة الأمن ونشر معلومات مغلوطة عن الأوضاع في الدولة، في اتخاذ أقصى الإجراءات القانونية، داعية مستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي إلى التعاون في ظل الظروف المحلية والإقليمية وانتشار الفيروس.

تعطيل الدراسة والعمل

وقرر مجلس الوزراء تعطيل الدراسة في جميع المدارس والجامعات والكليات الحكومية والخاصة لمدة أسبوعين، وذلك اعتباراً من 1 مارس 2020م

وكان عدد من النواب قد طالبوا بتأجيل دوام الطلبة بمختلف المراحل التعليمية لحين إكمال الإدارات المدرسية والجامعية استعداداتهم الميدانية لمنع انتشار الفيروس.

واعتمد ديوان الخدمة المدنية 14 يوماً إجازة للموظفين المحتجزين بسبب كورونا، وتبدأ الإجازة من تاريخ بدء سريان الحجر الصحي، ولن يؤثر على سجل الموظف أو رصيد إجازاته.

وظهر الفيروس لأول مرة في الصين، في 12 ديسمبر 2019م، بمدينة ووهان، إلا أن بكين كشفت عنه رسمياً منتصف يناير الماضي، وأعلنت ارتفاع حالات الوفاة إلى أكثر من 2700، وإصابة أكثر من 79 ألفاً.

وأعلنت منظمة الصحة العالمية حالة الطوارئ على نطاق دولي لمواجهة تفشي الفيروس، الذي انتشر لاحقاً في عدة بلدان، ما تسبب في حالة رعب سادت العالم أجمع، وأدى إلى فرض قيود على المسافرين القادمين من الدول المتأثرة.■

تمتاز دولة الكويت بوجود العديد من جمعيات النفع العام ومنظمات المجتمع المدني، والجمعيات الخيرية، التي تقدم الخدمة لكثير من المواطنين والمقيمين والمسلمين في شتى بقاع العالم، وجمعية الإصلاح الاجتماعي -التي تحتضن مجلة «المجتمع»- تعد من أقدم هذه الجمعيات وأعرقها، التي أنشئت عام 1963م، على يد كثير من أهل ورجالات الكويت الطيبين، منهم من توفي إلى رحمة الله، ومنهم من هو على قيد الحياة، نسأل الله أن يمتعهم بالصحة والعافية. وبمناسبة مرور نصف قرن على إنشاء مجلة «المجتمع» التي تعد الذراع الإعلامية للجمعية، كان لنا هذا الحوار مع د. خالد المذكور، رئيس مجلس إدارة جمعية الإصلاح الاجتماعي.

د. خالد المذكور رئيس مجلس إدارة جمعية الإصلاح الاجتماعي:

إذا ذُكرت المجتمع ذُكرت الكويت بطابعها الإسلامي وعملها الخيري

حوار - سعد النشوان:

● نرحب بكم د. خالد في هذا الحوار مع «المجتمع» التي تحتفل بذكرى مرور 50 عاماً على إنشائها، بداية؛ ماذا تمثّل جمعية الإصلاح بالنسبة للمجتمع الكويتي بحجمها وتاريخها؟

- أولاً نشكركم على هذا اللقاء مع «المجتمع»، ونبارك لها هذه المناسبة السعيدة مناسبة احتفالها بـ«يوبيلها الذهبي»، وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا جميعاً لما يحبه ويرضاه للعمل الصالح بإذن الله.

جمعية الإصلاح الاجتماعي من جمعيات النفع العام والجمعيات الخيرية، التي تزخر بها دولة الكويت، هذه الدولة التي منَّ الله سبحانه وتعالى عليها بالنعم الوفيرة، وأوصلت هذه النعم إلى إخوانها في الإسلام والإنسانية في جميع بقاع الأرض عن طريق الجمعيات الخيرية والمبرات وجمعيات النفع العام، وكان لها صدى كبير، فإذا ذُكرت الكويت ذُكرت منشآتها وعطاؤها لجميع أنحاء العالم، سواء كان هذا العطاء في البلاد الإسلامية أو غيرها.

وجمعية الإصلاح الاجتماعي من أقدم هذه الجمعيات، إذ إنها أنشئت في عام 1963م، على أيدي ناس محسنين خيرين من أهل الكويت، ينشدون الإصلاح في جميع قضاياهم، وأسرهم، ومن هنا انبثق النظام الأساسي لجمعية الإصلاح الاجتماعي، الذي أخذ من نفس جمعية الإصلاح من قوله تعالى: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾ (هود: 88).

وهناك الصالحون، وهناك مع الصالحين المصلحون، فنحن نريد مع الصلاح الإصلاح، إصلاح هذا المجتمع، وفق كتاب الله وسُنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وأن نربي أبناءنا وأسرنا ومجتمعنا على تعاليم الإسلام وعلى سُنة الرسول صلى الله عليه وسلم، وعلى حب هذا الوطن، ووجدنا هذا -بحمد الله- فيما قامت به جمعية الإصلاح الاجتماعي أثناء الاحتلال العراقي الغاشم لدولة الكويت، من معونات وأهبة واستعداد، كما شارك أعضاء الجمعية في الوفود الشعبية التي انطلقت لتعريف الشعوب بمحنة الكويت، وساهمت كذلك في تكريم أسر الشهداء والأسرى وتقديم الكثير من المعونات والمساعدات في هذا المجال، فجمعية الإصلاح تنحو إلى إصلاح هذا المجتمع، وتساهم في قضاياه.

● في مارس 1970م، بزغ فجر جديد من جمعية الإصلاح إلى الفضاء الإعلامي الإسلامي؛ وهي «المجتمع»، والآن نحن نمر بالذكرى الخمسين لإنشائها، فما إنجازات المجلة منذ بداية إصدارها إلى الآن؟

- لا شك أن «المجتمع» هي الذراع الإعلامية الكبيرة التي تربط جمعية الإصلاح بجميع أنحاء العالم، ومنذ أن صدرت المجلة وتعاقب عليها رؤساء تحرير أسهموا فيها إسهاماً كبيراً، كان لها دور كبير في الكويت والعالم الإسلامي؛ فإذا ذُكرت مجلة «المجتمع» ذُكرت الكويت بطابعها الإسلامي وعملها الخيري وما إلى ذلك، وكان لها دور كبير في إعطاء المسلمين فكرة

«المجتمع» هي الذراع الإعلامية التي تربط جمعية الإصلاح بأنحاء العالم

عن إخوانهم المسلمين في جميع أنحاء العالم، وعن نشاطهم ومشكلاتهم، والعقبات التي يواجهونها، وما يعانونه ويتلقونه من النكبات والمحن.

وبحمد الله، يمر «اليوبيل الذهبي» (50 عاماً) للمجلة منذ إنشائها عام 1970م، وهذا يدل على أنها بحمد الله استطاعت أن تقوم بالتغطية الإعلامية لكل مشكلات المسلمين، في الكويت أو خارجها، وخارج الكويت أكثر، وبحمد الله تطورنا في مجلة «المجتمع»، فأصدرنا المجلة الإلكترونية، والموقع الإلكتروني، وهو يباشر الأخبار أولاً بأول يومياً، وأصبحت المجلة الورقية تصدر شهرياً بدل أن كانت تصدر أسبوعياً، وهي أعلى المجلات التي يحرص عليها المسلمون في جميع أنحاء العالم، وأنا ذهبت إلى كثير من البلاد غير العربية سواء الأوروبية أو الآسيوية، فوجدت المجلة موجودة في السويد، والدنمارك، والنرويج، ووجدتها في أمريكا، فإخواننا المسلمون في تلك البلاد يحرصون على اقتنائها.

● ما رسالتك التي تسديها لمجلة «المجتمع»؟

– أولاً أشكر القائمين عليها، وأشكر الذين تعاقبوا على رئاسة التحرير فيها، من الأخ مشاري البداح رحمه الله، والأخ د. إسماعيل الشطي، ود. محمد البصيري، والأخ بدر القصار، ورئيس التحرير الحالي الأخ محمد الراشد (أبو سالم)، أشكرهم على ما قاموا به من جهد وبذل وعطاء، وتحسين، وترتيب، وتنسيق، وتغطية لجميع أخبار المسلمين في العالم، رغم قلة ما يجدونه من إمكانات وإنفاق، ونشكرهم على ذلك ونتمنى لهم التوفيق، ولا شك أن النسخة الإلكترونية سواء بلغتها العربية، أو الإنجليزية، أكثر انتشاراً في هذا المجال.

● لجمعية الإصلاح كثير من الإسهامات الوطنية، إضافة لما قامت به أثناء الغزو، فما دورها في تحقيق الوحدة الوطنية؟

– جمعية الإصلاح لها حضور في كل قضايا المجتمع، ولها شراكة مجتمعية مع المؤسسات والوزارات، وتتعاون وتنسق معها في كل الأنشطة التي تقوم بها الجمعية، ولها تعاون مع وزارات الأوقاف، والتربية، والتخطيط، والشؤون، باعتبارها من ضمن الجمعيات التي لها دور كبير في مجال المجتمع والشباب، وما إلى ذلك.

وتنسق الجمعية كذلك مع الجمعيات الخيرية الأخرى في جميع قضايا المجتمع، من خلال اتحاد الجمعيات الخيرية والمبرات.

وتقوم الجمعية بدور مهم على مستوى الشباب والجيل الصاعد؛ من قضايا تربوية، واجتماعية، وشرعية، ورياضية، حتى تربي هذا الشاب بدناً وعقلاً وسلوكاً وأخلاقاً، ولذلك تنوعت أنشطتها، سواء كانت خاصة بالرجال أو بالنساء من خلال الأمانة العامة للنساء، التي تقوم كذلك بنفس النشاط، وكذلك في الأمانة العامة للقرآن الكريم.

وتساهم الجمعية في المسابقات التي تقيمها الدولة سواء التي تكون تحت رعاية حضرة صاحب السمو أمير البلاد، حفظه الله ورعاه، أو التي تقيمها الأمانة العامة للأوقاف، وقد حصلنا على درع برونزية في هذا المجال عدة مرات، وكذلك المسابقات التي تقيمها وزارة الأوقاف، والمسابقة الدولية العامة في القرآن الكريم.

وتشارك الجمعية كذلك في إصلاح ذات البين، وفي إقامة الندوات لكل ما يتعلق بقضايا المجتمع، سواء ما يخص الأسرة، أو الشباب، تجد، بحمد الله، عندنا قائمة سنوية لجميع الأنشطة الموجودة.

وهذه الأنشطة التي تقوم بها جمعية الإصلاح ليست وقفاً على المجتمع الكويتي فقط، وإنما من ضمن النظام الأساسي للجمعية أن تباشر أحوال المسلمين في جميع أنحاء العالم.

● هل للجمعية مكتب للتعاون الإسلامي؟

– نعم، هناك مكتب للجاليات الإسلامية العاملة في الكويت؛ فالكويت فيها عمالة، وخصوصاً العمالة الآسيوية، وفيها كثير من المسلمين من الهند وباكستان والفلبين وبنجلاديش، ومن أفريقيا أيضاً، وتهتم الجمعية بالطلبة المبتعثين من قِبلها من أفريقيا أو آسيا، الملتحقين بالمعهد الديني، أو جامعة الكويت في جميع التخصصات، وتقوم الجمعية بالتنسيق مع وزارة التعليم العالي ووزارة التربية، ووزارة الأوقاف، لإيفاد هؤلاء من بلادهم للدراسة في دولة الكويت، وبحمد الله تعالى قبل أيام قليلة أقمنا حفلاً للمتفوقين في المعهد الديني من هؤلاء المبتعثين إلى الكويت.

«الإصلاح» تقوم بدور مهم على مستوى الشباب والجيل الصاعد وتتعاون مع الوزارات والمؤسسات والجمعيات الخيرية

.. وتنطلق من قضايا الأمة خاصة فلسطين والقدس التي هي القضية الأولى للمسلمين

وتنطلق الجمعية كذلك من قضايا الأمة، خاصة فلسطين والقدس، التي هي القضية الأولى للمسلمين؛ فالمسجد الأقصى هو أولى القبلتين وثالث الحرمين، وقد أقمنا مهرجاناً كبيراً للقدس ولفلسطين لمواجهة ما يسمى بـ«صفقة القرن»، ولا شك أن هذه الأنشطة، سواء داخل الكويت أو خارجها، تلمس حاجات المسلمين في شتى أنحاء العالم، سواء كانوا في البلاد العربية أو الإسلامية، وما إلى ذلك من الأقليات الإسلامية في أوروبا وآسيا وأفريقيا، وتأتي وفود كثيرة إلى جمعية الإصلاح للزيارة والتعارف، ونحن نبتعث بعض الوفود للمشاركة في المؤتمرات، والمساهمة في جميع المراكز الإسلامية بجميع أنحاء العالم.

● لجمعية الإصلاح ذراع خيرية، وهي نماء للزكاة والتنمية المجتمعية، ما دور هذا القطاع في العمل الخيري داخل الكويت؟

– «نماء» هي الذراع الخيرية لجمعية الإصلاح داخل الكويت، ولا شك أنها لجنة مميزة من لجان الزكاة في الكويت، وتقوم بحملات وخاصة في المواسم (افتتاح المدارس، رمضان، الأضاحي)، وكذلك تقوم بحملات تفقُّد للفقراء والمساكين والمحتاجين داخل الكويت، سواء كانوا من الكويتيين أو غيرهم، خصوصاً في افتتاح المدارس، وتقوم بالتنسيق مع المدارس الخاصة، وهي تجمع بين الزكاة التي هي ركن من أركان الإسلام، والتنمية المجتمعية؛ فالمسألة لا تقف عند إعطاء الأموال للفقراء والمحتاجين

والمساكين، لكنها تساهم أيضاً في تربيتهم، وتفقُّدهم، والحرص على تنميتهم مجتمعياً، ولذلك أطلقنا عليها اسم «نماء» للزكاة والتنمية المجتمعية».

● **ما دور المرأة في جمعية الإصلاح؟**

– أعضاء الجمعية بحمد الله تعالى، سواء كانوا من الشباب والرجال، أو من النساء، كلهم في عمل واحد، ولا شك أن المرأة لها دور كبير في الدعوة والإرشاد والتوجيه، وأخواتنا –جزاهن الله كل خير– يقمن بتلك الأنشطة المتعددة، ويطلعننا عليها، من خلال تقرير سنوي ودوري، يتناول ما قمن به من أنشطة، وللجمعية أكثر من نشاط في المحافظات الكويتية، حيث يوجد فرع في محافظة الجهراء، ومحافظة الفروانية، ومحافظة الأحمدي، ولها كذلك نطاق عمل اجتماعي في بعض المحافظات؛ لأن مقر الجمعية الرئيس في الروضة بمحافظة حولي، لكن النشاط ممتد من خلال المساجد، والتنسيق مع المساجد في مجال تحفيظ القرآن، والقيام بأنشطة متعددة للمساهمة كذلك مع مراكز التنمية المجتمعية التابعة لوزارة الشؤون الاجتماعية والعمل، التي تنسق معها في هذا الأمر.

وهناك الجانب الفكري، وهو مهم جداً، وهناك الجانب التربوي، وهذه الأنشطة الفكرية والتربوية بدل أن تكون في مقر الجمعية الرئيس، وهو متخم بالنشاط، قمنا بتوزيعها على جميع المحافظات، وأصبح لكل محافظة نشاطها الاجتماعي والتربوي، مع التنسيق مع المقر الرئيس للجمعية.

● **تقوم الجمعية بدور ثقافي من خلال معرض الكتاب الإسلامي منذ عام 1994م وإلى الآن؛ فما الرسالة الثقافية التي تقدمها الجمعية للمجتمعات الإسلامية؟**

– الكتاب عنصر رئيس في تأصيل الثقافة، ونحرص على أن تتنوع الكتب الشرعية والتربوية بالذات، والتطبيقية في هذا المجال، سواء للأطفال أو المميزين أو الشباب أو الرجال أو النساء، فكل هؤلاء نعطيهم دفعة قوية، لذلك نجد معرض الكتاب الإسلامي من أنشطة الجمعية المهمة، وأحياناً يفتتحه وزراء وكبار المسؤولين في الدولة –افتتحه في إحدى السنوات رئيس مجلس الأمة جاسم الخرافي رحمه الله– ويحضره جمع غفير من المسؤولين، ولا يقتصر فقط على الكتب الشرعية والمراجع، وإنما يتنوع بتطور الأساليب الموجودة، فتجد عنده الكتاب والشريط، والكمبيوتر، والمواقع، وعقد المؤتمرات والحوارات والندوات واللقاءات، فلا يقتصر الأمر على الكتاب فقط، بل يكون متنوعاً؛ حيث يشمل المجال الفكري والتربوي والثقافي بالإضافة إلى بيع الكتب؛ فهو مهرجان ثقافي متكامل، ويُقبل عليه الناس بفضل الله، وهناك مكتبات خارجية تأتي من خارج الكويت، من الدول الإسلامية والعربية، بالإضافة إلى المكتبات الموجودة، بالإضافة إلى مساهمة بعض المؤسسات والوزارات في معرض الكتاب الإسلامي؛ فالأمانة العامة للأوقاف لديها مكان للعرض لأنشطتها من خلال المعرض، وجمعية المنابر القرآنية، وبيت الزكاة، وجمعية الآل والأصحاب.. وغيرها.



● **تمتاز جمعية الإصلاح بلجنة «الوفاء»، حبذا لو تعطينا نبذة عن هذه اللجنة؟**

– في الجمعية مكتب يسمى «مكتب الوفاء»، والوفاء حثّ الله سبحانه وتعالى عليه في كتابه الكريم، وحث عليه سُنة رسوله صلى الله عليه وسلم، والذي يجمعنا في الحقيقة مع إخواني السابقين واللاحقين هو العمل الإسلامي الذي نقوم به، والذي يساهم فيه كل إنسان يرجو من وراء مساهمته الأجر والثواب من الله سبحانه وتعالى، ومن هذا الباب يأتي الوفاء.

الوفاء للذين قدّموا وأسهموا إسهاماً كبيراً في إثراء هذه الجمعية والعمل الإسلامي، وكذلك من توفاهم الله؛ فنقوم بدعوة أهاليهم وأولادهم وآبائهم وأمهاتهم لتكريمهم.

وهناك كتيب من ثلاثة أجزاء، فيه صور للذين توفاهم الله، وإسهاماتهم في نشاطات الجمعية، وما قاموا به.

> **دور «نماء» لا يقف عند إعطاء الأموال للفقراء بل تحرص على تنميتهم مجتمعياً**
>
> **معرض الكتاب الإسلامي مهرجان ثقافي متكامل يشمل المجال الفكري والتربوي**

بالإضافة إلى أن «مكتب الوفاء» يقوم بالإعلان من خلال موقعه عبر الشبكة العنكبوتية، وعبر وسائل التواصل الاجتماعي، عن المرضى من إخواننا، سواء كانوا في الكويت أو خارجها؛ حيث يقوم المكتب بتشكيل لجنة من أجل زيارتهم في مقر سكنهم، أو في المستشفيات التي يتعالجون فيها، والدعاء لهم، وأحياناً يشركونني في الذهاب معهم إلى زيارتهم.

لذا لا بد أن يكون بيننا وبين إخواننا وأهاليهم صلة الوفاء والمحبة، وهذه الصلة يحبها الله سبحانه وتعالى ورسوله.

● **كلمة أخيرة.**

– أشكركم جزيل الشكر، كونكم جعلتموني أتذكر كل ما نقوم به، ونشكر الله سبحانه وتعالى على نعمه وآلائه، التي تربينا فيها، وهذه الجمعية بعد الله تعالى هي التي حفظت لنا إيماننا بعملها وتربيتها، سواء كنا طلاباً، أو أساتذة، أو كنا في الخارج؛ لذا نسأل الله تعالى للجمعية ولمن قام بها ولشبابها ونسائها ورجالها ولمن تغمدهم الله برحمته، الأجر والثواب.■

«المجتمع» صدرت وسط تحولات عالمية كبرى



بدر القصار
رئيس تحرير «المجتمع» الأسبق

أياماً ويكون قد مر 50 عاماً على صدور أول عدد من مجلة «المجتمع» التي كانت نتيجة طبيعية للصحوة الإسلامية المعتدلة ومساحة الحرية في بداية العقد السادس من القرن الماضي، وهي أحد أهم أنشطة جمعية الإصلاح الاجتماعي، صدرت وسط فرحة العاملين في الوسط والحقل الإسلامي في العالم العربي والإسلامي، تحمل وتتبنى فكرهم وهمهم وتنشر أنشطتهم.

صدرت «المجتمع» في ظروف التحولات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في العالم العربي والإسلامي والعالمي، وقد وضعت في نصب أعينها أن تعمل في هذا المحيط في حدود المستطاع والمتاح من مساحة الحرية النسبية، وكذلك الإمكانات البشرية والمادية، مستغلة تميز الكويت عن باقي دول المنطقة باستقطابها الكفاءات الإعلامية العربية التي أثرت.

كان هَمُّ العاملين في جمعية الإصلاح الاجتماعي أن توصل الكلمة الطيبة والتحليل الرصين وأنشطة العمل الإسلامي، رغم الضعف الشديد، وندرة العاملين في الحقل الإعلامي عند أفراد وأعضاء جمعية الإصلاح الاجتماعي، وكذلك المحبين.

بدأ العمل معتمداً بشكل كليّ تقريباً على إخواننا «العرب»، سواء على مستوى هيئة التحرير (مدير التحرير، سكرتير التحرير)، أو المحررين، أو العمل بالقطعة..

كان جُل العاملين في أنشطة جمعية الإصلاح الاجتماعي -يقويهم الحس الديني- منشغلين في محاربة الفساد الذي استشرى في المجتمع الكويتي على مستوى التعليم ووسائل الإعلام.

لم تكن هناك جهود أو خطة لإعداد أعضاء الجمعية ومحبيها في أعمال التحرير والطباعة والإخراج.

نعم، ساهم بعض الإخوة في سد النقص، لكنها جهود فردية لا ترقى إلى سد النقص والمضي به إلى النمو والاكتفاء الذاتي، ولم تكن هناك جهود منظمة من أعضاء هيئة التحرير لتدريب مجموعة للعمل الصحفي، ولم يكن هناك تعاون، بل إلى التفرد أقرب؛ وهذا ما جعل البعض ينفر من العمل الصحفي، واستمر هذا الوضع إلى وقت قريب.

بعد أن لمس الإخوة في الجمعية هذه المشكلة التي تهدد «المجتمع» إلى التوقف أو الانحراف عن هدف الإنشاء؛ كان لزاماً أن يحدث تحول رغم الضعف في الممارسة والخبرة سواء في التحرير أو الإدارة.

ومن أبرز المشكلات والمصاعب التي واجهتنا يمكن تلخيصها بالتالي:

- ضعف الأرشيف الصحفي، وقد تم تدارك هذا الأمر باختيار إخوة من الجمعية قاموا بأعمال الأرشفة، وكان مقر الأرشيف مركز الشباب القديم الذي أصبح نواة أرشيف «المجتمع» الحالي.
- ضعف التغطية المحلية؛ وهذا كان له أثر سلبي في ضعف التوزيع المحلي، وكذلك الاشتراكات، بعكس الاشتراكات والتوزيع الخارجي وخاصة السعودية.
- ضعف التوزيع في مصر وسورية وشمال أفريقيا، وله أسبابه السياسية وصعوبة التحصيل.
- قلة الموارد المالية وخاصة الذاتية.
- ضعف الإعلان في «المجتمع»، وهذا مرتبط بالتوزيع.
- إغلاق مجلس الأمة وبعض جمعيات النفع العام.
- رقابة وزارة الإعلام، وكثرة إغلاق المجلة خاصة أثناء الحرب الأهلية في لبنان وغزو سورية للبنان.
- المواءمة بين ما يطلبه القرَّاء ومجلة تُصدرها جمعية الإصلاح الاجتماعي، وهي جمعية نفع عام تحكمها نظم وقوانين الحكومة في تغيرات سياسية محلية وضغوطات خارجية.
- فرز ضعيف للعمل الصحفي والإداري في «المجتمع»، نعم كانت هناك تجربة للعمل كفريق لإدارة العمل التحريري والفني لكنها غير منتظمة، وكانت مهمة شاقة كونها فناً جديداً ومجالاً لم يعتد عليه أعضاء الجمعية ولم يتدربوا عليه، لكنها كانت جهوداً مباركة ساهمت في استمرار صدور أعداد «المجتمع»، حتى إن البعض كان يسهر حتى الفجر!
- النظرة للعمل الصحفي خلاف العمل الخيري والإغاثي -في نظري- أنه عمل ثانوي.
- لم تقم هيئة التحرير متمثلة في مدير التحرير أو السكرتير بأعمال التدريب واكتشاف المواهب لأفراد الجمعية.
- لم تكن هناك خطة تدريب ولم تتبلور بشكل تنفيذي إلا في فترة متأخرة وأظنها لم تستمر.■

الوزير محمد البصيري رئيس تحرير المجلة الأسبق:

المجتمع تمثل بحق المسلمين في أنحاء العالم



عانت في الثمانينيات من التضييقات والرقابة المشددة التي لاحقت كل الصحف بعد حل مجلس الأمة

حوار - سعد النشوان:

تناوب على رئاسة تحرير مجلة «المجتمع» العديد من الرجال الأكْفاء الذي كان لكل منهم بصمته الخاصة في رحلة المجلة؛ حتى وصلت إلى الصورة المشرقة التي هي عليها الآن بعد مرور نصف قرن من عمرها الممتد والمتجدد.

ويسعدنا في هذه المقابلة أن نستضيف أحد هؤلاء الرجالات الذين تولوا رئاسة تحرير المجلة في مرحلة مهمة؛ مرحلة الانطلاق والانتشار التي واكبت العقد الأخير من القرن الماضي، وهو د. محمد محسن البصيري، نائب رئيس مجلس الأمة السابق، وزير النفط ووزير المواصلات سابقاً، ورئيس تحرير «المجتمع» الأسبق.

● نرحب بكم في هذا الحوار حيث تحتفل مجلة «المجتمع» بمرور نصف قرن على إنشائها، ونود في البداية أن نعرف منكم ماذا كانت تمثل «المجتمع» لـ د. محمد البصيري وقت إنشائها، قبل أن يكون ذلك الكاتب المعروف، ورئيس تحرير المجلة بعد ذلك؟

- أولاً شكراً لكم على الاستضافة، وحياكم الله في بيتكم ومحلكم، ونبارك لكم «اليوبيل الذهبي»، بمرور خمسين عاماً على صدور العدد الأول من المجلة، ذات العنوان البارز بأنها مجلة المسلمين في كل أنحاء العالم، وهي بحق تمثل المسلمين في كل أنحاء العالم، ومجلة «المجتمع» تمثل لي مورداً ثقافياً وعلمياً كبيراً، خصوصاً في بدايات اطلاعاتي وقراءاتي، وخصوصاً أن توجهي كان بفضل الله تعالى توجهاً إسلامياً، لذا كانت المجلة أحد الروافد الثقافية والعلمية بالنسبة لي في بداية حياتي.

وكانت المجلة أحد المصادر الرئيسة لتتبع أخبار العالم الإسلامي، وكل ما يجري على الساحة العربية والإسلامية، وما تعانيه الدول الإسلامية من أحداث مختلفة، وكانت بدايتي مع مجلة «المجتمع» عندما تخرجت في الجامعة عام 1982م، فعندما صدرت المجلة في عام 1970م كنت طالباً في المرحلة الثانوية.

في تلك الفترة، لم يكن طالب العلم يهتم بالمجلات أو الاطلاع عليها بقدر اهتمامه بالدراسة والتحصيل العلمي، ولكن بعد التخرج في الثانوية والدراسة الجامعية كنت أقرأ المجلة باهتمام كبير، وأتتبع صدورها كقارئ متتبع لأحوال العالم الإسلامي والمسلمين في كل أنحاء العالم، إلى أن تخرجت في عام 1982م، ورجعت، وأنشئ فرع جمعية الإصلاح الاجتماعي في محافظة الجهراء، في عام 1982م، وكان لي نصيب أن أكون أول رئيس لفرع جمعية الإصلاح الاجتماعي في محافظة الجهراء، ومنذ ذاك الوقت أصبحت من ضمن الجهات التي يجب عليها أن تتابع وتشارك في إصدار هذه المجلة ومحتواها.

● في ذاك الوقت وأنتم في جمعية الإصلاح فرع الجهراء، هل كنتم تحرصون على توزيع «المجتمع» حتى يتعرف الناس على أخبار وأحوال العالم الإسلامي؟

- في ذاك الوقت، كان لدينا نشرات خاصة بالفرع، وكنا نضع في تلك النشرات مقتطفات مما يتم نشره في «المجتمع»، ونقوم بتوزيع هذه النشرات على البيوت مجاناً، وفي الوقت نفسه

كنا حريصين على أن تكون المجلة متوافرة بالمساجد التي بها حلقات للشباب المهتمين بالشأن الإسلامي والدعوي والعمل الخيري وغيره، وكان لمجلة «المجتمع» نقاط توزيع جيدة، وإقبال على اقتنائها وقراءتها، ومن مناطق التوزيع النشطة للمجلة في مرحلة الثمانينيات وبداية التسعينيات كانت محافظة الجهراء، حيث يوجد بها نسبة كبيرة من القراء والمتابعين للمجلة، ولله الحمد.

● ما أبرز الموضوعات التي كانت تتناولها «المجتمع» في ذاك الوقت؟

– في مرحلة ما من الثمانينيات، بعد أن تم حل مجلس الأمة عام 1985م، كانت هناك رقابة مشددة على الصحافة كلها، بما فيها الصحف اليومية، والمجلات الأسبوعية، ومن ضمنها مجلة «المجتمع»، وكانت الرقابة شديدة، حيث كان هناك رقيب يتابع كل صغيرة وكبيرة، في الصحف اليومية، وفي بعض الأحيان كان الرقيب يداوم في الصحيفة أو المجلة لكي يتتبعها موضوعاً موضوعاً، وفقرة فقرة؛ ولذلك كانت الأمور والأجواء العامة لا يوجد بها حرية صحفية أو إعلامية منطلقة، مثلما حدث في التسعينيات، وما بعدها عندما عادت الحياة الديمقراطية والدستورية للكويت.

وفي ذاك الوقت كانت المواضيع المحلية هي الطاغية على «المجتمع»، وضرورة عودة الحرية والديمقراطية، والحرية الصحفية للإعلام الكويتي، ومن ثمّ أيضاً شأن العالم الإسلامي، وقضايا المسلمين في كل أنحاء العالم، فكانت المجلة تأخذ الجانب المحلي والدولي والعالمي، ولكن الاهتمام بالجانب المحلي كان أكثر في ذاك الوقت.

أما فترة التسعينيات، فقد اختلفت الاهتمامات، وأصبح الاهتمام بالجانب العالمي أكثر من الاهتمام بالجانب المحلي.

● في 2 أغسطس 1990م، تعرضت الكويت للغزو العراقي الغاشم، وتوقفت الحياة كثيراً بالكويت في كل المجالات تقريباً، وكانت «المجتمع» من ضمن المطبوعات التي تم وقفها، ولكنها واصلت الإصدار في مكان خارج البلاد، وكان لكم دور في هذا الأمر، حبذا لو تطلعنا على ذلك.

– في ذاك الوقت –أغسطس 1990م– هذا التاريخ التعيس الذي حدث فيه الغزو العراقي الغاشم لدولة الكويت، حينها كنت أدرس في بريطانيا، حيث كنت أحضّر لرسالة الدكتوراه، واستمر بقاؤنا في لندن طوال فترة الاحتلال كاملة (7 أشهر)، وفي تلك الفترة توقفت مجلة «المجتمع» عن الصدور في الكويت، وتحوّل مدير تحريرها في ذاك الوقت الأخ أحمد منصور، ومجموعة من الإخوة الذين كانٍ لهم اهتمام إعلامي إلى لندن، وكنتُ موجوداً معهم، ومن ثم قمنا بإصدار صحيفة وأطلقنا عليها اسم «المرابطون» في لندن، وكان يترأس تحريرها د. ناصر الصانع، ومدير التحرير الأستاذ أحمد منصور، وكنتُ أحد كتَّاب هذه الصحيفة، إلى أن توقفت بعد التحرير، منذ تلك اللحظة بدأتُ أكتب بشكل رسمي في «المجتمع»، بعد التحرير.

أما قبل ذلك فكانت لي بعض الكتابات في بعض الصحف الكويتية، مثل صحيفة «الوطن»، و«الأنباء»، مقالات أسبوعية في فترة من الفترات.

● في عام 1992م، قررتَ خوض انتخابات مجلس الأمة، وتم اختيارك لرئاسة تحرير «المجتمع»، كيف كانت هذه النقلة من كاتب إلى رئيس تحرير؟

– في فترة الثمانينيات، وبالتحديد منذ العام 1979م إلى عام 1992م، كان د. إسماعيل الشطي هو رئيس تحرير مجلة «المجتمع»، وفي عام 1992م خاض د. إسماعيل الانتخابات في دائرة مشرف وبيان، وأنا كنت في دائرة الجهراء القديمة، ويسَّر الله سبحانه وتعالى للدكتور إسماعيل ونجح في الانتخابات، ودخل مجلس الأمة، وأنا لم يحالفني الحظ، فاعتذر للعم أبي بدر يرحمه الله، وأخبره بعدم قدرته على الاستمرار في رئاسة تحرير «المجتمع»، وطلب منه البحث عن شخص آخر يقوم برئاسة التحرير، فقام العم أبو بدر بترشيحي لهذا المنصب، واتصل بي، وأخبرني بأنه تم اختياري لتولي منصب رئاسة تحرير مجلة «المجتمع»، خلفاً للدكتور إسماعيل الشطي، وأنه يأمل أن أقوم بإكمال المسيرة.

وكان العم أبو بدر بالنسبة لنا –نحن شباب جمعية الإصلاح الاجتماعي– بمثابة الأب الروحي، وكانٍ في حكم الوالد الذي لا يمكن أن نعصي له أمراً، لذا رحّبت ووافقت بتولي رئاسة التحرير في المجلة، وبفضل الله تيسّرت الأمور، وتوليت هذه المسؤولية منذ العام 1992م.

● تغيّر النهج من كاتب إلى رئيس تحرير، ما الصعوبات التي واجهتك في هذه المرحلة؟

– لا شك أن الإخوة الذين تولوا رئاسة تحرير «المجتمع» قبلنا وضعوا اللبنات الأساسية، والهيكل التنظيمي، والإداري، والمالي، والتحريري للمجلة، ونحن تولينا رئاسة التحرير والمجلة قائمة بذاتها، وقد بدأنا من حيث انتهى من قبلنا، ولذلك فالإخوة إسماعيل الشطي، وبدر القصار، ومشاري البداح يرحمه الله، وكل من سبقونا كانت لهم بصمات واضحة، في المجلة، ونحن بفضل الله أكملنا المسيرة.

ولا شك أن المجلة في بداياتها وخصوصاً في حقبة الثمانينيات، –التي أشرنا إلى الظروف التي مرت بها سلفاً– كانت الظروف أصعب على رؤساء التحرير الذين سبقوني في المجلة، أما في العام 1992م فقد عادت الحياة البرلمانية والديمقراطية، وبدأت الأمور تأخذ مجراها الطبيعي، من حيث حرية الصحافة والرأي والكتابة، وفي تلك الفترة تم إلغاء وظيفة الرقيب الإعلامي، الذي كان يراقب الصحف والمجلات، وصدر بعد ذلك قانون المطبوعات والصحافة، وكان فيه سعة للكُتَّاب والصحفيين، وتم وضع الخطوط العريضة لما هو مسموح به وما هو غير مسموح، وأصبحت مهمتنا أسهل بكثير من مهمة من سبقونا.

ولكن هذه الحقبة التي واكبتها كان لها إيجابياتها وسلبياتها، فإن كان باب الحرية

مع توقفها فترة الغزو أصدرنا «المرابطون» من لندن برئاسة د. ناصر الصانع وإدارة تحرير أ. أحمد منصور

بعد دخول د. إسماعيل الشطي مجلس الأمة عام 1992م رشحني العم أبو بدر بديلاً له لرئاسة تحريرها

من التحديات التي واجهتنا التنافس الذي كان على أشدّه بين الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية

قد اتسع على مصراعيه، فإن التنافس كان على أشدّه بين الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية، وكان يتم تغطية جلسات مجلس الأمة، في ظل متابعة الناس لمجريات الأمور داخل المجلس، وواكب ذلك انفتاح إعلامي كبير سواء في الإذاعة أو التلفزيون، وبالتالي سحب هذا التنافس والتعدد في وسائل الإعلام شريحة من قرَّاء ومتابعي مجلة «المجتمع»؛ لذا كان لا بد من مواكبة هذه الأحداث بالتطور المستمر، وتجديد الفكر، ومجاراة التغيرات التي تتطور يوماً بعد يوم، حتى يكون للمجلة مساحة بين القراء والمتابعين.

كانت هذه أبرز التحديات التي واجهتنا في ذاك الوقت، لذا حاولنا أن نصل إلى أكبر شريحة ممكنة من خلال التعاون مع بعض الصحف اليومية واسعة الانتشار.

وأذكر أننا قمنا بتوقيع عقد مع صحيفة «الوطن» لطباعة المجلة مع إعلان أسبوعي، بالإضافة إلى توزيع المجلة على المشتركين في صحيفة «الوطن»، وما كنا لنصل لتلك الشريحة لولا هذه الاتفاقية وهذا التعاون مع صحيفة واسعة الانتشار في ذاك الوقت.

لذلك كانت تأتي إلينا ردود فعل من قراء، ما كنا نحلم في يوم من الأيام أنهم يطلعون على مجلة «المجتمع»، فضلاً عن أن يعرفوا ما هي مجلة «المجتمع»، وأصبحوا يواظبون على قراءتها مثلها مثل أي صحيفة أخرى، وبذلك صار هناك نوع من الانتشار للمجلة والتوسع لشريحة القراء.

قبل ذلك بفترة وجيزة، كان قراء المجلة في الخارج أكثر من قرائها في الداخل، وخصوصاً في السعودية والسودان والجزائر، والمغرب الغربي عموماً، حيث كانت تأتي إلينا رسائل بالآلاف من قرائنا في مختلف دول العالم، وكنا نعاني من أننا لم نصل إلى القارئ الكويتي بشكل جيد، وجاءت هذه الاتفاقية مع صحيفة «الوطن» الكويتية، كي تتقلنا نقلة نوعية، وتوصلنا للقارئ الكويتي كي يطلع على «المجتمع».

● كيف كانت خريطة القراء في عهدك؟ وما أبرز المواضيع التي كنتم تناقشونها منذ العام 1992 إلى العام 2009م؟

– رسالة «المجتمع» رسالة دعوية إسلامية، ناطقة بكل آمال وهموم وطموحات المسلمين في كل أنحاء العالم، فرسالة «المجتمع» هي تبني كل قضايا المسلمين في مختلف أنحاء العالم، سواء في المنطقة العربية أو الإسلامية وعلى مستوى العالم ككل بتناولها للأقليات الإسلامية في كل أقطار العالم، وفي ذاك الوقت، على سبيل المثال، كانت إحدى القضايا الرئيسة التي تشغل المسلمين هي قضية البوسنة والهرسك، وكذلك قضية فلسطين والمسجد الأقصى، وهي قضية العرب والمسلمين الأولى والمركزية، كذلك قضية كوسوفو والمسلمين في الفلبين.. وغيرها، ناهيك عن متابعة القضايا المحلية، سواء على الساحة البرلمانية، وهي الساحة الفاعلة التي تفاعل معها الشارع الكويتي؛ حيث كنا ننقل كل ما يجري في البرلمان من قضايا مطروحة على الساحة المحلية، سواء الاستجوابات أو لجان التحقيق وغيرها، وأصبحنا نركز على جانب التحقيق والتحليل أكثر من نقل الخبر؛ لأن نقل الخبر كانت تسبقنا فيه الصحافة اليومية، ونحن كنا مجلة أسبوعية؛ لذا لا تستطيع المجلة منافسة الصحافة في متابعة الخبر، ولكن تنافسها في التحقيق والتحليل والآراء والأفكار والمناهج الدعوية وما وراء الخبر، وهذا ما كنا نركز عليه في تلك الفترة.

أضف إلى ذلك أنه في أواخر التسعينيات بدأت في الظهور وسائل التواصل السريعة، مثل الهواتف النقالة وغيرها.

● هل أثرت وسائل التواصل المختلفة على مجلة «المجتمع»؟

– بلا شك أن الأزمة ليست أزمة مجلة «المجتمع» وحدها، بل إن الأزمة يعاني منها الكتاب والصحافة والتلفزيون؛ حيث أصبح جهاز الهاتف الصغير الذي بين أيدينا هو التلفزيون والفيديو والصحيفة والكتاب، وأصبح هو كل شيء، وصارت المكتبة برمتها في هذا الجهاز الصغير، وهو ما يمثّل تحدياً كبيراً لكل الصحافة المقروءة والكتب، والكل يشتكي؛ فدور النشر التي تنشر الكتب أصبحت تشتكي من أن القراء الآن لم يعودوا كالسابق،



الزميل سعد النشوان أثناء حواره مع د. محمد البصيري

تطور وسائل التواصل أصبح تحدياً كبيراً أمام كل الصحف والمجلات والكتب المطبوعة ولا بد من مواكبة العصر

على المجلات المطبوعة التركيز على تحليل الخبر وما وراءه والتحقيق ونشر الرؤية والفكر وليس نقل الخبر

ومعارض الكتاب في الكويت والدول العربية ما عاد الإقبال عليها مثلما كان في السبعينيات والثمانينيات إلى أوائل التسعينيات، وأصبح الناس يكتفون بقراءة الكتاب من خلال «اللاب توب» أو الهاتف، ومتابعة الخبر من خلال «تويتر»، أو «فيسبوك»، أو «إنستجرام» أو «سناب شات».. وغيرها.

لذا؛ لا بد أن تراعي الصحافة الورقية مواكبة العصر، واللحاق بهذا التطور السريع بالابتكار، من خلال تحليل الخبر والتحقيق، وما وراء الخبر، ونشر الرؤية والفكر والثقافة وغيرها، لأنه لا يمكن بحال من الأحوال منافسة هذه الوسائل الحديثة في نقل الخبر التي تقوم باكتساح كل المجلات والصحف، حتى أعرق الصحف والمجلات العالمية الغربية وغيرها، أصبحت تتحول تدريجياً إلى صحف إلكترونية، وتم تقليص عدد الصفحات الورقية للصحف، وبعضها تحول من يومية إلى أسبوعية، ومن أسبوعية إلى شهرية، وبعضها الآخر أصبح يصدر بشكل دوري، وهذه النقلة والمعاناة تعاني منها كل الصحف الورقية، بلا استثناء، ومجلة «المجتمع» ليست استثناء من هذه القاعدة.■

المجتمع إنجازات بلا حدود


د. عصام عبداللطيف الفليج

عندما ظهرت مجلة «المجتمع» عام 1970م، ظهرت وسط صحافة قومية يسارية ليبرالية سيطرت على العالم العربي والإسلامي، قادت الرأي العام لصدورها اليومي الكثيف، والأسبوعي المنوع، وكانت الصحافة آنذاك -وما زالت- صراعاً بين التجار والحكومات، ولا تنشر من القضايا الإسلامية إلا النزر اليسير.

وكانت الساحة الإسلامية تفتقد لصحافة تنشر قضاياها ومشاريعها، حيث كانت معظم المجلات الإسلامية آنذاك تختص بنشر المقالات الفكرية والبحوث العلمية، وهذا جهد مشكور، فبقي النقص قائماً فيمن يتابع قضايا الأمة من زوايا إنسانية وسياسية وفكرية وحقوقية بشكل مستمر.

ظهور «المجتمع» كان قفزة صحفية على مستوى العالم الإسلامي فكانت المتنفس الوحيد لهواء الفكر الإسلامي المتجدد

رؤساء تحريرها اتسموا بالفكر المتزن والطرح الرزين والرأي العميق فلم يثيروا الفتن ولم يتاجروا بالمواقف المبدئية

فكان ظهور مجلة «المجتمع» بمثابة قفزة صحفية كبيرة على مستوى العالم الإسلامي، فلا تبقى شاردة ولا واردة إلا وتنشر فيها، وكانت المتنفس الوحيد لهواء الفكر الإسلامي المتجدد، حيث حوت على تغطيات لقضايا المسلمين، والاهتمام بالأقليات المسلمة في العالم، بالأخص التي تتعرض للظلم والاضطهاد، وفضح مخططات أعداء الدين، وتقديم بدائل ومشاريع واقتراحات، حتى لا تكون مجلة ناقدة دون مشاركة في الحل.

وفي الوقت الذي تفتخر فيه الصحف اليومية والأسبوعية بانضمام كاتب عالمي أو مفكر أو أديب إليها؛ فإن «المجتمع» ضمت بين دفتيها كتابات ولقاءات وأبحاث مئات العلماء والمفكرين والأدباء الذين أثروا الساحة الإسلامية، فكانوا منارات للاعتدال والفكر الوسطي، وعشرات التربويين الذين أصَّلوا المناهج التربوية على التسامح والعفو، رجالاً ونساء، من مختلف جنسيات العالم.

وأضافت الكتابات النسائية في شؤون الأسرة والطفل والمجتمع خطوة جديدة شجعت الصحف النسائية الأخرى للعمل مثلها، وارتفع عدد متابعي المجلة من الجنسين، ومن مختلف الأعمار.

ولأي زيارة لأرشيف «المجتمع» ترى عشرات الآلاف من الوثائق التي تحتاج من يبحث فيها، التي يمكن أن تستخرج منها آلاف الأبحاث والدراسات للعالم الإسلامي.

كما واكبت المجلة التقدم التقني، فخصصت لها موقعاً إلكترونياً، ورخّصت صحيفتها الإلكترونية، فزاد انتشارها في العالم، وسهل وصولها مجاناً لجميع القراء، وزادت أخبارها اليومية بعد أن كانت أسبوعية ثم شهرية مطبوعة، وما زالت أرقامها ترتفع يوماً بعد يوم على مستوى الصحافة الإلكترونية المحلية والدولية.

ودخلت عالم التواصل الاجتماعي عبر «فيسبوك»، و«تويتر»، و«إنستجرام»، وبدأت مؤخراً بإنتاج مقاطع فيديو توعوية وقصصية وفكرية، تنشرها عبر الموقع الإلكتروني و«يوتيوب».

رؤساء التحرير

أما رؤساء التحرير، فقد كانوا قامات صحفية راقية، اتسمت بالفكر المتزن، والطرح الرزين، والرأي العميق، والنظر إلى مصلحة الأمة، والحرص على وحدة الوطن؛ فلم يثيروا الفتن، ولم يؤلبوا الشعب على الحكومة، ولم يتاجروا بالمواقف المبدئية، وكان كل واحد منهم إضافة للساحة الصحفية المحلية والدولية بفكره وإدارته.

وقد التقيت خلال 30 سنة مضت بعشرات المسؤولين في مراكز إسلامية بالعالم، عرباً وغيرهم، في زيارات ومناسبات متفرقة، في الكويت وخارجها، فكانوا يجمعون على أنهم تربوا وتتلمذوا وتعلموا على مجلة «المجتمع» مذ كانوا شباباً في المرحلة الثانوية، حتى غدوا قيادات إدارية وتربوية.

مضى نصف قرن على صدور مجلة «المجتمع»، حققت من خلالها آلاف الإنجازات الصحفية والفكرية والثقافية والتربوية والعلمية، وما زالت تنافح وتكافح رغم النقص المتوالي لميزانيتها وطاقاتها البشرية، وما زالت «مجلة المسلمين الأولى على مستوى العالم»، وستبقى كذلك بإذن الله.

فالحمد لله على هذا النجاح الكبير لهذه المجلة العريقة والعميقة، وجزى الله خيراً من أسسها، وكل من قام عليها ودعمها مالياً وفكرياً وشارك فيها، خلال نصف قرن، وأدعو الله لهم التوفيق والنجاح في مرحلتهم المقبلة.■

المجتمع على خط النار!



أ. د. حلمي محمد القاعود
أستاذ الأدب والنقد

ارتبطت الكويت في أذهان جيلي الذي تفتح وعيه في خمسينيات القرن الماضي بالإصدارات الثقافية المهمة التي كنا نترقبها بصفة دورية؛ فمجلة «العربي» التي صدرت عام 1958م، ملأت فراغاً ثقافياً كبيراً بعد توقف «الرسالة» و«الثقافة»، وكان رئيس تحريرها العلامة الأديب الكبير أحمد زكي يستقطب إليها كبار الأدباء والعلماء والفنانين التشكيليين الذين يخرجونها على ورق صقيل في أفضل تصميم. وبعد «العربي»، ظهرت عام 1965م مجلة «الوعي الإسلامي» عن وزارة الأوقاف برئاسة الشيخ عبدالمنعم النمر، وقد شهدت في عهده ذروة النضج الفكري الإسلامي في معالجة القضايا العلمية وإن لم تهمل قضايا المسلمين المعاصرة، واستكتب فيها علماء الإسلام ومثقفيه.

وفي عام 1970م نشرت جمعية الإصلاح الاجتماعي مجلة «المجتمع» «جريدة أسبوعية إسلامية»، هكذا كان وصفها في صدر العدد الأول من السنة الأولى الذي صدر يوم الثلاثاء 9 المحرم 1390هـ/ 17 مارس 1970م، وتدفقت في الكويت بعدئذ إصدارات ثقافية وأدبية على هيئة سلاسل شهرية وفصلية، أشهرها «عالم المعرفة»، و«عالم الفكر»، و«مسرحيات عالمية».. وغيرها.

ولأن «المجتمع» صدرت عن جمعية أهلية، فقد كان ثوبها متواضعاً؛ لأنها لا تمتلك إمكانات الحكومة وإصداراتها الباذخة، ومع ذلك تضمنت «المجتمع» موضوعات قوية مباشرة، يمكن أن نطلق عليها بلغة الصحافة «موضوعات ساخنة» عبّرت عنها افتتاحية العدد الأول.

على صدر العدد الأول اسم أول رئيس تحرير للمجلة (الجريدة كما كانت تصف نفسها)، وهو الأستاذ مشاري محمد البداح، وبيانات الناشر، وعناوين المجلة والإعلانات.

تضمنت الصفحة الأولى رسماً مهماً ذا دلالة، عبارة عن شخص يرتدي عقالاً فوق الغترة الخليجية وسترة سوداء وبنطالاً، وفي يده بندقية ذات «سونكي» مشهر، ويدوس المواطن أو الجندي المسلح ما يشبه القمامة مكتوب على بعض مفرداتها: الفساد، الاستعمار، الصهيونية، مع إشارات ترمز إلى كل مفردة، والدلالة واضحة لا تخفى عقب هزيمة عام 1967م، وهي الاستعداد للقتال والدفاع عن شرف الأمة وكرامتها.

وفي الصفحة ذاتها مربع يحتوي على كلمة خالدة للبطل المسلم التاريخي صلاح الدين الأيوبي يقول فيها: «إنه متى يسّر الله لي بفتح (تحرير) بقية الساحل (ساحل الشام المحتل من جانب الصليبيين)، قسّمتُ البلاد (نظمتها) وأوصيتُ، وودعتُ، وركبتُ هذا البحر إلى جزائره المختلفة واتبعتهم فيها حتى لا أبقي على وجه الأرض أحداً ممن ظلم وبغى، وأموت في سبيل الله».

وهذه الكلمة الخالدة متصلة الدلالة بالرسم السابق الذي نشرته المجلة في صدرها، ومضمونها واضح لا يحتاج إلى مزيد، فهذه صفات البطل المسلم الشجاع الذي حرّر القدس بعد عقود من السيطرة عليها، وتعرّض أهلها المسلمون للقتل والتهجير، فالرجل يعدّ نفسه لمواصلة مسيرته الجهادية المباركة ومتابعتها بتحرير بقية نقاط الاحتلال الصليبي، ثم يركب البحر المتوسط لينظف جزره من الظالمين البغاة الذين يمثلون عنصر إمداد وتموين للغزاة الصليبيين.

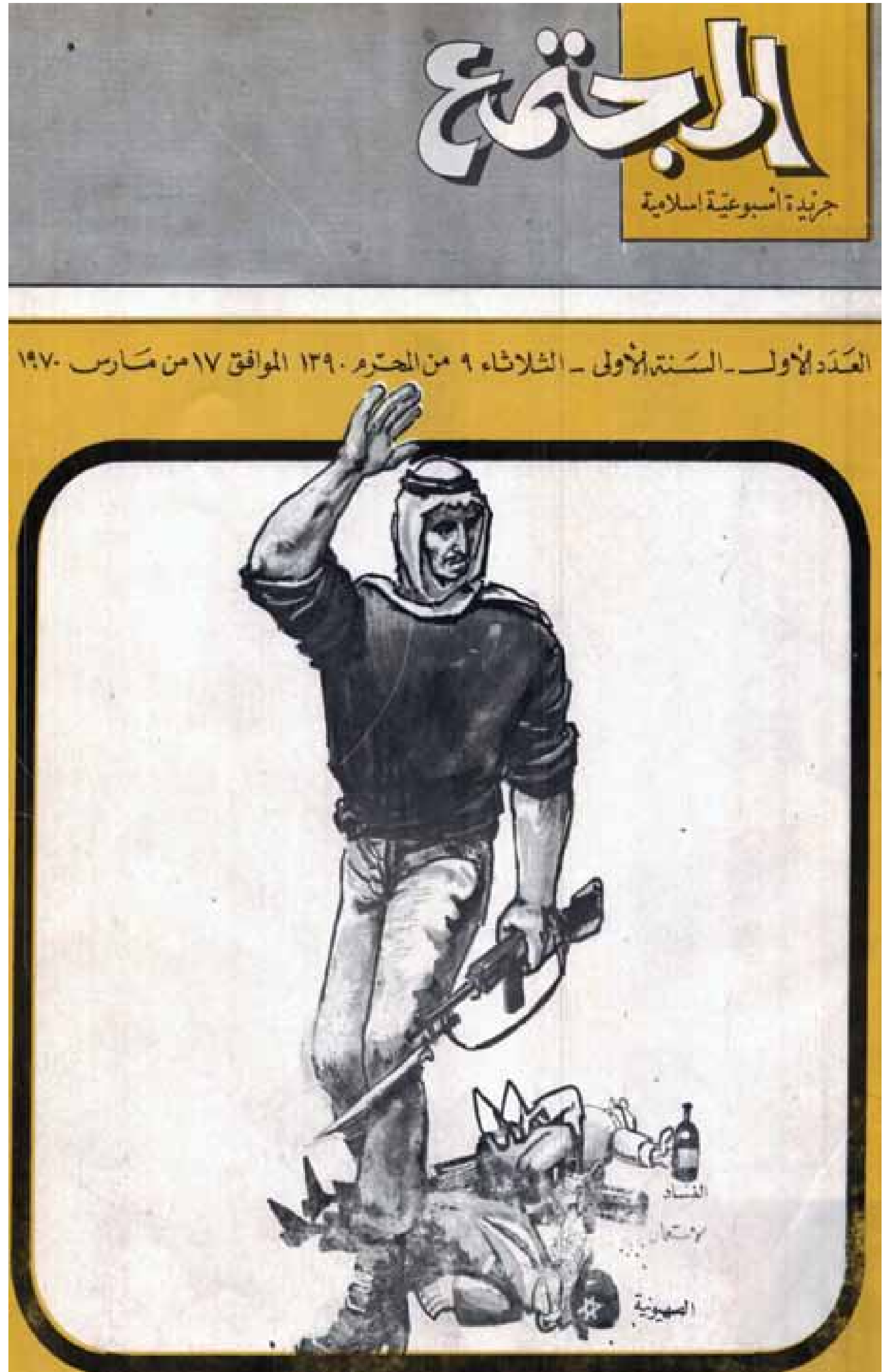
لا ريب أن هذه الكلمة جاءت في الوقت الذي انهارت فيه الجبهات العربية أمام العدو الصهيوني، وتمثل روح المقاومة ورفض الاستسلام لإرادة العدو، في لحظة الإحساس الزائد بوجع الهزيمة وألمها القاتل، واستدعاء نموذج الظفر والنصر والإصرار على مواجهة العدو في كل مكان.

في الصفوف والأمامية

وهكذا تضع «المجتمع» نفسها على خط النار دون تردد، أو تقف في الصفوف الأمامية دفاعاً عن الإسلام والأمة، وهو ما أكدته المجلة في مقالها الافتتاحي الخاص بشرح سياستها التحريرية ورؤيتها الفكرية، وكان يحمل عنوان «في الضوء»، ويشير إلى صدى الإعلان عن صدور «المجتمع» لدى بعض القوى السياسية، وعدم ترحيبها بوجود منبر إسلامي في تلك المرحلة.

تقول المجلة: «.. بدأت الرجعية تتحرك لتعويق الزحف الثوري وضرب القوى التقدمية، هذه المصطلحات ومئات أمثالها دُفع بها لتلقانا على الطريق، وتعترك معنا»، ثم تشير المجلة إلى الاتهامات والإشاعات التي أطلقها خصوم الحركة الإسلامية، وتعبّر «المجتمع» عن وعيها بمثل هذه الاتهامات ووضعها تحت الأقدام كما تقول.

فالمجلة تصدر عن هيئة أو جمعية الإصلاح الاجتماعي، وتستمد فكرها من الإسلام، وعلى ضوئه ومقياسه سوف تتقبل بصدر رحب كل نقد هادف بنّاء، وترفض النقد الغوغائي والتجريح الذي لا يقبله



الخلق الإسلامي، تمد يدها للناس جميعاً، يداً ترفع راية الإسلام وتبشر بالخير والبرّ ولكنها سوف تقف في تحدّ من خصوم الإسلام، كما تقف إلى جانب قضايا الأمة في أرض الإسلام، في كل مكان.

وقد أعطت المجلة اهتماماً خاصاً لآراء القراء، وجعلت الحوار معهم إستراتيجية ثابتة، فالقارئ يمثل مرآة لحركتها وتفاعله معها وتأثيرها فيه، وما إن أعلنت عن نفسها واعتزامها الصدور حتى وردت إليها رسائل متنوعة، فنشرت رسائل تحمل عناوين ذات دلالة مثل: تحذير وتناقض، والباليه في مدارسنا، وهمسة حول الحفلات الراقصة في الفنادق، ودعوة إلى الحرب على الرذيلة.. وكانت الرسائل تنشر بأسماء صريحة أو بالحروف الأولى، ولم يقصّر محرر الباب في دعوة القراء إلى التفاعل مع الجريدة (المجلة) بالنصيحة والتوجيه والإرشاد و«العون على النفس إذا أخطأنا».

«المجتمع» وضعت نفسها على خط النار دون تردد ووقفت في الصفوف الأمامية دفاعاً عن الإسلام

أعطت اهتماماً خاصاً لآراء القراء وجعلت الحوار معهم إستراتيجية ثابتة

ومع هذه الأريحية والسماحة، فإن «المجتمع» كانت حريصة على أن تبرز مهمتها الجهادية ضد الفكر المنحرف أو العدوان الفكري على الإسلام، فقد تصدرت الصفحة الأولى عناوين الموضوعات التي تعالجها المجلة في صفحاتها التي بلغت ثلاثين صفحة، وكان من أبرز موضوعاتها علاقة اليسار بالعمل الفدائي الفلسطيني، وكان اليسار في ذلك الحين محصّناً، والاقتراب منه مكلّفاً، بحكم تبني الحكومات التي كانت تسمي نفسها ثورية الفكر اليساري بتنوعاته المتعددة، كما كان الموضوع الثاني المهم هو الهجوم التبشيري على الكويت الذي يتخذ أنماطاً مختلفة من الأساليب الخبيثة.

وفضلاً عن ذلك، فهناك موضوعات أخرى متنوعة تتناول أخبار العالم، والقضية الكردية، والمشكلات الطبية، ودروس الهجرة النبوية، وشؤون الأسرة، وترجمات لبعض علماء المسلمين؛ مثل غلام شودري محمد، عالم باكستان المعروف، بالإضافة إلى أحوال فلسطين، وسموم التلفزيون الصهيوني، ومسابقات ثقافية وأخبار بلا عنوان.

وقد ضم العدد الأول مقالين لاثنين من الأعلام، أولهما د. عيسى عبده (رحمه الله)، وكان متخصصاً في الاقتصاد، ولعله كان من وراء فكرة الاقتصاد الإسلامي بكتبه العديدة التي ناقشت قضايا الاقتصاد على المستوى المحلي والدولي، وقد تجسدت فيما بعد من خلال البنوك الإسلامية حيث تعتمد المشاركة بدلاً من الربا، والعَلَم الآخر هو د.

سالم نجم (رحمه الله)، وكان متخصصاً في أمراض الباطنة، ومثالاً للأخلاق الفاضلة، ولا أزكّيه على الله، وقد عالجني من بعض الأمراض المزمنة في فترة الثمانينيات.

وكان طبيعياً أن تبحث المجلة الوليدة عن دعم مادي يضخ الحياة في شرايينها، فجاءت الإعلانات لتشكل عنصراً مهماً من عناصر الدعم، وقد رأينا في العدد الأول إعلانات عن بعض الأجهزة الكهربائية؛ مثل المكيفات، والسيارات مثل سيارات «فولفو» الجديدة، التي وصفت نفسها بأنها «في قوة الصلب السويدي ومتانته، في أناقة بلاد الشمال وقوتها».

الشجاعة المهذبة

ظلت «المجتمع» في سنواتها التالية حتى الآن ترفع راية الشجاعة المهذبة في مواجهة الباطل وخدمة الحق على المستويات كافة، دون أن تتخلى عن موقعها على خط النار أو الصفوف الأمامية، وكان أفقها الرحب في فهم الأحداث والتعبير دافعاً لها كي تتطور باستمرار شكلاً وموضوعاً، وتتجاوز المصاعب والمتاعب التي مرت بها المنطقة، وتعرضها لتهديدات الأشرار في بعض العواصم.

وحين أُغلقت الصحافة الإسلامية في

كانت حريصة على أن تبرز مهمتها الرسالية ضد الفكر المنحرف أو العدوان الفكري على الإسلام

ظلت ترفع راية الشجاعة المهذبة في مواجهة الباطل وخدمة للحق على المستويات كافة

على مدى 50 عاماً لم تتوقف عن التطوير والتجديد واهتمت بمجالات عديدة تخص المسلمين

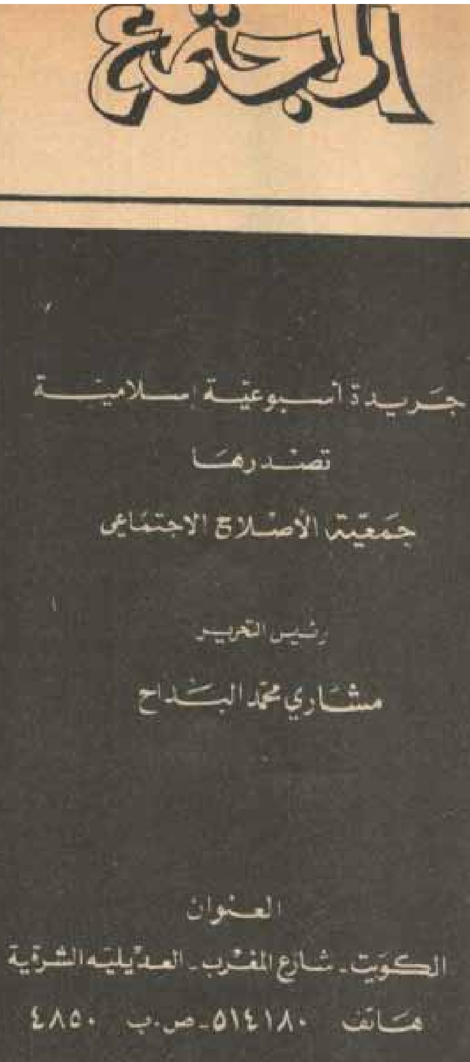
بعض البلدان العربية وفقاً لخطط شيطانية، فإن «المجتمع» فتحت صدرها لكل صاحب قلم حرّ نبيل، دون منّ ولا أذى، ولا هرباً وراء عباءة شعوبية مقيتة أو نظرة ضيقة عليلة، فكانت بحق منبراً لكل المسلمين من الأقطار العربية والإسلامية، وحين زرت بعض البلاد الإسلامية البعيدة رأيت حرص بعض القراء على متابعة «المجتمع» مع «الاعتصام» و«الدعوة» و«حضارة الإسلام».. وغيرها.

وقد أتيح لي أن أشارك في الكتابة على صفحاتها في الثمانينيات، وزادت مشاركتي في التسعينيات التي شهدت أحداثاً جساماً؛ احتلال الكويت وحرب الخليج الأولى، والبوسنة والهرسك.. وكان الأستاذ إسماعيل الشطي رئيساً لتحريرها في تلك المرحلة (لم أشرف بمعرفته شخصياً)، وظل في الكويت فترة الاحتلال العراقي ولم يغادرها، وشارك أهلها مصاعب الحياة، لدرجة أنه قام بأعمال يدوية مساعدة لإخوته في الوطن الجريح.

أما الإعلامي أحمد منصور –مذيع «الجزيرة»– وكان مديراً للتحرير، فله قصة مثيرة حين تعرض لمتاعب الاحتلال، وكان لما يزل متعاقداً جديداً، وقد عرض لهذه القصة في بعض كتبه، وعرفته في عام 1987م في المنصورة، بوصفه مديراً لدار نشر جديدة، ولكن دوره الصحفي في أفغانستان والبوسنة والهرسك كان مهماً للغاية، فقد زود «المجتمع» و«الاعتصام» و«الدعوة» برسائله الصحفية المهمة عن الأحداث التي تجري في بلاد الأفغان تحت الاحتلال الشيوعي الروسي، وكانت الصحف العربية المحلية والمهاجرة تغضّ الطرف عن مأساة الشعب الأفغاني وما يتعرض له من قصف بالغازات السامة التي كانت تسمى المطر الأصفر من جانب الطيران الروسي، وبالإضافة إلى الرسائل الصحفية، فقد نشر أحمد منصور في «المجتمع» على حلقات كتاباً سماه «مستقبل كابول»، كما تجرأ وذهب إلى سراييفو والتقى بزعماء المسلمين في البوسنة والهرسك، وكشف كثيراً من جوانب المأساة التي تعرض لها المسلمون هناك.

وكان من الكتّاب الدائمين في مجال الشأن العام د. توفيق الواعي (رحمه الله) الذي كان يكتب مقالاً ثابتاً مميزاً له تأثير كبير ومتابعون كثيرون.

وعلى مدى خمسين عاماً، فإن «المجتمع»



المجتمع

جريدة أسبوعية إسلامية
تصدرها
جمعية الإصلاح الاجتماعي
رئيس التحرير
مشاري محمد البداح
العنوان
الكويت - شارع المغرب - العديلية الشرقية
هاتف ٥١٤١٨٠ - ص.ب ٤٨٥٠

لم تتوقف عن التطوير والتجديد، واهتمت بمجالات عديدة تخص المسلمين، خاصة الاقتصاد، والتربية، والأسرة، والترويح، والفتاوى، والأعلام، والثقافة والأدب، واحتضنت الشباب الموهوبين الذين صاروا اليوم أعلاماً في الشعر والرواية والنقد، ومما نشرته للشاعر الكبير حسن الأمراني في شبابه، وهو شباب دائم متجدد، قصيدة جميلة عن رأس السنة، يقول فيها:

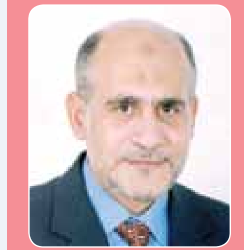
مضت سنة وأطلت سنة
وفوق الصدور صدى الأزمنة
فلا الثلج يخلع ثوب البهاء
ولا الغيث يحتضن السوسنة

«المجتمع» في حاجة إلى باحث متفرغ في الماجستير أو الدكتوراه يرصد ويحلل ويقوّم الدور العظيم الذي قامت به في حدود إمكاناتها المتاحة.

نرجو لـ«المجتمع» في عيدها الخمسين طول العمر والتجدد، ولموقعها الإلكتروني دوام التوفيق والتحديث، لتكون دائماً في الخطوط الأمامية.

والله من وراء القصد.■

مع المجتمع.. سبع سنين دأباً



بقلم - أحمد عز الدين:
مدير تحرير «المجتمع» الأسبق

في أبريل 1997م، تلقيت دعوة كريمة من العم الراحل عبدالله علي المطوع، رحمه الله وغفر له، رئيس مجلس إدارتي جمعية الإصلاح الاجتماعي ومجلة «المجتمع»، تمهيداً لتولي مسؤولية إدارة تحرير المجلة.

ورغم أني لم أكن أفكر بالسفر خارج مصر آنذاك، فإني قبلت بالفكرة، فقد كانت «المجتمع» أكثر المجلات الإسلامية انتشاراً وانتظاماً في الصدور، وهي تعبر عن الدعوة الإسلامية الصحيحة ومنهاجها السليم، وتهتم بشؤون المسلمين في كل مكان، ولم تكن قضايا العالم الإسلامي، والقضايا الدولية بشكل عام، بعيدة عن اهتماماتي بحكم دراستي للعلوم السياسية وعملي في الإذاعة والصحافة بعد التخرج في الجامعة.

في ذلك الوقت كانت جراح الغزو العراقي للكويت لم تندمل بعد، وصدام حسين لا يزال في السلطة، والتهديدات العراقية للكويت تتكرر، واستمرت الحال كذلك حتى الغزو الأمريكي للعراق، تحت حجج اعترف كبار المسؤولين الأمريكيين فيما بعد بأنها كانت غير صحيحة.. وهذه الأمور خلقت ردود فعل متباينة، لدرجة أن البعض لا يريد أن يقرأ أي حديث عمن دفع صدام لاحتلال الكويت، أو المطامع الدولية في ثروات المنطقة والمؤامرات الرامية لاستنزاف تلك الثروات، وأن الرغبة في إزاحة صدام وحزبه البعثي لا تكون على حساب تدمير العراق.

وكان من واجب «المجتمع» أن يكون لها رأي في الأحداث، قد يرضي البعض، لكنه يغضب آخرين، وأذكر أن أحد المشتركين في المجلة، وكان ذا حيثية، دخل مكتبي غاضباً، طالباً إلغاء اشتراكه بسبب اعتراضه على سياسة المجلة، ولا بد هنا من الإشادة بالدور الكبير الذي كان يقوم به العم الراحل أبو بدر، في ضبط إيقاع توجهات المجلة، فقد كان رحمه الله حريصاً على متابعة مواد المجلة قبل النشر، والاستفسار عن توجهاتها وما ترمي إليه، أما افتتاحية «المجتمع» فقد كانت من «خصوصياته»؛ إذ تتم مراجعة مقترحات موضوعاتها معه، ويطلع عليها كاملة بعد كتابتها، لا يمنعه عن ذلك مانعٌ من مرض أو سفر.

انتشار الفضائيات

وقد شهدت تلك الفترة؛ قبل ما يقرب من ربع قرن، بدء انتشار الفضائيات، مع ما تحمله من نقل للأحداث مباشرة، بالصوت والصورة، فما حاجة القارئ للانتظار أياماً حتى يقرأ عن الأحداث التي سبق أن شاهدها بعينيه؟ وكانت الاستجابة لهذا التحدي تكمن في البعد عن «المتكرر»، والتركيز على القضايا والجوانب التي تغفلها الفضائيات، كما أن الكتابة عن حدث ما بعد أيام تتيح فرصة أكبر للفكر المتعمِّق، والرجوع للمراجع، بعيداً عن تسابق الفضائيات على أولوية تغطية الحدث.

ويلاحظ أنه في تلك الآونة، كان لكثير من متابعي «المجتمع» موقف عدائي أو مرتاب من الفضائيات، وبالتالي لم تمثل بديلاً عن «المجتمع»، كما لم تكن المواقع والصحف الإلكترونية الإخبارية العربية قد ظهرت، إلا القليل النادر منها.

وقد استطاعت «المجتمع» بناء شبكة مراسلين قوية وممتدة عبر القارات، وكان لهؤلاء المراسلين من الإيمان بالقضايا الإنسانية والإسلامية التي يكتبون عنها، والدأب على تغطية الأحداث بعمق؛ ما جعل تقاريرهم تعبيراً صادقاً عن الواقع.

ومما يدعو للسعادة، ونسأل الله أن يكون ذلك في ميزان حسنات من قادوا أو تولوا العمل في «المجتمع»، أن ما يُنشر فيها كان مرجعاً لكثير من المطبوعات التي تصدر في أنحاء متفرقة من العالم، وبخاصة في آسيا وأفريقيا، حتى إن بعض هذه المواد كان يعاد نشره نصاً، فضلاً عن أثره الفكري والثقافي على قادة الرأي من كتَّاب ودعاة وخطباء، وعلى طلبة العلم.

وقد استمر عملي في «المجتمع» سبع سنين، وتركتها على غير رغبة من العم أبي بدر الذي حاول مراراً أن يثنيني عن هذا القرار، لكنه تفهم أخيراً الأسباب الخاصة والعامة التي دفعتني لذلك.

أسأل الله أن يديم «المجتمع» صرحاً للدعوة الإسلامية والكلمة الصادقة.■

المجتمع .. ذلك الحصن المنيع



بقلم - شعبان عبدالرحمن:
مدير تحرير «المجتمع» سابقاً

ستظل مجلة «المجتمع» علامة بارزة في تاريخ الصحافة العربية والإسلامية، وسيتوقف الباحثون والمؤرخون باحترام كبير أمام دورها الفكري والثقافي والسياسي الذي قامت به على امتداد نصف قرن مضى، صنعت خلاله ملحمة كبرى على طريق بناء الوعي الثقافي والحضاري، والتصدي لموجات الغزو الفكري، ومحاولات اجتثاث الهوية الإسلامية التي قام بها -وما زال- المشروع الغربي الصهيوني، الذي يسعى بكل ما أوتي من إمكانات ضخمة لإحكام سيطرة الكيان الصهيوني على فلسطين، وإلقاء المنطقة العربية في مستنقع التطبيع، والعمل بكل دأب على إلحاقها بالمشروع الغربي الاستعماري.

في هذه الأجواء، وفي محطة من محطات تلك المسيرة المشرقة، تشرفت بتولي مسؤولية إدارة تحرير المجلة على امتداد أحد عشر عاماً (1425هـ/ 2004م - 1436هـ/ 2015م)، وأعتبر أن تلك السنوات من أفضل محطات عملي الصحفي، فقد كان عملي بجريدة «الشعب» في مصر قبل «المجتمع» مرحلة لها طابعها وقضاياها وظروفها ومعاركها الصحفية التي يغلب عليها الطابع المحلي، وفي «المجتمع» انتقلتُ إلى أجواء أخرى وبأداء مختلف يعايش قضايا العالم الإسلامي على اتساعه، ويتبناها ويعبر عنها بأفضل الأدوات، وأسأل الله قبول ما بذلتُ وزملائي في تلك المرحلة.



أقول: كانت «المجتمع» خلال نصف قرن من الحصون الحضارية المنيعة التي ساهمت في مواجهة التحديات والأخطار، بقدرة فائقة، وساعدها في ذلك متانة نهج وموقف جمعية الإصلاح الاجتماعي برجالها، والإيمان الراسخ من رئاسة وفرق التحرير المتتالية جيلاً بعد جيل برسالتها ودورها، كما ساعدها في ذلك أجواء حرية الرأي التي تحظى بها دولة الكويت التي سمحت بحرية العمل الصحفي على نطاق واسع.

وقد جاء إصدار مجلة «المجتمع»، الثلاثاء 9 المحرم 1390هـ/ 17 مارس 1970م، بينما كانت المنطقة تموج بتفاعلات تحت السطح تنبئ بتباشير صحوة إسلامية راشدة، ما لبثت بعد سنوات قليلة أن أشعت بنورها على المنطقة العربية، وقد أسهمت «المجتمع» بأعدادها الثرية والعميقة والجادة في صناعة تلك الصحوة، وظلت منبراً قوياً للتعبير عنها، وباتت سجلاً تاريخياً موثقاً لتطورات وأدبيات ومشاريع تلك الصحوة.

ولا نبالغ إذا قلنا: إن «المجتمع» والصحوة ولدتا من تربة واحدة؛ هي الساحة الإسلامية الواسعة، ومن فكرة واحدة؛ هي الفكرة الإسلامية الشاملة، ولا غرابة في ذلك، فمن أطلقوا «المجتمع» هم ركن مهم من أركان الصحوة، وهم من الذين وفقهم الله ليوقفوا حياتهم على خدمة الإسلام والمسلمين حول العالم عبر جمعية الإصلاح الاجتماعي.

ولهذا، فـ«المجتمع» مجلة ذات رسالة تنتمي إلى الإسلام ذاته، وتعبر عن مشروع هو المشروع الحضاري الإسلامي، وهي في الوقت ذاته مدرسة شاملة ومتكاملة ظلت تخرّج أجيالاً من الصحفيين والكتَّاب المحترفين ينتشرون اليوم حول العالم، وتزود في الوقت ذاته قرَّاءها بزاد أسبوعي مهم في السياسة والاجتماع والاقتصاد والفكر والحضارة والتاريخ، وتصدى للكتابة فيها كبار المفكرين والمؤرخين والكتَّاب من قادة

الصحوة الإسلامية في بقاع عديدة من العالم، واستطاعت أن تكوّن طبقة واسعة من القرَّاء ينتظرونها بشغف، وإن محتوى رسائل القرَّاء التي كانت تصلني تباعاً من أقاصي الدنيا في قارات العالم تؤكد ذلك.

حملت شعار «مجلة المسلمين في أنحاء العالم» دون تفرقة، وعبَّر عن ذلك بيت الشعر الذي تصدر باب «المجتمع الإسلامي»:

وأينما ذكر اسم الله في بلد
عددت أرجاءه من لبّ أوطاني

وظلت هكذا تتبنى قضايا المسلمين في كافة أنحاء العالم، وكانت قضايا الأقليات المسلمة حول العالم حدثاً حاضراً ودائماً على صفحات المجلة، وقامت في هذا الصدد بتناول قضايا منسية لمسلمين حول العالم، وتعريف القرَّاء بها لأول مرة بعد عملية تعتيم مقصودة وتجاهل من وسائل الإعلام لها، كما قامت المجلة بزيارات ميدانية بين هذه الأقليات لتوصيل صوتهم وقضيتهم للعالم، ذلك إلى جانب تغطية كل الأحداث الساخنة المتعلقة بالمسلمين حول العالم.

وإن صدور أول عدد من المجلة حاملاً على غلافه صورة -دون أي كلام- لرجل عربي رافعاً يده اليمنى بالتحية، وحاملاً في يده اليسرى بندقية، يلخص رسالة مجلة «المجتمع»؛ «دعوة للسلام، وجهاد من أجل تحرير الأوطان من المحتل».

واليوم، فإن الساحة أشد حاجة لبلورة مشروع إعلامي كبير تتبناه مجلة «المجتمع»، ويلتف حوله كل أبناء المشروع الإسلامي، ويتحالف مع المنافذ والمشاريع الإعلامية الأخرى في التعبير عن قضايا الأمة والدفاع عن حقوق شعوبها، فالأمة تعيش مرحلة من أصعب مراحلها، وتواجه تحديات وأخطاراً غير مسبوقة، خاصة بعد استعلاء واستفحال المشروع الصهيوني، وبعد تعثر «الربيع العربي» واختطاف أحلام الشعوب في الحرية.

أسأل الله التوفيق والسداد لمجلة «المجتمع» والقائمين عليها: الأستاذ محمد سالم الراشد، رئيس التحرير، والفريق التحريري والكتَّاب والمراسلين في مواصلة المسيرة نحو نصف قرن جديد إن شاء الله تعالى.■

50 عاماً من تغطية المجتمع لمصر..
أدوار إيجابية ورسالة متوازنة

يوسف أحمد

بحلول مارس 2020م، يكون قد مرَّ على صدور أول عدد من مجلة «المجتمع» 50 سنة ميلادية، نجحت فيها بإلقاء الضوء على مشكلات المجتمعات الإسلامية والعربية، خصوصاً في مصر.

فعلى مدار خمسين عاماً، نجحت «المجتمع» في القيام بأدوار إيجابية على الساحة المصرية، وساهمت في تصحيح أفكار ورؤى، وكشف وثائق وتسريبات عن التعليم الأزهري والحملات العلمانية ضد الإسلام في مصر، وحاورت شيوخ الأزهر وكبار المفكرين والمحللين في مصر، أبرزهم شيخ الأزهر الراحل د. محمد سيد طنطاوي حول لقائه مع السفير الصهيوني، وتغيير مناهج التعليم الأزهري.

وتابعت المجلة المؤتمرات الدينية والعلمية التي عقدت في مصر على مدار 50 عاماً، واهتمت بإبراز آراء المفكرين والخبراء في تغطية كافة الموضوعات الساخنة؛ مثل أزمة نهر النيل، وتاريخ التطبيع الصهيوني مع مصر، والمؤامرات على التوجه الإسلامي من التيارات العلمانية، ومحاولة إنشاء أول حزب علماني في مصر.

كما مارست «المجتمع» دوراً كبيراً في تغطية الأحداث الساخنة في مصر مثل ثورة 25 يناير 2011م، كأول ثورة شعبية مصرية حقيقية، وما تبعها من انقلاب عسكري، ونقلت عن د. سليم العوا قوله: «إن ثورة 25 يناير 2011م أرَّخت لشرعية ثورية دستورية جديدة هي الثالثة بعد شرعية ثورة 23 يوليو 1952م الأولى، ثم شرعية حرب 6 أكتوبر 1973م الثانية».

وقول الكاتب الصحفي والمفكر فهمي هويدي: إن ما حدث في 25 يناير ثورة حقيقية، ولكنها لم تحقق أهدافها بعد، لأن ما حدث من إصلاحات ما هو إلا مجرد بعض الإجراءات وتغيير الوجوه، وأنه لا يرى أن المسألة قد انتهت وضرورة إعادة البناء من جديد.



كما اهتمت المجلة بمتابعة شؤون العالم الإسلامي من القاهرة، عبر سلسلة لقاءات مع مفكرين وخبراء من العالم الإسلامي زاروا مصر، منهم الشيخ الأسير لدى الاحتلال رائد صلاح، وخطيب الأقصى الشيخ عكرمة صبري، ورئيس حركة النهضة التونسية راشد الغنوشي، ود. غازي صلاح الدين، السياسي السوداني الشهير، ورموز حزبية ودينية من آسيا وأفريقيا وأوروبا وأمريكا.

وأشاد مفكرون وخبراء مصريون باعتدال المجلة وتغطيتها المهنية للأحداث، وإلقائها الأضواء على أحداث العالم الإسلامي، وتحليلها بأسلوب علمي متوازن ورصين.■

المجتمع .. ميلاد يتجدد

إيمان مغازي الشرقاوي
ليسانس شريعة - ماجستير الدعوة
جامعة المدينة العالمية



كنت أنظر إليها وهي ما زالت طفلة تخطو في السنوات الأولى من عمرها المبارك، فقد كانت تدخل بيتنا لتقيم فيه بين أسْرتها من الكتب والمجلات على رفوف المكتبة، فقد نشأتُ بحمد الله في أسرة محبة للعلم مشجعة على القراءة، ورأيتها في ذلك الوقت وقد كنتُ أنا الأخرى طفلة تميز ما تراه وتتذوق ما تقرؤه، ولم أفكر وقتها أن الله تعالى سوف يمنّ عليّ بفضله ويجعلني من أهلها وكُتّابها ومتابعيها، ومع مرور الأيام كان مولدها يتجدد كل أسبوع ويتجدد عطاؤها بتجدد ميلادها.

وصلت إلى عامها الخمسين ولم يُصِبْها الشَّيب بل كل يوم تزداد تأنقاً وتألقاً

شاركت كل شمعة منها في بث النور بالقلوب والوعي بالعقول والتزكية بالنفوس

كل يوم يحرص فيه القراء على اقتناء المجلة وقراءتها سبب في تجدد ميلادها شهراً بعد شهر وعاماً بعد عام

إنها هي.. مجلة «المجتمع» الكويتية، التي امتد عمرها بفضل الله وتوفيقه فوصل نصف قرن من الزمان، فاللهم بارك! وها هي تحتفل الآن بطول العمر واستمرار المسير وتنوع العطاء، لتطفئ خمسين شمعة قد مرت عليها، وكل شمعة منها قد شاركت قبل انطفائها في بث النور في القلوب، والوعي في العقول، والتزكية في النفوس؛ فهي لم تطفأ إلا لتنير، وما أنارت إلا ليتجدد الميلاد! فجزى الله خيراً كل من كان سبباً في ميلادها منذ إيقاد شمعتها الأولى، وأثاب من أعان على استمرارها إلى يومنا هذا، وجعل ذلك في ميزان الصدقات الجاريات لهم جميعاً بالخير إلى يوم الدين.

وقد وُلدت «المجتمع» في وقت كان للقراءة فيه النصيب الأوفى من الناس، حيث لم يكن يشغلهم هاتف، ولا إنترنت، ولا «فيسبوك»، ولا «واتس آب»، ولا غير ذلك من الوسائل الحديثة التي يُساء استخدامها من بعض الناس حتى تأكل الوقت أكلاً، بل وتقتله عمداً وسهواً! فكانت القراءة وقتها بالنسبة لكثير من الناس كالطعام والشراب، يجد فيها الجاهل معرفته، والمهموم سلوته، والفارغ تسليته، لا سيما إذا كانت تخاطب كل الناس في مختلف بلدانهم وتعدد ثقافاتهم، وتطل عليهم بانتظام كل أسبوع فتأتي لهم ببعض أخبار البلدان، وما فيه تزكية الوجدان، وتحكي معهم قصص السابقين وأنباء الصالحين، وتعبُر بهم إلى القارات وتطير إلى ما وراء البحار، وذلك مع تنوع موادها وتخصص كُتّابها وحسن ترتيبها وإخراجها، ووصولها إلى معظم بلدان العالم الإسلامي إن لم يكن كله، وهذا في ظني من عوامل استمرارها ونجاحها.

«المجتمع».. والتكنولوجيا الحديثة:

وقد سارت «المجتمع» جنباً إلى جنب مع الطفرة التكنولوجية الحديثة، يظهر ذلك في حسن ثوبها وجمال إخراجها، وتألق ظهورها على موقعها الخاص بها على الإنترنت، وقد يتيح ذلك رجوع الباحثين إليها للاطلاع أو الاقتباس منها، لا سيما مع اجتماع أفراد أسرتها من جميع أعدادها التي صدرت منذ أول نشأتها إلى يومنا هذا، وذلك في أرشيفها المميز الذي لا يجد القارئ صعوبة في الوصول إليه ومعرفة طريقه للقراءة والاستفادة منه، وتيسير ذلك لمن أراد طباعة مقال منها أو إرساله لغيره عبر وسائل التواصل الأخرى، لذا فلا عجب أن تجد بعض موضوعاتها وموادها على صفحات ومواقع إلكترونية أخرى نقلت واقتبست عن «المجتمع».

وفي المقابل، فإن البعض يرغب في قراءتها خاصة بعد أن صارت شهرية، لكنه قد لا يجدها متوفرة في مكتبة بلده، أو لا يستطيع شراءها لأي سبب، وهو مع ذلك ربما لا يعرف أن بإمكانه أن يقرأها كاملة على موقعها الإلكتروني ظناً منه أنها تخرج ورقية فحسب، وهذا يتطلب من «المجتمع» مزيداً من التعريف والإعلان عن نفسها.

«المجتمع».. أهداف وآمال:

من أهم أهداف المجلة تحقيق الأخوة الإيمانية في مختلف بقاع الأرض؛ عن طريق معرفة أخبار المسلمين في العالم الإسلامي وغيره، والتعريف بقضاياهم وأحوالهم -وهذا نادراً ما تجده في أي مجلة أخرى- بل إنه قد يشغل حيزاً كبيراً من مساحة المجلة يتسع اتساع هذا العالم، وإن كل ساعة يتعرف القراء فيها على قضايا الشعوب المسلمة، ويعيشون معها بعقولهم وقلوبهم، فيفرحون لخيرهم، ويتداعون من أجلهم، ويعيشون معهم ولو على أوراق المجلة؛ لهي ساعة خير وحب وأخوّة، يتعبدون الله تعالى بها ويتقربون إليه فيها، لكنني آمل أن يزداد أيضاً نشر الأخبار الإيجابية في


شهر القرآن

أنا..وهي..ورمضان..(٢)

حالات زوجية

د. أحمد عيسى .. و.. إيمان مغازي الشرقاوي

الكلام

المرأة المسلمة في الغرب.. هموم وتحديات

الزوا

المجتمع التربوي

إيمان مغازي الشرقاوي

آباء وأبناء.. في القرآن الكريم (أخيرة)

وصايا لقمان لابنه

آمل أن يزداد نشر الأخبار الإيجابية عن المسلمين سياسياً واقتصادياً وعلمياً واجتماعياً وتربوياً والتعريف بنوابغ العصر

عالم المسلمين؛ سياسياً واقتصادياً وعلمياً واجتماعياً وتربوياً، والتعريف بنوابغ العصر الحديث من أبنائه في كافة التخصصات التي تأتي بالأمل في نفوس القراء وتعود عليهم بالحب والترابط بين جسد الأمة الواحد الذي تجمعنا به مجلة «المجتمع».

وإن من الأهداف الأساسية للنشر والقراءة تزكية النفس والارتقاء بالعقل والقلب معاً، وهذا ما تحرص «المجتمع» عليه؛ حيث تخصص له بعض الصفحات التي تتسع للمناسبة كما يحصل في شهر رمضان، وحدث الهجرة النبوية، وفي موسم الحج والعيدين، مما يتيح للقارئ أن يعيش هذه الأجواء الإيمانية ويجدد إيمانه معها، وإنني مع ذلك آمل أن تكبر مساحة هذه الصفحات التربوية ليس في المناسبات فحسب، بل في كل عدد من أعداد المجلة، وذلك للحاجة الكبيرة لها في هذا الوقت الذي طغت فيه الماديات، وتعرض فيه الكثيرون لامتحان القلوب، وظهرت فيه فتن الحياة، ولأن مجلة «المجتمع» يُقتبس منها، فإن دورها في هذا سيكون عظيماً ومؤثراً ومهماً.

«المجتمع».. والميلاد الجديد:

ومع مرور الأيام وانقضاء الشهور، وصلت «المجتمع» إلى عامها الخمسين، بفضل الله عز وجل، وهي مع هذا العمر لم يُصبها الشَّيب! بل كل يوم تزداد تأنقاً وتألقاً، وهذا يؤكد أهمية الكلمة البناءة، والخبر الصادق، ويدل على أن لغة القراءة ما زالت –بحمد الله– تتربع على عرش العقول الواعية عند كثير من أبناء هذه الأمة الولّادة التي تؤمن بأن أولى كلمات القرآن الكريم التي أنزلت على النبي صلى الله عليه وسلم هي كلمة «اقرأ»، وتوقن أن القراءة الصحيحة هي سبيل العلم، وهي التي تكون باسم الله، وفي سبيل إعلاء دين الله، وأن الإخلاص في القراءة وفي كتابة كلماتها هو طريق القبول، وأن الصبر إذا تعانق مع هذا الإخلاص أتى العون والمدد من الله، وكان الطريق إلى الاستمرار وتدفق الحروف الطيبة وانتظامها في طابور العمل الجاد، وكان الثبات في المسير والميلاد المتجدد.

ألا وإن كل يوم يحرص فيه القراء على اقتناء المجلة وقراءة محتواها، ونشر مادتها عبر الوسائل المتاحة؛ إنما هو سببٌ في تجدد ميلادها شهراً بعد شهر، وعاماً وراء عام، وإن كل يوم يمر على «المجتمع» وهي تؤدي دورها في توعية المسلمين وتزكية نفوسهم، وبث الألفة بينهم لهو ميلاد جديد لها وأيّ ميلاد!■

المجتمع.. وتحديات العصر

«المجتمع» مجلة عالمية شاملة، تتعب قدرة المحلل على الإلمام بجميع محاور اهتماماتها؛ فهذه المجلة الغراء أخذت من كل شيء بطرف، وتعمقت في مواضيع يراد تغييبها في ظل عالم «معولم» لا يعترف بالهوية أو الخصوصية، فوقفت المجلة في خضم ذلك لتعيد طرح قضايا تاريخية مع قراءة مختلفة، ورامت التأصيل لمواضيع العصر وجعلها متماهية مع ثوابت الدين، ولم تطرح من اهتماماتها انشغالات الإنسان في مجتمعات أكلتها العولمة والرأسمالية المتوحشة.

وقد انصب اهتمام مجلة «المجتمع» في أعدادها المختلفة حول «المجتمع العربي المسلم وتحديات العصر»، وكانت الأسئلة الحارقة من قبيل: «كيف يحمي المجتمع الإسلامي منظومته القيمية؟ أو الشباب ومواقع التواصل الاجتماعي وكيفية تربية النشء»، ولم يغب عن القائمين على هذه المجلة الدرة المواضيع ذات الصبغة الاقتصادية؛ فوقع طرح «واقع الاقتصاد العربي.. مشكلات وحلول، أو التجارة الإلكترونية صيحة العصر.. وغير ذلك من المواضيع المهمة.

كما أن شمولية «المجتمع» مكنتها من الريادة في واقع رجراج غير ثابت يشهد تحولات عميقة تمس كل شيء، وأمام دعوات الإلحاد والعبثية التي اجتاحت مجتمعاتنا العربية المسلمة، وجدنا مجلة «المجتمع» تحمل مشعل جهاد فكري قلّ نظيره، فطرحت سؤال الهوية والدين في ثنائية القيم والهوية، وأكدت ضرورة استلهام روح رمضان في إحياء الأمة ودورها الحضاري.

كذلك الواقع السياسي والمتغيرات الدولية حاضرة في أعداد مجلة «المجتمع»؛ بما يعني مواكبة للآني واستشراف للمستقبلي، بما هو مياه وطاقة وتحالفات اقتصادية وبدائل، وما في ذلك من الدعوة وتوعية يحتاجها مجتمعنا العربي الإسلامي المترامي الذي تشقه خلافات وتناقضات جمة.

كما أن المسألة السياسية تبقى العمود الفقري، فلا يغيب الخط الذي تتبناه المجلة؛ هو خط الوقوف إلى جانب القضايا العادلة؛ بدءاً بالقضيّة الفلسطينيّة وحصار غزّة، إلى انقلابات دفنت الشرعيّة، إلى تدخلات دمويّة في دول شقيقة وتخندق بعض الدول في محاور دوليّة لم تجلب غير الدمار■

خديجة التومي
روائية تونسية

نصف قرن على "المجتمع" في ريادة الإعلام الإسلامي



رؤساء التحرير المتعاقبون



إصدار 2141 عدداً منذ الانطلاقة

توقفت مؤقتاً بعد تعرضها لحرق مركزها المعلوماتي أثناء الغزو العراقي وعاودت الصدور في نوفمبر 1991م

نشرت الفكر الإسلامي الوسطي وقاومت الأفكار الهدامة وتصدت فكرياً وإعلامياً للهيمنة والاستعمار الأجنبي

تغطية خاصة لقضايا الأمة العربية والإسلامية وقضايا الأقليات المسلمة





كتب فيها أبرز المفكرين والسياسيين في العالم



وصلت إلى أكثر من 100 دولة حول العالم

دخلت عالم التنافس الإلكتروني في عام 2012م



قفز الترتيب العالمي لموقعها الإلكتروني

من 8.000.000 إلى 22.968

بحسب موقع "إليكسا"

والمحلي على مستوى الكويت

من 10.495 إلى 319

والـ 5 على الصحف والمواقع الإخبارية بالكويت



2 مليون زائر للموقع

خلال الفترة من 1 أكتوبر - 31 ديسمبر 2019م

المجتمع.. 50 عاماً في خدمة القضية الفلسطينية

أشرف عيد

حملت مجلة «المجتمع» على عاتقها، منذ صدور عددها الأول بتاريخ 9 المحرم 1390هـ/ 17 مارس 1970م، رؤية واضحة في الدفاع عن القضية الفلسطينية وثوابتها؛ باعتبارها قضية الأمة المركزية خاصة مع الاحتلال الصهيوني لها، وقد كان للجهد الإعلامي الذي بذلته «المجتمع» على مدار 50 عاماً تجاه القضية الفلسطينية أثر كبير في توجيه الرأي العام نحو القضية. وفي هذه السطور، نقف مع أبرز الأدوار التي قامت بها المجلة مع قضية فلسطين، بإيجاز شديد، حسب ما سمح به المقام.

خصصت كثيراً من ملفات أعدادها للقضية الفلسطينية حسب سخونة الأحداث فيها

أوضحت أن أهداف العدو القضاء على المقاومة وفرض أمر واقع على الأرض يقف العرب فيه على الحياد

أكدت منذ 40 عاماً أن القوى الكبرى تتدرج مع الأنظمة العربية لتطويع المبادرات السلمية وفقاً لما تقتضيه الصهيونية

أولاً: تغطية «المجتمع» لأخبار فلسطين:

أوضحت المجلة منذ صدور عددها الأول بأنها مجلة إسلامية أسبوعية، وأكدت أنها تكتب في كل القضايا التي تهم أمتنا، فالمسلم إنسان يعيش في مجتمعه ولن يتخلى عن قضاياه، واهتمت «المجتمع» بتغطية أخبار فلسطين منذ صدورها عام 1390هـ/ 1970م، وأفردت أعداداً متتابعة لمتابعة القضية خاصة في أوقات الأزمات، ومن ذلك:

عندما ارتُكبت مذبحة صبرا وشاتيلا للاجئين الفلسطينيين في لبنان، 16 سبتمبر 1982م، وراح ضحيتها أكثر من ألف فلسطيني، قامت «المجتمع» بتغطية المجزرة. (العدد (589) الثلاثاء 18 من ذي الحجة 1402هـ/ 5 أكتوبر 1982م، ص18، ص49).

وعندما اشتعلت الانتفاضة الفلسطينية عام 2000م عقب زيارة «شارون» للمسجد الأقصى وسط حراسة مشددة من الجنود، في 28 سبتمبر 2000م، قدمت المجلة عدداً خاصاً لما يجري على أرض فلسطين، تضمن صوراً للانتفاضة يحمل العناوين التالية: «المحرقة الصهيونية.. متى تحين ساعة الانتقام؟»، «دماء الأقصى تروي شجرة الحرية»، «مذابح السلام»، «انتفاضة الأقصى في سبع قصائد ساخنة». (العدد (1422) 19 رجب 1421هـ/ 17 أكتوبر 2000م، ص20–43).

وعندما اجتاح «شارون» الضفة الغربية، في 29 مارس 2002 وانتهت يوليو 2002م، وحشد لها 30 ألف جندي، وارتكب خلالها مجازر، ومنها مجزرة جنين من 1 – 12 أبريل 2002م، قدمت المجلة تغطية شاملة ومقالات متنوعة تناولت ما يجري على أرض فلسطين في كثير من صفحاتها. (العدد (1495)، 23 المحرم 1422هـ/ 6 أبريل 2002م، ص4، 18).

وعندما شنت «إسرائيل» حربها على غزة عام 2008 – 2009م، قدمت المجلة ملفاً كاملاً جاءت أكثر من نصف صفحات المجلة تحمل موضوعات عن غزة عنوانه «غزة بين الانتصار والعار»، وعلى الغلاف صور لأطفال غزة قتلوا برصاص العدو، وقد احتوى العدد صوراً كثيرة متنوعة من المجازر التي ارتكبها العدو الصهيوني، وهي وحدها معبرة عن وحشية المعتدي، وأوضحت «المجتمع» أن أهداف العدو الصهيوني المستمر على الشعب الفلسطيني القضاء على المقاومة، وفرض أمر واقع على الأرض يقف العرب فيه على الحياد، بل التطبيع العربي معه، وتصفية القضية برمّتها، واقتلاع كل قوى المقاومة والرفض للاحتلال، والتمكين لتيار الاستسلام والانبطاح والتطبيع ليقود المسيرة حتى الإجهاز على القضية نهائياً، وإيجاد واقع على الأرض يغيِّر من الخريطة الديمجرافية للمنطقة. (العدد (1835) 20 – 26 المحرم 1430هـ/ 17 – 23 يناير 2009م، ص5، ص14).

وكذلك في الحرب التالية التي شنتها «إسرائيل» على غزة عام 2014م، تابعت «المجتمع» ما يحدث في أعداد متعددة، ومنها ما جاء تحت عنوان «غزة تنتصر من بين المجازر والدمار»، وقدمت المجلة رأيها طالبت بفك الحصار عن غزة: «إننا هنا نضم صوتنا لصوت الشعب الفلسطيني وكل الأحرار في العالم بضرورة فك الحصار المجرم عن غزة من البر والبحر، وفتح معبر رفح وكل المعابر، وأن يكون ذلك في إطار ضمانات دولية؛ حتى يعيش الشعب الفلسطيني حياة طبيعية كبقية شعوب الأرض». (العدد (2074) شوال 1435هـ/ أغسطس 2014م، ص4).

وقد برزت ظاهرة خطيرة على الساحة الثقافية العربية أثناء تلك الحرب، فقد وُجد بعض الكتَّاب والإعلاميين العرب على مواقع التواصل الاجتماعي يؤيدون الكيان الصهيوني ويدعونه لتدمير وحرق غزة، فأطلقت عليهم «المجتمع» تسمية «المتصهينون الجدد»، وأخرى بـ«الصهاينة العرب»، ولأول مرة نجد بيننا «صهيونية عربية» تقارب «الصهيونية







رأت أن بعض بنود اتفاقية أوسلو تجعل من السلطة الفلسطينية شُرطياً لحماية أمن العدو

المسيحية». (العدد (2075) ذو القعدة 1435هـ/ سبتمبر 2014م، ص18–24).

ثانياً: «المجتمع».. ومؤتمرات السلام:

عبرت «المجتمع» منذ ما يقرب من 40 عاماً عن «نظرية الأمن الصهيونية في مشاريع السلام»، وأكدت أن القوى الكبرى تتدرج مع الأنظمة العربية في تطويع المبادرات السلمية وفقاً لما تقتضيه الصهيونية، والاستسلام العربي عامل أساسي للنظرية اليهودية في الأمن. (العدد (589) الثلاثاء 18 ذو الحجة 1402هـ/ 5 أكتوبر 1982م، ص32).

وعندما عقد مؤتمر مدريد للسلام، يوم 30 أكتوبر 1991م، بين دولة الاحتلال وكل من سورية ولبنان والأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية، رفضت «المجتمع» المؤتمر، وانتقدت الرئيس الفلسطيني الراحل ياسر عرفات، واعتبرت مشاركته في المؤتمر رضوخاً منه للإدارة الأمريكية، ومحاولة منه لتوريط الفصائل الفلسطينية معه في هذا المؤتمر، ووصفته بـ«مؤتمر التصفية»، وأطلقت عليه في موضع آخر «مؤتمر الاستسلام» (العدد (977)، الأحد 18 جمادى الأولى 1412هـ/ 25 نوفمبر 1991م، ص20).

وتعتبر اتفاقية أوسلو، 13 سبتمبر 1993م، أول اتفاقية رسمية مباشرة بين الكيان الصهيوني ومنظمة التحرير الفلسطينية، تتضمن اعتراف المنظمة بـ«إسرائيل»، وتعترف «إسرائيل» بمنظمة التحرير الفلسطينية ممثلاً للشعب الفلسطيني، وبدء المفاوضات معها.

وقد رفضت «المجتمع» اتفاقية «أوسلو»، وعبرت عن ذلك في صدر المجلة بعنوان «تفاصيل صفقة الخيانة الكبرى»، وقدمت أسباب رفضها لاتفاق «غزة– أريحا» في مقالات متعددة جاءت في نصف العدد تقريباً، ومنها: أن بعض بنود الاتفاق تجعل من السلطة الفلسطينية الشرطي الذي يحمي أمن العدو، بل ويسلم مواطنيه إليه، فمن بنودها: «أن تقوم السلطة الفلسطينية بالعمل على تصفية أي حملات سياسية أو عسكرية فلسطينية ضد «إسرائيل»، وأن تتعهد بتسليم قوائم بأسماء الجماعات الفلسطينية وغيرها المعارضة لاتفاقية السلام بعد ثلاثة شهور من بدء تنفيذ الاتفاقية ومراقبة نشاطها»، ومن هنا، فإن قبول الاتفاق هو قبول الفلسطينيين بحكم ذاتي داخل دولة «إسرائيل»، وستكون «إسرائيل» هي الطرف الوحيد الذي يحدد مصير الشعب الفلسطيني والأراضي المحتلة، ولا توجد ضمانات بانسحاب «إسرائيل» من غزة وأريحا، فتنسحب اليوم وترجع متى تشاء. (العدد (1066) الثلاثاء 28 ربيع الأول 1414هـ/ 14 سبتمبر 1993م، ص22، 25، 40).

وقد عكفت إدارة الرئيس الأمريكي الحالي «ترمب»، منذ عام 2017م، على إعداد خطة للسلام في الشرق الأوسط لإنهاء الصراع العربي «الإسرائيلي»، أطلق عليها اسم «صفقة القرن»، وكان لـ«المجتمع» حضورها الإعلامي القوي؛ حيث خصصت عدداً لتغطية هذه الصفقة، حمل عنوان «صفقة القرن.. الوطن البديل»، وبيَّنت أن «تلك الصفقة تريد ترسيخ الباطل وزحزحة أهل الأرض عن أرضهم من خلال بعض الشعارات الرنانة التي تدغدغ عواطف السذج وتداعب أحلام اليائسين». (العدد (2133)، ذو القعدة 1440هـ/ 1 يوليو 2019م، ص11).

ثالثاً: «المجتمع».. وقضية القدس:

لقد احتلت قضية القدس والمسجد الأقصى أهمية كبيرة في مجلة «المجتمع»، وقد بدا ذلك من خلال تغطية الأخبار الجارية بالقدس والمسجد الأقصى باستمرار، وخصصت أعداداً خاصة لنصرة القدس والمسجد الأقصى، ولقد كان لـ«المجتمع» نظرة مستقبلية مهمة لما يفعله العدو الصهيوني في القدس من فرض سياسة الأمر الواقع؛ حيث بدأ في تنفيذ خطوات عملية لإثبات ضم القدس كعاصمة أبدية، وأصدر مجلس وزراء العدو، في 1991/12/8م، قراراً يبيح للمستوطنين الصهاينة الاستيطان في بلدة «سلوان» المجاورة لمدينة القدس والاستيلاء على المباني والبيوت العربية. (العدد (981)، الأحد 16 جمادى الآخرة 1412هـ/ 22 ديسمبر 1991م، ص 28-29).

وإذا كانت السلطة الفلسطينية والأنظمة العربية من «مدريد» عام 1991م، ومروراً بـ«أوسلو» عام 1993م، يأملون من خلال المفاوضات في تقسيم القدس؛ فقد أجهض الرئيس الأمريكي «ترمب» هذا الأمل؛ فاعترف، يوم الأربعاء 6 ديسمبر 2017م، بالقدس عاصمة لدولة الاحتلال، وقرر نقل السفارة الأمريكية إليها، ووفقاً لهذا القرار، فإن «ترمب» أغلق ملف القدس في أي مفاوضات في المستقبل.

وقد قامت «المجتمع» بتغطية تداعيات هذا القرار، وخصصت للموضوع ملفاً خاصاً، أطلقت عليه «القدس.. من بلفور إلى ترمب»، وقدمت في أكثر من 20 صفحة رؤية متنوعة للموضوع ما بين مقالات وحوارات وتحقيقات خلصت إلى أن هذا القرار لا يمكن تطبيقه أو الاعتراف به أو التنازل عن القدس، فلا وجود لفلسطين بدون القدس. (العدد (2115) ربيع الآخر 1439هـ/ 1 يناير 2018م، ص12–32).

وفي النهاية يمكن التأكيد أن مجلة «المجتمع» بعد مرور نصف قرن من حياتها الزاخرة قد بوأت القضية الفلسطينية مكانتها اللائقة المستمدة من قدسيتها لدى الأمتين العربية والإسلامية، وما تزال «المجتمع» تقوم بدورها الرائد في هذا المجال.■

المجتمع .. والوفاء لأعلام الأمة

عبده دسوقي
باحث في التاريخ الحديث

تعد مجلة «المجتمع» رائدة المجلات الإسلامية في العالم العربي والإسلامي، ومن الأصوات الإسلامية القليلة في الساحة الإعلامية التي ما زالت تنبض بمعاني الحق، وذلك ربما لخطها الوسطي المعتدل، وللحرية التي تنعم به دولة الكويت التي لم تُقص أي قلم أو صوت، وينعم فيها الإعلام بسياسة مرنة ومنفتحة داخلياً وخارجياً، ويقوم على مبادئ التعاون والاحترام المتبادل.

في الوقت الذي تعمل فيه قوى كثيرة على تحطيم عوامل المناعة والحصانة والقوة والمقاومة في قلب أمتنا الإسلامية، كانت «المجتمع» حاضرة وبقوة في وجه هذه المحاولات منذ أول عدد صدر يوم الثلاثاء 9 محرم 1390هـ/ 17 مارس 1970م، بحيث خطت لنفسها أسلوباً في العرض والطرح لم يقتصر على التلميح لأماكن الداء، بل رصدت الحلول لعلاج هذا الداء.

وخلال نصف قرن، انطلقت المجلة من مسؤوليتها في حمل الأمانة لرصد ونشر كل ما هو إسلامي، فعملت على متابعة إنجازات الحركة الإسلامية في كل أنحاء العالم، سواء داخل الكويت أو خارجها، وسط تجاهل معظم وكالات الإعلام المحلية والعالمية لأخبار مثل هذه الحركات الإسلامية، فسعت «المجتمع» وسط ذلك -كما يقول د. طارق أحمد البكري- إلى «تمحيص الخبر والتثبت منه وإعادة صياغته من جديد من منطلق مصالح الإسلام والشعوب الإسلامية».

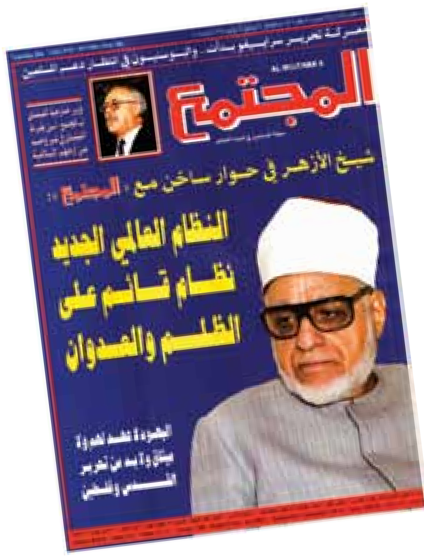
ولم يقف دورها على ذلك، بل سعت لمقاومة الفساد الفكري والاجتماعي الذي اجتاح الأمة الإسلامية، وعمل على ضرب عقائدها وتشكيك أبنائها في العقيدة الإسلامية.

أما أعلام هذه الأمة من المصلحين والعلماء الذين تركوا بصمات مضيئة في أركان شعوبهم، فسعت المجلة، في لمسة وفاء منها، لتذكير الناس بهم وبمآثرهم وأعمالهم؛ حتى تظل هذه الأعمال نبراساً أمام الشعوب الإسلامية يقتدون بها، فتقوّي عقيدتهم، وتثبّت منهجهم، وتعزّ أنفسهم، حتى إنها في هذا المضمار لم تكن يوماً محلية تسعى لمتابعة ونشر أخبار وتراجم المصلحين والأعلام بدولة الكويت أو الخليج العربي فقط، بل اهتمت بعلماء كل الدول الإسلامية الذين كان لهم دور إسلامي إصلاحي معتدل في المجتمعات الغربية، وذلك رغم أنها ممنوعة من بعض الأقطار وذلك لقوة دفاعها عن الحق.

همزة وصل

لقد هدفت المجلة خلال مشوارها الإعلامي إلى إرشاد الشباب إلى طريق الحق والاستقامة، وحثهم على شغل أوقات فراغهم بما يفيد، وتقديم سيَر هؤلاء الأعلام بصورة مبسطة وعملية؛ ليستشعر كل شباب الأمة أهمية أن يُقتدى بهؤلاء الذين ضحوا بأنفسهم وكرسوا حياتهم من أجل دينهم وماتوا وهم على ذلك، فكانوا أعزاء كرماء بين الجميع.

لقد أضحت «المجتمع» همزة وصل بين أجيال عملت في الماضي للدفاع عن دينهم ومعتقداتهم، وأجيال يحاول الغرب ضرب هويتهم الإسلامية، وتفريغ طاقاتهم فيما لا فائدة له، فعمدت إلى تقديم سيَر هؤلاء المصلحين كي تكون سيرتهم حبلاً ممدوداً ليأخذ على أيدي هؤلاء الشباب وسط بحور الفتن المتلاطمة الآن التي سعى البعض لاستيراد حلول غريبة عنهم، وعمدوا لتطبيقها على أرض الإسلام وبين أبنائه، وأبعدوا الدين عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتعليمية، واعتقدوا أنه باستطاعتهم إصلاح الأوضاع بذلك، ولذا كان للمصلحين والعلماء دور في التصدي لهذه المحاولات.



لقد استشعرت «المجتمع» أهمية ودور هؤلاء العلماء، كونهم نجوماً يضيؤون للناس -بعلمهم- طرق الحياة التي قد يكتنفها الظلام، وتنعدم فيها الرؤية الصحيحة، بل ويعتبرون صمام أمان للأمة مما يحاك لها.

بل تيقنت من محاولات التشويه التي تمارس ضد هؤلاء المصلحين، وحملات التجاهل المتعمد لتاريخ هؤلاء العلماء، وساعدهم في ذلك كثير من الناس لكونهم يحبون الرجل صالحاً ولا يحبونه مصلحاً؛ لاصطدام ما يدعو إليه مع ما تمليه عليهم أهواؤهم، ولذا سعت إلى إبراز مآثر هؤلاء المصلحين، وأفردت الصفحات لذكر محاسن ومتابعة أخبار العلماء؛ لأنهم ورثة الأنبياء في العلم والإصلاح، فالأمم لن يُبعث لها رسول آخر بعد محمد صلى الله عليه وسلم، إلا أن الله سبحانه جعل العلماء والمصلحين ورثة لما قام ودعا إليه الأنبياء.

لقد سعت المجلة في هذا الأمر إلى مخاطبة القراء على تفاوت أعمارهم، فالشباب يجدون فيها قدوتهم، والشيخ يجد فيها ضالته، والمرأة تقرأ فيها ما تحبه.

إن أمتنا اليوم في أشد الحاجة إلى معرفة سيَر المصلحين الصادقين الأكفاء الأتقياء الذين لهم حظ وافر من ميراث النبوة ليصلحوا أحوال الأمة، ويغيّروا واقعها المشهود إلى واقع منشود، ويُرجعوا عزها المفقود، ويسعوا لتحقيق صلاح الإنسانية جمعاء، وإيصال دعوة الله إلى من يجهلها بالتي هي أحسن، حتى لا تكون فتنة، ويكون الدين كله لله، وهذا ما نرجوه من الصحافة الإسلامية وعلى رأسها مجلة «المجتمع» الغراء.■



في خمسين عاماً.. محطات ووقفات



بقلم: أ.د. زيد بن محمد الرماني
مستشار اقتصادي وأستاذ بجامعة الإمام
محمد بن سعود الإسلامية، وأحد كتّاب «المجتمع»

نصف قرن يمر على صدور مجلتنا مجلة «المجتمع».. فماذا يعني هذا؟!

إن لنا مع هذا الحدث المهم محطات ووقفات:

الأولى: الحدث زمانياً:

إذ إن استمرار إصدار المجلة طيلة هذه السنين الطويلة نسبياً فيه دلالة على القبول والتميز وتحدي الظروف والمتغيرات، إلى جانب تمتع مجلتنا بمزايا نوعية وخصائص فريدة ساعدت في استمرار تدفق أعداد المجلة عاماً بعد عام، مع الحفاظ على الهوية والرسالة والأهداف، حقاً مجلة «المجتمع» كل المجتمع فلها من اسمها نصيب.

الثانية: الحدث مكانياً:

فالكويت واجهة ثقافية فكرية، شهد بذلك العديد من المفكرين والعلماء والباحثين، ومن ثم فصدور هذه المجلة من هذا البلد المحب للثقافة والمثقفين والعلم والعلماء والفكر والمفكرين علامة مضيئة لبيئة مبدعة، تشجع وتدعم كل المبدعين والمتفوقين والبارزين والنابغين، وتدافع وتنافح عن كل المغلوبين والضعفاء والمهجرين والمظلومين وأصحاب الحق.

الثالثة: الحدث تقنياً:

إذ شهد العالم في بداية الألفية الجديد انتقالاً سريعاً من العلم المكتوب الورقي إلى العلم التقني الإلكتروني، فمعظم الصحف والمجلات أصبحت تطبع إلكترونياً، ومن ثم صار لها موقع إلكتروني وتواصل عبر منصات وروابط فضائية «إنترنتية»، وهذا بلا شك شكل تحدياً قوياً لكثير من الصحف والمجلات الورقية في سبيل الصمود والاستمرارية والبقاء.

الرابعة: الحدث جغرافياً:

فرغم أن «المجتمع» مجلة كويتية خليجية، فإن هذا لم يحد من تواجدها وتغطياتها ومتابعاتها لما يحدث في العالمين العربي والعالمي لأحداث وقضايا وطروحات فكرية واقتصادية وسياسية وأمنية، وهذا يحسب لمجلتنا «المجتمع»، ويعلي مكانتها، ويؤكد دورها، ويرفع من قيمة أسهمها في النشر والريادة في شتى مجالات الإعلام المتخصص.

الخامسة: الحدث ريادياً:

فمجلتنا «المجتمع» جمعت بين النشر الورقي والنشر الإلكتروني؛ أي بين المجلة الورقية والمجلة الإلكترونية، بل وكان احتفاؤها بكتّابها والعاملين معها والمفكرين على مختلف جنسياتهم وبلدانهم ريادياً بامتياز، كما كان تواصلها مع شرائح المجتمع في أقطار العالمين العربي والعالمي تواصل اللحظة والحدث خبراً وصورة وتغطية.

السادسة: الحدث عولمياً:

لقد شهدت منطقتنا العربية، كما هي مناطق أخرى في العالم، هجمة عولمية، ورؤى شعبوية، وأفكاراً متناقضة، وطروحات متباينة، لكن مجلتنا «المجتمع» بقيت صامدة في وجه هذا الطوفان، ولم يلحظ عليها الكيل بمكيالين، أو الاتجاه لطرف على حساب طرف، أو الانحياز لموقف دون موقف، بل كانت رسالتها واضحة، وأهدافها نبيلة، وتوجهاتها تسير في خدمة قضايا الأمتين العربية والإسلامية.

السابعة: الحدث اقتصادياً:

لقد ضربت الأزمة الاقتصادية العالمية معظم مفاصل العملية الإعلامية، وليست مجلتنا «المجتمع» بدعاً من ذلك، ولقد كان من آثار تلك الأزمة خروج العديد من الصحف والمجلات من المشهد الإعلامي بعد ردح من الزمن الطويل، وبقيت «المجتمع» أبية صامدة بثبات، متجددة متطورة بتوازن، مما مكنها من الاستمرارية والعطاء والانتشار.■

«المجتمع».. بصمة ثقافية تركت أثرها في الوعي الدعوي العراقي

محمد صادق أمين

خمسون عاماً انقضت على أول صدور لـ«المجتمع»، انتشرت خلالها في ربوع العالم الإسلامي، وتركت عبر الكلمة الحرة أثرها الذي لا يزال صداه يتردد في عصر الإنترنت وثورة المعلومات، ومن الكويت إلى ربوع العراق الجار والشقيق الأقرب، وصلت «المجتمع» مع صدور الأعداد الأولى، وقد استقصينا أثرها الثقافي عبر استنطاق ذاكرة الدعاة، الذين تلقوها داخل العراق أو في المهاجر.

بين الأصالة القائمة على الفهم الصحيح والوسطي للإسلام، والمعاصرة التي لا تغفل تطورات العصر وأدواته، ساهمت «المجتمع» في نشر الوعي الثقافي في العراق، بحسب وصف د. عمار وجيه، أحد المشاركين في تأسيس العمل الإعلامي الإسلامي في العراق بعد عام 2003م.

وجيه، القيادي البارز في حركة العدل والإحسان العراقية، تحدث عن تلقيه للمجلة منذ منتصف السبعينيات، حيث كان والده د. وجيه زين العابدين مشتركاً دائماً فيها، ويقول: «كشاب ملتزم وجدت فيها ثقافة وعراقة رائدة، وجدتها تجمع بين الأصالة والمعاصرة، وهو ما جعلها تصل إلى قطاع واسع من العراقيين، سيما رجال الفكر والدعوة والأكاديميين ووجهاء المجتمع».

وأعرب وجيه عن أسفه لانقطاع وصول المجلة إلى العراق بعد حماقة غزو «صدام حسين» للكويت عام 1990م، ورغم ذلك لم ينقطع محبوها عن متابعتها، حيث كانت تصل أعداد منها عبر الأردن، وتصل إلى أيادي المئات المثقفين سراً.

وأضاف: «كما تواصل اطلاعنا على المجلة بعد أن أصبح الإنترنت متاحاً في العراق، ولو على نطاق ضيق، وكان مواكبة انتشار الشبكة العنكبوتية عبر موقع المجلة من أهم الإنجازات، وأصبح لـ«المجتمع» مساحة وسط القفزة الإعلامية التي حدثت عبر ثورة المعلومات».

ودعا د. عمار وجيه إلى أن تتخذ المجلة المزيد من الخطوات في مجال التحول الرقمي؛ بسبب تراجع تأثير الإعلام الورقي في العالم كله، وقد أشارت تقارير دولية إلى انخفاض نسبة المطبوعات في بعض الصحف الكبرى إلى العشر.

نافذة دعاة المهجر

ظروف التسلط والحكم الشمولي القاسية التي عاشها العراق على مدار العقود الماضية، دفعت المئات من أصحاب الفكر والرأي والدعوة إلى الهجرة خارج العراق، وفي المهاجر كانت «المجتمع» تصل إلى أيديهم لتكون نافذة لهم تديم اتصالهم بقضايا الوطن والعالم الإسلامي، بحسب د. أحمد الراوي، أحد أهم قيادات الحركة الإسلامية العراقية.

يقول الراوي، الذي شغل منصب رئيس اتحاد المنظمات الإسلامية في أوروبا حتى عام 2006م: «واكبتُ مجلة «المجتمع» الغراء بشكل منتظم من بداياتها الأولى، عندما كان على رأسها الأستاذ الفاضل علي عبدالله المطوع –رحمه الله– الذي كانت تربطني به علاقة تلمذة وأخوة ومحبة، فكانت نافذتنا في المهجر للوصول إلى أخبار العالم الإسلامي، بالإضافة إلى أنها كانت سنداً لنا في ترسيخ مبادئ الإسلام وقيمة بين أبناء الجالية الإسلامية في أوروبا؛ حيث كنا نداوم على توزيعها بين صفوفهم».

وتابع: «من جهة أخرى، ساعدتنا المجلة في نقل صورة المسلمين في أوروبا إلى العالم الإسلامي، وعرّفت بأوضاعهم وقضاياهم وجهود مؤسساتهم في ترسيخ قيم الإسلام، خاصة المؤسسات الأعضاء في اتحاد المنظمات الإسلامية في أوروبا الذي شرفتُ برئاسته، عبر المئات من التقارير والمقابلات التي كان لها أثر بالغ في حصولها على دعم من المؤسسات الرسمية والشعبية العربية وخصوصاً بدول الخليج؛ وعلى رأسها المؤسسات الكويتية المعطاءة».

وفي ذات السياق، تحدث إياد السامرائي، الأمين العام للحزب الإسلامي العراقي، الذي شغل مناصب قيادية رفيعة بمؤسسات العمل الدعوي في بريطانيا، قبل سقوط نظام «صدام حسين» وعودته للعراق عام 2003م، ليكون جزءاً من المشروع السياسي الإسلامي فيه.

وأشار السامرائي إلى أن «قيادات العمل الإسلامي في الخارج كانت تحصل على مجلة «المجتمع»، وتحرص على تسريبها داخل العراق، رغم منعها من قبل السلطات العراقية في النظام السابق».

واستدرك بالقول: «إن مجلة «المجتمع» مجلة رائدة كان لها مساهمتها الكبيرة في نشر الوعي الإسلامي، وكانت محط أنظار واهتمام الأجيال المتعاقبة، واليوم تفرض التحديات والمتغيرات السياسية والثقافية في العالم والمجتمع العربي على المجلة تحدياً مهماً؛ هو كيفية مواكبة هذا التحول لتستمر الرسالة بذات الأثر العميق الذي كانت عليه».



وجيه: أسفنا لانقطاع وصول المجلة بعد حماقة «صدام» ضد الكويت لكن مواكبتها عبر الإنترنت من أهم الإنجازات

الراوي: كانت نافذتنا بالمهجر وسنداً في ترسيخ مبادئ الإسلام بين أبناء الجاليات الإسلامية بأوروبا





وتابع السامرائي: الإعلام الإلكتروني أصبح بديلاً للأجيال الجديدة عن وسائل الإعلام التقليدي، فهو يعوّض بما يحمل من محتوى متنوع عن الصحف والمجلات والفضائيات، لذلك نرى أن الصفحات الإلكترونية لبعض الصحف العالمية أصبحت ذات انتشار واسع، وباتت متنوعة المحتوى، فهي تحتوي إلى جانب النص المقروء مقاطع فديو، و«إنفوجرافيك»، و«فديوجرافيك».. وغيرها من الوسائط المتعددة التي استحدثها الإعلام الجديد».

وختم السامرائي، الذي ترأس تحرير مجلة «دار السلام» في لندن، بالقول: إن «الإعلام الدعوي تطور كثيراً اليوم بالقياس إلى مراحله الأولى التي تكوَّن فيها، لكنه لا يزال في المرتبة الثانية بالقياس إلى الإعلام الآخر، فأصبح البون بينهما شاسعاً مما يقتضي قدراً كبيراً من الاستدراك، وأرى أن مجلة «المجتمع» هي الأقدر على القيام بهذا الدور من خلال مواكبة هذه التحولات في الإعلام الجديد».

قراءة «المجتمع» مفخرة!

الصحفي والأديب الكردي أحمد الزاويتي، وأحد مؤسسي الإعلام والفن الإسلامي في كردستان العراق، قال لـ«المجتمع»: كانت المجلة تصلنا ونحن شباب صغار إلى مدن كردستان، ونتداولها يداً بيد عبر إعارة بعضنا بعضاً للنسخة التي تدور على مئات الأيدي، وكان الشاب منا يفتخر أمام أقرانه بأنه قرأ مجلة «المجتمع»، مستدركاً: مجلة «المجتمع» كانت بوابتنا لمعرفة أخبار العالم الإسلامي شرقه وغربه، وكنا نشعر بسعادة غامرة عندما كانت أيدينا تتصفح هذه المجلة الغراء.

وتابع حديثه بالقول: بعد تأسيس إقليم كردستان في أعقاب تحرير الكويت، وبعد أن شاركنا في إرساء قواعد الإعلام الدعوي، بدأت المجلة تصل إلينا بانتظام، وكنا ننسخ بعض المواضيع وننشرها بين الإخوة.

ونوه الزاويتي إلى أن المجلة بدأت تدخل إلى العراق بعد عام 2003م بشكل أفضل من ذي قبل، لكن انتشارها كان في أوساط النخبة الإسلامية، وكنا نتمنى أن يكون وصولها على نطاق أوسع لما لها من دور توعوي وتربوي، مجتمعنا بأمسّ الحاجة إلى المعاني التي تتضمنها؛ لكن قلة النسخ الواصلة لم تكن تلبي مثل هذا الهدف.

وبخصوص الرؤية المستقبلية، والدور الذي يمكن أن تمارسه «المجتمع» في المرحلة المقبلة، يرى الزاويتي أن توفر النسخة الإلكترونية من المجلة على الإنترنت أمر جيد، لكنه ليس كافياً، إذ ينبغي أن يردف ذلك بتفعيل منصات التواصل الاجتماعي، والترويج للمحتوى عبر الوسائط الجديدة التي تناسب الأجيال الصاعدة على الساحة العربية، مثل المقاطع المصورة (الفيديو)، أو لـ«إنيميشن جرافيك»، وغيرها من الوسائط التي يوفرها الإعلام الجديد، مشيراً إلى أن التطور الهائل في المجال التقني والتكنولوجي جعل من السباق في هذا المضمار محموماً، من لم يواكبه يصبح في آخر القافلة، وربما يصبح وجوده في عالم الإعلام مهدداً.

واستدرك بالقول: إن دور مجلة «المجتمع» الدعوي في العقود الخمسة الماضية كان مشهوداً، وعالج ضعفاً بيناً في هذا المجال كانت تعانيه المؤسسات ذات البعد التربوي والاجتماعي الهادف، بالمقارنة مع الإعلام القائم على الترفيه الغنائي والدرامي، لذلك نأمل أن تواكب «المجتمع» التحولات كي تستمر بذات الأثر العميق والتواجد الراسخ.

الصحفي والكاتب الكردي حامد محمد علي، مسؤول الإعلام السابق في الاتحاد الإسلامي الكردستاني، كان له نفس الرأي، حيث اعتبر تعزيز الموقع الإلكتروني للمجلة من أفضل الخطوات التي اتخذتها المجلة في السنوات الماضية، وهو ما عزز تواصل قرائها معها.

السامرائي: كنا نحرص على تسريبها داخل العراق رغم منعها من قبل النظام السابق

الزاويتي: كان أحدنا يفتخر أمام أقرانه بقراءة «المجتمع» حيث كانت بوابتنا لمعرفة أخبار العالم الإسلامي!



وأضاف أن تجربة مجلة «المجتمع» الكويتية نوعية بخصائصها المعرفية، وبتميزها في خطابها الدعوي المعتدل، ومن حيث اهتمامها بقضايا الإسلام والمسلمين، خاصة قبل ظهور الإنترنت والإعلام الإلكتروني، وهو ما جعلها تحتل مساحة مهمة في وعي ووجدان المسلمين.

وتابع علي، بالقول: رغم أن الصحافة الورقية في تراجع أمام الإعلام الإلكتروني، فإن «المجتمع» ما زالت صامدة بعد أن كيّفت نفسها مع المتغيرات، وللاستمرار في هذا الصمود لا بد أن تواكب وتتكيف أكثر مع تسارع التطورات ليدوم هذا الحضور والتأثير.

وعبر عن اعتقاده بأن أهم ميزة للمجلة في العقود الخمسة الماضية، كان اهتمامها بالقضايا الساخنة التي تخص العالم الإسلامي، وأرى أن الاستمرار بهذا النهج وتعزيزه بشكل أكبر، من خلال التقارير المركزة والتحقيقات الاستقصائية سيكون هو عنصر الديمومة والاستمرار لهذا الزخم.

وتمنى علي أن تواصل «المجتمع» اهتمامها بالشعب الكردي وقضاياه، كجزء حي من الشعوب الإسلامية، وهي قامت بدور في هذا المجال سابقاً ونشرت العديد من التقارير عن القضية الكردية، وأجرت حوارات مع قيادات العمل الإسلامي الكردية، ونأمل أن تقوم بدور أكبر في المرحلة المقبلة، نظراً لما تمر به المنطقة من تهديدات وتحديات جعلت الشعب الكردي في دائرة الاستهداف.■

أبـرز كتَّـاب المجتمع عبر تاريخها


الشيخ محمد الغزالي


الشيخ أحمد القطان


د. عجيل النشمي


الشيخ نادر النوري


د. يوسف القرضاوي


د. عبدالله التركي


المستشار عبدالله العقيل


الشيخ عبدالعزيز بن باز


د. توفيق الواعي


الشيخ محمد أبوزهرة


د. جاسم المهلهل آل ياسين


العلامة أبوالحسن الندوي


البروفيسور نجم الدين أربكان


الشيخ عبدالحميد البلالي

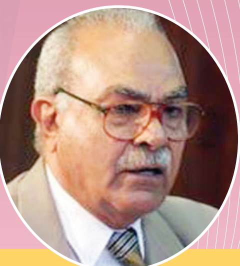

د. السيد نوح


د. فتحي يكن


أ. أنور الجندي


د. عبدالله النفيسي


د. فيصل مولوي


د. محمد عمارة

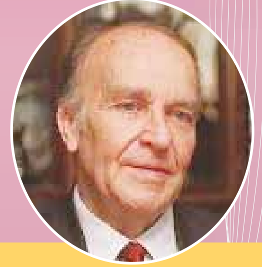

د. علي العمري


د. سلمان العودة


أ. راشد الغنوشي


أ. سالم الفلاحات


د. محمد بديع

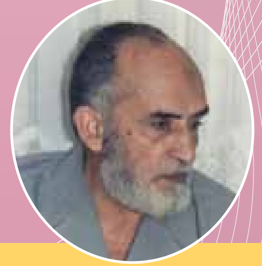

الرئيس عزت بيجوفيتش


الشيخ يوسف السند


الشيخ حسن طنون


د. عيسى عبده


د. سعيد الأصبحي


أ. مصطفى مشهور


الشيخ عبدالفتاح أبوغدة


د. عصام عبداللطيف الفليج


د. عبدالحليم عويس


د. حلمي القاعود


د. عصام العطار


د. علي الحمادي


الشيخ صلاح أبو إسماعيل


د. عمر الأشقر


د. علي بادحدح


أ. كامل الشريف


الشيخ مانع الجهني


د. سعد المرصفي


أ. وحيد الدين خان


د. عبدالرحمن الحجي

نصف قرن..
من الريادة الإعلامية


سعد العتيبي


د. منير الغضبان


د. سامي العدواني


د. زيد بن محمد الرماني


محمد الحمداوي


د. أحمد عيسى


د. عبدالله الأشعل

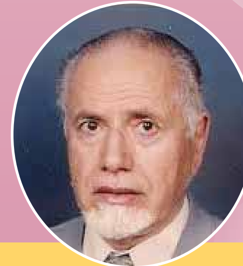

د. إبراهيم البيومي غانم


أ. عبدالفتاح مورو


د. وصفي عاشور أبوزيد


د. رمضان خميس الغريب


د. عامر البوسلامة


المستشار سالم البهنساوي


أحمد الحصين


د. معروف الدواليبي


الشيخ حسن أيوب


الشيخ محمد محمود الصواف


د. علي الصلابي


د. عبدالله العتيقي


د. محمد موسى الشريف


البروفيسور حسن الترابي


حسن التل


د. حسين شحاتة


د. طعمة الشمري


د. عمارة نجيب


أ. صلاح أبوشادي


الشيخ عبدالرحمن الجمعان


عبدالستار أبوغدة


عبداللطيف السلطاني


عبدالله عزام


المستشار علي جريشة


فيصل الزامل


أ. محفوظ نحناح


محمد حسن هيتو


د. محمد رواس قلعه جي


محمد سلامة جبر


محمد سليمان الأشقر


محمد عبدالغفار الشريف

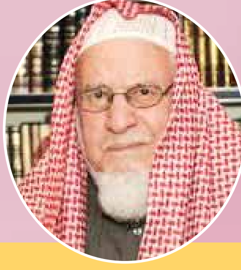

محمد علي البار


أ. مصطفى الزرقا

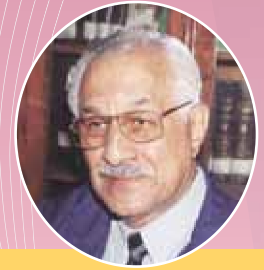

الشيخ معوض عوض إبراهيم


د. ناصر الصانع


الشيخ نجيب الرفاعي


نعمان السامرائي


د. يوسف العظم


د. جابر قميحة


أ. محمد إلهامي


د. حسان عبدالله


د. عبدالوارث سعيد


أ. بدر محمد بدر

قالوا عن المجتمع

إعداد:
مصطفى صبري (القدس المحتلة)، مها العواودة (غزة)،
عبدالباقي خليفة (تونس)، عبدالغني بلوط (المغرب)،
محمود عاصم (نيودلهي)، محمد شعيب (بنجلاديش)



العم أبو بدر عبدالله المطوع (يرحمه الله)

«المجتمع» ثابتة وواضحة الهدف، صريحة التوجيه، غزيرة العطاء، كانت صوت الصحوة الإسلامية الكبرى التي عمت العالم الإسلامي كله؛ ترشد وتوجه وتثقف وتعرف وتنقل الأخبار وتناقش القضايا وتدافع عن المظلومين وتتبنى قضايا المستضعفين وتفضح الظالمين وتطالبهم بأن يكفوا عن ظلمهم والسادرين بأن يفيقوا من غيهم؛ فأصبحت مرآة تعكس واقع المسلمين وتحمل همومهم وتعبر عن آمالهم وغاياتهم.■

الشيخ وجيه قواس.. رئيس بلدية قلقيلية السابق وأحد المبعدين لمرج الزهور

مجلة «المجتمع» بالمعنى العلمي والمعرفي لها وزن يضاهي المجلات العريقة في العالم، ولها السبق في نشر الوعي الديني بين الشباب المسلم الملتزم، ففيها الرأي السديد، والتحليل العلمي البعيد عن الأهواء، فيها الرصانة والدعوة إلى الفضيلة ومحاربة الرذيلة، وتوجيه الرأي العالمي إلى قضايا اضطهاد المسلمين، فهي واكبت قضايا مصيرية واجهتها الأمة وفلسطين، واستطاعت مجلة «المجتمع» بكادرها الإعلامي وإدارتها الحكيمة أن تغطي هذه المحطات المؤلمة بحكمة دينية ومهنية إعلامية يشهد لها القاصي والداني.■

طارق أحمد البكري.. صاحب رسالة الماجستير «الصحافة الإسلامية في الكويت.. مجلة المجتمع نموذجاً»

«المجتمع» منذ نشأتها حتى اليوم خطت لنفسها أسلوباً متميزاً في العرض والطرح والمناقشة، ولم تكتف بالتلميح إلى أماكن الداء دون عرض الحلول، حتى إنها وجهت الانتقادات المباشرة إلى كثير من الأحداث والشخصيات العربية والعالمية، وأدى ذلك إلى تعطيلها عن الصدور لمرات كثيرة، ومُنعت من دخول عدد من الأقطار العربية، وتعرض المسؤولون عنها للتهديد والوعيد، وتوجت محاولات ثنيها عن الخط الذي رسمته لنفسها بمحاولة تفجير مبنى جمعية الإصلاح الاجتماعي في عام 1401هـ/ 1980م.■





عدنان بن سالم بن محمد الرومي مؤلف كتاب «علماء الكويت وأعلامها خلال ثلاثة قرون»

تعالج «المجتمع» مشكلات الحياة من منظور إسلامي شمولي؛ فهي لا تكاد تترك منحى من مناحي الحياة إلا وكتبت فيه من وجهة نظر إسلامية؛ إذ تتحدث مقالاتها عن الجامعة وعن الاقتصاد الإسلامي وعن التشريعات وعن أزمة الشرق الأوسط وعن النظافة.

و«المجتمع» مجلة خبر كما هي مجلة مقال، وفي أحيان كثيرة تعرض المجلة أخبارها على شكل المقال الخبري أو الخبر المقالي، بمعنى أنها لا تكتفي بإيراد الخبر، وإنما تضيفه على شكل مقال، موضحة أبعاده ومغزاه، وكل ذلك من وجهة نظر إسلامية، وهي مجلة لا تتخذ في الغالب طابعاً نظرياً، أو لنقل طابعاً غير حياتي، وإنما تمثل موقف الإسلام من الحياة ومن المجتمع وحركته، وكل ما يعارض الإسلام فهو شيء أو فكر غير شرعي تتبرأ منه المجلة، وتشن عليه حرباً لا هوادة فيها، ومن هنا اتخذت في كثير من أعدادها طابعاً إيمانياً حاداً، وأصبحت تشكل رأياً إسلامياً مستنيراً يواكب الحياة المعاصرة، وقد استكتبت الأقلام الإسلامية الواعية، واستعانت بالخبرات التعليمية والبحثية والثقافية، مما أعطاها قوة في التأثير، غير أنها ممنوعة الدخول إلى كثير من بلاد العروبة، لأنها تبين للناس أن الدين ينظم العلاقة بين الحاكم والمحكوم، فلا يترك الأمر لإرادة القوي العنيد أو المستبد.■



الشيخ محمد أحمد حسين.. مفتي القدس والديار الفلسطينية

في هذه المناسبة العظيمة أهنئ مجلة «المجتمع» بذكرى الانطلاقة لما قدمته على مدار خمسين عاماً، التي اشتملت على موضوعات تخدم الإسلام والمسلمين والكويت، وأبعث بتحية تليق بعظمة مواقف دولة الكويت التي تناصر القضية الفلسطينية والقلب منها القدس الشريف، هذه الدولة التي يعتز بها كل فلسطيني لمواقفها الحكيمة، ومنها مواقف رئيس مجلس الأمة الكويتي مرزوق الغانم من الكيان الصهيوني، كل التحية للكويت أميراً وشعباً، نبارك لها بهذه المناسبة العظيمة، والمجلة تهتم بالقدس وما تعانيه في ظل الاحتلال والمقدسات، والاهتمام بالنواحي الثقافية المتنوعة، التي تخدم الجميع، ولمجلة «المجتمع» دور مهم في ترسيخ الانتماء والثقافة الدينية المتنورة التي تفيد كل المجتمعات، وهي أهداف نبيلة.

ونقول لها في الذكرى الخمسين لتأسيسها: إلى الأمام في خدمة الإسلام والمسلمين، والقائمين عليها لهم ألف تحية من المسجد الأقصى المبارك والقدس الشريف.■



د. عكرمة صبري.. رئيس الهيئة الإسلامية العليا وخطيب «الأقصى»

مجلة «المجتمع» لها زاوية في مكتبة الأقصى، وأعدادها يتم تجميعها في مجلدات، فهي ذات مرجعية مهمة للدارسين والباحثين، فقبل ثورة التكنولوجيا، كان لمجلة «المجتمع» السبق في تحقيق المعلومة ونشرها، فهي تهتم بكل قضايا المسلمين في العالم، وما زالت تحمل الرسالة المهمة وتنشر عن فلسطين والقدس، فهي ذات قيمة تاريخية ودينية وإعلامية وتربوية بكافة مواضيعها المهمة، وكثير من جيل الشباب في السنوات الماضية كانوا ينتظرون صدور العدد لمجلة «المجتمع»، فهي تلامس الهموم، وتغطي كافة المواضيع.

وفي هذه الذكرى العطرة لصدور العدد الأول قبل خمسين عاماً، لا بد من استمرار صدورها والعمل على بقائها، وعدم الالتفات إلى أن التكنولوجيا قد أضعفت الصحافة الورقية، فقوة تأثير مجلة «المجتمع» يجب أن يبقى نبراساً لكل المسلمين في العالم، ولا استغناء عنها مهما كانت الأسباب والدوافع، فمجلة «المجتمع» عنوان المعرفة.■



الشيخ كمال الخطيب.. نائب رئيس الحركة الإسلامية بالداخل

مرور نصف قرن على صدور مجلة «المجتمع» التي تستحق أن تسمى «شامة الصحافة الإسلامية وبكورتها في النصف الثاني من القرن العشرين»، وفي الداخل الفلسطيني كنا نتلقف بين المرات المتباعدة هذه المجلة في الفترة التي سبقت الصحافة الإلكترونية، وكان الحصول على أعداد مجلة «المجتمع» مكسباً لكل من أراد أن يتعرف على الفكر الإسلامي، وفي الفترة التي كنت فيها طالباً في جامعة الخليل والسنوات التي تلتها، أعتز بأن فكري الإسلامي الوسطي كانت مجلة «المجتمع» لها مساهمة حصرية في صياغته، وحينما أصبحت القضية الفلسطينية قضية خاصة، مجلة «المجتمع» كانت صاحبة التوجه المباشر بتذكير المسلمين بأن فلسطين ليست قضية فصيل فلسطيني، ولا قضية الشعب الفلسطيني، ولا الأمة العربية، بل قضية المسلمين في كل العالم، وهذا أعطى بُعداً عميقاً للقضية الفلسطينية.

أترحم على الشيخ عبدالله المطوع، الذي كان له الباع الكبير والإشراف على صفاء ونقاء فكر مجلة «المجتمع»؛ فالكويت تمثل النبض الصادق للأمة في خدمة القضية الفلسطينية والفكر الإسلامي الوسطي، وترعرعت في الكويت شخصيات إسلامية وازنة، وكان لمجلة «المجتمع» البصمة في صقلها.■



د. أحمد أبو حلبية.. رئيس دائرة القدس في المجلس التشريعي وأستاذ أصول الدين بالجامعة الإسلامية في غزة

أخذت على عاتقها الفكر التنويري والدعوي بما يخدم الإسلام والمسلمين خاصة شريحة الشباب، فهي تشتمل على كل الموضوعات المهمة والملهمة للإسلام وعقيدته، وهي مثلت مصدر إلهام كبيراً للشباب ولحركة النهضة الإسلامية خلال القرن الماضي.

فهي بمواضيعها المتنوعة مثلت فكراً وثقافة عظيمة نهل منها من طالع هذه المجلة التي كانت لا تفارقنا طيلة دراستنا الجامعية، تمثل أنموذجاً في الإعلام الملتزم والموضوعي، فهي تعالج المواضيع وتناقشها بشكل معمق يفيد القرَّاء، ويعمل على تعميق فكرهم وثقافتهم، وهي بلا شك رائدة المجلات العربية العريقة التي لها جمهورها الواسع.■

قالوا عن المجتمع

محمد منهاج الدين.. مساعد تحرير صحيفة «كاليركانتو» البنجلاديشية ونائب رئيس تحرير صحيفة «ديلي ماي نيوز» ومجلة «الحراء»



إن مجلة «المجتمع» الغراء صلتي بها وطيدة راسخة، ولي بها حبّ رصين منذ أن كنتُ حديثَ عهد بجامعة دار المعارف الإسلامية شيتاغونغ بنجلاديش، كنا نترقب غرة كل شهر لنتناول المقالات الهادفة والأخبار التي تحملها «المجتمع» في طياتها عن الإسلام والمسلمين في هذه الكرة الأرضية؛ فقد أدت هذه المجلة الأثيرة دوراً فعالاً في تكوين شخصيتي وتنمية فكرتي، وتجديد مدارس إصلاحي وتربيتي وتفوقي في إتقان اللغة العربية بين أقرانها، وأعتقد أنها تترك في كل حين من الأحيان صلاحها وأثرها في جيلنا البنجلاديشي بمقالاتها العلمية وكتاباتها الأدبية وعناصرها الفكرية وأخبارها عن الإسلام والمسلمين.

ومن الواضح أن هذه المجلة -من خلال مقالاتها الأدبية والفكرية- ساعدت طلاب المدارس الإسلامية في بنجلاديش بوجه عام، وطلاب المدارس القومية بوجه خاص، على تعلم الأدب العربي، فإن هناك كثيراً من المدارس الإسلامية تهتم بمجلة «المجتمع»، وعلى رأسها جامعة دار المعارف الإسلامية شيتاغونغ بنجلاديش، وكذلك الجامعة الإسلامية فتيه شيتاغونغ بنجلاديش.

وتعتبر المجلة رائدة في الصحافة العربية بالعالم الإسلامي، وأدت دوراً ملموساً في نشر الفكر الإسلامي وشحذ العقول العربية الإسلامية في مواجهة التحديات الفكرية المعارضة للفكر الإسلامي الصحيح.

فحريٌّ بي أن أقول: الأيام تمضي والقلوب تفضي، ولا يزال حبّ مجلة «المجتمع» يزداد في مُهج أنفسنا، وأثرها الملحوظ يزهو في حياتنا وآمالنا، فسقاها الله إلى أمد بعيد وكتب لها القبول الحسن على مرّ العصور وكرّ الدهور، ويوفق أولياء أمورها لما فيه خير الدين والبشرية، وجزاهم الله عن الأمة المسلمة خيراً.■

محمد سلمان الحسيني الندوي.. رئيس جامعة الإمام أحمد بن عرفان الشهيد، لكنؤ، الهند



مجلة «المجتمع» هي ترجمان للأمة المسلمة، وهمزة وصل بين العرب ودول مختلفة في العالم، وتتمتع بعمر مبارك، ويستفيد الباحثون بصورة خاصة من هذه المجلة، ولا تزال على خطها المستقيم منذ خمسين عاماً.

والمجلة تصل إلى مؤسسات تعليمية وحركات إسلامية بالهند، وتترجم مقالاتها إلى عدة لغات محلية مثل اللغة الأردية، والمجلة لها تأثيرها العظيم بسبب محتوياتها المتعلقة بقضايا المسلمين حول العالم، جزى الله المسؤولين والقائمين على إصدار هذه المجلة المرموقة.■

محمود صقر.. كاتب مصري



بقدر لهفتي في انتظار العدد الشهري من سلسلة «عالم المعرفة» ومجلة «العربي»، كانت لهفتي لاقتناء مجلة «المجتمع» الأسبوعية التي كانت تشكل جزءاً مهماً من رسالة الإسهام الثقافي المميز لدولة الكويت في العالم العربي والإسلامي.

مجلة «المجتمع» كنا نتعرف من خلالها بالعمق والتحليل على ما يدور في العالم الإسلامي من أحداث، وما يتعلق بالأقليات الإسلامية في كل مكان.

كانت كتابات كبار الكتاب الذين اصطفتهم المجلة للكتابة فيها تساهم في تشكيل الوعي وترسيخ الفكر الإسلامي الرصين.

وما زالت المجلة تتطور وتتجدد وتستمر بالعطاء، وما زالت لهفتنا لاستقبالها كما هي.■

د. ظفر الإسلام خان.. رئيس مفوضية دلهي الحكومية للأقليات ورئيس تحرير جريدة «ملّي غازيت» الإنجليزية

مجلة «المجتمع» معروفة ومقدّرة في أوساط علماء المسلمين الذين يقرؤون بالعربية، فهي المجلة الإسلامية الشاملة باللغة العربية، وهي تؤدي دوراً كبيراً وبارزاً على ساحة الإعلام الإسلامي العربي لتناولها قضايا المسلمين عبر العالم، خصوصاً القضايا التي تهم كل المسلمين مثل قضية فلسطين؛ فجزى الله القائمين عليها خير الجزاء.■

د. محمد النوري.. باحث تونسي في الاقتصاد الإسلامي



شكلت مجلة «المجتمع» الغراء مصدراً مهماً للمعلومات والأخبار لكل المسلمين في شتى بقاع العالم، وتتابعها مختلف الفئات من شباب وكهول رجالاً ونساء من أبناء الصحوة الإسلامية المعاصرة.

وتتمثل ميزة «المجتمع» في اهتمامها بأوضاع المسلمين جميعاً ومتابعتها لأحوالهم، وتبني قضاياهم باستمرار بلغة مفهومة وأسلوب يجمع بين الخطاب المتخصص والموضوعات المتعددة التي تربط بين السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي.■

محمد طلابي.. مدير مجلة «الفرقان» الإسلامية المغربية



لقد صمدت مجلة «المجتمع» على مدى نصف قرن في ظل اندثار مجلات ومنشورات أخرى، فالمجلة تتميز بالجدوى والجودة والجدة والجدية فيما تنشر في كل ملفاتها، وهذا يُحسب لها ويُقدَّر.

ولذلك؛ فـ«المجتمع» تعتبر من المجلات المعمرة، وهو دليل على قوة المجلة بمضمونها الجيد والملتزم أخلاقياً فيما تنشره في كل الأبواب؛ فهي ليست «مجلة إمعة»، تذهب مع كل ريح، بل هي صامدة وملتزمة بقضايا الأمة والمجتمع، بقضايا الوطن، وبقضايا العرب والمسلمين في كل أنحاء العالم، وعلى رأسها قضية فلسطين العادلة.■

عبدالرزاق الندوي.. الأستاذ بجامعة آسيا بنجلاديش ومدير مدرسة الهدى داكا

مجلة «المجتمع» إشعاع إسلامي ساطع صاف، هدفه النفع، وغايته الفائدة، ووعاؤه الإيمان العميق، وفحواه خدمة الإسلام، وجلاء صورته، والدفاع عنه، وإظهاره بالمظهر الحقيقي، والصورة المنيرة التي أرادها الله له، وأنه دين يهدي للتي هي أقوم، وإلى صراط الله المستقيم، وتوجيه المسلم إلى ما يسعده دنيا وديناً، هذه المجلة بحق ثغر جهاد، سلت أدواتها، سيوفاً تحمي الحق، وتزهق الباطل، لدى كتابها يقظة أمام المكائد، ونباهة تجاه الدسائس، وعزم لتلفيت الفتن، والوقوف في وجوه الاستفزاز، تقف دائماً أمام ما يأتي أحياناً من أذى لعقيدة المؤمن، أو مكان عبادته، من بعض الجهالة والمتعصبين، من أهل الديانات الأخرى.■



محمد بولوز.. داعية مغربي

من المجلات الأولى التي شكلت وعينا بقضايا الأمة، وساهمت في تكويننا السياسي والدعوي منذ فترة التزامنا في مرحلة الشباب؛ حيث كانت القضية الفلسطينية حاضرة باستمرار، وحذرتنا مما يحاك ضد القضية من وقت مبكر باسم السلام والتعايش ونحو ذلك من المصطلحات والمفاهيم الخادعة.

لقد نقلت مجلة «المجتمع» إلينا ما يجري على الساحة من قضايا الأمة الحارقة في كشمير ومورو والجهاد الأفغاني يومها والبوسنة والهرسك.

كانت «المجتمع» صوت الحركة الإسلامية في العالم، عرفت بها وعرفت برموزها وقادتها، وساهمت في تعميم تجاربها الناجحة هنا وهناك، وخط تحريرها وسطي متوازن، ساهمت بقوة في الوعي بالذات الإسلامية، وعرفت بمخططات أعداء الأمة في مشارق الأرض ومغاربها.

بارك الله في القائمين عليها، ورحم الله من فقدنا من إعلامها ومؤسسيها، وجعل الله ما بذلوه في ميزان حسناتهم، وبارك في الباقين منهم، وتمنياتنا لهم المزيد من التوفيق والسداد والاستمرار في التبشير بالخير في الأمة والتحذير من الشر المتربص بنا.■

د. شمس الضحى.. أستاذ سابق بجامعة دار الإحسان ببنجلاديش

اختطت هذه المجلة لنفسها منهجاً حسناً، يجذب القارئ إليها في الجوهر والصورة، فأحسنت اختيار المقال ونوعه، وتلمست خدمته لأغراض إسلامية متعددة، تمس العمل والروح، والدنيا والآخرة، تنشئ وتقتبس وتختار، كل هذا بدقة، وحسن التماس.

أما ما يخص الصورة فجذاب، فالحجم مثالي، والورق ممتاز، والإخراج بديع، والحرف كبير جميل، ونسقه يشد القارئ ويخدمه، والعرض حسن، والمظهر مبهج، يريح العين والنفس، والاعتناء بهذه النواحي يدل على حرص القائمين عليها في السعي المتناهي لنفع القارئ وراحته، مما يؤكد أهميته لهم، وتقديرهم له، وحرصهم على بقائه قرناً مديداً.

فعصارة القول: إن مجلة «المجتمع» تقوم بدور ريادي وقيادي في الصحافة العربية المعاصرة؛ فلذلك تستحق أن تُقرأ، وتستحق الاهتمام من قبل القراء والباحثين؛ ذلك لأنها تحمل في طياتها الكثير من ثقافتنا العربية والإسلامية، فهي تهتم بكل ما يجري من الأوضاع التي يجتازها المسلمون في العالم باختلاف الأزمنة والأمكنة، حيث إنها تهتم بالموروث الشعبي الذي قلَّ من يقدمه بصورة حسنة للقارئ.■



إمام وخطيب مسجد «أمانة معاذ» في برمنجهام ببريطانيا:

المجتمع مجلة رائدة نحبها وتحبنا

حوار - د. أحمد عيسى:

منذ أن خرجت مجلة «المجتمع» الكويتية للوجود كمجلة كل المسلمين في العالم وهي تهدي أريجها إلى 120 دولة، وهي في ذلك تحاول أن تجمع المسلمين على كلمة سواء، بالخبر الصادق، وإجابة الخبير، تزكي النفوس، وتنشر العلم؛ حتى أصبحت مرجعاً خبرياً تاريخياً إنسانياً شرعياً أدبياً، كتب فيها جهابذة العلماء، ونخبة المفكرين، وأعلام الأدباء، وجعلت الاهتمام بأمر المسلمين في كل مكان على قمة أولوياتها.

ولقد أولت المجلة بمسلمي أوروبا اهتماماً خاصاً؛ نظراً للتحديات الإعلامية والسياسية والثقافية والتربوية التي يواجهونها، ولما يتعرض بعضهم للعنصرية، وكذلك لإلقاء الضوء على نشطاء العمل الدعوي والاندماج المجتمعي وقنوات التواصل مع الهيئات والحكومات.

ومن هذا الباب، التقيت مع أحد رموز الدعوة الإسلامية في برمنجهام، وهو الشيخ محمد سيف، إمام وخطيب مسجد «أمانة معاذ»، وهو مركز من مئات المراكز التي تصلها مجلة «المجتمع» باستمرار، وقد حاورته عن دور المسجد ورأيه في مجلة «المجتمع».

• هل لكم أن تعرفونا بمراحل تطور مسجد «أمانة معاذ»؟

- في سبتمبر 1993م، افتتحت «أمانة معاذ» الخيرية مركزها بمدينة برمنجهام، لتبدأ مستعينة بالله مشوارها الطموح الهادف إلى تلبية حاجة الجالية المسلمة التعليمية والاجتماعية والتربوية، الذي يهدف في الوقت نفسه إلى تقديم نموذج يجسد الإسلام في سماحته وسموه وتكامله، ويعد مسجد «أمانة معاذ» محور الارتكاز في تحقيق هذه الأهداف.

• هل للمسجد أهمية خاصة؟

- نعم، لقد اكتسب المسجد -بفضل الله- أهمية خاصة في حياة الجالية العربية والإسلامية في مدينة برمنجهام، التي تعد المدينة الثانية في بريطانيا بعد العاصمة لندن من حيث عدد السكان، وكذا نسبة المسلمين فيها؛ فهو من أكبر مساجد المدينة، وأكبر مسجد على مستوى مدينة برمنجهام يجتمع فيه أبناء الجاليات العربية مع أعداد مقدرة من أبناء الجاليات الأخرى، ولم يكن لهذه الجاليات قبل افتتاح مسجد الأمانة مكان واحد يجتمعون فيه على أداء شعائرهم وتوثيق صلتهم وأخوتهم، كما يتميز بأنه أكبر مسجد للنساء في المدينة.

كما أنه لم يعد مجرد مكان يشهد فيها الناس صلواتهم، وإنما اتسعت رسالة المسجد ليصبح مصدراً من مصادر التوجيه التي تسمو بالعقل والقلب؛ وذلك من خلال الخطب والدروس والمحاضرات والدورات العلمية وحلقات تحفيظ القرآن، وبرامج الشباب، وغير ذلك من الأنشطة التي تقام فيه بانتظام، ومن المميزات المهمة لمسجد الأمانة ذلك التكامل الذي يتحقق بين أنشطة المسجد التربوية والدعوية من جهة، وأنشطة المركز التعليمية والاجتماعية من جهة أخرى.

• ما أهم الأنشطة في مسجد «الأمانة»؟

- الأنشطة الدعوية والتوعوية: خطب الجمعة والعيدين باللغة العربية التي يحضرها الآلاف وتترجم إلى الإنجليزية ترجمة فورية، بالإضافة إلى المحاضرات الشهرية، والخواطر بعد الصلوات، والحلقات الأسبوعية للنساء التي يُستفاد فيها من بعض مقالات مجلة «المجتمع».

الأنشطة التعليمية: الدروس الأسبوعية في التلاوة والتجويد والتفسير والفقه، الدورات الشرعية، الحلقات القرآنية للأبناء والبنات، وهي 30 حلقة.

أنشطة الشباب: حيث يتم ترتيب برامج شهرية للشباب من سن 18 فما فوق، والفتيان والفتيات من سن 6 إلى 17 سنة، يحضر النشاط ما يقرب من 300 فتى وفتاة، يشمل البرنامج نشاطات تعليمية وتربوية وترفيهية بأساليب جذابة غير تقليدية، تناقش في البرنامج المواضيع والقضايا التي تهم الشباب، ويستضاف المختصون في ذلك.

الأنشطة الاجتماعية: الإفطارات الجماعية، العقود الشرعية، إصلاح ذات البين، الاستشارات الأسرية، دورات في المهارات الأسرية.

برنامج شهر رمضان المبارك: برنامج حافل يناسب عظمة المناسبة: ترتيب صلاة التراويح والتهجد، ترتيب برنامج المحاضرات والدروس والخواطر اليومية، تنظيم برنامج

الاعتكاف، تنظيم مسابقة القرآن الكريم، والمسابقة الثقافية والسُّنة النبوية والسيرة العطرة.

والحمد لله، فإن مما يميز هذه المدينة الإنجليزية كثرة المحبين لكتاب الله وإقبالهم المتزايد عليه من كل الأعمار، ويظهر ذلك في مسابقات القرآن الكريم التي تقام خلال السنة، وأهمها مسابقة شهر رمضان بمستوياتها المختلفة، التي ينظمها مسجد «أمانة معاذ»، التي يتقدم لها من مختلف الأجناس ومن كل الأعمار أعداد كبيرة، كما تقام في مسجد الأمانة مسابقة رمضانية في السُّنة المطهرة في حفظ أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وفي دراسة السيرة النبوية، ومن المبشرات اشتراك الشباب من الجنسين في هذه المسابقات، وهم من الفئات المهمة في المجتمع التي تمثل دين الله فيه وتدعو إليه.

● هل تصلكم مجلة «المجتمع» بانتظام؟

– نعم، تصلنا مجلة «المجتمع» والحمد لله.

● هل تطلعون على صفحات المجلة على الإنترنت؟

– نفضل متابعة المجلة ورقياً؛ ولذلك لا أتابعها على الإنترنت إلا نادراً.

● ما رأيكم في مجلة «المجتمع» وموضوعاتها؟

– مجلة «المجتمع» مجلة رائدة نحبها وتحبنا، ولا أبالغ إذا قلت: إنها قد أسهمت في تكويننا الفكري، وتربينا على يد كثير من كتابها؛ فموضوعاتها قيمة، ومجالاتها متعددة، تهتم بقضايا المسلمين وتتابع أحوالهم، وتواكب التجديد، وعن أصالة النهج لا تحيد.

● هل في المجلة ما يكفي لشؤون المسلمين في أوروبا؟

– اهتمام المجلة بشؤون المسلمين وقضاياهم في أوروبا والغرب عموماً جيد ونتطلع للمزيد.

● هل من أفكار ومقترحات لتطوير المجلة؟

– أتمنى على إدارة المجلة أن تدرس إمكانية ترجمة ما يخص الشأن الأوروبي والغربي إلى اللغة الإنجليزية، مع بقائه بالعربية، حتى تجذب القراء الشباب.■



راشد الغنوشي: المجتمع تحقق مقصد الشرع في الاهتمام بشؤون المسلمين

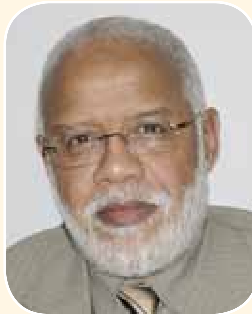
قال الأستاذ راشد الغنوشي، رئيس مجلس النواب التونسي رئيس حركة النهضة التونسية: «المجتمع» فرضت وجودها في الساحة الإعلامية لخمس عقود متتالية، ولها فضل كبير بما حققته من وعي سياسي واجتماعي وثقافي في الساحة الإسلامية بالمفهوم الحضاري الشامل وليس الحزبي أو السياسي، فهي تقدم نفسها مجلة لكل المسلمين، وليس لجماعة أو طائفة أو حزب.

وقوة مجلة «المجتمع» نابعة من كونها شاملة، فهي بمثابة أوراق مؤتمر شهري ينقل للمسلمين أخبار القلب والأطراف أولاً بأول، حيث لا تهتم بأخبار دولة واحدة ولا إقليم واحد ولا الدول الإسلامية المنضوية تحت لواء منظمة التعاون الإسلامي فحسب، بل إنها تهتم بالأقليات المسلمة في العالم، محققة مقصد الشرع في الاهتمام بشؤون المسلمين؛ «من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم»، وهي نقطة قوة مجلة «المجتمع» التي في نظري لم تضاهها أي مجلة في عمقها ومتابعة الأحداث سواء في فلسطين أو البوسنة أو كشمير أو تركستان أو الشيشان وأفغانستان، وقد غطت الكثير من الأحداث في هذه الأصقاع بما لم نلاحظه في أي مطبوعة أخرى.

وما يلاحظه قارئ «المجتمع» هو الاحترافية التي يتمتع بها كتَّابها، ورغم انتماءاتهم لم يخرجوا عن الموضوعية في طرح المواضيع؛ سواء كانت سياسية أو تاريخية أو حضارية، ملتزمين بالنهج الإسلامي.

ونحن نتقدم لـ«المجتمع» والقائمين عليها بالتهنئة بهذا الإشعاع المستمر منذ نصف قرن، وندعو الله بالثبات ومزيد التألق والإنجاز على طريق المتابعات الصحفية والتحقيقات والحوارات التي تنقل واقع المسلمين أينما وجدوا.■

محمد يتيم: المجتمع منارة إعلامية إسلامية مشعة



قال محمد يتيم، الوزير المغربي السابق رئيس حركة التوحيد والإصلاح المغربية سابقاً: مجلة «المجتمع» منارة إعلامية إسلامية مشعة، فتحنا عليها أعيننا منذ الأيام الأولى، حيث بدأنا نتدرج في مسار العمل الإسلامي في إطار الحركة الإسلامية المغربية الناشئة في أول تعبيراتها التنظيمية، فالمجلة كانت مصدراً من مصادر تعزيز الوعي الثقافي والتربوي والفكري الإسلامي، بل كانت نافذة على قضايا الإسلام والمسلمين.

المجلة حقاً مدرسة إعلامية متميزة وبديلة من حيث الشكل والإخراج، ومن حيث المضمون المتنوع والغني؛ إذ كانت دوماً طبقاً متنوعاً وشهياً لا تملك أن ترفع يدك وعينيك منه حتى تتصفح صفحاته، وتقرأ مواده المتنوعة بكل حمولتها الفكرية والمعرفية والتربوية والتحليلية والإخبارية.

شكراً لـ«المجتمع» وللقائمين عليها، ولمن أسهموا في بناء صرحها، وهو أحد الروح الإعلامية الشامخة، وبارك فيهم وفي جهودهم.■

إعلاميون وسياسيون باكستانيون:

المجتمع ظلت وفية لنهجها الإسلامي تجاه المسلمين بالعالم

إسلام آباد - ميديا لينك:

تحتفل مجلة «المجتمع» في هذا العام بـ«اليوبيل الذهبي» لها الذي تميز بالعطاء والعمل الدؤوب؛ حيث يمكن تصنيفها كأكبر مجلة إسلامية عربية وأكثرها عراقة وتأثيراً على الفكر الإسلامي.

وبهذه المناسبة، يقول بعض المثقفين والإعلاميين والقادة الإسلاميين الباكستانيين: إن مجلة «المجتمع» ظلت المنبر الإعلامي العربي الإسلامي الأبرز منذ ظهورها قبل نصف قرن، وتمكنت من الاستمرار في خدمة الفكر الإسلامي، والدفاع عن القضايا الإسلامية، ورافقت جميع الأحداث الإسلامية طيلة العقود الخمسة الماضية، وبسبب إخلاص رؤيتها وصدق منهجها تخطت جميع العقبات التي واجهتها، وواجهت غيرها من المطبوعات الإسلامية، وظلت صامدة وثابتة إلى أن بلغت نصف قرن من عمرها.

ويُجمع هؤلاء المثقفون على عظم الدور المؤثر للمجلة الذي قام به مؤسسها العم عبدالله علي المطوع يرحمه الله وفريق العمل بالمجلة من مؤسسين ومنظرين وإعلاميين طيلة الأعوام الخمسين، وبفضل جهودهم ومثابرتهم وتفانيهم نجحت المجلة حتى أصبحت المجلة الرائدة في العمل الإسلامي والمنبر الإسلامي الحر، ومارست دوراً في التصدي لحملات استهداف الهوية الإسلامية، والتكتم على القضايا الإسلامية من طنجة المغربية إلى إندونيسيا، ومن أفغانستان إلى البوسنة، ومن الصومال إلى بورما.

لقد كانت «المجتمع» في هذه الفترة سباقة في نشر الأخبار، والتعريف بأوضاع المسلمين؛ حتى باتت المرجع الرئيس لمن يريد أن يعرف الكثير عن المسلمين وفكرهم وقضاياهم، واشتهرت بعدها باسم «مجلة المسلمين حول العالم» باستحقاق.

منبر الكشميريين المظلومين

وفي سلسلة من اللقاءات مع بعض الإعلاميين البارزين في باكستان حول «اليوبيل الذهبي» لمجلة «المجتمع»، يقول الإعلامي جاويد الحسن: إن مجلة «المجتمع» انفردت بأنها كانت أهم مجلة اهتمت بقضية كشمير التي ترفض أغلب وسائل الإعلام تغطيتها بشكل صحيح وحقيقي، وظلت «المجتمع» المجلة الوحيدة التي تحولت إلى منبر للكشميريين المظلومين وإلى التعريف بمحنتهم التي مر عليها نحو سبعة عقود.

وفي رأي جاويد الحسن، فإن «المجتمع» لم تتوقف يوماً عن التعريف بقضايا المسلمين في كشمير والهند وأفغانستان وباكستان، وتميزت بنبرتها الإسلامية، وتغطيتها الصادقة أيضاً، وهو ما يستحق اليوم تهنئتها على هذا النجاح العظيم.

وهنأ القادة الإسلاميون في باكستان، بدورهم، مجلة «المجتمع» بدخولها نصف قرن من عمرها ونجاحها في تخطي جميع العقبات.

وقال زعيم الجماعة الإسلامية السابق في جامو وكشمير البروفيسور عبد الرشيد الترابي: كانت «المجتمع» المنبر الحر الذي تحدث من خلاله عشرات المرات في حوارات صحفية طيلة العقدين الماضيين، وهي التي فتحت صفحاتها لي للتعريف بقضية مسلمي كشمير، والكشف عن المظالم الهندية هناك.

ويؤكد الترابي أن «المجتمع» كانت أفضل مجلة عربية إسلامية خدمت القضية الكشميرية، ونقلت معاناة مسلمي

كشمير..
قد تفجر حرباً جديدة في شبه القارة الهندية

موضوع الغلاف
مخطط غربي لتفكيك باكستان

شؤون دولية
٦٦ عاماً.. إقليم كشمير مازال تحت مقصلة الاحتلال!

الهند، ولم تتأخر يوماً واحداً عن نصرتهم، ودعا «المجتمع» إلى الاستمرار في نهجها لخدمة قضايا المسلمين والدفاع عن الهوية الإسلامية.

وبدوره، قدم أمير جمعية علماء إسلام مولانا فضل الرحمن تهانيه لمجلة «المجتمع» ببلوغها نصف قرن من العمل الكبير لخدمة المسلمين، مؤكداً أن «المجتمع» هي المجلة الإسلامية الوحيدة التي حاورت والده مفتي محمود الذي قاد الباكستانيين لمواجهة استهداف هوية باكستان في عام 1977م، ونقلت أفكار جمعية علماء إسلام ودور محمود في تطبيق الشريعة الإسلامية يومها.

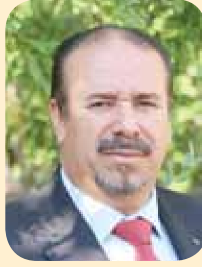
وأضاف فضل الرحمن أنه تشرف باللقاء مع «المجتمع» عدة مرات في العقدين الماضيين، وتحدث فيها عن تطبيق الشريعة الإسلامية في باكستان، ودور علماء الدين في حماية الهوية الباكستانية، واختتم بالقول: لا يختلف اثنان في باكستان على أن «المجتمع» مجلة رائدة وتستحق الإشادة.

وكانت شخصيات سياسية باكستانية قد التقت مع «المجتمع» في العقدين الماضيين، وما زالت، ومن بينها راجا ظفر الحق، وزير الإعلام الباكستاني السابق، الأمين العام للمؤتمر الإسلامي، الذي قدم تهانيه لمجلة «المجتمع»، وأكد أنه التقى مع مراسل «المجتمع» عدة مرات في إسلام آباد للحديث حول كشمير وأفغانستان وباكستان وغيرها من القضايا الإسلامية، وأنه وجدها المنبر الإسلامي الصادق في تناول الأوضاع بالبلاد الإسلامية.

ويقول طلاب وأساتذة في القسم الإعلامي بالجامعة الإسلامية بإسلام آباد من المتابعين للإعلام الناطق بالعربية: ظلت مجلة «المجتمع» مرجعهم الرئيس لسنوات طويلة في التعرف على القضايا الإسلامية التي تتميز -كما يقولون- بأنها ظلت وفية لمنهجها الإسلامي المعتدل، ولم تغير من أفكارها المعتدلة خدمة للدعوة الإسلامية، وهو الأمر الذي أكسبها احتراماً كبيراً بين خبراء وأساتذة الإعلام في الجامعات الباكستانية.

ويقول أساتذة في الجامعة الإسلامية: إن «المجتمع» ببلوغها نصف قرن تستحق التهنئة والدعاء بأن تستمر على نهجها وأفكارها لخدمة المسلمين.■

المجتمع أولى المجلات العربية والإسلامية



مجلة «المجتمع» عريقة وقديمة، ومن المجلات الأولى عربياً وإسلامياً التي شاركت في تشكيل وعي الشباب والمسلمين ليس فقط في العالم العربي، بل هي منتشرة في أوروبا والكثير من البلدان وتتابعها الأجيال المتعاقبة.

وحين كنتُ طالباً بالجامعة في ثمانينيات القرن الماضي، كنت على الدوام أتابعها أنا والطلبة في الجامعة، ننهل منها الكثير من العلوم الدينية والسياسية، ومواضيعها التي تنشرها ثرية للغاية، وبدون شك لها دور كبير في الدفاع عن القيم الثقافية الإسلامية، وهي تعالج الكثير من الملفات التي تهم الشباب واهتمامات العصر، وهي مجلة رائدة وتاريخية لها اسمها وتأثيرها في الجماهير بكافة أنواعها.

كما تهتم مجلة «المجتمع» بقضايا الأمة جمعاء، والقضية الفلسطينية حاضرة باستمرار في كافة أعدادها وعلى موقع المجلة الإلكتروني، وجل مواضيعها تتناول القدس والأقصى وعدوان الاحتلال الصهيوني على الشعب الفلسطيني، وتُظهر صمود الشعب الفلسطيني في وجه الاحتلال ومخططاته الهادفة لتهويد المقدسات والأرض الفلسطينية، وتسليط الضوء من قبل «المجتمع» على هذه الموضوعات يفضح ممارسات الاحتلال ويظهر للأمة ما تعانيه فلسطين والأقصى والشعب الفلسطيني من ظلم وعدوان الاحتلال، ويجب نصرتهم والوقوف إلى جانبهم، وهذا يعكس المصداقية والموضوعية وفلسطين حاضرة على الدوام.

فمجلة «المجتمع» منبر من المنابر الإعلامية العربية والإسلامية المميزة التي تهتم بالقدس وتفاصيل القضية الفلسطينية، ورغم أن الإعلام تطور بشكل كبير، ما زالت المجلة تحافظ على جمهورها من القراء الذين يتابعونها على مدار خمسين عاماً؛ لأن مواضيعها نوعية إسلامية روحية ثقافية.

وبهذه المناسبة، نبعث التحية للكويت الوفية لقضايا الأمة التي تحارب التطبيع مع الاحتلال، والوفية للقضية الفلسطينية، ونحن نهنئهم بهذه المناسبة العظيمة، ونهنئ القائمين على هذه المجلة لدورها العظيم في خدمة قضايا الأمة.■

د. حسن خاطر.. مدير مركز القدس الدولي

المجتمع منبر إعلامي حر



مجلة «المجتمع» كنتُ أتابعها وأنا في ألمانيا عندما كنت فيها للدراسة، فهي قبلة الطلاب المسلمين بالعالم في كل الجامعات، حتى إننا كنا نعتبرها منبرنا الإعلامي الأول، وعندما قدمت إلى فلسطين بقيت مجلة «المجتمع» مصدرنا للمعرفة في الداخل الفلسطيني المحتل الذي يعاني من إجراءات الدولة العبرية، فشباب الحركة الإسلامية في الداخل منذ أواخر السبعينيات، كانت مجلة «المجتمع» بالنسبة لهم المجلة المرغوبة بكافة مواضيعها، فهي لها بصمة على جيل الشباب المسلم الملتزم في الداخل الفلسطيني عام 1948م، فغرس مجلة «المجتمع» قد أثمر منذ خمسين عاماً، وهذا النجاح لها يكتب بمداد من ذهب، وهذه شهادة للتاريخ والأجيال القادمة، فهذا العمر من تأسيسها حقق أهدافه المرجوة من نشأة جيل معتز بدينه وصاحب فكر معتدل ووسطي، بعيداً عن التطرف والانغلاق.■

البروفيسور إبراهيم أبو جابر.. من الداخل الفلسطيني المحتل

ذاكرة المجتمع ومحطات مهمة في تاريخ الأمة

قراءات في مشروع الاتفاق الفلسطيني - الإسرائيلي

لماذا يرفض الفلسطينيون اتفاق «غزة - أريحا أولاً»



الثورة تنتصر

في يوليو الماضي (٢٠١٠م)، نشرت مجلة «إيكونوميست» البريطانية دراسة مهمة بعنوان The long wait أو «الانتظار الطويل»، كانت تنبأً فيه ضمناً بما سيحدث في مصر من ثورة، عبر سرد معلومات عن التدهور الاقتصادي والفساد والرشوة والمحسوبية المحيطة بالرئيس «مبارك»، وعدم مبادرته بوضع نهاية له، وصل إلى حد وضع صورة مركّبة على غلاف العدد للرئيس بالزي الفرعوني كتمثال يغرق في رمال الصحراء.

توزّخ لفجر عربي جديد..

مستقبل مصر بعد «ثورة ٢٥ يناير»

محمد جمال عرفة

دروس من الأزمة مع البداية الجديدة



...س إلى إسطنبول وسوف يعود أيا صوفيا كمسجد للمسلمين



موضوع الغلاف

تتيح صناعة أسلحة فتاكة أصغر من حجم النمل..

تكنولوجيا الـ «نانو» ترسم مستقبل العالم

أخطر من أنفلونزا الخنازير!

الصهاينة يلتهمون ثروات أفريقيا

الماس والموساد و«سي آي إيه»..

يشعلون محرقة عرقية دائمة هناك

الحرب الرابعة أهدافها وأبعادها

تدمير مصر - وصول الحرب الإسلام في العمق

الاستيلاء على منابع البترول في الخليج والجزيرة

قصة السد الإثيوبي..

الكيان الصهيوني وأمريكا يضربان مصر من إثيوبيا بـ«سد النهضة»

لماذا يغمض الإعلام عيونه عنهم ويتجاهل المجتمع الدولي مآسيهم؟!

مسلمو «زنجبار»

ينتظرون دعماً عربياً وإسلامياً لتثبيت هويتهم

ملحد وأفتخر!! «أحدث صرعة في عالم الإنترنت»

الكنيسة الغارقة في الشذوذ.. تصر على التنصير!!

صفقة رخيصة بين اليمين المتطرف والكنائس الأوروبية

الفاتيكان.. بين الجرائم الجنسية والحرب على الإسلام

﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾

تجارة تبيع «الوهم» وتبتز الأموال.. يتسابق عليها أثرياء كبار في الغرب لا يؤمنون بالموت ولا بيوم القيامة

«كريونيكس».. حفظ الجثث وتجميدها انتظاراً لعودة الحياة مرة أخرى!!

علماء الأمة ومؤسساتها الخيرية والدعوية يتحدثون عن سجله الحافل بالعطاء

الشيخ نادر النوري.. مسيرة الخير الزاهرة

الصهاينة يدعمون «الشذوذ» في العالم العربي!

في ذكرى مرور ٥٢٠ عاماً على ضياعها

الثاني من يناير من كل عام.. يوم تنتحب فيه غرناطة حزناً على الدولة الضائعة

رحلتي مع مجلة المجتمع



بقلم: أ.د. عماد الدين خليل

كاتب ومفكر عراقي

في منتصف سبعينيات القرن الماضي وبعد خمس سنوات فحسب من صدور مجلة «المجتمع»، بدأ تعاملي معها بمقال يحمل عنوان «القرآن والبعد الزمني»، ثم ما لبثت بعد أسابيع قلائل أن أعقبته بمقال آخر يحمل عنوان «مواقع العلم والدين»، راحت بعدها مقالاتي تترى من خلال مقال أو مقالين في كل شهر؛ حيث كانت المجلة تصدر أسبوعياً منذ تأسيسها وحتى سنوات قلائل.

في العقدين الأخيرين من القرن الجديد، تحولت لكتابة المقال الأسبوعي في صفحة المجلة الأخيرة، واستمر ذلك حتى عهد قريب عندما تحولت إلى مجلة شهرية إلكترونية، بجانب تقليص المنشور ورقياً منها إلى عدد محدود.

كنت أحس بسعادة غامرة وأنا أرى رئاسة تحرير المجلة وهيئتها ترحب بتواصلي المستمر معها؛ فكان ذلك بمثابة المحفز الذي يدفعني لبذل الجهد من أجل تغطية المطلوب عبر مقال يُنشر كل أسبوع، ولن أكون وفياً مع «المجتمع» إن لم أعلن أنها من بين عدد محدود من المجلات التي تعاملت معها بشكل شبه مستمر من مثل «الأمة» و«الدوحة» القطريتين، و«المسلم المعاصر» المصرية، و«العربي» الكويتية، كانت أحد العوامل الأساسية في استمراريتي على الكتابة والتأليف؛ حيث أتيح لي أن أنشر عشرات الكتب في سياقات التاريخ والحضارة والفلسفة والمنهج والفكر الإسلامي والأدب الإسلامي تنظيراً ونقداً وإبداعاً، ومن قبل هذه المجلات كانت «حضارة الإسلام» الدمشقية هي الأخرى مما كنت أنشر على صفحاتها مقالاتي المتواصلة شهراً بشهر على مدى عشرين عاماً قبل أن يصدر قرار بوقف المجلة.

المجلات المذكورة كلها توقفت عن الصدور فيما عدا «العربي» و«المجتمع»، وها هي أخراهما تجتاز رحلة الخمسين عاماً من الكفاح المتواصل في إيصال الخطاب الإسلامي الأصيل والفاعل إلى ضمير الأمة وعقلها ووجدانها، وما ذلك إلا بسبب من قدرة القائمين عليها في إخراجها بالشكل والمضمون الذي يعرف كيف يتعامل مع جماهير القرّاء والمثقفين.

وإذ تحتفل المجلة في عددها هذا بـ«يوبيلها الذهبي»، فإنني أدعو الله سبحانه أن يوفق العاملين عليها بأن يواصلوا الطريق إلى المحطة التالية: «اليوبيل الماسي»، بنفس القدرة من الإبداع الذي يعرف كيف يخاطب آلاف المتابعين في البلدان العربية والإسلامية، ويتابع بمعاييره الأصيلة ما يجري في الساحة الإسلامية عبر مشارق الأرض ومغاربها.

فهنيئاً للمجلة في عيدها الخمسيني هذا، وهنيئاً لكل من أسهم في الكتابة على صفحاتها، ولكل القائمين عليها، ودعواتنا القلبية بأن يوفقها الله سبحانه لكي تواصل رحلتها المباركة والميمونة هذه.■



أ.د. عماد الدين خليل(*)

الدم الرخيص!!



الإيمان.. ذلك المعامل الحضاري

أ.د. عماد الدين خليل(*)



الأخيرة

بقلم: أ.د. عماد الدين خليل(*)

حول بدايات الفعل الحضاري الإسلامي

نمطان من الناس

أولويات الصحافة الإسلامية المعاصرة..

دراسة استطلاعية لمجلة المجتمع الكويتية

د. حسان عبدالله حسان
أستاذ أصول التربية المساعد - جامعة دمياط

يحتاج الإعلام «الإسلامي» جملة إلى مراجعة منهجية وفكرية في ضوء المتغيرات المعاصرة التي تحياها الأمة، سواء على المستوى الداخلي أو الخارجي، ومن بين ذلك الصحافة الإسلامية التي تأسست في ظروف شبه مغايرة لما تعيشه الآن، سواء من ناحية التحديات الفكرية، أو التكنولوجية والاتصالية.

نسعى في هذه المقالة إلى متابعة استطلاعية لمجلة «المجتمع» الكويتية بمناسبة مرور نصف قرن على تأسيسها، وإن كان من الصعوبة بمكان تأطير عمل علمي في هذه المساحة المتاحة للمقالة، إلا أننا سوف نقدم إشارات حول طبيعة الإسهامات التي قدمتها، وأولوياتها من خلال دراسة استطلاعية عامة تشمل 25 عدداً على فترات زمنية، لا تفي بكل تأكيد بالعمل المنهجي العلمي، ولكنها ترتبط بظروف المساحة المتاحة.

المجلة أكدت من البداية أن وظيفتها إصلاحية اجتماعية بالمقام الأول واتجاهها الفكري ينطلق من شمولية الإسلام

السياسات التحريرية (المبادئ الفكرية):

ينطلق كل عمل صحفي من مبادئ، قد تكون معلنة، على صفحات الجريدة نفسها، وقد تلاحظ أو تستنبط من طريقة عملها، والذي يمكن أن نلاحظه هنا في مجلة «المجتمع» التي صدر العدد الأول منها في 17 مارس 1970م، أنها صدَّرت في هذا العدد جملة من المبادئ نحسب أنها تمثل المبادئ الفكرية الكبرى التي تنطلق منها، كما أنها تحمل في ذات الوقت المسوغات المشروعة للتأسيس، وقد ذكرت المجلة في ذلك خمسة خطوط عريضة تمثل تلك المبادئ الفكرية الكبرى التي تحدد لها إطار العمل، وهذه الخطوط هي[1]:

أولاً: التوجه الثقافي والإطار الفكري، فتذكر: «هذه الصحيفة تصدرها هيئة إسلامية، وهي صحيفة تستمد فكرها الأصيل من الإسلام وعلى ضوئه وبمقاييسه».

ثانياً: مبدئية «الإصلاح»: تشي المجلة أن وظيفتها «إصلاحية» اجتماعية في المقام الأول، وتذكر في ذلك: «إن هذه الصحيفة سوف تكتب في كل القضايا التي تهم أمتنا، وتعالج مشكلات المجتمع بكل جرأة وأمانة».

ثالثاً: مبدئية «الشمول»: تنظر المجلة إلى الإسلام نظرة شاملة، وترى أن ذلك يمثل الاتجاه الفكري الذي تتبناه المجلة، وتشير إلى ذلك بقولها: «إن الإسلام دين شامل يعالج مشكلات الحياة فيصلحها، وأننا نرفض بشدة تجزئة النظرة إلى الإسلام، فالمسلم إنسان يعيش في مجتمعه ولن يتخلى عن قضاياه».

رابعاً: مبدئية «العالمية»: تحدد الصحيفة نطاق عملها الجغرافي بأنه يشمل كل المسلمين في كل العالم، وأنها بذلك صحيفة تنطلق من عمقها الإسلامي وتؤمن بمبدأ الأمة الواحدة، وتقول في ذلك: «.. هذه الصحيفة سوف تقف على أرض الإسلام في كل مكان، وتدافع بكل قوة عن المسلمين في كل قضاياهم، فهي عالمية لأن الإسلام دين عالمي».

خامساً: مقصدية «الأمة»: حددت الصحيفة مقصدها الفكري والاجتماعي لها، وهو ميدان الأمة بمفهومها الإستراتيجي (الفكري والعقدي والسياسي والجغرافي)، وتذكر في ذلك قولها: «.. هذه الصحيفة سوف تدق أجراس الخطر في كل مكان حتى يجتمع المسلمون في صعيد واحد، ويجابهوا أعداءهم في صراحة ووضوح حتى يتحقق لهم النصر».

أولويات «المجتمع»

يمكننا أن نلاحظ أولويات الاهتمام لدى مجلة «المجتمع» من خلال الوقوف على قالبين تحريريين؛ الأول: موضوعات الغلاف، والثاني: الافتتاحية، ومن خلال الدراسة الاستطلاعية للأعداد التي قمنا بتحليلها، خلصنا إلى النتائج التالية المتضمنة في الجدول التالي:

الموضوع	التكرار	الرتبة
قضايا تربوية	10	1
قضايا الأمة	5	2
قضايا داخلية	1	3
قضايا اقتصادية	1	3
قضايا فكرية	1	3
قضايا اجتماعية	1	3
قضايا دولية	1	3

جدول (1) أولويات اهتمام مجلة «المجتمع» من خلال «موضوع الغلاف»

من موضوعات فئة «القضايا التربوية» التي اهتمت بها المجلة على صدر غلافها:





«الشائعات وأثرها على المجتمعات»[2]، «عام دراسي جديد»[3]، «القيم والمجتمع.. حماية متبادلة»[4]، «الصحة النفسية.. بين الاستقرار والأزمات»[5]، «ماذا أحدث فينا رمضان»[6]، «الشباب العربي.. الواقع والتحديات»[7]، «تربية النشء.. في ظل الواقع الجديد وتطوراته»[8]، «رمضان إعداد وتربية»[9]، «الواقع الصحي بالعالم الإسلامي»[10]، «الدراما بالعالم الإسلامي.. ثنائية القيم والهوية»[11].

أما موضوعات فئة «القضايا الإستراتيجية»، فتناولت العناوين التالية: «صعود اليمين المتطرف وأثره على المسلمين»[12]، «المبعدون الفلسطينيون»[13]، «صفقة القرن: الوطن البديل»[14]، «رهان الأمريكان اليهود على العرب»[15]، «الأمن القومي العربي: الواقع والطموح»[16].

كما اهتمت المجلة بالقضايا الداخلية الخليجية كما جاء في عنوان «الأمن والاقتصاد على قمة الأولويات الخليجية»[17]، وعن القضايا الاقتصادية جاء عنوان «واقع الاقتصاد العربي.. مشكلات وحلول»[18]، وفيما يتعلق بفئة القضايا الفكرية تناولت المجلة موضوع «التراث الإسلامي.. كنز لا ينضب»[19]، وعن فئة القضايا الاجتماعية تناولت المجلة موضوع «واقع المرأة المسلمة»[20]، ومن القضايا الدولية التي تناولتها المجلة قضية «الهجرة»، وهي من القضايا التي أقلقت المجتمعات المهاجَر إليها في العقود الأخيرة، وجاءت تحت عنوان «الهجرة.. رحلة البحث عن حياة أفضل»[21].

القضايا التربوية استحوذت على موضوعات غلافها لكن قضايا الأمة استحوذت على موضوعات افتتاحياتها

الموضوع	التكرار	الرتبة
قضايا الأمة	14	1
قضايا داخلية	3	2
قضايا دولية	3	2
قضايا الإصلاح والتجديد	2	3
قضايا تربوية	1	4

جدول (2) أولويات مجلة «المجتمع» من خلال «الافتتاحية»

من خلال نتائج الدراسة الاستطلاعية (ذات العينة المحدودة) للافتتاحية، جاء الاهتمام في الرتبة الأولى لقضايا الأمة الإستراتيجية، ومن العناوين التي جاءت فيها: «كشمير.. وابتلاعها من الهند»[22]، «ذكرى إحراق المسجد الأقصى»[23]، «هرولة التطبيع والجري وراء السراب»[24]، «ذكرى يوم الأرض ومسيرة العودة»[25]، «الكويت بمجلس الأمن قدوة للعالم الإسلامي»[26]، «الشعوب العربية والإسلامية ستفشل صفقة القرن»[27]، «الأمن والاقتصاد في قمة الأولويات الخليجية»[28]، «الأمريكان يلعبون بورقة الحرب في الخليج»[29]، «هل يتدخل العالم لإنقاذ الأقصى من خطر الحفريات الصهيونية؟»[30]، وعن ظاهرة «الإسلاموفوبيا» جاء موضوع «حادث نيوزيلندا الإرهابي.. ومواجهة ظاهرة الإسلاموفوبيا»[31]، كما اهتمت الافتتاحيات بالقمم الإسلامية وجاءت تحت عناوين: «توصيات القمة وواقع الأمة»[32]، «هل تحقق القمة الإسلامية المصغرة ما دعت إليه؟»[33]، كما طرحت الافتتاحية أيضاً أفكاراً حول وحدة الأمة من خلال أركان العبادات مثل «رمضان وتوحيد صفوف الأمة»[34].

أما فئة قضايا «الإصلاح والتجديد» فتناولت الافتتاحية الموضوعات التالية: «التغيير المنشود يكون بالعودة إلى الإسلام الصحيح»[35]، «الالتزام بالإسلام مطلب الشعوب»[36]، وعن القضايا الداخلية، تناولت الافتتاحية موضوعات، منها: «مجلس الأمة وأولويات المرحلة»[37]، «مواجهة الفقر وإغناء الإنسان.. إستراتيجية كويتية»[38]، «ذكرى الاستقلال والتحرير.. والحاجة إلى المصالحة الوطنية»[39].

ومن القضايا الدولية التي جاءت ضمن الافتتاحية قضية الإرهاب، وجاءت تحت عنوان «لنحاصر الإرهاب قبل أن يتوسع»[40]، ومن القضايا التربوية تناولت الافتتاحية موضوع «البحث عن السعادة»[41].



شعار المجلة:

من المواضع التي يمكن من خلالها الوقوف على أولويات المجلة، ما يتعلق بشعارها، وقد كتبت المجلة في صدر عددها الأول أنها «إسلامية».



ثم عُدل هذا الشعار إلى «مجلة المسلمين في أنحاء العالم»، والفرق يتضح وكأن الشعار الأول يبدأ من داخل الإسلام ثم ينطلق إلى المسلمين، أما الثاني فهو يبدأ من عالم الأمة إلى عالم الفكرة الإسلامية، وهي جدلية لا تخلو من فقه الواقع ودراسته التي يجب أن تتصدر العمل الإعلامي الإسلامي في الوقت المعاصر.

شعارها الجديد يبدأ من عالم الأمة إلى عالم الفكرة الإسلامية مراعياً فقه الواقع ودراسته

كذلك أيضاً، فإن المجلة جعلت في فتراتها الزمنية الحديثة آية قرآنية ثابتة تشغل مساحة في الغلاف الداخلي لها، وهي لا تخلو من معنى تربوي وعقدي في آن واحد ترتبط ببناء شخصية المسلم المتوجه دائماً من الغيب إلى الشهود، ومن الشهود إلى الغيب، وهي حالة تشير إلى الاتصال الدائم بالله تعالى والمراقبة المستمرة، والعمل الدؤوب في الحياة الدنيا من أجل الآخرة.

نختتم بما بدأنا به وهو أن الصحافة الإسلامية في ظل المتغيرات المعاصرة الداخلية والخارجية التي تحيط بالأمة، تحتاج إلى متابعة علمية ومنهجية، من أجل تطوير أدواتها ووسائل التناول وأشكاله، وكذلك من حيث المضمون والقضايا بما يتلاءم مع الاستجابة لهذه المتغيرات من ناحية، والتأكيد على الوظيفة الحضارية للأمة -من ناحية أخرى- التي يجب أن تكون في بؤرة الاهتمام الفكري لكل العاملين في المجال الإعلامي.■

حركة «المجتمع» في فضاء الإعلام

أمر الله سبحانه وتعالى المسلم أن يعيش حياته نسيجاً واحداً متكاملاً شاملاً لله عز وجل، وأمره أن يكون شعاره في الحياة ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ (الأنعام).

وأراد الإسلام من أتباعه أن يعيشوا حياتهم الاجتماعية والسياسية والعلمية والنفسية والتربوية والإعلامية، وما شئت من أسماء ومسميات مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بعرى هذا الدين سواء بسواء، ومن هذا المنطلق القيمي تنطلق «المجتمع» في فضاء الإعلام، متخذة شمولية الرسالة الإعلامية شعاراً لها؛ فتجمع بين الشأن الديني والتناول السياسي والتحليل الاقتصادي والتوجيه الأسري والتربوي.■

الهوامش

(1) انظر: العدد الأول، مجلة «المجتمع».
(2) انظر: عدد (2137).
(3) انظر: عدد (2135).
(4) انظر: عدد (2131).
(5) انظر: عدد (2130).
(6) انظر: عدد (2120).
(7) انظر: عدد (2118).
(8) انظر: عدد (2117).
(9) انظر: عدد (2119).
(10) انظر: عدد (2126).
(11) انظر: عدد (2127).
(12) انظر: عدد (2139).
(13) انظر: عدد (1031).
(14) انظر: عدد (2133).
(15) انظر: عدد (798).
(16) انظر: عدد (2089).
(17) انظر: عدد (790).
(18) انظر: عدد (2121).
(19) انظر: عدد (2129).
(20) انظر: عدد (2123).
(21) انظر: عدد (2134).
(22) انظر: عدد (2135).
(23) انظر: عدد (2123).
(24) انظر: عدد (2129).
(25) انظر: عدد (2118).
(26) انظر: عدد (2120)
(27) انظر: عدد (2121)
(28) انظر: عدد (790).
(29) انظر: عدد (798).
(30) انظر: عدد (2127).
(31) انظر: عدد (2130).
(32) انظر: عدد (1031).
(33) انظر: عدد (2139).
(34) انظر: عدد (2119).
(35) انظر: عدد (1528).
(36) انظر: عدد (790).
(37) انظر: عدد (2137).
(38) انظر: عدد (2126).
(39) انظر: عدد (2117).
(40) انظر: عدد (2131).
(41) انظر: عدد (2133).

رموز الأقليات المسلمة:

«المجتمع» جسر ينقل واقعنا إلى العالم الإسلامي

محمد سرحان
صحفي مصري مقيم في تركيا

بين سطور عددها الأول الصادر في مارس 1970م، كانت أخبار «الأقليات المسلمة» حاضرة في صفحات مجلة «المجتمع» كركن أصيل ضمن سياستها التحريرية؛ انطلاقاً من رسالتها، وأهمية أن تكون المجلة جسراً يعبر من خلاله المسلمون في كل بقاع الأرض إلى أخبار وواقع بعضهم بعضاً، وهي نافذة يتعرف عن طريقها المسلم في الوطن العربي على أخبار إخوانه المسلمين في الدول غير المسلمة.

بينما أتصفح أرشيف الأعداد، طالعت أخباراً بالعدد الأول حول مسلمي تنزانيا وما كانوا يعانونه من اضطهاد في أعقاب مذابح «جوليوس نيريري» بحق المسلمين هناك لا سيما زنجبار، وكذا أخباراً عن مسلمي الهند وجنوب الباسفيك، ومن وقتها أخذتْ «المجتمع» على عاتقها إفراد مساحة للمسلمين حول العالم، وباب مخصص في موقعها لهذا الغرض، باعتبارهم جزءاً من الأمة، ومكوناً رئيساً من مكوناتها، وعلى مدى 50 عاماً هي عمر المجلة، لم تألُ «المجتمع» جهداً في سبر أغوار واقع المسلمين حول العالم في أعدادها أو متابعاتها اليومية على موقعها الإلكتروني.

الإسلام في الصين.. تاريخ يستحق الانتباه:

يقول د. أسامة منصور، الأستاذ بجامعة القوميات في الصين: في الوقت الذي يحظى المسلم في الدول الإسلامية بكامل حريته الدينية، فإن كثيراً من الأقليات المسلمة في العالم تواجه تحديات كبيرة وضغوطاً متنوعة في ممارسة شعائرهم، وحتى في احتفالاتهم بالأعياد والمناسبات الدينية، ويحتاجون دوماً لمن يهتم بأحوالهم، وتعتبر مجلة «المجتمع» إحدى المنصات التي خصصت وقتها وأفسحت صفحاتها للاهتمام بقضايا المسلمين حول العالم، ولها أياد بيضاء في هذا الصدد، وجهدها مشكور، وبحكم معيشتي وعملي وسط أقلية تعد هي الكبرى في العالم؛ وهي مجتمع المسلمين في الصين، فإن مجلة «المجتمع» قدمت عدة تغطيات لأخبار المسلمين في الصين، منها تقرير حول أهم وأشهر المساجد التاريخية في الصين، وأبرزت هذه المساجد ودورها التاريخي في حياة المسلمين الصينيين.

ويضيف منصور: رغم الدور الكبير للمجلة، فإن ملف مسلمي الصين يحتاج وقفة ونظرة، فالإسلام في الصين عمره بعمر الإسلام في بلاد العرب، وقد اجتاز خلال هذه القرون اختبارات صعبة، استطاع الصمود خلالها حتى أصبح أحد أديان الصين الرئيسة، واستطاع المسلمون أن يسطروا لأنفسهم تاريخاً عريقاً، وظهرت فيهم شخصيات عظيمة تفتخر بها الأمة

رغم أنها عربية المنشأ فإنها كانت صاحبة هوية مسلمة بإبرازها قضايا الأقليات المسلمة وفي القلب منهم الروهنجيا



الصينية كلها، أضف إلى ذلك ما خلفه المسلمون الصينيون من مساجد تاريخية عريقة تعتز الصين بوجودها على أرضها، وقد ضمت الكثير منها ضمن الآثار المحمية على مستوى البلاد، ومن هنا فكل هذا الإرث الحضاري لمسلمي الصين يحتاج من مجلة «المجتمع» أن تسلط الضوء عليه استكمالاً لدورها الرائد في إبراز الدور الحضاري للمسلمين حول العالم ودعم قضاياهم.

ابنة كويت الخير:

يقدم د. إبراهيم بالكيلاني، مدير مدرسة الرابطة الإسلامية بالنرويج، التهنئة لمجلة «المجتمع» بمناسبة مرور نصف قرن على إصدارها، ويقول: تعد مجلة «المجتمع» من أبرز المجلات العربية الجادة، وكل من يحمل اسم «المجتمع» عليه أن يكون في مستوى المسؤولية المجتمعية العامة، ومجلتنا «المجتمع» هي ابنة كويت الخير، وخطها التحريري ومجالات تغطيتها وقضاياها المرسومة على صفحاتها يجعل منها مجلة رائدة، تتنقّل بقارئها في فضاءات الجغرافيا انطلاقاً من الوطنية الصادقة، والإيمان بالأمة الإسلامية الواحدة بتنوعها، فهنيئاً لـ«المجتمع» وأسرة تحريرها بمسيرة الجهد والعطاء المستمر، وهنيئاً للكويت.

ومن البوسنة، تقول الصحفية والكاتبة مريم تولتش: أقرأ مجلة «المجتمع» منذ أن كنت في التاسعة من عمري، كانت بالنسبة لي مدداً لا ينضب من المعرفة، وأذكر أن العدد الواحد كانت تتداوله ربما عشر أيادٍ من أسرتي البوسنية، بمن فيهم صديقة أمي السّورية، وجيراننا الفلسطينيون، كانت «المجتمع» من أوائل المجلات العربية في تغطية حرب البوسنة والهرسك، وأذكر حينها أن الصحفي أحمد منصور كان ينشر في «المجتمع» يوميّات الحرب والدمار من داخل البوسنة، وعدداً من المقالات التي تحلّل وتتابع ما يجري، ما أشعرَ عائلتي بأن قضية مسلمي البوسنة جزء من الهمّ العام للأمتين العربية والإسلامية، وأن البوسنيين ليسوا وحدهم في هذه الحرب.

وتضيف تولتش: ورغم انقطاعي عن المجلة بعد الجامعة والسّفر ثم انشغالات الحياة، فإن الأيام أعادتني إليها مجدداً عبر أصدقاء صحفيين يكتبون فيها، ومنهم الأستاذ عبدالباقي خليفة الذي كنت أتابع تقاريره عن البوسنة والهرسك والبلقان عامة، بالإضافة إلى باب «مسلمون حول العالم»، وعدت لقراءة صفحاتها ومواضيعها، ومع تغيّر الزّمان وتعدد وجهات الاطّلاع وتطورها الكبير، ما زالت «المجتمع» تحمل مكانتها المتميّزة.

ومن صربيا يقول د. خير الدين باليتش، الأستاذ بكلية الدراسات الإسلامية في صربيا: إن مجلة «المجتمع» تعتبر منبراً إعلامياً إسلامياً كانت -وما زالت- تهتم بقضايا المسلمين في كل أنحاء العالم وخاصة الأقليات المسلمة، وقد كنت وأنا طالب أتابع المجلة لما تنشره، وكونها منبر آراء المفكرين من القوميات المختلفة، منها القوميات المسلمة في شرق أوروبا مثل قومية البوشناق والألبان، وما كان للمجلة من دور أثناء حرب البوسنة، وواقع المسلمين في البلقان عموماً، وأتمنى على «المجتمع» الاستمرار في تغطية أحوال المسلمين حول العالم مع الاهتمام باللغات الأخرى.

مسلمو روسيا.. حاضرون في صفحات «المجتمع»:

ومن روسيا، يهنئ د. نضال الحيح، نائب مفتي حوض الفولكا للعلاقات الخارجية، «المجتمع» بمناسبة مرور 50 عاماً على إصدارها، ويرى أن المجلة مارست دوراً مهماً وكانت وما تزال منصة للخبر الصادق والمتابعات المستمرة لواقع المسلمين حول



العالم، في وقت قلما تجد من يبحث في قضايا أقليات مسلمة تعيش متناثرة في أطراف هذا العالم الواسع والمتعدد بثقافاته، فـ«المجتمع» تعتبر صوت هؤلاء، على مدى مسيرة 50 عاماً من البذل وخدمة قضايا الأقليات المسلمة، ونحن كأقلية مسلمة في منطقة حوض الفولكا وسط روسيا نعبر عن شكرنا العميق لأسرة مجلة «المجتمع» لما أولته من اهتمام، وأفسحت المجال لنا للتواصل مع المسلمين في شتى بقاع الأرض من خلال نشر أخبارنا والتعريف بنشاطاتنا.

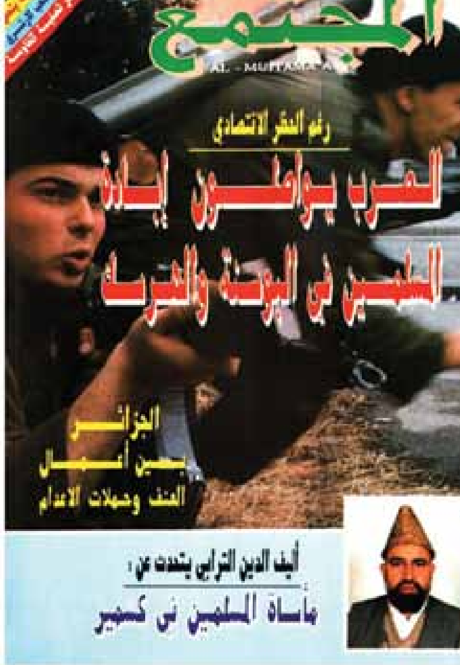
ويقول د. محمد نوشاد القاسمي، مساعد تحرير مجلة «وحدة الأمة العربية المحكمة»، وباحث في قسم اللغة العربية بجامعة دلهي في الهند: إن مرور 50 عاماً على إصدار مجلة «المجتمع» أمر يبعث على السرور، أن تتواصل مسيرة «المجتمع» كواحدة من أكثر المجلات العربية والإسلامية اهتماماً بأحوال الأمة، وما تواجهه من تحديات وما تمر به من عقبات، وما زالت في مسيرتها الصحفية الغراء تتابع ما يجري على الساحتين العربية والإسلامية وقضايا الأقليات المسلمة، وأنا كأحد مسلمي الهند، أشكر للمجلة اهتمامها الشديد بواقع المسلمين في الهند وتسليط الضوء على أزمة كشمير ومسجد بابري ومعاناة المسلمين في ولاية آسام.

مرآة تعكس معاناة الروهنجيا:

ويقول عزيز عبدالمجيد الآراكاني، رئيس المركز الروهنجي لحقوق الإنسان: بعد تحرر أغلب الدول العربية والإسلامية من الاستعمار في الستينيات، بدأ تدريجياً الحراك الإعلامي مع بداية السبعينيات، يحاول التحرر من الرقابة والقيود التي كانت مفروضة للتعتيم على صورة المجتمع المسلم،

هي ابنة كويت الخير وخطها التحريري ومجالات تغطيتها وقضاياها المرسومة على صفحاتها يجعل منها مجلة رائدة

هي سطور لا تنتهي وكلمات لا تنطفئ وصفحات لا تشيب وأقلام لا تجف





ومـن بـين هـذه الـتـجـارب الإعـلامـيـة كانت مجلة «المجتمع» التي بدأت في الإصدار عام 1970م، التي ملأت فراغاً كبيراً في العالم الإسلامي الذي كان يعاني شحاً في الدوريات الإعلامية التي تغطي أحوال المسلمين، ورغم أن «المجتمع» عربية المنشأ، فإنها كانت صاحبة هوية مسلمة، وعلى مدى 50 عاماً أبرزت كثيراً من القضايا الإسلامية لا سيما الأقليات المسلمة، وفي القلب منها قضية الروهنجيا، والمتابعة المستمرة لهذه المعاناة وتطوراتها خاصة بعد أزمة التشريد الأخيرة على خلفية هجمات 25 أغسطس 2017م.

من أفريقيا الوسطى.. متابعة ومشاركة:

أما الداعية والناشط زكريا يونس من أفريقيا الوسطى فيقول: مجلة «المجتمع» تحمل الاسم حقيقة، فهي تغطي أخبار المجتمع الإسلامي، فكنت من متابعيها من وقت لآخر، إلى أن صرت من المشاركين في بعض موضوعاتها، حول مسلمي أفريقيا الوسطى، لقد اهتمت المجلة بهذه القضية وأبرزت الحقائق، فهي مجلة الإنسانية والإسلام بلا منازع، ودعواتنا بالخير للكويت ومجلة «المجتمع» أن تبقى على رسالتها.

ويقول باسيديا درامي، كاتب وباحث من غامبيا: مجلة «المجتمع» في مناسبة مرور 50 عاماً على إصدارها تستحق منا الشكر لاهتمامها بأحوال المسلمين حول العالم لا سيما الأقليات منهم، انطلاقاً من رسالتها وإيماناً بأمة إسلامية واحدة، فقد أفردت مساحات عن واقع المسلمين في مناطق قلما أن يتحدث عنهم أحد أو يهتم بأخبارهم، وأنا شخصياً من قراء المجلة منذ أن درست وعملت في الكويت لمدة 20 عاماً، وتعرفت من خلالها على أحوال مسلمين في مناطق شتى، وهو ما يجعلني أرجو من المجلة تسليط الضوء بشكل أوسع على واقع المسلمين في غامبيا وتعريف ونقل هذا الواقع إلى القارئ العربي.

مجلة تحمل هَمَّ الأمة:

من أستراليا، يقول فواز شوك، رئيس تحرير مجلة «الوسط» الأسترالية: إن مجلة «المجتمع» هي سطور لا تنتهي، وكلمات لا تنطفئ، وصفحات لا تشيب، وأقلام لا تجف، فهي من أوائل المجلات الحالية، تميزت في زمن الصحافة الورقية وحافظت على تميزها في زمن الإنترنت، حملت منذ انطلاقتها هموم الأمة في صفحاتها، وناقشت قضاياها عبر أقلام كتّابها، ونقلت أخبار الجاليات والأقليات بكل مهنية وحرفية، هنيئاً لـ«المجتمع» 50 عاماً من العطاء، رسخت المجلة في وجدان كل باحث عن المعرفة، وفي ضمير كل مهتم بقضايا الأمة وهمومها، ونتمنى أن تبقى «المجتمع» صوتاً ومنبراً للأقليات والجاليات في العالم، ومن بينهم المسلمون في أستراليا ونيوزيلندا وجنوب المحيط الهادئ.

شاهد على الانطلاقة:

من أوغندا، تحدث إلينا د. هارون جمبا، محاضر في جامعة ماكيريري والأمين العام لجمعية المدارس القرآنية، يقول: كنت طالباً أدرس بالكويت في الفترة من عام 1970 حتى 1983م، فكنت شاهداً على الفترات الأولى للمجلة، مما فتح لي الباب للمتابعة عن قرب لها، ومن وقتها ونحن على عهدنا بمتابعتها والتعرف من خلالها على أحوال المسلمين حول العالم، متمنين أن يستمر هذا العطاء الممتد منذ عهد العم عبدالله المطوع يرحمه الله، ونرجو لـ«المجتمع» كل خير وازدهار.

ولدور «المجتمع» في تسليط الضوء على قضيتهم، وجه ناشطون تركستانيون التهنئة لـ«المجتمع» في عيدها الخمسين، فيقول محمود محمد، وكيل جمعية علماء تركستان الشرقية: إن «المجتمع» دائماً ما كانت رسالتها الاهتمام بقضايا المسلمين في شتى بقاع العالم، وساهمت في نشر الوعي، وهي من المجلات الرائدة التي لها السبق، وما تفرده من مساحات لقضايا المسلمين ومنها قضية تركستان الشرقية، وحافظت على نهجها رغم التغيرات المتلاحقة، وأنا كتركستاني أعرف مجلة «المجتمع» منذ نحو 20 عاماً وما يكتب فيها، فهي تربط أبناء الأمة بعضهم بعضاً.

أما عبدالوارث عبدالخالق، رئيس جمعية تركستان الشرقية للصحافة والإعلام، فيقول: منذ أن خرجنا من تركستان الشرقية إلى اليمن لدراسة العلوم الإسلامية واللغة العربية، كنا نتابع باستمرار أعداد مجلة «المجتمع» وما ينشر فيها عن قضايا المسلمين ومعاناتهم وتحدياتهم مثل تركستان الشرقية، وحرب البوسنة والمسلمين في البلقان، والروهنجيا وكشمير، فـ«المجتمع» استطاعت أن تجعل من نفسها جسراً يقرب أبناء الأمة من قضايا بعضهم بعضاً، وعهدنا بها الاستمرار في إبراز معاناة مسلمي تركستان الشرقية وغيرهم من المسلمين حول العالم.■

استطاعت أن تجعل من نفسها جسراً يقرب أبناء الأمة من قضايا بعضهم بعضاً

ما زالت في مسيرتها الصحفية الغراء تتابع ما يجري على الساحتين العربية والإسلامية وقضايا الأقليات المسلمة

نبوءة المجتمع التي تتحقق

محمد إلهامي
باحث في التاريخ والحضارة الإسلامية

أول معرفتي باسم مجلة «المجتمع» حين كنت في فورة القراءة التي اشتعلت في وقت المراهقة، ولهذا قصة.. كنتُ حينها في أعماق صعيد مصر، وكانت تصلنا بعض أنواع المجلات الإسلامية، ومن بينها مجلة إسلامية كويتية كنت أتابعها بشغف، وفيها نشرتُ أول مقالاتي وأنا في الثالثة عشرة من عمري في «بريد القراء»، وفي ذلك الوقت كنا نكتب على الورق ونرسل بالبريد ويأكلنا الشوق حتى يأتينا العدد، وأذكر أن العدد الذي رأيت فيه اسمي لأول مرة كان كأنه يشع نوراً من فرط فرحتي به!

وفي ذلك الوقت، وبينما كنتُ أزور شيخي الذي أحفظ القرآن على يديه إذ لقيت عنده قريناً له قد جاء من القاهرة، وسمعت من حديثهما أن ثمة مجلة أخرى كويتية أيضاً لا تصل إلينا في الصعيد، واسمها «المجتمع»، وقد اختلف أصحابنا حول سرِّ عدم وصولها إلى الصعيد، فقائلٌ: إنها تتخطف منذ نزولها إلى القاهرة لقوتها وكثرة جماهيرها، وقائلٌ: إن السلطة في مصر لا تسمح بغير عدد ضعيف منها لا يكاد يكفي جمهورها في القاهرة، وقائل: إنها مع مجلات وصحافة أخرى لا توزع خارج القاهرة كما هي الحال في بعض الصحف والمجلات العالمية الأجنبية التي تخوض في السياسة بما لا ترضى عنه السلطة المصرية.

وما بالك بمراهق صعيدي شغوف بالقراءة يعرف أن مجلة إسلامية تتحدث في السياسة، فتوضع على صعيد واحد مع المجلات الأجنبية والصحف السياسية التي لا يقرؤها غير النخبة القاهرية المحظوظة؟! فعزمتُ على أن أوصي المسافر الثقة إلى القاهرة أن يبحث عن أعداد هذه المجلة ويأتيني بها، إلا أن أحداً منهم لم يفلح!

وقر في يقيننا مع الفشل المتكرر في الحصول على نسخة من المجلة أنها صارت ممنوعة لا توزع في مصر، ولم يكن الوصول إلى خبر يقيني ممكناً للقارئين من أهل الصعيد، لشح الأخبار حول ما يُصادَر أو ما يُمنع، وذهب الأمل في العثور عليها.

ثم إني كبرت قليلاً وصرت أذهب إلى القاهرة للدراسة أو للعمل، ثم صرت مقيماً فيها، وكان العثور على مجلة «المجتمع» من أهدافي التي ظللت شغوفاً بها ولم أعثر عليها قط، في ذلك الوقت تأكدت أنها ممنوعة، صرَّح لي بهذا عدد من موزعي الجرائد والمجلات، وبعضهم نصحني نصيحة المحب الشفوق: يا بني، أنت شاب وفي مطلع حياتك، ابحث عن الأشياء النافعة، ولا تبحث عن مثل هذه المجلات!

كانت نصيحته هذه قد زادت من شغفي أنني أبحث بالفعل عن الأشياء النافعة.

ثم كان أن فتح الله علينا بالإنترنت، وفيها صافحت وجوهنا للمرة الأولى المواد التي تنشر على مجلة «المجتمع»!

تذكرت هذا كله حين أخبرني مدير التحرير بأن مجلة «المجتمع» ستكمل نصف قرن هذا العدد، ورغب في أن أكتب، إن كنتُ كاتباً، عن مجلة «المجتمع».

لكوني شغوفاً بالتاريخ، فلا بد من الشغف بالتقليب في الأرشيف، وقد حداني الشوق قبل زمن للبحث عن العدد الأول منه، وقادني البحث والحمد لله إلى أن استقرت عندي الأعداد الأولى من مجلة «المجتمع»، وبينما أنا في تقليب هذه الأعداد، إذ لفت نظري قصاصة هي بمثابة النبوءة التي تتحقق، كان مقالاً صغيراً تحت مسمى «في الضوء»، وكان شعاره «ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً»، وكان عنوان المقال «الطريق إلى خيبر»، وكان في العدد الثالث من المجلة.

قبل أن نتحدث عن هذه «النبوءة»، يجب أن نذكر أن الزمن الذي بدأت فيه مجلة «المجتمع» في الظهور كان يحمل خصوصيته، فقد كان زمن انهيار المشروع القومي العربي بعد تلقيه الضربة الهائلة الصاعقة بنكسة 1967م، حيث اجتاحت «إسرائيل» جوارها العربي في عملية عسكرية هي الأسرع منذ الفتوحات العربية (والتعبير للأستاذ المفكر الراحل محمد جلال كشك)، وفي تلك المرحلة طاحت التفسيرات يمنة ويسرة وهي تحاول تقديم سبب الهزيمة، فمنها ما جعل الهزيمة أصلاً أصيلاً وطبعاً طبعياً في جيناتنا ودمائنا وتراثنا، وأننا أمة منكوبة مهزومة لا أمل فيها تحمل بذور الهزيمة في تراثها ولغتها وأدبها، ومنها ما قال بأننا لم نتعلم بما فيه الكفاية أو لم نكن عرباً كما ينبغي أو لم نكن علميين أو اشتراكيين بالقدر المطلوب.. وهكذا!

وجه الحل

كانت «المجتمع» صوتاً ضمن الموقف الإسلامي الذي يشير إلى أن سبب الهزيمة على الحقيقة أننا تخلينا –بل وحاربنا- ديننا الذي هو أهم مكونات النصر، ولقد انشغلت المجلة منذ أيامها الأولى بقضايا إسلامية تبدو للوهلة الأولى بعيدة عن تيار العروبة الجريح، لكنها مع قليل من النظر تسفر عن وجه الحل كما يراه المسلمون، لذا حفلت المجلة منذ أيامها الأولى بأخبار الأقليات المسلمة في عموم أنحاء العالم، وكتب فيها رائد الاقتصاد الإسلامي د. عيسى عبده منذ عددها الأول سلسلة عن الاقتصاد الإسلامي، وحددت المجلة أعداءها منذ غلافها الأول الذي كان يرسم صورة المقاوم الذي يعبر فوق «الفساد، والاستعمار، والصهيونية»، ولقد وجدتُ عبارة عميقة لمحرر رسائل القراء يقول فيها عن الفارق بين الأمة الإسلامية وعدوها أنهم أدركوا بعمق الفارق بين كلمتين اثنتين؛ بين كلمة «يجب» وكلمة «كيف».

في ظل هذا كله لم يكن غريباً أن يعاني

دراسة

فتنة الضعف والفقر

محمد الهامي
باحث في التاريخ والحضارة الإسلامية

دراسة

نظرية مدهشة مثيرة للتأمل!

لو رسمنا خريطة مفترضة للبركة فستبدأ دوائر البركة تنداح من مركز المسجد الأقصى وتتسع حوله

محمد الهامي
باحث في التاريخ والحضارة الإسلامية

58 دراسات www.mugtama.com

هل كان العهد العثماني احتلالاً تركياً لمصر؟

دراسة

تاريخ الأوقاف العثمانية في القاهرة

دراسة

هل انهار وضع مصر المالي في عهد العثمانيين؟

صندوق بريد رسائل المجلة من التخمة، حتى إن محرره ليضطر إلى الاعتذار عن ضيق المساحة واقتضاب التفاعل مع الرسائل، وهو لم يزل في العدد الثالث، في هذا إشارة إلى أن المجلة كانت تملأ فراغاً وتشبع احتياجاً وتروي تشوقاً للصوت الإسلامي لا سيما في هذه المرحلة.

تحولت الصحافة منذ أمد طويل إلى واحدة من أهم موارد التاريخ، سواء التأريخ للأحداث أو حتى التأريخ للعلوم، فالذي يبحث في تطور علوم الاجتماع واللغة والخطاب والصورة لا يجد أغزر وأدل من المادة الصحفية، ومن هنا؛ فإن وجود صوت إسلامي في هذه المرحلة بمثل ثقل مجلة «المجتمع» يمثل إضافة قوية لفهم هذه المرحلة، وفهم الأفكار السائدة فيها، وفهم الحالة النفسية المهيمنة عليها.

في هذا الإطار، تأتي «النبوءة» التي أسلفت الإشارة إليها، يشير الكاتب إلى ملاسنة وقعت في مؤتمر جدة بين وزير الخارجية الليبي صالح بوبصير حين طالب الدول الإسلامية بقطع العلاقة مع «إسرائيل» وهو يشير إلى السنغال، فردّ عليه وزير الخارجية السنغالي بقوله: لماذا تلومون السنغال ولا تلومون فرنسا صديقة العرب وفيها أكبر سفارة لـ«إسرائيل»؟! بل لماذا تحرصون على علاقات مع الاتحاد السوفييتي وهو لا يؤمن بالديانات؟!

وبالطبع انجلى المؤتمر ولم يغير أحد موقفه لا من «إسرائيل» ولا من فرنسا ولا من الاتحاد السوفييتي، إذ كلٌّ يعمل على شاكلته أو ضمن مصالحه وارتباطاته الخاصة، وهو ما جعل كاتب المقال يُلَمِّح إلى أن استقلال البلاد الإسلامية لم يغير شيئاً من حقيقة الواقع، فالدول التي كانت محتلة وليس لها صوت عند صدور «وعد بلفور» أو عند تقسيم الأمم المتحدة لفلسطين، ما زالت لا تفعل شيئاً، بل إن غاية أحلام بعضها «قطع العلاقات» أو «إزالة آثار العدوان»!

ويندهش صاحبنا ويتفجع: كيف يمكن أن يكون هذا؟! إنها حلول مخدرة وغير مقبولة، والحل الوحيد المقبول أن نعمل على قطع رأس الحركة اليهودية لا قطع العلاقات معها، وإزالتها من أرضنا وليس إزالة آثار عدوان يونيو، ثم أردف هذا بنبوءته:

«قد يُقال: إن هذا الحل فيه خيال وأحلام، ونحن نقول: إن أي حل آخر سوف يوقفنا بعد عشرة أعوام موقف اليوم نفسه، والفارق الوحيد أننا سنجد العدو في داخل عواصمنا الكبرى، وفي الطريق إلى خيبر»!

ولقد كان، حيث حلَّ العدو بعد عشر سنوات في كبرى العواصم العربية، وهو الآن في الطريق إلى غيرها.■

المجتمع.. نصف قرن من التنوير الشرعي والدعوي



د. وصفي عاشور أبو زيد
أستاذ مقاصد الشريعة الإسلامية

في 17 مارس 1970م، خرج إلى الأمة مولود جديد يستهدف تثقيفها وتوعيتها؛ شرعياً وفكرياً ودعوياً وسياسياً، مزيناً بصورة غلاف عليه جندي عملاق يحمل سلاحه، وتحت قدميه ثلاثة صرعى، هم: الصهيونية، والفساد، والاستعمار؛ وقد أعرب هذا المولود عن وجهه لأول وهلة، وعن اهتمامه بقضايا الأمة وقضية الجهاد التي كانت واضحة منذ أن تُمسك به وترى صفحة وجهه الأولى، والكلمات والعناوين التي تزين بها في البدايات، مثل: «إن تجزئة العمل الإسلامي نرفضه بشدة من الآن، فالمسلم في كل مكان يعيش في مجتمعه ولن يتخلى عن قضاياه.. ما جئنا بمذهب ولا فكر ولا دعاء عريض، وإنما جئنا لله قانتين وقد ألهبت نفوسَنا أحوالُ المسلمين.. هجمة تبشيرية خطيرة تتخذ أنماطاً مختلفة من الأساليب الخبيثة تزحف على الكويت».

إن هذا المولود الذي نتحدث عنه هو مجلة «المجتمع» التي يمر اليوم على صدورها للنور نصف قرن من الزمان، عاشت بالكلمة الصادقة وللكلمة المجاهدة، وللتنوير الشرعي والفكري والدعوي والتبصير بقضايا المسلمين حول العالم، وإحياء روح الجهاد في الأمة.

ولا تتفاجأ حين تلمس هذا النفَس الأصيل والمجاهد والكاشف عن حقائق الإسلام والداحض لأباطيل خصومه والمهتم بقضايا المسلمين في العالم، وذلك في الكلمة الافتتاحية لأول عدد؛ حيث تمثل هذه الكلمة «دستور» المجلة في الاهتمامات والمعايير والسياسة التحريرية؛ إذ جاء فيها: «سمعنا النغمة التقليدية تواكبها مصطلحاتٌ تقليدية كذلك.. بدأت الرجعية تتحرك لتعويق الزحف الثوري، وضرب القوى التقدمية.. هذه المصطلحات ومئات أمثالها دفع بها لتلقانا على الطريق وتعترك معنا، ثم يأتي بعد ذلك دور الاتهامات والإشاعات، والذين يعرفون مخطط أعداء الإسلام سوف يطؤون الاتهامات بأقدامهم، ويأتون معنا بعزم إلى الغاية التي ننشدها جميعاً، أما الذين يجهلون مخططاتهم فإننا نتكفل بكشف الحقائق لهم حتى يكونوا على بينة من أعدائهم.

ونستطيع أن نقول ونحن نطرح صحيفة إسلامية: إننا سنكون صرحاء مع القراء وسنكاشفهم بكل شيء ولتكن صراحتنا من أول يوم:

أولاً: هذه الصحيفة تصدرها هيئة إسلامية هي «جمعية الإصلاح الاجتماعي»، وهي صحيفة تستمد فكرها الأصيل من الإسلام وعلى ضوئه وبمقياسه، وسوف تتقبل وبصدر رحب كل نقد هادف بناء، وترفض النقد الغوغائي والتجريح الذي لا يقبله الخلق الإسلامي.

ثانياً: هذه الصحيفة سوف تمد يدها لكل الناس يداً ترفع راية الإسلام وتبشر بالخير والبر، ولكنها سوف تقف في تحدٍّ من خصوم الإسلام.

ثالثاً: وهذه الصحيفة سوف تكتب في كل القضايا التي تهم أمتنا، وتعالج مشكلات المجتمع بكل جرأة وأمانة، والإسلام دين شامل يعالج جميع مشكلات الحياة فيصلحها، وإننا نرفض بشدة تجزئة العمل الإسلامي، فالمسلم يعيش في مجتمعه ولن يتخلى عن قضاياه.

رابعاً: وهذه الصحيفة سوف تقف على أرض الإسلام في كل مكان، وتدافع بكل قوة عن المسلمين في كل قضاياهم؛ فهي عالمية لأن الإسلام دين عالمي.

خامساً: هذه الصحيفة سوف تدق أجراس الخطر في كل مكان حتى يجتمع المسلمون في صعيد واحد ويجابهوا أعداءهم في صراحة ووضوح حتى يتحقق لهم النصر.

أخي القارئ، هذه صحيفة «المجتمع» وهي صحيفتنا جميعاً، فمن أراد أن يكون معنا فيدُنا مبسوطة إليه مهما بعدت الشقة بيننا وبينه، ومن كان علينا فيدُنا ممدودة إليه لنشده إلى طريق الحق والخير، وشعارنا قول الله عز وجل: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (النحل: 125)» (المجتمع). ا.هـ.

وبهذه الافتتاحية الأولى تضع «المجتمع» سياستها ومبادئها الأخلاقية والصحفية التي تمثل دستوراً للمجلة أو الصحيفة كما كانت تسمى في البداية.

مقاصد المجلة

سعت «المجتمع» خلال مسيرة نصف قرن إلى تحقيق عدد من المقاصد، وقد بلغتْ في ذلك شأواً بعيداً، وكانت موفقة في تحقيقها إلى حد كبير، ومن أهمها:

أولاً: بيان آراء الشرع عبر الفتاوى الشرعية:

خصصت المجلة ركناً خاصاً بالفتوى الشرعية لإجابة تساؤلات القراء أو لنشر فتاوى خاصة ومهمة متعلقة بالواقع، وقد تنوعت مضامين الفتاوى وموضوعاتها ما بين أحكام الطهارة والعبادات، وأحكام الأسرة؛ الزواج والطلاق والمواريث، وأحكام العقوبات، وأحكام السياسة الشرعية، وأحكام المعاملات، وغير ذلك مما يتعرض له المسلمون في حياتهم.

ولم تنس المجلة على صفحاتها الشرعية أن تتناول القضايا الجديدة والنوازل التي تقع للمسلمين، وتورد آراء أعلام الأمة من فقهائها ومجتهديها مما يوصّف أحكاماً شرعية لهذه

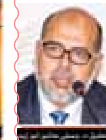
استهدافها لكل شرائح المجتمع أتاح لها مساحة واسعة من الانتشار

مشكلة الغذاء في العالم.. رؤية شرعية

التأهيل الشرعي لأبناء الحركة الإسلامية.. المشكلة والحل

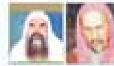


الرهن العقاري





الجمع بين قضاء رمضان وصيام ستة شوال



المستجدات وتلك النوازل، مثل: مصطفى الزرقا، ويوسف القرضاوي، ومحمد أبو زهرة، وابن عثيمين، وعجيل النشمي، وخالد المذكور.. وغيرهم.

ثانياً: التنوير الفكري بالمقالات والتحقيقات:

خلال 50 عاماً اهتمت المجلة بمسائل شرعية وقضايا فكرية مهمة طرحت على صفحاتها في السياسة والاقتصاد والاستشراق والتاريخ والحضارة والنوازل والمستجدات، وهذا أعطى جرعة كبيرة من الثقافة الشرعية والحضارية للقراء والمسلمين والخطباء حول العالم؛ حيث كانت المجلة تمثل لهم المصدر الأول للتثقيف الفكري.

وقد استضافت المجلة عدداً كبيراً من الأعلام في الفكر والسياسة والاقتصاد والأدب شعراً ونثراً، من أمثال (مع حفظ الألقاب): عبدالله القصار، وعيسى عبده، وأحمد بزيع الياسين، وعبدالمنعم تعيلب، ومحمد العلويني، ومحيي الدين عطية، وعمر سليمان الأشقر، ومحمد أبو زهرة، وعبدالله النفيسي، وحسن طنون، وسالم البهنساوي، وحسن أيوب، والسيد نوح، ويوسف القرضاوي، ومصطفى الزرقا، وعلي الطنطاوي، وتنزيل الرحمن (قاض باكستاني)، وعجيل النشمي، وجاسم المهلهل الياسين، وعلي بادحدح، وعماد الدين خليل، ومحمد الغزالي، ومحمد عمارة، ويونس حمدان، وعبد التواب هيكل، ومصطفى عبدالمهيمن الرفاعي، وأحمد العسال، وصلاح سلطان، وقاسم عبده قاسم، ويوسف جاسم الحجي، وعلي الحمادي، ومحمد حسن هيتو، ومحمد عبدالله السمان، وحامد سلام، وعبدالله صالح، وعلي جريشة، وعبدالمنعم صالح العلي المعروف بمحمد أحمد الراشد، ومحمد نعيم ياسين، وأبو بكر أحمد السيد، وعبدالله شبيب، وزينب الغزالي الجبيلي، ومحمد علي البار، وعبدالقادر العماري، وعبيد الأمين، وعبدالعزيز العمري، وخالد المذكور، وعلي العمري، وجاسم المطوع، ومحمد موسى الشريف، وعلي بادحدح، ومحمد الصادق يوسف، وتوفيق الشاوي، وتوفيق الواعي، وعلي أحمد باكثير، وفتحي يكن، ومجدي الهلالي، وعبدالرحمن صالح عشماوي، وعدنان علي رضا النحوي، وعثمان قدري مكانسي، وسليمان بن ناصر العلوان، وحلمي القاعود، وجابر قميحة.. وعدد كبير من الفقهاء والأدباء والمؤرخين والمثقفين والشعراء والأدباء، الذين مثلوا إضافة كبيرة وتنويراً حقيقياً في المجالات التي ارتادوها والمقالات التي كتبوها.

مضامين الفتاوى وموضوعاتها تنوعت بين أحكام الطهارة والعبادات والأسرة والعقوبات والسياسة الشرعية والمعاملات

قدمت جرعة كبيرة من الثقافة الشرعية والحضارية للقراء والمسلمين والخطباء فكانت المصدر الأول للتثقيف الفكري

ثالثاً: تنوير القراء بقضايا المسلمين حول العالم:

من أهم ما يميز «المجتمع» أنها نشرت على صفحاتها ما يتعلق بقضايا المسلمين وهمومهم في العالم كله، ولا غرو فقد جعلت شعارها «مجلة المسلمين حول العالم».

فلا تحدث مشكلة في أقصى الشرق ولا أقصى الغرب، أو في قمة الشمال ولا قاع الجنوب إلا وتجدها مطروحة على صفحات المجلة، كما أنه يجعل المسلمين على ذُكْر من قضايا المسلمين ومتابعتها، مما يترتب عليه القيام بما يُستطاع من الواجبات نحوهم، وحشد الحشود وتأليف الصفوف لنصرة هذه القضايا.

ومن العجيب أن يكون أول عدد للمجلة يتحدث عن «القضية الكردية»، مما يشير إلى اهتمام عام دون تعصب أو نظرات ضيقة، ثم توالت الأعداد بعد ذلك مستعرضة قضايا المسلمين ومشكلاتهم، مثل: القضية الفلسطينية وأفكار اليسار وقضايا الشيوعية، وأحوال المسلمين في بورما، والهند، والسودان، وأفغانستان، وباكستان، وليبيا ومصر والجزائر واليمن وأفريقيا وإندونيسيا ماليزيا، والمغرب وموريتانيا والسنغال، ولا ننسى تغطية المجلة لحروب العراق والبوسنة وكوسوفو وأفغانستان وغير ذلك، وشؤون الأقليات المسلمة في أمريكا وأوروبا وفقههم وما يهمهم من أمر دينهم ودنياهم.

رابعاً: استيعاب شرائح مهمة في المجتمع:

استهدفت استيعاب شرائح مهمة من المجتمع في المجال الشرعي والفكري والثقافي، مثل: الشباب والأطفال والمرأة، فلا يكاد يفوت عدد من الطرائف اللغوية، ومن المسائل الطبية التي استكتبت فيها كبار الأطباء، ومن شؤون المرأة وقضايا الأسرة، والأمور الترفيهية مثل المسابقات الثقافية، وفتح أبواب لرسائل القراء وتقدير آرائهم بالرد عليها، وتخصيص ركن للطلبة، كل هذا أتاح للمجلة مساحة واسعة من الانتشار والاهتمام، ووسع دوائر النفع بها والإقبال عليها كما لم يتوفر لمجلة في عصرها.

إن «المجتمع» أسهمت في تشكيل عقل الأمة ووعي شبابها ودعاتها، وقد لمستُ ذلك بنفسي حين أسهمت فيها بجهد متواضع بمقالات فكرية وتحقيقات شرعية، فقد وجدت أثرها في بعض المراكز الإسلامية في أمريكا وأوروبا، وكيف أن الدعاة والخطباء يتلقفون ما يُكتب في المجلة ويفيدون منه في دروسهم وخطبهم وأنشطتهم، وهذه المسيرة جديرة بأن تبقى على طريق العطاء الفقهي والفكري والدعوي الناهض بالأمة والخادم لها على طريق صحوتها المباركة.■

الأسرة في المجتمع..
إطلالة على مسيرة العقود الخمسة

د. محمد أحمد عزب
أستاذ العقيدة المشارك بجامعة المدينة العالمية

منذ أوائل المحرم 1390هـ، وعلى مشارف الربيع عام 1970م، وعبر عقود خمسة نشأت فيها مجلة «المجتمع» الغراء وهي تسير في خدمة المجتمعَيْن؛ المجتمع الأكبر وهو الأمة، والأصغر وهو الأسرة التي يتألف منها المجتمع الأكبر؛ تتناول فيهما الاهتمامات والقضايا، وقد عبرَت المجلة سنوات مسيرتها لا تلوي عنق الحق، ولا تزج بنفسها في مواطن الخلاف، ولا تعمد إلى الإثارة الفارغة لجلب القراء.

ومع مرور الزمن تغيّر ثوب المجلة، لكنها لم تحدْ عن أهدافها السامية، التي في مقدمتها العناية بأسرة المجتمع.

تحرص مجلة «المجتمع» على أن تستكتب في شأن الأسرة حواء العصر؛ لترى أخرى كيف تفكر حواء في الأسرة، وكيف تنشغل وتهتم وتنظر هي لقضايا الأسرة وقضيتها داخلها، سارت المجلة عبر رحلتها الممتدة، تحاول سبر أغوار المجتمع الأسري، تستكتب المتخصصين من الرجال والنساء، ولا تقتصر على نقل الصورة الدينية فقط، التي تعتمد الوعظ والتذكير سبيلاً وحيداً لرأب الصدع وإقامة البنيان وضمان استمراره، بل تستقطب المتخصصين والمتخصصات في شتى جوانب العلم والمعرفة، لتعالج من جميع الأنحاء.

المجلة عبرَت سنوات مسيرتها لا تلوي عنق الحق ولا تعمد إلى الإثارة الفارغة لجلب القراء

المجلة لا تقتصر على نقل الصورة الدينية فقط بل تستقطب المتخصصين في شتى جوانب العلم والمعرفة

الإنسان الصالح غاية في البناء الأسري:

في العدد الصادر في المحرم 1390هـ/ مارس 1970م، نطالع قول الكاتبة: «الواجب الأول على الأسرة أن تبذل قصارى جهدها لإقناع أبنائها بالتمسك بتعاليم القرآن والسُّنة...»، وتمر عجلة الزمن 10 سنوات تعالج فيها المجلة قضايا الأسرة، حيث نلتقي مع العدد (465) عام 1400هـ، فنلتقط منه هذا العنوان الجانبي: «استثمروا أموالكم في بناء إنسانكم وتطويره».

لقد جعل الله تعالى علة الخلق في الإيجاد هي العمل الصالح، قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ (الملك: 2)، والعمل الصالح هنا هو الإسلام.

قد تطغى مظاهر الحياة على بعض الأسر، فتجعل من تربية الصغار على حبِّ العمل الصالح والانحياز له، والتخلق به شيئاً ثانوياً.

من هنا، كان استشعار الأسرة واجبها، نحو غرس قيمة العمل الصالح في نفس الطفل، وتنشئته على قيم الحلال والحرام، هو الخليق بها، لا أن تربيه على الأعراف السارية، التي ليس لها ضابط يضبطها، التي قد تجانب الصواب؛ ركوناً للهوى، في كثير من الأحيان.

ولعل استشعار أهمية غرس العمل الصالح، وحسن التنشئة عليه، نجده يقيناً في قول النبي صلى الله عليه وسلم: «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له»[1]، فديمومة الثواب بعد الموت إحدى ركائزها الولد الصالح.

والولد الصالح هو نتاج رحلة تبدأ مبكراً، مع قرار الاختيار الأول للزوج والزوجة؛ فإن الاختيار المؤسس على اعتبارات إيمانية، البعيد عن اختيار الهوى هو الخليق، وهذا يقودنا لتناول عملية الاختيار.

عملية الاختيار المتبادل:

تشيع في كل المواعظ، والنصائح، والمكاتبات التذكير بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين، تربت يداك»[2].

وفي الجانب الآخر قوله صلى الله عليه وسلم: «إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض، وفساد عريض»[3].

تقف عملية النصح والمشورة، والسؤال عند الخاطبين عند حد السؤال عن الدين، وإهمال جانب الأخلاق والممارسات، كما تهمل السؤال عن السمات الشخصية، ظناً أن السؤال عن الدين وحده كاف في التحري.

لا شك أن اعتبار الدين بناء على الحديث اعتبار مهم، لكنه اعتبار يؤخذ بمعزل عن ممارسات نبوية وردت في ذات السياق، لا يجوز إهمالها وترك التحري عنها، لقد جاءت فاطمة بنت قيس تستشير رسول الله في خطبة أبي الجهم ومعاوية لها، فقال لها صلى الله عليه وسلم: «أما أبو جهم، فلا يضع عصاه عن عاتقه، وأما معاوية فصعلوك لا مال له، انكحي أسامة بن زيد» فكرهته، ثم قال: «انكحي أسامة»، فنكحته، فجعل الله فيه خيراً، واغتبطت به[4].

فلما كان أبو الجهم ضرَّاباً للنساء، شديداً

عليهن، وكان معاوية فقيراً، فإن أخلاق الأول، وإملاق الثاني لمّا يذهب كثيراً ببهجة الزواج، فصرفها النبي صلى الله عليه وسلم عنهما، وأشار عليها بأسامة بن زيد، ولقد كادت ألا تقبل بأسامة، لكنها قالت: فنكحته، فجعل الله فيه خيراً، واغتبطت به[5].

لم يكن هناك طعن البتة في دين أبي الجهم ولا معاوية رضي الله عنهما، وكان الأول معظماً في قريش[6]، ومعاوية هو من هو، لكن النبي صلى الله عليه وسلم في التوجيه للاختيار ضم أشياء لا بد من الانتباه لها، قد يغفل عنها من أخذ من السُّنة بجانب ولم يلتفت لجوانب أخرى

إن أخلاق: الكرم، والرحمة، واللين، والسماحة، والصدق، والمروءة، وعلو الهمة.. وغيرها من أخلاق التعايش لمّا يجب التحري عنه في عملية الاختيار لكن بدون تعمق وتكلف.

وفي الحديث جانب مهم آخر؛ وهو أن المستشار مؤتمن، فلا يجوز غش المسلم أو المسلمة أبداً في حال النصح، فلا يُقبح الحسن، ولا يُحسَّن القبيح، لأن الاستشارة من الأمانات التي يجب إسداؤها على صفة الأمانة لا المخادعة.

وصية ونصح:

في نصيحة الأم العربية لابنتها قبيل زفافها، وهي الوصية التي تصلح دستوراً مجتمعياً صالحاً طوال الزمن، الذي عرضت لها المجلة في العدد (40) ديسمبر 1970م، نلتقط خيطاً أسرياً مهماً؛ فكم انفرط عقد بيوت مستقرة بسبب عدم التوعية الزوجية قبل الزواج، وكم من امرأة لم تغادر بيت أبيها وهي في بيت زوجها، وظلت تعيش مع الزوج بتصرفات الابنة مع أبويها، وهي لا تشعر أنها صارت زوجة، فلما افتقدت في الزوج معنى الأبوة الكاملة، رأت أن حياتها لا تطاق، فطلبت على تعجل منها الفراق!

تقول أمامة بنت الحارث لابنتها:

1 - كوني له أمة يكن لك عبداً.

2 - لا تقع عيناه منك على قبيح، ولا يشم منك إلا أطيب ريح.

3 - لا تفشين له سراً ولا تعصين له أمراً.

4 - الصحبة بالقناعة، والمعاشرة بحسن السمع والطاعة.

ومِلاك الأمر في المال حسن التقدير، وفي العيال حسن التدبير.

في وصية جامعة ينبغي أن يتم تلقينها لكل مقبلة على الزواج.

كما أن الزوج أيضاً عليه أن يغادر بيت أبويه، فليست زوجته هنا هي أمه، التي تتلقى كل ما يصدر منه بالسرور حتى ولو كان علقماً.

تنشئة الأبناء على أخلاق الوحي:

لا بد في عملية التنشئة، وفي ظلال ما أوردته المجلة سلفاً عن التربية على القرآن والسُّنة أن نعرج على الوصية الجامعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضي الله عنهما حيث قال له: «يا غلام إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك..»[7].

في النموذج النبوي تقوم تربية الأبناء على تربية الوازع الديني الذي يجعل الولد متعلقاً بربه إقداماً أو إحجاماً، فالتربية في النموذج النبوي هي تربية النشء على الجسارة التي لا تبلغ حد التهور، والحذر الذي لا يصل لحالة



تراث المجلة الزاخر الذي عُني بشأن الأسرة يستنهض همم الباحثين نحو دراسته أكاديمياً

الجبن، في النموذج الإسلامي العناية تكون بتربية الفرد المصلح، وليس الاقتصار على الفرد الصالح.

وصية للباحثين:

وأختم بوصية للباحثين الجادين في المجال الأسري والاجتماعي: أن هذا التراث الزاخر من أعداد أصدرتها المجلة، وتلك الصفحات المرقومة، التي عنيت بشأن الأسرة، لتستنهض الهمم نحو دراستها دراسة أكاديمية، وأقترح لها العناوين التالية:

1 - قضايا الأسرة في المنظور الإعلامي.. مجلة «المجتمع» نموذجاً.

2 - دور الإعلام الإسلامي في تناول قضايا الأسرة.. مجلة «المجتمع» نموذجاً.

3 - الأسرة في الخطاب الإعلامي المعاصر، دراسة مقارنة بين مجلة «المجتمع» ومجلة.. إلخ.

كما أن هناك موضوعات عدة فقهية، واجتماعية، وتربوية، ودعوية تصلح أن تكون مناط دراسة أكاديمية.

فحق لهذه الصفحات أن تتبوأ مكانتها، ويتم دراستها دراسة وصفية تحليلية، ودراسة نقدية، ودراسة مقارنة.■

الهوامش

(1) أخرجه مسلم، برقم (1631).
(2) متفق عليه.
(3) أخرجه الترمذي برقم (1084) وحسنه الألباني.
(4) أخرجه مسلم، برقم (1480).
(5) أخرجه مسلم، برقم (1480).
(6) الاستيعاب: 4/ 1623.
(7) أخرجه الترمذي برقم (2516)، وقال حسن صحيح.

المجتمع.. والعم عبدالله المطوع



د. أشرف دوابه

منذ خمسين عاماً مضت، في مثل هذا الشهر؛ أي في مارس 1970م، ولدت مجلة «المجتمع» الكويتية، ولدت لا ليقتصر إصدارها على الجهة التي أصدرتها وهي جمعية الإصلاح الاجتماعي في دولة الكويت، بل لتكون مجلة المسلمين في جميع أنحاء العالم، تحس بنبضهم، وتوفر لهم الثقافة الإسلامية الوسطية التي تبرز شمولية الإسلام وتناوله مظاهر الحياة جميعاً.

كان في القلب من هذه الشمولية الاقتصاد الذي كان -وما زال- عنصراً مهماً في تلك المجلة العريقة، ليس على مستوى كتابة المقالات فحسب، بل على مستوى الواقع الميداني، فاقتصاد هذه المجلة وغيرها من المشروعات الخيرية لجمعية الإصلاح الاجتماعي هو الوقود الذي يحرك عملها الهادف وخطواتها النبيلة، ليس على مستوى الكويت فقط، بل على مستوى العالم أجمع.

وهنا تبرز -لا محالة- شخصية العم أبي بدر الحاج عبدالله المطوع يرحمه الله الذي طوعه الله لبناء هذا البنيان مع ثلة من الصالحين من أهل الكويت وغيرهم من الشخصيات الإسلامية التي احتضنتها الكويت كرائدة في العمل الإسلامي.

رجل الأعمال المسلم

وقد كان أبو بدر مثالاً حياً لرجال الأعمال المسلمين الذين يستخدمون نعم الله في سبيل الله؛ فكان موفقاً بفضل الله في كل عمل تجاري يقوم به، وكان كل توفيق في ربحية الدنيا يقابله توفيق في السخاء والدعم لكل ما يحبه الله ويرضاه، فساهم في الكويت بتأسيس مكتبة المنار الإسلامية عام 1960م، وجمعية الإصلاح الاجتماعي عام 1963م، ومجلة «المجتمع» عام 1970م، ومدرسة النجاة الخاصة عام 1970م، ودورات تحفيظ القرآن الكريم، ومعارض الكتاب الإسلامي، والمواسم الثقافية، واستضافة الوفود والمحاضرين والعلماء، وإقامة المشروعات الاقتصادية والاجتماعية والتربوية والثقافية والصحية والرياضية وغيرها، وامتدت أياديه البيضاء المنفقة وأعماله الخيرية المبهرة لأنحاء العالم الإسلامي.

اقتصاد «المجتمع» هو الوقود الذي يحرك عملها الهادف وخطواتها النبيلة على مستوى العالم كله

ولعل ما ذكره العلامة الشيخ يوسف القرضاوي عنه يبرز بعض هذه المواقف، حيث قال عنه: «لقد كان مرجعاً لكل من يأتي إلى الكويت لطلب المساعدة في المشروعات الخيرية والإسلامية من كل أقطار العالم، رأيته في بيشاور في محاولات الإصلاح بين الإخوة المجاهدين في أفغانستان، ورأيته في فرنسا في افتتاح الكلية العلمية الإسلامية، ورأيته في مؤتمرات شتى تعمل للإسلام.. وحين ناديت بضرورة التصدي لخطة التنصير لأبناء المسلمين التي قررها المنصّرون الأمريكيون في اجتماعاتهم بولاية كولورادو عام 1978م، ورصدوا لذلك ألف مليون دولار جمعوها في الحال، فاقترحت تأسيس هيئة خيرية عالمية رأسمالها ألف مليون دولار، وأعلنت ذلك في ختام مؤتمر المصارف الإسلامية المنعقد في الكويت، أقبل عليَّ الأخ أبو بدر، وهمس في أذني قائلاً: إني أتبرع بمليون دولار، وأرجوك ألا تعلن عن اسمي، ولم يكتف بذلك، بل ضم إلى المليون عمارتين من عماراته أوقفهما لصالح المشروع، وكان أبو بدر عضو اللجنة التحضيرية التي قامت بالإعداد للمشروع الكبير مع يوسف الحجي، وسليمان الراجحي، وعبدالله العقيل، والفقير إليه تعالى، حتى تأسست الهيئة الخيرية العالمية.

وحين دعوتُ إلى تأسيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، أرسل لي مبلغاً طيباً مع الأخ الجليل د. عجيل النشمي.. لم يكن عبدالله المطوع مجرد رجل من ذوي الثراء، فقد عاش عمره صاحب دعوة وحامل فكر وجندي رسالة نذر لها عمره ووهب لها وقته وماله وفكره».



العم عبدالله المطوع يرحمه الله

كان كل توفيق لأبي بدر في ربحية الدنيا يقابله توفيق في الدعم لكل ما يحبه الله ويرضاه

البنا دعا للمصارف الإسلامية ووضع تصوراً لها عام 1939م ورأت النور على يد المطوع وإخوانه

يجب إرساء قيمة التكامل بين العلماء ورجال الأعمال وأن يكون المال خادماً لدين الله تعالى

إنشاء المصارف الإسلامية

ولعل ما لا يعرفه الكثيرون دور العم عبدالله المطوع في ميلاد المصارف الإسلامية، فلولا جهده وإخوانه ما رأت هذه المصارف النور، تلك المصارف التي دعا إليها الإمام حسن البنا، ووضع تصوراً لها في عام 1939م، وظلت هذه الفكرة لا تغادر العلماء ورجال الأعمال من أبناء الحركة الإسلامية حتى تحولت إلى خطوات عملية من خلال تشكيل لجنة تحضيرية لدراسة مشروع بنك إسلامي بالكويت في عام 1968م، وتكونت تلك اللجنة من السادة: عبدالله المطوع، وجمال الدين عطية، وهمام الهاشمي، ونزار السراج، وإسماعيل رأفت، ومحب المحجري، ومحيي الدين عطية، وعبدالله العقيل، وعبدالواحد أمان، وتم تعيين رائد البنوك الإسلامية فيما بعد د. عيسى عبده مقرراً لها، ودعت اللجنة الشيخ إرشاد، صاحب أول تجربة لمصرف تعاوني إسلامي لا ربوي في باكستان، لزيارة الكويت ولقاء اللجنة للوقوف على تجربته وما واجهته من معوقات.

ويرجع الفضل لهذه اللجنة في وضع لائحة بيت التمويل الكويتي، ومذكرة التعريف به كشركة مساهمة كويتية تحت التأسيس، وكان د. عيسى عبده دائم التواصل لتحويل هذا المشروع إلى واقع من خلال لقاءاته المستمرة مع أعضاء اللجنة وغيرهم من أمثال السادة: عبدالعزيز الصقر، ويوسف الرفاعي، وعبدالعزيز المطوع، وعبدالعزيز العتيبي، وأحمد بزيع الياسين، ويعقوب الغنيم، ود. وحيد رأفت، ود. محمود الشافعي، ود. عثمان خليل، ود. عبدالرحمن عبدالخالق، ومحمد الأشقر، وعمر الأشقر، وعبدالستار أبو غدة.. وغيرهم.

ومع هذا الجهد والسبق للكويت، فللأسف لم يكتب ميلاد أول مصرف إسلامي عالمي فيها، وذلك بسبب ما تعرض له المشروع من رفض، حيث كانت النظرة الرسمية والمصرفية الكويتية -في ذلك الوقت- ترى استحالة قيام مصرف على أساس غير ربوي، حيث كان الشعار السائد عربياً «لا اقتصاد بغير بنوك.. ولا بنوك بغير فوائد»، وهو ما أدى إلى انتقال المشروع إلى دولة الإمارات العربية المتحدة على يد رجل الأعمال -ابن الحركة الإسلامية- الحاج سعيد لوتاه الذي استعان بالدكتور عيسى عبده وانتدبه من عمله بالمملكة العربية السعودية ليكون مستشاراً لتأسيس بنك دبي الإسلامي، واستغرق التحضير والتأسيس طوال عام 1974م، وتم افتتاح البنك رسمياً عام 1975م، ليكون أول بنك تجاري إسلامي قطاع خاص في العالم.

ثم ما لبث أن قام وزير المالية الكويتي -حينئذ- عبدالرحمن سالم العتيقي بالاتصال بالدكتور عيسى عبده مبيناً حرصه على إقامة مشروع بيت التمويل الكويتي، وأرسل إليه مندوباً لتسلم ملف الدراسات الخاصة بالمشروع، وبعدها تم تأسيس بيت التمويل الكويتي في عام 1977م.

إن كل هذه الأحداث تعكس قيمة المال الخادم لدين الله، وقيمة التكامل بين العلماء ورجال الأعمال، وفضل الصحوة الإسلامية ورجالاتها في ميلاد صروح الاقتصاد الإسلامي في واقعنا المعاصر، وأنه مهما اشتدت الظلمة فنور الفجر قادم بعدها لا محالة، ورحم الله أبا بدر الحاج عبدالله المطوع الذي ظل وفياً لدعوته، مستنيراً بأول لقاء جمعه بالإمام حسن البنا في الحرمين الشريفين؛ فكان العمل والبذل في سبيل الله منهجه، والتفاؤل بمستقبل هذا الدين رؤيته، فكان يقول: «الإرهاصات والمبشرات تبعث على الأمل والتفاؤل، فهناك قرائن عدة تدل على الإقبال على التدين والتمسك بالإسلام، ومنها: انتشار ظاهرة الحجاب بين الفتيات، وإقبال الشباب والشابات على المساجد، وتحول البنوك الربوية إلى بنوك إسلامية، ونجاح الإسلاميين في كل انتخابات يخوضونها، والإقبال على العمل التطوعي والعمل على تلبية احتياجات المعوزين».■

بانوراما المجتمع

أغلفة الأعداد السنوية على مدار 50 عاماً

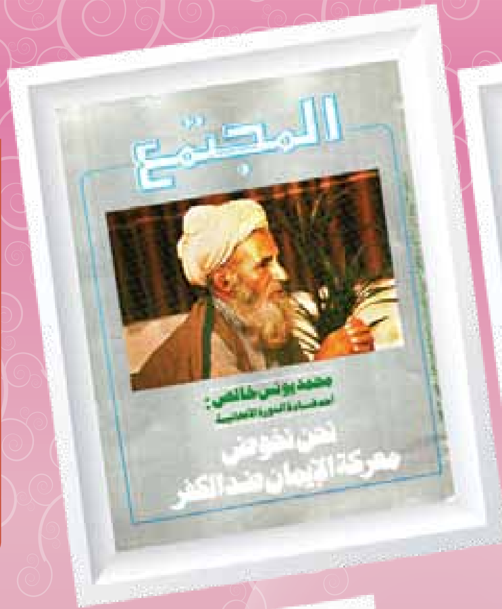




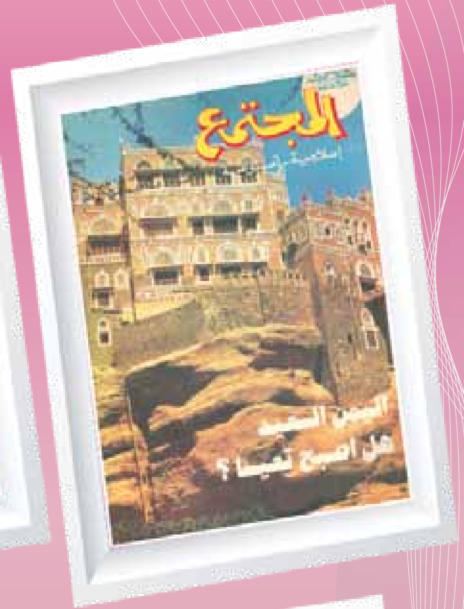







المجتمع
محمد يونس خالص:
نحن نخوض
معركة الإيمان ضد الكفر


المجتمع
جمهورية
مصر
العبرية


المجتمع
اليمن السعيد
هل أصبح تعيسا ؟

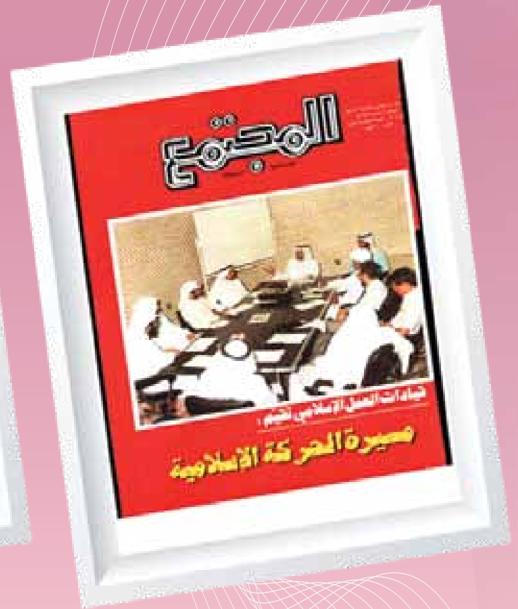

المجتمع
بداية الحوار
أم تصعيد العنف؟!


المجتمع
فلسطين


المجتمع


المجتمع


المجتمع
شعب مصر
يواجه


المجتمع
قيادات العمل الإسلامي تقيم:
مسيرة الحركة الإسلامية



المجتمع
المجتمع في خطر حديث مع حكمتيار



المجتمع
أفغانستان: شورى المجاهدين أمام التحديات الدولية



المجتمع
فرحة الكويت



المجتمع
المسلمون في جنوب إفريقيا والانتخابات القادمة
جهاز أمن حماس يتغلب على جهاز المخابرات الإسرائيلي



نعم لتسليح الكويت .. ولكن..
المجتمع



المجتمع
AL-MUJTAMA'A



المجتمع
وقائع تنصير أطفال المسلمين في بلغاريا



المجتمع
القرن القادم هو قرن الإسلام



المجتمع
معالم الصحوة الإسلامية في البوسنة والهرسك

المجتمع
رحل صاحب فقه السنة
بيشكي صانع العبيد في باكستان!؟
التنصير تدق في أفريقيا

المجتمع
الحركة الإسلامية.. وما بعد السياسة
انتهى دور أوجلان وبقيت
محنة الأكراد
الفخ الذي نصبه الغرب لتركيا

المجتمع
النمر الجائع
اتفاق بغداد: زال التوتر.. والأزمة باقية

المجتمع
عراق.. ما بعد الحرب

المجتمع

المجتمع
أكبر شعب مسلم: مذابح.. وتحديد نسل
جنون البقر.. إلى البشر

المجتمع
الغرب يشارك الدنمارك في الإساءة للنبي ﷺ وغضبة المسلمين مستمرة
«فرق الموت».. قتل وتعذيب
وأهوال التعذيب في زنازين الداخلية

المجتمع
هاجس الانقراض يقض مضاجع اليهود
تجربة رائدة لإدخال المكفوفين إلى عالم الكمبيوتر
الكويت: هل أشكال جمع التبرعات الخيرية مشكلة؟

المجتمع
سؤال يطارد الاحتلال: ماذا بعد إخلاء غزة؟
الأدعياء.. ظاهرة اجتماعية خطيرة
NLP

نصف قرن.. من الريادة الإعلامية




















المجتمع
الشيخ نادر النوري.. مسيرة الخير الزاهرة
مصر:
«توحيد الكنائس».. معناه وخباياه


المجتمع
عدد خاص
نصف قرن من العطاء و« الإصلاح »


المجتمع
MINDSHARE


المجتمع
الفن.. وتغيير المجتمعات
تربية النشء.. في ظل الواقع الجديد وتطوراته


المجتمع
وتبقى القدس في القلب
مسلمو الروهينجيا:
هذه مطالبنا من منظمة التعاون الإسلامي


المجتمع
التاريخ الأسود


المجتمع
وداعاً أبا خالد.. المربي الخلوق
صعود اليمين المتطرف في العالم وأثره على المسلمين


المجتمع
سمو الأمير.. حمداً لله على سلامتكم
عام دراسي جديد آمال وأمنيات
كشمير تحترق..
القصة من بدايتها


المجتمع
محاكمة «عيد الأم»!
التراث الإسلامي.. كنز لا ينضب

خمسون عاماً
من القيادة الإعلامية الناجحة

عبدالله علي المطوع (أبو بدر يرحمه الله)

مؤسس ورئيس مجلس الإدارة (1970 - 2006م)

العم عبدالله المطوع يرحمه الله مؤسس مجلة «المجتمع» وصاحب فكرة إصدارها، ورئيس مجلس إدارتها لفترة طويلة من عام 1970 حتى وفاته عام 2006م.

كان له دور كبير في ضبط إيقاع توجهات المجلة، فقد كان يرحمه الله حريصاً على متابعة مواد المجلة قبل النشر، والاستفسار عن توجهاتها وما ترمي إليه، أما افتتاحية «المجتمع» فقد كانت من «خصوصياته»؛ إذ كانت تتم مراجعة مقترحات موضوعاتها معه، ويطلع عليها كاملة بعد كتابتها، لا يمنعه عن ذلك مانعٌ من مرض أو سفر.

وبدعمه الكبير استطاعت «المجتمع» بناء شبكة مراسلين قوية وممتدة عبر القارات، وكان لهؤلاء المراسلين من الإيمان بالقضايا الإنسانية والإسلامية التي يكتبون عنها، والدأب على تغطية الأحداث بعمق؛ ما جعل تقاريرهم تعبيراً صادقاً عن الواقع.

كما ساهم في تنمية اشتراكات المجلة، وزيادة توزيعها.

والعم أبوبدر كان من أبرز رجالات العمل الخيري والدعوي في الكويت، وكان محباً له ومنفقاً سخياً على جميع أوجه البر والخير، وكان يستقبل بمكتبه أصحاب الحاجات، ويسعى جاهداً إلى تلبية احتياجاتهم.

تلقى تعليمه في مدرسة «ملا عثمان»، ومدرستي المباركية والأحمدية، وكان يتمتع بصلات قوية مع الجميع في داخل الكويت وخارجها.

كان لشقيقه الأكبر عبدالعزيز المطوع يرحمه الله صلة وطيدة بالحركات الإسلامية والعمل الإسلامي، خاصة الإخوان المسلمين، تأثر أبوبدر بهذا التوجه، ومنذ ذلك الحين انخرط في النشاط الإسلامي وتنميته من خلال استضافة العلماء والمحاضرين، وأسهم في إصدار مجلة «الإرشاد الإسلامي»، وكان داعية إسلامياً دؤوباً، تمتع بخبرة واسعة وتجربة ثريةٍ في العمل الدعوي والخيري.

عرف بالتجارة، وكان مثالاً حياً لرجال الأعمال المسلمين الذين يستخدمون نعَم الله في سبيل الله، فكان موفقاً بفضل الله في كل عمل تجاريٍ يقوم به، وكان كل توفيق في ربحية الدنيا يقابله توفيق في السخاء والدعم لكل ما يحبه الله ويرضاه.



امتدت أياديه البيضاء المنفقة وأعماله الخيرية السخية لأنحاء العالم الإسلامي.

ويعد أحد أبرز المشاركين في إعداد مشروع قانون لمنع الخمر في أول مجلس أمة تشكل في الكويت بعد الاستقلال، وساهم في استصدار قانون يحرم بيع واستيراد الخنزير.

ساهم في تأسيس جمعية الإرشاد الإسلامي في عام 1950م كأول عمل إسلامي مؤسسي بالكويت، ثم جمعية الإصلاح الاجتماعي في عام 1963م، وقد سارت «الإصلاح» على نفس أهداف ومبادئ جمعية «الإرشاد»، وظل رئيساً لمجلسي إدارة جمعية الإصلاح الاجتماعي ومجلة «المجتمع» حتى وفاته في 3 سبتمبر 2006م.

وشارك في تأسيس مكتبة المنار الإسلامية بالكويت عام 1960م، وتأسيس مدرسة النجاة الخاصة عام 1970م.

وكان عضو اللجنة التحضيرية التي قامت بالإعداد لمشروع تأسيس الهيئة الخيرية العالمية، وأحد أعضاء لجنة دراسة مشروع أول بنك إسلامي بالكويت في عام 1968م.

حرص عبدالله المطوع يرحمه الله على دعم التعليم الإسلامي الذي يعمل على ترسيخ العقيدة وتهذيب الأخلاق وربط العبد بربه، بالإضافة إلى دوره في نهضة الأمة وتقدمها، ولذا ساهم في بناء العديد من المدارس في جميع أنحاء العالم الإسلامي، بالإضافة إلى كفالة عدد كبير من طلاب العلم، وإن لم نستطع حصرها لكثرتها، فقد كتب ذلك عنه كثير من الشهود في نعيهم له رحمه الله تعالى.■

وليد المير (يرحمه الله) - المدير المالي والإداري (1991 - 2012م)

كانت له بصمات واضحة في العمل الإسلامي بالكويت؛ فقد كان أحد أعضاء مجلس إدارة جمعية الإصلاح الاجتماعي منذ عام 1979م، وأمين الصندوق فيها، والمدير المالي والإداري لمجلة «المجتمع»، وكان له دور كبير في توفير الدعم المالي للمجلة من خلال طرق ووسائل متنوعة.

شارك في تأسيس مركز الشباب بجمعية الإصلاح الاجتماعي في منتصف السبعينيات.



كان لعضويته في مجلس إدارة الجمعية دور في تطوير عملها المؤسسي، وتدبير شؤون التنظيم الإداري والمالي فيها.

كانت بصماته واضحة في تأسيس «لجنة العالم الإسلامي» في مجال البر والإحسان والعمل الخيري في عام 1983م، التي نمت بذورها لتصبح جمعية الرحمة العالمية في يومنا هذا.

توفي يوم الثلاثاء 24 ديسمبر 2019م.■

رؤساء تحرير المجتمع



مشاري البداح (يرحمه الله)

أول رئيس تحرير لـ«المجتمع»

(1970 - 1975م)

- تـولـى رئـاسـة تـحـريـر الـمـجـلـة مـن 1970/3/17 حتى 1975/11/18م.
- نجح في إرساء سياسة تحريرية للمجلة تتبنّى قضايا المسلمين حول العالم، وتؤسس لمدرسة فكرية وسطية.
- بذل جهوداً كبيرة في فتح أسواق عديدة للمجلة أمام القراء؛ فقد قام بعدة جولات خليجية ناجحة، أسفرت عن توزيع المجلة في بلدان الخليج؛ حيث لاقت إقبالاً كبيراً من شرائح القراء.
- انضمّ إلى جمعية الإرشاد الإسلامية، وبعد إغلاقها انضمّ إلى جمعية الإصلاح الاجتماعي.
- بعد انتهاء المرحلة الثانوية سافر إلى الولايات المتحدة عام 1960م لدراسة الهندسة، وشارك في تأسيس أول اتحاد عام للطلبة المسلمين.
- بعد انتهاء الدراسة عاد إلى الكويت وأسس أول مدرسة إسلامية للبنين (مدرسة النجاة)، ثم شارك في تأسيس جمعية النجاة الخيرية.
- تـزوّج إحدى بنات الشيخ عبدالله المطوّع، رئيس مجلس إدارة جمعية الإصلاح ومجلة «المجتمع» حينها، ورُزق بتسعة من الأولاد.■



بدر القصار

رئيس التحرير

(1975 - 1979م)

- تولى المنصب خلفاً لمشاري محمد البداح، وأثرى بفكره ونظرته الثاقبة المجلة من خلال طرح العديد من القضايا الحيوية آنذاك، من خلال الكلمة الطيبة، والتحليل الرصين، وأنشطة العمل الإسلامي.
- كان جُل همه طرح العديد من الموضوعات والقضايا التي تقوي الحس الديني، وتساهم في محاربة الفساد الذي استشرى في المجتمع الكويتي على مستوى التعليم ووسائل الإعلام آنذاك، وقـد استطاع المواءمـة بين ما يطلبه القـرَّاء وتوجه المجلة الإسلامي المحافظ التي تصدر عن جمعية الإصلاح الاجتماعي، خاصة أنها جمعية نفع عام تحكمها نظم وقوانين الحكومة في تغيرات سياسية محلية وضغوطات خارجية.
- تناولت أعداد المجلة في عهده العديد من الموضوعات والقضايا المهمة، منها «المسلمون في لبنان بين الهجوم الصليبي اليهودي الباطني والخذلان العربي»، كما رسم خارطة إعلامية وصحفية لمواجهة رئيس وزراء الكيان الصهيوني الأسبق «مناحم بيجن»، من خلال أنظمة تؤمن بأسلوب القتال وكفاح فدائي إسلامي يخاطب «بيجن» بما يفهم وإعـداد الأمـة وتجهيزها لقتال اليهود.■



د. إسماعيل الشطي

رئيس التحرير

(1979 - 1992م)

- في عهده كان للمجلة دور وتأثير كبيران في القضايا المحلية؛ ما أدى لإغلاقها فترة.
- اهتم بالعالم الإسلامي وقضايا الأقليات المسلمة، ومعه بدأت الانطلاقة الفكرية والحوارية داخل المجلة.
- من أهم القضايا التي تناولتها المجلة في عهده: التحدي الإسلامي للنفوذ الأمريكي، السلطة بين القمع والحرية، فضائح النظام السوري، التطبيع.. اصطلاح جديد وممارسة قديمة، أمن الخليج على الطريقة الروسية.
- انتُخب عضواً بمجلس الأمة عام 1992م، وتولى رئاسة اللجنة المالية به.
- عُيِّن وزيراً للمواصلات، ووزيراً للدولة لشؤون مجلس الوزراء، ونائباً لرئيس مجلس الوزراء عام 2006م.
- مستشار سابق لرئيس مجلس الوزراء الشيخ ناصر المحمد الصباح.
- حصل على الماجستير في العلوم السياسية من جامعة كولومبيا بأمريكا، وماجستير في الهندسة الصناعية من جامعة نيوهيفن بأمريكا، ودكتوراه في الهندسة المدنية من جامعة ساوثهامبتون بالمملكة المتحدة.

كان مسؤولاً للحوار الفكري والحضاري بالمكتب السياسي للحركة الدستورية الإسلامية سابقاً.■



د. محمد البصيري

رئيس التحرير

(1992 - 2009م)

- له تاريخ حافل بالعمل في ميادين عديدة سواء على المستوى العلمي أو السياسي، فهو عضو جمعية المعلمين، وجمعية الصحافيين، وجمعية المهندسين، ورأس تحرير مجلة «المجتمع» من عام 1992 حتى 2009م، وانتخب عضواً في مجلس الأمة منذ العام 1999م، كما كان نائباً لرئيس مجلس الأمة لأكثر من دورة، وانضم إلى الحكومة في العام 2009م وزيراً للمواصلات وزير الدولة لشؤون مجلس الأمة، ثم في عام 2012م وزيراً للنفط وزير الدولة لشؤون مجلس الأمة.
- تختلف فترة رئاسته لتحرير المجلة عن سابقتها؛ حيث الانفتاح الإعـلامـي، وأصبـح التنافس بين الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية على أشدّه، وسحب هذا التنافس والتعدد في وسائل الإعلام شريحة من قرَّاء ومتابعي «المجتمع»؛ لذا كان لا بد من مواكبة هذه الأحداث بالتطور المستمر، وتجديد الفكر.
- ركزت المجلة في عهده على رسالتها الدعوية، الناطقة بكل آمال وهموم وطموحات المسلمين في كل أنحاء العالم، وكانت أهم الموضوعات الحيوية التي تناولتها المجلة في عهده قضية البوسنة والهرسك، وقضية فلسطين، كذلك قضية كوسوفا والمسلمين في الفلبين.. وغيرها، ناهيك عن متابعة القضايا المحلية، خاصة على الساحة البرلمانية، وهي الساحة الفاعلة التي تفاعل معها الشارع الكويتي.■



حمود الرومي

رئيس التحرير

(2009 - 2014م)

- له تاريخ حافل بالعمل في العديد من الميادين السياسية والاجتماعية؛ فعلى المستوى السياسي انتخب عضواً بمجلس الأمة الكويتي في عامي 1981، و1985م، وله مواقف مشهودة بالمجلس؛ حيث عارض تنقيح الدستور عام 1982م، وفي عام 1985م شارك في استجواب وزير العدل آنذاك سلمان الدعيج.
- انتخب رئيساً لجمعية الإصلاح الاجتماعي عام 2006م ولمدة 12 عاماً ليسير على خطى ودرب العم عبدالله العلي المطوع يرحمه الله، ثم رئيساً فخرياً لها بعد تولي الرئيس الحالي د. خالد مذكور المذكور.
- تولى رئاسة تحرير «المجتمع» في الفترة من عام 2009 حتى عام 2014م، كان له العديد الإسهامات والبصمات الواضحة في المجلة؛ حيث تناولت في عهده العديد من القضايا الإسلامية، منها انتشار ظاهرة «الإسلاموفوبيا» في الغرب، وكيف أصبح الإسلام والمساجد والحجاب أدوات اليمين المتطرف لإشعال الكراهية، إضافة إلى الإبادة الجماعية في أوجادين وصمت الغرب عنها، والتحالف الصليبي العسكري ضد الإسلام في العراق وأفغانستان، كما سلطت المجلة الضوء في عهده على قضية المسلمين الرئيسة وهي القضية الفلسطينية والأقصى.■



محمد سالم الراشد

رئيس التحرير الحالي

(2015م حتى الآن)

- عمل نائباً لرئيس تحرير المجلة من عام 1991 إلى عام 2014م.
- وضع أول خطة للتحرير الصحفي بالمجلة بثوبها الجديد بعد تحرير الكويت من الاحتلال العراقي.
- أعاد تنظيم هيئة التحرير والتنظيم الإداري بعد التحرير.
- وضع اللوائح الأساسية لتنظيم العمل والمسار القانوني للمجلة منذ عام 1991 إلى اليوم.
- ساعد رؤساء التحرير في تخطيط مسيرة تطوير المجلة خلال الفترة التي كان فيها نائبا لرئيس التحرير.
- ساهم في تمثيل المجلة في الكثير من المؤتمرات واللقاءات الإعلامية داخل الكويت وخارجها.
- ساهم في التغطيات الخاصة للمجلة في بعض المناطق الساخنة مثل البوسنة وتركيا وماليزيا وشرق آسيا.
- ساهم في المقال الأسبوعي ثم الشهري للصفحة الأخيرة منذ عام 1993م إلى اليوم على فترات مختلفة.
- ساهم بشكل مباشر في التطوير الإلكتروني الجديد للمجلة منذ عام 2011م إلى اليوم.
- شهد الموقع الإلكتروني في فترة رئاسته (منذ 2015م إلى اليوم) قفزات كبيرة في ترتيب المواقع؛ حيث أصبح ترتيبه الخامس محلياً على مستوى الصحف والمجلات الكويتية، والـ23.506 عالمياً.
- تم تكريمه من قبل مؤسسة الإعلاميين العرب، في 21 نوفمبر 2016م، في الملتقى الإعلامي العربي.■

مديرو تحرير المجتمع



زين العابدين الركابي

أول مدير تحرير لـ«المجتمع»

(1970 - 1973م)

- عمل مديراً لتحرير «المجتمع» في الفترة من 17 مارس 1970 حتى 10 يوليو 1973م.
- اتسمت مقالاته ومؤلفاته بالتصدي لمنهج التطرف، وحرص على توضيح موقف الإسلام المعتدل.
- صدرت له عدة كتب من أهمها «الأدمغة المفخخة»، وهو مجموعة من الرؤى والأطروحات التي تعالج كثيراً من القضايا والمسائل الفكرية التي عانت منها الأمة.
- يعد أحد الوجوه الفكرية البارزة المشاركة في عدد من النشاطات والندوات الفكرية داخل السعودية وخارجها.
- أسهم منذ منتصف السبعينيات في تأسيس قسم للإعلام في السعودية، استمدّ قواعده من المنهاج الديني، وأصّل لنظرياته على قواعد مقتبسة من نصوص إسلامية.
- عمل أستاذاً بكلية الدعوة والإعلام بجامعة الإمام محمد بن سعود في الرياض، ويعد أحد مؤسسيها، كما أنه كان في طليعة الأساتذة الذين أسسوا منهج قسم الإعلام بها.
- أشرف على عشرات الرسائل والبحوث التي تدور حول موضوع الإعلام الإسلامي.
- كانت له إسهامات صحفية في صحيفتي «اليمامة» و«الشرق الأوسط» السعوديتين لسنوات طويلة.
- توفي يوم الخميس 17 جمادى الآخرة 1435هـ/ 17 أبريل 2014م.■



محمد قاطرجي (يرحمه الله)

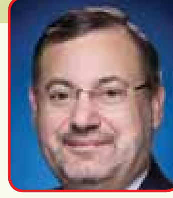
مدير التحرير

(1973 - 1989م)

- كان إعلامياً وشاعراً سورياً، ذا قريحة شعرية جميلة ورائقة.
- عمل في كلية اللغات بجامعة حلب في ستينيات القرن الماضي.
- تولى رئاسة تحرير المجلة في فترة مهمة من مسيرتها، وهي فترة البدايات حتى قبيل الغزو العراقي الغاشم.
- شهدت فترة إدارته للتحرير مرحلة التشديد على الصحافة والمجلات بعد حل مجلس الأمة عام 1985م.
- كانت المواضيع المحلية هي الطاغية على المجلة، والمطالبة بضرورة عودة الحرية والديمقراطية، والحرية الصحفية للإعلام الكويتي.
- بعد احتلال الكويت غادرها إلى مكة المكرمة، وعمل في ميدان الإعلام برابطة العالم الإسلامي، وتولى إدارة تحرير «مجلة العالم الإسلامي» هناك.
- كان معروفاً بالشهامة والجرأة والدفاع عن قضايا الدين بحماس كبير، وكان يمتلك قلماً رشيقاً وأسلوباً جميلاً.
- توفي في نهاية شعبان 1435هـ/ 26 يونيو 2014م.■

مديرو تحرير المجتمع

أحمد منصور
مدير التحرير
(1990 – 1997م)



- صحفي ومذيع مصري بارز، عضو نقابة الصحفيين المصرية، وجمعية الصحفيين البريطانية، وصحفيون بلا حدود الفرنسية، وعضو جمعية الصحفيين الدولية.
- عمل مراسلاً لـ«المجتمع» لتغطية الحرب في أفغانستان بين عامي 1987 و1990م.
- أثناء عمله مديراً للتحرير قام بتغطية الحرب في البوسنة والهرسك في عام 1994م.
- انتقل بعد عام 1997م للعمل بقناة «الجزيرة» القطرية حيث بدأ بتقديم برنامج «الشريعة والحياة»، ثم «بلا حدود»، و«شاهد على العصر».
- غطى في أثناء عمله بـ«الجزيرة» الاعتداء الأمريكي على الفلوجة.
- صدرت له بعض المؤلفات من وحي عمله الإعلامي، مثل: «معركة الفلوجة هزيمة أمريكا في العراق»، و«تحت وابل النيران في أفغانستان»، و«تحت وابل النيران في سراييفو»، و«النفوذ اليهودي في الإدارة الأمريكية»، و«قصة سقوط بغداد».■

أحمد عزالدين أحمد
مدير التحرير
(1997 – 2004م)



- السن: 65 عاماً.
- تخرج في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة قسم العلوم السياسية عام 1975م.
- محرر مترجم بالإذاعة المصرية من عام 1987 – 1980م.
- مدير إداري ومترجم بإحدى الشركات الخاصة بالمملكة العربية السعودية من عام 1980 – 1985م.
- محرر الشؤون الخارجية بمجلة «لواء الإسلام» من عام 1986 – 1990م، وصحفي مشارك في عدد من الإصدارات الصحفية.
- مدير تحرير مناوب بصحيفة «الشعب المصرية» من عام 1990 – 1993م.
- تزامنت فترة إدارته لتحرير المجلة مع ظهور الفضائيات ووسائل التواصل الحديثة؛ ما مثل تحدياً كبيراً أمام المجلة.
- شهدت المجلة في عهده التحول من المتابعة الخبرية إلى التحقيق والتحليل ومناقشة ما وراء الخبر.■

شعبان عبدالرحمن
مدير التحرير
(2004 - 2015م)



- عمل بالشؤون السياسية بالإذاعة المصرية.
- عمل في عدة صحف مصرية كان آخرها التفرغ للعمل بجريدة «الشعب» حتى أصبح مديراً للتحرير.
- كاتب صحفي في: «السبيل» الأردنية، «التجديد» المغربية، «المركز الفلسطيني للإعلام»... وغيرها.
- أهم ما نشرته المجلة في فترة إدارته للتحرير:
- قصة ظهور وانتشار «ستاربكس» وتفاصيل دعمه للكيان الصهيوني.
- نشر خطة تولية زين العابدين بن علي حكم تونس خلفاً لبورقيبة برعاية أمريكية أوروبية وبمساعدة عربية.
- تغطية مكثفة لحروب الكيان الصهيوني على غزة في أعوام: ديسمبر 2008، نوفمبر 2012، يوليو 2014م، وباقي فعاليات القضية الفلسطينية.
- كشف جرائم الاحتلال الأمريكي للعراق، وأهوال سجن أبو غريب، وفظائع الحملات الطائفية على السُّنة، وعمليات الاستيلاء على ثروات العراق وآثاره وتصفية علمائه.
- تغطية واسعة لأحداث «الربيع العربي».
- تسليط الضوء على ظاهرة انتشار البنوك الإسلامية في أوروبا.■

جمال الشرقاوي
مدير التحرير
(2015م حتى الآن)



- يعمل بالصحافة منذ عام 1985م.
- بداية العمل بالكويت: صحفي ومسؤول عن الأبواب الثابتة بمجلة «المجتمع» في 26 يونيو 2004م.
- رئاسة تحرير جريدة «اللواء العربي».
- رئاسة تحرير جريدة «الأمة».
- رئاسة تحرير جريدة «الكنانة».
- عضو نقابة الصحفيين المصرية منذ عام 1995م.
- عضو منظمة الصحفيين العالمية منذ عام 1995م.
- العمل بصحف ومواقع إلكترونية دولية ومصرية وكويتية.
- يعمل مديراً للموقع الإلكتروني لمجلة «المجتمع».
- شارك في تطوير العمل الصحفي بالمجلة تحت رئاسة الأستاذ محمد سالم الراشد، رئيس التحرير، وخاصة الموقع الإلكتروني، حيث أصبح ترتيب الموقع محلياً الخامس على الصحف والمواقع الإخبارية بعد أن كان ترتيبه 10 آلاف، وأصبح ترتيبه عالمياً 23 ألفاً بعد أن كان 8 ملايين.■



بقلم:
محمد سالم الراشد

معادلة صعبة في نصف قرن لميلاد مجلة «المجتمع»

عندما تضع مجلة «المجتمع» أقدامها على أعتاب يوم 17 مارس 2020م، فإنها تتجاوز بذلك خمسين عاماً من جهاد القلم المبارك في تفاعل حركة الدين مع الحياة، وهي في مسيرتها التاريخية إنما رسمت الحالة العامة للمسلمين في مختلف مراحلها خلال نصف قرن مضى، ولم تفتر لحظة عن الدفاع عن قضاياهم، وتعبر عن آلامهم، وتخاصم من يخاصمهم، وتحسن إليهم في محنهم، حتى أصبحت «مجلة كل المسلمين في العالم»، تحملت في سبيل ذلك ما يقارب 70 قضية رفعت ضدها وصبرت على أذى خصومها من العلمانيين، وجور المكابرين، والأعداء الحاقدين.

لقد كانت رعاية الله قبل كل شيء تحف هذا العمل، والعلم النافع للمسلمين، وكانت جهود مخلصة، وقلوب صادقة، خلف هذا السفر العظيم من تاريخ الفكر والتحليل والثقافة الإسلامية، تلكم هي جهود من تعاقبوا على رئاسة تحريرها من الإخوة الزملاء والعاملين، لقد كان لكل منهم بصماته الواضحة في توجيه مساراتها نحو أهدافها الإسلامية، فالأخ مشاري البداح (أبو أسامة) رحمه الله، الذي تولى رئاستها في نشأتها الأولى 17 مارس 1970م، حتى نهاية عام 1975م، استطاع أن يضعها هو وزملاؤه من العاملين بين مصاف المجلات الإسلامية؛ حيث بدأ الفكر الإسلامي يتفاعل مع حركة «المجتمع» على صفحاتها، وانتقل بها السيد بدر القصار (أبو أحمد)، الذي تولى رئاستها منذ يناير عام 1976، وحتى أكتوبر 1979م، ليضعها إصداراً متكاملاً يتفاعل فيه فقه الدعوة مع قضايا المجتمع الإسلامي، وفي فترة رئاسة د. إسماعيل الشطي (أبو عبدالله)، منذ أكتوبر 1979 وحتى عام 1992م، تمددت في عطائها المتزايد مع عالمية فكرتها وتأثيرها في السياسات المحلية، كما أثمرت جهود الدكتور محمد البصيري (أبو عبدالله)، في 15 ديسمبر 1992، حتى عام 2009م، لتحقق عالميتها وتخترق في تأثيرها أسوار السياسة الدولية، وليتسع نطاق توزيعها ليشمل أكثر من 120 دولة إسلامية وغير إسلامية، ويرتفع رصيدها من القراء ليكونوا أكثر من ربع مليون قارئ، وقد كان خلف كل هذه الجهود المباركة رعاية العم عبدالله علي المطوع (أبو بدر) رحمه الله، الذي ظل طوال هذه الفترة يساند أبناءه رؤساء التحرير والعاملين في المجلة بخالص جهده وتوجيهه منذ نشأتها المحلية حتى شبّت ونمت وأينعت.

ومنذ أن ترأس تحريرها العم حمود الرومي (أبو محمد) منذ عام 2009 حتى نهاية عام 2014م، كانت المجلة تسير بين عواصف المتغيرات في المنطقة، ووجّه إدارتها بشكل آمن في محيط الصعوبات الإعلامية.

لقد انطلقت المجلة منذ عام 2012م لتدخل عالم التنافس الإلكتروني العالمي، واستطاعت إدارة المجلة ومحرروها أن يرتقوا بها في سلم التنافس والتقدم؛ حيث تقدمت المجلة في ترتيبها العالمي من المركز (8 ملايين) لتصبح اليوم في الترتيب (22,968)، وعلى المستوى المحلي من الترتيب (10,459) لتصبح رقم (5) على مستوى الصحف والمجلات المحلية مع نهاية فبراير 2020م.

لقد كانت «المجتمع» وهي تتحرك بحركة الفكر الإسلامي تتعامل مع معارك صعبة وتتصادم مع مصالح متضاربة، وكان القفز فوق هذه المعادلات والانحناء حولها وتحمل تبعات ما ينتج عن ذلك جهاداً صعباً، وعملاً معقداً، فالتعامل مع مخاطر السياسة الدولية (على سبيل المثال)، وتبيان أثرها السلبي على بلاد المسلمين في المنطقة، والوقوف مع المسلمين في قضاياهم العادلة، ونقد سياسة الكيل بمكيالين، والوقوف مع قضايا حقوق الإنسان والحريات والعدالة، احتاج منا -وما زال- إلى جهود بالغة، ولغة مناسبة، حتى نأمن وصول الكلمة الصادقة والرأي المتزن لقارئنا، وحتى نتكيف مع عدم مخالفة قوانين الصحافة، ونأمن فُجر الخصومة، وتأليب الحاسدين، وحتى تصل مطبوعتنا بسلاسة وسلامة إلى منازل قرائنا الكرام، إنها رحلة شاقة وصعبة منذ التفكير بالكلمة وصياغتها وإخراجها وطباعتها وإصدارها طيلة نصف قرن.

وإذا كانت تلكم جهود إدارتها، فإن كتّابها الذين ساهموا في الكتابة فيها منذ نشأتها إلى اليوم، منهم من قضى نحبه بخاتمة سعيدة، وطواه الزمن تحت الثرى وتبقى أثره وعلمه في الناس، ومنهم ما زال يمتطي صهوة جواد الكلمة ويقارع ويصارع أفكار العلمانية، ويدعو بالحكمة والموعظة الحسنة، ولهؤلاء الأموات منهم والأحياء -الذين نتمنى لهم عملاً صالحاً مقبولاً- أدوار لم تكن بخافية على أحد، إنه تاريخ الكلمة الصادقة المجاهدة لحركة الدين في المجتمع الإسلامي.

أما قراؤها الكرام الذين تابعوها منذ صغرهم فقد كبروا معها، وأيقنوا أهميتها، ورسمت كلماتها في قلوبهم أبلغ الأثر الإيماني، وأنارت عقولهم بفكرها المتميز، وألهبت عواطفهم ومشاعرهم تجاه إخوانهم وتواصلهم من خلال صفحاتها بالمسلمين في كل مكان، لقد كبروا معها وكبرت عواطفهم وشعورهم الإيماني وعقولهم.

وكبرت معهم «المجتمع»؛ لتصبح «قصة» تتلوها أجيال الصحوة الإسلامية عن جهاد مجلتهم في بحار اضطراب عالم السياسات الدولية والمحلية المتعاقبة، وخصومة الكثير من المنافقين والمخالفين، وثباتها على كلمة الحق.■

AL-MUJTAMA'A

المجتمع

مجلة المسلمين في أنحاء العالم

العدد (2142) - السنة (51) شعبان 1441هـ / 1 أبريل 2020م



الكويت تودّع العم يوسف الحجي عميد العمل الدعوي والخيري

«كورونا» يسجن العالم

 @mugtama  www.mugtama.com  facebook.com/mugtama  @mugtama

الكويت 750 فلساً - السعودية 10 ريالات - البحرين دينار بحريني - قطر 10 ريالات - سلطنة عمان ريال عماني - الأردن 1.750 دينار أردني - لبنان 4500 ليرة - المغرب 23 درهماً

USA $ 5 - Canada $ 6 - Australia AUD 6 - URB 3.5 - India INR 110 - Pakistan PRS 200 - Turkey TRY 7 - U.k £ 3

AL-MUJTAMA'A

المجتمع

مجلة المسلمين في أنحاء العالم

العدد (2142) - (السنة 51)

إسلامية أسبوعية تصدر شهرياً مؤقتاً

تأسست عام 1390هـ - 1970م

جمعية الإصلاح الاجتماعي. الكويت

رأس مجلس إدارتها

حتى 1427/8/10هـ - 2006/9/3م

عبد الله علي المطوع يرحمه الله

رئيس التحرير

محمد سالم الراشد

مدير التحرير

جمال الشرقاوي

الإخراج الفني

مصطفى عزالدين

المراسلات

العنوان البريدي: الكويت ص.ب (4850) الصفاة.

الرمز البريدي (13049)

التحرير

22514180 - 22519539

22513616 (داخلي 205).

mujtamaa@gmail.com

info@mugtama.com

الاشتراكات والتوزيع

تليفاكس: 22560525 (00965)

sales@mugtama.com

الموقع الإلكتروني

www.mugtama.com

موقع جمعية الإصلاح

www.eslah.com

طبعت بمطابع «الهدف» التجارية





في هذا العدد

موضوع الغلاف

«كورونا» يسجن العالم

حركة «المجتمع» في فضاء الإعلام

أمر الله سبحانه وتعالى المسلم أن يعيش حياته نسيجاً واحداً متكاملاً شاملاً لله عز وجل، وأمره أن يكون شعاره في الحياة ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ (الأنعام).
وأراد الإسلام من أتباعه أن يعيشوا حياتهم الاجتماعية والسياسية والعلمية والنفسية والتربوية والإعلامية، وما شئت من أسماء ومسميات مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بعرى هذا الدين سواء بسواء، ومن هذا المنطلق القيمي تنطلق «المجتمع» في فضاء الإعلام، متخذة شمولية الرسالة الإعلامية شعاراً لها؛ فتجمع بين الشأن الديني والتناول السياسي والتحليل الاقتصادي والتوجيه الأسري والتربوي.■



رأي المجتمع

العمل الخيري الكويتي.. تاج على الرؤوس

تحتل الكويت مكانة مرموقة في مجال العمل الخيري على مستوى العالم، حتى استحقت تكريماً دولياً خاصاً من قبل هيئة الأمم المتحدة بتسميتها «مركزاً للعمل الإنساني»، وإطلاق لقب «قائد العمل الإنساني» على سمو أمير البلاد الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح، حفظه الله ورعاه.

وتعمل الجمعيات الخيرية الكويتية جنباً إلى جنب مع القيادة السياسية على تقديم المساعدات الإنسانية والإغاثية في حالات الكوارث والنكبات والحروب والمجاعات التي تنتشر حول العالم، بغض النظر عن الدين أو الوطن أو الجنس أو اللون، إلى جانب إيصال الاحتياجات الأساسية من طعام وشراب وخدمات صحية وتعليمية إلى المجتمعات الفقيرة، كما تهتم بمساعدة المحتاجين داخل دولة الكويت.

وفي هذا المقام، نذكر قول سمو أمير الكويت الشيخ صباح الأحمد: «إن العمل الخيري الكويتي تاج على الرؤوس»، ووصية أمير الكويت الراحل سمو الشيخ جابر الأحمد الصباح، رحمه الله، لأهل الكويت بقوله: «كونوا عوناً على فعل الخير».

ولعل حملة «فزعة للكويت»، التي انطلقت يوم 28 مارس 2020م، وتولتها الجمعيات الخيرية الكويتية، وتمكنت خلال 12 ساعة من جمع 9 ملايين دينار كويتي (حوالي 29 مليون دولار) خير دليل على تجذر صفة الجود والكرم التي يتمتع بها الشعب الكويتي الكريم.

ورغم ذلك، يتعرض العمل الخيري الكويتي بصفة مستمرة لحملات مغرضة ومضللة تُروّج من خلالها الأكاذيب والافتراءات؛ بغية تشويه رسالته، ومحاولة زرع الريب والشكوك لدى الناس لتخويفهم، أو لفضّهم بعيداً عن دعمه في أداء رسالته الإسلامية الخيرية التطوعية السامية، سعياً لتجفيف ينابيعه الخيرية، وكذلك لقطع خيره الممتد والمنتشر في أرجاء الأرض لمساعدة المحتاجين والمنكوبين والمشردين حول العالم، وهو ما فشلت فيه بفضل الله سبحانه وتعالى بعد ما ثبت لكافة الجهات طهارة العمل الاجتماعي والخيري بصفة عامة، وفي الكويت بصفة خاصة.

وكان لاحتضان الدولة وتكريمها للعمل الاجتماعي والخيري ورجاله الأطهار الذين نذروا أنفسهم لخدمة مجتمعاتهم وإسعادها وحل مشكلاتها ابتغاء مرضاة الله؛ دور كبير في إبطال كل تلك الحملات وإفشالها وجعلها هباءً منثوراً.

إن العمل الاجتماعي والخيري الإسلامي سيظل صمّام أمان للمجتمعات، بما يقدمه من إغاثات ومشاريع وخدمات نافعة.. وذلك بفضل الله وتوفيقه أولاً وأخيراً، ثم بفضل التفاف جماهير الشعب من حوله، واحتضان الدولة ورعايتها له. ■

آية العدد

﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

(البقرة)

وكلاء التوزيع:

الكويت: شركة باب الكويت للصحافة:
ت : 22272733 ف: 22272736
distribution@alanba.com.kw



السعودية:الشركة السعودية للتوزيع:
www.saudidistribution.com
الإدارة العامة: الرياض0096612128000
فرع الرياض: 0096612705837

فرع جدة: 0096626530909
فرع الدمام: 0096638473569

قطر :
دار الثقافة ت: 4622182 / ف: 4621800
البحرين :
مؤسسة الأيام للصحافة والنشر والتوزيع
ت :725111 / ف : 723763
TURKIYE- DUNY SUPER DAGITIM
Tel: (90 -1) 5120190
Fax: (90- 1) 5140883

الاشتراكات:

الكويت: 10 دنانير كويتية
الدول العربية: 17 ديناراً كويتياً
الدول الأجنبية: 25 ديناراً كويتياً
للمؤسسات والشركات: 30 ديناراً كويتياً

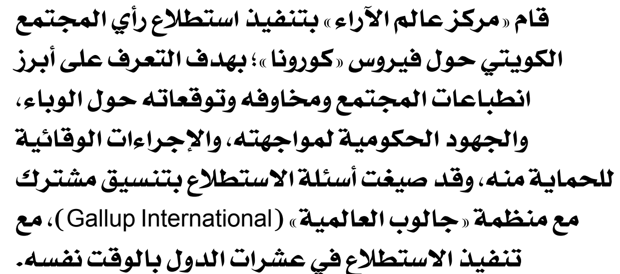
تشمل عمولة التحويل

الإعلانات :
امتياز الإعلان : مجلة المجتمع
ت: 22560525 - 22560526 الكويت.



الكويت
نتائج استطلاع توجهات الكويتيين في أزمة فيروس «كورونا»

مركز عالم الآراء



قام «مركز عالم الآراء» بتنفيذ استطلاع رأي المجتمع الكويتي حول فيروس «كورونا»؛ بهدف التعرف على أبرز انطباعات المجتمع ومخاوفه وتوقعاته حول الوباء، والجهود الحكومية لمواجهته، والإجراءات الوقائية للحماية منه، وقد صيغت أسئلة الاستطلاع بتنسيق مشترك مع منظمة «جالوب العالمية» (Gallup International)، مع تنفيذ الاستطلاع في عشرات الدول بالوقت نفسه.

تكونت عينة الاستطلاع من بيانات مشاركين في استطلاعات رأي سابقة، وبالاستعانة بقواعد البيانات المتاحة للمركز، كما تم توظيف عينة كرة الثلج للحصول على المزيد من الاستجابات.

بلغت عينة الاستطلاع 2901 استجابة من كويتي وكويتية، وقد تم جمع البيانات بين 12 و16 مارس 2020م، ومن ثم تحليلها باستخدام برنامج حزم التحليل الإحصائية (SPSS)، وبرنامج «NVIVO».

1 - انطباعات الكويتيين حول الوباء:

أعرب الكويتيون عن آرائهم حول الوباء في هذا الاستطلاع، حيث أشار 92.7% من المستجيبين أنهم يخشون إصابتهم أو إصابة أحد أفراد عائلتهم بفيروس «كورونا»، في حين اعتبرت نسبة قليلة أن خطر الفيروس مبالغ فيه (29.6%).

وفي هذا السياق، أكدت الغالبية العظمى (95.4%) أن الحكومة الكويتية تتعامل مع فيروس «كورونا» بشكل جيد، كما أكد 87.5% أنهم على استعداد للتنازل عن بعض حقوقهم إذا كان ذلك يساعد على الحد من انتشار الفيروس.

وقد أبدى نحو نصف المستجيبين (56.5%) تفاؤلهم بتحسن الأمور خلال الشهر القادم، وأن الكويت قد تجاوزت المرحلة الأسوأ، بينما أبدى ثلث المستجيبين (29%) تشاؤمهم، معتبرين أن الأسوأ لم يأتِ بعد، في حين أشار 14.5% من المستجيبين أن الوضع سيبقى كما هو الآن.

ومن الجدير بالذكر أن الإناث قد أبدين تفاؤلاً أكثر (61.7%)، مقارنة بالذكور (49.2%).

2 - مدى الالتزام بالإجراءات الوقائية:

يتخذ غالبية المستجيبين الإجراءات الوقائية الرئيسة اللازمة للحماية من فيروس «كورونا»، مثل البقاء في المنزل (88.3%)، وغسل اليد بشكل أكثر (86.4%)، واستخدام معقم اليدين (78.8%)، وبدرجة أقل؛ أعرب المستجيبون عن اتخاذهم الإجراءات الوقائية التي تتعلق بالحياة الاجتماعية، مثل عدم السلام باليد على الآخرين (67.8%)، وعدم التقبيل (67.7%)، وتقليل التفاعل الاجتماعي (66.4%)، بينما حصلت الإجراءات الوقائية المتقدمة على نسب أقل؛ مثل ارتداء قفازات اليد (54.3%)، والحجر الصحي الذاتي (43.2%)، واستخدام الأقنعة الطبية (36.2%)، في حين أشار 2.4% فقط من المستجيبين إلى أنهم لا يتخذون أي إجراء احترازي.

كما وُجِد بعض الفروق بين الذكور والإناث في الإجراءات الوقائية؛ حيث كانت هناك نسبة أكبر من الإناث ترتدي قفاز اليد (62.5%)، في مقابل الذكور (42.5%)، بالإضافة لاستخدام الأقنعة الطبية (الإناث 41%، في مقابل الذكور 29.2%)، كما أعربت المزيد من الإناث عن اتخاذ الحجر الصحي الذاتي كإجراء وقائي (47.5%) أكثر من الذكور (37.1%)، كذلك أبدت الفئات العمرية الأكبر (أكبر من 45 عاماً) التزاماً أكثر

92,7% يخشون الإصابة بالفيروس و87,5% مستعدون للتنازل عن بعض حقوقهم للحد من انتشاره

وزارة الصحة احتلت أعلى درجة رضا من بين الوزارات ومجلس الأمة حصل على أقل درجة

بعدم التقبيل بنسبة 75.1%، في مقابل من هم أصغر من 45 عاماً بنسبة 61%، بالإضافة لعدم السلام باليد على الآخرين (74.4%) للفئات الأكبر من 45 عاماً، في مقابل 61.5% لمن هم أصغر من 45 عاماً.

كان رأى أكثر من نصف المستجيبين (66.8%) أن الناس في الكويت يتعاملون مع أزمة «كورونا» بالقدر الكافي، بينما اعتبر نحو ثلث المستجيبين (27.21%) أن الناس يتعاملون بتهاون، بينما أشارت فئة قليلة (6.1%) إلى أن الناس يتعاملون مع الأزمة بشكل مبالغ فيه، وقد كانت نسبة الذين قالوا: إن تعامل الناس بالقدر الكافي أكثر لدى الفئات العمرية الأكبر من 45 عاماً بنسبة 72.2%، في مقابل 61.8% للفئات الأصغر من 45 عاماً.

3 - الرضا عن استجابة الجهات المعنية:

أعرب معظم المستجيبين عن رضاهم عن الوزارات الحكومية في تعاملها مع الأزمة؛ حيث احتلت وزارة الصحة أعلى درجة رضا من بين الوزارات بنسبة 98.7%، في المقابل حصل مجلس الأمة على أقل درجة رضا بنسبة 21.3%، بينما عبر نحو نصف المستجيبين عن رضاهم لاستجابة الجهات الخيرية وشركات الاتصال المتنقلة (56.8%، و51.3% على التوالي)، وقد وجدت اختلافات بين الذكور والإناث فيما يتعلق بالجهات الخيرية، حيث عبرت الإناث عن رضا أكبر (64.7%)، في مقابل الذكور (45.6%).

علاوة على ذلك، أيد غالبية الكويتيين قرارات مجلس الوزراء المتعلقة بتعطيل القطاعين العام والخاص لمدة أسبوعين (98.4%)، وقرار تعليق رحلات الطيران (98.5%)، وبخصوص القرارات التي من الممكن تبنيها من قبل الحكومة، أيد 83.4% من المستجيبين أن تفرض الحكومة حظر التجول كإجراء وقائي لمنع تفشي وباء «كورونا».

وبخصوص ما ينبغي القيام به بخصوص المدارس والكليات والجامعات (قبل أن تتخذ القرارات الأخيرة بتعطيل العام الدراسي حتى أغسطس)، فقد تنوعت الاستجابات حول الخيار الذي ينبغي اتخاذه، حيث أيد أقل من نصف المستجيبين (45.6%) دمج درجات الفصل الثاني مع الأول واعتبار جميع الطلبة ناجحين تلقائياً، بينما أيد حوالي ثلث المستجيبين (27.5%) إلغاء الفصل الثاني للمرحلتين الابتدائية والمتوسطة، وإبقاءه للمرحلتين الثانوية والجامعية، على حين أيد خُمس المستجيبين (19.7%) عدم إلغاء أي من المراحل والدوام في الصيف.

الخلاصة:

أظهر هذا الاستطلاع مدى التأييد الذي يبديه الكويتيون للإجراءات الحكومية، ودرجة الثقة العالية بالوزارات والتعامل الرسمي مع أزمة «كورونا»، كما أظهر استعداد الكويتيين لقبول الإجراءات القاسية التي من الممكن اتباعها لاحقاً، مثل فرض حظر التجول (تم فرض حظر جزئي)، وبيَّن الاستطلاع اتباع الكويتيين للإجراءات الوقائية الصحية اللازمة للوقاية من الفيروس، وبدرجة أقل اتباع الإجراءات الوقائية المتعلقة بالتفاعل الاجتماعي، لكن المستجيبين أبدوا انقساماً حول مستقبل أزمة «كورونا» في الكويت بين متفائل ومتشائم، إضافة للانقسام حول فكرة وجود دولة أخرى تقوم بنشر الفيروس بشكل متعمد.■



الكويت تتصدر دول العالم في إجراءات مواجهة أزمة «كورونا»

كتب- المحرر المحلي:

ثمن نواب في مجلس الأمة الكويتي التوجيهات السامية لصاحب السمو أمير البلاد الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح، حفظه الله ورعاه، التي وضعت خارطة طريق للحكومة توجت جهودها في مواجهة وباء «كورونا» العالمي بثناء شعبي وإشادات دولية بما حققته من نجاح في تحجيم الوباء، وتحصين البلاد من تفشيه حتى الآن، ونالت الحكومة حظّاً وافراً من الإشادة النيابية التي بدأت باستقبالها وقت دخولها قاعة عبدالله السالم بالتصفيق تحية على ما بذلته من جهود خلال الفترة الماضية وقرارات جريئة في مواجهة الوباء العالمي.



قال رئيس مجلس الأمة الكويتي مرزوق علي الغانم: إن توجيهات سمو أمير البلاد الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح، خلال ترؤس سموه الاجتماع الاستثنائي لمجلس الوزراء، الإثنين 23 مارس، واضحة ومركزة تستهدف بالدرجة الأولى أمن وحماية الكويت وهموم أبناء شعبها الوفي.

وأضاف أن سموه كان واضحاً وقاطعاً، وأعطى توجيهاته وتعليماته بشأن عدة أمور مهمة، على رأسها دعم المواطنين وتخفيف الآثار الاقتصادية عليهم ورفعها عن كاهلهم مما يستدعي صدور عدة قرارات في هذا الشأن.

وأشار إلى تأكيد سموه وجوب تزامن الاهتمام بمنع انتشار الوباء مع الاهتمام بتداعياته المختلفة، داعياً الجهات المعنية إلى ضرورة الإسراع باستكمال التصورات العملية الكفيلة بالمحافظة على القطاعات الاقتصادية، ودعم مقومات الاقتصاد الوطني للبلاد، واتخاذ الإجراءات العاجلة في هذا الشأن، وخاصة ما يتعلق منها بدعم المشروعات الصغيرة ومنع انهيارها.

وذكر أن سمو الأمير وجه بضرورة التعجيل بالإجراءات التي تؤدي إلى عودة الكويتيين في الخارج في أقرب وقت ممكن، كما أعطى تعليماته بالاهتمام بأبنائنا الطلبة في الخارج لإعانتهم على مواجهة الأزمة لحين عودتهم، كما أعطى سموه توجيهاته بشأن العديد من الملفات المهمة الأخرى، ومنها ملفات التركيبة السكانية.. وغيرها.

وقال الغانم: إن سموه كان واضحاً بضرورة



الغانم: توجيهات سمو الأمير واضحة وتستهدف بالدرجة الأولى حماية الكويت وهموم أبناء شعبها الوفي

انتهاء الحكومة من الخطة الاقتصادية المتعلقة بالأزمة خلال أسبوع، مشيداً بعمل الحكومة؛ رئيساً ووزراء، في التعاطي مع مختلف الجوانب المتعلقة بمواجهة انتشار فيروس «كورونا المستجد»، كما وجه سموه بالعفو عن بعض المساجين في سجون الكويت وفق معايير معينة.

فيما ثمن النائب عبدالله الرومي التوجيهات السامية، معرباً عن شكره للحكومة على جهدها المتميز، فيما أشاد النائب علي الدقباسي بإجراءات وزارة الصحة، داعياً الله السلامة للجميع، وقال النائب مبارك الحجرف: إن الحكومة قامت بواجبها، مطالباً باستمرار جهودها على هذا النهج ووضع خطة لإجلاء الكويتيين في الخارج.

ومن جهته، اعتبر النائب د. عادل الدمخي أن الحكومة نجحت في إدارة الأزمة؛ لأنها عملت بعيداً عن التدخلات السياسية، فيما أكد النائب خليل الصالح أن حصد الكويت الثناء الدولي جاء نتيجة لإجراءاتها الاستباقية لتحصين البلاد من وباء عالمي.

وأشاد النائب نايف المرداس بإجراءات وزارة الصحة وجهود العاملين بالصفوف الأولى في مواجهة «كورونا»، وعلق النائب د. عبدالكريم الكندري بقوله: الآن أصبح لدينا

إحساس بجودة القرار الحكومي وتطبيق مبدأ الشفافية.

وقال النائب عبدالوهاب البابطين: إن الحكومة تفاعلت خلال أزمة «كورونا» مع احتياجات الكويتيين؛ فنالت إشادات شعبية، مؤكداً أن الجميع في قارب واحد، واعتبر النائب محمد الهدية أن جهود السلطتين خلال الأزمة تستحق الثناء.

أما النائب محمد المطير، فأعرب عن شكره للمواطنين والمقيمين على حسن التعاون لإنجاح الإجراءات الصحية، وثمن النائب د.عودة الرويعي التكاتف الشعبي لمواجهة هذا الوباء العالمي، ودعا النائب رياض العدساني الحكومة إلى وضع خطة لإعادة الكويتيين من الخارج والاهتمام بالمخزون الغذائي وإعادة تأهيل الميزانية.

وقال النائب محمد الدلال: في الأزمات يجب مراعاة ودعم المتميزين لخدمة الشعب، وأن نتجاوز عن بعض الأخطاء، وأعرب النائب عمر الطبطبائي عن شكره لكل المتواجدين في الصفوف الأمامية قائلاً: كل الشكر لهؤلاء الأبطال، وما شهدناه من جهود مثال حي لإدارة الأزمة.

واعتبر النائب د. خليل أبل أن المتواجدين في الخطوط الأمامية محاربون يستحقون الشكر، مطالباً الجميع بتحمل مسؤولياته، وأكد النائب يوسف الفضالة أن الكويت قوية بأبنائها في مواجهة الأزمات، وأن الجميع في مركب واحد، فيما أشاد النائب د. محمد الحويلة بما قدمته الكويت في أزمة «كورونا» قائلاً: إنه عمل نموذجي يضرب به المثل في ظل انهيار بعض الأنظمة الصحية في دول العالم، وثمن النائب عدنان عبدالصمد توجيهات القيادة السياسية، معرباً عن شكره لجهود رئيس الحكومة ورئيس مجلس الأمة.

إجراءات واحترازات

وقد سجلت الكويت سبقاً دولياً جديداً بسبب تميز إجراءاتها في مواجهة أزمة «كورونا» مقارنة بدول العالم الأخرى، فقد وضعت الحكومة خطة متطورة لمواجهة الوباء.

ويمكن تلخيص أبرز الإجراءات والاحترازات التي اتخذتها الحكومة فيما يلي:

- مؤتمر يومي لوزارة الصحة:

تقيم وزارة الصحة الكويتية مؤتمراً صحفياً يومياً لتوضيح أبرز المستجدات الخاصة، وعدد الحالات التي تم تعافيها والحالات المصابة والحالات الموجودة في الحجر الصحي.

- قانون الأمراض السارية:

أقر مجلس الأمة في جلسته العادية (2020/3/24م) تعديلات القانون (69/8) في شأن الاحتياطات الصحية للوقاية من الأمراض السارية بمداولتيه الأولى والثانية وأحاله إلى الحكومة.

- تجهيز مستشفى ميداني:

كلف مجلس الوزراء وزارة الدفاع بالتنسيق مع وزارة الصحة بتجهيز أرض المعارض كمستشفى ميداني بالسرعة الممكنة.

وكشف تقرير صادر عن موقع «Our World In Data" المتخصص في التحليلات البيانية والإحصائيات، التابع لجامعة أوكسفورد، أن الكويت احتلت المرتبة الأولى عالمياً في عدد الاختبارات التي أجريت للكشف عن الفيروس، بالنسبة إلى عدد السكان.

- حظر تجوال وتمديد العطلة:

قررت الحكومة فرض حظر تجوال جزئي، ما بين الخامسة مساء وحتى الرابعة صباحاً يومياً وحتى إشعار آخر، كما قررت تمديد تعليق العمل في كافة المؤسسات الحكومية لمدة أسبوعين إضافيين، بدءاً من الأحد 22 مارس 2020م.

وفي هذا السياق، شددت وزارة الداخلية على أنها ستطبق القانون على كل من يخترق الحظر، وقررت عقوبة تصل لـ10 آلاف دينار (33 ألف دولار) أو 3 سنوات حبساً.

- إيقاف الصلوات بالمساجد:

قررت وزارة الأوقاف إيقاف صلاة الجماعة في المساجد، وكذلك صلاة الجمعة، والاكتفاء بالأذان فقط، في إطار جهود الوقاية من فيروس «كورونا».

حظر تجول جزئي وتعليق العام الدراسي وتوقف الصلوات بالمساجد والنقل العام وإغلاق الحدائق.. أبرز الإجراءات

الكويت الأولى عالمياً في عدد الفحوصات للكشف عن الفيروس بالنسبة لعدد السكان

- إغلاق الحدائق العامة:

من جانبه، أعلن وزير الإعلام وزير الدولة لشؤون الشباب محمد الجبري إغلاق جميع الحدائق العامة في جميع مناطق البلاد.

- إيقاف وسائل النقل الجماعي:

أعلنت وزارة الداخلية إيقاف وسائل النقل الجماعي، وذلك بناء على توصية السلطات الصحية.

- تأمين المخزون الإستراتيجي من المواد الغذائية:

كلف مجلس الوزراء وزارة التجارة بالتنسيق مع الجهات المختصة توفير رحلات شحن لاستيراد المواد الغذائية والأساسية التي تتطلب النقل الجوي.

كما بدأت الحكومية تعمل على حزمة من خطط الطوارئ الاقتصادية هي الأكبر في تاريخ الكويت منذ التحرير، بحيث تشمل في البداية قرارات يكون هدفها الأول تأمين المخزون الإستراتيجي للغذاء والدواء والمواد الاستهلاكية الرئيسة وعلى رأسها السلع الوقائية.

ومن جانب آخر، هناك خطط متواترة في المستقبل القريب لتخفيف الأعباء المالية عن المؤسسات التجارية والصناعية بمختلف أنواعها التي انعكست عليها تداعيات الأزمة.

وقد أكد وزير التجارة والصناعة خالد الروضان أن الحكومة لن تسمح بتحول تداعيات مواجهة الفيروس إلى مشكلة غذائية، محذراً من انعكاس القرارات الاحترازية على السلوك الاعتيادي لشراء احتياجات الأفراد والأسر.

وأكد المدير العام للهيئة العامة للصناعة الكويتية عبدالكريم تقي أن الهيئة قامت بحصر جميع المخازن في القطاعات الحكومية والخاصة في البلاد لتكوين مخزون إستراتيجي غذائي آمن، وضمان توافر السلع الأساسية الكافية للسوق المحلية، مبيناً أن مساحة المخازن تمتد لأكثر من 20 ألف متر مربع.

- تمديد تعطيل العام الدراسي:

حسم المجلس قضية العام الدراسي الحالي، حيث قرر تغيير الخطة وتمديد التعطيل إلى بداية أغسطس لطلاب الثاني عشر وحتى بداية أكتوبر لجميع مراحل العملية التعليمية، على أن يسمح للعاملين في القطاع التعليمي والإداري من المقيمين بالسفر خلال هذه الفترة.■



كتب - محرر الشؤون المحلية:

بالتزامن مع استنفار الحكومة الكويتية لكافة مؤسساتها وإمكانياتها لمواجهة انتشار فيروس «كورونا»، تعمل مؤسسات المجتمع المدني الكويتية على المساهمة بدورها في جهود البلاد للحد من تفشي الفيروس، وتأتي هذه الجهود امتداداً طبيعياً لدور هذه الجمعيات المجتمعي وواجبها الأخلاقي والإنساني نحو الوطن، وقد أكد القطاع الخيري في الكويت -ممثلاً بالجمعيات والمبرات والجهات الخيرية- استعداده التام للقيام بواجباته الوطنية ومسؤولياته المعهودة ضمن الجهود المبذولة لمواجهة فيروس «كورونا المستجد» في البلاد.



مؤسسات المجتمع المدني الكويتية.. نموذج للتكافل الاجتماعي في زمن «كورونا»

اتفقت الجمعيات الخيرية والتطوعية الكويتية على تقديم الدعم للحكومة في ثلاثة مجالات؛ أولها المجال الإعلامي، وذلك من خلال إيصال رسائل توعوية للمواطنين بالتعاون مع وزارة الصحة، وتسخير جميع الأجهزة الإعلامية التابعة للجمعيات لهذا الغرض.

أما المجال الثاني، فيهتم بتقديم الجمعيات الدعم اللوجستي للجهات المعنية المتمثلة في الاحتياجات اللوجستية والخدماتية التي ستقدمها لوزارة الصحة، وتم الاتفاق على التنسيق المباشر معها بهذا الشأن.

ويتمثل الجانب الثالث في إجراء لقاء موسع للفرق التطوعية التابعة للجمعيات الخيرية التي وجهت الدعوة إليها من وزارة الصحة التي ستتولى تقديم شرح الدور المطلوب من المتطوعين لجهة الاحتياجات والخبرات والقدرات والفترة الزمنية المطلوبة من كل متطوع.

وقد أطلقت وزارة الشؤون الاجتماعية حملة تبرعات خيرية بإشرافها تحت شعار «فزعة للكويت»، بمشاركة 41 جهة خيرية كويتية، من خلال وسائل الجمع الإلكتروني، وذلك عبر رابط رئيس باسم الحملة يتفرع منه 41 رابطاً مستقلاً لكل جمعية على حدة، يتم الجمع من خلاله بما يضمن عدم تداخل الأموال والاستقلالية المالية لكل جمعية.

وتأتي الحملة استجابة للنداء السامي من صاحب السمو الأمير الشيخ صباح الأحمد، وتعبيراً عن تضامن كافة فئات المجتمع في مكافحة فيروس «كورونا المستجد»، وما خلفه من آثار اقتصادية واجتماعية، استدعت تلك الفزعة الوطنية لتوحيد جهود جميع الجمعيات الخيرية تحت مظلة وزارة الشؤون الاجتماعية، للعمل على معالجة الآثار الناجمة، والمساهمة في مد يد العون لتجاوز تلك الأزمة بشكل تضامني تحملاً للمسؤولية المجتمعية وخدمة للكويت وأهلها، وقد نجحت الحملة في جمع أكثر من 9 ملايين دينار كويتي (نحو 29 مليون دولار).

وقامت جمعية الإصلاح الاجتماعي بدعم الجهود الحكومية في مواجهة «كورونا» من ثلاث نواح: الدعم اللوجستي، والتوعية المجتمعية، والخدمة المجتمعية.

وفي الدعم اللوجستي، قامت الجمعية بتجهيز مدرسة الفروانية الابتدائية بنين، ومدرسة المثنى الابتدائية بنات بالفروانية بعدد 200 كرسي، و12 مكتباً، كمقر إداري لكل مدرسة للتعامل مع مخالفي الإقامات، كما قامت بتجهيز مدرسة الملا ناصر بالفنطاس، ومدرسة أم عمارة بالأحمدي، ومدرسة بلال بن رباح بالصليبيخات، ومدرسة البيرق الابتدائية بنات بالقصور، ومدرسة عبدالله مشاري الروضان المشتركة بنين بالقصور، بعدد 60 سريراً، و60 مرتبة، و60 شرشفاً، و60 مخدة، و60 بطانية، مع مواد التعقيم لكل مدرسة، وقامت نماء للزكاة والتنمية المجتمعية بتوزيع 2600 عبوة ماء للعاملين في الدفاع المدني، و100 وجبة (فطور، غداء، عشاء) على العاملين في مستشفى الصباح، و200 وجبة (فطور، غداء، عشاء) على وزارة الصحة (مركز قيادات الصحة).

أما الدور التوعوي للجمعية، فقد تمثل في قيامها بنشر منشور بلغات مختلفة عن الفرق بين «الأنفلونزا» وفيروس «كورونا المستجد»، ونشر فيديو عن نماذج من جهود الجمعية لمساندة الجهات الرسمية في مكافحة الفيروس، ونشر تغريدة على «تويتر» لشكر سمو الأمير لثنائه على جهود الجمعيات الخيرية، وتجديداً للعهد على الاستمرار في بذل الجهد لمواجهة هذه الأزمة، ونشر «بوستر» توعية على منصات التواصل

الاجتماعي «حتى نعود لمساجدنا.. اصبروا وصابروا»، تحت هاشتاج «نبيها صفر»، ونشر فيديو كلمة للجاليات المقيمة بدولة الكويت، باللغة الإنجليزية نشراً للتوعية ودعماً لجهود الدولة في مواجهة فيروس «كورونا»، وتصوير ونشر «فلاش» بعنوان «حفظ الله للعبد» للدكتور محمد يوسف الشطي.

إضافة إلى ذلك، الرد على استفسارات الناس في المجال التثقيفي الديني بنشر منشور توعوي بعنوان «سألوني 6»، يجيب فيه أهل الاختصاص، ونشر 4 تغريدات لمركز «قيم» التابع للجمعية ضمن الحملة القيمية التي أطلقها المركز بعنوان «بكم نفتخر»، وإطلاق رسالة توعوية تشجع على صلة الأرحام خلال فترة حظر التجول الجزئي، وإطلاق أنشودة «لك الحب غنى» للمنشد صلاح الشطي لتشجيع أهل الكويت؛ مواطنين ومقيمين، على تقديم الخدمات التطوعية في جميع الميادين، وإصدار مقطع فيديو للدكتور حمد المزروعي لحثّ الناس على استثمار الخلوة بالعبادة وما هو نافع ومفيد، و3 مقاطع فيديو باللغة الأوردو واللغة الإنجليزية أرسلت إلى 1000 شخص، وتوزيع فيديو قصير بعدة لغات عن التمارين التي يمكن ممارستها في المنزل.

أما جانب الخدمة المجتمعية، فقد قامت الجمعية بإطلاق مشروع لتحفيظ القرآن الكريم عن بُعد، والرد على استفسارات الجاليات عن إرشادات وتوصيات طبية بعدة لغات، وتجهيز وتوزيع 200 وجبة غذاء للجاليات من الأسر المتضررة.

الرحمة العالمية

وكان لجمعية الرحمة العالمية أيضاً دور بارز في مواجهة «كورونا»، فكان لها العديد من الجهود من ناحية الدعم اللوجستي، حيث قامت بتوزيع المستلزمات الوقائية على 7500 طالب وطالبة، بالإضافة إلى 2500 من عائلاتهم من المواطنين الكويتيين في بريطانيا، بالتعاون مع الاتحاد الوطني لطلبة الكويت.

وأطلقت «الرحمة» حملة «سلامتهم من سلامتك»، وتم توزيع أكثر من 500 حقيبة تحتوي على الأدوات المعقمة والكمامات وتعليمات السلامة في صالة (4) بمشرف على المراجعين العائدين من الخارج، وبإشراف ومشاركة سفارة دولة الكويت في تركيا،

استجابة للنداء السامي من سمو الأمير انطلقت «فزعة للكويت» التي جمعت أكثر من 9 ملايين دينار

تم توزيع 800 حقيبة للوقاية والتعقيم في إسطنبول، وتوزيع المعقمات على 120 طالباً وطالبة من أبنائنا الكويتيين في سندرلاند البريطانية، وتوزيع أكثر من 16 ألف حقيبة وقائية على أبنائنا الطلبة وأهلنا العائدين من الخارج، بالتعاون مع الخطوط الجوية الكويتية، وتجهيز 5 مدارس بالفرش كمقر إداري للتعامل مع مخالفي الإقامات.

أما من الناحية التوعوية، فكانت هناك رسالة من الشيخ يحيى سليمان العقيلي، نائب رئيس مجلس الإدارة الأمين العام لجمعية الرحمة العالمية، يتحدث فيها عن «تأمين صحي ربّاني شامل ووصفة نبوية فاعلة للتعامل مع الأوبئة»، كان لها صدى واسع وتأثير مباشر، وقد تمت ترجمتها إلى 10 لغات أوروبية، هي «البوسنية، الألبانية، الفرنسية، الألمانية، النرويجية، الألمانية، الرومانية، البولندية، الإيطالية، الأوكرانية»، وتوزيعها على جميع المؤسسات المتعاونة مع الرحمة العالمية في هذه الدول لنشرها على مواقعها والاستفادة منها.

كما قامت الرحمة بإصدار فيديو بمشاركة المستفيدين من الأيتام من أكثر من 27 دولة بالدعاء للكويت أن يحفظها الله وأهلها من كل سوء، إضافة إلى العديد من التصميمات ونشرها عبر وسائل التواصل الاجتماعي لبث الطمأنينة في المجتمع، وفيديوهات توعوية بعنوان «تعلمت من كورونا» للدكتور علي الراشد، الأستاذ بكلية الشريعة جامعة الكويت، وفيديو توعوي بعنوان «لمتنا الحلوة في البيت» للتوعية بالاستفادة من وقت الأسرة داخل البيت، وإصدار فيديوهات توعوية «تعلمت من كورونا» لأستاذ الشريعة في جامعة الكويت د. علي الراشد، والأستاذ في كلية الشريعة د. وليد العنجري، والشيخ

أدوار جمعية الإصلاح تمثلت في الدعم اللوجستي والدور التوعوي والخدمة المجتمعية

عبدالله عبيد العجمي.

الهيئة الخيرية

ومن جمعية الرحمة العالمية إلى الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية، حيث بادرت بإجراء اتصالات مع الجمعية الطبية الكويتية ووزارة الصحة؛ بهدف التنسيق من أجل دعم الجهود الرسمية في مجال محاصرة الفيروس، وشاركت في الاجتماع التنسيقي الأول لبحث جهود دعم الجهات الرسمية في مواجهة وباء «كورونا» الذي دعا إليه اتحاد المبرات والجمعيات الخيرية الذي ضم ممثلين عن 39 جمعية ومبرة خيرية، بالإضافة إلى الجمعية الطبية ووزارة الشؤون الاجتماعية، ومثّل الهيئة المدير العام المهندس بدر سعود السميط.

ومع تطور الأزمة وإعلان منظمة الصحة العالمية فيروس «كورونا» وباء عالمياً، استضافت الهيئة الخيرية الإسلامية في مقرها الرئيس ثلاثة اجتماعات متتالية برئاسة د. عبدالله المعتوق، ومشاركة قيادات الجمعيات الخيرية وجمعية الهلال الأحمر الكويتي وبيت الزكاة والأمانة العامة للأوقاف ووزارات الأوقاف والشؤون الإسلامية والخارجية والشؤون الاجتماعية، أسفرت هذه الاجتماعات عن تطوير آليات وجهود التنسيق بين المؤسسات الحكومية والأهلية، وقد تجلت مخرجاتها في توسعة نطاق المنصة لتكون منصة تحالف مؤسسات المجتمع المدني لمواجهة فيروس «كورونا» برئاسة رئيس الهيئة د. عبدالله المعتوق، وتستهدف هذه المنصة تنسيق جهود أعضائها لدعم الجهود الحكومية في مواجهة فيروس «كورونا» على مختلف الأصعدة، وتضم المنصة ممثلين عن وزارتي الداخلية والشؤون على مستوى وكيل وزارة مساعد، وتسعى لتحقيق نفس التمثيل على مستوى وزارة الصحة.

وقد انبثقت عن تلك المنصة 6 فرق؛ الأول: للدعم اللوجستي، والثاني: للتطوع، والثالث: للإعلام، والرابع: لدعم المتضررين، والخامس: لدعم المواطنين والطلبة الكويتيين بالخارج، والسادس: لإطلاق حملة «فزعة للكويت».

وقد قدمت الهيئة الخيرية الإسلامية 75 ألف دينار لدعم المقيمين المتضررين والأسر المحتاجة والمتضررة داخل الكويت.■



كتب ـ محرر الشؤون المحلية:



الكويت تودِّع العم يوسف الحجي عميد العمل الدعوي والخيري

فقدت الكويت رجلاً من رجالات الدعوة والعمل الخيري الذين يشار لهم بالبنان، الذين يعد فقدهم خسارة كبيرة؛ لما لهم من إسهامات كبيرة وبصمات يشهد بها القاصي والداني.

إنه العم يوسف جاسم الحجي، صاحب الأدوار الدعوية والخيرية الكبيرة التي تجاوزت الكويت والخليج، بل والعالم العربي، إلى آفاق العالم الإسلامي كله في مشارق الأرض ومغاربها، حيث وافته المنية يوم الأحد 5 شعبان 1441هـ/ 29 مارس 2020م، عن عمر يناهز 97 عاماً، بعد حياة حافلة بالبذل والعطاء والخير لشعبه وبلده وأمته.

ولد العم يوسف جاسم الحجي في الكويت عام 1341هـ/ 1923م، وتلقى تعليمه الأساسي في مدارسها، كما تلقى العلم الديني على يد عدد من كبار علماء الكويت في ذلك الوقت؛ حيث درس، رحمه الله، في المدرسة المباركية، ثم في مدرسة عثمان عبداللطيف العثمان وإخوانه من العام 1925 – 1935م، ودرس اللغة الإنجليزية والطباعة بمدرسة هاشم البدر الأهلية.

وقد عمل في بداية حياته في شركة أرامكو للتنقيب عن النفط في المملكة العربية السعودية عام 1938 إلى عام 1941م بوظيفة كاتب دوام، وعاد بعدها لدولة الكويت وعمل في وزارة الصحة منذ عام 1944 – 1962م، حيث وصل إلى منصب وكيل وزارة الصحة.

حصل على جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام ووسام رواد العمل الخيري والوسام الذهبي للعمل الخيري بالبوسنة والهرسك

وتقديراً لأدواره الدعوية المتعددة التي سيأتي الحديث عنها في السطور القادمة، استحق العم يوسف أن ينال عدداً من أوسمة التكريم من عدة جهات دولية ومحلية؛ حيث حصل على جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام في عام 2006م، كما نال وسام رواد العمل الخيري في دولة الكويت عام 1980م، وحصل كذلك على الوسام الذهبي للعمل الخيري في جمهورية البوسنة والهرسك، وحصل على دكتوراه فخرية من جامعة أوغندا.

الحجي والعمل الدعوي والخيري

للعم يوسف الحجي رحمه الله بصمات واضحة في العمل الدعوي منذ ستينيات القرن الماضي؛ فقد كان عضواً في أول مجلس إدارة لجمعية الإصلاح الاجتماعي عام 1964م، ثم أصبح رئيساً لجمعية الإصلاح منذ عام 1972 إلى عام 1975م، وفي هذه المرحلة كان للجمعية العديد من الإنجازات؛ فقد كان عضواً في مجلس إدارتها الأول عام 1964م الذي طالب بمنع الخمر في الكويت والذي توج في قانون (46/1964) بمنع الخمر، وعندما كان رئيساً لها طالبت الجمعية بمنع الاختلاط في جامعة الكويت، وفي عهده أقيم أول معرض للكتاب الإسلامي في دولة الكويت والعالم العربي وهو ما زال مستمراً حتى الآن.

شارك رحمه الله في تأسيس جمعية الهلال الأحمر الكويتي عام 1966م، وكان نائباً لرئيس مجلس إدارتها.

كما تولى رحمه الله رئاسة جمعية الشيخ عبدالله النوري، وعين أيضاً نائباً لرئيس بيت الزكاة.

اختير رحمه الله في عام 1976م وزيراً للأوقاف والشؤون الإسلامية، وكان له دور كبير في تأسيس بيت التمويل الكويتي (أول بنك إسلامي كويتي) عام 1977م، وكذلك كان له دور محوري في إنشاء كلية الشريعة

والدراسات الإسلامية عام 1982م، كما أطلق مشروع الموسوعة الفقهية، وأصدر أول أعدادها، وأطلق برنامج الدعاة في وزارة الأوقاف.

في رحاب الهيئة الخيرية

في عام 1984م نادى د. يوسف القرضاوي خلال مؤتمر إسلامي كان منعقداً في الكويت بضرورة جمع مليار دولار، واستثماره لينفق ريعه في مواجهة الفقر والجهل والمرض عن طريق إنشاء مؤسسة خيرية يكون شعارها «ادفع دولاراً تنقذ مسلماً»، وقد حظيت الفكرة باستحسان المفكرين والعلماء ورجال الخير، وبدؤوا يتحركون باتجاه إنشاء هيئة خيرية عالمية، ومن ثم عرضوا هذه الفكرة على الأمير الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح الذي احتضن الفكرة، وأصدر، رحمه الله، مرسوماً أميرياً بنشأة «الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية» كمؤسسة عالمية ذات شخصية اعتبارية، يكون مقرها الكويت، ولها أن تنشئ فروعاً خارج الكويت.

في ذلك الحين، ترأس الهيئة العم يوسف الحجي الذي ظل رئيساً لمجلس الإدارة لمدة 25 عاماً بعد تأسيسها، تمكن خلالها بالتعاون مع مجلس الإدارة والجمعية العمومية والعاملين معه بتوسيع نشاط ومجالات عمل الهيئة لتحقيق أهدافها وغاياتها النبيلة والطموحة.

نعي رسمي وأهلي

وفور إعلان خبر وفاة العم يوسف الحجي، توالت كلمات العزاء والنعي فيه سواء من الجهات الرسمية أو الأهلية وقادة العمل الخيري والدعوي؛ فقد نعته الحكومة الكويتية على لسان وزير العدل وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية المستشار فهد العفاسي الذي قال: «إن الكويت فقدت برحيل العم يوسف الحجي رحمه الله رجلاً من رجالاتها الأوفياء، الذي كان من مؤسسي العمل الخيري في دولة الكويت، والذي عمل بكل إخلاص وتضحية، وكان عَلَماً من أعلام الدعوة في الكويت والبلاد الإسلامية، وللفقيد بصمة واضحة في العمل الخيري، الذي كانت له إسهامات كثيرة سواء على الصعيد المحلي أو الدولي، فمن منا لا يذكر

د. المذكور: طود شامخ في عطائه للكويت وللعالم الإسلامي في مجال الخير والدعوة والعمل الدائب

العفاسي: كان عَلَماً من أعلام الدعوة في الكويت والبلاد الإسلامية وله بصمة واضحة في العمل الخيري

أعماله وأفعاله في كل الميادين».

وقد نعت جمعية الإصلاح الاجتماعي باسم أعضاء مجلس إدارة الجمعية رئيس مجلس إدارتها السابق، فقد قال د. خالد المذكور، رئيس مجلس إدارة الجمعية الحالي، ورفيق درب العم يوسف: «انتقل إلى رحمة الله تعالى طود شامخ في عطائه للكويت وللعالم الإسلامي في مجال الخير والدعوة والعمل الدائب».

أما الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية، فقد قالت في بيان لها: «ببالغ الحزن والأسى، وبقلوب مؤمنة بقضاء الله وقدره، تنعى الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية إلى العالم الإسلامي وفاة رئيس مجلس إدارتها السابق العم يوسف جاسم الحجي الذي انتقل إلى رحمة الله تعالى اليوم (29 مارس) بعد مسيرة عطاء ممتدة في العمل الوطني والخيري».

من جانبها، قالت جمعية العون المباشر، في بيان لها: «رحم الله العم يوسف الحجي، وجعل سعيه وفتحه لأبواب الخير التي لا تعد ولا تحصى ثقيلة في الميزان، وعظم أجورنا جميعاً بفقده».

أما جمعية الرحمة العالمية فقالت: «تتقدم جمعية الرحمة العالمية من آل الحجي الكرام ومؤسسات العمل الخيري

«حماس»: كانت له بصماته في دعم قضايا الأمة كافة وفي مقدّمتها القضية الفلسطينية التي كان لها النصيب الأكبر

والعالم الإسلامي بخالص العزاء وصادق المواساة في وفاة المغفور له بإذن الله العم يوسف جاسم الحجي، رئيس الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية السابق، داعين المولى عز وجل له بالرحمة والمغفرة ولأهله الصبر والسلوان».

كما أصدرت نقابة الخطباء في دولة الكويت بياناً قالت فيه: «تنعى نقابة الأئمة والخطباء والمؤذنين الكويتية رائد العمل الخيري الكويتي العم يوسف الحجي؛ كان رئيساً لجمعية الإصلاح الاجتماعي ثم وزيراً للأوقاف والشؤون الإسلامية، ثم رئيساً للهيئة الخيرية، تغمده الله بواسع رحمته، وأسكنه فسيح جناته، وإنّا لله وإنا إليه راجعون».

وقد نعت أيضاً جمعية عبدالله النوري الخيرية العم الحجي في بيان لها، جاء فيه: «تتقدم جمعية الشيخ عبدالله النوري الخيرية بخالص التعازي والمواساة في وفاة فقيد العمل الخيري والإنساني العم يوسف جاسم الحجي، بعد مسيرة حافلة بالبر والخير والعطاء، سائلين الله تبارك تعالى أن يتغمد الفقيد بواسع رحمته ولأسرته ولأهل الكويت خالص التعازي والمواساة».

«حماس» تنعى

من جانبها، نعت حركة المقاومة الإسلامية الفلسطينية (حماس) فقيد العمل الخيري الكويتي العم يوسف الحجي، وقالت في بيان لها: «رحم الله أبا يعقوب؛ فقد كان رائداً وعَلَماً من أعلام الأمة في ميادين العمل الخيري والاجتماعي والإنساني، ليس في بلده الكويت فحسب، بل في مشارق الأرض ومغاربها، وكانت له بصماته في دعم قضايا الأمة كافة، وفي مقدّمتها القضية الفلسطينية، التي كان لها النصيب الدائم والأكبر من اهتماماته وجهده وعطائه».

وأضافت الحركة: «ها هو أبو يعقوب يلتحق بأعز صديقين، كانا يمثّلان معه ثلاثي الخير والعطاء والدعم، وهما: عبدالله العلي المطوع (أبو بدر)، وأحمد بزيع الياسين (أبو مجبل)، فيكون مصاب الأمة بذلك عظيماً، وخسارتها كبيرة، ولكن العزاء أنهم -رحمهم الله- أسهموا في بناء مداميك العمل الخيري، وزرعوا أشجاره، فأينع ثماراً وارفة، لا يزال حصادها مستمراً».■

علمتني أمي بدرية العزاز رحمها الله



عدي التمار

1 - الصبر:

كانت والدتي رحمها الله حريصة على ألا تضجر من البلاء؛ وتعتبره منحة من الرحمن لتمحيص الذنوب ورفع الدرجات، وأن المرء يبتلى على قدر دينه، فقد فقدت زوجها (أبي) منذ أكثر من 25 عاماً، وعانت والدتي الحبيبة من الأمراض المزمنة منذ 20 عاماً، ولكن ما وجدتها يوماً قانطة؛ بل على العكس كانت أنموذجاً في الصبر والتحمل في وجه المصائب والابتلاءات.

2 - الإرادة:

قدمت والدتي الحبيبة درساً في الإرادة، في الطاعة والعمل الصالح وطلب العلم؛ فقد كانت قائمة بالليل صائمة بالنهار، لا يكاد لسانها يفتر عن ذكر الله، وكانت وبشكل يومي منكبّة على القراءة والاطلاع من أمهات الكتب، تجمع وتصنف وتؤلف العلم النافع من مختلف منابعه لتبلغه وتنشره للناس بلغة سهلة وبسيطة يعرفها العالم الحاذق، ويفهمها الشخص العادي.

3 - حب الخير للناس:

فقد وهبت والدتي نفسها ووقتها ومالها لخدمة الناس، فما كاد يمر يوم عليها إلا وقد أعانت فقيراً أو ساعدت مسكيناً أو سعت في حاجة محتاج؛ فكانت تعين المحتاجين في مختلف أنحاء العالم، حتى آخر أيام حياتها، فقد ألحت علينا في آخر أيامها أن تذهب بنفسها إلى البنك، وكان ذلك في أشد أوقات الصيف حرارة لتقوم بإجراء التحويلات المالية للفقراء والمحتاجين في مختلف دول العالم.

4 - بناء الأسرة المسلمة:

كان شغل أمي الشاغل منذ بدء عملها في الدعوة وخدمة الناس ونشر العلم، بناء الأسر المسلمة؛ فقد كانت تحرص على جمع الرجال الصالحين بالنساء الطيبات، وتقدم لهم النصائح الزوجية التي تعينهم على حياتهم الزوجية، وتحفظ لهم أسرهم من التفكك والخلافات الأسرية

وكانت تحرص دائماً على الإجابة عن الاستفسارات الأسرية وحل المشكلات الزوجية بين الأزواج، وتوجت هذا العمل بإنشاء مركز العلاقات الأسرية في وزارة العدل الذي كان يعمل على حل المشكلات الزوجية قبل الطلاق بين الزوجين، وقد وفقها الله عز وجل للحفاظ على الكثير من الأسر الكويتية التي كانت مهددة بالطلاق والتفكك الأسري.

5 - صلة الرحم:

كانت والدتي الحبيبة أنموذجاً في صلتها لأرحامها؛ فقد كانت تصل أقرباءها، القريب منهم والبعيد، بل وتصل أقارب زوجها وأهله كذلك، وكانت دائماً تحثنا على صلة الرحم وتدفعنا إلى زيارة أرحامنا باستمرار، وكانت تحرص على إعطاء الأولوية لأرحامها في تقديم أي مساعدة أو خدمة؛ فكانت عوناً وسنداً لأرحامها في مختلف الظروف والنوائب.

6 - العفو:

كانت رحمها الله مثالاً يحتذى في العفو والصفح عمن أساء إليها؛ فقد كانت لا ترضى الإساءة أو الدعاء على من ظلمها أو أساء إليها، وإنما تدعو له بالهداية والمغفرة، وأن يصلح الله شأنه، فقد كانت صافية القلب نقية السريرة، لا تحمل أي حقد أو ضغينة على أحد؛ بل على العكس تتمنى الخير والتوفيق والبركة لكل الناس وتدعو لهم بالهداية والصلاح دائماً وأبداً.

7 - العبادة والطاعة:

كانت والدتي الغالية قدوة حية في الاجتهاد بالطاعة والعبادة، وكانت من النوادر في الحرص على الطاعة والعمل الصالح ليس لنفسها فحسب، بل دائمة العون للآخرين في مساعدتهم على الطاعة والعبادة؛ كإيقاظهم لقيام الليل وصلاة الفجر، وكان من البشريات على ذلك إتمامها صيام شهر رمضان كاملاً وصيام الست من شوال مع معاناتها من المرض وشدة حر الصيف.

8 - الحياة مع القرآن:

كان القرآن الكريم نهجها ومنهجها طوال حياتها، فما كان يمر عليها يومٌ إلا وقد قرأت أو راجعت أو تدبرت مجموعة من السور والآيات من كتاب الله، حرصت على ربط القرآن بالواقع، وتؤمن إيماناً عميقاً بأن القرآن الدليل العملي والمرجع الوافي لجميع مشاكل الناس، فكانت تربط دائماً بين الآيات القرآنية والواقع العملي بأسلوب متميز وطريقة رائعة، كما أكرمها الله عز وجل بأن حفظ جميع أبنائها القرآن الكريم كاملاً.

9 - الصدقة والمعروف للناس:

كانت والدتي الحبيبة سخية العطاء كثيرة الصدقة، وكان حظ الفقير والمسكين والمحتاج من مالها كبيراً؛ حيث تتفقد أحوال الفقراء والمساكين في كل مكان، وتحرص على تأمين حاجتهم من مالها الخاص ومن صدقات وزكاة أهل الخير.

10 - أن الوطنية قول وعمل:

كانت والدتي الحبيبة نموذجاً رائعاً في الوطنية وحب الوطن، فقد ضربت أروع الأمثلة خلال فترة الاحتلال الغاشم؛ حيث كانت هي ووالدي وأبناؤهما منذ أول يوم للاحتلال وحتى يوم التحرير من المرابطين المخلصين الذين لم يغادروا أرض الوطن في أصعب الظروف والأحوال.

وكانت تتواصل مع الكويتيات وتحثهن على الصبر والثبات والإيمان بنصر الله عز وجل وعدالة قضيتهن، وأن الاحتلال زائل لا محالة، وكانت تعد المنشورات الإيمانية التي تثبّت الكويتيين على الصبر والثبات.

وتتنقل بين مناطق الكويت لإلقاء الدروس والمحاضرات التي تثبت قلوب الكويتيين وتحثهم على الثبات، وتبشرهم بنصر الله القريب.■

عبدالعزيز المطوع..
أيقونة العمل الإسلامي بالكويت

لا يكاد جيل من الأجيال في الوطن العربي يجهل عبدالعزيز المطوع، أو أخاه المجاهد عبدالله المطوع (أبو بدر)، اللذين رحلا بعدما أصبحا أيقونة للعمل الخيري بالكويت وخارجها، كما كان صاحبهما الشيخ نادر عبدالعزيز محمد النوري الذي أجاد فن صناعة البسمة على وجوه الفقراء رفيق درب لهما، الذي رحل أيضاً مساء الأربعاء 16 جمادى الآخرة 1435هـ/ 16 أبريل 2014م (رحمهم الله جميعاً).

عبده دسوقي

مولده:

ولد عبدالعزيز بن علي بن عبدالوهاب المطوع القناعي عام **1328هـ/ أكتوبر 1910م**، وهو من قبيلة السهول بالكويت.

نشأ في أجواء عائلية ملتزمة، وكان التدين هو الطابع الذي يغلب على أسرته، وحرص والده على تربيته على الأخلاق الحميدة والقيم الإسلامية العظيمة، كما كان يغرس فيه معنى الالتزام وحب الطاعة، وكان يصطحبه إلى المسجد وخاصة صلاة الفجر مع أشقائه؛ وهو ما كان له أثره على تكون شخصيته وحياته.

تعلم في المدرسة الأحمدية، واشتهر بذكائه الحاد وفطنته، ورافق عدداً كبيراً من رجالات الكويت الذين بنوا نهضة البلاد بمختلف أشكالها أمثال الشيخ يوسف بن عيسى القناعي.

بين ربوع العمل الخيري

كان المطوع سباقاً لفعل الخيرات في السر والعلن، وأنفق الكثير في الأعمال الخيرية داخل الكويت وخارجها، وكان بحق سفيراً لبلاده بين بلدان العالم، كما كان رمزاً لعطاء الكويت، وكرم أهلها، وكان ملتزماً بتعاليم ربه، كما كان تقياً كريماً، يعطي بيمينه ما لا تعلم شماله.

تعددت أوجه المعروف والبر في حياة المطوع حتى وصفه المستشار عبدالله العقيل بقوله: «والأخ الكبير عبدالعزيز المطوع له نظرات عميقة، وتأملات فاحصة، وتوجيهات صائبة، وآراء سديدة، استقاها من قراءاته وتجاربه في الحياة وتوفيق الله له».

وكان رحمه الله شغوفاً بالقراءة، والتأمل في آيات الله عز وجل، والتدبر في القرآن الكريم، الذي كانت له فيه وقفات، فسّر فيها بعض السور والآيات، وبخاصة ما له علاقة بالعلوم العصرية، وآخر الحقائق العلمية التي أشار إليها القرآن الكريم.

كما كان له اهتمام بالغ في رفع المستوى التعليمي لشباب المسلمين، وتشجيعهم على الدراسات العليا، ودعم الجهاد الإسلامي في كل مكان، ونشر الدعوة الإسلامية الصحيحة بين القبائل العربية، التي تأثر بعضها بأفكار غريبة، وكان من المحبين للعلماء والدعاة، يحرص على تكريمهم والاحتفاء بهم.

تميز بالنبوغ وعمق الإدراك، وقد عمل على تأليف عدد من الكتب العلمية، منها «الرأس والبنكرياس»، و«خواطر باحث».

قام بعد حرب عام **1967م** بتأسيس لجنة أسماها «اللجنة الإسلامية لمساعدة الفلسطينيين وأسر الشهداء»، كما قام بعمارة المساجد، ومساعدة الفقراء وعلاجهم، ورعاية المسنين، وإغاثة المنكوبين، حتى إن الرئيسين المصريين السادات، ومبارك، وجها إليه الشكر على مساهمته الخيرية، وقلده مبارك «وسام الاستحقاق من الطبقة الأولى»، في **4 أكتوبر 1982م**، وفي **15 مارس 1988م**، كما فتح بيوت الخير في الهند وباكستان وأفغانستان ولبنان، ومعظم البلاد الإسلامية.

وحينما هز الزلزال مصر وضرب محافظاتها عام **1992م**، تبرع عبدالعزيز المطوع بمبلغ **100** ألف جنيه مصري لمنكوبي الزلزال.

لم يترك المطوع باباً من أبواب الخير إلا طرقه؛ فأينما وليت وجهك إلى عمل من أعمال الدعوة أو الإغاثة أو البر تجده في مقدمة المتسابقين، فتراه في إغاثة المنكوبين أو مساعدة الفقراء وعلاجهم، أو عمارة المساجد، أو في مجال التعليم المهني وتحفيظ القرآن، أو الجمعيات الخيرية والمعاهد والمكتبات، وكأن الله سبحانه أعطاه وقتاً فوق وقته ليحقق كل هذه الأعمال وفي قلبها الدعوة إلى الله.

بذرة العمل الإسلامي بالكويت

كان الشيخ عبدالعزيز أول من أرسى فكر حسن البنا في ربوع الكويت، فبعدما التقى به عام **1947م** تأثر بمنهجه الشامل لفهم الإسلام، وبدأ غرس هذه البذرة مع الأقربين والأصدقاء في الكويت، واختير كأول مراقب عام للإخوان في الكويت، وذلك قبل أن يتقدم لإخوانه بطلب ليتفرغ للعمل العام والخيري في **1 أكتوبر 1953م**، إلا أن الطلب رفض وظل مراقباً عاماً ليؤسس مع بقية إخوانه جمعية الإرشاد الإسلامي التي اهتمت بالإعلام؛ فأسست مجلة «الإرشاد» لنشر فكر الجمعية وتوجهاتها، ولتكون ناطقة باسمها، وتولى المطوع رئاسة تحريرها.

وتمثلت أهداف الجمعية -كما يقول الكاتب أحمد الصراف- في تحرير العقل من الجمود، وتربية النشء إسلامياً، وتحقيق مستوى معيشي أفضل للفرد المسلم، والمحافظة على قواعد الإسلام وآدابه، وتأييد الوحدة العربية والسير لتأسيس جامعة إسلامية.



وفاته:

بعد تلك الرحلة المباركة من البذل والعطاء والإحسان، توفي عبدالعزيز المطوع رحمه الله في 17 من ذي القعدة 1416هـ/ 7 أبريل 1996م ■

المراجع

1 – بيت الزكاة الكويتي: محسنون من بلدي، الجزء الأول، الطبعة الثانية، 2001م، 1422هـ، ص 97–102.

2 – عبدالله العقيل: من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة، جـ1، دار البشير، طنطا، مصر، الطبعة الثامنة، 2008م، ص478.

3 – أحمد الصراف: كلام الناس عبدالعزيز العلي المطوع و«الإخوان»، صحيفة القبس الكويتية، 25 يناير 2020م، https://bit.ly/2vCPE30.

4 – عبدالعزيز العلي المطوع: مجلة «المجتمع»، الكويت، العدد (1196)، 28 ذو القعدة 1416هـ/ 16 أبريل 1996م.

مقـال



د. يوسف السند
إمام وخطيب بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت

الفوائد التربوية والإيمانية من طبقات الشافعية

سهل العِجْلي

سهل بن محمد بن سليمان بن موسى بن عيسى بن إبراهيم العِجْلي الحَنَفيّ نَسَباً، الأستاذ الكبير، والبحر الواسع، أبو الطَّيِّب الصُّعْلُوكيّ، وَلَد الأستاذ أبي سهْل.

هو الفقيه، الأديب، مُفْتي نَيْسابور، النجيب ابن النجيب، الصُّعلوكي إلا أنه الغني، الذي لا يُسأل إلا ويُجيب.

ما أمَّهُ الطالبُ إلا وجدَه سهْلاً، ولا أمّلَه الرّاغب إلا وتلقاه بالبشر، وقال له: أهلاً.

جمع بين رياسَتَي الدّين والدنيا، واتّفق علماء عصره على إمامته، وسيادته، وجمْعه بين العلم، والعمل، والأصالة، والرياسة.

يُضرَب المثلُ باسْمه، وتُضْرب أكبادُ الإبل للرحلة إلى مجلسه، وكان يلقّب شمسَ الإسلام.

سمع أباه الأستاذ أبا سهْل، وبه تفقّه، وعليه تخرّج، ولَدَيْه رُبِّي.

قال الشيخ أبو إسحاق: كان فقيهاً، أديباً، جمع رياسة الدين والدنيا، وأخذ عنه فقهاء نَيْسابور.

وقال الحاكم: الفقيه، الأديب، مُفْتي نَيْسابور، وابن مُفْتيها، وأكْتَبُ من رأيناه من علمائها، وأنظرُهم.

قال: وقد كان بعضُ مشايخنا، يقول: من أراد أن يَعْلَم النّجيب ابن النجيب، يكون بمشيئة الله تعالى، فليَنظر إلى سهْل بن أبي سهل.

واجتمع إليه الخلقُ اليومَ الخامس، من وفاة الأستاذ أبي سهْل، سنة تسع وستين وثلاثمائة.

وقد تخرّج به جماعةٌ من الفقهاء، بنَيْسابور، وسائر مُدُن خراسان، وتصدّى للفتْوَى، والقضاء، والتّدْريس.

قـال: وبلغني أنـه وُضـع له في مجلسه أكثرُ من خمسمائة مِحْبَرة.. وكان أبوه يقول: سَهْلٌ والد.

ودخلتُ على الأستاذ في ابتداء مرضه، وسهْل غائب إلى بعض ضياعه، وكان الأستاذ يشكو ما هو فيه، فقال: غَيْبَة سهل أشدُّ (عليَّ) من هذا الذي أنا فيه.

وقال أبو عاصم العبّاديّ: هو الإمامُ في الأدب، والفقه، والكلام، والنحو، والبارعُ في النّظر.

وقال الحافظ الإمام أثير الدين أبوعبدالله محمد بن محمد ابن محمد بن غانم بن أبي زيد المُقري، في كتابه الـذي سماه «الكتاب الذي أعدّهُ شافعيٌّ، في مناقب الإمام الشّافعيّ»: سهل بن محمد الصُّعْلُوكي، كان فيما قيل: عالمًا في شخْص، وأمَّة في نَفْس، وإمامَ الدنيا بالإطلاق، وشافعيّ عصره بالإطْباق، ومن لو رآه الشافعي لقرّتْ عينُه، وشهد أنه صَدْرُ المذهب وعينه.

ومن كلامه ورشيق عباراته: فمن حكيم كلامه من تصدّر قبل أوانه، فقد تصدّى لهوانه.

ومنه: إذا كان رضا الخلْق معسُورُه لا يـدرك، كان ميسُورُه لا يُتْرَك.

قلتُ أرشق منه قولُ الفقهاء: الميسُورُ لا يسقط بالمعسور.

وهو مأخوذ من قول أفْصح من نطَق بالضّاد صلّى الله عليه وسلم: «إذا أمَرْتُكم بأمْرٍ فأتُوا منه ما استطعتم».

ومنه: إنما يُحتاجُ إلى إخوان العشْرة لزَمان العُسْرة.

مـات الأسـتـاذ أبـو الطّيب فـي رجـب سنة أربـع وأربعمائة، بنَيْسابور[1].

العبر والفوائد التربوية والإيمانية:

- طلب العلم نور وبركة في بيت المسلم وعلى ذريته وأهله وفي دينه ودنياه وعاقبة أمره.
- التيسير والتسهيل لدى الداعية والعالم مدعاة لتقبل دعوته والاستماع إليه والاجتماع من حوله، وكذا هو المربي الحكيم والأب الرحيم الكريم.
- قد يجمع الله تعالى للعالم الحكيم التقي رياستي الدين والدنيا، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.
- الجمع بين طلب العلم وبرّ الوالد وحبه منزلة كريمة ومنقبة عزيزة يوفق الله من شاء من عباده لها، ومن كرم الله تعالى يجعل العلم والتميز العلمي ميراثاً موصولاً بين الآباء والأبناء.
- تميُّز علمائنا في علوم مختلفة، والجمع بينها من أدب وفقه ونحو..
- العمل الجاد للعالم الرباني حيث الجمع بين القضاء والفتوى والتدريس.
- كرم العالم وجوده على الناس بما يستطيع ويملك.

والحمد لله رب العالمين.■

الهامش

(1) عبدالوهاب بن علي السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج4، تحقيق: عبدالفتاح محمد الحلو، محمود محمد الطناحي.



«كورونا» يسجن العالم

يتنادى العالم منذ ثلاثة أشهر تقريباً لمواجهة فيروس «كورونا المستجد» (كوفيد- 19) الذي بدأ ظهوره، ثم انتقل بعد شيئاً فشيئاً بين الدول حتى كاد أن يغطي الكرة الأرضية كلها تقريباً.

ومع هذا الانتشار الواسع والسريع، تداعت الدول والمؤسسات العالمية لوضع خطط وإستراتيجيات للحد من انتشار هذا الفيروس الذي اقترب عدد المصابين به من عتبة المليون شخص على مستوى العالم، فضلاً على أكثر من 30 ألف حالة وفاة، حتى كتابة هذه السطور.

وإذا كان للعلم الحديث كلمته في هذا الأمر التي يجب أن يعيها الجميع ويتقبلوها بقبول حسن؛ فلا بد أيضاً من استجلاء موقف الشريعة الإسلامية الذي -بلا شك- يتوافق توافقاً تاماً مع الموقف العلمي الصحيح؛ بل والذي سبقه بمئات السنين بتشريعات وآداب، أثبت العلم الحديث نجاعتها في مواجهة مثل هذه الأزمات، وقضية الحجر الصحي التي سبق بها الإسلام خير دليل على هذا.

وفي هذا الملف، تسعى «المجتمع» لعرض حلول للأزمة من مختلف جوانبها الفقهية والنفسية والاجتماعية.. إلخ، وذلك من خلال الموضوعات التالية:

- وباء «كورونا».. بين اللجوء إلى الله والأخذ بالأسباب.
- دروس من الفيروس.
- معالم التربية الوقائية في المنظور الإسلامي.
- «كورونا».. وآثاره الاقتصادية عالمياً.
- كيف تعامل المسلمون مع الأوبئة وآثارها في مراحل تاريخهم؟■



وباء «كورونا».. بين اللجـ

لا يخفى على أي متابع حجم ما أحدثه فيروس «كورونا» الذي هبّ على الكوكب هبوب الريح العاصف، وأصبحت أحاديثه تغطي على كل حديث، وأصبح أمره الشغل الشاغل لولاة الأمر في كل بلد، ولا شك أن هذه الحالة غير المسبوقة التي حلت بالبشر في كل بقاع الأرض تجعل البصير يعيد حساباته، وتصوراته عن الكون، وخالقه عز وجل.



د. محمد أحمد عزب
أستاذ العقيدة المشارك بجامعة المدينة العالمية

إن من أهم الأسئلة التي تشغل المرء ما يعرف بأسئلة المصير الثلاثة: من أي شيء خُلقت؟ لماذا خُلقت؟ وإلى أين أصير بعد الموت؟ يمثل الثاني منها حلقة الوصل بين الأول والثالث، وعليه يكون الجزاء والحساب؛ إذ إن الحلقة الأولى لا يحاسب عنها المرء؛ لأنها قدر لا اختيار له فيه، أما الاختيار كله فيكون في عمله في السؤال الثاني، فعليه يتحدد مصيره وفق الجواب في السؤال الثالث.

لقد تنبأت الملائكة، وفق ما أخبر القرآن عنهم في بداية الخلق، بما يكون عليه المخلوق، حين راجعوا الخالق عز وجل قائلين: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ (البقرة: 30)، وإذا كان بعضهم قد انشغل بسؤال: كيف عرفت الملائكة بالفساد وسفك الدماء قبل خلق الإنسان؟ فكان الأولى أن يقال: هل صدقت نبوءة الملائكة؟ فالجواب عن كيف عرفوا لن يفيد، أما الجواب عن صدق نبوءتهم فسيقف على تفسير هذا الانحراف الذي وقع فيه الإنسان وفق رؤية الملائكة سلفاً، وستحدد له ماذا عليه أن يفعل حتى يحقق مراد الخالق منه حين أهبط آدم، وقال له: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة: 38).

لم تكن الملائكة تحسد المخلوق المنتظر، ولا تخاف من مكانته التي ستكون، لأنهم أطهار مطهرون من شأنهم التسبيح والدعاء للمؤمنين، فقد أخبر القرآن عنهم أنهم: ﴿يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ (غافر: 7).

البأس بين سؤالين

إن حصول البأس ونزوله على الإنسان لا بد أن له مسببات عدة، قد يتبلور معها سؤالان: ما سبب البلاء؟ وكيف يمكن رفعه؟

فالسؤال الأول، وهو الباحث عن المسببات، من الطبيعي في ظل حالة السيولة أن يدخل في الجواب عنه غير المتخصصين، وهو ما يجعل اختلاف وجهات النظر حول مسبباتها حتمياً، ووقتها سيكون الجواب هو ما يجيده كثير ممن يظهر التباكي على حال الأمة، الذي يقال فيه: السبب هو التهاون في الدين، وهو سبب ليس عبقرياً في قوله، لأنه على حد تعبير الكواكبي: لا يلبث أنْ يقف قائله حائراً عندما يسأل نفسه: لماذا تهاون النّاس في الدّين[1].

الحال مع الوباء يشبه السفينة التي تعاني قرب الغرق، وقتها يكون الانشغال بالسؤال عن السبب من الجهد الضائع، بل الجهد يجب أن يتوجه لإدراك النجاة؛ لأن السبب غايته توجيه اللوم على المتسبب، أما الانشغال بأسباب النجاة فتجعل الجميع يسارع بالإنقاذ، إذ إنهم لو تباطؤوا فسيغرق المتسبب وغير المتسبب.

تتجلى آيات القرآن لتبين ما يجب على الناس حين وقوع البأس والمكروه، يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ (42) فَلَوْلاَ إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا﴾ (الأنعام)، المطلوب ممن وقع عليهم البأس

الحال مع الوباء يشبه السفينة التي تعاني الغرق فيجب أن يتوجه الجهد لإدراك النجاة وليس للبحث عن السبب

في حالات البأس ينبغي أن يكون الإحساس بالضعف والذل والانكسار أعظم من غيرها من الحالات

هو التضرع، والتضرع حالة أعظم من اللجوء للدعاء، فهي تحمل معنى الضعف والذل[2]، وتحمل معنى التقرب والتوسل، والمبالغة في السؤال والرغبة، وهي مساوية في المعنى لكلمة «يجأرون» في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ﴾ (المؤمنون: 64)[3]، والجأر هو رفع الصوت مع التضرع والاستغاثة[4]، وعلى كل ففيه معنى: شدة الفقر إلى الله تعالى حال الطلب منه ورجائه.

في حالات البأس ينبغي أن يكون الإحساس بالضعف والفاقة، والذل والانكسار أعظم من غيرها من الحالات، وإذا كان الانكسار والإحساس بالضعف مطلوباً في كل وقت، فإنه في حال يكون أكثر طلباً من غيره من الحالات؛ ولذا تطلبت حالة الجدب صلاة الاستسقاء بهيئة وطريقة مخصوصة يخرج فيها المستسقي متضرعاً[5].

الرسل والتضرع

استعمال التضرع المشتق من الضرع، الذي يلتقمه الرضيع، فيشعر بالأمان، ويمتلئ جوفه منه معنى غير خفي، إن الله تعالى يرسل الرسل ليلجئ الأمم أحياناً إلى حالة التضرع، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾ (الأعراف: 94)، وفي الآية الأخرى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ (الأنعام: 42)، يقول الطبري: فعلنا ذلك بهم ليتضرعوا إليَّ، ويخلصوا لي العبادة، ويُفردوا رغبتهم إليَّ دون غيري، بالتذلل منهم لي بالطاعة، والاستكانة منهم إليَّ بالإنابة[6].

وإذا كان التضرع في حال إرسال الرسل والأنبياء مطلوباً غاية الطلب، فمطلوبيته حال حصول البلاء أحرى وأشد، تصور الآيات القرآنية حال المتضرعين الذين يعلم الله حالهم قبل الدعاء، وبعد الدعاء، ولكنه تعالى عاملهم بلحظة الدعاء لا بما سبقها أو أعقبها، وهو العليم بهم في كل الحالات، فقال سبحانه: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ﴾ (الإسراء: 67)، فلحظة التضرع إلى الله تعالى حتى ولو من كافر أصيل الكفر إذا توافر لها الذل الكامل للخالق والإنابة إليه حصلت الإجابة، وهو معنى يغيب عن كثير ممن يخجل من رفع يده لربه وقت المصيبة، فيظن أن سالف عمله يحول بينه وبين التضرع إلى خالقه.

إن الظفر مقرون باستصغار النفس واستقلالها في جنب الله تعالى، وانظر إلى قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (آل عمران: 123)، إن الله تعالى وصف أصحاب رسوله بالأذلة، وقد جعل العزة لهم في قوله سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (المنافقون: 8)، فكيف تكون لهم العزة وهم هنا أذلة؟ يقول الرازي: «الذل هنا هو قلة العدد وضعف الحال وقلة السلاح والمال وعدم القدرة على مقاومة العدو، ومعنى الذل: الضعف عن المقاومة»[7]، فحال الذل لله تعالى هي حال النصر، وهي حال العز في آن واحد.

قساوة غير مطلوبة

لقد درجت البشرية طول تاريخها على حالة من القسوة ونسيان المعروف نبهت إليه آيات الكتاب العزيز، فقد أمن أكثرهم العقوبة واستهان بها، قال الله تعالى: ﴿وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الأنعام: 43)؛ أي: أقاموا على تكذيبهم رسلهم، وأصرُّوا على ذلك، واستكبروا عن أمر ربهم، استهانةً بعقاب الله، واستخفافاً بعذابه، وقساوةَ قلب منهم، وحسّن لهم الشيطان ما كانوا يعملون من الأعمال التي يكرهها الله ويسخطها منهم[8].

لحظة التضرع إلى الله ولو من كافر إذا توافر لها الذل الكامل للخالق والإنابة إليه حصلت الإجابة

السعي الحثيث من العلماء والباحثين لإدراك ما جعله الله شفاء هو باب من التوجه لله واللجوء إليه

إن الوباء الحاصل الآن، الذي يحصد البشر تارة بعامل الرعب، وتارة بنهش الجسد، ينبه البشرية كلها أن لا ملجأ من الله إلا إليه، وأن الفرار يكون من الله إلى الله، وأن حاجة البشرية كلها في هذه اللحظة الفاصلة، التي نفدت فيها كل الحيل، واستنفدت فيها كل الإمكانات هو اللجوء إلى الله.

وقد يتوهم بعضهم أن في الاقتصار على التوجه إلى الله دعوة لئلا يقوم الباحثون بواجبهم، بل إن من التوجه إلى الله هو السعي الحثيث لإدراك ما جعله الله شفاء، فليست المعادلة هي المساجد في مقابل مراكز البحث، بل المقصود هو التعانق بين الباحثين والركع السجود؛ لأن الغفلة عن باب الله وتركه مهلكة، وعدم السعي والأخذ بأسباب النجاة هو من ذات القبيل، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾ (آل عمران: 126)، وقال معه أيضاً: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ﴾ (الأنفال: 60).

فاليقين بأن النصر من عند الله لا يعطل الأخذ بالأسباب المبلغة له، فالأول يقين لا شك فيه، والثاني واجب محتم لا يجوز تركه، فليت الفرصة التي مُنحها كل من كان يصلي في جماعة وصار يصلي في بيته، فأدرك أهله الأنس به وبصلاته بينهم، وحاز هو أجر الجماعة التي فاتته دون تفريط أن يكون الابتهال والتضرع، إلى الله أهم ما يجأر به ويحتمي بحمى الله تعالى.■

الهوامش

(1) طبائع الاستبداد، ص 9.
(2) المفردات في غريب القرآن، ص 506.
(3) تفسير السمرقندي (2/ 485).
(4) لسان العرب (4/ 112).
(5) تاج العروس (21/ 411)، ومعجم اللغة العربية المعاصرة (2/ 1360).
(6) تفسير الطبري (11/ 355).
(7) تفسير الرازي (8/ 348).
(8) تفسير الطبري (11/ 357).



دروس من الفيروس!



لندن - د. أحمد عيسى:
دكتوراه جامعة برمنجهام

ما من محنة إلا وفي طياتها منحة، ولن يخبو نور اليسر وسط ظلام العسر، والناظر للعالم وقد اجتاحه الفيروس، يجد أننا في حاجة إلى وقفة للتمعن والتدبر والتفكر والتأمل عسى أن يخرج بدروس للحاضر والمستقبل، وقد أثبتت الجائحة أن البشر ضعفاء، وأن فيروساً لا يُرى لا يستطيعون دفعه إلا بحول الله وقوته، إن بلاء شديداً قد أصاب العالم فقتل الأنفس، وأرهب القلوب، وشل حركة الحياة، ولا نجاة لنا إلا بالصبر على المصيبة، والأمل في رحمة الله ولطفه؛ ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً﴾ (الطلاق: 7).

بيوت الله خلت من عمّارها المصلين والذاكرين لكن العاقل منهم سيعوض ذلك في البيت بصلاة أخلص ودعاء أخشع

1 - علاج الجزع:

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً (19) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً (20) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً (21) إِلَّا الْمُصَلِّينَ (22)﴾ (المعارج)، قد فسرت الآيات الهلوع وهو الذي إذا ناله الشر أظهر شدة الجزع، وإذا ناله الخير بخل به ومنعه الناس، إلا المصلين؛ أي الموصوفين بتلك الأوصاف فإنهم إذا مسهم الخير شكروا الله، وأنفقوا مما خولهم الله، وإذا مسهم الشر صبروا واحتسبوا (تفسير السعدي)، وقيل: هم المؤمنون عامة، فإنهم يغلبون فرط الجزع بثقتهم بربهم ويقينهم (تفسير القرطبي).

2 - المساجد الباكية لما فقدت من الذكر:

خلت بيوت الله من عمَّارها الذين يصلون ويذكرون اسم الله ويسبحون له فيها بالغدو والآصال، لا شك أنهم يبكون حرقة على ضياع الصلاة في الجماعة والجمع وهم يسمعون نداء المؤذن «صلوا في بيوتكم»، ولكن العاقل منهم سيعوض ذلك في البيت بصلاة أخلص، ودعاء أخشع، وذكر متواصل، أما المساجد نفسها فلا شك أنها تبكي، جاء عن ابن عباس: «وإذا فقده مُصَلاه من الأرض التي كان يصلي فيها ويذكر الله فيها بكت عليه»، وروى البخاري عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا، «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ إِلَى جِذْعٍ، فَلَمَّا اتَّخَذَ الْمِنْبَرَ تَحَوَّلَ إِلَيْهِ، فَحَنَّ الْجِذْعُ، فَأَتَاهُ، فَمَسَحَ يَدَهُ عَلَيْهِ»، وفي رواية: «إِنَّ هَذَا بَكَى لِمَا فَقَدَ مِنَ الذِّكْرِ» (رواه أحمد).



3 - التوكل:

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّه بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّه لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً﴾ (الطلاق: 3)؛ أي من فوض إليه أمره كفاه ما أهمه -ولا بد من نفوذ قضائه وقدره- قد جعل الله لكل شيء من الشدة والرخاء أجلاً ينتهي إليه، وقال الربيع: إن الله تعالى قضى على نفسه أن من توكل عليه كفاه، ومن آمن به هداه، ومن أقرضه جازاه، ومن وثق به نجاه، ومن دعاه أجاب له، وتصديق ذلك في كتاب الله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ (التغابن: 11)، ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ (تفسير القرطبي).

4 - الأخذ بالأسباب:

وقد سئل أحمد عن رجل جلس في بيته، أو المسجد وقال: لا أعمل شيئاً حتى يأتيني رزقي، فقال: هذا رجل جهل العلم، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله جعل رزقي تحت ظل رمحي»، وقال: «لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً»، فذكر أنها تغدو وتروح في طلب الرزق، قال: وكان الصحابة يتجرون ويعملون في نخيلهم والقدوة بهم.

ويقول شارح الطحاوية: قد يظن بعض الناس أن التوكل ينافي الاكتساب، وتعاطي الأسباب، وأن الأمور إذا كانت مقدرة فلا حاجة إلى الأسباب، وهذا فاسد، فإن الاكتساب منه فرض، ومنه مستحب، ومنه مباح، ومنه مكروه، ومنه حرام، وقد كان صلى الله عليه وسلم أفضل المتوكلين يلبس لأمة الحرب، ويمشي في الأسواق للاكتساب.

5 - التداوي والأمل:

وجهنا رسول الله صلى الله عليه وسلم للتداوي وعلاج الأمراض الظاهرة والباطنة، ووجهنا كذلك بالبحث والدراسة لاكتشاف الأدوية، فقد ورد في الصحيحين قوله صلى الله عليه وسلم: «ما أنزل الله من داء إلا أنزل له شفاء»، وورد أيضاً قوله: «تَدَاوَوْا

عِبَادَ اللَّه، فَإِنَّ اللَّه لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ مَعَهُ شِفَاءً إِلَّا الْهَرَمَ» (رواه ابن ماجة)، وانظر إلى قوله صلى الله عليه وسلم: «إِلَّا وَضَعَ مَعَهُ شِفَاءً»؛ ألا يدل على تلازم المرض والعلاج، وأن العلاج مع أو من المرض، كما ينتج من سموم الثعابين مضادات السموم، فيمكن إنتاج مصل للفيروس.

قال الصنعاني: وفيه الإرشاد إلى التداوي، وإنه لا ينافي التوكل كما لا ينافيه دفع الجوع والعطش والحر والبرد بأضدادها، بل لا تتم حقيقة التوحيد إلا باستعمال الأسباب التي جعلها الله مقتضيات لمسبباتها قدراً وشرعاً.



6 - التغيير الاجتماعي:

اضطر الفيروس الناس إلى البقاء في البيت مع بقية الأسرة، ففتحوا الكتب والقصص التي ربما لم تفتح لسنوات ليقرؤوا، ويحكوا لأطفالهم، وبدأ تواصل أسري عن قرب، فيه الحوار الشخصي وليس الرسائل الإلكترونية، وفيه التعلم والتعليم بأدب وحب واحترام، وزرع الفيروس عادات جديدة مثل الاهتمام بالنظافة، وحماية الآخرين، ومساعدة الضعفاء، وتغيير نمط العمل الروتيني، كما أتاح الفيروس هدنة لكوكب الأرض أن يتنفس هواء أنقى، فقل عدد الطائرات والقطارات والسيارات التي تنفث سموم الغازات، ولعل ذلك خلق وقتاً طيباً للحيوانات والطيور، وأحس الناس أكثر بأهمية العاملين في المجال الصحي الذين هم دوماً في خط الدفاع الأول لصحة الناس، وفي المقابل يتعرضون لمخاطر جمة.

7 - ماذا فعلنا مع الأمراض وأسباب الموت الأخرى؟

هناك أسباب يمكن تفاديها ولكننا للأسف كمجتمع عالمي لم نشمر لها تشميرنا للفيروس، خذ مثلاً حوادث الطرق؛ فقد أودت الإصابات الناجمة عن حوادث الطرق بحياة 1.4 مليون شخص في عام 2016م، وشكّل الرجال والفتيان منها نسبة الثلاثة أرباع، حسب منظمة الصحة العالمية، وفي كل عام يضع ما يقارب مليون شخص نهاية لحياته، وتمثل كل حالة انتحار مأساة تؤثر على الأسر والمجتمعات، فماذا فعلنا لمنع موت هذه الملايين؟

ونصف عدد الوفيات في البلدان المنخفضة الدخل هي بسبب الأمراض السارية والاعتلالات التي تصيب الأمهات والحالات الصحية أثناء الحمل والولادة، وحالات نقص التغذية، وهي أمراض يمكن تفاديها بتضافر الجهود وإعانة البلاد الفقيرة، وفك حالات النزاع العسكري ووقف تدخل الدول في مصائر الشعوب.

يموت في عام واحد 15.2 مليون شخص نتيجة مرض القلب لانسداد الشرايين التاجية، والسكتة الدماغية، وهما أكبر مرضين يحصدان الأرواح في العالم، فماذا فعلنا لتقليل ذلك؟

وحصد الانسداد الرئوي المزمن أرواح ثلاثة ملايين شخص، وتسببت سرطانات الرئة في 1.7 مليون وفاة، أما السكري فأودى بحياة 1.6 مليون شخص، وتضاعفت وفيات أمراض الخرف لتصبح السبب الخامس للوفاة بالعالم.

وظلّت عدوى التهابات الجهاز التنفسي السفلي من الأمراض السارية الأكثر فتكاً وقتلت 3 ملايين شخص، والإسهال سبب في 1.4 مليون وفاة، والسل وهو معدٍ كالفيروس فتسبب بموت 1.3 مليون شخص، والإيدز والعدوى بفيروسه قتل مليون شخص في السنة(1).

هذه الملايين تموت بلا أخبار عاجلة أو مؤتمرات طارئة أو اجتماعات عالمية أو زخم صحفي وإعلامي وخلال منصات التواصل الاجتماعي، والذين يموتون هم بشر منا ومن جيراننا وأهلنا وأصدقائنا، فلماذا لم نأخذ الاحتياطات لوقايتهم؟ لماذا لم نمنع الخمر والتدخين مثلاً كما منعنا السفر؟

بدأ تواصل أسري عن قرب فيه الحوار الشخصي وليس الرسائل الإلكترونية وفيه التعلم والتعليم بأدب وحب

المجتمع العالمي لم يهتم بأسباب أخرى للهلاك مثل حوادث الطرق والأمراض السارية وسرطانات الرئة والسكري

8 - ألطاف الله:

من أسماء الله تعالى اللطيف، وهو لطيف بعباده، وما من عبد إلا وتفضل الله عليه بلطفه بما صلح به بقاءه، ونجاته من كل كرب، وعندما تضرب الحوادث والمخاوف والمهالك، فلا ملجأ ولا منجى إلا إلى الله، ليدفع عن عباده الأمراض والفيروسات بوسائل وجنود لا يرونها ولا يشعرون بها، فهو اللطيف، قال الله تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (يونس: 107)؛ أي وإن يصبك الله بشدة أو بلاء فلا كاشف لذلك إلا ربّك الذي أصابك به، وإن يردك ربك برخاء أو نعمة وعافية وسرور، فلا يقدر أحدٌ أن يحول بينك وبين ذلك (تفسير الطبري بتصرف).

وأبشر؛ فإن مع العسر يسراً، إن مع العسر يسراً.■

الهامش

(1) تقديرات منظمة الصحة العالمية لعام 2016م: الوفيات حسب السبب، العمر، الجنس، وحسب البلد والمنطقة.



معالم التربية الوقائية في المنظور الإسلامي

أ.د. حسان عبدالله
أستاذ أصول التربية المساعد بجامعة دمياط- مصر



تفرد الإسلام في نظرته إلى حياة الإنسان؛ فلم تكن مثل نظرة بعض الفلسفات أو أصحاب الشرائع الذين لم تقع أفهامهم على مقصودات التشريع منها، فراحوا يزدرون تلك الحياة، أو يحقرون من شأنها، ويعتبرونها دنساً لا بد أن يتخلى المؤمن عنها، وهو ما سجله الوحي بقوله: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾ (الحديد: 27)، ومن ناحية أخرى لم ينظر للحياة على أنها مسرح للعبث وممارسة الرذائل والفواحش، وجعل مؤشر اللذة والألم هما مقياس حركة الإنسان ونشاطه كما في مذهب الدهريين ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ (الجاثية: 24).

جاء المنهج الإسلامي في نظرته إلى الحياة الإنسانية متفرداً، ويظهر ذلك التفرد في إقرار قيمتها باعتبارها مسرحاً لممارسة الاستخلاف على الأرض، وأداء الأمانة، وهو ما جعل تكوين الإنسان يجمع بين مكون روح الخالق ومكون الأرض التي يسكن عليها، ويصبح الجسد مسؤولاً عن احتواء تلك الروح، التي تسكن بداخله منذ خَلْقها، والجسد بذلك هو مسرح عمل الروح، ولم يخلقه الله عبئاً أو حملاً زائداً عليها، ينبغي أن تتخلص منه؛ بل يتكاملان ليكوّنا هذا الخلق الفريد بين المخلوقات وهو «الإنسان».

مقصد حفظ الحياة:

أعلن الإسلام منذ الوحي أن الحفاظ على حياة الإنسان من المقاصد العليا لهذا المنهج، فحرم قتل النفس، واعتبر أن قتل نفس واحدة هو قتل للناس جميعاً، وهو على سبيل الحقيقة في الواقع الاجتماعي، ومنه أيضاً جاء تحريم أن يهدر الإنسان حياته، وتحريم قتل الأولاد خشية الفقر أو ما إلى ذلك؛ فكان النهي عن تعمد إفناء الحياة عن طريق تعرض الجسد لأي من عوامل الفناء.

وفي ضوء ذلك رسم الإسلام خارطة المحرمات التي من شأنها أن تساهم في هلاك الجسد، أو تدفعه إلى مشارف الهلاك، فحرم الخبائث التي تضر الجسد، سواء بطريق مباشر مثل بعض أصناف الطعام (الميتة والدم ولحم الخنزير..)، وهو ما أثبت العلم لاحقاً آثاره المُمْرضة على الجسد، أو بطريق غير مباشر؛ كتحريم بعض أصناف الشراب (الخمور)؛ لأنها تذهب بالعقل الذي يفقد الإنسان على السيطرة على أفعاله، ومن ثم يعرض حياته للخطر.



تفرُّد نظرة المنهج الإسلامي للحياة الإنسانية يظهر في إقرار قيمتها باعتبارها مسرحاً لممارسة الاستخلاف على الأرض

كما دفع الإسلام إلى تلبية كل حاجات الجسد (باعتباره ممثل الحياة الإنسانية)، والمظهر الأساس لحياة النوع الإنساني، فأقر له المباحات من الطعام والشراب، وأقر له احتياجاته الأساسية، وشهواته المجعولة فيه، ورشدها ووضع لها برنامجاً سوياً للإشباع والتلبية، كما خص ذلك المنهج أيضاً خصائص التوازن، والاعتدال في تلبية احتياجات الجسد، وشرع الصوم تطهيراً له، ووقاية من كثير من الأمراض التي يمكن أن يصاب بها الإنسان في مسيرة حياته الطبيعية؛ فكان المنهج الإسلامي استجابة متوازنة ومعتدلة للتعامل مع الجسد من منظور قيمي وأخلاقي وواقعي في ذات الوقت.

ويأتي مقصد حفظ الحياة الإنسانية، في باب مقصد حفظ النفس -تالية لحفظ الدين كما عند الإمام الشاطبي- ويكون حفظها بحفظ وجودها من الهلاك بصورة مباشرة (أي بقتل النفس)، وما يتطلبه ذلك الوجود من الغذاء الطيب والمشرب الصحيح، وكذلك ما يدرأ عنها من كل ما يعرضها -أو يتوقع أن يعرضها- للضعف والهلاك.

يذكر الشاطبي في حفظ النفس ومتطلباتها قوله: «.. فأما أصول العادات راجعة إلى حفظ النفس والعقل من جانب الوجود أيضاً؛ كتناول المأكولات والمشروبات والملبوسات والمسكونات، وفي التحسينات كآداب الأكل والشرب، ومجانبة المآكل النجسات والمشارب المستخبثات، والإسراف والإقتار في المتناولات»[1].

وعلى هذا فمقصد حفظ النفس/ الحياة الإنسانية، يقوم على جانبين؛ الأول: ما يحقق لها الوجود، والثاني: ما يدفع عنها كل اختلال أو اضطراب؛ أي الوقاية لحفظ ذلك الوجود للقيام بالدور الاستخلافي.

خارطة الوقاية:

تقوم فكرة الوقاية في المنهج الإسلامي

على مبدأين أصيلين:

الأول: مبدأ «التقوى»؛ أي الوقاية والتجنب لكل ما يسبب الضرر المعنوي والمادي للإنسان، سواء في عالم الشهود أو عالم الغيب، «والوقاية: حفظ الشيء مما يؤذيه ويضره، يقال: وَقَيْتُ الشيءَ أَقِيه وقايةً ووقاء، والتقوى: جعل النفس في وِقَايَة مما يخاف تحقيقه»[2]، ويقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من يتوق الشر يوقه»[3].

الثاني: نفي الضرر مطلقاً وكل ما يؤدي إليه، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لا ضرر ولا ضرار»[4].

والذي نقصده هنا بالمنهج الوقائي الخارطة التي يمكن أن يسلكها الإنسان نحو ما يخشى منه أن يعرضه للهلاك أو الضعف أو المرض، ونشير في ذلك إلى أهم مكونات خارطة ذلك المنهج كما يلي:

1 - الحياة الطيبة:

يؤكد المنهج الإسلامي فكرة «الحياة الطيبة» التي يجب أن يعيشها الإنسان كي يحافظ على سلامته المادية والمعنوية، وذلك في مقابل تحريم الخبائث التي تفسد تلك السلامة المادية والمعنوية، وقد جاء الوحي مؤكداً هذا المبدأ ويدفع إليه؛ ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ (البقرة: 172)، وارتبط كذلك ذكر الطيبات والدفع إليها بالتحذير من الخبائث وتحريمها على الإطلاق؛ ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ (الأعراف: 157).

إن فكرة الطيبات التي تحافظ على السوية الجسدية تتناقض مع فكرة الخبائث التي تفسد تلك السوية، وبينما جعل الخبائث محدودة في أنواع معينة من الشراب (الخمور)، وبعض أنواع الطعام (مثل: الميتة والدم المسفوح ولحم الخنزير..)؛ جعل مساحات الطيب والطيبات واسعة ولا حدود لها، بل اعتبرها كل ما في الأرض؛ ﴿كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ (البقرة: 168).

هذا يعني أن الإنسان ينبغي له أن يتحرى «الطيب» في كل ما يحصل عليه لسد احتياجاته الطبيعية في الحياة، وتجنب الفاسد منه، والأول يرتبط بالنفع، والثاني يرتبط بالضار.

الإسلام رسم خارطة المحرمات التي تساهم في هلاك الجسد ودفع إلى تلبية كل حاجاته فأقر له المباحات

المنهج الإسلامي يؤكد «الحياة الطيبة» التي يجب أن يعيشها الإنسان ليحافظ على سلامته

الأذى الذي تسببه المضارات يرتبط بالفشل وتعرض الإنسان لما يعقبه من هزيمة الجسد والروح

2 - الاجتناب:

الاجتناب: الابتعاد، والترك، لما متوقع منه أن يؤذي أو يخشى من مآلات الاقتراب منه، وقد أقر المنهج القرآني مبدأ «الاجتناب» لكل مصادر الأذى وأنواعها، ومما ذكره في ذلك: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ﴾ (المائدة:90)؛ أي: فاتركوه وارفضوه ولا تعملوه، وربط بين ذلك الاجتناب وحصول الفلاح للإنسان، فالأذى الذي تسببه هذه المضارات -كما ثبت علمياً- يرتبط بلا شك بالفشل وتعرض الإنسان لما يعقبه من هزيمة الجسد والروح إذا حدث ذلك الارتباط بهذه المضارات.

لذا كان الوحي منبهاً للمحرمات التي يجب اجتنابها أكثر من تنبيهه لما يجب إتيانه، لأن دائرة الأولى ضيقة، بينما دائرة الثانية متسعة، واعتنى القرآن في ذلك بألفاظ: «لا تقربوا»، «ذروا»، «اجتنبوا».

3 - التطهر:

يقوم هذا المبدأ على مركزية التطهر في حياة المسلم التي تظهر في جميع نشاطه اليومي والمعتاد، حيث ورد عن النبوة عشرات إن لم نبالغ مئات الأحاديث في غسل اليدين قبل الأكل وبعده، والاغتسال من الجنابة، ومن الجماع، ومن التغوط، بل اعتبرت النبوة الطهارة نصف الإيمان.

4 - التحرز:

يقوم هذا المبدأ على فكرة وجوب التحرز من الضرر المتوقع، يذكر الشاطبي في ذلك قوله: «إن المؤذيات والمؤلمات التي خلقها الله تعالى ابتلاءً وتمحيصاً وتسليطاً.. فهم من مجموع الشريعة الإذن في دفعها على الإطلاق، بل أذن التحرز منها عند توقعها وإن لم تقع.. ومن ذلك دفع ألم الجوع والعطش، والحر والبرد، وفي التداوي عند وقوع الأمراض، وفي التوقي من كل مؤذٍ، والتحرز من المتوقعات حتى يقدم العدة لها»[5].

تلك أبرز معالم التربية الوقائية التي ينبغي أن يتوخاها الفرد والمجتمع والدولة حتى تتجنب بها آثار النوازل والمستجدات والملمات، التي قد تصيب الفرد والمجتمع لأسباب مختلفة ومتعددة.■



الهوامش

(1) الموافقات في أصول الشريعة، كتاب المقاصد، ص8.
(2) مفردات الراغب، ص 881.
(3) أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه بإسناد حسن.
(4) رواه الدار قطني، وابن ماجة.
(5) الشاطبي مرجع سابق، ص 114.



«كورونا»..
وآثاره الاقتصادية عالمياً



د. أشرف دوابه
أستاذ التمويل والاقتصاد بجامعة إسطنبول صباح زعيم

جاء العام 2020م بما لم يكن متوقعاً، حيث ظهر فيروس جديد يعرفه العالم لأول مرة هو فيروس «كورونا»، وكان منبت ظهوره في مدينة «ووهان» بالصين، في 12 ديسمبر 2019م، وكشفت بكين عنه رسمياً منتصف يناير الماضي، وانتشر الفيروس انتشار النار في الهشيم في العديد من دول العالم، وإن كان هذا الانتشار بنسب متفاوتة.

كانت أكبر الدول المتضررة من انتشار فيروس «كورونا» الصين وإيران وإيطاليا وإسبانيا، وما زال الأمر بالنسبة لمصر غامضاً، في ظل عدم الشفافية في بداية انتشار الفيروس، ثم التوجه نحو شفافية جزئية، ثم تصريحات مسؤولين دوليين بخطورة الوضع في مصر، وليس آخرهم تصريحات السفير الفرنسي في القاهرة «ستيفان روماتيه»، عبر الحساب الرسمي للسفارة على موقع «تويتر»، إذ قال: إن «أمام مصر أسابيع صعبة، وسيكون أمام إمكاناتها الطبية تحدٍّ صعب»، لافتاً إلى أن البلاد «ستواجه عزلة مثل باقي بلدان العالم بسبب تفشي وباء فيروس كورونا المستجد».

لقد أدت مخاطر هذا الفيروس القاتل إلى إعلان منظمة الصحة العالمية حالة الطوارئ على نطاق دولي لمواجهة تفشيه، وقد انتقل تأثيره من القطاع الصحي للقطاعات الاقتصادية، وإذا كان البعض توقع حدوث أزمة مالية عالمية في منبت النظام الرأسمالي، فإن توقعاتهم لا يمكن القول بأنها تحققت في الأزمة الحالية التي بدت نواجذها في دول العالم لا سيما الدول الكبرى منها، فالأزمة هذه تختلف عن أزمة الكساد العظيم في عام 1929م، وأزمة عام 2008م، باعتبار أن شرارتها اشتعلت في القطاع الصحي ثم انتقلت للاقتصاد المالي والحقيقي.

لقد كان من تأثير فيروس كورونا اقتصادياً تحقيق خسائر في كافة قطاعات النشاط الاقتصادي عالمياً، فالبورصات تسابقت في الانهيار، وكساها اللون الأحمر، وتم إغلاق العديد منها للحيلولة دون المزيد من الانهيار، بل إن الذهب الذي يعد الملاذ الآمن تعرض للانخفاض بصورة ملحوظة من أجل حرص الدول والمؤسسات على توفير سيولة لمواجهة الأزمة، كما أن سعر النفط كذلك لم يسلم من الهبوط الحاد، فضلاً عن انخفاض الإنتاج في القطاعات الحقيقية للاقتصاد العالمي.

الطاقة والنقل الجوي: ووفق منظمة «ريستاد إنيرجي»، فإنه في أبريل الجاري يمكن أن يتراجع الطلب على الطاقة بأكثر من 11 مليون برميل يومياً، بينما توقع بيت تداول الطاقة (ترافيجورا) تراجع الطلب 10 ملايين برميل يومياً على المدى القصير، وبالنسبة لعام 2020م؛ توقعت وكالة الطاقة الدولية هبوط الطلب على الطاقة بـ730 ألف برميل يومياً، بينما توقع بنك «جي بي مورجان» هبوطه إلى 750 ألف برميل يومياً.

كما تشير تقديرات اتحاد النقل الجوي الدولي إلى أن شركات الطيران العالمية سوف تخسر 113 مليار دولار من مبيعاتها في حال استمرار انتشار فيروس «كورونا»، وأكدت منظمة السياحة العالمية أن خسائر قطاع السياحة على مستوى العالم، بسبب قرارات العديد من الدول بتعليق حركة الطيران نهائياً، بلغت حوالي 62 مليار دولار أمريكي، فضلاً عن شلل بجميع الوجهات السياحية على مستوى العالم.

وقد جاءت التداعيات الاقتصادية لأزمة «كورونا» نظراً لما تمثله الصين من مكانة اقتصادية عالمية، فهي الاقتصاد الثاني عالمياً بعد الولايات المتحدة الأمريكية، فضلاً عن الإجراءات التي اتخذتها دول العالم لتجنب قدر الإمكان ويلات الفيروس القاتلة.

يزيد ناتج الصين المحلي الإجمالي على 14 تريليون دولار، وتبلغ صادراتها نحو 2.5 تريليون دولار؛ بنسبة 12.5% من صادرات العالم.

وإذا نظرنا إلى أهم القطاعات ذات التأثير المباشر على الصين والدول المرتبطة بها تجارياً، فسنجد أن الصين تستورد 50% من الطلب العالمي من الفولاذ من روسيا وكوريا الجنوبية وتركيا؛ وهو ما يعني فقدان تلك الدول عوائد تلك الصادرات، كما أن التراجع الملحوظ للنفط والتوقع بالمزيد منه في ظل انهيار اتفاق دول «أوبك» على تخفيض الحصة المنتجة، ذات تأثير سلبي على الدول النفطية، ونظراً لأن الصين تستهلك أكثر من

تسبب في تحقيق خسائر بكافة قطاعات النشاط الاقتصادي العالمي

يتوقع في أبريل الحالي أن يتراجع الطلب على الطاقة بأكثر من 11 مليون برميل يومياً

خسائر قطاع السياحة على مستوى العالم بلغت نحو 62 مليار دولار



10% من النفط العالمي، لا سيما من المملكة العربية السعودية التي تستورد منها مليون برميل يومياً، والعراق الذي تستورد منه 700 ألف برميل يومياً؛ فإن هذا يعني تحقيق خسائر للدول المصدرة مضاعفة من ناحيتين؛ ناحية السعر بانخفاضه، وناحية الكمية بانخفاض الطلب على النفط كنتيجة طبيعية للظروف القاسية التي تعاني منها الصين من جمود اضطراري لإنتاجها.

وإذا كانت الصين -وفق منظمة السياحة العالمية- تمتاز عن غيرها بأنها المصدر الأول للسياحة في العالم، حيث بلغ عدد السياح الصينيين للخارج 150 مليون مسافر في العام 2018م، أنفقوا مبلغ 277 مليار دولار؛ فإن هذا يعني فقدان العديد من دول العالم للسياحة الصينية.

كما أنه بنظرة فاحصة إلى التجارة السلعية الإجمالية العربية مع الصين، نجد أنها -وفق بيانات صندوق النقد العربي- بلغت في العام 2018م نحو 1.9 مليار دولار، حيث بلغت الصادرات الصينية للدول العربية مليار دولار، بينما بلغت الواردات 0.9 مليار دولار، كما بلغت الصادرات العربية للصين نسبة 12.5%؛ لتحتل الصين المرتبة الثانية بالنسبة للصادرات العربية بعد الاتحاد الأوروبي، وبلغت الواردات العربية من الصين كذلك نسبة 12.5%؛ لتحتل المرتبة الثالثة بعد الاتحاد الأوروبي والدول العربية الأخرى، وبذلك نجد تأثيراً سلبياً على الجانبين الصيني والعربي بفعل مستجدات هذا الفيروس القاتل، الذي قتل البشر، وأصاب الاقتصاد في مقتل.

الاقتصاد العربي

إن الاقتصاد العربي، للأسف الشديد، من أكثر المتضررين من الأزمة، لا سيما الاقتصاديات النفطية الريعية، وهو ما ينذر بتقليص إنفاقها، وتعرضها لشبح الركود كغيرها من الدول، لا سيما أن الولايات المتحدة الأمريكية -وهي أكبر اقتصاد عالمي- تعاني شبح الركود أيضاً، حتى أبلغ بنك «أوف أمريكا»، أحد أكبر البنوك الأمريكية، مستثمريه بأن اقتصاد الولايات المتحدة دخل مرحلة الركود بسبب تفشي فيروس «كورونا المستجد» (كوفيد- 19)، كما نقلت قناة «سي إن بي سي» عن الخبيرة الاقتصادية في البنك الأمريكي «يكي ميشيل ماير»، أن الركود المرصود يمثل «حالة تراجع عميقة» في الاقتصاد، متوقعة أن يتسبب ذلك في «فقدان للوظائف وتدمير للثروات وانهيار الثقة».

الاقتصاد العربي من أكثر المتضررين من الأزمة لا سيما الاقتصاديات النفطية الريعية

قد يتطلب التعافي الاقتصادي 3 سنوات إذا وجد علاج لـ«كورونا».. والمحفظة المتنوعة هي الأنسب للمستثمرين

وقد واجهت الدول الكبرى، وفي مقدمتها الولايات المتحدة، هذه الأزمة الاقتصادية بالعديد من الإجراءات السريعة لتقليل آثارها؛ حيث قررت إدارة «ترمب» حزمة تحفيز بتريليون دولار من أجل امتصاص التداعيات الاقتصادية للفيروس، شملت شيكات بألف دولار للأمريكيين، فضلاً عن 50 مليار دولار لشركات الطيران التي تواجه شبح الإفلاس، و250 مليار دولار قروضاً للشركات الصغيرة، وقد سارت على نهجها العديد من الدول لا سيما بضخ السيولة وتحفيض سعر الفائدة الذي قارب حاجز الصفر في الولايات المتحدة وبريطانيا منذ أيام.

وقد جاءت أخيراً تصريحات الطبيب «ميك ريان»، الرئيس التنفيذي في منظمة الصحة العالمية لإدارة برامج الطوارئ، لتكشف عمق الأزمة واستفحالها، حيث وصف الوضع بأنه: «ليس مجرد موسم أنفلونزا سيئ، هناك أزمة صحية تزداد مع وطأة الحاجات المتزايدة، هذا ليس طبيعياً، والأمر سيصبح أسوأ»، وهذا يعكس خطورة هذا الوباء الصحي الذي انتقل إلى جسم الاقتصاد فأصابه بوباء اقتصادي، وتخفيض سعر الفائدة في ظل ظروف هذا الوباء لن يكون وحده حلاً ناجعاً، فالاقتصاد مثل الجسم المريض الذي يرفض نقل دم إليه، ومهما نقلت إليه من دم سيلفظه، فالإنتاج وجانب العرض يحتاج إلى طلب فعال، وهذا الطلب سيكون مركزاً في ضروريات الناس بتلك المرحلة، وسيكون هناك فائض في عرض غيرها من السلع وتوقف دولاب إنتاجها، وهو ما يعني ركوداً لا مناص منه يتوقف تحوله لكساد على وجود علاج لفيروس «كورونا».

ورغم تحسن الوضع الصحي نسبياً في الصين، فإن الواقع والمستقبل يكشفان الحاجة لشهور للوصول إلى علاج لـ«كورونا»، وفق تصريحات مسؤولين سياسيين وعلماء غربيين، وهو ما يعني استمرار أزمة «كورونا» صحياً واقتصادياً، وحاجة الوباء الاقتصادي الناشئ عن وباء «كورونا» إلى المزيد من الوقت للتعافي، وقد يتطلب ذلك التعافي الاقتصادي 3 سنوات إذا ما تم كشف العلاج الناجع لـ«كورونا».

ويبقى بعد ذلك كيفية التعامل مع الأزمة من قبل المستثمرين، فلا مفر لديهم من تنويع استثماراتهم من خلال محفظة متنوعة فهو الأنسب، وفقاً للمثل الإنجليزي «عليك بنشر المخاطر»، أو المثل المعروف «لا تضع كل ما تملكه من بيض في سلة واحدة»، لا سيما والذهب ينخفض، والدولار معرض للانخفاض دولياً بفعل طباعة المزيد منه، وتبقى الأزمة أزمة، والتعامل معها باعتبار أننا في أزمة، والمهم الخروج منها على الأقل بأقل الخسائر.

والله تعالى هو الحافظ وهو أجل وأعلم.■



هدي الإسلام في التعامل مع فيروس «كورونا»





د. مسعود صبري
أستاذ مشارك في الفقه والأصول

أصيب الناس في جميع أنحاء العالم بالهلع والخوف بسبب انتشار فيروس «كورونا»، باعتباره نوعاً جديداً وفريداً، لم يستطع الطب الوصول إلى علاج له؛ مما يتطلب وعياً صحياً، ومعرفة بأحكامه الشرعية باعتباره أحد الأوبئة، والآداب التي حث عليها الإسلام في التعامل مع مثل هذه الفيروسات. فيما يلي بعض الأحكام الفقهية للطاعون:

أولاً: استحباب القنوت في الصلوات:

وذلك لرفع البلاء، وهذا مذهب الجمهور من الحنفية والشافعية والمالكية، خلافاً للحنابلة، واستدل جمهور الفقهاء لاستحباب القنوت بسبب الطاعون؛ أنه من أشد النوازل، كما أنه قد يكون عقوبة؛ فيُلجأ إلى الله بالصلاة والقنوت لرفعه.

ثانياً: منع الخروج من بلد الطاعون ومنع الدخول لمن هو خارجه:

فمن كان في بلد الطاعون فلا يخرج منه؛ حتى لا يؤذي غيره، ومن كان خارجه فلا يسافر إلى البلد الذي فيه الطاعون.

والأدلة على هذا:

ما أخرجه البخاري ومسلم، واللفظ له (1738/4)، من حديث عامر بن سعد، أن رجلاً سأل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عن الطاعون، فقال أسامة بن زيد رضي الله عنهما: أنا أخبرك عنه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هو عذاب أو رجز أرسله الله على طائفة من بني إسرائيل أو ناس كانوا قبلكم، فإذا سمعتم به بأرض فلا تدخلوها عليه، وإذا دخلها عليكم فلا تخرجوا منها فراراً».

ولما أنكر أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه دخول عمر بن الخطاب رضي الله عنه أرض الطاعون قائلاً له: تفر من قدر الله يا أمير المؤمنين؟ قال له عمر: نفر من قدر الله إلى قدر الله.

والحكمة من هذا ألا يعدي المرضى الأصحاء، وألا يتعرض الأصحاء للمرض، فإنه ليس مقصوداً للشارع تعرض العبد للبلاء، وأن يصبر المبتلون عليه بما لهم من الأجر عند الله تعالى، وأن يشكر المعافون ربهم بما وهبهم من العافية من البلاء.

ثالثاً: وجوب الصبر لمن ابتلي به:

ومن عظيم شريعة الإسلام أن من ابتلي بالطاعون؛ فصبر فمات؛ كتب عند الله من الشهداء، كما ورد في صحيح البخاري (192/10) عن يحيى بن يعمر أن عائشة رضي الله عنها أخبرته أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطاعون، فقال: «كان عذاباً يبعثه الله على من يشاء، فجعله الله رحمة للمؤمنين، ما من عبد يكون في بلد يكون فيه ويمكث فيه لا يخرج من البلد صابراً محتسباً، يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له إلا كان له مثل أجر شهيد».

رابعاً: جواز الخوف والاحتراز من العدوى:

يجوز للإنسان أن يخاف من الوقوع في العدوى؛ فإن الخوف من الأذى والوباء من الفطرة.

قال القرافي في الفروق (4/ 237 ط عالم الكتب): «وقد يجب الخوف من غير الله تعالى كما أمرنا بالفرار من أرض الوباء

من كان في بلد الطاعون فلا يخرج منه حتى لا يؤذي غيره ومن كان خارجه فلا يسافر إليه

يجوز للإنسان أن يخاف من الوقوع في العدوى فإن الخوف من الأذى والوباء من الفطرة

والخوف منها على أجسامنا من الأمراض والأسقام، وفي الحديث: «فر من المجذوم فرارك من الأسد»، فصون النفس والأجسام والمنافع والأعضاء والأموال والأعراض عن الأسباب المفسدة واجب».

آداب التعامل مع فيروس «كورونا»:

أولاً: الحرص على النظافة العامة وغسل الأيدي بشكل دائم:

حث الشرع الحنيف على غسل اليدين، وهما من أمور الوقاية من الإصابة بالعدوى، وقد جاء غسل اليدين في كثير من المواطن، ويكفي أن يغسل المسلم يديه خمس مرات في اليوم والليلة للوضوء في الصلاة، وفيه من الفوائد الصحية للمحافظة على صحة البدن والإصابة بالعدوى.

ومنه غسل اليدين قبل الأكل وبعده، كما حث النبي صلى الله عليه وسلم أن يغسل المسلم يديه بعد الاستيقاظ من النوم إن أدخلها الإناء، خشية أن يكون بها نجاسة، وقد أخرج البخاري ومسلم وأصحاب السنن عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا استيقظ أحدكم من منامه، فلا يغمس يده في الإناء حتى يغسلها ثلاثاً، فإنه لا يدري أين باتت يده».

ومنه يعلم مشروعية غسل اليدين بالصابون والديتول وغيرهما، مما ينصح به الأطباء، فإنه يتماشى ومقاصد الشريعة في الحفاظ على الصحة والوقاية من العدوى.

ثانياً: الاستنجاء باليد اليسرى:

ومن آداب النظافة الاستنجاء باليد اليسرى، كما ورد في الصحيحين: «ولا يستنجي بيمينه» (فتح الباري (1/ 254)، ومسلم (1/ 225)، واللفظ للبخاري).

وذلك لكثرة استعمال الإنسان يده اليمنى في الطعام والشراب وعظائم الأمور، وذلك خشية بقية النجاسة في يده.

ثالثاً: تغطية الوجه في العطس:

ومن الاحترازات الصحية حين يعطس المسلم، فيستحب له أن يخفض صوته بالعطس، وأن يغطي وجهه بمنديل ونحوه؛ حتى لا يؤذي من حوله بما يخرج من عطاسه.

أخرج أبو داود (5/ 288) في سننه عن أبي هريرة قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا عطس وضع يده أو ثوبه على فيه، وخفض أو غض بها صوته».

قال ابن العربي كما جاء في فتح الباري لابن حجر (10/ 618): «وفي تغطية الوجه: أنه لو بدر منه شيء آذى جليسه».

النظافة والتطيب والطهارة التي أمر بها الإسلام منهج أصيل في الوقاية من الأوبئة والأمراض



رابعاً: التحصن بالأذكار:

وقد علمنا النبي صلى الله عليه وسلم أن نتحصن بما ورد عنه من الأذكار النافعة، ومما ورد في ذلك: ما رواه أبو داود (5088)، ورواه الترمذي في سننه (3388)، عن أبان بن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «مَنْ قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ لَمْ تُصِبْهُ فَجْأَةُ بَلَاءٍ حَتَّى يُصْبِحَ، وَمَنْ قَالَهَا حِينَ يُصْبِحُ ثَلَاثُ مَرَّاتٍ لَمْ تُصِبْهُ فَجْأَةُ بَلَاءٍ حَتَّى يُمْسِيَ»، ومنه ما ورد في سنن أبي داود والنسائي وأحمد، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو: «اللهم إني أعوذ بك من البرص والجنون والجذام، ومن سيئ الأسقام».

خامساً: كثرة الدعاء:

وعلى المسلم أن يكثر من الدعاء خاصة في مثل هذه الأحوال، فإنه قد تقرر في الشريعة السمحاء أن الدعاء يرفع البلاء، كما ورد في حديث الترمذي (2139) عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا يرد القضاء إلا الدعاء»، وبقدر قوة الدعاء يرد الله به القضاء ويرفع البلاء.

قال الملا الهروي في «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (4/ 1528): «وتأويل الحديث أنه أراد بالقضاء ما يخافه العبد من نزول المكروه به ويتوقاه، فإذا وفق للدعاء دفعه الله عنه».

وليعلم المسلم أن الأمور كلها تسير بمقادير الله تعالى، فيلجأ إلى الله تعالى ويسأله بقدرته أن يقيه من وقوع البلاء، بل وإن وقع؛ فيسأله أن يرفعه عنه، كما قال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ (النمل: 62).

سادساً: البعد عن التجمعات التي يظن أنها مظنة العدوى:

ومن الآداب الواجبة ألا يعرض المسلم نفسه للضرر، وذلك بالابتعاد عن الأماكن التي تنتشر فيها الأوبئة، وذلك أن المسلم مأمور بحفظ بدنه الذي هو أمانة الله تعالى عنده، فلا يحل له التصرف فيه كيفما شاء، بل وفق ما أمر الله تعالى به وأرشد، ولهذا جعل «حفظ النفس» أحد مقاصد الشريعة الكبرى، وجاء النهي عن دخول الأماكن التي فيها الطاعون والأوبئة.

سابعاً: تذكير الدعاة الناس بالله:

ومما يتوجب على الدعاة أن يقوموا بواجب الدعوة والتبليغ، وإفهام الناس الحكمة من البلاء من اختبار الله لصبر المبتلين، وشكر المعافين، كما قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة: 155)، كما يذكرونهم باللجوء إلى الله تعالى والتضرع إليه في الضراء والسراء، وكثرة الصلاة، فإنها مما ترفع البلاء، كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة: 153).

وليعلم أن هدي الإسلام في النظافة والتطيب والطهارة التي أمر بها وحث عليها لهي منهج أصيل في الوقاية من الأوبئة والأمراض، فالوضوء المتكرر، وغسل الأيدي، واتباع الآداب التي تتعلق بالعطس ونحوه، والنظافة العامة التي أمر الإسلام بها؛ هي منهج وقائي من الإصابة بالأوبئة والأمراض المزمنة، ذلك أن الإسلام جاء منهج حياة متكاملاً؛ ليرشد الناس إلى الحياة السعيدة في الدنيا، والنجاة في الآخرة.■



كيف تعامل المسلمون مع الأوبئة وآثارها في مراحل تاريخهم؟



د. علي الصلابي
كاتب إسلامي ليبي

تعاقبت الأزمات والابتلاءات والمحن التي أصابت البشرية عبر تاريخها الطويل، ونزلت بالناس صنوف شتى من الابتلاء؛ كالطواعين والمجاعات والفيضانات والزلازل والجفاف وغير ذلك.

وبالطبع، نال المسلمين من ذلك البلاء والجوائح الكثير، وسجل تاريخهم أحداثها ووقائعها وآثارها، ولعل أكثرها فتكاً كان مرض «الطاعون» الذي انتشر أكثر من مرة في مصر والشام والمغرب والعراق والأندلس وقتل ألوفاً من سكانها، وقد قدم المؤرخون الذين عاصروا تلك الأحداث صوراً متنوعة عن تلك الأوبئة وآثارها وعواقبها في سائر أرجاء الأرض، مثل المقريزي، وابن تغري بردي، وابن كثير، وابن إياس، وابن بطوطة، وابن عذارى المراكشي، كما بحثت في ذلك كتب النوازل الفقهية للونشريسي وابن رشد وغيرهم.. ونظراً لما تركت تلك الأوبئة من آثار في التاريخ الإسلامي بسبب انعكاسها على الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والأخلاقية للمجتمع الإسلامي والإنسانية ككل، فلا بد من تناولها والاهتمام بدراستها.

في هذه الأيام يشغل بال الجميع ما يُشاع من أخبار عن الوباء العالمي الذي يزداد انتشاراً يوماً بعد يوم، والمسمى بفيروس «كورونا»، الذي تسبب بعدد كبير من الوفيات وحالات الخوف والذعر، خصوصاً في البلدان التي استفحل فيها خطره، ولما كان هذا النوع من الأوبئة من قضاء الله وقدره، وانطلاقاً من قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (البقرة: 195)، فإننا -نحن المؤمنين- مطالبون بالعمل على الوقاية من هذا البلاء ودرء أسبابه، وذلك بعد التوكل على الله والأخذ بالأسباب والتسليم بقضائه وقدره.

أولاً: الوباء والطاعون.. لغة واصطلاحاً:

الطاعون لغةً: يقال عن الشخص طعين إن أصابه الطاعون، وطعن الشخص فهو مطعون، وقد جاءت كلمة طاعون على وزن فاعول من الطعن، فاستخدموه بمعنى غير معناه الأصلي، لكنه يعطي دلالة قريبة منه ليدل على الموت الذي يصيب جماعة من الناس فيشيع بينهم كالوباء (بهجت،2011، ص99).

أما المعنى الاصطلاحي فهو قروح جسدية تخرج وتتمركز في مواضع مختلفة من الجسم، كالأيدي أو المرافق أو الآباط أو غيرها، ويصحب ذلك آلام شديدة، مع ما يرافقها من أعراض أخرى كالقيء وخفقات القلب، وقد عرَّف ابن حجر العسقلاني الطاعون بقوله: «هو المرض الذي يفسد الهواء به وتفسد به الأبدان والأمزجة، وهو مادة سمية تحدث ورماً قاتلاً في المواقع الرخوة، والسبب هو دم رديء يميل إلى العفونة والفساد»، ومما سبق نرى أن الأورام هي أبرز علامات الطاعون، وأوضح أعراضه، وهذه الأورام يمكن أن تكون على شكل نتوءات أو غدد، ويعزز ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الطاعون غدة كغدة الإبل».

وقد فرَّق العلماء بين الوباء والطاعون، فعدوا الطاعون وباءً وليس العكس، حيث إن الطواعين في الغالب غير معلومة المصدر بينما يكون مصدر الوباء بشكل عام معروفاً (فاضل،2011، ص100).

أما تعريف الوباء بشكل عام، فقد عرفته منظمة الصحة العالمية بأنه حالة انتشار لمرض معين، حيث يكون عدد حالات الإصابة أكبر مما هو متوقع في مجتمع محدد أو مساحة جغرافية معينة أو موسم أو مدة زمنية (شبكة الجزيرة، 2020/3/18م).

ثانياً: من الأوبئة والطواعين في فترات التاريخ الإسلامي:

حدثت عدة أوبئة وأمراض جماعية عبر التاريخ الإسلامي، وفي مختلف دوله وأمصاره وأصقاعه، إلا أن أبرزها وأكثرها شهرةً وتأثيراً هي: طاعون عمواس (18هـ/ 693م)، طاعون الجارف (69هـ/ 688م)، طاعون الفتيات أو الأشراف (87هـ/ 705م)، طاعون مسلم بن قتيبة (131هـ/ 748م)، الأوبئة والطواعين في العصر العباسي



والمملوكي والأيوبي في المشرق الإسلامي، الأوبئة والطواعين في المغرب الإسلامي.

أما طاعون عمواس فحدث في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وذلك أنه في العام الثامن عشر من الهجرة وقع شيءٌ فظيعٌ مروِّعٌ، وقد سمِّي بطاعون عمَواس نسبة إلى بلدة صغيرة، يقال لها: عمَواس، وهي: بين القدس، والرَّملة؛ لأنَّها كانت أول ما نجم الدَّاء بها، ثمَّ انتشر في الشَّام منها، فنسب إليها، وكان حصول الطَّاعون في ذلك الوقت بعد المعارك الطَّاحنة بين المسلمين والروم، وكثرة القتلى، وتعفُّن الجو، وفساده بتلك الجثث أمراً طبيعياً، قدَّره الله لحكمة أرادها، فكانت شدَّته بالشَّام، فهلك به خلقٌ كثيرٌ، منهم: أبو عبيدة بن الجرّاح، وهو أمير النَّاس، ومعاذ بن جبل، ويزيد بن أبي سفيان، والحارث بن هشام، وقيل: استشهد باليرموك، وسهيل بن عمرو، وعتبة بن سهيل، وأشراف النَّاس (الصلابي، 2005، ص231).

حدث الطاعون الجارف في البصرة سنة 69هـ، في زمن عبدالله بن الزبير رضي الله عنه، وسمي بالجارف لكثرة من مات فيه، فقد اجترف الموت فيه الناس اجترافاً كالسيل، واستمر ثلاثة أيام فقط (فاضل، 2011، ص104)، وفي عام 87هـ وقع طاعون في العراق وبلاد الشام، سمي بطاعون الفتيات؛ لأنه وقع بالنساء والعذارى أولاً، فوقع بالنساء قبل الرجال، بينما سماه البعض بطاعون الأشراف لكثرة ما توفي فيه من أشراف القوم وأكابرهم (فاضل، 2011، ص105)، وكان آخر ما حدث من الطواعين في العصر الأموي هو طاعون مسلم بن قتيبة في عام 131هـ، الذي سمي باسم أول من مات به، وقد وقع هذا الطاعون في البصرة واستمر لثلاثة أشهر، واشتد في رمضان حيث كان يُحصى في بعض الأيام ألف جنازة أو يزيد (فاضل، 2011، 106).

نحن مطالبون بالوقاية من البلاء ودرء أسبابه بعد التوكل على الله والتسليم بقضائه

الطاعون يعد وباءً وليس العكس فالطواعين في الغالب غير معلومة المصدر بينما مصدر الوباء معروف

وتحدث ابن كثير أنه عندما اجتاح المغول بغداد ودمروها في عام 656هـ/ 1258م: «تعطلت المساجد والجماعات والجمعات مدة شهور ببغداد.. ولما انقضى الأمر المقدر وانقضت الأربعون يوماً بقيت بغداد خاوية على عروشها ليس بها أحد إلا الشاذ من الناس، والقتلى في الطرقات كأنها التلول، وقد سقط عليهم المطر فتغيرت صورهم وأنتنت من جيفهم البلد، وتغير الهواء فحصل بسببه الوباء الشديد حتى تعدى وسرى في الهواء إلى بلاد الشام، فمات خلق كثير من تغير الجو وفساد الريح، فاجتمع على الناس الغلاء والوباء والفناء والطعن والطاعون، فإنا لله وإنا إليه راجعون» (ابن كثير، ج13، 203).

وفي العصر المملوكي، تعرضت بلاد الشام لطاعون اجتاح معظم مناطقها في عام 748هـ، وقد أطلق عليه اسم «الطاعون الأعظم» لسعة انتشاره وشدة فتكه، وأفنى هذا الطاعون سكان مدن حلب ودمشق والقدس والسواحل، كما انتشر في حلب داء اسمه «الفناء العظيم» في عام 795هـ، وقد حصد بحصيلته النهائية 150 ألف شخص من حلب وقراها (الطراونة، 2010، 47–48).

أما المغرب العربي، فمر بتاريخه في كثير من الأوبئة والمجاعات والجفاف في عصر المرابطين والموحدين والمرنيين وحتى الفترة الحديثة، ولعل من أهمها طاعون عام 571هـ، الذي انتشر في بلاد المغرب والأندلس، ويعتبر أهم طاعون عرفه عصر الموحدين، فقد كان له نتائج كارثية ولم يسلم منه أحد حتى إن أربعة أمراء من إخوة الخليفة يوسف ابن يعقوب ماتوا فيه، بينما كان يموت بسببه ما بين 100 و190 من عامة الناس في اليوم الواحد (بنمليح، 2002، ص124)، وقد حدث في المغرب طاعون عام 1798م، انتقل بالعدوى من التجار الذين حملوه معهم من الإسكندرية إلى تونس فالجزائر فالمغرب، وقد تفشى الطاعون في فاس ومكناس ووصل إلى الرباط، فكان يخلف 130 ضحية في اليوم (البزاز، 1992، ص92).

كما أورد ابن عذاري المراكشي في سياق التأريخ لحوادث الأوبئة في الأندلس في أواخر القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي أنه «عام 498هـ/ 1105م تناهى القحط في بلاد الأندلس والعدوة حتى أيقن الناس بالهلاك»، ولا شك أن ما أعقب كارثة القحط من مضاعفات سكانية واقتصادية بالمغرب والأندلس، كان بمثابة الشرارة المهددة لسلسلة من الكوارث الطبيعية المتلاحقة، وكلما حدث اضطراب مناخي كان يدل في ذهنية إنسان تلك المرحلة على ظروف معيشية ونفسية وصحية أصعب، وفي نفس تلك الفترة أصيب المغرب والأندلس بسلسلة من القحوط والمجاعات في الربع الأول من القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي؛ حيث اجتاح جفاف شديد مدينتي فاس وغرناطة عام 524هـ/ 1130م، وفي عام 526هـ/ 1132م اشتدت المجاعة والوباء بالناس في قرطبة، وكثر الموتى وبلغ مد القمح خمسة عشر ديناراً، واستمرت موجات الكوارث الطبيعية في العدوتين (الأندلس والمغرب) وخاصة في فترات المواجهة العسكرية وذلك في تناوب مستمر (البياض، 2008، ص19 – 22).



وعلى العموم، فتاريخ المسلمين في مختلف مراحله، وجغرافيا العالم الإسلامي في شتى بقاعها، شهدت مثل هذه النكبات والأوبئة الكثير، وقد ذكرنا بعضها، ولكن ما آثارها عليهم؟ وكيف تعامل المسلمون مع مثل هذه الأوبئة؟ وما الإجراءات التي اتخذوها في ضوء العقيدة الإسلامية؟

ثالثاً: التأثيرات الاجتماعية والسياسية والروحية لانتشار الأوبئة في التاريخ الإسلامي:

للطواعين والأوبئة أخطار كبيرة تصيب الأمم والشعوب فتهلكها، وتهدد أمن الدول وتؤذن بزوالها وإدبارها، فهي من بلاء الله الذي يصيب به من يشاء، وسيف من سيوفه المصلت على عباده يضربهم به بقصد الرحمة أو النقمة.

فيمكن أن يشكل الوباء خطراً على أمن الدولة والأمة، فلقد كان طاعون عمواس عظيم الخطر على المسلمين وأفنى منهم أكثر من عشرين ألفاً ومن بينهم خيرة أمرائهم، وهو عددٌ يوازي نصفهم بالشّام وربما تخوّف من ذلك المسلمون يومئذ، واستشعروا الخطر من قبل الرُّوم، وفي الحقيقة لو تنبَّه الرُّوم لهذا النَّقص الَّذي أصاب جيش المسلمين بالشّام يومئذ، وهاجموا البلاد؛ لصعب على الجيوش المرابطة دفعهم، ولكن ربما كان اليأس تمكَّن من نفوس الرُّوم، فأقعدهم عن مهاجمة المسلمين (الصلابي، 2005، ص232).

فمن الناحية الاجتماعية، أدت الأوبئة في العهد المملوكي مثلاً إلى اختلال التركيبة السكانية، وهو ما أدى بدوره إلى تباين كبير في الكثافة السكانية بين المدن والقرى، إذ إن كثيراً من القرى اختفت تماماً بفعل الوباء، فنتج عن ذلك تغير ديمغرافي، حيث قل عدد الفلاحين، وقلت المنتوجات والمحاصيل الزراعية والحيوانية، ونتج عن ذلك كله غلاء شديد في الأسعار زاد الأوضاع الاقتصادية سوءاً، ولجأ بعض ضعاف النفوس من التجار وأرباب الصنائع إلى استغلال الأزمة باحتكار السلع الأساسية لزيادة ثروتهم، بينما مال بعض المحتاجين والمعدمين إلى السرقة والاحتيال، وهو ما أدى بالضرورة إلى انهيار أخلاقي في المجتمع، وأدى الوباء إلى هلاك الكثير من الأتقياء ورجال الدين والعلماء الصالحين، فشكل ذلك فراغاً في المرجعية الدينية، حتى إن الناس بدؤوا يلجؤون في تلك الفترة إلى المشعوذين والمنجمين حتى يسدوا الفراغ الروحي لديهم (الطراونة، 2010، ص46-54).

رابعاً: كيف تعامل المسلمون مع الأوبئة في تاريخهم؟

في موجة طاعون عمواس، ذُكر أن المسلمين تحركوا في إطار قول رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطاعون: «إذا سمعتم به بأرض؛ فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض، وأنتم بها؛ فلا تخرجوا فراراً منه»، وهذا الحديث النبوي فيه إشارة واضحة إلى ما يطبق اليوم علمياً وعملياً من الحجر الصحي بهدف مواجهة الأوبئة المنتشرة، فرسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكتفِ بأن يأمرهم بعدم القدوم إلى الأرض الموبوءة، بل أتبعها بأن أمر من كان في أرض أصابها الطاعون ألا يخرج منها، وذلك لمنع انتشار العدوى فينتقل الوباء إلى مناطق أخرى، وبذلك فإن هذا الحديث لفتة إعجازية تضاف إلى سجل الطب النبوي، وقد رجع عمر بن الخطاب رضي الله عنه بناء على هذا الحديث إلى المدينة ولم يدخل الشام بعد أن كان قد قصدها، ولم يكن ذلك هرباً من الموت المقدر، وقد أجاب عمر أبا عبيدة ابن الجراح عندما سأله عن سبب رجوعه

من أبرز الأوبئة في التاريخ الإسلامي طاعون عمواس والجارف والفتيات أو الأشراف ومسلم بن قتيبة

بالعصر المملوكي تعرضت بلاد الشام لطاعون اجتاح معظم مناطقها أفنى سكان مدن حلب ودمشق والقدس والسواحل

إلى المدينة، قائلاً: أفراراً من قدر الله؟ فأجاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «لو غيرك يقول هذا، نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله».

وعليه، فقد أباح بعض العلماء الخروج على ألا يكون الخروج فراراً من قدرِ الله، والاعتقاد بأنَّ فراره هو الَّذي سلَّمه من الموت، أمَّا مَنْ خرج لحاجة متمحِّضَة، فهو جائزٌ، ومن خرج للتَّداوي فهو جائزٌ، فإنَّ تَرْكَ الأرض الوبئة، والرَّحيل إلى الأرض النَّزهة مندوبٌ إليه، ومطلوبٌ، وقد طلب الفاروق بعد ذلك من أبي عبيدة أن يرتحل بالمسلمين من الأرض الغمقة الَّتي تكثر فيها المياه، والمستنقعات إلى أرض نزهة عالية، ففعل أبو عبيدة، وفي ذلك درس في الأخذ بأسباب الوقاية من المرض والوباء والابتعاد عن مصادره وأماكن استفحاله (الصلابي، 2005، ص233).

فقد بقي أبو عبيدة بن الجراح وغيره من الصحابة في الشام ولم يخرجوا منها بعد أن أصابها الوباء، وقد أصاب بعض العلماء عندما ذكروا في حكمة النَّهي عن الخروج فراراً من الطاعون: أنَّ النَّاس لو تواردوا على الخروج، لصار مَنْ عجز عنه بالمرض المذكور أو غيره ضائع المصلحة، لفقد من يتعهَّده حيّاً وميتاً، ولو أنَّه شُرع الخروج، فخرج الأقوياء؛ لكان في ذلك كسر قلوب الضُّعفاء، وقد قالوا: إنَّ حكمة الوعيد من الفرار من الزَّحف؛ لما فيه من كسر قلب مَنْ لم يفرَّ، وإدخال الرُّعب فيه بخذلانه.

وفي رواية أن الوباء لم يرتفع إلا بعد أن ولي عمرو بن العاص رضي الله عنه الشام، فخطب النَّاس، وقال لهم: أيُّها الناس، إنَّ هذا الوجع إذا وقع إنما يشتعل اشتعال النَّار، فتجنَّبوا منه في الجبال، فخرج، وخرج النّاس، فتفرقوا حتّى رفعه الله عنهم، فبلغ عمر ما فعله عمرو، فما كرهه، وهنا نجد أنه نصح القوم المصابين بأن يتفرقوا عن بعضهم ولا يتجمعوا، حتى يقلل من نسبة انتقال العدوى، وحتى لا يهلكهم المرض كجماعات، بل يهلك من كان مصاباً به من الأفراد فيبقى الآخرون في معزل عن الإصابة به (الصلابي، 2005، ص231-232).

وقد طوَّر المسلمون طرق مواجهتهم للطاعون والأوبئة فيما بعد، ففي العهد المملوكي ولمواجهة الأوبئة المنتشرة، والكثيرة


درس في التشريح في بيمارستان بالقاهرة عام 1829م

التي أصابت أهالي الشام ومصر، عمد بعض السلاطين والميسورين من الناس بقصد الثواب والتقرب إلى الله، إلى بناء البيمارستانات في مدن الشام جميعها، لمداواة ورعاية المطعونين والمصابين بالأوبئة كالحمى وغيرها؛ ولأن الناس كانت تموت بأعداد كبيرة في فترة الوباء، فإن الجثث كانت تترك ثلاثة أيام أحياناً على الأرض ولا يوجد من يواريها خوفاً من العدوى، ولذلك عمد بعض الحكام والأثرياء استجابة لتعاليم الدين الإسلامي التي تحض على دفن الميت بأسرع وقت ممكن حفاظاً على حرمته وكرامته، إلى إنشاء ما سمي بحوانيت أو مغاسل الموتى، التي تهتم بتغسيل وتكفين الفقراء من موتى المسلمين ثم يتم دفنهم وفق الشريعة الإسلامية (الطراونة، 2010، ص55).

ولم ينسَ الناس أهمية التقرب من الله والدعاء إليه والرجاء منه في تلك الأوقات العصيبة، فأخذ أهل الصلاح والعباد من الناس يتوبون إلى الله ويستغفرون ويزيدون من العبادات، ومن أجل التقرب إليه فقد شرع بعضهم في إغلاق حوانيت الخمر، وابتعد الناس عن ارتكاب الفواحش والمنكرات (الطراونة، 2010، ص57).

وللمسلمين تجارب في تطبيق الحجر الصحي، فقبيل انتشار طاعون عام 1798م في المغرب، استطاع المغاربة تطبيق حجر صحي واتخاذ إجراءات للوقاية من الوباء الذي قدم من الشرق، فهم وإن لم يستطيعوا أن يتفادوه فإنهم استطاعوا تأخير قدومه عدة سنوات، فهذا الطاعون أول ما بدأ في الإسكندرية في عام 1783م، والذي ساهم في تأخير قدوم الوباء مجموعة التدابير التي اتخذها سيدي محمد بن عبدالله لوقاية مملكته من الوباء المتفشي

الطواعين والأوبئة سيف من سيوف الله المصلت على عباده يضربهم به بقصد الرحمة أو النقمة

المسلمون طوَّروا طرق مواجهتهم للطاعون والأوبئة فبنوا البيمارستانات والحوانيت ومغاسل الموتى

في الجزائر، وذلك بأن أقام نطاقاً عسكرياً على الحدود الشرقية للمغرب، وبدأت الهيئة القنصلية المقيمة في طنجة في عام 1792م باتخاذ إجراءات صحية وقائية على الواجهة البحرية، بعد أن استطاعت انتزاع موافقة مولاي سليمان على فرض حجر صحي ضد الجزائر التي كان الوباء فيها قد تفشى آنذاك (البزاز، 1992، ص87).

خامساً: كيف نتعامل مع وباء كورونا وفق الرؤية القرآنية وسُنة الأخذ بالأسباب؟

إذاً فاستناداً إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾، ومع الرضا والتسليم بقضاء الله وقدره خيره وشره، وباستقراء تجارب المسلمين وسيرتهم مع البلاء، فإننا نخلص إلى عدة نتائج:

- وجوب الأخذ بأسباب الوقاية والعلاج، مع القناعة والاعتقاد بأننا نفر من أقدار الله إلى أقدار الله.

- الاعتقاد بأن لنا في هذا المرض والبلاء أجراً إن نحن صبرنا، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الطاعون شهادة لكل مسلم»، وإننا نحسب أن من مات بوباء «كورونا» مثل من مات بالطاعون إذا كان المبتلى ذا نية على الشهادة وصبر على البلاء وشكر الله على كل حال.

- وجوب تجنب أماكن العدوى والالتزام بقواعد الحجر الصحي التي تحددها الحكومات والقوانين، فبالنسبة لمكان الوباء فإنَّ في البقاء فيه رخصةٌ، والخروج منه رخصةٌ، فمن كان في الوباء، وأصيب، فلا فائدة من خروجه، وهو بخروجه ينقل المرض إلى النَّاس الأصحَّاء، ومن لم يُصَبْ فإنَّه يرخَّص له في الخروج من باب التَّداوي علَى ألا يخرج النَّاس جميعاً، فلا بدَّ أن يبقى من يعتني بالمرضى.

- أخيراً: تجدر الإشارة إل أهمية التقيد بإرشادات وتوجيه الجهات الرسمية والهيئات الطبية لأنها الأكثر معرفة ودراية بتفاصيل المرض وآثاره وذلك في كل بلد، والتكافل مهم بين بني الإنسان للتغلب على هذا الوباء الخطير.■

المراجع

1 - أبو الفداء الحافظ ابن كثير، البداية والنهاية، الطبعة السابعة، 1408هـ/ 1988م، مكتبة المعارف، بيروت، ج13.

2 - عبدالهادي البياض، الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك وذهنيات الإنسان في المغرب والأندلس (12 – 14م)، الطبعة الأولى، دار الطليعة، بيروت، 2008.

3 - علي محمد الصلابي، سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب شخصيته وعصره، (2005)، مؤسسة اقرأ، القاهرة.

4 - مبارك محمد الطراونة، الأوبئة وآثارها الاجتماعية في بلاد الشام في عصر المماليك الشراكسة، 2010، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار.

5 - محمد الأمين البزاز، تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، 1992، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، جامعة محمد الخامس.

6 - موقع قناة الجزيرة، الوباء، شبكة الجزيرة، الدوحة، آخر مشاهدة: 18مارس2020، انظر: https://bit.ly/3d9gmkx

7 - نصير بهجت فاضل، الطواعين في صدر الإسلام والخلافة الأموية، 2011، مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية.

8 - عبدالإله بنمليح، عرض كتاب "جوائح وأوبئة المغرب في عهد الموحدين"، 2002، الجمعية المغربية للبحث التاريخي.



صلاة الجمعة بالبيوت في زمن «كورونا»

رؤية فقهية مقاصدية



د. وصفي عاشور أبو زيد
أستاذ مقاصد الشريعة الإسلامية

تعددت الآراء الفقهية والفتاوى الشرعية بعد نزول هذه النازلة الكبيرة على الأمة، بل البشرية كلها، حين ظهر فيروس «كورونا» (كوفيد-19)، الذي راح ضحيته آلاف البشر في كل بلاد الدنيا، وأصيب به مئات الآلاف، والعدد في زيادة.
وقد تناقش فقهاء العصر في مسائل كثيرة تتعلق بصلاة الجمع والجماعات وإغلاق المساجد، وصدرت الفتاوى بهذا الشأن ما بين مجيز ومانع، وما بين محلل ومحرم.

يتأسس النظر الشرعي في هذه النازلة على عدد من النقاط:

أولاً: تقرير فرضية صلاة الجمعة على كل مسلم بالغ عاقل مقيم حر ذكر، وهي فرض عين لا يسع مسلماً تركها، وحكى الخطابي عن بعض الفقهاء: أن صلاة الجمعة فرض على الكفاية، وقال القرافي: هو وجه لبعض أصحاب الشافعية، وذهب مالك، والشافعي في الجديد، وأحمد، أنها فرض مستقل وليس الظهر بدلاً عنها، ولا هي بدل عن الظهر، وقال أبو حنيفة، وأبو يوسف: إن فرض وقت الجمعة في الأصل إنما هو الظهر، إلا أن من تكاملت فيه شرائط الجمعة الآتي ذكرها فإنه مأمور بإسقاطه وإقامة الجمعة في مكانه على سبيل الحتم، أما من لم تتكامل فيه شرائطها، فيبقى على أصل الظهر.

ثانياً: زمن فرضها مختلف فيه بين قائل بمكة وقائل بالمدينة، ومن قال بمكة قرر ثبوت صلاة أسعد بن زرارة بالمدينة قبل هجرة النبي، وكان يترحم عليه كلما أقام الجمعة، وصلى أسعد بنفر قليل، وعللوا عدم إقامة النبي لها بمكة بعدم توافر كثير من شرائطها، ومنها أن شعارها الإظهار، وكان صلى الله عليه وسلم مستخفياً فيها.

ثالثاً: الحكمة من مشروعيتها، قال الدهلوي في حجة الله البالغة: «إنه لما كانت إشاعة الصلاة في البلد بحيث يجتمع لها أهلها متعذرة كل يوم، وجب أن يعين لها ميقات لا يتكرر دورانه بسرعة حتى لا تعسر عليهم المواظبة على الاجتماع لها، ولا يبطؤ دورانه بأن يطول الزمن الفاصل بين المرة والأخرى، كي لا يفوت المقصود وهو تلاقي المسلمين واجتماعهم بين الحين والآخر، ولما كان الأسبوع قدراً زمنياً مستعملاً لدى العرب والعجم وأكثر الملل، وهو قدر متوسط الدوران والتكرار بين السرعة والبطء؛ وجب جعل الأسبوع ميقاتاً لهذا الواجب»[1].

صلاة الجمعة فرض عين على كل مسلم بالغ عاقل مقيم حر ذكر لا يسع مسلماً تركُها

رابعاً: هناك شروط للصحة والوجوب معاً، وشروط للصحة فقط، وشروط للوجوب فقط[2]:

فأما شروط الصحة والوجوب معاً:

1 - أن تقام في المصر وتوابعه، ومن لم يكن فيهما فلا يطالبون بإقامتها ولا تصح منهم الجمعة وهذا شرط الحنفية، ولم يشترط غيرهم ذلك؛ فالمالكية اشترطوا أن تقام في مكان مستوطن صالح للعيش، والشافعية اشترطوا أن تقام في خطة أبنية سواء أكانت بلدة أو قرية، والحنابلة أجازوا إقامتها في الصحاري فضلاً عن البلدان والقرى.

2 - أن تكون بإذن السلطان أو حضوره أو حضور من ينيبه، وهو شرط الحنفية، ولم يشترط غيرهم هذا الشرط لا إذناً ولا حضوراً ولا إنابة.

3 - دخول الوقت، ووقتها عند الجمهور غير الحنابلة وقت صلاة الظهر، ولا تصح الصلاة إن بدأ الإمام الخطبة قبل دخول وقت الظهر، ونهاية الوقت دخول وقت العصر، ولا تُقضى صلاة الجمعة، بل تُصلى ظهراً عندئذ، والحنابلة يرون أن وقتها هو أول وقت صلاة العيد.

وأما شروط الوجوب، فلم يختلف فيها الفقهاء، وهي: الإقامة، الذكورة، الصحة البدنية، الحرية، السلامة من العاهات المقعدة عن الذهاب، على تفصيل فيه.

وأما شروط الصحة:

1 - الخطبة.

2 - الجماعة، وفيها الخلاف المعروف في العدد، فالحنفية قالوا: واحد سوى الإمام أو ثلاثة غيره يحضرون الخطبتين، والمالكية اشترطوا حضور اثني عشر من أهلها، والشافعية والحنابلة اشترطوا ألا يقل عن أربعين من أهلها، واشترطوا حضور الخطبتين.

3 - أن تؤدَّى بإذن عام يستلزم الاشتهار

من شروط صحتها أن تؤدَّى بإذن عام يستلزم الاشتهار في مكان بارز معلوم للناس مع فتح الأبواب للقادمين

في مكان بارز معلوم للناس مع فتح الأبواب للقادمين عليه، والحكمة من هذا الشرط ما قاله صاحب البدائع: «وإنما كان هذا شرطاً؛ لأن الله تعالى شرع النداء لصلاة الجمعة بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ (الجمعة: 9)، والنداء للاشتهار؛ ولذا يسمى جمعة، لاجتماع الجماعات فيها، فاقتضى أن تكون الجماعات كلها مأذونين بالحضور إذناً عاماً تحقيقاً لمعنى الاسم»(3).

4 - ألا تتعدد في المصر الواحد، قالوا: لأن الحكمة من مشروعيتها هي الاجتماع والتلاقي، وينافيه التفرق بدون حاجة في عدة مساجد، ولأنه لم يحفظ عن صحابي ولا تابعي تجويز تعددها، وعند محمد، وأبي يوسف يجوز إذا دعت الحاجة.





نازلة «كورونا»

ذِكر الشروط المتنوعة لصلاة الجمعة أعلاه كان لأهميتها في تنزيل الحكم على هذه النازلة، ومن ثم فإن الأمر لا يتعلق بعدد فقط كما يُتداول بين بعض فقهاء العصر، وإنما ينبغي تحصيل الشرائط الأخرى سواء أكانت وجوباً وصحة، أم وجوباً فقط، أم صحة فقط.

والذي قرره الخبراء من الأطباء في فيروس «كورونا» أنه مهلك، ومتعدٍّ ومعد بمجرد الاجتماع أو الملامسة، كما أن الإنسان قد يحمل الفيروس ويكون كامناً دون أن تظهر عليه أعراض المرض، ويكون نقالاً له أثناء حمله له في هذه الحالة.

وقد اتخذت الجهات المختصة تدابير صحية مهمة للوقاية منه والحد من انتشاره بالأمر بالتزام البيوت، والحجر الصحي، وإلغاء رحلات الطيران، وبلغ الأمر إلى فرض حالة الطوارئ في كثير من البلاد، مع تقديم النصائح الطبية بوسائل النظافة والمعقمات الوقائية وما يتصل بذلك.

اتجاهات الفتاوى المعاصرة في نازلة «كورونا»:

هناك فريق من الذين «أفتوا» في هذه النازلة حرموا إغلاق المساجد، وحرموا تعليق الجمع والجماعات، وقرروا أنه عند النوازل يجب الهروع إلى المساجد والدعاء فيها؛ فكان النبي إذا حزبه أمر هُرع إلى الصلاة؛ وأن الذين يمنعونها في المساجد يدخلون تحت طائلة قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُوْلَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلاَّ خَآئِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (البقرة: 114).

وفريق ثانٍ رأى جواز صلاة الجمعة في البيوت، مرجحاً رأي الحنفية في العدد الذي تنعقد به الجمعة، مستدلاً بأن شرائط صحة صلاة الجماعة هي نفسها شرائط صلاة الجمعة دون تخصيص يخصص هذه الشروط، وأن إقامتها في البيوت أولى من صلاتها ظهراً.

وفريق ثالث ذهب إلى جواز تعليق العمل بصلاة الجماعات والجمع، مع استبقاء المسجد لرفع الأذان، وصلاة الإمام الراتب فيه، فهو جماعة وحده، كما ذهب المالكية.

الرأي في الاتجاهات الثلاثة:

الفريق الأول أهمل بالكلية رأي الخبراء في المسألة وغض الطرف تماماً عن الهلاك والإهلاك المترتب على الاجتماع كما قرره الخبراء والأطباء والمختصون في الفيروسات، ومن ثم فهو أنزل رأيه الشرعي دون رعاية لفقه الواقعة والنازلة مع إهمال كامل لرأي الخبراء المتعلق بالواقعة، وهو ما لا يمكن قبوله، فالفقيه الحق -كما قرر ابن القيم- «هو الذي يطبق بين الواجب والواقع».

والفريق الثاني: قدَّر رأي الخبراء من الأطباء والجهات المختصة، لكنه أخذ ببعض الشروط، وهي العدد الذي تنعقد به الصلاة عند الحنفية، وأهمل الشروط الأخرى التي ذكرها الحنفية أنفسهم من اشتراط أن تقام الصلاة في مكان مشتهر ومعروف أنه تقام فيه الصلاة، ومفتوح للساعين إليها، وهي شروط صحة، أي لا تصح الصلاة بغيرها.





ولا يحتج هنا بأن العدد الذي تنعقد به صلاة الجماعة تنعقد به صلاة الجمعة، ولا يخصصه شيء في صلاة الجمعة كما ذهب عبدالحق الإشبيلي، فهذا صحيح من حيث العدد لكنه غير صحيح من حيث الجملة؛ فإن صلاة الجمعة لها شرائط تختلف كثيراً عن صلوات الجماعة، والذي يخصصها هي طبيعة صلاة الجمعة، وكذلك اسمها المقتضي للاجتماع والاشتهار والانفتاح، كما أن اسمها يستوجب السعي إليها طبقاً للآية الكريمة: ﴿فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾، قال صديق حسن خان في «فتح البيان»: «قال عطاء: يعني الذهاب والمشي إلى الصلاة، وقال الفراء: المضي والسعي والذهاب في معنى واحد، ويدل على ذلك قراءة عمر بن الخطاب، وابن مسعود رضي الله عنهما: فامضوا إلى ذكر الله، كما سيأتي، وقيل: المراد القصد، قال الحسن: والله ما هو سعي على الأقدام، ولكنه قصد بالقلوب والنيات، وقيل: المراد به السعي على الأقدام، وذلك فضيلة وليس بشرط، والأول أولى، وقيل: هو العمل، قال ابن عباس: يعني ليس المراد به السرعة في المشي، كقوله: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾(الإسراء: 19)، وقوله: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾ (الليل: 4)، وقوله: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ (النجم: 39)، وقول الداعي: وإليك نسعى ونحفد، قال القرطبي: وهذا قول الجمهور، أي فاعملوا على المضي إلى ذكر الله، واشتغلوا بأسبابه من الغسل والوضوء والتوجه إليه، وعن خرشة بن الحر قال: رأى معي عمر بن الخطاب لوحاً مكتوباً فيه: «فامضوا إلى ذكر الله»، فقال: من أملى عليك هذا؟ قلت: أُبيّ بن كعب قال: إن أُبياً أقرأنا المنسوخ أقرأها فامضوا إلى ذكر الله؟ رواه ابن المنذر وابن الأنباري وابن أبي شيبة وأبو عبيدة في فضائله وسعيد بن منصور»[4].

أما الرأي الثالث، فقد ذهب إلى جواز تعليق صلاة الجمع والجماعات مع بقاء المسجد يرفع فيه الأذان، ويصلي فيه الإمام الراتب، مع تقدير واعتبار المسألة الفنية الطبية؛ رعاية لحفظ النفوس، ونزولاً على رأي الخبراء، ومنعاً للضرر.

الفقهاء انقسموا تجاه أدائها في أزمة «كورونا» إلى تحريم إغلاق المساجد وتجويز أدائها بالبيت وتعليقها

صورة إقامة صلاة الجمعة في البيوت لا تتحقق بها مقاصدها من الاجتماع الحاشد والاحتفال

الرأي المختار:

والذي أؤمن به أن المسألة الطبية ورأي الخبراء والفنيين يجب أن تكون محور الاجتهاد، ويكون في بؤرة الشعور، وفي عمق الاهتمام، جنباً إلى جنب مع النصوص الشرعية المتعلقة بالمسألة محل الاجتهاد؛ ففي مثل هذه النوازل لا تتأسس فتاوى الفقهاء إلا على تقارير الخبراء، ومن المعلوم أن رأي الخبراء هنا يتضمن حقيقة «فقه» الواقعة الذي يمثل ما لا يقل عن 50% من عملية الاجتهاد فيها.

وقد اعتبر القرآن الكريم المسألة الفنية، بل أمر بها بشكل صريح حين قال: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (الأنبياء: 7).

وإذا كان الاتجاه الثالث ذهب إلى جواز منع صلاة الجمع والجماعات في المسجد، فإن الأقرب إلى روح الشريعة هو «وجوب» منعها من المساجد مع استمرار إقامة الأذان وصلاة الإمام الراتب بما هو جماعة وحده طبقاً لمذهب المالكية؛ استناداً لما هو مقرر عند الخبراء من الأطباء والجهات المختصة التي رأت ونشرت أنه فيروس مهلك ومعد؛ وذلك حفظاً للأرواح واستبقاء للمهج، وإبعاداً للضرر والمرض، وصلاة الظهر تكون بدلاً منها، كما هو مذهب أبي حنيفة، وأبي يوسف، في بدلية صلاة الظهر عن الجمعة.

كما أن صلاة الجمعة في البيوت لا تستكمل فيها شرائط الصحة لصلاة الجمعة، فالذي يأخذ برأي مذهب -كالأحناف مثلاً- يجب أن يستكمل رأيه في المسألة بما يتضمنه من شرائط وغير ذلك، لا أن يأخذ شرطاً ويهمل الشروط الأخرى المتضمنة للاشتهار والمعلومية والانفتاح، و«السعي» إليها، كما ورد في سورة «الجمعة».

يضاف لهذا أن صورة إقامة صلاة الجمعة في البيوت لا تتحقق بها مقاصدها، من الاجتماع الحاشد، والاحتفاء والاحتفال؛ فالجمعة عيد في الأرض وعيد في السماء، كما أن صلاتها في البيوت مخالف لطبيعة اسمها «الجمعة» ومقتضاه، ومن أجل هذه المعاني ذهب فريق من الفقهاء إلى منع تعددها في المصر الواحد.

ومن المحمود أن يتألم المسلم للحرمان من صلاتها في المساجد، فهذه عاطفة محمودة وعلامة صحة إيمان وعبادة، ولكن العزاء فيما أخرجه البخاري بسنده عن أبي موسى الأشعري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا مرض العبدُ أو سافر كُتِبَ له مثلُ ما كان يَعمَلُ مُقيماً صَحيحاً»[5].

والله تعالى أعلى وأعلم وأحكم.■

الهوامش

(1) حجة الله البالغة: 2/44. دار الجيل، بيروت – لبنان. الطبعة الأولى. 1426هـ – 2005م

(2) هذه الشروط والفرضية وزمنها والحكمة مستفادة باختصار شديد من الموسوعة الفقهية الكويتية: 27: 192-204.

(3) بدائع الصنائع: 1/ 269. دار الكتب العلمية. الطبعة الثانية. 1406هـ – 1986م.

(4) فتحُ البيان في مقاصد القرآن/ 14: 138. محمد صديق خان القِنَّوجي. قدّم له وراجعه عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري. المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت. 1412هـ – 1992م.

(5) صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير. باب يكتب للمسافر مثل ما كان يعمل في الإقامة. رقم (2996).

في أزمة «كورونا».. نظرة على قوانين القوة والضعف في انتشار الأفكار



محمد إلهامي
باحث في التاريخ والحضارة الإسلامية

من بين ما أثارته أزمة وباء «كورونا» تبدد الثقة في المنظومة العالمية الغربية الليبرالية من بعد ما بدا عليها الارتباك والضعف في التعامل مع هذه الأزمة، وهذه الثقة التي تبددت نبعت من داخل هذه المجتمعات الغربية نفسها؛ فرئيس صربيا كاد يبكي وهو يتحدث عن خرافة التضامن الأوروبي، وأنه سيتوجه بالمناشدة إلى الصين، وإلى جواره دولة التشيك التي صادرت شحنة مساعدات صينية قادمة إلى إيطاليا!

صدر تقرير لمجلة «فورين بوليسي» الأمريكية عن توقعات أزمة «كورونا» تكاد أن تتفق على نقطة أن المنظومة الحالية ستتغير تحت وطأة هذه الأزمة، وتحدث آخرون عن أن هذه المنظومة مؤهلة للتعامل مع الحروب والتهديدات الأمنية أكثر من استعدادها للتعامل مع مشكلة صحية، واستدل بعضهم بأن هذا الارتباك الذي سيطر على دول الغرب وما بدا في حركاتها من نزعات أنانية فردية واهتمام بالمصلحة الخاصة لم يكن ليظهر لو كان التهديد القائم تهديداً إرهابياً أمنياً.

على الناحية الأخرى، بدا وكأن الصين -التي أعلنت أنها تمكنت من احتواء وباء «كورونا»- ستمثل الأمل القادم والنموذج البديل، وتصاعد الحديث عن أن الشمولية والدكتاتورية هي القادرة على التعامل مع كوارث كهذه، إذ لولا الإجراءات القاسية التي لا تبالي بالحريات لم يكن ممكناً السيطرة على المرض، كما أن ما تمتعت به الصين من الخبرة في مواجهة المرض واستعدادها لمساعدة البلاد الموبوءة سيجعلها تملأ الفراغ الذي تشكل من ارتباك المنظومة الغربية.

توقع الكثيرون هذا التغير بالرغم من أننا لا نعلم على وجه الحقيقة ما إن كانت الصين تمكنت من احتواء الوباء أم أنها تمكنت من احتواء تسرب الأخبار والصور عن انتشار الوباء فيها؛ فقد يكون الوباء لا يزال منتشراً ومتوطناً، لكن القلعة الحديدية لا تسمح بتسرب الأخبار ولا بتقديم الأرقام الحقيقية، لا سيما أن محنة العالم الحالية كانت لأن الصين تكتمت على أنباء هذا الوباء حتى تفشى في أنحاء العالم خوفاً على مصالحها التجارية، أي أن العالم كله يدفع ثمن وجود منظومة استبدادية قاهرة لا تتمتع بالشفافية!

العالم كله يدفع ثمن وجود منظومة استبدادية قاهرة في الصين لم تتمتع بالشفافية في التعامل مع الوباء

ليست هذه السطور حديثاً في شأن «كورونا» بقدر ما هي محاولة للفت النظر إلى هذا الطبع الإنساني، وهذه السُّنة الاجتماعية، لنحسن التعامل معها والاستفادة منها والاسترشاد بها، أقصد بذلك طبع الإعجاب بنموذج النجاح والانبهار بحالة القوة، وهنا أنصح بقراءة كتاب «سلطة الثقافة الغالبة» للشيخ إبراهيم السكران.

لقد زخر القرآن الكريم وسُنة النبي صلى الله عليه وسلم وسيرته بالإشارة إلى هذا المعنى، وهو من المعاني الرئيسة التي يجب أن ينتبه لها المسلمون عامة والدعاة والعلماء خاصة، فإنه مؤثر في نفوسهم وفي سلوكهم.

كانت هذه الحالة من تفوق الباطل، ومن أشد ما عانى منه الأنبياء، فإن تأثير قوة الباطل في إضلال الناس وسحبهم إلى النار؛ تأثير الأموال والسلطان والجاه هو أول ما يصطدم به الداعية صاحب الرسالة الذي يجتهد في البيان والإقناع والتوضيح، ويتفنن في ابتكار المداخل والوسائل والأساليب، وإذ بهذا كله ربما ينهار حين تأتي قوة الباطل؛ ذهبه أو سيفه أو كلاهما معاً، وهنا تبدو اللوعة واضحة في قول موسى عليه السلام: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُواْ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ﴾ (يونس: 88)، وتبدو كذلك في قول شعيب عليه السلام لقومه: ﴿وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ آمَنُواْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يْؤْمِنُواْ فَاصْبِرُواْ حَتَّى يَحْكُمَ اللّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (87) قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ (88) قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللّهِ كَذِباً إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً عَلَى اللّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ (الأعراف).

وكان أهل الباطل يضغطون بتفوقهم هذا على الأنبياء وأصحاب الرسالات، فقد حكى الله عنهم قولهم: ﴿وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ﴾ (هود: 27)، يشيرون بذلك إلى ضعف المؤمنين وقلتهم، ومثل ذلك قول فرعون لقومه: ﴿إِنَّ هَؤُلَاء لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾ (الشعراء: 54)، ومثل ذلك قول سادة قريش للنبي: ﴿مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾ (الفرقان: 7).

وكادت تحدياتهم لصاحب الرسالة أن



تنحصر في مظاهرة القوة وحدها، كما قالوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعاً (90) أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيراً (91) أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاء كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفاً أَوْ تَأْتِيَ بِاللّهِ وَالْمَلآئِكَةِ قَبِيلاً (92) أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاء وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَاباً نَّقْرَؤُهُ﴾(الإسراء)، وكما قالوا: ﴿اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاء أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (الأنفال: 32)، وكما قالوا وكرروا كثيراً: ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (هود: 32)، تأمل هنا في أنهم كانوا يبحثون عن مظاهر القوة والقهر حتى لو أنها كانت عذاباً لهم، كان هذا يقنعهم –ولو بالإخضاع– أكثر مما يقنعهم الكلام العاقل الهادئ الحكيم! لا تعجب، فهذا هو منطق القوة الذي لا يفهم الطغاة المتكبرون غيره.

أثر الضعف في نفس الداعية

وإن موقع الضعف الذي يبدأ منه الداعية صاحب الرسالة يحمله على أمور أخرى، بينما هو يحاول إقناع الأقوياء ذوي النفوذ والسلطان برسالته، ذلك أن صاحب الرسالة مشغول بمحاولة تزيين رسالته لدى دعوة «الأقوياء» أصحاب النفوذ والسلطة والهيمنة، حتى إنه في ظل انشغاله هذا ربما أراد كتمان شيء أو إخفاءه خشية سخريتهم واستهزائهم! وذلك أن الداعية صاحب الرسالة حريص على هدايتهم ودعوتهم، فهو حريص ألا يفضي إليهم بما يرفضونه!

وفي هذه الحال، جاءت الآيات لتُوَجِّه صاحب الرسالة إلى أنه «نذير»، وأن مهمته «الإنذار»، فلا بد له من إلقاء القول مهما كان ثقيلاً على نفسه وعلى سامعه! قال تعالى لنبيه: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَآئِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَاء مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (هود: 12)، وقال تعالى لنبيه: ﴿كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلاَ يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأعراف: 2).

وفي آية أخرى مزلزلة، حذر الله صاحب الدعوة أن يحمله حرصه على هداية أولئك «الأقوياء» أصحاب النفوذ والهيمنة على أن يتنازل عن شيء أو أن يقترب من باطلهم شيئاً، وأخبر تعالى أن هذا الاقتراب لن يزيد الداعية إلا ضعفاً فوق ضعفه! قال تعالى لنبيه: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذاً لاَّتَّخَذُوكَ خَلِيلاً (73) وَلَوْلاَ أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً (74) إِذاً لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لاَ تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً (75)﴾ (الإسراء)؛ لذلك كان قول النبي الذي يمثل منهج صاحب الدعوة والرسالة: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاء نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (يونس: 15).

ومن هذا الباب جعل الله لأنبيائه قدراً من القوة لا ينقصون عنه كي يتمكنوا من البدء بالدعوة ولا تفنى دعوتهم، فكان الأنبياء «يُبعثون في أشراف أقوامهم»، كما أدرك ذلك هرقل في حديثه المشهور مع أبي سفيان، وهو ذات المعنى الذي جاء في حديث النبي: «ما بعث الله نبياً إلا في ثروة من قومه»، وكانت

القرآن والسُّنة زخرا بالإشارة إلى سلاح القوة الذي يجب أن ينتبه له المسلمون عامة والدعاة والعلماء خاصة

الله تعالى حذر الداعية من أن يحمله حرصه على هداية الأقوياء أن يتنازل عن شيء أو يقترب من باطلهم

«كورونا».. والجمعيات الخيرية

عندما تحل الأزمات في الأمم لا تجد إلا الرجال والنساء الذين لو وُزنوا بميزان الذهب والألماس لكانوا أثقل منهم بالبذل والعطاء، ويختفي كل إمعة وتافه، وهذا ما لمسناه خلال الأيام القليلة الماضية من تفانٍ من أبناء وبنات الكويت؛ الكويتيين والبدون والمقيمين الذين واصلوا الليل بالنهار ووسط خطر الوباء الداهم، فإخواننا البدون لم يفكروا بالمناصب ولا بالرواتب التي لم يستلموها منذ عدة أشهر لتعسف الجهاز المركزي، ولا بالرسوم الصحية على المقيمين، وإذا سألت أحدهم عن تفانيه بالعمل يرد عليك بكلمة واحدة: «إنها الكويت».

كما أن العمل الذي قامت به الجمعيات الخيرية في الكويت لهو عمل جبار ومبهر الذي تتوج بشكر من سمو أمير البلاد، حفظه الله ورعاه، لهم في الاجتماع الاستثنائي لمجلس الوزراء.

إن للجمعيات الخيرية جهوداً عدة لمواجهة فيروس «كورونا»، منها:

الدعم اللوجستي لفحص أكثر من 50 ألف مقيم في أرض المعارض، والقيام بزيارة محجر الخيران وتقديم كل ما يحتاجه المحجرون في الحجر المؤسسي من وسائل الراحة، وتوزيع السلال الغذائية والمياه لمن انقطع بهم العمل من العمالة الوافدة، وكذلك قامت الجمعيات الخيرية بتأسيس المكتبات الإلكترونية؛ لإشغال وقت الفراغ لأفراد الأسر الجالسين بالمنازل، وقدمت الجمعيات الخيرية الاستشارات النفسية للتخفيف من آثار الحظر الجزئي، وكذلك إعداد حملات خيرية لمساعدة كل محتاج أثناء هذا الوباء.

من ينكر دور العمل الخيري بكل أطيافه فهو لا يرى إلا بعين واحدة؛ وهي عين الحقد العمياء.

ونقول لمن ينكر دور العمل الخيري في مواجهة فيروس «كورونا»: اتق الله، وخَف ممن خلقك، فالافتراء أثناء الأزمات ليس من خلق الأخيار.

والعمل الخيري يكفيه الوسام الذي قلدهم به قائد العمل الإنساني سمو أمير البلاد والثناء عليهم.■

سعد النشوان



حماية أقوام الأنبياء لهم مما منع الملأ الحاكم أن يقصف الدعوة وهي لا تزال ضعيفة في أول أمرها، كما قال قوم شعيب له: ﴿وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفاً وَلَوْلاَ رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ (هود: 91)، ومن قبلهم قوم صالح الذين دبَّروا لاغتيال نبيهم متحاشين غضبة قومه: ﴿تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ (النمل: 49).

ومن هذا الباب أنعم الله على عباده في غزوة «بدر» أنه صوَّر لهم المشركين في عدد قليل، فقال تعالى: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيراً لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ﴾ (الأنفال: 43)، وأخبرهم بإنزال الملائكة مسومين ومردفين مع أن النصر من عند الله وحده، وإنما ذلك ليكون بشرى لهم ولتطمئن قلوبهم به، وأخبر الله عباده المؤمنين أن ضعفهم يُغري بهم لا أعداءهم فحسب، بل يُغري بهم آخرين مجهولين غير مشاركين في العداوة؛ ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ (الأنفال: 60)، فالضعف يغري بالاستباحة حتى ممن لم يكن عدواً!

أثر القوة والضعف على الناس

وكثر في القرآن الكريم توجيه عباده إلى أثر القوة والضعف على الناس وموقفهم من الدعوة؛ فها نحن نرى قوة سليمان عليه السلام وتفوق ملكه كيف أبهر ملكة سبأ حتى إنها لما دخلت الصرح العجيب ﴿قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (النمل: 44)، كما نرى أن تدفق الناس ودخولهم في الدين إنما كان بعد انتصاراته وفتوحاته؛ ﴿إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (1) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً﴾ (النصر)، وجعل الله نصر المؤمنين من حججه على الناس، فقال تعالى بعد انتصار المسلمين في بدر: ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ﴾ (الأنفال: 42)، فالبينة في هذه الآية هي نصر المسلمين.

ولقد جعل الله سنته جارية في كونه على المسلم والكافر، وأخبرنا سبحانه وتعالى أنه لولا ذاك، لأعطى الكافرين من زينة الدنيا وزخرفها الكثير الكثير، إلا أنهم لو تمتعوا بهذا لكان فتنةً للناس وجاذباً لهم إلى باطلهم؛ ﴿وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِّن فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ (33) وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَاباً وَسُرُراً عَلَيْهَا يَتَّكِؤُونَ (34) وَزُخْرُفاً﴾ (الزخرف).

الله سبحانه جعل لأنبيائه قدراً من القوة لا ينقصون عنه حتى يتمكنوا من البدء بالدعوة ولا تفنى دعوتهم

مهما كان الحق قوياً في ميزان المنطق والعقل فإن ضعفه يصرف الناس عنه

ومن هنا فإن الذين استجابوا للدعوة والرسالة قبل النصر أعظم درجة من الذين استجابوا لها بعده، كما قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا﴾ (الحديد: 10)، والفتح المذكور في الآية هو «صلح الحديبية» الذي هو بمثابة الاعتراف الدولي بالدولة الإسلامية بمصطلحنا المعاصر.

والخلاصة:

مهما كان الباطل متهافتاً في ميزان المنطق والعقل؛ فإن قوته وتفوقه يبهران الناس ويجذبانهم إليه، ومهما كان الحق متيناً قوياً في ميزان المنطق والعقل؛ فإن ضعفه يصرف الناس عنه ولا يجذب إليه إلا أفذاذ الناس النادرين في كل عصر، ويظل الصراع بينهما على القوة والتفوق، فالغالب منهم يتبعه الناس، فإذا أراد الله بقوم رحمة كان من نعمه عليهم انتصار الحق فلحقوا به، وإذا أراد بهم فتنة غلَّب عليهم أهل الباطل فلحقوا به.

ولئن كان الإنسان مكلفاً في كل وقت أن يبحث عن الحق ويتبعه مهما كان موقعه من التفوق أو الضعف، فإن الداعية والعالم وصاحب الرسالة مكلف أن يعرف ويستوعب أنه لن يحقق شيئاً كبيراً في دنيا الناس إلا إن بلغ القوة والتفوق، تلك سُنة من سنن الحياة وطبع من طبائع البشر، لا تُجدي مصادمته وتضر الغفلة عنه.■

«كورونا» في ماليزيا..

هل جنى مؤتمر جماعة التبليغ على الدولة؟

أحمد سليمان
باحث مصري مقيم بماليزيا

حتى نهايات يناير الماضي، كان كل شيء على ما يرام، الأخبار تتطاير عبر الأثير من الشرق والغرب عن «كورونا» وباء 2020م، والماليزيون حكومة وشعباً في حذر وترقب، مع هدوء نسبي نظراً لعدم اكتشاف أي حالة مؤكدة الإصابة، كانت الحكومة تسعى لإيجاد خطط بديلة للتأثيرات الاقتصادية لفيروس «كورونا» على الموسم السياحي، وتعزيز الإجراءات الحدودية عبر استخدام الماسح الحراري لمنع وصول الفيروس إلى أراضيها، حتى أعلنت وزارة الصحة، في 25 يناير، عن أول 4 حالات إصابة بالفيروس، 3 منهم كانوا على صلة بسائح يبلغ من العمر 66 عاماً، أكدت سلطات بلاده في سنغافورة إصابته بالعدوى.

اجتماع حاشد لـ«التبليغ والدعوة» أول مارس أدى إلى تفجر الأوضاع بالبلاد فأصيب بالفيروس فيه 570 شخصاً

وتيرة القرارات الحكومية تتسارع نحو التشديد كلما أظهرت الإحصائيات تزايد أعداد المصابين

هناك نقص في المطهرات الطبية والكمامات لاستهلاكها للحماية من فيروس الأنفلونزا الموسمية (A) بدايات عام 2020م



تأهبت الحكومة الماليزية وأعلنت حالة الطوارئ الصحية، لكن التزايد المحدود لحالات العدوى لم يكن يستدعي إجراءات التقييد العنيف التي تشمل كافة أراضيها وحدودها البرية والبحرية والجوية، فمنذ اكتشاف أول حالة وحتى نهاية فبراير الماضي لم تزد الحالات المؤكدة على 25 حالة، في حين لم تسجل أي وفيات حتى تاريخ 17 مارس.

ثم جاء اجتماع جماعة التبليغ والدعوة، في الفترة من 27 فبراير إلى 1 مارس، في مسجد «سيري بيتالينغ» بالعاصمة الماليزية كوالالمبور؛ ليفجر الأوضاع دفعة واحدة، حيث حضره حسب الإحصاء الرسمي للحكومة الماليزية أكثر من 16 ألف شخص، منهم أكثر من 14 ألف ماليزي من جميع الولايات الماليزية؛ مما سمح للفيروس بالانتشار عبر طول البلاد وعرضها، وقد كشفت الفحوصات مؤخراً عن إصابة أكثر من 570 شخصاً في هذا الاجتماع، فضلاً عمن خالطوا المصابين قبل خضوعهم للحجر الصحي، وما زالت الحكومة في مهمة شبه مستحيلة لتتبع الحاضرين ومخالطيهم داخل ماليزيا وخارجها إلى اليوم.

كانت ماليزيا في هذه الأثناء لم تتعافَ بعد من أزمة سياسية أحدثتها استقالة د. مهاتير محمد، وتفكُّك تحالف الأمل الذي قاده إلى سدة الرئاسة في انتخابات عام 2018م، والساحة السياسية ملأى بالتراشقات والتجاذبات، بين تحالف منقض وآخر في طور التكوين، وما زال داتو[1] محيي الدين ياسين يخطو خطواته الأولى لحصد ثقة الشعب ومجلس النواب، بعد تكليف ملكي بتعيينه رئيساً للوزراء خلفاً للدكتور مهاتير المستقيل، لكن في 17 مارس، وحين تخطت الإصابات حاجز الـ500 إصابة، وأعلنت وزارة الصحة الماليزية عن أول حالتي وفاة؛ إحداهما لقس ستيني، والأخرى لشاب (34 عاماً) كان ضمن الحضور في اجتماع جماعة التبليغ؛ دق وبقوة ناقوس الخطر عند كافة المؤسسات، وشعر الجميع بالخطر، وأصبح للجميع غاية واحدة وهي «إنقاذ البلاد»، ثم أعلن رئيس الوزراء خطة البلاد للتصدي للفيروس، وأصدرت الحكومة قرار الإغلاق، من 18 – 31 مارس (تم تمديده لاحقاً إلى 14 أبريل)، في 6 إجراءات صارمة:

1 – منع كافة الاجتماعات والتحركات الجماعية من أي نوع.

2 – خضوع كافة المواطنين العائدين إلى

ماليزيا للحجر الصحي 14 يوماً مع تحليل للفيروس.

3 - منع الأجانب من دخول البلاد بكافة المعابر، مع تقييد حركة المغادرة.

4 - إغلاق مؤسسات التعليم والتدريب المهني بكافة أنواعها.

5 - إغلاق كافة شركات القطاع العام والخاص، مع استثناء العاملين في الخدمات الأساسية كالماء والكهرباء والجيش والشرطة، وخدمات الطوارئ.

6 - منع كافة المحال والمطاعم من التعامل مع الجمهور، مع السماح بخدمات التوصيل للمنازل فقط عدا محلات البقالة والصيدليات.

إلا أن الجمهور لم يتعاطَ مع قرار الإغلاق بالجدية الكافية، فقد عاد كثير من الماليزيين -كما هي عادتهم في العطلات- من المدن وعواصم الولايات إلى القرى! وهو ما عرض هذه القرى لخطر كبير، خاصة أن معظم سكانها من المتقاعدين وكبار السن؛ مما دفع رئيس الوزراء إلى الخروج من جديد والتحذير من عواقب التهاون، وأن قرار الإغلاق ربما يمتد لشهرين، ولاحقاً أُعلِن عن قرار تقييد الحركة، أو ما يعرف اختصاراً بـ «MCO»، بحزمة إجراءات متشددة كمنع الانتقال بين الولايات، وإغلاق الطرق السريعة، ومنع التسوق إلا لفرد واحد من كل عائلة، وانتشار كثيف لقوات الجيش والشرطة، مع غرامات تصل إلى الحبس لفرض هذه القرارات.

ثم أعلنت الحكومة عن دعم إضافي لوزارة الصحة قيمته 500 مليون رينجيت (الدولار = 4.2 رينجيت)، وعن تسهيلات مالية عبر شبكة البنوك الوطنية للمتضررين جراء قرارات الإغلاق والتقييد.

ويظهر بوضوح -من الإحصاء في الجدول المرفق- التأثير الكبير لاجتماع مسجد «سيري بيتالينغ» على انتشار العدوى، وتدهور الوضع وبدء تزايد حالات الوفاة، وعلى الرغم من التأخر النسبي في بدء إجراءات قيد الحركة، خاصة أن الأزمة قد بدت ملامحها تتضح في بلدان عديدة قبل وصول المرض إلى ماليزيا، فإن وتيرة القرارات الحكومية تتسارع نحو التشديد كلما أظهرت الإحصائيات تزايد أعداد المصابين.

في 21 مارس، وصلت إلى كافة الهواتف المحمولة رسالة من اللجنة الوزارية لإدارة الأزمة، تعلن عن منع التجول، وتسمح فقط لرب العائلة بالتحرك لطلب المساعدة الطبية، أو لشراء المتطلبات الضرورية، مع ضرورة الالتزام بارتداء الكمامات الواقية، وفرض إجراءات المسح الحراري في كافة أماكن التجمع.

التاريخ	الحالات المؤكدة	الحالات الجديدة	حالات الشفاء	الوفيات
25 يناير	4	4	0	0
5 فبراير	12	8	1	0
15 فبراير	21	9	7	0
25 فبراير	22	1	20	0
5 مارس	55	28	22	0
17 مارس	673	618	42	2
20 مارس	1030	357	87	3
21 مارس	1183	153	114	8
22 مارس	1306	123	139	10
23 مارس	1518	212	159	14
24 مارس	1624	106	183	15
25 مارس	1796	172	183	17

جدول يعطي صورة واضحة لتطور الأوضاع حتى يوم 25 مارس

معاناة الطواقم الطبية

في زيارة للطبيب المخضرم د. صبري، صاحب عيادة طبية خاصة، اشتكى من نقص أدوات التطهير الطبية، واختفاء الكمامات، وسائر الأدوات اللازمة لحماية الطواقم الطبية من التعرض للعدوى، وأعلنت وزارة الصحة عن حالة وفاة واحدة بين طواقمها الطبية جراء الفيروس.

لسوء حظ المجتمع الماليزي كانت هذه الأدوات تعاني نقصاً قبل ظهور «كورونا» نظراً لاستهلاكها في الحماية من فيروس الأنفلونزا الموسمية (A)، الذي عانت منه البلاد في بدايات عام 2020م، وأيضاً من الدخان الكثيف الذي تعرضت له البلاد نهاية عام 2019م بفعل حرائق الغابات في ماليزيا وإندونيسيا، ثم جاءت مشكلة «كورونا» والمخزون يعاني نقصاً لم يُعوَّض بعد، وقد تداركت الحكومة فمنعت التصدير، في 20 مارس، وفتحت باب الاستيراد بشروط مخففة، وفرضت أسعاراً ثابتة منعاً لتلاعب التجار واستغلالهم حاجة المواطنين.

في 22 مارس، بدأت المحلات التجارية الكبرى في فحص جميع الزوار بكاشف حرارة الجسم عن بُعد، ولا يسمح لمن زادت درجة حرارتهم عن 38 درجة بالمرور، وقد أسفرت درجة الالتزام الكبيرة التي أبداها الشعب الماليزي مؤخراً عن بدء ظهور مبشرات الانحسار، إلا أن الخروج الاضطراري لطلب المساعدة الطبية، أو لشراء المستلزمات الضرورية يعرض بعض الأصحاء لالتقاط العدوى، ويحول دون كسر سلسلة انتشار المرض.

على الرغم من زيادة الطلب على المنتجات الغذائية ومواد النظافة والتعقيم، فإنه على الأقل في الأسواق التجارية الكبرى لم تتغير الأسعار، ولم تتحرك نحو الزيادة استغلالاً للظرف الطارئ، بل انخفضت بعض الأسعار، وظهرت العروض الترويجية كالمعتاد، كما أن أسعار الوقود قد انخفضت بنسبة تقارب 35% متأثرة بحالة الإغلاق وأيضاً انخفاض أسعار البترول عالمياً.■

الهامش

(1) لقب ورتبة تشريفية ينالها كبار رجال الدولة، وأعضاء المجالس النيابية، وكبار أساتذة الجامعات، وكبار المحامين والقضاة.■

تركيا: «درع الربيع».. بين السياقات الميدانية والتجميد السياسي



د. سعيد الحاج
محلل سياسي مختص بالشأن التركي

تحكم العلاقات التركية - الروسية في سورية تفاهمات عدة أبرمها الطرفان منذ بداية عام 2017م، فقد وصلت العلاقات بين الجانبين إلى حافة الحرب مع إسقاط أنقرة للمقاتلة الروسية «سوخوي»، في نوفمبر 2015م، إلا أن الجانبين أبديا حرصاً على عدم المواجهة وتجاوز الأزمة.

ومع معركة شرق حلب نهاية عام 2016م، أسس الطرفان لمسار أستانا الذي بدأ في يناير 2017م، بمشاركة إيران، واستمر حتى اللحظة، بهدف تنسيق الجهود وتجنب التصادم في الميدان، وفي أبريل 2017م؛ أعلن عن 4 مناطق «خفض تصعيد» في عموم الأراضي السورية بضمانة الثلاثي الروسي - التركي - الإيراني، تمهيداً لوقف إطلاق نار شامل في سورية لإطلاق المسار السياسي، إلا أن السلوك الروسي في سورية سار عكس هذه التفاهمات، وساعد النظام على السيطرة على ثلاث من تلك المناطق الأربع، وصولاً للمنطقة الرابعة؛ إدلب.



في سبتمبر 2018م، وقع الجانبان التركي والروسي اتفاق «سوتشي» بخصوص منطقة إدلب، بحيث تبقى منطقة خفض تصعيد وتفصل بين قوات النظام والمعارضة السوريين، مع مسؤوليات على كل من روسيا وتركيا –وخصوصاً الأخيرة– باعتبارهما ضامنين للطرفين المحليين.

أكثر من مرة، خرق النظام السوري وبدعم جوي من موسكو الاتفاق متقدماً على حساب المعارضة ومسيطراً على مزيد من المناطق، مرة بذريعة مكافحة الإرهاب، وأخرى بحجة أن تركيا لم توفِّ بكامل التزاماتها في الاتفاق، ودائماً بدعوى سيطرة «الدولة السورية» على كافة أراضيها.

وفي كل تصعيد في إدلب، تجنبت أنقرة لوم موسكو أو الدخول معها في توتر، مفضّلة التواصل السياسي والدبلوماسي معها، وهو ما أثمر عدة هُدنات وتفاهمات بُنيت على ما سبق، لكنها لم تمنع يوماً عودة النظام للتصعيد، كما حصل في الجولة الأخيرة؛ وهو ما أنتج معادلة صعبة بالنسبة لتركيا؛ فروسيا ضامنٌ لا يضبط أداء النظام بل يساعده ميدانياً، بينما هي كضامن للمعارضة غير قادرة على حمايتها ومستمرة في ضبط أدائها الميداني.

حرج تركي مضاعف

ومع استمرار تقدمِ النظام، بات الحرج التركي مضاعفاً ومركباً؛ فهي في حرج إزاء المعارضة السورية، وموسكو لا تكترث كثيراً بتعدد الخروقات والهدنات ولا بتحفظات أنقرة المتكررة، وتقدم قوات النظام حوّل عدداً من نقاط مراقبتها العسكرية التي أنشئت وفق التفاهمات مع موسكو إلى بؤرٍ محاصَرة من قبلها، بل وصل الأمر أحياناً لاستهداف النقاط وسقوط قتلى من الجنود الأتراك، إضافة إلى توجه مئات الآلاف من المدنيين المقيمين في إدلب نحو حدودها هرباً من القصف والمعارك، فضلاً عن تخوف تركيا من سيطرة النظام على كامل إدلب؛ بما له من تداعيات سلبية على المعارضة السورية والمسار السياسي، وكذلك على وجودها هي نفسها في مناطق عملياتها الثلاث (درع الفرات، وغصن الزيتون، ونبع السلام).

بناء على كل ما سبق، ونظرة تركيا إلى إدلب كخط دفاع أولي عن حدودها، فقد هددت النظام بعملية عسكرية ضده إن لم يسحب قواته إلى الحدود التي ثبتها اتفاق «سوتشي»؛ أي إلى ما بعد نقاط المراقبة.

هذا العنوان العريض حمل بين طياته أهدافاً فرعية ثلاثة للعملية التركية المفترضة:

الأول: فك الحصار عن نقاط المراقبة وتأمينها.

الثاني: تجنيب إدلب موجة نزوح كبيرة من خلال استهداف مركزها.

الثالث: إنشاء منطقة آمنة بعمق حوالي 30 كلم.

لم تتوقف قوات النظام ولم تردعه روسيا، بل حمّلت تركيا المسؤولية بأنها لم تقم بما يتوجب عليها لمكافحة «المنظمات الإرهابية» وفصلها عن المعارضة المعتدلة، تكررت رسائل ساخنة بين تركيا وروسيا في الاتجاهين؛ سياسية وميدانية، حيث جاءت الأخيرة على شكل استهداف النقاط التركية أو تحريك المعارضة شرقي حلب وغربها، وصولاً لاحتكاكات مباشرة بين تركيا وقوات النظام.

في السابع والعشرين من فبراير، استُهدفت نقطة تجمع للجنود الأتراك في إدلب وسقط العشرات منهم قتلى، أشارت بعض التحليلات إلى احتمالية أن تكون روسيا هي من نفذت الهجوم رداً على دعم تركيا للمعارضة في استرداد بلدة سراقب الإستراتيجية على مفترق الطرق الدولية، إلا أن روسيا نفت ذلك وحمّلت أنقرة المسؤولية للنظام.

وعلى مدى أيام عديدة، استهدفت أنقرة مواقع النظام ومركباته وطائراته المقاتلة ومطاراته بشكل مكثف، ليعلن وزير الدفاع التركي خلوصي أكار بعد أيام أن هذا الرد المركز هو عملية «درع الربيع» التركية ضد النظام، وأن بلاده لن تتوقف حتى يعود بقواته إلى ما بعد نقاط المراقبة.

بدت خسائر النظام كبيرة خلال الأيام الثلاثة أو الأربعة الأولى للعملية، على الأقل وفق المصادر التركية، وذلك بفضل الطائرات بدون طيار التركية التي يبدو أنها فاجأته ولم تكن في حسبان الجانب الروسي، الذي بدا مطمئناً لسيطرته على الجو بما قد يمنع أنقرة من تنفيذ تهديدها بالعملية.

وكما يحدث في كل مرة، كانت سخونة الميدان وزيادة احتمالات المواجهة المباشرة بين الطرفين التركي والروسي فرصة للتفاوض والتفاهم، ليتفق الطرفان في موسكو مرة أخرى في الخامس من مارس الماضي، وكان نص الاتفاق عبارة عن بروتوكول إضافي على اتفاق «سوتشي» السابق، على وقف إطلاق النار وإنشاء ممر آمن على طول الطريق الدولي «M4» بعرض 12 كلم، وتسيير دوريات تركية – روسية مشتركة.

أهداف مشتركة

حقق الاتفاق للطرفين الهدف المشترك الأبرز لهما، وهو تجنب المواجهة المباشرة بينهما؛ وبالتالي ضمن آنياً عدم انهيار التفاهمات وتعرض العلاقات بينهما لانتكاسة كبيرة، بعد أن تقاربا كثيراً خلال السنوات

النظام السوري كرر خرق الاتفاقات بدعم روسي وتقدم على حساب المعارضة وسيطر على مزيد من المناطق

خسائر النظام بدت كبيرة بفضل الطائرات بدون طيار التركية التي فاجأت روسيا ولم تكن في حسبانها



الماضية وصولاً لمشاريع عملاقة بينهما في مجالات الطاقة والسلاح والاقتصاد، إلى ذلك؛ بدت روسيا أكثر استفادة من الاتفاق الذي ثبتها مرجعية لكافة الأطراف من جهة، وأوقف العملية التركية ضد النظام من جهة أخرى، بينما لم تحقق تركيا تماماً هدفها الرئيس بإرجاع أو رجوع قوات النظام لحدود «سوتشي» وإن كانت حققت المطالب الفرعية لها جزئياً.

الأهم فيما يتعلق بالاتفاق أن ثمة حالة شبه إجماع على أنه هش وغير مستقر؛ أولاً: لأنه لم يحقق الهدف التركي الرئيس المعلن للعملية، وثانياً: لأنه اكتفى تقريباً بالإعلان عن وقف إطلاق النار، بينما تغاضى عن باقي الملفات والتفاصيل المختلف عليها بين الطرفين؛ بما يعني فشلهما في تذليل الخلافات بخصوصها، وثالثاً: لزيادة توقع أن يعود النظام للخروقات والانتهاكات قريباً، ورابعاً: لوجود عناصر وأطراف كثيرة في الميدان يصعب ضبطها، وقد تعمل على إعادة تسخينه عمداً أو عن غير قصد.

ولذلك؛ فقد حملت تصريحات الرئيسين بوتين، وأردوغان إشارات ضمنية على هذا الاحتمال؛ فقد أعاد الأول التأكيد على ضرورة مكافحة الإرهاب، بينما شدد الثاني على احتفاظ بلاده بحق الرد على أي انتهاك قد يصدر عن قوات الأسد، وهي تصريحات لا تخفى دلالاتها.

وفي الخلاصة، كان ثمة سياقات سياسية مهمة أوقفت العملية التركية أو بالأحرى جمّدتها حتى حين؛ في مقدمتها حرص أنقرة وموسكو على العلاقات البينية ورغبتهما في تجنب المواجهة المباشرة، إلا أن المعادلات الميدانية تشير إلى أن الاتفاق المبرم هش ومؤقت إلى حد كبير، وقد يتداعى في أي لحظة بناء على قرار مسبق من أحد الأطراف أو لحسابات خاطئة أو بسبب تدحرج الأحداث بشكل غير مقصود.

يعني ذلك أن العملية التركية مجمدة بشكل مؤقت وقد تُستأنف في أي وقت، إلا إنْ استطاعت أنقرة تثبيت الاتفاق مع موسكو وتعميقه والتوصل لتفاهمات أرسخ بخصوص النقاط الخلافية بينهما من خلال آلية التواصل والحوار الثنائية بينهما، إن كان على المستوى السياسي، أو بين وزارتي دفاع البلدين.■

الأسرة المسلمة في الهند وتحديات الهوية

فاطمة عبدالرؤوف
كاتبة متخصصة بقضايا المرأة والمجتمع

تواجه الأسرة المسلمة في الهند مجموعة متشابكة ومعقدة من المشكلات، منها ما هو مرتبط بالبنية المجتمعية الداخلية، وآخر مرتبط بالتطرف والغلو الهندوسي الذي رفع شعار «الهند للهندوس»، ووصول هذا اليمين الهندوسي لسدة الحكم وما أعقب ذلك من قوانين تمييزية تحض على الكراهية وإطلاق سراح الجماعات الهندوسية الإرهابية لشن جرائم وحشية على المسلمين، نالت المرأة المسلمة النصيب الأوفى منها، وأثرت بشكل مباشر على نوعية الحياة التي تعيش في ظلالها الأسرة المسلمة في الهند.

بعد انفصال باكستان عن شبه القارة الهندية، آثرت الأغلبية من المثقفين والمتعلمين وأبناء الطبقة الوسطى الهجرة لباكستان تحسباً من الاضطهاد الذي قد يعانون منه، وبقيت أقلية كبيرة تقدر حالياً بنحو 230 مليون مسلم في الهند، أغلبيتها من الطبقات المهمشة ومن العاملين في القطاع الزراعي الذين يعيشون في قرى لا تتوافر فيها المدارس ومراكز الرعاية الصحية الأولية، فانعكس ذلك كله على نمط وجودة الحياة التي تعيشها الأسرة هناك.

رغم الخصوبة الكبيرة للأسر المسلمة فإن الأعداد المتزايدة لا تمثل إضافة نوعية للمسلمين لضعف التعليم والفقر

الكثير من الأسر المسلمة تفتقد أوليات الحياة الكريمة؛ كوجود مرحاض داخل البيت؛ مما يدفع الفتيات لقضاء حاجتهن ليلاً في الخلاء؛ وما قد يترتب على ذلك من تعرضهن للتحرش والاغتصاب، وغالباً لا يتم إبلاغ الشرطة بذلك؛ لأن الثقافة المحلية تصم الفتاة وأسرتها بالعار، هذا فضلاً عن الاغتصاب العمدي الذي تتعرض له المسلمات من أجل التهجير القسري للأسر المسلمة.

هذا المناخ القاسي يدفع بكثير من الأسر إلى تزويج الفتيات في سن صغيرة للغاية، خاصة أن فرص تعليم الفتيات شحيحة، وإن وجدت فهي تغطي المرحلة الابتدائية فقط، وفي هذا النمط من الأسر نلاحظ أن الثقافة الإسلامية لديهم تمتزج بعادات الهندوس، كما يشيع التصوف والاهتمام بالأولياء ونحو ذلك، وعلى الرغم من الخصوبة الكبيرة التي تتمتع بها الأسر في هذه الطبقات المهمشة التي تمثل أهمية كبيرة في عدد السكان المسلمين في الهند، فإن هذه الأعداد المتزايدة في ظل الفقر وضعف التعليم لا تمثل إضافة نوعية للمسلمين.

كما تعاني كثير من الزوجات الهنديات المسلمات من العمل الشاق في الحقل وقلة الحصول على الغذاء الصحي، خاصة أثناء الحمل والرضاعة، وعدم توافر خدمات صحية مناسبة، وتعاني من وطأة العادات المحلية الاجتماعية القاسية التي لا علاقة لها بالإسلام.

بالإضافة إلى ذلك، فإن تدخل الدولة الهندية لحماية حقوق المرأة المسلمة ملغم ولا يخدم كيان الأسرة مثلما حدث مع قانون الطلاق الجديد؛ حيث ألغى الأثر المترتب على إيقاع الطلاق ثلاثاً في جلسة واحدة وفي الوقت ذاته، وفي بند ثان من القانون ذاته يعاقب الزوج الذي يوقع الطلاق ثلاثاً في جلسة واحدة بالسجن ثلاث سنوات؛ فما الفائدة التي تعود على الأسرة من حبس الزوج؟ ومن الذي ينفق على الزوجة والأطفال طيلة هذه السنوات الثلاث؟

حرب ثقافية

لا يمكن وصف الهجوم الذي تتعرض له الأسرة المسلمة في الهند بوصف أقل من «حرب ثقافية»؛ حيث تستخدم كل أدوات الحرب الخشنة والقذرة لتغيير الثقافة الإسلامية وإحلال الثقافة الهندوسية بديلاً عنها بما تحويه من أساطير وخرافات وثنية.

وتبدأ هذه الحرب الثقافية بتغيير أسماء المدن التي تحمل دلالات إسلامية إلى أخرى تعبر عن رموز الثقافة الهندوسية، بحيث تشعر الأسرة المسلمة بالاغتراب في السياق

الثقافي الجديد، وتنتقل إلى مرحلة إجبار بعض العائلات بتسمية أبنائها براما وكريشنا وغيرها من الأسماء الهندوسية الشهيرة في أجواء مشبعة بالتعصب والكراهية، مروراً بحرب نفسية تسعى لإذلال المسلمين والانتقاص منهم؛ كتلك التصريحات المسيئة التي أطلقها رئيس الوزراء الحالي «ناريندرا مودي» بعد موجة من العنف ضد المسلمين؛ حيث قال: «إنه يشعر بالحزن عما تعرض له المسلمون، كما يشعر بالحزن عند قتل الجراء عندما تدهسها السيارة»!

الحرب الثقافية على الأسرة المسلمة ونمط حياتها أو ما يطلق عليه «الهندوتفا» هي حرب أيديولوجية تسعى لترسيخ سيادة الهندوس ونمط حياتهم؛ فإما ترك المسلمين لمظاهر دينهم وإما يعاملون كأنهم أجانب على المجتمع الهندي.

أو كما قال وزير التربية والتعليم السابق «سمبورناند»: «كل من يتعصب ويروج الدين الإسلامي في المدارس، يلحق أضراراً بالهند والهندوسية؛ فعلينا أن نقضي على الإسلام في الهند لضمان التقدم إلى الأمام»!

وقد وصلت الحرب الثقافية إلى حد استخدام العنف في فرض هذا النمط الهندوسي؛ كاختطاف الفتيات المسلمات وتزويجهن عنوة بشباب هندوسي، والزواج وفقاً للطقوس الهندوسية، وإجبارهن على نطق كلمات التقدير والتقديس لآلهتهم الوثنية، وتنشئة أطفالهن على الديانة الهندوسية.

ومن صور العنف الثقافي التي تمارس على الأسرة المسلمة في الهند الحرمان من تناول لحوم الأبقار التي أحلها الله تعالى لهم؛ فمن ناحية يتم النظر لهم بصورة دونية والتنمر عليهم باعتبارهم آكلي لحوم، وأكثر من يتأثر بذلك الأطفال المسلمون الصغار والمراهقون، حتى إنه لا يسمح بتناول اللحم إلا في خمس ولايات فقط، أما بقية الولايات فقد سنت قوانين لمنع ذبح الأبقار وحيازة لحمها، وتقوم جماعة حماة الأبقار بضرب وقتل من تشتبه في أنه يحوز لفافة من اللحم أو ينقل الأبقار من قرية لأخرى خشية أن تذبح!

بين التجنيس والاغتصاب

أما أخطر ما يمكن أن تواجهه الأسر المسلمة في الهند فهو اغتصاب الفتيات من أجل إذلال العائلة المسلمة وترويعها وإخضاعها، وهي إستراتيجية معتمدة من الإرهاب الهندوسي، وما حدث للفتاة الكشميرية المسلمة آصفة بانو يوضح مدى بشاعة هذه الجرائم الهندوسية؛ فالضحية طفلة صغيرة في الثامنة من عمرها تم تخديرها واختطافها.

أما مكان الجريمة فهو معبد هندوسي، وتبدو رمزية المكان واضحة لتوصيل رسالة الهندوس.

أما المغتصبون فهم ثمانية رجال تناوبوا على اغتصاب الطفلة الصغيرة، منهم كهنة في المعبد ورجال شرطة محليون، (لاحظ أن هؤلاء الذئاب الثمانية يمثلون رموز الدين والسلطة هناك)، وبعد أن انتهوا من تمزيق الطفلة جراء الاغتصاب قاموا بخنقها ثم رجمها بحجر ضخم في رأسها ثم قاموا بإلقاء جثتها في البرية.

أما الهدف من الجريمة فهو إجبار قبيلة هذه الطفلة على الهروب من هذه المنطقة الحدودية كما اعترفوا أثناء التحقيق معهم.

أما منتهى الإجرام، فهو ما قام به الهندوس بعد ذلك من تهديد والدي الطفلة ومحاولة منع المحكمة من النظر في الدعوى، بل وتظاهر الهندوس دفاعاً عن المتهمين، حتى إن وزيراً من حزب «بهارتيا جاناتا» شارك في هذه المظاهرات متهماً المسلمين بالمبالغة والرغبة في تشويه صورة الهندوس! وأشاع بعض المتظاهرين الهندوس عن البنات المسلمات تهمة الانحلال الأخلاقي للتغطية على جريمة الاغتصاب، وهو أسلوب رخيص وقذر يستخدم في شن حرب نفسية على الأقلية المسلمة هناك.

على أن خلخلة المجتمع المسلم تجاوزت الحوادث الفردية الإرهابية إلى سن القوانين المنظمة، ومن ذلك قانون المواطنة الجديد الذي استثنى المسلمين تحديداً من الفئات التي يحق لها التجنس؛ فبموجب هذا القانون سيطالب ملايين المسلمين بأوراق ثبوتية تدلل على جنسيتهم الهندية، وهذه الأوراق لا يملكها الكثيرون؛ مما يعني حرمانهم من الجنسية مع ما يترتب على ذلك من آثار كارثية.

ولعل السبب الحقيقي الكامن وراء هذا القانون أن تكون الهند للهندوس فقط؛ فعلى الرغم من أن الهندوس يمثلون 80% من سكان البلاد، فإن معدل خصوبة المرأة المسلمة هو الأعلى، وتشير الأرقام إلى أن نسبة المسلمين الآن 14% من عدد سكان الهند، ويتوقع أن تصل في المستقبل القريب إلى 20%، رغم كل صور القمع والإرهاب الهندوسي الذي تغض الحكومات والسلطات النظر عنه، ويتم التعامل معه ببطء وبرود شديدين؛ لذلك استغل حزب «بهارتيا جاناتا» اليميني المتعصب بزعامة «ناريندرا مودي» فوزه بأغلبية كبيرة لتمرير هذا القانون التمييزي المسيء للمسلمين؛ مما دفعهم للتظاهر والاحتجاج ضده.

ومن الملاحظ مشاركة النساء المسلمات بفاعلية وشجاعة خلال هذه التظاهرات؛ لإدراكهن خطورة ما يترتب عليه من خلخلة البنية المجتمعية للمسلمين في الهند، كما نالت النساء المسلمات النصيب الأوفى من الاعتداءات الهمجية للهندوس، حتى إنهم أحرقوا عليهن المنازل وهم يهتفون بهتافات دينية، وقاموا بتمزيق ملابسهن أمام أطفالهن؛ مما أجبر أخريات على الهرب والفرار قبل أن تصل إليهن العصابات الهندوسية، وحتى الأطفال لم يسلموا من تلك الاعتداءات الوحشية للهندوس الذين كانوا يكشفون عوراتهم لمعرفة إذا كانوا مختونين أم لا؛ لأن الهندوس لا يختتنون، وبعض الأطفال المعتقلين في التاسعة من عمرهم.

يمكننا القول إذن: إن الأسرة المسلمة في الهند فوق صفيح ملتهب وصل إلى حد الاحتراق من جراء الإجرام الهندوسي المتطرف في معركة وتحديات الهوية.■

تدخل الدولة لحماية حقوق المرأة المسلمة لا يخدم كيان الأسرة كما حدث في قانون الطلاق الجديد

الحرب الثقافية على الأسرة المسلمة ونمط حياتها حرب أيديولوجية تسعى لترسيخ سيادة الهندوس



نظرة ديمغرافية على شبه القارة الهندية وتاريخ الفتح الإسلامي لها

مجيب الرحمن عتيق الندوي
عميد الشؤون التعليمية دار العلوم الإمام الرباني

الهند ثاني دولة من حيث عدد السكان، وثالث أكبر بلد في تعداد المسلمين بالعالم بعد إندونيسيا وباكستان، وهي بلاد عريقة في تاريخها وثقافتها، وموقعها الجغرافي الحضاري، وبلاد مترامية الأطراف واسعة الأكناف، يقطن فيها أهل الديانات المختلفة والثقافات المتعددة منذ القدم.
تقع في جنوب آسيا، وهي سابع أكبر دولة من حيث المساحة في العالم، حيث تبلغ 3.165.596 كم2؛ مما أدى إلى تسميتها شبه القارة الهندية، تحدّ الهند العديد من البلدان، هي: بنجلاديش، وبورما، والصين، ونيبال، وباكستان، وبوتان، وتُطلّ على المُحيط الهندي، وبحر العرب من الجهة الجنوبيّة والجنوبيّة الشرقيّة.



تتكون الهند من 28 ولاية، مع وجود نظام برلماني ديمقراطي، ويقطن أغلبية السكان من المسلمين في ولاية كشمير، وفي كيرلا، وكانت قبل كونها جمهورية مستقلة مستعمرة بريطانية، أخذها الاستعمار البريطاني بعد مكر وكيد وتخطيط في عهد انحطاط الدولة المغولية للمسلمين، بعد ما حكموها أكثر من سبعة قرون، واستقلت الهند من الاحتلال البريطاني عام 1947م.

وصل التعداد السكاني للهند إلى نحو مليار و370 مليون نسمة، وذلك وفق بيانات الأمم المتحدة في يوليو 2019م، وعدد المسلمين فيها حسب الإحصائيات الرسمية 230 مليون نسمة، والحقيقة أن عددهم يربو على 300 مليون، وبهذا العدد الكبير تتميّز الهند بأنها تحتضن الكثير من الأعراق، والأديان، واللُّغات؛ مما يجعلها دولة غنية بالتنوّع الثقافي، كما عرّضها للكثير من المشكلات، أهمّها: الفقر، وسوء التغذية، والأميّة.

وتعتبر الهند موطناً لما يقارب 461 لغة ولهجة، وقد انقرضت حوالي 14 لغة، حيث يتحدث غالبية الهنود الشماليين باللغة الهندية، ولكنها لا تعتبر وسيلة التواصل في الجزء الجنوبي من الهند، وقد اعترف دستور الهند بما يقارب 22 لغة رسمية في البلاد، ومن أهم اللغات: السنسكريتية، الهندية، الإنجليزية، الغجراتية، البنجابية، البنغالية، الأسامية، دوغري، الأردوية، الأوريا، المراتهية، الكنرية، التاميلية، التيلجو، الميالم، وغيرها من اللغات.

تقع في جنوب آسيا وهي سابع أكبر دولة مساحة في العالم والثانية في عدد السكان

التعداد السكاني أكثر من مليار نسمة وعدد المسلمين 230 مليوناً

الهندوس والبراهمة

الهندوسيّة من الديانات القديمة التي يُقدّرُ عدد أتباعها بأكثر من مليار شخص، ويعرف الكثير من الناس أن الهندوسية ديانة يعتنقها الأغلبية من سكان الهند، واشتُقّت كلمة هندوسيّة من الاسم «هندُو» الذي يعود لأصلٍ فارسيّ، ولكنه لم يُستخدم لوصف هذه الديانة، بل اعتمد عليه الفُرس في وصف القبائل التي تعيش خلف نهر السند، والحق أن اسم الديانة الهندية هو «آريا دهرم أو ويدك دهرم» حسب الكتب المقدسة، كما أُطلقَ عليها

اسم «الهندوكية».

ويعتقد كثير من الناس اليوم في العالم أن الديانة الهندوسية هي مجموعة عقائد أو نظريات وثنية اتفق عليها معتنقو هذه الديانة، وجميع من في الهند من الوثنيين هم الهندوس، وعباد البقر، وعباد الأصنام والأحجار، لكن الحقيقة أن الهندوسية ليست ديانة بمعنى الكلمة، بل مجموعة طقوس وتقاليد، وأعراف وعادات للشعوب المختلفة، جمعت وضمت بعضها إلى بعض في مختلف العهود، ودونت في عهد غارق في القدم، وتوجد عليها مسحة من سياسة البراهمة السلالة الآرية التي دخلت في الهند وعبّدت أهلها، ومن هنالك يختلف أهل منطقة في العقيدة والعبادة، والطقوس والتقاليد عن منطقة أخرى، والهندوس فئات وأقسام، وتوجد بينهم خلافات شديدة في صميم عقيدتهم، وطقوسهم.

وكذلك الهندوس ليسوا سواء، فمنهم البراهمة الذين تحكموا في رقاب الناس بدهائهم ومكرهم، وجعلوا أهلها شيعاً، وأثروا على ديانتهم، وتقاليدهم، وغيروا من طقوسهم وأعرافهم كثيراً، وهم قلة قليلة منذ القدم (نحو 15%)، بينما الأغلبية الكبيرة من الهندوس من السكان الأصليين هم 80%، وهم كانوا الضحية الأولى للبراهمة الغاشمين الظالمين، وبقوا تحت ظلمهم وسيطرتهم، وغطرستهم قروناً، وتحت وطأة السلالة الآرية منذ القدم، فحكمت هذه الأقلية الظالمة بدهائها ومكرها، وعاشت الأغلبية الكبيرة والطبقات الساذجة من مختلف القبائل والشعوب التي ترجع أصولها إلى السكان الأصليين من البلاد تحت هذا العدوان الغاشم، والظلم والاضطهاد البشع، ولقوا من البراهمة المعتدين المحتلين متاعب ومعاناة، وتعاملاً لا يليق بالبشر.

تتكون من 28 ولاية ويقطن أغلبية المسلمين في ولايتي كشمير وكيرلا

في العهود التاريخية المختلفة قامت بعض الحركات الإصلاحية الثائرة على البرهمية وعدوانها والنظام الطبقي الجائر

ونجد في التاريخ أنه قامت في العهود التاريخية المختلفة بعض الحركات الإصلاحية الثائرة على البرهمية وعدوانها، والنظام الطبقي الجائر، وكان لبعضها صدى وآثار ملموسة، ولكنها خمدت نارها، وسكنت ثورتها بدهاء البراهمة الماكرين، وحينما دخل الإسلام في الهند ورأى أهلها من الطبقات المضطهدة البائسة القيم الإنسانية الرفيعة، والأخلاق النبيلة، والتعامل الإنساني الجميل في الدعاة الفاتحين من المسلمين تأثروا بهم كثيراً، وكم منهم دخلوا في الإسلام.

الهندوس ليسوا سواء فمنهم قلة من البراهمة تحكموا في رقاب الناس وأغلبية أصبحت ضحية لهم

الحقبة الإسلامية

قدم المسلمون إلى الهند ودخلوها فاتحين، ودعاة مبلغين ومربين، وسجل التاريخ أن الجيش الإسلامي دخل تحت قيادة محمد بن قاسم إلى السند عام 93هـ/ 711م، فقامت دولة للمسلمين، وكانت لهم جولة وصولة وكلمة مسموعة، وقد اهتم الأمراء والحكام المسلمون في الهند ببناء المساجد الشامخة التي كانت بمثابة مدارس إسلامية، كما عمر العلماء الزهاد والصوفية الخانقاهات والزوايا التي لم تكن أمكنة للتزكية والسلوك فحسب، بل كانت مراكز قوية للتعليم والتربية، وجاء السلطان محمود الغزنوي في القرن الخامس الهجري، وكان شغوفاً ومعروفاً باهتمامه الزائد ببناء المدارس والمساجد، ولما كان ذلك من عادة السلاطين فلم يكن الناس إلا على دين ملوكهم، اعتنى الناس ببناء المساجد والمدارس، واهتموا بالتعليم والتربية، فكم من مدارس أقيمت وأسست، وكم من مساجد شامخة بُنيت وعمرت، وكم من مراكز وزوايا تأسست، وما كان ذلك إلا من أجل الاهتمام بالتعليم والتربية، وإنشاء المدارس، كما أسس المسلمون مدنية راقية في البلاد، وحكموا أهلها بحب ووئام، ومرونة القلب وسعة الصدر.

وبقيت حكومة المسلمين في الهند منذ ذلك الحين إلى عام 1867م بين حكومات كبيرة وصغيرة ومستقلة وتابعة، وكانت راياتهم تخفق على هضابها حتى وطأتها أقدام الاحتلال الإنجليزي، وبدؤوا يحتلون منطقة بعد منطقة، ويسيطرون على إقليم تلو إقليم، إلى أن جثم الاستعمار البريطاني على الهند كلها، وتربع على عرشها، ثم نالت الهند استقلالها من وطأة الاستعمار بجهود مضنية طويلة عام 1947م، وأصبحت جمهورية علمانية منذ ذلك الحين، ووضع الدستور الديمقراطي للبلاد.

وكان المصلح الاجتماعي «بهيم راؤ أمبيدكر» (1891 – 1956م)، المعروف شعبياً باسم «باباصاحب»، قد عُين رئيساً للجنة صياغة الدستور الجمهوري الهندي، وكان من الطبقة المنبوذة المضطهدة، وقام بحركة قوية ضد النبذ والظلم على المنبوذين، وكان «أمبيدكر» رجلاً عصامياً عبقرياً، وكان يرى التحول من الهندوسية إلى السيخية التي شجعت المعارضة على الظلم والاضطهاد ولكنه لم يقتنع بها، وكذلك كان يرى أن يتحول إلى الإسلام، ويعتنقه، ولو تحول إلى الإسلام



لتبعه الملايين في الدخول للإسلام، ولأجل ذلك دبر له بعض الناس المكائد، فلم يتم ذلك، ثم بعدما درس البوذية وتأثر بها مال إليها.

وقد تم صياغة القانون الديمقراطي تحت إشراف «أمبيدكر»، والنص الذي أعده قدم ضماناً دستورياً من الحريات المدنية لجميع المواطنين على اختلاف النظريات والديانات، بما فيها حرية الدين، وإلغاء النبذ، وحظر جميع أشكال التمييز، وعلى كل حال، كانت جهوده قوية في معارضة النبذ، والظلم.



خطر البراهمة

وبعد استقلال الهند تغير الكثير من الأوضــاع والأحــوال، ووضعــت البـراهـمـة الماكرة خططاً وإستراتيجيات جديدة في النظام الديمقراطي الجمهوري، وكان من خططهم أن تكون الهند دولة هندوسية بحتة، وأصبح المسلمون بعد الاستقلال هم العدو الأول للبراهمة، رغم أنهم كانت لهم جهود جبارة مستمرة في تحرير البلاد، فلم يكن من السهل الميسور للبراهمة ومن على شاكلتهم حينئذ أن يعلنوا عن عدائهم السافر للمسلمين، فاندلعت إثر خروج الاستعمار البريطاني اضطرابات طائفية هائلة، ابتلعت الملايين من الناس، وتم فصل الباكستان عن الهند؛ مما أثر في سياسة البلاد كثيراً.

وبعد الاستقلال السياسي للبلاد، بدأت العقلية البرهمية العدوانية في نسج المؤامرات على المسلمين بصورة خاصة، وكانوا يريدون أن يحرموا المسلمين من الحقوق الدستورية ويضيقوا الخناق عليهم، وألا يبقى لهم عز ولا كرامة، وكان عداؤهم وكراهيتهم للإسلام والمسلمين في غير خفاء، وكانوا يخفون حقدهم ومؤامرتهم على الفئات الأخرى المضطهدة البائسة أيضاً مكراً وسياسة، ومع أن البراهمة قلة قليلة في البلاد، والأغلبية الموجودة من السكان الأصليين الذين يعتبرهم كثير من الناس أنهم هم الهندوس، وليس الأمر كما زعموا، إنهم ليسوا هندوسيين مثل البراهمة، وليسوا في مستواهم من العداء والكراهية للإسلام والمسلمين، بل إنهم أيضاً لقوا عبودية جائرة، وظلماً شنيعاً من البراهمة، ولكن البراهمة بدهائهم ومكرهم طالما ضموهم إليهم، واعتبروهم من أنفسهم، وأوقعوهم في الاضطرابات الطائفية على المسلمين، حتى ظن العالم أن الهند أغلبيتها

استمر حكم المسلمين منذ دخلوها تحت قيادة محمد بن قاسم عام 711 حتى 1867م

الحكام المسلمون اهتموا ببناء المساجد الشامخة التي كانت بمثابة المدارس الإسلامية

المسلمون بعد الاستقلال أصبحوا العدو الأول للبراهمة رغم جهودهم العظيمة في تحرير البلاد

هندوس غلاة، وأعداء للإسلام.

وفي الآونة الأخيرة لما تولى الحكم الحزب السياسي الأخير الذي يمثل النزعة البرهمية، أصبحت البلاد تعاني صنوفاً من الأخطار التي تهدد الفئات المختلفة بصورة عامة، والهوية الإسلامية بصورة خاصة، فجاهروا بعدائهم للإسلام، ومكروا ودبروا ضد المسلمين، وحاولوا أن يرعبوهم في البلاد بأساليبهم الماكرة المختلفة، فكم من شباب زُجوا في غياهب السجون والمعتقلات، وصبوا عليهم من النكال ما لا يعلمه إلا الله، وكم منهم قُتلوا بتهمة ذبح البقر، وهم منه براء، وكم من المسلمين قتلوا في الحقول والمزارع، والقطارات والشوارع، على مرأى ومسمع من الحكومة.

وأخيراً بدؤوا -حسب خطتهم- تغيير القانون الديمقراطي إلى القانون الهندوسي البرهمي الخالص؛ فاستهدفوا الأحوال الشخصية للمسلمين، وأتوا بقانون جديد في الطلاق والنكاح، ونفقة العدة؛ مما يعارض النصوص الشرعية، ويعارض حرية الإنسان التي يمنحها القانون الجمهوري في الهند منذ القدم، ومن هنالك هجموا على الإسلام، وعلى الدستور الجمهوري معاً، وبدؤوا حربهم باسم الإسلام، مع أن الفئات المختلفة الأخرى يتأثرون بها.

ومكروا على مسجد «بابري» الذي بني لعبادة الله وحده، وقد هُدم بأيديهم ومكرهم قبل سنوات، وكان الموضوع في المحكمة العليا للبلاد منذ ذلك الوقت، والدلائل والبراهين العلمية والتاريخية تؤيد موقف المسلمين، فنفخوا في رماد الموضوع من جديد، وأثاروا القضية التي كانت في ملفات المحكمة، وادعوا بأنهم يبنون معبد الإله «راما» على أنقاض المسجد، ولم تكن هذه الأمور إلا ليخربوا أمن البلاد، ويرعبوا المسلمين، ولكي يستمروا في طغيانهم واستبدادهم السياسي، الذي يدل عليه تاريخهم الأسود الكريه.

وليس المسلمون وحدهم المستهدفين، بل يستهدفون كل الفئات الأخرى المظلومة البائسة، التي يحرضونها في كثير من الأحيان على المسلمين ويوحدونهم باسم الديانة الهندوسية تحت راية العداء للإسلام.

وقد نهبوا البلاد وأضروا بها سياسة، واقتصاداً، فكم من الفلاحين الفقراء قتلوا أنفسهم بأيديهم لخسائرهم الفادحة، وغلاء الأسعار، وكثرة الديون المثقلة على رقابهم، وقلة عائدهم بعد تعبهم وعنائهم في الحقول والمزارع، وكم من تجار ورجال أعمال يواجهون العناء اليوم من شدة الضرائب المجحفة، حتى لقيت التجارة والصناعة كثيراً من الخسائر■

مريض «كورونا».. بين الحقوق والواجبات

نظرة فقهية



الشيخ أحمد ناجي
من علماء الأزهر الشريف

جعل الإسلام للمريض بالمرض المعدي حقوقاً على المجتمع، وأوجب عليه واجبات تجاه المجتمع.

أولاً: الحقوق:

1 - أن يتولى المجتمع مداواة المريض ومعالجته، إن كان ثمة علاج ناجع في ذلك، فإن لم يكن فينبغي أن يُعطى المريض الأدوية التي تساعد في زيادة مناعة جسمه لمقاومة الأمراض المختلفة التي تهدده، ولا يجوز بحال التعجيل بإنهاء حياته (ما يسمى قتل الرحمة) تخليصاً له من آلامه ومعاناته مع هذا المرض، بل يجب أن يُترك -إن لم يُرج برؤه من مرضه- حتى يوافيه أجله، وذلك لأن التعجيل بذلك قتل له بغير حق، وقد حرمه الله تعالى بقوله سبحانه: ﴿وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾ (الإسراء: 33)، ولما رُوي عن ابن مسعود رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة» (متفق عليه)، وقتل النفس مرحمة لها ليس قتلاً بحق.

2 - ألا يظهر أحد النفور من مرضه، وإنما ينبغي إيناسه، بإظهار البشاشة له، وطلاقة الوجه، فقد رُوي عن أبي ذر رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تحقرن من المعروف شيئاً، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق»، كما ينبغي التهوين من شأن هذا المرض أمامه، فقد رُوي عن أنس رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يسّروا ولا تعسّروا وبشّروا ولا تنفّروا».

3 - يجب على من يزوره أن يعمل على إذكاء إيمانه، وإنزال السكينة في نفسه، وتوثيق رباطه بالله تبارك وتعالى ثقة يهون بها كل شيء، فقد رُوي عن عبدالملك بن عمير رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما زار أم العلاء الأنصارية - وهي تتوجع- قال لها: «أبشري يا أم العلاء، فإن مرض المسلم يحط الله عنه خطاياه، كما يحط عن الشجرة أوراقها في الخريف» (أخرجه أبو داود والطبراني وصححه الألباني في صحيح الجامع).

ثانياً: الواجبات:

1 - يجب على المريض الذي علم بحقيقة مرضه أن يجنب غيره الإصابة بهذا المرض، وذلك ببذل النصح للآخرين، وبيان إصابته، لينأى غيره بنفسه فلا يصيبه ذلك المرض، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «حق المسلم على المسلم ست؛ إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصحه، وإذا عطس فحمد الله فشمّته، وإذا مرض فعُده، وإذا مات فاتبعه» (أخرجه مسلم 266/2).

2 - ألا يضر المريض بغيره من أفراد المجتمع، فليس له أن يستعمل في غفلة منهم أشياءهم التي يظن انتقال فيروس المرض منه إليهم عن طريقها، وليس له كذلك أن يبصق على الأرض أو في مكان يرتاده الناس، وذلك لما رُوي عن أبي صرمه رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من ضار مسلماً ضاره الله»، ولما رُوي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا ضرر ولا ضرار في الإسلام» (أخرجه مالك في الموطأ).

3 - على المريض أن يخبر من يخفى عليه مظاهر هذا المرض بحقيقة مرضه، حتى يتخذ الصحيح منهم التدابير الوقائية لمنع الإصابة بهذا المرض، فذلك من باب النصح له.

4 - ينبغي أن يسارع المصاب بهذا المرض المُعدي بالاعتزال عن المجتمع، وذلك بالذهاب إلى مصحة تتولى مداواته ومعالجته، ليقي غيره من الإصابة بهذا المرض، وللأخذ بأسباب البرء منه، وذلك لأن عدم الأخذ بهذه الأسباب يؤدي إلى هلاك المريض، وقد نهى الإسلام عن ذلك، قال تعالى: ﴿وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ (البقرة: 195).

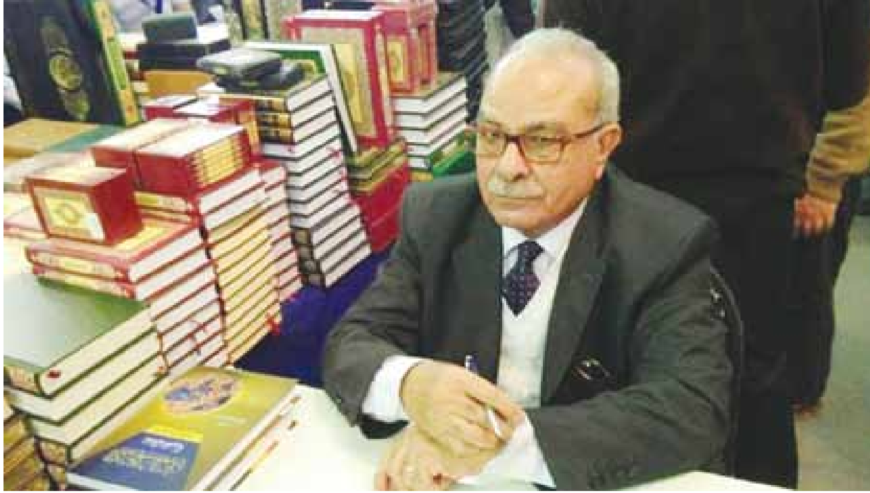
5 - ألا يُمكّن المريض أحداً من استعمال حاجاته الخاصة، كأواني طعامه وشرابه ونحوها، لما يظن من انتقال المرض عن طريقها، ولهذا يجب على المصاب أن يعتزل أسرته ومجتمعه، حتى لا تؤدي مخالطته لهم إلى إصابتهم بهذا المرض، فقد رُوي عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يوردن مُمرض على مُصح».■



محمد عمارة..
أصالة الفكر وشموخ المفكر



أ. د. حلمي محمد القاعود
أستاذ الأدب والنقد



لم يتوقف يوماً عن مواجهة ما يثيره أعداء الإسلام وخصومه منافحة عن الدين والعقيدة والشريعة

قبيل رحيله بأيام، كنت أطالع آخر مقال للدكتور محمد عمارة في مجلة «الأزهر» (عدد رجب 1441هـ)، ناقش فيه قضية الحجاب، بوصفها محاولة من أعداء الإسلام وخصومه لنسخ الشريعة الإسلامية، وإشاعة التحلل والانحلال في المجتمعات الإسلامية والشرقية؛ تقليداً للمجتمعات الغربية التي تخلت عن تقاليد الحشمة الموروثة من تاريخها ودينها.

طرح د. عمارة القضية وما يثيره غلاة العلمانيين من بني جلدتنا بدعوة المرأة المسلمة إلى عدم الالتزام بما نصت عليه الآيات القرآنية من ستر عوراتها بالخمار والحجاب، وينتهي مقاله بدحض حجج دعاة التحلل والانحلال، معتمداً على الدليل والبرهان والمنطق.

لم يتوقف عمارة يوماً عن مواجهة ما يثيره أعداء الإسلام وخصومه، منافحة عن الدين والعقيدة والشريعة، بكل ما أوتي من عزم ووعي، مؤمناً أن هذا هو ميدانه الحقيقي في الجهاد دفاعاً عن دين الأمة وهويتها.

وعلى مدى 89 عاماً هي عمره الحافل بالعطاء والفكر، قدّم أكبر عدد من المؤلفات والكتب المحقَّقة، بالإضافة إلى مقدمات للكتب؛ فقد حقق وألّف 311 كتاباً بعضها في أجزاء ومجلدات ضخمة، ونحو 13 كتاباً من الكتب الحديثة صدّرها بمقدمات تلقي الضوء عليها وعلى أصحابها، وما أظن أحداً سبقه في هذا الطريق إلا الأستاذ أنور الجندي -رحمه الله- الذي كان يسابق الزمن لإنجاز ما يريد كتابته من مؤلفات أعدّ مادتها وجمع تفاصيلها قبل أن يرحل.

هذه الكتب لا ينهض بإعدادها في وقت قياسي إلا رجل من أولي العزم والصبر والبصر، تفرغ من أجلها مسلحاً بالعلم والمعرفة والقراءة الدائبة والبحث المضني، وقبل ذلك الإيمان بعقيدة راسخة ومنهج واضح.

ولحسن الحظ؛ فإن عمارة لم يرتبط بوظيفة تقيده بحضور وانصراف أو تفرض عليه التزامات وواجبات تعطل مسيرة الاطلاع والتأليف؛ فقد عكف في بيته ومكتبته على المطالعة والكتابة لا ينشغل بشيء غيرهما، حتى اشتغاله برئاسة تحرير مجلة «الأزهر» لم يعطله عن البحث والاطلاع والكتابة؛ فقد اختار مجموعة من الكتَّاب يطمئن إلى مستواهم الفائق وقدرتهم على الكتابة العلمية الدقيقة، وأحاط نفسه بعدد من مساعديه الفضلاء الذين يدركون قيمة الكلمة وتأثيرها، فازدهرت المجلة في عهده ازدهاراً عظيماً، ووزعت أعداداً كبيرة غير مسبوقة، وقفز التوزيع من ستة آلاف نسخة إلى ستين ألفاً، وهو ما أزعج قوى الشر المعادية للإسلام، وفي الوقت ذاته لم يتوقف إنتاجه العلمي والفكري، وأذكر أنه في مهاتفاته كان يسألني عن بعض الموضوعات والمتخصصين فيها، أو النصوص والمراجع التي تتناولها، كي تكون مجالاً للكتابة في بعض أعداد المجلة.

التحول من الماركسية

لقد خدم الفكر العربي الإسلامي وأضاء كثيراً من المساحات المعتمة، وتصدى لأباطيل أعداء الإسلام وخصومه، ومثّل إزعاجاً لا حدود له للمتآمرين على الدين في الداخل

بعد محنة الاعتقال صفا ذهنه وراجع نفسه وعاد إلى طبيعة الإسلام الوسطية

شاءت إرادة الله أن يخوض التجربة الشيوعية ليملك القدرة على كشف مناوراتها وتدليسها

والخارج، فتربصوا به وكثيراً ما اتهموه اتهامات باطلة، وعيّروه بمرحلته الماركسية التي كانوا يرونه من خلالها مفكراً عظيماً وكاتباً كبيراً، أما حين عاد إلى فكره الإسلامي وأصالته الفطرية، فقد رأوه عكس ذلك.

لم يدركوا أنه تحلى بفضيلة المراجعة والتصويب، فيوماً ما كان مفتوناً في مقتبل حياته بالماركسية وانخرط في بعض تنظيماتها مما أدى إلى اعتقاله في الواحات، وفي يوم ما انشغل بالاعتزال، وفي يوم ما انشغل بالسلفية الجامدة، لكنه بعد محنة الاعتقال صفا ذهنه وراجع نفسه، ووجد نفسه عائداً إلى طبيعة الإسلام الوسطية التي تقف مع الحق والعدل ورفض الظلم وإشاعة الرحمة والمودة، وهي الوسطية الإلهية التي اختص الله بها أمة الإسلام؛ ﴿جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً﴾ (البقرة: 143)، ومنهج كل ابن آدم خطاء وخير الخطّائين التوّابون؛ ولذا لم يكفّر أحداً، ولم يفتش في ضمائر الناس، وكان ضد قتل المرتد إلا إذا كان رجلاً وفارق الجماعة، أي خان الأمة وانضم إلى أعدائها محارباً، فالمرأة المرتدة لا تقتل لأنها غير محاربة.

في كتابه «التفسير الماركسي للإسلام»، يشير إلى هذا الأمر وغيره، وهو يدعو نصر حامد أبوزيد إلى مراجعة تفسيره المادي للإسلام وتصويب أخطائه العلمية والعقدية، ويستشهد بنفسه حين انبهر بالماركسية وتنظيماتها، ولما اكتشف خطأه صوب موقفه ورجع إلى الحق، ويستشهد ببعض الآيات الكريمة الدالة على التوبة والرجوع إلى الحق مثل قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (ص: 30)، وقوله تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ (31) هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ (32) مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَن بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ (33) ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾ (ق)، وقوله تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (1) وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ (القيامة). (راجع: محمد عمارة، التفسير الماركسي للإسلام، دار الشروق، القاهرة، 1422هـ/ 2002م، ص122).

لقد شاءت إرادة الله أن يخوض التجربة الشيوعية ليفقه أفكارها وتصوراتها، ويخبر دقائقها وأسرارها، ويتعرف على دروبها ومنعطفاتها، فيملك القدرة على كشف مناوراتها وتدليسها، ويفند ادعاءاتها وأباطيلها حول الإسلام والمسلمين، لأنه من أعرف الناس بالمنطق الشيوعي، وتجلياته. (انظر: السابق، ص7-8).

ومن الطريف أن أحد قادة التنظيمات الماركسية الكبار جمعني به مؤتمر أدبي قبل عشرين عاماً تقريباً قال لي: «إن د. عمارة كان يصلّي بنا في المعتقل، ويخطب الجمعة»، وهي شهادة تثبت أن الرجل مع فتنة الماركسية ثم القومية كان يعبر عن توهج العاطفة الدينية في داخله وإيمانه بعقيدة الإسلام بالصلاة والخطابة وغيرهما.

نشأته ومسيرته العلمية

لقد تربى محمد عمارة مصطفى عمارة، المولود في قرية صروة مركز قلين محافظة كفر الشيخ (1350 - 1441هـ/ 1931 - 2020م) تربية إسلامية، فقد حفظ القرآن الكريم في سن باكرة، والتحق بمعهد دسوق الديني الأزهري في الأربعينيات، وبعد حصوله على الثانوية الأزهرية من المعهد الأحمدي بطنطا، انتقل إلى كلية دار العلوم؛ فحصل منها على الليسانس في اللغة العربية والعلوم الإسلامية، والماجستير والدكتوراه من قسم الفلسفة الإسلامية، جاء موضوعه في الماجستير عن «مشكلة الحرية الإنسانية عند المعتزلة» عام 1970م، وموضوعه عن الدكتوراه «نظرية الإمامة وفلسفة الحكم عند المعتزلة» عام 1975م، وتم التصديق على الدكتوراه بعد عام لاعتراض د. محمد ضياء الريس -يرحمه الله- على بعض ما جاء فيها من أحكام.

كانت أشواقه لإصلاح مجتمعه وتقدمه دافعاً له للبحث عن الوسائل أو النظريات أو التنظيمات التي يمكن أن تحقق هذا الإصلاح، فشارك في المظاهرات التي تهتف ضد الاستعمار والسياسيين المتخاذلين، أيام كان في الأزهر، وشارك في الاحتجاجات التي انطلقت من دار العلوم، مما أدى إلى فصله لمدة عام، ثم اعتقل وهو في السنة الرابعة، وأكمل دراسته بعد خروجه من المعتقل ليحصل على الليسانس عام 1965م.

كما انضم في سنيه الأولى إلى حزب مصر الفتاة الذي أسسه أحمد حسين، ونشر في صحيفة الحزب مقاله الأول ضد عدوان العصابات الصهيونية على أرض المقدسات، وكان بعنوان «جهاد في فلسطين»، بيد أنه بعد



كانت أهم أعماله الفكرية في مقتبل حياته جمع وتحقيق الأعمال الكاملة لأبرز أعلام النهضة الإسلامية الحديثة

لم تمنحه السلطة جوائزها التي تغدقها على من لا يستحقون وإن كان حصل على «الجائزة التشجيعية» في صدر حياته

خروجه من المعتقل وحصوله على الليسانس آثر أن يتفرغ للعمل العلمي، ويقدم مشروعه الفكري الذي تفرعت جوانبه، ونمت على جذع واحد هو التصور الإسلامي الناضج، وهو ما منحه فيما بعد القدرة على مواجهة خصوم الإسلام ومناظرتهم أمام الجمهور وإفحامهم بالحجة والبرهان، كما أتاح له أن يأخذ مواقف تاريخية دفاعاً عن الإسلام والحرية والإرادة الشعبية، وظل دفاعه عن الإسلام شاغله الشاغل.

وقد روى أنه قال لوزير أوقاف أسبق: لماذا يصرّ رئيسك على الاستعانة بالعلمانيين دون الإسلاميين، ويتيح لهم وسائل الإعلام والنشر ليقولوا ويكتبوا ما يريدون، بينما يغلق المجال أمام علماء الإسلام؟ فطلب منه الوزير أن ينتظر حتى يعرض الأمر عليه كي يلتقي بمجموعة منهم، ولكن الوزير ذهب ولم يعد،

حتى قابله د. عمارة في مناسبة ما، فأخبره الوزير أن الرجل لا يطيق رؤية العلماء ولا يحب ذكر الإسلام!

وفي ثورة يناير الموءودة، أعلن تأييده لها، وأصدر البيانات، وأعلن في المقابلات الإعلامية مساندته للشباب الثائر، ودعمه لمطالبه المشروعة، وعندما وقعت الواقعة بقتل الثورة وإلغاء الإرادة الشعبية أصدر بياناً يندد بما حدث، ويطالب بالرجوع إلى الديمقراطية والدستور الذي كتبه الشعب، وكان العقاب طبيعياً؛ فقد حرم -مثل كثيرين- من المنابر الإعلامية والصحفية، وتم التضييق عليه في مجلة «الأزهر» حتى تم إبعاده عنها نهائياً باستثناء مقال شهري ينشر على استحياء في موضوعات بعيدة عن لمس الواقع مباشرة وما يجري فيه، ولكنه لم يتوقف عن البحث والتأليف ومتابعة ما يجري للأمة بالكتابة والتحليل.

أعماله الفكرية

كانت أبرز أعماله الفكرية في مقتبل حياته جمع وتحقيق الأعمال الكاملة لأبرز أعلام النهضة الإسلامية الحديثة؛ مثل رفاعة الطهطاوي، والأستاذ الإمام محمد عبده، وجمال الدين الأفغاني، وعبدالرحمن الكواكبي، وعلي مبارك، وفيما بعد اهتم بالترجمة للنبي صلى الله عليه وسلم وأبرز الصحابة والتابعين ورواد الفكر الإسلامي الحديث والمعاصر، فقد كتب عن عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، والحسن البصري، وعمر بن عبدالعزيز، ورشيد رضا، وخير الدين التونسي، وحسن البنا، وأبي الأعلى المودودي، وسيد قطب، ود.عبد الرزاق السنهوري باشا، والشيخ محمد الغزالي، والشيخ القرضاوي.. وغيرهم، وتمثل مؤلفاته إحاطة شبه كاملة بالقضايا والموضوعات التي تشغل المسلمين في واقعهم الراهن، ومستقبلهم الموعود، فضلاً عن تاريخهم الماضي.

ومن هذه المؤلفات: «التفسير الماركسي للإسلام، المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية، معالم المنهج الإسلامي، الإسلام والمستقبل، نهضتنا الحديثة بين العلمانية والإسلام، معارك العرب ضد الغزاة، الغارة الجديدة على الإسلام، جمال الدين الأفغاني بين حقائق التاريخ وأكاذيب لويس عوض، الوعي بالتاريخ وصناعة التاريخ، التراث والمستقبل، الإسلام والتعددية، الإبداع الفكري والخصوصية الحضارية، الإسلام والسياسة: الرد على شبهات العلمانيين، الجامعة الإسلامية والفكرة القومية، قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية، معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام، القدس الشريف رمز الصراع وبوابة الانتصار، هذا إسلامنا: خلاصات الأفكار، الصحوة الإسلامية في عيون غربية».

ومنها كذلك: «الغرب والإسلام، أبو حيان التوحيدي، ابن رشد بين الغرب والإسلام، الانتماء الثقافي، التعددية: الرؤية الإسلامية والتحديات الغربية، صراع القيم بين الغرب والإسلام، عندما دخلت مصر في دين الله، الحركات الإسلامية: رؤية نقدية، المنهج العقلي في دراسات العربية، النموذج الثقافي، تجديد الدنيا بتجديد الدين، الثوابت والمتغيرات في فكر اليقظة الإسلامية الحديثة، نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم، التقدم والإصلاح بالتنوير الغربي أم بالتجديد الإسلامي، الحملة الفرنسية في الميزان، الحضارات العالمية: تدافع أم صراع، إسلامية الصراع حول القدس وفلسطين، القدس بين اليهودية والإسلام، الأقليات الدينية والقومية: تنوع ووحدة أم تفتيت واختراق، السُّنة النبوية والمعرفة الإنسانية، خطر العولمة على الهوية

الإسلام والعَلمانية

الأسئلة الكبرى عن إسلامية السياسة المعاصرة

تأليف

أ.د.محمد عمارة



أعلن تأييده لثورة يناير وأصدر البيانات وأعلن مساندته للشباب الثائر ومطالبه المشروعة

الثقافية، مستقبلنا بين العالمية الإسلامية والعولمة الغربية، بين الغزالي وابن رشد، الدين والدولة والمدنية عند السنهوري باشا، هل المسلمون أمة واحدة، الغناء والموسيقى حلال أم حرام، أزمة العقل العربي، المواجهة بين الإسلام والعلمانية، تهافت العلمانية، الحركة الإسلامية: رؤية مستقبلية، القرآن، قارعة سبتمبر، العرب والتحدي، الإسلام وحقوق الإنسان، التشيع الفارسي المعاصر - خفايا المؤامرة، الخطاب الديني بين التجديد الإسلامي والتبديل الأمريكاني».

كان عطاؤه الفكري الأصيل، وشموخ مواقفه الفكرية انتصاراً للإسلام والأمة، مسوغاً ليشارك في عضوية هيئة كبار العلماء، والمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، والمعهد العالي للفكر الإسلامي.

لم تمنحه السلطة جوائزها التي تغدقها على من لا يستحقون، بل إنها منحت جائزتها التقديرية في «الدراسات الإسلامية» لشخص لا علاقة له بالإسلام ولا القرآن، وإن كان حصل على «الجائزة التشجيعية» في صدر حياته، وقدّرته بعض الجهات غير الحكومية ببعض جوائزها وأوسمتها، وكرمه مركز الإعلام العربي في مؤتمر حاشد يوم 2 نوفمبر 2011م بنقابة الصحفيين بمصر، حضره أعلام الفكر والأدب والثقافة، وللأسف لم يتح لي -بسبب ظروف خاصة- المشاركة في تكريمه بالبحث الذي أعددته عنه، ولكن سعدت بظهور البحث في الكتاب التذكاري الذي صدر عنه بعد حفل التكريم، إنه فيما أظن كان ينتظر الجائزة الإلهية.

لقد كان -يرحمه الله- مستقيماً متسامحاً، غايته نشر الإسلام بمفاهيمه الصحيحة، يقف إلى جانب الشباب الباحث عن الحقيقة، ويشجع على البحث والاطلاع، وربّى ولديه على القراءة وحب الكتاب والثقافة، وأحسن تربيتهما، وكانت وصيته الأخيرة تركز على إكمال مشروعاته الفكرية ونشر كتبه وأفكاره، وتبرع بكتبه في معرض مسقط الأخير للطلاب والباحثين، ومثلما عاش بسيطاً لا ينظر إلى عرض الدنيا، ودع الأمة بسيطاً خفيفاً، وذهب إلى لقاء ربه مساء الجمعة 28 فبراير 2020م، بعد أزمة صحية عارضة استمرت لثلاثة أسابيع.

رحمه الله وأجزل ثوابه.■

بقية المنشور ص 66

«مهمة واجب الوقت»

الإسلام.. وزمن «الكورونا»

3 - وعلى المستوى الأخلاقي، فلا حدود للتفلت الأخلاقي العولمي؛ إذ إن كل شذوذ مباح وكل خبيث جائز أكله وشربه.

4 - وعلى المستوى الاقتصادي، فالرأسمالية المتوحشة وبحثها عن المنفعة والربح أغلى من حياة الإنسان.

5 - وعلى مستوى الحياة الاجتماعية، فإن التراحم والتكافل والاعتناء بالضعفاء والفقراء وكبار السن مفقود.

لقد كشف فيروس «كورونا» زيف البناء الحضاري الغربي والنظام العالمي السياسي وضعف النظام الصحي في العالم المتمدن وتراجع الأخلاقيات الاجتماعية والمدنية.

ولكن هل هذا سيدفع المسلمين إلى إعادة النظر في عمق الأخلاق الحضارية في دينهم «الإسلام العظيم»؟ وهل سيستطيع المسلمون أن يتقدموا بنموذجهم الحضاري في فرصة قد أزفت، وأن العالم اليوم يفكر بالحل الشامل لاحتمالات سقوط النظام العولمي وثقافة الحضارة الاستهلاكية المتوحشة؟

فعلى المستوى الصحي:

يستطيع المسلمون أن يقدموا للعالم أساسيات الطهارة التي يدرسها صغار أبناء المسلمين في مدارسهم ويتعلمونها في بيوتهم.

الطهارة البدنية والحسية التي أسست لنظافة البدن وصحة النفس ورقي التهذيب.

نحتاج اليوم إلى الفقيه والمفكر والطبيب من المسلمين الذين يجتمعون ليطلقوا مبادرة «الصحة الحضارية في الإسلام».

التي تقوم أساساً على «رفع الحدث وإزالة الخبث»، لقد قدم الإسلام تعاليم ثابتة في الاهتمام بالبدن والعورة ونظافة الملبس والمكان.

إن تلك التعليمات وضعت أساساً صحياً لمواجهة أي مرض وفيروس أياً كان نوعه ومصدره، لقد قدم الإسلام نموذجاً في الطيبات التي يجب أن تتناولها البشرية، والخبائث والمحرمات التي يجب أن تتركها في النظام الغذائي للإنسان المسلم، وآداباً صحية للمأكل والمشرب واللباس والزينة.

وعلى المستوى الاقتصادي:

فإن الإسلام وضع شرائع البيع والشراء، فأحل البيع وحرم الربا، ووضع قواعد العمل والكسب الحلال، وقدم نموذجاً في الاقتصاد المتوازن الذي يثبت الملكية ويطلق حرية السوق وضبطها بالأخلاق بعيداً عن الغرر والكسب الباطل «الحرام» والغش والاحتكار، لكنه أيضاً يضع المسؤولية الاجتماعية على عاتق المستثمر بأن يؤدي زكاة ماله للأصناف الثمانية في المجتمع.

وعلى المستوى الاجتماعي:

فالإسلام حث على التكافل والتعاون والحب والإخاء والتعارف بين البشرية، وإنّ رقابة الله أو تقواه مع البشر هي المعيار لكرامة الإنسان، فلا يترك ذا حاجة وإلا على المجتمع أن يتعاون في استيفائها له.

وألا تعلو طبقة على طبقة أخرى في المجتمع الإنساني الذي ينشئه الإسلام مهما كانت ألوانهم أو لغتهم أو جنسهم أو دينهم.

إن لغة المساواة والحب والكرامة التي تشكلها المبادئ الحضارية للإسلام جاهزة لمعالجة الاهتزاز الاجتماعي العولمي.

أما على مستوى الصحة النفسية:

فإن العقيدة الإسلامية التي أساسها أن القدر مكتوب خيره وشره، وأن المسلمين يتقبلون قضاء الله وفق مشيئته، وأن الموت لا يؤخر أو يقدم لإنسان من غير أن يحل أجله المكتوب، لهي عقيدة تغذي روح الإنسان بالطمأنينة والراحة والسعادة.

وإذا عرفنا أن الإنسان إذا أمسى آمناً في سربه معافى في بدنه يملك قوت يومه فقد حيزت له الدنيا، فلا صراع على المال ولا المادة ولا صراع أو خوف أو هلع من جوع، فتصبح الروح الإنسانية آمنة مطمئنة، فأي صحة نفسية عالية تلك التي يؤسسها الإسلام في حياة الناس.

إذاً؛ من سيتجرأ لهذه المهمة «مهمة تبليغ العالم أن الإسلام لديه حل شامل لنظام الحياة الحضاري في العالم».

وأن قادم الأيام سيثبت أن النظام الحضاري الغربي الذي تقوده الولايات المتحدة والغرب سيتهاوى، وسينشأ نظام عالمي جديد، إنها فرصة للمسلمين ليُهدوا العالم أغلى كنز للبشرية وهو «الإسلام العظيم».

إن لدينا مئات من المنظمات الإسلامية والعربية والأوروبية المتخصصة في الفكر الحضاري الإسلامي والأبحاث الشرعية سواءً كانت تلك المنظمات رسمية أم أهلية.

إننا ندعو المنظمة الإسلامية للعلوم والثقافة واتحاد الجامعات الشرعية والمؤسسات الإسلامية للقيام بواجب الوقت.

إن البشرية قد مرت بثلاث موجات حضارية؛ الموجة الزراعية، تلتها الموجة الصناعية، ثم أخيراً موجة «البتات»، فهل يستطيع المسلمون أن يقدموا للبشرية الموجة الرابعة؟ وهي موجة «عالم القيم»؛ حيث إن كل قيمة من قيم الإسلام العظيم لها وزن ماديّ ومعنويّ يعادل كل مكاسب الرأسمالية وتقنية «البتات» وحضارتها، وتستطيع البشرية أن تحول تلك القيم إلى «سلعة حضارية» قابلة للتداول بما يحقق الرفاهية والسعادة للبشرية.■



قضايا تحرير المرأة في فكر د. محمد عمارة

قاوم نموذج الجمود والتقليد الذي يحمّل التقاليد الراكدة على الدين فيُثْبتها ويكرسها

طارد فكرة ملكية المرأة لجسدها وحريتها في التصرف فيه كيفما تشاء مع من تشاء وقتما تشاء

يعد د. محمد عمارة، يرحمه الله، واحداً من أهم المفكرين الذين سعوا لإبراز مكانة المرأة وتصحيح أوضاعها، ملتزماً في ذلك بالنموذج الوسطي المتوازن، الذي ينطلق من نصوص ومنطق وفقه القرآن الكريم والسُّنة النبوية في تحرير المرأة وإنصافها، ومقاوماً النموذج الغربي المتطرف؛ نموذج الحركات الأنثوية التي تثور فيه الأنثى ضد الرجل وضد الفطرة السوية، وضد كل القيم والديانات، وهو نموذج بلغ في تطرفه وشذوذه حد الجنون، وكذلك قاوم نموذج الجمود والتقليد الذي يحمّل التقاليد الراكدة على الدين، فيُثْبتها ويكرسها ويقدسها، الذي يحمل بين طياته ظلماً وهضماً وحرماناً للمرأة من بعض حقوقها التي أثبتها لها الإسلام.

ياسر محمود
متخصص في الشؤون التربوية والأسرية

في هذا المقال، نحاول أن نتلمس الخطوط العريضة لفكر د. محمد عمارة فيما يتعلق بقضايا تحرير المرأة، من خلال تتبعها في كتبه ومقالاته ولقاءاته التلفزيونية، وقد صنفنها في المحاور التالية:

المحور الأول: التوعية بالطرح الغربي لتحرير المرأة ومخاطره:

ومن أهم القضايا التي تناولها د. عمارة في ذلك الإطار ما يلي:

أولاً: «تحرير المرأة» و«الأنثوية المتطرفة»:

أوضح د. عمارة الفارق الكبير بين دعوة تحرير المرأة والحركة الأنثوية المتطرفة، فدعوة التحرير تسعى لإنصاف المرأة، ورفع الغبن الاجتماعي والتاريخي الذي لحق بها، الذي عانته أكثر كثيراً مما عاناه الرجال، إنصافها مع الحفاظ على فطرة التمايز بين الأنوثة والذكورة، وتمايز توزيع العمل وتكامله في الأسرة والمجتمع، على النحو الذي يحقق مساواة الشقين المتكاملين بين الرجال والنساء.

أما النزعة الأنثوية المتطرفة (Feminism) التي تبلورت في ستينيات القرن العشرين؛ فإنها تحمل كل معالم التطرف، حيث كانت «ثورة فوضوية»، تجاوزت وغايرت «ثورات الإصلاح»، وكانت حرباً على «الفطرة السوية»، بما في ذلك فطرة الأنوثة ذاتها.

ومن أهم أفكار الحركة الأنثوية المتطرفة التي أشار إليها د. عمارة:

1 - الصراع بين الجنسين؛ وذلك انطلاقاً من دعوى أن العداء والصراع هما أصل العلاقة بينهما.

2 - التمركز حول الأنثى، أي أن تستقل المرأة استقلالاً كاملاً عن عالم الرجال.

3 - المساواة المطلقة بين الرجل والمرأة في جميع الحقوق والواجبات، بغض النظر عن أي فوارق بيولوجية أو نفسية بينهما.

4 - دمج المرأة في المجتمع دمجاً كاملاً، وإلزام الرجل بالعمل المنزلي.

5 - ملكية المرأة لجسدها؛ وبالتالي حريتها في التصرف فيه كيفما تشاء، مع من تشاء، وقتما تشاء.

6 - إطلاق الحرية الجنسية بلا ضوابط ولا حدود (الإباحية الجنسية حق للجميع)، واعتبار العفة تخلفاً وكبتاً للحرية الجنسية.

7 - اعتبار الزواج سجناً أبدياً للمرأة؛ يقطع آمالها وأحلامها، واعتبار مؤسسة الأسرة مؤسسة لقهر المرأة يجب هدمها.

8 - تغير الهياكل الأسرية؛ ليتسع مفهوم الأسرة بحيث يمكن إطلاقه على «المساكنة» بين الرجل والمرأة بلا رابطة زوجية، وعلى زواج الشواذ، وليصبح الزواج المدني (الزواج مع اختلاف الأديان) مسموحاً به.

9 - اعتبار الأمومة جوراً في حق المرأة؛ لأنها لا تحقق لها عائداً مادياً.

10 - إباحة الشذوذ الجنسي، والمطالبة بمنح كافة حقوق الأسوياء للشواذ، ومن بينها تقنين زواج الشواذ.

ثانياً: الأفكار الأنثوية وصناعة المواثيق الدولية:

أكد د. عمارة أن 60% من أعضاء المنظمات الأنثوية في أمريكا سحاقيات، وهذه المنظمات وأمثالها في الغرب هي

المسيطرة على لجنة مركز المرأة بالأمم المتحدة، ومن خلالها تفرض شذوذها الفكري والسلوكي على العالم أجمع، وذلك من خلال المواثيق والاتفاقيات الدولية التي تُصدرها الأمم المتحدة، حيث تسعى إلى إلزام الدول بتنفيذ هذه الاتفاقيات –بما تحمله من أفكار أنثوية– باستخدام العديد من الوسائل والآليات وبأشكال مختلفة من الضغوط.

ثالثاً: الحصاد المر للفكر الأنثوي:

أشار د. عمارة إلى الحصاد المر الذي جناه الغرب جراء تبني أفكار الأنثوية المتطرفة، ومما ذكره في هذا الباب أن 95% من الجنسين في السويد لديهم تجارب جنسية قبل الزواج، ليس كمجرد نزوة أو خطأ، وإنما كممارسة طبيعية ومادية تبدأ منذ التلمذة في المدارس، التي يتم فيها التدريب على الممارسة الجنسية والنشاط الجنسي.

وذكر أن ثلث أطفال إنجلترا غير شرعيين، وهم في أيسلندا 57.3%، وفي الدنمارك كانت نسبتهم 5% عام 1960 ثم ارتفعت إلى 46% عام 1990م، وقريب من هذه النسبة في فرنسا وألمانيا وإيطاليا وهولندا وأيرلندا.

وفي إنجلترا أكثر من 50% من القتيلات ضحايا الزوج أو «الشريك»، وفي بنجلاديش والبرازيل وكندا وبابوا في أستراليا وتايلاند تمثل جرائم قتل الشريك لشريكته أكثر من نصف جرائم قتل النساء، وفي أمريكا تقتل يومياً أربع نساء بسبب الضرب المبرح بالمنزل.

رابعاً: المُتغرّبون والتمويل وعولمة الأنثوية:

كشف د. عمارة عن تبني بعض الشخصيات البارزة والكتّاب والمنظمات الأهلية في مجتمعاتنا العربية والإسلامية لهذه الأفكار المتطرفة، كما أشار إلى أنه في سبيل عولمة هذه الأفكار الشاذة تم استخدام التمويل لمئات المنظمات التي تُسمى «منظمات المجتمع المدني»، التي تُبشر بهذا العوج الفكري، ويحدد لها الغرب جدول أعمالها مع الميزانيات التي تمنح لتنفيذ هذا الجدول.

المحور الثاني: رد الشبهات حول نظرة الإسلام للمرأة:

وكان للدكتور عمارة دور كبير في رد وتفنيد الشبهات التي تثار حول مكانة ووضع المرأة في الفكر الإسلامي، ومن بين هذه الشبهات: ميراث الأنثى نصف ميراث الرجل[1]، شهادة المرأة نصف شهادة الرجل، قوامة الرجل على المرأة، منع زواج المسلمة بغير المسلم، النساء ناقصات عقل ودين، ضرب الزوجة الناشز، تولي المرأة للقضاء، حديث «لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة»، الحجاب تشريع وقتي وتاريخي، إبقاء الإسلام على العبيد والإماء، التسري بالإماء.

المحور الثالث: رؤية الإسلام للعلاقة بين الرجل والمرأة ومشاركتها الاجتماعية:

أولاً: المساواة والتمايز بين الرجل والمرأة:

يمكن تلخيص رؤية د. عمارة لقضية المساواة بين الرجل والمرأة فيما يلي:

1 – ساوى الإسلام بين الرجل والمرأة في الخلق والإنسانية؛ فقد خلقهما الله تعالى من نفس واحدة، كما جاء الخطاب الإلهي عاماً للرجل والمرأة؛ تأكيداً للمساواة بينهما في الأهلية، أهلية حمل أمانات التكليف، وتبع ذلك المساواة في الحساب والجزاء، ولم يقف أمر المساواة عند الفروض والتكاليف «الفردية العينية»، ولكن امتد إلى أغلب فروض الكفايات أيضاً.

2 – مع تقرير هذه المساواة بين الجنسين، فقد ميَّز الإسلام بينهما في توزيع بعض المهام والواجبات والأعمال بما يتناسب مع خصائص كل منهما، حيث أسند إلى المرأة –مثلاً– مهام الحمل والولادة والرضاعة ورعاية الأولاد، كما كلف الرجل بتحصيل الرزق وتلبية احتياجات الأسرة وحمايتها، وهذا لا يتنافى مع المساواة؛ ذلك أن هذه المساواة –وفقاً لتعبير د. عمارة– مساواة «الشقين المتكاملين»، وليست مساواة «الندين المتماثلين المتنافرين».

ثانياً: دوائر المشاركة بين الرجل والمرأة:

تحدث د. عمارة عن دائرتين من دوائر المشاركة بين الذكور والإناث، وهما:

1 – دائرة الأسرة: وقد أسس الإسلام هذه الشراكة على عدة أسس، منها: ميثاق غليظ فطري يربط بين الرجل والمرأة، السكن والمودة والرحمة، الشورى، الحقوق والواجبات المتبادلة، توزيع الأدوار والمهام وتكاملها بينهما.

2 – دائرة الأمة والمجتمع: يرى د. عمارة أن الإسلام قد شرع مشاركة المرأة في الميادين الاجتماعية التي تندرج تحت فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، التي تشمل تكاليف وأحكام السياسة والاجتماع والاقتصاد والآداب العامة ومنظومة القيم والأخلاق والعادات والأعراف، فكل ما تستطيعه المرأة وتطيقه فطرتها وأنوثتها من العمل العام بابه مفتوح أمامها، طالما لم يؤد ذلك إلى طمس لفطرتها وطبيعتها أو إلى مخالفة لثابت الدين.

وفصل في ضرب الأمثلة للنساء اللاتي شاركن في العمل العام، نذكر منها: أن أول من أسلم كانت السيدة خديجة، وأول شهيد في الإسلام السيدة سمية بنت خياط، وفي الهجرة للحبشة شاركت 18 امرأة مع 83 رجلاً، وشاركت في بيعة العقبة امرأتان، وأدت السيدة أسماء بنت أبي بكر دوراً كبيراً في الهجرة، وكانت لمشورة السيدة أم سلمة أثر كبير في صلح الحديبية، وأجارت أم هانئ رجلاً من بني هبيرة، وما قامت به نسيبة بنت كعب من قتال في «أُحد» وغيرها.. إلخ.

ثالثاً: الضبط الوسطي لقاعدة سد الذرائع:

يرى د. عمارة أن القاعدة الفقهية «سد الذرائع» هي الباب الواسع الذي تُعالج في إطاره قضية الاختلاط والاشتراك في العمل العام بين النساء والرجال، وأنه لا بد من ضبط تطبيقاتها من خلال الاعتصام بمنهاج الوسطية الإسلامية، مع الحذر من الغلو في الإفراط أو التفريط، وذكر أن من ضوابط تطبيق هذه القاعدة:

1 – أن يكون إفضاء الوسيلة المباحة إلى المفسدة غالباً، لا نادراً.

2 – أن تكون مفسدتها أرجح من مصلحتها، وليس مجرد مفسدة مرجوحة.

3 – ألا يكون المنع –بعد توفر الشرطين السابقين– تحريماً قاطعاً، بل هو بين الكراهة والتحريم، حسب درجة المفسدة.

4 – إذا كانت الوسيلة تفضي إلى مفسدة، ولكن مصلحتها أرجح من مفسدتها، فالشريعة لا تبيحها فحسب، بل قد تستحبها أو توجبها، حسب درجة المصلحة.■

الهامش

(1) كان لحديثه حول هذا الأمر انتشار واسع وتأثير كبير في فهم فلسفة ومعايير الميراث في الإسلام لدى جموع كبيرة من الناس.

مصلحون رحلوا في أبريل

أبو السعود والعلواني وبارود

إعداد - عبده دسوقي:
باحث في التاريخ الحديث

إن عُمْر الإنسان ليس بطول وجوده فوق الأرض، ولكن بطول ذكراه على الأرض بعد وفاته، وهكذا المصلحون رسموا بأعمالهم صحائف من ضياء، تظل تنير للناس درب الصالحين حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

وقد رحل عنا في أبريل على مدار الأعوام السابقة كثير من العلماء والدعاة والمصلحين، نذكر بعضهم فيما يلي:

محمود أبو السعود.. رائد علم الاقتصاد الإسلامي

ولد الأستاذ محمود أبو السعود في السودان لأبوين مصريين عام 1331هـ/ 1912م، حيث كان والده يعمل فيه ضمن الموظفين المصريين العاملين بالسودان، والتحق بالتعليم به قبل أن يعود مع عائلته إلى مصر ويلتحق بكلية التجارة بجامعة الملك فؤاد (القاهرة حالياً)، وتخرج فيها بترتيب متقدم على دفعته عام 1938م.

حصل على شهادة الدكتوراه في الاقتصاد من كلية الاقتصاد بجامعة لندن، وعمل بعد ذلك في التدريس، ثم عُيِّن مستشاراً لجامعة الدول العربية، وتولى عدة مناصب لتطوير الأنظمة المصرفية في كل من أفغانستان ومصر وليبيا وماليزيا وباكستان والكويت.

تعرف أبو السعود على جماعة الإخوان المسلمين وقت أن كان طالباً عام 1936م، ولفت نظر الشيخ حسن البنا بنشاطه وحركته الدؤوب؛ مما جعله يسند إليه مسؤولية قسم التربية الرياضية، بل ويُختار في الهيئة التأسيسية للإخوان، ومما يذكر له أن بعض جنود الإنجليز أثناء ركوبهم الترام بالإسكندرية أراد أن يظهروا قوتهم على المصريين، فما كان من أبو السعود إلا أن صفع أحدهم على وجهة مرة تلو الأخرى مما جعله يخاف ويسارع ومن معه بالنزول.

بالإضافة لما اتصف به من صفات القيادة، كان أبو السعود كاتباً بارعاً في العديد من المجلات، وقد برز نبوغه في علم الاقتصاد الإسلامي، وقد صدر له العديد من الكتب، منها «خطوط رئيسية في الاقتصاد الإسلامي»، و«فقه الزكاة المعاصر»، و«معالم الاقتصاد الإسلامي».

وفي ديسمبر 1938م، تكونت رابطة البحوث الاقتصادية والسياسية الإسلامية بكلية التجارة؛ حيث قرر أعضاؤها ضرورة بعث النظم الاقتصادية والسياسية الإسلامية

يعود له الفضل في وضع بذرة البنوك الإسلامية بالوطن العربي وله مؤلفات في الاقتصاد

شارك بمؤتمر «المائدة المستديرة» ببريطانيا سكرتيراً للأمير فيصل بن عبدالعزيز والأمير أحمد بن يحيى

المراجع

1 - عبدالمتعال الجبري: مجلة المجتمع الكويتية، العدد (1048) الموافق 13 ذو القعدة 1413هـ، والعدد (1052) الموافق 11 ذو الحجة 1413هـ، ص 66، ود. يوسف القرضاوي: https://bit.ly/2Tynr5k.

2 - مجد مكي: في وداع العالم المجاهد نافع العلواني، رابطة العلماء السوريين، 13 مايو 2018م، https://bit.ly/3cvk1Jj

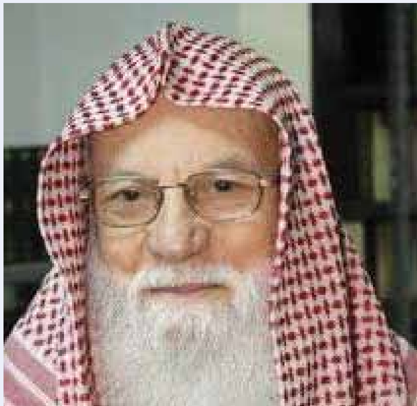
3 - أسامة الأشقر، الأعمال الشعرية الكاملة للشاعر د. عبدالرحمن بارود، سلسلة الأعمال الكاملة (2) (دمشق: مؤسسة فلسطين للثقافة، 2010)، ص 23-29.

نافع خالد العلواني.. العالم الثائر

ولد الشيخ نافع بن خالد العلواني الحموي في مدينة حماة عام 1931م، وتلقى تعليمه فيها حتى عام 1951م، ثم حصل على الشهادة الثانوية، ثم نال الشهادة في أهلية التعليم من مدينة حمص على يد الشيخ محمد الحامد، وقام بتدريس اللغة العربية والتربية الإسلامية بعد حصوله على الإجازة من كلية الشريعة في دمشق عام 1961م.

درس التربية الإسلامية واللغة العربية في محافظات حماة، وحلب، ودير الزور، ودرعا، وحينما وقعت أحداث جامع السلطان في مدينة حماة حينما حاصر النظام السوري المسجد بالمدفعية، ندد الشيخ بما حدث فتم نقله لحلب، ثم غادر سورية إلى الإمارات عام 1978م، وعمل في وزارة الأوقاف الإماراتية واعظاً في المنطقة الشرقية، وظل بها حتى عام 1993م حينما طلب منه مغادرة الإمارات، فغادرها إلى الأردن واستقر به من عام 1993م حتى وفاته.

انضم الشيخ نافع لجماعة الإخوان المسلمين بسورية في وقت مبكر من حياته، ووقف في وجه حزب البعث في سورية، حتى



إنهم قاموا بنسف بيته في حي «شارع الشيخ علوان»، كما هدموا أربعة بيوت لآل العلواني،



السليمة من جديد، التي تطورت إلى جمعية «الدراسات الإسلامية للاقتصاد والسياسة والمال» بكلية التجارة، وكان أبو السعود أحد أعضائها البارزين، الذي يعود له الفضل في وضع بذرة البنوك الإسلامية في الوطن العربي.

وحينما دعت إنجلترا إلى عقد مؤتمر من أجل قضية فلسطين في لندن سمته «مؤتمر المائدة المستديرة»، شارك فيه أبو السعود سكرتيراً للأمير فيصل بن عبدالعزيز، والأمير أحمد بن يحيى.

ظل أبو السعود حتى وقعت محنة الإخوان في عهد الثورة؛ فسافر إلى ليبيا للعمل مستشاراً لوزارة الاقتصاد، ومستشاراً لبنك ليبيا المركزي، في عهد الملك السنوسي، غير أنه غادرها إلى باكستان عام 1969م حينما قام القذافي بانقلاب على الملك السنوسي، وبعدها اتجه إلى بريطانيا قبل أن تستقر به الحال في أمريكا ليدرس الاقتصاد في جامعة ميسوري، وبعض الجامعات الأمريكية الأخرى ويترأس المجلس الإسلامي الأمريكي منذ تأسيسه عام 1990م.

توفي، رحمه الله تعالى، في يوم الجمعة عام 1413هـ/ 23 أبريل 1993م.■

عبدالرحمن بارود.. شاعر على خط النار

نشأ عبدالرحمن أحمد جبريل بارود في قرية بيت داراس (محافظة غزة) عام 1937م، ودرس في قريته حتى الصف الخامس الابتدائي، قبل أن يهجّر منها عام 1948م مع عائلته، وكان عمره آنذاك 11 عاماً، ونظم أول قصيدة له بعد التهجير، وتحدث فيها عن معركة «بيت داراس».

سافر إلى مصر، وحصل على شهادة الليسانس من كلية الآداب قسم اللغة العربية في جامعة القاهرة بتفوق، ومن ثم أكمل دراساته العليا ليحصل على درجة الماجستير والدكتوراه من نفس الجامعة، ثم انتقل بعدها للعمل في جامعة الملك عبدالعزيز بجدة بوظيفة أستاذ جامعي، وقضى بها ما يقارب الثلاثين عاماً، حتى تفرغ بعد ذلك للعمل العام، حيث قضى أغلب وقته في الكتابة وتأليف الشعر ومتابعة الشأن العام، وكان له دور واضح وبارز ومؤثر في أوساط الجالية الفلسطينية بالسعودية عموماً وفي جدة خصوصاً.

يعتبر د. عبدالرحمن بارود أحد مؤسسي دعوة الإخوان المسلمين بفلسطين، حيث تعرف عليها أثناء دراسته في القاهرة، وبعد عودته إلى بلاده عمل على نشر هذه الدعوة؛ مما عرضه للاعتقال من قبل نظام جمال عبدالناصر، في محنة عام 1965م، وقبض عليه بغزة ورحل لسجون مصر وحكم عليه بسبع سنوات قضاها في السجون، حتى أفرج عنه بعد وفاة عبدالناصر.

ترك د. بارود عدداً لا حصر له من القصائد الشعرية التي تظهر هوية الشاعر



أحد مؤسسي دعوة الإخوان المسلمين بفلسطين وترك عدداً كبيراً من القصائد الشعرية حول قضايا الأمة

واهتماماته بقضية فلسطين وبقضايا الأمة، يقول في قصيدة نظمها عام 1967م:

زَمْجِرِي يَا رَايَةَ اللَّهِ ارجعي
واخْفِقي فَوْقَ صَحَارَانَا الحَبِيْبَةْ
واجْمَعِي أَشْتَاتَنَا فِي حَيِّنَا
واقْذِفي المَوْتَ بنَا وامْضِيْ مَهِيْبَةْ
وأعِيدِيْنَا إلَى أَيَّامِنَا
حَيْثُ جبْرِيْلُ علَى رَأْسِ الكَتِيْبَةْ
زَعَمَتْ شِرْذِمَةٌ مَنْبُوذَةٌ
مِنْ صَعَالِيْكَ وأبْوَاقٍ كَذُوبَةْ
أنَّ قُرْآنَ الهُدَى مَاتَتْ علَى
دفَّتَيْهِ كُلُّ آمَالِ العُرُوبَةْ
فانْبَرَتْ مَكَّتُنَا شَامِخَةً
تَصْهَلُ الخَيْلُ حَوَالَيْهَا غَضُوبَةْ
وغَدَا اليَرْمُوكُ مَوْجاً مُرْعِباً
ورُؤَىً حُمْراً وألْحَاناً طَروبَةْ
نَحْنُ ربِّيُّونَ ذَا مُصْحَفُنَا
يَعْرِفُ التَّارِيْخُ رَيَّاهُ وطِيْبَهْ

توفي د. بارود يوم 2 جمادى الأولى 1431هـ/ 17 أبريل 2010م، في أحد المستشفيات بالسعودية.■

والصمصام، والغرابيلي، والنجار.

وحينما حدثت الوحدة بين مصر وسورية عام 1958م، صدر قرار بحل الأحزاب والجمعيات، وحدث خلاف داخل جماعة الإخوان حول قبول قرار الحل؛ فكان نافع من أشد المدافعين عن قرار عدم قبول قرار الحل واستمرار الجماعة.

حاول النظام السوري اعتقاله عقب ملاحقة الشيخ محمود الحامد وعدد من مجاهدي حماة الأوائل، عام 1976م، وأقام فترة في حلب متخفياً قبل أن يغادر للإمارات.

ويذكر له أنه حدث في مدرستهم احتجاج للطلبة على بعض قرارات المدرسة الثانوية، فخرج المدير (الناظر) وأغلب المدرسين لتهدئتهم فرفضوا طلبهم، فطلب المدير من الأستاذ نافع علواني أن يخرج للطلاب ليتكلم معهم؛ فخرج إليهم، وبكلمتين دخل الطلاب كلهم من شدة حبهم له.

وقف في وجه الحزب البعثي بسورية حتى قاموا بنسف بيته وفشلوا في اعتقاله حتى غادر للإمارات

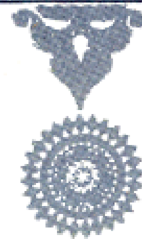
كان الشيخ رحمه الله ضليعاً بالعربية فصيحاً خطيباً، عالماً بالتفسير، مؤثراً في دروسه، وجمع بين الدعوة والعلم والتربية، نشيطاً في الدروس والحلقات المسجديَّة.. وغيرها.

كما ميَّز الشيخ لطفه مع جلسائه، وكرمه في بيته، وإبداء الملاحظات بلطف وأناة، وسؤاله عن إخوانه وزملائه في التدريس وطلابه، وحرصه على الوقت، وعلى نشر العلم، وتحرقه على واقع أمته، والرجولة الأصيلة مع شجاعة وإقدام، والأناقة في الكلام والمظهر.

توفي في عمَّان بالأردن يوم الخميس 3 شعبان 1439هـ/ 18 أبريل 2018م عن 87 عاماً.■



الحلقة
٢٩



رياض المؤمنين

في فقه الدعوة

يكتبها: محمد أحمد الراشد

الانتظار...

تحيتان من اعماق القلب اجد نفسي مضطرا الى ان اهديهما الى استاذين فاضلين ، فان من خلق المسلم ان يعترف بالفضل لاهله ، وان لا يبخس المحسن حقه في الشهادة له بالاحسان .

التحية الاولى : الى الاستاذ الكريم سعيد الافغاني بدمشق ، لمقاله الجريء القيم في العدد (١٦٩) من مجلة العربي الكويتية ، الصادر في اول كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٩٧٢ بعنوان (سبب خلع السلطان عبد الحميد) ، والذي استعان فيه بوثيقة بخط السلطان نفسه كشف فيها عن حقيقة انقلاب حزب الاتحاد والترقي عليه ، وارجع سبب الانقلاب الى رفضه القاطع لالحاح رجال الحزب في انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين ، ومعنى ذلك ان قصة اعلان الدستور ما هي الا تمويه وخدعة .

والمقال يدل على وعي كامل للتفسير الحركي الاسلامي لتاريخ الحقبة الاخيرة من حياة الخلافة الاسلامية ، وفيه من بيان اخلاص وايمان وذكاء السلطان عبد الحميد ما يبدد الاوهام العالقة في اذهان الناس بتأثير مناهج تدريس التاريخ في البلاد العربية .

وتكمن الاهمية البالغة للمقال في انه يؤيد ما كان يقوله دعاة الاسلام ويتشكك الناس في صحته ، وواضح ان العلم بدور اليهود في اقصاء الخلافة الاسلامية يؤثر تأثيرا كبيرا في تكوين فقه الدعوة ، ولذلك تكون مطالعة الدعاة لهذا المقال مفيدة جدا ، وتعتبر مكملة لمطالعة هذه المقالات في فقه الدعوة .

والتحية الثانية : الى الاستاذ المؤرخ محمد جميل بيهم بلبنان ، وان جاءت متاخرة فان مقال الاستاذ الافغاني يوجبها ، وذلك ان الاستاذ بيهم سبق له وان نشر قبل ثلاث سنوات في مجلة الاسبوع العربي اللبنانية مقالين مهمين جدا عن السلطان عبدالحميد رحمه الله ، اعلن فيهما — في شبه توبة ايمانه — سحب الاتهامات التي كالها للسلطان في اربع كتب الفها عن التاريخ العثماني ، وبين وقوعه في الخطأ ، وبراءة السلطان مما نسبه اليه تحت تأثير العواطف والدعاية ، ولا شك ان الاعتراف بالخطأ والرجوع عنه فضيلة كبرى توجب ان نكرر له التحية باسم دعاة الاسلام .

وللفائدة التي يحوزها الداعية المسلم من مطالعة مقالي الاستاذ بيهم ، ولصعوبة الاطلاع عليهما ، فاني — ان شاءالله تعالى — سأنشرهما في ذيل مقالات احياء فقه الدعوة ان جمعت في كتاب ومعهما مقال الاستاذ الافغاني .

• • •

ويطيب لي ان ابعث بتحية ثالثة الى الاستاذ الدكتور مصطفى محمود ، بمناسبة برنامجه الاسبوعي الناجح (العلم والايمان) الذي يقدمه ليلة كل جمعة من التلفزيون الكويتي . والحقيقة اني لم اشاهد برنامجه قبل ، وانما شاهدت منه الحلقتين الاخيرتين اللتين عرض فيهما افلاما علمية حقيقية دقيقة عن كريات الدم الحمراء وعن طريقة انتشار البذور النباتية ، وفيهما رايت من العجائب ما يزيد الايمان حقا بأن الله خالق كل شيء وحركة وفعل في هذا الكون ، وسمعت معهما من تعقيبات الدكتور الفاضل ما رقق قلبي ، وانصح كافة المسلمين ان يشاهدوا هذا البرنامج الرائع ، واحث دعاة الاسلام على دفع الناشئة الاسلامية لمشاهدته ، والاشتراك معي في تحية الاستاذ مصطفى محمود ، والدعاء له بأن يجزيه الله نعم الثواب .

• الكتاب ...

والباس الشديد ..!

هو الحديد مكمل القرآن .

كلام مقدس قاله الله تعالى ، محكم غير متشابه ، ماض غير منسوخ ، اراده عزت ارادته ان يكون للدعوة الاسلامية شعارا ، ودستور عمل ، ومعلم طريق ، فجعله جل وعلا في آية تتلوها الملايين كل يوم ، ان : بسم الله الرحمن الرحيم . ((لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ، ليقوم الناس بالقسط ، وانزلنا الحديد فيه باس شديد ومنافع للناس ، وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ، ان الله قوي عزيز)).

فكل قلب احكمت اقطاره ولم تتشابه ، ومضت الى الخير عزيمته ولم تنسخ، فهم هذه الاية فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لها .

فهمها ابو بكر رضي الله عنه ، فكانت حروب الردة .

وفهمها عمر الفاروق رضي الله عنه ، المشتق لقبه من اسماء السيف ، فكان منه الاقرار لمن لوح له بالسيف اداة تقويم ان زاغ واتبع الهوى .

وتواصت اجيال المسلمين بعدهما بهذا السلوك وتواصت بالقرآن ، فبعدوا عن الخسران .

حتى اذا خسروا ، وفق الله ابن تيمية رحمه الله يتلو عليهم هذه الاية ، ويفسرها، ويقول لهم :

(ذكر تعالى انه انزل الكتاب والميزان ، وانه انزل الحديد لاجل القيام بالقسط ، وليعلم الله من ينصره ورسله ، ولهذا كان قوام الدين بكتاب يهدي ، وسيف ينصر ، وكفى بربك هاديا ونصيرا .) (١)

ويؤكد لهم انه :
(اذا ظهر العلم بالكتاب والسنة ، وكان سيف تابعا لذلك ، كان امر الاسلام قائما)

● ارتقاء المدارج مع السالكين .. لا الطفرة

ولكن الامام البنا رحمه الله اوجب الإبتعاد عن التهور ، وحذر المتحمسة اللحاحين ، وعلمهم ان :
(من خصائص هذه الدعوة كذلك :
التدرج في الخطوات .
وانتظار الزمن .
وعدم التسرع بالنتائج .
فلكل اجل كتاب .) (٣)

وكرر عليهم : ان الدعاة الفقهاء :
(شعارهم في ذلك : الزمن جزء من العلاج .) (٤)

وبذلك حدد الامام علاجا رابعا يحمي الدعوة من انواع التورط والاندفاع غير الهادف ويقيها المصارع ، واطلق عليه اسم : (الانتظار) .

وهكذا ، فان من تمام واجب التربية الاسلامية الحركية في مرحلتها الحاضرة : غرس الاستعداد النفسي للانتظار الذي تكمل اثناءه صناعة الاختصاصات التي تتولى الانتشار والتوسع الميداني ، ثم ما يتطلبه هذا الانتظار الايجابي من الاقلال المرحلي في ولوج السياسة .

اننا نجد انفسنا في الحقيقة ـ ما دمنا نبذل الجهود التربوية بتواصل ـ اثبت من ان نأبه لشيوع هذه الافكار الارضية المتوردة ونتقبل اخبار انتصارات هذه الاحزاب بشجاعة ، فانها ليست الا من الانتصارات الوقتية غير المؤهلة للدوام ، وستعصف بها جهودنا التربوية متى ما صدق عليها وصف التربية وخرجت عن حد الفورة والارتجال .

بل ابعد من ذلك ، فلعلها حكمة الله في انتصار هذه الضلالات ، لانها عجزت عن صنع الواقع السعيد الذي وعدت الناس به ولم (يبصروه) من بعد ما (سمعوه) في مناهجهم ، وعجزهم هذا معناه فشل لجهودهم التربوية ، وانها لفضيحة كبرى تعيشها الانظمة الفاسدة والدكتاتوريات التي ارادت حرف الناس عن الاسلام هي في وجهها الاخر اختصار لطريق دعاة الاسلام.

انه الطريق التربوي : صعب ... طويل ... بطيء .. يسبقنا فيه الارضيون لوقت ... يسقط فيه بعضنا .. وتفوتنا بعض المغانم فيه .

لكنه طريق مامون ، ثابت ، مضمون .

وقد يرى البعض ان هذا الطريق البطيء لا يعود الدعاة على التضحية ، ويرى اننا نسقطها من حسابنا .

ولكن الامر ليس كما رأى ، فان التضحية مطلوبة ، ولكن في وقتها ، ولا تؤتى مفتعلة ، وخير الدعاة من بذر بذورها في نفوس اخوانه منذ الان .

انه طريق واحد اصيل لا ثاني له : طريق التربية التدريجي الذي اوجزه الاستاذ المرشد حسن الهضيبي بقوله :
(اقيموا دولة الاسلام في صدوركم ، تقم في ارضكم .)

وخطواته : ان تشيع الوعي الاسلامي ، وتجمع ، وتربي ، وتتوسع في اتزان ، وتنتشر في تأن ، وتنتظر حتى تكتمل الاختصاصات وترقب ضعف من تسلط زورا ، وترفع يدك الى الله داعيا ان يرحم المسلمين ، حتى يسقط رداؤك عن منكبيك ، فانه ان سقط اعتليت .

(١) (٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ١٢/١٠ ، ٣٩٣/٢٠ .
(٣) (٤) مجلة (الدعوة) المصرية عدد ٦٧ .

الأستاذ محمد أحمد الراشد.. في سطور

من الكُتَّاب الذين أثروا مجلة «المجتمع» في سبعينيات القرن الماضي، فهو داعية إسلامي، ومن أهم منظري ومؤلفي الحركة الإسلامية، اسمه في الأوراق الرسمية عبدالمنعم صالح العلي العزي، واشتهر باسم محمد أحمد الراشد من خلال كتبه الدعوية الكثيرة حتى غلب عليه وعُرف به دون اسمه الآخر، ولقد حرص الأستاذ الراشد في كتاباته على التركيز في فقه التخطيط والقضايا المنهجية للدعوة، ويعتبر الراشد مربياً لأجيال متعددة، ومؤلفاً للعديد من الكتب التي تجمع روح الحركة الدعوية والإيمانيات مع التأكيد على الأخلاق الإسلامية، وترجمت كتبه للكثير من اللغات الأجنبية.

ولد بمدينة بغداد في 8 يوليو 1938م، ودرس الابتدائية في مدرسة تطبيقات دار المعلمين، وكان وهو ابن 8 سنوات يقرأ المجلات الأدبية كمجلة «الأنصار» وغيرها، بتشجيع من أخيه الأكبر، وكان معروفاً بالجدية، ولقد نشأ الراشد في ظلال الحركة الإسلامية



بالعراق، وأصبح من كبار الدعاة والكتَّاب في النواحي الدعوية والتربوية، وتعرَّف على الحركة الإسلامية وهو في الثالثة عشرة من عمره، من خلال أخيه الأكبر الذي سبقه بالتعرف على الحركة الإسلامية ورجالاتها.

أخذ الراشد علمه من مصدرين؛ أحدهما شفوي من خلال دراسته على شيوخ عصره، والآخر قراءة وبحثاً في الكتب، ومن العلماء الذين تتلمذ على أيديهم:

1 - الشيخ عبدالكريم الشيخلي، وهو من علماء السلف، وكان تلميذاً للشيخ محمود شكري الآلوسي، حفيد الشيخ المفسر أبو الثناء الآلوسي.

2 - الشيخ محمد القزلجي، وهو كردي من أوائل العراقيين الذين درسوا في الأزهر، وقد لازمه الشيخ ثلاث سنوات، وقرأ عليه مقدمات الفقه وأبواباً كثيرة من كتاب الهداية في الفقه الحنفي.

وما عدا ذلك من العلوم أخذها الراشد من قراءة الكتب والدراسة الجامعية في كلية الحقوق، فدرس فيها أصول الفقه والمواريث ومسائل الطلاق والمعاملات في الفقه المقارن، وقرأ للكثير من أدباء العصر العباسي حتى العصر الحاضر؛ كالرافعي، ومحمود شاكر، وعبدالوهاب عزام، وهو أكثر من تأثر به الشيخ بعد الرافعي.

وإزاء تعرض الدعوة للاضطهاد في العراق؛ انتقل إلى الكويت في بداية عام 1972م، وعمل كاتباً في مجلة «المجتمع».■

مفهومات خاطئة ٢

يكتبها

عبدالرحمن عبدالخالق

رجالُ دينٍ!!

بسم الله والحمد لله وبعد :-

رجال دين ! !

هذه الكلمة بمفهومها الخاطيء رماها بها الغرب - يوم غص بالمسيحية وأبغضها عندما وقفت - بعد تحريفها - عقبة في سبيل علومه المادية وطموحه وكشوفه وابتكاراته فقرر فصل هذا الدين - اللامعقول والخاضع للكهانة وادعاء علم كل شيء من أمور الدنيا والآخرة - عن علوم الدنيا الخاضعة للتجربة والملاحظة والقابلة للتجديد والتعديل فجعل الكنيسة قطاعاً خاصاً من قطاعات الحياة يذهب إليها من يريد ويكفر بها من يشاء . وجعل لها رجالا مختصين في شئونها والقيام عليها أسماهم « رجال الدين » .

مفهوم رجل الدين عند الغرب

ولطبيعة الرهبنة في النصرانية فإن رجل الدين منقطع لعبادته ، بعيد عن شئون الدنيا ، يعتمد في معاشه وقيامه على الأتاوات والضرائب التي تفرض له على بقية أبناء شعبه ؛ شاء هذه الضريبة أم أباها ؛ هذا إلى جانب التبرعات الضخمة التي يتبرع بها الأثرياء من المتدينين ثم الأوقاف المحبوسة على الكنيسة . ثم صارت هذه الضرائب أعمق شرعية . في الدول الغربية الاستعمارية عندما سارت الكنيسة في تطويع الشعوب الجاهلة للنصرانية وصرف الشعوب الإسلامية عن دينها تمهيداً لتمكين الاستعمار من رقاب الناس . وبذلك يتحدد مفهوم رجل الدين عند الغرب بأنه الرجل المنقطع للعلم الديني - سواء كان هذا العلم للعبادة الخالصة أو خدمة لسياسة الاستعمار - والذى يعتمد في معاشه وحياته على غيره من أبناء جنسه عن طريق الضرائب التي تفرض له .

وليس له من الأمور المدنية إلا عقد الزواج الذى تطور أيضاً حتى أصبح يشمل العقد لرجل على رجل بعد إقرار القانون الإنجليزى لشرعية هذا العمل . إلى جانب خدمات في مجال الطب كان (رجال الدين) يقومون بها قديماً حسبة لله ثم أصبحت نشراً للنصرانية وتمكيناً للاستعمار .

انتقال المفهوم السابق الينا

هذا المفهوم الخاطيء (لرجل الدين) نقل بما يحمل من أوزار وألصق بالذين تصدروا للفتوى والعلم الديني من علماء الإسلام ، وساعد على شيوع هذا المفهوم نوع من التشابه بين بعض علمائنا ورجال دينهم وذلك في العصور الأخيرة فقط .

لم يكن الرسول (ص) رجل دين

فقد بعث الرسول (ص) نبياً لأمته ومع ذلك فإنه لم يعتمد في حياته على فلس واحد من جيوبهم ولا أكل ثمرة واحدة تصدقوا بها عليه بل أمره الله أن يقول « قل ما أسألكم عليه من أجر » . وكان لذلك يخالط الناس - أسواقهم فيبيع ويشترى حتى عابه المشركون لذلك ورأوا أن الذى يختاره الله رسولا لابد وأن يكفيه مؤونة كسب العيش ولا يتركه في هذا الامتهان « وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشى في الأسواق » وتصوروا أنه بمجرد أن يختار الله رسولا لابد وأن ينزل عليه الذهب والفضة ويسكنه القصور ويكفه عن امتهان طلب العيش .

وانتشر الإسلام وكثر تابعوه وفرضت الفرائض ومنها الزكاة فما كان منها قسم يخرج لمن ينقطع في المساجد لتعلم العلم وتعليمه . اللهم إلا أن يكون مرابطاً في سبيل الله للغزو والجهاد ؛ وهذا إذا أخذ أجراً فإنما يأخذه لأنه يدفع عن المسلمين شأنه في ذلك شأن الجنود في كل دولة وقطر . وهذه آية مصارف الزكاة وآية الصدقات من سورة الحشر تشهدان بذلك .

وهكذا نشأت أجيال المسلمين وهي لا تعرف رجل الدين بالمفهوم الذى شرح آنفاً . وهؤلاء أعلام الإسلام في السياسة والعلم من أمثال أبي بكر وعمر وعثمان وعلى وسعد والعبادلة وخالد وعمرو بن العاص وأبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وغيرهم وغيرهم من علماء الحديث والفقه والتاريخ ... لم يكن أحد منهم (رجل دين) وإنما كانوا يكسبون قوتهم من التجارة والزراعة والاحتراف ويخصصون أوقاتهم الفاضلة للعلم والفتيا ونصح المسلمين لا يأخذون أجراً على ذلك ؛ بل كان كثير منهم يمتنع من القضاء حتى لا يأخذ أجراً من السلطان ! ! خوفاً من ان ياكل الحرام .

العلماء في عهد الدويلات

وفي عهد الدويلات الإسلامية - بعد سقوط بغداد - كان للعلماء شأن آخر إذ أصبح العلم الديني نوعاً من الاحتراف وخاصة عندما ظهرت بذور الفتنة والتفرق وأصبح كل وال يستميل طائفة من العلماء ليستطيع إخضاع العامة لسياسته وملكه ! ! فلا تعجب بعد ذلك أن تظهر الحروب والشحناء بين أتباع المذاهب الإسلامية وأن تقرأ عن الدسائس والكيد بين العلماء بعضهم البعض لدى السلاطين والأمراء . . ! !

ومع أن العالم المسلم بهذا المفهوم قد أصبح يشبه إلى حد ما رجل الدين عند الغرب إلا أنه أيضاً لم يسم (برجل الدين) ! !

العلماء في الدولة العثمانية

وفي الدولة التركية الإسلامية كان شأن عامة علماء الدين كذلك : العلم الديني احتراف ؛ وللعلماء صولة وجولة لأن العامة تسير وراءهم ويستطيعون إسقاط الخليفة لو أرادوا إلا أن الدولة العثمانية التي باتت في أواخر أيامها مولعة بتقليد الغرب قد أدخلت على علماء الدين كثيراً مما لأمثالهم من علماء دين النصارى فدخل الزى الخاص بالعلماء بطربوشه الأحمر ذى الذؤابة الحريرية الزرقاء ، ولفافته البيضاء الناصعة المتقنة اللف إلى حد التكلف والاحتراف ! ! والتي تعلن برؤيتها أن تحتها رجلا متميزاً عن سائر الناس عالماً بالشريعة ! !

ليست العمامة بألوانها الثلاثة : الأحمر والأزرق والأبيض فقط بل و (القفطان) الحريرى المخطط ! ! والجبة الصوفية المسبلة في أكثر الأحيان إلى ما تحت الكعبين ! !

ولما انفرد علماء الشريعة بهذا الزى الخاص عسر عليهم امتهان طلب العيش من غير طريق علمهم وفتاواهم ولم يستطيعوا مجاراة الناس في طلب الرزق إلا عند التخلى عن هذا الزى المميز ! ! وبذلك عاش عالم الدين الرسمى في الإسلام - غالباً - عالة على ما تقدم الدولة له من راتب ومنصب ! !

علماؤنا بعد سقوط الخلافة

وبعد سقوط الخلافة الإسلامية في تركيا وجد علماؤنا الأفاضل - في كل بلد حكمه العثمانيون - أنفسهم في حالة لا يحسدون عليها . إذ ظهرت الدويلات التي تسمت باسم الأرض والجنس ! ! تحت حماية الانجليز - والفرنسيين والإيطاليين ! ! الذين فصلوا الدين عن حياة الناس لتسلم لهم سيادتهم وملكهم ! ! فمنهم من آثر ما عند الله فانبرى ينافح عن دينه وعقيدته ويحارب المستعمرين وأذنابهم

ومنهم من آثر ما عند الناس فلم يحرك ساكناً ليسلم له راتبه ووظيفته!! ومنهم من جاوز الحد إذ مهد الأرض للمستعمر الدخيل ليصل إلى أسمى المناصب والغايات!! ولم يبخل على أحد من السيدين بإصدار الفتاوى كما يريد والتقريظ والمدح فوق ما يريد!! ورحم الله من قال في مجلة الأزهر الشريف :-

« إن الوحدة المحمدية كانت كلية عامة لأنها قامت على العقيدة ، والعقيدة قد تضعف أو تحول ، والوحدة الصلاحية كانت جزئية خاصة لأنها قامت على السلطان ، والسلطان قد يضعف أو يزول . وأما الوحدة الناصرية فباقية نامية لأنها قامت على الاشتراكية في الرزق ، والديمقراطية في الحكم ... » ثم عندما نوقش في هذا ورد عليه زعم وياله من زعم!! إن الإسلام في العصور الغابرة إما أنه فهم ولم يطبق!! أوطبق ولم يفهم!! وأما الآن فقد فهم وطبق!! وهذا كلام لا يحتاج إلى رد . والمقصود هو مجرد التمثيل بنوع من فتاوى العلماء الرسميين

ولم يكن هناك بد بعد ذلك من أن ينتقل المفهوم الغربي عن (رجل الدين) إلى عالم الدين المسلم بعد أن تشابها في الزي الخاص والانقطاع للعلم الديني فقط والاعتماد على ما تفرضه الدولة لهما!!

المفهوم الصحيح

ولست أبرر بعد هذا المفهوم الخاطىء « رجل دين » بل أقول إنه مفهوم خاطىء لعالم الإسلام . ويجب علينا أن نسمي من يتخصص لهذا العلم بنوع العلم الذي يتخصص فيه : فالفقيه ، والمحدث وعالم النحو وعالم التفسير خير تسميات .

وأوصي بعد ذلك علماءنا الأفاضل بإعادة النظر في زيهم الخاص فإن له آثاراً كبيرة في تعميق هذا المفهوم الخاطىء وتمكينه . ويوم يصبح عالم الدين رجلا من جملة الناس يلبس لباسهم ويمتهن العيش امتهانهم يعرف بين الناس بعلمه وتقواه لا بجبته وعمامته . فهناك ستشرق شمس الإسلام من جديد!!



حول الاحتفال بذكرى المولد

لا أظن أن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم خطر ببالهم يوماً أن يحتفلوا بذكرى مولد الرسول ولا أظن هذا خطر ببال التابعين أو تابعيهم ، وهؤلاء هم أكثر الناس حباً لله ولرسوله ذلك أنهم جميعاً كانوا يعيشون حياتهم مترسمين فيها خطى رسول الله لا يزيغون عن هداه ولا تغيب عنهم سنته ، في كل حال من أحوالهم يسيرون وفق ما كان يسير ، يحملون أنفسهم على الجادة التي سار عليها ويتذكرونه في كل عمل من أعمالهم فهو قدوتهم في العبادة وهو قدوتهم في المعاملة وهو قدوتهم في الجهاد وهو قدوتهم في الإنفاق وهو قدوتهم في كل أمر من أمور الدنيا والآخرة ، أو ليس من تحصيل الحاصل بعد ذلك أن يجعلوا له في كل عام يوماً للاحتفال بهجرته ويوماً للاحتفال بمولده ويوماً للاحتفال ببعثه .

إن من يحتفل بذكرى مولد إنسان إنما يفعل ذلك لأنه ينسى هذا الإنسان طيلة أيام السنة ويريد أن يتذكره في هذا اليوم حتى لا ينساه بالكلية ، إنه يعتبر أن لهذا الإنسان أثراً ما في حياته أو أن له فضلا ما عليه ، أو أنه إنسان له أعمال طيبة تحتذى .

أما أن يكون هذا الإنسان هو كل شيء في حياته يستلهم سيرته في كل خطوة يخطوها ويتبع أقواله في كل عمل يعمله فكيف يجعل له يوماً يحتفل به وأيامه كلها حافلة به .

إن حال أمتنا حال يستدعي الرثاء . ذلك أنها تنسى الأصول وتتعلق بالشكليات ، إنهـا أمة تعيش على العناوين واللافتات والبلاغات والاحتفالات والتصريحات والخطب ، ولكنها لا تعمل شيئا ولا تخطط لشيء ولا تتقدم خطوة إلى الأمام .

صحفنا طبلت وزمرت وملأت الدنيا ، ابتهاجاً بذكرى لينين ثم نجدها هي . . هي . . تحتفل بذكرى مولد الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم . فهل نحن مع رسولنا كما نحن مع صاحب أكبر دعوة عدوة لله .

أمتنا تحتفل بذكرى المولد فتقيم الأفراح والزينات وتستدعي الخطباء فيخطبون في المساجد التي تلألأت أنوارها ويقيمون المهرجانات ويوزعون الحلوى . . وإذا كانوا جهلاء سمحوا الفرق الدراويش المرتزقة بالرقص على أنغام الزار حول قبور الأولياء التي اتخذت مساجد وشاركت النساء الرجال هذا الرقص وإذا كانوا أكثر جهلاً ساروا وراء الغربيين في الاحتفال بعيد الميلاد فسهروا حتى الفجر يرقصون ويغنون ويشربون ويتخاصرون كل ذلك احتفالا بذكرى المولد .

ثم نخرج بعدذلك من هذه الاحتفالات فنجد أمة تصر على مخالفة كل حديث تحدث به صاحب هذه الذكرى وتأبى الانصياع لأقواله « وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى » ثم نجد المفسدين يعيثون في الأرض فسادا ولا يجدون من يضرب على أيديهم .

نجد أمة يجثم العدو على أراضيها ويتبجح ليل نهار بقوته وقدرته ، ويذل هذه الأمة ويخضعها لرغباته وخططه وهي لاهية سادرة في غيها لاهثة وراء دنياها التي ضاعت هي الأخرى منها .

الرسول صلى الله عليه وسلم عبد لربه لا يستنكف عن عبادته ويتبتل إليه تبتيلا فهل كنا عبيداً لله مخلصين

الرسول صلى الله عليه وسلم مجاهد شجاع وبطل مغوار يثبت في المعركة ولا يفر من عدو فهل كنا أبطالا لا يشق لنا غبار ولا نولي من الخوف الأدبار .

الرسول صلى الله عليه وسلم شجاع في الحق لا يخاف فيه لومة لائم ولا ظلم جبار في الأرض فهل كنا شجعاناً نصدع بالحق ونعرض عن الجاهلين .

الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه وماله لله وحده فهل قدمنا أنفسنا وأموالنا في سبيل الله .

الرسول صلى الله عليه وسلم إنسان في بيته ومع أسرته يحدب ويحنو ويلين ويرفق فهل كنا في بيوتنا كذلك .

الرسول صلى الله عليه وسلم يستشير أصحابه وهو النبي ويعمل بمشورتهم في غير الوحي . . فأين المستبدون بآرائهم منه .

الرسول صلى الله عليه وسلم يأنس إليه الأعرابي ويجالسه المساكين ويصاحبه الفقراء ولا يخاف منه إلا أعداء الله فأين الطغاة المتجبرون من ذلك.

الرسول صلى الله عليه وسلم غليظ على الكافرين رحيم بالمؤمنين . . فأين منه من يعادون أولياء الله ويوالون أعداءه .

الرسول صلى الله عليه وسلم لا يقبل لشرع الله تبديلا ولا لحكم الله تحويلا فأين منه من يسوسون الناس بغير ما أنزل الله ؟

فإن كنا نحب الرسول فليكن قدوتنا وزعيمنا ورائدنا في كل قضية من قضايانا وحينئذ نكون قد احتفلنا به أكرم احتفال .

أبو وائل

بعد مرور نصف قرن على إصدارها..

المجتمع تضع الأقليات في عقلها وقلبها



طه سليمان عامر
رئيس هيئة العلماء والدعاة بألمانيا، عضو المكتب التنفيذي للمجلس الأوروبي للأئمة

في عام 2000م، وقعت يدي على عدد من مجلة «المجتمع»، وبدأت أتصفحها، وكان أكثر ما شدني لها اهتمامها بشؤون الأقليات المسلمة حول العالم، وداخل هذا العدد الذي قرأته وقعت عيني على تقارير حول عدد من المخيمات التربوية التي يقيمها المسلمون في الغرب للشباب المسلم، وتقارير وافية عن برامج هذه الأنشطة، فضلاً عن بعض المؤتمرات التي يعقدها المسلمون في أوروبا وأمريكا، ومدى إقبال الجمهور عليها، وحاجة المسلمين إليها، ويومها -وكنت حينذاك في مصر لم يسبق لي أن زرت أوروبا- أحسست يومها بشعور يربطني مباشرة بإخواني المسلمين في أوروبا والعالم، من خلال هذا الاهتمام بأخبارهم وأحوالهم وكيف يعيشون وسط أكثرية غير مسلمة؟ كيف يصلون؟ كيف يصومون؟ كيف يتعاملون مع المجتمع؟ وكيف يربون أبناءهم؟

وشاءت إرادة الله أن أزور ألمانيا لأول مرة عام 2002م، ثم أقمت بها من عام 2004م إلى الآن، وأثناء زياراتي لعدد من المراكز الإسلامية بألمانيا أجد المجلة راقدة على أرفف مكتبة المسجد في بعض جوانبها، فأتصفح بعض أعدادها وألحظ اهتمامها بمجريات أحوال المسلمين هنا.

بين العدد الأول من المجلة الذي انطلق يوم 17 مارس 1970 والعدد الأخير في مارس 2020م، تحتل هموم مسلمي العالم وأهم قضاياهم المصيرية منزلتها ومكانتها في صدر المجلة وفي عقول محرريها وقلوبهم، ففي العدد الأول تقرأ أخبار المسلمين في تنزانيا، والمسلمين في أمريكا، وفي جنوب الهند، والطلاب المسلمين في جنوب الباسفيك، وبعد نحو خمسين عاماً كان آخر عدد من عام 2019 وأول عدد في عام 2020م حول ظاهرة اليمين المتطرف ومستقبل المسلمين في أوروبا، وماذا يحمل العام الجديد من التحديات والآمال، وقد كان لي مساهمة في العددين بمقالين؛ الأول بعنوان: «اليمين المتطرف وخيارات مسلمي أوروبا»، والثاني: «مسلمو أوروبا في عام 2020م تحديات ماثلة وطموحات مأمولة».

بين العدد الأول والأخير تحتل هموم مسلمي العالم مكانتها في صدر المجلة وعقول محرريها وقلوبهم

تجسيد حالة الأمة الواحدة

من خلال الجهد المبذول في تتبع الأخبار والأنشطة والبرامج والفعاليات التي تقوم بها الأقليات المسلمة حول العالم ومؤسساتهم، ورصد الصعوبات والتحديات التي يواجهونها كظاهرة «الإسلاموفوبيا» وتداعياتها، وحالات الاعتداءات المتتالية على الأقليات في أماكن بعيدة، أعطت المجلة في عددها الأول اهتماماً بمعاناة المسلمين في بورما والظلم والقهر الذي يتعرضون له، وكنت عندما أسمع في عام 1998م عن مسلمي بورما لم أكن أعرف أين هم؟ وماذا يتعرضون له؟ وما تاريخهم؟ ومن يومها وأنا وغيري يحمل شعوراً بالأخوة الإسلامية لمن يقاسموننا الإسلام والإيمان والغاية والمصير، وهذا ما يترجم الأوامر القرآنية: ﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء: 92)، والسُّنة النبوية المطهرة كما في قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ؛ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى» (رواه البخاري).

وما فتئت المجلة تواصل تغطيتها لأحوال وأخبار مسلمي الروهنجيا من خلال نشر الأخبار والتقارير والبيانات والمقالات التي تدعو مسلمي العالم خاصة والعالم عامة لوقف معاناتهم والوقف معهم وإغاثتهم، وتلك هي الأخوة، وإذا تتبعنا أعداد المجلة التي وصلت إلى 2141 عدداً، سنجد هذا الخط الواضح والسياسة الثابتة في عنايتها بالأقليات المسلمة، وتغطية الأحداث التي تمر بها بمصداقية ومهنية عالية، وصدق من وصفها بأنها «مجلة كل المسلمين في العالم».

نافذة تثقيف للأقليات المسلمة

لا ريب أن الكتب الورقية بوجه عام تلقى صعوبات هائلة وتحديات كبيرة في رواجها واهتمام الناس بها في ظل منافسة حادة موفورة الأدوات الجاذبة للقراء، فمع ثورة المعلومات والسيولة المعرفية وسهولة الحصول على المعلومات، وبعد أن أصبح عالم الكتب والمواقع المـوارة بالمنتجات العلمية والأدبية بين يديك؛ أصبح لزاماً على الناشرين والكُتَّاب أن يستعدوا لهذه المواجهة بتطوير أدواتهم وفحص الواقع حتى يكملوا مسيرتهم ويحافظوا على وجودهم، وهذا تحدٍّ يواجه المجلة لا شك في ذلك.

وعلى الرغم من الصعوبات، فإنها تواصل رسالتها وتتبعها وتواصلها مع قادة المسلمين في أوروبا وأمريكا وأفريقيا وآسيا للوقوف على همومهم وإنجازاتهم ونجاحاتهم.

ربما لا يشعر كثير من قراء اليوم بقيمة المجلة ودورها في تثقيف المسلمين حول العالم، لكن إذا أردت أن تقف على هذا الأثر؛ فارجع للوراء عقوداً ماضية، وانظر للساحة





تقرير وكالة الحقوق الأساسية بالاتحاد الأوروبي:
الأقليات المسلمة تعاني
من تمييز اجتماعي حاد





ثورة المعلومات والسيولة المعرفية وسهولة الحصول على المعلومات تحديات مهمة تواجه المجلة

قادة العمل الإسلامي بالهند وسريلانكا يقومون بترجمة المجلة لتكون رافداً ثقافياً لشبابهم

أدعو إلى تصنيف كتاب عن المجلة وأدوارها العديدة في مجال من المجالات ليُنشر في عدد خاص

وقتها، ستجد كم كانت قديرة في رسالتها ومضمونها وعلمائها، ستقرأ مقالات لكبار العلماء والمفكرين من العالم الإسلامي، من أمثال الإمام العلامة محمد أبو زهرة، والإمام القرضاوي، ود. محمد عمارة، ود. سيد نوح.. وغيرهم من جهابذة العلماء والمفكرين والدعاة والمصلحين، ولا يعني حديثنا هذا عصمة ما كُتب فيها عبر السنوات الطوال، فهو جهد بشري يصيب ويخطئ.

وقد حدثني بعض الثقات أن المسلمين في الهند وسريلانكا يقومون بترجمة مجلة «المجتمع» لينتفع بها الشباب المسلم هناك، وهذا ما أثلج صدري وأسعدني كثيراً.

أرجو أن تكمل المجلة مسيرتها الثقافية والحضارية، وأن تواصل رسالتها بهمة وعزيمة.

رسائل وتوصيات

ويطيب لي في مناسبة مرور خمسين عاماً على انطلاقتها أن أوجه تلك الرسائل:

1 – أترحم على روح من قام بتأسيسها، وحمل على كاهله مسؤوليتها، وضحى بجهده وماله ووقته من أجل أن يجد كل مسلم حول العالم فيها ضالته، وينشد فيها الحكمة والوعي الإيماني والتربوي والاقتصادي والاجتماعي والسياسي، وأدعو الله أن يبارك في عمر من بقي ويرحم ويتقبل من رحل عن عالمنا.

2 – إلى جميع العاملين فيها، أهدي خالص الدعاء والتحيات نيابة عن مسلمي ألمانيا وأوروبا، فلهم الشكر على حسن متابعتهم وتتبعهم وبذل الجهد للحصول على المعلومات من مصادرها وتغطية الأخبار والأحداث وتحليلها بالمقالات النافعة.

3 – أقترح أن تخصص المجلة في كل عدد ترجمة عَلَم من أعلام المسلمين في الغرب مما كان لهم دور في أثر الوجود الإسلامي عبر العقود الماضية؛ فهذا جزء من تاريخ المسلمين الحديث الذي يجب العناية به.

4 – أدعو إلى عقد المزيد من ورش العمل للوقوف على أهم القضايا إلحاحاً على واقع الأقليات المسلمة حول العالم ومعالجتها في خطتها السنوية.

5 – أقترح أن تتبنى المجلة إصدار كتاب حول هموم الأقليات المسلمة ومشكلاتهم الفقهية أو الاجتماعية أو غيرها.

6 – أدعو إلى تكليف باحث يصنف كتاباً عن المجلة وأدوارها العديدة في مجال من المجالات على أن يُنشر في عدد خاص.

وأخيراً: وعلى الرغم من ضيق الوقت عندي، فإنني وجدت أن من الوفاء لهذه المجلة المباركة أن أخطّ بعض الكلمات، داعياً المولى الجليل أن يبارك فيها، وأن يسدد مسيرتها، ويوفق القائمين عليها للهدى والرشاد.

والله ولي التوفيق والهادي للخير والتُّقى.■



عرض كتاب

حروب العقل..

تاريخ سيطرة الحكومات والإعلام والجمعيات السرية على العقل ومراقبته وإدارة شؤون الناس

عرض: د. محمود المنير

بيانات الكتاب:

عنوان الغلاف: حروب العقل.. تاريخ سيطرة الحكومات والإعلام والجمعيات السرية على العقل ومراقبته وإدارة شؤون الناس.

تأليف: ماري جونز، ولاري فلاكسمان.

ترجمة: نور الدائم بابكر أحمد.

الناشر: مكتبة العبيكان، المملكة العربية السعودية، الرياض.

الطبعة الأولى: 2017م.

عدد صفحات الكتاب: 344 صفحة من القطع المتوسط.

منذ بدء الخليقة، ظلت الرغبة في السيطرة على أفكار الآخرين وسلوكهم وأفعالهم واسعة الانتشار، انطلاقاً من الإقناع القهري الذي مارسه قدماء المصريين وفرسان الهيكل، إلى ما تشاهده اليوم من غارات إلكترونية وقذائف موجهة بالموجات الكهرومغناطيسية؛ مما جعلنا نعيش دوماً تحت رحمة أولئك الراغبين في إعادة برمجة أفكارنا، وتشكيل معتقداتنا وفق مشيئتهم.

يضم الكتاب تسعة فصول شرّحت تاريخ الحرب وحاضرها ومستقبلها التي تهاجم العقل البشري بغية السيطرة عليه وتسييره وفق رغبات وأهواء من رسموا خطتها!

والكتاب -لمؤلفيه ماري د. جونز، ولاري فلاكسمان- فيه معلومات وفيرة ومكثفة عن التجارب والمحاولات للسيطرة على العقل البشري بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، منذ قديم الزمن، وعن المراقبة والتجسس وجمع المعلومات من خلال عالم التقنية.

ومن أبرز الموضوعات التي يعرض لها الكتاب:

- المحاولات القديمة للسيطرة على العقل باستخدام السحر، والعقاقير الطبية، والطقوس والشعائر.
- المعتقدات الدينية وتوظيف إعادة برمجة العقل.
- التقنيات الحديثة للسيطرة على العقل من التنويم المغناطيسي، والمخدرات والصدمات الكهربائية إلى الإشعاع والطب النفسي.
- التحقيق في مرشح منشوريا وعلاقة وكالة المخابرات الأمريكية المركزية بمشروع حرب النجوم.
- عالم الهجمات الإلكترونية الجديد، وتقنية السيطرة على العقل من خلال الصوت والمراقبة الشاملة.

الشهوة العارمة للسيطرة على العقول:

لا تزال الرغبة في السيطرة على أفكار الآخرين وسلوكياتهم أكثر المطالب إلحاحاً منذ بزوغ فجر الإنسانية، بَيْدَ أن قلة صغيرة من الناس فقط تدرك أن تقنيات السيطرة على العقل وُجِدَت مع فجر الحضارة نفسها، وبقدر إدراكنا لما وهبنا الله إياه من عقول متنوعة وطرق تفكير مختلفة، ندرك تلك الشهوة العارمة في السيطرة على العقول، بصرف النظر عن الدافع أو الفائدة المبتغاة؛ فمنذ عقيدة قدماء المصريين القسرية وفرسان الهيكل، مروراً بالتلاعب واسع الانتشار بالعقل، والتعذيب الذي مارسته السلطات السياسية والدينية في العصور المظلمة والعصور الوسطى.

منذ هذا وذاك، كنا ضحايا لهؤلاء الذين اقتحموا خصوصية عقولنا، محاولين إعادة صياغة أفكارنا، وقَوْلَبَتنا في أسلحة حرب وقتال ودمار، ولم يعد في عالم اليوم متّسع للخيال؛ فقد أصبح كل شيء في حياتنا متاحاً للجميع؛ بحيث يمكنهم مشاهدته عن طريق الحقيقة الجديدة المتمثلة في وسائل التواصل الاجتماعي، وبالرغم من هذا كله؛ فإننا ما زلنا نظن -بسذاجة- أن قدسية عقولنا تمثّل القلعة الحصينة الأخيرة لخصوصيتنا؛ حيث تظل أفكارنا الخاصة مدفونة بعيداً عن أعين المتطفلين.

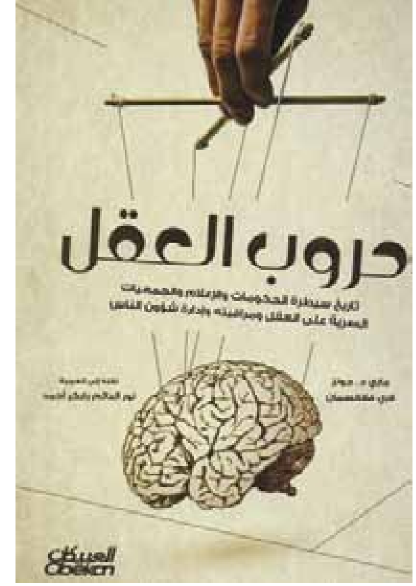
السيطرة على العقل في الماضي.. الطقوس والشعائر:

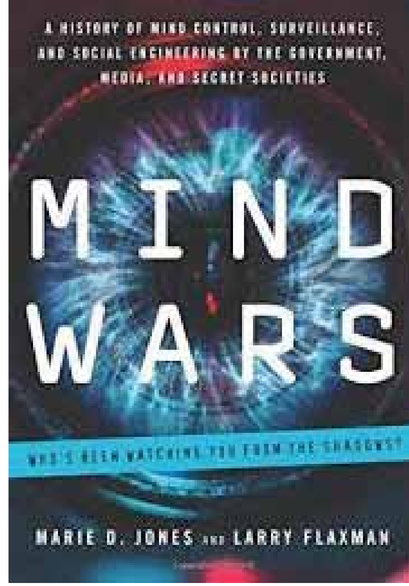
يؤكد علماء الأجناس أن للطقوس صلة وثيقة بالتحول؛ كطقوس العرس وتنصيب الرؤساء، التي تعد فاصلاً للتحول من حال إلى حال، والطقوس في الثقافات القديمةً كانت تُمَارَس للسيطرة على السلوك، أو تعبيراً عن الاعتقاد بما تريده «الآلهة» من تقديم فروض الولاء! وفي بعض الأحيان كانت الطقوس -الدينية- نوعاً من غسيل المخ الطائفي، كما يُعَدّ القانون أحد أنواع الطقوس التي تأخذ طابعاً رسمياً، كما تدعو الرمزية المقدسة إلى الالتزام بالمبادئ، باستخدام كائن أو رمز معين؛ مثل «العلم» أو «وسام الشرف»، يؤدي له الفرد الولاء والطاعة.

وأكثر جوانب الطقوس أهمية يكمن في قدرتها على تأسيس نوع معين من السيطرة الاجتماعية؛ فَيُعَد أي شخص ينتهك قوانين الطقوس أو يرفض المشاركة في ممارستها متمرداً أو عدواً يتلاعب برغبة البشر وينتمي إلى عصابة ما؛ ففي العصور الوُسْطَى، على سبيل المثال، كانت النساء اللاتي يرفضن الانصياع للقواعد والتقاليد يخضعن لإجراءات طرد الأرواح الشريرة التي ينفّذها مجموعة من الرجال، وفق تعاليم الكتاب المقدس، ولم تكن هذه الإجراءات إلا أشد أنواع التعذيب التي قد تؤدي في النهاية إلى الموت.

مستقبل السيطرة على العقل:

يعرض المؤلفان لمقال كتبه «نيكولاس ويست» في مقال بصحيفة «activist post» حمل عنوان «سبع وسائل تستخدم





مستقبلاً للسيطرة على العقل»، استعرض فيه بعض الطرائق التي يمكن أن تستخدمها مجموعة مميزة للتلاعب بنا مستقبلاً، التي يعتمد معظمها غالباً على تقنية الغد للهيمنة والسيطرة والاحتواء.

ومن هذه الوسائل التي حذر منها ما يلي:

1 – المراقبة والأدوات مثل وسائل الإعلام، وأجهزة الهاتف وشبكة الإنترنت.

2– سيطرة العقل على الإنسان الذي تتحكم فيه الآليات والطائرات، حيث تؤكد البحوث التي تعنى بالسيطرة على العقل ما يحدث اليوم من مزواجة بين الإنسان والماكينة ستتحكم فيه بكل سهولة وتسيطر على تصرفاته.

3 – التلاعب المغناطيسي عن طريق التحكم في طريقة تفكيرنا وأفعالنا وسلوكياتنا.

4 – الطعام والشراب: هل يمكن أن يسيطر علينا بما يصل جسدنا عن طريق طعامنا وشرابنا ودوائنا؟ هذا ما نراه واضحاً عن طريق الفيروسات المصنعة في المختبرات.

5 – الهندسة الوراثية وهندسة الأعصاب: أفاد مهندس تقنية أعصاب أنه «إذ أخذنا في الحسبان فكرة أن عقلنا متخلخل في دماغنا، ثم أصبحت الأولوية لفهم الكيفية التي نهندس بها المخ لعمل أفضل فربما نفعل ذلك لعمل الأسوأ أيضاً».

6 – علم الأعصاب: وللأسف الشديد هناك مختبرات ومراكز تعمل على استغلال هذا الأمر للشر كما يمكن استغلاله للخير.

7 – التحميل المباشر والاختراق: لم تعد قرصنة العقل مادة تكتب في الخيال العلمي فحسب؛ بل أصبحنا اليوم أنظمة حاسوبية بشرية، وهذا ما حذر منه «كورزويل»، مؤلف كتاب «الخصوصية على الأبواب»، ومدير قسم الهندسة في «جوجل»؛ حيث يقول:

وسائل الإعلام أكثر الكيانات نفوذاً ومن يسيطر على الإعلام يسيطر حتماً على العقل

ثمة أبحاث تسعى للسيطرة على البشر من خلال الغذاء والدواء والفيروسات التي تصنع في المختبرات!

«سوف يطور البشر وسائل تساعدهم على صنع أجزاء جديدة من أجسادهم سواء عن طريق علم الأحياء كان ذلك أم غيره».

التلاعب الإعلامي:

تبث وسائل الإعلام أخباراً سيئة طوال الوقت، تنزع غالباً إلى الإصابة بالإحباط، وإثارة الخوف والقلق، ويرى المؤلفان أننا نواجه اليوم تحديات كثيرة مختلفة، وما نزال نتوق إلى المزيد ونشر الذعر، وقد يستغرب بعضنا إذا كانت وسائل الإعلام تشيع الخوف والاضطراب وسط الجمهور بوصفه شكلاً من أشكال السيطرة على العقل، ولما كان حدوث هذا الأمر محتملاً، بل ممكناً، فما كان ينبغي لهم بذل كل هذا الجهد الشاق من أجل إشعال فتيله؛ إذ نستطيع الحصول عليه دونما عراك وقتال.

خلاصات الأفكار:

– قد يبدو الأمر مستهجناً ويتسم بالغرابة، وقد يحدّث القارئ نفسه بعد التوغّل في أعماق الكتاب والاطلاع على التقنيات الخبيثة التي يتم فيها سلب الضحايا عقولهم سواء في الميادين العسكرية أو الحياة العامة، بأنّ مثل هذه الأمور لا يمكن أن تحدث له! وقد يعود هذا الاعتقاد لأمرين؛ إما أنه جاهل بما يعمي بصيرته، أو عارف بما يكفي! وقد يتدخل أمر آخر أكثر أهمية مما ذُكر وهو «الأمان في الوطن».

– قد يرى البعض أن السيطرة على العقل البشري أمر شنيع يدمّر ضحايا لا ذنبَ لهم، وقد «يطمئن» البعض الآخر أنه أمر نادر قد يحتاج إلى تكنولوجيا عاليَة قد لا تلحَق بها بلده في الوقت الحالي على الأقل! ولكن مما يؤسف قوله أن السيطرة لا تحتاج إلى تقنيات بحد ذاتها، فنحن نعايشها في كل تفاصيل حياتنا!

– بالرجوع إلى النقطة أعلاه، فقد وضّح الكتاب أن السيطرة على العقل متجذرة في التاريخ وعانى منها الكثيرون، وما زالت تطور نفسها حتى تغرس مخالبها في رأس كل فرد، فقد وضحت الصفحات المشاريع التي اتبعتها وكالة الاستخبارات الأمريكية بغية خلق آلات بشرية تسير وفق رغبة الحكومات المستبدة والحكّام الدكتاتوريين، ليس ذلك فقط.. فحتى الجماعات السرية والطوائف الدينية ساهمت بشكل فعال لخلق هذه السيطرة.

– «إذا لم تستطع التحكم في عقلك، فثمة من يقوم بالأمر نيابة عنك»، إنه لمن المخيف والمرعب أن تدرك أنك من الممكن أن تكون تحت هذه السيطرة غير المرئية دون أي وعي منك بذلك، وإنه من الممكن أن تُصَنف بأنك «مريض نفسي» بناءً على نتائج هذه السيطرة، ومن غير أي علم بالأسباب التي دفعت أناساً لفعل هذا الأمر المميت، إضافة إلى أننا لا نعلم حقاً من هم هؤلاء الذين يريدون أن يحكموا العالم بالتحكم في العقل البشري.

– إذا كانت وسائل الإعلام هي إحدى الأدوات العملاقة للسيطرة على العقل، فمن أكثر الذين يسيطرون على عقول الجماهير قدرة ومهارة؟

– إننا نسير بسرعة في عالم أصبحت فيه آلة التجسس مثبتة داخل كل ما يقابلنا.

– في الختام، تبقى شهادة «إدوارد سنودين» مرعبة وواضحة وكاشفة لما لا نريد أن نصدقه، حيث يقول: «لن يرتاح ضميري إذا سمحت لحكومة الولايات المتحدة الأمريكية بتدمير الخصوصية وحرية شبكة المعلومات العنكبوتية (الإنترنت) والحريات الأساسية للشعوب حول العالم بآلة التجسس الضخمة هذه التي صنعوها بسرية تامة».■



نصائح لتضاعف مناعتك الصحية والنفسية في زمن «كورونا»

نجلاء محفوظ
كاتبة ونائبة رئيس تحرير «الأهرام»

لا أحد ينكر الذعر الذي أصاب العالم بسبب فيروس «كورونا»؛ ربما لسرعة انتشاره وعدم تحديد وقت انحساره، وتؤكد الأبحاث العلمية أهمية الاحتفاظ بحالة نفسية جيدة وتأثيرها القوي على الصحة الجسدية، وتتزايد أهميتها عند الأزمات الصحية، ولا شك أن انتشار «كورونا» وما يصاحبه من شائعات ومبالغات يهدد المناعة النفسية؛ ولذا كانت هذه الأسطر للانتباه ولمضاعفة المناعة النفسية والصحية لنجتاز جميعاً -بمشيئة الله- هذا الوباء، فائزين صحياً، وبمكاسب إيمانية ونفسية.

نبدأ بأهمية الاعتراف لأنفسنا بالشعور بالخوف، وهو أمر صحي ومطلوب دينياً للالتزام بالحذر للحفاظ على النفس ولحماية الآخرين مع الاعتدال، فلا يتحول إلى ذعر فنؤذي أنفسنا ومن نحب، فالذعر يعطّل العقل، وينهك القلب، ويُضعف المناعة النفسية التي تقوى بالتشبث بحسن الظن بالله، ثم تذكر أن القبول ثلثا السكينة، أي قبول حدوث أزمات بالحياة أحياناً؛ ولا نتعامل معها كعقاب فنؤذي أنفسنا، بل كفرصة لمحو الذنوب ولرفع الدرجات ولتقوية الإيمان والتضرع للخالق عز وجل والدعاء بزوال الغمة عن العالم بأسره، وضاعف التصدق واجعله عادة تستمر.

عندما يخبرك أحد بمخاوفه؛ تنبه ولا تمتصها، واستمع إليه باحترام ولا تقاطعه، ولا تتهمه بنقص الإيمان ولا بالمبالغة، وأشعره بأنك تتفهم مخاوفه وتثق بالوقت نفسه بنجاته، وذكّره بلطف بالتوعية النفسية والصحية، ثم تكلم في موضوع يحبه؛ وسيهدأ وستفوز بثواب مساعدته.

عندما تشعر بالخوف؛ اكتب لنفسك مخاوفك ثم اقرأها بصوت وكأنك تتحدث بها لأحد، وسارع بطمأنة نفسك كما تفعل مع صديقك المقرب، ونوصي بتجنب لوم النفس؛ لأنه يضاعف الخوف والتوتر، ولا تكتب على وسائل التواصل الاجتماعي للفضفضة؛ كما يفعل البعض، فينشرون التوتر بدلاً من حصاره، ويحصدون تعليقات تزيد أغلبها التوتر مع سخرية تتسبب بالضيق.

عالج خوفك

أفضل علاج للخوف هو الاسترخاء بالاستلقاء على السرير أو على سجادة بدون وسادة، والمباعدة قليلاً بين الساقين، ووضع الذراعين على مسافة من الجسم، وإغماض العينين، والتركيز على التنفس من الأنف فقط وإغلاق الفم، والاستمرار كما ترغب، وعند النهوض؛ استدر على جانبك الأيمن، وابق قليلاً، وواصل إغماض العينين، ثم اجلس ببطء، وانتظر قليلاً ثم امسح وجهك بيديك بلطف وافتح العينين ببطء وحافظ على الهدوء النفسي، وكرر ذلك يومياً لتحسين الحالة النفسية، ويمكنك ترديد جمل بعقلك وقلبك، مثل: «الحمد لله، أنا مطمئن، أنا بخير، الله يحفظني».

إذا شعرت بالتوتر خارج البيت؛ فاجلس باعتدال، وضع راحتي اليدين على الساقين بهدوء ولطف، وأغلق الفم، وركّز على التنفس من الأنف فقط، وردد الجمل التي تطمئنك في عقلك.

لزيادة المناعة النفسية؛ تجنب كل ما



الذعر يعطل العقل وينهك القلب ويضعف المناعة النفسية التي تقوى بالتشبث بحسن الظن بالله

من أعداء المناعة النفسية الإكثار من المنبهات والأكل الدسم والحلوى لأنها تُسبب العصبية وتضاعف القلق

يثير الفزع؛ كمتابعة الفضائيات التي تبالغ بالحديث عن «كورونا» ووسائل التواصل الاجتماعي ومبالغة من تعرف، فكل ذلك كالأدخنة التي نمتصها دون وعي، وتتسلل لقلوبنا وعقولنا وتتراكم داخلها وتحرمنا من الطمأنينة وهي جوهر المناعة النفسية، فلنعتزلهم لحماية أنفسنا.

مع تذكر أن الفراغ أخبث عدو؛ فهو يدفعنا للتفكير بأسوأ الاحتمالات، ولنجتهد في ملء أوقاتنا بما يفيدنا، ولنتواصل مع الأهل عبر الهاتف، وننتهز فرصة تواجدنا أوقاتاً طويلة بالمنازل لترتيب حياتنا وإعادة النظام والدفء العائلي ومشاركة أفراد الأسرة ببعض الهوايات والاهتمامات، مع تخصيص وقت يومي للترفيه المباح، فهو ضرورة لإنعاش النفوس وتحسين الحالة المعنوية ولكسر الروتين اليومي.

ولنهتم بمتابعة تفاصيل انتشار «كورونا»؛ ليس لزرع الخوف، ولكن للمزيد من الحذر وباعتدال؛ حيث يتعامل البعض مع «كورونا» باستخفاف وكأنه يهرب من خوفه، ويبالغ البعض بالخوف فيتحول لرعب، لكن دائماً خير الأمور الوسط، والإحساس بالخطر مطلوب ومرفوض؛ مطلوب لزيادة الوعي، ومرفوض إذا تسبب بالهلع، ولنتسلح بالتفاؤل ونبشر به، ونطرد أولاً فأولاً التشاؤم، ولنأخذ بكل الأسباب ونعقلها، ونتوكل بيقين على الله سبحانه وتعالى، فوحده عز وجل الحافظ اللطيف بعباده.

هرمونات السعادة

نعلم جميعاً أن أي مرض عضوي تزيده الحالة النفسية السيئة، ومعظم الأمراض الجسدية سببها نفسي؛ لذا لنهتم بصحتنا النفسية، ولنتحلَّ دائماً بالابتسامة التي أوصانا بها الحبيب صلوات الله وسلامه عليه؛ فتبشر الآخرين بالخير، وتزرع بنفوسنا الطمأنينة، ويفرز المخ هورمونات السعادة (السيروتونين، والأندروفين، والدوبامين، والأوكسيتوسين) التي تحارب التوتر وتمنح الاسترخاء والتأثير الإيجابي على المشاعر، ونحصل عليها أيضاً بممارسة الرياضة ولو بالمشي داخل البيت، وبالعطور، والأطعمة



استفد من الشعور بالخطر في إعادة ترتيب أولوياتك بالحياة وأحسِن استثمار عمرك

معظم الأمراض الجسدية سببها نفسي لذا اهتم بصحتك النفسية وتحلَّ دائماً بالابتسامة وبشّر الآخرين

الحارة، وبالتعرض للشمس، وتذكّر أن الضحك يحسن الحالة النفسية، ويضاعف من قدرة الجسم على تفادي الأمراض، وكذلك العلاقات الاجتماعية الجيدة، وأهمها صلة الرحم.

اهتم بزيادة مناعتك الصحية، وتجنب الإجهاد الذي يجعلنا أكثر عرضة للعدوى وللأمراض عامة، واحصل على قسط كاف من النوم لتعزيز مناعتك النفسية والصحية، واحرص على تناول الخضراوات والفواكه الطازجة وخاصة الحمضيات، وأكثِر من شرب الماء.

من أعداء المناعة النفسية الإكثار من المنبهات والأكل الدسم والحلوى؛ لأنها تُسبب العصبية وتضاعف القلق، فاعتدل في تناولها، واعتمد على الغذاء الصحي عادة وبأوقات الأزمات خاصة.

يزيد القلق هرمون «الكوروتيزول» الذي يسبب الإجهاد، ونحاربه بالاسترخاء وبتمارين التنفس، وأسهلها إغلاق فتحة الأنف اليمنى والتنفس بعمق من اليسرى مع إغلاق الفم، ثم إخراج الهواء من فتحة الأنف اليمنى مع إغلاق اليسرى والتنفس مجدداً من اليمنى وإغلاقها مع إخراج الهواء من اليسرى، وتكرار ذلك بهدوء على أن تكون النهاية بإخراجك للهواء من اليسرى وستحس براحة لطيفة تشجعك على التكرار.

استغل واستفد

لا تكرر إحساسك بالضيق لتغير نظام حياتك، ولتؤخر بعض مصالحك وإنجازاتك؛ للبقاء بالبيت، فالإنكار يضخم الشعور ويجعله يتوحش بعيداً عن سيطرتك، ولا تبالغ، واعتدل وسارع بطمأنة نفسك، فهذا وضع مؤقت ولن يطول بمشيئة الله، واستغل الوقت في العودة لهواياتك التي أهملتها لانشغالك وبترتيب أغراضك وبالانشغال بأي عمل يدوي لتهدئ العقل وتقلل التوتر.

تجاهل التصرفات السيئة التي قد تصدر ممن يشاركونك الحياة، فالبعض يفعلها بسبب التوتر وكأنه يلقي به على الآخرين، وآخرون لضيقهم من البقاء طويلاً بالمنزل، وهذا لا يتعارض مع الحسم لمنع زيادتها وعدم السماح لإبليس اللعين بتكديرك، والمسارعة بالابتسام لنفسك لمحو آثار التكدير أولاً بأول، وانشغل بفعل أي شيء، وساعد من حولك.

تعامل مع بقائك بالبيت كفترة استجمام وليس كاحتجاز؛ والمؤكد أن كلمة الوباء تشعرنا بالخطر، لكن كلمة النجاة مطمئنة، ولا بد من التشبث بالنجاة، واستفد من الشعور بالخطر لإعادة ترتيب أولوياتك بالحياة، وأحسن استثمار عمرك.

استفد من أوقاتك بتحسين علاقتك بأسرتك، ولا تتوقع نتائج سريعة؛ وكن صبوراً وستحصل على الأفضل بأحسن توقيت، واجعل ذلك عادة تفعلها دوماً ولا توقف حياتك حتى انتهاء الأزمة، وتعلم إسعاد نفسك، وكل من تحب بكل الأوقات، وكن مفتاحاً دائماً للخير وللبشاشة وللتفاؤل وحسن الظن بالله؛ وبذا تضاعف مناعتك النفسية والجسدية، وتزيد مكاسبك الدينية والدنيوية.■



بقلم:
محمد سالم الراشد

«مهمة واجب الوقت»
الإسلام.. وزمن «الكورونا»

نستقبل التقارير العالمية حول نجاح الصين في حصار فيروس «كورونا» الذي أردى 21.116 ضحية حول العالم، وأصاب 465.274 إنساناً -حتى تاريخ كتابة هذا المقال 26 مارس 2020م- لكن تظل الصين، بسبب سياستها الترويجية الخائفة من فقدان المصداقية والثقة بمنتوجاتها الاستهلاكية، لا تعترف أخلاقياً عن مسؤوليتها عن هذا الوباء العالمي؛ الذي أثر على حياة البشر في هذا العالم؛ بتأخرها عن إبلاغ منظمة الصحة العالمية عنه.

ومن جهة أخرى، يتضح قمة الكبر والغرور الإنساني في أوروبا والولايات المتحدة؛ حيث ظن قادة تلك الدول أن الوباء صينيّ؛ فليكن هذا الجنس الأصفر وقوداً لهذا المرض؛ وأن هذا الفيروس ربما يميز بين الجنس الأبيض والأصفر، وأتت التحذيرات متأخرة بعدما فتك الفيروس بالآلاف من الناس في أوروبا والولايات المتحدة؛ بسبب حماة الرأسمالية المتوحشة، التي ترى أن امتصاص ملكية الإنسان من خلال العمل والضرائب هي الأولوية على حياة الإنسان؛ لأنها تخدم الطبقة الرأسمالية في مجتمعاتها، إنها تريد جني المال على حساب الحياة البشرية والإنسانية.

في الولايات المتحدة، على سبيل المثال، ما زال غرور ترمب مستمراً؛ إذ إنه على مضض يوافق على إيقاف العمل لمدة أسبوعين، لكنه مُصرّ على أن تفتح الشركات والأعمال الحكوميةَ مجدداً بعدها، ولا يضره ذلك، لأن الأساس هو الناتج الاقتصادي.

في الولايات المتحدة من أجل إنقاذ «وول ستريت» على حساب الإنسان تم ضخ تريليون ونصف تريليون دولار.

ولإنقاذ قطاعات الشركات الكبرى في النظام الرأسمالي فهو يسعى لتحقيق الأرباح، لقد كشف الفيروس عن عوار الرأسمالية والنظام العالمي السياسي، ففي الولايات المتحدة لا تستطيع الدولة تقديم الرعاية الصحية لكامل الشعب الأمريكي.

إذاً؛ أين رفاهية الرأسمالية؟! فغالبية الشعب الأمريكي إذا حاول طلب العلاج فإنهم سيصبحون مدينين؛ لأن كل شيء إما بالتأمين الصحي، وهذا يغطي فئة محدودة في الولايات المتحدة، أو الاقتراض من البنك، وهذا يركب فوائد كبيرة على المقترض، هذه هي حقيقة الرأسمالية المتوحشة، يهمها المنفعة المادية على حساب القيمة الحياتية للإنسان؛ الأرباح أهم من الناس.

فالرعاية الصحية الخاصة والرسمية لا تستطيع التعامل مع الأزمة بكل بساطة فنجد:

- 30 مليون أمريكي لا يملكون تأميناً صحياً.
- 15 مليوناً منهم لديهم تأمينات خاصة.
- 60 مليوناً عليهم دفعات مسبقة عالية لدرجة أنهم سيصبحون مدينين بآلاف الدولارات إذا حاولوا أن يطلبوا العلاج.
- 45% لا يمتلكون أو يدخرون دولاراً واحداً.
- 24% لديهم أقل من 1000 دولار.

إن زيارة واحدة إلى غرفة الطوارئ أو العناية المركزة لفيروس «كورونا» تكلف الفرد الواحد 10 آلاف دولار، وهذا يهدد بمحو الملايين من مدخرات الأمريكيين، كما أن هناك 34 مليوناً من الناس في الولايات المتحدة لا يملكون يوماً واحداً إجازة صحية مدفوعة الأجر.

علماً بأن 45% من العاملين في فنادق الولايات المتحدة وخدمات المطاعم فقط يحصلون على تعويض إجازات مرضية، وهم أمام خيارين؛ فقدان العمل، أو الفيروس.

وكذلك فإن المدارس العامة في الولايات المتحدة، زعيم النظام العالمي، ظلت تعمل لأن الطلاب يعتمدون عليها لأجل الطعام المجاني؛ حيث إن 22 مليون طفل في الولايات المتحدة يعتمدون عليها.

وسيتم طرد 700 ألف من إيصالات الطعام المجانية في الأول من أبريل؛ وهذا سيشكل جزءاً من المجاعة، علماً بأن الملايين من الأطفال في الولايات المتحدة مشردون ويعيشون في مآوٍ مكتظة، وسيكونون على اتصال مع أشخاصٍ حاملين للفيروس، كل ذلك لا يعادل قيمة «وول ستريت».

يقول «جوزف إستيفال»، الاقتصادي الحائز على جائزة «نوبل»: «إن ديمقراطيتنا واقتصادنا في خطر كبير إذا استجبنا إلى مطالب الشركات ذات الأصوات الأعلى والأقوى، بدلاً من التفكير فيمن في الحقيقة يحتاجون الدعم».

الحقيقة أن النظام العالمي اليوم نظام أثبت فشله وفساده ومرضه وهو مُقدم على كارثة اقتصادية، ومن الطبيعي ستصبح جائحة اجتماعية متطرفة ربما تتحول إلى حرب شاملة لا يعلم مداها إلا الله؛ بسبب طبيعة وغايات تركيبة النظام الذي يقود البشرية إلى الصراعات والهاوية.

1 - فعلى المستوى الصحي، فالفيروس ما زال يتفشى ويكسب الحرب ويثبت عجز أكبر العقول على حل معضلته.

2 - وعلى المستوى السياسي، فإن هذا النظام أثبت أنانيته وفشله في قيادة ثقافية للعالم لمواجهة حرب الفيروس الصغير، وانحاز إلى الأنانية والمصلحة القومية.

البقية ص 51









الأقربون
أولى بالمعروف

لمساعدة الغارمين من النساء ومن الرجال



التبرع .. عن طريق الاستقطاع أو عن طريق كي -نت

بيت التمويل الكويتي Kuwait Finance House 011140010577

الوطني NBK 1000314577

2483 4414 - 9406 4061



AL-MUJTAMA'A

المجتمع

مجلة المسلمين في أنحاء العالم

العدد (2143) - السنة (51) - رمضان 1441هـ / 1 مايو 2020م



الخبير الاقتصادي د. فيصل المناور:

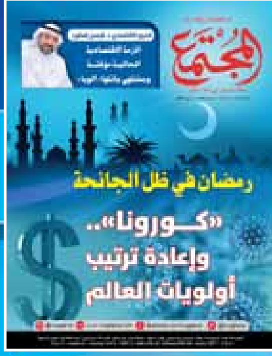
الأزمة الاقتصادية الحالية مؤقتة وستنتهي بانتهاء الوباء

رمضان في ظل الجائحة

«كورونا».. وإعادة ترتيب أولويات العالم

 @mugtama  www.mugtama.com  facebook.com/mugtama  @mugtama

الكويت 750 فلساً . السعودية 10 ريالات . البحرين دينار بحريني . قطر 10 ريالات . سلطنة عمان ريال عماني . الأردن 1.750دينار أردني . لبنان 4500 ليرة . المغرب 23 درهماً
USA $ 5 - Canada $ 6 - Australia AUD 6 - URB 3.5 - India INR 110 - Pakistan PRS 200 - Turkey TRY 7 - U.k £ 3







«المجتمع» مجلة إسلامية عالمية شاملة

تصدر أسبوعياً عن «جمعية الإصلاح الاجتماعي» بدولة الكويت، وقد صدر العدد الأول منها يوم الثلاثاء 9 من المحرم 1390هـ - 17 مارس 1970م، ومازالت منتظمة الصدور منذ ذلك التاريخ، حددت «المجتمع» هويتها في أول مقال افتتاحي بالقول: إنها «تستمد فكرها الأصيل من الإسلام، وعلى ضوئه وبمقياسه، وتتقبل - بصدر رحب - كل نقد هادف بناء، وترفض النقد الغوغائي الذي يأباه الخلق الإسلامي.. وتمد يدها لكل الناس، يداً ترفع راية الإسلام، وتبشر بالخير والبر، وتقف في تحدٍّ لخصوم الإسلام.. وتكتب في كل القضايا التي تهم أمتنا، وتعالج مشكلات المجتمع بكل جرأة وأمانة، ولن تتخلى عن قضاياه».

ومازالت «المجتمع» ماضية في طريقها الذي رسمته لنفسها؛ حيث تتناول شتى القضايا التي تهم الأمة: القضية الفلسطينية والقدس والمسجد الأقصى - قضايا الأقليات الإسلامية حول العالم - موجات الغزو الثقافي والتيارات الفكرية المحرفة - موجات الانحلال الأخلاقي وتذويب الهوية - جهود المفكرين في ترسيخ الفكر الإسلامي وتربية أبناء الأمة - معالم الاقتصاد الإسلامي ودوره في بناء النهضة والنجاحات التي يحققها في مقابل الاقتصاد الربوي الذي كان السبب الأول في الكارثة المالية العالمية.. وغيرها من القضايا.

من أجل ذلك وغيره..

تبرع وساهم معنا بتوصيل أكثر من 3000 اشتراك

- لمراكز إسلامية تلح بطلبها
- لمدارس وجامعات إسلامية
- لقراء «المجتمع» في العالم الذين لا يستطيعون اقتناءها

الدفع على حساب : 0008881094 بنك بوبيان

(IBAN): KW54BBYN0000000000000008881094

البريد الإلكتروني: sales@mugtama.com

تليفون: 0096597228290 - تلفاكس: 0096522560525

AL-MUJTAMA'A

المجتمع

مجلة المسلمين في أنحاء العالم

العدد (2143) - (السنة 51)

إسلامية أسبوعية تصدر شهرياً مؤقتاً

تأسست عام 1390هـ - 1970م

جمعية الإصلاح الاجتماعي. الكويت

رأس مجلس إدارتها

حتى 1427/8/10هـ - 2006/9/3م

عبد الله علي المطوع يرحمه الله

رئيس التحرير

محمد سالم الراشد

مدير التحرير

جمال الشرقاوي

الإخراج الفني

مصطفى عزالدين

المراسلات

العنوان البريدي: الكويت ص.ب (4850) الصفاة.

الرمز البريدي (13049)

التحرير

22519539 - 22514180

22513616 (داخلي 205).

mujtamaa@gmail.com

info@mugtama.com

الاشتراكات والتوزيع

تليفاكس: 22560525 (00965)

sales@mugtama.com

الموقع الإلكتروني

www.mugtama.com

موقع جمعية الإصلاح

www.eslah.com

طبعت بمطابع «الهدف» التجارية





في هذا العدد

موضوع الغلاف

«كورونا».. وإعادة ترتيب أولويات العالم

حركة «المجتمع» في فضاء الإعلام

أمر الله سبحانه وتعالى المسلم أن يعيش حياته نسيجاً واحداً متكاملاً شاملاً لله عز وجل، وأمره أن يكون شعاره في الحياة ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣) ﴾ (الأنعام). وأراد الإسلام من أتباعه أن يعيشوا حياتهم الاجتماعية والسياسية والعلمية والنفسية والتربوية والإعلامية، وما شئت من أسماء ومسميات مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بعرى هذا الدين سواء بسواء، ومن هذا المنطلق القيمي تنطلق «المجتمع» في فضاء الإعلام، متخذة شمولية الرسالة الإعلامية شعاراً لها؛ فتجمع بين الشأن الديني والتناول السياسي والتحليل الاقتصادي والتوجيه الأسري والتربوي.■

رأي المجتمع



فيروس «كورونا».. وتجار الإقامات

تعاني الكويت من ظاهرة تجارة الإقامات وما نتج عنها ممن يسمون بالعمالة السائبة؛ التي بات تأثيرها واضحاً على استقرار البلد باعتبارها عمالة غير منتجة، ويشكل وجودها خطراً على التركيبة السكانية للدولة، ويصعب احتواء كل هذا العدد عند الأزمات.

وكشفت أزمة فيروس «كورونا المستجد» عن بشاعة ووحشية تجار الإقامات، وتلاعبهم بمقدرات الدولة وأحلام البشر، وقد رأينا كيف يتكدس هؤلاء (العمالة السائبة) في مساكن وظروف غير صحية مطلقاً ولا تليق بالحياة الآدمية.

يدير هذه التجارة منتفعون يلتفون على القوانين، ويجلبون آلاف العمالة الوافدة ويتركونهم دون عمل، بعد أن يجمعوا منهم مبالغ طائلة لقاء الحصول على فرصة عمل، في ابتزاز رخيص، ومتاجرة بآلام الناس، وإضرار واضح للسلم الاجتماعي والوضع الاقتصادي للبلاد.

وقد زادت معاناة هذه الشريحة مع انتشار فيروس «كورونا المستجد» بالبلاد؛ لا سيما مع اضطرار السلطات الكويتية إلى اتخاذ إجراءات احترازية عديدة؛ لمواجهة الفيروس، فانقطعت مصادر الدخل بالنسبة لهم وأصبحوا بلا عمل، ولا يملكون قوت يومهم، وباتوا ملاحقين من ملاّك العقارات لعدم تمكنهم من دفع إيجارات سكنهم.

من ناحية أخرى، تسبب تكدس هؤلاء في ظروف غير صحية إلى انتشار فيروس «كورونا» بينهم؛ مما شكل عبئاً كبيراً على المرافق الصحية للدولة، وتكلفة باهظة على كاهل الميزانية.

نحن أمام كارثة حقيقية تتطلب علاجاً جذرياً وسريعاً لحماية المجتمع الكويتي الصغير منها، ومحاسبة كل من كانت يداه ملوثتين بها.

وعلى الحكومة أن تضرب بيد من حديد على هؤلاء التجار، وتكشف عن هوياتهم وتفضحهم وتقدمهم للقضاء لأخذ العقاب اللازم مهما كانت مكانتهم وأسماؤهم، حتى ينالوا جزاء ما سببوه للوطن من أضرار، وأن تحمّلهم الدولة تكاليف علاج هذه المشكلة.■

آية العدد

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى
وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ
لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ اللّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ
وَلاَ تَنقُضُواْ الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللّهَ
عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلاَ
تَكُونُواْ كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثاً
تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ
هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾﴾

(النحل)

وكلاء التوزيع:

الكويت: شركة باب الكويت للصحافة:
ت : 22272733 ف: 22272736
distribution@alanba.com.kw



السـعودية:الشركة السـعودية للتوزيع:
www.saudidistribution.com
الإدارة العامة: الرياض0096612128000
فرع الرياض: 0096612705837

فرع جدة: 0096626530909
فرع الدمام: 0096638473569

قطـر :
دار الثقافة ت: 4622182 / ف: 4621800
البحـرين :
مؤسسـة الأيام للصحافة والنشر والتوزيع
ت :725111 / ف : 723763
TURKIYE- DUNY SUPER DAGITIM
Tel: (90 -1) 5120190
Fax: (90- 1) 5140883

الاشتراكات:

الكويت: 10 دنانير كويتية
الدول العربية: 17 ديناراً كويتياً
الدول الأجنبية: 25 ديناراً كويتياً
للمؤسسات والشركات: 30 ديناراً كويتياً

تشمل عمولة التحويل

الإعـــلانات :
امتياز الإعـــلان : مجلة المجتمع
ت: 22560525 - 22560526 الكويت.



خلال ملتقى افتراضي تابعته «المجتمع» حول الأثر الاقتصادي لـ«كورونا» وانهيار أسعار النفط..

اقتصاديون كويتيون: المرحلة تتطلب تنمية اقتصادية بقيادة القطاع الخاص

أكد خبراء ومختصون اقتصاديون أن الكويت أمام فرصة أخرى للقيام بإصلاحات اقتصادية حقيقية في ظل الظروف الصعبة التي يمر بها العالم بعد جائحة «كوفيد 19».
وأشاروا، في الملتقى الاقتصادي الافتراضي الذي عقدته الجمعية الاقتصادية الكويتية، في أبريل الماضي، وتابعته «المجتمع» «أونلاين» حول «الأثر الاقتصادي لـ«كورونا» وانهيار أسعار النفط وتأثيره على الكويت»، بمشاركة خبراء في مجال الاقتصاد، أشاروا إلى أن الكويت وصلت إلى مرحلة حرجة خصوصاً مع انهيار أسعار النفط، وهو مؤشر خطير على أن النفط أصبح اليوم سلعة ليست لها قيمة.



سيف الدين باكير

تطرق مسؤول البرامج في مكتب البنك الدولي بالكويت د. رياض الفرس إلى التحديات التي ستواجهها دولة الكويت، ويمكن تلخيصها في الأمور التالية: الاضطرابات الاقتصادية العالمية حتى قبل جائحة «كورونا»، حيث كانت الأمور غير واضحة على المستوى العالمي، والمسار غير المؤكد لجائحة «كورونا» فاقم من درجة المخاطر، وكذلك زاد من احتمالات دخول الاقتصاد العالمي في مرحلة ركود، واستمرار التأخير في إصلاح الموازنة العامة يمكن أن يؤدي إلى نتائج مالية كلية غير مواتية، وتوسيع اختلال المالية العامة، وتآكل الاحتياطيات المالية.

وعن التحديات طويلة المدى، أشار إلى مدى اعتماد الاقتصاد الكويتي على النفط، ومدى نجاح تنفيذ خطط التنمية في ظل «رؤية الكويت 2035م».

وأوضح الفرس أن الخطة القادمة عنوانها تنمية اقتصادية بقيادة القطاع الخاص، وهذا سيكون تحدياً جديداً للحكومة في مدى قدرتها على تنفيذ الخطة، وتغيير النموذج التنموي الكويتي من نموذج يعتمد على الإنفاق الحكومي إلى نموذج يعتمد على قيادة القطاع الخاص، ووافقه الرأي أستاذ الاقتصاد في جامعة الكويت د. أنور الشريعان؛ أن أول تحدٍّ للاقتصاد الكويتي قدرة «الخاص» على التحول من قطاع يعتمد بشكل رئيس على الإنفاق الحكومي والمشاريع الحكومية إلى قطاع خاص مُنتج ومشارك في الناتج المحلي.

الإدارة الحكومية

وأكد الشريعان ضرورة مشاركة الجميع لمواجهة هذه الأزمة، وقال: لا بد أن نفهم نمط الإدارات الحكومية، وخصوصاً في الكويت، وتعاملها مع الأزمات، مضيفاً أن أقرب أزمة مشابهة لظروفنا الحالية هي أزمة عام 1999م، كانت الحكومة مقترضة، ولم تكن هناك سيولة مالية، وحدث أن انهارت أسعار النفط في ذاك الوقت، حينها وضعت الحكومة خطة اقتصادية لإصلاح اقتصادي، ولم ينفذ منها إلا بند واحد؛ وهو برنامج دعم العمالة وتحفيز الشباب للعمل في القطاع الخاص، وبعدها بأشهر قليلة، وبعد ارتفاع أسعار النفط، انتهت هذه الحزمة الاقتصادية وهذه الدراسة.

وتابع: في العام 2008م، كانت الأزمة العالمية قوية على كثير من دول العالم، ولكن الاحتياطيات التي خلقتها الكويت خلال السنوات التي سبقتها، بسبب ارتفاع أسعار النفط، أدت إلى عدم جدية الحكومة في اتخاذ إجراءات.

ولفت إلى أن المشكلة الأساسية في الإدارة الحكومية، مبيناً أنها إما تكون غير جادة، أو تخشى من الإصلاح بسبب الخوف، أو بسبب الظروف الرقابية أو النيابية أو غيرهما، مضيفاً أن الحكومة لا تنظر إلى الإصلاحات الاقتصادية كأولوية مهمة.

وأشار إلى أن الحكومة جادة في التعامل مع تبعات أزمة «كورونا» الآنية، متمنياً الإسراع في إقرار قانون الدين العام، وقانون منطقة الشمال الموجود في مجلس الأمة منذ أغسطس الماضي.

وقال الفرس: المشكلة في الكويت في اتخاذ القرار، ودائماً صاحب السمو يقول لهم: «اعملوا ولا تخافوا»، وأنا أعتقد أن الخلل هو في الإدارة المتوسطة بالحكومة، والجانب السياسي دائماً يتغلب على الاقتصادي.

وقال وزير المالية الأسبق بدر الحميضي: عملنا برامج

إصلاحية عديدة بعد الغزو، وخصوصاً بعد عام 1997م، وكذلك في عام 2008م، وقبل 4 سنوات كان هناك برنامج إصلاحي، وأضاف: مشكلتنا أنه كلما تحسنت أسعار النفط ننسى كل الإصلاحات، ونعتبر أن كل شيء كأن لم يكن.

سيناريو ما بعد «كورونا»

وبيَّن رجل الأعمال د. فيصل الكاظمي أن أساس التنمية الاقتصادية والاجتماعية المناسبة بالكويت في مرحلة ما بعد أزمة «كورونا»، يتطلب اعتماد سيناريو متوازن يحفظ درجة مناسبة من الرفاهية والرخاء للمواطنين، وفي الوقت نفسه؛ يحفظ من البنية التحتية والاحتياطيات، لما يضمن الحد الأدنى لمعيشة الأجيال القادمة؛ أي أن السيناريو الذي نبحث عنه يقع بين طرفين نقيضين، والسيناريو الأفضل هو سيناريو الرخاء، والسيناريو الأسوأ هو المستقبل، فسيناريو الرخاء يفترض استمرار سياستنا قبل أزمة «كورونا»، والاقتراض لسداد العجز في الميزانية، ويستمر الأمر سنة وراء سنة، وسداد ديون الدولة، وينعم المواطنون بالرفاهية والرخاء المستمر، وكلما كان هناك عجز في الرفاهية يتم الاقتراض وتزيد الديون على الدولة.

وتابع: أما سيناريو المستقبل وهو الأسوأ، أن تجد الدولة نفسها مكبلة بالديون، حيث تكون إيرادات الدولة لا تكفي لسداد الفوائد على ديونها، ويصبح من الصعب الاقتراض في المستقبل؛ الأمر الذي يؤدي إلى تقليل سعر صرف الدينار الكويتي أمام العملات الأجنبية الأخرى؛ مما قد يترتب عليه ارتفاع قيمة الواردات، وترى الأجيال القادمة سلسلة مستمرة من الغلاء المستمر، وانخفاض القوة الشرائية للدينار.

وقال النائب السابق في مجلس الأمة الكويتي رئيس منظمة «برلمانيون عرب ضد الفساد» د. ناصر الصانع: هذه الجائحة هي بمثابة فرصة أخرى، أو الفرصة رقم (3) للاقتصاد الكويتي، فنحن ضيعنا الفرصة ما بعد التحرير، وكان حينها لدينا طموح، ولكننا لم نستطع تحقيقها نظراً لوجود أسباب متعددة، وحينما حدثت الأزمة الاقتصادية في العام 2008م، كانت لدينا أمنيات، ومع ارتفاع أسعار النفط، نتناسى كل ما كنا نطمح إلى تحقيقه من آمال.

وأشار الصانع إلى أن سعر النفط مهما صعد، سيظل نازلاً، فالأزمة الاقتصادية صعبة جداً علينا، وقانون الدين العام مطروح في الأساس، وتم توقيعه من وزير المالية قبل مجيء «كورونا»، فما بالك ما بعد «كورونا»، بالطبع ستكون الأزمة أكثر حدة.

وتساءل: إن كان هناك توجه أو قرار عند الدولة بإعادة هيكلة الاقتصاد، ما الجديد الذي ستضيفه، ولم يتوصل إليه المسؤولون من قبل؟ لافتاً إلى أن كل ما طُرح من تنويع الاقتصاد وإعادة هيكلة الميزانية، كل ذلك تم تداوله من قبل.

وقال: ينبغي أن تكون هناك حكومة جريئة، تضع النقاط على الحروف، الإرادة السياسية لم تتوفر لتأخذ خطوة حقيقية في الإصلاح، جزء من التردد في الإصلاح أن من يضع أجندة للإصلاح لا يستطيع تنفيذها أو ترجمتها على أرض الواقع، فالقرار السياسي يأخذها بمسار عكس مما كان متوقعاً.■



حوار- سعد النشوان:

يرى د. فيصل المناور، الخبير الاقتصادي وأستاذ السياسات العامة، أن الركود الاقتصادي الحالي حالة مؤقتة نتيجة إغلاق الأسواق بسبب جائحة «كورونا»، ولن يكون مستداماً، لكنه أكد أن الدول كي تنقذ نفسها تحتاج إلى خطط وإستراتيجيات لمعالجة الاختلالات الاقتصادية.

وأشار، في حواره مع «المجتمع»، أن الاقتصادات الخليجية والعربية في مرحلة ما بعد «كورونا» ستعود لأوضاعها الحالية، ولن تكون هناك معالجات للاختلالات الاقتصادية القائمة؛ لأن مستوى كفاءتها وفعاليتها ضعيفة، بالإضافة إلى ضعف مستوى التعليم الذي لا يخلق مبدعين ومؤهلين لقيادة التغيير المنشود.

الخبير الاقتصادي د. فيصل المناور لـ«المجتمع»:

الأزمة الاقتصادية الحالية مؤقتة وستنتهي بانتهاء جائحة «كورونا»

● ما مستقبل اقتصاد الكويت والدول الخليجية في ظل تداعيات أزمة «كورونا»؟

- دول الخليج تعتمد بشكل كبير على مصدر واحد للدخل وهو النفط، ما يجعلها في مصيدة تذبذب الأسعار، وهو أمر بطبيعة الحال لا يخدم العملية التنموية والقطاع الاقتصادي، وكذلك هناك ضعف في مساهمة القطاع الخاص في الناتج المحلي الإجمالي.

في نظري، يمكن الحل لضمان الاستدامة الاقتصادية لدول الخليج في توسيع القاعدة الإيرادية من خلال التوجه نحو التنويع الاقتصادي، وخلق قطاع خاص قوي يساهم بشكل أكبر في الناتج المحلي الإجمالي لهذه الدول.

● هل لدى الحكومة الكويتية خيار آخر غير الاقتراض لتمويل الميزانية العامة في ظل هبوط أسعار النفط؟

- لدى الحكومة الكويتية خيارات عديدة لتمويل الموازنة العامة غير الاقتراض؛ لأن مسألة الاقتراض مرتبطة بقدرة المؤسسات المالية على إدارة الدين العام؛ حيث إني أجد أن هذه المؤسسات ضعيفة جداً، ولا تتوفر لدينا ما يعرف بالكفاءة المالية والكفاءة المؤسسية لإدارة هذا الدين؛ مما قد يدخلنا فيما يعرف بالحلقة المفرغة للدين العام؛ مما سيؤدي في النهاية إلى عجوزات أعمق وأكبر، يمكن في هذه الحالة استخدام الاحتياطات العامة والمبالغ المحجوزة التي بحوزة المؤسسات الاقتصادية الأخرى، على أن تقوم الحكومة بتغطيتها مستقبلاً، كما يمكن للحكومة أيضاً تأسيس صندوق استثماري يدعم الموازنة العامة.

البدائل المطروحة أمام الاقتصاد الكويتي والخليجي هي التنويع الاقتصادي والإنتاج واقتناص الفرص الاستثمارية

بعد نهاية الجائحة سيعود الطلب العالمي على النفط وترتفع معه عملية الإنتاج ومن ثم ترتفع الأسعار

● قال صندوق النقد الدولي: إن الكويت تمتلك مصدات مالية لمواجهة تداعيات «كورونا» على الاقتصاد، ففيمَ تتمثل هذه المصدات؟

- تتمثل هذه المصدات في أسلوب العمل التحوطي للكويت، وذلك من خلال اعتماد سعر التعادل في الموازنة بأقل ما يمكن؛ حيث حددت الحكومة سعر التعادل بنحو 55 دولاراً للبرميل، بخلاف دول الخليج التي اعتمدت سعراً أعلى بكثير، وكذلك اعتبر صندوق النقد الدولي أن الاحتياطات العامة للدولة بمختلف صناديقها أهم تلك المصدات التي تحقق الحماية للوضع المالي لدولة الكويت.

● صندوق النقد الدولي نصح الحكومة الكويتية بفرض ضرائب على دخل الشركات، فهل هذا يعتبر حلاً ولو جزئياً للأزمة؟

- صندوق النقد الدولي يعمل وفق أجندة رأسمالية، تعتمد على أسلوب الجباية، ولكن فرض الضرائب على الشركات يوسع من القاعدة الإيرادية للدولة، ولكن بشرط ألا يتضرر المواطن من هذه الضريبة، بحيث لا يتم تحميل هذه الضريبة على المواطن من خلال زيادة الأسعار.

وقد تقوم الحكومة مستقبلاً بفرض ضرائب على الشركات تمهيداً لإدخال جميع

أنواع الضرائب في البلاد، ولكن باعتقادي سيتضرر المواطن في ظل ضعف عملية المشاركة في اتخاذ القرار على مستوى المجتمع، مما سيخلق معاناة وضرراً على المستوى المعيشي للأسر الكويتية.

● ما البدائل المتاحة أمام اقتصاد الكويت والدول الخليجية؟

– كما قلت، فإن البدائل المطروحة أمام الاقتصاد الكويتي والاقتصادات الخليجية الأخرى العمل على التنويع الاقتصادي، والإنتاج، وزيادة العمل على اقتناص الفرص الاستثمارية التي تخلق قيمة مضافة للاقتصاد الكويتي والخليجي.

● أين يتجه الاقتصاد الخليجي والعربي بعد أزمة «كورونا»؟

– أعتقد أن الاقتصادات الخليجية والعربية في مرحلة ما بعد «كورونا» ستستمر في أوضاعها الحالية، ولا أعتقد أنه ستكون هناك معالجات للاختلالات الاقتصادية القائمة؛ لأن مستوى كفاءتها وفعاليتها ضعيفة، بالإضافة إلى ضعف مستوى التعليم الذي لا يخلق لك مبدعين ومؤهلين لقيادة التغيير المنشود، كما أن المشاركة السياسية في اتخاذ القرار ضعيفة؛ لأن المنهج المتبع حالياً هو منهج «لا أسمع إلا نفسي»، وهو منهج يولد مزيداً من التخلف والمشكلات.

● بعد انهيار النفط الأمريكي، إلى أين يتجه الاقتصاد الخليجي والعربي؟

– انهيار النفط الأمريكي ليست مشكلة؛ لأن الانهيار كان نتيجة مضاربة في العقود الآجلة، وكذلك لم يكن هناك طلب عليه في يوم الانهيار، وعدم توافر مساحة لتخزين النفط المنتج، هي باختصار حالة عرضية، ودول الخليج والكويت يواجهون انخفاض الأسعار نتيجة جائحة «كورونا» التي خفضت الطلب العالمي، وأضعفت من الإنتاج بسبب إغلاق الأسواق، وأعتقد بعد نهاية الجائحة سيعود الطلب العالمي على النفط، وترتفع معه عملية الإنتاج ومن ثم ترتفع الأسعار؛ باختصار هي أزمة مؤقتة.

● هل ستدفع أزمة وباء «كورونا» إلى الدخول في حالة ركود اقتصادي؟

– أرى أن الركود الاقتصادي الحالي حالة مؤقتة نتيجة إغلاق الأسواق بسبب جائحة «كورونا»، ولا أعتقد أنه سيكون مستداماً؛ لأنه مرتبط بمدى تطور واستمرار الجائحة؛ فهو مستمر باستمرار تفشي الوباء.

● كيف يمكن إنهاض بلدان أصيب اقتصادها بالشلل التام؟

– في رأيي، الدول كي تنقذ نفسها تحتاج إلى خطط وإستراتيجيات لمعالجة الاختلالات الاقتصادية التي تعاني منها، وأن تعمل على تنويع اقتصاداتها، وتحارب الفساد وهدر الأموال، وتعزز من الاستثمار فيما يحقق قيمة مضافة للاقتصاد وتعمل على حوكمة مؤسساتها.

● ما تأثير انخفاض النفط على قطاع الأعمال؟

– طبيعي أن يتأثر قطاع الأعمال في ظل هذه الجائحة، وكذلك اهتزاز أسعار النفط والأنشطة المرتبطة به؛ وذلك لأن الأسواق حالياً مغلقة؛ مما يترتب عليها التزامات كبيرة في ظل ضعف الإيرادات.

● محافظ البنك المركزي أعلن أن الأزمة ستفوق ما خلفته الحرب العالمية الثانية من أزمات اقتصادية، كيف ذلك؟

– بالنسبة لتصريحات محافظ البنك المركزي لا آخذها على محمل الجد؛ لأن المنشآت وقطاع الأعمال والاقتصاد لم تتعرض إلى تدمير كما حصل في الحرب العالمية، لأن كل خطوط الإنتاج موجودة وعوامل الإنتاج وخطوط النقل واللوجستيات متوافرة، كل ما في الأمر أن الأسواق مغلقة بشكل مؤقت حتى تحدث الانفراجة.

● ما تأثير الأزمة الاقتصادية على العمالة في الكويت؟

– سيكون التأثير على العمالة الوطنية محدوداً؛ نتيجة أن أغلبهم موظفون في الدولة، وكذلك موظفو القطاع الخاص سيكون التأثير عليهم محدوداً أيضاً نتيجة دعم العمالة وبرامج الحماية لهم، أما العمالة الوافدة فسيقع عليهم الأثر الأكبر بسبب ارتباطهم بقطاع الأعمال، وكذلك العمالة الهامشية نتيجة تعطل الأعمال أيضاً.

سيكون التأثير على العمالة الوطنية وموظفي القطاع الخاص محدوداً وسيتأثر بصورة أكبر العمالة الوافدة

د. فيصل المناور.. في سطور

أستاذ للسياسات العامة، وحاصل على ماجستير في إدارة الأزمات، وماجستير في الاقتصاد السياسي، ودكتوراه في السياسات العامة، كما أن له العديد من الأبحاث والدراسات العلمية المحكّمة في مجالات الاقتصاد والتنمية والإدارة العامة، وهو عضو في هيئات تحرير عدد من التقارير المحلية والإقليمية في المجالات التنموية.■

● ما الدور المنوط بالحكومة تجاه تلك الأزمة؟

– تحتاج الحكومة إلى أن تعمل وفق منهجيات إدارة الأزمات الفعالة، وألا تخضع –إذا كانت تسعى إلى النجاة من الأزمة– لأصحاب النفوذ والمصالح الضيقة، وأن توسِّد الأمر لأهله فيما يتعلق بإدارة الأزمات، وأن تجعل المصلحة العامة نصب أعينها، وألا تتخذ قرارات تكلف الدولة الكثير ولها آثار سلبية كأن تتجه للدين العام.

● ما وجه الشبهة بين أزمة عام 2008 و2020م؟

– هناك اختلاف بين أزمة عام 2008م وجائحة «كورونا»، لأن الأولى كانت نتيجة اختلالات عميقة في الاقتصاد العالمي بسبب الرهن العقاري والمشتقات المالية وغيرها، وامتدادها لم يكن مرهوناً بأزمة أخرى، أما جائحة «كورونا» فتسببت في إغلاق الأسواق؛ بمعنى آخر: الأزمة الاقتصادية الحالية هي أزمة فرعية وليست أزمة رئيسة، لذلك ستنتهي الأزمة الحالية بانتهاء الجائحة.

● «كورونا» والاقتصاد، كيف ومتى سنتعافى؟

– ستنتهي الأزمة بإيجاد لقاح لفيروس «كورونا»، وذلك بعد أمر الله سبحانه وتعالى، وهذا الأمر مرتبط طبعاً بالاقتصاد وفتح الأسواق وعودة النشاط الاقتصادي، لكن المطلوب معالجة الاختلالات الاقتصادية، ومحاربة الفساد وهدر المال العام، والاتجاه نحو التنويع الاقتصادي.■

أكَّد أن الجمعيات الخيرية تُشمِّر عن سواعدها لمساندة الجهات الحكومية..

نائب رئيس مجلس الإدارة الأمين العام لجمعية الرحمة العالمية يحيى العقيلي:

تأمين صحي رباني شامل ووصفة نبوية للتعامل مع «كورونا»

كتب- محرر الشؤون المحلية:

أكَّد نائب رئيس مجلس الإدارة الأمين العام لجمعية الرحمة العالمية يحيى سليمان العقيلي أنَّ الجمعيات الخيرية والإنسانية بادرت واتفقت على تقديم الدعم للحكومة في مجالات، منها: المجال الإعلامي، وتقديم الدعم اللوجستي، وتسجيل أكثر من 500 متطوع من الفرق التطوعية التابعة للجمعيات الخيرية، وتقديم الدعم للأسر المتعففة داخل الكويت.

وأوضح العقيلي أن المواطنين والمقيمين على أرض الكويت أظهروا درجة عالية من التلاحم والتضامن في ظلِّ أزمة فيروس «كورونا»، فسواعدهم رسمت لوحة وطنية أعادت للأذهان فزعتهم إبان الظروف المختلفة التي تمر بها البلاد.

وتطرق العقيلي، في حوار له مع جريدة «الأنباء» الكويتية، عن تأمين صحي رباني شامل، ووصفة نبوية فاعلة للتعامل مع وباء «كورونا»، هذا التأمين الرباني يبدأ أولاً بالإيمان بالقضاء.



• بداية، نريد الحديث عن وباء «كورونا»، وكيف غيَّر النظرة البشرية؟

- الحدث الذي يعيشه العالم اليوم فريد من نوعه، حيث إنه غيَّر موازين كثيرة في العالم، وقد جاء هذا الحدث في ظلِّ طغيان الجانب المادي، وتفشي الظلم في البشرية بشكل غير مسبوق، فالله عز وجل يخوف الناس بما شاء من آية لعلهم يعتبرون، أو يذّكّرون، أو يرجعون، فقد قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفاً﴾ (الإسراء: 59)، والمؤمن هو الذي يعتبر ويتعظ؛ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (ق: 37)، فلقد تغيرت موازين القوى الاقتصادية في العالم، فبعد انجلاء هذا الوباء لا بدَّ أن يكون للعالم أجمع بداية جديدة، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ (الأنعام: 42)، فالتضرع وإخلاص العبادة لله والتذلل إلى الله عز وجل بالطاعة والعظة أمور مطلوبة، وهذا الوباء له العديد من الإيجابيات، منها: أن العالم بدأ ينظر إلى الأعلى، وبدأ يشعر

بأنه لا ملجأ من الله إلا إليه.

● **كيف ساهم هذا الفيروس في تلاحم المجتمع الكويتي؟**

- في كلِّ الأزمات التي مرت على تاريخ الكويت، كان التلاحم الشعبي هو الحصن الذي يقي هذه البلاد من منزلقات خطيرة، وهذا ما رأيناه واضحاً جلياً في أزمة كورونا، بل وفي هذه الأزمات نرى كثيراً من المبادرات الإنسانية والتطوعية، لتشكل في النهاية مع الجهود الحكومية سداً منيعاً لحماية الكويت وشعبها، ولقد أظهر المواطنون والمقيمون على أرض الكويت درجة عالية من التلاحم والتضامن، في ظلِّ أزمة فيروس «كورونا»، فسواعدهم رسمت لوحة وطنية أعادت للأذهان فزعتهم إبان الظروف المختلفة التي مرت بها البلاصد، حيث يؤكدون في كلِّ مرة أنهم أهل للمسؤولية الوطنية.

● **نريد الحديث عن دور الجمعيات الخيرية والإنسانية في مواجهة «كورونا».**

- بداية، لا بدَّ أن نعلم أن الجمعيات الخيرية والإنسانية في الكويت صاحبة تجربة عريقة في التصدي للأوبئة والأمراض في المجتمعات الفقيرة، سواء أكانت في بعض الدول الأفريقية أو الآسيوية، من خلال بناء المستشفيات والمراكز الصحية وتدشين القوافل الطبية، ومنها: المتخصصة في بعض الأمراض، إضافة إلى تميزها في إنشاء العيادات المتنقلة وغيرها من المشروعات الصحية؛ لذا نجد أن الجمعيات الخيرية كان لها مساهمة ومبادرة واضحة، حيث تمَّ تشكيل تحالف بين الجمعيات الخيرية بمبادرة من الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية، وكذلك اتحاد المبرات والجمعيات الخيرية، كما أن هذا التحالف ضمَّ مؤسسات حكومية معنية، منها: وزارة الصحة، والداخلية، ثم تطور هذا التحالف إلى مشاركة باقي مؤسسات المجتمع المدني، فأصبح هناك منصة شاملة فيها قيادات العمل الخيري والحكومي ذات الصلة لمواجهة هذا الوباء، وأصبح العمل منظماً يدار بروح ومهنية عالية، وقد نشأ عنه العديد من الفرق، وهي فرق تنفيذية تقدم الدعم اللوجستي لدعم المحتاجين، والإعلام، والتوعية، فهناك عمل من الناحية المؤسسية رائع جداً والحوار على مدار الساعة.

● **وما دور هذه الفرق في مواجهة «كورونا»؟**

- بادرت الجمعيات الخيرية والإنسانية في الكويت من خلال هذا التحالف، واتفقت على تقديم الدعم للحكومة في ثلاثة مجالات، منها الإعلامي من خلال إيصال رسائل توعوية للمواطنين بالتعاون مع وزارة الصحة، وتسخير جميع الأجهزة الإعلامية التابعة للجمعيات لهذا الغرض، وقد قام العديد من الجمعيات، ومنها جمعية الرحمة العالمية، بنشر الفيديوهات التوعوية والمنشورات على حساباتها على مواقع التواصل الاجتماعي، وكان الهدف من هذه الجهود التوعوية وضع الأمور في نصابها، والالتزام بإرشادات وتوجيهات وزارة الصحة، وعدم التهوين أو التهويل من تداعيات هذا الفيروس، وذلك ضمن الخطة الوقائية والعلاجية للوزارة.

أما المجال الثاني؛ فكان من خلال تقديم الجمعيات الخيرية الدعم اللوجستي للجهات المعنية، إذ ناقش المجتمعون الاحتياجات اللوجستية والخدماتية التي ستقدمها لوزارة الصحة، وتمَّ الاتفاق على التنسيق المباشر معها بهذا الشأن، فهذا الظرف الحرج والطارئ يتطلب تضافر الجهود بين المؤسسات الرسمية والأهلية والقطاع الخاص من أجل العمل معاً على توفير الاحتياجات والمستلزمات والبرامج الداعمة لجهود مكافحة الوباء.

أما الجانب الثالث؛ فيتمثل في لقاءات موسعة مع الفرق التطوعية التابعة للجمعيات الخيرية التي وجهت الدعوة إليها من وزارة الصحة التي ستتولى تقديم شرح للدور المطلوب من المتطوعين لجهة الاحتياجات والخبرات والقدرات والفترة الزمنية المطلوبة

بعد انجلاء هذا الوباء لا بدَّ أن يكون للعالم أجمع بداية جديدة فقد تغيرت موازين القوى الاقتصادية

في الأزمات التي مرت بالكويت كان التلاحم الشعبي هو الحصن الذي يقيها من منزلقات خطيرة

بيان بالمشروع والمستفيدين				
م	بيان	اسم المشروع	المستفيدون	
			أفراد	أُسر
1	داخل دولة الكويت	دعم العمالة المتضررة ببطاقات صرف	13.470 (جاري تقديم الدعم)	
2		دعم الأسر 3 أفراد فأقل ببطاقات صرف	1.828	746
3		دعم الأسر 4 أفراد فأكثر ببطاقات صرف	7.212	1.320
4		دعم الأسر بسلات غذائية	1.897	400
5		دعم المحاجر والمستشفيات	6.445	
6	خارج دولة الكويت	دعم الطلبة والمواطنين في الدول بالخارج	27.484	
7		العائدون على الخطوط الكويتية بحقائب ومستلزمات تعقيم	40.130	
إجمالي			98.466	2.466





من كل متطوع، إضافة إلى تقديم الدعم للأسر المتعففة داخل الكويت والمحتاجين.

● ولكن نريد أن نتعرف على جهود جمعية الرحمة العالمية تحديداً.

- جمعية الرحمة العالمية كانت تعمل من خلال محورين:

الأول: يتمثل في دعم جهود الدولة الخارجية؛ حيث قامت بتوزيع 10 آلاف سلة وقائية على الطلبة الكويتيين وأهاليهم في بريطانيا، فيما قامت بتوزيع 800 سلة وقائية بالتعاون مع الجمعية الكويتية للإغاثة وجمعية الإصلاح الاجتماعي على المواطنين في تركيا، فيما قامت بتوزيع 350 سلة وقائية بالتعاون مع جمعية الإصلاح الاجتماعي على الطلبة الموجودين في أيرلندا، وقامت بتوزيع 1500 سلة غذائية و500 سلة وقائية، وذلك بالتعاون مع الجمعية الكويتية للإغاثة وجمعية الإصلاح الاجتماعي في الأردن، فيما قامت بتوزيع 450 سلة غذائية و450 سلة وقائية على الطلبة والطالبات الكويتيين في أستراليا، وذلك بالتعاون مع الأمانة العامة للأوقاف، فيما قامت بتوزيع 300 سلة وقائية على الكويتيين المتواجدين في فنادق فيينا، وذلك بالتعاون مع سفارة دولة الكويت.

كما قامت بتوزيع 350 سلة وقائية على طلبة الكويت في فرنسا، وذلك بالتعاون مع الاتحاد الوطني لطلبة الكويت، كما تم توزيع سلات وقائية على طلبة الكويت في الولايات المتحدة الأمريكية الذين بلغ عددهم 11 ألف طالب وطالبة مع أهاليهم، كما تم توزيع 400 سلة غذائية و480 كوبوناً شرائياً و1000 وجبة ساخنة لمتضرري «كورونا».

وقامت «الرحمة» بتقديم أكثر من 30 ألف حقيبة وقائية بالتعاون مع الخطوط الجوية الكويتية ووضعها على مقاعد الركاب، في إطار دعم خطة الدولة لإجلاء المواطنين الكويتيين من الخارج، كما قامت بتجهيز 5 مدارس، و3 محاجر صحية بالفرش والطاولات والكراسي المتحركة والثابتة والمستلزمات الأساسية، وذلك بالتعاون مع وزارة الصحة والجيش الكويتيين.

وقد بث العديد من الفيديوهات التوعية، منها: رسالة عن «تأمين صحي ربّاني شامل ووصفة نبوية فاعلة للتعامل مع الأوبئة»، وتمَّ ترجمتها إلى 10 لغات، هي: البوسنية، الألبانية، الفرنسية، الألمانية، النرويجية، الرومانية، البولندية، الإيطالية، الأوكرانية، الإنجليزية، وتمَّ توزيعها على جميع المؤسسات المتعاونة مع الرحمة العالمية في هذه الدول لنشرها على مواقعها والاستفادة منها، كما بث مجموعة من الفيديوهات التوعوية، منها سلسلة «ماذا تعلمت من كورونا؟»، كما نشرت سلسلة توعوية لرئيس مجلس الإدارة الشيخ د. جاسم مهلهل الياسين.

كما تمَّ تسجيل أكثر من 500 متطوع ومتطوعة في العمل التطوعي لمواجهة فيروس «كورونا» عن طريق جمعية الرحمة العالمية، بالتعاون مع الجمعية الطبية الكويتية ووزارة الصحة، وتمَّ إبلاغ الجهات المعنية باستعداد الجمعية لتقديم الدعم والإسناد الإداري، كما قامت بنشر فيديو بمشاركة المستفيدين من الأيتام من أكثر من 27 دولة بالدعاء للكويت أن يحفظها الله وأهلها من كلِّ سوء، وأصدرت العديد من التصميمات وتم نشرها عبر وسائل التواصل الاجتماعي لبث الطمأنينة في المجتمع، كما أصدرت فيديو توعوياً بعنوان «لمتنا الحلوة في البيت»؛ للتوعية بالاستفادة من وقت الأسرة داخل البيت، كما أصدرت سلسلة فيديوهات تحت عنوان «تعلمنا من أزمة كورونا»، أكدت خلالها تعاون وتكاتف المجتمع الكويتي خلال تلك الأزمة.

الجمعيات الخيرية بالكويت صاحبة تجربة عريقة في التصدي للأوبئة والأمراض بالمجتمعات الفقيرة

«الرحمة» شاركت بتوزيع 300 سلة وقائية على الكويتيين بفنادق فيينا و350 سلة وقائية على طلبتنا بفرنسا

● نريد أن نتعرف على الوصفة النبوية للتعامل مع الأوبئة؟

- في هذه الأجواء، هناك تأمين صحي رباني شامل، ووصفة نبوية فاعلة في مواجهة «كورونا»، هذا التأمين الرباني يبدأ أولاً بالإيمان بالقضاء، فهذا هو قضاء الله عز وجل، ولا نقول إلا الحمد لله على السراء والضراء، ففي صحيح مسلم عن صهيب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له».

أما الأمر الثاني؛ فإن هذا الوباء سيزول، فقد ثبت في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء»، فلنوقن أنه سيزول بإذن الله تعالى، ولنبذل الأسباب النفسية والطبية والإيمانية.

أما الأمر الثالث؛ فيتمثل في الدعاء، فقد أمرنا الله هذا وجل به، وفي التنزيل: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (غافر: 60)، فلا يرد القضاء إلا الدعاء، كما يتمثل أيضاً في التحصن بالأذكار، فقد روى الترمذي، وابن ماجة، وأبو داود عن عثمان بن عفان قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ما من عبد يقول في صباح كل يوم ومساء كل ليلة: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء، وهو السميع العليم ثلاث مرات فيضره شيء»، وغيرها من الأذكار.

والأمر الرابع؛ يتمثل في الالتزام بالتعليمات ونتبع الإرشادات، ونستمع إلى المعلومات الصحيحة حتى لا يكون هناك تشويش.■



أكد د. خالد الشطي، رئيس مركز الكويت لتوثيق العمل الإنساني، أن العمل الخيري الكويتي أثبت جدارته ومسؤوليته وقدرته على التفاعل في أزمة «كورونا»، والكويت أصبحت اليوم متميزة ورائدة في هذا المجال؛ سواء على المستوى الحكومي أو الأهلي والتطوعي والإنساني.

وأشار، في حواره مع «المجتمع»، إلى أن الجميع على مستوى العالم يشيد بنزاهة وشفافية ومصداقية العمل الخيري الكويتي، والدليل على ذلك الثقة الكبيرة للمتبرعين الذين ترجموها في هذا الكم الكبير من التبرعات التي تم جمعها خلال الأزمة؛ فالمتبرع، ورجل الأعمال، والقطاع الخاص، لا يتبرعون إلا إذا كانت لديهم ثقة فيمن يتبرع له.

د. خالد الشطي رئيس مركز الكويت لتوثيق العمل الإنساني (فنار) لـ«المجتمع»:

العمل الخيري الكويتي أثبت جدارته في مواجهة أزمة «كورونا»

كتب - سعد النشوان:

شُكلت 5 منصات للدعم الإعلامي واللوجستي وهناك تنسيق بين الجمعيات التي تعمل من خلال هذه المنصات

العمل الخيري ليس منزهاً لكن الجمعيات الخيرية تحاول تقويم العمل وتصحيح الأخطاء إن وُجدت

• بداية، في ظل الأزمة التي نعيشها هل يمكن أن نقول: لقد بدأ التحالف الخيري لمواجهة جائحة «كورونا»؟ وهل هو بداية للعمل الخيري المشترك؟

- عند الأزمات والمحن تأتي المنح، ففي عام 1987م، كانت هناك جائحة في بنجلاديش بسبب الفيضانات، وانطلقت الجمعيات الخيرية لإغاثتها، وطلب أمير القلوب الشيخ جابر رحمه الله حينها من الجمعيات الخيرية الكويتية التي تقوم بعمل الإغاثة في بنجلاديش أن تقوم بتنسيق جهودها، وبالفعل تم تشكيل وتأسيس اللجنة الكويتية المشتركة للإغاثة في العام نفسه (1987م)، واستمرت بعملها الإغاثي في بنجلاديش وفي كثير من الدول، والآن أصبحت جمعية خيرية، وهي الجمعية الكويتية للإغاثة، هذا ما يتعلق بالتنسيق الخارجي، وهو موجود على مستوى العمل الخيري الكويتي خارج دولة الكويت.

والآن مع جائحة «كورونا» في عام 2020م، انطلقت أيضاً مبادرة للتحالف الخيري الأهلي، برعاية وإشراف من وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل، اشتركت فيها الجمعيات والمبرات الخيرية، خصوصاً أن لدينا في الكويت نحو 50 جمعية خيرية، و80 مبرة خيرية، و160 جمعية أهلية، ولدينا أيضاً مؤسسات خيرية حكومية، مثل الأمانة العامة للأوقاف، ووزارة الأوقاف، وبيت الزكاة، ولدينا ما يقارب 300 فريق تطوعي.

هذا التحالف الخيري تم تسميته من خلال مجلس الوزراء الموقر «الحملة الوطنية للجمعيات الخيرية لحشد الجهود في مواجهة فيروس كورونا»، وهو بإذن الله تعالى بداية للتنسيق، وبالفعل تم تشكيل 5 منصات للدعم الإعلامي واللوجستي، ودعم الأسر والعمالة المتضررة، ودعم أهلنا وطلابنا في الخارج.

وحالياً نشهد تسيقاً جيداً ومتميزاً بالنسبة للجمعيات الخيرية التي تعمل من خلال هذه المنصات الخمس، بكل فعالية،



ولعل موافقة وزارة التجارة في أزمة «كورونا» للسماح للجمعيات الخيرية للاستيراد من خارج الكويت يعطينا أيضاً نوعاً من الاطلاع على التفاعل والتنسيق المشترك بين الجمعيات الخيرية؛ حيث تشكّلت لجنة من الجمعيات الخيرية لهذا الغرض، وهو التنسيق حول الاحتياجات من المواد الغذائية وغيرها، والعمل على شرائها من خارج الكويت، وبالفعل بدأت اللجنة بالعمل، وتم تحديد الاحتياجات، وعمل عروض أسعار، وسيتم جلب مواد، سواء أكانت طبية أو إغاثية أو غذائية من الخارج، بتشكيل لجنة مشتركة من الجمعيات الخيرية.

● كيف أثبت العمل الخيري جدارته، خاصة في التفاعل مع أزمة «كورونا»؟

– نعم، لقد أثبت العمل الخيري جدارته، ومسؤوليته، وقدرته على التفاعل في أزمة «كورونا»، وسمو الأمير، حفظه الله ورعاه، أشاد بهذا الجهد الكبير، وفي كلمته التلفازية شكر المتطوعين والمؤسسات التطوعية، وأيضاً سمو رئيس مجلس الوزراء شكر الجمعيات الخيرية على جهودها، عند لقائه معهم، ووزيرة الشؤون الأخت مريم العقيل أشادت بجهود الجمعيات الخيرية، ووكيل وزارة الشؤون في أكثر من موطن وموقع أشاد بالجمعيات الخيرية، ومما قاله: «نحن فخورون بما تقوم به الجمعيات الخيرية في مكافحة فيروس كورونا»، وهناك إشادة من الأخت هناء الهاجري، وكيلة وزارة الشؤون، التي قالت: «يعجز اللسان عن شكر الجمعيات الخيرية لما تقوم به هذه الأيام من جهود في أزمة كورونا»، وهذا الشكر وذاك الثناء يحمّل الجمعيات الخيرية الأمانة على بذل المزيد من العطاء والتميز في خدمة المحتاجين والأسر المحتاجة.

● ما ضرورة توثيق العمل الخيري الخاص بأزمة «كورونا»؟

– نحن نحتاج إلى توثيق هذه الأعمال الخيرية العظيمة، فالكويت اليوم متميزة ورائدة في مواجهة أزمة «كورونا»، سواء على المستوى الحكومي أو الأهلي والتطوعي والإنساني، وحالياً يفكر مركز «فنار» بعمل آلية لتوثيق الجمعيات الخيرية لأزمة «كورونا» وجهودها، وأيضاً سيتم إطلاق مسابقة محلية، تشارك فيها القطاعات الحكومية والأهلية والقطاع الخاص، والفرق التطوعية، والمبادرات الفردية، للتنافس حول أفضل توثيق للعمل الخيري.

ونحن في مركز «فنار» نقوم بتوثيق العمل الخيري عبر تاريخ الكويت، ولنا مجموعة إصدارات وكتب وبرامج إذاعية وتلفازية، ومكتبة إلكترونية، وموقع إلكتروني، سيتم تدشينه هذه الأيام بإذن الله عز وجل، وأيضاً عبر مجلة «فنار» التي تقوم بتوثيق العمل الخيري، سواء قديماً أو حديثاً.

● هناك كلام وأقاويل على وسائل التواصل تشكك في العمل الخيري الكويتي؛ فما تعليقكم على هذا الأمر؟

– العمل الخيري الكويتي عمل رائد، ومتميز، وشفاف، وأصيل، والأمم المتحدة اليوم تُطلق على الكويت «مركز العمل الإنساني»، ومنظمات الأمم المتحدة تشيد بالعمل الخيري الكويتي، وحتى الجهات القانونية والرقابية؛ سواء الدولية أو المحلية أو الإقليمية، تشيد بالعمل الخيري الكويتي، وأنه بعيد كل البعد عن الإرهاب ودعمه، وبعيد كل البعد عن العمل الإداري غير الجيد، وهناك شهادات كثيرة أخرى، وجوائز كثيرة مُنحت للمؤسسات الخيرية الكويتية؛ لعملها المنظم، فيما يتعلق بالجودة الإدارية (الآيزو)، والحوكمة، والشفافية، والعمل المتقن، وهناك رقابة شرعية، ومالية، ومحاسبية، وإدارية، وداخل المؤسسات الخيرية تجد رقابة شرعية وإدارية، ومجالس إدارات، ولجان تدقيق، ومكاتب تدقيق، وهذا هو الذي أهَّل العمل الخيري الكويتي لأنْ يكون أمام الأمم المتحدة أن الكويت هي «مركز العمل الإنساني».

والجميع على مستوى العالم يشيد بنزاهة وشفافية ومصداقية العمل الخيري الكويتي، والدليل على ذلك أن تبرعات أهل الكويت كبيرة جداً للعمل الخيري، والمتبرع، ورجل الأعمال، والقطاع الخاص، لا يتبرعون إلا إذا كان هناك مصدر ثقة لمن يُتبرع له؛ فكونك تجمع أكثر من 200 ألف متبرع في يوم واحد، وحصيلتها 9 ملايين دينار، للجمعيات الخيرية في الكويت، هذا يعطيك دليلاً على مصداقية وشفافية وثقة المجتمع الكويتي في العمل الخيري الكويتي.

وبالنسبة لحملة جمع التبرعات «فزعة للكويت» لمواجهة جائحة «كورونا»، اتفقت 41 جمعية خيرية كويتية على التنازل عن النسبة الإدارية التي تؤخذ قانوناً وشرعاً، من أجل تقديم المساعدات للأسر المتضررة، والعمالة المتضررة داخل الكويت، هذا هو الأمر الأول.

أما الثاني، فهناك الكثير ممن يشكك في العمل الخيري الكويتي أو ينتقده، من خلال وسائل التواصل الاجتماعي، من غير بيِّنة أو تدقيق.

ونحن لا ننزِّه العمل الخيري، وهو ليس عملاً ملائكياً، بل هو عمل بشري، والعمل البشري فيه الخطأ، وفيه الاجتهاد، لكن الجمعيات الخيرية دائماً تحاول تقويم العمل وترشيده، وتصحيح الأخطاء إن كانت موجودة؛ لذا نجد اليوم الجمعيات الخيرية الكويتية قد وضعت رابطاً لاستقبال التبرعات، ونشكر وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل التي قامت بتدشين هذا الرابط، الذي يضم أكثر من 51 جمعية ومبرة خيرية شاركت فيه، وكل من يريد أن يقدم على طلب مساعدة يستطيع أن يقدم من خلال



الكويت رائدة في مواجهة أزمة «كورونا» سواء على المستوى الحكومي أو الأهلي والتطوعي والإنساني

لدينا 10 جمعيات خيرية حاصلة على «الآيزو» في الجودة الإدارية

هذا الرابط، وسيتم دراسة الظروف المادية للأسر، وتقديم المساعدات المناسبة لها، والآن بعض الجمعيات الخيرية بالفعل، بكل شفافية، استقبلت الأسر من خلال الرابط الإلكتروني، وقامت بدراسة الحالات، وقدّمت المساعدات وهي تعلن عن عدد الأسر التي استفادت، والمبالغ التي تم تقديمها لها، وهذا يعطي شفافية للعمل الخيري.

ولكن أريد القول: إن المبالغ التي في حوزة الجمعيات الخيرية الآن، وهي تقدر بـ9 ملايين دينار، لا تكفي لسد كل الاحتياجات، في ظل الظروف الحالية؛ مع وجود الأزمة، وإغلاق المحلات التجارية، وحظر التجول الجزئي، والتزام الناس في البيوت، وتعطيل الكثير من أعمال المؤسسات التجارية؛ وهو ما سبّب خسائر كبيرة لكثير من الناس، وتراكم الديون عليهم، في ظل عدم وجود إيرادات، وعليهم التزامات وسداد إيجارات.

والجمعيات الخيرية تحاول قدر المستطاع أن تقدم أكبر عدد ممكن من المساعدات للأسر، وبمبالغ كبيرة، وهذا يحتاج مزيداً من الدعم، والميزانيات؛ لذا أطلب من وزارة المالية أن تقوم بتخصيص ميزانيات للجمعيات الخيرية، لكي تسد الحاجة بشكل أكبر وأشمل للأسر المحتاجة، والعمالة المتضررة داخل دولة الكويت.

وأعتقد أن الصندوق الوطني، الذي أسسه مجلس الوزراء وتبرعت فيه الشركات والبنوك ورجال الأعمال، يتم تخصيص جزء كبير منه للحملة الوطنية، وهي تحت إشراف وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل، وبيت الزكاة، والهلال الأحمر الكويتي، وهي مؤسسات رسمية، وهناك تدقيق عليها من ديوان المحاسبة، يمكن أن يوكل لها هذا الأمر لمزيد من الشفافية، رغم تأكدنا أن العمل الخيري الكويتي شفاف، والجمعيات الخيرية تعمل وفق الأطر والنُّظم والقوانين الخاصة بوزارة الشؤون، وهي تقدّم تقارير دورية مالية وإدارية لوزارة الشؤون الاجتماعية والعمل.

• ما مدى تعاون وزارة الشؤون مع الجمعيات الخيرية؟

- في الحقيقة، نشكر وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل على جهودها الكبيرة، كونها الآن مظلة الحملة الوطنية للجمعيات والمبرات الخيرية، والتنسيق يتم من خلالها، وهي حالياً في الصف الأمامي، فيما يتعلق



جمْعُ أكثر من 9 ملايين دينار بيوم واحد دليل على ثقة المجتمع الكويتي بالعمل الخيري

المبالغ التي بحوزة الجمعيات الخيرية لا تكفي الاحتياجات المطلوبة في ظل الأزمة الحالية

بالعمل الأهلي، وهناك متابعات يومية مع الجمعيات الخيرية، ووزارة الشؤون موجودة في اللجان الخمس، في الحملة الوطنية، من وكيلة الوزارة المساعدة، ومديرة إدارة الجمعيات الخيرية، وكل المشاريع التي يتم تنفيذها الآن يتم اعتمادها من وزارة الشؤون، مثل مشروع السلال الغذائية، ومشروع سلة رمضان، وأي مشروع خيري داخل الكويت اليوم يتم بعد أخذ موافقة من وزارة الشؤون، وتأتي الموافقة خلال يوم أو يومين.

وبالنسبة لحملة جمع التبرعات، التي نفذتها الجمعيات الخيرية، كانت أيضاً تحت رعاية وزارة الشؤون، ووزارة الشؤون أعطت الموافقة بشكل سريع للجمعيات الخيرية التي رغبت بالدخول في هذا التحالف، وهذه الحملة، وتم دخول 41 جمعية ومبرة خيرية، أعطتهم وزارة الشؤون الموافقة على جمع التبرعات، في يوم 2020/3/28م؛ فجهود وزارة الشؤون ممتازة فيما يتعلق بالتنسيق مع الجمعيات والمبرات الخيرية، وهي الآن تقوم بالإشراف على كل ما يتعلق بالعمل الخيري داخل الكويت، وهي التي تدقق وتنظم وتنسق الجهود.

• ما مدى شفافية العمل الخيري الكويتي؟

- العمل الخيري شفاف ومتقن، ولا يخلو من اجتهادات أو أخطاء، وهذا أمر طبيعي بشري، لكنها تحاول قدر المستطاع أن تحصل على الشفافية؛ فعندنا اليوم نحو 10 جمعيات خيرية كويتية حاصلة على شهادة «الآيزو» في الجودة الإدارية، وقد أصدرنا في مركز «فنار» كتاباً عن الجهات الخيرية التي حصلت على شهادة «الآيزو»، كذلك الجمعيات الخيرية فيها مكاتب تدقيق، وتقوم بتقديم تقاريرها المالية سنوياً إلى وزارة الشؤون، والجمعيات الخيرية كما أسلفنا لديها رقابة شرعية، ومحاسبية، وإدارية، والجمعيات الخيرية تحرص كل الحرص على الشفافية، وهناك كثير من المشاريع التي نفذتها الجمعيات الخيرية، وكانت تعلن عن مشاريعها وإنجازاتها وأرقام التبرعات، لكي تعطي المتبرعين الشفافية؛ فعلى سبيل المثال مشروع الألف بئر، الذي نفذته جمعية العون المباشر في رمضان قبل الماضي، كانت هناك تقارير دورية حوله لمزيد من الشفافية.

واليوم فيما يتعلق بأزمة «كورونا»، وحملة جمع التبرعات، سيكون هناك إن شاء الله تقارير دورية يتم إصدارها، وكل يوم سبت يتم إصدار تقرير بالإنجازات والمبالغ التي تم جمعها والأرقام والإحصائيات التي تنفذها الجمعيات الخيرية في حملة «فزعة للكويت».■

مدير عام نماء للزكاة والتنمية المجتمعية سعد العتيبي لـ«المجتمع»:

العمل الخيري بالكويت يسير بخطى ثابتة ويتمتع بالرقابة والشفافية

حوار- محرر الشؤون المحلية:

أعلن المدير العام لمؤسسة نماء للزكاة والتنمية المجتمعية التابعة لجمعية الإصلاح الاجتماعي، سعد مرزوق العتيبي، عن انطلاق المرحلة الثانية من برنامج المساعدات الإنسانية لمساعدة متضرري «كورونا» بدولة الكويت.

وأكد العتيبي، في حوار مع «المجتمع»، أن العمل الخيري والإنساني في الكويت يسير بخطى ثابتة، وبدرجة عالية من الرقابة والشفافية التي شهد لها القاصي والداني؛ ليثبت أمام الجميع قدرته على تخطي المثبطين، وذكر أنه سيتم صرف كل ما تم جمعه في حملة «فزعة للكويت» على الأسر المتعففة والمتضررين من ضعفاء الدخل داخل الكويت وفق شرط المتبرعين، ولن يصرف منه شيء على أي أمر آخر.

بدأنا بالمرحلة الثانية من خطة الاستجابة لدعم جهود الدولة في مواجهة «كورونا»

أعلنا بالمرحلة الأولى حزمة مشروعات مثل تقديم السلات الغذائية والكوبونات والمياه لأكثر من 30 جهة

● اسمح لنا في البداية بإلقاء الضوء على دور «نماء» وخطتها التي وضعتها لمواجهة جائحة «كورونا» وتداعياتها على المجتمع.

– بالنسبة للتعامل مع أزمة «كورونا»، فقد وضعت «نماء» خطة إستراتيجية شاملة وواضحة ترسم احتياجات المستفيدين، وحسن استخدام الموارد المتاحة؛ للمساهمة في تحقيق الأنفع للمستفيد، في ظل حديث الدولة عن امتداد الأزمة لعدة شهور؛ فكان من الضروري أن نبدأ بوضع خطة الاستجابة الإنسانية لهذه الأزمة، من خلال توريد أول مخزون إستراتيجي للغذاء للأسر المتعففة لتقديم السلال الغذائية بشكل منتظم وفق آلية صرف معتمدة، هذا من جانب.

ومن جانب آخر، كثفت «نماء» جهودها بتقديم المساعدات الإنسانية للمحتاجين على أرض الكويت، والمتأثرين من الإجراءات الوقائية، وتعطلت مصالحهم ومصادر أرزاقهم، فكانت عوناً بذلك للجهات الحكومية في تخفيف المعاناة عن فئة محتاجة للدعم في ظل هذه الظروف الاستثنائية التي تمر بها الكويت والعالم أجمع، فأيادي الخير الكويتية ممتدة لكل محتاج على هذه الأرض الطيبة.

وأعلنت «نماء» حزمة من المشروعات المتنوعة، منها تقديم السلات الغذائية، والكوبونات الشرائية، والمياه، والوجبات الجاهزة، والسلات الوقائية لأكثر من 30 جهة، وذلك خلال المرحلة الأولى التي بدأت مع بداية الأزمة وحتى نهاية مارس الماضي.

● حدثنا عن الشراكات مع المؤسسات الخيرية والرسمية في هذه المشروعات.

– وضعت «نماء» ضمن إستراتيجيتها الخيرية ضرورة التعاون والشراكة مع الجهات الخيرية؛ وذلك بهدف تطوير العمل الخيري، وتفعيل آلية تعامله، سواء كان مع المؤسسات والجهات الرسمية، أو مع جميع أفراد المجتمع، أو مع المبرات الخيرية، وها نحن اليوم نؤكد هذه الشراكة من خلال جهود «نماء»؛ حيث تعاونت خلال هذه الأزمة مع وزارة الصحة الكويتية، والهلال الأحمر، وجامعة الكويت، والجمعية الطبية، والأمانة العامة للأوقاف، وبيت الزكاة.. وغيرها من الشراكات التي ساهمت بشكل فاعل في جهود مواجهة «كورونا».



● كم عدد المستفيدين من هذه المشروعات، والمبالغ التي تم صرفها؟

– أنفقت «نماء» 521400 د.ك على مشروعاتها المختلفة، حيث قامت بمساعدة أكثر من 6500 أسرة؛ بها 34250 فرداً من أكثر من 31 جنسية مقيمة على أرض الكويت، مقسمة على 13 شريحة، كما قامت نماء بتوزيع الوجبات وعبوات المياه في 30 جهة، وتوزيع 1000 سلة غذائية بقيمة 22500

د.ك، و14 ألف وجبة غذائية بقيمة 21600 د.ك، و195700 عبوة مياه بقيمة 8520 د.ك، بالإضافة إلى المساهمة في الحملة الإعلامية التوعوية لدرء الإشاعات والبقاء في المنزل والصبر، والاستغفار والدعاء، وذلك خلال المرحلة الأولى التي ذكرنا سابقاً أنها انتهت في نهاية مارس الماضي.

● ذكرتم أن هذه هي المرحلة الأولى، هل معنى هذا أن هناك مرحلة ثانية؟

– نعم، تم البدء في المرحلة الثانية من خطة الاستجابة التي وضعتها «نماء» لدعم جهود الدولة في مواجهة أزمة «كورونا»، وكانت باكورة مشروعات تلك المرحلة تقديم مساعدات مالية لأكثر من 1550 حالة تقدمت بطلب المساعدة من خلال الرابط الإلكتروني الذي أطلقته «نماء» والبالغ عددهم 9508 طلبات، وتسعى «نماء» من خلال هذه المشروعات إلى تحقيق الأمن الاجتماعي والصحي والمعيشي؛ مما يساهم إيجاباً في تعزيز روح التكافل والتعاون على الخير في المجتمع، والاستجابة لحاجات الشرائح الفقيرة وذوي الدخول الضعيفة في ظل الظروف التي تمر بها البلاد حالياً، ونحن مستمرون في تقديم المعونات لها، وهي من الأسر المتعففة والأرامل والأيتام والمرضى.

● نريد ونحن نتحدث عن دور «نماء» في مواجهة «كورونا»، أن نعرض لدور صندوق دعم الأسر المتعففة بالكويت.

– هدف الصندوق –كما يتضح من اسمه– رعاية الأسر المتعففة، وتوفير الاحتياجات الأساسية لهم التي توزع على الأسر المتعففة من الكويتيين وغير الكويتيين ذوي الدخل الضعيف الذين لا يستطيعون شراء هذه المواد، وسوف تساهم المؤسسة في الصندوق بمبلغ نصف مليون دينار، وهذا الصندوق يعد نوعاً من أنواع التكافل والتراحم الاجتماعي بين المسلمين، ونستشهد بقول الرسول صلى الله عليه وسلم في حديثه الشريف: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى»، والمجال متاح للجمعيات الخيرية داخل الكويت للمشاركة في الصندوق.

● ما أهمية الصندوق خلال المرحلة الحالية؟

– هناك عائلات وأفراد تضرروا من الإجراءات الحكومية الاحترازية المستحقة للحكومة لمواجهة «كورونا»، وكانت هناك ضرورة إلى الالتفات للأسر المتعففة في هذا الوقت بالذات، من خلال توفير المؤن والحاجات الأساسية لهم، ونحن مستمرون في متابعة حالات الأسر التابعة لها، خاصة كبار السن والمرضى وأصحاب الإعاقة، وبالرغم من قرار الإجازة الرسمية في البلاد، فإنه تم الحصول على موافقة الجهات الرسمية للاستمرار بمتابعة الحالات، وسنقوم بتوفير المؤن الغذائية لهم من خلال خدمة البطاقة الممغنطة التي تعبأ بطريقة إلكترونية لتذهب الأسرة لشراء ما تحتاجه من السوق بشكل شخصي مع حرية اختيار ما يشاؤون، مع ضمان وصول المساعدات الشهرية إلى أسر الأيتام وضعاف الدخل في موعدها وعدم انقطاعها عنهم.

أنفقنا 521400 د.ك لمساعدة نحو 34250 فرداً من 31 جنسية مقسمة على 13 شريحة

● حدثنا عن مبادرة «راحتك من راحتنا».

– هي مبادرة نوعية، تهدف إلى توفير أشرطة فحص مرض السكري بالتعاون مع عدد من شركات الأدوية من خلال توصيلها للمستفيدين مجاناً وبسعر التكلفة، وفي الأسبوع الأول من المبادرة؛ تلقت «نماء» ما يزيد على 1000 اتصال من مرضى السكري، واستفاد من المبادرة أكثر من 850 شخصاً، وهذه المبادرة تهتم بمرضى السكري في ظل تطبيق دولة الكويت قرار حظر التجول الجزئي، وذلك في إطار مكافحتها لفيروس «كورونا»، والمبادرة تأتي استشعاراً من «نماء» بالمسؤولية الملقاة على عاتقها تجاه هذه الفئة من خلال توفير هذه الأشرطة لهم.

باكورة مشروعات المرحلة الثانية تقديم مساعدات مالية لأكثر من 1550 حالة تقدمت عبر الرابط الإلكتروني

● أثيرت في الفترة الأخيرة بعض الأحاديث عن النسبة الإدارية للجمعيات الخيرية من حملة «فزعة للكويت»، فما تعليقكم على هذه الأقاويل؟

– بداية، نريد أن نوضح أن العمل الخيري والإنساني في الكويت ما زال يسير بخطى ثابتة، وبدرجة عالية من الرقابة والشفافية التي شهد لها القاصي والداني؛ ليثبت أمام الجميع قدرته على تخطي المثبطين، أما الذين يملكون تساؤلات منطقية ويحتاجون إجابة لها فهذا من حقهم، وبإذن الله لدينا القدرة لتوضيحها لهم.

وبهذه المناسبة، أحب أن أوضح –عبر منبر «المجتمع» الإعلامي– أننا في نماء للزكاة والتنمية المجتمعية التابعة لجمعية الإصلاح الاجتماعي سنقوم بصرف كامل المبلغ الذي تم جمعه في حملة «فزعة للكويت» على الأسر المتعففة والمتضررين من ضعفاء الدخل داخل الكويت وفق شرط المتبرعين، ولن تصرف على أي أمر آخر.

● انتهجت نماء نهجاً خاصاً في توثيق المساعدات الإنسانية، نريد أن نتعرف على طريقتكم في توثيق مشروعاتكم؟

– هناك أفكار عديدة للتوثيق وإبراز الدور الخيري للمتبرعين، ليس بالضرورة أن تكون منها ظهور الفقير بشكل واضح لتعرف شخصيته؛ فقيمة الكرامة أعلى من هدف التوثيق في العمل الخيري، والثقة التي يسعى العاملون في الخير الوصول إليها تبنى بالشفافية المالية أكثر من الصورة الوثائقية.

واسمح لي بالإشارة إلى قصة واقعية حدثت؛ حيث تلقيت اتصالاً يخبروني عن قصة أُمٍّ من جنسية عربية تركت ابنين لدى جارتها لتعود لبلدها لإنهاء بعض المعاملات لمدة أيام على أن تعود سريعاً، إلا أن الطيران توقف بسبب «كورونا» حال دون عودتها لطفليها، وهما بعمر 12 و14 عاماً في شقة وحدهما ليس لهما أحد إلا الله وجارتهما ترعاهما، فالأم عالقة في بلدها لتوقف الطيران بسبب «كورونا»، والجارة تقوم بعمل الطعام لهما كل يوم وتتناوب النوم عندهما مع ابنتها؛ فقمنا بزيارتهما، وقدمنا لهما احتياجاتهما في ظل غياب والدتهما التي تعد الكافل لهما بعد الله تعالى، وكانت رسالتنا لهما: إن كانت أمكما غير موجودة فالكويت موجودة. ■



بقلم:
الشيخ د. جاسم مهلهل آل ياسين

في رثاء العم «أبو يعقوب»

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن سلك سبيله واهتدى بهداه، أما بعد..

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (27) ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (28) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (29) وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ (الفجر)، وَرَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّه عَنهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «أَيُّمَا مُسْلِمٍ شَهِدَ لَهُ أَرْبَعَةٌ بِخَيْرٍ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ»، فَقُلْنَا: وَثَلاثَةٌ، قَالَ: «وَثَلاثَةٌ»، فَقُلْنَا: وَاثْنَانِ، قَالَ: «وَاثْنَانِ»، ثُمَّ لَمْ نَسْأَلْهُ عَنِ الْوَاحِدِ. (رقم الحديث: 1285)، وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ عِنْدَمَا أَثْنَوْا عَلَى جَنَازَةٍ خَيْرًا: «وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّه فِي الْأَرْضِ» (البخاري: 1367، مسلم: 949).



واحد من العظماء الذين يتركون آثاراً طيبة ويسطرون نماذج حسنة تقتدي بها الأجيال بعدهم

يقف المرء حائراً أمام بعض الشخصيات الفاضلة الخيرة المعطاءة، تتوه منه الكلمات، فيبحث عنها في بحر ماؤه من الذهب، ليقدر هؤلاء حق قدرهم، رجالاتٌ من الكويت يشهد التاريخ مآثرهم، سطروا الصفحات البيض في مسيرة تاريخهم، ومن هؤلاء الرجال العم يوسف جاسم الحجي، فارس العمل الخيري، والطود الشامخ في عطائه للكويت وللعالم الإسلامي أجمع في مجال الخير والدعوة.

إنه واحد من الرجال العظماء الذين يتركون آثاراً طيبة في حياتهم، ويسطرون بأفعالهم وأقوالهم نماذج حسنة، تقتدي بها الأجيال من بعدهم، ومن هؤلاء العمالقة العم أبو يعقوب رحمه الله تعالى، لقد ترك أثراً شامخاً، حتى قيل فيه: «لا يذكر العمل الخيري في الكويت إلا ويتبادر إلى الذهن اسم العم الشيخ يوسف جاسم الحجي»، يفرض محبته على الآخرين، ذو سمت طيب، وهدوء ورزانة، يخفض الجناح لأصحابه وإخوانه، لين الكلمة، دائم البشر، كثير التودد، صاحب الأَخْلاقِ الرَّفِيعَة.

تقلد المناصب العديدة، فمن وكيل لوزارة الصحة، إلى رئاسة جمعية الإصلاح الاجتماعي، إلى رئاسة الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية، وغيرها من المناصب الكثيرة، ومع كثرة أوصافه رحمه الله إلا أنه تألق بعبادة أحوج ما يكون فيها صاحب المناصب والجاه، وهي عبادة الورع، وقد عرفناه ورعاً تقياً يتحرى في موافقة الشرع، وَتَرْك كل ما فيه شبهة أثناء تقلده لقيادة المؤسسات التي يقوم بإدارتها؛ أخذاً بقول النبي صلى الله عليه وسلم: «كُنْ وَرِعاً تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ».

وَقَلِيلٌ هم الذين يتصفون بالورع، فهي صفة الكبار، وسلفهم في ذلك عظماء الصحابة رضوان الله عليهم، والذي منهم مصعب بن عمير رضي الله عنه، كان قبل الإسلام أعطر وأزين شباب قريش، وهو الشاب المدلل عند أمه، لكن بعد استشهاده في غزوة أحد قال عنه عبدالرحمن بن عوف: «قُتِلَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ وَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي، كُفِّنَ فِي بُرْدَةٍ: إِنْ غُطِّيَ رَأْسُهُ بَدَتْ رِجْلاهُ، وَإِنْ غُطِّيَ رِجْلاهُ بَدَا رَأْسُهُ، واليوم بُسِطَ لَنَا مِنَ الدُّنْيَا مَا بُسِطَ، وَقَدْ خَشِينَا أَنْ تَكُونَ حَسَنَاتُنَا عُجِّلَتْ لَنَا، ثُمَّ جَعَلَ يَبْكِي» (رواه البخاري: 3849).

بهؤلاء الرجال حُفظت الكويت

إن سلوك الإنسان في حياته مرهون بصدقه وعلاقته مع ربه جل وعلا وطهارة

قلبه، وبهذا قال عَبْدالله بْن مَسْعُود: «إِنَّ اللَّه نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِه، فَابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِه، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ، فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَجَعَلَهُمْ وُزَرَاءَ نَبِيِّهِ يُقَاتِلُونَ عَلَى دِينِه» (أخرجه أحمد: 3600/379/1، وحسنه الألباني).

والعم أبو يعقوب رحمه الله تعالى ما عرفنا منه إلا أن قلبه كان زاهداً في المال والجاه، وقليل من يزهد بالجاه والمال والمنصب.

وظهر هذا الأمر جلياً في الفترة الطويلة التي قضاها في الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية فلم يجعلها مطية لجاه أو مال، فكان عفيفاً طاهراً، وهذه خصلة أصيلة في قلبه، حتى إنه عندما كان وكيلاً في وزارة الصحة وتحت مسؤوليته الأدوية، كان لا يصرف أي عهدة إلا بعد أن يتأكد أنه قد استخدم فعلاً، حتى كان يطلب التأكد من عدد القارورات الصغيرة حرصاً منه ورعاية للمال العام.

بهؤلاء الرجال الكبار حُفظت الكويت سابقاً، وإن شاء الله تحفظ لاحقاً، إذا أخذت الجهات الرسمية على يد من سولت لهم أنفسهم بالاستيلاء على الأموال العامة سواء أكانت في المؤسسات الحكومية أو مؤسسات المجتمع المدني، وللأسف الشديد ومع تناقص الخيرية الطبيعية في البشرية رأينا صورة مناقضة لصورة هذا العملاق، فرأينا مدرساً بالمدارس الإعدادية يذهب به ظاهر الصلاح إلى البرلمان أو إلى الوزارة، أو طبيباً في وزارة الصحة أو موظفاً من أصحاب الرواتب المحددة، تذهب بهم المقادير إلى مناصب في الوزارات أو في البرلمانات، فتكشف لنا السجلات والبيانات عشرات الملايين، بل مئات الملايين في أرصدتهم، مسروقة قد أخذوها ظلماً وعدواناً من الأموال العامة، وهذا شذوذ في واقعنا اليوم الذي نراه ونسمع به.

وإن كان هناك من شيء، فإنا نقول: إن موت هؤلاء الكبار كالعم أبي يعقوب رحمه الله تعالى موعظة للناس أن يراجعوا أنفسهم في هذه الأموال التي اكتسبوها، على الأقل بالنسبة للدعاة أن يراجعوا كل ما أخذوه بتأويل فاسد.

إننا ندعو أولئك إلى أن يتوبوا إلى الله تعالى، توبة نصوحاً محققة كل شروطها، من الإقلاع عن الذنب والندم والعزم على عدم الرجوع، وإرجاع الحقوق إلى أهلها، وخاصة الأموال العامة، فهي أشد وأخطر المال الحرام، وإلا فالويل ثم الويل لمن جاءته لحظة الموت ولم يُرجع هذه الحقوق، فإنها ستُؤخذ منه رغم أنفه يوم الحساب، فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّه رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ»، أي: من حرام، وأخرج البخاري وأحمد من حديث خَوْلَةَ الأَنْصَارِيَّةِ رَضِي اللَّه عَنْهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ رِجَالاً يَتَخَوَّضُونَ -يتصرفون- فِي مَالِ اللَّه بِغَيْرِ حَقٍّ، فَلَهُمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، نسأل الله تعالى المغفرة لنا ولهم، أن يطهرنا من كل درهم أو جاه ليس لنا حق فيه.

مع كثرة أوصافه فإنه تألق بعبادة أحوج ما يكون فيها صاحب المناصب والجاه وهي الورع

لقد رثيت الكثير ممن عرفتهم بالخير وعاصرتهم وجالستهم ولن أرثي أحداً بعد العم «أبو يعقوب»

لقد عزمت ألا أرثي بعد العم «أبو يعقوب» رحمه الله تعالى أحداً.

لقد رثيت الكثير ممن عرفتهم بالخير وعاصرتهم وجالستهم، رثيت والدي ووالدتي رحمهما الله تعالى، ورثيت الكبار ممن لهم فضل على الأمة الإسلامية والدعوة، فقد رثيت الشيخ عبدالعزيز بن باز، والشيخ عبدالله بن قعود، والشيخ بكر بن عبدالله أبو زيد، والشيخ عمر بن سليمان الأشقر، والشيخ محمد بن سليمان الأشقر، والشيخ محمد محمود الصواف، أحد علماء العراق والدعاة الإسلاميين، والشيخ محفوظ بن محمد نحناح، من الجزائر، والقاضي الفقيه المستشار فيصل مولوي، وفتحي يكن، من لبنان، ومن سورية رثيت الشيخ عبدالفتاح أبو غدة، ود. حسن هويدي، ومصطفى مشهور، في مصر، وكذلك الشيخ عبدالله علي المطوع (رحمهم الله تعالى جميعاً)، وغيرهم كثير من رجالات الدعوة، الذين عاصرناهم وجالسناهم في الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية.

وما من أحد منهم إلا واستفادت الأمة منه، وكانت لي معه مواقف طيبة أحتفظ بها لعل الله جل وعلا يلحقنا بهم وبالصالحين سبحانه وتعالى، وأن يجمعنا بهم في مستقر رحمته.

وهؤلاء من صنوف العلماء الكبار الذين كان لنا معهم مواقف طيبة في مسيرتنا ودعوتنا.

وكل مرة كنت أقول: سوف أختم رثائي، وها أنا اليوم أختم رثائي بالعم أبي يعقوب، ولن أرثي بعد وفاته أحداً، وأكتفي بالدعاء لهم بظهر الغيب.

مواقف شخصية

مواقف كثيرة تدل على حرصه على الوئام والمحبة والإخاء، وهي سجية وخلق متأصل في سيرة العم يوسف الحجي رحمه الله تعالى.

الموقف الأول: من بدايات الصحوة في الكويت عام 1967م، كان رجالات الكويت الكبار في رعاية شباب الدعوة، العم عبدالله علي المطوع رحمه الله، والعم أبو يعقوب يوسف الحجي، والخال أحمد البزيع الياسين رحمه الله، كانوا حريصين على ألا تتوزع في الكويت الجهود في الصراعات الدعوية بين بعض مجاميع الدعاة في مؤسسات المجتمع المدني، حيث كان النزغ الشيطاني الذي يعصف بين الحين والآخر، وكان العم أبو يعقوب وإخوانه يحرصون بصدق على أن يحققوا الوئام والمحبة والإخاء بين هذه المجاميع.

الموقف الثاني: رئاسته للهيئة الخيرية الإسلامية العالمية؛ فقد ترأس العم يوسف الحجي الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية منذ إنشائها في عام 1404هـ/ 1984م،



كان العم يوسف وجيله حريصين على ألا تتوزع الجهود في الصراعات الدعوية بين مجاميع الدعاة بمؤسسات المجتمع المدني

ساهم في إنجاح فكرة تجزئة الوقف بالعمل على إشراك المجتمع بجميع أطيافه للمساهمة في الوقف لتأسيس الهيئة الخيرية

كان حريصاً على أن يتصدر شباب الكويت المنابر والدعوة إلى الله خاصة حينما كان وزيراً للأوقاف

واختير بالإجماع رئيساً لمجلس إدارتها منذ تأسيسها، وإعلانها بالمرسوم الأميري، بقانون رقم (64 لعام 1986م)، والشهادة لله لقد دُعي للهيئة الخيرية كمؤسسين أعداد من كل البلاد، كانوا حرصين على إنشائها، لتحقيق هدفها في جمع مليار دولار لاستثمارها والإنفاق من عائدها لمقاومة ثالوث الخطر (الفقر، والجهل، والمرض)، تحت شعار «ادفع دولاراً تنقذ مسلماً».

وظلَّ رحمه الله تعالى رئيساً لمجلس الإدارة مدة خمسة وعشرين عاماً منذ تأسيسها، ليتمكن خلال هذه الفترة بالتعاون مع مجلس الإدارة والجمعية العمومية والعاملين معه بتوسيع نشاط ومجالات عمل الهيئة لتحقيق أهدافها وغاياتها النبيلة والطموحة.

هذا، وقد تم التبرع في وقت انعقاد الهيئة التأسيسية كأموال وقفية، تبدأ فيها الهيئة والرؤساء الكبار (العم يوسف الحجي، والعم عبدالله المطوع، والعم أحمد البزيع) كلٌ بما آتاه الله، وبعد أسبوع من انتهاء الاجتماع التأسيسي دار في خلدي أني لا أملك مالاً لأتبرع به في هذه المحفظة الرائدة (مليار دولار)، ومن المناسب ألا أتصدر في مكان لا أستطيع أن أنفع به، والموجودون فيهم البركة والخير، فقدمت اعتذاري وطلب إعفائي من العم أبي يعقوب، فأرجع رسالة الاعتذار بكل لطف ورقة وبكلمات أدبية جميلة، مع الرفض للطلب، ومع ذلك ظلت الفكرة في ذهني، والمعروف أنه في الغالب عندما يشتغل الإنسان في شيء، ويهمه أمره، يوفقه الله لتحقيقه، وخصوصاً عندما يكون الأمر متعلقاً بنصرة الدين، فهداني الله إلى فكرة «تجزئة الوقف».

وتبلورت فكرة تجزئة الوقف بالعمل على إشراك المجتمع بجميع أطيافه للمساهمة في الوقف، وبدأت أضع أدبيات هذا المشروع تحت مسمى «وقفية ألف ألف (أي مليون) دولار»، تتكون فيها محافظ تساهم في تحقيق الهدف المالي «مليار دولار»، فبدأت في آخر الثمانينيات بالمشروع، وخلال أقل من سنة ونصف سنة تكونت عندنا ثلاث محافظ، كل محفظة فيها 300 ألف دينار كويتي، واشترينا بها 3 عمارات، وبعد ذلك جاء الغزو العراقي الظالم، وعندما رجعت الكويت بفضل الله تعالى كانت هذه العمارات الثلاث المكون الوقفي للهيئة الخيرية الإسلامية العالمية، فحمدت الله أنني لم أكن عبئاً على هذه الهيئة الرائدة.

ولولا تسهيلات العم أبي يعقوب رحمه الله تعالى ما كان لنا أن نحقق ذلك.

الموقف الثالث: إظهار الشباب الكويتي على منابر خطبة الجمعة في المساجد، والبدء بإنشاء الموسوعة الفقهية.

ومن مواقفه رحمه الله تعالى التي أذكرها حرصه على أن يتصدر شباب أهل الكويت المنابر والدعوة إلى الله تعالى، فعندما كنت في مقتبل الشباب في العشرينيات، استأذنته وقد كان وزيراً للأوقاف رحمه الله تعالى لكي أصعد المنبر للخطابة، ولم يكن الأمر سهلاً، فما كان يتولى المنبر إلا الكبار في السن، وكان الشباب قلة، فصعدت المنبر وأنا حديث عهد بالمنابر في مسجد عمر ابن الخطاب بمنطقة الدسمة، وقد نقلت الخطبة في «التلفزيون الكويتي»، وأذكر وقتها كان موضوع الخطبة عن «المسارعة إلى الخيرات».

لقد كانت هذه مبادرة من العم أبي يعقوب لدعم الشباب في الدعوة، كما كان للعم أبي بدر رحمه الله تعالى فضل إطلاق مشروع الموسوعة الفقهية الكويتية، ثم تبناها بتوجيه كل من الشيخ عبدالستار أبو غدة، وبفضل الله كان لنا فيها شيء من المساهمة بطلب من العم أبي يعقوب.

هذا هو زاد المسافرين إلى الله تعالى، رصيد من الإخلاص، رصيد من الدعوة، رصيد من حب الناس، رصيد من الأعمال الصالحة التي يجري أجرها من بعده.

رحم الله العم أبا يعقوب رحمة واسعة، وجعلنا من بعده خير خلف لخير سلف.■



«كورونا».. وإعادة ترتيب أولويات العالم

كشفت أزمة فيروس «كورونا» العديد من الثغرات التي يعاني منها العالم كله، وفي القلب منه أمتنا العربية والإسلامية؛ فرغم مرور عدة أشهر على بدء المواجهة العالمية لهذه الجائحة، فإنها ما زالت تضرب بجرانها في العالم كله؛ وهو ما دق جرس الإنذار لضرورة دراسة تداعياتها دراسة فاحصة تعيد ترتيب الأولويات حسب ما يحقق مصالح الإنسان ويحفظ عليه معاشه ومعاده.

لقد أثبتت هذه الأزمة أن العالم في الماضي كاد أن يقضي على نفسه بنفسه من خلال تقديم قيم الصراع والأنانية والعنصرية وسيطرة القوي على الضعيف؛ حتى جاءت هذه الجائحة لتلفت انتباه الجميع إلى ضرورة الوقوف مع النفس، وتقديم ما حقه التقديم، وتأخير ما حقه التأخير؛ حيث أثبتت أن الأسلحة الفتاكة وأسلحة الدمار الشامل عاجزة عن مواجهة هذا الفيروس الذي لا يُرى بالعين المجردة، في حين أن مفحص الطبيب هو المقدم للتعامل مع الأمر؛ لذا أصبح هو فارس الميدان، ويجب أن يتبوأ مكانته المستحقة مستقبلاً.

لا شك أن عالم ما بعد «كورونا» يجب أن يختلف عن عالم ما قبله، إن كنا حقاً قد أحسنا استقبال رسالة الله تعالى ونذره المتتالية، وإلا فلا نلومن إلا أنفسنا.

وفي هذا الملف، تسعى «المجتمع» من خلالها رسالتها الإعلامية إلى استنباط الدرس وأخذ العبرة، من خلال الموضوعات التالية:

- التوقعات الدولية لمرحلة ما بعد «كورونا».
- العالم العربي والإسلامي بعد «كورونا».. هل تتغلب الصحة والديمقراطية على صفقات السلاح؟
- «كورونا».. وحاجة الأمة لصناعة الغذاء والدواء وأدوات الدفاع عن النفس.
- «كورونا» ربما يؤدي إلى تآكل الديمقراطية بالعالم.. المجر مثال صارخ.
- «المصلحة الإنسانية» بالفقه الإسلامي في ضوء وباء «كورونا».■



هل سيغيّر «كوفيد- 19» معالم النظام الدولي وتفاعلاته؟

التوقعات الدولية لمرحلة ما بعد «كورونا»

د. علي باكير

خلال العقدين الماضيين، تعرّض النظام الدولي لضغوط هائلة نتيجة مشكلات متراكمة وتآكل مستمر لجوهر هذا النظام والمؤسسات التي يعتمد عليها، وقد ظهر أن هناك ترابطاً وثيقاً أيضاً بين تآكل النظام الدولي وعاملين أساسيّين برزا بشكل واضح خلال تلك الفترة؛ هما تراجع الولايات المتّحدة الأمريكية على المستوى الدولي بفعل ما يسمى الحرب على الإرهاب، وتقدّم الصين نتيجة توظيفها للفرص التي أتاحها هذا النظام لها، لا سيما على المستوى الاقتصادي بعد الانضمام إلى منظمة التجارة العالمية في العام 2001م.

بدا هذا الاتجاه واضحاً في التفاعلات الدولية، لكن في السنوات الأخيرة برزت كذلك ظواهر أخرى حول العالم، كان من بينها صعود اليمين المتطرّف، والنزعات العنصرية، والاتجاهات القوميّة والانفصالية، والتوجّهات الانعزالية على مستوى السياسة الخارجية، وظاهرة الزعماء الشعبويين، والأزمات الاقتصادية العالميّة الحادّة.. في هذه الظروف الدولية، صعد فيروس «كورونا» (كوفيد- 19) بشكل مفاجئ من مدينة ووهان الصينية، وبفضل امتطائه لوسائط العولمة، تحوّل الفيروس سريعاً إلى جائحة في غضون أسابيع قليلة، مُغيّراً بذلك شكل الحياة التي اعتاد البشر عليها قبل ظهوره.

أدى الفيروس إلى تعطيل الاقتصاد العالمي، وفرض إجراءات قاسية للحجر الصحي والعزل والتباعد الاجتماعي، ووضع ضغوط هائلة على أنظمة الرعاية الصحية، وإجبار مئات الملايين من البشر حول العالم على البقاء في بيوتهم، وإغلاق مدن ودول بأكملها.. تدافعت الحكومات لحماية نفسها ومواطنيها أوّلاً، وتدخّلت بعض الجيوش لمساندة الحكومات في مواجهة الوباء، واستغلت بعض الدول الأخرى الوضع، وقامت بتوظيف الجائحة للحصول على المزيد من النفوذ الدولي، وظهرت العديد من المؤسسات الدولية في مظهر العاجز، وبدا أنّ كل شيء قد تغيّر في العالم بشكل سريع.

طرحت هذه المشاهد تساؤلات حول مفهوم القوّة ومصير العولمة ومستقبل النظام الدولي والمؤسسات الدولية والقيادة الأمريكية للعالم والتحولات التي قد تطرأ على موازين القوى والتحالفات الدولية، يذهب البعض إلى القول: إنّ الجائحة ستؤدي إلى ولادة نظام عالمي جديد، لكن في المقابل؛ هناك من يرى أنّ في مثل هذه التوقّعات أمراً مبالغاً فيه، ذلك أنّ الأوبئة والأمراض والفقر والكوارث الطبيعية وإن كانت تؤثّر على المشهد الدولي، إلاّ أنّها لا تصنع نظاماً دولياً وليس لديها القدرة على وضع البدائل.

النظام الدولي يولد نتيجة لصراعات أو تفاهمات بين فاعلين دوليين، ولذلك غالباً ما أدّت الحروب العالمية والصراعات الدمويّة أو التفاهمات التي تليها إلى ولادة نظام دولي، وبهذا المعنى ما لم تؤدِّ الجائحة الحالية إلى حرب عالمية مباشرة يكون فيها فائزون وخاسرون، فجلّ ما يُتوقع أن تفعله هو أنّها



يتوقع أن تؤدي الجائحة وما ينجم عنها اقتصادياً إلى تثبيت بكّين لموقعها كصاحبة أكبر اقتصاد بالعالم

التعاون العالمي بين الدول الكبرى آخذ في التراجع لصالح أجندات وطنية والجائحة ستعزز العنصرية والحركات اليمينية



ستسرّع من وتيرة التحوّلات الحاصلة خلال العقدين الماضيين، وأبرز معالمها تراجع دور الولايات المتّحدة وقوتها، وتقدّم الصين اقتصادياً وعسكرياً، وتآكل دور المؤسسات الدولية، وتعطّل دور العديد منها، وتفكّك أو ضعف المزيد من التجمّعات الدولية أو فقدانها لقيمتها، وازدياد التنافس بين القوى الإقليمية في الأقاليم الرئيسة حول العالم.

بين أمريكا والصين

من المتوقع أن تؤدي تداعيات الجائحة إلى تعميق تشتيت القوّة الحاصل بعد تراجع عهد الأحاديّة القطبيّة، الولايات المتّحدة ستبقى متفوّقة عسكرياً على باقي الأمم بفارق كبير، سواءً فيما يتعلق بالموازنات الضخمة لوزارة الدفاع، أو ما يتعلق بالقدرات العسكرية والتكنولوجية، لكن عندما يتعلق الأمر بالاقتصاد؛ فإنّ الأمر مختلف تماماً؛ فالصين تحتل منذ سنوات المرتبة الأولى عالمياً من الناحية الاقتصادية (الناتج المحلي الإجمالي بالقدرة الشرائية)، وهي في المرتبة الثانية عالمياً بعد الولايات المتّحدة (الناتج المحلي الإجمالي الإسمي)، وتجربة العقود الثلاثة الماضية تشير إلى أنّها استفادت من كل الأزمات الاقتصادية التي ضربت العالم لتعزيز موقعها.

ولذلك؛ فمن المنتظر أن تؤدي الجائحة وما سينجم عنها من أزمة اقتصادية كبرى إلى تثبيت بكّين لموقعها كصاحبة أكبر اقتصاد في العالم، وأن تقلّص الفجوة القائمة بينها وبين الولايات المتّحدة بشكل كبير عندما يتعلق الأمر بالاقتصاد الإسمي، أمّا الاتحاد الأوروبي؛ فإنه سيعاني من انكماش اقتصادي بفعل الجائحة قد يصل حجمه إلى 2.5%، فيما تشير بعض التوقعات المتفائلة إلى أنّ حجم اقتصاد الاتحاد الأوروبي سيتراجع بنسبة 1%.

من الناحية السياسية؛ فإنّ تشتت القوة سيظهر بشكل أكبر على هذا المستوى، لا أحد في العالم قادرٍ اليوم على مواجهة أي خطر أو تحدٍّ منفرداً مهما بلغ من قوّة، ومن الملاحظ أن التعاون العالمي بين الدول الكبرى آخذ في التراجع لصالح أجندات وطنية، الدول الخمس دائمة العضوية في مجلس الأمن لا تزال تتمتع بأفضلية على غيرها بسبب قدرتها على استخدام حق النقض (الفيتو)، لكن خارج إطار مجلس الأمن؛ فإنّ الانقسام شديد بين الولايات المتّحدة وأوروبا وحلفائهما من جهة، وبين روسيا والصين وإيران والدول التي تدور في فلكها من جهة أخرى.

ستعزّز الجائحة -على الأرجح- من الانقسامات داخل الجبهة الأولى، وتدفع في المقابل إلى تمتين التحالفات القائمة في الثانية، من الواضح أنّ الاتحاد الأوروبي سيكون من أبرز المتضرّرين من الناحية السياسية، على صعيد النفوذ؛ أظهرت الأزمة أنّ الولايات المتّحدة تعاني من أزمة قيادة، وأنّ الصين وروسيا والدول التي تدور في فلكها جاهزة لاستغلال الأزمة وزيادة نفوذها كما حصل تماماً في حالة إيطاليا، إذا لم يتدارك الاتحاد الأوروبي نفسه، فإنّ موسكو وبكين ستزيدان من نفوذهما في القارة العجوز خلال المرحلة المقبلة.

على مستوى الاتجاهات الدولية الموجودة داخل النظام الدولي الحالي، ليس من المبالغة بمكان القول: إنّ تأثيرات الجائحة ستكون كبيرة لناحية تعزيز العنصرية والحركات اليمينية المتطرّفة، وستغذّي التيارات المعادية للعولمة والداعية إلى عودة النزعات القوميّة والانعزالية، وإلى سيطرة الأنظمة الدكتاتورية على شعوبها.

وفي ظل غياب مجلس الأمن عن الجائحة وتفاعلاتها التي وصفها أمين عام منظمة الأمم المتّحدة بأنّها تشكّل التحدّي الصحّي الأبرز منذ ما يزيد على 75 عاماً، فإنّ هناك تساؤلات وشكوكاً حول مستقبل المؤسسات الدولية لا سيما مع الاتهامات التي تُساق ضد «منظمة الصحة العالمية»، ومدى خضوعها أو انحيازها إلى الصين في هذه الأزمة، علاوة على بطئها في الاستجابة لهذا التحدّي العالمي، ستكون تأثيرات الجائحة على طبيعة عمل هذه المؤسسات كبيرة، لكن ليس هناك ما يوحي بأنّ أحداً في العالم قادر على إنشاء بديل الآن بشكل منفرد بالرغم من التحركات الصينية خلال العقل الماضي لإنشاء مؤسسات إقليمية رديفة لتلك الموجودة على الصعيد الدولي.

أمريكا تعاني من أزمة قيادة والصين وحلفاؤها جاهزون لاستغلال الأزمة وزيادة نفوذهم

سيكون هناك -من دون شك- تحوّلات تتعلق بدور التكنولوجيا في حياة البشر وفي المؤسسات والوظائف، وسيكون هناك اتجاهات متزايدة لتوطين الصناعات الحسّاسة والأكثر أهمّية بالنسبة للدول، كما قد يتمّ الاتجاه إلى تقييد العولمة للعمل على الحد من سرعة انتقال أي تداعيات سلبية محتملة مستقبلاً إلى جميع دول العالم.

كل ذلك يعني أنّ الجائحة ستسرّع من وتيرة تآكل النظام الدولي القائم حالياً، لكن ليس في الأفق ما يشير إلى تحوّلات جذرية في المشهد، بمعنى آخر؛ فإنّ الفيروس والأزمة الاقتصادية التي تصاحبه ستسرّع من المعطيات القائمة، ولكنّها لن تأتي بجديد من هذه الزاوية، يبقى العنصر الأبرز، باعتقادي، هو التنافس الأمريكي – الصيني الذي من المتوقع أن يزداد بشكل حاد على وقع هذه الجائحة، وربما يكون العنصر الأبرز في تحديد إمكانية ولادة نظام دولي جديد مستقبلاً.■



آثار أزمة «كورونا» على العالم

العالم العربي والإسلامي بعد «كورونا»..
هل تتغلب الصحة والديمقراطية على صفقات السلاح؟

يوسف أحمد

كشفت أزمة الفيروس التاجي «كورونا» العديد من الأمراض الكامنة في جسد العالم، والعالم العربي والإسلامي خاصة، ومن ثم الحاجة الملحة لوضع خطط للمستقبل لعلاجها، والاعتماد على الذات، بعدما ظهرت الأنانية والفردية في تعامل القوى الكبرى مع الأزمة وتجاهلها لضعفاء العالم، ومنهم العرب والمسلمون.



إن مشكلة العالم الغربي –كما يقول المفكر الأمريكي نعوم تشومسكي على قناة «DiEM25 TV»– تتمثل في خطرين وجوديين وشيكين؛ أولهما: تزايد تهديدات الحرب النووية، وثانيهما: تزايد مخاطر الاحتباس الحراري الذي سيتسبب بكوارث بيئية على مستوى الكوكب، ويضيف لها (منذ انتخاب «ترمب») تدهور الديمقراطية، وإن كان الحل الغربي بتبادل السلطة كفيلاً بحل هذه المشكلة الثالثة.

بيد أن مشكلات العالم العربي والإسلامي أعمق وأشد تعقيداً، فهي تبدأ من غياب الديمقراطية، التي هي سبب مشكلات أخرى عديدة، تتمثل في غياب أولويات؛ مثل ترفيع العلماء وأصحاب الخبرات، لا المقربين والمؤيدين الذين يفتقرون إلى الخبرة.

صحيح أن أنظمة عربية وإسلامية استغلت «كورونا» من أجل مزيد من النزوع إلى الاستبداد بفرض إجراءات أكثر تضييقاً على الشعوب؛ ما قلص المزيد من الديمقراطية، إلا أن قيم «كورونا» التي تمثلت في تلاحم وتعاضد الشعوب، والتراحم والتعاون، قد لا تسمح مستقبلاً باستمرار هذه القيود.

وهناك مشكلة أخرى في عالمنا العربي والإسلامي تعرقل الاستفادة من دروس «كورونا»؛ هي عدم التخطيط، والاعتماد على القرارات الفوقية غير المدروسة، فضلاً عن عكس الأولويات بتعظيم وزيادة صفقات السلاح (سواء لحماية الأنظمة أو لضريبة للغرب لحمايته)، بما يأتي على حساب الصحة والتعليم والغذاء.

وفي الملف السياسي، غابت الأخلاق والمبادئ التي ينبغي أن تجبر عليها الأنظمة، فقد رفضت عدة أنظمة عربية إخراج المساجين من السجون، أبرزها مصر، رغم أنهم أكثر فئة معرضة للإصابة بالفيروس، في وقت أخرجت غالبية دول العالم سجناءها ولو بعزل وحبس منزلي؛ وهو ما يجعل إعادة ترتيب أولويات الدول العربية والإسلامية (الغذاء، الصحة، التعليم، السلاح) أمراً ضرورياً، خاصة أن القوى العظمى التي تحتمي بها دول عربية أو تفرض هي وصايتها على العالم ستتلاشى وتظهر قوى أخرى، أو تحالفات دولية جديدة.

فالفيروس التاجي حمل معه أشياء إيجابية؛ هي إشارات تحذيرية لنا من الخطر الداهم الذي يلوح في المستقبل القريب ليحثنا على التحرك والاستعداد.

نجحت أزمة «كورونا» في تأكيد شيء واحد؛ هو أن تطوير العلم والطب والتكنولوجيا المفيدة للبشر أهم بكثير جداً من تصنيع وشراء الأسلحة، أو الإنفاق بسخاء على لاعبين أو مطربين، وإهمال العقول العلمية والطبية، فقد جاءهم فيروس يقتل الجميع بهدوء وبدون رصاص ولا نووي ولا يستثني أحداً، أوروبا والعالم الغني قبل فقراء أفريقيا وأمريكا اللاتينية.

ولأن الدول العربية هي أكبر زبائن صفقات السلاح، بينما ميزانيات الصحة والتعليم تأتي في ذيل موازنات الدول، يتوقع خبراء سياسيون وأطباء بعد انتهاء هذه الأزمة أن يتوجه العالم –ربما ليس العالم العربي بقوة– لتحويل ميزانيات أكبر للبحث العلمي والاهتمام بالصحة والبيئة لا تصنيع السلاح واستعراض القوة، وربما الاهتمام بالعلماء والباحثين والأطباء.

بالمقابل؛ تعاني الدول العربية من أزمة غذاء وصعوبة في التكامل الاقتصادي والغذائي لأسباب تتعلق بخلافات الأنظمة، أشار إليها كتاب «الاقتصاد السياسي للسيادة الغذائية في الدول العربية» للخبيرة الدولية وأستاذة الاقتصاد السياسي بجامعة لندن «جين هاريغان».

وقد أشارت الدراسة إلى أن كثيراً من الدول العربية لم تؤمن النمو الشامل المساند للفقراء، وكانت إستراتيجيتهم الشاملة للتنمية «فاشلة»، فمعظم البلدان العربية تستورد ما بين 25 و50% من احتياجاتها الغذائية، وتبلغ فاتورة الواردات الغذائية العربية نحو 5% من

الناتج المحلي الإجمالي.

أما على المستوى الصحي؛ فالوضع في العالم العربي مزر، ولا يوجد تأمين صحي لكافة الشعوب؛ مما يجعل العلاج للأثرياء في المستشفيات الخاصة، وقد كشفت أزمة «كورونا» نقص المعدات وهروب الكوادر البشرية من الأطباء في كثير من الدول للعمل في دول أخرى بسبب تردي الرواتب والإمكانات.

وحسب تقرير لمنظمة الصحة العالمية، الصادر العام الماضي، فإن الرعاية الصحية في البلدان العربية تأتي في ذيل الترتيب عالمياً، ويشمل ذلك ضعف مهارات الإطار الطبي وكفاءته، وعدم توافر التجهيزات والطرق الحديثة في التشخيص والعلاج، وبُعد المرافق الصحية من المواطنين.

كيف يرى الخبراء الحل؟

إذا كان المستقبل سيكون مختلفاً تماماً، فلا يمكننا الاقتراب منه بمخططات الماضي، ولا بموارد الحاضر، ويجب أن نكون مبدعين، وننظر إلى ما وراء أنماطنا المعتادة ونهجنا القديم المعتل.

السفير د. عبدالله الأشعل، مساعد وزير الخارجية المصري الأسبق، يرى أن التداعيات الاجتماعية والاقتصادية تحتاج إلى خلية أزمة تضم المتخصصين لوضع برنامج مدروس.

ويرى أنه لا وقت لاستمرار انقسام المجتمع حول أي موضوع؛ لأن وجوده نفسه مهدد، ولا بد من إعلان تجميد الشقاق المجتمعي، وأي شقاق بين المجتمع والسلطة حول أي موضوع؛ لأن ذلك أساس التضامن الاجتماعي والتضافر المجتمعي، وأن تفكر السلطة بدورها في عدد من الخطوات الهادفة لمحاصرة انتشار الوباء، خاصة في المعسكرات والسجون وغيرها من مناطق التكدس الإجباري.

ويدعو الأشعل إلى تقليص صفقات السلاح التي تبرمها الدول العربية بكثافة، وتضيّع الأموال الإستراتيجية للدول، وبالمقابل التركيز على الزراعات الإستراتيجية؛ كالأرز والقمح والذرة والبطاطس، والصناعات المتصلة بالغذاء وغيرها اللازمة لمواجهة الوباء؛ مثل أدوات التعقيم والكمامات وأجهزة التنفس الصناعي، والتوسع في بناء المستشفيات المتخصصة لمواجهة الوباء والاستعانة بالعلماء والأطباء وتحسين ظروفهم المعيشية.


نعوم تشومسكي — د. عبدالله الأشعل

تشومسكي: «كورونا» علامة تحذير ودرس للبشرية وعلينا أن نبحث في الجذور التي تؤدي إلى الأزمات

الأشعل: لا وقت لاستمرار انقسام المجتمع لأن وجوده نفسه مهدد ولا بد من إعلان تجميد الشقاق

ويدعو الأشعل إلى التفكير في إنشاء مجلس تنسيق عربي للتكامل الغذائي والتضامن الطبي والدوائي والصحي، وهذا اختبار لمفهوم عملي جديد للعروبة ما دام المفهوم السياسي قد واجه الكثير من الصعوبات.

ويطرح الكاتب والناشط سامح فوزي تساؤلاً يتصل بقدرات الدول، ومن ثم ضرورة تلافي التقصير؛ حيث ظهر واضحاً أن النظام الطبي في الكثير من الدول غير قادر على مواجهة انفجار حالات الإصابة بالفيروس على نحو غير مسبوق، وهذا كان حال دول متقدمة، وتمتلك قدرات مالية عالية؛ فماذا سيكون عليه حال دول متعثرة في القدرات المالية، والبنية الأساسية؟

ويشير لأهمية مؤسسات المجتمع، بجانب مؤسسات الدولة، مثل القطاع الخاص ومنظمات المجتمع المدني، مستقبلاً في تحمل جانب من المسؤولية.

ويطرح المفكر الأمريكي نعوم تشومسكي آراء تتعلق بالوضع المستقبلي في الغرب، بعضها وثيق الصلة بالعالم العربي والإسلامي؛ حيث يشدد على أن الفيروس حمل معه أشياء إيجابية هي إشارات تحذيرية لنا من الخطر الداهم الذي يلوح في المستقبل القريب ليحثنا على التحرك والاستعداد، خاصة أن الديمقراطية في خطر بسبب حالة الاستثناء التي يتحكم فيها «قلة قليلة هم أسياد النيوليبرالية»، وسيواصلون التحكم برأيهم إن لم يتم تغيير هذه الأوضاع بعد انتهاء أزمة «كورونا».

ويطرح تشومسكي أفكاراً، منها:

1 - أن الإجراءات الاستثنائية التي تطبقها الحكومات من إغلاق للحدود الداخلية والخارجية، وحظر التجوال في بعضها، واستخدام الجيش في تطبيق إجراءات العزل، قد تتسبب بتدهور الديمقراطية والنزوع إلى الاستبداد في كثير من مناطق العالم.

2 - أن تقديم الفيروس كعدو هو فقط لإضفاء الشرعية على «حالة الاستثناء الجديدة»، أم ثمة ما هو أعمق في هذا الخطاب؟

3 - نحتاج إلى عقلية الحركة الاجتماعية الجماعية من أجل التغلب على أزمة شديدة تعّبر عن فشل ذريع لـ«النيوليبرالية»، واقتصاد السوق الذي لا يكف عن التزايد، في ظل بحث رجال الأعمال وشركات الدواء عن مصالحهم لصالح حسابات تجارية واقتصادية لتلك الفئة التي تحكم العالم خشية الخسائر التي سيتسبب بها العزل الاجتماعي، وإغلاق المؤسسات والشركات وتعطيل الحياة العامة ولمنفعة هؤلاء الأثرياء.

4- أن فيروس «كورونا» علامة تحذير ودرس للبشرية، وعلينا أن نبحث في الجذور التي تؤدي إلى الأزمات، التي ربما تكون أسوأ مما نواجهه اليوم، والتحضير لكيفية التعامل معها ومنعها من الانفجار.

5- أن أزمة «كورونا» هي مجرد جزء واحد من كابوس مقبل، وإن لم يشرع الناس على الفور في تنظيم أنفسهم ويتضامنون فيما بينهم لتحقيق عالم أفضل بكثير من العالم الذي يعيشون فيه؛ فهم سيواجهون مصاعب هائلة لطالما أعاقت طريق الحق والعدالة، وخصوصاً الاستعداد للتعامل مع الخطرين الوجوديين للحرب النووية والتغيرات المناخية والكوارث التي سيتسبب بها الاحتباس الحراري، التي لن نتعافى منها ما لم نكن حازمين في مواجهتها حين نصل إلى تلك المرحلة، وهي باتت وشيكة الحدوث.■



«كورونا».. وحاجة الأمة لصناعة الغذاء والدواء وأدوات الدفاع عن النفس

تونس - عبدالباقي خليفة:

مخاوف من أزمة غذاء عالمية، وأزمة دواء مستفحلة تتعلق ببعض الأدوية المستخدمة في علاج أعراض فيروس «كورونا» وكذلك الكمامات، ومخاوف من حروب مستقبلية على النفود في ظل توقعات بتغيّر الخرائط الجيوسياسية، وخلافات بين الدول الكبرى، واحتمالات تقوقع بعض الدول لحماية نفسها وتوفير الغذاء لشعبها وأخذ المؤسسات الوطنية مكانة أكبر، فيما ستعزز الدولة دورها على حساب المؤسسات الخاصة كما يتوقع الخبراء. علاوة على ازدياد منسوب التعويل على الإدارة الرقمية، والحرب البيولوجية، والإنتاج الذاتي بعد انحسار المد الخارجي لأسباب محلية تتعلق بالوضع الجديد في ظل وباء «كورونا» وبعده.

من تداعيات أزمة «كورونا» تعزيز ثقافة التعاون المحلي والإقليمي على أساس القيم المشتركة، إلى جانب لجوء الأقوياء إلى الإمعان بالسيطرة على مقدرات الضعفاء، تحت ضغط «كورونا» من جهة، وبناء على نظرية الصراع التي تم اقتباسها من عالم الغابة وعممت على الحياة الإنسانية لغايات استعمارية، ألبست إلى جانب نظريات مكملة لبوس العلم، في حين أنها نظريات تبرر الغزو والنهب والاحتلال المباشر الذي عرفها العالم بعيد ظهور تلك النظريات والترويج لها على أساس أنها نهاية المعرفة.

كل ذلك يفتح المجال أمام الأمة للنظر في الأساسيات الثلاثة؛ الغذاء، والدواء، ووسائل الدفاع عن النفس؛ حتى لا يتواصل التاريخ نفسه.

أظهرت جائحة «كورونا» هشاشة الاعتقاد بأن «الإنسان هو سيد الكون»، وغيرها من الاعتقادات البائسة المراكمة لذلك الاعتقاد، هكذا علق الخبير الاقتصادي د. ياسين إسماعيل.

وأضاف، في تصريحات لـ«المجتمع»: العالم سيدخل في مرحلة جديدة من اكتشاف الذات بعد أن أثرت الأزمة في العلاقات الدولية وما يعرف بالحقل الواحد، بل أثرت على ما يعرف بأصل الإنتاج؛ وبالتالي أثّرت على الدخل والإستهلاك والادخار والتمويل والاستثمار تبعاً لذلك، وهي حلقات التنمية كما هو معروف في علم الاقتصاد.

وتابع: في الحالة التونسية، لم يتجاوز جهاز الإنتاج نسبة 30% والـ70% معطلة، وهذا نموذج؛ فالإنسان العربي يستهلك أكثر مما ينتج في الحالات الطبيعية، وبالتأكيد هو أكثر عطالة في الأزمات ومنها جائحة «كورونا» العالمية.

وأشار إلى أن اقتصاديات الدول أصبحت بعد «كورونا» اقتصاديات حرب، تستوجب التركيز على الزراعة في ظل الخوف من أزمة غذاء عالمية إذا ما استمرت الجائحة،



وبدأت الدعوات لتجنب أزمة غذاء عالمية جراء ذلك؛ ولذلك ندعو الجميع للعمل على تحقيق الاكتفاء.

واستشهد بتقرير أمريكي يفيد بأن 9 دول عربية ستستورد نحو 40,2 مليون طن من القمح خلال العام 2020م، وهو ما يمثل 21.9% من واردات القمح العالمية، وتساءل: إذا لم تصل هذه الكميات فعلاً، فقد لا تصل بسبب الأزمة التي نتجت عنها أزمة غذائية تلوح في الأفق تزيد عما عرفه العالم عام 1929م، فضلاً عن المنتوجات الأخرى كالحليب والزيت واللحوم وغيرها.

وبحسب التقرير، تأتي مصر على رأس القائمة كأكبر مستورد للقمح، بحجم واردات 12.5 مليون طن، بينما جاءت تونس في آخر القائمة بحجم واردات 1.6 مليون طن، في حين تحتاج الجزائر 7 ملايين طن، والمغرب 4.8 مليون طن، والعراق 3.3 مليون طن بناءً على وفرة المحصول، واليمن 3.3 مليون طن، والمملكة العربية السعودية 3.2 مليون طن، والسودان 2.7 مليون طن، والإمارات العربية المتحدة 1.8 مليون طن.

وخلص د. ياسين إلى القول: إن الحبوب المستوردة تمثل ما يقرب من 60 - 70%

من تداعيات أزمة «كورونا» تعزيز ثقافة التعاون المحلي والإقليمي على أساس القيم المشتركة

اقتصاديات الدول أصبحت بعد «كورونا» اقتصاديات حرب تستوجب التركيز على الزراعة خوفاً من أزمة غذاء عالمية

المواطن في الدول العربية ينفق نسبة تتراوح بين 60 و80% من أمواله المخصصة للقطاع الصحي على الأدوية

10 دول عربية استوردت ثلث السلاح في العالم خلال 5 سنوات رغم أنه يُستخدم في الصراعات الإقليمية وتآكل الأمة



من استهلاك الحبوب الإقليمية، ومع ندرة المياه، وعدم الاستقرار السياسي، ومحدودية الأراضي الصالحة للزراعة، وركود الإنتاج، مع مضاعفات «كورونا»، من المرجح أن تستمر واردات الحبوب في الارتفاع، إن استمر مستقبلاً، وما يصاحبه من تنامي انعدام الأمن الغذائي.

صناعة الدواء

من جانبها، قالت د. آمال صيوة مفتاح، لـ«المجتمع»: أكدت جائحة «كورونا» أهمية صناعة الدواء والبحث العلمي في عالم الأدوية والمخابر، والحمد لله أن أدوية مثل «الكلوروكين»، و«الهيدروكسي كلوروكين»، و«أزيتروميسين» تصنع في بلادنا.

وتابعت: كشفت الجائحة أيضاً أهمية الاختراعات والاكتشافات التي أغفلتها الأمة لأسباب تتحمل المسؤولية عنها بعض الطبقات، والحمد لله أن هناك شباباً مبدعاً في تونس من المهندسين الذين اخترعوا وصنعوا لنا في وقت قياسي العديد من الآلات الحيوية من أجهزة تنفس وأقنعة وروبوتات وغيرها، ونحن فخورون بهم، ولقد جددوا فينا الأمل في مستقبل أفضل.

وكانت دراسات قد ذكرت بأن الدول العربية تنتج أدوية قيمتها 11 مليار دولار سنوياً، وتحوز على ما نسبته 3% من إنتاج العالم الدوائي.

في حين أن ما نسبته 65 – 80% من الأدوية في الدول العربية مستوردة، وأشارت إلى أن المواطن في الدول العربية، وفق دراسة تقديرية، ينفق نسبة تتراوح بين 60 و80% من أمواله المخصصة للقطاع الصحي على الأدوية.

إلى ذلك، قال المهندس المخترع نور الدين الجهيناوي (لديه العديد من الاختراعات)، لـ«المجتمع»: نحن في حاجة لوقفة تأمل في ماضينا القريب ووضعنا الحالي ومستقبلنا بخصوص الأركان الثلاثة: الغذاء، والدواء، ووسائل الدفاع عن النفس.

وتابع: ففي وضع الصدمة التي يعيشها العالم حالياً على كافة الأصعدة، وهو وضع أشبه بيوم القيامة، وضع يفر فيه المرء من أمه وأبيه وفصيلته التي تؤويه، كانت هناك غفلة يعيشها الجميع وكانت الاستفاقة على وقع الصدمة وهي استفاقة تطرح أسئلة أكثر من أي شيء آخر.

وذكر بأن العالم يعاد تشكيله، والسؤال هو: ما موقعنا من الإعراب في هذا التشكّل الجديد؟

واستدرك: كان بالإمكان أن يكون وضع الأمة في ظل جائحة «كورونا» أفضل مما هو عليه الآن وبمراحل، لو أنها أطاعت تعاليم دينها في السياسة والاقتصاد والاجتماع والثقافة والتضامن والوحدة، ومراعاة الفروض بما فيها فروض الكفاية في تأمين الغذاء والدواء ووسائل الدفاع عن نفسها، فمن يتبنون نظرية «صراع البقاء» لن يتوانوا إذا ما اقتضت مصالحهم ذلك عن دوس كل ما وقعوا عليه تحت راية الأمم المتحدة والمجالس والهيئات التابعة لها، وتحويل العالم إلى غابة حقيقية.

وأردف: مع انخفاض أسعار النفط إلى حد غير مسبوق تاريخياً، والحاجة إلى إنتاج وتخزين كميات كبيرة من المواد الغذائية، فضلاً عن احتمالات قيام حروب في إطار الصراع من أجل البقاء الذي بدأت بعض الدول الكبرى تدق طبوله في ظل تفشي «كورونا»؛ كالتوتر الحاصل حالياً بين واشنطن وبكين، وتوقعات البعض قيام حرب بينهما في أكتوبر القادم، وصدى ذلك في فرنسا حيث عزف الرئيس «ماكرون» نغمة واشنطن والحديث عن مطالبة ألمانيا للصين بتعويضات تقدر بـ249 مليار يورو، والحديث الواسع في بريطانيا حول الموضوع ومطالب بتعويضات بنحو 400 مليار جنيه إسترليني من الصين، وهو ما يذكرنا بحرب الأفيون التي شنت على الصين (الأولى عام 1840 – 1842م، والثانية عام 1856 – 1860م).

في خضم كل ذلك، تتذكر الأمة أقوال أحد كبار رجالها وفرسانها الشيخ محمد الغزالي رحمه الله: «إنَّ هناك سبعين صناعة مدنيَّة وعسكريَّة تتعلق بالنفط واستخراجه والانتفاع بمشتقاته لا نعرف منها شيئاً، فهل نخدم عقيدة التوحيد بهذا العجز المهين؟!»، ثم يتابع: «إنَّه لو قيل لكل شيء في البلاد الإسلاميَّة عد من حيث جئت لخشيت أن يعيش الناس حفاة عراة لا يجدون ما يكتسون ولا ما يتعلمون ولا حتى ما يضيء لهم البيوت» (مشكلات في طريق الدعوة الإسلامية، ص 12).

واستشهد الجهيناوي بتقارير تفيد بأن 10 دول عربية استوردت ثلث السلاح في العالم، خلال 5 سنوات (2013 – 2017م)، بزيادة بلغت 80% عن السنوات الخمس السابقة.

فبحسب قائمة نشرها تقرير لـ«معهد إستكهولم لأبحاث السلام» (SIPRI) لأكبر 40 دولة مستوردة للسلاح في العالم، جاءت 10 دول عربية ضمن القائمة، وبلغت نسبة وارداتها من الأسلحة 31.9% من إجمالي واردات السلاح في العالم، في الفترة من عام 2013 حتى عام 2017م.

وخلص إلى القول: لو أن هذه الأسلحة مفيدة للدول العربية في صد العدوان الأخطر لجاز الترحيب بذلك، ولكنها أسلحة تستخدم في الصراعات الإقليمية وتآكل الأمة، وما أحرانا اليوم لأسلحة من إنتاج ذاتي تكون كفيلة برد أي صائل خارجي يهدد وجودنا الثقافي والسياسي والبيولوجي.■



«كورونا» ربما يؤدي إلى تآكل الديمقراطية بالعالم

المجر مثال صارخ

جون هالتيوانجر (*)
ترجمة- جمال خطاب:

أفاد الخبراء بأن جائحة فيروس «كورونا» قد تحول المجر إلى دولة استبدادية كاملة، حيث يستغل الزعماء الاستبداديون في جميع أنحاء العالم الذعر والخوف المحيط بالفيروس لتعزيز السلطة وتفكيك الديمقراطية.

فقد مُنح رئيس الوزراء المجري «فيكتور أوربان»، يوم الإثنين 30 مارس 2020م، سلطات طوارئ كاسحة من قبل برلمان البلاد لمكافحة فيروس «كورونا»؛ وهو ما منحه الحق في الحكم بمرسوم إلى أجل غير مسمى (سلطة تجاوز الجمعية الوطنية)، وتعليق القوانين القائمة، كما أوقفت المجر -عضو بالاتحاد الأوروبي- الانتخابات المستقبلية، واستأصلت بشكل فعَّال الديمقراطية في البلاد، ونصبت «أوربان» أحدث دكتاتور في العالم.

ويعتبر «أوربان» واحداً من أكثر زعماء أوروبا إثارة للجدل، وقد اكتسب سمعة كراهية الإسلام ومعاداة السامية وكراهية الأجانب على نطاق واسع، بالإضافة لكونه شعبوياً وعدواً للقيم الديمقراطية.

«الآن، أصبحت المجر دكتاتورية كاملة، وقد كانت هذه ببساطة الخطوة الأخيرة في



جماعات حقوق الإنسان وكبار المسؤولين الأوروبيين قلقون بشأن سلطات رئيس وزراء المجر الجديدة

سلطات الطوارئ التي يمنحها القادة تزيد المخاوف من تآكل الديمقراطية بالعالم

العملية»، هكذا صرحت «شيري بيرمان»، أستاذة العلوم السياسية في كلية «بارنارد»، ومؤلفة كتاب «الديمقراطية والدكتاتورية في أوروبا»، لصحيفة «إنسايدر».

كما يتضمن قانون المجر الجديد عقوبات صارمة -تصل إلى السجن لمدة 5 سنوات- لأي شخص تقرر الحكومة المجرية أنه نشر معلومات خاطئة.

وعبرت جماعات حقوق الإنسان وكبار المسؤولين الأوروبيين عن قلقهم البالغ بشأن سلطات «أوربان» الجديدة.

وقال «ديفيد فيج»، مدير منظمة العفو الدولية في المجر، في بيان: يخلق هذا القانون حالة طوارئ غير خاضعة للسيطرة إلى أجل غير مسمى، ويمنح «فيكتور أوربان» وحكومته تفويضاً مطلقاً لتقييد حقوق الإنسان، وليست هذه هي الطريقة للتعامل مع الأزمة الحقيقية التي تسببت فيها جائحة «كورونا».

في غضون ذلك، قالت رئيسة المفوضية الأوروبية «أورسولا فون دير لين»، في تصريح موجه للمجر: إنه من الأهمية القصوى ألا تكون إجراءات الطوارئ على حساب مبادئنا وقيمنا الأساسية، لا يمكن للديمقراطية أن تعمل بدون إعلام حر ومستقل.

الاستيلاء على الطاقة التاجية

«أوربان» ليس وحده الذي يحاول استخدام أزمة فيروس «كورونا» كوسيلة لتمديد حكمه أو توسيعه.

«القادة الاستبداديون، سواء في الأنظمة الاستبدادية (مثل الصين وفنزويلا)، أو في الديمقراطيات «الإسمية» (مثل «إسرائيل» والمملكة المتحدة)، يستخدمون أزمة فيروس

(*) مراسل سياسي بصحيفة «Business Insider»

«كورونا»، مثل معظم الأزمات، لتقوية قبضتهم على السلطة وإضعاف المعارضة»، كما صرح «كاز كادل»، عالم السياسة في جامعة جورجيا وخبير في الشعبوية والتطرف والديمقراطية، لصحيفة «إنسايدر».

كما تم اتهام «بنيامين نتنياهو»، رئيس الوزراء «الإسرائيلي» بإجراء انقلاب سمي «انقلاب فيروس كورونا»! فـ«نتنياهو» الذي تم اتهامه بالفساد، نشهد تأخير محاكمته وتمديد حكمه وسط وباء «كورونا».

«في «إسرائيل»، حاول «بنيامين نتنياهو» استخدام فيروس «كورونا» لتوسيع سلطته، وبالتالي البقاء خارج السجن، ولكن لا يزال عليه الاعتماد على التحالفات مع الأحزاب المستقلة والسياسيين»، كما تقول «مود»، مؤلفة كتاب «أقصى اليمين اليوم».

تقول «شيري بيرمان»: للمجر مشكلتها الخاصة، حيث إن الحكومة لم يكن لديها أصلاً قوة مضادة، وقد تم تفكيك الديمقراطية الليبرالية إلى حد كبير في العقد الماضي، وبالتالي؛ ونظراً لأن «أوربان» يحكم الآن بمرسوم، وقد كانت معظم المحاكم في قبضته، أصبحت المجر بالفعل دولة استبدادية بالرغم من واجهتها الديمقراطية الإسمية.

وتضيف «برمان» أن المثال الأكثر لفتاً للانتباه لزعيم يستخدم الذعر من فيروس «كورونا» كوسيلة لانتزاع السلطة هو المجر، لكنها تشير إلى أن القادة الدكتاتوريين الآخرين (مثل الرئيس البرازيلي «بولسونارو») يستغلون الأزمة ومخاوف الناس من محاولة توطيد السلطة وتقويض خصومهم.

وقالت: إنه من البرازيل إلى بيلاروسيا يستخدم القادة المستبدون الخوف لتعزيز سلطتهم، وهم يبثون في الوقت نفسه الكذب حول أسباب وطبيعة الأزمة.

تعزيز الدكتاتورية

«جايير بولسونارو»، الرئيس البرازيلي، الذي وصف مضللاً فيروس «كورونا» بأنه مجرد «نزلة برد شديدة»، هاجم وسائل الإعلام واتهمها بمحاولة إثارة الهستيريا حول الوباء لتقويض حكومته، وتجاهل الزعيم البرازيلي العلم، وظل رافضاً تبني إجراءات مثل عمليات الإغلاق لمنع انتشار الفيروس.

وفي الفلبين، مُنح الرئيس «رودريجو دوتيرتي» سلطات طوارئ واسعة النطاق، وقال: إنه أمر الشرطة والجيش بإطلاق النار على أي شخص «يخلق مشكلات».

وقال «دوتيرتي»: ليكن هذا تحذيراً للجميع، أطع الحكومة في هذا الوقت لأنه من المهم أن يكون لدينا نظام، ولا تؤذِ العاملين الصحيين والأطباء؛ لأن هذه جريمة خطيرة، أوامري للشرطة والجيش إذا تسبب أي شخص في مشكلات، وعرَّض حياتهم للخطر، أطلقوا عليه الرصاص.

كذلك «ألكسندر لوكاشينكو»، رئيس روسيا البيضاء، رفض العلم فيما يخص فيروس «كورونا»، ووصفه بأنه «خلل عقلي» عالمي يحيط بالوباء، وشجع «لوكاشينكو» -وهو في السلطة منذ ربع قرن ومعروف بحملات القمع الوحشية على المعارضة- المواطنين على شرب «الفودكا» وزيارة «الساونا» للبقاء بصحة جيدة! حسب زعمه.

القادة الاستبداديون يستخدمون أزمة «كورونا» لتقوية قبضتهم على السلطة وإضعاف المعارضة

في العديد من البلدان مثل الصين و«إسرائيل» تقوم الحكومات بمراقبة عدوانية للناس باسم الصحة العامة

في العديد من البلدان، من بينها الصين و«إسرائيل»، تقوم الحكومات فيها بمراقبة عدوانية للناس باسم الصحة العامة.

وقد شجع فيروس «كورونا» الحكومات في جميع أنحاء العالم على تأجيل الانتخابات أو الاستفتاءات المهمة، ومن بين هذه الحكومات بوليفيا وتشيلي.

في هذه الأثناء، ألقى الرئيس الأمريكي «دونالد ترمب» باللوم على الصين في انتشار الفيروس، لفترة من الوقت، مسمياً إياه بـ«الفيروس الصيني»، وعلى الرغم من أن «ترمب» اتخذ نبرة أكثر جدية بشأن الوباء أخيراً، فإن الرئيس وحلفاءه السياسيين في كل من الكونجرس ووسائل الإعلام (فوكس نيوز) ادَّعوا، دون دليل، أن الديمقراطيين زادوا من خطر فيروس «كورونا» بغرض الإضرار بفرص إعادة انتخابه.

إن اتجاه المستبدين الحقيقيين والمحتملين إلى التقليل من خطر فيروس «كورونا» والتضحية أو إلقاء اللوم على مجموعات أخرى يمكن أن يأتي بنتائج عكسية مع تفاقم الوباء، ولكن سلطات الطوارئ التي يمنحها هؤلاء القادة تزيد -أيضاً- من المخاوف بين الخبراء حول تآكل طويل الأمد يمكن أن يحدث للديمقراطية في جميع أنحاء العالم.

تقول «فيونوالا ني أولين»، المقررة الخاصة للأمم المتحدة لمكافحة الإرهاب وحقوق الإنسان، لصحيفة «نيويورك تايمز»: قد يكون لدينا وباء مواز مع فيروس «كورونا» يتمثل في الإجراءات الاستبدادية والقمعية في أعقاب هذا الوباء الصحي.

وكتب «فلوريان بيبر»، أستاذ التاريخ والسياسة في جامعة «جراتس» بالنمسا، في مقال رأي حديث لـ«فورين بوليسي»: في أوقات الأزمات غالباً ما يتم تجاهل الضوابط والتوازنات من قبل السلطة التنفيذية، والخطر هو أن يصبح المؤقت دائماً، وإذا تهدد الأقوياء بفقدان الشرعية، فمن المرجح أن يضاعفوا ممارساتهم الاستبدادية ويستغلوا حالة الطوارئ لتوطيد سلطتهم.■





«المصلحة الإنسانية» بالفقه الإسلامي في ضوء وباء «كورونا»

أ.د. حسان عبدالله
أستاذ أصول التربية المساعد بجامعة دمياط- مصر

إن الإنسانية المعاصرة تدخل منعطفاً تاريخياً يتسم بالخطورة النوعية والكمية في آن واحد، ولا مفر منه إلا بتفعيل مبدئية «المصلحة الإنسانية» في كافة صورها، وفي الوعي العام والخاص بهذا المبدأ، والوعي الفردي كما الوعي المؤسسي، والمسؤولية الوطنية تماماً كما المسؤولية الدولية؛ فالكوكب كله معرض لمخاطر لم تحدد معالم نهاياتها بعد.

نتناول في هذه المقالة ما يمكن أن يقدمه «الفقه الإسلامي»، وهو كثير في تلك القضية الإنسانية الكبرى.

مدخل فقه «المصلحة الاجتماعية»:

«المصلحة الإنسانية» مبدأ راسخ في الشرع، وفي تكليفاته وأحكامه، يحدها إطار قيمي يجعل منه (المصلحة، الإصلاح، الاستصلاح) مدار التنزيل والنشاط بين الناس، وإن التصنيف الفقهي لأمور المعاد والمعاش كان إما للتعليم أو التوضيح المعرفي، ولا يمكنه أن يكون للفصل والتمايز والتفضيل والترجيح؛ وذلك لوحدانية المصدر الإلهي الذي خاطب الإنسان بطلب الهداية لهذه الأمور (المعاد، والمعاش) دائماً؛ ﴿اهدِنَــا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ﴾ (الفاتحة: 6).

نقف في هذا المدخل على أربعة مبادئ رئيسة في شبكة مقاصد الشريعة تتعلق بمبدأ «المصلحة الإنسانية»، وهذه المبادئ هي:

1 - إرادة اليسر: ﴿يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ (البقرة: 185).

2 - رفع الحرج: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ (الحج: 78).

3 - إرادة التخفيف: ﴿يُرِيدُ اللّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾ (النساء: 28).

4 - وضع الإصر: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ (الأعراف: 157)، في مقابل الرحمة: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: 107).

هذه الأركان الأربعة التي خاطب الله فيها «الجماعة الإنسانية» بصورة الجمع «بكم»، «عنكم»، «عليهم»، «العالمين».. تمثل منطلقات للفهم الراشد لحركة الفقه الاجتهادي في المجتمع الإسلامي، من ناحية، ومن ناحية أخرى؛ تمثل مؤشراً أو معياراً للقياس عليه لما يتولّد من أحكام وتكليفات.

المباني المعرفية لمفهوم «المصلحة الإنسانية» في الفقه:

المصلحة: مفعلة من الصلاح، وهو كون الشيء على هيئة كاملة بحسب ما يراد ذلك الشيء له؛ أي على وجه الكمال الذي ترشد إليه، أما حدّها بحسب العرف فهي السبب المؤدي إلى الصلاح والنفع، وبحسب الشرع هي السبب المؤدي إلى مقصود الشارع عبادة أو عادة، ثم هي تقسم إلى ما يقصده الشارع لحقه كالعبادات، وما لا يقصده الشارع لحقه كالعادات[1]، فالمصلحة تقابل المفسدة، وترادف النفع في مقابل الضرر، وتسعى في بنيتها إلى اتقاء الضرر وتحصيل النفع.

واصطلاحاً: استنباط الحكم في واقعة لا نص فيها ولا إجماع، بناء على مصلحة «عامة» لا دليل على اعتبارها أو إلغائها، وعند الغزالي: المصلحة المحافظة على مقاصد الشرع الخمسة[2].

ترتبط «المصلحة» من ناحية بمقاصد الشرع، التي حددها علماء المقاصد بخمسة (الحياة، الدين، العقل، المال، النسل)، وكذلك بطبيعة الأولويات (الضروريات، الحاجيات، التحسينات)، حيث إن المصلحة ومقاصد الشرع وجهان لعملة واحدة؛ هي تحقيق هداية الإنسان في الدنيا والآخرة، وهذا ما جاءت عليه أحكام الشرع في طبيعتها ومقاصدها.

«إن الشريعة مبناها على تحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها، ومن لم يـوازن مـا فـي الفعل والتـرك من المصلحة والمفسدة الشرعية فقد يدع واجبات ويفعل محرمات»[3]، وهذا من تمام الورع كما يذكر ابن تيمية.

المصلحة ومقاصد الشرع وجهان لعملة واحدة هي تحقيق هداية الإنسان في الدنيا والآخرة

ابن تيمية: إن الشريعة مبناها على تحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها



وهو أيضاً قول الشاطبي: «.. فقد ثبت بالدليل الشرعي أن الشريعة إنما جيء بالأوامر فيها جلباً للمصالح، سواء كان ذلك في الفعل أو الترك، فلا سبب مشروعاً إلا وفيه مصلحة لأجلها شُرع، ولا سبب ممنوعاً إلا وفيه مفسدة لأجلها مُنع».

ويذكر العز بن عبدالسلام، في ذلك أيضاً، قوله: «ومن تتبع مقاصد الشرع في جلب المصالح ودرء المفاسد، حصّلَ له من مجموع ذلك اعتقاد أو عرفان بأن هذه المفسدة لا يجوز قربها، وإن لم يكن فيها إجماع أو نص ولا قياس خاص، فإن فهم نفس الشرع يوجب ذلك»[4].

أما إدراك المصالح والمفاسد فتكون عبر طريقين؛ الأول: الشرع، والثاني: العقل، فالأول يأتي بالاستنباط المباشر من الأحكام والتشريعات، والثاني يأتي عن طريق الاجتهاد الفكري والعلمي والتخصصي إعمالاً لمبدأ الشرع؛ ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (النحل: 43).

ركائز «المصلحة الإنسانية» في تقرير الأحكام وتنزيلها:

إن الوعي الفقهي المتقدم بالمصلحة الإنسانية تولد عنه مجموعة من القواعد اللازمة التي قعَّدها العلماء في تقرير الأحكام وتنزيلها على الواقع المعيش، ومن أبرز تلك القواعد ما يلي:

1 - تحقيق المناط: أي التعرف على مجال الحكم ومكانه ومستهدفه، وينقسم إلى مجالين:

الأول: خاص بالفرد، والثاني خاص بالجماعة، وفي المجالين فإن الوعي بالواقع ضرورة من ضرورات تنزيل الأحكام، فحيث تتحقق المصلحة يكون الحكم، وحيث تكون المفسدة ينتفي الحكم.

2 - اعتبار المآلات: أي النظر المستقبلي في عواقب الأفعال -التي يتضمنها الحكم الشرعي- وما تؤول إليه، فإذا كان «المناط» يدرس الواقع الإنساني (الفردي والجماعي)، فإن «المآل» يدرس المستقبل لهما كذلك، فالعمل الفقهي عمل إستراتيجي تخطيطي للواقع الإنساني، يتضمن أهم وحدتين للزمن يعيش بينهما الإنسان؛ الحاضر، والمستقبل.

3 - الوعي بالمتغيرات الزمانية والمكانية (أي المجتمعية): إن الحكم الفقهي بطبيعته يرتبط بواقع له ثلاثة عناصر؛ الزمان والمكان والإنسان، وهذه الثلاثة تمثل عناصر البناء الاجتماعي لأي مجتمع، وكذلك أي نشاط حضاري للإنسان، وقد وعى الفقه الإسلامي هذا البعد، في كثير من تنزيلاته، وقد صاغ ابن القيم تلك القاعدة تحت عنوان «تغير الفتوى واختلافها بحسب تغير الأزمنة والأحوال والنيات والعوائد»[5].

ويضيف الريسوني: «.. فإذا ثبت أن الاعتبارات التي تغيرت (زمانياً ومكانياً)، وعليها ولأجلها وضع الحكم، فلا بد للفقيه أن يعيد النظر في ذلك الحكم الملائم للوضع الجديد وللحالة الجديدة، ذلك أن الحكم الذي وضعه الشرع، أو اجتهد فيه المجتهدون، لم يوضع للحالة الجديدة»[6].

العمل الفقهي إستراتيجي تخطيطي للواقع الإنساني يتضمن أهم وحدتين للزمن.. الحاضر والمستقبل

العقل الفقهي الإسلامي لا يمكنه أن يكون تابعاً لبعض الإجراءات السلبية التي تتخذ من جانب الإدارات الحكومية

4 - التعلق بمقاصد الشريعة: يرتبط الحكم الفقهي كذلك بمقاصد الشريعة، ومدى تحققها، وهذه المقاصد تحقق مقاصد الشرع في الخلق، ومقاصد الشريعة التي اتفق العلماء عليها يمكن أن نحدد أهم مجالاتها: الفرد، الأسرة، الأمة، الإنسانية[7].

5 - لا ضرر ولا ضرار: هذا المبدأ بطبيعته المعرفية يستهدف الإنسان والجماعة، ويسعى إلى تجنب الضرر لكليهما، وفي ذلك يقوم هذا المبدأ على عدة أمور؛ الأول: لا يجوز في الشرع الضرر ابتداء؛ أي لا يجوز أن يُضَر شخص في ماله أو نفسه، لأن الضرر ظلم، والظلم محرم في جميع الشرائع، والثاني: لا يجوز مقابلة الضرر بالضرر، وهذا معنى «لا ضرار»، والثالث: يُتحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام، والرابع: الضرر الأشد يزال بالضرر الأخف، والخامس: الضرورات تبيح المحظورات[8].

6 - درء المفاسد أولى من جلب المصالح: القصد من الشرع كلية جلب المصلحة بمفهومها المتسع (الدنيوي، والأخروي) للإنسان، وهذا يتضمن في باطنه دفع المفسدة عنه، أما حين تتعارض المصلحة والمفسدة، فإن الأولى درء المفسدة عن جلب المصلحة، وهو ما عرف في الفقه بفقه «الموازنات».

خارطة المفاسد والمصالح في ظل وباء «كورونا»:

إن الفقه الإسلامي المعاصر أمامه فرصة واسعة لتفعيل الاجتهاد المصلحي والمقاصدي، في ظل متغير لم تشهده البشرية وهو وباء «كوفيد- 19» المعروف إعلامياً بـ«كورونا»، من خلال بناء خارطة المصالح والمفاسد، وتطوير آليات الكشف والاستكشاف من ناحية، وآليات التشغيل للمبادئ الفقهية من ناحية أخرى.

إن العقل الفقهي الإسلامي لا يمكنه أن يكون تابعاً لبعض الإجراءات السلبية التي تتخذ من جانب الإدارات الحكومية؛ مثل تبرير (الإفتاء بالجواز) غلق المساجد، وتعطيل الشعائر المسجدية، فهذه تدابير جزئية، بينما يعول على العقل الفقهي أن يكون أكثر تقدماً بالبحث في كليات «المفاسد»، باعتبار أن الوباء الحادث مفسدة، وفي الآثار القريبة والبعيدة لهذا الوباء، ومجالات التأثير، ثم يحدد العقل الفقهي الإسهام الذي يجب أن يقوم به «الدين» للتعامل الحضاري والاجتماعي والإنساني الشامل مع الواقع الحاصل، والتداعيات المحتملة، وهذا لا شك يتطلب اشتباك الفقه مع مجالات علمية وإنسانية أخرى، بما يطور من حركة الفقه ذاته، والله يهدي إلى سواء السبيل.■

الهوامش

(1) نجم الدين الطوفي: المصلحة في الشريعة الإسلامية.
(2) الموسوعة الفقهية الكويتية، مصطلح «استصلاح».
(3) ابن تيمية: مجموع الفتاوى، ج10.
(4) قواعد الأحكام في مصالح الأنام، (160/2).
(5) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ج4.
(6) الريسوني: الاجتهاد بين النص والمصلحة والواقع، ص 69.
(7) هذا تصنيف للمجالات أورده جمال الدين عطية في ضوء تفكيك تصنيف المقاصد التي أرساها الشاطبي وتفريعها، وعد فيها ما يقرب من 30 مقصداً تتضمنها هذه المجالات الأربعة.
(8) انظر: عبدالكريم زيدان: مدخل إلى الشريعة الإسلامية، ص 82-83.



مسلمو أوروبا والصيام في زمن «كورونا»



طه سليمان عامر
رئيس هيئة العلماء والدعاة بألمانيا، وعضو المكتب التنفيذي للمجلس الأوروبي للأئمة

أظلّنا شهر رمضان المبارك في ظرف استثنائي لم نعهده من قبل، حيث قضينا في الحجر الصحي -إلى ساعة كتابة هذا المقال- ما يزيد على أربعة أسابيع، أُغلقت الجامعات والمدارس وروضات الأطفال، وتعطلت حركة الحياة بشكل شبه كامل، والعالم محبوس الأنفاس يترقب لحظة النجدة والخلاص من وباءٍ الْتَهَم عشرات الآلاف من الموتى، وأكثر من مليون مصاب حول العالم، خيّم الحزن على قلوب المسلمين بعد أن حُرموا من صلاة الجمعة في المساجد والجماعات والأنشطة المختلفة، سيما والمساجد في الغرب عامة هي المتنفس الأكبر والأوسع للمسلمين عامة.



بعد هذه الفترة لم ينفك الحجر الصحي، وقرارٍ إغلاق دور العبادة كلها في ألمانيا سيظل سارياً لفترة غير معلومة على وجه الدقة، وذلك ضمن التدابير الوقائية التي اتخذتها الحكومات.

مداد أقلام حبَّرت صفحات كثيرة حول العالم تحليلاً وتنظيراً لجائحة «كورونا» من زوايا عديدة، ولعلي أشير هنا إلى بعض التغيرات التي أحدثها هذا الوباء في حياة مسلمي أوروبا في بعض الجوانب الإيجابية:

- انتظام الحياة الإيمانية:

لن أكون مغالياً إن زعمتُ أن الأمة حول العالم لم تجتمع على القرآن الكريم مثلما اجتمعت في البيوت، وتحلقت الفترة الماضية إلى اليوم، إن أُغلقت المساجد فقد تحولت ملايين البيوت حول العالم إلى محاريب للصلاة وذكر الله.

لم تعهد الأسرة قبل «كورونا» أن تصلي الصلوات الخمس في المنزل في مشهد تطلعنا له زمناً طويلاً، ولم يعكف المسلمون على قراءة القرآن الكريم على مدار قرون طويلة على امتداد الكوكب مثل ما تحلقت حول آيات الذكر الحكيم، لقد أضاءت بيوت المسلمين بنور القرآن وعادت إليها الحياة بروحه؛ فهل بعد هذا من رحمةٍ ومنحةٍ انطوت عليها تلك الجائحة؟!

الأمة لم تجتمع على القرآن الكريم مثلما اجتمعت في البيوت وتحلقت حوله خلال الفترة الماضية

المساجد أُغلقت لكن رسالتها لم تتوقف فالدعاة والأئمة يواصلون رسالتهم عبر الإنترنت

- دعاة وقادة يبعثون الأمل:

مما أثلج صدري وأسعد قلبي وجدَّد الأمل ورسَّخ في نفوسنا أنَّ أمتنا بخير وعافية ما أظهرته أزمة «كورونا» من غَيْرة وهمَّة العلماء والدعاة وقادة المؤسسات الإسلامية في أوروبا وفي الغرب وحول العالم وحرصهم على تدين المسلمين وأداء عباداتهم.

نعم، لقد أغلقت المساجد لكن رسالتها لم تتوقف، فالدعاة والأئمة يواصلون دورهم ورسالتهم عبر شبكات الإنترنت، كما تُنَظم الدورات والمحاضرات في علوم ومجالات متنوعة.

- «كورونا» يصنع ملاحم إنسانية رائعة:

كشفت أزمة «كورونا» عن حقيقة ومعادن ابن آدم التي تتمثل في التراحم والترابط والإيثار والتعاون والحرص على سلامة

الإنسان، وهذا ما رأيناه في المجتمع الأوروبي بين مكوناته وجميع أطيافه، ولا أستطيع إحصاء المبادرات التي قادها الشباب المسلم والعديد من المؤسسات الإسلامية في أوروبا من أجل حصار الفيروس ومساعدة المتضررين، وكان لتوجيهات كبرى المؤسسات الدعوية الإفتائية الأثر الظاهر منذ بداية النازلة؛ حيث قام المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث بعقد دورتين من أجل بحث النازلة والإجابة عن أهم التساؤلات، والتأكيد على كل ما من شأنه حماية الأرواح وحصار الوباء بالفتاوى والتوصيات السديدة، كما قام المجلس الأوروبي للأئمة بإصدار دليل شرعي للتعامل مع الأزمة، ودليل عملي للمسلم الأوروبي ودوره التفاعلي داخل مجتمعه، ولم تُقصّر المؤسسات القُطرية على امتداد الساحة الأوروبية في كل ما من شأنه بعث الأمل وتقديم الدعم الروحي والنفسي لجموع المسلمين وتوجيههم لما فيه كل الخير لمجتمعاتهم.

- فرصة تاريخية شاملة:

أعتقد أن شهر رمضان هذا العام يمكن أن يكون فرصة تاريخية للأمة كلها، فقد اجتمعت محنة كبيرة يعيشها العالم أيقظت القلوب، ووصلتها بمن يكشف السوء والضر والكرب، تلك فرصتنا أن نقترب من مولانا العظيم ندعوه دعاء الغريق المضطر؛ ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ (النمل: 62).

هي فرصة أن ندرك الرسالة الوافدة من رب العالمين إلينا، أن نقف على العبر والعظات، وأن نتطهر من غفلتنا ونستيقظ من ركدتنا، وأن نعلم أن الله تعالى بنا رحيم حليم، وأننا أحوج ما نكون لفضله وكرمه وستره علينا.

فهل نتعلم ونُسرع الوصول له، ونحسن السَّيْر إليه؟

شعائر رمضان

لا ريب أننا نشتاق كثيراً لقضاء شهر رمضان ككل عام في رحاب بيوت أذن الله أن تُرفع، ونترقب قدومه لصلاة التراويح والاعتكاف والتحلق حول القرآن الكريم وجلسات التلاوة، فلنجعل بيوتنا كهوف الإيمان



رمضان هذا العام فرصة تاريخية للأمة كلها لأن تقترب من رب العالمين وتدرك رسالته إليها

على كل فرد أن يتخذ من رمضان زاد المسافر إلى ربه الذي لا غنى عنه طرفة عين

وحراء القرآن، وداراً جديدة للأرقم تصنع جيلاً جديداً مُشرق القلب بأنوار القرآن، فَتِيَّ العزم بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، نَيِّر العقل بمعارف الإسلام.

على كل فرد منا في كل مكان أن يجعل من شهر رمضان زاد المسافر إلى ربه الذي لا غنى له عنه طرفة عين، وأن نغتنم كل ساعة في التقرب من مولانا العظيم، والتضرع إليه وحسن عبادته والإلحاح عليه بالدعاء وكثرة الوقوف بين يديه سجداً وقياماً؛ ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ (الزمر: 9).

ها قد هللت يا شهر الهدى والتقى، والمغفرة وراحة القلب وسكينة النفس والروح ومهوى أفئدة المؤمنين وميلاد التائبين وساحة العابدين لربهم، العائذين لبابه اللائذين بجنابه، يا شهر الرضوان الأكبر، حيث يتغير الكون كله، ومعك تتزين الجنة وتشرع أبوابها للصائمين، ويذلل مولانا العظيم كل سبل الهداية والقرب منك احتفاء لقدومك، يا شهر رمضان المعظم.

حينما كانت تحين الصلاة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتلهف للقاء مولانا ليلقى بزمام أمره بين يديه، ويقول: «أرحنا بها يا بلال»، فيا شهر رمضان، إن قلوب المؤمنين اشتاقت لقدومك، فكل طاعة فيك ليست كَسواها في سائر الأيام، نلمس إشراق الروح، وصفاء النفس، وبهاء الوصال مع ذي الجلال.

إننا نقرأ القرآن وأنت معنا كأنه يتجلى لنا يوم الحساب، يقول: رب شفعني فيه، ومع كل آية منك نرقى، ومع كل سورة روحنا من نعيمها تلقى.

تجسدت فيك حقيقة القرآن العظيم، بروح القرآن تحيا قلوبنا، وبأنواره تتبدل نفوسنا، وبمعارفه تستتير عقولنا، ومعك أيها الشهر العظيم نستروح من تعب الدنيا، ونتطهر من غفلاتنا، ونثوب إلى مولانا بعد شرود، ما أحوجنا إليك في هذه الأيام والعالم يواجه فيروساً حبس الأرض عن حركتها، وأذهل الناس عن أنفسها، وتراهم حيارى يتلهفون عن أمل جديد لعودة الحياة، نترقب كل يوم الدعوة المستجابة للصائم عند فطره، كما أخبرنا رسولنا العظيم، عند لحظة الإفطار مع عائلتنا في ضراعة وافتقار وإنابة لرب ودود يقبل تائباً ويقيل عثرات الضعفاء.

يا شهر رمضان، عزمنا على الصيام إيماناً واحتساباً لننعم ببشارة رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَاناً وَاحْتِسَاباً غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» (رواه البخاري).

ها قد قدمتَ يا شهر القيام لنظفر بالتراويح جماعة في بيوتنا بعد ما حُرمنا شرف المسارعة إلى بيوت الله، وأملنا أن نفوز بـ«غفر له ما تقدم من ذنبه»، سنتلمس ليلة القدر فيك لنحظى بالنعيم المقيم يوم نسعد بـ«غُفر له ما تقدم من ذنبه».

إن حُرمنا الجماعة والجماعات، فقلوبنا بأهلنا وإخواننا موصولة ولهم منا دعاء لا ينقطع.

يا شهر رمضان، لقد كشفت لنا أن حاجات الروح فوق حاجات الجسد، سنتعلم منك أن نعيد لروحنا مجدها حينما تتصل بالسماء، ولقلوبنا صفاءها حينما نحمل فيها كل خير لكل البشر.

سنطيل التأمل والتدبر فيك؛ لنقف على أسرارك لعل قبساً من نورك يحيط بنا فنَسعد ونُسعد الناس جميعاً من حولنا.

اللهم تقبل منا رمضان، واجعلنا فيه من عتقائك من النار ومن الفائزين.■



إسلام آباد - ميديا لينك:



باكستان.. من مواجهة الهند إلى مواجهة «كورونا»

باكستان مثل غيرها من دول العالم باتت معنية بمواجهة جائحة «كورونا» وتطهير البلاد من هذا الفيروس الخطير؛ فبعد أن كانت منشغلة بمواجهة المجموعات المسلحة والأزمات السياسية والاقتصادية، دخلت على الخط أزمة صحية خطيرة تطلبت تغيير أولويات حكومة «عمران خان»، واتخاذها تدابير جديدة لكسب معركتها في مواجهة الجائحة، وبات الشغل الشاغل للحكومة الإسراع في إضعاف وإبطاء انتشار هذا الفيروس في المجتمع، إلى أن تنجح المؤسسات الطبية العالمية في العثور على دواء أو لقاح ضد «كورونا».

وحول مواجهة باكستان وباء «كورونا»، قال رئيس الوزراء «عمران خان»، ووزير الصحة «ظفر ميرزا»: إن باكستان لم تكن مستعدة لمواجهة وباء كاسح مثل «كورونا»، وأظهرت إمكاناتها أنها لم تعط في الماضي أهمية لمنظومتها الصحية والحاجيات الضرورية للمواطنين، بل أعطت الأولوية لقطاعات عسكرية كانت تراها هي الأولوية بسبب مواجهة الهند والوضع في كشمير والصراع بالمنطقة.

ويؤكدان أن جائحة «كورونا» علَّمت الباكستانيين أنهم كانوا مقصرين في تقوية منظومتهم الصحية وقطاع الرعاية الطبية؛ فقد ظهر أن هذا القطاع ليس مستعداً لاستقبال المئات من المصابين بوباء قاتل، ورغم أن أعداد الإصابات بباكستان لم تكن كنظيرتها في الغرب وأمريكا والصين، فإن الوباء وضع البلاد في موضع لا تُحسد عليه.

وقال الصحفيان بقناة «جيو»؛ حامد مير، وسليم صافي: إن الوباء لفت انتباه الباكستانيين إلى أن عليهم إعادة النظر في أولوياتهم، وأن إنفاقها الكبير على قطاع القوة العسكرية والجانب التسليحي حوَّلها إلى قوة عسكرية بالمنطقة، وأثبت أن هناك تقصيراً هائلاً في إعداد القطاعات التي يُلجأ إليها في حالات الطوارئ الصحية والكوارث الإنسانية.

ويقول مير: إن الساسة الباكستانيين اعترفوا بتقصيرهم في ترقية المنظومة

كيف يساهم المسلمون في مجابهة وباء «كورونا» بالهند؟

نيودلهي - محمود عاصم:

يقوم المسلمون الهنود بدور كبير في مجابهة وباء «كورونا» كتفاً بكتف مع الهنود الآخرين، ولا يدّخرون أي شيء بوسعهم، ويقدمون كل غال ورخيص في سبيل ذلك؛ حيث تبذل الجماعات المسلمة -مثل الجماعة الإسلامية، وجمعية علماء المسلمين، وجماعة أهل الحديث، وجماعات الصوفية- كل ما بوسعها للمساهمة في عودة الأوضاع إلى نصابها، حيث قامت الجماعة الإسلامية وحدها بإطعام أكثر من مليون فقير بدون تمييز حسب الديانة خلال شهر تقريباً من الإغلاق في البلاد.

وكذلك قامت آلاف المنظمات غير الحكومية ومؤسسات المسلمين الهنود في المجالات المختلفة، مثل الطب والصيدلة على سبيل المثال، بمساعدة الحكومة الهندية وسكان الهند في محاربة جائحة «كورونا».

نماذج مشرقة

فمثلاً؛ شركة «سيبلا» (Cipla)، كبرى شركات صناعة الأدوية والمستحضرات الصيدلانية، يرأسها مسلم هندي وملياردير اسمه يوسف حميد، ويُعرف باسم «رابين هود» بسبب اهتمامه بتوفير الأدوية منخفضة التكاليف، ليس في الهند فحسب، بل في العديد من دول العالم، هذا الملياردير المسلم تعهد بمساعدة الحكومة الهندية بقيمة 250 مليون روبية هندية، كما أعلن عن مبادرة لصنع أدوية مضادة لفيروس «كورونا»، ونقلت الصحف الهندية أنه يمكن أن تكون «سيبلا» أول شركة هندية تتخصص في صنع الدواء المعالج لفيروس «كورونا»، خاصة أن لها تاريخاً مشرقاً في صنع الأدوية المضادة للأنفلونزا والأمراض التنفسية.

كما تعتبر شركة «واك هاردت» (Wockhardt) التي يصل دخلها الإجمالي إلى أكثر من 500 مليون دولار أمريكي، من بين أكبر الشركات الهندية في مجال صناعة الأدوية، والمدير التنفيذي لهذه الشركة هو «حابيل خوراكي والا»، يساهم بصناعة الأدوية والمستحضرات الصيدلانية وبالمستشفيات ومؤسسات الرعاية الطبية في حرب الهند

انتهى زمن إنفاق ثلث ميزانية باكستان على القطاعات الأمنية والعسكرية بسبب الهند

هناك تقصير هائل في إعداد القطاعات التي يُلجأ إليها في حالات الطوارئ الصحية والكوارث الإنسانية

الصحية، وعدم امتلاكهم رعاية صحية تناسب المجتمع يمكنها أن تلبي حاجياته عند الطوارئ.

واضطرت باكستان إلى طلب الدعم من المنظومة الصينية، واستدعت طواقم طبية منها، محملين بأجهزتهم ومعداتهم الصحية، رغم أن باكستان قوة نووية فرضت نفسها على العالم، لكنها إزاء وباء «كورونا» ظهرت أنها ضعيفة جداً وغير قادرة على مواجهة الوضع، وتوفير الرعاية الصحية اللازمة، ولا تمتلك برامج طوارئ توفر حاجات الباكستانيين من الغذاء وتنقذهم من كارثة محققة.

ويضيف صافي: على باكستان أن تعيد النظر بعد هذه الجائحة في أولوياتها، وفي رأيه أنه انتهى زمن إنفاق ثلث ميزانية الدولة على القطاعات الأمنية والعسكرية بسبب الهند، وأنه حان الوقت لتقسيم الميزانية على القطاعات العسكرية والصحية وتوفير الغذاء والأدوية، وامتلاك منظومة صحية قادرة على مواجهة الطوارئ دون الحاجة إلى استدعاء الطواقم الصينية وغيرها.

وبحسب صافي، فإن رئيس الوزراء «عمران خان» أعلن أنه بعد الجائحة وآثارها على الاقتصاد، فإن باكستان ستتجه إلى وضع خطة لترقية منظومتها الصحية وامتلاك خطة معيشية تساعدها في مواجهة مثل هذه الكوارث.

مشروع اجتماعي

ويستدرك صافي أن باكستان قد تكون نجحت إلى حد ما في امتلاك الأدوية لعلاج الوباء؛ إذ إنها من الدول المتوطن بها داء «الملاريا»، وقد تمكنت بالتعاون مع الصليب الأحمر الدولي في العقود الماضية من امتلاك ترسانة من الأدوية ضد الملاريا، وهي التي مكّنتها اليوم من مواجهة «كورونا»؛ حيث أثبت الأطباء أن دواء الملاريا قلل من أعداد المصابين، واستفادت باكستان منه بسبب امتلاكها مخزوناً ضخماً من هذا الدواء.

ويشير كمران خان، صحفي بقناة «دنيا» الإخبارية، إلى أن وباء «كورونا» سيشجع السلطات على التقرب أكثر من المواطنين، وسيحملها على وضع مشروع اجتماعي وتأسيس علاقات قوية مع المجتمع؛ لأنه من دون دعم الشعب الباكستاني وتعاونه، فلن تستطيع الحكومة النجاح في مواجهة كارثة صحية أو السيطرة عليها.

واعترفت الحكومة، حسب كامران خان، أن نجاحها ضد وباء «كورونا» متوقف على تعاون المواطنين معها، بتنفيذهم الإجراءات المعمول بها واحترامهم الحجر الصحي والبقاء في منازلهم.

وعلى رأي مستشاري رئيس الوزراء للصحة، فإنه في حالة تعاون المواطنين مع الحكومة في البقاء بمنازلهم، والتزامهم التباعد الاجتماعي، وشعورهم بالمسؤولية؛ سيساعد في السيطرة على الوضع الصحي الخطير، ومنع المزيد من الإصابات والحالات الحرجة التي تتطلب وضعها بغرف العناية المركزة، وما يعني ذلك من ضغط هائل على المنظومة الصحية التي لا يمكنها أن تتحمل مئات المصابين بإصابات حرجة وعلاجهم في وقت واحد.■

«الجماعة الإسلامية» قامت بإطعام أكثر من مليون فقير بدون تمييز حسب الديانة خلال شهر



ضد وباء «كورونا».

وتناولت وسائل الإعلام الهندية خبراً عن ابتكار آلة فحص لفيروس «كورونا» تتوافر بقيمة 500 روبية هندية فحسب بالأسواق الهندية من قبل «نديم رحمان»، وهو باحث وطبيب هندي تخرج في جامعة علي جراه الإسلامية بالهند، وتجدر الإشارة إلى أن فحص مرض «كورونا» يعتبر من أغلى الأسعار في الهند مقارنة بالبلدان المجاورة؛ حيث يكلف فحصه حالياً قيمة 4500 روبية هندية، وتم إعفاء الفقراء من هذه القيمة المرتفعة بعد قرار من المحكمة العليا بجمهورية الهند.

إضافة إلى الشخصيات البارزة المسلمة في الطب والصيدلة، هناك الكثير من رجال الأعمال والناشطين وشخصيات «بوليوود» المسلمين بالسينما الهندية التي تسهم بشكل كبير في مجابهة «كورونا»، فقد أعلن رجل الأعمال المسلم «عظيم بريم جي»، مؤسس ورئيس شركة «ويبرو» (Wipro)، التي تعتبر من بين أكبر الشركات الهندية على مستوى العالم في مجال تكنولوجيا المعلومات، أعلن عن أكبر تبرع بشكل إجمالي بقيمة 10 مليارات روبية هندية في صندوق رئيس الوزراء الهندي.

إن مسلمي الهند الذين يشكلون نسبة 14% من إجمالي سكان البلاد ليسوا متخلفين في تقديم مساعدتهم ومساهمتهم لمكافحة وباء «كورونا» في الهند؛ فهم يتكاتفون مع أتباع الأديان الأخرى جنباً إلى جنب، ولا يميزون في ذلك حسب أي نوع من أنواع التمييز، رغم أنهم يعانون من التمييز الديني والعنصري بشكل متواصل.■



رمضان في زمن «كورونا»..

برنامج عملي للأسرة

فاطمة عبدالرؤوف
كاتبة متخصصة بقضايا المرأة والمجتمع

ربما هو رمضان الأكثر اختلافاً الذي نشهده على هذا النحو؛ بلا جُمع ولا جماعات ولا صلاة تراويح في كثير من بلادنا الإسلامية، رمضان بلا «عزومات» وموائد رحمن وتجمعات عائلية وملتقيات ثقافية.

يبدو رمضان هذا العام ذا مذاق مختلف حقاً، إنه رمضان في ظلال جائحة «كورونا» وما تمثله من مشاعر قلق تنتاب الكثيرين.

رمضان هذا العام يمثل منحة عظيمة من الخالق سواء على مستوى الفرد أم الأسرة لو أحسن استثماره

لا يمكننا أن نغفل أن رمضان هذا العام يأتي وقد تضررت كثير من الأسر من جراء الركود الاقتصادي، وما تمخض عنه من فقدان الكثيرين لوظائفهم وتخفيض رواتب بعضهم الآخر.

ولكن على الرغم من هذا كله، فإن رمضان هذا العام يمثل منحة عظيمة من الخالق عز وجل سواء على مستوى الفرد أو على الأسرة إن أمكننا النظر بزاوية مختلفة لكل هذه التغيرات تتجاوز ما فيها من سلبيات وقلق ومخاوف، وتثمن الفرصة التي ربما لم تكن لتأتي أبداً لولا هذه التغيرات القهرية التي تزامنت مع رمضان هذا العام.

وهذه بعض الأفكار العملية التي يسهل تطبيقها واتخاذها قاعدة للبناء عليها، وتصميم برنامج خاص لكل أسرة حسب ظروفها، بحيث يتم استثمار هذه الفرصة السانحة بما يحقق أعلى عائد ممكن.

ويمكننا السير في هذا البرنامج المقترح في مسارين مرتبطين؛ أي أنه سيكون هناك المسار الفردي الذاتي، ومسار الأسرة الجماعي، ولا يخفى مدى الترابط والتقاطع بين المسارين.

الذات المتأملة

على المستوى الفردي، سيكون الهدف هو الخلوة بالنفس وممارسة عبادة التأمل والتفكر؛ فما نمر به من أجواء تدفعنا لممارسة المراجعة، وما نقوم به من عبادات من صيام وقيام وما يستتبع ذلك من صفاء الروح وإشراقها، يدعونا للتأمل والتفكر؛ ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (آل عمران: 191)، وعن الحسن البصري أنه قال: «تفكر ساعة خير من قيام ليلة»، فماذا إذا اجتمع القيام والتفكر معاً؟ لا شك أنه خير كثير يرفع المرء مقامات عالية، ورمضان هذا العام يمنح الوقت الكافي للقيام في خلوة، والتفكر بعيداً عن ضجيج الحياة الاجتماعية وما فيها من كثرة حديث وقيل وقال ونحو ذلك.

فالرجل إما أنه في عطلة كاملة، أو تم تقليص ساعات عمله، والمرأة تخلصت من عبء «العزومات» وما يلزمها من وقت وجهد في الإعداد، وما يتبعها من تنظيف وتنظيم كان يستهلك وقتاً هائلاً، حتى إنها لم تكن لتقوى في كثير من الأيام من الخلوة بذاتها وممارسة التفكر.

على أن عبادة التفكر تتسع أيضاً للتفكير في تفاصيل الحياة الشخصية؛ بما في ذلك العلاقة مع الزوج أو الزوجة، والعلاقة مع الأولاد وكيفية الارتقاء بها حتى تحقق الإشباع والرضا للجميع، وكيف تتحول لعلاقة صحية لا علاقة قائمة على المشاحنات والشجار.

تتحدث كثير من التقارير أن ظروف العزل الاجتماعي أحدثت حالة من الأجواء السلبية في البيوت ناتجة من أن الكثيرين لم يعتادوا على قضاء مثل هذا الوقت الطويل معاً فحدثت صدامات، خاصة أن هناك مشاعر غاضبة بسبب فقدان الوظيفة أو تخفيض الراتب أو غياب العادات الاجتماعية المعتادة؛ فكان تنفيس هذه المشاعر الغاضبة على صورة شد وجذب وصدام، لكن آن الأوان في رمضان لمراجعة هذه المشاعر والسلوكيات؛ فالمشاعر الإيمانية العالية وما فيها من وجل القلوب من الله عز وجل، وجميل التوكل عليه



تطرد مشاعر الغضب والقلق الخانقة، ويكون حسن الخلق وما يلزمه من تسامح وسلوكيات هادئة هدفاً رئيساً.

برنامج الأسرة

على أن الخلوة في رمضان وممارسة القيام والتفكر والذكر لا يعني أن يتمحور الإنسان حول نفسه وينعزل عن أسرته؛ فلا بد من التوازن بين الذات والأسرة، بل إن أحد أهم أهداف البرنامج الذاتي هو القدرة على التعاطي بشكل أكثر إيجابية مع الأسرة، خاصة مع غنيمة الوقت الطويل الذي نقضيه سوياً بسبب الوباء.

وهذه مجموعة من المقترحات القابلة للتطبيق التي تساعد في وضع برنامج للأسرة:

– تخصيص وقت كاف ومناسب لجلوس جميع أفراد الأسرة معاً للحوار، بالإضافة طبعاً لوقت تناول طعام الإفطار والسحور، حيث يمتنع الجميع عن التعامل مع الهاتف في هذا الوقت الأسري، ويتم طرح جميع الموضوعات على الطاولة بما في ذلك الحوار حول البرنامج المقترح للأسرة في رمضان.

– مشاركة الجميع في إضفاء جو من البهجة يتناسب مع شهر الصيام، بما في ذلك تعليق الزينة البسيطة وفروع الأضواء الرقيقة بلا إسراف، ويساعد ذلك في رفع الروح المعنوية، والتخلص من وطأة أخبار الوباء المقلقة التي تضج بها نشرات الأخبار وصفحات التواصل الاجتماعي.

– رمضان شهر صلة الأرحام، ولا تعني سياسة التباعد الاجتماعي والعزل المنزلي أن تضعف هذه الصلة، فمن الممكن جداً أن تخصص الجلسة الأسرية وقتاً للاتصال بالصوت والصورة بأحد الأقارب يومياً؛ للتواصل معه والحفاظ على حياة اجتماعية نشطة، وهي الحالة الوحيدة المسموح بها باستخدام الهاتف في الجلسة الأسرية اليومية.

– لا بد من الاتفاق على ميزانية بالغة الاعتدال والاقتصاد لشهر رمضان هذا العام؛ نظراً للظروف الاقتصادية المستجدة، فإذا كانت الأسرة معسرة فلا بد لها من الاقتصاد مع الرضا حتى يبدل الله الأحوال، وإن كانت الأسرة موسرة فلا بد من الاعتدال مع تقديم الفائض للأسر الأكثر احتياجاً، بالإضافة لتحويل القيمة النقدية لـ«العزومات» والولائم للأسر الفقيرة، وتلك التي يحسبها المرء للوهلة الأولى غنية من التعفف التي ازداد عددها، ولا بد من التفكير في صور مبتكرة لتوصيل هذه النفقات لهم، بحيث تبدو كهدية حتى لا تخدش كرامتهم، مع التذكير بأن الأقربين أولى بالمعروف.

– لا بد أن يشمل البرنامج الأسري تقسيم المهام المنزلية على الجميع كل بحسب طاقته ومهارته، ولذلك فائدة مزدوجة؛ فمن ناحية يخف العبء على الأم حتى تستطيع ممارسة عبادتها بشكل جيد، ومن ناحية أخرى يتم القضاء على الملل الذي يعانيه باقي أفراد الأسرة بسبب تعطل العمل والدراسة وعدم القدرة على مقابلة الأصدقاء ونحو ذلك.

وفي هذا السياق، لا بد أن يكون لدى الأم مساحة من المرونة لمنحهم الفرصة في المشاركة دون قلق لا داعي له، فإذا أراد الزوج الدخول للمطبخ وإعداد طبق للإفطار أو السحور فلا يحملها القلق من فشل الطهي، أو حتى القلق من اختلال نظام المطبخ من منعه من المشاركة، بل عليها تشجيعه للاندماج والتفاعل.

ومن الممكن عقد مسابقات مرحة بين الأولاد فيمن يقدم طبقاً للسحور اليوم، أو من يحسن تنظيف المطبخ أكثر، أو من يقوم بصورة أسرع بترتيب حجرته.

– إذا كان في الأسرة طفل صغير يصوم للمرة الأولى، وسيكون رمضانه الأول في ظلال جائحة «كورونا»، فلا بد من الاهتمام والاحتفال به، وتقديم الهدايا له، وترك أجمل الذكريات في نفسه عن هذا الشهر.

– ومن الأنشطة الجميلة التي يمكن أن يتشارك فيها الجميع تخصيص غرفة أو جزء من غرفة المعيشة أو بهو المنزل لمصلى منزلي صغير، بحيث يتم تزيينه وتعطيره ووضع المصاحف به، واتخاذه مصلى تقام فيه صلاة الجماعة في البيت، ويمكن أيضاً صلاة القيام فيه، وقد كان من عادة السلف أن يتخذوا في بيوتهم أماكن معدة للصلاة: ﴿وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (يونس: 87)، فالصلاة جماعة في مكان مخصص في البيت تمنح جزءاً من السكينة التي كانت تظلل الصلاة في المسجد.

– من الأهمية بمكان عقد جلسات قصيرة للعلم والتذكرة، أو جلسات لقراءة القرآن، مع الاهتمام بتصحيح أحكام التلاوة، وإلقاء بعض الأضواء الكاشفة على تفسير الآيات في جلسة أسرية ثابتة الموعد، ولتكن بعد صلاة الفجر أو العشاء مثلاً، وتتمحور حول موضوعات مثل: كيف نتضرع لله سبحانه وتعالى حتى يكشف ما بنا من غم وكرب؟ أحوال الأمم السابقة وأحوالنا.. وغيرها، المهم أن نحرص على الاستماع لما يدور في عقول الأولاد من أفكار وخواطر حول هذا الموضوع، ويتم الحوار معهم في هذه الخواطر؛ فلا نكتفي بأسلوب إلقاء الدروس الجاف دون تفعيل مهارة الإنصات والتفاعل والتشجيع على التفكير والبحث، ومن الممكن منح الأولاد الفرصة لإدارة جلسة، أو أن يكون الابن المتحدث الرئيس فيها حتى نمنحهم الثقة اللازمة للبحث والإلقاء.■



الصلاة جماعة بمكان مخصص في البيت تمنح جزءاً من السكينة تعوض الصلاة بالمسجد

عبادة التفكر تتسع لتشمل تفاصيل الحياة الشخصية مثل العلاقة مع الزوج أو الزوجة أو تربية الأولاد

رمضان شهر صلة الأرحام ولا تعني سياسة التباعد الاجتماعي أن تضعف هذه الصلة



دخل شهر رمضان الفضيل على المجتمع الماليزي هذا العام، وقد تغير كل شيء؛ فالأجواء الصاخبة، والأسواق المكتظة، وعروض المتاجر من كل نوع، وهدير أصوات المساجد بالتكبير والتهليل والقرآن وصلاة التراويح؛ كل ذلك اختفى، فيبدو للمراقب وكأن هذا رمضان آخر غير الذي اعتاده الناس في كل عام، وكل ذلك بفعل إجراءات الوقاية من وباء «كورونا».

ماليزيا.. إجراءات الوقاية من «كورونا» قضت على مظاهر رمضان

أحمد سليمان

حسب آخر تحديثات وزارة الصحة الماليزية حول جائحة «كورونا»، بتاريخ 26 أبريل 2020م، فقد بلغت أعداد الحالات المؤكدة 5780 حالة، تعافى منها بالفعل 3862، بينما بلغت حالات الوفاة خلال الأزمة 98 حالة، وما زال 1820 مصاباً يتلقون العلاج في مستشفيات الحجر الصحي، وقد تناقصت الحالات المكتشفة يومياً بشكل واضح من متوسط 180 حالة يومياً في نهايات مارس الماضي، إلى أقل من 50 حالة يومياً حالياً؛ مما قاد إلى أن عدد حالات المتعافين يومياً أصبح من ضعفين إلى ثلاثة أضعاف الحالات المكتشفة.

ومع دخول الأيام الأولى من رمضان، تم تجديد «قرار تقييد الحركة» المعروف اختصاراً بـ«MCO» للمرة الرابعة على التوالي؛ مما يعني شهرين تقريباً من الإغلاق الكامل لكافة مظاهر الحياة والانتقال والحركة.

والحقيقة أن إغلاق المساجد يعد العامل الأكثر تأثيراً في تغيير مزاج المواطنين الماليزيين في ظل الأزمة، فالمسجد بالنسبة لمسلمي ماليزيا لا يقتصر دوره على الصلوات فحسب، بل يكاد يكون بيتاً ثانياً لهم في رمضان، ففي الثقافة الماليزية تناول الطعام بشكل جماعي يضفي على الأجواء مزيداً من البهجة، ومشاركة الطعام هي جزء من التكوين النفسي للكثيرين، لذلك يتناول العديد من الجيران طعامي الإفطار والسحور في المسجد، وفي صلاة التراويح يقدم رواد المسجد الكثير من الحلويات، والفواكه، والعصائر والأطعمة الخفيفة للمصلين بعد انتهاء الصلاة؛ مما يمثل حافزاً للصغار لحضور الصلوات، والاستمتاع بتناول المأكولات والمشروبات في المسجد.

«مكره أخوك..»! يضطر ملايين المسلمين في ماليزيا إلى أداء صلوات التراويح في بيوتهم كما كانت على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وخليفته الأول، لكن هذا الإجراء للأسف حرم الكثيرين ممن قد لا يتوافر لهم إمام يؤمهم في هذه الصلاة، فليس في كل البيوت رجل قادر على قراءة القرآن القراءة الصحيحة ولو من المصحف، في الوقت الذي يعاني آلاف الأئمة من حالة الفراغ التي أعقبت إغلاق المساجد.

الشيخ عبدالرحيم بن محمد شفيق، إمام مسجد الفلاح بـ«سونجاي دوا»، الذي تلقى تعليمه في الأزهر الشريف، يقول والحسرة بادية من حديثه: في مثل هذا الوقت من العام الماضي، كنت مشغولاً بترتيب صلاة التراويح ودروس العلم، وطعام الإفطار والسحور لمن يتناولون طعامهم في المسجد، كذلك الضيافة التي تقدم للمصلين أثناء صلاة التراويح، لكنني هذا العام وفي شهر رمضان بلا عمل!

وقد حاولت إدارة الشؤون الدينية في مجالس الولايات التعويض ببعض الدروس على شبكات التواصل الاجتماعي، وفي وسائل الإعلام، لكن لا يزال الفارق بين ما اعتاده الناس والمتاح واسعاً.

كانت مبادرة علماء الشريعة في باكستان، التي تكللت بالنجاح في إقناع الحكومة بفتح المساجد مع اتخاذ كافة التدابير الاحترازية، دافعاً إلى مبادرة

إغلاق المساجد يعد العامل الأكثر تأثيراً في تغيير مزاج الماليزيين في ظل الأزمة

الأسواق جزء من ثقافة المجتمع الذي لا يستغني عنها خاصة في رمضان







مماثلة تقدم بها مجموعة من علماء الشريعة العرب والماليزيين إلى وزارة الشؤون الدينية لتخفيف القيود على المساجد بمناسبة الشهر الفضيل، فمثلاً الأسواق العامة هنا والصيدليات وأماكن الخدمة الضرورية يسمح لهم باستقبال عدد معين، وكان من المرجو أن يسمح بالشيء ذاته للمساجد حتى لا يكون الشهر خالياً من كافة مظاهر الاحتفاء به، فالمساجد التي كانت تتزين بأنوارها لاستقبال ضيوف الرحمن، أصبحت أبوابها موصدة، وأنوارها مطفأة، وقد أثر هذا ولا شك في قلوب ونفوس عشاق المساجد، إلا أن وزارة الشؤون الإسلامية اعتذرت بأن التحكم في هذه الآلية غير مضمون، خاصة أن كثيراً من المساجد الماليزية هي مساجد أهلية لا تخضع للإشراف المباشر من وزارة الأوقاف، وأضافت أن «قرار تقييد الحركة قرار سيادي» ولا تملك الوزارة صلاحيات التعديل عليه.

أسواق كأنْ لم تغنَ بالأمس

على الرغم من معرفتي أن قرار تقييد الحركة يشمل الأسواق الليلية، فإنني قمت بزيارة أكثر من مكان من أماكن هذه الأسواق، لأرى كم كان هذا الوباء قاسياً، فقد كانت هذه الأماكن تغص بالناس والبضائع من كل جنس ولون، لكنها الآن خاوية على عروشها كأن لم تغن بالأمس.

وهذه الأسواق جزء من ثقافة وتقاليد المجتمع الماليزي، خاصة في شهر رمضان، ففي العادة أن هذه الأسواق تعقد بين مرة أو مرتين على الأكثر أسبوعياً في غير رمضان، أما في الشهر المبارك فهي أسواق يومية توفر طعام الإفطار ومستلزمات الشهر من

بعض الجاليات قامت بتنظيم المحاضرات والورش التدريبية عبر تطبيقات التعليم الإلكتروني المختلفة

أدوات الحماية تمثل عبئاً إضافياً على الطواقم الطبية حيث يضطرون لاستخدامها طوال فترة العمل

التمور، والحلويات، والخضراوات والفواكه واللحوم والأسماك بأنواعها.

قبل «كورونا»، كانت العادة بين الجاليات العربية في ماليزيا أن تجمعهم بعض المجموعات الإلكترونية على وسائل التواصل المختلفة فقط لتبادل الخبرات والمعلومات وطلبات التشغيل والإعلان عن المبيعات أو المشتريات، لكن بما أن كل ذلك قد توقف أو كاد، فقد لاحظت نوعاً جديداً من التفاعل الإيجابي بين أبناء الجالية العربية -ورب ضارة نافعة- فقد قام النادي اليمني بتنظيم عدد كبير من المحاضرات والندوات والورش التدريبية عبر تطبيقات التعليم الإلكتروني المختلفة، وقد استفاد منها المئات من الجالية العربية بعمومها من اليمنيين وغيرهم على السواء، وقامت الجالية المصرية بتنظيم درس يومي بديلاً عن درس التراويح الذي كان يؤدَّى في المساجد، مما أسهم في تعارف واسع بين أبناء الجالية، تعارف عززته العزلة الإجبارية!

كان قرار تقييد الحركة صارماً إلى الحد الذي لم يسمح لطلاب المدن الجامعية في الجامعات الماليزية المختلفة بالعودة إلى بيوتهم، فكانوا في حكم العالقين، الجامعات مغلقة ولا يوجد تدريس من أي نوع، وأيضاً هم مجبرون على الإقامة في المدن الجامعية، فالتحرك بين الولايات الماليزية كان يحتاج إذناً خاصاً من مراكز الشرطة، وهو ما لم يكن متاحاً إلى 23 أبريل الماضي، لكن رئاسة الوزراء ومع التراجعات الملحوظة لأعداد الإصابات الجديدة، ومع إعلان تمديد القرار للمرة الرابعة، سمحت لهؤلاء الطلاب بالعودة إلى منازلهم بمناسبة الشهر الفضيل.

د. محمد وان حكيم، مدير أحد المستشفيات الحكومية الكبرى في بينانج، التقيته والإرهاق واضح على ملامح وجهه، والإعياء باد على جسده النحيل، قلت: كيف رمضانكم هذا العام؟ قال: نحن على خطوط المواجهة الأمامية ربما لن نشعر برمضان هذا العام، فكل الطواقم الطبية مطالبون بالعمل 12 ساعة يومياً كحد أدنى في ظروف التشغيل الطبيعية، أما في حالات الطوارئ فلا يسمح لنا بالراحة إلا أقل القليل من الوقت، ولا بد أن نبقى على استعداد دائم للاستدعاء لأي ظرف طارئ، هذا فضلاً عن أن أدوات الحماية التي نستخدمها للوقاية من العدوى بقدر ما تقدم لنا من حماية فإنها تمثل عبئاً إضافياً، فنحن مضطرون إلى البقاء داخل تلك الدروع طوال أوقات العمل.

يهوّن الماليزيون على أنفسهم أجواء العزلة ووقف أعمالهم بالحديث عن أداء دورهم في محاصرة المرض وقطع سلسلة انتشاره، ويأملون ونأمل معهم في فرج قريب بإذن الله تعالى.■



أحكام رمضان مع فيروس «كورونا»



د. مسعود صبري
أستاذ مشارك في الفقه والأصول

في ظل ما يعيشه الناس من حجر صحي؛ كلياً كان أو جزئياً، بسبب فيروس «كورونا»، ومع المؤشرات التي تخبر أن الحجر الصحي سيطول - نوعاً ما- ولأول مرة أقبل رمضان والناس في بيوتهم، ولن يتمكنوا من صلاة التراويح في المساجد؛ ونظراً للتغيرات التي حلت بالعالم كله بما في ذلك العالم الإسلامي، طُرحت عدة أسئلة وقضايا فقهية، من أهمها: هل يجوز للناس الفطر في رمضان بسبب التخوف من انتقال العدوى بفيروس «كورونا» مع نصح الأطباء بالبقاء على الحلق رطباً، وشرب المياه كل عشرين دقيقة؟

وما حكم صلاة التراويح في مثل هذه الظروف؟

وهل يجوز للناس التعجيل بإخراج زكاة المال وزكاة الفطر، أم يجب إخراجهما في وقتيهما؟

وما ضوابط إخراج الزكاة في ظل هذه الظروف؟

وهل فيروس «كورونا» عقاب من الله لانتشار الظلم والطغيان؟

الفطر بسبب «كورونا»:

الإفطار بسبب التخوف من فيروس «كورونا» لا يجوز شرعاً، لأنه يخالف عموم قوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: 183)، فالآية تدل بعمومها على وجوب الصيام على كل المسلمين، واستثنى الله تعالى أصحاب الأعذار وعلى رأسهم المرضى الذين يصعب عليهم الصيام، أما من كان مريضاً مرضاً لا يؤثر الصيام فيه، فلا يجوز له الفطر، لأن قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً﴾ (البقرة: 184) يعني من كان منكم مرضاً يمنع من الصيام، ومجرد التخوف من المرض لا يبيح الفطر، والقول بجواز الإفطار نقض لأصل العبادة بلا عذر، فلا يجوز.

كما أن الادعاء بجواز الفطر قائم على أن الإنسان بحاجة إلى كثرة شرب المياه للمناعة من العدوى بفيروس «كورونا»، وهو ما نفته «منظمة الصحة العالمية»، حيث ذكرت أن شرب المياه ليس مانعاً من الإصابة من المرض؛ بل يشير الأطباء إلى أن الصيام يقوي جهاز المناعة عند الإنسان، وهو ما يحتاجه الإنسان للوقاية من فيروس «كورونا»، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «الصوم جنة»، فهو وقاية للإنسان من الإصابة من الأمراض في الدنيا، ووقاية له من عذاب الله يوم القيامة.

أما من كان مريضاً بالفعل، سواء كان بـ«كورونا» أو غيره، ويحتاج إلى تناول الدواء -وليس تناول الماء- فله الفطر، وعليه القضاء بنص القرآن الكريم، كما قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ (البقرة: 184)، كما يمكن لأصحاب الأعذار أن يفطروا، وإن كانوا قادرين على الصيام، ويكون التخوف من «كورونا» عاملاً مساعداً وسبباً ثانوياً وليس رئيساً في الفطر، لأنه يجوز لهم الفطر ابتداء؛ كالمسافر، والحامل والمرضى وكبار السن جداً وأصحاب الأعمال الشاقة التي لا يقدرون على الصيام معها.

صلاة التراويح: ومن المسائل التي يحتاج المسلمون إلى معرفة حكمها هذه الأيام صلاة التراويح في رمضان مع وجود الحجر الصحي وبقاء الناس في البيوت.

وصلاة التراويح صلاها النبي صلى الله عليه وسلم بالصحابة بضعة أيام، ثم امتنع عن الخروج للصلاة بهم جماعة؛ خشية أن تُفرض عليهم، روى الشيخان عن عائشة رضي الله تعالى عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج من جوف الليل ليالي من رمضان وصلى في المسجد، وصلى الناس بصلاته، وتكاثروا فلم يخرج إليهم في الرابعة، وقال لهم: «خشيت أن تفرض عليكم فتعجزوا عنها».

وكان الصحابة رضوان الله عليهم يصلونها في البيوت، أو في المسجد، إما فرادى، أو مجموعات صغيرة، وظل الأمر هكذا في خلافة أبي بكر الصديق، وصدراً من خلافة عمر بن الخطاب، ثم جمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه الناس في التراويح على إمام واحد في السنة الرابعة عشرة من الهجرة، بعد سنتين من خلافته، لما رأى من تشتت المسلمين في صلاة التراويح.

وقد اختلف الفقهاء أيهما أفضل في صلاة التراويح؛ هل الأولى صلاتها في المسجد أم في البيت، ولو صلاها في البيت، هل الأولى أن يصليها وحده أم جماعة؟ فذهب جمهور الفقهاء على أن الأولى صلاتها جماعة في المسجد، لما جرى عليه العمل من زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى يومنا، وذهب

يمكن لأصحاب الأعذار أن يفطروا ويكون التخوف من «كورونا» عاملاً ثانوياً وليس سبباً رئيساً في الفطر

الحنفية: صلاة التراويح جماعة في المسجد سُنة على الكفاية ويأثم المسلمون بتركها



البعض كالإمام مالك والشافعي أن الأفضل صلاتها فرادى في البيت، وذلك لما ورد في السُّنة من الحث على الصلاة في البيوت، كقوله صلى الله عليه وسلم: «صلوا في بيوتكم، ولا تتخذوها قبوراً».

وذهب الحنفية إلى أن صلاة التراويح جماعة في المسجد سُنة على الكفاية، ويأثم المسلمون بتركها، أما إن تخلف فرد عنها وصلاها في بيته، فصلاته صحيحة، ولا ينال ثواب الجماعة ولو صلاها جماعة في بيته، وهو مروي عن بعض الصحابة والتابعين، وشذَّ الطحاوي ورأى أن صلاة التراويح في الجماعة واجبة على الكفاية، وذهب فقهاء أهل البيت إلى أن صلاتها في المسجد بدعة، وفصَّل بعض الفقهاء فرأوا أن صلاتها في المسجد أحياناً أفضل، خاصة لمن يُقتدى به كالفقيه والداعية والعالم، وقد تكون صلاتها في البيت أفضل، لمن كان حافظاً للقرآن، وينشط لصلاتها وحده.

ولما كانت المسألة محل خلاف بين الفقهاء في الأحوال العادية، فيجوز صلاتها جماعة في البيوت مع ما يعيشه الناس من الحجر الصحي ولزوم البيوت، ويكون لمن صلاها جماعة له ثواب الجماعة، ولو كان الرجل يصلي بأهله وحدهم، فينال ثواب الجماعة فيها.

تعجيل إخراج زكاة المال: اختلف الفقهاء في تعجيل إخراج زكاة المال، فذهب جمهور الفقهاء إلى أنه يجوز تعجيل إخراج زكاة المال عن وقتها، متى وجد سبب وجوب الزكاة الذي هو النصاب الكامل، وممن قال به من الجمهور الحسن البصري، وسعيد بن جبير، والزهري، والأوزاعي، وأبو حنيفة، والشافعي، وإسحاق، وأبو عبيد.

واستدل الجمهور على جواز تعجيل الزكاة بما أخرجه أبو داود عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، «أن العباس سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم في تعجيل زكاته، قبل أن يحول الحول، مسارعة إلى الخير، فأذن له في ذلك»، كما استدلوا بأنه مال وجد سبب وجوبه قبل وجوبه، فجاز إخراجه، وكذلك القياس على جواز تعجيل قضاء الدين قبل حلول الأجل، وأداء كفارة اليمين بعد الحلف وقبل الحنث، وكفارة القتل بعد الجرح قبل الزهوق.

بعض الفقهاء يرون أنه لا يجوز تعجيل إخراج الزكاة عن وقتها وأن الحول أحد شرطيها

وذهب بعض الفقهاء إلى أنه لا يجوز تعجيل إخراج الزكاة عن وقتها، من حيث الأصل، وهو رأي مروي عن الحسن البصري، وبه قال ربيعة الرأي، ومالك، وداود الظاهري، ومنعه ابن المنذر، وابن خزيمة من الشافعية، وأشهب من المالكية، وقال: لا تجزئ قبل محله كالصلاة، ورواه كذلك ابن وهب، قال ابن يونس: وهو الأقرب، وغيره استحسان.

واستدلوا بما ورد أن ابن عمر كان يقول: «لا تجب في مال زكاة، حتى يحول عليه الحول» (أخرجه الموطأ)، كما استدلوا بقوله صلى الله عليه وسلم: «من استفاد مالاً فلا زكاة فيه حتى يحول عليه الحول».

كما رأوا أن الحول -وهو مرور عام هجري كامل- أحد شرطي الزكاة، فلم يجز تقديم الزكاة عليه، قياساً على النصاب، فإنه لا يجوز تقديم إخراج الزكاة إن لم يبلغ المال نصاباً، وإن للزكاة وقتاً، فلا يجوز تقديم العبادة عن وقتها، مثل غيرها من العبادات.

والراجح في المسألة قول الجمهور؛ لأن أحاديث المنع إنما تتوجه نحو الوجوب، ولم يقل أحد من الفقهاء: إنه يجب تعجيل الزكاة، بل القول على الجواز أو الاستحباب في أعلى درجاته.

مدة تعجيل الزكاة: كما اختلف الفقهاء في المدة التي يجوز فيها تعجيل إخراج الزكاة بين القول بأنه يجوز تعجيل إخراج الزكاة لسنين، وذلك لوجود سبب الوجوب، أو يقتصر تعجيل إخراج زكاة المال لسنتين فقط، أو أنه يقتصر على تعجيل الزكاة لعام واحد، أو أنه لا يجوز تعجيل إخراج زكاة المال أكثر من شهر، وهو مذهب المالكية.

تعجيل زكاة الفطر: اختلف الفقهاء في تعجيل زكاة الفطر، على النحو التالي:

ذهب جمهور الحنفية إلى أن وقت وجوب أداء زكاة الفطر موسع، لأن الأمر بأدائها غير مقيد بوقت، كالزكاة، غير أن المستحب إخراجها قبل الذهاب إلى المصلى، لقوله صلى الله عليه وسلم: «اغنوهم في هذا اليوم»، وذهب المالكية والحنابلة إلى أنه يجوز تقديمها عن وقتها يومين لقول ابن عمر رضي الله تعالى عنهما: «كانوا يعطون صدقة الفطر قبل العيد بيوم أو يومين»، وذهب الشافعية إلى أنه يسن إخراجها قبل صلاة العيد ويكره تأخيرها عن الصلاة، ومحرم تأخيرها عن يوم العيد بلا عذر.

ضوابط إخراج الزكاة في ظل انتشار الفيروس: في نقل زكاة المال من بلد المزكي إلى بلد آخر مسألتان:

الأولى: هل يجوز نقل الزكاة من بلد إلى آخر؟

والثانية: لو نقلها بدون مبرر، هل تجزئ عنه، أم يجب أن يخرجها مرة أخرى؟

أما نقل الزكاة من بلد إلى آخر، فجمهور الفقهاء عدا الحنفية لا يجيزون نقل الزكاة من بلد إلى آخر في الجملة، واستدلوا بعموم حديث النبي صلى الله عليه وسلم: «تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم»، ولفعل عمر رضي الله عنه لما أرسل إليه معاذ صدقة من اليمن، فقال له: «لم أبعثك جابياً ولا آخذ جزية، ولكن بعثتك لتأخذ من أغنياء الناس فترد على فقرائهم، فقال معاذ: ما بعثت إليك بشيء وأنا أجد من يأخذه مني»، وقد رد عمر بن عبدالعزيز زكاة من خراسان إلى أهلها بعدما جاءته إلى الشام.

وذهب الحنفية أن نقل الزكاة مكروه كراهة تنزيهية مع الصحة، ولا يكره نقلها إن كانت هناك أسباب تدعو إلى النقل، كأن يرسل الزكاة إلى أقارب له فقراء، أو ينقلها إلى بلد أحوج من البلد الذي هو فيه، أو يرسلها إلى طالب علم، ونحو هذا.

واتفقوا على أنه إن فاضت الزكاة، أو لم يكن في البلد فقراء؛ تنقل إلى البلد الذي يليه،



بلا خلاف بينهم.

أما إن نقلها بلا مسوغ، فجمهور الفقهاء على أنها تجزئ عنه، ولا يطالب بدفع الزكاة مرة أخرى، وذلك لأنها صرفت إلى من يستحقها من الأصناف الثمانية، وعند المالكية لا تجزئ إن نقلها وفي البلد الذي هو فيه من هو أشد حاجة، وفي رواية عند الحنابلة أنها لا تجزئ بأي حال، وعليه أن يدفعها مرة أخرى.

وفي ظل ما يعيشه الناس من الحاجة والفقر وتعطل المصالح في غالب البلاد، فإن الأوجب خروج الزكاة في البلد الذي يعيش فيه الإنسان إن كان فيه من هو بحاجة، خاصة مع مكث الناس في البيوت بلا رواتب ولا عمل، إلا أن يكون نقل الزكاة إلى بلد آخر هم أكثر حاجة منهم؛ لفقر أشد، أو حاجة أمَسّ؛ تخريجاً على قول الأحناف، وفي كل الأحوال متى أخرج الزكاة إلى أي بلد؛ فلا يطالب بإخراجها مرة أخرى وتصح منه، على ما ذهب إليه جمهور الفقهاء.

صلاة العيد في ظل «كورونا»: اختلف الفقهاء في حكم صلاة العيد، فذهب الحنفية إلى أنها واجبة؛ لمواظبة النبي صلى الله عليه وسلم عليها ولم يتركها مطلقاً، وهي سُنة عند الشافعية والمالكية، ودليلهم على ذلك: قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح للأعرابي، وكان قد ذكر له الرسول صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس فقال له: هل عليَّ غيرهن؟ قال: «لا، إلا أن تطوع»، كما أنها صلاة بغير أذان ولا إقامة؛ فلا تكون واجبة، وهي عند الحنابلة فرض كفاية، لقوله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ (الكوثر: 2)، ولمواظبة النبي صلى الله عليه وسلم على فعلها وعدم تركه لها.

أما شروطها فقد اختلف الفقهاء فيها، لكنها في الجملة تقترب من شروط صلاة الجمعة، إلا عند الشافعية، فهم لا يشترطون لها إلا التكليف.

وعلى هذا، ومع وجود الحجر الصحي، وطلب السلطات الصحية منع الازدحام والاختلاط، فإنه يمكن صلاة الجمعة في البيوت، فإن الجمعة لا يشترط لها المسجد.

الأوجب خروج الزكاة في البلد الذي يعيش فيه الإنسان إلا أن يكون نقلها لبلد آخر أكثر حاجة

تجوز صلاة العيد في البيت على صفتها المعتادة ولا يقال بسقوطها بالكلية مراعاة للخلاف

وإن كانت السُّنة كما في «المغني» (2/ 275): «أن يصلى العيد في المصلى، أمر بذلك عليٌّ رضي الله عنه، واستحسنه الأوزاعي، وأصحاب الرأي، وهو قول ابن المنذر، وحُكي عن الشافعي: إن كان مسجد البلد واسعاً، فالصلاة فيه أولى؛ لأنه خير البقاع وأطهرها، ولذلك يصلي أهل مكة في المسجد الحرام».

واستناداً لما قاله الفقهاء من أنَّ مَنْ فاتته صلاة العيد، فله أن يصليها في بيته، فيجوز صلاة العيد في البيت، ولا يقال بسقوط صلاة العيد بالكلية؛ مراعاة للخلاف ولما ذهب إليه الحنفية والحنابلة بالقول بوجوبها، فتصلى في البيت على صفتها المعتادة.

كما يجوز أن يتابع الناس الخطيب عبر المذياع في الحي، وأن يأتموا بصلاته وخطبته، وهو مروي عن أحمد وابن تيمية وغيرهما.

هل الوباء الحالي عقوبة إلهية للبشرية على إفراطها في الظلم والطغيان؟

ما حل بالناس من وباء يراه بعض المسلمين عقوبة إلهية من الله تعالى للبشرية بما فرطت فيه من الظلم والطغيان، فقد انتشر الظلم وطغى على كافة المستويات من الحكومات والشعوب والأفراد وبين الأسر وغير ذلك.

لكن من المقرر أن ما حصل من وباء هو اختبار وابتلاء من الله تعالى للبشرية، مسلمهم وكافرهم، كما قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة: 155)، على أن ما يصيب الناس في هذه الدنيا يكون بكسب أيديهم، وما عملته نفوسهم، كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (آل عمران: 165)، لكنه لا يحصل في كون الله تعالى إلا ما أراد، كما قال سبحانه: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (التغابن: 11).

كيف نفرق بين أن يكون هذا الوباء ابتلاء واختباراً، أو عقوبة؟

الابتلاء عام على كل الناس؛ لأن الله تعالى يبتلي الجميع، مسلمهم وكافرهم، صالحهم وفاجرهم، فالدنيا قائمة على الابتلاء والاختبار، كما قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (الملك: 2)، وهذا الابتلاء لا يشترط أن يكون عقوبة.

أما العقوبة تكون بعد إساءة الأدب والخوض في الحقوق والأعراض وظلم الناس، فتقع على الظالمين المعتدين وحدهم دون غيرهم من المظلومين، وإلا فمن تمام عدل الله تعالى أنه لا يعاقب المظلوم، بل كتب الله تعالى نصره على الظالم.

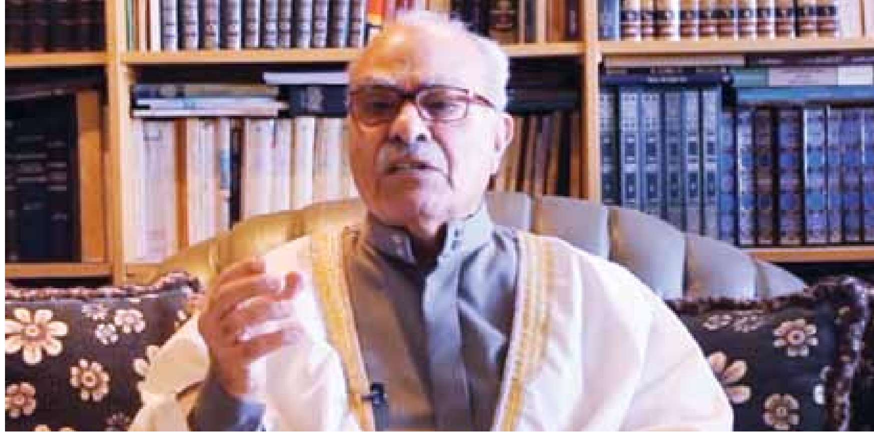
ثم هناك فرق بين ما نشأ عن أفعال البشر عمداً، وبين ما حصل جبراً، فنفرق بين الناشئ عن الجبر والناشئ عن الاختيار، وإن كان كلاهما من الله تعالى من جهة إذنه سبحانه أن يحصل، لأنه لا يحصل في كون الله إلا ما أراد الله.

وقد أضحى من المعلوم أن منشأ هذا الفيروس هو تركيب نوعين من الفيروسات، مع الغموض الحاصل حتى الآن، في كيفية التركيب وفي الأجواء التي حصلت، وإن كانت هناك تفسيرات أن ما يحصل هو جزء من حرب بيولوجية لإعادة التوازن في النظام العالمي بين أمريكا والصين، وإن جمعنا مع هذا أن الصين التي انتشر منها الفيروس تعافت منه، وهم غير مسلمين في غالبهم، بل هم يضطهدون قرابة مليوني مسلم، مع ما قاموا به من تعذيب وتشريد لهم، وها هم يعافون من الوباء؛ فيكون الغالب على الظن أن هذا ليس عقاباً من الله تعالى، ولكنه ابتلاء، لأن الله تعالى يبتلي بعضنا ببعض، كما قال سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ (الأنعام: 53)، كما أن الابتلاء قد يكون عقاباً للكافر ورحمة للمؤمن، كما أخرج مسلم بسنده عن صهيب رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «عجباً لأمر المؤمن! إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيراً له».■

ستظلُّ إشراقاً

في وداع د. محمد عمارة

الذي سبقنا إلى رحاب الله في 2020/2/28م





شعر:
م. وحيد حامد الدهشان

هَا قَدْ فَقَدْنَا في الحَيَاة مَنَارَةْ
والنَّفْسُ في أَحْزَانِهَا مَوَّارَةْ
أَفْضَى إِلى رَبٍّ كَرِيم مؤْمِنٌ
للّه جَرَّدَ مُخْلِصاً أَفْكَارَهْ
وَلِسَانُ حَالِ القَابِضِينَ علَى اللَّظَى
يَنْعَاهُ في أَسَفٍ يَفِيْضُ مَرَارَةْ
فَقد الدُّرُوعَ إذا السِّهَامُ تَأَجَّجَتْ
نَاراً لِتَغْتَالَ الضِّيَاءَ خسارَةْ
وفَقِيدُنَا دِرْعٌ وسَيْفٌ في الوَغَى
ولَهُ إذا حَمِيَ الوَطِيْسُ جدَارَةْ
رَجُلٌ إذا قَدَّرْتَهُ فَبِأُمَّة
عَقْلاً وصِدْقاً فِطْنَةً وَجَسَارَةْ
عَرَفَ المذَاهِبَ ثُمَّ في دِينِ الهُدى
وجَدَ الرَّشَادَ فَأَعْلَنَ اسْتِقْرَارَهْ
كَانَ المُفَكِّرَ والمُثَابِرَ دَأْبُهُ
يَزِنُ الأُمُورَ ويَسْتَبِينُ مَسَارَهْ
وكَأَنَّهُ «سَلْمَانُ» لَمْ يَكُ سَاعيَاً
إلاَّ لِحَقٍّ فَالْتَقَى أَنْوَارَهْ
سَبَرَتْ قَرِيحَتُهُ وطَاقَةُ بَحْثه
مِنْ كُلِّ أَمْرٍ مُشْكِلٍ أَغْوَارَهْ
وغَدَا يُنَافِحُ الافْتِرَاءَ بِمَنْطِقٍ
يُلْقِي عَلَى إفْكِ الزَّنِيْمِ جِمَارَهْ
كَانَ المُنَاظِرَ كَالشِّهَابِ عَلَى الَّذي
طَمَسَتْ دَيَاجِيْرُ الهوى إبْصَارَهْ
وَسِلاحُهُ في السَّاحِ وَعْيٌّ.. حِكْمَةٌ
ورَحَى عَلَى وَهْمِ الرُّؤَى دوَّارَةْ
حُجَجٌ كَمَا شَمْسِ النَّهَارِ وضُوحُهَا
مَطَرٌ عَلَى مَنْ يَسْتَثِيرُ غُبَارَهْ
كَالزَّهْرِ أَحْرُفُهُ بعينِ أُولي التُّقَى
وَعَلَى رُؤُوس المَارِقِينَ حِجَارَةْ
قَلْبِي يُراوِدُ دَمْعُهُ أَشْعَارَهْ
كَفُّ المُصِيبةِ حَرَّكَتْ أَوْتَارَهْ
يَا سَيِّدي طُوبى لِمِثْلِكَ في الوَرَى
يَا عِطْرَ إِيْمَانٍ وصَوْتَ حَضَارَةْ
أَدَّيْتَ دَوْرَكَ شَامِخاً لا تَنْحَني
كَالنَّجْم يَأْبَى أنْ يَخُونَ مَدَارَهْ
يَا سَيِّدي والموتُ سُنَّةُ رَبِّنَا
لكنْ تَظَلُّ السِّيْرَةُ المِعْطَارَةْ
تُحْيِي بِأَلْسِنَةِ الزَّمَان عَلَى المدَى
مَنْ لَمْ يُمتْ بِدَنِيئَةٍ آثَارَهْ
فَالدَّهْرُ يُطْفِئُ نَارَ كُلِّ مُكَابِر
ويُديْمُ فِي لألائِهَا أَقْمَارَهْ
ويُحقِّرُ الدَّهْرُ الصَّغَارَ وأَهْلَهُ
أَمَّا الكبيرُ فَيَجْتَنِي إِكْبَارَهْ
يَا سَيِّدي سَتَظَلُّ مَعْلَمَ عِزَّة
في مِثْلِكُمْ أَخَذَ الخُلُودُ قَرَارَهْ
مَا مَاتَ مَنْ أَثْرَى الحَيَاةَ جِهَادُهُ
أَجْرَى إِلى صَحْرَائِهَا أَنْهَارَهْ
مَا مَاتَ مَنْ تَرَكَ المعَارفَ أَنْجُماً
قَدْ هَتَّكَتْ لِظَلامِنَا أَسْتَارَهْ
سَتَظَلُّ إِشْرَاقاً بِمَا سَطَّرْتَهُ
وَسَيَهْتِفُ التَّاريخُ: عَاشَ «عِمَارَةْ»

الخرطوم - السماني عوض الله:

وضع فيروس «كورونا» الحكومة السودانية في حالة تأهب واستعداد من الدرجة الأولى؛ حيث كشف عن ضعف البنية الصحية في السودان؛ الأمر الذي جعل الحكومة تضع كافة الإمكانات في خط الدفاع الأول لمجابهة هذه الجائحة؛ حيث شكلت لجنة برئاسة عضو المجلس السيادي، صديق تاور، لتظل في حالة انعقاد متواصل لمواجهة المستجدات المتعلقة بالفيروس الذي أثبت أنه أقوى من الحرب التي ظلت تخوضها الحكومة طيلة السنوات الماضية.



السودان.. «كورونا» يقتضي إعادة ترتيب الأولويات

وضع فيروس «كورونا» الدولة السودانية أمام تحدٍّ كبير لمراجعة أولوياتها وترتيبها للتصدي لهذا الوباء، خاصة أنه عدو خفي يتطلب في المقام الأول تقوية المنظومة الصحية وابتكار الدواء المناسب وتوفيره لتقليل الآثار الناجمة من الإصابة، خاصة أنه حصد أرواح آلاف الأشخاص في الدول المتقدمة؛ كالولايات المتحدة الأمريكية والصين وفرنسا وبريطانيا وروسيا وغيرها من البلدان.

ورغم تلك الجهود التي يقوم بها السودان لمواجهة الفيروس، فإن هناك بعض الخبراء والمختصين يرون ضرورة ترتيب الأولويات لمجابهة أي طارئ قد يحدث مستقبلاً، خاصة فيما يتصل بصحة المواطن وسلامته، ويطالبون بأهمية وضع الأولويات الصحية وتوفير الدواء، إضافة إلى دعم البحوث والدراسات العلمية وتهيئة الأجواء المناسبة للعلماء السودانيين الذين أثبتوا جدارتهم في المحافل الدولية.

ويرى الأمين العام للمركز الأفريقي للحوكمة والسلام والتحول، د. محمود زين العابدين، أن فيروس كورونا المستجد أثبت أنه الأخطر من تلك الحروب التي تخوضها الدول، وأنه هزم كافة المنظومات الدفاعية التي أنفقت البلدان مليارات الدولارات لتطويرها، وكشف هشاشة المنظومات الصحية في الدول رغم التطور العلمي الذي تشهده تلك البلدان.

ويقول زين العابدين، في حديثه لـ«المجتمع»: إن فيروس «كورونا» فاجأ البلدان عامة، والسودان على وجه الخصوص، الذي يعاني ضعفاً في البنية الصحية وقلة الإمكانيات الدوائية؛ الأمر الذي يتطلب من الحكومة إعادة ترتيب الأولويات بأن تضع توفير الدواء والأمصال الوقائية في أولى أولوياتها، وأن تعمل على وضع كافة الإمكانات من أجل توفير العلاج، ومن ثم الغذاء وتطوير الموارد والبحوث العلمية.

ويشير زين العابدين إلى أهمية تقوية المنظومة الصحية في البلاد، وتأهيل الكوادر الطبية والبحوث العلمية، ووضع توفير العلاج واللقاحات في سلم الأولويات باعتبار أن الحرب ضد «كورونا» هي بداية المعركة التي تعتبر أقوى من الحرب في الميادين القتالية، ثم توفير الغذاء من أجل اكتساب المناعة الطبيعية لدى الإنسان.

وأكد الأمين العام للجمعية السودانية لحماية المستهلك، د. ياسر ميرغني، أن حصول المواطن على الرعاية الصحية حق أساسي كفله له القانون والتشريعات الأخرى، مطالباً بضرورة توفير العلاج والدواء وتسهيل الحصول عليه، مضيفاً أن الدواء والغذاء ومن ثم السلاح يجب أن تكون على هذا الترتيب.

وقال ميرغني: إن فيروس «كورونا» يعتبر الأخطر على نطاق العالم، ويتطلب تسخير كافة الإمكانات لمواجهته ومواجهة أي مستجدات في المستقبل، داعياً إلى أهمية توفير اللقاحات لمواجهته وتثقيف المواطن لتجنب الإصابة به.

وحذر البروفيسور صديق تاور، عضو المجلس السيادي رئيس اللجنة العليا للطوارئ، من التحديات التي يواجهها السودان في التصدي لجائحة «كورونا»؛ نظراً لموقعه في قلب القارة الأفريقية، فضلاً عن تميزه بحدود ممتدة جعلت منه منطقة عبور والتقاء مهمة، بالإضافة إلى وجود العديد من مراكز التجمعات بمناطق النزاعات والكثافة السكانية العالية التي تسهم في انتشار الأوبئة والأمراض.

وأكد صدور العديد من التنبؤات من المنظمات العالمية بأن عدد الوفيات بأفريقيا ربما يفوق ثلاثة ملايين، مبيناً أن ظرف السودان الحالي يتطلب بذل المزيد من الجهود للتصدي للجائحة، خاصة في ظل التخريب الذي تعرض له النظام الصحي خلال الأعوام الثلاثين الماضية، ومحاولة وزارة الصحة بترميمه وتهيئته لتفاجأ بالجائحة.

وامتدح تاور عمل القطاع الصحي لمواجهة المحنة بأدوات صحية صفرية، وأضاف أنها تحديات كبيرة ومشهد معقد، وأشاد تاور بجهود الشعب السوداني بكل فئاته لمقابلة «كورونا» وتخطي العقبات التي تواجه البلاد؛ من بث الشائعات والمكائد واحتكار السلع، مثمناً دور الشباب والشابات والقوات النظامية والكوادر الصحية لترتيب الصفوف في مواجهة الجائحة.■

هل يبحث العراق عن بدائل اقتصادية للنفط بعد «كورونا»؟

محمد صادق أمين

تتوالى آثار تداعيات فيروس «كورونا» على المشهد العراقي، فبعد انكشاف ضعف النظام الصحي وهشاشته، في مواجهة تداعيات انتشار الجائحة العالمية، جاءت التداعيات الاقتصادية بسبب الركود العالمي، وتراجع أسعار النفط، لتظهر مخاطر الاعتماد الكلي على عائدات النفط.

يرى خبراء أن استمرار العراق بالاعتماد على واردات النفط مستحيل على المدى البعيد؛ بسبب عدم قدرة عوائده على استيعاب الحاجات المتنوعة لسكان العراق الذين يزداد تعدادهم باستمرار، مقابل التراجع التدريجي لأهمية النفط الشرق أوسطي في السوق العالمية، وفي ظل بروز منافسين جدد في إنتاجه على مستوى العالم، أهمهم الولايات المتحدة الأمريكية، إلى جانب التوسع العالمي في بحوث الطاقة النظيفة، التي ستحل محل النفط منتصف القرن الجاري.

وقد تسبب تراجع أسعار النفط، أخيراً، في عجز مالي كبير بميزانية الحكومة العراقية؛ ما دفعها للقيام بإجراءات تقشفية لتقليل النفقات، منها الإجراءات التي تدرسها الحكومة؛ مثل خفض مرتبات الموظفين، حيث قال المتحدث الرسمي عن مكتب الإعلام والاتصال الحكومي في الأمانة العامة لمجلس الوزراء، علاء الفهد، في تصريح لجريدة «الصباح» الرسمية: إن اللجنة المالية تدرس مع خبراء في وزارة المالية عدة مقترحات وحلول لتغيير نظام الرواتب، ومن الخيارات المطروحة بشكل غير رسمي خفض الرواتب بنسبة 25% لجميع الموظفين.

وأضاف: ومن بين المقترحات أيضاً اللجوء إلى الادخار الإجباري، أو تخفيض المخصصات غير الثابتة ضمن الرواتب.



استمرار الاعتماد على واردات النفط مستحيل لعدم قدرة عوائده على استيعاب الحاجات المتنوعة

هذه التصريحات أثارت جدلاً واسعاً في وسائل التواصل الاجتماعي، فهنالك نحو 6 ملايين موظف عمومي، بحسب إحصاء وزارة التخطيط العراقية، في مناصب مختلفة بدوائر الدولة، هذا العدد الكبير من الموظفين يضع الاقتصاد العراقي أمام خطر حقيقي؛ فرواتب الموظفين تساهم في دوران عجلة الاقتصاد، وفي الوقت نفسه توفر الأمان الاجتماعي، الذي يمكن أن يتزعزع بسبب هذه الخطوة، في ظل تقارير تتحدث عن وقوع ثلث العراقيين تحت خط الفقر.

يرى الخبير الاقتصادي العراقي، رمزي العبيدي، أن أعداد الموظفين العراقيين بحجمها الحالي لا تشكل أهمية تنموية أو اقتصادية للدولة العراقية.

واعتبر العبيدي، في حديثه لـ«المجتمع»، أن الوظائف الحكومية تعكس حالة من البطالة المقنعة؛ لأن نحو 70% منهم فائضون عن الحاجة، في وقت تصرف الدولة رواتب تصل إلى 60% من الموازنة الكلية للبلاد في كل عام.

وأضاف أن البلاد تعيش في أزمة صحية بسبب وباء «كورونا»، رافقتها أزمة اقتصادية بسبب الانخفاض الحاد في أسعار النفط، وهذه الأزمة أخّرت دفع رواتب شريحة من الموظفين الذين اعتادوا على استلامها في الثالث عشر من كل شهر، متابعاً أن الادخار الإجباري الذي تفكر الحكومة باللجوء إليه سيتسبب في مشكلة لشريحة واسعة من العراقيين الذين يعتمدون على رواتبهم الشهرية لتوفير المتطلبات الأساسية للحياة.

وتابع العبيدي أن أي تعديل لرواتب الموظفين من قبل الحكومة سيكون عملاً غير دستوري؛ لأن قانون الخدمة المدنية العراقي يحمي الموظفين من أي تلاعب برواتبهم، والقاعدة القانونية تقول: إن القانون لا يعدل إلا بقانون، وتعديل هذه القوانين يحتاج إلى تصويت البرلمان.

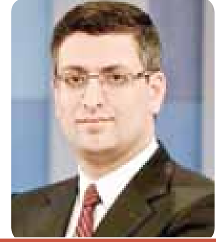
وأسهم استمرار الخلاف على تشكيل الحكومة الجديدة في عرقلة إقرار الموازنة المالية الاتحادية للدولة العراقية لعام 2020م، وتثار مخاوف في الأوساط السياسية العراقية من أن عدم إقرار الموازنة، وارتفاع العجز المالي، قد يعرقلان دفع رواتب الموظفين، ويدفعان لعودة التظاهرات إلى الشارع.

النائب محمد شياع السوداني، عضو لجنة التخطيط الإستراتيجي في البرلمان العراقي، قال: إن العراق في بداية سنة مالية، وهو من دون موازنة حتى الآن، والإيرادات المتوقعة في ضوء معدل الأسعار الحالي لا تغطي حجم الرواتب التي من المتوقع أن تصل إلى 56 تريليون دينار عراقي، بعد زيادة الرواتب عن السنة الماضية بحدود 14 تريليون دينار.

ودعا السوداني، في بيان، إلى تشكيل فريق من الاقتصاديين والماليين والقانونيين من القطاعين الحكومي والخاص، للوقوف على حزمة من الإجراءات والإصلاحات، على أن تكون بعيدة عن الطبقة الفقيرة.

حالة القلق التي أثارتها هذه الأنباء دفعت اللجنة المالية في البرلمان العراقي إلى إصدار توضيح لتهدئة المخاوف، وأكدت أنه لا صحة للأخبار المتداولة بخصوص تخفيض رواتب الموظفين والمتقاعدين.■

تركيا و«كورونا».. قصة نجاح



د. سعيد الحاج
محلل سياسي مختص بالشأن التركي

كان سريعاً جداً تحول وباء «كورونا المستجد» من حالة محلية داخل الصين إلى وباء عالمي يؤثر في معظم الدول إن لم يكن جميعها، وبتأثيرات تتخطى الجانب الصحي إلى أبعاد اقتصادية وسياسية واجتماعية وأمنية معقدة ومتشابكة. في مواجهة الوباء، برزت عدة نماذج متمايزة عن بعضها بعضاً، مثل الصين التي استخدمت إمكاناتها الضخمة وشمولية نظامها، وكوريا الجنوبية وألمانيا واليابان التي استثمرت التقنية والبنية الطبية التحتية وتوسيع دائرة الفحوصات، بينما تعثر عدد من الدول الأوروبية الكبيرة مثل بريطانيا وفرنسا وإيطاليا وإسبانيا.

رغم أنها ليست من الدول العظمى، فإن تركيا رسمت مسار نجاح نسبي في مواجهة «كورونا»، من خلال نموذج توسط بين الصرامة الشديدة والتهاون التام، معتمداً التدرج في الإجراءات لتخفيف حدة الوباء وإبقائه ضمن إطار يمكن للقطاع الصحي التركي التعامل معه وإدارته.

في أحد إيجازاته الصحفية، قال وزير الصحة «فخرالدين كوجا»: إن وزارته كانت قد أعدت قبل عام من الآن خطة أولية للطوارئ للتعامل مع أي وباء محتمل؛ وبالتالي كيف تتصرف الوزارة ومختلف مؤسسات الدولة إزاءه؛ وهو ما يعني أن تركيا كانت مستعدة جزئياً للوباء قبل وقوعه.

مع انتشار الوباء في الصين، شكلت الوزارة هيئة علمية مختصة لمتابعته مشكّلة من عشرات الأساتذة ذوي الاختصاصات المعنية، وكذلك من مسؤولي وزارة الصحة، لرسم إستراتيجية البلاد لمواجهة الجائحة قبل دخولها للبلاد ثم لاحتوائها بعد دخولها، وكان من اللافت أن معظم القرارات الحكومية استرشدت بتوصيات اللجنة.

بدأت الإجراءات الاحترازية مبكراً، قبل توثيق أي حالة «كورونا» في تركيا، بوقف الرحلات الجوية من إقليم ووهان وإليه ثم عموم الصين، وأعقب ذلك ضبط الحدود البرية مع إيران ثم إغلاقها تماماً، ومع تسجيل الحالات الأولى في البلاد، أُوقفت الدراسة بمختلف مستوياتها، وألغيت الصلوات في المساجد، ومنعت الأنشطة الجماهيرية، وأغلقت أماكن الترفيه والتجمع.

حظر جزئي

وفي وقت لاحق، بدأت الحكومة التركية بإجراءات حظر تجول «جزئي»، عمرياً لمن هم فوق 65 وتحت 20 من العمر، وجغرافياً في 31 محافظة -هي الأكبر- من بين 81، وزمنياً بحيث شملت عطلة نهاية الأسبوع ومددت أحياناً أكثر من ذلك.

من زاوية أخرى، وبعد انتشار الوباء في الداخل، بدا القطاع الصحي قادراً على التعامل مع الجائحة وأعداد المصابين المتسارعة، دون أن تصل المستشفيات، وخصوصاً وحدات العناية المركزة، إلى حالة الإشباع وبالتالي العجز عن الإدارة.

ولئن كانت أنقرة تمتلك متوسطات غير مرتفعة من أعداد أطباء وأسرّة المستشفيات نسبة لعدد السكان، إلا أنها تتفوق في متوسط عدد وحدات العناية المركزة الذي يبلغ نحو 40 وحدة لكل 100 ألف شخص، وهو متوسط أعلى من عدد من الدول المتقدمة علمياً وطبياً وصناعياً، ويضاف

تركيا رسمت مسار نجاح نسبي في مواجهة «كورونا» من خلال نموذج توسط بين الصرامة الشديدة والتهاون التام

كل إجراءات التشخيص والعلاج أتيحت مجاناً للجميع في مستشفيات الدولة بما في ذلك الأجانب المقيمون



إلى ذلك وجود نحو 100 ألف غرفة إضافية يمكن تحويلها عند الحاجة إلى وحدات عناية مركزة أو عزل، وفق وزير الصحة.

كما أن تركيا عمدت إلى الاكتفاء الذاتي في عدة تفاصيل حيوية في مواجهة الفيروس، فبدأت باستيراد بعض الأدوية المهمة قبل أن تبدأ تصنيعها محلياً، إضافة لمستلزمات الحماية الشخصية الضرورية للعاملين في القطاع الصحي، وفي مقدمتها الكمامات الطبية التي باتت توزع مجاناً على الشعب، كما أن كل إجراءات التشخيص والعلاج أتيحت مجاناً للجميع في مستشفيات الدولة بما في ذلك الأجانب المقيمون.

في الأسبوع الخامس لظهور الحالة في تركيا، بدت البلاد قريبة من الوصول لمرحلة الذروة؛ أي استمرار نفس الوتيرة في تسجيل الحالات الجديدة والوفيات بدون تسارع غير منضبط، ذلك أن الحالات الجديدة بقيت ضمن نسبة 11 - 13% من الفحوصات المجراة، ونسبة الوفاة شبه ثابتة عند 2.1%، ونسبة من يحتاجون للعناية المركزة أقل من 4% من الإصابات، وهي نسب أقل بكثير من تلك التي سجلت في الأسابيع الأولى؛ ما يشير إلى بداية انكسار حدة تصاعد الوباء، في مقابل الارتفاع الملحوظ في أعداد ونسبة المتعافين منه يومياً.

التأثير الاقتصادي

ويعد الاقتصاد من القطاعات الأكثر تأثراً بالجائحة؛ حيث تمر معظم دول العالم بحالة من الجمود والركود على أصعدة عدة في مقدمتها التجارة الخارجية والاستهلاك المحلي والسياحة والترفيه والطيران.. إلخ، هذه الخسائر الاقتصادية البارزة يضاف لها الإجراءات الحكومية الاحترازية؛ مثل تقنين العمل والخروج من المنزل وغيرها، التي تبطئ من عجلة الاقتصاد من جهة، وتستنزف الحكومة مالياً من جهة أخرى.

وقد عمدت تركيا إلى دعم القطاعات والأطراف المتضررة من الوباء والإجراءات الاحتياطية على حد سواء من شركات ومؤسسات وقطاعات صناعية وأفراد ضمن خطة «درع الاستقرار الاقتصادي» التي أعلنتها ووضعت لها مبدئياً ميزانية 100 مليار ليرة؛ أو ما يعادل 15 مليار دولار أمريكي، وتشمل الخطة إعفاءات ضريبية، وتأجيل مستحقات دفع، وتسهيل الحصول على القروض المصرفية، ودعم الشركات الصغيرة والمتوسطة، ومنح مرتبات شهرية للعائلات المحتاجة.. إلخ.



تداعيات الجائحة زادت من استنزاف احتياطي البنك المركزي بأكثر من 10 مليارات دولار خلال فترة وجيزة

الحكومة تسعى إلى تجنيب القطاع الصحي حالة الإشباع والابتعاد عن سيناريو العجز الذي أصاب بعض الدول الأوروبية

لكن من المهم الإشارة إلى أن تداعيات الجائحة وخصوصاً الاقتصادية منها مستمرة ومتنوعة ومتغيرة، بحيث احتاجت الحكومة لإجراءات إضافية على الخطة في عدة مسارات، وهو ما زاد من استنزاف احتياطي البنك المركزي بأكثر من 10 مليارات دولار خلال فترة وجيزة، فضلاً تراجع الليرة أمام العملات الأجنبية.

حالة الاستقطاب

سياسياً، أخيراً، لم يكن للجائحة تأثيرات كبيرة على البلاد، على الأقل حتى اللحظة الحالية، فلا البلاد على عتبة انتخابات، ولا أصيب أحد من كبار المسؤولين، كما أن أداء وزير الصحة يُقابل بحالة من القبول شبه المجمع عليه، فضلاً عن أن الكلفة البشرية للمرض -من الوفيات- بدت أقل من دول أخرى مجاورة أو متقدمة.

لكن ذلك لم يمنع استمرار حالة الاستقطاب بين الحكومة والمعارضة وإن بدرجة أقل نسبياً من السابق، حيث تتهم المعارضة، وخصوصاً رئيس بلدية إسطنبول الكبرى «أكرم إمام أوغلو»، الحكومة بعدم التنسيق في المحطات المهمة، ومنها إعلان حظر التجول.

في الخلاصة، ورغم أن أعداد الإصابات بفيروس «كورونا المستجد» تضع تركيا في مرتبة متقدمة عالمياً، فإن المؤشرات الأخرى الأكثر أهمية مثل نسب الوفيات ومرضى العناية المركزة ومن هم على أجهزة التنفس الصناعي تقدم صورة لنجاح نسبي في مواجهة الوباء.

الأهم أن معطيات القطاع الصحي توحي بقدرته على إدارة الأزمة لفترة زمنية أطول، حيث ما زالت نسبة الإشغال في غرف العناية المركزة في إسطنبول (التي تحوي أكثر من 60% من الحالات) دون 60%، بينما هي في المحافظات الأخرى أقل من ذلك بكثير، ومع افتتاح مستشفيات جديدة في المحافظة الأكبر، ومنها المدينة الطبية التي تحوي مئات الأسرّة، والشروع في بناء مستشفيات أخرى، تسعى الحكومة إلى تجنيب القطاع الصحي حالة الإشباع، وبالتالي الابتعاد عن سيناريو العجز والشلل الذي أصاب بعض الدول الأوروبية.

ختاماً، كل ما سبق لم يتحقق فقط بالإجراءات الحكومية على أهميتها، وإنما كذلك بالتجاوب الشعبي -بنسبة مقبولة- معها؛ وهو ما يعني أن استمرار تركيا في مسارها الإيجابي نسبياً وتجنبها السيناريوهات الكارثية مرهون باستمرار الشعب بالالتزام بل ورفع نسبته، وإلا فإن «كورونا» أثبت في أكثر من بلد أن التهاون معه يخرجه عن السيطرة، ويجعل تداعياته كارثية على كافة المستويات، وفي مقدمتها الصحية المرتبطة بحياة البشر.■

منسق الدبلوماسية الإنسانية بهيئة الإغاثة الإنسانية التركية (IHH):

الإنسان على رأس أولوياتنا دون تمييز لعرق أو دين

حوار- محمد صادق أمين:

تعتبر هيئة الإغاثة الإنسانية وحقوق الإنسان والحريات التركية (IHH)، واحدة من أهم المنظمات الإنسانية في العالم، بسبب انتشار أنشطتها على رقعة جغرافية واسعة من القارات الست، حيث تعمل في 130 دولة، وتقدم المعونة والدعم لمناطق الحروب والنزاعات والكوارث الطبيعية، وتشمل عملياتها الإغاثية ومساعداتها الإنسانية المحتاجين والمضطهدين والمظلومين والمتضررين والجوعى والمشردين في أنحاء شتى من العالم، وما يميزها عن سواها من المؤسسات الدولية، هو أنها تشمل بخدماتها الناس دون تمييز، أياً كان دينهم أو عرقهم أو لغتهم أو بلدهم انطلاقاً من مبدأ نشر وحماية حقوق الإنسان والحريات. وللتعرف على هذه المنظمة الإنسانية الرائدة، كان لـ«المجتمع» هذا الحوار مع عبدالله الطائي، منسق الدبلوماسية الإنسانية في هيئة الإغاثة الإنسانية وحقوق الإنسان والحريات التركية.



منظمتنا غير حكومية وقرارها من مجلس إدارتها حصراً وتتلقى الدعم من الشعب التركي والمنظمات الدولية

المنظمة تسعى لتكون نموذجاً يُحتذى به لمؤسسات المجتمع المدني الناشطة في المناطق المنكوبة

• بداية، نرحب بكم على صفحات «المجتمع»، هل لكم أن تعطونا نظرة عامة عن منظمتكم؟ متى تأسست؟ وما الظروف التي أدت لوجودها؟

- أهلاً ومرحباً بكم، ولدت فكرة المنظمة عندما ذهب فريق إغاثي تطوعي إلى البوسنة في نهاية الثمانينيات وبداية التسعينيات من القرن الماضي، وقدم مساعدات إنسانية للمحتاجين والمستضعفين هناك، حيث كان يعاني المسلمون من تداعيات الحرب، وبعد عودة الفريق إلى تركيا قرروا أن يشكلوا منظمة رسمية مسجلة لتقوم بجمع التبرعات وإيصال المساعدات بشكل رسمي، وكان هدفهم ألا تكون هذه المنظمة مثل قريناتها منظمة تقليدية، وبعد أن تم التسجيل عام 1992م توسعت المنظمة سريعاً، وأصبحت تضم أقساماً عديدة؛ هي:

1 - الإغاثة الإنسانية، ويشتمل على قسمين؛ الأول: يوصل المعونات الإنسانية والسلال الغذائية.. إلخ إلى محتاجيها، والثاني: قسم البحث والإنقاذ المختص بالوصول إلى الأشخاص في الأزمات والكوارث مثل الزلازل.

2 - المناصرة عبر فريق من المحامين الدوليين، يقوم بمتابعة انتهاكات حقوق الإنسان وملاحقة الجناة عبر المحاكم الدولية.

3 - الدبلوماسية الإنسانية، وهو أحد أهم الأقسام الذي تتميز به منظمة «IHH».

• منظمتكم تركية الجنسية، وكثيراً ما يرتبط اسمها لدى المتلقي العربي بالحكومة التركية، هل يمكن توضيح العلاقة بين المنظمة والحكومة؟

- منظمتنا غير حكومية (NGO)، قرارها ينبع من مجلس إدارتها حصراً، اعتمدت رسمياً من الدوائر التركية الحكومية، وهي تلتزم بالقوانين التركية، كما تلتزم باقي مكاتبنا بقوانين الدول التي تتواجد فيها، ونتلقى الدعم من الشعب التركي مباشرة والمنظمات الدولية الأخرى، هناك تنسيق مشترك بين مكاتبنا والدوائر الحكومية المعنية في الدول التي نتواجد فيها، كما تهتم المنظمة باستقلاليتها عن الأحزاب السياسية والتيارات والجماعات بالإضافة إلى الحكومات، في الوقت نفسه قمنا بمشاريع مشتركة مع المنظمات التابعة للدولة مثل «تيكا» (TIKA)، و«آفاد» (AFAD).

• بما أنكم جزء من منظمات المجتمع المدني (NGO)، هل حصلتم على اعتراف أوروبي أو أممي؟

- نعم لدينا شراكات مهمة مع الأمم المتحدة، وخاصة مجلس حقوق الإنسان في جنيف، وأنا وزملائي نمثل منظمتنا في الأمم المتحدة، وقد قمنا ببعض النشاطات؛ منها مشاركتنا الاستشارية في المجلس الاقتصادي والاجتماعي الأممي (ECOSOC)، بالإضافة إلى أن منظمتنا عضو مراقب للاجتماعات السنوية للاتحاد الدولي للصليب الأحمر والهلال الأحمر الدوليين، كما نحضر اجتماعات الاتحاد الأوروبي في مجال

حقوق الإنسان، ولدينا عمل مشترك مع منظمات الأمم المتحدة مثل «يونيسف»، ومنظمة الهجرة الدولية.. وغيرها، كما أننا شركاء في كثير من المنصات والاجتماعات للمنظمات الدولية.

● ما أهم الأنشطة التي تعمل من خلالها المؤسسة؟ وهل اتجهت مؤخراً للعمل باتجاه المشاريع التنموية؟

– نحرص في جميع أعمالنا ونشاطاتنا على تعزيز روح التكافل ومشاعر الأخوة في جميع أنحاء العالم، عبر ما نحققه من مشاريع اجتماعية وثقافية، وتجتهد المنظمة لتكون نموذجاً يُحتذى به لمؤسسات المجتمع المدني الناشطة في المناطق المنكوبة؛ عبر بناء المدارس ودور الأيتام والمشافي والجوامع، وإنشاء المراكز الصحية والثقافية، وحفر الآبار لخدمة السكان.

كما أننا عملنا على دعم وإضافة أقسام الزراعة إلى الجامعات التي تفتقدها في أفريقيا، وساهمنا في هذا المجال بدعم القطاع الزراعي بالدورات المهنية، لأننا نؤمن أن مساعدة الناس على استغلال مواردهم أفضل طريقة لتحقيق الرخاء والتنمية في بلدانهم.

أما في مناطق الطوارئ والحروب والكوارث، فنقدم الخدمات الطبية الميدانية، كتوزيع الأدوية ومعاينة المرضى وفحصهم، وتأمين الأجهزة الطبية الضرورية، كما ننظم دورات تعليمية تستهدف الفرق والكوادر الطبية العاملة في مختلف البلدان، وقد دعمت منظمتنا 120 ألف عملية العين للمياه البيضاء.

كما تقوم المنظمة بإنشاء وترميم المدارس والمعاهد والمؤسسات التعليمية في المناطق التي تنتشر فيها الأمية، بالإضافة إلى توفير إمكانية التعليم العالي في الجامعات التركية أو العالمية لأبناء مناطق الأزمات، هذا إلى جانب مشاريع أخرى في شتى المجالات، كتوفير المواد المرئية والمطبوعة، وإنشاء المراكز الثقافية ودور العبادة والمدارس، وتنظيم الدورات المهنية، وترجمة المؤلفات العلمية في كل منطقة حسب حاجتها.

بعد 40 عاماً من الاقتتال الداخلي بالفلبين تمكنا من تحقيق المصالحة الداخلية حتى أجريت انتخابات أنهت النزاع

رغم عوائق «كورونا» ما زلنا نمد يد العون للتقليل من الضرر الحاصل بسبب الحروب

● هل تقتصر أعمال المنظمة الإغاثية ونشاطاتها على المجتمعات المسلمة فقط؟

– لا تمارس المنظمة أثناء القيام بأعمالها ونشاطاتها أي تمييز بين الأديان أو اللغات أو الأعراق، فالإنسان على رأس أولوياتنا، لكن بالنظر إلى المناطق التي تشهد حروباً ونزاعات اليوم نجد أن معظم سكانها تجمعات مسلمة، على سبيل المثال؛ عند إرسال المساعدات إلى أفريقيا إثر كارثة المجاعة، يتم التوزيع على المسلمين وعلى أولئك الذين ينتمون إلى الأديان والمعتقدات الأخرى دون تفريق، كما أن النشاطات الإغاثية التي أجريناها بسبب إعصار «كاترينا» في أمريكا، والزلازل التي ضربت إيطاليا وهايتي واليابان والفلبين ونيبال تعتبر مثالاً على ذلك.

● الملف السوري أخذ حيزاً واسعاً من جهود منظمات الإغاثة حول العالم خصوصاً الإسلامية، لا شك أنكم الأقرب للملف ولكم جهود جبارة فيه، باختصار وضّح لنا مساهماتكم في هذا الأمر.

– تعرضت سورية بعد اندلاع الحرب فيها لأزمة إنسانية وخيمة، فقد أدت الحرب التي استخدمت فيها شتى أنواع الأسلحة حتى الكيماوية منها والمحرمة دولياً، إلى مقتل الآلاف، وتهجير 5 ملايين سوري خارج البلاد، وبات أكثر من 13 مليون سوري في حاجة ماسة للمساعدات الإنسانية العاجلة.

لذلك تدير هيئة الإغاثة الإنسانية (IHH) نشاطاتها الإغاثية في سورية عبر 10 مراكز تنسيق، وقد قامت حتى اليوم بإنشاء 6 ضواحي «كونتينر»، و27 مخيماً يعيش في مجموعها أكثر من 150 ألف إنسان، وتوفير الغذاء من خلال 61 فرناً و30 مطبخاً، وتأمين اللباس المجاني من خلال 35 مخزناً، وتوفير الرعاية الصحية عبر 14 مركزاً طبياً، وبناء جامعة، ودعم التدريس في 43 مدرسة، وإنشاء مدينة لرعاية 990 يتيماً، وكفالة 10 آلاف يتيم شهرياً.

● آخر مآسي السوريين في إدلب، التي نزح منها مليون سوري في ظروف سيئة جداً، كيف تقيمون الوضع هناك؟

– الأوضاع بإدلب في تفاقم مستمر، وهناك تجاهل متعمد من قبل اللاعبين الأساسيين في سورية للوضع الإنساني المتردي فيها، نشهد الآن هدوءاً حذراً بعد أن كان القصف المدفعي والصاروخي لا يتوقف، وأود الإشارة إلى ما قاله حينها مسؤول تنسيق الشؤون الإنسانية التابع للأمم







المتحدة «ينس لاركيه»: «لم يبق مكان آمن في إدلب، القنابل تتساقط في كل مكان، وحتى الذين نجحوا في الفرار من أماكن القصف ليسوا بمأمن».

هناك نقص كبير في المساعدات المقدمة إلى الشعب السوري، كما أن هناك مشكلة في الوصول للأماكن الساخنة، وهناك حاجة لأبسط مقومات الحياة الإنسانية، نتكلم عن 3 ملايين مدني نصفهم من كبار السن والأطفال، نحتاج إلى تكاتف الجهود أكثر، وإلى عدم نسيان إخوتنا في الإنسانية داخل سورية فهم بحاجة إلى وقفتنا اليوم.

● لفت نظري العنوان الذي تعمل تحته في المنظمة «منسق الدبلوماسية الإنسانية»، ما ماهية هذه المهمة؟

- الدبلوماسية الإنسانية هي أن تقنع صانعي القرار بالعمل في جميع الأوقات، لصالح الأشخاص الضعفاء، والاحترام الكامل للمبادئ الإنسانية الأساسية على وجه تام، هذا التعريف معتمد لدى الاتحاد الدولي للصليب الأحمر والهلال الأحمر.

المصطلح أُقر بعد الحرب العالمية الثانية، حيث تم تبادل الجرحى في برلين بين شقيها الشرقي والغربي، بعدها بدأ المصطلح يتطور أكثر على الساحة ويكتسب مجالات جديدة في ظل تراجع الدبلوماسية التقليدية في حل النزاعات، ناهيك عن ضعف بعض المؤسسات المعنية بهذا المجال وتزايد العنف ضد الأقليات، والحرب على الإرهاب بالإضافة إلى «الإسلاموفوبيا»، كل هذه الأسباب وغيرها فتحت الطريق أمام الدبلوماسي الإنساني كي يحاول إقناع أصحاب القرار بأن يعملوا من أجل المستضعفين، نحن في مكتبنا لدينا 4 اتجاهات رئيسة:

1 - الوساطة أو التحكيم في قضية ما.

2 - إطلاق سراح أو تبادل المختطفين والأسرى.

3 - الممرات الإنسانية والهدنة.

4 - لم شمل العوائل التي فرقتها الحروب.

نمارس أنشطتنا بسورية عبر 10 مراكز وأنشأنا 6 ضواحي «كونتينر» و27 مخيماً لإيواء 150 ألفاً

نعمل على الوساطة والتحكيم وإطلاق سراح الأسرى والممرات الإنسانية والهدنة ولم شمل العوائل

● ماذا حققتم في هذا المجال؟

- كما أسلفت، نحن نعتقد أن المساعدة لا تكون فقط في توزيع الغذاء، وإنما في الحصول على الحقوق كذلك بالطرق القانونية والدولية المعتمدة، فالدبلوماسي الإنساني يحاول أن يحصل على حقوق المستضعفين في ظل شروط مختلفة ومعقدة، وكانت لدينا وساطات في ليبيا والعراق وأفريقيا وآسيا، أهمها ما تحقق في الفلبين، فبعد 40 عاماً من الاقتتال الداخلي، تمكنت «IHH» من قيادة جهود وساطة بين أطراف النزاع بقيادة «حسين أوروج»، الذي أصبح عضواً مراقباً لعملية السلام، بعد أن تم الوصول إلى سلام وعقدت هناك انتخابات أنهت النزاع.

● هل شاركتم مع مؤسسات كويتية في أعمال إنسانية؟ وكيف تقيمونها؟

- نعم لدينا شراكات وأعمال إنسانية مع عدة مؤسسات كويتية كثيرة لا يسعني ذكرها، والشعب الكويتي متميز ومعروف بحب عمل الخير، ولعل تتويج سمو أمير الكويت بلقب «أمير الإنسانية» يجسد هذا الأمر خير تجسيد، فالكويتيون لهم بصمات متميزة في العمل الخيري عبر العالم.

● هل باب التبرع لمنظمتكم مقتصر على الأتراك، أم أنه مفتوح للعالم؟ وما آلية التواصل معكم؟

- باب التبرع مفتوح للعالم أجمع وبطرق مختلفة عبر تطبيق يمكن تحميله على منصتي «أندرويد» أو «آب ستور»، والمنظمة تتيح التبرع كذلك من خلال موقعها الإلكتروني، كما أن لدينا نظامَ مجيب آلياً مرتبطاً برقم دولي، يتيح لكل الناس حول العالم التبرع للمنظمة.

● ما رؤيتكم للسنوات العشر القادمة؟ هل تتجهون للمزيد من الانفتاح؟

- العالم كله يتجه إلى الانفتاح، مع أن فيروس «كورونا» أعاق الانفتاح وسهولة التنقل اليوم، كنا وما زلنا نمد يد العون للتقليل من الضرر الحاصل بسبب الحروب والنزاعات وسنستمر، ونعمل على زيادة الشراكات بين المؤسسات المحلية والدولية لتكاتف الجهود في ظل تجاهل تام لحقوق الإنسان وغياب الحلول الجذرية للنزاعات الحاصلة في العالم.■



مسلمو أفريقيا في رمضان..

وسائل التواصل الاجتماعي بديل عن الحضور للمساجد في الخطب والدروس

أشرف عيد

حلَّ شهر رمضان هذا العام في ظروف عالمية صعبة مع انتشار وباء فيروس «كورونا» الذي ينتشر في العالم بالعدوى ويسبب الوفاة، فقد بلغ مجموع عدد الإصابات في العالم حتى حلول رمضان هذا العام ما يقرب من مليونين ونصف مليون حالة إصابة، ونحو ٢٠٠ ألف حالة وفاة، وما زالت دول العالم جميعاً تعاني من الوباء بدرجات مختلفة.

يعد المسلمون في قارة أفريقيا أقل قارات العالم في أعداد الإصابات والوفيات، وقد اختلف رمضانهم هذا العام عن الأعوام السابقة، مثل باقي المسلمين في العالم؛ حيث اتخذت دولهم نفس الإجراءات الوقائية التي اتخذتها دول العالم في الحظر العام وحظر التجوال والتجمعات والتزام المنزل، وعطلت الصلوات في المساجد في شهر رمضان كذلك.

مسلمو جنوب أفريقيا:

ففي جنوب أفريقيا ذات الأقلية المسلمة التي تحتل مركزاً متقدماً بأفريقيا في عدد الإصابات بفيروس «كورونا»، يبلغ عدد سكانها نحو 55 مليوناً، وعدد المسلمين نحو مليونين (بنسبة 3% تقريباً)، فقد سعوا إلى التغلب على العقبات المستجدة خلال شهر رمضان هذا العام باستغلالهم كل الوسائل المتاحة.

يقول أحمد المشطاوي، صحفي وداعية إسلامي مقيم بجنوب أفريقيا، في تصريحات لـ«المجتمع»: البديل عن الصلاة جماعة بالمساجد، ومنها صلاة التراويح، أن يقوم رب كل أسرة بأداء الصلوات جماعة مع أفراد بيته، سواء الفرائض أو التراويح والتهجد، كما يمكن التغلب على إغلاق المساجد باستخدام وسائل التواصل الحديثة، والاستماع للخواطر والخطب التي تبث من المساجد عبر منصات التواصل الاجتماعي، والبث المباشر عبر الإنترنت خلال شهر رمضان.

ويضيف أن مَنْ ليس لديهم اهتمام أو دراية بالإنترنت، فيمكنهم متابعة الدروس الرمضانية عبر محطات التلفاز والراديو؛ حيث يمتلك المسلمون في جنوب أفريقيا ثلاث محطات راديو إسلامية، ومحطة تلفاز، وجرائد ومجلات، تقوم بالدور الدعوي والإرشادي طوال العام، وسيقوم قادة العمل الإسلامي والخطباء والعلماء بإلقاء الخطب والمواعظ عبر وسائل الإعلام.

وعن الدور الديني والاجتماعي للمؤسسات الإسلامية يقول المشطاوي: تبذل الجمعيات الإسلامية دوراً مهماً في الدعوة والإرشاد في ظل وباء «كورونا»؛ من خلال التكافل ورعاية الأسر الفقيرة، خاصة التي تضررت من إجراءات مكافحة الفيروس، فقد دعا مجلس القضاء الإسلامي (أكبر المؤسسات الإسلامية في جنوب أفريقيا)، وكذلك جمعية العلماء، إلى تثقيف المجتمع الإسلامي بدراسة سنن المصطفى صلى الله عليه وسلم في زمن الطاعون، والالتزام بحظر التجول وإغلاق المساجد والاكتفاء برفع الأذان فقط، والحث على إطعام الطعام، وإغاثة اللهفان، وسد حاجة الفقراء وإعانتهم؛ حيث طالب كثير من المؤسسات الإسلامية في جنوب أفريقيا بإخراج الصدقات قبل حلول شهر رمضان، ودعت إلى إخراج الزكاة مقدماً قبل حلول موعدها لشدة حاجة المحتاجين إليها هذه الأيام.

وتقوم المؤسسات والجمعيات الإسلامية المخصصة بهذا الشأن مثل: «إسلاميك ريليف» (ISLAMIC RELIEF)، و«مستضعفون»، و«يد المسلمين» (Muslims hand)، و«صندوق الزكاة المحلي بجنوب أفريقيا»، و«نقاء» الخيرية بمدينة كيب تاون، وغيرها من الجمعيات والمؤسسات الخيرية التي تقدم يد المساعدة للمحتاجين، كما قامت مؤسسة «sanzaf» بجنوب أفريقيا بتوزيع أربعة آلاف سلة غذائية قبل شهر رمضان، ويسعون لتوزيع 2000 سلة غذائية أسبوعية، وتقوم كذلك الجالية العربية بالعمل على توزيع سلة غذائية في كيب تاون وجوهانسبرج.

مسلمو نيجيريا:

وفي نيجيريا ذات الأغلبية المسلمة، حيث يبلغ عدد سكانها أكثر من 150 مليوناً، يشكل المسلمون 80% منهم، فإنهم اضطروا للصلاة بشهر رمضان في بيوتهم، حيث تقوم كل منطقة في الولايات بتقديم الدروس الدينية عن طريق الإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي في مواعيد محددة، وكذلك عن طريق الراديو النيجيري والقنوات الفضائية، واقتصر احتفال المسلمين في نيجيريا بشهر رمضان داخل كل أسرة بداية من شهر شعبان، حيث يراجع الرجال والنساء القرآن الكريم، واكتفى الجميع بالتواصل الهاتفي.

ويعاني المسلمون في نيجيريا في رمضان من أزمة مالية في ظل سياسة حظر التجوال وإغلاق المحلات التجارية، ووقف وسائل المواصلات بين المدن، ومشكلة تأمين المواد الغذائية في ظل الحظر بكل الولايات ووقف الاستيراد والتصدير، حيث قامت كل منطقة بالتكافل فيما بينها والتغلب على عدم تقديم موائد الطعام للفقراء في رمضان هذا العام بتقديم المساعدات المالية والعينية.

يذكر أن الحكومة النيجيرية قامت بتقديم مساعدات عينية للفقراء والمساعدات لجميع أفراد الدولة، وأعفت المواطنين من سداد فواتير الكهرباء لمدة شهرين مع حلول شهر رمضان، وساعدت البنوك ورجال الأعمال الدولة في تقديم المساعدات للمصابين بفيروس «كورونا»، فقدمت بنوك «GT» نحو 100 سرير للحجر الصحي، وقدم رجال الأعمال مساعدات مالية، وساعد أصحاب الفنادق بتقديم فنادقهم للحجر الصحي للأسر المصابة بالفيروس.■



الحركة الإسلامية

المراقب لما يجري في نطاق العمل للاسلام خلال نصف القرن الماضي تبدو له ملامح ظاهرة مخيفة وهي ان العمل والتجارب التي قامت في هذا النطاق تجريان في دوامة مغلقة من التكامل والتآكل ..

والمقصود بالتكامل والتآكل هو ان التجارب التي قامت لا تكاد عناصرها تتكامل حتى تاخذ بالتآكل ، وانها لا تكاد امكانياتها تتهيأ وتتجمع حتى تاخذ بالانفراط قبل ان تحقق الهدف الرئيسي من وجودها باقامة المجتمع الاسلامي واستئناف الحياة الاسلامية ..

وتبدو ملامح هذه الظاهرة بشكل بارز وملحوظ على صعيد (المنطقة العربية) حيث عجزت الحركات الاسلامية عن تحقيق ولو تجربة واحدة في قطر واحد على الاقل ..

هذا فضلا عن ان الحركة في عدد من الاقطار تراجعت تراجعا مخيفا امام التيارات المادية الغازية ، واخلت خطوط دفاعها الاولى ، الامر الذي مكن لهذه القوى الجاهلية في بلاد المسلمين ، وسهل لها سبيل الوصول الى السلطة واغتصابها ، ومن ثم استخدامها وتسخيرها لحرب الاسلام بوجه عام ولضرب الحركة الاسلامية بوجه خاص ..

تشخيصات

والعاملون في الحقل الاسلامي المسلمون بوجود هذه الظاهرة متباينون في تقديرهم لاسباب نشوئها واستفحالها ..

فمنهم من يعتبرها امرا طبيعيا ، ونتيجة محتومة لانحسار الخير وطغيان الشر على العالم ، وبالتالي لحتمية (الغربة) التي سيؤول اليها الاسلام ودعاته في اخر الزمان .. ويستدلون على ذلك باحاديث للرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم منها قوله (سيأتي زمان على امتي القابض فيه على دينه كالقابض على جمر) وقوله (خير القرون قرني ثم الذي يليه ، ثم الذي يليه ، والاخرون اراذل)

ومنهم من يرد الاسباب الى سوء الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي تعيشها الامة ، في اعقاب سقوط الدولة الاسلامية وانتقاض الحكم الاسلامي ، والى المؤامرات التي تكاتف فيها القوى العالمية الثلاث (الصهيونية والشيوعية والصليبية) لضرب الاتجاه الاسلامي وعزل الفكرة الاسلامية عن الحياة ، طورا باثارة النعرات العصبية والقومية وطورا اخر بانشاء الحركات المادية الالحادية والتبشيرية ، وبكل الطرق والاساليب التي من شانها تشكيك المسلمين بمعتقداتهم وتشريعاتهم ..

ومنهم من يعزو الامر الى قلة الامكانيات البشرية والفنية والمادية التي تمتلكها الحركة الاسلامية المعاصرة ، وانها دون مستوى المواجهة مع الجاهلية العاتية ..

مناقشات

والحقيقة ان كل ما ورد من اراء في مناقشة اسباب بروز ظاهرة (التكامل والتآكل) في نطاق التجارب المعاصرة للعمل الاسلامي هي من الاسباب ولكنها ليست الاسباب كلها ، بل انها في الحقيقة ليست الاسباب الرئيسية الجوهرية الكامنة وراء هذه القضية ..

فالذين يعتبرون (الظاهرة) امرا طبيعيا ونتيجة محتومة لانحسار الخير وطغيان الشر ، محقون ولكن الى حد .. فالشر كان موجودا منذ الخليقة .. ودعوات الرسل والانبياء جميعا ليس لها من مبرر لولا وجود الشر وانحراف البشرية وحاجتها الى الاصلاح والتقويم .. بل ان طغيان الباطل وجنده ينبغي ان يحفز الحق واهله لمزيد من الاصرار والتمرد والثبات .. ولقد قيل للحق يوما (اين كنت في صولة الباطل ؟ قال : كنت اجتث جذوره) .. والواقع ان الباطل لا يذيع ويشيع الا في غفلة اهل الحق وضعفهم وانزوائهم عن ميادين البذل والجهاد ..

واصحاب هذا الراي مخطئون اذا اعتقدوا بان لا امل في الاصلاح .. وهم في ذلك خارجون عن دائرة التصور الاسلامي ، لان اعتقادهم هذا سيدفعهم بدون شك الى الانسحاب من المعركة والفرار من الزحف ، وبالتالي سيصابون باليأس ، وسيلقون السلاح ، وليس معنى هذا سوى الاستسلام والانهزام ؟!

ان الاسلام يطالب اتباعه والمؤمنين به ، بان يعملوا ويبذلوا قصارى جهدهم وصادق جهادهم ليس الا .. اما النصر فانه من شان الله وقدره ، كما انه في صحائف غيبه وعلمه .. وحري باهل الحق ان يفرغوا طاقاتهم، ويبذلوا ما وسعهم البذل فيما يحقق رضاء الله اولا حتى ولو لم يكونوا ضامنين للنصر واثقين منه .. وهذا معنى قوله تعالى (ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة)

واما الذين يردون الامر الى سوء الاوضاع وتردي القيم وطغيان الجاهلية وفساد الزمن ، فنحن نعترف معهم بان الاسلام يواجه تحديات غاية في القوة والشراسة والخبث .. ولكن هذا ينبغي ان لا يكون وليس هو السبب الاساسي الذي ادى الى وقف المسيرة الاسلامية وتخبطها ، والى نشوء ظاهرة التكامل والتآكل في حياتها ..

وثمة نقطة اخرى تجدر الاشارة اليها – كذلك – وهي ان الاوضاع السيئة التي عليها العالم بصورة عامة والامة بصورة خاصة ستزداد يوما بعد يوم ، ما لم تتدارك الحركة الاسلامية الامر وتنقذ الموقف . اما ان ننتظر تغير الاوضاع بشكل

بين التكامل والتآكل

بقلم الأستاذ: فتحي يكن

عفوي وبدون ثمن يبذل ، وتضحيه تقدم ، فان ذلك لضلال ما بعده ضلال ؟.

ان من واجب الحركة الاسلامية ان تفكر – اليوم – بغير العقلية التي كانت تفكر فيها بالامس .. لان الامس وظروفه واوضاعه لم يعد في واقع اليوم الا ذكريات مضت وهيهات ان تعود ؟! ان الانظمة التي كانت تسمح الى حد بممارسة النشاطات الحزبية المختلفة قد بادت وانقرضت وحلت محلها انظمة حزبية بوليسية حاقدة على الاسلام وضليعة في التآمر عليه..

وعبثا تنتظر الحركة تغير الحال من غير بذل جهد ودفع ثمن (الا ان سلعة الله غالية ، الا ان سلعة الله الجنة)

واما الذين يعزون بروز ظاهرة التكامل والتآكل في حياة الدعوة الى قلة في الامكانيات وضعف في الطاقات ، فانا لست معهم في شيء ؟ فالحركة الاسلامية في الواقع لا تشكو فقرا في الامكانيات بقدر ما تشكو من عدم الاهتمام بهذه الامكانيات وتنميتها وتطويرها والاستفادة منها على الزمن .. لقد مرت في تاريخ الحركة الاسلامية المعاصرة فرص وظروف كان في صفوفها من الامكانيات المختلفة ما لم يكن عند سواها من الحركات التي سبقتها الى السلطة والى الحكم في اكثر من قطر ؟ ولكن اهمالها لهذه الامكانيات وعدم الاستفادة منها فيما يتلاءم مع طبيعتها واختصاصها وقدرتها ، وبالتالي عدم استيعابها فكريا وتوجيهيا وحركيا ، ادى الى فقدان بعضها ، والى نمو البعض الاخر نموا وحشيا غير طبيعي ، فيه كثير من التشوه والانحراف ..

اين يكمن الداء اذن ؟

ان الداء يكمن من وجهة نظري – اكثر ما يكمن – في (الجسم الحركي) نفسه ، وان كنت لا انكر كذلك اثر الضغوط الخارجية على الحركة الاسلامية ..

عفوي وبدون ثمن يبذل ، وتضحيه تقدم ، فان ذلك لضلال ما بعده ضلال ؟.

ان من واجب الحركة الاسلامية ان تفكر – اليوم – بغير العقلية التي كانت تفكر فيها بالامس .. لان الامس وظروفه واوضاعه لم يعد في واقع اليوم الا ذكريات مضت وهيهات ان تعود ؟! ان الانظمة التي كانت تسمح الى حد بممارسة النشاطات الحزبية المختلفة قد بادت وانقرضت وحلت محلها انظمة حزبية بوليسية حاقدة على الاسلام وضليعة في التآمر عليه..

وعبثا تنتظر الحركة تغير الحال من غير بذل جهد ودفع ثمن (الا ان سلعة الله غالية ، الا ان سلعة الله الجنة)

واما الذين يعزون بروز ظاهرة التكامل والتآكل في حياة الدعوة الى قلة في الامكانيات وضعف في الطاقات ، فانا لست معهم في شيء ؟ فالحركة الاسلامية في الواقع لا تشكو فقرا في الامكانيات بقدر ما تشكو من عدم الاهتمام بهذه الامكانيات وتنميتها وتطويرها والاستفادة منها على الزمن .. لقد مرت في تاريخ الحركة الاسلامية المعاصرة فرص وظروف كان في صفوفها من الامكانيات المختلفة ما لم يكن عند سواها من الحركات التي سبقتها الى السلطة والى الحكم في اكثر من قطر ؟ ولكن اهمالها لهذه الامكانيات وعدم الاستفادة منها فيما يتلاءم مع طبيعتها واختصاصها وقدرتها ، وبالتالي عدم استيعابها فكريا وتوجيهيا وحركيا ، ادى الى فقدان بعضها ، والى نمو البعض الاخر نموا وحشيا غير طبيعي ، فيه كثير من التشوه والانحراف ..

اين يكمن الداء اذن ؟

ان الداء يكمن من وجهة نظري – اكثر ما يكمن – في (الجسم الحركي) نفسه ، وان كنت لا انكر كذلك اثر الضغوط الخارجية على الحركة الاسلامية ..

والتآمر ، او في الافكار والتصورات او في الاعمال والتصرفات ..

ثانيا :

الالتزام بالاسلام واحكامه التزاما كاملا .. بجعله محور الحياة ، ومنطلق التفكير ، وقاعدة التصور ، ومصدر الحكم في كل قضية وموضوع ..

ثالثا :

اعتبار الجهاد في سبيل اعلاء كلمة الله في الارض هو الغاية الاسمى من الوجود .. وما يحتم هذا التصور من استعداد كامل للتضحية بكل شيء في سبيل هذه الغاية ..

ومن قبيل النقد الذاتي البناء القول بأن المناهج والاساليب المعتمدة دون مستوى القدرة على تكوين شخصية اسلامية هذه ملامحها ومواصفاتها .. والواقع ان كل ما يمكن ان تقدمه هذه المناهج لا يعدو ان يكون قسطا من الثقافة الاسلامية العامة والتوجيهات الروحية والخلقية ، مما يجعلها دون القدرة على صياغة الفرد المسلم الصياغة المتميزة ، التي تؤهله ليكون رجل العقيدة الذي يؤمن بها ويعيشها ويضحي بالنفيس والغالي من اجلها ..

ان الغاية الاساسية من التربية والتكوين الاسلاميين هو تحقيق التفاعل بين الاسلام وبين الافراد بحيث يتحقق من هذا التفاعل تجريدهم من ذواتهم.. تجريدهم من القيم الارضية كلها ، والوشائج المادية كلها .. تجريدهم من الاعتزاز بكل ما يعتز به من حطام واهواء .. ليعتزوا بالحق وحده .. الحق مجردا من اشخاصهم .. الحق متلبسا بذواتهم ولكنه متميز فيها تميزا واضحا ، بحيث تتبع ذواتهم الحق ، ولا تتبع اهواءهم او مشاعرهم الشخصية .. وذلك بأن يتجردوا لله .. يتجردوا له تجردا خالصا .

البقية في العدد القادم

من أرشيف «المجتمع»

منبر المجتمع

يكتبه هنا الاسبوع
محمد عبدالله السمان



أرض العرب والمسلمين لمن؟

● **هذا السؤال المطروح يجيء متأخراً بعض الوقت، الا ان القطار لم يفته، وهو سؤال يراود ذهن كل عربي مسلم فيه ولو بقية من اصالة العروبة والاسلام، ولكنه يتوقف عن طرحه، لياسه من ان يجد صدى لدى المسؤولين عن ديار العرب والمسلمين، وليس لياسه من وجود حل لمثل هذه القضية المتأزمة، اذن فليست المشكلة في الحل، وانما في قبولها كما يقول ابو حامد الغزالي.**

والمشكلة ــ في ايجاز ــ ان النزاع بين سائر الانظمة العربية بالدرجة الاولى، وبين سائر الانظمة الاسلامية بالدرجة الثانية، انما ينعكس اول ما ينعكس على الشعوب العربية والاسلامية، وهي لا شأن لها بهذا النزاع او ذاك، وموقفها دائما هو موقف المتفرج لا اكثر، ومما يؤسف له، ان الانظمة العربية بلا استثناء، تزعم انها تتحدث بلسان شعوبها، وترفع شعارات الاخوة العربية، ولافتات الرابطة العربية، وفي نفس الوقت تمارس التفرقة العنصرية في ابشع صورها. فالمواطن من اهل البلد العربي مواطن من الدرجة الاولى، ومن عداه من البلاد العربية الاخرى رعايا اجانب من الدرجة العاشرة، لا يصلون الى مستوى الاجانب من بلاد الشرك او الالحاد.

لماذا اصبح العربي المسلم في غير موطنه وفوق ارض عربية مسلمة لا يحس انه مجرد غريب ــ فحسب ــ بل: انه منبوذ غير مرغوب فيه على عكس الامريكي او الفرنسي او الانجليزي او ما الى ذلك، حيث يجد الترحاب كل الترحاب؟

لماذا ينظر الى الكفاءات العربية على انها فضلة، بينما ينظر الى الكفاءات الاجنبية على انها ضرورة؟

لماذا تتقلص العمالة العربية في الدول العربية، بينما تتدفق العمالة من اوسع الابواب على الدول العربية من: كوريا وبورما وتايلاند والفلبين؟

لماذا يركب العربي الصعب في سبيل الحصول على تأشيرة لدخول دولة عربية، ثم يعود آسفا بخفي حنين، بينما تفتح الابواب على مصاريعها للأفاقين من ادعياء الفن الرخيص، وتجار الرقيق الابيض، وبيت الازياء والعطور؟؟

هل يصدق انسان ان صفقات التأشيرات تعقد مع الراغبين في المواخير والكباريهات ومكاتب الرقيق الابيض؟ لقد كنت لا اصدق ما سمعته اذناي، حتى كان ذات يوم وصلتني فيه برقية تحمل رقم التأشيرة الى بلد عربي اسلامي محافظ لحضور مؤتمر اسلامي هناك. وحملت البرقية الى الموظف المختص في المكتب التعليمي لذلك البلد، وطلب مني ان انتظر، ولم تمض لحظات حتى اقبلت فتاتان عاريتان كاسيتان، يبدو عليهما من ملامحهما انهما غانيتان، وسرعان ما فتح الباب على مصراعيه لهما، وجلست زهاء الساعة اتميز غيظا تخرق اذني الضحكات المهينة والقهقهات الرخيصة، والدعابات السخيفة..!

○ ومنذ اكثر من اسبوعين وصل الى القاهرة اخوان مسلمان من اندونيسيا، وممثلان لحركة اسلامية هناك، تهدف الى مقاومة الزحف التبشيري المسيحي الى اندونيسيا بالعمل لا بالقول، للقيام بجولة ثانية في البلاد العربية، لتدعيم المشروع الكبير المناهض للتبشير الذي بدىء في تنفيذه بالفعل، وفشلت كل المحاولات في القاهرة وبيروت للحصول على تأشيرة لهما الى الكويت بالرغم من تزكية السفارة الأندونيسية لهما، ولم ينقذ هذا الموقف الحرج سوى شهامة صاحب المعالي وزير اوقاف الكويت ومعاونة الاخ الاستاذ عبدالله العقيل مدير الشئون الاسلامية بالوزارة، بالاضافة الى كرم الضيافة استطعنا بهذا السعي الكريم الحصول على

● ليست المشكلة في الحل وإنما في قبولها ؟!

● مما يؤسف له أن موقف الشعوب الاسلامية من قضاياها هو موقف المتفرج ؟!

● لماذا ينظر إلى الكفاءات المسلمة على أنها فضلة وإلى الأجنبية على أنها ضرورة ؟!

● يرى البنا أن أية أرض يعيش عليها المسلم هي دار إسلام.

● هل يصدق إنسان أن صفقات التأشيرات تعقد مع الراغبين في الكبار يهات ؟!!

تأشيرة لدخول دولة الامارات العربية، وما لقيه الاخوان المسلمان الأندونيسيان اللذان قاما بالرحلة على نفقتهما الخاصة ـ ما لقياه من متاعب يلقاه ايضا الدعاة الاسلاميون. اما دعاة التبشير الصليبي الذين يحملون في ادمغتهم وحقائبهم كل مخططات التآمر على الاسلام، فان السبل في ديار العرب والمسلمين ممهدة لهم.

● اذن فلمن تكون ارض العرب والمسلمين، ان لم تكن للعرب والمسلمين؟ اهي للامريكان والاوروبيين والروس والكوبيين والكوريين، وحرام على العرب والمسلمين؟ ولماذا اذن ترفع الانظمة العربية شعار العروبة والاسلام، وتزعم انها ممثلة للشعوب العربية والاسلامية، لقد حدثت حركة الانفصال بين سوريا ومصر عام ١٩٦١ بعد الوحدة التي دامت ثلاثة اعوام حسوم، ولقد صدرت البيانات الرسمية من دمشق والقاهرة تؤكد ان الحركة لا تعني الشعبين العربيين الشقيقين في مصر وسوريا، وفي نفس الوقت والبيانات لم تزل تنعق بها الاذاعات، صدرت الاوامر في المدن السورية: ان يلتزم كل مصري مسكنه، وفي الصباح شحن المصريون بأقل الامتعة في سيارات نقل البضائع الى حدود لبنان ليرحلوا الى القاهرة، وما حدث في سوريا حدث مثله في مصر..

ولسنا في حاجة الى ان نتساءل: لماذا فشلت فكرة القومية العربية، بالرغم من الدعايات والاعلانات الضخمة، وبالرغم من تدريسها مادة اساسية في الجامعات والمعاهد والمدارس؟ لان الاجابة عن هذا التساؤل لا تحتاج الى بيان، فالفكرة نبتت في ادمغة بعض الزعامات العربية مجرد شعارات واهمة مدعية، للتغطية على المؤامرات التي تستهدف تحويل الشعوب العربية الى قطعان تساق بالسيف او بالسوط او بالعصا .. ومن المهازل الناصرية ان عبدالناصر صرح في خطاب له، اثر حركة الانفصال بين سوريا ومصر بقوله: «كان في استطاعتي ان ارسل جيشا مصريا يؤدب زعماء الانفصال المتآمرين على الشعب العربي ـ تصفيق حاد ـ لكنني قلت: لن اسمح للعربي ان يشهر السلاح في وجه عربي ـ تصفيق حاد..» ولم تمض بضعة شهور، حتى كان الجيش المصري العربي يغزو اليمن، ليقاتل و يقتل الشعب اليمني العربي الاعزل، بل لقد اعتبر العدوان المصري جهادا في سبيل الله، واعتبر القتلى من المقاتلين شهداء، ودفنوا في مقابر الشهداء ! وصفق الشعب المصري للجيش المصري الباسل وهتف له، تماما كما صفق له وهتف اثر الهزيمة في نكسة الخامس من حزيران سنة ١٩٦٧م

● واخيرا وليس آخرا:

ان الاستعمار الصليبي كانت اكثر مراحل مؤامراته على العرب والمسلمين ان اقام الحدود والفواصل بين البلاد العربية والاسلامية، وصالح الاجراءات التي تكفل تفتيت الروابط والاواصر العربية والاسلامية، واطمأن ان الانظمة العربية والاسلامية التي سترثه من بعده سوف تسير على نفس الطريقة التي صاغها، ورحم الله ابن بطوطة وابن جبير اللذين قاما باعظم رحلتين في التاريخ، ومن فضل الله عليهما انهما لم يعيشا حتى عصرنا ـ عصر الحدود والاجراءات التعسفية التحكمية، حتى لا يظلا في عقر دارهما، ورحم الله الامام الشهيد حسن البنا، كان يرى: ان أية ارض يعيش عليها ولو مسلم واحد ، تعتبر دار اسلام يحق لاي مسلم ان يطأها، وهكذا كانت الامة الاسلامية في عصرها الذهبي، لقد انتشر الاسلام وعم الآفاق في غيبة الحدود والاجراءات..

وهذا قليل من كثير مما تفيض وتجيش به النفس من الأسى المرير، وحسبي ان اتمثل بقول الشاعر العربي:

شكوت وما الشكوى لمثلي عادة
ولكن تفيض الكأس عند امتلائها

القاهرة

محمد عبدالله السمان

دراسة

نصيبك من القرآن نصيبك من العمل





محمد إلهامي
باحث في التاريخ والحضارة الإسلامية

كتب د. محمد بن عبدالله الخضيري رسالته للدكتوراه في التفسير، فجاءت عملاً علمياً ضخماً وعزيزاً عن «تفسير التابعين»، وقد حصل على الشهادة العلمية بدرجة ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى مع التوصية بتبادل الرسالة مع الجامعات.

الإنسان ينتفع بالقرآن بحسب الحاجة التي تفرض نفسها أو الشأن الذي انتدب نفسه فيه

أشهر التفاسير العصرية اهتمت بتوضيح هداية القرآن وإثبات محاسن الإسلام لمواجهة التشكيك فيه

كانت هناك محاولات استكشاف المنهج القرآني المتدرج في الدعوة والخطاب والبناء الحركي

قبل أن يجذبني الثناء للاستطراد في الحديث عن الكتاب، أدخل مباشرة إلى واحدة من النتائج التي استخلصها، تلك هي أنه وجد ميلاً إلى التخصص في «تفاسير التابعين»، فقد برزت مدرسة المدينة المنورة في التفسير بجانب السِّيَر ورواية الأخبار والأحاديث والسنن؛ ذلك أن النبي عاش بين ظهرانيهم؛ فكان لهم اهتمام بما نُقل عن النبي من الآثار والأخبار، بينما برزت مدرسة التفسير في مكة المكرمة بجانب مسائل الحج ودراسة آيات الأحكام الخاصة به؛ وذلك لقربهم من المشاعر وكثرة سؤال الوافدين عليها، في حين برزت مدرسة التفسير في البصرة بجانب اللغة والفصاحة ومعرفة الغريب؛ وذلك لوقوعها على حدود البادية وكثرة القادمين إليها من الموالي الذين لم يكثر فيهم اللحن، فحفظت هذه المدرسة شأن اللغة العربية من اللحن بالسبق إلى تدوينها، أما مدرسة الكوفة فبرزت في استنباط الأحكام الفقهية والاستكثار منها، أما مدرسة الشام في التفسير فبرزت في أحكام الجهاد؛ لأن الشام كان قلب حركة الجهاد، ولأن أهل الشام كانوا أهل غزو وجهاد.

ومثل هذا البروز ظهر في أئمة التفسير كأفراد أيضاً؛ فقد تميز مجاهد في علم القرآن، ولم يقاربه أحد في كثرة المروي من التفسير، وبرز الحسن البصري في جانب الوعظ والتوجيه، وبرز سعيد بن المسيب في جانب الأحكام لا سيما مسائل الطلاق، وبرز عطاء في فقه المناسك(1).

ومن هذا، يتبين لنا أن الإنسان ينتفع بالقرآن بحسب الحاجة التي تفرض نفسها، أو بحسب الشأن الذي انتدب نفسه فيه، فمن انتدب نفسه للوعظ فسيكون انتفاعه من القرآن في هذا الباب أعظم من غيره، وكذلك الذي انتدب نفسه للفقه أو للجهاد أو للسير أو لمجادلة أهل العقائد والأديان الأخرى.

وهذا الأمر يفسر لِمَ كانت أشهر التفاسير المعاصرة يغلب عليها ما لم يكن غالباً على التفاسير القديمة، فقديماً كان المفسرون يؤلفون تفاسيرهم فتتنوع اهتماماتهم منه؛ فمنهم من يُعنى بجانب اللغة والبيان لإبراز بلاغة القرآن وفرادة ألفاظه ومعانيه، ومنهم من يُعنى بجانب جمع المأثور من أقوال النبي والصحابة والتابعين لمواجهة شطحات التأويلات الفلسفية أو الباطنية، ومنهم من يُعنى بجانب يرى أن الحاجة ماسة إليه في عصره وبلده كالأحكام أو العقيدة والوعظ وغيره.

تفاسير عصرية

ولا شك أن كل هذه الاتجاهات استمرت في عصرنا هذا، إلا أن أشهر التفاسير في عصرنا برز فيها جانب توضيح هداية القرآن وإثبات محاسن الإسلام، ومثل هذا المعنى لم يكن مسيطراً على التفاسير من قبل، وما ذلك إلا لأن الأمة قبل عصر الضعف والاحتلال الحالي كانت لا تواجه محنة التشكيك في الإسلام ولا الانبهار بحضارة أمة غالبة عليها، كان القرآن في العصور الماضية هو المرجعية العليا التي يستدل بها المتخالفون ويحاول كلٌّ منهم الاحتجاج لمذهبه واتجاهه من خلال القرآن نفسه (وفي هذا يمكن مراجعة الدراسة المتميزة «العقائدية وتفسير النص القرآني» لياسر المطرفي)، بينما جاءنا هذا العصر بمحنة أن الإسلام نفسه صار في موضع الضعف والتهمة والتشكيك.

ومن هنا سعى المفسرون المشتغلون بهموم الأمة وقضاياها إلى تناول التفسير بما يُظهر هداية القرآن ومحاسن الإسلام، وخفت عندهم جانب العناية باللغة والتركيب، أو جانب العناية بالأحكام الفقهية، أو جانب مجادلة الفرق والمذاهب الإسلامية، وتلك هي التفاسير التي اشتهرت أكثر من غيرها في واقعنا المعاصر كتفسير «المنار» للشيخ محمد عبده، وتلميذه الشيخ رشيد رضا، وتفسير «الظلال» للأستاذ سيد قطب،



وتفسير الشيخ سعيد حوى، وتفسير الشيخ الشعراوي.

وبعض التفاسير طغى عليها الاهتمام العلمي والعناية التي لم توجد من قبل في كتب التفسير بالحديث عن العلوم وما تشير إليه الآيات من دقائق الخلق وبدائع المخلوقات، مثل تفسير الشيخ طنطاوي جوهري المعروف بتفسير «الجواهر»، وهي الظاهرة التي تطورت في كتب الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، حتى صار من المشروعات المأمولة لدى المهتمين بهذا الباب؛ إخراج تفسير علمي للقرآن الكريم، وما ذلك إلا لطغيان «العلموية» في عصرنا هذا حتى صار كأنه المرجعية العليا التي يُحتكم إليها ويقاس بمعيارها كل شيء، فصار من الهموم الإسلامية المعاصرة إثبات أن القرآن لا يناقض العلم، بل إثبات أن القرآن سبق العلم إلى كثير من الحقائق.

وثمة باب آخر من التفسير زاد الاهتمام به في عصرنا الحاضر؛ وهو باب التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، وهو الباب الذي يحاول استكشاف موضوع السورة الواحدة وعلاقة الآيات داخل كل سورة بموضوع السورة، وقد كان أول التفكير فيه قديماً، لكنه كثر وصار الاهتمام به ظاهرة قوية، وبرز في هذا الباب عدد من الأسماء والمؤلفات؛ كان أوسعها «موسوعة التفسير الموضوعي» الصادرة عن مركز تفسير في عشرة مجلدات، وأحسب أن السبب هو طغيان الطريقة الحديثة في التأليف البحثي

القرآن نزل ليكون دافعاً للعمل لا لمجرد الثقافة الفكرية والرياضة الذهنية وهو يُثمر بالممارسة والحاجة

الموضوعي الذي كوَّن شعوراً عاماً غالباً ينفر من الاستطراد والخروج عن الموضوع، ويضع الشروط القاسية لتكون كل فقرة وكل سطر منها ذا وظيفة واضحة وجزءاً لا يمكن الاستغناء عنه من البنيان البحثي الكلي للفكرة، ولم تكن هذه الطريقة في التأليف طاغية في العصور السالفة، أو هو على الأقل لم يكن التأليف محكوماً بمثل هذه الطريقة؛ فكان المؤلفون يكثرون من الاستطراد والبيان فيما يرون أنه مما يلامس الموضوع، ومن ثمَّ فلم يغلب على الأقدمين الاهتمام بشأن موضوعات السور، لكون الطريقة الموضوعية لم تكن مُلحَّة على أفكارهم وأذهانهم.

هذا فضلاً عن ظهور محاولة جديدة لتفسير القرآن بحسب ترتيب النزول؛ وهي المحاولة التي تحاول استكشاف «تطور الخطاب القرآني»، سواء أكان ذلك لأغراض تاريخية أو دعوية أو حركية، وهذه المحاولة جاء أصلها من المستشرقين الذين حاولوا تطبيق المنهج التاريخي على القرآن الكريم وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم، كأن القرآن خطاب بشري وليد للزمان والمكان والظرف والحال، ولكن هذه الطريقة لم تمنع آخرين من محاولة استكشاف المنهج القرآني المتدرج في الدعوة والخطاب والبناء الحركي، وإن كانت هذه المحاولة على حد ما أعلم لم تسفر عن نتائج مهمة[2].

وإذا ابتعدنا عن هذا المضمار العلمي الفسيح والرحب، ونظرنا إلى أنفسنا، فسنجد أن القرآن الكريم يعطي المرء منه على الوجه الذي يطلبه القارئ فيه، فإن الذي يهتم ويحفل لإصلاح نفسه وتهذيب أخلاقه سيصيب من القرآن ما يصلحه ويهذبه، والذي يهتم لعلاقاته مع أهله وأولاده والناس من حوله سيصيب من القرآن ما ينفعه في هذه الأمور، والذي يهتم لإصلاح مجتمعه سياسياً واقتصادياً وفكرياً فإنه سيصيب في القرآن هذه المعاني، والذي يهتم لشأن الجدل مع الأديان والعقائد وأهل الظلم والطغيان فسينهل مما يجده في هذا الباب.

القرآن والعمل

إلا أن أهم ما في الأمر أن القرآن الكريم نزل ليكون دافعاً للعمل لا لمجرد الثقافة الفكرية والرياضة الذهنية، فإدراك هذه المعاني إدراكاً نظرياً لا يترتب عليه عمل أمر مذموم، هكذا فهم الصحابة خطاب الله لهم؛ فكانوا يتعلمون الآيات العشر فيعملون بها ثم يتعلمون غيرها، كما قال عبدالله بن مسعود: «كنا لا نتجاوز عشر آيات حتى نتعلمهن ونعمل بهن، ونعلمهن، ونعلم حلالهن وحرامهن، فأوتينا العلم والعمل».

وقد قدَّمنا في أول هذه السطور أن القرآن يثبت ويثمر بالممارسة والحاجة، فبحسب ما تكون فيه من العمل وبحسب الحاجة التي تطلبها بحسب ما تستفيد من القرآن الكريم حقاً، أما قراءة القرآن كما تُقرأ الجرائد أو الاستماع له كما يُستمع إلى الأغاني والابتهالات فهي إن لم تكن حجة على صاحبها يحاسب عليها فإنها لن تنفعه ولن يشعر فيها بلذة خطاب الله له، بل لعله قرأ القرآن قراءة المستثقل له المتحمل العبء به.■

الهامشان

(1) للمزيد، راجع: د. محمد بن عبد الله الخضيري، تفسير التابعين: عرض ودراسة مقارنة، ط1 (الرياض: دار الوطن، 1999م)، 20/1 وما بعدها.

(2) للمزيد، ينظر دراسة د. طه محمد فارس، «تفاسير القرآن الكريم حسب ترتيب النزول» إذ ناقش فيها المحاولات الأربعة للتفسير على هذه الطريقة.

لا شك أن موت العلماء الأجلاء من المصائب التي تؤثر على أي أمة، والأمة الإسلامية مثلها مثل باقي الأمم ابتليت بفقد الكثير من علمائها وقادتها على مر التاريخ والعصور، ولا شك أن الأرض تحيا إذا حيي عالمها كحياتها إذا ما الغيث حل بها.
وفي هذه السطور نقف مع سِيَر بعض الأعلام الذين رحلوا في مايو، ومن أبرزهم:

إعداد - عبده دسوقي:
باحث في التاريخ الحديث

علماء رحلوا في مايو

شلبي والحموي والمخلافي



عبدالودود شلبي.. عالِم في وجه التنصير

في قرية ميت عفيف مركز الباجور بمحافظة المنوفية ولد د. عبدالودود شلبي، يوم 18 أبريل 1925م، وقد اهتم والده بتعليمه؛ فحفظ القرآن الكريم في سن مبكرة، والتحق بالتعليم الابتدائي، ثم بالأزهر الشريف عام 1941م؛ حتى نال الشهادة العالمية من كلية أصول الدين عام 1952م، وحصل على درجة الماجستير من جامعة الأزهر، ثم حصل على درجة الدكتوراه من كلية الدراسات الشرقية بجامعة بنجاب بباكستان علم 1976م، وقام بتوثيقها من جامعة كامبريدج بلندن في نفس العام، وكانت حول موضوع «الأصول الفكرية لحركة المهدي السوداني ودعوته».

بدأ حياته سكرتيراً للشيخ محمود شلتوت، شيخ الجامع الأزهر الأسبق، ثم في عهد د. عبدالحليم محمود، شيخ الأزهر الأسبق، رأس تحرير مجلة «الأزهر» خلفاً للشيخ عبدالرحيم فودة، وفي عام 1982م اختير أميناً لمؤتمر العيد الألفي بالأزهر، وفي عام 1985م اختير أميناً لمؤتمر السيرة والسُّنة الذي نظّمه الأزهر قبل أن يحال للتقاعد عام 1990م، وقد كرمه الرئيس الراحل محمد حسني مبارك ومنحه «وسام الامتياز من الدرجة الأولى» عام 1991م.

وهب د. شلبي نفسه للدفاع عن الإسلام، حيث سخر في يده الأدلة والبراهين لوقف تشكيكهم في تعاليم المسلمين، واستطاع أن يتصدى للتنصير الذي غزا الأمة الإسلامية، وتقدم بأكثر من تصور لإصلاح الأزهر، حيث قال: «لو كان للأزهر دور حقيقي ما ارتفعت صيحات الإلحاد والتطرف، واختفت إلى الأبد عصابات الإرهاب المسلّح؛ فالأزهر تراجع عن دوره في التعريف بدين الإسلام الصحيح السمح، ودوره في تقويم اللسان العربي الذي يكاد يختفي في الأزهر نفسه!».

تعرف على دعوة الإخوان في وقت مبكر، وبايع الشيخ حسن البنا، حيث كان من زملائه في الدراسة والدعوة د. يوسف القرضاوي، ود. أحمد العسال، وحينما دخلت الجماعة في محنة عام 1948م اعتقل مع بقية إخوانه ورحل إلى سجن الهايكستب ثم الطور، حيث تفجرت مفاتيح الشعر عنده وقت المحنة، كما كان له دور كبير في التخفيف عن إخوانه في السجن كما ذكر عدد كبير في مذكراته ذلك.

بعد خروجه أكمل تعليمه، ثم عمل محاضراً في العديد من الدول الإسلامية؛ في باكستان، وقطر، والشارقة، والكويت، ثم عمل مديراً للمركز الإسلامي في سيدني.

ترك للمكتبة الإسلامية الكثير من المؤلفات التي كانت مفاتيح للرد على كل من يشكك في الإسلام، ومنها: «في محكمة التاريخ»، «القرآن يتحدى»، «حوار صريح بين عبدالله وعبدالمسيح»، «حقائق ووثائق.. دراسة ميدانية عن الحركات التنصيرية في العالم الإسلامي»، «رسالة إلى البابا»، «للمحاولة الفاشلة لتنصير طالب الأزهر».

ظل د. شلبي منافحاً عن الإسلام وسُنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم حتى وافته المنية في 15 جمادى الآخرة 1429هـ/ 21 مايو 2008م، ودفن بمسقط رأسه[1]. ■

وهب نفسه للدفاع عن الإسلام وتصدى للتنصير وتقدم بأفكار لإصلاح الأزهر



محمد الحامد الحموي.. الفقيه السوري

ولد في مدينة حماة بسورية، عام 1328هـ/ 1910م، وبعد 6 أعوام توفي والده، ثم والدته، وعاش حياته يتيم الأبوين، وأكمل دراسته الابتدائية عام 1922م، وحين افتتحت «دار العلوم الشرعية» عام 1924م في حماة التحق بها، وفي عام 1347هـ/ 1928م رحل إلى حلب وانتسب إلى

عبده محمد المخلافي.. شهيد القرآن

ولد عبده محمد علي نعمان المخلافي في قرية السدري في بلاد المخلاف بمحافظة تعز اليمنية، عام 1356هـ/ 1937م، ونشأ في أسرة فقيرة، فعمل في رعي الأغنام، ثم درس القرآن الكريم في كُتّاب قريتهم، ثم سافر إلى السعودية، وظل متنقلاً بين مدينتي مكة المكرمة وجدة مشتغلاً ببعض أعمال البناء، ثم رحل للقاهرة، حيث التحق بالأزهر وواصل تعليمه حتى كاد أن يتم المرحلة الثانوية لولا أنه ألقي القبض عليه بسبب التحاقه بجماعة الإخوان المسلمين.

عاد إلى اليمن بعد قيام الثورة، فألحقه أ. قاسم غالب أحمد، وزير التربية والتعليم آنذاك، بالعمل في المركز الإسلامي بمدينة تعز، ثم مدرساً في إحدى مدارس تعز؛ ثم مديراً عاماً للتربية والتعليم في تعز عام 1386هـ/ 1966م.

وفي عام 1388هـ/ 1968م عيّن عضواً في المجلس الوطني، واختير في لجنة صياغة الدستور.

أقام في القاهرة علاقة قوية بالعلماء والمصلحين أمثال المشايخ محمد الغزالي، ومحمد أبو زهرة، وسيد سابق، وأحمد حسن الشرباصي، وعبداللطيف دراز، والشهيد محمد محمود الزبيري.. وغيرهم.



تعاون مع الزنداني في وضع مناهج إسلامية لمدارس اليمن فتكالبت عليه القوى العلمانية واعتقل ثم مات بحادث مجهول

كان المخلافي شعلة من نشاط، حتى إنه لم يكن يجد الوقت لإتمام مهامه سواء الدعوية أو الوطنية.

تأثر المخلافي بالشيخ حسن البنا؛ مما دفعه للالتحاق بصفوف جماعة الإخوان المسلمين في الوقت الذي كان فيه أفراد الجماعة كلهم في السجون والمعتقلات، وقد كان للشهيد محمد الزبيري أثر بالغ في استقطاب المخلافي إلى جماعة الإخوان، ونقل المخلافي الدعوة إلى اليمن ونشرها.

وفي عام 1965م التقى بسيد قطب في القاهرة مراراً؛ مما أعطاه دفعة للانتشار وسط الطلبة اليمنيين وغيرهم لتعريفهم بطريق الدعوة الحقيقية؛ مما عرضه للاعتقال لمدة شهر بسجن القلعة بمصر ثم طُرد منها.

بعد عودته تعاون مع الشيخ عبدالمجيد الزنداني وغيره في وضع مناهج إسلامية لمدارس اليمن؛ فتكالبت عليهم القوى العلمانية، واعتقل عام 1966م في صنعاء، وظل في زنزانة انفرادية لمدة 3 شهور، حتى جاء يوم الأحد في مايو 1389هـ/ 1969م كان المخلافي عائداً من صنعاء إلى تعز مع بعض أهله وأصدقائه، فتعرضت سيارته لحادث لا يزال مجهولاً إلى اليوم في مكان متوسط بين مدينتي ذمار ومعبر، فتوفي على إثره، وخرجت الجموع الكبيرة لتشييعه[3].■

الهوامش

(1) عبدالودود شلبي: إخوان ويكي، https://bit.ly/2JHFYrn.

(2) عبدالله العقيل: من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة، دار البشير، طنطا مصر، الطبعة الثامنة، 2008م، ص 823-834.

(3) عبده محمد المخلافي: موقع ويكيبيديا الإخوان المسلمين، https://bit.ly/3aPVYTY.

«المدرسة الخسروية الشرعية»، ثم رحل بعد ذلك إلى مصر عام 1356هـ/ 1938م ملتحقاً بالأزهر، ليتم دراسته العالية فيه.

في القاهرة تعرف على الشيخ حسن البنا وصحبه وتتلمذ في العمل الحركي الدعوي، واشتهر بين الإخوان المصريين بـ«الشيخ الحموي»، حيث يقول: «والذي أثّر في نفسي تأثيراً من نوع خاص، وله يد في تكويني الشخصي، سيدي وأخي في الله وأستاذي الإمام الشهيد حسن البنا رحمه الله، وإن المسلمين لم يروا مثل حسن البنا منذ مئات السنين، في مجموع الصفات التي تحلّى بها».

حينما عاد حمل على عاتقه تكوين فرع للإخوان في حماة عام 1939م، كما تشكلت فروع أخرى على يدي د. مصطفى السباعي، وحينما عقدت الجمعيات المختلفة للإخوان مؤتمرها الخامس بحلب، في ذي الحجة 1364هـ/ نوفمبر 1945م، اختاروا د. السباعي مراقباً عاماً لإخوان سورية.

دعا للجهاد ضد المحتل الفرنسي ويعود له الفضل في إعادة السلام إلى حماة والمدن السورية

حمل على عاتقه الدعوة للجهاد ضد المحتل الفرنسي، كما يعود له الفضل في إعادة السلام إلى حماة والمدن السورية عام 1384هـ/ 1964م، عندما اعتصم الشهيد مروان حديد في جامع السلطان، ولولا ذلك لحصلت مذبحة كبيرة للمدينة، كما تصدى لموجات الإلحاد التي فشت في الجيل الصاعد، وظل طيلة حياته مدافعاً عن الحق والقرآن الكريم والسُّنة المطهرة.

من مؤلفاته: «نظرات في كتاب اشتراكية الإسلام»، «ردود على أباطيل»، «رحمة الإسلام للنساء»، «لزوم اتباع مذاهب الأئمة حسماً للفوضى الدينية».. وغيرها.

قال عنه الشيخ سعيد حوى: «كان دائم التلاوة لكتاب الله، مداوماً على الذكر اليومي، وكان غزير العبرة كثير البكاء، لم أرَ بين علماء المسلمين ممّن رأيت وقابلت من ينطبق عليه قوله تعالى: ﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَن خَرُّوا سُجَّداً وَبُكِيّاً﴾ (مريم: 58) إلا شيخنا الحامد، وشيخنا عبدالفتاح أبوغدة».

وقد انتقل إلى رحمة الله يوم الإثنين 18 صفر 1389هـ/ 5 مايو 1969م بمدينة حماة بعد مرض عضال، وخرجت المدينة على بكرة أبيها تودع عالمها الجليل[2].■



الحرب في عصر المخاطر

عرض- د. محمود المنير:

هذا الكتاب:

لقد تغير تفكيرنا في الحروب، من حيث كيفية إدراكها وطريقة خوضها، بشكل كبير عبر الزمن، وعلى حين كان يُنظر إلى الحرب في الماضي على أنها تصارع إرادات، يبين هذا الكتاب كيف تطورت الحرب لتصبح إدارة للمخاطر.

يبرز «كريستوفر كوكر» الفوارق المتنامية بين الأمن الداخلي والأمن القومي في العصر الحديث، موضحاً أن الدفاع عن المواطن الآن بات تحدياً أكبر من الدفاع عن الدولة، ويقدم، من خلال كشف السمات والتعقيدات المتغيرة للصراع -من الحرب العالمية الأولى إلى مكافحة الإرهاب حالياً- عرضاً قوياً ومميزاً لتطور مفهوم الحرب في عصر محفوف بالمخاطر، ويرى أن بيت القصيد أن ثمة تحولاً في كل عصر (طريقة جديدة لرؤية وفهم تماسك العالم)؛ فعصرنا هو عصر المخاطر، وانعدام الأمن هو سمته المميزة، وإذا صح قول «سانت بيف» بأن لكل عصر علته الخاصة به، فربما يكون القلق هو علة عصرنا هذا، وإذا كان الهدوء عرضاً عادياً بما يكفي للوجود الإنساني، فإنه يمكن أن يتحول إلى عُصاب عميق يغذي القلق ذاته.

كان بإمكان أمريكا أن تردع صدام حسين عن غزو الكويت لكن الردع كان باهظاً

القضايا السياسية الجوهرية في كل مجتمعاتنا هي تبرير للمخاطر التي يُطلب منا إدارتها

بيانات الكتاب:

عنوان الكتاب: الحرب في عصر المخاطر.

المؤلف: كريستوفر كوكر.

عدد صفحات الكتاب: 293 صفحة.

الطبعة الأولى: 2012م.

سلسلة دراسات مترجمة رقم 47.

ترجمة: كرم أحمد عبد اللاه.

الناشر: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، الإمارات.

محتويات الكتاب:

يضم هذا الكتاب مقدمة وستة فصول، جاءت على النحو التالي:

الأول: مجتمع المخاطر في الحرب.

الثاني: التعقيد والحرب.

الثالث: الحرب في عصر المخاطر.

الرابع: إدارة العواقب.

الخامس: الأبعاد الجيوسياسية لإدارة المخاطر.

السادس: عسر المخاطر.. أسباب للاستياء.

مجتمع المخاطر في الحرب

يشرح «كوكر» في الفصل الأول دراسات حالة لمجتمع المخاطر في الحرب، ومنها حرب الخليج ومساوئها، حيث يعتبرها أول صراع لعصر المخاطر؛ ذلك أن غزو الكويت الذي تسبب في نشوبها كان متوقعاً؛ حتى إن العسكرية الأمريكية كانت قد تدربت عليه في العام الذي سبق، وهناك يطرح «كوكر» فكرة محورية يدور حولها الكتاب؛ وهي أن عصر المخاطر يعطي أولوية للتنبؤ بالأحداث وإعداد السيناريوهات رغم أنه لم يتقن إلا في السنوات الأخيرة للحرب الباردة، ويرى المؤلف أن المشكلة تكمن بالإخفاق في اتخاذ إجراءات وتدابير بناء على السيناريوهات والتوقعات؛ فأمريكا قد تنبأت -بحسب المؤلف- بغزو الكويت، وكذلك بهجمات الحادي عشر من سبتمبر، ويرى أن المنطق القاسي للمخاطر هو أن دفع تكلفة التعامل مع ما يعقب الكارثة (إذا تم تحديدها) أرخص من الاستعداد للحدث ذاته في مسارح مختلفة، وهناك فرق كبير بين توقع حدث ما والاستعداد له.

ويرى «كوكر» أنه كان بإمكان

الولايات المتحدة أن تردع صدام حسين عن غزو الكويت، لكن الردع كان باهظاً، وما حدث هو أن الولايات المتحدة أُخذت بهجوم صدام على الكويت، وأن تكلفة حرب الخليج (1990 – 1991م) التي أعقبت ذلك لم تكن رخيصة، رغم أنها الحرب الأولى التي أصدرت فيها الولايات المتحدة فاتورة، فقد ساهمت المملكة العربية السعودية واليابان وألمانيا في تكلفة الحملة، وعندما وقعت الحرب أدهشت العالم؛ فعلى حين استغرقت الحرب الجوية ستة أسابيع لم تستغرق الحرب البرية إلا 100 ساعة فقط؛ وبلغ عدد الطلعات الجوية نحو 1300 طلعة، وأسقط نحو 2000 قنبلة، ومن بين هذه القنابل سقط أكثر من الثلثين في نطاق عشرة أقدام من نقطة الهدف، وكان استخدام القوة الجوية هو الخيار المحبذ لدى الغرب في المرحلة التي أعقبت تحرير الكويت.

ولتلطيف مخاوف الرأي العام، كان على إدارة «بوش» أن تطمئن الرأي العام إلى أن الحرب ستكون إلى حد بعيد خالية من المخاطر، ويرى المؤلف أن سيناريو الحرب كتب قبل أن تقع، وكانت «مبرمجة من قبل»، وكانت «الثورة في الشؤون العسكرية» جزءاً من النص، وكذلك تعبيرات من قبيل «الحماية الشاملة الأبعاد»، و«الهيمنة الكاملة»، و«الاشتباك الدقيق».. كانت هذه التعبيرات الأيدولوجية للحديث عن الحرب في التسعينيات لإيهام الرأي العام بقلة المخاطر الناتجة عن هذه الحرب، ومع ذلك كله؛ لم تكن «عاصفة الصحراء» حرباً بلا خسائر، فليس من حرب هي كذلك، وإن كانت المحصلة النهائية للخسائر لا تزال قيد النقاش.

وبناء على ما سبق، يقول «كوكر»: إن «عاصفة الصحراء» هي أول صراع في العصر الجديد، وقد استمرت تبعاتها مدة طويلة، ولهؤلاء الذين عاصروها وشاهدوها على القنوات الإخبارية كل ليلة، يمكن الحديث عن الأحداث ليس «قبل حرب الخليج»، ولكن ببساطة وبصراحة أكبر «قبل الحرب»؛ ذلك أنه باتت لعصر المخاطر الآن حرب خاصة به.

عصر المخاطر الذي نعيشه

يخلص «كوكر» من خلال عرضه لدراسات الحالة التي قدمها في كتابه أن عصر المخاطر الذي نعيشه اليوم يهتم بإدارة المخاطر في كل شيء، وأن القضايا السياسية الجوهرية في كل مجتمعاتنا هي تقليص أو تبرير للمخاطر التي يُطلب منا إدارتها، ولقد أضحت المخاطر هي اللغة الشائعة للحياة الحديثة، فأصبحت لغة الأعمال، والسياسة، والسياسات العامة، ومن ثم ينبغي ألا نندهش من أن تصبح لغة الحرب كذلك.

لعل ما يحاول الكاتب أن يؤكده في هذا الكتاب هو أننا نعيش في عصر المخاطر الذي بدأت تتشكل معالمه في الحقبة النووية، وأننا اعتقدنا في السابق أن التقانة هي شكل من أشكال «التبسيط الوظيفي»، أتاح للمشغل والمبرمج البشريين وهماً بالتحكم، وما إن أدركنا أن الحوادث «شيء عادي»، وأن شبحها سيظل دائماً، بل وفي أكثر الأجهزة تطوراً، حتى كان علينا أن نعيد التفكير في موقع التقانة في حياتنا بشكل عام، وبمجرد أن نرضى بأن النظم الدبلوماسية المترابطة بإحكام في الأغلب تخفق، يجب علينا تطوير نظم أكثر مرونة وقدرة على امتصاص الصدمات، وذلك للحيلولة دون نشوب الحرب بين القوى الرئيسة درءاً للمخاطر.

العلم بالمخاطر يخلق مزيداً من المخاطر التي تتعين معالجتها وإدارتها

لم يبق في وسعنا تجنب المخاطر أو وقف التقدم التقني

نعيش في عصر المخاطر الذي بدأت تتشكل معالمه في الحقبة النووية

ويؤكد «كوكر» أنه يجب علينا أن ندرك أن الوفرة –مثل السرعة– لا تتحدى بذاتها مبادئ الحرب أكثر من تحديها الفعلي لقوانين الاقتصاد، فالموارد الوفيرة لا تتحدى الأسس الاقتصادية التقليدية؛ لأنها ببساطة تخدم خفض الأسعار وزيادة الإنتاجية، وكذلك فإن الشيء ذاته أيضاً في الحرب، فلم تمنح الوفرة النصر للحلفاء في الحرب العالمية، وقد خسرت قوى المحور والقوى المركزية؛ لأنها توقعت أن سلسلة من الانتصارات التكتيكية المثيرة للاهتمام ستكون كافية للفوز بمبادرة إستراتيجية، لقد خسروا لأنهم تجاهلوا تعقيد الحرب، بما في ذلك محصلتها الصفرية.

العقيدة الاستباقية

ويطرح «كوكر» رؤية واضحة لشكل الحرب في السنوات القادمة، حيث إن منطق مفهوم استيطان المخاطر غيّر بشكل أساسي المفاهيم التقليدية للأمن منذ هجمات الحادي عشر من سبتمبر، وقاد إلى

نبذة عن المؤلف



البروفيسور «كرستوفر كوكر»، مفكر وأكاديمي إنجليزي، يعمل أستاذاً للعلاقات الدولية في كبرى الجامعات العالمية، وتتميز مؤلفاته بأنها تجمع بين النهج العلمي الأكاديمي، فيما تصدر كذلك عن استخدام الرؤى الإبداعية التي تؤدي إلى توسيع آفاق التصوّر بالنسبة لمراحل المستقبل، ومنها كتابه عن الصراع في أفغانستان، وكتابه من خلف «ناتو» وأفريقيا، فضلاً عن كتابه بعنوان «إمبراطوريات تتصارع: الانشقاق المتسع بين أوروبا والولايات المتحدة»، وكتابه «حروب المستقبل».■



الفيروسات تصيب الناس بالهلع لأنها مجهزة بشكل مثالي للغاية لتنفيذ هدفها بافتراس صور الحياة الأخرى

إدارة المخاطر تتطلب نزع أسلحة الدمار الشامل أو الحد منها ولو باستخدام القوة

مفهوم الحرب «الطويلة»، أو «الحرب التي لا تنتهي»، وهي سياسة غير إستراتيجية تحركها تكتيكات إدارة المخاطر، سياسة تغرق الغرب في عملية لا نهاية لها من إدارة المخاطر، بحيث غدا مجتمعاً في حال دفاعية دائمة، فالمخاطر تدفع إلى تطور المؤسسات المصمّمة لمعالجة تلك المخاطر، والعلم بتلك المخاطر يخلق بدوره مزيداً من المخاطر التي تتعين معالجتها، وإدارتها، وتنظيمها، والسيطرة عليها، وفي حال الحرب؛ فإن هذا قد أعلى من شأن العقيدة «الاستباقية» التي تعود بجذورها إلى المبدأ الاحترازي.

ويلخص «كوكر» المشكلة التي تواجهها مجتمعاتنا في هذا العصر؛ وهي أن فوائد اتباع مسار عمل معين ربما تفوق المخاطر، ولكننا لا نمتلك عملة مشتركة نقارن بها العواقب المختلفة؛ فكل مفاهيم المخاطر تبنى على أساس التمييز بين الواقع والمحتمل، ولن يكون المفهوم ذا معنى إذا كان المستقبل مقرراً مسبقاً، أو مستقلاً عن أفعالنا، والمخاوف بشأن المستقبل مرتبطة بالقلق بشأن النتائج التي تنتج عن أفعالنا؛ ذلك أن كثيراً من المخاطر التي نجابهها تصاحبها عواقب غير مقصودة لأفعالنا.

ويرى «كوكر» أن المخاطر أصبحت سمة بنيوية للتصنيع المتقدم، ولم يبق في وسعنا تجنب المخاطر مثلما لم يبق في وسعنا وقف التقدم التقني، والأخطار المعاصرة -ولا سيما تلك المصاحبة للتقنيات الجديدة- تختلف عن مخاطر الماضي، ذلك أنه لا يمكن رسم حدودها، سواء من حيث التوقيت أو المكان (ما يحدث على بُعد آلاف الأميال في الأمازون يمكن أن يؤثر فينا جميعاً)، كما لا يمكن التنبؤ بها دائماً من خلال تطبيق القواعد ضد الكوارث التي ربما تحدث، رغم أن إدارة العواقب هي المنطق السائد لإدارة المخاطر، فنحن نعرف أن المخاطر التي نواجهها لا تنشأ دائماً جراء قرارات سيئة، أو تفكير إستراتيجي غير كاف، أو حتى افتقار إلى الخيال، ففي الأغلب تنشأ من حقيقة أن كل شيء تفعله عادة ما تكون له آثار جانبية.

وأصبحت المخاطر الاجتماعية غير محدودة من حيث إنها آخذة في الاستعصاء على نحو متزايد، ومن يمكن تحميله مسؤولية انتشار الأمراض، فالفيروسات بطبيعتها قاتل صامت وغير مرئي، يتكاثر ويعيش خلسة في خلايا الكائن الحامل له، وفي الأغلب نحن لا نعرف أننا مصابون حتى وقت متأخر للغاية، وتصيب الفيروسات الناس بالهلع؛ لأنها مجهزة بشكل مثالي للغاية لتنفيذ هدفها بافتراس صور الحياة الأخرى.

والقلق هو الاسم الذي نمنحه لافتقارنا إلى اليقين، لجهلنا بماهية التهديد، وعجزنا عن تحديد ما يمكننا وما لا يمكننا فعله لمجابهته، ويبدو حقاً أن المقاييس التي نعتمدها تعد مما يعمق شعورنا بنذر الشر.

ويرى «كوكر» أننا ما زلنا نخاف الأحداث السياسية، رغم أننا اليوم أكثر قلقاً في الأعم الأغلب بشأن نيات الفاعلين من غير الدول منا بشأن الدول، ولقد تنبأ بهذا «ولز»، كاتب الخيال العلمي، في قصة بعنوان «بكتيريا الباسيلس المسروقة»، التي كتبت عام 1895م، وتصف شخصاً فوضوياً يحقن نفساً بالطاعون حتى يستطيع أن ينقل العدوى لمن حوله بشكل سري، وفي هذه الرواية يضع «ولز» يده على المشكلة؛ فالفيروس ليس هو الخطر، بل السلوك البشري هو الخطر.

إدارة المخاطر

ويؤكد «كوكر» أن إدارة المخاطر تتطلب التعامل مع نزع (أو الحد من) أسلحة الدمار الشامل، ولو باستخدام القوة تقويماً لتكلفة التدخل بشكل استباقي مقابل عدم التدخل في الوقت المناسب، كما تستلزم تقويماً لتكلفة استفزاز النظام في كل حالة للقيام بأعمال انتقامية على جبهات أخرى (الإرهاب)، وهي التي قد تؤدي إلى إضعاف الثقة بقرار الحكومة في الداخل، ومن ثم؛ فإن كلاً من التقصير في اتخاذ الإجراءات الكافية، أو الإفراط في اتخاذ الإجراءات، سواء بسواء، يؤدي إلى نتائج قاتلة.

في الختام، هذا الكتاب الذي يمزج على نحو شائق وفريد بين العلوم السياسية والاجتماعية والفلسفية، يثير حواراً وجدلاً بين دارسي السياسة الدولية، فضلاً على أنه يستحوذ على اهتمام أي شخص يرغب في فهم الحرب ومكانتها في المجتمع المعاصر، ولا سيما أن مؤلّفه (كريستوفر كوكر) يوصف بأنه أحد أبرز المحللين الإستراتيجيين، ومن أهم فلاسفة الحرب المعاصرين.

خلاصات الأفكار:

يمكن أن نخلص لجملة من الأفكار المحورية التي أراد «كوكر» أن يؤصل لها في كتابه، منها:

- الشعور بعدم الأمان ليس محض حقيقة واقعية للبيئة التي نعيش فيها، بل أصبح حالة وجودية، والأثرياء من الأفراد الذين يمكنهم دفع تكلفة توفير الأمن سوف ينقذون أنفسهم من البيئات الخطرة.

- في عالم ما وراء الدولة القومية هناك شبكة عالمية من القوة السياسية والعنف تعطي المواطن الذي يشعر بالغربة إمكانية كاملة للوصول إلى التقنيات القاتلة التي يمكن أن توجه ضد الدولة، أو ضد رفاقه المواطنين في الداخل.

- لقد أصبحت الرعاية الصحية الطبية مهمة، حتى إنها غيّرت وجه الحرب خلال السنوات العشرين التالية للحرب العالمية.

- عصرنا هو عصر ما بعد الحداثة لا يخشى المرض، لكنه مخيف ومثير للقلق، وما يجعلنا قلقين هو معرفة أنه لا يمكن القضاء على المرض أبداً، ولقد أصبحنا أكثر قلقاً بسبب ظهور الفيروسات الخفية.■



د. يوسف السند
إمام وخطيب بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت

الفوائد التربوية والإيمانية من طبقات الشافعية

إمام الحرمين عبدالملك الجُوَيْني

عبدالملك بن عبدالله بن يوسف بن محمد بن عبدالله بن حيُّويه الجُوَيْني النّيسابوري، إمام الحرمين، أبو المعالي.

هو الإمام شيخ الإسلام البحر الحَبْر، المدقق المحقق، النّظّار الأصولي المتكلم، البليغ الفصيح الأديب، العلَم الفَرْد، زينة المحقّقين.

وإذا وعَظ ألبس الأنفسَ من الخشية ثوباً جديداً، ونادته القلوب: إننا بَشَرٌ فأسجح، فلسنا بالجبال ولا الحديدا.

رُبِّيَ في حجر العلم رشيداً، حتى رَبا، وارتضع ثَـدْيَ الفضل فكان فطامُه هذا النَّبا، وأحكم العربية، وما يتعلق بها من علوم الأدب، وأوتي مَن الفصاحة والبلاغة ما عجَّز الفُصحاء، وحيَّر البلغاء، وسكَّت مَن نطق ودأب.

وُلد في ثامن عشر المحرم سنة تسع عشرة وأربعمائة، واعتنى به والده من صغره، لا بل قبل مولده.

وذلك أن أباه اكتسب من عمل يده مالاً خالصاً من الشُّبهة، اتصل به إلى والدته، فلما ولدته له حرص على ألا يُطعمه ما فيه شبهة، فلم يمازج باطنَه إلا الحلالُ الخالص، حتى إنه تلجلج مرة في مجلس مناظرة، فقيل له: يا إمام، ما هذا الذي لم يُعْهد منك؟

فقال: ما أراها إلا آثار بقايا المصّة.

قيل: وما نبأ هذه المصة؟

قال: إن أمي اشتغلت في طعام تطبُخه لأبي، وأنا رضيع، فبكيت وكانت عندنا جارية مرضعة لجيراننا فأرضعتني مصة أو مصتين، ودخل والدي، فأنكر ذلك، وقال: هذه الجارية ليست ملكاً لنا، وليس لها أن تتصرف في لبنها، وأصحابُها لم يأذنوا في ذلك، وقَلبني وفوّعني حتى لم يَدَعْ في باطني شيئاً إلا أخرجه، وهذه اللَّجلجة من بقايا تلك الآثار.

فانظر إلى هذا الأمر العجيب، وإلى هذا الرجل الغريب، الذي يحاسب نفسه على يسير جرى في زمن الصبا الذي لا تكليف فيه، وهذا يدنو مما حكي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

ثم أخذ الإمام في الفقه على ولده، وكان والده يُعْجَب به ويُسَر؛ لما يرى فيه من مخايل النجابة، وأمارات الفلاح.

وجَدّ واجتهد في المذهب والخلاف، وغيرها، وشاع اسمه، واشتهر في صباه، وضُربت باسمه الأمثال، حتى صار إلى ما صار إليه، وأوقف علماء المشرق والمغرب معترفين بالعجز بين يديه، وسلك طريقَ البحث والنظر والتحقيق.

ولا يشك ذو خبرة أنه كان أعلمَ أهل الأرض بالكلام والأصول والفقه.

ثم توفِّيَ والده وسنه نحو العشرين، وهو مع ذلك من الأئمة المحقِّقين، فأقعده مكانه في التدريس، فكان يـدرِّس ثم يذهب بعد ذلك إلى مدرسة البَيْهقي، حتى حصَّل الأصول عند أستاذه أبي القاسم الإسكاف الإسْفَرايني، وكان يواظب على مجلسه.

وكان يصل الليل والنهار في التحصيل، ويبكّر كل يوم، ويقتبس من كل نوع من العلوم ما يمكنه، مع مواظبته على التدريس، وناداه على بُعد الديار البيتُ الحرامُ فلبَّى وأحرم، وتوجه حاجّاً، وجاور بمكة أربع سنين، يدرس ويُفتي، ويجتهد في العبادة ونشر العلم.

فبُنيت له المدرسة النظامية بنيسابور، وأُقعد للتدريس فيها، واستقامت أمور الطلبة، وبقي على ذلك قريباً من ثلاثين سنة، غيرَ مُزاحَم ولا مُدافع، مسلَّم له المحراب والمنبر والخطابة والتدريس، ومجلس التذكير يوم الجمعة، والمناظرة.

ومن تصانيفه «النهاية» في الفقه، و«الشامل»، و«الإرشاد» في أصول الدين، و«البرهان» في أصول الفقه، و«الورقات»، و«غياث الأمم»، و«مُغيث الخَلْق» في ترجيح مذهب الشافعية، و«الرسالة النظامية»، و«مدارك العقول»، وله ديوان خُطَب مشهور.

قال الشيخ أبو إسحاق الشيرازي: تمتعوا بهذا الإمام، فإنه نزهة هذا الزمان، يعني إمام الحرمين.

وقال له مرة: يا مفيدَ أهل المشرق والمغرب، لقد استفاد من علمك الأولون والآخرون.

وقال الحافظ أبو محمد الجُرجانيّ: هو إمام عصره، ونسيج وحده، ونادرة دهره، عديم المثل في حفظه وبيانه ولسانه.

تُوفِّيَ ليلة الأربعاء بعد صلاة العَتَمة الخامس والعشرين من شهر ربيع الآخر، من سنة ثمان وسبعين وأربعمائة»[1].

الفوائد التربوية والإيمانية:

- الحرص على طلب العلم منذ الصغر يورث الإمامة في الكبر.
- حرْص العلماء الربانيين على الحلال والبعد عن الشبهات أثمر ذرية طيبة.
- العالم الرباني حريص على تعليم الناس أمر دينهم وتربيتهم على الخير.
- حرْص العلماء على التدريس في المساجد والمدارس.
- الجمع بين التعليم والتعلم من صفات العلماء المتميزين الذين لا يبالون بثناء الناس ومدحهم، ولا يغترون بالشهرة، بل هم أعلم بأنفسهم وحاجتهم إلى التعلم وسد النقص في جوانب الخلل لديهم.
- رحم الله علماءنا؛ فكان يعرف بعضهم قدر بعض، فلا يترددون في ذكر مآثر بعضهم عدالة وإنصافاً وشهادة.
- الزاد الإيماني من عبادة وحج وقراءة القرآن هو الزاد الذي كان يحرص عليه العلماء.

والحمد لله رب العالمين.■

الهامش

(1) عبدالوهاب بن علي السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج5، تحقيق: عبدالفتاح محمد الحلو، محمود محمد الطناحي.



نجلاء محفوظ
كاتبة ونائبة رئيس تحرير «الأهرام»

«كورونا».. ومخاوف الأطفال وأسئلتهم الصعبة

يتعرض أطفالنا لتجربة صعبة بسبب البقاء الإجباري بالبيت للوقاية من فيروس «كورونا»، ونود أن يعتدل الأهل عند الحديث مع الأطفال عن «كورونا»؛ فلا يفترضون أنهم يعانون من الرعب منه وأن خوفهم شديد؛ فأغلب الأطفال يتضايقون فقط لأنهم لا يغادرون المنازل، ولا يلتقون بأصدقائهم، ولا يتنزهون، ولا يؤدون أنشطتهم العادية، وبعضهم لا يعرف الكثير عن «كورونا»، أو لديهم معلومات خاطئة.



يجب سؤال الأطفال عن مصدر المعلومات الخاطئة، وتعليمهم أن يتمهلوا قبل تصديق أي معلومات والرجوع للأهل للتأكد منها، وألا يتحدثوا عن شيء أو ينشروه على صفحاتهم بالتواصل الاجتماعي قبل التيقن من صحته.

ولنسارع بإخبارهم بمعلومات قليلة شرط أن تكون واضحة، مثل أنه فيروس منتشر بشدة بالعالم، ويمكن تجنبه بالاستعانة بالله أولاً، ثم بالبقاء بالبيوت، وبالنظافة المستمرة والتعقيم، والغذاء الصحي، مع ضرورة أن يتكلم الأهل بهدوء، وألا ينقلوا مخاوفهم لأطفالهم، ويمكن إطلاعهم على الصور التي توضح الوقاية من «كورونا».

لا تتسبب بإخافتهم

يجب ألا يعتبر الأهل أن صمت الأطفال وعدم حديثهم عن «كورونا» أمر جيد؛ فقد يكون بسبب القلق الزائد، ونود ألا يقال لهم: لا تخافوا؛ لأن الفيروس يصيب الكبار أكثر؛ فغالباً سيخافون على الأهل والأجداد، والأفضل التركيز على الوقاية.

نوصي بالاستماع لكل مخاوف الأطفال، وتجنب أي سخرية منها، وأن نستمع لكل طفل على حدة؛ لمنحه الفرصة التامة للكلام دون خوف من مضايقات إخوته، مع أهمية الانتباه لملامح الوجوه والسيطرة على الانفعالات عند

يجب ألا يعتبر الأهل أن صمت الأطفال وعدم حديثهم عن «كورونا» أمر جيد فقد يكون بسبب القلق الزائد

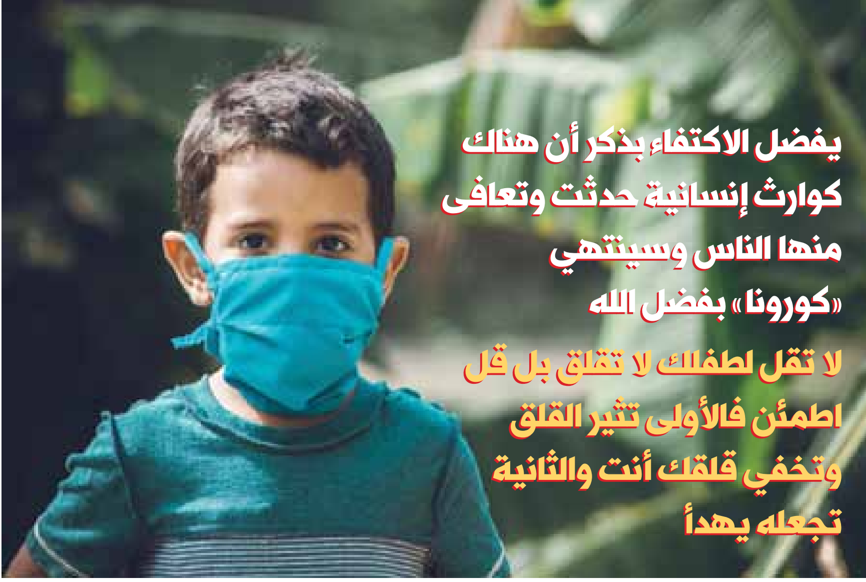
الحديث معهم، حتى لا نصدِّر لهم الخوف دون أن ندري، وأيضاً لا نبالغ بتبسيط ما يحدث وكأنه أمر طبيعي؛ حتى لا نبدو وكأننا نخدعهم أو ندفعهم للاستهانة بالوقاية.

لا نرحب بذكر تفاصيل مآس سابقة مرت على البشرية، خاصة مع الأطفال الأصغر سناً؛ حتى لا يزيد خوفهم ولن يقلله، ويفضل الاكتفاء بذكر أن هناك كوارث إنسانية حدثت وتعافى منها الناس وسينتهي «كورونا» أيضاً بفضل الله سبحانه.

ومهم ألا نحدد لهم موعداً لانتهاء الفيروس؛ فهذا غير واقعي، وحتى لا يفقدوا الثقة بالأهل، ولنكتفِ بالقول: إننا ندعو الله عز وجل أن يكون ذلك قريباً، مع شغل أوقاتهم بما يفيدهم ويسعدهم، والتقليل من تعرضهم لوسائل التواصل الاجتماعي وألعاب الإنترنت؛ لأنها تزيد التوتر؛ والمبالغة بالسماح بها أثناء «كورونا» ستجعلهم يدمنونها ويصعب عليهم التقليل منها بعد انتهاء الأزمة.

ونفضل شغلهم بهوايات؛ كالرسم والتلوين والقراءة، وصنع ألعاب بأيديهم من أشياء موجودة بالبيوت، وعلى الإنترنت فيديوهات كثيرة تشرح ذلك، وتشجيعهم على كتابة مشاعرهم ورسم ما يريدون للتعبير عما بأنفسهم وتأليف قصص وتمثيلها، وبالتواصل بالصوت والصورة مع الأجداد والأقارب وأصحابهم؛ كبديل عن اللقاءات معهم مما يسعدهم ويقلل التوتر.

نحذر أن بعض الأطفال قد ينتبهون لرغبة الأهل الزائدة بحمايتهم؛ فيتعمدون



المبالغة بإظهار مخاوفهم طمعاً في زيادة اهتمام الأهل؛ فلا تجعلهم يبتزونك بدعوى الخوف، وأحضر كوباً فارغاً وضع به ماء نقياً ثم ضع به أي نفايات، وأخبرهم أن العقل كالإناء يمكن أن يكون جيداً ونقياً عندما نجيد التفكير، أو سيئاً وبه نفايات عندما نستسلم للخوف، وأن المطلوب الحذر وزيادة الاهتمام بالنظافة الشخصية.

مع ضرورة التعامل مع الأطفال كالعادة، فلا نتساهل مع أخطائهم بدعوى أنهم يعانون من البقاء الإجباري بالمنازل؛ فهذا ليس مبرراً لإيذائهم بالتغاضي عن أخطائهم، فمن واجب الأهل عدم التهاون بتربية الأطفال بكل الأوقات، وستنتهي أزمة «كورونا» بمشيئة الله تعالى، ومهم ألا يكتسب الأطفال طباعاً سيئة خلالها؛ فسيصعب التخلص منها بعد ذلك، وسيشعرون بأن الأهل يظلمونهم عندما يطالبونهم بالتخلي عنها وقد وافقوا عليها أثناء الوباء.

مع أهمية إبعاد الأطفال عن الأهل وقت مشاهدتهم أخبار «كورونا»، وإخبارهم بالأمور الإيجابية -بلا مبالغة- كزيادة حالات التعافي وبدء انحسار المرض في بعض البلدان.

ونود تجنب المبالغة بتدليل الأطفال وكأن الأهل يعتذرون لهم، فهم غير مسؤولين، ولا بد من توضيح حاسم لهم أن الجميع يتضرر من عدم مغادرة البيت، ولكنه الحل الوحيد لحماية النفس، ومن الذكاء تقبّل ذلك، والكف عن التذمر الذي يضايق ولا يحل المشكلة، بل يصعّب التعامل معها.

أشعرْ طفلك أنه بأمان، وأن أزمة «كورونا» فترة مؤقتة وستنتهي بمشيئة الله، وأنتم جميعاً بأفضل أحوال، وعليه الدعاء بأن يحفظكم الله عز وجل، ثم اتباع التعليمات بجدية، واليقين بأنكم ستكونون بخير.

درِّبْ طفلك على التنفس بهدوء من الأنف فقط مع إغلاق الفم عند الشعور بالتوتر، وإن كان صغيراً جداً، يمكنك تدريبه على ذلك وهو يصفق بيديه أو يتخيل أنه تخلص من الخوف، وبالإمكان جعله يقفز بعدها ليشعر بالمرح، ويقرر التخلص من الخوف.

ومهم متابعة تصرفات الأطفال، خاصة إذا ظهرت أعراض غير معتادة؛ كالتبول اللاإرادي، أو فقدان الشهية، أو الصراخ والبكاء بلا سبب، فهذا لا يعني أن الطفل يعاني من مشكلة، ولكنه يريد بعض التهدئة بلا مبالغة، ويحتاج للانشغال أكثر بما يحبه، مع ضرورة إفساح المجال له ليمارس اللعب وأي رياضة بدنية ليتخلص من إحساسه بعدم إفراغ طاقاته بصورة طبيعية باللعب والحركة كما كان يفعل بالمدرسة وبالمتنزهات.

احرص على أن ينال أطفالك قسطاً كافياً من الراحة خلال اليوم، وأن يناموا جيداً، وألا يطيلوا السهر؛ لأنه يضرهم عصبياً وجسدياً، مع الاهتمام بتغذيتهم، وأن يتناولوا الطعام بنفس المواعيد، وتخصيص أوقات للقراءة مقررة وأنشطة أخرى، ولا تقل لطفلك: لا تقلق، بل قل: اطمئن؛ فالأولى تثير القلق وتخفي قلقك أنت، والثانية تجعله يهدأ ويطمئن.

لماذا نمرض؟

وللإجابة عن سؤال: لماذا يمرض الإنسان؛ قل: كثيراً يكون السبب إهماله بالحفاظ على صحته، وعدم اهتمامه بالغذاء الصحي، واستسلامه للغضب الذي يضر بالصحة، وعدم حرصه على نظافته الشخصية، وقلة حركته، وبدانته أو نحافته الزائدة؛ وما عدا ذلك يكون اختباراً من الله عز وجل، مع التنبيه أن الاختبار لا يكون فقط بما يؤلمنا كالمرض أو الفقر، ويكون كثيراً بالصحة والثراء وامتلاك ما نحب؛ ليرى الخالق سبحانه وتعالى كيف نستخدم كل ذلك؛ هل سنشكره ونحسن الاستفادة من أعمارنا وصحتنا وأموالنا وننجح بدراستنا وأعمالنا ونعاون الضعفاء والفقراء أم لا، ونؤكد أنه ليس كل مريض بـ«كورونا» أو بغيره سيموت، فالغالبية ينعمون بالشفاء وبحياة أفضل بعد المرض؛ إذ يشعرون بأهمية الصحة ويحافظون جيداً عليها ويحسنون من تصرفاتهم.

وعلى المسلم أن يحافظ على نفسه دائماً، ويبتعد عن كل ما يتسبب بإصابته بالأمراض ويقوي جسده بالطعام الصحي وبالرياضة، وبتجنب السهر والابتعاد عن القلق والغضب، ويشغل أوقاته بما يفيده؛ ليحمي صحته النفسية التي تؤثر بالطبع على صحته الجسدية.

من الطبيعي أن يتكلم بعض الأطفال عن الخوف من الموت، وعلى الأهل عدم مقاطعتهم، وتجنب إبداء الانزعاج، والاستماع بصبر، وإرخاء قسمات الوجه لتهدئة النفس أولاً، ثم ليحس الطفل بالارتياح والثقة بالأهل لهدوئهم أثناء إبداء مخاوفه.

ثم نجيبهم بأقل قدر من الكلمات، مثل الحياة الدنيا رحلة، وليست مقراً للبقاء والاستمرار كالآخرة، وأننا أذكياء، وسننشغل بالحياة وبفعل ما يسعدنا ويفيدنا ولن نفكر بالموت؛ ليس لأنه مخيف أو سيئ، ولكن لأننا كمن يقوم برحلة فلا بد أن يستفيد منها ويسعد نفسه بها ولا ينشغل فيما ينتظره بعد عودته لبيته إلا بما يفيده فقط ببيته، فسنفكر ونحن بالدنيا بالآخرة، ونحن نفعل الأمور الجيدة ابتغاء وجه الله عز وجل، ونحن مطمئنون لواسع فضله وعظيم إحسانه.

وعلينا الاستمتاع بنعم الله في الدنيا والفرح بها وشكر الخالق عز وجل عليها، وأن نسعى لنكون جميعاً أقوياء، فالمؤمن القوي خير وأحب، كما أخبرنا رسولنا الحبيب صلوات الله وسلامه عليه، وأن نهتم بالنجاح بكل شيء؛ بدءاً من حسن علاقتنا بالخالق عز وجل بطاعته وحسن أداء العبادات، ومروراً بالنجاح بالدراسة والعمل والعلاقات الطيبة مع الأهل وخاصة الوالدين، وانتهاء بالنجاح بتقسيم أوقاتنا والاستمتاع بالهوايات والنشاطات المختلفة.■



بقلم:
محمد سالم الراشد

أزمة النظام السياسي العربي في ظل «كورونا»

عادة ما تكون المحن والابتلاءات أو المتغيرات الكبرى في حياة البشرية وقفات تفكير وتقويم لتعديل مسارات خاطئة في نظام الحياة البشري، أو مجالاته السياسية والاقتصادية والاجتماعية، حيث تتشكّل الكثير من النظم والسياسات والأدوات على نتائج جدليات الأحداث الكبرى عندما تقوم النظم السياسية بمراجعة موقفها الواقعي وتطلعها المستقبلي، واليوم تأتي جائحة «كورونا» أمام العالم لتصيبه بعدم اليقين، وتختبر قدرته البشرية بإعادة النظر في مجمل قيم وأساسيات بناء النظام الدولي والاقتصادي والاجتماعي.. العالم الذي يبدو عاجزاً تماماً أمام هذه الجائحة، منتظراً جهود الباحثين الأطباء والمتخصصين، لاكتشاف علاج للبشرية ربما يطوّق اجتياح هذه الجائحة وانتشارها في كل دول العالم.

هذه مقدمة لازمة للانتقال إلى ما يمر به عالمنا العربي في ظل هذه الأزمة، فهو عالم من البشر في جغرافيا ممتدة من الخليج العربي شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً، لا يختلف عن باقي دول العالم في تأثير هذه الجائحة عليه صحياً وسياسياً واقتصادياً واجتماعياً.

إلا أن العالم العربي منذ عقود وهو يعيش أزمة النظام السياسي العربي، إذ إنه بالإضافة إلى الكارثة الصحية المتوقعة؛ لضعف بنيان النظام الصحي في هذه المنطقة، وضعف البنيان الاجتماعي؛ من نظام العدالة، وتوزيع الثروة، وانتشار الفقر، والأمية فيه، فإن النظام السياسي العربي ما زال يتمتع بخصائص تختلف عن النظام السياسي الدولي، حيث يعجز النظام العربي السياسي عن دراسة واقعه من جديد، فهو لا يفكر في إعادة حساباته ومراجعاته، ويفكر في طريق صحيح للنهضة واستثمار ما لديه من إمكانات اقتصادية، وقوى اجتماعية، وبنيان سكاني من الشباب الطامح للعمل والتغيير، وللأسف فإن أزمة هذا النظام ما زال عند كل فشل في إدارته للأزمات، يلقي بعجزه على شماعات من الأوهام والفزّاعات، ويعتقد أنه بذلك يلقي عن كاهله تحمل مسؤولية ما آلت إليه أوضاع المنطقة العربية، من ضعف في البنيان الصحي والاقتصادي والاجتماعي، ويحيل ذلك الفشل إلى فزّاعات الإرهاب والإخوان، والجماعات السياسية المعارضة، والتدخل الأجنبي، ويقوم بدلاً من الإصلاح إلى تغذية الانقلابيين ومجموعة من الجماعات الدينية والليبرالية والعلمانية المحسوبة على النظام السياسي، ودعم الحروب الأهلية، وتفتيت الجغرافيا والاقتصاد والمجتمعات العربية، وانشغال هذا النظام بحروب وهمية، ويستخدم إعلاماً أقرب إلى تطويع المجتمعات للاستكانة والخضوع لنظريات الواقع من السلام المزيف مع الكيان الصهيوني، أو تفتيت الوحدة الوطنية في مجتمع عربي تتدهور حالته ومناعته الفكرية أمام العولمة ومنتجاتها، حتى تحوّل النظام السياسي العربي اليوم إلى كتل متشاكسة لا يجمعها مشروع ولا نهضة ولا جامع واحد.

إن المستقبل لمنطقتنا العربية غامض غير وامض، وهو ما يدعو إلى أن تقوم كل القوى الحيّة في هذه المجتمعات بالتوقف والاستفادة من فرصة ابتلاء جائحة «كورونا»، لتعيد ترتيب حساباتها، وتعيد حيويتها للنظر في مشتركات نهضوية تضع لهذه المنطقة إطاراً سياسياً جديداً يدفع بها نحو نهضة اقتصادية واجتماعية وصحية وثقافية، وإلا فإن عقوداً طويلة من الكوارث ربما ستسود في هذه المنطقة خلال هذا القرن الذي نعيشه.■



نماء للزكاة والتنمية المجتمعية





الخير بين يديك

السلة الرمضانية

للأسر المتعففة والعمالة



15
د.ك



للتبرع

أجرك أجرين..

إفطار وإعانة

زكاتك في ديرتك

نكفيك عناء البحث عن مستحقيها



2.5%



للتبرع

سقيا المياه المتنقل

أفضل الصدقة سقي الماء



10
د.ك



للتبرع

رعاية الأسر المتعففة

أسر تتألم.. ولا تتكلم!!



10
د.ك



للتبرع

عمل خيري داخل دولة الكويت

18888 33

www.namaakw.net

Namaanet

AL-MUJTAMA'A

المجتمع

مجلة المسلمين في أنحاء العالم

العدد (2144) - السنة (51) شوال 1441هـ / 1 يونيو 2020م



اقتصاديون يحذِّرون من تداعيات «كورونا» على اقتصاد الكويت

الأمة.. بين المقاومة والتطبيع

شكراً كويت المروءة

 @mugtama  www.mugtama.com  facebook.com/mugtama  @mugtama

الكويت 750 فلساً ـ السعودية 10 ريالات ـ البحرين دينار بحريني ـ قطر 10 ريالات ـ سلطنة عمان ريال عماني ـ الأردن 1.750 دينار أردني ـ لبنان 4500 ليرة ـ المغرب 23 درهماً
USA $ 5 - Canada $ 6 - Australia AUD 6 - URB 3.5 - India INR 110 - Pakistan PRS 200 - Turkey TRY 7 - U.k £ 3

AL-MUJTAMA'A

المجتمع

مجلة المسلمين في أنحاء العالم

العدد (2144) - (السنة 51)

إسلامية أسبوعية تصدر شهرياً مؤقتاً

تأسست عام 1390هـ - 1970م

جمعية الإصلاح الاجتماعي ـ الكويت

رأس مجلس إدارتها

حتى 1427/8/10هـ - 2006/9/3م

عبد الله علي المطوع يرحمه الله

رئيس التحرير

محمد سالم الراشد

مدير التحرير

جمال الشرقاوي

الإخراج الفني

مصطفى عزالدين

المراسلات

العنوان البريدي: الكويت ص.ب (4850) الصفاة.

الرمز البريدي (13049)

التحرير

22519539 - 22514180

22513616 (داخلي 205).

mujtamaa@gmail.com

info@mugtama.com

الاشتراكات والتوزيع

تليفاكس: 22560525 (00965)

sales@mugtama.com

الموقع الإلكتروني

www.mugtama.com

موقع جمعية الإصلاح

www.eslah.com

طبعت بمطابع «الهدف» التجارية

المشترك الكريم..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

تحية طيبة وبعد..

تهدي إليكم مجلة «المجتمع» تحياتها، وتتمنى لكم دوام الصحة والعافية، وتدعو الله تعالى أن يرفع هذا الوباء والبلاء عن الكويت والأمة العربية والإسلامية والإنسانية جميعاً.

وإشارة إلى قرار مجلس الوزراء الكويتي بإيقاف طباعة وتوزيع الصحف والمجلات، وحرص إدارة مجلة «المجتمع» على ديمومة التواصل بين المجلة ومشتركيها وقرَّائها، نعلمكم أننا سنرسل لكم العدد بنسخة «PDF» على «واتساب» لحين إعادة الطباعة.

والله الموفق

مع تحيات رئيس التحرير



ادخل على موقع «المجتمع»



في هذا العدد

موضوع الغلاف

الأمة.. بين المقاومة والتطبيع



رأي المجتمع

مشكلة التركيبة السكانية.. رؤية شاملة

ما صرح به سمو رئيس مجلس الوزراء الشيخ صباح الخالد، يوم الأربعاء 3 يونيو 2020م، بأن تعداد السكان بدولة الكويت 4 ملايين و800 ألف؛ يمثل عدد الكويتيين منهم مليوناً و450 ألفاً، وغير الكويتيين 3 ملايين و350 ألفاً؛ أي نسبة 30% كويتيون، و70% غير كويتيين، وذلك خلل كبير، والوضع المثالي للتركيبة السكانية أن تشكل نسبة الكويتيين 70%، ونسبة غير الكويتيين 30%.

وأمامنا تحدٍّ بالمستقبل لمعالجة الخلل بالتركيبة السكانية، يشير إلى أن هذه المشكلة باتت تؤرّق دولة الكويت على وقع أزمة تفشي فيروس «كورونا» (كوفيد- 19)، حيث أظهرت الاختلالات فيها خطورتها؛ إذ تبين وجود الكثير من العمالة السائبة، خصوصاً أن بعض الدول وضعت العراقيل أمام الإجلاء الطوعي أو لمخالفي الإقامة من رعاياهم؛ مما سبَّب عجز الحكومات في القيام بالرعاية الكاملة للمواطنين؛ مما هدد بانهيار الأنظمة الصحية، وسرعة تفشي الوباء، فضلاً عن أنها كشفت عن حجم الفساد المتجذر بسبب جشع تجار الإقامات، والاستهانة بحياة العمالة الوافدة؛ وذلك بسبب سكنهم في مناطق عمّالية مكتظة، وفي ظروف سكن غير صحية، وعدم توفير أدنى مقومات الحياة الكريمة لهم؛ وهو ما ضاعف العبء على الحكومات في الوفاء بحقوقهم ورعايتهم.

ومن زاوية أخرى، وفي ظل الأزمة الحالية وتداعياتها الاقتصادية التي ترافقت مع هبوط وتراجع أسعار النفط غير المسبوقة في دول الخليج، أصبح من الضروري علاج مشكلة التركيبة السكانية وفق رؤية شاملة، تحقق التوازن في أعداد الوافدين بناء على معايير واضحة واحتياجات حقيقية وتخصصية، بعد توطين الوظائف للمواطنين أولاً، وصياغة القوانين والعقود والحقوق التي تكفل لمن يتم الاستعانة بهم، ومحاسبة تجار الإقامات الذين ملؤوا جيوبهم على حساب الطرفين؛ سواء الدولة أو العمالة الوافدة، وعدم تناول المشكلة كشمّاعة عند كل أزمة لمجرد دغدغة عواطف القواعد الانتخابية دون النظر للمصلحة الحقيقية للمواطنين، وأن تعالج مشكلة مثل البطالة بين الشباب في دولة طالما وُصفت بأنها دولة الرفاه والوفرة المالية.

وبالنظر إلى الاختلالات بالتركيبة السكانية، وما أفرزته من تحديات، لم يعد مقبولاً أن يستمر هذا الخلل على هذا النحو دون وضع علاج للمشكلة بنظرة موضوعية، ورؤية شاملة إنسانية وقانونية وأمنية واقتصادية ودائمة، تضمن الرفاه للمواطنين والإنصاف للوافدين.■

آية العدد

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ
لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ
شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ
أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ
خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَعَدَ اللّهُ الَّذِينَ
آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ
وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾﴾

(المائدة)

وكلاء التوزيع:

الكويت: شركة باب الكويت للصحافة:
ت : 22272733 ف: 22272736
distribution@alanba.com.kw



السعودية:الشركة السعودية للتوزيع:
www.saudidistribution.com
الإدارة العامة: الرياض0096612128000
فرع الرياض: 0096612705837

فرع جدة: 0096626530909
فرع الدمام: 0096638473569

قطر :
دار الثقافة ت: 4622182 / ف: 4621800
البحرين :
مؤسسة الأيام للصحافة والنشر والتوزيع
ت :725111 / ف : 723763
TURKIYE- DUNY SUPER DAGITIM
Tel: (90 -1) 5120190
Fax: (90- 1) 5140883

الاشتراكات:

الكويت: 10 دنانير كويتية
الدول العربية: 17 ديناراً كويتياً
الدول الأجنبية: 25 ديناراً كويتياً
للمؤسسات والشركات: 30 ديناراً كويتياً

تشمل عمولة التحويل

الإعلانات :
امتياز الإعلان : مجلة المجتمع
ت: 22560525 - 22560526 الكويت.



كتب- محرر الشؤون المحلية:

اقتصاديون يحذِّرون من تداعيات «كورونا» على اقتصاد الكويت

سمو الأمير: نواجه تحدياً كبيراً وغير مسبوق يتمثل في الحفاظ على متانة اقتصادنا الوطني

على غرار دول الخليج المنتجة للنفط، تأثر الاقتصاد الكويتي بصدمتين متزامنتين، تمثلتا في أزمة تفشي جائحة «كورونا»، وانخفاض أسعار النفط؛ وهو ما دفع حكوماتها إلى اعتماد حزم تحفيز مالي ضخمة للحد من التأثيرات السلبية لهذه الأزمة على القطاعات الاقتصادية.

وقد بدا هذا جلياً في كلمة سمو الأمير الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح، حفظه الله ورعاه -بمناسبة العشر الأواخر من رمضان الماضي- حيث غلب عليها التحذير من تداعيات الجائحة على الاقتصاد، والدعوة إلى شدّ الأحزمة وترشيد النفقات.



وصف صاحب السمو الأمير الشيخ صباح الأحمد جائحة «كورونا» بأنّها «امتحان يستوجب استخلاص العبر والعظات»، داعياً إلى «ترشيد الإنفاق الحكومي، والعمل على تنويع مصادر الدخل لتقليل الاعتماد على عوائد النفط».

وقال سموه في كلمته: «يمر علينا شهر رمضان المبارك في ظل تطورات انتشار وباء «كورونا» المستجد وتداعياته المتسارعة؛ حيث أصبح العالم يواجه بسببه مشكلات قصوى؛ مما أوجب تضافر جهود المجتمع الدولي بأسره، وتكاتف العلماء وذوي الاختصاص ومراكز البحوث الطبية لإيجاد لقاح ناجع لهذا الوباء».

وأشار سموه، حفظه الله، إلى أنّ الجائحة هزّت أركان اقتصاد العالم ونحن جزء منه، مشيراً إلى أنّ كويت الغد تواجه تحدياً كبيراً وغير مسبوق يتمثل في الحفاظ على سلامة ومتانة اقتصادنا الوطني من الهزات الخارجية الناجمة عن هذا الوباء، لا سيما التراجع الحاد في أسعار النفط وانخفاض قيم الأصول والاستثمارات؛ مما سيؤثر سلباً على الملاءة المالية للدولة.

هذا، وأكد نائب رئيس مجلس إدارة الصندوق الوطني لرعاية وتنمية المشاريع الصغيرة والمتوسطة عضو المجلس الأعلى للتخطيط والتنمية، د. سعد البراك، أن الاقتصاد الكويتي، خاصة قطاع المشاريع الصغيرة والمتوسطة، ضحية كبيرة في أزمة «كورونا»، ويجب أن تنقذ بحزمة اقتصادية جادة، وليست فقط عبارة عن قروض لفترة معينة لزيادة همومهم ومخاطرهم.

وبين البراك أن الإدارة الاقتصادية للدولة ليست جيدة، مؤكداً أن هناك سوء إدارة متراكماً، أنتج قطاعاً خاصاً مشوهاً يقتات على الإنفاق الحكومي الذي يأتي من الأبواب السياسية وليس الأبواب الاقتصادية الحرفية المستقيمة.

من جانبه، أشار أستاذ الاقتصاد بجامعة الكويت د. أنور الشريعان إلى أنه لا يوجد أي اقتصادي في الكويت لم يكن يتوقع وجود أزمة اقتصادية في حلول عام 2020م بسبب انخفاض أسعار النفط ووضع الحكومة ميزانيتها على سعر النفط 55 دولاراً بعجز يكاد يصل إلى 12 ملياراً، موضحاً أن أزمة «كورونا» زادت الأمر سوءاً.

وبين الشريعان أن الحزم الاقتصادية للمشروعات الصغيرة والمتوسطة تعجيزية، وكان من المفترض أن يكون هناك تسهيل أكثر في الاقتراض، موضحاً أن قرار إغلاق القطاعات الاقتصادية جاء بقرار من الدولة للحفاظ على صحة الناس، والدولة مسؤولة بأن تعين هذه المنشآت للعمل من جديد والعودة للربحية لمساعدة هذا القطاع وليست التعويض لهم.

أما الخبير الاقتصادي د. عبدالله العبدالجادر، فذكر أن إيرادات الكويت ومصروفاتها معتمدة على بيع النفط، وهناك نسبة بسيطة لا تذكر من استثماراتها، وعندما بدأت أسعار النفط بالانخفاض منذ عام 2014م ومن بعدها توالى عجز الميزانية، وازداد العجز كثيراً بعد نزول أسعار النفط إلى 15 دولاراً أمريكياً تقريباً خلال أزمة «كورونا» الآن، وكانت هناك توجيهات بوضع خطط الإصلاحات الاقتصادية واقتراح مصادر دخل بديلة لتغطي عجز الميزانية وتحسباً لظروف طارئة مثل أزمة «كورونا» الحالية التي صرفت وما زالت تصرف عليها الدولة حتى كادت الميزانية تنفد وتفكر في الاستدانة، وكذلك استخدام صندوق الأجيال القادمة.

وأضاف العبدالجادر أن هناك مشكلات ومخالفات مالية مستمرة منذ سنوات، وإذا لم تتم السيطرة عليها وحلها الآن قبل انتهاء أزمة «كورونا»، فلن تنفع لا مصادر دخل بديلة ولا إصلاحات اقتصادية، وسيستمر عجز الميزانية، وهي مشكلات الفساد والمفسدين، وهذا واضح، وتم التعرف عليهم من خلال الصحف المحلية، ومن جلسات مجلس الأمة، وهم معروفون

لدى الحكومة ومجلس الأمة، ولم تتم إحالتهم إلى النيابة العامة، وأصبحوا مليونيرات على حساب المال العام، ومنهم في الكويت وآخرون خارجها، ويجب كذلك التصرف بسرعة وإحالة تجار الإقامات وتجار غسيل الأموال من دون تدخل أو واسطة إلى النيابة، وفي الوقت نفسه تعديل القوانين وإصدار تشريعات تتناسب لحل هذه المشكلات والفساد.

وأوضح العبدالجادر أن هناك هدراً ومخالفات مالية كبيرة سنوياً لدى الجهات الحكومية، وهي مستمرة ومكتوبة بتقرير ديوان المحاسبة السنوي لم يتم إيقافها ولا معاقبة المسؤول عنها.

من جهته، بيَّن أستاذ الاقتصاد بجامعة الخليج د. أسامة الفلاح أن الأزمة تضم في طياتها 4 أزمات مجتمعة (اقتصادية ومالية وسياسية وصحية)، لافتاً إلى أن الإنتاج والبطالة عاملان رئيسان في فهم حركة الاقتصاد، موضحاً أن الاقتصاد تأثر كثيراً في جانب الإنتاج، والانخفاض في العرض يؤدي إلى انخفاض القدرة الشرائية لدى الأفراد، وكذلك انخفاض الطلب، وأمريكا أعلنت أن نسبة البطالة خلال أزمة «كورونا» بلغت 14.5% وهي أعلى نسبة بطالة تشهدها منذ 80 عاماً.

وأضاف الفلاح: لا أتوقع أن تعود الأمور بشكل سريع، وستكون أبطأ إذا تأثر أي من مصادر الاقتصاد الرئيسة بشكل عميق، وقد ندخل في مرحلة التعافي البطيء جداً إذا كان هناك عمق أكبر للأزمة مستقبلاً، وهناك أمل في التعافي بشكل جيد إذا بدأنا نرى تعافي الاقتصادات الرئيسة في بداية الشهر القادم أو منتصفه.

وأوضح الفلاح أن اعتماد الكويت وفقاً لتقرير وزارة المالية بنسبة 78% على النفط هو إحدى أهم المشكلات في الوقت الحالي، بالإضافة إلى زيادة المصروفات بشكل كبير على الجانب الصحي، وبالتالي فنحن نعيش في أزمة مالية منذ عام 2014م بعد انخفاض أسعار النفط، موضحاً أن التعافي لن يكون سهلاً مقارنة بالتعافي بالدول التي تتميز بتنوع مصادر الدخل بها، مشدداً على ضرورة تطوير الصناعات النفطية لتوفير فرص عمل أكبر واستثمارات خارجية وبيع النفط بأسعار لا ترتبط مع تذبذبات الأسعار العالمية.

من جهته، قال أستاذ التمويل بجامعة الكويت د. يعقوب العبدالله: إن «كورونا» فيروس صحي وسريع الانتشار، وأيضاً فيروس اقتصادي! مشيراً إلى انهيار الأسواق العالمية في بداية الأزمة وخسائر أسواق الأسهم نحو ثلث قيمتها خلال الربع الأول من العام الحالي، بالإضافة إلى أن البنوك المركزية العالمية اتخذت إجراءات لم يتم اتخاذها مسبقاً، لا سيما فيما يخص ضخ الأموال وشراء السندات الحكومية لدعم وتعزيز الثقة، بالإضافة إلى أن الحكومة الأمريكية منحت المواطنين مبالغ نقدية لمساعدتهم خلال الأزمة، لا سيما بعد ارتفاع معدلات البطالة.

وأشار العبدالله إلى تأثر قطاع الطيران بشكل كبير من الفيروس، موضحاً أن الأزمة اتخذت منحنى سيئاً، لا سيما في بداياتها، وأصبح الغموض هو المسيطر على الوضع الحالي ولا نعلم متى ستنتهي، مبيناً أن إدارة المخاطر عامل مهم في الأزمة، مؤكداً ضرورة أن تقوم الشركات بتوظيف تلك الإدارات بشكل أكبر والتخطيط لأسوأ السيناريوهات المتوقع حدوثها. ■



حوار- سعد النشوان:

كان للجمعيات الخيرية دور ملموس في دعم جهود الدولة في مواجهة أزمة وباء «كورونا»؛ حيث تنافست الجمعيات في القيام بواجبها الذي شهد له القاصي والداني؛ حيث ضربت أروع الأمثلة في الدعم والمساندة والإغاثة.

وفي هذا الحوار، نلقي الضوء على دور إدارة الأنشطة المجتمعية بجمعية الإصلاح الاجتماعي من خلال هذا اللقاء مع عبدالعزيز عبدالله الياقوت، مدير إدارتها رئيس اللجنة الوطنية التطوعية بالجمعية.

مدير إدارة الأنشطة المجتمعية رئيس اللجنة الوطنية التطوعية بجمعية «الإصلاح» عبدالعزيز الياقوت:

رسالتنا في ظل «كورونا» خدمات نوعية وتفعيل الأدوار المجتمعية

• بداية، نريد أن نتعرف على إدارة الأنشطة المجتمعية من حيث اختصاصاتها ورؤيتها ورسالتها وأهم أهدافها.

- تختص إدارة الأنشطة المجتمعية في جمعية الإصلاح بخدمة المجتمع ونشر الثقافة الشرعية والعلوم الإسلامية والمشاريع التطوعية، والإشراف على جهات العمل في الجمعية المختصة في تعزيز الترابط والتضامن بين مكونات المجتمع الكويتي.

وتتمثل رؤية الإدارة في أن تصل إلى «الريادة في طرح المبادرات المجتمعية من مشاريع وبرامج تساهم في نهضة المجتمع الكويتي وحل مشكلاته».

أما رسالتنا فهي «تقديم خدمات نوعية وتوعوية وتطويرية متخصصة في الابتكار للبرامج المجتمعية الفعّالة، وتحقيق مفهوم الشراكة مع المؤسسات الحكومية والأهلية، واستقطاب الرموز الشبابية وتفعيل أدوارهم لخدمة المجتمع».

وأبرز الأهداف يمكن تلخيصها في الهدفين التاليين:

1 - تحقيق مفهوم الشراكة مع المؤسسات الحكومية والأهلية والفرق التطوعية.

2 - تكوين فرق عمل شبابية تطوعية متخصصة في الابتكار للبرامج وتنظيم المبادرات المجتمعية.

• هل هناك تنوع في الأنشطة المجتمعية بجمعية الإصلاح؟

- نعم، تتنوع برامج إدارة الأنشطة المجتمعية بجمعية الإصلاح ما بين برامج شرعية وثقافية وبيئية وتطوعية، ومثال ذلك فعالية ماراثون «القدس» الأول الذي أقيم على جسر الشيخ جابر الأحمد رحمه الله، بتاريخ 2019/11/30م، بالتعاون مع رابطة شباب لأجل القدس، وملتقى القدس، وبالشراكة مع العديد من المؤسسات الحكومية والأهلية والفرق التطوعية، بالتزامن مع اليوم العالمي للقدس؛ بهدف تعزيز الموقف المشرف لدولة الكويت؛ حكومة وشعباً، في دعم القضية الفلسطينية، وتعزيز هذه القضية لدى شرائح المجتمع المختلفة، حيث شارك فيه 1500 متسابق.

شارك في ماراثون «القدس» الأول الذي تعاونًا في تنظيمه على جسر الشيخ جابر 1500 متسابق

وكذلك الفعالية البيئية «بيئتي أحافظ عليها بيدي»؛ حيث يأتي تنظيم جمعية الإصلاح لهذه الفعالية انطلاقاً من المسؤولية المجتمعية التي تحملها الجمعية على عاتقها تجاه نشر الوعي البيئي، وأهمية المحافظة عليها، والمحافظة على نظافة الشواطئ من المخلفات البيئية، والتعاون مع مختلف الجهات والمتطوعين في هذا المجال من أطياف وأفراد المجتمع كافة.

الفكرة هي أن قام نحو 120 من أبناء الكويت في المرحلة المتوسطة بتنظيف شاطئ أنجفة؛ بهدف تعزيز روح المواطنة في نفوس أبنائنا، وتهيئة المناخ المناسب لهم ليقوموا بممارسة دور تطوعي في المحافظة على ممتلكات الدولة ومرافقها.

وكان من أهداف الحملة –التي تمت بمشاركة عدد من الجهات منها وزارة الصحة وبلدية الكويت والهيئة العامة للبيئة– غرس قيمة العناية بالبيئة والمحافظة عليها عند النشء، وكذلك تعزيز روح المواطنة عند أبنائنا الطلبة بالمحافظة على البيئة والمرافق العامة.

ومن البرامج السنوية التي يقيمها مركز العطاء للشراكة المجتمعية التابع لإدارة الأنشطة المجتمعية «مسابقة العطاء للأعمال والمشاريع التطوعية»، وذلك انطلاقاً من حرص مركز العطاء للشراكة المجتمعية في جمعية الإصلاح الاجتماعي على تفعيل ودعم العمل التطوعي في المجتمع الكويتي، ونشر ثقافة التطوع بين أبنائه، بما يتوافق مع ما أولته القيادة الحكيمة لدولة الكويت من عناية خاصة بالشباب، وتشجيع أنشطتهم التطوعية، وأقام المركز «مسابقة العطاء الرابعة للأعمال والمشاريع التطوعية»، وقد بلغ عدد المشاركين فيها 54 مدرسة.

وقد تميزت المسابقة بالشراكة المتميزة مع وزارة التربية من خلال مشاركة المدارس التابعة للوزارة في المسابقة، وذلك بطرح مبادرات تطوعية مجتمعية ساهمت في تشجيع روح المنافسة بين الطلبة ونشر ثقافة التطوع بينهم، وهذا يتسق مع توجيهات صاحب السمو أمير البلاد الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح، حفظه الله ورعاه، قائد العمل الإنساني، بالعناية بالعمل التطوعي؛ حيث تهدف المسابقة إلى نشر ثقافة العمل التطوعي، وإبراز القيم التربوية في المشاريع التطوعية في خدمة المدرسة والمجتمع، وتعزيز دور الفرق التطوعية والمتطوعين في تحقيق التغيير الإيجابي للطلبة والطالبات في المدارس، وإبراز المشاريع والمبادرات التطوعية المتميزة في المدارس.

علماً أن المسابقة تستهدف الفرق التطوعية في مدارس وزارة التربية بمراحلها الابتدائية والمتوسطة والثانوية.

● ماذا قدمتم من أدوار خلال أزمة تفشي جائحة «كورونا»؟

– خلال أزمة جائحة «كورونا» التي اجتاحت العالم، ومنها دولتنا الحبيبة الكويت، سارعت جمعية الإصلاح، كعادتها وقت الأزمات، بتشكيل فريق لإدارة الأزمة، كما تم فتح باب التطوع للمجتمع للكويتي؛ حيث سجل في رابط التطوع نحو 1000 متطوع ومتطوعة موزّعين على محافظات الكويت المختلفة.

جمعية «الإصلاح» شكلت فريقاً لإدارة الأزمة وفتحت باباً للتطوع سجل فيه نحو 1000 متطوع ومتطوعة موزّعين على محافظات الكويت المختلفة

شاركنا بإدارة المتطوعين لمركز استقبال العمالة المخالفة وإدارة بعض المحاجر الصحية

وانطلاقاً من المسؤولية المجتمعية، ودعماً للجهود الحكومية في مواجهة فيروس «كورونا»، بادرنا بتزويد إدارة الدفاع المدني بكشف يحتوي على أسماء 158 متطوعاً للمشاركة في إدارة الأزمة، حسب توجيه إدارة الدفاع المدني بالتنسيق مع جهات الدولة المختلفة، وكذلك تم تدريب 18 متطوعاً على استخدام الآليات التابعة لبلدية الكويت تحسباً لأي ظروف طارئة بالتعاون مع بلدية الكويت والشركة الوطنية للتنظيف.

ومن خلال ما تقدمه نماء للزكاة والتنمية المجتمعية التابعة لجمعية الإصلاح الاجتماعي من دعم للأسر المتضررة؛ جراء هذه الأزمة من تقديم السلال الغذائية، قام متطوعو ومتطوعات جمعية الإصلاح بالمشاركة بإعداد ما يقارب 10 آلاف سلة وتوزيعها على مستحقيها.

وقد تم التعاون مع بنك الدم المركزي من خلال تنظيم عملية التبرع بالدم.

كما قمنا بتوزيع سلال الخضراوات للأسر المتعففة بتبرع من أحد المحسنين، ومشاركة المتطوعين في توصيل الأدوية لمرضى مركز الدسمة والقادسية الصحي.

كما شاركنا بإدارة المتطوعين لمركز استقبال العمالة المخالفة، وإدارة بعض المحاجر الصحية.

كما قمنا بتوزيع 150 سجادة وقنينة ماء زمزم على المرضى المتواجدين في مستشفى جابر بتبرع من أحد المحسنين.. وغيرها الكثير من الأعمال التطوعية.

ومن خلال أمانة العمل النسائي ودورها الكبير في هذه الأزمة، قام الفريق التطوعي النسائي بتصميم منصة تدريب تثقيفية إلكترونية؛ هدفها إعداد وتهيئة المتطوع قدر المستطاع لمواجهة ساحات العمل المختلفة بما يضمن سلامة المتطوع أولاً وأخيراً؛ حيث تضمّنت المنصة المجالات الشرعية والصحية والنفسية والأخلاقية، حيث تُعرض في دورات متكاملة ومتنوعة.

● ما مدى التزامكم بالاشتراطات الصحية أثناء عملكم التطوعي؟

– سلامة المتطوعين في مصب اهتمامنا؛ لذلك حرصنا على توفير المواد الوقائية من الكمامات والقفازات والمعقمات حرصاً على سلامة المتطوعين في ميادين العمل المختلفة.■



فريق إدارة الأزمة

الكويت

التركيبة السكانية بالكويت..

أرقام وأسباب





سعد النشوان

رئيس قسم المحليات

في عام 1961م استقلت دولة الكويت من الاحتلال البريطاني ودخلت مرحلة جديدة من البناء والتطور والإعمار، وتطلب ذلك دخول الكثير من الأيدي العاملة إلى البلاد، وبفضل الله تعالى الملاءة المالية للكويت ممتازة، وقد ساهمت هذه الملاءة بقدوم الكثير من العمالة إلى البلاد منذ بداية ستينيات القرن الماضي حتى يومنا هذا، وكذلك فإن المعيشة في الكويت اقتصادياً جيدة، ومجتمعياً فالشعب الكويتي بالمجمل شعب ودود، وقانونياً يجد العامل الأمان القانوني في حالة حدوث أي خلاف بين العامل وصاحب العمل، فالقضاء له اليد الطولى لأخذ حق كل مظلوم.

وبعد نحو 55 عاماً من قوانين العمل في الكويت، ظهرت مشكلة كبرى ليست في الكويت وحسب، وإنما في كل دول مجلس التعاون الخليجي؛ ألا وهي مشكلة «التركيبة السكانية»، ونتحدث هنا عن الكويت كمثال؛ حيث تشير الإحصائيات الرسمية في دولة الكويت إلى أن عدد المواطنين الكويتيين مليون و403 آلاف نسمة، وعدد المقيمين 3 ملايين و218 ألف نسمة؛ أي أن الكويتيين يمثلون 30% من إجمالي عدد السكان، ويمثل غير الكويتيين 70٪، وتمثل الجنسيات العربية 25٪ من المقيمين وغير العربية 43٪. وبالنظر إلى هذه الإحصائيات، وهي صادرة من الهيئة العامة للمعلومات المدنية، فإنها تنذر بخطر كبير تجاه المواطنين الكويتيين من حيث الخلل في التركيبة السكانية، خاصة إذا علمنا أن عدد الكويتيين الذين هم فوق الـ15 عاماً نحو 940 ألف مواطن ومواطنة؛ أي بنسبة 67٪ من الشعب الكويتي، وهذه نسبة تعطي انطباعاً أن هذا الشعب فتيٌّ، وبسبب الوفرة المادية والمعيشة المرفهة في الكويت تجد الاعتماد على العمالة الأجنبية في كل شيء.

ولوجود العمالة الأجنبية آثار سلبية كثيرة، منها ظهور ممارسات غريبة على المجتمع، خصوصاً إذا علمنا أن المقيمين غير العرب يمثلون 43٪، ومنهم غير مسلمين، وكذلك ظهور بعض المصطلحات الغريبة على اللغة العربية وخاصة على الأطفال، من خلال الاحتكاك المباشر مع العمالة المنزلية غير المدربة أصلاً، وظهور معدلات بطالة بين الكويتيين، ووقوع الكثير من الجرائم في المجتمع لوجود عدد كبير بدون عمل، وكذلك إدخال الكويت في أتون قضايا حقوق الإنسان والحقوق العمالية.

والسبب الأول في الخلل بالتركيبة السكانية هم تجار الإقامات، وهؤلاء لا تهمهم مصلحة البلاد والعباد أبداً، وإنما يهمهم ما يدخل إلى جيوبهم من مال، وآخر ما يفكرون فيه مصلحة الوطن.

والثاني: قلة أو ندرة القوانين الصارمة تجاه تجار الإقامات.

أما الثالث: عدم قيام الدولة بسياسة إحلال أو توطين المواطنين وفق دراسة علمية تعطي الحق لكل الأطراف، فيجب أن يُعطى المقيم الوقت الكافي والمناسب لينهي التزاماته المادية والأسرية، وكذلك يجب أن يكون هناك توازن في نسب جنسيات المقيمين.

ويُفرض على صاحب العمل أن يجهز للعمالة الخاصة به السكن الملائم.

وأخيراً؛ يجب أن توضع خطة تحفيزية وبرنامج واضح من قبل الحكومة وبمشاركة مؤسسات المجتمع المدني لترغيب المواطنين الكويتيين في العمل بالقطاع الخاص.

إن هذه الكلمات لا تستهدف أحداً، وإنما لتصحيح نهج حكومي ربما يكون خاطئاً أثَّر على المجتمع الكويتي ككل، وأنشأ لنا جيلاً فيه من الاتكالية شيء ليس بالبسيط.■

المصادر

1 - الهيئة العامة للمعلومات المدنية بدولة الكويت، إحصائية 2019/12/31م.

2 - دراسة التركيبة السكانية لمجلس الأمة الكويتي، قسم الدراسات والبحوث.



الأمة.. بين المقاومة والتطبيع

تعد القضية الفلسطينية من القضايا المحورية في حياة الأمة العربية والإسلامية على مدار التاريخ؛ بل تعد البوصلة التي تحدد وجهة الأمة، والمقياس الذي يزن قوتها ووحدتها؛ فكلما كانت الأمة قوية وموحدة كانت القضية الفلسطينية بما تمثله من رمزية دينية وعقدية في بؤرة اهتماماتها، والعكس.

ومن أبرز المظاهر الدالة والمعبرة عن موقف الأمة من هذه القضية، وفي القلب منها القدس والمسجد الأقصى، النظرة للكيان الصهيوني؛ فإذا نُظر إليه على حقيقته أنه محتل غاصب يجب مقاومته بكل الوسائل؛ كان هذا دليل صحوة ووعي لدى الأمة، لكن إذا نُظر إليه غير ذلك؛ فتم التعامل معه على أن وجوده طبيعي ولا توجد غضاضة في التواصل معه والاعتراف به؛ فهنا كان الخطأ والخطر.

وفي ظل حالة الانهزام الحضاري التي تعاني منها الأمة مؤخراً، رُصدت حالات كثيرة من محاولات «التطبيع» بشتى صوره مع هذا الكيان الغاصب، لا تخفى مظاهرها على ذي عينين.

وخطورة هذه المحاولات التطبيعية أنها انتقلت من أروقة السياسة ودواوينها بما يحكمها من مواقف عالمية ومواثيق دولية في بعض المواقف، إلى أن اتخذت مظاهر شعبية واجتماعية وثقافية وفنية، تقتضي دق جرس الإنذار والخطر معها، وهو ما تهدف إليه «المجتمع» في هذا الملف من خلال الموضوعات التالية:

- الأمة.. بين المقاومة والتطبيع مع الصهاينة.
- حرث العقل العربي لصالح الكيان الصهيوني.
- دور الأسرة في مقاومة «التطبيع».
- فخاخ «التطبيع» الثقافي.. المفهوم والاختراق والفنون.
- الكويت ضد «التطبيع».. حكومة وشعباً.■

الأمة.. بين المقاومة والتطبيع مع الصهاينة



أ. د. حلمي محمد القاعود
أستاذ الأدب والنقد

لم أسترح لاستخدام مصطلح «التطبيع» الذي انتشر وشاع بعد اتفاقيات الإذعان في عام 1978م التي سميت باسم «كامب ديفيد»؛ فقد كنتُ ذات يوم بعد هزيمة عام 1967م اللعينة مجنداً بالقوات المسلحة، وعاصرت ما فعله العدو الصهيوني بشعبنا الفلسطيني والأمة العربية والإسلامية جميعاً، وعرفت أن التخطيط الجيد وحشد الجهود والمبادرة بالهجوم أقل خسائر من البكاء على عتبات مجلس الأمن والأمم المتحدة، والتفاوض والوساطات والتنازلات.

مع أن القتال يبدو مكلفاً ويحتاج إلى نفقات، فإن بناء الجبهة الداخلية وتوافقها على المبادأة يجعل العدو يقلل من عدوانيته وغطرسته وعجرفته، ويحسب حساباً لرد الفعل، فلدينا جنود مخلصون إذا أتيح إعدادهم جيداً، وقادرون بفضل الله أن يوقفوا العدوان، ويحرزوا مكاسب لا بأس بها، صحيح أن العدو يمتلك سلاحاً وإعلاماً واستخبارات تمنحه تفوقاً كبيراً، وتجعله يمتلك زمام المبادأة بالهجوم دائماً، ولكننا نستطيع بالإيمان بالله إعداد ما نستطيع من قوة، وأن نجعله يدفع ثمن جرائمه، وهو ما حققته المقاومة الإسلامية في غزة، ومن قبل في حرب رمضان الخالدة التي شرفت بالمشاركة فيها.

لاحظت أن انتشار مقاومة «التطبيع» طمس المصطلح الحقيقي الذي ينبغي رفعه في كل مكان، وهو «الجهاد» –المصطلح الإسلامي العريق– والمؤسف أن مصطلح الجهادِ صار سيئَ السمعة لدى جهات عديدة داخلياً وخارجياً، بعد أن نجح الإعلام المعادي للإسلام والأمة بربطه بالإرهاب، وما أدراك ما الإرهاب في مفاهيم الغزاة المعتدين والموالين لهم هنا وهناك؟!

شارك العدو الصهيوني لأول مرة في معرض الكتاب الدولي بالقاهرة عام 1981م بأوامر علوية، فأثار حفيظة رواد المعرض، وقاموا بالتظاهر ضد المعرض واقتحموا الجناح الصهيوني الذي أغلق بعد أيام قليلة من افتتاحه إلى الأبد، وصحب ذلك اعتقال عدد كبير من الشباب، واستطاع الشيوعيون وأشباههم –وهم يسيطرون على الإعلام والصحافة والثقافة ورئاسة معرض الكتاب طوال السنوات منذ إنشائه– توظيف مصطلح «مقاومة التطبيع» بدلاً من «مقاومة الاحتلال»؛ لأن الشيوعيين أعلنوا من خلال أحزابهم في الأربعينيات من القرن الماضي تأييد قيام الكيان الصهيوني في عام 1948م، واستنكار تدخل الجيوش العربية لحماية الشعب الفلسطيني! ونسي الناس مصطلح الجهاد، أو فُرض عليهم نسيانه، ومع ذلك نهضت المقاومة من جديد في صور الانتفاضة ومنظمات المقاومة الإسلامية التي تشكلت في قطاع غزة والضفة لتقضّ مضجع العدو وتجبره على ترك القطاع ومستعمراته والخروج منهزماً ذليلاً، وإن كان يعوّض ذلك بالقصف الجوي الإجرامي بـ«الفانتوم» ضد منازل القطاع ومساجده ومستشفياته، وقد استطاعت المقاومة المسلحة في القطاع مع الحصار والتضييق إزعاج العدو وحرمانه من النوم، وخاصة عندما يستخدم طائراته المؤذية.

المقاومة المسلحة بغزة رغم الحصار استطاعت إزعاج العدو وحرمانه من النوم

الشيوعيون أعلنوا تأييد قيام الكيان الصهيوني عام 1948م واستنكار تدخل الجيوش العربية لحماية الفلسطينيين

التطبيع الفني والأدبي

وقد أثير مؤخراً موضوع التطبيع بكثافة نتيجة لقيام بعض الجهات والعواصم العربية بتمويل مسلسلات تلفزيونية، ودفع عدد من أتباع السلطات إلى زيارة الكيان الغاصب واستقبال مسؤولين صهاينة في عواصم عربية، وترديد مقولات وكتابة مقالات تدعو إلى التطبيع مع العدو، والمناداة بالتخلي عن قضية فلسطين، وتوجيه النداء إلى رئيس وزراء العدو الحالي ليقضي على بقايا الفلسطينيين قضاء مبرماً؛ لأن أرض فلسطين –في زعم الكاتبين– حق للغزاة اليهود، وسبق ذلك كتابات تشكك في قدسية المسجد الأقصى وتنكر الإسراء إليه، وتهوّن من شأن القادة المسلمين الذين حرّروا القدس من قبضة الصليبيين والمغول، فضلاً عن إهالة التراب على التاريخ الإسلامي والصحابة وقادة الفتوح الإسلامية، وطالب أحدهم باعتذار المسلمين المعاصرين عن هذه الفتوح! فضلاً عن العمل على تحسين صورة اليهودي في المنظور العربي والإسلامي؛ ليكون اليهودي المسالم الطيب الذكي المتحضر الذي يبحث عن التعايش؛ لأن هناك في البلاد العربية من يضطهده بسبب تفوقه ونبوغه!

ومنذ سنوات ليست بعيدة، ظهرت أعمال أدبية وخاصة في الرواية تُقدّم اليهودي في



بعض الأعمال الأدبية قدمت اليهودي بصورة محسّنة مقابل المسلمين الإرهابيين الذين أرغموه على ترك وطنه!

الصورة المحسّنة مقابل المسلمين الأجلاف الإرهابيين المتعصّبين، الذين أرغموه على ترك وطنه في البلاد العربية والإسلامية، ونهبوا ممتلكاته وثرواته، فلم يجد مفراً من اللجوء إلى الكيان الصهيوني، وبالطبع لا تشير الروايات إلى الحق الفلسطيني والعربي والإسلامي الذي يهضمه اليهود الغزاة، ولا إلى المذابح والجرائم التي اقترفوها في حق الشعب الفلسطيني وأبناء الأمة، ثم يتجاهلون أن هذا اليهودي ذهب في الحقيقة إلى الكيان الصهيوني بدافع عقيدته التي تفضّله على العالمين كما يزعم، وحَمَل السلاح وقاتل الذين احتضنوه وآووه وأطعموه مئات السنين واحتل أراضيهم، ولم يجد غضاضة حين أسر بعضهم في القتال أن يسومهم سوء العذاب ويقتلهم صبراً ويدفنهم أحياء في رمال سيناء (روح شاكيد مثالاً)!

ومن المفارقات أن الذين ينادون بالتعايش مع اليهود الغزاة لا يطالبون بالتعايش مع أشقائهم المسلمين في البلاد العربية والإسلامية.

إن من يتابع صحف بعض الأنظمة التي توحي بالتطبيع وتدعمه سرّاً أو علناً، أو تمارسه على أرض الواقع، يجد أنها لا تتسامح مع الفريق الأكبر من المسلمين في مجتمعاتهم؛ حيث يرى هذا الفريق أن الإسلام هو مستقبل المسلمين وعزهم ومجدهم وكرامتهم، وترى هذه الصحف، وما يسير على نهجها من إذاعات وقنوات وأجهزة ثقافية وتربوية وترفيهية، ضرورة شيطنة هذا الفريق الإسلامي الكبير وتجريمه، وتطالب بنبذه وحصاره وحرمانه من حق المشاركة في مصير وطنه وبلاده، بالإضافة إلى تلويث شرفه وسمعته، بل تخوينه، فجريمته أنه مسلم يؤمن بالإسلام عقيدة وهوية تستوعب التاريخ والجغرافيا والتراث، ولا تفرط في المقدسات وأرض فلسطين.

أليس من المنطقي التعايش مع الأشقاء قبل الغرباء، وتطبيع العلاقات مع الشعوب قبل الغزاة والمعتدين؟

انحطاط حضاري

إن التطبيع مع العدو يمثل علامة مؤكدة على الانحطاط الحضاري الذي وصلت إليه بعض القوى وهي تستسلم ببساطة وسهولة لإرادته العدوانية.

ومن الطريف أن مصطلح «التطبيع» ظهر لأول مرة لدى الصهاينة خاصاً بيهود المنفى؛ فقد عدّتهم الحركة الصهيونية شخصيات طفيلية شاذة، منغمسة في المجالات الفكرية، والغش التجاري، والأعمال المشينة مثل الربا، والدعارة، والقوادة.. ونحوها، وأرادت الصهيونية تطبيع اليهود ليكونوا مثل باقي الشعوب، وقد اختفى هذا المفهوم للمصطلح مع إنشاء الكيان الصهيوني بسبب حاجته لدعم يهود العالم له، وظهر ثانية مع «كامب ديفيد»!

والسؤال الآن: ما التطبيع؟ هناك تعريفات عديدة، منها:

«التطبيع هو المشاركة في أي مشروع أو مبادرة أو نشاط، محلي أو دولي، مصمم خصيصاً للجمع (سواء بشكل مباشر أو غير مباشر) بين فلسطينيين (و/أو عرب) ومحتلين صهاينة (أفراداً كانوا أم مؤسسات) ولا يهدف صراحة إلى مقاومة أو فضح الاحتلال وكل أشكال التمييز والاضطهاد الممارس على الشعب الفلسطيني.

وأهم أشكال التطبيع هي تلك النشاطات التي تهدف إلى التعاون العلمي أو الفني أو المهني أو النسوي أو الشبابي، أو إلى إزالة الحواجز النفسية، ويستثنى من ذلك المنتديات والمحافل الدولية التي تعقد خارج الوطن العربي، كالمؤتمرات أو المهرجانات أو المعارض التي يشترك فيها صهاينة إلى جانب مشاركين دوليين، ولا تهدف إلى جمع الفلسطينيين أو العرب بالغزاة الصهاينة، بالإضافة إلى المناظرات العامة، كما تستثنى من ذلك حالات الطوارئ القصوى المتعلقة بالحفاظ على الحياة البشرية، كانتشار وباء أو حدوث كارثة طبيعية أو بيئية تستوجب التعاون الفلسطيني مع الاحتلال» (الحملة الفلسطينية للمقاطعة الأكاديمية والثقافية للعدو، بتاريخ 2007/11/21م).

وفي بيان صادر عن مجلس رؤساء الكنائس الكاثوليكية في الأرض المقدسة، بتاريخ 23 مايو 2017م: التطبيع في المفهوم الجاري هو إقامة علاقات مع الكيان الصهيوني وأجهزته ومواطنيه كما لو أنّ الوضع الراهن كان وضعاً طبيعياً، ويعني بالتالي تجاهل حالة الحرب القائمة،

والاحتلال والتمييز العنصري، أو هي محاولة للتعتيم على ذلك أو لتهميشه عن قصد.

في دولة فلسطين، بالرغم من وجود السلطة الفلسطينيّة، ما زال الفلسطينيّون يعيشون حياتهم تحت احتلال عسكريّ، يشمل كلّ حياتهم اليومية؛ فهناك المستوطنات وبناء الطرق، وشرعنة الأبنية الصهيونية على أراض فلسطينيّة خاصّة، والمداهمات المتكرّرة للبيوت، والاغتيالات، والاعتقالات التعسّفية، والعقاب الجماعيّ، ومصادرة الأراضي، وهدم البيوت، والحواجز العسكريّة التي تحدّ من حرّيّة الحركة وتضع العديد من العقبات أمام النمُوّ الاقتصادي، ومنع لمّ شمل العائلات، الذي هو امتهان لحقّ طبيعيّ لأعضاء العائلة في أن يتواجدوا معاً.

من جهة أخرى، فإنّ الحياة اليوميّة في الكيان الغاصب أو فلسطين تقتضي بعض العلاقات مع سلطات الاحتلال، ومع ذلك؛ فالمؤسّسات والأشخاص الذين يقومون بهذه العلاقات يجب أن يظلّوا واعين أنّ الوضع غير طبيعي ويحتاج إلى تصحيح، فلا يجعلوا الوضع غير الطبيعي وكأنه أصبح أمراً طبيعياً.

وهناك من يختصر تعريف «التطبيع السياسي والاقتصادي» بإعادة صياغة العلاقة بين بلدين بحيث تصبح علاقات طبيعية (خالد أبو شرخ، مخاطر التطبيع، الحوار المتمدين، العدد (3526)، 211/10/25م).

ويشرح صاحب التعريف مفهوم العدو للعلاقات الطبيعية في واقعه الراهن؛ حيث يصر على أن التطبيع السياسي والاقتصادي بينه وبين الدول العربية، هو شرط أساسي لتحقيق السلام في الشرق الأوسط، ولكن يوجد هنا خلل أساسي في المفهوم وفي المحاولة، فالتطبيع السياسي والاقتصادي يجب أن يتم بين بلدين طبيعيين، وهو الأمر الذي لا يتوفر في الكيان الصهيوني الغاصب، بسبب شذوذه البنيوي، حيث لا يزال تجمُّعاً استيطانياً، وليس دولة المواطنين الذين يعيشون داخل حدودها، فقانون العودة الصهيوني يعطي الحق ليهود العالم في الهجرة إلى فلسطين المحتلة، بوصفها وطن أجدادهم، بعد أن تركوها منذ ألفي عام، وينكر هذا الحق على الفلسطيني الذي اضطر لمغادرتها منذ بضعة أعوام، كما يتبدى الشذوذ البنيوي في علاقة الكيان الاحتلالي الغاصب بالمنظمة الصهيونية وبالوكالة اليهودية، فهي علاقة شاذة ليس لها نظير في الدول الأخرى، والكيان الغاصب هو الوحيد في العالم الذي يتمتع بعضوية مشروطة في هيئة الأمم المتحدة، وشرط قبوله في المنظمة الدولية هو عودة اللاجئين الفلسطينيين، وهو الأمر الذي لا توجد أي مؤشرات على احتمال تنفيذه في المستقبل القريب.

أليس من المنطقي التعايش مع الأشقاء قبل الغرباء وتطبيع العلاقات مع الشعوب قبل الغزاة؟

التطبيع السياسي والاقتصادي يجب أن يتم بين بلدين طبيعيين وهو ما لا يتوفر بالكيان الصهيوني

هناك اتفاق في التعريفات السابقة وغيرها على المعنى العام للتطبيع، واستثناء الحالات الضرورية التي تتعلق بالحياة اليومية والظروف الطارئة المرتبطة بحياة الشعب الفلسطيني.

إن التطبيع المجاني مع العدو يمثل خطورة في الحاضر والمستقبل، تتجاوز الشعب الفلسطيني إلى الشعوب العربية الأخرى؛ فالعدو يضع شعاراً معروفاً ومرفوعاً في «الكنيست» يتكلم عن الدولة الصهيونية من النيل إلى الفرات، وتشمل دمشق وبغداد والحرمين الشريفين وأم الدنيا، قبيل عام 1948م لم يكن هناك في العالم العربي من يصدق أن يقام كيان صهيوني يعترف به العالم، وقبيل عام 1967م لم يكن هناك عربي يصدق أن تكون القدس وبقية فلسطين وسيناء والجولان والأغوار والمزارع في قبضة العدو، وقبل عام 1977م لم يكن أحد يصدق أن العدو سيهيمن سياسياً ودبلوماسياً واستخباراتياً على العرب جميعاً ويأمر وينهى، ويقرر من يحكم أو لا يحكم في بعض العواصم العربية، وقبل انتكاسة الثورات العربية (الربيع العربي) لم يكن من يصدق أن يصف قادة العدو بعض المسؤولين العرب بالكنوز الإستراتيجية والأصدقاء الطيبين، والقادم مجهول!

المقاومة الشاملة

على الأمة أن تقاوم العدو بالمعنى الكامل الشامل، وليس الاكتفاء بمقاومة التطبيع، وهذا يقتضي بعض الأمور، أبرزها:

أولاً: استعادة الوعي بطبيعة العدو وتاريخه، وخطواته التي بدأت في القرن التاسع عشر بتفكيك دولة الخلافة وتمزيق المسلمين، عن طريق التحالف مع الأرمن والغرب الاستعماري والقوى الحزبية السرية والعلنية مثل الماسون والشيوعيين، واستغلال التسامح الإسلامي في تدبير المؤامرات وإسقاط من يعارضهم (السلطان



عبدالحميد)، وتجنيد العملاء، وزرع الفتن في كل مكان تصل إليه أقدامهم وأيديهم ونفوذهم.

ثانياً: يجب البدء في التخطيط طويل النفس في شتى المجالات وخاصة «جمع المعلومات»، وتحييد القوى المناصرة للعدو في الغرب، وبعث المقاطعة الشاملة من جديد، والنهوض بالتعليم والتصنيع والزراعة والاكتفاء الذاتي في الغذاء والدواء والسلاح.

ثالثاً: الإيمان بأن المواجهة الشاملة قادمة، وسوف يفرضها العدو الذي يلتقط أنفاسه كلما أتحنا له أن يكون احتلاله آمناً مطمئناً، بيد أن المواجهة السياسية والدبلوماسية والاقتصادية والثقافية قائمة بالفعل ويجب خوض معاركها بقوة واقتدار، ولدينا العقول وكثير من الإمكانات التي تحقق ذلك.

رابعاً: ينبغي أن نستدعي دائماً الشخصية المسرحية الشهيرة «شايلوك»، عند التفاوض الرسمي مع العدو، فلا يأخذ شيئاً دون مقابل، تصور لو أن اللقاءات التي تتم بين عرب وصهاينة رسميين أو غير رسميين، واشترط الجانب العربي مقابلاً لها مثل إطلاق سراح بعض الأسرى الفلسطينيين، إزالة الحواجز الأمنية، رفع الحصار عن غزة.. وللأسف ستجد من يخبرك أن الطرف العربي هو الذي يستجدي لقاء العدو!

خامساً: آن الأوان لليساريين وأشباههم ألا يشغلونا بمصطلحات وأفكار لا تخدم إلا العدو، مثل الفرق بين اليهودية والصهيونية، والحرب الدينية، وضحايا النازية، وغير ذلك من ثرثرة غير مجدية، لا تمنع القصف الذي يقوم به العدو عبر طائراته وصواريخه ودباباته، ولا تفك حصاره عن الفلسطينيين، أو تصفيتهم في كل مكان أو تهويده للمقدسات والاستيلاء على بيوت القدس وهدم منازل أهلها بحجج واهية.

سادساً: رفض الأمر الواقع والعمل على تغييره، بكل الوسائل؛ فالذين يتعللون بالأمر الواقع لا يريدون العمل، ومثلهم الذين يقولون: إن الكيان الصهيوني بلد صغير، لا يمكن أن يشكّل خطراً ثقافياً أو اقتصادياً على العالم العربي، فهذا كلام غير صحيح؛ لأن إنجلترا في القرن الماضي، وهي الجزيرة الصغيرة، حكمت إمبراطورية لا تغيب عنها الشمس!

المقاومة هي المنقذ من الاحتلال.■



«التطبيع».. وخلل تعريف العدو

فيما يواجه العالم أزمة وباء «كورونا»، يواجه الفلسطينيون بالإضافة إليها أزمات كثيرة مزمنة تتعلق بسياسات الاحتلال، منها الحصار والإغلاق المستمر منذ عدة سنوات، والاستيطان، وخطط الضم التي وعدت بها «صفقة القرن»، وفي مواجهة كل هذا، وبينما يحتاجون إلى الدعم الدولي والإقليمي وخاصة من حاضنتهم العربية تحديداً، ظهرت بعض المؤشرات العكسية التي تشير إلى تقدم في مسار «التنازل عن دعم حقوق الشعب الفلسطيني ودعم الاحتلال الصهيوني»، الذي يشار إليه بـ«تطبيع» العلاقات مع عدد من الدول العربية وفي كافة المجالات؛ من المؤتمرات الاقتصادية إلى الكتابات الصحفية إلى الدراما التلفزيونية.. وغيرها.

محمود سمير الرنتيسي

برغم أننا هنا نستخدم كلمة «تطبيع»، فإن الحقيقة التي يجب أن نتوقف عندها هي أن هذه الكلمة مضلِّلة، فالاحتلال الصهيوني لم يكن ولن يكون دولة طبيعية؛ وبالتالي لن تكون العلاقة معه طبيعية، فهو كيان قام على اغتصاب أراضي الشعب الفلسطيني وحقوقه الذي يعتبر مكوناً من مكونات الأمة والمنطقة، ولهذا فإن التعامل مع الاحتلال بشكل طبيعي يعني تجاهل حقوق معاناة الشعب الفلسطيني.

وفي الحقيقة، كان هناك انفتاح لدى بعض الدول العربية -من منظور التودد للولايات المتحدة كدولة مهيمنة على النظام الدولي- منذ أكثر من عقد من الزمان، على تطبيع العلاقات مع الاحتلال

للتطبيع

الصهيوني، ولكن بشرط إيجاد حل للقضية الفلسطينية وفق رؤية «حل الدولتين»، ولكن الاحتلال قلب المعادلة؛ حيث جعل تطبيع العلاقات مقدماً على إيجاد حَلّ، ومع الوقت نسف فكرة حل الدولتين من خلال إقرار القدس عاصمة غير مقسمة لدولة الاحتلال، ومحاولة ضم 30% من أراضي الضفة الغربية.

مع أن مكانة الولايات المتحدة ودورها قد تراجعا، فللأسف بقيت مسيرة «التطبيع» مستمرة وفي تزايد، ولم تقتصر على تمجيد العلاقة مع الاحتلال، بل شملت في بعض الأحيان تشويه الفلسطيني، والأكثر من ذلك أن هذه الحركة «التطبيعية» تتخذ شكل الهرولة أحياناً، وتترافق مع تخبط واضح في سياسات الدول أو الأشخاص الذين يهرولون نحو هذه العلاقة، وفي أوقات انقسام الداخل «الإسرائيلي» وعدم قدرته على تشكيل حكومة، حتى بات رئيس وزراء الاحتلال يتخذ من موضوع «التطبيع» إنجازاً ورافعة له في حملته الانتخابية!

بالرغم من كل المحاولات «الإسرائيلية» السابقة لتكريس العلاقات مع الدول العربية، فإن العلاقة بقيت في أطر محددة، وبقي كيان الاحتلال في نظر الشعوب والمجتمعات العربية عدواً إستراتيجياً، وتهدف هذه الموجة من التطبيع التي ذكرنا إلى أنها تطال مختلف القطاعات، وتحاول التأثير في الوعي إلى فتح اختراقات أكبر في وعي وثقافة الشعوب، وهذا يتوجب إحداث آلية مقاومة لهذه الاستهدافات الخطيرة التي لا تشكل خطراً على الشعب الفلسطيني، بل على الدول العربية جميعها.

انحراف إستراتيجي

إن التوجه لإقامة العلاقة مع كيان الاحتلال الصهيوني من قبل أي جهة عربية مسلمة، بغض النظر عن كونه انحرافاً أخلاقياً وحقوقياً واضحاً، فهو انحراف إستراتيجي مبنيٌّ على خلل في تعريف العدو، وعلى خلل في معرفة الأهداف من وجود الكيان الاحتلالي بالمنطقة العربية ابتداء، ثم سعيه للقيادة الإقليمية والتحكم في الدول التي تسعى للتطبيع معه لاحقاً،

مصطلح «التطبيع» مضلل لأن الكيان الصهيوني ليس دولة طبيعية

كان هناك انفتاح لدى البعض بتطبيع العلاقات بشرط إيجاد حلٍّ للقضية الفلسطينية لكن الاحتلال قلب المعادلة

عبر إيجاد «لوبيات» وشبكات مصالح تجعل القرار العربي مرتهناً لها في حال تم إعطاؤها الفرصة للتعمق في هذا المسار.

لقد كانت أغلب دول المنطقة قبل «الربيع العربي» منقسمة، وقد استغل الاحتلال الصهيوني الفوضى التي حصلت بعد ذلك وتفكك عدد من الدول لقيادة محور إقليمي، ولكنه يدرك أن شعوب المنطقة وبعض قياداتها لا تزال تتعامل معه على أنه عدو، ولذلك قرر تنويع أعمال «التطبيع» من التطبيع السياسي إلى الأمني إلى الثقافي إلى الأكاديمي إلى الرياضي؛ من أجل تهيئة البيئة الإقليمية العربية لتحقيق الأهداف «الإسرائيلية»؛

التوجه لإقامة علاقة مع الاحتلال انحراف إستراتيجي مبني على خلل في تعريف العدو

الاحتلال لا يبحث عن مصالح دول المنطقة بقدر تأمين موطئ قدم له فيها

سواء بالمواجهة مع إيران، أو ضد الحركات والجماعات السياسية الإسلامية، أو حتى إجهاض أي محاولة استقلالية لأي من دول المنطقة.

يدرك كل عاقل أن كيان الاحتلال عقد الكثير من التفاهمات السرية مع بعض دول المنطقة، ومع ذلك فهو يحاول جاهداً تصوير بعض التهديدات على أنها تهديدات مشتركة مع بعض الدول، ولكن حتى هذه العملية لا تبرر التنازل العربي الرسمي العلني عن حقوق الشعب الفلسطيني، وتبقى هناك صعوبة أمام الزعامات نحو هذا التوجه أمام شعوبها؛ ولذلك رأينا كثافة في رسائل التطبيع التي تقوم على إظهار الاحتلال على أنه صديق، أو أن العلاقة معه تمثل مصلحة، ولكن هذا لم يكف؛ لأن روابط الأخوة بين الشعب الفلسطيني والشعوب العربية قوية، فعمدوا إلى تشويه صورة الفلسطيني في صورة المواطن العربي بتصوير العلاقة معه على أنه عبء، وبالاعتماد على افتراءات من قبيل أن الفلسطيني باع أرضه.

لا بد أن يدرك الجميع أن الاحتلال الصهيوني لا يبحث عن مصالح دول المنطقة بقدر ما يبحث عن تأمين موطئ قدم له في كل دول المنطقة؛ لضمان بقاء هذه الدول في حالة فوضى واقتتال وعدم استقرار حتى يضمن التحكم في مصيرها ومستقبلها، ولا بد ألا يُسمح لممارساته في الوصول إلى ذلك بالنجاح، وهذا يتطلب تضامناً عربياً شعبياً ورسمياً لمواجهة هذه الخطوات، وإعادة حسابات من الدول التي انخرطت في هذه العملية.

وفي هذا السياق، ومع كل خطر مشروع «التطبيع»، ما زالت هناك قوى وزعامات حية ويقظة تدرك خطورة الكيان الصهيوني، وتؤمن بحقوق الشعب الفلسطيني الشقيق الذي يعتبر دفاعه عن المسجد الأقصى وتراب فلسطين جزءاً من دفاعه عن الأمة العربية والإسلامية، وقديماً قالت العرب: «من يصنع المعروف في غير أهله يلاق الذي لاقى مجير أم عامر»، وها هو الاحتلال الغاصب يحاول ابتزاز واستدراج العديد من الدول العربية ليفتك بها وبمصالحها وبمستقبلها؛ فلا بد من الحذر ومعرفة حقيقة العدو.■



«التطبيع» واستهداف ثوابت الأمة

يوسف أحمد

ثوابت الأمة الإسلامية من القيم والأخلاق هي الذخيرة التي استندت إليها الأجيال المسلمة المختلفة، وهي أيضاً الهدف الذي سعت لضربه كافة القوى الاستعمارية لإضعاف الأمة، عبر ضرب المؤسسات الدينية مثل الأزهر وغيره تارة، والسعي لتغيير المناهج تارة أخرى، أو رفع شعارات خبيثة تدعو إلى «تجديد الدين» أو ما يسمى «تطوير الخطاب الديني».

هناك محاولات للتسلل لعقول شباب الأمة بمسلسلات درامية مؤثرة تستهدف إزاحة قيم إسلامية لصالح قيم أخرى فاسدة

الجديد مع انتشار الدراما وتأثيرها القوي هو محاولة أعداء الأمة التسلل إلى عقول شباب الأمة بمسلسلات درامية مؤثرة تستهدف إزاحة قيم إسلامية لصالح قيم أخرى فاسدة، بحيث تبدو أمور مثل مصاحبة الفتيات و«السينجل مازر» (الأم العزباء المستقلة) التي تقيم علاقات بلا رابط شرعي، والتعاطف مع يهود «إسرائيل»، وغيره، أموراً عادية.

هذا التغيير الذي يستهدف القيم بإحلال أخرى غربية وصهيونية بدلاً منها، ما هو إلا المعول الأساسي الساعي إلى ترسيخ قواعد التطبيع في المجتمع المسلم، سواء التطبيع مع الباطل أو التطبيع مع الحرام، أو التطبيع مع السلوكيات الفاسدة، وآخرها التطبيع مع العدو الصهيوني الذي تعاظم مؤخراً في صورة مسلسلين خليجيين يروجان للتطبيع.

فقد كتبت فضائية خليجية شهيرة، وصحيفة أخرى خليجية، مثلاً عن مسلسل «أم هارون» أنه «يجسّد الأخوة الإنسانية؛ يصحح صورة اليهود من خلال إظهار خليجيين يلبسون زي اليهود، ويتحدثون العبرية ويعبدون الله بالطقوس اليهودية؛ ينأى عن معاداة اليهود التي تبنّاها إسلاميون، وينقّي التراث الديني الحافل بالعداء لليهود»!

هنا يجب الانتباه إلى أن مسلسل «أم هارون» جزء من «صفقة القرن»؛ لأنه يأتي ضمن محاولات كسر الحواجز من أجل التطبيع، والترويج له بقوة.

فالهدف هو التطبيع الثقافي مع الاحتلال والدعوة له، عبر جهات عربية؛ لتشويه الوعي، والسعي لتبرير التطبيع مع المحتل، ومن ثم تبرير السياسات التي تتخذها بعض الحكومات العربية أو الإسلامية بالتطبيع مع الاحتلال.

هدم المقاومة

مقابل هذا السعي لضرب قيم المجتمعات الإسلامية لفرض التطبيع مع الباطل والاحتلال، تجري محاولات حثيثة لضرب المقاومة ضد هذا التطبيع المفروض والقضاء عليها، سواء عبر استهداف المقاومة الفلسطينية المسلحة أو الشعبية (الانتفاضات).

ففي الخطاب المتصهين التطبيعي الجديد الذي يتبناه بعض المثقفين والنشطاء المتغربين العرب، يُشار إلى مقاومة الظلم في فلسطين بـ«الإرهاب»، بينما تبقى الصهيونية بعيدة عن هذا الربط، ويشيع في الخطاب السياسي والصحفي العربي التحذير من عواقب الفشل في الوصول إلى تسوية بالقول: إن ذلك سيفجّر الإرهاب (الذي يقصدون به العربي طبعاً)!

الأكثر خطورة أن من ينزعون لتأييد التطبيع يتحول بعضهم من تأييد للكيان الغاصب إلى انقضاض على الإسلام ومقدساته وعلى فلسطين ومرابطيها، فلا يرون حرجاً في قيام مستوطنين باقتحام الأقصى للصلاة فيه بحجة التسامح، وبالمقابل يهاجمون المقاومة الفلسطينية ويعتبرونها إرهاباً، وبعضهم لا يرى مشكلة في تهنئة الصهاينة في أعيادهم ومناسباتهم بدعوى أنهم «أهل كتاب».

أيضاً تجري -بالتوازي- عمليات دعم غربية وصهيونية لحكام عرب لا يرون مشكلة في التطبيع مع العدو الصهيوني، ويعادون المقاومة، ويسعون لدعم عمليات تبديل القيم في بلادهم وطمس الهوية الإسلامية وضرب أي معارض لهذا سواء كانت قوى وطنية أم إسلامية، ووصمها بالإرهاب؛ لأن هذا يضمن لهم البقاء في الكرسي.

صناعة الجهل

ويجب ألا ننسى ونحن في خضم المعركة بين المقاومة والتطبيع أن هناك صناعة تسمى «الجهل» يجري استخدامها بكثافة في العالم العربي والإسلامي من أجل تمرير هذا التطبيع عبر نشر حقائق زائفة.

فهو علم متخصص تشرف عليه مؤسسات تديرها دول عظمى لتعميق وترسيخ هذا الجهل في المجتمعات الإسلامية خصوصاً، وهو ما يفسر كثيراً من مظاهر التخلف الفكري الذي يجري استغلاله لترسيخ قيم التطبيع محل قيم المقاومة، وخلق أعداء من الداخل للإلهاء عن أعداء الخارج، أو التمهيد للتصالح مع العدو الخارجي.■

نور الدين محمود

شهد عام 2020م وثلث العام الذي قبله هرولة عربية نحو التقارب العربي الصهيوني، لم يشهدها العالم العربي منذ تأسيس هذا الكيان في جسد العالم الإسلامي، والاعتراف به عام 1948م، ومن معالم هذه الهرولة العربية تواجد الكيان الصهيوني في معارض تجارية مع دول عربية، ثم التبادل الدبلوماسي إلى حد حضور ثلاثة من سفراء عرب في مباركة لإعلان «صفقة القرن» في واشنطن، وغير ذلك من مظاهر الإعلان -في تغريدات لبعض المثقفين والأذرع الإعلامية لبعض الأنظمة العربية- على تأكيد التعايش مع الكيان الصهيوني باعتبار ذلك أمراً لا غضاضة فيه ثقافياً واجتماعياً.



حرث العقل العربي لصالح الكيان الصهيوني

الحقيقة أن الهرولة نحو التطبيع مع الكيان الصهيوني لم تأتِ دفعة واحدة، ولا حتى بصورة مفاجئة، وإنما كانت نتيجة لخطط ممنهجة ربما لا نستطيع الحصول على وثائقها، إلا أنه يمكن بكل بساطة استقراء نتائجها وتطوراتها ومساراتها.

وهذا ما سوف نشير إلى جانب منه في هذه المساحة الفكرية؛ فهذه الخطط الممنهجة كان غرضها الأساس والإستراتيجي (البعيد) -الذي وصلنا إلى جانب عظيم منه وخطير كذلك- هو تهيئة العقل العربي -باعتبار الاختراق العقلي يعقبه اختراق وجداني وقيمي كذلك- إلى قبول الكيان الصهيوني كعنصر طبيعي في الجسد العربي والإسلامي.

المبادرات التربوية والتعليمية الصادرة عن الأمم المتحدة تعد من مسارات حرث العقل العربي لصالح الصهيونية

النظام العالمي لجأ إلى محاولة إزاحة فكرة «المقاومة» عن طريق طرح مفهوم «الإرهاب» مرادفاً لها

المدخل الاقتصادي أحد أهم المداخل للتطبيع مع الأنظمة العربية الذي يمارس فيه الاحتلال طريقه للتسلل

باكورة الاتفاقات السياسية وتطورها:

من المسارات الباكرة في تطبيع العقل العربي كان مسار الاتفاقات السياسية، التي هدفت كما في إعلانها إلى إلغاء فكرة «الحرب» من الذهن العربي، وإحلال مفهوم «السلام» القائم على الاعتراف باغتصاب الحقوق العربية والفلسطينية، وكانت باكورة هذه الاتفاقات معاهدة السلام المصرية الصهيونية، في 26 مارس 1979م، وتعتبر هذه أول مداخل التطبيع السياسي مع الكيان الصهيوني، التي أعلن فيها نهاية الحرب بين مصر و«إسرائيل» بموجب هذه الاتفاقية، وفتحت هذه المعاهدة باباً واسعاً (بحجم مصر) للدخول منه إلى العقل العربي وخارطته الجغرافية والثقافية.

ظل العرب (أنظمة وشعوباً) في حالة رفض تام لهذه الاتفاقية، وظلوا رافضين لعقد أي اتفاقات مع الكيان الصهيوني، بل والقطيعة العربية المصرية، حتى عام 1993م (أي بعد ما يقرب من 17 عاماً)، ثم انتقلت الاتفاقات السياسية نقلة نوعية خطيرة، تمثلت في اتفاقية «أوسلو»، وهو أول اتفاق وقعه الفلسطينيون بقيادة الرئيس الراحل ياسر عرفات و«الإسرائيليين» بقيادة رئيس وزرائهم «إسحاق رابين»، في سبتمبر 1993م، بواشنطن، ثم دخل الطرفان (الفلسطيني والصهيوني) في عدة اتفاقات، منها: اتفاق غزة- أريحا عام 1994م، الذي نتج عنه إجلاء هذا الكيان من غزة بعد شعوره بخطورة المقاومة على وجوده، ثم كان اتفاق طابا عام 1995م (امتداداً لاتفاق أوسلو)، الذي قسم مناطق للسلطة الفلسطينية الجديدة في مناطق الحكم الذاتي (المحدود)، وكان وجود السلطة الفلسطينية الناتجة عن اتفاق أوسلو.

ثم كانت اتفاقية نوعية أخرى شبيهة باتفاقية «كامب ديفيد» المصرية، ويمكن وصفها عربياً بكامب ديفيد الثانية، وهي اتفاقية «وادي عربة» عام 1994م بين الأردن



معاهدة السلام المصرية تعد أول مداخل التطبيع السياسي مع الكيان الصهيوني التي أعلن فيها نهاية الحرب بين الطرفين

والكيان الصهيوني، وهي اتفاقية ذات جوانب متعددة سياسية ودبلوماسية واقتصادية وجغرافية، وكان أخطر بنودها ما تتضمن تطبيعاً كاملاً، يشمل على سبيل المثال: «فتح سفارة إسرائيلية وأردنية في البلدين، إعطاء تأشيرات زيارة للسياح، فتح خطوط جوية، عدم استخدام دعاية عدائية في حق الدولة الأخرى».

التربية من أجل السلام لصالح الكيان الصهيوني:

من مسارات حرث العقل العربي لصالح الصهيونية المبادرات التربوية والتعليمية الصادرة عن الأمم المتحدة واليونسكو، ومن هذه المبادرات مبادرة «التربية من أجل السلام» التي هدفت في نسختها الوثائقية الدولية إلى تغيير المفاهيم والقيم التي تؤسس للعنف والصراع والنزاع من خلال نظام التربية والتعلم، والإسهام في بناء مفاهيم وقيم مقابلة لهذه المفاهيم والقيم المؤسسة لحالات العنف والصراع والنزاع، وهذا ما جاء في الميثاق التأسيسي لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم من خلال النص التالي الذي يلخص المبنى الأساس لفلسفة هذه المبادرة، وهو: «لما كانت الحروب تتولد في عقول البشر، ففي عقولهم يجب أن تبنى حصون السلام»[1].

وفي ضوء ذلك، يعد مجال تحليل ومراجعة الكتب المدرسية واحداً من أهم مجالات عمل مبادرة «التربية من أجل السلام» في ميدان التعليم، وتقوم تلك الطريقة على إعادة تصميم تلك الكتب والمقررات لتكون ضمن أدوات تعليمية لتحقيق التفاهم الدولي؛ وذلك لأن الكتب المدرسية «تنقل فهماً عالمياً لتاريخ مجتمع ما، ولقواعده وعاداته المتعلقة بالعيش مع الآخرين»[2].

ويركز هذا المجال على الكتب المدرسية في مجالات التاريخ والجغرافيا والتربية الوطنية؛ لأن هذه الكتب تشكل تصورات النظر إلى الذات وإلى الآخر، وتحدد قواعد التعامل الدولي بين الثقافات وبين المجتمعات المتعددة والمختلفة جغرافياً وتاريخياً وثقافياً.

من أهم النتائج التي خَلُصَ إليها مشروع «مراجعة الكتب المدرسية» -وهو المشروع الأبرز في المبادرة الأوروبية/ العربية- تزايد أوجه التقارب في مضامين الكتب المدرسية، ومع ذلك ما زالت الأفكار النمطية وطبيعتها الازدواجية لا سيما ما يتعلق بفترات الاستعمار والتاريخ الحديث والمعاصر.

إلا أنه يمكن التوقف عند النتيجة المتعلقة بمكانة «الدين»؛ حيث أظهرت نتائج التقرير الخاص بهذه المراجعة للكتب الدراسية في أوروبا والعالم العربي، أن «الدين يظهر في المجتمعات العربية الإسلامية وكأنه عقبة أمام تطبيق الديمقراطية، واعتماد المساواة بين الرجل والمرأة، واحترام حقوق الأقليات الدينية، وحرية الإبداع الفني أو الابتكار العلمي»، حتى يصل التقرير إلى خلاصة مفادها -بشأن نتائج الفكرة الدينية في المجتمعات العربية- «.. فتبدو المجتمعات العربية الإسلامية ضمناً في صورة مجتمعات متجانسة تتسم بالجمود ولا تشجع حدوث تطورات مجتمعية»[3].

والواقع أن مبادرة «التعليم من أجل السلام» تتجه في العالم العربي نحو تأكيد التطبيع مع الكيان الصهيوني، وتعمل في هذا الصدد على إزاحة فكرة «المقاومة» التي تصفها بـ«العنف»، ومن ثم يخلو قاموسها التربوي من فكرة استرداد الحقوق العربية التي اغتصبها الكيان الصهيوني، وتطرح بدلاً منها قيم: التفاوض، والصلح، والوساطة.. وهي كلها تزاحم بما لا شك فيه فكرة المقاومة[4].

وتعتبر هذه المبادرة -في مسار التطبيع الذي يعارضه العقل الجمعي العربي- أنه «من الضروري تحقيق التفاهم والاحترام المتبادل بين «الإسرائيليين» والفلسطينيين، وأن هناك حاجة للتعليم من أجل الاحترام المتبادل بين



مبادرة «التعليم من أجل السلام» تتجه في العالم العربي نحو تأكيد التطبيع مع الكيان الصهيوني وإزاحة فكرة «المقاومة»

الثقافات، والتفاهم والمصالحة بين اليهود والفلسطينيين»[5].

يتناقض هذا الطرح الذي تقدمه مبادرة التربية من أجل السلام مع طرحها القيمي الذي يؤكد دائماً قيم العدل والإنصاف والحقوق باعتبارها قيماً أساسية لتحقيق تربية السلام، والعدل والإنصاف يقتضيان رد الحقوق، وليس التصالح أو التفاوض عليها، فهذا مما يخالف القوانين الدولية والأعراف الإنسانية والتجارب التاريخية للبشرية.

إزاحة مفهوم المقاومة.. والإرهاب مرادفاً:

ظلت المحاولات الحثيثة من أجل تجريف العقل العربي من فكرة المقاومة وما تحمله من قيم الحرية والاستقلال، وطرد المستعمر الغاصب لفلسطين المحتلة، بينما ظلت المقاومة في الواقع العملي ترسخ ذلك المفهوم، رغم إمكاناتها الأقل من حيث العدد؛ وهو ما جعل فكرة المقاومة مستمرة في نفوس الأجيال العربية، وهنا لجأ النظام العالمي إلى محاولة إزاحة فكرة المقاومة عن طريق طرح مفهوم «الإرهاب» مرادفاً لها، وأصبحت عمليات المقاومة ضد المستعمر الصهيوني توصف من قبله بالإرهابية، ليس ذلك فقط، بل تعاضد كثير من أنظمة الحكم العربية في التأطير لهذا الاستبدال، وتلك الإزاحة، وأعلنوا في

أكبر المنابر الدولية أحقية الكيان الصهيوني في الدفاع عن نفسه، وتبنت أجهزة أنظمة إعلامية عربية عديدة وصف حركات المقاومة للكيان الصهيوني بالإرهاب، ما حدا بالمؤتمر الشعبي لفلسطينيي الخارج إلى التنديد في بيانات متعددة بتلك الممارسات، ووصفها بأنها «تتضمن إساءة بالغة إلى مقاومة الشعب الفلسطيني والنيل منها حينما تصف مقاومته بالإرهاب»[6].

وإرضاء للكيان الصهيوني، أسس عدد من الأنظمة السياسية العربية مراكز كبرى ادعت أنها مقاومة للإرهاب والتطرف، وهي تستهدف -بما لا يدع مجالاً للشك- أفكار المقاومة، مقاومة المحتل الصهيوني، واقعاً، وفكرة في العقل العربي.

التسلل الاقتصادي:

أحد أهم المداخل للتطبيع الصهيوني مع الأنظمة العربية هو المدخل الاقتصادي، الذي يمارس فيه الكيان الصهيوني طريقة التسلل، أو بمعنى أدق كانت تلك البداية؛ لأن المستهلك العربي في عمومه يرفض الاسم «الإسرائيلي» جملة وتفصيلاً في أي شكل من أشكال التواصل، لذلك لجأ الكيان الصهيوني إما إلى اتفاقات سرية مع بعض الأنظمة العربية، أو بدعوة الأنظمة العربية إلى فتح مكاتب تجارية فيه بلادها، أو جاءت متسللة عبر الوسيط الأمريكي.

ففي عام 1992م افتتحت تونس ممثلية تجارية لها في القدس المحتلة، وفي عام 1995م استوردت منتجات «إسرائيلية» بنحو 46 مليون دولار، ولدولة الاحتلال ممثلية تجارية في سلطنة عُمان، تصدر إليها منتجات المطاط، والبلاستيك، والمنتجات الورقية، والمعدات الميكانيكية، والمنتجات الكيماوية، كما يوجد في المغرب مكتب اتصال افتتح عام 1994م، فيما تأتي واردات الكيان الصهيوني إلى المغرب عبر جزيرتي سبتة ومليلية المحتلتين من قبل إسبانيا، بعد توقيع الاتحاد الأوروبي اتفاق التجارة الحرة مع «إسرائيل» عام 1995م، الذي يتضمن مادة خاصة بالجزيرتين.

كما يذكر أن الكيان الصهيوني وقع مع العراق اتفاقاً، في 21 يوليو 2003م، بترخيص عام للتجارة يسمح بإقامة أنواع العلاقات التجارية كافة مع العراق، وصرح «جون تيلور»، مساعد وزير المالية الأمريكي، لصحيفة «يديعوت أحرونوت»، في يونيو 2003م، بقوله: «إن العراق مفتوح أمام الشركات «الإسرائيلية»، وأنا أدعوها للمشاركة في إعادة الإعمار»، ولعل ذلك يفسر التواجد «الإسرائيلي» أين يوجد عسكري أمريكي، وهذا يعني أيضاً حجم الشراكة بين «إسرائيل» وأمريكا في احتلال العراق[7].

وبالنسبة إلى الأردن ومصر، فكان شكل التواصل «الإسرائيلي» عبر اتفاقية «الكويز»، التي طرحتها الولايات المتحدة كمقدمة لدخول «إسرائيل» في مختلف الاتفاقات الاقتصادية التي تبرمها الولايات المتحدة مع الدول العربية، وتأخذ الصادرات «الإسرائيلية» للدول العربية ثلاثة أشكال؛ أولها المعدات الزراعية، مثل معدات الري ولقاحات التطعيم الحيوانية، والمعلومات التكنولوجية ومكوناتها، بالإضافة إلى البذور الزراعية المعالجة وراثياً.



من مظاهر الرفض الشعبي للتطبيع اقتحام سفارة الاحتلال بمصر في سبتمبر 2011م

مواجهة حركات التغيير (الثورات المضادة):

عندما وقعت أحداث «الربيع العربي» (وحقيقتها الهبات الداخلية على الأنظمة المستبدة التي تقيم كل هذه العلائق مع الكيان الصهيوني)، رفعت الجماهير العربية شعاراتها ضد الكيان الصهيوني، وتأييداً لتحرير فلسطين وحقها في الاستقلال الكامل، كما أرسلت الشعوب العربية رسائل متعددة إلى الكيان الصهيوني تفيد غضبها ورفضها التام لوجوده في العالم العربي، ووعياً بأن الحالة العربية المتردية لمجتمعاتنا العربية إنما في كثير منها يرجع إلى وجود هذا الكيان الصهيوني الذي ارتبطت به الأنظمة المستبدة الجاثمة على الشعوب العربية، ومن مظاهر هذا الرفض اقتحام السفارة «الإسرائيلية» في مصر والعبث بمحتوياتها في سبتمبر 2011م.

لذلك ساند الكيان الصهيوني الأنظمة العربية في ثوراتها المضادة للشعوب ولرغبتها في الحرية.

إن الأمل ما يزال منعقداً على «عقل التدافع» لكل محاولات الحرث والتهيئة للغرس الصهيوني، التي لم تتجح حتى الآن، في قطف أي ثمار على المستوى الشعبي.■

الهوامش

(1) انظر: منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة: إعادة التفكير في التربية والتعليم نحو صالح مشترك عالمي.

(2) انظر: دليل اليونسكو للبحوث المتعلقة بالكتب المدرسية، 2016 منظمة الأمم المتحدة.

(3) المرجع السابق، ص 27.

(4) ومن الأنشطة التي قامت بها في هذا الصدد: لقاء ترقية مبادرة التعليم 2005 عمَّان/ الأردن، سيمنار التربويين العرب (بذور السلام)، واشنطن 2005، المؤتمر الدولي عن التربية المدنية عمَّان/ الأردن، مشروع تدريب المواطنة لبنان مارس 2004، برامج التربية المدنية العربية (تنفيذ مشروع المواطنة بين مصر، الأردن، والضفة الغربية 2004)، مشروع تدريب المواطنة- القاهرة 2004، وغيرها من البرامج التي استهدفت دول الجوار للكيان الصهيوني.

(5) سوى هين توه: «بناء السلام والتعليم من أجل السلام خبرات محلية وتأملات عالمية»، ترجمة أحمد عطية، مجلة مستقبليات، عدد (121)، مرجع سابق، ص 115.

(6) قدس برس 2017/6/13.

(7) انظر: https://www.marefa.org/ العلاقات التجارية الإسرائيلية العربية.

أمين عام المبادرة الوطنية الفلسطينية د. مصطفى البرغوثي لـ«المجتمع»:

«التطبيع» خيانة للقضية الفلسطينية ولا يجوز استغلال «البعبع» الإيراني لتمريره

في ظل دعوات «التطبيع» من بعض المطبعين العرب، وما تم عرضه من مسلسلات تشيد بكيان الاحتلال وتنال من الفلسطينيين وقضيتهم، وفي ظل تباهي رئيس وزراء الاحتلال «بنيامين نتنياهو» بأنه زاد من دائرة التطبيع مع الدول العربية، تلتقي «المجتمع» د. مصطفى البرغوثي، أمين عام المبادرة الوطنية، والنائب في المجلس التشريعي، لتسليط الضوء على ظاهرة «التطبيع» التي بدت تظهر على السطح بدعم من أوساط خفية.

رام الله- مصطفى صبري:

أكد البرغوثي أن «التطبيع» مرفوض جملة وتفصيلاً، وهو على حساب قضية الشعب الفلسطيني، فـ «إسرائيل» كيان احتلال قائم ويطبق نظاماً عنصرياً قائماً على التطهير العرقي ونظام «أبرتهايد» والمعازل والكانتونات، فالفلسطيني الوحيد في العالم هو الذي يعيش نظام المعازل والاحتلال، والتطبيع مع هذه الدولة (المزعومة) استجابة لمواقفها العنصرية، وتأييد خطير لدولة ليست لها حدود، وتعتبر حدودها ما بين العراق ومصر!

وأضاف: الذين يسعون للتطبيع من العرب في ظل «صفقة القرن» والعار وموقف الإدارة الأمريكية من مدينة القدس المحتلة والاعتراف بها عاصمة لدولة الاحتلال، وضم الجولان السوري المحتل، والاستعداد لضم الأغوار والمستوطنات بعد تشكيل الحكومة «الإسرائيلية»؛ هم شركاء في الجريمة والمؤامرة والمخططات التي تهدف إلى ضياع فلسطين ومقدساتها للأبد.

وأشار البرغوثي إلى أن الشعب الفلسطيني يناضل منذ قرن، وتتوالى النكسات والنكبات والجدار العنصري وصفقة العار، وهو واقف شامخاً أمام هذه التحديات دون رفع الراية البيضاء، ولكن أن تأتي الطعنة من أبناء الجلدة في محاولات تطبيع تلمّع صورة الاحتلال، وتظهر الفلسطيني وكأنه هو القاتل، وتظهر الجلاد والمغتصب والقاتل هو الضحية والحمل الوديع؛ فالمسلسل الأخير الذي تم بثه اعتبر الفلسطيني هو المحتل، والصهيوني هو الضحية، ويجب إنصافه وإقامة دولته على أرض فلسطين التي تم تسميتها زوراً وبهتاناً «إسرائيل»!



موقف الكويت أميراً وحكومة وشعباً من التطبيع أخلاقي ومتفرد عن باقي الدول العربية

وأكد البرغوثي أن محاولات التطبيع من بعض الموتورين لن تُخرج حالة الإجماع عند الشعوب العربية من دائرة محاربة التطبيع، فما نشاهده في المقابلات التي تشر كيف يرتعد العربي اعتراضاً واستنكاراً عندما يعلم أنه يتعامل مع «إسرائيلي» في مقالب الكاميرا الخفية، فالشعور الذي يسكن كل عربي ومسلم رفض التطبيع، وحتى الحكومات التي تعقد اتفاقيات سلام مع الاحتلال لم تطبّع مع «الإسرائيليين»، وبقي الاحتلال منبوذاً وغير مقبول من قبل الشعوب.

وشدد البرغوثي قائلاً: نحن نعلم أن الموقف الرسمي العربي ضد التطبيع، ولكن هناك علاقات تحت الطاولة، وظهر هذا في زيارات ميدانية لقادة الاحتلال لبعض الدول العربية، والإشادة بهذه الزيارات من قبل الأحزاب المتطرفة في حكومة وكنيست الاحتلال.

وعن دولة الكويت وموقفها، قال: إن دولة الكويت انفردت؛ أميراً وحكومة وشعباً، عن الدول العربية في موقف متميز وطني وأخلاقي ومتقدم في مقاطعة الاحتلال، بل كان لها من خلال الشجاع مرزوق الغانم، رئيس مجلس الأمة الكويتي، قدوة رائعة في قضية التطبيع وتوجيه صفعة قوية للاحتلال أستطيع وصفها بالصفعة التي أعادت للموقف العربي والإسلامي هيبته، حتى إن الاحتلال جُن جنونه من هذا الموقف، واعتبر الغانم من ألدّ أعدائه.

وأردف قائلاً: المطلوب في هذه المرحلة تقوية صف المقاطعة فلسطينياً وعربياً وإسلامياً ودولياً؛ فهذا يزيد من المناعة الوطنية، ويجعل الكيان الصهيوني دولة دخيلة في المنطقة ومقومات وجودها معدومة.

وعن قضية إفشال التطبيع قال البرغوثي: يمكن إفشال التطبيع من خلال حشد الطاقات من كافة القوى الداخلية والإقليمية والعالمية، وعدم الرضوخ لـ «البعبع» الإيراني الذي يحاول فيه الاحتلال زيادة التطبيع من خلال إحضاره للمشهد، فهذه دعاية رخيصة لتخويف العرب وإجبارهم بطريقة خبيثة لقبوله؛ بسبب خطر خارجي وهو الخطر الإيراني، والشعوب جاهزة لعدم التطبيع، وتبقى الحكومات التي ما زالت تمارس التطبيع سراً ومنها علناً.

وطالب البرغوثي بضرورة وجود إعلام هادف يقوم بدور التوعية وتحصين الشعوب من تطبيع قادم مع كيان عنصري يقتل الفلسطيني بيد، ويمد اليد الأخرى على أنها يد سلام.■

لا للتطبيع

فاطمة عبدالرؤوف
كاتبة متخصصة بقضايا المرأة والمجتمع

إذا كانت الظروف السياسية والأمنية المعقدة حالت دون الأمة والجهاد لتحرير فلسطين وتحرير الأقصى الأسير، فإنه لا عذر للأمة في التكاسل والتهاون بجعل القضية الفلسطينية مشتعلة في القلوب والعقول ومركزية في التفكير والتقييم.

وقد مرت الأمة بسوابق تاريخية مشابهة من حيث الأحوال السياسية المضطربة والهشة، بينما حافظت البنى الثقافية على روح الحضارة الإسلامية مضيئة ومتوهجة لكتابة فصل جديد من تاريخ هذه الأمة.



دور الأسرة في مقاومة «التطبيع»

لعل البنية الداخلية لمؤسسة الأسرة تحديداً هي الأكثر قدرة على القيام بالمحافظة على روح الحضارة الإسلامية حتى في أسوأ وأحلك مراحل التدهور والتراجع الحضاري؛ لأنها المؤسسة الأكثر حرية وقدرة على اتخاذ القرار دون الخضوع القسري لمنظومة القيم السائدة أو للظروف السياسية المتدهورة، وعلى الرغم من أن هناك كثيراً من الضغوط التي تتعرض لها الأسرة سواء على المستوى الثقافي، أو باعتبارها جزءاً من المجتمع ككل، فإن الأسرة الواعية تستطيع تجاوز هذه الضغوطات، بل والانتصار عليها، والفوز في معركة صناعة الوعي لدى الجيل الناشئ الجديد، وهذه المعركة يمكننا أن نطلق عليها «معركة الجهاد السلمي»، تلك التي تدور في عقل وقلب الجيل الناشئ الذي يعول عليه في رسم ملامح جديدة لمستقبل أمتنا.

يمكننا إذن القول: إنه لا عذر لأي أب أو أمٍّ أو أي مربٍّ في خوض معركة الجهاد السلمي هذه لإبقاء قضية فلسطين والأقصى حية وحارة ومركزية في وعي الأولاد، وهذا الهدف يعني بما لا يدع مجالاً للشك إلقاء مسألة التطبيع في سلة المهملات، أو على أقل تقدير يمكن أن يمثل حائط صد بالغ القوة في مواجهته ومقاومته.

على أنه ينبغي التنويه أنه ما لم تكن العلاقة داخل الأسرة سوية وصحية، بل ودافئة أيضاً، فإن الرسالة لن تصل؛ لأنها ستجد قلوباً مغلقة لن تتقبلها؛ لأنها وضعت المرسل في قائمة الحظر، ومن ثم فالعمل من أجل تنقية الأجواء الأسرية والحفاظ على حيويتها خطوة أساسية ومحورية لتمكين الأسرة للقيام بدورها الجهادي في نصرة القضية الفلسطينية ومقاومة التطبيع.

تنقية الأجواء الأسرية خطوة محورية لقيام الأسرة بدورها الجهادي بنصرة القضية الفلسطينية ومقاومة التطبيع

المنهج التربوي لمقاومة التطبيع يقوم على استلهام دروس التاريخ والثقة بوعد الله في نصر المؤمنين

منهج تربوي: تمثل الأسرة الحاضنة التربوية الأولى التي تشكل البنية العميقة للشخصية، والهدف الرئيس الذي ينبغي وضعه نصب أعيننا هو ربط الطفل بتلك الأرض المقدسة، وغرس حبها في قلبه، واعتقاده الكامل أن هذه أرض عربية إسلامية، وأن هذا الاحتلال هو أمر عابر قد تكرر عبر التاريخ، وأن هذا الاحتلال ليست له حقوق مشروعة في هذه الأرض؛ لا حقوق تاريخية ولا دينية، وأن من لوازم الإيمان أن نحب إخواننا في هذه الأرض المقدسة، وأن نكره الغاصبين المحتلين.

هذه هي الأفكار الأساسية التي نريد غرسها في وعي أولادنا بهدوء وصبر؛ فالمنهج التربوي يعني توصيل الرسالة بطريقة صحيحة وإيجابية، أما ما يقوم به بعض الآباء والمربين من الضغط على الأطفال نفسياً، وتفريغ مشاعر الحزن والخذلان التي يعانون منها على هؤلاء الأطفال، وإغراقهم بمشاعر الأسى على فلسطين التي ضاعت والحلم الذي ذهب أدراج الرياح، والصهاينة الرابحين دائماً الأقوياء حتماً بالغي الذكاء شديدي السيطرة الذين يذيقون إخواننا صنوف العذاب والامتهان، ونحن عاجزون عن نصرتهم، وتعريضهم للصور الصادمة ونشرات الأخبار المحبطة؛ فهو أمر يؤدي

لنتيجة عكسية تماماً؛ فإما أن ينشأ الطفل محبطاً يائساً عاجزاً عن التفكير والتغيير، وإما أن يتجاهل القضية كلية حتى يستطيع العيش، وإما أن يعاني نفسياً على مستوى اللاوعي فيعجب خفية بالقوي، ويحتقر الضعيف المهزوم، ويقع في فخ الاستلاب الحضاري الكامل.

المقصود إذن بالمنهج التربوي هو المنهج الإيجابي الذي يقوم على محورين أساسيين:

1 - استلهام دروس التاريخ وما فيه من عبر وسُنن بدءاً من سُنة التداول، مع الاهتمام وتسليط الضوء على النماذج الإيجابية المشرقة التي ارتبطت بفلسطين كعمر بن الخطاب، ونور الدين زنكي، وصلاح الدين الأيوبي، بحيث تمثل هذه النماذج الواقعية الناجحة نموذجاً يحتذى به ويعزز شعوره بالثقة والقدرة على فعل التغيير.

2 - الإيمان والثقة بوعد الله في نصر المؤمنين، وأن علينا أن نحقق الإيمان في داخلنا حتى نستحق هذا النصر، ويرتبط بذلك حسن الخلق والالتزام في العبادة وبذل الجهد في الدراسة حتى نأخذ بسنن الله الكونية للنصر.

أفكار للمقاومة

عندما نشرع في وضع خطة تربوية لنصرة القضية الفلسطينية ومقاومة التطبيع في عقول أولادنا وقلوبهم؛ فمن الأهمية بمكان مراعاة المرحلة العمرية التي يمر بها الطفل وما يناسبها من أفكار ووسائل، منها:

- الأولاد في مرحلة الطفولة المبكرة والمتوسطة يحبون الحكي والقص والسرد؛ لذلك فمن الأفضل نقل المعلومات والمعارف على شكل قصة مشوقة تخاطب مشاعره وعواطفه، ثم تستقر في عقله، وهناك قصص مصورة مطبوعة على مستوى عال يمكن الاستعانة بها، كما توجد أفلام رسوم متحركة يمكن استخدامها كوسيط لجذب انتباه الطفل.

- الأولاد في مرحلة الطفولة المتأخرة والمراهقة يمكن طرح القضايا عليهم للمناقشة والبحث بطريقة مباشرة، والاستعانة بكتب معرفية مبسطة مناسبة لهم.

- هناك ألعاب إلكترونية لنصرة قضية فلسطين والأقصى، وأهمية الألعاب للأولاد في هذا العصر لا تخفى على أحد؛ مثل لعبة «حارس الأقصى»، ولعبة «تحرير فلسطين».

- لا ينبغي التهاون أو التساهل معهم في استخدام بعض الكلمات والمصطلحات، وأهمها لفظة «إسرائيل»، فهو اسم لنبي الله يعقوب وليس اسماً لدولة ولا أرض، فإما أن يستخدموا لفظ الكيان الصهيوني أو العدو الصهيوني، فيتعلم الأولاد من ذلك رفض هذا العدو وعدم منحه أي شرعية، وإذا كان المنع يطال اسم العدو الذي أطلقه على نفسه، فكل ما جاء تحت هذا العنوان باطل.

- استثمار أوقات الحوار العائلي العفوي في تعميق الوعي بالقضية ومقاومة تيار التطبيع؛ فمثلاً يمكن استثمار جائحة «كورونا» وما أحدثته من تغييرات على كافة مناشط الحياة بطريقة لم تكن متصورة من قبل في تعميق فكرة إمكانية التغيير، وأنه لم تحن بعد نهاية التاريخ، وأيضاً طلاقة قدرة الله عز وجل، وأن هذا هو منطق الواقع الصحيح لا ما يدعيه أصحاب المنهج الواقعي الانهزامي.

- الرد على الشبهات التي تثار حول القضية الفلسطينية التي يستخدمها أصحاب المنهج الانهزامي دعاة التطبيع بصورة استباقية من قبل أن يسمعها الأولاد منهم؛ كشبهة أن الفلسطينيين باعوا أرضهم مثلاً.

- لا ينبغي تجاهل ما يشاهده الأولاد من أعمال درامية خاصة، وقد شهد رمضان هذا العام عملين دراميين أقل ما يقال عنهما: إنهما يروجان للتطبيع مع العدو؛ أحدهما يصور مدى الطيبة وحسن الخلق الذي يتمتع به اليهود، بينما يروج الثاني لحقد الفلسطينيين وعدم تقديرهم للمعروف، وأنه لا بأس من التجارة مع العدو والبحث عن مصلحتنا؛ فخطورة الأعمال الدرامية أنها قوالب تخترق قلب المشاهد المتلقي وعواطفه، خاصة إذا كان طفلاً أو مراهقاً؛ بحيث يتم تحييد وعيه أثناء المشاهدة ويميل للتعاطف مع أبطال العمل الدرامي خاصة إذا كانوا من ذوي الوجوه المقبولة، كما حدث في هذين العملين؛ لذلك ينبغي قطع الطريق على مثل هذه الأعمال الدرامية ومقاطعتها، وفضح ما جاء فيها والتنديد به؛ لئلا يستقر في اللاوعي عند الأطفال، ولعل تجمع الأسرة لمشاهدة فيلم تسجيلي يدافع عن القضية أو يبرز أحد فصولها، أو حتى مشاهدة عمل درامي راق يصب لصالح القضية، بديل مناسب لإشباع رغبة الأولاد لمثل هذه النوعية من الأعمال الفنية.

- وتبقى مقاطعة بضائع العدو ومنتجاته سلاحاً اقتصادياً بالغ الأهمية لا ينبغي للأسرة أن تفرط به؛ فعلى عاتق الأسرة تقع مسؤولية المقاطعة الاقتصادية، وينبغي أن نوضح للأولاد لماذا نقاطع هذا المنتج سواء كان صناعة صهيونية أو من شركة داعمة للمشروع الصهيوني، وهناك قوائم موجودة لمثل هذه البضائع، وهي فرصة متجددة لطرح موقفنا من قضية التطبيع وتطبيق عملي للطرح النظري الذي غرسناه فيهم.

مسؤولية الأسرة في هذه المعركة بالغة الضخامة؛ لذلك لا ينبغي أن يتسرب إليها الملل من كثرة الضغوط التي تدعو للتطبيع، أو بسبب أنه لا تبدو في الأفق الراهن إرهاصات لنصرة القضية، ولكن الإيمان بأن الله يحاسب كل فرد في حدود ما يستطيعه وما يمتلكه من أدوات وقدرة على التأثير، وأن الله سبحانه وتعالى من بيده تغيير موازين القوى، وأننا فقط مطالبون بالسعي بجد، يكفي أن يبدد مشاعر الإحباط الذي قد يتسلل إلى قلوبنا.

ولتكن إبقاء شعلة القضية الفلسطينية متوهجة حية في قلوب وعقول الجيل الناشئ، وقضية مقاومة التطبيع بكل صوره ودرجاته على رأس الأولويات التربوية للأسرة المسلمة، فهي جهاد الوقت في اللحظة الراهنة.■

لا ينبغي التهاون مع الأولاد في استخدام بعض المصطلحات التطبيعية مثل لفظة «إسرائيل»

الأعمال الدرامية قوالب تخترق قلب المشاهد المتلقي خاصة إذا كان طفلاً أو مراهقاً

مقاطعة بضائع العدو تبقى سلاحاً اقتصادياً بالغ الأهمية لا ينبغي للأسرة أن تفرط به

للتطبيع

فخاخ «التطبيع» الثقافي..
المفهوم والاختراق والفنون

د. مصطفى جمعة

أكاديمي وناقد وخبير تربوي

شهد مصطلح «التطبيع» (Normalization) رواجاً في أعقاب اتفاقية «كامب ديفيد» بين مصر والكيان الصهيوني عام 1978م، حيث بدأ تردده في الفضاء السياسي والفكري والثقافي العربي؛ فقد كان التطبيع أحد المتطلبات، وأيضاً النواتج عن هذه الاتفاقية، ومن ثم بدأ خطواته بطيئة متقطعة، ثم تسارعت وتيرتها، على نحو ما نشهد في السنوات الأخيرة، ليس على المستوى السياسي فحسب، وإنما امتد ليشمل مختلف المجالات، من الاقتصاد إلى الثقافي والفني.



معلوم أن التطبيع في مفهومه المعتمَد لا يستلزم وجود اتفاقية بين الكيان الصهيوني والدولة المطبِّعة، بل إن ما تحت الطاولة أضعاف مضاعفة لما هو فوقها، ولذا فإن تعريف التطبيع في الأدبيات السياسية يشير إلى أنه «كل اتفاق رسمي أو غير رسمي أو تبادل تجاري أو ثقافي أو تعاون اقتصادي مع إسرائيليين رسميين أو غير رسميين»[1]، بما يفتح النقاش لدراسة مختلف أشكال التواصل مع الكيان الصهيوني، بغض النظر عن البرتوكولات الرسمية.

وتكمن إشكالية التطبيع فيما يترتب عنه، فالتواصل مع الصهاينة يعني اعترافاً وإقراراً بوجودهم الذي هو نبتة استعمارية، غُرست غرساً في قلب الأمة العربية والإسلامية، تحت دعاوى توراتية، تم إحياؤها بعد تاريخ سحيق يعود إلى أربعة آلاف عام، بشعارات تفترض أن فلسطين بلا شعب، وتُمنَح لشعب بلا أرض، والأدهى أن الأيديولوجية الصهيونية تستند إلى أسس دينية، توغلت في الضمير المسيحي الغربي، بل وتوحّدت مع اليمين الصهيوني في الولايات المتحدة، لتكون جزءاً من عقيدتهم المسيحية[2]، وهو ما يتضح بجلاء في الطابع الديني في خطب الرؤساء الأمريكيين المتعاقبين خلال العقود الأربعة الأخيرة، بدءاً من «ريجان»، وانتهاء بـ «ترمب».

وهنا تكون المفارقة، فالخطاب الصهيوني ديني في أسسه ومنطلقاته، ومع ذلك تتجاهل النخبة العربية المطبّعة هذا البعد، وتستبعده من رؤاها؛ لأنها علمانية التوجه، تنتهج في طروحاتها الفكرية مبدأ الأمر الواقع، لتعطي شرعية وجود لهذا الكيان المغتصب، بل وتريد أن تنزع الخطاب الإسلامي عن جوهر الصراع مع الصهاينة، وبعبارة أوجز: تجيز للصهاينة ما تحرّمه علينا.

القاموس التطبيعي

وتبدت الإشكالية أعمق في القاموس الذي روّجته النخب الفكرية العربية الملتصقة بالمشروع التطبيعي، على نحو ما يشير جلال أمين، فلفظة «السلام» تحورت في الدلالة والواقع لتصبح «التسليم بكل ما يطلبه الإسرائيليون والأمريكيون»، وأن «تحديات السلام» هي امتداد لتحديات الحرب مع الفارق؛ بل إن التعاون مع «إسرائيل» يعني تعاوناً مع كيان مسالم، بل هو طريق السلام والاعتدال ونيل المصداقية الدولية[3].

ويتعاظم التلاعب أكثر مع انمحاء مصطلح العالم العربي والإسلامي، وترويج مصطلح «الشرق الأوسط»، الذي هو جزء من أجندة «إسرائيلية» في خطابها الموجه إلى العالم العربي[4]، مما يعني نزع الهوية الإسلامية والعروبية عن عالمنا، مع الاعتراف بما يسمى يهودية الدولة، الذي يطلبه الكيان الصهيوني في «صفقة القرن»، التي تستهدف قيام شرق أوسط جديد، على الواقع القائم في الأراضي المحتلة، بدون أن تخسر «إسرائيل» شيئاً؛ فلا دولة للفلسطينيين، ولا حق للعودة، ولا إزالة للمستوطنات، مع إعادة تشكيل خارطة الشرق الأوسط لتكون «إسرائيل» هي القوة القائدة للمنطقة نظراً لتفوقها العلمي والتكنولوجي، وقدرتها على قيادة هذه الشعوب نحو رخاء دائم[5].

وهو ما يفسره عبدالوهاب المسيري بمصطلح «التطبيع المعرفي»، بإضفاء

صبغة طبيعية على ظاهرة (أو كيان) لها خصوصيتها وتفردها وشذوذها، لتبدو منتمية إلى نمط عام سائد، وهو ما سقط فيه المثقفون والمفكرون العرب المطبِّعون مع الصهاينة، حينما غالوا في التعميم باسم العلمنة والموضوعية، وإسقاط كل خصوصية عن الكيان الصهيوني، وجرائمه في حق فلسطين والأقصى والأمة.

وتبنّوا نفس المقولات التحليلية المستخدمة في دراسة النظم السياسية والعلاقات بين الدول، فرأوا أن الكيان الصهيوني دولة مثل أي دولة، ومن ثم يصبح الحديث عن تفوقها العسكري والاقتصادي مشروعاً؛ بغية الاستفادة منه، مع الإشادة بأن «إسرائيل» واحة للديمقراطية وحقوق الإنسان، متناسين حجم المأساة اليومية التي يعيشها الفلسطينيون من قصف واعتقال وتهجير وجدار عنصري فاصل، وأن «إسرائيل» هي كيان استعماري، معتمد على الدعم الغربي المطلق في كافة الوجوه، وأنها (إسرائيل) حتى اليوم بلا دستور مكتوب، ولا حدود سياسية ثابتة[6]، بل هي حدود متحركة، قابلة للتمدد بالاحتلال؛ لإقامة «إسرائيل الكبرى» من النيل إلى الفرات.

ووفقاً لمنهجية المسيري، فإن الكيان الصهيوني يقوم بدور وظيفي لخدمة مصالح الغرب الاستعماري، بأن يُبقي المنطقة العربية في حالة حروب وصراعات مستمرة، مما يسهل الهيمنة عليها، ونهب ثرواتها، مع تعهد الغرب بضمان أمن «إسرائيل» وتفوقها العسكري وحمايتها بشكل مطلق ودائم[7].

وقد تحقق الكثير للمشروع الصهيوني، ولكن العقبة الكأداء -التي كانت وما زالت وحتماً ستستمر- هي رفض الشعوب العربية والإسلامية للوجود الصهيوني، والنظر إليه على أنه كيان دخيل، فلا يمكن للمدافع والصواريخ أن تلغي قناعات المسلمين، فالقضية لها بُعدها العقدي المتمثل في رمزية القدس، ومكانة المسجد الأقصى؛ ولذا، كانت هناك مساعٍ إلى تغييب العقول العربية إن لم يكن غسلها، وهذا دور التطبيع الثقافي، بكل مفاهيمه وآلياته لاختراق الوعي الجمعي العربي.

احتلال العقل

لقد ارتكز التطبيع الثقافي على إستراتيجية «احتلال العقل» علمياً وفكرياً؛ بهدف الهيمنة على العقل العربي معرفياً، وترسيخ الوجود «الإسرائيلي» في وعي الأجيال الجديدة كحقيقة قائمة، وتقديمها كنموذج عالي المستوى في التقدم؛ ولذا كان أول الأعمال التي قام بها الكيان الصهيوني في أعقاب «كامب ديفيد» هو تأسيس «المركز الأكاديمي الإسرائيلي» في القاهرة عام 1982م، الذي أجرى بحوثاً وجمع معلومات عن طبيعة الشعب المصري وشرائحه ومكوناته وأبرز قضاياه ومشكلاته[8]، ليعرف كيف يمكن اختراق العمل الجمعي المصري، ومن ورائه العقول العربية، وكانت الفنون المرئية الوسيلة المثلى للاختراق، فما أكثر الرسائل الظاهرة والمبطنة التي يمكن دسُّها في ثنايا العمل المرئي، ولن ينتبه إليها المتلقي العربي العادي، بل ستستقر تدريجياً في وعيه، ما دام لم يجد من ينبهه إلى خطورتها من جهة، ولأنها ستتتابع عليه في أعمال فنية أخرى من جهة أخرى.

وقد جاءت الطروحات المحورية في جلّ الفنون المرئية المتصهينة بتقديم صورة اليهودي بشكل مطلق على أنه نموذج في الإبداع والرقي والتقدم، مع الدعوة إلى التعايش، وأن اليهود كانوا يوماً جزءاً من المجتمع العربي عندما عاشوا فيه.

وقد ظهر هذا مبكراً مع فيلم «المهاجر» للمخرج يوسف شاهين عام 1994م، الذي منعته الرقابة بمصر في أول أسابيع عرضه، قبل أن يعود للعرض بحكم قضائي، وكانت حجة المنع أن الفيلم يقدم تصوراً مختلفاً لقصة يوسف عليه السلام، من خلال شخصية «رام» الشاب الذي كان يعيش مع والده العجوز في قبيلة فقيرة على أطراف مصر في بادية الشام، فيقرر الهجرة إلى مصر لتعلم فنون الزراعة، ويصحبه إخوته السبعة في رحلته، ولكنهم يغدرون به، فيوثقونه بالحبال ويلقون به في مركب متجهة إلى مصر ظانين أنهم تخلصوا منه إلى الأبد، لكن «رام» يصل إلى مصر ويتعلم الزراعة، ويلتقي مع «أميهار» قائد الجيوش، وزوجته «سيمهيت» التي تهيم به حباً، إلا أنه يرفض العلاقة معها، وينسحب ليعيش في الأرض التي وهبه إياها «أميهار» عند حدود مصر لزراعتها، وهناك يقع في حب فتاة مصرية جميلة توافق على الزواج منه.

بالفعل تشابه الأحداث قصة يوسف عليه السلام، ولكنها تظل قصة متخيلة؛ بهدف إبراز صورة مشرقة لبني إسرائيل الذين يعيشون في منطقة طناي، التي هي فلسطين حالياً، وتظهرهم أنهم شعب متميز وإن كان بدوياً فقيراً، فـ «رام» شاب ذكي وسيم طموح ساعٍ إلى التعلم، في حين تظهر صورة المصريين في الفيلم يعانون من الجهل والتخلف والتعصب، وحاكمهم فرعون مهووس بالسلطة، وقائد الجيوش عاجز جنسياً، وزوجته شبقة للرجال، وقد ملّت من حياة المصريين، وكهنتهم، لذا سقطت في حب «رام»، وتطوق إلى الفرار معه، لتحيا حياة جديدة ومختلفة[9].

وتتابعت الأعمال الفنية التي تشيد بذكاء اليهود، وتقدمهم في صورة تستوجب التعاطف معهم، خاصة الجالية اليهودية التي عاشت في مصر، ففي مسرحية «سكة السلامة» عام 2000م، للكاتب سعد الدين وهبة، ومن إخراج محمد صبحي وبطولته، يتعطل الأوتوبيس بالركاب في الصحراء، وتدور حوارات مطولة بينهم؛ كاشفة عن طبيعة شخصياتهم ومهنهم، وينبري أحد الركاب، مشيداً بالطائفة اليهودية المصرية المخلصة، التي أقامت الشركات والمصانع، وتم طردهم ومصادرة أموالهم، وأن هناك يهوداً شرفاء ومخلصين كثيرين، ويرتبطون

رغم أن الخطاب الصهيوني ديني في منطلقاته فإن النخبة العربية المطبّعة تتجاهل هذا البعد وتستبعده

لفظة «السلام» تحورت في الدلالة والواقع لتصبح التسليم بكل ما يطلبه الصهاينة والأمريكيون

تحقَّق الكثير للمشروع الصهيوني لكن العقبة هي رفض الشعوب الإسلامية له واعتباره كياناً دخيلاً

بالحب لهذه الأرض.

ونفس الأمر يتكرر في مسرحية «لعبة الست» عام 2000م، للفنان محمد صبحي، وهي قصة فيلم قديم لنجيب الريحاني وقد حمل الاسم نفسه أيضاً، ويواصل فيها صبحي تقديم صورة راقية لليهودي، من خلال شخصية صاحب الشركة إيزاك عنبر التي تقدم بطل المسرحية حسن أبو طبق للعمل فيها؛ فيقبله إيزاك على الفور، فقد وجد فيه النزاهة ولأنه جاء بلا واسطة، ثم تتطور الأحداث، ويتفاجأ حسن بتنازل إيزاك له عن الشركة، بعدما قرر الهجرة من مصر، تقديراً لأمانة حسن وشهامته، صورة اليهودي هنا كانت مثالية، فهو رجل أعمال نشط وناجح وذكي ولمّاح يقدر العاملين المخلصين معه، ولا يعرف تفرقة ولا يخضع للضغوط أو الواسطة.

وفي المسلسل المصري «حارة اليهود» عام 2015م، نجد معزوفة مختلفة، حيث يصوّر حارة اليهود، التي يعيش فيها المسلمون والأقباط واليهود في تناغم وبلا أي تمييز، وإن شابته بعض المشكلات الحياتية، ولكن حرب عام 1948م تعكّر صفو هذه العلاقة، وتحولها إلى عداء، ويبدو التعايش كاملاً من خلال شخصية «ليلى» الفتاة اليهودية المثقفة والعاملة في محلات «شيكورل» (اليهودية)، وقد أحبت شخصية «علي» الضابط المصري المسلم الذي يحارب على الجبهة، وتتطور الأحداث، لتكون المحصلة إظهار اليهود بوصفهم جزءاً لا يتجزأ من الشعب المصري، وأن أحقاد السياسة سبب في تفريقهم.

مسلسل «أم هارون»

أما المسلسل الخليجي «أم هارون» عام 2020م، فقد حمل اسم الطبيبة اليهودية التي عاشت مع أسرتها في الكويت وعشقت هذه الأرض، خلال سنوات الأربعينيات من القرن العشرين، وعانت من الاضطهاد والتمييز ضدها بسبب نكبة فلسطين، وكانت تلك هي الصورة التي روّجتها «إسرائيل» لليهود العرب، لتحفزهم على الهجرة إليها، فالعرب متعصبون جهلاء، أما دولة «إسرائيل» فهي واحة للحرية والمساواة، دون أدنى إشارة إلى ما فعلوه من اضطهاد وطرد ومذابح ضد الفلسطينيين.

سينمائيون ضد التطبيع
FILMMAKERS AGAINST NORMALIZATION

الطروحات المحورية في جلّ الفنون المرئية المتصهينة تقدم صورة اليهودي على أنه نموذج في الإبداع والرقي

تتابعت أعمال فنية تشيد بذكاء اليهود وتقدمهم بصورة تستوجب التعاطف معهم خاصة الذين عاشوا بمصر

«أم هارون» أشار إلى «التطبيع» بوصفه أمراً عادياً لا ضرر منه شأنه شأن الحديث عن كرة القدم!

والأمر نفسه نجده في المسلسل الخليجي الكوميدي «مخرج 7» عام 2020م، الذي يتناول حياة عائلة موظف حكومي من الطبقة المتوسطة، يعاني من مشكلات الحياة اليومية، ويناقش التحولات التي شهدها المجتمع السعودي خلال السنوات الأخيرة وتأثيرها على العائلة وانشغالات المواطن.

وقد أشار المسلسل في ثناياه إلى التطبيع مع «إسرائيل» بوصفه أمراً عادياً لا ضرر منه، شأنه شأن الحديث عن الأفلام وكرة القدم، وأن المواطن البسيط ليس معنياً بأخذ موقف من الصراع في الشرق الأوسط، مثلما ورد في حوار بين فتاة وعامل توصيل الطلبات، كما تعرض في بعض المواقف الحوارية إلى أن الفلسطيني لا يقدِّر وقفة المملكة والعرب معه، ويسبهم ليل نهار أكثر من «الإسرائيليين»، وأن كل الحروب كانت من أجل الفلسطينيين، وعندما صار لهم سلطة، فهم يدفعون تكاليفها ورواتب موظفيها؛ وهو ما يعني إعادة النظر في الموقف من التعامل مع السلطة، والقضية الفلسطينية بأكملها، وأنها ليست قضية العرب المركزية. (جدير بالذكر أن قناة «إم بي سي» منتجة المسلسل، قررت الاكتفاء بعشرين حلقة، وعدم استكمال إنتاجه ولا عرضه؛ نظراً للجدل الذي تعرّضت له).

ونؤكد ختاماً أن مختلف الأنشطة والفعاليات والفنون التي روّجت للتطبيع لها وجهان؛ وجه سلبي يتمثل في محاولة إعادة تمركز الكيان الصهيوني واليهود في الوعي الجمعي العربي، ووجه إيجابي يتمثل في انتفاضة الوعي العربي الفردي والجمعي ضدها، ورفضه مختلف أشكال الترويج أو الترسيخ؛ فالقضية الفلسطينية ليست قضية احتلال أرض والسيطرة على شعب فقط، وإنما هي قضية عقدية في الأساس، فالمسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين، وإليه تُشَدُّ الرحال، ولا يمكن لأي مسلم أن يقبل أن يكون المسجد تحت هيمنة الصهاينة، بدعوى السلام والاستقرار، ولذا نرى أن كل محاولات التطبيع تنتج رفضاً عاماً، وتعيد تمركز القضية الفلسطينية في الأفئدة والألباب، على أمل أن يأتي يوم تتغير فيه موازين القوى، وتعود الأرض لأصحابها، وترفرف راية الإسلام على مآذن قدسها.■

الهوامش

(1) التطبيع مع اليهود، حسين عبيدات، بحث مقدم في المؤتمر العام العاشر للصحفيين العرب، القاهرة، 2004.

(2) انظر تفصيلاً: الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية، روجيه جارودي، ترجمة: محمد هشام، دار الشروق، ط4، 2002، ص70 وما بعدها.

(3) المثقفون العرب وإسرائيل، د. جلال أمين، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1998، ص179، 180.

(4) المرجع السابق، ص81.

(5) صفقة قاصرة أم سلام مراوغ، د. رضا شحاتة، مجلة شؤون عربية، جامعة الدول العربية، القاهرة، ع179، خريف 2019، ص7.

(6) موسوعة اليهود والصهيونية، عبد الوهاب المسيري، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1999، ج7، ص14.

(7) المرجع السابق، ص21.

(8) احتلال العقل: التطبيع، الحصار، صراع الغد، محمد الجزائري، دار الوراق للنشر، لندن، 1998، ص34، 35.

(9) «المثقفون العرب وإسرائيل»، ص191.



سياسيون سودانيون لـ«المجتمع»:

«التطبيع» سراب زائف.. وخطوة البرهان لا تمثلنا

الخرطوم- السماني عوض الله:

وُصف لقاء رئيس مجلس السيادة السوداني الفريق عبدالفتاح البرهان مع رئيس الوزراء الصهيوني «بنيامين نتنياهو»، بأوغندا، في 3 فبراير الماضي، بـ«المؤلم»، ولا يعبر عن موقف السودان الشعبي نحو «التطبيع» مع الكيان الصهيوني، ورغم تبريرات البرهان بأن اجتماعه مع «نتنياهو» استهدف حفظ وصيانة الأمن الوطني السوداني، وتحقيق المصالح العليا للشعب، فإن القوى السياسية صُدمت بهذه الخطوة، واعتبرتها استفزازية، باعتبار أن فترة البرهان انتقالية لا يحق له أخذ خطوات في مثل هذه المسائل.

تبدو الرسالة التي بعث بها الرئيس السابق للمكتب السياسي لحركة المقاومة الإسلامية الفلسطينية (حماس)، خالد مشعل، إلى النظام في السودان، أن التطبيع مع «إسرائيل» هو سراب زائف، هي تعبير يتفق مع موقف الكثير من الكيانات السياسية السودانية، إنْ لم تكن معظمها، خاصة عندما أكد مشعل أن الخرطوم في الذاكرة الفلسطينية لها مكانة عظيمة، فلا نريد أن تفجعونا بأي تنازلات.

من جانبه، قال رئيس الحزب الاتحادي الديمقراطي (الشرعية الثورية) الشريف صديق الهندي: إن ارتفاع أصوات داخلية بعملية التطبيع لا تعني بالضرورة إجماعاً وطنياً، واصفاً الخطوة التي قام بها البرهان بأنها سقطة وطنية غير مبررة، وأنه لا يملك الحق، وموقفه لا يشكل موقف السودان مطلقاً.

وأكد الهندي، في حديثه لـ «المجتمع»، أنه لا مساومة في القضية الفلسطينية، ولا تراجع عنها؛ لأن الأسس المنطقية لمقاومة الاحتلال الصهيوني لا تزال موجودة لا تتغير إلا بتغيير الوضع في الأراضي الفلسطينية، وأن العالم العربي لا يعطي الحق للفلسطينيين لأن القضية ليست حكراً على الفلسطينيين.

وأشار الشريف إلى أن القضية الفلسطينية ليست صراعاً دينياً، وإنما حق وتاريخ وفكر له قيمته، رافضاً أي مبدأ للتطبيع مع «إسرائيل» إلا بعد انسحابها من الأراضي الفلسطينية المحتلة.

قفزة في الظلام

هنالك ثلاثة عوامل تجعل من الصعب جداً قبول فكرة التطبيع مع الكيان الصهيوني، هذا ما يؤكده رئيس مبادرة التيار المهني الحر حسين الضو الحاج، في حديثه لـ «المجتمع»، الذي يشير إلى أن الموقف السوداني راسخ وثابت وليس شعاراً سياسياً.

ويؤكد الضو أن أول الاعتبارات الثلاثة هذه هو الموقف الديني العقدي للقضية الفلسطينية والمسجد الأقصى، وينظر إليها على أنها قضية دين؛ مما يرسخ الموقف تجاه عملية مقاومة التطبيع.

ويرى حسين أن الاعتبار الثاني هو الموقف السياسي المبدئي للحكومات في السودان أياً كانت مدنية أو عسكرية؛ حيث تنظر للقضية

الهندي: خطوة البرهان غير مبررة وموقفه لا يعبر عن السودان مطلقاً

الضو: البُعد الديني للقضية الفلسطينية يرسّخ رفض «التطبيع» بالإضافة للبُعدين السياسي والإنساني

ليس من باب المزايدة السياسية، بل باعتبارها واحدة من الخطوط الحمراء، مشيراً إلى مشاركة الجيش السوداني في الحروب العربية ضد «إسرائيل»، ومؤتمر «اللاءات» الثلاث في الخرطوم تعبير وموقف واضح لا يزال.

ويؤكد أن الاعتبار الثالث إنساني؛ لأن الشعب السوداني لن يتقبل الظلم والاضطهاد، خاصة في ظل الممارسات «الإسرائيلية» في الضفة الغربية، وأنه من الصعب تقبل الحالة اللاأخلاقية واللاإنسانية في فلسطين، مؤكداً أن هذه الاعتبارات الثلاثة تشكل حاجزاً نفسياً يصعب التغلب عليها.

وقال: إن الخطوة التي قام بها الفريق البرهان واللقاء بـ «نتنياهو» في كمبالا لم تجد حظها، رغم البشريات التي تم إطلاقها؛ مما أدخل البرهان في الحرج رغم عناده، وكانت خطوته عبارة عن قفزة في الظلام من أجل التطبيع.

التطبيع المشروط

هناك من يشترط عملية التطبيع مع «إسرائيل» من أجل أن تعيش منطقة الشرق الأوسط في سلام وتعايش؛ حيث يرى الأمين العام لتجمع جمعيات ومؤسسات المجتمع المدني في السودان المهندس نادر عبدالقادر إبراهيم أن التطبيع يجب أن يتم من أجل إيجاد حلول للقضية الفلسطينية، وإيقاف الاقتتال في الشرق الأوسط.

ويشير نادر، في حديثه لـ «المجتمع»، إلى موقف الرسول صلى الله عليه وسلم عندما وقع معاهدة مع يهود المدينة بعد هجرته إليها مباشرة مما يدل على فكرة التعايش.■

كتب- سعد النشوان:

تمثل الكويت حالة رائدة في رفضها التطبيع مع الكيان الصهيوني منذ تغلغل هذا الاحتلال في جسد الأمة؛ حيث أعلنت من البداية التزامها؛ رسمياً وشعبياً، بمقاطعة هذا الكيان في ظل الوضع العربي المتردي.



الكويت ضد «التطبيع».. حكومة وشعباً

تعود بداية حركة المقاطعة في الكويت إلى القانون (21) لسنة 1964م «الذي يحظر حيازة وتداول السلع الصهيونية بكل أنواعها»، وقد تم إقرار القانون من كل الوزراء والنواب الحاضرين بدون أي امتناع أو اعتراض، وفقاً لما جاء في المضبطة رقم (55)، في جلسة مجلس الأمة، بتاريخ 9 مايو 1964م.

بيد أن تاريخ المقاطعة الشعبية للكيان الصهيوني أقدم من هذا القانون، إذ إن المساهمة الشعبية في مقاطعة الكيان الصهيوني سبقت المؤسسات الرسمية في الكويت؛ ففي عام 1957م تأسس مكتب مقاطعة «إسرائيل»، وأدى التلاحم بين المؤسسات الحكومية والمنتخبة والشعب إلى بيئة مساندة لمقاطعة الكيان الصهيوني في دولة الكويت.

وجاء في كتاب «المجتمع المدني والحركة الوطنية في الكويت»، للدكتور فلاح المديرس، الصادر عن دار قرطاس للنشر عام 2000م، أن هناك العديد من اللجان التي شكلت للمقاطعة الشعبية للكيان المحتل، ومنها «لجنة كل مواطن خفير» التي شكلت بمبادرة من «النادي الثقافي القومي» ذي الصلة الوثيقة بالقوميين العرب في الكويت، إذ أدى النائب السابق أحمد الخطيب، أحد مؤسسي حركة القوميين العرب، دوراً بارزاً في تأسيس هذا النادي.

كما نجح رئيس مجلس الأمة الأسبق أحمد السعدون في طرد الكيان الصهيوني من الاتحاد الآسيوي لكرة القدم، حينما كان رئيساً للاتحاد عام 1976م، وقدم باسم الاتحاد مشروع قرار بطرد الكيان الصهيوني من الاتحاد الآسيوي لكرة القدم.

حالة استثنائية

ولم تغير الكويت نهجها المبدئي من التطبيع مع الكيان الصهيوني، على الرغم من أن هناك العديد من الدول العربية التي قامت بذلك، بل واستقبلت وفوداً رياضية وسياسية تابعة للكيان المحتل؛ ما جعل مؤسس حركة مقاطعة الاحتلال وفرض العقوبات عليها، عمر البرغوثي، يصف الكويت بالحالة الاستثنائية في هذه المقاطعة الرسمية والشعبية في ظل الوضع العربي المتباين.

وقد نفى نائب وزير الخارجية خالد الجارالله، في أكثر من موقف وتصريح سابق له، نفياً قاطعاً وجود أي خطوات كويتية للتطبيع، وأكد أن الموقف الكويتي واضح منذ أن أعلنه الأمير الراحل الشيخ جابر الأحمد رحمه الله، بأن الكويت ستكون آخر دولة تطبع، وبيَّن حينها أن الأصوات المنادية بالتطبيع مع الاحتلال فردية، ولا تمت بصلة إلى الموقف الرسمي.

وفي يونيو من العام الماضي، شدد الجارالله على أن رفض بلاده التطبيع مع الاحتلال من الثوابت الكويتية للتعامل مع القضية الفلسطينية، مؤكداً رفض التطبيع ما لم تتحقق استحقاقات أساسية تلبي مطالب الشعب الفلسطيني، ولفت إلى أن موقف الكويت ثابت في دعم السلطة والشعب الفلسطينيين لتحقيق مطالبهما الشرعية، مشيراً إلى أن «تلك القضية هي القضية المركزية الأولى للأمة العربية».

كما دعا مجلس الأمة الكويتي



حينها إلى مقاطعة أعمال مؤتمر المنامة التي دعت لها الولايات المتحدة كتمهيد لـ «صفقة القرن» ضمن خطتها للسلام لحل الصراع الفلسطيني مع الكيان الصهيوني.

كما رفض المجلس حينها كل ما أسفر عنه المؤتمر من نتائج من شأنها أن تساهم في تضييع الحقوق العربية والإسلامية التاريخية في فلسطين المحتلة، مؤكداً أن الكويت كانت تاريخياً مناصرة على الدوام للحقوق الثابتة والمشروعة للشعب الفلسطيني، مبينين أن التطبيع مع الكيان الصهيوني مناهض للثوابت والمواقف والتشريعات الكويتية.

موقف ثابت

كان الموقف الشعبي الكويتي الذي عبرت عنه النخب السياسية والتجمعات النقابية ومؤسسات المجتمع المدني المختلفة مراراً وتكراراً رافضاً رفضاً قاطعاً لأي محاولة للتطبيع مع الكيان الصهيوني.

وقد تجلى الموقف الرسمي والشعبي الكويتي في العديد من الفعاليات التي قالت بكل بوضوح: «لا للتطبيع مع الكيان الصهيوني، وموقف الكويت ثابت لن يتغير، والتطبيع مرفوض»، وعكست مواقع التواصل الاجتماعي الموقف نفسه، معبرة عن الضمير العربي المكبوت، في ظل الأوضاع المتردية في الوطن العربي، مستفيدة من مساحة الحرية المكفولة في دولة الكويت.

ولا يزال موقف رئيس مجلس الأمة الكويتي مرزوق علي الغانم في اجتماعات البرلمان الدولي بروسيا حينما طرد الوفد الصهيوني ماثلاً للأذهان، وهو الموقف الذي حظي بإشادة من صاحب السمو أمير البلاد الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح، حفظه الله، وتقدير الشعوب والسياسيين العرب.

وقد رفض عدد من النواب التطبيع مع الكيان المحتل، حيث قال النائب الكويتي أسامة الشاهين، في تصريحات مصورة: الكويت عصية على التطبيع مع الكيان الصهيوني؛ سواء الثقافي أو الاقتصادي أو السياسي.

وقال الشاهين: منذ ثلاثينيات القرن الماضي، ومنذ البدايات الأولى لنشاط العصابات الصهيونية قبل قيام دولة الاحتلال، كان الشعب الكويتي يرفض الاحتلال، ويتضامنون مع الحقوق العربية والإسلامية سواء في فلسطين أو غيرها.

وقال النائب محمد الدلال: إذا كان عندنا احترام لتراث الأجداد لوجدنا أنهم في الأربعينيات اجتهدوا وسعوا إلى دعم القضية الفلسطينية، ومن يعتقد أنه كيان

البرغوثي: موقف الكويت من المقاطعة استثنائي في ظل الوضع العربي المتباين

مظاهر الرفض الكويتي للتطبيع تعددت بين أروقة السياسة وميادين الرياضة



الوضع الراهن الذي يجب الاعتراف به فهو واهم؛ لأنه سرطان يريد أن يقضي على الأرض العربية والفكر الإسلامي، ويجب أن ننبه بذلك أولادنا، والمسألة أبعد من «صفقة القرن».

ميادين الرياضة ضد التطبيع

وشهد العقد الأخير العديد من المواقف المشرِّفة من رياضيين كويتيين رفضوا اللعب ضد أي رياضي من الكيان الصهيوني، معلنين انسحابهم، رافضين بذلك الاعتراف بالاحتلال ورياضته.

ففي عام 2012م، انسحب بطل تنس الطاولة للمعوقين، الكويتي عوض الحربي، من نصف نهائي بطولة رومانيا المفتوحة، رافضاً مواجهة منافسه الصهيوني «جيفا ليران».

وفي السياق نفسه، تصدر الكويتيون المشهد الرافض للتطبيع، وخصوصاً في العام 2018م، ففي منافسات بطولة «بيزا» الدولية للمبارزة، التي أقيمت في إيطاليا، انسحب اللاعب الكويتي فهد البستكي من دور المجموعات للبطولة، بعد علمه أنه سيواجه أحد اللاعبين «الإسرائيليين».

وفي العام نفسه، انسحب لاعب نادي السالمية والمنتخب الوطني في التنس الأرضي، عبدالحميد محبوب جمعة، من بطولة «الفيتشرز» العالمية، وأعلن لاعب ألعاب القوى، صالح الحداد، انسحابه من بطولة «كأس فلندرز» البلجيكي، بسبب مشاركة لاعب «إسرائيلي» في مسابقة الوثب الطويل.

كما رفض اللاعب الكويتي الأولمبي، عبدالعزيز الشطي، مواجهة الصهيوني «بسكين جورجي» في بطولة العالم للمبارزة في سويسرا، وقرر عبدالله العنجري الانسحاب من بطولة العالم في لعبة الجوجيتسو بولاية لوس أنجلوس، رفضاً لنتائج القرعة التي وضعته في مواجهة لاعب صهيوني.

وفي العام 2019م، انسحب لاعب نادي الشباب ومنتخب الكويت للجودو، حبيب السبتي، من بطولة روما الدولية بعد معرفته بوجود 3 لاعبين من الكيان الصهيوني معه في الفئة نفسها.■

أحمد سليمان

ماليزيا و«التطبيع».. عين على السياسة وأخرى على الاقتصاد

«Pasport ini sah digunakan untuk semua negara kecuali Israel»؛ أي: «هذا الجواز صالح للاستخدام لجميع دول العالم عدا إسرائيل»، تمثل هذه العبارة المطبوعة على غلاف جواز السفر الماليزي من الداخل عنواناً للعلاقة بين الكيان الصهيوني ودولة ماليزيا ذات الأغلبية المسلمة، في الوقت ذاته يمنع القانون الماليزي دخول من يحمل جواز سفر ما يسمى بـ «إسرائيل» إلى ماليزيا دون الحصول على إذن كتابي من وزارة الشؤون الداخلية الماليزية، وهو أمر أثبتت التجربة أنه من الصعوبة بمكان.

كانت زيارة «موشيه شاريت»، وزير خارجية الكيان الصهيوني عام 1956م، إلى كوالالمبور أول علاقة رسمية بين الكيان وماليزيا قبل استقلالها عن التاج البريطاني بعام واحد، عرض خلالها وزير الخارجية تبادلاً دبلوماسياً بينهما، وقابله تنكو عبدالرحمن، أول رئيس وزراء بعد الاستقلال والأب الروحي لاتحاد الملايو، بالموافقة دون تردد، حسب رواية «موشيه»، إلا أن عبدالرحمن عاد وتنكر لهذه الوعود لاحقاً، متذرعاً بالرفض الشعبي، وتحت ضغط من دول إسلامية في الشرق الأوسط، على رأسها مصر.

لكن الكيان الصهيوني لم يفقد الأمل، فقد استغل قرار شركته الوحيدة في ماليزيا «إنترآسيا» بنقل عملياتها إلى سنغافورة عام 1964م لأغراض تجارية، وأرسل مبعوثه التجاري «موشي بيغار» بغرض معلن هو الحفاظ على الشركة ومعالجة مشكلاتها، وآخر خفي وهو التمهيد لإقامة علاقات دبلوماسية مع ماليزيا، لكن في عام 1966م اضطرت ماليزيا إلى طرده تحت ضغوط محلية ودولية من دول العالم الإسلامي، ثم ظلت العلاقات تراوح مكانها، فبول حذر على المستوى السياسي ورفض شعبي وإقليمي صريح، إلى أن وصل د. مهاتير محمد إلى سدة الحكم عام 1981م.

مهاتير والرفض التام

يعتبر د. مهاتير محمد، الذي قاد البلاد 23 عاماً (1981 – 2003م)، عرَّاب رفض «التطبيع» مع الكيان الصهيوني، وكثيراً ما هاجم سياسة الاحتلال وتوسعاته، وأصر على رفض التبادل الدبلوماسي بينهما، وكثيراً ما خرجت تصريحاته الهجومية على الكيان عن نهجه الهادئ والمعروف به في الأوساط الدولية.

وقبل صعود تحالف الأمل تحت قيادته إلى السلطة منتصف عام 2018م، كانت هناك خطوات خجولة نحو التمهيد لعلاقات بين البلدين يقودها تحالف «PERSATU» الحاكم بقيادة نجيب عبدالرزاق، قيل: إنها جاءت تحت ضغوط من جهات تدعم عملية التطبيع وتروج لها بقوة في المجتمع الدولي؛ فقد سمحت ماليزيا، ولأول مرة، لوفد «إسرائيلي» رفيع المستوى بحضور مؤتمر نظمته الأمم المتحدة، في فبراير 2018م، بعد تاريخ حافل من المنع والمقاطعة؛ مما أثار عاصفة شعبية

أول علاقة رسمية مع الاحتلال الصهيوني تعود إلى عام 1956م قبل استقلال ماليزيا عن التاج البريطاني

الأرقام التجارية مع الاحتلال تعكس صورة مغايرة للموقف السياسي بسبب الشركات الوسيطة



من الاستياء واسع النطاق، إلى الحد الذي دعا مراقبين للاعتقاد بأن خطوات التقارب تلك مع الكيان قد تكون الشعرة التي قصمت ظهر البعير، وأفقدت التحالف سيطرة على مقاليد الحكم التي دامت ما يزيد على 30 عاماً، خاصة أنها كانت قرب الانتخابات، فعاقبت الجماهير التحالف بالتصويت ضده في انتخابات منتصف عام 2018م.

وفي يناير 2019م، رفضت ماليزيا مشاركة الفريق «الإسرائيلي» في مسابقة السباحة لذوي الاحتياجات الخاصة المؤهلة لأولمبياد طوكيو 2020م، وهددت اللجنة الأولمبية بسحب تنظيم المسابقة الدولية من ماليزيا إذا لم تتراجع عن قرارها، ثم نفذت تهديدها لاحقاً ونقلت البطولة إلى العاصمة البريطانية لندن، وفي بيان اللجنة الأولمبية، أكدت أنها كانت قد أخذت تعهدات من الحكومة الماليزية أنها لن تمنع أي مشارك من أي دولة كانت، لكن فوز تحالف الأمل وصعود مهاتير محمد غيَّر المعادلة السياسية.

أثارت تلك الحادثة عاصفة من هجوم الكيان الصهيوني على مهاتير حين وصفت القرار بأنه ناتج عن معاداته «المسعورة للسامية»، حسب زعمهم، لكنه رد لهم الصاع صاعين حين وصف الكيان بـ «الدولة المجرمة»، وقال: «إنهم لصوص وليسوا بشراً»، مضيفاً: «إن الأشخاص غير المرغوب بهم سيبقون خارج حدودنا، من أجل ذلك صنعت الحدود»! ثم قال: «إذا كان الرياضيون مصرين على المشاركة، فعلى اللجنة الأولمبية أن تجد لهم مكاناً آخر غير بلادي».

ثم عاد في وقت لاحق بعد استقالته من رئاسة الوزراء للهجوم من جديد على الكيان واصفاً ممارساته بـ «الفصل العنصري والإبادة الجماعية التي ارتكبت ضد الإنسانية من قبل دولة إرهابية تسمى إسرائيل»، وقال: «إن هذه الممارسات لن تنتهي إلا بانتهاء الاحتلال»، ثم هاجم «صفقة القرن»، واصفاً إياها بأنها تقدم القدس التاريخية على طبق من ذهب للصهاينة، متجاهلة مشاعر الملايين من المسلمين والمسيحيين، مؤكداً أنها لن تجلب سوى مزيد من الصراع في المنطقة.

لم تكن تلك السابقة الأولى، ففي عام 2015م اضطر «إسرائيليان» من راكبي القوارب الشراعية إلى الانسحاب من منافسة في منتجع جزيرة لَنْكَاوِيّ بعدما رفضت السلطات منحهما تأشيرات الدخول، وفي العام التالي قررت ماليزيا عدم استضافة مؤتمر «فيفا» عام 2017م بسبب مشاركة وفد «إسرائيلي».

على الرغم من الرفض الشعبي الماليزي الواسع للكيان الصهيوني، والتعاطف الواضح مع القضية الفلسطينية، ودعمها المادي والمعنوي على الأقل في صفوف الأغلبية المسلمة في البلاد؛ فإن الأمر لا يبدو بالدرجة ذاتها على مستوى السياسيين ورجال الاقتصاد، إذا ما استثنينا ذوي التوجهات الإسلامية منهم.

عين على الاقتصاد

على صعيد التبادل التجاري، تظهر صورة مغايرة تماماً تعكس حقيقة العلاقة بين ماليزيا والكيان، كما تحكيها الأرقام بعيداً عن شعارات السياسة، وتصريحات الإعلام، على الصعيد الرسمي؛ فإن التجارة بينهما محظورة منذ عام 1974م بقرار ماليزي، إلا أن رؤوس الأموال الماليزية وجدت طريقها إلى قلب الاحتلال الصهيوني عبر شركات وسيطة على الحدود في سنغافورة وتايلاند، وحسب التقارير الصادرة عن دائرة الإحصاء في الكيان، فقد تطور التبادل التجاري بينهما من 130 مليون دولار فقط عام 1999م ليصل إلى أكثر من 1.5 مليار دولار عام 2013م، الجزء الأكبر من هذا الميزان التجاري لصالح الكيان الصهيوني، إذ تمثل الواردات إلى ماليزيا أكثر من 90% منه في معظم السنوات.

هذا التنامي الملحوظ في التبادل التجاري بين ماليزيا والكيان يمثل مؤشراً خطيراً لبدء مرحلة جديدة من التقارب على المستوى السياسي، وعلى كافة الجهات المهتمة بمقاومة التطبيع، خاصة القوى والمكونات الوطنية الفلسطينية، مهمة النهوض والتحرك ضد هذا التوجه بخطوات تعرف مواقع أقدامها، وأن تتبنى خطاباً لتوعية شعوب منطقة شرقي آسيا بخطورة هذه التطورات على القضية الفلسطينية والحق الإسلامي في الأرض المحتلة، قبل أن يتسع الخرق على الراقع، ويصل هذا الاختراق الاقتصادي إلى النخبة السياسية مؤثراً على مواقفها ودعمها للحق الفلسطيني.

على المستوى الشعبي، تشهد الساحات العامة، والمساجد، والجامعات، أنشطة مناهضة للعدوان على أرض وشعب فلسطين، ولم تمر حادثة من حوادث العدوان على غزة دون ردود فعل قوية في الشارع الماليزي، ومن المألوف على مدار العام في المتاجر الكبرى والحفلات الفنية أن تجد صندوقاً لجمع التبرعات لدعم صمود الشعب الفلسطيني؛ مما يؤكد أن القضية العادلة لحقوق الشعب في أرضه ومقدساته حية في قلوب الجماهير أكثر منها في نظر السياسيين ورجال المال.

ربما يمثل التباعدُ المكانيُّ والضعف النسبي لتأثير ماليزيا على المستوى الدولي دافعاً للكيان بأن يجعل ماليزيا في مرتبة تالية على قائمة مهامه، لكن المؤكد أن محاولاته لزيادة التبادل التجاري وصولاً إلى التطبيع الكامل لن تتوقف، فإلى متى سينجح الضغط الشعبي في منع هذا القطار من الوصول إلى محطته الأخيرة؟!

ستتكفل التغيرات المحلية والإقليمية والدولية، خاصة في عالم ما بعد «كورونا»، بالإجابة عن هذا التساؤل.■



> **يعتبر مهاتير محمد عرَّاب رفض «التطبيع» مع الكيان الصهيوني**
>
> **هل ينجح الضغط الشعبي في منع قطار «التطبيع» الكامل مع الكيان من الوصول إلى محطته الأخيرة؟**

تونس- عبدالباقي خليفة:



الأمة تجاه الكيان الصهيوني..

مقاومة صاعدة رغم الخمود وتطبيع زائل رغم العلو

تمر الأمة بلحظة حضارية فارقة، تتعلق بإثبات الوجود والتميز الحضاري والإضافة للإنسانية، وسلوك طريق المقاومة بمفهومها الشامل، وليس اختزال ذلك في كدح وحيد، أو الموت الحضاري بما يعنيه من استسلام وخضوع لحسابات من أسقط الأمة من حساباته من أجل مصالحه ومصالح المقربين منه خوفاً أو طمعاً، وهي خيانة في الحالتين. وفي هذا التحقيق، نستعرض آراء عدد من الخبراء والمختصين التونسيين حول قضية التطبيع، وموقف الأمة منها الآن مقارنة بموقفها من المقاومة.

المساهلي: لم يعد خافياً ما تبديه بعض الدول العربية من تودد ظاهر مع كيان الاحتلال

الجبالي: لا بد من تفعيل دور «الشعب العميق» في مقابل «الدولة العميقة» فهو يمتلك نفس أساليبها

في البداية، قال د. سالم المساهلي، الأستاذ بالمعهد العالي للدراسات التطبيقية والإنسانيات، الكاتب والشاعر، في حديث لـ«المجتمع»: إذا كانت المقاومة جمعاً واعياً لشروط الثبات والوقوف أمام دواعي الاستلاب أو الارتهان للآخر، فإنها في تجلياتها الإجرائية تعني الالتزام في كل التعبيرات الفكرية والفنية والسياسية والعملية بذلك الخيار، حيث لا مجال للتردد أو المساومة تحت أي مبرر أو طائل.

وتابع: لا شك أن مصطلح المقاومة في لحظتنا الراهنة اقترن بمعاني التصدي للاحتلال الصهيوني ولكل مخططات تمدده في المنطقة العربية والإسلامية، سواء من خلال قضم الأراضي الفلسطينية أو اللبنانية، أو عبر الاتصالات الجهرية والسرية بينه وبين المناورين، من المحسوبين على الأمة العربية.

وحول ظاهرة التطبيع أفاد: لم يعد خافياً اليوم ما تبديه بعض دول المنطقة العربية من تقارب وتودد ظاهر مع كيان الاحتلال، بهدف تطبيع العلاقات معه؛ وهو ما انعكس سلباً على الفلسطينيين، إذ اجتهدت تلك الدول في التضييق على الفلسطينيين ومحاصرة ناشطيهم خارج فلسطين وداخلها إلى حد اعتبرت فيه المقاومة إرهاباً.

وأردف: سعت دول عربية بعينها إلى مضاعفة حصار غزة بهدم الأنفاق التي تسترَق من خلالها بعض المؤن، وإغراقها بالمياه، وبقطع المساعدات على المحاصَرين في غزة، ووصل الأمر إلى اعتقال الناشطين في عدد من الدول العربية.

وقال الأكاديمي البارز د. سامي براهم، لـ«المجتمع»: رأي المطبعين قائم على اعتقاد وهمي مفاده أن التطبيع هو البديل عن الاستجابة لتطلعات وأشواق الأمة في إدارة

الشأن العام بشكل جماعي ووفقاً للآليات المعاصرة في الإدارة.

وأضاف: يعتقد البعض أن التطبيع يمكن أن يحمي بعض الأنظمة من تأثيرات «ثورات الربيع العربي»، بما يعنيه من حريات عامة، وحريات في التنظيم السياسي، وحرية الإعلام، والمشاركة في الحكم عبر الانتخابات، وتقييد السلط المطلقة، وهو مسار حتمي قدري؛ إذ إن المنطقة ورغم ما نشاهده من علو للتطبيع والمطبعين ومن يطبِّع معه مقدمة على مسار وتحولات كبرى باتجاه الحريات وامتلاك شعوب الأمة لمصيرها لتصبح مخيرة لا مسيرة.

وواصل: كما يعتقد هذا البعض أن الطريق إلى واشنطن كحامية لتلك الأنظمة الشمولية يمر بالضرورة عبر التطبيع مع الكيان الصهيوني، وذلك بالنسبة لهم أقل كلفة من الإصلاحات السياسية الضرورية لتصبح الشعوب حرة، إذ إن الحرية مرهونة بامتلاك الإرادة.

علاوة على ذلك، أشار براهم إلى أن هناك أنظمة -وليس الشعوب فحسب- لا تملك إرادة الرفض، وهي أداة في يد الإمبريالية تأمرها فتطيع، فالخوف من الشعوب الذي كان يحتج به لدى الإمبريالي أصبح يمثل خطراً عليها بما يعني، ما دامت تخاف فهي ليست شعبية؛ وبالتالي ليست قادرة على الحكم، ولذلك دخلت في مجازفة نهايتها الخسران؛ لأن الشعوب لا يمكن أن تظل صامتة للأبد، ودول «الربيع العربي» أكبر دليل على ذلك، والقانون الذي حكمها وأفضى لما وصلت إليه لا يستثني أحداً، وجائحة «كورونا» دقت ناقوس الخطر في هذا السبيل.

وعن خطورة التطبيع، ذكر براهم أنه بعيداً عن شحنات العاطفة المجردة التي طبعت علاقات البعض بالقضية الفلسطينية، فإن التطبيع ليس إلا خدمة مجانية للعدو لفرض سيطرته بدعم عربي رسمي على القضية الفلسطينية وتصفيتها وضرب مشروع الدولة الفلسطينية حتى في حدودها وفق ما سمي بالمبادرة العربية، ليس ذلك فقط، كما قال براهم، بل إن التطبيع هو مقدمة لريادة الكيان الصهيوني للمنطقة وقيادتها بعنوان تابع ومتبوع وليس الشراكة؛ لأن الطبيعة مختلفة في الجانبين وبكل المقاييس، والمستجدات الجيوسياسية براً وبحراً كتبادل الأراضي في المنطقة والتفويت فيها وضم الضفة الغربية والجولان من قبل الكيان الصهيوني تصب في الاتجاه آنف الذكر؛ أي تتويج الكيان الصهيوني ملكاً في بحر من «العبيد».

وبالتالي، فالأمة مهددة في اقتصادها وكل مقدراتها بذلك التطبيع، وهو هروب إلى الأمام ولربح الوقت من قبل أنظمة فاقدة للشرعية الشعبية، بل ومفروضة على شعوبها، وخياراتها ليست خيارات شعبية وبالتالي فهي مؤقتة.

وخلص إلى القول: إن خيار المقاومة في ظل ما يجري يؤكد للأمة أنه الطريق الوحيد بدل السراب الذي يلهث وراءه البعض يحسبه سلاماً، وقبل الأنظمة يجب على السلطة الفلسطينية أن تصحح المسار الذي ثبت فشله من عام 1993م وحتى الآن، وتلتحم بخيار المقاومة وتضع يدها في يد «حماس» و«الجهاد الإسلامي» وبقية فصائل المقاومة الفلسطينية.

براهم:

يعتقد البعض أن الطريق إلى واشنطن كحامية للأنظمة الشمولية يمر بالضرورة عبر التطبيع مع الصهاينة

التطبيع خدمة مجانية للعدو لفرض سيطرته بدعم عربي على القضية الفلسطينية وتصفيتها

الشعب العميق

إلى ذلك، قال ضابط الأمن السابق، والمحامي والحقوقي البارز محمد شريف الجبالي، الذي كان له دور بارز في مقاومة الدولة العميقة في تونس من عام 2011 وحتى عام 2015م (تعرض للتسمم ولا يزال يعالج منه حتى الآن): إن الشعب العميق هو من ستكون له الغلبة بين محوري المقاومة والتطبيع لصالح الخيار الأول.

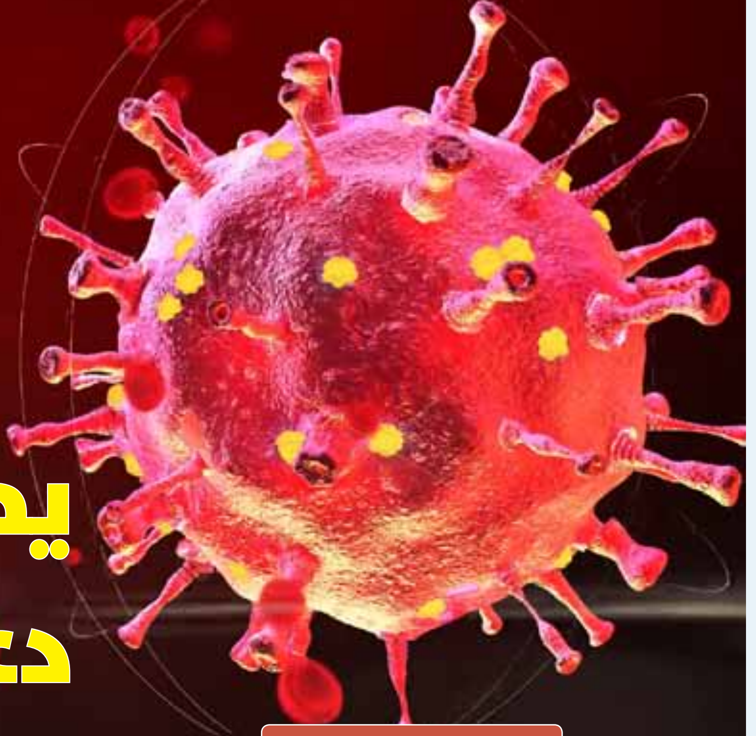
وتابع، في اتصال هاتفي أجرته معه «المجتمع»: الدولة العميقة هي التي تقوم بالتطبيع، وتقلب الأنظمة الشرعية، وتخرب أي مسعى لامتلاك الإرادة، وهي أسرع تحركاً؛ لذلك نجد نتائجها على السطح، أما الشعب العميق فهو أثقل تحركاً وربما يبدو رماداً، وكما يقول أبو القاسم الشابي: «فإن تحت الرماد اللهيب».

وأردف: لا بد من تفعيل دور «الشعب العميق»، فهو يمتلك نفس أساليب الدولة العميقة، ويمكنني أن أستشهد بالثورة التونسية؛ فهي لم تنجح من فراغ، بل كان هناك شعب عميق تصدى للدولة العميقة واستخدم نفس الأساليب ولا يزال، فرمز الدولة العميقة كمال الطيف مثلاً تمت محاصرته بنفس أساليبه، ومنع من السفر لمدة عامين.

وأشار الجبالي إلى أن التطبيع لا يتم رأساً مع الكيان الصهيوني فحسب، بل عن طريق مطبعين ودول سماها تحاول فرض التطبيع فرضاً على دول عربية أخرى، وتحارب «الربيع العربي» لهذا الغرض أساساً، ووصل الأمر حد دعم الإرهاب ونشر الفوضى وشراء ذمم الرخيصين في عدد من الدول العربية لصالح الكيان الصهيوني.

ودعا الجبالي ما وصفه بالشعب العميق وقواه الحية لمواصلة التصدي لقوى الردة والتطبيع؛ لأن النصر سيكون حليفهم في النهاية.■





علماء ودعاة لـ«المجتمع»: ما بعد «كورونا» يحتاج لمهارات دعوية مختلفة

علا سليمان

المشهد الأول: العودة إلى الله:

- الرئيس الأمريكي «دونالد ترمب» يدعو، عبر «تويتر»، إلى جعل الأحد 15 مارس يوماً وطنياً للصلاة من أجل «كورونا»!

المشهد الثاني: حقوق الإنسان تتهاوى:

- «هيئة الإذاعة البريطانية» (بي بي سي) تنشر خبراً عن وزيرة الدفاع الإسبانية «مارجريتا روبلز» تؤكد فيه العثور على كبار السن في إحدى دور الرعاية الذين تُركوا مُهمَلين تماماً إلى أن ماتوا في أسرّتهم بسبب «كورونا»!

المشهد الثالث: سرقات وقرصنة:

- مجلة «دير شبيجل» الألمانية تؤكد اختفاء شحنة تحوي 6 ملايين قناع للحماية من العدوى بفيروس «كورونا» المستجد، كانت في طريقها إلى ألمانيا!

- وسائل إعلام ألمانية تعلن، على لسان مسؤولين حكوميين، عن سرقة 50 ألف كمامة من مخازن مستشفيات مدينة كولن!

- وسائل إعلام غربية: التشيك تستولي على شحنة مساعدات مرسلة من الصين إلى إيطاليا!

- وزير التجارة التونسي محمد المسيليني يقول: إن باخرة كانت محمّلة بالكحول الطبي تعرضت للسرقة في عرض البحر، خلال توجهها إلى الساحل التونسي!

تلك مجموعة من المشاهد حدثت وعايشها العالم كله في ظل أزمة «كورونا»، وهي تؤشر على أمور غاية في الأهمية؛ لعل أهمها هو ما يمكن تسميته بضعف منظومات القيم الوضعية التي تم تأسيسها بناء على مرجعيات بشرية، وهي ما جعلها تتهاوى سريعاً مع أول أزمة حقيقية تواجهها تلك المجتمعات.

وهنا يثور التساؤل: كيف يمكن لدعاة الإسلام أن ينْفُذوا من خلال هذه الأزمة إلى قلوب وعقول الجماهير لإعادة عرض الإسلام بمنظومته القيمية مرة أخرى؟

كان المفكر الإسلامي مراد هوفمان قد تحدث عن أن محمد أسد تنبأ قبل الحرب العالمية الثانية بزيادة عدد الداخلين في الإسلام، معللاً ذلك بأن هذه الأزمات وأشباهها تترك في النفوس والعقول حيرة واضطراباً وقلقاً؛ ومن ثم يكثر الحديث عن الحاجة إلى البحث عن منقذ وهاد لهذه الحيرة، والإسلام هو المرشح الأول بمنظومته القيمية المؤسّسة على هدايات الوحي السماوي.

ونحن في «المجتمع» نسأل بدورنا: هل يمكن لما خلفته «كورونا» من تداعيات أن تؤسس لمرحلة جديدة من النظر إلى الإسلام والتعامل معه من غير المسلمين خاصة في المجتمعات الغربية؟ وهل يمكن لدعاة الإسلام استثمار الحدث في إعادة عرض منظومة القيم الإسلامية بعد أن أصابها التشويه زمناً طويلاً؟ وما الوسائل والمهارات الدعوية التي يجب أن يكتسبها الداعية ويمكنها أن تفي بغرض كهذا؟ وهل يمكن التفكير في موضوع كهذا على مستوى دعوي فردي، أم أنه يحتاج إلى جهد مؤسسي؟

أسئلة كثيرة عن أزمة «كورونا» ومستقبل الدعوة الإسلامية تطرحها «المجتمع» على نخبة من أساتذة الدعوة وعلماء الاجتماع وناشطين دينيين في المجتمع الأوروبي.


د. عماد المهدي:

معرفة مفاتيح المجتمع من أهم أدوات الداعية ليصل لقلوب المدعوين

خطاب الكراهية بألمانيا توقف تماماً أثناء الأزمة لابتكار المسلمين وسائل أثبتوا بها اندماجهم بالمجتمع

بداية، يؤكد د. عماد محمد المختار المهدي، إمام المركز الإسلامي بمدينة بيليفيلد بمقاطعة شمال الراين بألمانيا، أن العمل الدعوي في الغرب يجعلنا نفكر بطريقة مختلفة عن نوع المقاربة التي يمكننا من خلالها استثمار جائحة «كورونا» في إعادة عرض الإسلام مرة أخرى.

ويدلل المهدي على ذلك قائلاً: كثيراً ما تحدثنا عن ضرورة الاندماج في مجتمعاتنا الغربية بلا ذوبان كامل، بحيث يكون اندماجاً يحفظ لنا هويتنا الحضارية، ويؤسس لكوننا مواطنين داخل تلك المجتمعات نحافظ عليها ونتعاون من أجل رفعتها، وفي ظل «كورونا» تجلى ذلك كإحدى أهم أدوات مواجهة خطاب الكراهية الذي كان سائداً تجاه الإسلام والمسلمين، حيث استطاعت مؤسستنا، مثلاً، كسب ثقة الدولة؛ من خلال العمل سوياً في الحفاظ على النظام العام، وحماية أرواح الناس بالالتزام بإغلاق المساجد، والتعاون في كل ما من شأنه أن يحافظ على الأرواح.

ويستطرد: وهذا ما جعل الدولة، في سابقة لم تحدث من قبل، توافق على إقامة صلاة العيد، مثلاً، لمؤسستنا في أكبر ملاعب المدينة، وتثمن دورها في تنظيم صلاة الجمعة عن طريق التسجيل المسبق، ووجود مسافة بين المصلين، وغيرها من الإجراءات الاحترازية.

وأكد المهدي أن خطاب الكراهية الذي كان قد انتشر في ألمانيا بشكل عام، ومنطقة بيليفيلد بشكل خاص، قد توقف تماماً أثناء الأزمة؛ نظراً لما ابتكره المسلمون من وسائل أثبتوا بها اندماجهم الإيجابي في المجتمع، ودلل على ذلك بأن المؤسسة التي يعمل إماماً لأحد مراكزها في بيليفيلد ابتكرت هذا العام طريقة جديدة للإفطار في رمضان، فلم يعد في المسجد، وإنما أصبح عن طريق وجبات جاهزة توزع على المسلمين وغيرهم، لافتاً إلى أن كثيراً من المواطنين الألمان من غير المسلمين الذين يحتاجون إلى هذه الوجبات لظروف خاصة بهم أصبحوا يترددون على المسجد ليأخذوا وجبتهم، مرددين بعض الشعارات الإسلامية كتحية الإسلام إظهاراً للتودد والتقرب من المسلمين.

ويعلق المهدي: معرفة مفاتيح المجتمع الذي تمارس معه الدعوة إلى الله من أهم الأدوات التي يجب على الداعية تحصيلها؛ ليستطيع الوصول إلى قلوب المدعوين، بعيداً عن القوالب النمطية الجاهزة التي نفرت الناس كثيراً من الإسلام وبعض دعاته.

المهارات الدعوية للأزمة

من جانبه، قال د. عادل هندي، أستاذ الدعوة بجامعة الأزهر: إن التعامل الدعوي مع الأزمات ينبغي أن ينطلق من معرفة أركان عملية الدعوة ذاتها؛ وذلك لخلق حالة دعوية تناسب الأزمة وتستثمر تبعاتها، موضحاً أن الأركان التي يقصدها هي الداعي والمدعو والجمهور والوسائل المستخدمة، وفي النهاية قياس الأثر المرتبط بالرسالة الدعوية.

وفيما يتعلق بالداعي نفسه، لفت د. هندي إلى أنه في ظل هذه الأزمة يجب على الداعي ألا يكون روتينياً يرتبط بشكل معين، أو لا يستخدم إلا أسلوب «الكُتَّاب» الذي لا هَمَّ له سوى تلقين الناس دينهم، أو يتعامل مع الإسلام وكأنه محصور في القُطر الإسلامي، دون النظر إلى رسالة الإسلام الشاملة العالمية.

ولذلك طالب هندي الدعاة في الغرب ومؤسسات الدعوة فيه بتطوير مهاراتهم في التعامل مع الأزمات، مشدداً على ضرورة امتلاك الداعية شيئاً من الحكمة وحسن الإدارة يؤهله للتعامل مع الأزمات وتوظيفها توظيفاً جيداً.

وشدد على أن تحصيل ذلك كله لا يأتي إلا من خلال القراءة المستيرة، ومخالطة العلماء، ومتابعة الجهود الدعوية المبذولة في ظل هذه الأزمة، كل ذلك إنما يساعد على تطوير ذاتية الداعية، سواء الفرد أو المؤسسة الدعوية كلها.

وطالب هندي، كذلك، الدعاة والمؤسسات أن يطوّروا وسائلهم، مؤكداً أن من إيجابيات تلك الأزمة أن كثيراً من الدعاة استطاعوا اقتحام الوسائل التكنولوجية الحديثة، لافتاً إلى أنه كداعية بدأ استخدام التطبيقات الإلكترونية، مثل «زوم»، و«تليجرام».. إلخ، مع أنها موجودة قديماً، ولكننا لم نكن نسمع عنها، فنحن كدعاة -إلكترونيين- أو علماء، أو أساتذة جامعات، علينا اكتساب القدرة التي تساعدنا على استخدام هذه الوسائل.

وفي إشارة إلى القوالب التي يمكن


د. عادل هندي:

على الداعية أن يبتعد عن الأساليب النمطية ويسوّق دعوته بالسلوك قبل القول

أطالب الدعاة بتطوير ذواتهم وامتلاك مهارات تؤهلهم لإدارة نشاطاتهم الدعوية في النوازل

للداعية من خلالها استثمار الأزمة، قال هندي: على الدعاة ومؤسسات الدعوة في الغرب تحديداً أن تطور في قوالبها الدعوية، لافتاً إلى أن الدعوة الحقيقية لا تقتصر على الكلام، وإنما تكون بالدعوة التطبيقية العملية، فالإسلام انتشر أساساً في تلك البلدان وغيرها بأفعال الدعاة وأخلاق التجار.

وبالتالي، يستطرد د. هندي، يجب على الداعي أن يُسوّق دعوة الإسلام؛ قولاً وسلوكاً، كوقوفه بجوار المهموم، وسعيه في حوائج الناس وغير ذلك، مؤكداً أن هذه الواجبات تكون أكثر تأكيداً في حالة المؤسسات الإسلامية التي ينبغي أن تضع خططاً محكمة للاندماج المجتمعي وتحقيق أثر الدعوة على الأرض عملياً، بعيداً عن القوالب الروتينية.

وفي النهاية، شدد أستاذ الدعوة على ضرورة الوعي الكامل بطبائع المدعوين في المجتمعات الغربية، لافتاً إلى أنها تمنح الداعية القدرة على تسويق دعوته، فيخرجها مناسبة لعقول مخاطبيه وأفهامهم، وأكد أن الوعي المنشود بطبائع الجمهور المُستهدف –وليكن الجمهور الغربي– هو أهم عامل في تحديد نتائج دعوتهم، قائلاً: حينما يسألني أحدهم ويطلب مني تعليقاً على حال الغرب في تعاملهم مع الأزمة، أو مع المرضى في المستشفيات، حتى أستطيع أن أجيبَه، يجب أن أكون على دراية بطبائع المجتمع، فنظرتي محلية أو إقليمية، لا نظرة شاملة عامة تنظر إلى الغرب بمنظور الإنسانية.

ظلال اجتماعية

وعن التجليات الاجتماعية للأزمة وكيفية استثمارها دعوياً، قال د. خالد عبدالحميد، أستاذ علم الاجتماع: إن الأزمة عبارة عن حالة استثنائية يمر بها الإنسان، فإما يتعامل معها إيجابياً، وإما يتخلّى عن قيمه وإنسانيته، لافتاً إلى أن «كورونا» فضحت بعض البلدان والأقطار، في معاملتها مع المرضى والمصابين والأموات الذين ماتوا بها، كما أنها أظهرت لنا شيئاً من أنانية بعض البشر.

وأكد د. عبدالحميد أن ما حدث في الأزمة، وما زال يحدث، سيُلقي بظلاله الاجتماعية على المجتمعات الأوروبية كثيراً، ولذلك فإن العالم بعد أزمة «كورونا» لن يكون

د. خالد عبدالحميد:

هناك حاجة لبدائل حضارية يتوافر فيها الأمن الاجتماعي والروحي وعلى الدعاة عرض الإسلام بصورة حضارية

الأزمة بعد «كورونا» إنسانية وأخلاقية وليست طبية وعلى الدعاة تفهّم ذلك وحسن استثماره

كما كان قبلها على المستوى الاجتماعي، مشيراً إلى أن كثيرين داخل المجتمعات الأوروبية فقدوا ثقتهم في اللحمة الاجتماعية التي انكشف عوارها بسبب أنانية القيم الرأسمالية، مدللاً بترك إحدى الحكومات الأوروبية داراً كاملة للمسنين دون متابعة؛ ما أدى لوفاة كثيرين! وأيضاً ما أثير عن عزم بعض الدول التفكير في علاج أعمار معينة وترك أخرى بسبب ضغط الأزمة!

وعلق عبدالحميد قائلاً: هذه الأحداث وغيرها ستجعل كثيرين يتجاوبون مع بدائل حضارية ينشدون فيها الأمن الاجتماعي والروحي الذي خلفته تلك الأزمة، مشدداً على أن الإسلام كدين وشريعة ومنهج حياة يأتي في مقدمة المرشحين لملء هذا الفراغ في عقول وقلوب هؤلاء.

من هنا، يتابع د. عبدالحميد، يستطيع دعاة الإسلام النفاذ لعقول الجماهير قبل قلوبهم في إعادة عرض المنهج الإسلامي العادل الكامل الشامل العالمي، إسلام يجمع بين الفضل والعدل، بين الجلال والجمال والكمال، إسلام يساوي بين البشر جميعاً؛ فلا قدسية لشخص على شخص، وليس هناك دم مقدس يجري في عروق إنسان دون آخرين، ولا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى.

ويتابع: يجب على الدعاة الآن أن يدركوا خطورة خطابهم؛ فيعرضوا الإسلام الذي يملأ قلوب أتباعه حُباً للغير من إنسان أو حيوان أو جماد؛ الإسلام الحضاري الذي يجعل الإنسان هو ركن الحضارة، وبالتالي يؤكد أنه لا تقدّم ولا حضارة ولا نهضة إلا بتكريم هذا الركن (الإنسان) والقيام بحقه، لافتاً إلى أن عرض الإسلام بهذه الطريقة هو مفتاح الوصول إلى قلوب الذين طبعتهم الأزمة بطابع الحيرة.

واختتم أستاذ علم الاجتماع قائلاً: إن الأزمة في العالم الغربي الآن بعد «كورونا» ليست طبية بقدر ما هي أزمة إنسانية وأخلاقية وقيميّة، وعلى دعاة الإسلام ومؤسساته هناك أن تبادر بالتعامل مع الأزمة من خلال تلك المنطلقات لتكسب أرضاً جديدة داخل تلك المجتمعات.

معرفة الواقع

أما د. أيمن فايز، أستاذ الدعوة والإعلام بجامعة الأزهر، فأكد ضرورة معرفة الأزمة وما خلفته معرفة صحيحة؛ حتى يمكن للداعية ولمؤسسات الدعوة أن تتعامل معها، لافتاً إلى أن جائحة «كورونا» كشفت، من جانب، عن أمراض العالم الحقيقية، وأبانت عن عظمة الإسلام في علاجه لتلك الأمراض، من جانب آخر، محدداً ثلاثة أدواء رئيسة عكسها نمط التعامل مع تلك المحنة، وهي: الغرور العلمي، والنفاق الحضاري، والشقاء الروحي، حسب تعبيره.



وتابع فايز: فلو بدأنا من الأمن الروحي الذي هو أول ما يجعل الإنسان في حالة من الاطمئنان الدائم، وانعدامه يعني معاناة نفسية، وعذاباً وجدانياً؛ سنجد سببين كان لكل منهما نصيبه من حرمان البشرية الرضا، وسلبها السكينة، وعلى الدعاة ومؤسسات الدعوة أن تنتبه لهذا جيداً، وأن تعمل عليه من خلال مشاريع دعوية متقنة.

والسببان، من وجهة د. فايز، هما المادية الطاغية، والتنكُّر للدين والخروج على أحكامه، مشيراً إلى أن آثار هذين العاملين على النفس تجلت بإصابتها بالإحباط واليأس في مواجهتها ذلك الوباء العالمي، ورأينا تبعاً لذلك استسلاماً ساخطاً يقطع رجاء الناس في الحياة، حتى لقد تنادى البعض بضرورة أن يودع كل منهم قريبه وحبيبه بعد أن ينتظر يائساً مصيره المجهول.

ويستدرك فايز قائلاً: ينبغي للدعاة، أمام هذه المشاعر السلبية، أن يعيدوا عرض الإسلام بطريقة تبث في النفس المعذبة معاني التفاؤل والرضا، وتدعو الناس على لسان رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم إلى السعي في طلب العلاج، والأخذ بأسباب التداوي الذي وعدهم بإمكانه ولو كره اليائسون، بقوله: «تَدَاوَوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ دَوَاءً، غَيْرَ دَاءٍ وَاحِدٍ الْهَرَمُ».

ويتابع أستاذ الدعوة والإعلام: عليهم أن يعرضوا الإسلام الذي يبث في النفس معاني الرضا، وما يثيره فيها من الوفاء بمتطلبات الإيمان بالقضاء والقدر، وكذلك بما يحييها به من برد اليقين بالله والإيمان بلقائه، الإسلام بهذا كله يعطي النفس بلسمها الذي تعالج به ما عساه أن يعرض لها من تلك المشاعر السلبية، ويمنحها بديلاً عن ذلك انشراحاً وفرحة يعوضانها عن كل فائت.

وعما أسماه النفاق الحضاري قال د. فايز: إن جائحة «كورونا» عرَّت نفاق الحضارة المعاصرة، وكشفت عن كذبها؛ فالحضارة التي أوسعت الناس كلاماً عن الإخاء الإنساني، ومراعاة المصالح المشتركة، وأهمية التعاون الدولي، إلى آخر تلك الشعارات، تجلى أنها حضارة أنانية في أقوى معانيها، حضارة تتحكم فيها عوامل القوة لا عواطف الرحمة، أوحت إلى الإنسان أنه لا سبيل لكسبه إلا إذا خسر الآخرون، وقد تجلت تلك الأنانية في أسلوب القرصنة الذي احترفته بعض العصابات الدولية، حتى شملت تلك القرصنة المجالات الاقتصادية، والسياسية، بل والعلمية، ووصلت إلى القرصنة على الأدوية، وكمامات الوقاية، والأردية الطبية، وهي في طريقها لبعض البلاد المنكوبة!

وتابع: كما ظهرت أمارات الأنانية الحضارية المعاصرة كذلك في محاولة احتكار الدول الكبرى ما توصّلت إليه من سُبل لمقاومة ذلك الفيروس، وحَجْبها ما يتعلّق بمقاومته من معلومات.

ولذلك يرى د. فايز أن الدعاة ينبغي لهم طرح الإسلام بمنظومته التي تعالج تلك الأدواء وعرضه بالطريقة الصحيحة، ويبتعدون عن الطرق التقليدية، ويعرضون الحضارة التي تردّ الناس كلهم لرحم إنسانية مشتركة، وهي تنادي فيهم: «كلكم لآدم وآدم من تراب، لا فضل لعربي على عجمي، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى والعمل الصالح»، كما تدعوهم صباح مساء: «وكونوا عباد الله إخواناً»، الحضارة التي تسد منافذ الطمع على البشرية بدعوتها أن يكون الناس كلهم شركاء في الاقتصاد، وإخوة في الاجتماع، الحضارة التي تستقبح كتمان العلم، وتعيب احتكار المعرفة، حتى ليقول رسولها صلى الله عليه وسلم: «مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ أَلْجَمَهُ اللَّهُ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

بل ويحض على التكافل العلمي، ويحبب إلى الناس تبادل الخبرات، وتداول المعلومات، فيقول، وقد سئل عن أفضل الأعمال: «تُعِينُ ضَايِعاً، أَوْ تَصْنَعُ لأَخْرَقَ»، والأخرق هو من ليس لديه علم ولا خبرة وهو في طريقه للبحث عن جلب منفعة، أو دفع مضرة.

حضارة تتأبى على استغلال حاجة المحتاجين، وكرب المكروبين، إذ هي التي تصف أتباعها بقوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً (8) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً﴾ (الإنسان)، والأسير معروف حاله.

ويختم فايز قائلاً: هكذا ينبغي عرض الإسلام بعيداً عن الطريقة التقليدية والانشغال بقضايا هامشية لا وجود لها إلا في عقول مختلقيها؛ ليتم استثمار الأزمة استثماراً صحيحاً لصالح خير البشرية وسعادتها.■



د. أيمن فايز:

ينبغي عرض الإسلام بعيداً عن الطريقة التقليدية وعدم الانشغال بقضايا هامشية

يجب على الدعاة تركيز خطابهم على ما يحتاجه الغرب من قيم كبرى مؤسَّسة على هدايات الوحي الإلهي





د. وصفي عاشور أبو زيد
أستاذ مقاصد الشريعة الإسلامية

منهجية الإفتاء في نوازل «كورونا»

حين ظهر وباء فيروس «كورونا» وأحدث ما أحدث من تغييرات كبيرة، ظهرت مع هذه التغييرات ظواهر ونزلت نوازل، وجدّت مستجدات، وكل هذا يتطلب كلمة الشرع الشريف؛ فلا تنزل نازلة إلا وللإسلام حُكم فيها، قد يكون تفصيلياً، وقد يكون منهجياً، فالتفصيلي هو ما توجد أدلته بشكل مباشر وجزئي، والمنهجي هو ما يدل ذلك على منهجية القول فيها والوصول لحكم بشأنها.

وفي النوع الأخير، يقول الإمام الشافعي رضي الله عنه: «فليست تنزل بأحد من أهل دين الله نازلة إلا وفي كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها»[1].

الفتيا في عصرنا تتعرض للانتهاك من غير المؤهلين في حين تقتصر التخصصات الدنيوية على المتخصصين

الشريعة الإسلامية بطبيعتها فيها من الصلوحية والعموم والشمول ما يجعلها قادرة –بفعل المجتهدين فيها– أن تبسط سلطانها على الواقع، وتفي بحاجة المستجدات والنوازل.

فأما صلوحيتها فلما تضمنته من أدلة تشتمل على مرونة وسعة تستوعب كل جديد: قياس، مصلحة مرسلة، استحسان، قواعد، مقاصد.. الخ.

وأما أنها عامة، فهي رسالة إنسانية لكل الخلق، لم تنزل لمكان دون مكان، ولا لزمان دون زمان، ولا لقوم دون غيرهم، وإنما هي رسالة الزمان والمكان والإنسان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وأما أنها شاملة، فهي تشمل تشريعات لكل مجالات الحياة، فليست مقصورة على مجال دون مجال، وإنما لكل مناحي الحياة.

وفي هذا يروي شيخنا الإمام يوسف القرضاوي عن الإمام حسن البنا في «خصائص رسالة الإسلام» قولة وافية معبرة؛ إذ يقول: «إنها الرسالة التي امتدت طُولاً حتى شملت آباد الزمان، وامتدت عرضاً حتى انتظمت آفاق الأمم، وامتدت عمقاً حتى استوعبت شؤون الدنيا والآخرة»[2].

دقة الإفتاء وخطورته:

ولا شك أن الإفتاء منصب عظيم، حتى أطلق عليه ابن القيم مقام «التوقيع عن رب العالمين»؛ ولهذا فهو شديد ودقيق وخطير، وقد كان الصحابة يتهربون منه ويحيل بعضُهم على بعض الفتاوى والاستفتاء.

وفي هذا المعنى يقول الإمام مالك رحمه الله: «ما شيء أشد عليَّ من أن أُسأل عن مسألة من الحلال والحرام؛ لأن هذا هو القطع في حُكم الله، ولقد أدركت أهل العلم والفقه في بلدنا، وإن أحدهم إذا سئل عن مسألة كأن الموت أشرف عليه، ورأيت أهل زماننا هذا يشتهون الكلام فيه والفتيا، ولو وقفوا على ما يصيرون إليه غداً لقللوا من هذا، وإن عمر بن الخطاب، وعلياً، وعلقمة، وخيار الصحابة كانت ترد عليهم المسائل وهم خير القرون الذين بعث فيهم النبي صلى الله عليه وسلم، كانوا يجمعون أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ويسألون، ثم حينئذ يفتون فيها، وأهل زماننا هذا قد صار فخرهم الفتيا، فبقدر ذلك يُفتح لهم من العلم»[3]، هذا في عصر الإمام مالك، فكيف لو عاش لعصرنا ورأى وسائل التواصل فماذا عساه أن يقول؟!

معالم منهجية في الإفتاء بشأن «كورونا»:

وللنظر في المستجدات عامة، ونازلة فيروس «كورونا المستجد» خاصة، منهجية من اللازم اتباعها للوصول إلى حكم شرعي صحيح، ومن أهم هذه المعالم:

أولاً: لا ينظر في النوازل إلا المؤهلون لها:

لا بد للناظر في نصوص الشريعة عامة، والنوازل خاصة، أن تتوفر فيه مؤهلات مذكورة ومقررة في كتب الأصول، وهناك من الأئمة من أجمل خصالاً وآداباً فضلاً عن المقومات، ومن ذلك ما قاله الإمام أحمد أنه قال: لا ينبغي للرجل أن ينصب نفسه للفتيا حتى يكون فيه خمس خصال:

أولها: أن تكون له نية، فإن لم يكن له نية لم يكن عليه نور ولا على كلامه نور.

والثانية: أن يكون له علم وحلم ووقار وسكينة.

الثالثة: أن يكون قوياً على ما هو فيه وعلى معرفته.

الرابعة: الكفاية وإلا مضغه الناس.

الخامسة: معرفة الناس».

قال الإمام ابن القيم معلقاً على هذه الخصال: «وهذا مما يدل على جلالة أحمد، ومحله من العلم والمعرفة؛ فإن هذه الخمسة هي دعائم الفتوى، وأي شيء نقص منها ظهر الخلل في المفتي بحسبه»[4]، ثم شرح الإمام ابن القيم كل خصلة منها شرحاً وافياً في الموضع نفسه.

وفي التأني وعدم التسرع في الفتوى، جاء عن الإمام مالك رحمه الله أنه قال: «إني لأفكر في مسألة منذ بضع عشرة سنة، فما اتفق لي فيها رأي إلى الآن»[5]، وقال أيضاً: «ربما وردت عليَّ المسألة فأفكر فيها ليالي»[6].

ويقول الإمام ابن القيم رحمه الله في ذلك: «حقيق بمن أقيم في هذا المنصب أن يعدّ له عدّته، وأن يتأهب له أهبته، وأن يعلم قدر المقام الذي أقيم فيه، ولا يكون في صدره حرج من قول الحق والصدع به، فإن الله ناصره وهاديه، وكيف وهو المنصب الذي تولاه بنفسه رب الأرباب»[7].

هذه جملة من الخصائص والخصال التي ينبغي أن يتحلى بها من يتصدى للنظر الشرعي في النوازل؛ فضلاً عن شروط المفتي أو المجتهد التي تشمل العلم بالقرآن والسُّنة ومواضع الاختلاف ومواضع الاتفاق ومقاصد الشريعة وعلوم العربية ونحو ذلك مما هو مكرر ومقرر في كتب الأصول.

ومن المؤسف أن الفتيا في عصرنا تتعرض للانتهاك من غير المؤهلين لها؛ فيفتي من يعرف ومن لا يعرف، من هو مؤهل ومن ليس مؤهلاً، في حين أنهم عند التخصصات الدنيوية في الطب والهندسة وعلوم الأرض بل علوم الدنيا لا يتجرؤون هذه الجرأة، وإنما يستمعون للطبيب ولا يناقشون، وللمهندس ويستمعون، ولعالم الفلك ولا يجادلون، وللصيدلي وينصتون، إلا الفتوى في دين الله فإنها -مع الأسف- أصبحت مباحة الحِمَى!

عين المجتهد تقع أول ما تقع على النازلة وفقهها والوقوف على كل ما يتعلق بها ثم يذهب للشرع

هناك شبه بين تعامل المفتي مع الأديان والطبيب مع الأبدان فالحاذق من يحسن التشخيص قبل العلاج

نازلة «كورونا» تتصل بأحكام المساجد والصلوات والصيام والاعتكاف والحج والجنائز وبعض الأحكام الاجتماعية



ثانياً: فقه النازلة:

إن فقه النازلة والواقع المحيط بها وملابساتها وطبيعتها والتعرف إلى تفصيلاتها الجزئية بدقة وأمانة يعتبر الفيصل في الاجتهاد، وتنزيل الحكم الشرعي وتحقيق مناطه، فإن عين المجتهد تقع أول ما تقع على النازلة وفقهها والوقوف على كل ما يتعلق بها، ثم يذهب للشرع الشريف ونصوصه المقدسة يلتمس لها العلاج والدواء والحكم الشرعي الصحيح.

وفي هذا يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «ولا يتمكن المفتي ولا الحاكم من الفتوى والحكم بالحق إلا بنوعين من الفهم:

أحدهما: فهم الواقع والفقه فيه واستنباط علم حقيقة ما وقع بالقرائن والأمارات والعلامات حتى يحيط به علماً.

والثاني: فهم الواجب في الواقع، وهو فهم حكم الله الذي حكم به في كتابه أو على لسان رسوله في هذا الواقع، ثم يطبق أحدهما على الآخر؛ فمن بذل جهده واستفرغ وسعه في ذلك لم يعدم أجرين أو أجراً، ومن تأمل الشريعة وقضايا الصحابة وجدها طافحة بهذا، ومن سلك غير هذا أضاع على الناس حقوقهم، ونسبه إلى الشريعة التي بعث الله بها رسوله»[8].

فابن القيم هنا يبين مركزية فقه النازلة وما يلابسها في الواقع، ويعتبرها الخطوة الأولى في الاجتهاد التي يتأسس عليها فقه الواجب فيها، فبعدما يتعرف إلى النازلة يذهب للشرع الشريف بنصوصه ومقاصده ليبحث لهذه النازلة عن حكمها الصحيح.

ومن فراسة المفتي وفطانته أن يستفسر عن كل شيء خاص بالنازلة؛ كي يستوعبها تماماً، وهذا يناظر عمل الطبيب؛ فإنه يسأل المريض أسئلة كثيرة حتى يقف على التشخيص السليم للمرض ليصف له العلاج الناجح والدواء الناجع؛ ولهذا دائماً هناك شبه كبير بين تعامل المفتي مع الأديان وتعامل الطبيب مع الأبدان.

ثالثاً: العلم بالأحكام الشرعية المتعلقة بالنازلة:

ومن معالم المنهجية الواجب اتباعها في الفتاوى بالنوازل –بعد الاطلاع على النازلة بتفصيلاتها كما سبق– أن يكون المفتي أو المجتهد على علم بالأبواب الفقهية والمسائل التي تندرج تحتها النازلة إن كانت مما يندرج تحت باب أو يتخرج على مسائله.

وقد تكون النازلة جديدة غير مسبوقة؛ فيتلمس لها المجتهد بعلمه وخبرته وملكاته ومهاراته حكم الشرع لها من خلال ما استقر لديه من الكليات والمعاني والمقاصد وروح التشريع بشكل عام.

فإذا كانت المسألة النازلة أو المستجدة تقع في باب العبادات فيجب استحضار مسائل العبادات ومقاصدها ومراد الشارع العام منها، وإذا كانت تقع في أحكام الأسرة فعلى هذا النحو، وهكذا في الأبواب كلها.

وفي نازلة «كورونا»، فإنها تتصل بأحكام المساجد والصلوات والصيام والاعتكاف والحج والجنائز وبعض الأحكام الاجتماعية؛ فيجب على الفقيه الذي تأهل للنظر ويتصدى للإفتاء والاجتهاد أن يكون محيطاً إحاطة كاملة بهذه المسائل ويستحضرها ويستظهرها؛ شكلاً وروحاً، أحكاماً ومقاصد، بالأسباب والشروط والأركان والموانع والعزائم والرخص والصحة والفساد والبطلان؛ حتى يتمكن من التخريج والإلحاق، أو الاجتهاد من جديد إنشاءً؛ مستحضراً مقاصد الشارع من الباب الذي تنتمي له المسألة محل الاجتهاد والنظر والإفتاء.

رابعاً: رعاية المقاصد:

ومن المعالم المنهجية في الإفتاء بالنوازل رعاية مقاصد الأحكام؛ فإنها ضابطة للعقل الفقهي، وناظمة لحركة الإفتاء والنظر في النصوص والاستنباط منها، فوظائف المقاصد متنوعة ومهمة ومحورية.

وهذا ما حدا الإمام الشاطبي أن يحصر مقومات درجة الاجتهاد في وصفين: فهم مقاصد الشريعة، والقدرة على الاستنباط في ضوئها، يقول: «إنما تحصل درجة الاجتهاد لمن اتصف بوصفين:

أحدهما: فهم مقاصد الشريعة على كمالها.

والثاني: المكن من الاستنباط بناء على فهمه فيها.

أما الأول؛ فقد مر في كتاب المقاصد أن الشريعة مبنية على اعتبار المصالح، وأن المصالح إنما اعتبرت من حيث وضعها الشارع كذلك، لا من حيث إدراك المكلف؛ إذ المصالح تختلف عند ذلك بالنسب والإضافات واستقر بالاستقراء التام أن المصالح على ثلاث مراتب، فإذا بلغ الإنسان مبلغاً، فهم عن الشارع فيه قصده في كل مسألة من مسائل الشريعة، وفي كل باب من أبوابها فقد حصل له وصف هو السبب في تنزله منزلة الخليفة للنبي صلى الله عليه وسلم في التعليم والفتيا والحكم بما أراه الله.

وأما الثاني: فهو كالخادم للأول؛ فإن التمكن من ذلك إنما هو بواسطة معارف محتاج إليها في فهم الشريعة أولاً، ومن هنا كان خادماً للأول»[9].

ونص الشاطبي هذا واضح وجلي ومعبر عن المراد بهذا المعلم، وأهميته في النظر الشرعي، ومحوريته في الاجتهاد وشرعيته وصحته.

خامساً: رعاية المآلات:

قد يكون المجتهد متمكناً من استيعاب النازلة، وقد يكون متضلعاً من علوم الشريعة، ومتحققاً بمقومات الاجتهاد وشرائطه، ولكنه لا يملك مهارة التنزيل التي تتضمن النظر إلى الموازنات بين المصالح بعضها وبعض، والمفاسد بعضها وبعض، والمصالح والمفاسد، وكذلك رعاية المآلات واعتبارها قبل التنزيل وأثناء التنزيل.

فقد يكون الأمر واجباً، ثم يتحول إلى حرام؛ بسبب ما يفضي إليه من مآل فاسد أو ضار، وقد يكون محرماً لكنه يباح أو قد يصل للوجوب بسبب رعاية المآل، وهكذا.

ولهذا قرر الإمام الشاطبي أن «النظر في مآلات الأفعال معتبر مقصود شرعاً، كانت الأفعال موافقة أو مخالفة، وذلك أن المجتهد لا يحكم على فعل من الأفعال الصادرة عن المكلفين بالإقدام أو بالإحجام إلا بعد نظره إلى ما يؤول إليه ذلك الفعل، مشروعاً لمصلحة فيه تستجلب، أو لمفسدة تدرأ، ولكن له مآل على خلاف ما قصد فيه، وقد يكون غير مشروع لمفسدة تنشأ عنه أو مصلحة تندفع به، ولكن له مآل على خلاف ذلك، فإذا أطلق القول في الأول بالمشروعية، فربما أدى استجلاب المصلحة فيه إلى المفسدة تساوي المصلحة أو تزيد عليها، فيكون هذا مانعاً من إطلاق القول بالمشروعية، وكذلك إذا أطلق القول في الثاني بعدم مشروعية ربما أدى استدفاع المفسدة إلى مفسدة تساوي أو تزيد، فلا يصح إطلاق القول بعدم المشروعية وهو مجال للمجتهد صعب المورد، إلا أنه عذب المذاق محمود الغب، جار على مقاصد الشريعة»[10].

وبهذه المعالم يكون المجتهد أقرب للسلامة، ويكون الاجتهاد أدنى للصحة، وتكون الفتوى محققة لمقاصدها؛ صحة في النظر، وتحقيقاً للمناط، واستيعاباً للواقع، وتحكيماً للمقاصد، ورعاية للمآلات، والله تعالى أعلى وأعلم وأحكم.■

مقاصد الأحكام متنوعة فهي ضابطة للعقل الفقهي وناظمة لحركة الإفتاء والنظر في النصوص والاستنباط منها

الهوامش

(1) الرسالة: 20. محمد بن إدريس الشافعي. تحقيق أحمد شاكر. مكتبه الحلبي، مصر. الطبعة: الأولى، 1358هـ/ 1940م.
(2) الخصائص العامة للإسلام: 105. لشيخنا الإمام يوسف القرضاوي. مؤسسة الرسالة. بيروت. لبنان. الطبعة الثانية. 1404هـ 1983م.
(3) ترتيب المدارك 1/ 179. مطبعة فضالة المحمدية. المغرب.
(4) إعلام الموقعين 4/ 152. للإمام ابن قيم الجوزية. تحقيق محمد عبد السلام إبراهيم. دار الكتب العلمية. بيروت. الطبعة الأولى. 1411هـ/ 1991م.
(5) ترتيب المدارك 1/ 178.
(6) المرجع السابق: 1/ 144.
(7) إعلام الموقعين 1/ 9.
(8) إعلام الموقعين 1/ 69.
(9) الموافقات للشاطبي: 5/ 41–43. تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان. دار ابن عفان. الطبعة الأولى. 1417هـ/ 1997م.
(10) الموافقات: 5/ 177–178.

دليل على صلاحية الشريعة الإسلامية وخلودها وحاجة البشرية لها..

الاستنفار الفقهي في ظل جائحة «كورونا»



طه سليمان عامر
رئيس هيئة العلماء والدعاة بألمانيا، وعضو المكتب التنفيذي للمجلس الأوروبي للأئمة

بديعة تلك الكلمة «الاستنفار»؛ فهي مستوحاة من اللفظ القرآني الشريف الوارد في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (التوبة: 122)، فحين شرعتُ في كتابة هذا المقال حول الحالة الفقهية والإفتائية في ظل جائحة «كورونا» رأيت التعبير بها أجمل وأقرب وأرحب.

نعم كان استنفاراً كاملاً على المستوى الفقهي والفكري والدعوي والتربوي والاجتماعي والميداني، ولكل منه مظاهر وتجليات، وهو حقيق أن نفرد له مقالات تُسلط الضوء على كل جانب، بَيْد أننا أردنا هنا إفراد الحديث عن أحد أهم هذه الجوانب لنقف على بعض معالمه ومظاهره وآثاره.

لا ريب أن واقع الأحداث والأزمات الكبيرة تفرض نفسها على العقل فتشحذه، وعلى الهمة فتوقظها، وعلى العزائم فتنميها، وعلى الإرادات فتقويها، وعلى الأخلاق فتلهبها، ثم هي في الوقت ذاته كاشفة ومُمتحنة لما سبق.

ولم يسلم من هذا الاختبار صغير أو كبير، عالم أو مقلد، سياسي أو حزبي، كلٌّ على حسب قَدْره وبلائه، وتلك هي طبيعة النوازل والمدلهمات.

منذ وقعتْ واقعة الفيروس الذي حاصر الدنيا وأربك العالم وعطل مسارات الحياة -وكأنّ القيامة قد قامت- انطلق العلماء والدعاة في الشرق والغرب في غَيرة مُعجبة، وحماسة مُلهبة، وترشيد وتثقيف وتوعية جماهيرية، وحركة دائبة للتعاطي مع تلك الأزمة وما أفرزته من واقع تجلى على المشهد الديني والاجتماعي والاقتصادي، نجم عنه كثير من الأسئلة الفقهية والعقدية والأخلاقية.

انطلق الفيروس المجنون من الصين وظن العالم في الغرب والشرق أنطه عنه بعيد، وانبرى بعض المسلمين شامتين مُعَلقين هذه الجائحة على ظلم أصاب المسلمين هناك، وحينما زحف على أوروبا دار جدل فقهي حول بعض المسائل، أبرزها وقف صلاة الجمعة والجماعات والمدارس والجامعات وغيرها، وفقدت الدول عوائدها الاقتصادية، وحصد الفيروس عشرات الألوف من الأرواح وأضعافهم من المصابين.

واقعٌ جديدٌ أنتج حالة لم يعشها المسلمون من قبل باعتبار امتدادها آفاق الكرة الأرضية.

وبرزت أسئلة وأجوبة كشفت مناحي القوة والضعف في الجانب المعرفي والثقافي والشرعي والأخلاقي والنفسي، منها:

- هل الفيروس عقاب من الله تعالى؟
- ما العلاقة بين القدر والأسباب؟
- هل ما وقع في الصين عقوبة لهم على ظلم المسلمين؟
- كيف نتعامل مع المصاب بفيروس «كورونا»؟
- هل يجوز تعطيل صلاة الجمعة وقاية من انتشار الفيروس؟
- هل تصح صلاة الجمعة في البيوت؟
- ما حكم الصلاة مع انقطاع الصفوف بمسافة متر ونصف متر؟
- ما واجب المسلم الاجتماعي في الواقع الأوروبي والعالمي؟
- ما حكم تغسيل المتوفى بالفيروس إن غلب على الظن العدوى؟
- ما حكم تقديم مريض على مريض آخر عند العجز عن مداواتهما معاً؟
- هل يجوز الإفطار بسبب فيروس «كورونا»؟
- كيف يصلي المسلمون التراويح في رمضان؟ هل تجوز الصلاة خلف البث المباشر؟
- هل يجوز القرض الربوي للمساجد والمؤسسات التي تضررت بسبب الفيروس؟

تلك الأسئلة أوجدت حالة من الحراك الفقهي والإفتائي والفكري والفلسفي، وكشف كثيراً من الحقائق وجوانب القوة والضعف عند عوام المسلمين ونُخَبهم، أهمها، في تقديري، الحرص العام من المسلمين على أمور دينهم؛ فكثير من المسلمين شرقاً وغرباً لم يستوعبوا أبداً أن يُحرموا من صلاة الجمعة والجماعة بعد أن عاشوا عليها ردحاً من الزمان وتعلقت قلوبهم ببيوت الله تعالى.

لهذا كثر التفاتي حول أحكام الصلاة في ظل الجائحة، وتألمتُ الجماهير لعدم تمكنهم من الصلاة في المساجد.

وانتاب الناس شعور بالخطر على الدين؛ فأقبلوا على البرامج الدعوية والتعليمية والتثقيفية والروحية التي نفرت لها المساجد والدعاة والمؤسسات الإسلامية حول العالم على نحو ألقى في النفوس الطمأنينة، وضاعف الثقة في العلماء والدعاة أنهم على قدر المسؤولية الكبيرة، وأن راية الدين والعلم والتربية ستجد من يحملها ويأخذها بحقها.

وإذا كانت فتوى صلاة الجمعة في البيوت والصلاة خلف البث المباشر مخالفة لجماهير العلماء والمجامع الفقهية، فإن باعثها ومحركها هو الحرص على الناس

والخوف على الشعيرة.

وهذا الحرص وتلك العاطفة المقدّرة كانت حاضرة خلف فكرة الصلاة المتباعدة في وقت اشتداد الأزمة وانتشار الفيروس، كحل من باب «أخف الضررين»، ولا ريب أن الفتوى بتعليق الصلوات هي الأصح والأسلم في ذلك الوقت.

النوازل تبعث على النظر والتأمل والمراجعة:

سألني الصحفي المعروف د. راين هيرمان، الكاتب في أحد أهم الصحف الألمانية «Frankfurte Algemeine Zeitung»، قائلاً: ألا تنزعجون من الفتاوى التي تنتشر عبر الإنترنت من غير المختصين، سواء في ظل أزمة «كورونا» أو غيرها؟

قلت: لا أنزعج كثيراً؛ لأن البضاعة الجيدة تدفع الرديئة، ثم إننا نعيش عصر الثورة المعرفية المفتوحة، فهو سباق، ومن شأنه أن يصنع حالة من التدافع الإيجابي الذي يحرك العقول نحو النظر والتأمل والمراجعة والبحث واقتحام تلك الساحات، وفي يدك منتج علمي قادر على الظفر بالعقول والقلوب، وهذا دورنا وتلك مهمتنا.

إنني مغتبط بالدور الكبير الذي قامت به المؤسسات الإفتائية الجماعية والجهود الفردية؛ تأصيلاً وتقعيداً وترشيداً وتوجيها للمسلمين، للتعامل الأمثل مع تلك الجائحة ومقتضياتها، والإجابة عن أسئلة الجماهير.

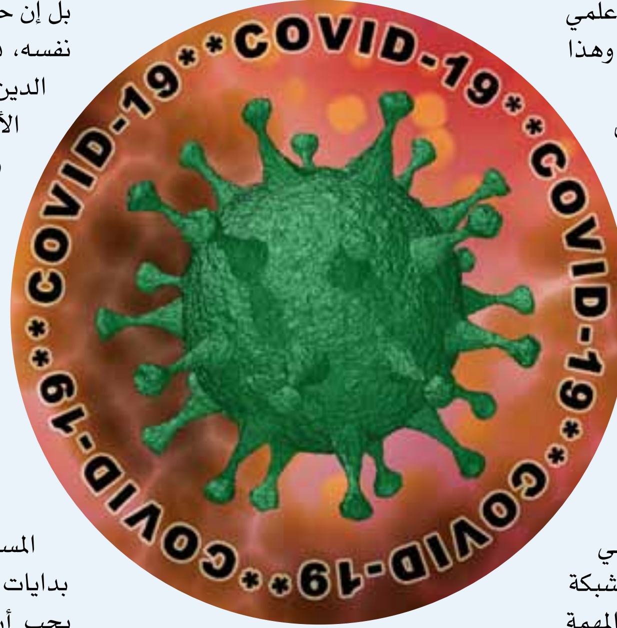
فقد قدم الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، والمجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث، وغيرهما من المؤسسات العلمائية والإفتائية حول العالم، جهوداً كبيرة سابقة، وعقد المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث دورتين متتاليتين عبر شبكة الإنترنت، وأصدر عدداً من الفتاوى المهمة التي تتعلق بالعبادات والمعاملات في ظل هذه الجائحة.

وهو جهد مشكور وله أجر موفور، على الرغم من ضعف الإمكانات المادية والبشرية، غير أن الشعور بالمسؤولية والحاجة الماسة للبيان والتوجيه كانت دافعاً لبذل الجهود الفكرية وتقليب الرأي والاستجابة للنازلة ومقتضياتها.

أسئلة وأجوبة برزت في ظل الأزمة كشفت مناحي القوة والضعف في الجوانب المعرفية والشرعية والنفسية

الناس انتابهم شعور بالخطر على الدين فأقبلوا على البرامج الدعوية التي نفرت لها المساجد والمؤسسات الإسلامية

يجب أن يبرهن الاجتهاد الفقهي بالنوازل خاصة على حكمة التشريع الإسلامي ورعايته لمصالح العباد في الدارين



رعاية البُعد المصلحي وأثره الرسالي:

يجب أن يبرهن الاجتهاد الفقهي في النوازل خاصة على حكمة التشريع الإسلامي ورعايته لمصالح العباد في الدارين، وقدرته على معالجة القضايا المتجددة.

يُصَدر كثير من العلماء كتاباتهم بهذه العبارة الذهبية الجامعة لابن القيم التي افتتح بها كتابه العظيم «إعلام الموقعين»: «إن الشريعة مبناها وأساسها على الحِكَم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها؛ فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث، فليست من الشريعة، وإن أُدخلت فيها بالتأويل».

ومن الخطأ والعجز أن تكون المسافة كبيرة بين التنظير والتطبيق، وأبرز اختبار حقيقي للفقه المتشبع بمقاصد الشرع هو ميدان الحركة والأحداث والنوازل، وقد تجلى واضحاً في عدد من الفتاوى، مثل تعليق الجمعة والجماعات في ظل اشتداد أزمة «كورونا»، والفتوى بعدم صحة صلاة التراويح في رمضان خلف البث المباشر.

وحينما سألني الصحفي آنف الذكر عن سبب تعليق الجمعة والجماعات قلنا: إن حفظ النفس في سلم الضرورات مُقَدَّم على حفظ الدين في مرتبة الحاجيات أو التحسينيات، بل إن حفظ النفس هو من صلب حفظ الدين نفسه، فإن زهقت الأرواح فمن يقوم بحفظ الدين؟ ثم إننا حين نؤكد أن الدين يحفظ الأرواح والحياة، فإننا نؤكد ربانيته وحاجة البشرية إليه ونرد الناس إليه ونذود عنه التهم والشبهات.

فتلك القواعد يجب أن تكون حاكمة لنا في النظر والتأصيل والاختيارات الفقهية، وقد أفتى المجلس الأوروبي بجواز ترك غسل المتوفى بفيروس «كورونا» إن غلب على الظن العدوى حفظاً لحق الحي وهو أولى وأجدر بالوقاية.

لذلك كنا ننتقد تهاون بعض المسلمين وتعجلهم في فتح المساجد في بدايات الجائحة، وقلنا مرات: إن الأديان يجب أن تكون سابقة للقرارات السياسية، فلا تتأخر أو تتهاون، بل تؤكد حفظ الحياة والدعوة بكل سبيل على أسباب الوقاية.

تأكيد خلود وصلاحية الشريعة لكل زمان ومكان:

مبدأ لا يختلف عليه مسلمان؛ أن الإسلام جاء صالحاً لمعالجة قضايا كل عصر وكل بيئة، ولا ريب في ذلك، وصدق الله مولانا

العظيم: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (النحل: 89)، ورحم الله الإمام الشافعي حين قال: «وليست تنزل بأحد من أهل دين الله نازلة إلا وفي كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها».

وعمل المجتهدين هنا: الكشف عن مراد الله تعالى في المسألة رجاء إصابة الأجرين عند الصواب أو الأجر عند الخطأ.

ومن أهم ما يُنْجِد الفقيه أن الشريعة اشتملت أصولاً وقواعد كلية مرنة تُسعف المجتهدين بالنظر في المستجدات والنوازل، يقول الإمام محمد الطاهر بن عاشور في كتابه «مقاصد الشريعة»: «فعموم الشريعة لسائر البشر في سائر العصور مما أجمع عليه المسلمون، وقد أجمعوا على أنها مع عمومها صالحة للناس في كل زمان ومكان، وهي عندي بكيفيتين:

الأولى: أن هذه الشريعة قابلة بأصولها وكلياتها للانطباق على مختلف الأحوال، بحيث تساير أحكامها مختلف الأحوال دون حرج ولا مشقة ولا عسر.

الثانية: أن يكون مختلف أحوال العصور والأمم قابلاً للتشكيل على نحو أحكام الإسلام دون حرج ولا مشقة ولا عسر، كما أمكن تغيير الإسلام لبعض أحوال العرب والفرس والقبط والبربر والروم والتتار والهنود والصين والترك من غير أن يجدوا حرجاً ولا عسراً في الإقلاع عما نزعوه من قديم أحوالهم الباطلة».

ولعل أعظم ما يعين المجتهدين في وقت الأزمات النصوص الكلية التي وردت في القرآن الكريم، والقواعد الأصولية والفقهية الجامعة التي تتخرج عليها المسائل الجزئية، فقواعد الضرورة والرخص هي التي ألجأتنا إلى القول بتعليق الجمعة والجماعات، وترك تغسيل الميت المصاب بالفيروس والدفن في مقابر غير المسلمين عند انعدام المقبرة الخاصة بالمسلمين، وقاعدة أخف الضررين وأهون الشرين جعلتنا نريد الفتح التدريجي للمساجد والصلاة مع انقطاع الصفوف أولى من تركها وبُعد الناس عن المساجد زمناً طويلاً.

وهذا هو الفقه الذي يدخل إلى القلوب بغير استئذان، كما عبر عن ذلك الإمام ابن القيم رحمه الله، ذلك الفقه الذي يستحضر المقاصد والمعاني في معالجة النوازل والمستجدات، ويعتبر مراتب الأعمال، ويُفَعِّل فقه الموازنة بين الأعمال والتصرفات، ويقدر المصالح والمفاسد؛ فيقدم المصلحة الغالبة على المفسدة، ويتحمل أخف الضررين وأهون الشرين.

ولا ريب أنه معترك دقيق يتداخل فيه الشرعي والإنساني والطبي والاقتصادي والاجتماعي والسياسي.

حِفْظُ النفس من صلب حفظ الدين نفسه فإن زُهقت الأرواح فمن يقوم بحفظ الدين؟!

أعظم ما يعين المجتهدين في وقت الأزمات النصوص الكلية القرآنية والقواعد الأصولية والفقهية الجامعة

البعد الواقعي وأثره في تغير الفتوى:

الفتوى هي ثمرة تفاعل النص مع الواقع، وبقدر الإحاطة بهذا الواقع ومعرفته تكون الفتوى أقرب للصواب، وليس ثمة واقع أشد تعقيداً من زماننا، والحكم على الشيء فرع من تصوره، والتسرع في بعض الفتاوى كان أحد أهم أسبابه ضعف تصور المسألة، وخطأ بعض المعلومات، وعدم اللجوء إلى أهل الاختصاص، وقد عقد الإمام ابن القيم فصلاً في باب تغيُّر الفتوى وعدَّ من أسباب تغيرها ستة، وأضاف العلامة الإمام القرضاوي أربعة في كتابه «موجبات تغير الفتوى».

وكلما كان المفتي أو المجالس الإفتائية قريبة من الواقع بأبعاده النفسية والاجتماعية والاقتصادية والمآلاتية؛ كانت الفتوى أقرب للحق وأرعى للمصلحة وأرجى للنفع.

لكن الصعوبة هنا في التغير المتسارع للواقع خاصة عند الأزمات، فقد تابعنا وما زلنا كيف أدارت ألمانيا كنموذج ناجح أزمة «كورونا»، فكان القرار السياسي مرهوناً بالجهات المختصة، وأنا لا أريد أن أطالب المؤسسات العلمائية الإفتائية حول العالم بنفس المقدار؛ وذلك لقلة المؤونة وضعف الإمكانات المالية والبشرية، لكن المأمول والمنشود دوماً أن نلاحق الواقع ونتابعه على نحو دقيق، وحادينا إليه أهل الاختصاص في كل فن.

كلما كانت المجالس الإفتائية قريبة من الواقع كانت الفتوى أقرب للحق وأرعى للمصلحة

وما أجمل عبارة ابن القيم الذي يؤكد فيها أهمية فهم الواقع، يقول رحمه الله: ولا يتمكن المفتي، ولا الحاكم من الفتوى والحكم بالحق إلا بنوعين من الفهم:

أحدهما: فهم الواقع والفقه فيه، واستنباط علم حقيقة ما وقع بالقرائن والأمارات والعلامات «حتى يحيط به علماً».

والثاني: فهم الواجب في الواقع، وهو فهم حكم الله الذي حكم به في كتابه أو على لسان رسوله في هذا الواقع، ثم يطبق أحدهما على الآخر.

ومن هناك كان القرار بفتح المساجد مع كافة الاحترازات الصحية نابعاً من القرارات الإدارية التي انطلقت من واقع الحال المؤسس على الدراسات والبحوث والإحصائيات.

في ختام هذا المقال، أؤكد أن ما أنتجته جائحة «كورونا» من حراك فقهي كبير كشف عن طاقات موفورة وقدرة على إدارة الأزمة عند المؤسسات العلمائية والإفتائية «المستقلة»، والتصدي لحاجات الناس والإجابة عن تساؤلاتهم، لكننا بحاجة إلى إحياء الفقه «الأرأيتي»؛ وهو الفقه الافتراضي أو النظر المستقبلي، ولا ريب أن فتاوى الضرورة مما تفرضه الحوادث وتقلبات الأيام.

ونرى أن الاجتهاد الجماعي أقوم قيلاً من الاجتهاد الفردي، وإن كان الأول لا يمنع الثاني ولا يحجر عليه، وحين نقلب النظر سنجد أن فتاوى المجامع الفقهية في جائحة «كورونا» أدق وأقرب لمقاصد الشرع ومصالح العباد من الاجتهادات الفردية.

ولا أدعي ولا غيري أن هناك عصمة لأحد بعد الله ورسوله، إنما هو تسديد ومقاربة، ثم بعد ذلك يبقى هامش المراجعة وتقليب الرأي والنظر، وتبقى دوماً قلوب وعقول أهل العلم والفقه منفتحة للنصيحة، وتبقى ساحات النقاش فسيحة وفق آداب الاختلاف التي ورثناها عن عظمائنا الفقهاء الذين شيدوا من سعة العلم والخلق والأدب ما يسع الناس جميعاً.■

أحاديث الانقلاب في تركيا من جديد

الانقلابات العسكرية جزء لا يتجزأ من تاريخ تركيا الحديث؛ ذلك أنه بالإضافة إلى عشرات التدخلات غير المباشرة في الحياة السياسية من قبل المؤسسة العسكرية منذ تأسيس الجمهورية، عانت البلاد من 5 انقلابات عسكرية مباشرة، كان آخرها عام 2016م دبره ما يعرف بـ «التنظيم الموازي»، أو القيادة المتنفذة في جماعة «كولن».

وقد ساد اعتقاد محق بعد المحاولة الانقلابية الفاشلة صيف 2016م وما حوته من أحداث وتضمنته من دلالات بأن تركيا قد أغلقت باب الانقلابات العسكرية إلى غير رجعة، لكن بعض التصريحات السياسية أعادت الأجندة السياسية في البلاد مؤخراً للحديث عن الانقلابات واحتمالاتها.



د. سعيد الحاج
محلل سياسي مختص بالشأن التركي

تصريحات لقيادات بحزب الشعب الجمهوري بأن «أردوغان» ذاهب قريباً بصناديق الانتخابات أو بطريقة أخرى

من غير المتوقع أن يكون هناك من يخطط لانقلاب عسكري ثم ينسف عنصر المباغتة بتسريب الأمر للإعلام

التصريحات تمثل ضغطاً على «أردوغان» وحزبه.. ودغدغة لمشاعر أنصار «الشعب» باقتراب وصولهم للسلطة

القيام بانقلاب عسكري وفرص نجاحه واحتمالية وقوعه أقل بكثير من السابق

وردت تصريحات على ألسنة بعض قيادات حزب الشعب الجمهوري، أكبر أحزاب المعارضة، في إطار تقييم أداء الحكومة مؤخراً وخصوصاً في مواجهة وباء «كورونا» تبشّر أنصار الحزب بأن «أردوغان» ذاهب قريباً، بصناديق الانتخابات أو بطريقة أخرى.

هذه الإحالة إلى «طريقة أخرى» غير صناديق الانتخابات أحدثت ضجة كبيرة، وسيطرت على النقاش السياسي والإعلامي في البلاد على مدى أسابيع، ذلك أن بلداً مثل تركيا من الصعب تفسير كلمة «بطريقة أخرى» فيه بعيداً عن شبح الانقلابات العسكرية، فهل هددت المعارضة «أردوغان» وحزب العدالة والتنمية بانقلاب عسكري صريح؟

تقول مصادر الحزب المعارض: إن تصريحاتها لا علاقة لها من قريب أو بعيد بالتهديد بانقلاب، وأن ذلك ما حاول الحزب الحاكم إيهام الناس به للتغطية على المشكلات الأساسية للبلاد وخصوصاً الأزمة الاقتصادية في ظل «كورونا»، مؤكدين أن حزبهم كان وما زال وسيبقى ضد الانقلابات العسكرية.

عدم اقتران تلك التصريحات بانقلاب عسكري وشيك يبدو أمراً منطقياً؛ ذلك أنه من غير المتوقع أن يكون هناك في المؤسسة العسكرية -على رأسها أو ضمن قيادتها- من يخطط لانقلاب عسكري ثم ينسف عنصر المباغتة فيه بتسريب الأمر إلى سياسيين، ثم إلى الإعلام والرأي العام، عبر تصريحات سياسية كيدية على لسان المعارضة، كما أن البلاد ليس فيها ما يهيئ الأوضاع لانقلاب عسكري كما كان يحصل سابقاً بشكل عفوي أو متعمد، مثل الانسداد السياسي أو الاحتراب الأهلي أو الأزمات الاقتصادية الكبيرة.

لذا؛ يصح قول الحزب المعارض بأن تصريحات قياداته لا علاقة لها بانقلاب عسكري وشيك، لكن ذلك لا يعني أيضاً أنه لن يكون سعيداً لو حصل، ذلك أن تاريخه مرتبط إلى حد كبير بالانقلابات العسكرية السابقة، على الأقل من زاوية الرضا بها -حيث أطاحت بمنافسيه عادة- والتعامل معها أو من باب أنه يمثل النخبة العلمانية السياسية المتحالفة مع المؤسسة العسكرية في الوصاية على الجمهورية التركية.

تصريحات مقصودة

الأهم أن التصريحات التي أدلى بها بعض مسؤولي الحزب تبدو مقصودة لذاتها، ومطلوب منها أن توحي بما أوحت به، فالحزب يرى في ذلك -على ما يبدو- ضغطاً على «أردوغان» والعدالة والتنمية، وإضافة إلى ذلك -ولعل ذلك هو الأهم- يدغدغ مشاعر أنصاره وكوادره ويعطيهم





أملاً بالوصول للسلطة أخيراً بعد الغياب عنها لعقود، ويوفر كذلك مادة للجدل السياسي والحضور الإعلامي للحزب يمكن أن يلقي بظلالها على أداء الحكومة المرضي عنه عموماً في مواجهة جائحة «كورونا».

رد العدالة والتنمية كان سريعاً وحاداً وحاسماً، اتهم «أردوغان» حزب الشعب الجمهوري بدعم الأفكار الانقلابية لإسقاط الحكومة بعد الفشل في منافستها سياسياً أو تغييرها انتخابياً، وشن عليه حملة واسعة عبر عدة مسؤولين في الحكومة والحزب الحاكم، كما أن وسائل التواصل الاجتماعي اشتعلت في البلاد، خاصة من أنصار العدالة والتنمية وممن واجهوا المحاولة الانقلابية الأخيرة في الشوارع بأنفسهم، رفضاً لمنطق الاستنجاد بالتدخلات العسكرية لحسم التنافس السياسي في البلاد.

ولئن كان العدالة والتنمية محقاً في رفضه الحاسم لأي تلميحات بخصوص انقلاب عسكري محتمل في البلاد؛ لما يتعلق به كحزب حاكم، وكذلك لما قد يجره على البلاد من ويلات، إلا أنه لا يمكن إغفال فكرة استثماره تلك التصريحات للضغط أكثر على الشعب الجمهوري وزيادة التفاف أنصاره هو خلف قيادة «أردوغان»، فضلاً عن تحويل الأجندة السياسية والإعلامية في البلاد قليلاً عن وباء «كورونا» وتداعياته الاقتصادية على وجه التحديد.

لكن يبقى الأهم من تصريحات الشعب الجمهوري الفكرة التي أوحت بها، وهي احتمال حدوث انقلاب عسكري.. فهل ثمة احتمال كهذا؟

لا شك أن المحاولة الأخيرة الفاشلة كانت محطة إضافية على مسار طويل

مع الحذر المطلوب ثمة حاجة ملحة لسد الثغرات التي يمكن أن ينفُذ منها التفكير بانقلاب عسكري

يصعّب التوسل لانقلاب جديد؛ ذلك أنها كانت دموية أكثر مما سبقها من انقلابات، ونزل الشعب خلالها لأول مرة إلى الشوارع ليشارك بنفسه في مواجهة الانقلابيين، فضلاً على أنها فشلت عكس الانقلابات الأربعة الناجحة قبلها، يرجّح ذلك أن أي محاولة انقلابية مقبلة ستواجه أضعاف ما واجهته الأخيرة من رفض شعبي ونزول للشارع؛ الأمر الذي يعني تكلفة أكبر بكثير لأي محاولة من هذا النوع.

يضاف هذا للخطوات الدستورية والسياسية السابقة التي أخضعت المؤسسة العسكرية للقيادة السياسية المنتخبة من الشعب، وفي مقدمتها تعديل المادة الدستورية المتعلقة بمهمات المؤسسة العسكرية وصلاحياتها، وتعديل بنية مجلس الأمن القومي ليصبح ذا أغلبية سياسية، فضلاً عن تحويل قراراته لتوصيات استشارية غير ملزمة، وصولاً لتغيير بنية مجلس الشورى العسكري الأعلى الذي أصبح كذلك ذا أغلبية مدنية، رغم اختصاصه بعمليات الترقية والتسريح في الجيش إضافة لمنظومته التوجيهية.

فإذا ما وضعنا في الحسبان كذلك غياب أي ذريعة واضحة للتدخل في الحياة السياسية، من قبيل الاحتراب الأهلي أو الانسداد السياسي كما أسلفنا، يمكن القول: إن القيام بانقلاب عسكري بات أصعب بكثير، وفرص نجاحه أضعف بكثير؛ وبالتالي احتمالية وقوعه أقل بكثير من السابق.

سد الثغرات

بيد أن ذلك لا ينفي بالمطلق هذه الاحتمالية؛ فالفلسفة التي سادت في المؤسسة العسكرية لعشرات السنين، التي تفيد بأنها من بنت الدولة وبالتالي هي الوصية عليها، من الصعب تغييرها تماماً خلال 18 عاماً هي فترة حكم العدالة والتنمية، كما أن التفكير بانقلاب عسكري تحكمه عادة المغامرة والمقامرة أكثر من التفكير العقلاني والحسابات المنطقية.

ولذلك، إلى جانب الحذر وزيادة منسوب الوعي في الشعب، ثمة حاجة ملحة لسد الثغرات التي يمكن أن ينفُذ منها التفكير بانقلاب عسكري؛ ما يعني الحاجة للعودة بزخم إلى مسار الإصلاحات الذي عرف به العدالة والتنمية، ورفع منسوب الحريات، ومعالجة الأزمة الاقتصادية وارتداداتها على المواطن، فضلاً عن ترسيخ ثقافة التعددية السياسية وتخفيف حدة الاستقطاب.

فإذا ما اجتمعت الخطوات الدستورية والقانونية السابقة، مع وعي الشعب وحرص الحكومة، جنباً إلى جنب مع سد الثغرات التي قد يستغلها المغامرون، فحينها يمكن القول: إن احتمالات حصول انقلاب عسكري في البلاد ستكون بالحد الأدنى، وإن فرص نجاحه لن تكون كبيرة إن حصل.■

«سد النهضة» الإثيوبي..
وما وراء تَعثُّر المفاوضات

روضة علي عبدالغفار
صحفية وكاتبة في الشأن الأفريقي



على أطول أنهار العالم ينشب النزاع، وعلى مياه النيل تقف الدول الأفريقية الثلاث؛ تقول مصر والسودان: تجري الرياح بما لا تشتهي السفن، وترد إثيوبيا: تجري الرياح كما تجري سفينتنا، نحن الرياح ونحن البحر والسفن!

بعد سلسلة طويلة من المفاوضات أصبحت أزمة «سد النهضة»» أشد تعقيداً وجموداً؛ بسبب التباين الشديد في مصالح الأطراف المعنية، فنتائج الجولات تصب في مصلحة إثيوبيا التي ترى السد نقلة نوعية ستخرج البلاد من مأزقها الاقتصادي، في حين تؤكد مصر والسودان الحقوق التاريخية لهما في مياه النيل؛ وأن السد سيحرمهما من قدر كبير من المياه وسيقلل توليد الكهرباء من السد العالي وسدود السودان.

لماذا تعثرت المفاوضات بشأن «سد النهضة»؟ وما الذي أضافه تدخل واشنطن بعملية التفاوض؟ وما الخيارات المتاحة لكل من مصر والسودان؟ وهل يمكن أن تنجرف الأطراف للحل العسكري؟ في هذا التحقيق نتعرض لهذه القضايا.

القاهرة راهنت على إنقاذ الوساطة الأمريكية لها وهو ما تحقق لوقت قصير قبل أن يتحول لمأزق أكثر خطورة

بعد رفض إثيوبيا الوساطة عادت عملية التفاوض إلى المربع الأول وازداد الموقف تعقيداً

ترجع الأصول التاريخية لفكرة «سد النهضة» إلى أربعينيات القرن العشرين، عندما حدد مكتب الاستصلاح الأمريكي 26 موقعاً لإقامة سدود في إثيوبيا، على رأسها أربعة سدود على النيل الأزرق، كان ضمنها «سد النهضة» الحالي، وأقدمت إثيوبيا على إنشاء السد نظراً لما تعانيه من مشكلات مع المياه بسبب طبيعتها الجغرافية والجيولوجية، وصعوبة التضاريس التي تمنع نقل المياه حال تخزينها، وطبيعة الصخور البركانية وتأثيرها على إمكانات تخزين المياه ونوعيتها، وضعف تكوين مياه جوفية، وتكرار مواسم الجفاف.

ومنذ اللحظة الأولى التي طرح فيها رئيس الوزراء الإثيوبي الأسبق «ميليس زيناوي» التعجيل بتنفيذ مشروع «سد النهضة»، ارتكز خطاب الدولة على بث روح وطنية للاحتشاد في وجه تهديدات خارجية تقوم بها قوى لا تريد نهضة إثيوبيا، والإشارة في هذا الخطاب كانت تذهب بطبيعة الحال إلى مصر التي تؤكد حقوقها بمياه النيل، ودفع هذا الخطاب بحملة

استكتاب كبرى لتمويل السد ذاتياً؛ ما أغرى النظام في أديس أبابا بالظن أن في إمكانه استثمار السد لاستعادة بعض من جماهيرية مفقودة كانت قد غيبتها الأزمات الاقتصادية والاحتجاجات المتوالية.

وفي هذا السياق، يقول د. حمدي عبدالرحمن، أستاذ العلوم السياسية بجامعتي زايد والقاهرة، في تصريحات لـ «المجتمع»: إن أسلوب المراوغة والمماطلة يمثل نهجاً إثيوبياً متواتراً منذ أن بدأت أديس أبابا في عهد «ميليس زناوي» من جانب واحد في بناء «سد النهضة» الإثيوبي، في أبريل 2011م، ومنذ ذلك الحين، أجريت سلسلة من المفاوضات بين إثيوبيا ومصر والسودان على مستوى الخبراء والوزراء ورؤساء الدول، وذلك من أجل التوصل لاتفاق ينظم مسألة ملء وتشغيل السد ومعالجة الآثار السلبية المحتملة على دولتي المصب.

وفي أواخر فبراير الماضي، فشلت المفاوضات بوساطة واشنطن، ولم تنجح في تسوية النزاع القائم بين مصر والسودان وإثيوبيا، وانسحبت إثيوبيا من طاولة المفاوضات، وازدادت إصراراً على حقها بمياه النيل، وأعلنت أنه لا قوة يمكن أن تمنعها من بناء السد.

ويضيف عباس محمد صالح، الباحث في الشؤون الأفريقية، لـ «المجتمع»: إن الأطراف قبلت وساطة واشنطن، في نوفمبر الماضي، بعد وصول جولات التفاوض لطريق مسدود، وكان لمصر مقصد يختلف عن إثيوبيا بخصوص هذه الوساطة؛ فالقاهرة راهنت على أن تكون الوساطة الأمريكية بمثابة المنقذ لها، وهو ما تحقق لوقت قصير قبل أن تتحول إلى مأزق أكثر خطورة، بينما قبلت أديس أبابا بهذه الوساطة؛ لأنها لن تتنازل عن ثوابتها المستندة إلى «إعلان المبادئ»، الموقّع في أغسطس 2015م بالخرطوم، كما أن الطرفين المصري والإثيوبي يختلفان في تفسير كثير من القواعد الحاكمة للتفاوض بينهما.

ويرى الباحث صالح أن بعد إعلان إثيوبيا رفضها مسودة الوساطة تكون بذلك عملية التفاوض حول «سد النهضة» قد عادت إلى المربع الأول، وازداد الموقف تعقيداً؛ فإثيوبيا سترفض أي مبادرة تتعارض مع ثوابتها فيما تراه حقها المطلق في استخدام موارد المياه دون الإضرار بمصالح الآخرين.


د. حمدي عبدالرحمن | عباس محمد صالح

في حين يرى د. حمدي أنه على الرغم من الانسحاب الإثيوبي من مفاوضات واشنطن، فإن هناك فرصة لاستئنافها بعد إجراء الانتخابات الإثيوبية، في أغسطس 2020م، وأن الولايات المتحدة لا تزال ملتزمة بالوساطة لحين التوصل إلى اتفاق نهائي.

الوسيط الجديد

على الرغم مما يبدو على السطح من أن واشنطن دخلت على خط الأزمة استجابة لطلب مصر، فإنها ليست المرة الأولى التي تحاول فيها واشنطن القيام بدور في قضية «سد النهضة»؛ إذ حاولت عرض خبرتها في إدارة «سد هووفر»، أكبر سدودها، على وزيري الري في مصر وإثيوبيا، كما زار مساعد وزير الخارجية لشؤون أفريقيا «تيبور ناجي» البلدين، واستمع إلى إفادات من المسؤولين بشأن موقفيهما من الأزمة، والبادي أن مشاورات مصرية أمريكية جرت سابقاً فيما يتعلق بإمكانية قيام واشنطن بدور رئيس في العملية التفاوضية.

كانت واشنطن حريصة ألا يبدو تدخلها إنهاءً لمسار المفاوضات الثلاثية بين مصر وإثيوبيا والسودان، وأعلنت دعمها لهذه الجهود، وقال بيان خارجيتها: «إن لكل بلدان وادي النيل الحق في التنمية الاقتصادية والازدهار، ولأجل ذلك على جميع الأطراف إظهار النوايا الطيبة بغية التوصل إلى اتفاق يحفظ تلك الحقوق، مع إيلاء الاحترام المتبادل لحقوق بعضها بعضاً في مياه النيل»، وهو البيان الذي رحبت به الرئاسة في مصر على لسان المتحدث باسمها.

واشنطن حرصت ألا يبدو تدخلها إنهاءً لمسار المفاوضات الثلاثية بين مصر وإثيوبيا والسودان

وبالتالي، لم يمس البيان الأمريكي موضع الخلاف بين رؤيتي مصر وإثيوبيا، إذ ترفع مصر مبدأ الحقوق التاريخية، وتستند إلى اتفاقها مع السودان عام 1959م، في حين ترفع إثيوبيا مبدأ الحق في التنمية المتكافئة، وترفض أن تلزمها أي معاهدات ترى فيها تعطيلاً لهذا الحق، واكتفى البيان بعبارة دبلوماسية عن «الاحترام المتبادل لحقوق بعضها بعضاً في مياه النيل».

ومن جهته، يقول د. حمدي عبدالرحمن، رداً على تعثر المفاوضات بوساطة واشنطن: إن المشكلة في اتفاق «إعلان المبادئ» أنه يحدد الوساطة أسلوباً وحيداً لتسوية المنازعات بين الدول الثلاث، على أن الخطوة المصرية بنقل الملف إلى واشنطن ثم الجامعة العربية يمثل ضغطاً على إثيوبيا، ويكشف تعنتها أمام الرأي العام العالمي، ولا يمكن لإثيوبيا أن تقوم بملء وإدارة السد بإرادتها المنفردة سواء طبقاً لـ«إعلان المبادئ» أو قواعد القانون الدولي، كما أن واشنطن تربط عملية الملء بالتوقيع على الاتفاق النهائي.

بينما يوضح الباحث صالح، لـ «المجتمع»، أن واشنطن ستكون في مأزق حقيقي؛ لأنها لم تستطع إرغام إثيوبيا على قبول المسودة التي أعدها خبراء وزارة الخزانة الأمريكية والبنك الدولي، وبالتالي مخرجات الوساطة التي قادتها صفر، كما أن هناك دوائر أمريكية عديدة تعارض موقف إدارة «ترمب» ومحاولة إرغام إثيوبيا بالقبول بمسودة الاتفاق، كما أن ممارسة أي ضغوط على الجانب الإثيوبي سيباعد بينها وبين واشنطن، حيث تجمع بينهما أجندة إقليمية مهمة في القرن الأفريقي بشكل خاص.

ما وراء موقف إثيوبيا

بعد كل فشل يعقب جولة تفاوضية، كان الطرفان يتبادلان توجيه أصابع الاتهام، فالجانب الإثيوبي يتهم الجانب المصري بتعمد تعطيل المشروع؛ ومثال ذلك عندما اشترطت مصر على إثيوبيا عند ملء سدها ألا يقل ارتفاع المياه في بحيرة ناصر خلف السد العالي عن 165 متراً؛ وهو ما رأته إثيوبيا مستحيلاً؛ إذ يعني ذلك إطلاق 40 مليار متر مكعب من مياه النيل الأزرق سنوياً، وهي نسبة ستعطل بلوغ المعدلات المطلوبة لملء الخزان المائي خلف «سد النهضة»، وقد وصفت



القاهرة موقف إثيوبيا بـ «المتعنت»، في حين وصفت أديس أبابا المطلب المصري بأنه «عبور للخط الأحمر».

إن بواعث إثيوبيا لتحدي الموقف المصري كثيرة، لكن يبقى أهمها هو الطموح الاقتصادي، فالدولة التي عانت عقوداً من التراجع الاقتصادي الحاد، يحدوها أمل في تبوؤ قمة سوق تصدير الطاقة الكهربائية في أفريقيا؛ إذ يَعِد «سد النهضة» بتوليد ما مقداره 6450 ميجاوات من الكهرباء، وتتوقع إثيوبيا أن المردود الاقتصادي لهذه الكمية سيدفع باقتصادها إلى مستوى البلدان المتوسطة الدخل بحلول عام 2025م، وبهذا فإن تكلفة السد العالية التي تناهز 5 مليارات دولار أمريكي، تبقى تكلفة سهلة في نظر الإثيوبيين، نسبة إلى ما سيدر عليهم من عوائد.

ويزيد من رغبة إثيوبيا في الإسراع بإنجاز هذا السد؛ إقبال الدول المجاورة لها على طلب الكهرباء، وتوقيع عدد منها عقوداً طويلة الأمد، منها: كينيا، والسودان، وجيبوتي، وجنوب السودان.

فليس مستغرباً أن يصور الخطاب الوطني الصاعد في إثيوبيا المتعلق بمشروع «سد النهضة» على أنه قفزة صوب الحداثة، ونقلة نوعية ستخرج البلاد من مأزقها الاقتصادي الممتد، وحتى بين الخبراء الدوليين ثمة من يربط بين المشروع وقدرة إثيوبيا على استعادة الاستقرار ووقف الاضطرابات التي تضرب البلاد منذ أكثر من عقدين.

الخيارات المتاحة لمصر والسودان

أوضح د. حمدي، لـ «المجتمع»، أن تصوُّر مصر الرسمي والشعبي هو أن السد يمثل تهديداً لأمنها المائي، في حين يبدو السودان أقل قلقاً لإمكانية تعظيم فوائده من مصادر المياه والطاقة؛ فوافق السودان ضمنياً على رغبة إثيوبيا في بناء السد، متوقِّعاً فوائد جمة من وجود سد قريب من حدوده يمكنه من السيطرة على الفيضانات وتنظيم مستويات المياه طوال العام، ومع ذلك ظلت مخاوف دولتي المصب ترتبط بمعدل الملء الأول للسد وتشغيله، وإمكانية انهيار السد المحتملة بالإضافة إلى آثاره البيئية.

وبقيت مصر تتبنى موقفها في الخلافات بشأن تقسيم مياه النيل على مبادئ ثلاثة؛ أولها: مبدأ الحقوق التاريخية وأولوية احترامها من بلدان المنابع؛ تطبيقاً لمبدأ وراثة الالتزامات الدولية، وثانيها: تغليب مبدأ النيات الحسنة وعدم الإضرار، عبر الإخطار المسبق بأي إنشاءات ومشروعات تؤثر في تدفقات النهر، وثالثها: مبدأ الإجماع بجعل أي تصويت يتعلق بتعديل الاتفاقيات الدولية محكوماً بتوافق تام بين بلدان المصب وبلدان المنابع.

وتعاملت مصر مع هذه المبادئ باعتبارها محددات لأمنها المائي.

وبعد تعثر مفاوضات واشنطن، سعت مصر إلى أداة ضغط جديدة، فأحالت القضية إلى جامعة الدول العربية، وأكدت الجامعة، في 4 مارس 2020م، حقوق مصر التاريخية في مياه النيل، ورفض أي إجراءات أحادية إثيوبية، في حين رأى السودان أن القرار ليس في مصلحته ولا يجوز إقحام الجامعة العربية في هذا الملف، وأبدى تخوفه مما قد ينتج عنه هذا القرار من مواجهة عربية إثيوبية، وبالمقابل ردت مصر أن الجانب السوداني سعى إلى إفراغ مشروع القرار من مضمونه.

وتعليقاً على هذا الموقف، يقول الباحث صالح: إن تحفظ السودان كان موضوعياً ومتسقاً مع مواقف الحكومات السودانية التي تعاقبت منذ بدء مسار التفاوض حول «سد النهضة»، ولكن المشكلة تكمن في طبيعة الإدراك المصري للسودان كبلد، وإدراك قضية السد كقضية مصيرية يجب أن يراها العالم من هذا المنظور، وكذلك الإدراك المصري لدورها الإقليمي الذي ظل مؤخراً يتغير، بينما هو ثابت لا يتزحزح في عقل نخبة الدولة المصرية، وهذا ما يفسر كل ردود الفعل الغاضبة والانفعالية هذه.

وبصدد إمكانية استمرار الحل الدبلوماسي أو الانجرار للحل العسكري، يوضح د. حمدي أنه على الرغم من مقولة حروب المياه، فإنها لم تحدث، ومن ثم التعويل على الحل الدبلوماسي لا يزال يمثل المخرج الآمن للجميع، فالمشكلة الأساسية المتعلقة بـ «سد النهضة» تتمثل في سنوات الجفاف الطويل والشديد التي من شأنها أن تخلق مخاطر على تدفقات المياه أثناء وبعد ملء «سد النهضة»، ونظراً لأن الجفاف المطول سيحدث حتماً في مرحلة ما في المستقبل، يجادل كثير من خبراء المياه

نقلُ مصر الملف إلى واشنطن والجامعة العربية يمثل ضغطاً على إثيوبيا ويكشف تعنتها أمام الرأي العام العالمي

تكلفة بناء السد العالية تبقى سهلة في نظر الإثيوبيين نظراً إلى ما سيدر عليهم من عوائد

بأنه يتعين إدارة آثار وتبعات الجفاف بعناية، وأنه ينبغي معالجة احتمالها بشكل صريح في المفاوضات الجارية بشأن مياه النيل.

ويصرح د. حمدي، لـ «المجتمع»، أن البديل الأفضل -من وجهة نظره- هو العمل بجدية على وضع إطار مؤسسي شامل للإدارة المتكاملة لموارد النيل وتطويرها لمصلحة جميع الدول المشاطئة، وتبدو مسودة الاتفاقية معقولة بما يكفي لتقسيم عملية ملء السد وتشغيله على مرحلتين، كما أن هناك توافقاً كبيراً حول المرحلة الأولى من ملء الخزان ليصل إلى ارتفاع 595 متراً فوق سطح البحر من أصل 632 متراً، وهي تستغرق نحو عامين، مما يمنح مصر والسودان وإثيوبيا فرصة من الوقت لصياغة إطار تعاون أكثر شمولاً ولا سيما في حالة تأجيل اختبار السد وبدء الملء الأول إلى موسم الفيضان القادم في عام 2021م.

ويضيف أنه من الناحية المثالية يجب أن تكون الاتفاقية شاملة بما فيه الكفاية لتوفير إطار تعاوني لإدارة -ليس فقط «سد النهضة»- وإنما غيره من المشاريع المستقبلية المحتملة على النيل، في هذه الحالة يمكن الاعتماد على المعايير الدولية لإدارة المياه عبر الحدود، والاستفادة من التجارب الأخرى الناجحة؛ مثل لجنة نهر الميكونج في جنوب شرقي آسيا.

وتظل خيوط التفاوض قائمة، ويبقى الأمل عنواناً للشعوب؛ شعب يأمل في عدم انتقاص حقه من الماء، وشعب يريد التنمية والازدهار، وبين هذا وذاك؛ هل نرقب تسوية قريبة تُرضي أطراف النزاع ويَعم بها السلام في المنطقة، أم يحمل لنا المستقبل المزيد من المفاجآت؟!■



عرض- محمود المنير:

العصا الغليظة..

حدود القوة الناعمة حتمية القوة العسكرية

هذا الكتاب:

يتطرق هذا الكتاب -الذي جاء في مقدمة وثمانية فصول- إلى القضايا التي تفسح المجال أمام ظهور تلك النزعة من الشك والارتياب؛ فهو يتساءل عن ماهية الدور الذي ينبغي للقوات المسلحة أن تمارسه في السياسة الخارجية الأمريكية، ويستكشف آفاق استخدامات تلك القوة وحدودها.

ويطرح المؤلف عدة أسئلة محورية بهذا الصدد، منها:

- ما الدروس والعبر التي جرى استخلاصها من عقد ونصف العقد من الحروب التي خاضتها الولايات المتحدة الأمريكية، التي مُني معظمها بالفشل؟
- من هم الخصوم الرئيسون الذين يتوجب على الولايات المتحدة مواجهتهم من خلال التلويح بالقوة أو استخدامها؟
- ما أدوات القوة الخشنة التي بمقدور الولايات المتحدة ويتوجب عليها امتلاكها واستخدامها؟

تحدَّث بلين وتسلَّح بعصا غليظة

في المقدمة التي جاءت بعنوان «الواجبات الوطنية»، تحدث المؤلف عن خطاب نائب الرئيس الأمريكي «تيودور روزفلت»، في سبتمبر 1901م، في حشد كبير من مؤيديه في ولاية مينيسوتا، الذي تحدث فيه عن دور الولايات المتحدة كأمة عظيمة تجاه الأمم الأخرى، ولخص سياسة أمريكا في المثل القائل: «تحدَّث بلين وتسلَّح بعصا غليظة؛ فالطريق أمامك طويل»، موضحاً أنه في الوقت الذي يتسم فيه خطابنا بالاعتدال دائماً، مستعدون وقادرون على تحويل الجعجعة إلى طحين.

وهنا يشير «كوهين» إلى أن القوة العسكرية داعم أساسي للسياسة الخارجية الأمريكية، ويشير إلى أن العديد من الأمريكيين يوافقون على وجوب أن تمارس الولايات المتحدة ذلك الدور في العالم، وهناك غالبية لا بأس بها تعارض هذا الرأي؛ فقد أظهر أحد استطلاعات الرأي، التي أجريت عام 2014م، أن نصف أولئك الذين شملهم الاستطلاع تقريباً وافقوا على ضرورة أن تتصرف الولايات المتحدة إلى شؤونها الخاصة دولياً، وتترك بقية البلدان تشق طريقها على النحو الأمثل وفق قدرات وإمكانات كل منها.

هكذا رآه «كوهين» في معرض حديثه عن حدود القوى الناعمة وضرورة استخدام القوة العسكرية، والجدير بالذكر أن هذا الكتاب صَدَر مع بداية تولّي الرئيس الأمريكي «دونالد ترمب» الحكم في الولايات المتحدة الأمريكية، وبتصفُّحه نجد أن «كوهين» يتناول في البداية شرحاً لأبرز التهديدات العالمية التي دفعت وستدفع أمريكا في المستقبل لاستخدام القوة العسكرية، مثل حرب العراق عام 2003م.

ويرى المؤلف أن أشكال القوة اللاعنفية لها مكانها في أي دولة، ويمكن للمرء أن يجادل بأن الولايات المتحدة أخطأت في بدايات القرن الحادي والعشرين في عدم تطويرها تلك الأنواع من حملات الدعاية والتخريب ضد «الإسلام الراديكالي» التي كانت تشكّل في القرن العشرين جزءاً مهماً من ترسانتها في صراعها مع الشيوعية، وبالاشتراك مع السفن الحربية القوية التي تفرض الحصار على سبيل المثال، يمكن أن يكون لأدوات السياسة العامة، مثل الحظر والعزلة عن المعاملات المالية الدولية، تأثير قوي، ويرى المؤلف أن القوة الناعمة وحدها لها تأثيرات محدودة، وعواقب وتداعيات

بيانات الكتاب:

عنوان الكتاب: العصا الغليظة.. حدود القوة الناعمة حتمية القوة العسكرية.

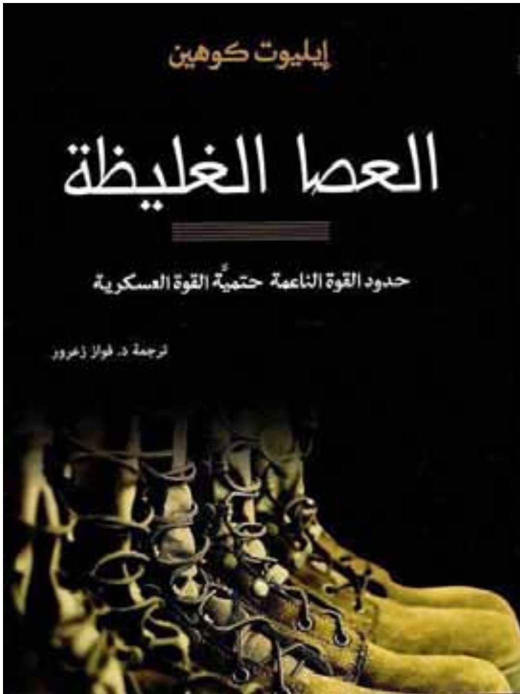
المؤلف: إيليوت كوهين.

ترجمة: د. فواز زعرور.

الناشر: دار الكتاب العربي (بيروت- لبنان).

سنة النشر: الطبعة الأولى 2018م.

عدد صفحات الكتاب: 313 صفحة القطع الكبير.



القوة الناعمة وحدها لها تأثيرات محدودة وتداعيات لا يمكن للقادة الأمريكيين السيطرة عليها

الصين تمثل اليوم مشكلة إستراتيجية ليست لها سابقة حقيقية في التاريخ الأمريكي



قراءة في كتاب

من المرتبة الثانية والثالثة لا يمكن للقادة الأمريكيين السيطرة عليها بل وربما يأسفون لها.

ويميل «كوهين» إلى ضرورة استخدام القوة الخشنة؛ لأن العالم، بحسب وجهة نظره، مكان خطير، ويختلف مع الواقعيين الذي يعتقدون أن سياسة خارجية حازمة لن تؤدي إلا إلى الإخلال بتوازن القوى الذي يعمل بشكل جيد، ويرى «كوهين» أن القوة الناعمة لا يمكن أبداً أن تكون بديلاً عن القوة الخشنة.

ورغم اعتراف الكاتب بفشل الحروب الأمريكية على مدار 15 عاماً، فإنه يرى أن العالم الذي مزقته الصراعات سيستدرج الولايات المتحدة إلى خصوماته ومنازعاته، وربما كان هذا هو الدرس الأكبر الذي يمكن استخلاصه من إدارة «أوباما»، بحسب «كوهين»، التي جاءت إلى السلطة تحدوها رغبة صادقة في إنهاء الحروب الأمريكية، لكنها بدلاً من ذلك وجدت نفسها تشن مثل هذه الحروب في الأماكن التي كانت حريصة على الخروج منها، ومن شأن عالم مضطرب، يمكن فيه للصين مثلاً أن تؤكد مطالبتها بالسيادة على بحر الصين الجنوبي باعتباره مياهها الإقليمية، أن يشهد ربما انتشاراً نووياً في الكثير من أرجاء آسيا وإمكانية نشوب نزاع واسع النطاق هناك.

15 عاماً من الحروب الفاشلة

رغم أن «كوهين» يعترف أن حروب أمريكا على مدار 15 عاماً كانت فاشلة، فإنه يرى أنه بدون التوافق مع الماضي الإستراتيجي الأخير لأمريكا فمن المستحيل التفكير بوضوح في مستقبلها الإستراتيجي.

ويسرد المؤلف لسلسلة الحروب الأمريكية من العام 2001م، معتقداً أنه تصرف بوعي وإدراك لما تقوم به في الحرب عندما حاربت «تنظيم القاعدة» والجماعات الجهادية المماثلة، ولا سيما «تنظيم الدولة الإسلامية» في جميع أنحاء منطقة الشرق الأوسط وخارجها، وشنت حملة اغتيالات بالقصف بالطائرات بدون طيار في جنوب آسيا واليمن، على وجه الخصوص؛ فقد غزت أفغانستان في عام 2001م، وبعد الإطاحة بنظام «طالبان» هناك شاركت في حملة مطولة لمكافحة التمرد ضد عدوها المعاد تشكيله، وغزت العراق في عام 2003م، وسحقت مجموعة صدام حسين، وقمعت القوة المتبقية الموالية له.

ثم شنت مجموعة من الحملات المعقدة ضد كل من الجهاديين السُّنة والمليشيات الشيعية التي ترعاها إيران، وفي عام 2004م وجدت نفسها في حرب ثالثة في العراق خلال ربع قرن حيث قاتلت، وإن كان على نطاق أصغر، «تنظيم الدولة الإسلامية»، وهو أحد التنظيمات المنبثقة عن «تنظيم القاعدة» في العراق الذي سيطر على أجزاء كبيرة من سورية أيضاً، وكانت هناك أيضاً استخدامات أخرى أصغر، ولكنها مهمة للقوة، بحسب المؤلف، مثل المشاركة في الإطاحة بالدكتاتور الليبي معمر القذافي عام 2011م.

يرى «كوهين» أن فرضية أن هذه الحروب يجب أن تُدرس وتُناقش جملة واحدة، وليس كما يحدث في كثير من الأحيان، بوصفها نزاعات متميزة، وهي نفسياً وعملياً مترابطة في العديد من النواحي، وليس فقط لأنها جرت في وقت واحد، ويفترض الكاتب أنه لا يمكن أن يكون هناك أي اعتبار سليم للإستراتيجية الأمريكية المستقبلية دون السؤال عن هذه الحروب، وعن أوجه الصواب والخطأ فيها، وعن ماهية آثارها العالقة.

يستشهد مؤلف الكتاب بمقولة للمفكر الإستراتيجي الصيني القديم «صن تزو»: «تعرّف إلى عدوك وتعرّف إلى نفسك، وفي مائة معركة لن تهزم»، مشيراً إلى أن العراق وأفغانستان والصراع مع «القاعدة» أظهر أن الولايات المتحدة كثيراً ما تسيء فهم أعدائها، وهي لم تقم بما هو أفضل لفهم نفسها، ولم تقدم إدارة «بوش» ولا إدارة «أوباما» بإعداد الشعب الأمريكي بالشكل الكافي لما كان عليه توقعها بأنها ستكون حروباً طويلة الأمد، ولم تبذل أي جهد لتعبئة الرأي العام بالطريقة التقليدية -مع الخطب والتضحيات الرمزية على الجبهة الداخلية (الضرائب أو السندات) وحشد الموارد المحلية والترويج الشعبي للإنجازات العسكرية في ميدان المعركة- بحسب المؤلف، ويعترف المؤلف أن حرب العراق كانت خطأ؛ لأنها قامت على فرضية كاذبة؛ فالفرضية المفصلة لبرنامج أسلحة الدمار الشامل العراقي النشط والخطير كانت كاذبة، وتلقت مصداقية حكومة الولايات المتحدة الأمريكية جراء هذه الكذبة وحدها صفعة موجعة.

التحدي الأمني الأول لأمريكا ليس «داعش» ولا الحركات الجهادية ولا روسيا بل الصين

ظهور الصين في مركز الاقتصاد العالمي والسياسة العالمية أهم ظاهرة دولية بالقرن الحادي والعشرين

اليد الأمريكية وخيبات الأمل

يرى المؤلف أنه على الرغم من كل خيبات الأمل التي أصابتها والخسائر التي تكبدتها في السنوات الأخيرة، فأمريكا لا تزال قوية جداً في العديد من معايير القوة، وقد استغل الآخرون هذه السنوات الخمس عشرة للاستفادة من انشغال أمريكا بعملياتها في الشرق الأوسط، وبالرغم من إخفاقها في العديد من الحروب، فإنها كانت ناجحة جداً في عمليات أخرى، ووراء هذه القوة المتميزة لأمريكا يكمن اقتصاد إنتاجي ناجح ونظام سياسي راسخ، وإن كان معقداً، وتركيبة سكانية مشجعة، وشبكات من العلاقات في الخارج لا مثيل لها لدى أي منافس حقيقي أو محتمل، ولا يوجد بلد آخر أو مجموعة من البلدان تضطلع بدور أفضل من الدور الذي تضطلع به الولايات المتحدة على صعيد السياسة الدولية، بحسب المؤلف.

ومع ذلك، فإن اللعبة التي يضطلع هذا الدور بأدائها آخذة في التغير، ففي بعض المناطق باتت القدرات العسكرية للولايات المتحدة في طور التآكل، أو مهددة بالانقراض، وتحتاج إلى إعادة بناء أو إعادة تشكيل، وفي أكثر من موضع يدعو «كوهين» في كتابه إلى التأكيد على ضرورة إعادة بناء القوة العسكرية الأمريكية لاستمرار فرض هيمنتها على العالم، مفضلاً استخدام القوة الخشنة على القوة الناعمة.

ويعتبر «كوهين» أن أكبر عنصر في القوة العسكرية الأمريكية هي قواتها التقليدية

الضخمة: جيش يضم 2300 دبابة، بالإضافة إلى فيلق بحري مع 450 دبابة إضافية، وأسطول يضم أكثر من 50 غواصة هجومية (SSN)، و10 حاملات طائرات (CVN)، وأكثر من 80 طراداً ومدمرة، وقوات جوية تمتلك أكثر من ألف مقاتلة، وأكثر من مائة قاذفة بعيدة المدى، بما في ذلك 20 قاذفة من طراز "b-2" الشبح، وبالرغم من ضخامة هذه الأرقام، فهي تعكس قوة كانت في طور الانخفاض على صعيد الحجم.

ويستمر المؤلف في استعراض القدرات العسكرية الأمريكية ليخلص إلى القول: إن اليد العسكرية الأمريكية قوية لكنها مختلطة، ولا يزال مزيجها النوعي والكمي فريداً من نوعه، على الرغم من أن البعض الآخر بدأ إلى حد ما يلحق بالركب (في إشارة منه إلى روسيا والصين).

الصين التهديد الأخطر لأمريكا

ويعتبر» كوهين» أن الصين تمثل حالياً التهديد الأخطر لأمريكا متمثلاً في الصعود الصيني المسلح، ويؤكد أنه لا يوجد بلد في العالم لديه ثقافة إستراتيجية غنية مثل الصين، إنها حضارة صنعتها الحروب وصقلتها الخطوب على مدى آلاف السنين، وهذا أيضاً يشكل تحدياً للولايات المتحدة الأمريكية، وللتفاهم مع الصعود العسكري للصين يجب على الإستراتيجيين الأمريكيين أن يعترفوا بأنهم يواجهون خصماً من نمط فريد وقوي.

وكذلك تحدث المؤلف عن الغزو الروسي لأوكرانيا والقرم ودلالاته، كما تطرق إلى الحديث عن التهديدات النووية لكلٍّ من إيران وكوريا الشمالية، وانتهى باستعراض فكرة انتشار الحركات الإسلامية المتطرفة، وما إلى ذلك من أمور؛ لينتقل بنا إلى الجزء التالي الذي تمثل في الحديث عن أهمية استخدام القوة العسكرية؛ حيث يرى أنها تؤدي دوراً أساسياً في دعم الدور الأمريكي عالمياً، وقد طالب صراحة بضرورة تطوير تقارير الأجهزة العسكرية الأمريكية، التي ذكر بأن بعضها يقوم على افتراضات خاطئة، منها مثلاً أن روسيا لا تستطيع القيام بأي هجوم عسكري في اللحظة الراهنة بسبب ضعف اقتصادها.

وفي سياق حديثه، حرص على التأكيد على فكرة وجود احتمالات متزايدة بأن أمريكا ستستخدم القوة العسكرية بشكل متزايد ومتفاوت الحدة خلال العقود القادمة، وبالطبع أخذ في الدفاع عن زيادة معدل الإنفاق العسكري، وحذّر من إحجام الولايات المتحدة عن استخدام القوة العسكرية، بحجة لطيفة وكوميدية جداً، ألا وهي أن ذلك سينجم عنه تكلفة أخلاقية وبشرية كبيرة، في ظل عالم تنتشر فيه الأنظمة غير العقلانية.

حاول «كوهين» من خلال صفحات كتابه التأكيد على ضرورة وجود نوع من التوازن ما بين استخدام العصا الغليظة أو «القوة الخشنة» بكل ما تحمله من أدوات، ابتداء من فرض العقوبات، مروراً بممارسة الضغوط الاقتصادية، ووصولاً إلى استخدام القوة العسكرية، وما بين استخدام «القوة الناعمة» تلك المتمثلة في كل ما يخص إنتاج الولايات المتحدة الأمريكية من أبحاث علمية، وتقدم تكنولوجي مذهل، ومنتجاتها الفنية التي تشمل فنون السينما والدراما والأغاني، وحتى أسلوب ثقافة الحياة الأمريكية.

خلاصات الأفكار:

- يرى المؤلف أن اليد العسكرية الأمريكية قوية لكنها مختلطة، ولا يزال مزيجها النوعي والكمي فريداً من نوعه على الرغم من أن البعض الآخر بدأ إلى حد ما يلحق بالركب (في إشارة منه إلى الصين).

- يرى المؤلف أنه لا تزال هيكلية القوات الأمريكية في أوائل القرن الحادي والعشرين تعكس الواقع الإستراتيجي للقرن العشرين؛ فسلاح البحرية الأمريكية لا يزال مصمماً للحفاظ على النظام العالمي والدفاع عن

حروب أمريكا على مدار 15 عاماً كانت فاشلة وبدون التوافق مع الماضي الإستراتيجي من المستحيل التفكير بالمستقبل الإستراتيجي

الهيمنة الأمريكية في طريقها إلى التراجع والانحسار والعالم بصدد نظام عالمي جديد

نبذة عن المؤلف



«إيليوت كوهين»، أستاذ في زمالة «روبرت أوسجوود في كلية الدراسات الدولية المتقدمة بجامعة جونز هوبكنز»، ومدير «مركز فيليب ميريل للدراسات الإستراتيجية».

الممرات البحرية إلى أوروبا في حالة نشوب حرب مع الاتحاد السوفييتي، ولكنه ليس مصمماً لإحباط أي عدوان صيني محتمل.

- يرى المؤلف أن الصين تمثل اليوم مشكلة إستراتيجية ليست لها سابقة حقيقية في التاريخ الأمريكي.

- ليس من المستغرب أن يكون للنمو المذهل للصين الذي ارتقى بها لتصبح ثاني أكبر قوة اقتصادية في العالم، عواقب إستراتيجية كبيرة.

- إن التحدي الأمني الأول للولايات المتحدة الذي يتطلب استجابة قوية ليس «تنظيم الدولة الإسلامية» ولا الحركات الجهادية، وليس أيضاً روسيا، بل الصين، والمطلوب تحقيق التوازن معها ومنعها من فرض الهيمنة على جيرانها ومحاولة إعادة تشكيل نظام دولي على شاكلتها.

- ظهور الصين في مركز الاقتصاد العالمي والسياسة العالمية أهم ظاهرة دولية في القرن الحادي والعشرين.

- للتفاهم مع الصعود العسكري للصين يجب على الإستراتيجيين الأمريكيين أن يعترفوا بأنهم يواجهون خصماً من نمط فريد وقوي.

- مفتاح النجاح على طريقة الحكيم الصيني «صن تزو» في شن الحرب هو توافر المعلومات الاستخبارية الاستثنائية عن العدو، وفهمه، ويجب أن تكون المعلومات مصحوبة أيضاً بالإدارة الحكيمة البارعة.■



اقتصاد إسلامي

الاقتصاد في ظل أزمة «كورونا»

الكساد الاقتصادي الذي حلَّ بسبب الأزمة ليس بقوة واحدة فهو كالإعصار يتراوح ما بين عادي ومفجع



د. أشرف دوابه

أستاذ التمويل والاقتصاد بجامعة إسطنبول صباح زعيم

ما زالت أزمة «كورونا» تلقي بظلالها على العالم، وما زالت الضبابية وعدم اليقين هي السائد للنهاية المؤلمة لتلك الأزمة، التي جاءت على خلاف المتوقع من خلال نشأتها في القطاع الصحي لتنتقل إلى كافة قطاعات النشاط الاقتصادي؛ حيث لم يسلم منها القطاع الخدمي من نقل وسياحة حتى بدت المطارات فارغة، والأماكن السياحية خاوية، كما شهد قطاع التجارة ركوداً بفعل توقف حركتها والتباعد الاجتماعي ليس على المستوى القُطري فحسب، بل على المستوى الدولي، وقِسْ على ذلك القطاعين الصناعي والزراعي.

لقد عبرت عن هذا الوضع المؤلم مديرة صندوق النقد الدولي «كريستالينا جورجييفا» بتصريحها أن العالم دخل حالة ركود، قد تكون أسوأ من الأزمة المالية العالمية الأخيرة في العام 2008م، وكذلك ما تلاه من تصريحات لكبيرة الاقتصاديين بصندوق النقد الدولي «جيتا جوبينات»؛ أنه من المحتمل جداً أن يشهد الاقتصاد العالمي هذا العام أسوأ ركود له منذ الكساد العظيم عام 1929م، متجاوزاً ما شاهدناه خلال الأزمة المالية العالمية عام 2008م.

والواقع أن الكساد حلَّ بدول العالم بسبب الأزمة، وهذا الكساد بطبيعته ليس بقوة واحدة، ولكنه متعدد القوى؛ فهو كالإعصار يتراوح ما بين عادي ومفجع.

فالكساد العادي يحتل المرتبة الأولى، ويسمى كذلك كساد المخزون؛ حيث يمثل جزءاً من دورة الأعمال التجارية، ويحدث حينما يتجاوز العرض الطلب، فتخفض الشركات الإنتاج بصورة حادة إلى أن يباع ما لديها من مخزون، وهذا يمكن علاجه اقتصادياً من خلال تصحيح السوق نفسها بنفسها أو التوجيه غير المباشر للحكومة.

أما الكساد المفجع وهو من الفئة الخامسة، فيحدث عندما ينهار الطلب نفسه؛ أي عندما يتوقف المستهلكون عن الإنفاق وتتوقف الشركات عن الإنتاج، والعلاج الوقتي لذلك هو تدخل مباشر للدولة بضخ سيولة وتخفيض الضرائب وزيادة الإنفاق الحكومي، لإحياء النمو على المدى القريب، ويكون هذا الأمر له تبعات أكثر إذا وصل مؤشر الضيق الذي يمثل حاصل جمع البطالة ومعدل التضخم إلى رقم عشري أو ذي خانتين.

وفي المراحل الأولى للكساد والتوقع باشتداد الأزمة، لجأت الدول الغربية ذات الاقتصاديات الكبيرة إلى خفض سعر الفائدة نحو الصفر، ووقف البيع على المكشوف، وضخ سيولة، والتشجيع على الإنفاق، وصرف إعانات اجتماعية، ودعم الشركات حتى لا تقع في براثن الإفلاس، وعمل مراكز الأبحاث ليل نهار، وكان لافتاً للنظر الرجوع كذلك إلى الله تعالى والتسليم بقدرته من خلال هذا الفيروس غير الملموس ولكن فعله ملموس في ربوع الدنيا، حيث سجن الناس في بيوتهم، وأوقف دولاب الإنتاج في دول العالم.

دراسة تتوقع 3 سيناريوهات للخروج من الأزمة الأول يحدد للعلاج 6 شهور والثاني 9 شهور والثالث 18 شهراً

3 سيناريوهات للمواجهة

وتضع الأزمة العالم وشكله في أزمة، فالكل ينتظر الخروج منها، وشكل العالم بعد اجتيازها.

وقد تعددت سيناريوهات الخروج منها، ففي دراسة نشرتها جامعة هارفارد وضعت ثلاثة سيناريوهات لتعافي الاقتصاد العالمي من أزمة فيروس «كورونا» بناء على اعتماد الجامعة على معلومات تاريخية مستخلصة من أزمات مر بها العالم في أعقاب أوبئة مماثلة لـ «كورونا» ومراحل تعافي الاقتصاد العالمي منها.

السيناريو الأول (احتمالية وقوعه «قائمة») يعتمد على تعافي الاقتصاد العالمي في غضون 6 أشهر وفق تعافي الأسواق العالمية الكبرى، انطلاقاً من حدوث صدمة في بداية الأزمة، ثم انتشارها، وأخيراً التعافي في سيناريو يشبه حرف «V» صعوداً وهبوطاً.

بينما يقوم السيناريو الثاني (احتمالية وقوعه «معقولة») على انحدار الاقتصاد ثم تعافيه في سيناريو يشبه حرف «U» صعوداً وهبوطاً، وهو الوجه الآخر للسيناريو الأول، ولكن فترة التعافي أطول من الفترة في السيناريو الأول، وتصل لنحو 9 أشهر.

أما السيناريو الثالث (إمكانية حدوثه «غير متوقعة») فيبدأ بانحدار في الاقتصاد العالمي بسبب صدمة «كورونا»، ثم يعقبه تعافٍ بصورة بطيئة جداً، ويحتاج هذا السيناريو لحدوثه نحو 18 شهراً.

ورغم استبعاد الدراسة حدوث السيناريو الثالث، لكننا نرى أنه قد يكون هو الأقرب للتحقق، لا سيما في ظل عدم الوصول إلى دواء للعلاج حتى وقتنا هذا.

ولن يكون العالم بعد الخروج من الأزمة كما كان قبلها، ولا يعني هذا وجود تغيير جذري في الشكل الاقتصادي العالمي، أو تغيير مراكز القوى العالمية دفعة واحدة؛ فالتاريخ القريب والبعيد يكشف أن هذا التغيير سيكون تدريجياً.



إن الخروج من الأزمة لن ينهي العولمة، ولكنه سيضعف من وجود القطب الواحد ممثلاً في الولايات المتحدة الأمريكية الذي يتحكم في العالم، الذي غلب عليه التوسع الخارجي، والدخول في حروب وإشعال نار حروب أخرى كان أولى ألا يورط نفسه فيها، وانعكاس ذلك سلباً على اقتصاده ومعيشة الأمريكيين الذين يعرف جلهم الداخل ويجهلون الخارج، وسوف تتعلم أمريكا من هذا الدرس ألا تسلم رقبتها للصين باعتبارها موطن إنتاجها؛ ما سيدفعها إلى البحث عن مواطن جديدة تتسم برخص العمالة أيضاً في المكسيك والبرازيل والهند وإندونيسيا وغيرها، بدل التركيز في موطن وحيد هو الصين.

كما أن هذه الأزمة سيخرج من رحمها دول لو تم التنسيق بينها لأصبح لها قدم في النظام العالمي الجديد، فليست الصين بنظامها الشمولي وحدها مؤهلة، ولا روسيا المنهكة بالتدخل في الدول الأخرى وتركيزها على التسليح مهيأة، فهناك أيضاً دول أمريكا اللاتينية، والهند، والفرصة متاحة كذلك للتكتل التركي الماليزي الإندونيسي الباكستاني لو تم التنسيق بينها بصورة جيدة وانضمت

العالم سيخرج من هذه الأزمة ناقماً على المدرسة «النيوليبرالية» وتوحشها وتقديمها لحركة الاقتصاد على صحة الإنسان

إليها دول إسلامية أخرى؛ فتفعيل تكتلات خارج الوصاية الأمريكية على العالم أمر متوقع، لا سيما أن دول الاتحاد الأوروبي غلبت عليها النزعة المحلية، في تلك الأزمة، وتخلى بعضها عن بعض، وظهر جشع الولايات المتحدة في التعامل معها، وهذا لا يعني تفكك هذا الاتحاد في القريب العاجل بقدر الانكفاء على النفس، وكل هذا يتيح الفرصة لتفعيل نظام المدفوعات الثنائية والمتعددة لإزاحة الدولار تدريجياً وعدم لعبه في الملعب الاقتصادي الدولي وحده كعملة تسويات دولية.

كما أن العالم سيخرج من هذه الأزمة ناقماً على المدرسة «النيوليبرالية» وتوحشها وتقديمها لحركة الاقتصاد على صحة الإنسان؛ فالصحة سوف تكون قبل الربح، كما أن غل يد الدولة بالتدخل في الاقتصاد سيكون مثاراً للسخرية، لا سيما والعالم كله يظهر كيف تدخلت الدول لإنقاذ ما يمكن إنقاذه، وأن المصلحة الخاصة عجزت عن تحقيق المصلحة العامة تلقائياً باسم اليد الخفية التي هي في حقيقتها يد مشلولة عاجزة عن مواجهة الأزمات.

إن التدخل الحكومي سيفرض نفسه حتماً، ولكنه تدخل بما يحمي مصالح المجتمع، وليس تدخلاً يطرد القطاع العام ويزاحمه، وسيبدو هذا واضحاً في القطاع الصحي الذي سيتقدم القطاعات الأخرى من حيث الاهتمام والاستثمار، فضلاً عن قطاع التعليم والبحث العلمي، إضافة إلى بذل جهد أكبر لتوفير العدالة والحماية الاجتماعية والرعاية الصحية، لا سيما أن هذا المرض لن يخرج من قواميس الطب، وبات على الدول أن تخطط للتعامل معه بصفة مستمرة بعد الخروج من الأزمة.

كما أن دور الحكومة سيصبح أكثر أهمية كذلك في ظل تفاقم الدين العام ومشكلات الموازنة الناشئة عن الديون المرتبطة بتبعات الأزمة والبطالة، وهو ما يضع على الحكومات مسؤوليات جمة، لا سيما في ظل التضخم المتنامي وليد الأزمة، نتيجة لارتفاع أسعار السلع لا سيما السلع الغذائية، وهو ما سوف يؤسس في الدول كذلك لأهمية توفير الأمن الغذائي من خلال الاهتمام بالقطاع الزراعي والثروة الحيوانية والسمكية، وفي مقدمة الزراعات زراعة القمح بدلاً من التركيز في سلع قد تكون ذات ربحية ولكنها تفتقد للبعد الإستراتيجي لتحقيق الأمن الغذائي، لا سيما أن التقارير الدولية تفيد أن نصف سكان العالم سيكونون تحت خط الفقر بعد الانتهاء من الأزمة.

التأثر عربياً

وإذا كان ما ذكرناه يمتد للنظام العالمي ودوله، فإن الدول العربية ليست بعيدة عن هذه النتائج بعد الأزمة، فالدول غير النفطية خسائرها أكبر بالطبع من الدول النفطية، وإن كانت الأخيرة أيضاً معرضة بصورة مباشرة لانخفاض دخلها القومي والانغماس في الانكماش والتقشف بفعل انخفاض سعر النفط، فضلاً عن تبعات الأزمة من تفاقم فاتورة الديون وارتفاع مستويات التضخم والبطالة.

وقد كشفت هذه الأزمة عن عورة النظام الرسمي العربي من خلال التركيز على اقتناء السلاح بدلاً من التوجه نحو تنمية قطاعات الصحة والتعليم والبحث العلمي، فضلاً عن قطاع الزراعة والثروة الحيوانية والسمكية لتوفير غذائها ودوائها، وذلك نتيجة طبيعية لسيادة روح الانقسام والدخول في حروب ومؤامرات من صنع بعضها.

إن الدول العربية إذا لم تغير من نفسها وتستفد من تلك الأزمة فسيغيرها الآخرون، ولن تكون لها قدم في عالم يتشكل بنيانه، إلا بتغيير نهجها وتحقيق الوحدة بينها، والتركيز على إنتاج احتياجاتها، واحترام حرية الرأي وحقوق الإنسان فيها، وخضوع حكامها لإرادة شعوبها.■

مقال

استدعاء مؤقت للتكامل الغذائي العربي في الأزمات



عبدالحافظ الصاوي
خبير اقتصادي

منذ ستينيات القرن الماضي والمجال الأكاديمي والسياسي يسمع لمقولة: «إن العالم العربي بإمكانه أن يكون سلة غذاء العالم، عبر اليد العاملة المصرية، والأراضي الخصبة السودانية، ورأس المال الخليجي»، لكن بعد نحو 6 عقود من الزمن، تزداد الفجوة الغذائية في الوطن العربي، وأصبح الثلاثي المطروح في المقولة السابقة أكثر استيراداً للغذاء، وبخاصة السلع الإستراتيجية، من الحبوب والزيوت واللحوم.

وغير مرة، قُرعت الأجراس لخطورة الأوضاع على الصعيد الزراعي والغذائي في العالم العربي، وأن اعتماده على الاستيراد في سلعة إستراتيجية مثل الغذاء يعرض أمنه القومي لمزيد من الخطر، فضلاً عن أنه يُعد أحد المظاهر المهمة للتبعية للخارج.

ففي عامي 2006 و2007م، شهد العالم أزمة غذاء؛ بسبب توجه بعض الدول لإنتاج الوقود الحيوي، الذي يعتمد على السلع الزراعية، بسبب ارتفاع أسعار النفط في السوق الدولية، وكان إنتاج الوقود الحيوي من أهم أسباب اشتعال أسعار الغذاء في نفس الفترة.

وكانت هذه الأزمة مناسبة جيدة لاستدعاء التكامل الزراعي والغذائي العربي، لكنه استدعاء لم يتجاوز المنصات الأكاديمية والإعلامية، واتجاه بعض الدول النفطية العربية للاستثمار الزراعي في السودان، ثم ما إن شهدت السوق العالمية اتجاه أسعار السلع الغذائية للانخفاض، حتى خفتت تلك الأصوات المنادية بالتكامل الزراعي والغذائي العربي.

وفضلت كل الدول العربية تحقيق أمنها الغذائي عبر الاستيراد، وليس تنمية إنتاجها المحلي، أو الإنتاج المشترك في الإطار العربي، ومع انعقاد القمة الاقتصادية العربية الأولى بدولة الكويت في يناير 2009م، تجدد ملف الأمن الغذائي العربي، حيث تقدم مجلس الوحدة الاقتصادية العربية بمشروع لتحقيق الأمن الغذائي العربي بتكلفة تبلغ 36 مليار دولار، ولكن للأسف لم يحظَ هذا المشروع بالدعم الكافي، ولم يخرج كمشروع تتبناه القمة.

ومع التداعيات السلبية لأزمة «كورونا»، تغيرت السياسات من قبل بعض الدول، ومن بينها دولة عربية مثل مصر، باتخاذ قرارات بمنع تصدير بعض السلع الغذائية، وهو ما يطرح ملف التكامل الزراعي والغذائي العربي مرة أخرى، ولكن هذه المرة يجب أن يراعي انتباه واهتمام الجميع؛ الحكومات، ومجتمع الأعمال، والمجتمع الأهلي؛ فنحن أمام أزمة سيناريوهاتها مفتوحة، ولا يعرف لها أمد زمني للخروج منها، والتعافي من آثارها السلبية.

مقدرات العرب بالزراعة والغذاء

التقرير الاقتصادي العربي الموحد لعام 2019م يضعنا أمام لوحة كاشفة للوضع الزراعي والغذائي في العالم العربي؛ فمساحة الأراضي الزراعية تبلغ 220 مليون هكتار، الأراضي المزروعة بالفعل من هذه المساحة 32.8%، ثم يشكو العرب من أزمة في المنتجات الزراعية والغذائية.

ونتيجة لعدم الاهتمام الكافي بقطاع الزراعة، ينصرف العاملون الزراعيون إلى قطاعات أخرى، رغبة في تحسين دخولهم،

مساحة الأراضي الزراعية تبلغ 220 مليون هكتار المزروع بالفعل منها 32.8% فقط

الوضع الحالي يكرّس لاستمرار التعامل مع الأزمة في إطار قُطري ولا يؤشر على تعاون ولو ثنائياً



وتحقيق نوع من الاستقرار الحياتي، فقد بلغ عدد العاملين بقطاع الزراعة بالعالم العربي عام 2017م نحو 24.1 مليون عامل، بينما كان هذا العدد عام 2010م نحو 27.1 مليون عامل.

وتتدنى مساهمة قطاع الزراعة في الناتج المحلي الإجمالي للعالم العربي، حيث تصل إلى نحو 4.5%، كما يبلغ نصيب الفرد من الناتج الزراعي 302 دولار فقط لا غير في عام 2018م، وهو معدل يبين إلى أي مدى يعاني قطاع الزراعة في عالمنا العربي من إهمال.

أما عن الميزان التجاري الزراعي، فتشير البيانات عام 2017م إلى وجود عجز بالميزان الزراعي للعالم العربي بنحو 62.4 مليار دولار، بينما تبين الأرقام أن العجز بالميزان التجاري للغذاء بالعالم العربي بلغ 32.6 مليار دولار.

معوقات التكامل الزراعي والغذائي

لا يعد الملف الزراعي والغذائي استثناء من الملف الشامل للتكامل الاقتصادي العربي، حيث توجد مجموعة من المعوقات، تقف حجر عثرة أمام نجاح التكامل الزراعي والغذائي، منها غياب الإرادة السياسية في الدول العربية، منذ عقود، في الوصول لحالة نجاح في ملف التكامل الاقتصادي، وفضلت كل دولة التصرف في قضية الزراعة والغذاء على حدة، ومع ذلك لم يسفر هذا السلوك إلى نتيجة إيجابية على المستوى القُطري.

ولعل الوضع الحالي الذي تعانيه المنطقة العربية يمثل إضافة جديدة في ملف المعوقات لتحقيق التكامل الزراعي والغذائي، حيث تعم حالة عدم الاستقرار السياسي والأمني غالبية الدول العربية، فالحرب الأهلية ما زالت قائمة في كل من ليبيا، وسورية، واليمن، والعراق، والسودان، والصومال.

وكذلك تعيش منطقة الخليج أزمة حصار قطر لأكثر من عامين؛ وهو ما يعكس حالة الانقسام في منطقة الخليج، وتأثر كل من السعودية والإمارات سلبياً باستمرار الحرب في اليمن، وإن كان أُعلن مؤخراً وقف لإطلاق النار لمدة أسبوعين، تحت إشراف الأمم المتحدة.

يضاف إلى ذلك أن غياب المناخ الديمقراطي في الدول العربية ساعد على وجود فئة مستفيدة من استمرار هذا الوضع، حيث يضمنون تجارة رائجة عبر الاستيراد والتوزيع داخل كل قُطر، باعتبار الغذاء سلعة إستراتيجية لا ينخفض الطلب عليها، بل يستمر ويزيد مع زيادة عدد السكان في كل دولة.

وهذه الحالة تكرس لاستمرار التعامل مع الأزمة في إطار قُطري، ولا يشجع على تعاون في ملف الزراعة والغذاء، ولو على مستوى التعاون الثنائي.

ثَمَّ خطر محدق بالإنسان في المنطقة العربية إذا لم تتغير سياسات الإنتاج والاستثمار فيها

التداعيات السلبية لـ «كورونا» سيكون لها وقع جديد يتطلب إدارة مختلفة في طرق التفكير وإستراتيجيات المواجهة

هل يحقق «كورونا» المستحيل؟

الممارسات السلبية على صعيد التكامل الاقتصادي العربي تجعل الوصول إلى حالة تكاملية أشبه بالمستحيل، ولكن تعُم فرضية الآن على الساحة الفكرية والسياسية، في ضوء أزمة «كورونا»، تقول: إن العالم بعد أزمة «كورونا» يختلف عن العالم قبلها.

ومن قبيل الحكمة العربية «تفاءلوا بالخير تجدوه»، فلنفترض أن التداعيات السلبية لـ «كورونا»، وما هو منتظر في ضوء أن تجري العديد من الدول مراجعات لسياساتها الاقتصادية والاجتماعية، بعد تجاوز الأزمة، أن توجد هذه الأزمة فرصة ليتوجه العالم العربي لإعادة ترتيب بيته من الداخل، ويتجه نحو التكامل الاقتصادي في مجالاته المختلفة، ومن بينها التكامل في المجال الزراعي والغذائي.

وهذه الفرضية ستكون من الدروس المستفادة من الأزمة، ولكنها تحتاج إلى إزالة المعوقات التي أشرنا إليها من قبل، ليكون المسار الجديد مبنياً على المصلحة المشتركة، مع مراعاة توزيع المخاطر والعوائد، فمن غير المقبول أن تحصل دولة ما على كل شيء، بينما تغيب المصالح عن دولة أخرى بالكلية.

ويتطلب الأمر أن تعيد الدول العربية النظر في محافظها الاستثمارية، لتكون الزراعة وإنتاج الغذاء له أولوية عن أنشطة أخرى، مثل المضاربة في أسواق المال أو العقارات، أو شراء الأندية الرياضية، فثم خطر محدق بالإنسان في المنطقة العربية، إذا لم تتغير سياسات الإنتاج والاستثمار في المنطقة العربية.

فلم يعد الحديث عن وجود استثمارات عربية لدول الفائض بحدود 2.6 تريليون دولار يفيد في شيء، وإمدادات المنطقة من الغذاء معرضة للخطر، وسيكون لكل دولة من الدول المنتجة للغذاء أجندتها، التي تعتمد على توفير احتياجاتها المحلية أولاً، ثم محيطها الإقليمي، أو حسابات أجندتها السياسية.

لقد أظهرت أزمة أسواق النفط العالمية هشاشة الاقتصاد العربي، وبخاصة في ظل مقارنة سعر برميل النفط بأسعار بعض السلع الغذائية، بعد انخفاض أسعار النفط، فسعر سلعة مثل البصل فاق سعر الجوال منها سعر برميل النفط، في أسواق بعض دول الخليج، كما أن الطائرات في رحلات مستمرة، ذهاباً وإياباً، للعمل على توفير احتياجات بعض البلدان من الغذاء.

لقد أهمل العرب التعامل السليم مع العديد من الأزمات خلال الفترة الماضية، ولكن التداعيات السلبية الاقتصادية والاجتماعية لأزمة «كورونا» سيكون لها وقع جديد، يتطلب إدارة عربية مختلفة على مستوى طرق التفكير وإستراتيجيات المواجهة.

فلم تعد القرارات الفردية، أو إهمال مراكز البحوث وأهل الخبرة، تصلح فيما هو آت، فالأصل أن يُستدعى ذوو الخبرات، والجامعات، والعلماء العرب من الخارج، لبناء عالم عربي جديد يتجاوز قضايا مثل الغذاء، لتكون قضية تاريخية، ويعمل على تقوية عناصر القوة في ضوء خريطة القوى الاقتصادية والسياسية على الصعيد العالمي.

لقد رضينا بالتبعية في ظل العولمة، على مدار أربعة عقود، ومن غير المقبول أن تظل اهتمامات المنطقة العربية لا تتجاوز التفكير في مجرد توفير غذائها.■



دراسة

وقفة مع «أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض؟»



محمد إلهامي

باحث في التاريخ والحضارة الإسلامية



هذه الآية ينفر من سماعها الذين يصدُّون عن سبيل الله والذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا

من الآيات الشديدة في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ (البقرة: 85)، وذلك أنه تبارك وتعالى استعمل لفظ «وتكفرون» الذي هو غاية التشنيع على فاعليه والتقبيح لعملهم، فلم يقل مثلاً: أفتؤمنون ببعض الكتاب وتتركون بعضاً، أو تدَعون بعضاً، أو حتى وتنسون بعضاً، أو تهملون بعضاً.. لا، إنما استعمل لفظ «الكفر».

هذه الآية يكثر استعمالها على ألسنة الدعاة والعلماء حين يعمدون إلى الإنكار على بعض العادات أو السلوك المخالف للدين بين المسلمين، وهي لهذا آية ينفر من سماعها أولئك الذين يصدون عن سبيل الله، وأولئك الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا.

لكن الغريب الذي يلفت النظر هنا أن هذه الآية نزلت تدين سلوكاً كان اليهود يفعلونه، هذا السلوك إذا حُكِي اليوم في أمتنا فأغلب الناس سيرون أنه عمل عظيم يدل على التمسك بالدين وعلى تعظيم اليهود لشريعتهم!

مناسبة النزول

ومختصر الأمر أن اليهود في المدينة المنورة قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم كان أكبر قبائلهم ثلاثاً؛ بني قينقاع، وبني النضير، وبني قريظة، ومع هذه الفرقة فيما بينهم اختلفت مصالحهم فاختلفت حساباتهم وتحالفاتهم السياسية، حتى وصل الأمر إلى أن بني قريظة كانت في حلف مع الأوس، وبني النضير كانت في حلف مع الخزرج، فإذا نشبت الحرب بين الأوس والخزرج (وهم وثنيون) تقاتلت كل قبيلة من اليهود مع حلفائهم، فإذا باليهودي يقتل اليهودي وينهب ماله ويخرب داره تقديماً لحسابات السياسة والحلف على صلة الدين والعقيدة.

حتى إذا وضعت الحرب أوزارها، سعى جميع اليهود في افتداء الأسرى منهم، فيسعى بنو النضير في افتداء أسرى بني قريظة والعكس كذلك، فكانت العرب تستغرب هذا وتُعَيِّرهم به، يقولون: كيف تقاتلونهم وتفدونهم؟ فيقول اليهود: إنا أُمرنا في شريعتنا أن نفديهم وحُرِّم علينا قتالهم، فيقولون: فلم تقاتلونهم؟ فيقول اليهود: إنا نستحيي أن يُستَذَلَّ حلفاؤنا.

وروى أصحاب التفسير وقائع تدل على أن اليهود كانوا يبذلون المال وإن غلا وزاد في افتداء الأسرى منهم ولو من بلاد بعيدة، مع أنهم أبخل الناس بالإنفاق، ويرون أن التخلي عن الأسرى وقوع في الكفر[1].

وهكذا كان اليهود يقاتلون بعضهم نزولاً على مقتضى السياسة وأحلافها، ويفدون بعضهم نزولاً على مقتضى الدين والعقيدة، وهنا نزل القرآن الكريم يُشَنِّع عليهم أنهم يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض، ويتوعدهم بالعذاب بألفاظ قوية رهيبة: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لاَ تَسْفِكُونَ دِمَاءكُمْ وَلاَ تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ (84) ثُمَّ أَنتُمْ هَـؤُلاء تَقْتُلُونَ

أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاء مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (85)﴾ (البقرة).

رؤية عصرية

لو غضضنا الطرف مؤقتاً عن هذا التشنيع القرآني الشديد، واستعملنا ثقافتنا المعاصرة في تقييم هذا المشهد، فإن أغلب المحللين سيرى أن هذا من نبل الأخلاق وشدة الإيمان، إذ كيف تسمح نفس المرء أن يدفع من أمواله ليفتدي أسيراً كان هو نفسه سبباً في أسره، وربما لو اختلفت الحال قليلاً لكان قد قتله فعلاً، ثم انظر كيف ينسى القوم ما كان بينهم من القتال ليتعاونوا معاً في فداء أسراهم!

لو تصورنا مثلاً أن دولتين من الدول الإسلامية نشبت بينهما الحرب، أو حتى لو عدنا بالذاكرة إلى ما قبل ثلاثين عاماً وتصورنا أن الحرب قد نشبت بين المعسكرين الشرقي والغربي، واضطرت دولتان مسلمتان تحت ضغط السياسة أن تتقاتلا، ثم إذا انتهت الحرب انطلقت هاتان الدولتان في مباحثات دبلوماسية محمومة وبميزانية مالية مفتوحة لاستنقاذ الأسرى المسلمين، إذا حصل هذا فكيف سيكون تقييم هذا الأمر؟! سيُكتب في إنجازات هاتين الدولتين وسيُبَرَّر لهما ذنب دخول الحرب بمقتضى السياسة والحلف وتكتب فيهما عرائض التبرير بمعاذير الاضطرار والإكراه والتأويل!

لقد ابتعدنا عن المثال كثيراً، إننا الآن في زمن يستبيح فيه بعضنا بعضاً بلا دين ولا حتى قانون وضعي، بل أكثر البلاد المسلمة الآن ترتكب جرائم تسليم المسلمين لعدوهم وهم يعلمون ما سيلقونه من التعذيب الشديد والقتل، والأمثلة معروفة ومريرة، فإذا كان هذا التشنيع الإلهي الشديد على من ترك شيئاً من شريعته وتمسك بشيء، فكيف يجب أن يقال في مثل هؤلاء الذين تركوا الكتاب مطلقاً فقتلوا وأسروا وسَلَّموا؟!

ورد عن عمر رضي الله عنه حين قرأ هذه الآية أنه قال: «إن بني إسرائيل قد مضوا، وإنكم يا أهل الإسلام تُعنون بهذا الحديث».

اليهود كانوا يقاتلون بعضهم نزولاً على مقتضى السياسة ويفدون بعضهم نزولاً على مقتضى العقيدة

أكثر البلاد المسلمة الآن ترتكب جرائم تسليم المسلمين لعدوهم وهم يعلمون ما سيلقونه من التعذيب والقتل

عقوبة الإخراج من الأرض والبلد عقوبة شديدة يقر بقسوتها جميع الشرائع المؤمنة والكافرة

لقد كانت هذه الآية واحدة من الأعمدة التي بُنيَت عليها أحكام التحالف بين المسلمين وغير المسلمين، وأحكام القتال بين المسلمين إذا وقع بينهم، وأحكام التعامل في قتال البغاة والغلاة من المسلمين وأسراهم وجرحاهم، والاستعانة عليهم بعدو من غير المسلمين، إلى آخر هذه الأحكام المبسوطة في كتب الفقه.

ولقد كان تعبير الآية عن القضية تعبيراً لطيفاً عالي المعنى، توقف عنده المفسرون طويلاً، يقول تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لاَ تَسْفِكُونَ دِمَاءكُمْ وَلاَ تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ (84) ثُمَّ أَنتُمْ هَؤُلاء تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ﴾.

قال أهل التفسير: «نفسك يا ابن آدم أهل ملتك»[2]، وقالوا: «جعل غيرَ الرجل نفسَه إذا اتصل به أصلاً ودينا»[3]، وقالوا: «فإن قيل: وهل يسفك أحدٌ دمه، ويخرج نفسه من داره؟ قيل له: لما كانت ملتهم واحدة وأمرهم واحداً، وكانوا في الأمم كالشخص الواحد، جعل قتل بعضهم لبعض وإخراج بعضهم بعضاً قتلاً لأنفسهم ونفياً لها»، وبعض القراءات جاءت بصيغة المبالغة كقراءة «تُسَفِّكون دماءكم» وهي زيادة في التقبيح والتشنيع[4].

وتوقف بعض المفسرين عند هذه الآية مع معنى عقوبة النفي، فقال: «وفيها تحريم إخراج الإنسان من دياره وأرضه وتغريبه بغير حق، والإخراج من البلد عقوبة شرعية يجب ألا تنزل إلا بسبب شرعي، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ﴾ (المائدة: 33)؛ فجعل الله سبب الإخراج من البلد محاربة الله ورسوله، وإنزال العقوبة لمجرد مخالفة المحكوم للحاكم في رأيه –الذي لا يخرج عن حد النقل والعقل– غير جائز.

ولما جعل الله النفي عقوبة دلَّ هذا على أن بقاء الإنسان في بلده حق مشروع له، يجب أن يحفظ ويصان، ومن واجبات ولي الأمر حفظه، وليس نزعه، وعقوبة الإخراج من الأرض والبلد عقوبة شديدة يقر بقسوتها جميع الشرائع المؤمنة والكافرة، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾ (إبراهيم: 13)، فسمَّى الله الإخراج من الأرض ظلما.

وينبغي للحاكم الذي يريد إخراج أحد من بلده أن يعرف قدر أثر الإخراج على صاحبه؛ فهو ظلم شديد، ولا ينبغي أن ينزل إلا في حال العجز عن كف الأذى والردع إلا به، ولا بدَّ من معرفة قدر الفساد اللازم من إخراجه عليه وعلى ذريته من بعده، ومقارنته بالسبب الموجب لإخراجه، والحكم في ذلك لتقدير الله في كتابة وسُنة نبيه بنظر عالم عارف، لا بالهوى والتشهي»[5]. ■

الهوامش

(1) انظر: تفسير ابن كثير، 478/1 (ط1 مؤسسة قرطبة، 2000م)؛ موسوعة التفسير بالمأثور، 528/2 وما بعدها (ط1 دار ابن حزم، 2017م).

(2) تفسير الطبري، 300/2، (ط1 مؤسسة الرسالة، 2000م).

(3) حاشية الطيبي على الزمخشري (فتوح الغيب)، 559/2 (ط1، جائزة دبي للقرآن الكريم، 2013م)، وما في المتن عبارة الزمخشري.

(4) تفسير القرطبي، 236/2 (ط1 مؤسسة الرسالة، 2006م).

(5) الطريفي، التفسير والبيان، 81/1، 82 (ط1 دار المنهاج، 1438هـ).

مقال



لندن - د. أحمد عيسى:
دكتوراه جامعة برمنجهام

أرحام للإيجار!

علق أكثر من 100 طفل حديثي الولادة من أمهات بديلات في أوكرانيا، إذ لم يتمكن أهلوهم من السفر لتسلمهم بسبب إغلاق الحدود منذ مارس الماضي؛ جراء انتشار وباء فيروس «كورونا»، والعدد سيزيد مع تمديد الإغلاق، وشاهد الناس على شاشات التلفاز 51 مولوداً بريئاً مرصوصين في مهدهم، بلا أُمٍّ أو أب وقد وضعوا في فندق بمدينة كييف تملكه إحدى العيادات.

فما هي حكاية استئجار الأرحام، تلك البدعة التي انتشرت في عالم اليوم المادي الذي لا يعتد بخُلق أو عرف أو حق للطفل؟ عصم الله المسلمين من ذلك.

أثارني الفيديو الذي يعتبر كأنه دعاية لهذه العيادة عن تقنيات تأجير الأرحام وتقديمها على أنها «سلع عالية الجودة»، لكنه يعني أيضاً أن الدولة لا تتخذ جميع الإجراءات المناسبة لحماية حقوق الأطفال وكرامتهم، حيث أصبحت أوكرانيا بذلك دولة «مانحة للأطفال» للأجانب، ولا تستطيع السيطرة على مصيرهم.

وتتضمن عملية استئجار الرحم دفع مبلغ كبير لمؤسسات تعطي جزءاً منها لأم بديلة ليستقر الطفل في رحمها حتى موعد الولادة، وقد تأتي البويضة من الأم البديلة أو من أمه البيولوجية أو من متبرعة، وقد تأتي النطفة من أبيه البيولوجي أو من متبرع بالنطفة، وتلقح البويضة أحياناً في أنابيب معملية وتزرع في رحم الأم البديلة، بحيث يحمل الطفل المولود عبر هذه العملية الصفات الوراثية لأحد الأبوين أو أكثر، وتمثل التقنيات أهمية كبيرة للمثليين ومزدوجي الميل الجنسي والمتحولين جنسياً، الذين يخططون لتكوين أسرة، وهذه الطريقة قد يلجأ إليها أيضاً حين تكون الزوجة غير قادرة على الحمل لسبب في رحمها، ولكن مبيضها سليم منتج، أو تكون غير راغبة في الحمل ترفهاً[1].

هذه العملية تمثل أهمية كبيرة للمثليين ومزدوجي الميل الجنسي والمتحولين جنسياً الذين يخططون لتكوين أسرة

الجسد سلعة!

أصبحت أوكرانيا واحدة من مراكز استئجار الأرحام بسبب قوانينها الفضفاضة، وأثيرت انتقادات عديدة، بسبب استغلال الشركات للأمهات البديلات، وقد عارض كثيرون مسألة التربح من تأجير الأرحام بسبب التعامل مع جسد المرأة على أنه سلعة أو «مفرخة» بشرية للأطفال، ويتساءل مناصرو المرأة وعلماء أخلاقيات البيولوجيا ما إذا كان تأجير الأرحام يساعد بالفعل في تمكين المرأة لاتخاذ قرارات بشأن أجسادهن أم يحط من شأن النساء الفقيرات ويحيلهن إلى أرحام للإيجار؟

وقد دعت مفوضة البرلمان الأوكراني لحقوق الإنسان إلى التكاتف من أجل التحسين العاجل للتشريعات المتعلقة باستخدام تكنولوجيات الإنجاب وتأجير الأرحام للأجانب، ومنع «التصدير» غير المنضبط للأطفال إلى الخارج، وأنه يجب عدم الاتجار بالأطفال في أوكرانيا، وقال مفوض الرئيس الأوكراني لحقوق الطفل: إن تأجير الأرحام في أوكرانيا غير منظم وينتهك حقوق الأطفال، وأضاف أن ولادة طفل بعيد عن الأم أمر غير طبيعي، وبهذه الطريقة؛ تصبح أوكرانيا ببساطة متجراً دولياً للأطفال عبر الإنترنت، ولا نعرف العدد الحقيقي لهؤلاء الأطفال الذين تزودهم أوكرانيا بهذه الطريقة، مشيراً إلى أن تأجير الأرحام هو استغلال المرأة من أجل كسب الدخل من قبل الشركات الخاصة وتلبية احتياجات البالغين وينتهك حقوق الطفل.

عملية استغلال من الشركات الخاصة للمرأة لكسب الدخل وتلبية احتياجات البالغين وهو انتهاك لحقوق الطفل

وأشار مفوض حقوق الطفل إلى أنه في عام 1991م، ذكر ممثلو غرفة برلمانية ألمانية أن تأجير الأرحام يتعارض مع حقوق الطفل، وعلى وجه الخصوص إذا لم تؤخذ العلاقة بين الطفل والأم التي أنجبته في الاعتبار، وإخراج الطفل من الأم البيولوجية يمكن أن يكون له عواقب سلبية، وقال: «أنا أعارض رفضاً قاطعاً تأجير الأرحام التجاري، إنه تجسيد للطفل ووضعه كسلعة»[2].

في العام الماضي، تجدد النقاش حول هذه الظاهرة بعد اتهام امرأة دنماركية بالنصب والاحتيال على أكثر من أسرة، دفعت لها المال للحصول على طفل من المتوقع أن يولد في قبرص، جمعت المرأة المال من أسر غير قادرة على الإنجاب، ونجحت واحدة من عمليات التخصيب، لكنّها كذبت على الزوجَين المعنيَّين قائلة: إن الحمل لم ينجح، ليتبيّن لاحقاً أنها وضعت توأمَين وقرّرت الاحتفاظ بهما، فوجّهت الشرطة الدنماركية اتهامات لها بـ «تأجير رحمها في مقابل المال، بالإضافة إلى النصب على أكثر من زوجَين محرومين من الإنجاب»، هي أنكرت، غير أنّ فحوصات الحمض النووي في الدنمارك أثبتت أنّ الزوجَين المعنيَّين هما والدا التوأمَين، على



تأجير الأرحام للولادة حرام شرعاً لما فيه من مفاسد تتلخص في إفساد معنى الأمومة كما فطرها الله وعرفها الناس

حلم الأبوة والأمومة يأخذ بقلوب المحرومين ما قد يدفعهم إلى عمل أي شيء غير أخلاقي أو شرعي

الرغم من ذلك؛ ما زال الصغيران مع المرأة التي أنجبتهما، في حين أنّ الوالدَين يعانيان مع القانون[3].

رأي الشرع

قالت دار الإفتاء المصرية: إن تأجير الأرحام من أجل الولادة حرام شرعاً؛ لما فيه من مفاسد تتلخص في إفساد معنى الأمومة كما فطرها الله وعرفها الناس، وصَبغها بالصبغة التجارية، مما يناقض معنى الأمومة التي عظّمتها الشرائعُ وناطت بها أحكام وحقوق عديدة، ونَوَّه بها الحكماء، وتَغَنَّى بها الأدباء، وهذا المعنى وذلك التعظيم لا يكون من مجرد بويضة أفرزها مبيض امرأة ولَقَّحَها حيوان منوي من رجل، إنما تتكون من شيء آخر بعد ذلك مثل الوَحَم والغثيان والوهن في مدة الحمل، والتوتر والقلق والطلق عند الولادة، والضعف والهبوط والتعب بعد الولادة، فهذه الصحبة الطويلة هي التي تُوَلِّد الأمومة.

كما أن تغطية الأمومة بهذا الحاجز الضبابي يؤدي إلى تنازع الولاء عند الطفل بعد الإنجاب؛ هل سيكون ولاؤه لصاحبة البويضة، أو للتي حملته وأرضعته من ثديها؟ مما قد يعرضه لهزة نفسية عنيفة؛ إذ إنه لن يعرف إلى من ينتمي بالضبط؛ إلى أمه الأولى أم أمه الثانية؟ ودرء المفاسد أولى من جلب المصالح.

وقد صدر قرار من مجمع الفقه الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي في دورته الخامسة عام 1402هـ بتحريم هذا الأسلوب من أساليب التلقيح، كما صدر قرار من مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي في دورة مؤتمره الثالث عام 1407هـ بتحريمه أيضاً[4].

فالرحم تابع لبضع المرأة، والبضع لا يحل إلا بعقد شرعي كامل الشروط والأركان، فالرحم إذن وقف على الزوج العاقد على المرأة عقداً صحيحاً، ولا يحل لغيره أن يشغله بحمل دخيل، أما إذا كانت المؤجرة لرحمها غير ذات الزوج فإنها تكون قد أباحت بضعها ورحمها لرجل أجنبي لم تحل له ولم يحل لها، وهذا وإن لم يكن زنا كاملاً فهو حرام قطعاً لتمكين الرجل الأجنبي عنها في وضع مائه التناسلي فيه[5].

توكل وبدائل

قال الله تعالى: ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ (49) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإِنَاثاً وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيماً إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ (الشورى)، يقول السعدي: «هذه الآية فيها الإخبار عن سعة ملكه تعالى، ونفوذ تصرفه في الملك في الخلق لما يشاء، والتدبير لجميع الأمور، حتى إن تدبيره تعالى، من عمومه، أنه يتناول المخلوقة عن الأسباب التي يباشرها العباد، فإن النكاح من الأسباب لولادة الأولاد، فالله تعالى هو الذي يعطيهم من الأولاد ما يشاء، فمن الخلق من يهب له إناثاً، ومنهم من يهب له ذكوراً، ومنهم من يزوّجه؛ أي: يجمع له ذكوراً وإناثاً، ومنهم من يجعله عقيماً لا يولد له»[6].

وبعد، فإن حلم الأبوة والأمومة حلم يأخذ بقلوب وعقول المحرومين؛ ما قد يدفعهم إلى عمل أي شيء غير أخلاقي أو شرعي، هذا ما لم نتوقعه ممن أسلم وجهه لله وقرأ الآية السابقة، على هؤلاء أن يبحثوا عن حلول طبية شرعية، وأن يتحلوا بالتوكل على الله والصبر عسى أن يجعل لهم مخرجاً، والطب في هذا المجال في تطور مستمر، ولعل البديل قد يتحقق بالتبني الإسلامي (مع احتفاظ الطفل بنسبه واسم أبيه)، أو كفالة يتيم يضمونه إليهم، كما في حديث النبي صلى الله عليه وسلم: «من ضمَّ يتيماً بين أبوَين مسلمَين إلى طعامه وشرابِه حتى يستغنيَ عنه؛ وجبَتْ له الجنَّةُ..» (صحيح الترغيب، رقم 1895).■

الهوامش

(1) استئجار الأرحام: شركات تساعد موظفيها وتتكفل بالنفقات
https://www.bbc.com/arabic/magazine-49734858

(2) مفوض الرئيس الأوكراني لحقوق الطفل يطالب بحظر تأجير الأرحام في أوكرانيا
http://ukrpress.net/node/12219

(3) أرحام للإيجار.. جدال أخلاقي وقانوني في الدنمارك
https://www.alaraby.co.uk/18/2/society/2019

(4) دار الإفتاء المصرية فتوى: تأجير الأرحام رقم (722) بتاريخ 11 أغسطس 2019
/https://www.dar-alifta.org

(5) استئجار الأرحام حرام، عبدالعظيم المطعني
https://islamqa.info/ar/answers

(6) تفسير السعدي «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان»، مؤسسة الرسالة 2000م.

مقال

محمد فتحي النادي
كاتب مصري مقيم في الجزائر

بلاء المتلونين من أهل العلم

إن أهل العلم متفاوتون في حظوظ النفس؛ فمنهم من يصون نفسه عن مواطن المذلة والمهانة، ويعف عن أي مكسب من مالٍ يرى فيه شبهة حرام، بل يمكن أن يترك كثيراً من الحلال خوفاً من شبهة اختلاطه ببعض الحرام.

ومنهم من يقول كلمة الحق ولا يخاف في الله لومة لائم، ولو على نفسه أو الأقربين أو ذوي الجاه والسلطان.

ومنهم من يجتنب مخالطة الناس ترفُّعاً لنفسه عن النميمة والغيبة والوقوع في أعراض الناس.

ومنهم من يتأبَّى على المناصب فتأتيه وهي راغبة، بل ويعزل ونفسه عنها، ويطلبه السلطان للعودة فيجيب أحياناً ويتمنَّع كثيراً.

ومنهم من لا تغره الدنيا بزخرفها؛ فيستوي عنده غناه وفقره؛ فلا يفرح لغناه، ولا يحزن لفقره، ويعلم أن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، وما أصابه لم يكن ليخطئه.

من العلماء من لم يعصمهم العلم فيعظون الناس ولا ينتفعون بمواعظهم واتخذوا العلم وسيلة للإثراء من الحلال والحرام

بعض العلماء يملكون حسن المنطق لا لإبراز الحق بل لاستمالة قلوب العوام وتسويق فتاواهم المداهنة لذوي السلطان

وهناك من لم يعصمهم العلم؛ فيعظون الناس ولا ينتفعون هم أنفسهم بمواعظهم، انغمسوا في الدنيا وملذاتها، واتخذوا العلم وسيلة للإثراء من الحلال والحرام، اتخذوه وسيلة للاستطالة على غيرهم، رفعهم العلم لكنهم أبوا إلا أن يذلوا أنفسهم.

وقفوا على أبواب الأمراء والسلاطين راغبين في لعاعة الدنيا، لم تمتلئ أعينهم بما عندهم فراحوا يستزيدون ويستزيدون.

يخافون من أهل الجاه والسلطان أكثر من خوفهم من الله تعالى.

جعلوا فتاواهم في خدمة الأمراء والسلاطين، يُحلُّون ما أراد الأمراء تحليله، ويحرِّمون ما أرادوا تحريمه.

يدورون مع أهواء الأمراء والسلاطين أينما دارت.

يتلونون مع كل حاكم وأمير؛ فالاشتراكية من الإسلام، ويوماً آخر تكون الرأسمالية والديمقراطية هي العلاج لمشكلات الأمة!

يملكون حسن المنطق لا لإبراز الحق والحقيقة، بل لاستمالة قلوب العوام، ولتسويق فتاواهم المداهنة لذوي الجاه والسلطان.

يشغلون الناس بسفاسف الأمور، وبقضايا فرعية، ويهيلون التراب على عظائم القضايا.

يقيمون المعارك الكبيرة إذا أراد الحاكم، ويسكتون إذا أراد الحاكم.

يتقربون إلى أهل السلطان بالطعن في أهل العلم والحق.

ويميلون إلى تقسيم الناس؛ فهذا أشعري، وهذا معتزلي، وإخواني، وهذا سروري، وهذا جهادي، وهذا حزبي بغيض، وهذا قبوري مشرك.

يشعلونها حرباً متقدة على «عُبَّاد القبور» -في زعمهم- ويكونون برداً وسلاماً على سكان القصور.

يدفعون المال للوصول إلى مناصبهم؛ زيادة في الجاه، وزيادة في المال.

كلما ارتقوا في المناصب دفعوا في سبيل ذلك من كرامتهم.

يخافون من عزلهم من مناصبهم خوفهم من الموت أو أشد خوفاً.

يسيرون في ركاب القوي مهما كان حتى ولو كان عدواً للأمة، سفَّاكاً لدماء أبنائها، محتلاً لأراضيها.

وفي لحظة يخسرون كل شيء عندما يغضب عليهم السلطان، أو يجيء سلطان آخر فيعزل بطانة من سبقه، أو يبطش بهم لسوء أفعالهم السابقة.

فلم يبق لهم الجاه الذي أمَّلوه، ولا الكرامة التي أهدروها، ولا المال الذي بذلوه.

خسروا أنفسهم، وأعانوا على أنفسهم.

العلماء اللصوص

والتاريخ مليء بأمثال هؤلاء الذين تسربلوا بسربال العلم، لكن قلوبهم كانت قلوب ذئاب ضارية.

وقد حذَّر النبي صلى الله عليه وسلم من انزلاق الأقدام بالإتيان لأبواب السلاطين، وما بعد الانزلاق إلا السقوط، وإذا كان يليق بعامة الناس عدم الإتيان فهي بالعلماء أليق، فقال: «إياكم وأبواب السلطان؛ فإنه قد أصبح صعباً هبوطاً»[1]، قال المناوي: «هُبوطاً؛ أي: منزلاً لدرجة من لازمه، مذلاً له في الدنيا والآخرة»[2].

وقد ضيَّق جعفر الصادق الدائرة، فقال: «الفقهاء أمناء الرسل، فإذا رأيتم الفقهاء قد ركنوا[3] إلى السلاطين فاتهموهم»[4].

والفتنة في الدين والنفس والمال ملازمة لمن خالط الأمراء والسلاطين، يقول ابن مسعود: «إن على أبواب السلطان فتناً كمبارك الإبل، والذي نفسي بيده لا تصيبون من دنياهم شيئاً إلا أصابوا من دينكم مثله»[5].

وقد اعتبر سفيانِ الثوري العالِم الذي يحتمي بالسلطان لصّاً؛ فهو لص يسرق من دين السلطان بتزيين أفعاله وإضفاء الشرعية عليها، ويسرق من دين نفسه بالسكوت على الظلم وعدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويسرق من دين العامة الذين يرضون



مظالم السلطان، ويسكتون على تعديه على الشرع لسكوت العلماء، فقال: «إذا رأيت القارئ يلوذ بالسلطان فاعلم أنه لص، وإذا رأيته يلوذ بالأغنياء فاعلم أنه مُراء، وإياك أن تخدع فيقال لك: ترد مظلمة تدفع عن مظلوم؛ فإن هذه خدعة إبليس اتخذها القراء سلماً»[6].

ومن سعي العالِم على نفسه أن يحدِّث الناس بما لا يعرفون، يقول الذهبي عن وكيع بن الجراح: محنة وكيع –وهي غريبة– تورط فيها، ولم يُرد إلا خيراً، ولكن فاتته سكتة، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «كفى بالمرء إثماً أن يحدث بكل ما سمع»[7]، فليتق عبد ربه، ولا يخافن إلا ذنبه.

قال علي بن خشرم: حدثنا وكيع، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن عبدالله البهي، أن أبا بكر الصديق جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته، فأكب عليه، فقبَّله، وقال: «بأبي وأمي، ما أطيب حياتك وميتتك»، ثم قال البهي: وكان تُرك يوماً وليلة حتى ربا بطنه، وانثنت خنصراه.

قال ابن خشرم: فلما حدَّث وكيع بهذا بمكة، اجتمعت قريش، وأرادوا صلب وكيع، ونصبوا خشبة لصلبه، فجاء سفيان بن عيينة، فقال لهم: الله الله! هذا فقيه أهل العراق، وابن فقيهه، وهذا حديث معروف.

قال سفيان: ولم أكن سمعته إلا أني أردت تخليص وكيع.

قال علي بن خشرم: سمعت الحديث من وكيع، بعدما أرادوا صلبه، فتعجبت من جسارته، وأخبرت أن وكيعاً احتج، فقال: إن عدة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، منهم عمر، قالوا: لم يمت رسول الله. فأراد الله أن يريهم آية الموت.

التاريخ مليء بالذين تسربلوا بسربال العلم لكن قلوبهم كانت قلوب ذئاب ضارية

الثوري اعتبر العالِم الذي يحتمي بالسلطان لصاً يسرق من دينه بالسكوت على الظلم

فهذه زلة عالم، فما لوكيع ولرواية هذا الخبر المنكر المنقطع الإسناد! كادت نفسه أن تذهب غلطاً، والقائمون عليه معذورون، بل مأجورون؛ فإنهم تخيلوا من إشاعة هذا الخبر المردود غضّاً ما لمنصب النبوة[8].

ومن سعي العالم على نفسه وإيرادها المهالك ما يحكى أَن قَاضِي الْقُضَاة شَيخ الإسلام أحد الأئمة الأعلام جمال الدّين بن جمَاعَة الْكِنَانِي الشَّافِعِي بَاشر الخطابة بِالْمَسْجِد الْأَقْصَى الشريف، وولي قَضَاء الشَّافِعِيَّة بالقدس، وعزل نَفسه مرَارًا ثمَّ يسْأَل ويعاد، وولي تدريس الْمدرسَة الصلاحية.

وَاتفقَ أَن بعض الحسدة أغرى الشَّيْخ سراج الدّين الْحِمصِي على السَّعْي عَلَيْهِ، فبذل مَالاً لبَعض مباشري[9] السُّلْطَان، فَطلب الشَّيْخ جمال الدّين إِلَى مصر، وَعُقد لَهُ مجْلِس للمناظرة بَينه وَبَين الْحِمصِي، فغيب الْحِمصِي، فَاسْتمرّ الشَّيْخ جمَال الدّين فِي المشيخة، وأكرمه الظَّاهِر جقمق، وَعَاد إِلَى الْقُدس معاملاً بالجميل.

ثمَّ سعى الْحِمصِي فِي المشيخة، وأعطيها، وباشر مُدَّة يسيرَة ثمَّ عزل، وأعيد الشَّيْخ جمال الدّين وَاسْتمرّ بهَا إِلَى أن توفّي»[10].

فهذا الحمصي رغم ما فعله من مكائد، وما بذله من أموال ليصل إلى المناصب الرفيعة ولو على رقاب العلماء الأثبات، لم يمكث في منصبه إلا مدة يسيرة، وتم عزله؛ فهو قد أهان نفسه، ولم يصنها، وأعان غيره عليه، ولم يشفع له ما بذل من مال.

فضاع عليه المال ومن بعده ضاع المنصب.

وهذا قَاضِي الْقُضَاة جمال الدّين يُوسُف بن غَانِم بن أَحْمد بن غَانِم الْمَقْدِسِي النابلسي، ولي قَضَاء نابلس مُدَّة طَوِيلَة، ثمَّ ولي قَضَاء صفد، ثمَّ ولي خطابة الْقُدس فِي شهر ربيع الآخر سنة إحدى وَثَمَانمائَة بمَال بذله.

ثمَّ سعى عَلَيْهِ الْقَاضِي جمال الدّين عبدالله بن السائح قَاضِي الرملة بمائَة ألف دِرْهَم، وَلم يقم بهَا غير ثَلَاثَة أشهر، وعزل بالباعوني»[11].

فماذا أفادت ابن السائح تلك المائة ألف درهم التي بذلها؟ وهل تمكن من جمعها في ثلاثة أشهر، أم كان يريد ببذلها جاهاً ووجاهة؟!

والمستفيدون الوحيدون هم أصحاب السلطان وحاشيتهم، استفادوا بتلك الأموال المبذولة، يضربون العلماء بعضهم ببعض؛ حتى لا يجتمع أهل العلم عليهم، فيذعنوا لهم وهم صاغرون، لكنهم استفادوا وأذلوا وتمكَّنوا من حكمهم.■

الهوامش

(1) أخرجه أبو نعيم في «معرفة الصحابة»، (2018/4)، ح(5072)، وقد ذكره الألباني في «الصحيحة»، (252/3)، ح(1253).

(2) فيض القدير، للمناوي، 121/3.

(3) في حلية الأولياء، 194/3: «ركبوا».

(4) تاريخ الإسلام، للذهبي، 833/3.

(5) مصنف عبدالرزاق، 317/11، ح(20644).

(6) شعب الإيمان، للبيهقي، 51/7.

(7) أخرجه أبو داود في «الأدب»، باب: «فِي التَّشْدِيدِ فِي الْكَذِبِ»، (298/4)، ح(4992)، وقد صححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»، (226/3–227).

(8) سير أعلام النبلاء، للذهبي، (159/9–160) باختصار.

(9) «مباشر: قيم، ناظر، وكيل» (تكملة المعاجم العربية، لدوزي، 350/1).

(10) تهذيب الأنس الجليل، للعليمي، صـ380.

(11) السابق، صـ409.



تربوي

محطات إيمانية في طريق التربية

الأحفاد.. رياحين الحياة

إيمان مغازي الشرقاوي
ليسانس شريعة - ماجستير الدعوة
جامعة المدينة العالمية

إذا نظرتَ إليهم رأيت زهراً جميلاً، وشممتَ ريحاناً طيباً، يطير الفؤاد فرحاً بهم وهم ما زالوا أجنة في أرحام أمهاتهم، ويفوح شذا عطرهم منذ أول لحظة تبشر فيها بمقدمهم، وتشتَمُّ مسك رائحتهم وأنت تحضنهم؛ فهم الحياة المتجددة، والعمر الممتد، والذكر الجميل، والأثر الصالح، بهم تحلو الحياة وتبتهج النفوس، ويعيش المرء معهم لحظات لا تُنسَى، يُخرِج فيها لهم من مكنون حبه ومخزون عواطفه ما يُبهجهم، ويهَبهم من خلاصة فكره وزبدة تربيته ما يُصلحهم.

الأسرة تشبه الشجرة العظيمة فالآباء جذورها والأولاد فروعها والأحفاد ثمرات تلك الفروع



إنهم أحفادنا من البنين والبنات ممن امتن الله علينا بهم فقال لنا: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ (النحل: 72)، وفي قول لابن عباس أن الحفدة هم الولد وولد الولد. (انظر: تفسير الطبري)، وذكر ابن العربي أن البنين أولاد الرجل لصلبه، وأن والحفدة هم أولاد ولده. (انظر: تفسير القرطبي).

إن الأسرة من الآباء والأبناء والأحفاد تشبه الشجرة العظيمة التي لها أصل وفروع وثمار، فالآباء أصلها وجذورها، والأولاد فروعها، والأحفاد ثمرات تلك الفروع التي تحمل داخلها بذور الحياة وتضمن استمرارها بإذن الله، وإن حب الولد فطرة في قلوب الآباء، فإنك لا تجد أحداً يحبه الوالدان من الأهل كحب الولد وما يتفرع عنه من الأحفاد التي هي امتداد له ولأبيه.

لقد ضرب لنا النبي صلى الله عليه وسلم مثلاً عظيماً في حبه أحفاده من البنين والإناث، وشبههم بأجمل وأحسن تشبيه، ومارس معهم دوره العظيم كجدّ يحب أحفاده ويرعاهم، ذكوراً وإناثاً، فعن أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كان يصلي وهو حامل أمامة بنت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأبي العاص بن ربيعة، فإذا سجد وضعها، وإذا قام حملها» (رواه البخاري)، وفي رواية مسلم: «رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤم الناس وأمامة بنت أبي العاص على عاتقه، فإذا ركع وضعها، وإذا رفع من السجود أعادها».

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «أَهْدى النَّجاشيُّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حَلقة فيها خاتم ذهب فيه فصٌّ حبشي، فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعود، وإنَّهُ لَمُعرضٌ عنه أو ببعض أصابعه، ثمَّ دعا بابنة ابنته أُمامة بنت أبي العاص فقال: تحلِّي بهذا يا بُنَيَّة». (رواه أبو داود وصححه الألباني)، فأمامة ماتت عنها أمها زينب بنت النبي صلى الله عليه وسلم وهي طفلة صغيرة، فكان لها جدها العظيم الرحيم صلى الله عليه وسلم خيراً من كل أهلها.

الريحانتان: أما أحفاده الذكور فنذكر منهم الريحانتين الحسن، والحسين، اللذين أحبهما حباً كبيراً، وكان يقول عنهما: «هذانِ ابناي وابنا ابنتي، اللهم إني أُحِبهما

فأَحبَّهما وأَحِبَّ مَن يحبهما». (صحيح الترمذي)، وحين سئل عن سبب حبه لهما قال: «وكيف لا أحبهما وهما ريحانتاي من الدنيا أشمهما» (رواه الطبراني)، فجعلهما ريحانتين وشبههما بهذه النبتة طيبة الرائحة خفيفة المحمل.

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يهتم بأحفاده، ورغم مسؤولياته الكبيرة وأعماله الجسام، فإنه كان يلاعبهم ويعلمهم ويرأف بهم، انظر إليه صلى الله عليه وسلم وإلى خوفه على أحفاده ورحمته وحبه، ففي الترمذي من حديث بريدة قال: «كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب، إذ جاء الحسن، والحسين، عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران، فنزل من المنبر فحملهما ووضعهما بين يديه..»، وحين كانا يلهوان والنبي صلى الله عليه وسلم في أعظم حالاته قرباً من الله لم يشأ أن يقطع عليهما لذة اللهو المحببة للأطفال، فعن عبد الله بن مسعود قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي، فإذا سجد وثب الحسَن، والحسين، على ظهره، فإذا منعوهما أشار إليهم أن دَعُوهما، فلما قضى الصلاة وضعهما في حِجْره، فقال: «مَن أحبني فليحب هذين» (صحيح ابن خزيمة).

ومع حبه العظيم كان معلماً ومرشداً؛ فحين أخذ الحسن تمرة من تمر الصدقة في فمه أخرجها منه ومنعه من أكلها وقال: «كِخٍ، أيْ بنيَّ أمَا علِمْتَ أنَّا لا تحلُّ لنا الصَّدقة» (صحيح ابن حبان)، يفيض عليهم من فيض حبه فيحملهم ويمشي بهم ويقبّلهم ويعلن حبه لهم، فعن أبي هريرة قال: «خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه حسن، وحسين، هذا على عاتقه، وهذا على عاتقه، وهو يلثم هذا مرة -يقبِّل- وهذا مرة، حتى انتهى إلينا..» (أخرجه النسائي).

أحفادنا.. والحياة المعاصرة

مَن ينظر لحال أحفادنا هذه الأيام يجد أنهم في حاجة أكبر للرعاية النفسية والتربوية والاجتماعية، وذلك في ظل الظروف المحيطة بالأسرة من جانب، وبالمجتمعات من جانب آخر، فلم تعد البيوت تتسع للأسرة الكبيرة كما كان من قبل، وإن اتسعت فإن الحياة الحديثة لا تساعد على سهولة الاجتماع الأسري كما كان من قبل، مع تباعد أماكن عمل الآباء وكثرة مشاغلهم ومسؤولياتهم والضغوط الكبيرة عليهم، أضف إلى ذلك انشغال كثير من الأمهات في أعمال المجتمع الوظيفية مع التغير في نظام الحياة وانفتاحها؛ مما أدى إلى مشاركة الغير في التربية والتعليم والتوجيه والإرشاد، سواء كانت المشاركة من الخادمات أو الحاضنات، أو كانت مشاركة عبر الوسائل الحديثة من الأجهزة الذكية التي استطاعت بذكائها أن تسلب عقول الأطفال وتعطل مواهبهم حين تعلقوا بها وصارت تحت أيديهم دون ضوابط.

رغم مسؤوليات النبي الكبيرة وأعماله الجسام فإنه كان يلاعب أحفاده ويعلمهم ويرأف بهم

أحفادنا هذه الأيام بحاجة أكبر للرعاية النفسية والتربوية في ظل الظروف المحيطة بالأسرة والمجتمعات

على الأجداد أن يأخذوا بعين الاعتبار أثناء تعاملهم مع الأحفاد الاستفادة من كل ما جدّ من وسائل التربية الحديثة

وبعد أن كانت الأم هي المدرسة الأولى والمهمة في حياة أطفالها تنتقي لهم ما يفيدهم من القصص والحكايات التربوية، وتحتضنهم في حضنها الدافئ الذي لا بديل له، وتمارس معهم دور الأمومة بكل معانيها، صار أحفادنا تتجاذبهم منا كل الوسائل الأخرى، وتتخطفهم من بين أيدينا الألعاب الإلكترونية، وأفلام الكارتون الغث منها والسمين على السواء، ومناجاة الأصحاب الذين لا يعرف عنهم سوى اسم انتحلوه على شاشات التواصل لا ندري صدقه من كذبه، أضف إلى ذلك عموم البلوى حين يمتلك الصغير هاتفاً محمولاً نلهيه به حتى نرتاح من ضجيجه ونضمن سكوته وهدوءه!

إن دور الوالدين والأجداد تجاه الأولاد والأحفاد عظيم، ويجب ألا يكون جامداً، بل مؤثراً وفعالاً، ومع منظومة الحياة الحديثة علينا أن نستعيد هذا الدور المهم كما كان في سالف العهد، الذي يبدأ برعايتهم بحب، واحتضانهم برحمة، وتقديم القدوة الصالحة لهم بصدق، وإن لعبة تلعبها أيها الجد مع حفيدك أو صورة ترسمها أو تلونها معه، أو لمسة حنان تمسح بها وجهه، أو قالب حلوى تصنعه الجدة مع حفيدتها لهو جسر رائع للوصول إلى قلوب الأحفاد، فحب الجد والجدة فطري في قلوبهم يجدون فيهما الحضن الحاني بعيداً عن بعض الشدة التي قد تكون في الوالدين.

لذا؛ فإن على الأجداد أن يأخذوا بعين الاعتبار أثناء تعاملهم مع الأحفاد الاستفادة من كل ما جدّ من وسائل التربية الحديثة ووسائلها المتنوعة التي هي نعمة عظيمة إذا أحسن استخدامها، ويمكن ذلك من خلال اللعبة الإلكترونية الهادئة، والمسابقة الطفولية المسلية، والفيلم الكارتوني الهادف المناسب لعمره وحاله؛ إذ تشاركه في مشاهدته، وقد تضطر إلى تقريب أو تصحيح بعض المفاهيم غير المفهومة له أو غير اللائقة.

وما أجمل صحبة الحفيد في رحلة إيمانية في حديقة من الحدائق العامرة بصنوف النباتات أو الحيوانات التي تشير إلى قدرة الله عز وجل وعظيم صنعه؛ لتكون درساً شيقاً في معرفة الخالق وتوحيده! وما أجمل أن تعلمه التعلق بالله من خلال اصطحابه ليصلي معه بعض الصلوات في المسجد، وتعليمه الأذكار الخاصة بكل مناسبة وربطه بها، وأن تنمي فيه المواهب الكامنة؛ كالقراءة باصطحابه إلى المكتبة وشراء القصص والكتب المناسبة!

وكل هذا رائع ومتيسر إذا كان الجد قريباً من أحفاده، أما إذا كان اللقاء متعذراً بأن كان في بلد وأحفاده في بلد آخر، فإن على الأجداد في فترات الغياب الاستفادة من وسائل التواصل عن بُعد من خلال المكالمات الصوتية والمرئية، وتسجيل القصص والحكايات والأناشيد لهم، وكل ما يراه مناسباً من أجل المشاركة في تربيتهم، فيعلمه من خلالها فن التعامل مع الآخرين وأدب الكلام وصلة الأرحام واحترام الكبير وبر الوالدين ويربطه بأخلاق الإسلام حتى ينشأ عليها ويصبح قرة عين في الدنيا والآخرة.■



نجلاء محفوظ
كاتبة ونائبة رئيس تحرير «الأهرام»

«كورونا».. وتحديات التعايش النفسية والصحية

لا مفر من التعايش مع فيروس «كورونا» الذي اجتاح العالم ويواصل الانتشار، ويؤكد العلماء أنه سيظل لوقت لا يجزم به أحد حتى الآن، واقع جديد يفرض علينا تحديات لم نعشها من قبل، ولم نفكر بها يوماً، ويقال: «إن الإنسان المفاجَأ نصف مهزوم»؛ فلنسارع باستعادة ثباتنا النفسي وهدوء العقل لنتمكن من الفوز بمشيئة الله سبحانه في اختبار «كورونا»، واجتياز تحدياته النفسية والصحية بنجاح.

ومعنى التعايش لغوياً هو العيش مع الآخرين بألفة ومودة، وهو هدف غير واقعي مع «كورونا»؛ ولكن تقبُّل وجوده برضا قلبي ويقين عقلي بأن الخالق عز وجل سيكتبنا من الناجين منه، ومن المؤمنين الذين يسلمون بصدق وسكينة؛ إذ توجد حكمة إلهية لا نعرفها، ونحسن الظن بالخالق عز وجل، ونلح بالدعاء بسرعة انتهاء الوباء والنجاة للعالم كله.

خطر جديد

نبدأ بالتحديات الصحية، ومنها الخوف من الاعتياد على «كورونا» والتراخي –تدريجياً– بالالتزام باحتياطات الوقاية وما يتبعه –لا قدر الله– من زيادة فرص الإصابة به، أو المبالغة باستخدام المطهرات، وفرط الخوف والقلق وهما يتسببان بخطر تراجع المناعة الصحية؛ فلا شيء ينهكها كالفزع وسوء الحالة النفسية.

ونوصي بالاهتمام بمتابعة الحالة الصحية؛ فقد لاحظنا امتناع بعض مرضى الأمراض المزمنة من الذهاب للأطباء للمتابعة الدورية خوفاً من انتقال العدوى عند الذهاب للعيادات والمستشفيات، وهذا خطر جديد لا داعي لتكبده، والأفضل ارتداء الكمامات والتزام الحذر ومتابعة الذهاب للأطباء وعدم إهمال أي بوادر لأي مرض ومنعها من التفاقم للحفاظ على الصحة ولمنع أي تراجع بالمناعة الصحية.

وننبه إلى تناول الخضراوات والفواكه والبروتين يومياً، وتقليل النشويات والحلوى حتى لا نصاب بالبدانة، وتناول الفيتامينات، خاصة فيتامين «سي» والزنك، وشرب المياه بكثرة، والنوم لساعات كافية، والاسترخاء وإغماض العينين لبضع دقائق يومياً؛ لتهدئة العقل والجسم، وهو ما نحتاجه دوماً وفي أوقات الأزمات أكثر، ولنجعل ذلك عادة.

تجنب الكسل وانخفاض النشاط؛ لما لهما من آثار ضارة نفسياً وصحياً، بل ويضر بصحة العقل، واحرص على الحركة، ويمكنك الاستفادة من مكالماتك الهاتفية بالحركة والمشي أثناءها.

الرياضة ضرورية ليس للياقة البدنية فقط ولكن لدورها المهم في تحسين الحالة النفسية وتجديد النشاط

يجب ممارسة الرياضة ما استطعنا؛ فهي ضرورة لهذا الوقت، ليس لمنع الترهل أو ضياع اللياقة البدنية فقط، ولكن لدورها المهم جداً في تحسين الحالة النفسية وتجديد النشاط وحيوية العقل وزيادة التركيز.

احرص على غسل اليدين بالماء والصابون؛ فهو العامل الأول للوقاية من فيروس «كورونا» مقارنة بالحماية التي يوفرها ارتداء القفازات، ولكن الأخيرة ضرورية أثناء تنظيف المنزل وتعقيمه، ورعاية المرضى، وأثناء التسوق أو استخدام الصراف الآلي

راقب نفسك

لا تنكر قلقك، ولا تصف نفسك بالضعف أو قلة الإيمان، ولا تستسلم له، ولا تتجاهله؛ وقل لنفسك: سأجعل القلق خادمي ولن يكون سيدي أبداً؛ سأسخره لاتخاذ المزيد من الاحتياطات، ولن أسمح له بإيذائي وبسرقة صحتي النفسية والجسدية، وتنبه متى يزداد قلقك؛ هل بعد الحديث مع بعض من يصدّرون الطاقات السلبية، أم بعد مشاهدة بعض الفضائيات، أم بعد قراءة بعض المنشورات على مواقع التواصل الاجتماعي؟

وراقب نفسك؛ هل زاد قلقك، وأصبحت سريع الانفعال وعانيت من الأرق؟ إذا

اكتشفت ذلك فلا تنكره ولا تعتبره أمراً عادياً بسبب «كورونا»، وسارع بطمأنة نفسك وتناول المشروبات الطبيعية والمهدئة كاليانسون والليمون، وابتعد عن كل ما يضاعف قلقك وخوفك، وذكّر نفسك بأن البعض يبالغ في الإعلام والفضائيات بحثاً عن جذب أعداد أكبر من المتابعين، وهناك أمراض أكثر خطورة من «كورونا»؛ فخطر الفيروس يكمن في سرعة العدوى منه، وأن الوقاية ممكنة بمشيئة الله، ونسبة التعافي تزداد، وازرع في قلبك حسن الظن بالله والتوكل التام عليه سبحانه وتعالى، بعد الأخذ بالأسباب بجدية.

نتوقف عند الخوف المشروع والطبيعي جداً من الموت، ولا نطالب بإنكاره؛ حتى لا يتضخم بعيداً عن سيطرتنا، ولنتذكر أن الكثيرين يموتون يومياً بلا أمراض، وأنَّ لكل أجل كتاباً، وأن الموت لا مفر منه؛ وهذا لا يعني انتظاره وتلوين الحياة بالكآبة، ولكن تحسين استثمار الحياة، وشكر الله سبحانه على كل النعم التي لدينا والاستمتاع بها، والسعي ليكون كل يوم أفضل مما سبقه دينياً ودنيوياً، وكل أزمة خير ونور؛ وقليلون جداً من يختارون الانتباه لهما، ويعيدون ترتيب الحياة والأولويات والعلاقات أيضاً وما يستحق الانشغال به، وما يستحق الغضب أو الحزن، ولنضع القول الرائع نصب أعيننا دائماً: لا تفرح ولا تحزن إلا على ما ينير لك قبرك؛ فنحسن تقدير نعمة الحياة وندعو لأنفسنا وللجميع بطول العمر وحسن العمل وحسن الخاتمة.

نود طرد فكرة الإجبار ببقائنا في البيوت؛ لأنها مجهدة نفسياً، ولنعمل على اتساع أهدافنا بالحياة، وعلى رأسها إرضاء الله عز وجل، مع تخصيص وقت يومياً للترفيه المباح، ونتوقف عن اللهاث وراء أخبار «كورونا» وانتظار نهايته، ولا نوقف الحياة، ولنحرص على البقاء منشغلين؛ فالانشغال الذكي بما يفيدنا يحسن صحتنا النفسية ومن ثم العقلية والجسدية، بينما الفراغ يجذبنا للتفكير بما يؤذينا.

وعلينا أن نحرص على قراءة القرآن الكريم يومياً؛ لنتزود بالسكينة ولنرضى عن أنفسنا، ولا نفكر باحتمالات المرض، ونركز على الوقاية وحسن الظن بالله وحده، فالتفكير بالمرض يستدعيه من خلال الجزع وإضعاف النفس.

ولنخصص وقتاً يومياً للقراءة؛ ليرتاح العقل وتهدأ النفس وتتسع الحياة ونشعر بالرضا؛ لأننا نستفيد من أوقاتنا ونفيد الآخرين بخبرات جديدة، وإذا لم تكن تحب القراءة فبإمكانك قراءة ملخصات للكتب وستجدها على الإنترنت وربما شجعتك على حب القراءة.

وننادي بالاهتمام بالصحة العقلية والنفسية كما نهتم بصحة الجسد؛ فالتوتر الزائد يؤذي العقل ويضعف الذاكرة ويتسبب بأمراض جسدية، ولنفكر كيف نجعل فترة «كورونا» مفيدة لنا في الحاضر والمستقبل.

وعلينا تذكر الآية الكريمة: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللّهُ لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (التوبة: 51)، ولنحرص على تحديد مواعيد النوم والأكل؛ فالفوضى تضعف الصحة النفسية وتتسبب بالاضطراب، مع التغيير؛ فتشابه الأيام يتسبب بالملل وضيق الصدر والاكتئاب، ونحرص على إجراء مكالمات يومية مع من نهتم بأمرهم.

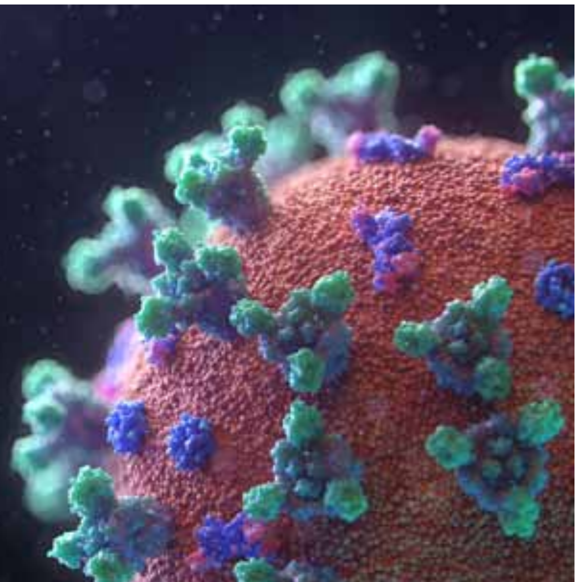
ونتذكر أن وقوع البلاء أهون من انتظاره، وتوقع الأسوأ يسلب الطاقات ويضيع العمر، وإذا حدث -لا قدر الله- ما نخاف منه نكون قد أنهكنا أنفسنا وأضعفنا قوتنا الجسدية والنفسية.

جوائز ومكاسب

تعامل بلطف مع أفراد أسرتك، وشجعهم على المُثل، وقم بدور الإطفائي بإنهاء أي خلافات تنشأ أولاً بأول؛ فقد تتزايد المشكلات بسبب البقاء الإجباري في المنازل، فلننتبه ونمنع استفحالها، وتذكير الجميع أننا نتشارك الضغوط والضيق وليس مقبولاً زيادتها بتعمد المضايقات أو بعدم التراجع عنها.

ونحتاج جميعاً إلى الصبر؛ للتعامل مع كل ما لا نحب؛ «كورونا» وغيره، ونحتاج الصبر مع أنفسنا ومع الآخرين، كما نحتاج أكثر لشكر الله تعالى على كل ما لدينا من نعم حالياً؛ فالشكر هو الوقود الحقيقي للصبر الجميل؛ فكما رزقنا الله سبحانه النعم بلا حول ولا قوة منا، سيرزقنا أيضاً الصبر وجوائز الصابرين.

ويمكن أن يكون للالتزام بالبقاء بالمنازل مكاسب، خاصة للمتزوجين؛ بالحرص على تجنب الانتقادات والتعامل بلطف مع الطرف الآخر بلا شروط مسبقة، وتقبله كما هو، وزيادة الرصيد الجميل لديه لمحو الرصيد السلبي، وإزالة الحواجز النفسية المتراكمة -إن وجدت- بهدوء وبلا تعجل للنتائج، وتجديد الود والتراحم، ومضاعفة الاحترام والتقدير؛ وسيحصد الثمار الرائعة ولو بعد حين.■





د. يوسف السند
إمام وخطيب بوزارة الأوقاف
والشؤون الإسلامية بالكويت

الفوائد التربوية والإيمانية من طبقات الشافعية

أحمد بن محمد الجرْوَآني

«أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن سِلَفة، الحافظ الكبير، أبوطاهر بن أبي أحمد السِّلَفي، الأصبهاني، الجرْوَآني.

كان حافظاً جليلاً، وإماماً كبيراً، واسعَ الرحلة، دَيِّناً، وَرِعاً، حجة، ثَبْتاً، فقيهاً، لغوياً، انتهى إليه علوُّ الإسناد، مع الحفظ والإتقان.

قيل: مولده سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة تخميناً، لا يقيناً.

وقد طلب الحديث، وكتب الأجزاء، وقرأ بالروايات في سنة تسعين وبعدها.

وحكى عن نفسه أنه حدّث سنة اثنتين وتسعين، وما في وجهه شعرة، وأنه كان ابن سبع عشرة سنة أو نحوها.

ثم رحل في رمضان، سنة ثلاث وتسعين، إلى بغداد، وأدرك نصر ابن البَطِر.

وسمع ببغداد أيضاً من أبي بكر الطُّرَيْثيثي، وأبي عبدالله بن البُسْري، وثابت بن بُندار، والموجودين بها إذ ذاك، وعمل «معجماً» لشيوخها.

ثم حجّ، وسمع في طريقه بالكوفة، من أبي البقاء المعمَّر بن محمد الحبَّال.

وبمكة، من الحسين بن علي الطَّبَري، وبالمدينة من أبي الفرج القَزْوينيّ، وعاد إلى بغداد فتفقه بها، واشتغل بالعربية، ثم رحل إلى البصرة سنة خمسمائة.

قال شيخنا الذهبي: لا أعلم أحداً في الدنيا حدَّث نيِّفا وثمانين سنة سوى السِّلَفي.

تفقّه السِّلَفي على إلكيا أبي الحسن الطَّبري، وفخر الإسلام الشَّاشي، ويوسف بن علي الزَّنْجانيّ.

وأخذ الأدب عن أبي زكرياء التِّبْريزي، وغيره.

وقرأ القرآن بالروايات.

ذكره ابن عساكر، فقال: سمع ممن لا يُحصَى.

وقال ابن السَّمْعاني: هو ثقة، ورع، متقن، مثبت، حافظ، فهم، له حظٌّ من العربية، كثير الحديث، حسن الفهم والبصيرة فيه.

وقال الحافظ عبدالقادر الرُّهَاويّ: سمعت من يحكي عن الحافظ ابن ناصر، أنه قال عن السِّلَفيّ: كان ببغداد كأنه شعلةُ نار في تحصيل الحديث.

قال عبدالقادر: وكان له عند ملوك مصر الجاهُ والكلمة النافذة، مع مخالفته لهم في المذهب، وكان لا تبدو منه جَفْوةٌ لأحد، ويجلس للحديث فلا يشرب ماءً، ولا يبصُق، ولا يتورّك، ولا يبدو له قدَم، وقد جاوز المائة.

قال عبدالقادر: وكان آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، أزال من جواره منكرات كثيرة.

وقال ابن نُقْطة في السِّلَفيّ: كان حافظاً، ثقة، جوَّالاً في الآفاق، سَآلاً عن أحوال الرجال، شجاعاً.

تُوفِّي صبيحة يوم الجمعة، الخامس من شهر ربيع الآخر، سنة ست وسبعين وخمسمائة فجأة، وله مائة وست سنين، على ما يظهر.

ولم يزل يُقْرأ عليه الحديث إلى أن غربت الشمس من ليلة وفاته، وهو يرد على القارئ اللحنَ الخفيَّ، وصلى يوم الجمعة الصبحَ عند انفجارِ الفجر، وتُوُفِّيَ عقيبَه فجأة»[1].

الفوائد الإيمانية والتربوية:

- الصفات الإيمانية من الخوف من الله تعالى والورع وغيرها تعين العالم على طلب العلم وإتقانه والتحمل من أجله.
- كانت الرحلة في الآفاق والتنقل في الأقطار وسيلة من وسائل طلب العلم لدى علمائنا الأفذاذ؛ ولذا بارك الله في علمهم إلى يومنا هذا.
- طلب العلم من الصغر له بالغ الأثر في رسوخ قدم العالم وتميزه طوال حياته، وهذا ما يجب أن يحرص عليه المربون.
- كثرة الشيوخ الذين يتلقى عنهم العالم العلم والخلق والسمت الحسن رصيد قوي في تكوين متانة العلم ورصانته وقوته لدى العالم وصياغته لشخصيته.
- كان العلماء آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر مقيمين لحدود الله تعالى لشعورهم بالمسؤولية الملقاة على عاتقهم ولخوفهم من سؤال الله تعالى وحسابه يوم القيامة.
- كان العلماء يتدارسون العلم حتى آخر رمق من حياتهم فيُرزَقون حسن الخاتمة.

والحمد لله رب العالمين.■

الهامش

(1) عبدالوهاب بن علي السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج6،
تحقيق: عبدالفتاح محمد الحلو، محمود محمد الطناحي.




جمعية
التكافل



AL-MUJTAMA'A

المجتمع

مجلة المسلمين في أنحاء العالم

العدد (2145) - السنة (51) ذو القعدة 1441هـ / 1 يوليو 2020م

محمد العمر رئيس «فريق الأزمة» بجمعية الإصلاح الاجتماعي:



أزمة «كورونا» أبرزت سرعة استجابة المجتمع

العنصرية في الغرب..
قوانين براقة وواقع مرير







 @mugtama  www.mugtama.com  facebook.com/mugtama  @mugtama

الكويت 750 فلساً. السعودية 10 ريالات. البحرين دينار بحريني. قطر 10 ريالات. سلطنة عمان ريال عماني. الأردن 1.750 دينار أردني. لبنان 4500 ليرة. المغرب 23 درهماً

USA $ 5 - Canada $ 6 - Australia AUD 6 - URB 3.5 - India INR 110 - Pakistan PRS 200 - Turkey TRY 7 - U.k £ 3

AL-MUJTAMA'A

المجتمع

مجلة المسلمين في أنحاء العالم

العدد (2145) - (السنة 51)

إسلامية أسبوعية تصدر شهرياً مؤقتاً

تأسست عام 1390هـ - 1970م

جمعية الإصلاح الاجتماعي. الكويت

رأس مجلس إدارتها

حتى 1427/8/10هـ - 2006/9/3م

عبد الله علي المطوع يرحمه الله

رئيس التحرير

محمد سالم الراشد

مدير التحرير

جمال الشرقاوي

الإخراج الفني

مصطفى عزالدين

المراسلات

العنوان البريدي: الكويت ص.ب (4850) الصفاة.

الرمز البريدي (13049)

التحرير

22519539 - 22514180

22513616 (داخلي 205).

mujtamaa@gmail.com

info@mugtama.com

الاشتراكات والتوزيع

تليفاكس: 22560525 (00965)

sales@mugtama.com

الموقع الإلكتروني

www.mugtama.com

موقع جمعية الإصلاح

www.eslah.com

طبعت بمطابع «الهدف» التجارية



ادخل على موقع «المجتمع»



في هذا العدد

موضوع الغلاف

العنصرية في الغرب.. قوانين براقة وواقع مرير

حركة «المجتمع» في فضاء الإعلام

أمر الله سبحانه وتعالى المسلم أن يعيش حياته نسيجاً واحداً متكاملاً شاملاً لله عز وجل، وأمره أن يكون شعاره في الحياة ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ (الأنعام).
وأراد الإسلام من أتباعه أن يعيشوا حياتهم الاجتماعية والسياسية والعلمية والنفسية والتربوية والإعلامية، وما شئت من أسماء ومسميات مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بعرى هذا الدين سواء بسواء، ومن هذا المنطلق القيمي تنطلق «المجتمع» في فضاء الإعلام، متخذة شمولية الرسالة الإعلامية شعاراً لها؛ فتجمع بين الشأن الديني والتناول السياسي والتحليل الاقتصادي والتوجيه الأسري والتربوي.■

رأي المجتمع



الكيان الصهيوني.. و53 عاماً على تهويد القدس

53 عاماً، هي المدة الشاهدة على جرائم الاحتلال الصهيوني بحق المسجد الأقصى المبارك.

فقد مرت، يوم السبت 27 يونيو الماضي، الذكرى الـ53 لقرار ضم الكيان الصهيوني لمدينة القدس الشرقية، الذي مهّد الطريق أمام الكيان لقرار اعتبار القدس المحتلة عاصمة له.

هذا القرار الذي صدر عن «الكنيست» (البرلمان) الصهيوني عام 1967م، لم يحظَ بشرعية دولية، وعلى العكس تماماً، فقد صدر عن الأمم المتحدة عدد من القرارات تطالب الكيان الصهيوني بالتراجع عن إجراءاته في القدس الشرقية.

وما زال الكيان الصهيوني يخالف القرارات الدولية بسيطرته الإدارية والسياسية على المدينة، كما يسعى لفرض أمر واقع على الفلسطينيين والمجتمع الدولي، باعتبار «القدس كاملة» عاصمة له.

وشجّعت الإدارة الأمريكية الحالية، برئاسة «دونالد ترمب»، الكيان الصهيوني في مشاريعه الاستعمارية، حيث اعترف الرئيس الأمريكي «ترمب»، في ديسمبر 2017م، بمدينة القدس (غير مقسمة) عاصمة للكيان الصهيوني.

وتأتي هذه الذكرى في ظل مواصلة حكومة الكيان الصهيوني مساعيها لضم المزيد من الأراضي الفلسطينية إلى سيادتها، حيث تعتزم ضم أكثر من 30% من مساحة الضفة الغربية المحتلة، وغور الأردن.

وقد واجهت هذه المساعي رفضاً عربياً وإسلامياً واسعاً، كان على رأسه تنديد منظمة التعاون الإسلامي التي وصفت المخططات الصهيونية بـ «الاستعمارية»، وأنها محاولات تهدف لتغيير التركيبة الديمجرافية وطابع ووضع الأراضي الفلسطينية منذ عام 1967م بما فيه وضع مدينة القدس، وجددت التأكيد على مركزية القضية والقدس الشريف بالنسبة للأمة الإسلامية، وحذرت من ضم أي جزء من الأراضي الفلسطينية المحتلة، واعتبرته اعتداءً سافراً على الحقوق التاريخية والقانونية والسياسية للشعب الفلسطيني، وانتهاكاً صارخاً لميثاق وقرارات الأمم المتحدة، وقواعد القانون الدولي.

إن كل ذرة من تراب فلسطين هي أرض مقدسة ومباركة، وهي أمانة في عنق كل مسلم، ولا يمكن التنازل عنها أو التفريط بها.

وإن جموع الأمة الإسلامية مطالبة بالوقوف خلف الشعب الفلسطيني في خندق المقاومة والمواجهة ضد مشروع الهيمنة الصهيوني، في أوسع مقاومة ومواجهة شاملة مع الاحتلال، وبذل كل الإمكانات الشعبية والميدانية والسياسية والقانونية والإعلامية والكفاحية؛ لإسقاط هذا المشروع التوسعي.■

آية العدد

﴿قَالُواْ يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَداً مَّا
دَامُواْ فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا
إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ (٢٤) قَالَ رَبِّ إِنِّي لا
أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ
الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (٢٥) قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ
عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ
فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (٢٦)﴾

(المائدة)

وكلاء التوزيع:

الكويت: شركة باب الكويت للصحافة:
ت : 22272733 ف: 22272736
distribution@alanba.com.kw



السعودية: الشركة السعودية للتوزيع:
www.saudidistribution.com
الإدارة العامة: الرياض 0096612128000
فرع الرياض: 0096612705837

فرع جدة: 0096626530909
فرع الدمام: 0096638473569

قطر :
دار الثقافة ت: 4622182 / ف: 4621800
البحرين :
مؤسسة الأيام للصحافة والنشر والتوزيع
ت :725111 / ف : 723763
TURKIYE- DUNY SUPER DAGITIM
Tel: (90 -1) 5120190
Fax: (90- 1) 5140883

الاشتراكات:

الكويت: 10 دنانير كويتية
الدول العربية: 17 ديناراً كويتياً
الدول الأجنبية: 25 ديناراً كويتياً
للمؤسسات والشركات: 30 ديناراً كويتياً

تشمل عمولة التحويل

الإعلانات :
امتياز الإعلان : مجلة المجتمع
ت: 22560525 - 22560526 الكويت.

الحياة الطبيعية تعود للكويت تدريجياً

استأنفت قطاعات عديدة عملها في الكويت بعد اعتماد سلطات البلاد خطة لعودة الحياة الطبيعية تدريجياً وفق شروط صحية صارمة بسبب جائحة كورونا.

مع بدء المرحلة الثانية من خطة العودة التدريجية للحياة الطبيعية وعودة الحياة إلى الجهات الحكومية، عاد الأمل إلى نفوس الموظفين المتشوقين إلى مكاتبهم مع التزامهم بكافة الإجراءات الاحترازية.

هذا، وقد عاد الدوام في الوزارات والجهات الحكومية جزئياً بنسبة 30% من الكوادر، بناء على قرار سابق للحكومة بعد توقف دام لنحو أربعة أشهر.

كما فتحت الشركات، والمحال التجارية، والأسواق الكبرى، أبوابها مع اعتماد شروط صحية فرضتها الحكومة الكويتية مثل ارتداء الكمامات، والتباعد الجسدي، وتوفير وسائل تعقيم الأيدي، والحواجز الواقية، وتهوية أماكن العمل، وتعقيمها باستمرار.

وعادت الحركة لشوارع العاصمة الكويت بعد ركود خلال الفترة السابقة، وإن لم تصل إلى حالتها الطبيعية.

وأعلن مدير عام بلدية الكويت، أحمد المنفوحي، السماح بفتح المجمعات التجارية من الساعة 10 صباحاً حتى 6 مساء، وأشار إلى السماح للمطاعم والمقاهي بجميع أنواعها تقديم خدماتها عن طريق التوصيل للمنازل، أو تسليم الطلبات للزبائن من الساعة 6 صباحاً حتى الساعة 7 ونصف مساء، دون الجلوس.



الوزارات والهيئات

أكد وكيل وزارة الشؤون الاجتماعية عبدالعزيز شعيب أن الوزارة استعدت بكل قطاعاتها للانتقال إلى المرحلة الثانية لعودة الحياة الطبيعية بكل أنشطتها اعتباراً من الثلاثاء 30 يونيو الماضي بالعديد من الإجراءات الاحترازية لمواجهة انتشار فيروس «كورونا المستجد»؛ للمحافظة على صحة وسلامة نزلاء قطاع الرعاية الاجتماعية وموظفي الوزارة ومراجعيها، كاشفاً عن إطلاق الوزارة تطبيق «وافي» لتسهيل وسرعة إنجاز معاملات المراجعين والمستفيدين.

وقال وكيل وزارة الكهرباء والماء بالتكليف والناطق الرسمي م. جاسم النوري: إنه بناء على القرارات الصادرة من مجلس الوزراء وديوان الخدمة المدنية بشأن اتخاذ الإجراءات التنفيذية اللازمة للعودة التدريجية للعمل للموظفين، قامت الوزارة بوضع خطة لعودة الموظفين لمقرات العمل تدريجياً، حيث استقبلت الموظفين للعمل بنسبة 25٪ وفقاً لاحتياجات العمل، وتمت مراعاة إجراءات الأمن والسلامة وتطبيق قواعد التباعد الاجتماعي في المكاتب.

ووسط إجراءات احترازية مكثفة، استقبلت وزارة التربية مراجعيها مع بدء المرحلة الثانية من عودة الحياة التدريجية للعمل، حيث تم توزيع فرق عمل تطوعية للفحص وكشف الحرارة للمراجعين والموظفين، إضافة إلى توفير المعقمات والمطهرات بمرافق الوزارة المختلفة.

فقد أكد الوكيل المساعد للتنمية التربوية والأنشطة فيصل المقصيد، أنه تم استئناف الدوام الرسمي لموظفي وزارة التربية وفق الضوابط والشروط التي وضعتها وزارة الصحة في استقبال الموظفين واتخاذ جميع الإجراءات الصحية والالتزام بالتباعد الاجتماعي.

وقال وكيل وزارة النفط الشيخ د. نمر الصباح: إن الوزارة حرصت على اتباع أقصى الإجراءات الاحترازية الصحية الصارمة لعودة الموظفين الآمنة للعمل من جديد، وأوضح د. الصباح أنه تم تحديد عدد ساعات العمل خلال المرحلة الثانية من خطة العودة التدريجية للعمل لتصبح 4 ساعات، لافتاً إلى أنه لا يُسمح لغير المدرجين في جداول المكلفين بالحضور لمقر العمل.

واستقبلت وزارة الصحة المراجعين بإجراءات وقائية واحترازية؛ حيث ألزمت جميع الموظفين والمراجعين بارتداء الكمامات عند دخول مبنى الوزارة والمرافق الصحية التابعة لها، فضلاً عن تطبيق الإرشادات الوقائية، كما تقوم بعمل الفحص الحراري للمراجعين والموظفين عند بوابات الدخول، وأكد مدير إدارة السجل العام ومراقبة الدوام بالوزارة نجيب العوضي أن العاملين بمبنى الوزارة بكل القطاعات داوموا حسب قرار مجلس الوزراء بنسبة 30% من العاملين بمختلف الوزارات والهيئات.

وانتظم كذلك العمل في جميع قطاعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية وفقاً لقرارات الوزير العفاسي من الساعة 9 صباحاً حتى 1 ظهراً بنسبة 30%، وكان واضحاً التزام إدارات الشؤون المالية والإدارية وخدمة المواطن والإعلام ومكاتب الوكلاء والمديرين المصرح لهم بالدوام

بنسبة 30% سواء في المقر الرئيس للوزارة ببرج التوأم أو بإدارات قطاع المساجد والدراسات والعلاقات الخارجية والحج والشؤون الثقافية والتخطيط والتطوير وغيرها، وحرصت وزارة الأوقاف على توفير كافة المعقمات بمختلف الإدارات والتشديد على الالتزام بالضوابط الصحية.

ومن جانبها، استقبلت الهيئة العامة لذوي الإعاقة موظفيها بنسبة 30% وفقاً لقرار مجلس الوزراء، وسط إجراءات احترازية وعبر بوابتين فقط، وأجمع الموظفون على أهمية الالتزام بالإرشادات والاشتراطات الوقائية، كما أبدوا حماسة للعمل الذي تغيبوا عنه قسراً خلال أزمة جائحة «كورونا»، وعمدت الهيئة إلى نشر اللوحات الإرشادية في كافة الممرات والمداخل وفي كافة القطاعات والإدارات.

واستؤنف دوام موظفي جامعة الكويت وفق النسبة التي حددها مجلس الوزراء للمرحلة الثانية؛ بحيث لا تزيد على 30%، وقد اتخذت الجامعة كافة الإجراءات الاحترازية بدءاً من الفحص الحراري عند بوابات الجامعة، والالتزام بارتداء الكمامات والقفازات والتباعد الجسدي وترك المسافات، حيث وضعت اللوحات الإرشادية في كافة أرجاء الجامعة.

واستقبلت الهيئة العامة للبيئة موظفيها أيضاً عند 9 صباحاً بإجراءات صحية مشددة سواء لناحية قياس درجات الحرارة أو التشديد على وضع الكمامات والقفازات، وكذلك المحافظة على التباعد الاجتماعي، وبشأن إجراءات العودة، قال مدير إدارة الشؤون الإدارية نواف السرهيد: إن إجراءات الهيئة للعودة تمت بمرونة؛ حيث تم إعداد خطة لذلك بما يتناسب مع قرارات مجلس الوزراء ومجلس الخدمة المدنية بعدم تجاوز حدود الـ 30% من طاقة العمل.

المطاعم ومحلات الهواتف

هذا، وقد استقبلت المطاعم والمقاهي زبائنها على أن تسلم الوجبات والمشروبات للمستهلكين دون الجلوس بعد أن كانت تقوم بتوصيل الطلبات الخارجية فقط.

فيما شهدت محلات التجزئة إقبالاً ضعيفاً في المرحلة الثانية من خطة العودة إلى الحياة الطبيعية، حيث فتحت المجمعات والأسواق أبوابها بعد توقف استمر قرابة 120 يوماً، كما قامت فرق تفتيشية من البلدية ووزارة التجارة بجولات ميدانية على الأسواق.

وتنفست محلات بيع الهواتف الصعداء بعد أكثر من 3 أشهر من الانقطاع والتوقف، تكبدت خلالها خسائر كبيرة بسبب توقف أعمال البيع، ورغم عودة بعض المحلات للعمل، فإن معاناة أصحابها بدت واضحة على وجوههم، خاصة أن أغلبها محلات صغيرة تعتمد في عملها على المبادلة في جانب، وتصليح الهواتف وبيع قطع غيارها في جانب آخر؛ ما يجعل أي هزة صغيرة تؤثر فيها.

وكان مجلس الوزراء الكويتي أعلن استئناف دوام الموظفين اعتباراً من الثلاثاء 30 يونيو، بعد توقف منذ نهاية فبراير الماضي.

وقال رئيس مركز التواصل الحكومي طارق المزرم، في تصريح له آنذاك: إن الدوام يشمل 30% من الموظفين فقط، ولن يكون هناك استقبال للمراجعين خلال هذه الفترة، وأشار إلى تعديل الحظر الجزئي المفروض على البلاد ليصبح من الثامنة مساء إلى الخامسة صباحاً، بعد أن كان من السابعة مساء إلى الخامسة صباحاً.■



محمد العمر

رئيس «فريق الأزمة» بجمعية الإصلاح الاجتماعي:

أزمة «كورونا» أبرزت سرعة استجابة المجتمع للتعامل مع الوضع الجديد





حرصت جمعية الإصلاح الاجتماعي -كعادتها- على القيام بدورها في كل الأعمال الوطنية، والأدوار المهمة في تاريخ الكويت؛ فللجمعية مساهماتها التي لا تخفى، وهي موثقة منذ أيام الغزو الغاشم، وقبله، وستظل بعون الله تعالى عوناً لكل أهل الكويت الحبيبة، سواء للمواطنين، أو المقيمين على أرضها.. واليوم هناك غزو من نوع آخر غزا العالم كله وليس الكويت فقط، وهو فيروس «كورونا»؛ لذا تداعى أبناء الجمعية للعمل كفريق من أجل مساعدة الدولة والجهات الحكومية، بالتعاون مع الجهات الخيرية، لتوفير سبل المساعدة والإعانة لكل الخيرين في هذا البلد.

وقد دعا أعضاء مجلس إدارة الجمعية منذ بداية الأزمة في نهاية فبراير الماضي إلى اجتماع للتفكير في كيفية مواجهة هذه الجائحة، وانتهى الاجتماع إلى اختيار فريق لمواجهة الأزمة، وتم تكليف محمد العمر، مدير الأنشطة التربوية بجمعية الإصلاح، برئاسة الفريق، الذي أجرت «المجتمع» معه هذا الحوار للتعرف على الفريق عن قرب؛ من حيث اختصاصاته ولجانه ودور العمل الخيري والتطوعي في مواجهة الأزمة.

حوار- سعد النشوان:

● **في ظل هذه الجائحة التي اجتاحت العالم كله، شكلت «الإصلاح» فريقاً للمساعدة في مواجهة هذه الأزمة، ما دوره واختصاصاته؟**

- أولاً، نسأل الله تعالى أن يرفع عنا جميعاً البلاء، وأن يعيننا على القيام بدورنا في خدمة وطننا الكويت خاصة في مثل هذه الظروف، وأن يتقبل منا.

أما فريق الأزمة الذي أشرف برئاسته، فقد اختص بأربع قضايا رئيسة، هي:

الأولى: التوعية العامة؛ فنحن أمام أزمة صحية، تحتاج إلى جهد في التوعية، وإرشاد المواطنين إلى سبل مواجهة هذا الفيروس وكيفية التعامل معه، سواء من الناحية الوقائية والطبية بالتعاون مع الجهات الصحية المختصة، أو من الناحية الشرعية، وهو كيف تعاون أسلافنا مع مثل هذه الأوبئة، وهو ما نستشفه من تراثنا الإسلامي، وكيف تم التعامل مع الأمراض والطواعين التي تخللت تاريخنا الإسلامي.

والثانية: تتعلق بالجانب الإغاثي؛ فقد توقف الكثير عن العمل، وأثر الحظر الكامل والجزئي على أعمالهم وحياتهم المعيشية؛ نتيجة الخلل الذي أصاب رواتبهم ومعاشاتهم؛ وبالتالي كانت هناك حاجة ملحة لإغاثتهم ومساعدتهم، ولذلك انبرى الجانب الإغاثي بدعم هؤلاء.

والثالثة: تتعلق بالجانب الشرعي العام؛ خصوصاً أنه واكب الأزمة دخول شهر رمضان المبارك، وكانت هناك حاجة ملحة لتفعيل هذا الدور، بإشغال المجتمع والأسر بكل ما هو مفيد؛ لذا كانت هناك الخواطر، ومجالس العلماء، والمسابقات الثقافية العامة والشرعية، وأنشطة للقرآن الكريم؛ حفظاً وتلاوة ومراجعة، ومسابقات، وكل هذه الأنشطة قامت بها اللجنة الشرعية، أو لجنة الدعوة العامة.

الرابعة (ذات الأهمية بمكان): تنظيم عمل المتطوعين من أجل الاستفادة من هذه الطاقات لأي طارئ جديد؛ ولا شك أن المتطوعين رافد مهم لأي عمل، وقد فتحنا باب التطوع من أول يوم عمل؛ مما ساهم في توزيع الجهد.

● **ما دور المتطوعين في مواجهة الأزمة؟**

- من القضايا التي قمنا بها تنظيم عمل المتطوعين، ودعوتهم، وتنسيبهم في الجمعية من أجل الاستفادة من هذه الطاقات على اختلاف أنواعها، في دعم أي نشاط جماهيري، قد نحتاجه في مستقبل الأيام، ولذلك قمنا بفتح أبواب التطوع منذ اليوم الأول الذي بدأنا فيه العمل كفريق، وكان الإقبال رائعاً من الرجال والنساء، ومن الشباب والفتيات؛ مما ساهم في توزيع الجهود، والاستفادة من كل الطاقات المتاحة.

● **ما اللجان العاملة في الفريق؟**

- فريق الأزمة متنوع المهام والأدوار، وكل مهمة تضطلع بها لجنة؛ فهناك الدور الخيري والإغاثي، ويمثله خالد الحسيني، وسعد العتيبي، وهما يمثلان «نماء»، والدور الإعلامي ويمثله سعد النشوان، والدور التطوعي ويمثله عبدالعزيز الياقوت،

ويوسف الهولي، بالإضافة إلى رؤساء الفروع في المحافظات، وكذلك عبدالرحمن الشطي الذي يمثل اللجنة الإعلامية.

وهذا التنوع يساعد على نجاح الفريق، ومع استعراض هذه الأدوار سنكتشف الحاجة إلى الطاقات الإعلامية، والصحفية، والبشرية ذات العلاقة بالمتطوعين الميدانيين على الأرض، بالإضافة إلى الإخوة الذين يقودون العمل الخيري والإنساني، وهذا التنوع خدم الفريق وساهم في الوصول إلى تلك النتائج الإيجابية التي وصلنا إليها، بفضل الله تعالى.

● هل واجه الفريق أي عوائق؟

– بلا شك هناك عوائق كثيرة واجهت الفريق؛ فالأزمة فاجأتنا، وباغتت العالم كله؛ لذا كانت هناك مجموعة من العوائق والصعوبات التي واجهتنا في بداية الأزمة، ولكن بفضل الله، ثم بتكاتف الفريق ودعم مجلس الإدارة، استطعنا تجاوزها، سواء على مستوى الاستعدادات المادية أو البشرية، وكذلك على مستوى التنسيق مع جهات العمل الخيري الأخرى، ووزارات الدولة ومؤسساتها.

ودائماً أعلن أن القطاع الخيري، أو منظمات المجتمع المدني، يجب أن يكون لها دور وحصة في بناء هذا البلد الكريم المعطاء، ولا بد من الحرص على إشراكها في أيام الرخاء والشدة، حتى تكتسب من الخبرات والإمكانيات ما يؤهلها لتقديم عمل متطور لبلدها وأهلها، وأثمن الدور الذي تم، وأتطلع أن يقوى وينمو مع الوقت.

● هل هذا الفريق مؤقت، أم مستمر بالعمل؟

– إن شاء الله سيكون الفريق مستمراً في جمعية الإصلاح؛ فالتجربة علّمتنا أهمية أن نكون مستعدين لخدمة هذا الوطن، والحاجة مطلوبة لتمتين وتدريب فريق التطوع؛ للتعامل مع أي خطر قد يواجه البلد.

وبعد مرور 4 أشهر تقريباً على الأزمة، تداعينا لتقييم الوضع، وانتهينا إلى واحدة من أهم التوصيات؛ بأن يكون هناك فريق جاهز ومدرَّب لمواجهة مثل هذه الأحداث في مستقبل الأيام.

● ما أبرز الجوانب التي تميّزتم بها كفريق بـ«الإصلاح» لمواجهة الأزمة؟

– كل أزمة تبرز جوانب القوة، والضعف؛



الفريق اختص بـ4 قضايا.. التوعية العامة والإغاثة والثقافة الشرعية وتنظيم عمل المتطوعين

الأزمة كشفت عن قضية العمالة الهامشية والمناطق العشوائية وضرورة التنسيق بين الحكومة والجهات الأهلية

فجوانب القوة تتمثل في سرعة استجابة المجتمع للتعامل مع الوضع الجديد، والالتزام بالنظم واللوائح، والابتعاد عن كل ما يعكر صفو السلم الاجتماعي، وتحمل القرارات التي كانت صعبة في بعض الأحيان، مثل الحظر الكلي أو الجزئي، وكذلك من الجميل أن المجتمع قد تحوّل إلى خلية نحل خصوصاً رجال العمل الاجتماعي والخيري، والمؤسسات الخيرية التي كان دورها محل تقدير من القيادة السياسية، ومن حضرة صاحب السمو، الذي أكّد دورها وثمَّن العمل الذي تقوم به، ولا شك أن للمواطنين والمقيمين دوراً في هذا الأمر.

وهناك جوانب سلبية كشفت عنها الأزمة أيضاً؛ مثل موضوع العمالة الهامشية، والمدن العمالية التي كنا نأمل أن تكون موجودة اليوم، والمناطق العشوائية المكتظة التي كانت بؤراً لانتشار الأوبئة، وهذه واحدة من القضايا التي كشفت عنها الأزمة، والمطلوب هو التصدي لمعالجتها سريعاً في أول فرصة؛ فقضية الأزمة السكانية بالكويت، والتفاوت بين أعداد المواطنين مقارنة بالمقيمين، مهمة جداً، يجب الالتفات إليها؛ لأنه بالنهاية نحن –المجتمع– مسؤولون عن كل إنسان موجود على هذه الأرض، سواء كان مواطناً أو مقيماً؛ وبالتالي لا بد من الحرص على أن تكون العناصر البشرية الموجودة في الكويت مفيدة للمجتمع، وتشكِّل إضافة للكويت، لا عبئاً عليها، خصوصاً وقت الأزمات.

وكذلك موضوع التنسيق بين الجهات الحكومية والأهلية يحتاج إلى آليات أفضل مما عليه الآن، وأرجو أن نستفيد من هذه التجربة، ونعززها في الأيام القادمة.

● كيف تقيّمون دور الجمعيات الخيرية في مواجهة الجائحة؟

– في الحقيقة، أثبتت الجمعيات الخيرية جاهزية عالية، فكما هي مهتمة بالعمل الخيري الخارجي، كذلك تهتم أكثر بوطنها وأهلها، ولذلك تمخضت عنها حملة «فزعة الكويت»، التي تنادت لها كل الجمعيات الخيرية، وجمعت الأموال وصرفتها على حاجة البلد والناس والأسر الفقيرة، الذين تأثروا بهذه الأزمة فيما يتعلق بفقدانها مصادر رزقها أو رواتبها.

لا شك أن الجمعيات الخيرية عملت بتنسيق عالٍ جداً، من خلال توزيع الأدوار؛ فبعضها اشترك في أكثر من برنامج تنسيقي، سواء على مستوى السلع الغذائية، أو الخبرات، أو التجهيزات وتوريد المواد الغذائية، وهذه الأزمة أسست لعلاقة قادمة أفضل إن شاء الله.

وكانت «فزعة الكويت» الرسالة التي أطلقتها الجمعيات الخيرية عن دورها في هذه المرحلة، في ظل الأزمة التي تمر بها البلاد، وقد أكدت دورها في القرب من أبناء هذا الوطن في ظل الأزمات، وحتى لا يظن البعض أن عملنا الخيري خارج الكويت سيكون على حساب داخل الوطن، فقد تم ترجمة هذا الأمر عملياً حين فاجأتنا هذه الأزمة؛ حيث تداعينا لخدمة وطننا، وأعطينا الأولوية لأهلنا ومن يعيش على أرضنا، وأثبتت الأزمة أنه إذا احتاج الوطن والمواطنون والمقيمون فيه لهذه الجمعيات الخيرية فستكون بجانبهم ومعهم يداً بيد لخدمة بلادنا.■



المسؤولة النسائية في الحملة الوطنية التطوعية بـ«الإصلاح» أبرار حمود الرومي لـ«المجتمع»:

عمل المرأة الكويتية في مواجهة «كورونا» واجب وطني وليس ترفاً



حوار - سعد النشوان:

أكدت أبرار حمود الرومي، المسؤولة النسائية في الحملة الوطنية التطوعية بجمعية الإصلاح الاجتماعي، أن المرأة هي أخت الرجل في كل ميدان، ومع أزمة جائحة «كورونا» وجدناها في الصفوف الأولى لمكافحة الوباء.

وأكدت، في حوارها مع «المجتمع»، أن المرأة أثبتت تميزها في هذا المجال، وشاركت في جميع مجالات العمل التطوعي المتاحة، سواء كانت في المجال الصحي أم التعاوني أم الخدمات العامة.

● لنلق الضوء على جانب من الجهد النسائي التطوعي الذي تجلت معالمه في أزمة «كورونا»، ونبذة عن الفريق؟

- بداية، أهلاً ومرحباً بكم، ونسعد بهذا الحوار مع مجلة «المجتمع».

فريقنا التطوعي منبثق من جمعية الإصلاح الاجتماعي التي بادرت كمؤسسة من مؤسسات المجتمع المدني المتميزة إلى استنفار كل طاقاتها لسد حاجات المجتمع في شتى المجالات، وبما أن الشباب يمثل أعلى نسبة من فئات المجتمع، ارتأت الجمعية تأسيس فريق شبابي ينظم عملية التطوع، ويوجه الشباب إلى استثمار طاقاته بما يفيد المجتمع في هذه الأزمة.

● كم عدد المتطوعات في الفريق؟

- يتكون فريقنا من 318 متطوعة في 4 مجالات، مقسمة إدارياً على النحو التالي: إدارة الفريق وتتكون من 12 متطوعة، وحدة الخدمات العامة وعدد المتطوعات فيها 146 متطوعة، وحدة الخدمات الصحية وتتكون من 63 متطوعة، وأخيراً وحدة الخدمات التعاونية وتضم 91 متطوعة.

● ما أهم إنجازاتكن خلال هذه الفترة؟

- قام الفريق بعدد من المهام التطوعية خلال هذه الفترة، وكان من أهمها إطلاق موقع تدريبي لمتطوعاتنا يحوي دورات تدريبية في المجالات التي تهمها لتهيئتها لميدان العمل، وقد احتوى الموقع على 7 دورات في 4 مجالات أساسية (المجال الطبي والشرعي والنفسي والأخلاقي)، وقدم الدورات نخبة من الدكاترة والمدربين المتميزين.

ومن الإنجازات أيضاً التعاون مع بنك الدم في تنظيم سير عملية التبرع بالدم على مدى 4 أيام، والتعاون مع لجنة نماء للزكاة والتنمية المجتمعية بتجهيز أكثر من 2500 سلة غذائية ورمضانية للأسر والأفراد المتضررين من الأزمة، وكذلك شاركنا في دراسة واستكمال أوراق 705 حالات من الأسر والأفراد المتضررين من أزمة «كورونا».

كما قمنا بالتواصل مع 1965 حالة مسجلة لدى «نماء» للتأكد من استلامها كروت تسوق المواد التموينية المغنطة، كما ساهمنا في تجهيز 275 وجبة للعاملين في الصفوف الأولى، وبلغ إجمالي ساعات التطوع 112 ساعة موزعة على 46 يوم تطوع.

● ماذا قدمت المرأة الكويتية لمكافحة «كورونا»؟

- المرأة هي أخت الرجل في كل ميدان، ومع أزمة جائحة «كورونا» وجدناها في الصفوف الأولى لمكافحة الوباء، سواء كانت من الطاقم الطبي أم الإداري، أم المتطوعات في شتى المجالات، ولا ننكر دورها في أسرتها بإدارة المنزل، وتوعية أطفالها وحمايتهم وشغل أوقات فراغهم بكل ما هو مفيد ويطور مهاراتهم.

● كيف تقيِّمين مشاركة المرأة في العمل التطوعي خلال الأزمة؟

- تجربة المرأة الكويتية في العمل التطوعي قديمة ومتميزة؛ فمما يميز الكويت أن جميع فئات المجتمع تهتم بالعمل التطوعي؛ بدءاً من أميرنا، حفظه الله ورعاه، أمير الإنسانية الأب الحنون على أبناء شعبه، إلى الأطفال الصغار الذين فتحوا أعينهم على آباء وأجداد أصحاب فزعة ونخوة في إغاثة الملهوف ونصرة الضعيف والوقوف مع الحق.

وخلال هذه الأزمة، أثبتت المرأة تميزها في هذا المجال؛ فلم تتوانَ أن تكون ضمن الصفوف الأولى، وشاركت في جميع مجالات العمل التطوعي المتاحة، سواء كانت في المجال الصحي أم التعاوني أم الخدمات العامة.

● ما الرسالة التي تود الفتاة الكويتية إيصالها للشعب من خلال عملها في مكافحة «كورونا»؟

- عمل الفتاة في مكافحة «كورونا» ليس ترفاً أو لإثبات وجودها في الميدان؛ بل هو واجب وطني؛ فواجبها يحتم عليها أن تضحي بوقتها وعلمها وجهدها من أجل الوطن الذي قدم لنا كل مقومات وسبل العيش الرغيد في وقت الرخاء، وحان دورنا أن نقدم له وقت الشدة.

● كيف تخططن للمرحلة القادمة؟

- نسعى خلال المرحلة القادمة إلى توسيع مجالات العمل التطوعي لتشمل المجال التربوي والمهاري؛ حتى يضم أنشطة للأطفال والفتيات والشباب لاستغلال وقت فراغهم بما ينفعهم، ويساعد على تنمية مهاراتهم في مجالات مختلفة، وكذلك سنقوم بالتعاون مع «نماء» في مجال تجهيز وتوزيع السلال الغذائية على الأسر المتعففة والهدايا في المناطق المعزولة، وغيرها من المشاريع في مرحلة التخطيط سيتم الإعلان عنها لاحقاً.■



د. يوسف السند
إمام وخطيب بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت

الفوائد التربوية والإيمانية من طبقات الشافعية

الإمام ابن عساكر

علي بن الحسن بن هبَة الله بن عبدالله بن الحسين، الإمام الجليل، حافظ الأمة، أبو القاسم ابن عساكر.

هو الشيخ الإمام، ناصر السُّنّة وخادمها، وقامع جند الشيطان بعساكر اجتهاده وهادمها، إمام أهل الحديث في زمانه، وختام الجهابذة الحفّاظ، ولا ينكر أحدٌ منهم مكانة مكانه، مَحطّ رحال الطالبين، ومَوْئل ذوي الهمم من الراغبين، الواحد الذي أجمعت الأمة عليه، والواصل إلى ما لم تطمح الآمال إليه، والبحر الذي لا ساحل إليه.

وُلد في مستهل رجب سنة تسع وتسعين وأربعمائة للهجرة.

وسمع خلائق، وعدة شيوخه ألف وثلاثمائة شيخ، ومن النساء بضع وثمانون امرأة.

وارتحل إلى العراق ومكة والمدينة، وارتحل إلى بلاد العجم، فسمع بأصبهان، ونَيْسَابور، ومَرْو، وتبريز، وميهَنة، وبَيْهق..

وسمع منه جماعة من الحفاظ كأبي العلاء الهَمَذانيّ، وأبي سعد السمعانيّ، وروى عنه الجَمُّ الغفير، والعَدَد الكثير، ورُويت عنه مصنّفاته وهو حيٌّ بالإجازة، في مدن خراسان وغيرها، وانتشر اسمه في الأرض، ذات الطول والعَرْض.

وكان قد تفقّه في حداثته بدمشق على الفقيه أبي الحسن السُّلَميّ، ولما دخل بغداد لزم بها التفقُّه وسماعَ الدروس بالمدرسة النِّظامية، وقرأ الخلاف والنحو، ولم يزل طول عمره مواظباً على صلاة الجماعة، ملازماً لقراءة القرآن، مكثراً من النوافل والأذكار، والتسبيح آناء الليل وأطراف النهار، وله في العشر من شهر رمضان في كل يوم ختمة، غير ما يقرأه في الصلوات، وكان يختم كلَّ جمعة، ولم يُرَ إلا في اشتغال، يُحاسب نفسه على ساعة تذهب في غير طاعة، يصدع بالحق لا يخاف في الله لومة لائم، ويسطو على أعداء الله المبتدعة ولا يبالي وإن رَغِمَ أنفُ الرّاغم، لا تأخذه رأفةٌ في دين الله، ولا يقوم لغضبه أحدٌ إذا خاض الباغي في صفات الله.

قال له شيخه أبو الحسن بن قُبَيْس، وقد عزم على الرِّحلة: إني لأَرجو أن يُحييَ الله تعالى بك هذا الشأن، فكان كما قال، وعُدَّتْ كرامة للشيخ وبشارةً للحافظ.

ولما دخل بغداد أُعجِب به العراقيُّون، وقالوا: ما رأينا مثله، وكذلك قال مشايخه الخُراسانيُّون.

وقال الحافظ أبو العَلاءِ الهَمَذانيّ لبعض تلامذته وقد استأذنه أن يسافر: إن عرفتَ أستاذاً أعلَم مني، أو يكون في الفَضْل مثلي فحينئذ آذنُ لك أن تسافرَ إليه، اللهم إلا أن تسافر إلى الشيخ الحافظ ابن عساكر، فإنه حافظ كما يجب.

وقال شيخه الخطيب أبو الفَضْل الطُّوسيّ: ما نعرف من يستحق هذا اللقبَ اليومَ سواه؛ يعني لفظة الحافظ.

وكان يُسَمَّى ببغداد شُعْلَة نار، من توقُّده، وذكائه وحسن إدراكه، لم يجتمع في شيوخه ما اجتمع فيه؛ من لزوم طريقة واحدة منذ أربعين سنة، يلازم الجماعة في الصف المقدَّم إلا من عذر مانع، والاعتكاف والمواظبة عليه في الجامع، وإخراج حقّ الله، وعدم التطلّع إلى أسباب الدنيا، وإعراضه عن المناصب الدينيّة، كالإمامة والخطابة، بعد أن عُرضتا عليه.

وقال ابن النجّار: هو إمام المحدِّثين في وقته، ومن انتهت إليه الرِّياسة في الحفظ والإتقان، والمعرفة التامّة بعلوم الحديث، والثقة والنُّبل، وحسن التَّصنيف والتجويد، وبه خُتم هذا الشأن.

وكان الملك العادل محمود بن زَنْكي نور الدين قد بَنى له دار الحديث النُّوريّة، فدرَّس بها إلى حين وفاته، غيرَ ملتفت إلى غيرها، ولا متطلّع إلى زُخْرف الدنيا، ولا ناظر إلى محاسن دمشق ونُزَهها، بل لم يزل مواظباً على خدمة السُّنة والتعبّد باختلاف أنواعه؛ صلاةً وصياماً واعتكافاً وصدقة، ونَشْر علم، وتشييع جنائز، وصِلات رَحِم إلى حين قُبض، رحمه الله تعالى ورضي عنه.

توفي الحافظ في حادي عشر شهر رجب الفرد سنة إحدى وسبعين وخمسمائة، بدمشق ودُفن بمقبرة باب الصغير[1].

الفوائد الإيمانية والتربوية:

- كان علماء الإسلام، رحمهم الله تعالى، يتزودون دائماً بالزاد الإيماني التربوي من ملازمة لصلاة الجماعة وصيام النوافل وتلاوة القرآن الكريم والأذكار والتسبيح آناء الليل وأطراف النهار والصدقة وتشييع الجنائز والاعتكاف وصلة الرحم ونشر العلم.. فقد كان هذا زادهم حتى يلقوا الله تعالى.
- الحرص على طلب العلم والتفقُّه من الصغر وسن الشباب له دور في صياغة شخصية العالم وإتقانه للعلم والفنون؛ ولذلك يجب على المربين أن ينتبهوا للنماذج الموهوبة والمتميزة وتوجيهها وتربيتها والعناية بها، باعتبار كل واحد منهم مشروع عالم شرعي متمكن للمستقبل، بإذن الله تعالى.
- الحرص على التدريس والتربية والتعليم والدعوة إلى الخير من سمات العلماء الربانيين.
- كان العلماء لا يشغلهم أمر عن العلم والعبادة.
- الزهد في المناصب كان سمتاً معروفاً للعلماء الصادقين المخلصين.
- كان علماء الإسلام لا يرضون إلا بالحفظ والإتقان والمعرفة التامة لمختلف المعارف والعلوم، والحمد لله رب العالمين.■

الهامش

(1) عبدالوهاب بن علي السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج7، تحقيق: عبدالفتاح محمد الحلو، محمود محمد الطناحي.

الكويت

رحلا عنَّا في يوليو..

مشاري البداح وفيصل المقهوي

م. مشاري بداح الخشرم.. الداعية الدؤوب

ولد مشاري محمد عبدالمحسن بداح الخشرم، رحمه الله، في 22 ربيع الأول 1361هـ/ 8 أبريل 1942م، بمنطقة القبلة في مدينة الكويت من أسرة محافظة.

ارتبط في صباه وتعلق قلبه بالمساجد، فكان يحرص على إقامة الصلوات المفروضة بالمساجد، خاصة في مسجد بن شرف بمنطقة القبلة القريب من سكنه، مع رفيق دربه فيصل المقهوي، يرحمه الله.

وفي بداية عمره، وقبل أن يلتحق بالمدارس الحكومية، درس في الكتاتيب مبادئ القراءة والكتابة، ثم التحق بمدرسة ابتدائية في القبلة، ومتوسطة الشامية، ثم ثانوية الشويخ.

في فترة دراسته الثانوية، يقول فيصل المقهوي: دعينا إلى «جمعية الإرشاد الإسلامي» التي أصبحت «جمعية الإصلاح الاجتماعي» عام 1963م للانضمام والمساهمة في أنشطة الجمعية المتعددة من تعلم قراءة وحفظ القرآن، وتعلم فنون الخطابة وحفظ الأحاديث، والمشاركة في الأنشطة المتعددة؛ منها نشاط الكشافة، واستمر نشاطه إلى أن تخرج في ثانوية الشويخ وابتعث للدراسة الجامعية إلى الولايات المتحدة بجامعة بنسلفانيا قسم الهندسة الكهربائية.

نشاطه الدعوي بأمريكا:

كان لتربية الخشرم ونشاطه الذي سبق ذهابه إلى الولايات المتحدة الأمريكية أثر كبير في اندفاعه الذاتي بالعمل الدعوي، وكان له ولرفيق دربه فيصل المقهوي -الذي ابتعث للدراسة- وبعض أصحابه، منهم د. أحمد التوتنجي، الفضل في إنشاء اتحاد الطلبة المسلمين عام 1963 - 1964م، وكان الهدف من إنشائه المحافظة على إسلام الطلبة المسلمين بربطهم بدينهم، والتواصل مع الطلبة والجمعيات الأخرى.

وكان يلزم إشهار الاتحاد 20 ألف دولار، ولم يكن باستطاعة الطلبة تدبير هذا المبلغ، فعاد مشاري الخشرم إلى الكويت وجمع عشرة أضعاف هذا المبلغ تبرع بها أهل الخير في الكويت، وقد غطّى هذا المبلغ إشهار الاتحاد وإنشاء فروع له.

بعد تخرجه في جامعة بنسلفانيا بأمريكا عام 1965م وعودته إلى الكويت، عمل في هيئة الشعبية الصناعية رئيساً للمهندسين، وتركز عمله في البنية التحتية للهيئة، وكان الرجل الثالث في المؤسسة، وفي عام 1970م استقال واشتغل بالأعمال الحرة، كما يقول ابنه أسامة.



كان لتربيته دور في اندفاعه الذاتي بالعمل الدعوي بأمريكا وإنشاء اتحاد الطلبة المسلمين

حرص أثناء رئاسته تحرير «المجتمع» على توسيع انتشارها من خلال عدة جولات بدول الخليج

رئاسة تحرير «المجتمع»:

في بداية عام 1970م، اختير كأول رئيس تحرير لمجلة «المجتمع»، لكن البداية لم تكن سهلة مع قلة الإمكانات، خاصة أن الإعلام الإسلامي حينها كان قليلاً وضعيفاً.

وقد اختارت «المجتمع» أن تكون مجلة إسلامية وسطية، تكون لجميع المسلمين في أنحاء العالم، ووضعت لها الأهداف والسياسات، وفي بداية عملها ركزت على قضية فلسطين وفضح التآمر الصليبي والنصيري على لبنان وفلسطين، وقضية الفساد الأخلاقي والاختلاط في جامعة الكويت.

وقد حرص، رحمه الله، أثناء رئاسته تحرير المجلة على توسيع انتشارها، فقام بجولات في السعودية ودول الخليج العربي تكللت بالنجاح، واستثمر كذلك موقعه في الكثير من الندوات واللقاءات والحوارات والمؤتمرات الداخلية والخارجية.

الأعمال الخيرية والتطوعية:

كانت للمهندس مشاري الخشرم أعمال خيرية لا يعلمها إلا القليل، فقد قام بإنشاء مدارس ومساجد ومستشفيات في شمال لبنان، كان هو وزملاؤه يجمعون التبرعات ويذهبون بها إليه، وبعد وفاته شعر أهل لبنان في الشمال بحزن شديد، فأصدروا بيان تعزية، سموه فيه «صديق المسلمين في لبنان».

وكان حريصاً على تعليم ومتابعة تحصيل أولاده، فجميعهم (بنون وبنات) جامعيون، وكان صديقاً لهم وقدوة حسنة.

وفاته:

كان قد أجرى عملية جراحية بالقلب في الثمانينيات بالولايات المتحدة، وبعد عشرين عاماً أصيب بنزيف في الرأس، أدخل على أثره مستشفى مبارك الكبير، وبعدما تعذر علاجه في الكويت أرسل إلى الولايات المتحدة، لكن ساءت حالته، حتى توفي في 1 يوليو 2010م.■

فيصل سعود المقهوي.. تاريخ من الإنجازات

ولد فيصل المقهوي، في 30 ذو القعدة 1365هـ/ 25 أكتوبر 1946م، بمنطقة القبلة في فريج الشاوي قرب مسجد بن شرف بالكويت القديمة، وهو الثالث بين إخوته الذكور، وله من الأخوات خمس، وهو من عائلة محافظة، تعلق قلبه بالمسجد منذ الصغر، كان يحرص على أداء الفروض بالمساجد وخاصة مسجد بن شرف بالقبلة مع رفيق دربه مشاري بداح الخشرم، يرحمهما الله.

دراسته:

في بداية مراحله الدراسية، مثل أقرانه في ذلك الوقت، درس في الكتاتيب، ثم التحق بالمدارس الحكومية من المدرسة القبلية إلى الشامية، ثم إلى ثانوية الشويخ وتخرج فيها عام 1963م.

نشاطه الدعوي مبكراً:

في فترة الخمسينيات، نشأت جمعية الإرشاد الإسلامي في الكويت؛ فاستقطبت الكثير، ومنهم شباب صغار.

دُعي هو ورفيقه مشاري بداح الخشرم إلى الانضمام للجمعية للمساهمة في أنشطتها المتعددة، منها قراءة وحفظ القرآن وحفظ الأحاديث النبوية وتعلم الخطابة، ونشاط الكشافة، واستمر حرصه على الأنشطة الإسلامية والاهتمام بالشأن الإسلامي حتى تخرج في ثانوية الشويخ، ثم ابتعث للدراسة في الولايات المتحدة الأمريكية.

دراسته وعمله:

ابتعث إلى الولايات المتحدة الأمريكية، في 1963/12/25م، في تخصص جيولوجيا، وقد استغرقت فترة الدراسة 5 سنوات، تخللها انقطاع وعودة إلى الكويت والعمل في شركة النفط الكويتية لمدة سنة ثم العودة لاستكمال الدراسة.

التحق بعد تخرجه بمكتب سمو ولي العهد آنذاك الشيخ جابر الأحمد الصباح، يرحمه الله، بوظيفة باحث اقتصادي، واستمر بالعمل في الديوان الأميري لمدة خمس سنوات.

وانتقل بعدها إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، وعُيِّن مديراً بمكتب الوزير العم يوسف الحجي، يرحمه الله، ثم مديراً للعلاقات العامة والإعلام، ومديراً لإدارة المسجد الكبير حتى تقاعده في عام 2001م.



حرص على الاهتمام بالأنشطة الإسلامية حتى تخرج في ثانوية الشويخ ثم ابتعث للدراسة بأمريكا

أسَّس جمعية النجاة والنادي العلمي ولجنة التعريف بالإسلام وجمعية الهلال الأحمر الكويتية

نشاطه الدعوي والإعلامي:

نشأ المقهوي في بيئة محافظة، وكان حريصاً على تلقي العلم والمعرفة والصحبة الصالحة، فقد كانت له مساهمات وأنشطة دعوية خلال فترة الدراسة، ففي مرحلة الدراسة المتوسطة والثانوية شارك في النشاط الأدبي لكتابة مقالات في مجلة الفصل الحائطية (مجلة «الشروق»)، وشارك في الأنشطة الدينية ضمن مجموعة الإرشاد التي كان يشرف عليها العم يوسف محمد النصف الذي كان في الفصل الرابع الثانوي، وكانت جمعية الإرشاد الإسلامي تزودهم بالكتب وانضم لتلك الجمعية فقد نشأ نشأة دينية.

مثل ما كان حرصه على الذهاب مع والده منذ الصغر للصلاة في مسجد بن شرف بالقبلة في مدينة الكويت القديمة، استمر هذا الاهتمام والحرص على تربيته الدينية والاهتمام بالشأن الإسلامي حتى بعد ابتعاثه للدراسة في أمريكا، فقد ساهم مع رفيقه مشاري الخشرم في إنشاء جمعية الطلبة المسلمين في أمريكا، بمشاركة أحمد عثمان من السودان، ود. أحمد توتنجي من العراق.

إنجازاته:

ترك المقهوي عدداً من الإنجازات التي تشهد له بالحركة والنشاط في حياته، منها:

1 - تأسيس جمعية النجاة الخيرية.

2 - تأسيس الجمعية الكويتية لمكافحة التدخين والسرطان.

3 - تأسيس النادي العلمي الكويتي.

4 - تأسيس لجنة التعريف بالإسلام.

5 - أول مدير لمسجد الدولة الكبير.

6 - تأسيس جمعية الهلال الأحمر الكويتية.

7 - تأسيس لجنة مسلمي ملاوي (لجنة مسلمي أفريقيا).

8 - أول رئيس لجمعية السرة التعاونية.

وفاته:

في مساء يوم الأحد 26 يوليو 2015م، توفي فيصل سعود المقهوي، وقبل وفاته بدقائق رفع أذان المغرب من ذلك اليوم، وجاء ابنه سعود ينبهه إلى الأذان -وهو في غيبوبة- يقول سعود: عندما نبهته للأذان ضغط على يدي، وبعدها فاضت روحه إلى بارئها.■



خاص- «المجتمع»:

رحل عن دنيانا في الثامن والعشرين من يونيو الماضي رجل الأعمال الإماراتي الحاج سعيد أحمد ناصر آل لوتاه، عميد عائلة آل لوتاه بدولة الإمارات العربية المتحدة، عن عمر يناهز الـ97 عاماً، بعد حياة حافلة بالإنجازات التي تعددت تخصصاتها، والمآثر التي تعدّت الدول والمجالات.



الحاج سعيد لوتاه..

إنجازات متعددة ومآثر متعدية

ولد الحاج سعيد بن أحمد آل لوتاه في دبي عام 1923م، في أسرة عريقة عرف عنها اهتمامها بالتجارة والأعمال والمعرفة والعلوم؛ فترعرع في كنفها ليستقي منها علوم الحياة.

وبعد انتهائه من مرحلة التعليم الأساسي، انتقل إلى مجال العمل مع والده في غمار البحار والصحاري؛ لتكبر معه طموحاته وأحلامه، وتنمو شخصيته في مجالس والده والعائلة.

انتقل من العمل في تجارة اللؤلؤ إلى التجارة البحرية بين الخليج العربي والهند وسواحل أفريقيا، إلى أن أسس في منتصف الخمسينيات شركة للمقاولات في دبي ليبدأ مسيرة البناء في الوطن.

عُرف، رحمه الله تعالى، بحرصه على تأمل كتاب الله تعالى ومعايشته وتدبره، وقد وفقه الله عز وجل إلى أن يستنبط من تأملاته في القرآن الكريم العديد من الأفكار التي ترجمها على أرض الواقع في شكل مشروعات تقوم بخدمة البشرية؛ من خلال معالجة الفقر، والحد من تفشي الأمراض، وانتشار الفوضى؛ مثل مشروعي «السكن المنتج»، و«إنماء الصدقات» اللذين نفذهما في كل من السودان واليمن وسريلانكا.

إنجازات اقتصادية

أسس الحاج سعيد وترأس عدداً من الشركات والمؤسسات والجمعيات في دولة الإمارات العربية المتحدة؛ منها جمعية دبي التعاونية الاستهلاكية من أجل توفير اللحوم الإسلامية عام 1972م.

وفي عام 1975م أسس بنك دبي الإسلامي، وهو أول بنك إسلامي في العالم، وعمل رئيساً لمجلس إدارته لعدة سنوات عديدة، وقد نجح في الحفاظ على أن يظل أكبر بنك إسلامي في العالم، بعد أن بدأ برأس مال متواضع.

وكان معظم الاقتصاديين يعدون إنشاء البنك حينها مغامرة فاشلة، لكن الله تعالى وفّقه وسدد خطاه؛ فكافح ونجح وأوصل الصيرفة الإسلامية لمستويات متقدمة،

استنبط من تأملاته للقرآن مشروعات لخدمة البشرية بمعالجة الفقر والحد من تفشي الأمراض وانتشار الفوضى

كما يقول د. علي القرة داغي، الأمين العام للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين.

وقد اتسعت بعده دائرة البنوك الإسلامية لتصل إلى 300 بنك تقريباً، وعشرات الآلاف من الفروع، ووصلت موجودات البنوك الإسلامية إلى أكثر من 3 تريليونات دولار.

واقتناعاً منه بأهمية العلم والتعليم، وأن مسيرة البناء لا يمكن أن يكون لها عماد إلا العلم، أسس المدرسة الإسلامية للتربية والتعليم في عام 1983م، التي تعتمد على إعداد الطالب في المرحلة التعليمية الأخيرة في الجانب التخصصي لينخرط مباشرة بعد ذلك في مجتمع العمل بما حصَّله من دراسة ومهنة.

الاهتمام بالمرأة

واعترافاً منه بمكانة المرأة ودورها في المجتمع، وتحقيقاً لطموح الكثير من الفتيات في دراسة الطب في بيئة تحافظ على الخصوصية المجتمعية، أسس كلية دبي

عام 1999م حصل على لقب رجل الاقتصاد الأول في الإمارات ومنح الدكتوراه الفخرية من جامعة باركتون الأمريكية

الطبية للبنات في عام 1986م لتتزامن مع إنشاء كلية الطب والعلوم الصحية في جامعة الإمارات العربية المتحدة، لكنها كانت الكلية الأولى التي تطبق نظاماً تعليمياً جديداً يختصر الوقت ويحقق الفائدة العلمية؛ إذ اختصر مدة الدراسة إلى ما يقارب 5 سنوات باتباع النظام الدراسي المكثف من خلال خفض معدل الإجازات السنوية؛ ليوفر على الطالبة سنة من الوقت تمضيها في التدريب العملي.

في عام 1994م حصلت الكلية على ترخيص من وزارة التعليم العالي والبحث العلمي في الدولة لتدريس علوم الطب البشري والجراحة، وكذلك تم معادلة درجة البكالوريوس في الطب والجراحة التي تمنحها الكية بالدرجة الجامعية الأولى في الطب والجراحة، وفي عام 2000م حصلت الكلية على اعتراف منظمة الصحة العالمية.

كما تميز عام 1992م بمزيد من العطاء للحاج سعيد لوتاه في المجال الطبي؛ فقد أسس أول كلية للصيدلة في دبي، وكذلك مركز دبي للبحوث البيئية، ومركز دبي الطبي التخصصي، ومختبرات الأبحاث الطبية من أجل المراقبة الصحية وإجراء الأبحاث في مجال الأعشاب والطب النبوي.

وفي عام 1992م أيضاً أسس «المعهد التقني» لتخريج المهنيين في مختلف مجالات الصناعة والكهرباء والنجارة والفايبرجلاس، والسيارات، وتدريب طلاب تحت شعار «تعلم مهنة واملك ورشة»، وذلك قبل أن يقوم بتحويل المعهد التقني إلى «مركز لوتاه التقني»، بأسلوب جديد وفعال عبر نظرية متطورة «تعليم، تدريب، تطبيق»، وذلك عام 2005م.

وتُوِّجت جهوده في عام 1999م بحصوله على الدكتوراه الفخرية من جامعة باركتون في الولايات المتحدة الأمريكية، وكذلك كرمته عدة دول من مجلس التعاون الخليجي.

وفي عام 2000م، أسس أول جامعة بالاتصالات الحديثة عبر الإنترنت، وهي «جامعة آل لوتاه العالمية»، التي تشمل 5 كليات، هي: كلية المصارف الإسلامية، كلية الإدارة والقيادة، كلية الاقتصاد والتجارة، كلية المحاسبة، كلية علوم الحاسوب وتقنية المعلومات.

وفي عام 2003م، أسس المستشفى التعليمي ليكون ميداناً طبياً عالمياً في التطبيق والعلاج والبحوث الطبية.

إنجازات في سطور:

وللحاج سعيد الكثير من الإنجازات الأخرى التي نلخص أبرزها فيما يلي:

- أسس منطقة بورسعيد، مخلداً انتصارات حرب بورسعيد عام 1956م.
- أسس منطقة بدر مخلداً ذكرى معركة بدر الكبرى ومدينة لوتاه.
- أسس أول شركة للتأمين الإسلامي باسم «إياك» عام 1979م.
- أنشأ «مؤسسة تربية للأيتام» عام 1982م، لتربيتهم من عمر 5 سنوات إلى وقت تخرجهم وتشغيلهم بعد ذلك في مؤسساته وشركاته ثم تزويجهم.
- أسس أول مدرسة إسلامية بمراحلها الثلاث عام 1983م.
- أسس عدة مصانع، مثل: مصنع بولي باك (1993م)، ومصنع الأسلاك (1994م).
- أنشأ أول دورة في إعداد وتأهيل المعلم الشامل عبر شبكة الإنترنت؛ حيث تم تخريج الدفعة الأولى بنجاح عام 2004م.
- أسس موقعاً على شبكة الإنترنت لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها باللغات: الإنجليزية، والتركية، والأردية، والصينية، والروسية، على مدار 24 ساعة ومجاناً.
- أسس ولأول مرة «المدرسة الصفية الشاملة»، حيث يديرها المعلم الشامل في مناطق عديدة، ويتخرج الطلاب فيها في سن التكليف، وأقام منها نموذجاً في دبي عام 2004 - 2005م.
- أسس نظاماً شاملاً للوقف الغذائي؛ حيث تستثمر الأرض، والمال، والإدارة والتسويق لإنتاج غذاء رخيص عام 2005م.

أسس بنك دبي وهو أول بنك إسلامي في العالم وأوصل الصيرفة الإسلامية لمستويات متقدمة

تكريم وتقدير

ونظراً لهذه الجهود والإنجازات العظيمة والمتنوعة التي قام بها الحاج سعيد لوتاه، حصل على العديد من الجوائز والتقديرات؛





منها جائزة تقديرية عن كتابه الموسوم «لماذا نتعلم» من جمعية المعلمين بدولة الإمارات العربية المتحدة عام 1996م.

كما حصل على لقب رجل الاقتصاد الأول في دولة الإمارات العربية المتحدة عام 1999م، وفي العام نفسه تم منحه درجة الدكتوراه الفخرية من جامعة باركتون في أيوا بالولايات المتحدة الأمريكية.

كما كان، رحمه الله تعالى، عضواً فعالاً في الرابطة البريطانية للتعليم المفتوح بإنجلترا، وتم منحه درجة الدكتوراه الفخرية من الأكاديمية الدولية للمعلوماتية في روسيا بالاتفاق مع هيئة الأمم المتحدة عام 2003م.

وتقديراً لاهتمامه بالعلم والطب والتعليم، ولإنجازاته الرائدة، استحق الحاج سعيد لوتاه الفوز بجائزة الشيخ حمدان بن راشد آل مكتوم للعلوم الطبية عن فئة جائزة حمدان للشخصيات المتميزة في المجال الطبي بدولة الإمارات العربية المتحدة لعامي 2003 - 2004م.

وفاته:

وفي الثامن والعشرين من يونيو الماضي، انتقل الحاج سعيد أحمد آل لوتاه إلى رحمة الله تعالى عن عمر يناهز 97 عاماً بعد معاناة مع المرض.

قالوا عنه:

وبعد وفاته، قام عدد كبير من العلماء والسياسيين والدعاة بنعي الحاج سعيد لوتاه، رحمه الله تعالى، مستذكرين مآثره وأعماله وإنجازاته.

فقد نعاه الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم، نائب رئيس دولة الإمارات، رئيس مجلس الوزراء، قائلاً: «حط رحاله عند ربه اليوم الحاج سعيد أحمد آل لوتاه.. أنشأ أول بنك إسلامي في العالم، وكان تاجراً عصامياً له بصماته في اقتصاد دبي.. له يد طولى في الخير.. وهو أب للكثير من الأيتام.. عرفت فيه عقلاً راجحاً وحكمة وسكينة.. رحمك الله.. وتقبل عملك.. وألهم أهلك الصبر والسلوان».

وفي تغريدة له على موقع «تويتر» نعاه

المذكور: كان أحد كبار رواد الاقتصاد الإسلامي وصاحب الأيادي البيضاء في أعمال البر

المعتوق: رجل بأمة خلَّف سيرة عطرة وبصمات مشهودة في مجالات الخير ستظل شاهدة على إنجازاته ومآثره

د. خالد المذكور، رئيس جمعية الإصلاح الاجتماعي بالكويت، بأنه «كان رجلاً عصامياً محباً لدينه ووطنه، أسس في دبي أول مصرف إسلامي في العالم؛ وهو بنك دبي الإسلامي، كما أنشأ كلية للطب وكلية للصيدلة ومدارس إسلامية كثيرة، وكان متواضعاً زاهداً محباً للبذل والعطاء لنهضة الإسلام».

أما رئيس الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية الكويتية المستشار بالديوان الأميري د. عبدالله المعتوق، فقد وصفه بأنه كان أحد كبار رواد الاقتصاد الإسلامي وصاحب الأيادي البيضاء في أعمال البر والخير.

وقال المعتوق في نعيه للراحل: «إنه رجل بأمة، رحل عن دنيانا بعد مسيرة طويلة وحافلة بشتى صور البذل والعطاء، وخلَّف سيرة عطرة وبصمات مشهودة في مجالات الخير والأعمال الإنسانية والفضاءات الاقتصادية الإسلامية والتعليمية والاجتماعية والدعوية التي ستظل شاهدة على نجاحاته الكبيرة وإنجازاته العظيمة ومآثره النبيلة».

ونوَّه إلى أن الحاج سعيد، رحمه الله، كان صاحب مبادرات خيرية وإنسانية عظيمة، وأن له باعاً كبيراً في خدمة البشرية عبر مشاريع معالجة الفقر والحد من تفشي الأمراض في العديد من الدول.

وأضاف المعتوق أن الراحل من رواد التعليم في العالم الإسلامي، وذكر أن له أعمالاً ومبادرات أخرى جليلة في مجالات الطب ومختبرات الأبحاث الطبية والأبحاث البيئية والأبحاث التقنية والاتصالات الحديثة والدراسات الأكاديمية وعلوم الحاسوب وتقنية المعلومات وغيرها.

أما د. علي القرة داغي، الأمين العام للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، فقد قال عنه: «فقد العالم الإسلامي أحد كبار رواد الاقتصاد الإسلامي الحاج سعيد لوتاه، رحمه الله؛ فقد كان قائماً في خدمة الإسلام وأمته؛ فهو مؤسس أول بنك إسلامي في العالم، وهو بنك دبي الإسلامي عام 1975م، ومؤسس الشركة العربية الإسلامية للتأمين عام 1979م، في وقت طغت الرأسمالية والبنوك الربوية على العالم».■



العنصرية في الغرب.. قوانين برَّاقة وواقع مرير

جاءت حادثة وفاة الأمريكي الأسود «جورج فلويد»، مؤخراً، اختناقاً تحت ساق أحد رجال الشرطة؛ لتثير تساؤلات مهمة حول بعض الأفكار التي تم تدبيجها عن الغرب بصورة عامة، وأمريكا بصورة خاصة، حتى ترسخ في الأذهان أن الحياة هناك تشبه الحياة في المدينة الفاضلة التي كان يحلم بها «أفلاطون».

جاءت هذه الحادثة لتكشف زيف كثير من الادعاءات والصور الذهنية البرَّاقة الخادعة عن هذه الحضارة التي نشأت في الأساس على جماجم شعوب أخرى أبيدت بدم بارد.

ومن المفارقات أن هذه الحضارة تحاول استمداد أسباب بقائها واستمرارها على حساب الطعن في الحضارات الأخرى، وعلى رأسها الحضارة الإسلامية التي قامت في الأساس على منظومة من القيم الفاضلة التي شهد لها أعداؤها وخصومها قبل أبنائها ومحبيها.. كيف لا وهي مستمدة من كتاب رب العالمين الذي يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير، وسُنة نبيّه الأمين الذي جاء بالحنيفية السمحة؛ فانفتحت أمامه القلوب والعقول قبل القلاع والحصون؟!

وفي هذا الملف، تلقي «المجتمع» الضوء على قضية العنصرية في الغرب من خلال النموذج الأمريكي، مع مقارنة ذلك بما جاء به الإسلام من قيم رشيدة وأخلاق حميدة، وذلك من خلال الموضوعات التالية:

- خبراء ومتخصصون: العنصرية في الغرب.. قوانين برَّاقة وواقع مرير.
- المجتمع الأمريكي أبيض وأسود.. والإسلامي يضم كل الألوان.
- عنصرية اللون والمال بالولايات المتحدة الأمريكية.. رؤية إسلامية.

كيف عامل المسلمون عبيدهم؟ شذرات من مؤلفات الرحالة الغربيين.■

خبراء ومتخصصون لـ«المجتمع»:

العنصرية في الغرب..

قوانين برَّاقة وواقع مرير

تحقيق- علا سليمان:

من قال: إن العنصرية في الغرب قد انتهت بعد «مارتن لوثر كينج»، وإن السود هناك لم يعودوا منبوذين، ولم يعد يمارَس ضدهم تمييز أو عنصرية؟!

سؤال يبدو طبيعياً في ظل تلك الطلقات التي تلقاها مشروع المناضل ذي الأصول الأفريقية بعد الطلقة التي أودت بحياته هو، طلقات في جسد حلمه الذي ناضل من أجله حتى اغتيل في أول أبريل 1968م.

فلم يكن «جورج فلويد»، إذن، هو الطلقة الأولى التي حاولت اختراق جسد الحلم «اللوثري»، بل سبقتها طلقات كثيرة جعلت من هذا الحلم مجرد ذكرى، وأضحى معها الغرب وأمريكا على وجه الخصوص تعيش على فوهة بركان ينتظر الانفجار في أي لحظة.

في البداية، سنرصد بعض تلك المحطات في أمريكا على وجه الخصوص، باعتبارها «ترمومتر» يقاس به طبيعة التعاطي مع هذه القضية في العالم الغربي بأكمله.

وبعدها ستطرح «المجتمع» أسئلة يجيب عنها خبراء الاجتماع السياسي، والقانون الدولي، والشريعة الإسلامية، أسئلة من قبيل: هل يمكن تصنيف حادثة «فلويد» على أنها ضمن إطار التمييز العنصري، أم أنها حادثة فردية لا تعبر بحال «على المستوى القانوني» عن هذا النوع من الجرائم؟

وفي المقابل، هل هذه الهَبّة من المجتمع الأمريكي ضد هذه الحادثة تم تغذيتها سياسياً للإيقاع بالرئيس الأمريكي «دونالد ترمب»، أم أنها هَبّة حقوقية حقيقية؟ وبالتالي: هل يمكن أن تكون حادثة «فلويد» مسماراً في نعش الرأسمالية الغربية باعتبارها حاضنة هذه «العنصرية» بعيداً عن التكييف القانوني للمصطلح؟ وهل ستكون أمريكا بعد مقتل «فلويد» هي أمريكا قبله، أم أن الحادثة ستفرض نوعاً من التغيير؟ وما حجمه ومساراته؟ وما السر الذي يجعل كل ترسانة القوانين الأمريكية والغربية وإعلانات حقوق الإنسان فاشلة إلى الآن في احتواء هذه الظاهرة؟

والسؤال الأبرز، في المقابل: هل نجح النموذج الإسلامي في احتواء تلك الظاهرة؟ أو بالأحرى: كيف نجح؟ وما الآليات التي امتلكها هذا النموذج وجعلته قادراً على تحقيق هذا الذي حققه من نجاح يتحاكى به الجميع؟

التكييف القانوني:

البداية مع التكييف القانوني ليكون هو المنطلق الأساسي لتعاطينا مع الحدث على مستوى الفهم والإدراك، ثم على مستوى التعامل والاستشراف لما ستؤول إليه الأحداث.

«هناك فارق بين جرائم التمييز العنصري، وجرائم الفصل العنصري، والجريمتان جرائم ضد الإنسانية لا بد لتحققهما من توافر ركنين أساسيين»، بهذه العبارة بدأ د. أيمن سلامة، أستاذ القانون الدولي العام، حديثه لـ «المجتمع»، مشدداً على أن دوره كفقيه قانوني هو التأصيل بعيداً عن العواطف مع أو ضد في أي حادثة كانت.

وأكد سلامة أن أول هذين الركنين أن تكون تلك الممارسة بصورة ممنهجة ومتواترة ضد جماعة بعينها؛ عرقية كانت أو دينية أو مذهبية أو فكرية، والثاني أن تكون بيد الدولة وصادرة من أدواتها.

وبالنظر إلى حادثة «فلويد»، يرى أستاذ القانون الدولي أنها تخرج من هذا الإطار بداية حتى نستطيع فهم الحدث بصورة قانونية صحيحة، مؤكداً أنها وإن كانت بيد أدوات الدولة وهم رجال الشرطة، إلا أنها غير ممنهجة وغير متواترة ضد السود في عموم أمريكا وبصورة منهجية، فهي لا تعدو كونها حادثة فردية لها أسبابها المجتمعية أيضاً.



واستدرك سلامة: لا بد من النظر إلى الحادثة نظرة أكثر شمولاً، حيث درجت الإدارة الأمريكية في السنوات الأخيرة، واعتباراً من عام 2003م، ومنذ ارتكاب الجنود الأمريكيين لجرائم حرب وجرائم ضد



د. أيمن سلامة:

حادثة «فلويد» تخرج عن إطار جرائم التمييز العنصري فهي مجرد حادثة فردية لها أسبابها المجتمعية

التراخي الأمريكي في معاقبة مرتكبي مثل هذه الجرائم جرَّأ كثيرين داخل الشرطة على تكرارها وبقسوة

الإنسانية سواء في العراق أو في أفغانستان أو في بقاع أخرى، إما على «تفليت» مرتكبي هذه الجرائم بصور كثيرة، منها أن يقوم الرئيس الأمريكي بإعفائهم.

وفضلاً عن ذلك -يتابع سلامة- وفي السنوات الأخيرة أيضاً، ارتُكبت جرائم حرب أو تعذيب أو قتل أو احتجاز تعسفي أو معاملة لا إنسانية أو معاملة مهينة، ضد مواطنين أمريكيين ذوي أصول أفريقية، ونتيجة أن مرتكبي هذه الجرائم بحق الضحايا لم يتم محاكمتهم المحاكمة الناجزة العادلة، ولم يحصل الضحايا وعائلاتهم على الإنصاف والتعويض اللازمين من الدولة الأمريكية؛ فما فتئت الشرطة الأمريكية بين الفينة والفينة على ارتكاب جرائم مماثلة وربما أشد قسوة ولا إنسانية من جريمة «فلويد».

ويرى سلامة أن هذه الجرائم تكاد تكون ظاهرة أمريكية تعتور المجتمع الأمريكي، ولا تستثنى منها المؤسسات التنفيذية والقضائية والتشريعية، ومن ثم وبالنظر إلى تشدق الولايات المتحدة الأمريكية بالديمقراطية وحقوق الإنسان، فلزاماً أن تقوم بدراسة شاملة يقوم بها المتخصصون والمعنيون على مختلف الصُّعد، وخاصة علماء الاجتماع والنفس والعرقيات، ودراسة كيفية استشراف ودرء كافة العوامل والعقبات والبواعث والنوازع التي تشجع الشرطة الأمريكية على عدم اعتبار التشريعات القانونية الأمريكية والتعليمات والتوجيهات التنفيذية الشرطية في التعامل مع المواطنين، سواء كانوا مشتبهاً بهم أو متهمين أو محتجزين.

تغيير ثقافي متدرج

«تغيير الأوضاع المتعلقة بأشكال التمييز العنصري هو في الأصل تغيير ثقافي تعليمي، يؤدي إلى تغيير قانوني وسياسي، فالعملية تدريجية، وليست بزرٍّ يتم الضغط عليه ليحدث تغييراً»، هكذا أكد د. سعيد صادق، أستاذ علم الاجتماع السياسي، في معرض إجابته عن سؤال طرحته «المجتمع»، وهو: هل ستكون حادثة «فلويد» كسابقاتها من الحوادث المصنفة «عنصرية» سرعان ما سيزول أثرها، أم أن أمريكا بعدها لن تكون هي أمريكا قبل الحادثة؟

وللتأكيد على أن التغيير في أمريكا والغرب في موضوع العنصرية هو في الأصل تغيير ثقافي متدرج، عاد أستاذ علم الاجتماع السياسي للتاريخ، قائلاً: عندما ننظر إلى تاريخ أمريكا نجد أن الدستور الأمريكي الذي تم وضعه عام 1788م لم يتم فيه ذكر السود، ولا المرأة تحديداً، فالمرأة والسود لم يكن لهم حق التصويت، وظلت هناك محاولات حثيثة لنيل هذا الحق، حتى عندما ظهرت المؤسسات الأمريكية كالشرطة مثلاً، كان عملها الأساسي يرتكز على ملاحقة العبيد السود الهاربين من مُلّاكهم، وبالتالي فإن تاريخ هذه المؤسسات وثقافتها التي كانت سائدة بداخلها والقوانين التي كانت تعمل بناء عليها كان تاريخاً مُتحيزاً ضد «المُلونين»، و«المُلونون» بالمناسبة هم «African American»، وليسوا الأفارقة المهاجرين في هذه الأيام، وهذا يجب أخذه في الاعتبار.

وتابع صادق أن الأمر كان في بعض الأوقات يرتبط بما يمكن أنْ نسميه المصلحة، ففي الولايات الجنوبية مثلاً كانت هناك رؤية اقتصادية مفادها استمرار العبيد؛ لأنهم عصب مزارع القطن والتبغ، ولكن الولايات الشمالية رفضت؛ بحجة أن ولاياتهم ولايات صناعية لا مكان للعبيد فيها، وهنا هدد الجنوبيون بالانفصال، ويشاء الله أن تحدث الحرب، فتتحرر القوانين، عام 1863م، ويتم النص على تحرير العبيد.

وهنا يستدرك أستاذ علم الاجتماع السياسي قائلاً: لكن الممارسة لم تكن بهذه الصورة، فقد ظهرت حركات في الجنوب

تندد بهذا الأمر، مثل حركة «KKK» التي كانت ترى أنه لا يحق للعبد أن يمشيَ حُرًّ نفسه، لا أمير عليه ولا سيد، فقامت بمذابح ومجازر ضدهم، وكانوا يصلبونهم على الشجر، إلى أن حدث ما يسمى تاريخياً بـ «الهجرة العظيمة»، بين عامي 1916 و1970م، انتقل على إثرها كثيرون من الأمريكيين الأفارقة من الجنوب إلى الشمال بسبب العنف العنصري.

ثقافة مجتمعية

ويخلص صادق من هذه التطوافة التاريخية إلى القول: إنه ليس معنى أن القانون ينص على شيء، أنه يُطبق على أرض الواقع، قلّما تجد من يتبع القانون، فالأمر يحتاج إلى ثقافة مجتمعية يتشربها العقل الجمعي في المجتمع.

ويدلل على ذلك قائلاً: في مصر مثلاً، بوصفها إحدى أكبر الدول العربية، فإن القانون فيها مثلاً لا يمنع المرأة من حق



د. سعيد صادق:

بالنظر إلى تاريخ أمريكا نجد أن الدستور الذي وضع عام 1788م لم يذكر السود ولا المرأة

الولايات الجنوبية حافظت على العبيد بمنطلق اقتصادي لأنهم عصب المزارع لكن الشمالية رفضتهم لنشاطها الصناعي

الترشح لأي منصب، ولكن ثقافياً؛ هل سنقبل بوجود «رئيسة الوزراء»، أو «شيخة الأزهر»؟ الوعي الجمعي لا يتقبل هذا حتى الآن! أنا قمت بوضع قوانين تمنح المرأة حق التعليم، والعمل، والترشح للمناصب العليا في البلاد، ولكن مجتمعياً لا يمكن قبول ذلك.

واستطرد صادق: أيضاً لا بد من التأكيد على أن العنصرية لا تقتصر على اللون، فهناك عنصرية الجنسية؛ فهذا أمريكي وهذا مصري وهذا خليجي وهذا صومالي، وهناك عنصرية الطبقية؛ فهذا غني وهذا فقير، وهناك العنصرية المذهبية بين السُّنة والشيعة والبروتستانت والأرثوذكس، والعنصرية السياسية، وكل تلك الأنواع تعج بها المجتمعات وتحتاج إلى تغيير ثقافي متدرج؛ بحيث تنشأ الأجيال على هذه الفكرة السمحة، ثم يأتي دور القوانين بعد ذلك لتكون عنواناً على تولي الدولة مقاليد الأمور.

واختتم صادق قائلاً: أريد أن أؤكد أن عالمنا العربي والإسلامي مليء بالممارسات العنصرية مختلفة الصور، وربما نظرة واحدة على مواقع التواصل العربية ترى كيف هي العنصرية الفكرية، والسياسية والمذهبية، بل والطبقية في بعض الأحيان، ولذلك فأنا أعجب من أنَّ من يمارسون كل هذه العنصرية ينشغلون بأمريكا وما حدث فيها!

فمشكلتنا هي انشغالنا بغيرنا -المتفوق علينا- وإهمالنا أنفسنا، ونحن أحق بها من أي أحد آخر.

النموذج الإسلامي.. لا مقارنة

«حينما تريد أن تعرف عظمة الإسلام كمنهج قادر على احتواء البشر جميعاً تحت مظلته على اختلاف أعراقهم وألوانهم ولغاتهم؛ فإن عليك أن تدرك أن حقوق الإنسان فيه جزء من الإيمان بالخالق جل وعلا، وأن فكرة الإيمان بالتبعية من أهم الحقوق التي كفلها الإسلام للإنسان»، بهذه العبارة المفتاحية استهل د. محمد أبو ليلة، أستاذ الدراسات الإسلامية باللغة الإنجليزية في جامعة الأزهر، حديثه لـ «المجتمع»، في معرض إجابته عن سؤال حول النموذج الإسلامي ونجاحه في احتواء ظاهرة العنصرية.. كيف نجح؟ وما الآليات التي ساعدته للوصول لهذا الاحتواء؟ تلك الآليات



التي وضعت بلال بن رباح بجانب أبي بكر الصديق، ووضعت صهيب الرومي بجانب عبدالرحمن بن عوف؟

وقال د. أبو ليلة: إن فلسفة حقوق الإنسان في الإسلام تسمو فوق فكرة القوانين والدساتير والإعلانات الحقوقية، تسمو لدرجة أن تكون جزءاً من الاعتقاد، جزءاً من الثقافة الروحية التي يعيش بها المسلم، وفي القرآن والسُّنة آيات كثيرة تؤصل تلك المعاني وتجعل المسلم متشرباً تلك الثقافة بعيداً عن فكرة القوانين ذات المرجعية الأرضية التي فشلت فشلاً ذريعاً في دول كثيرة؛ لأنها لم تستند إلى قاعدة روحية قادرة على دعمها في أوقات المحن.

لكن أستاذ الدراسات الإسلامية يعود فيستدرك ويقول: ليس معنى ذلك أننا ضد هذه الإعلانات أو القوانين، مطلقاً، نحن مع كل ما يدعم التواصل البشري، لكننا نؤكد أن ديننا الحنيف فيه ما ليس في غيره، فهل يمكن قياس إعلان حقوق الإنسان في أثره مثلاً مع خطبة الوداع التي ألقاها نبينا صلى الله عليه وسلم، وهذا المقطع الملهم الذي يقول فيه النبي صلى الله عليه وسلم: «كلكم لآدم وآدم من تراب.. لا فضل لعربي على عجمي ولا لأبيض على أسود ولا لأسود على أبيض إلا بالتقوى والعمل الصالح»؟ هل يمكن أن يقاس مثلاً أي قانون ضد العنصرية في العرب أو أمريكا مع وصية النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه وهم ذاهبون للحرب في غزوة «مؤتة»، أو في سلوك النبي صلى الله عليه وسلم يوم «فتح مكة»؟!

ويتابع: لن أتعرض هنا لسيل من الآيات القرآنية التي تمثل ضمانة أساسية لتلك

الحقوق الإنسانية أيًا كان صاحبها أبيض أو أسود سيداً أو عبداً، ويكفي أنه جعل الاعتقاد فيه سبحانه وتعالى أهم تلك الحقوق حين قال عز وجل: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ (البقرة: 256)، وحين قال: ﴿فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ﴾ (الكهف: 29)، وحين قال مخاطباً نبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ (يونس: 99).

ويرى أبو ليلة أن ما أعطى المنهج الإسلامي تفرداً في مجال حقوق الإنسان، فضلاً عن سبقه فيها، هو أنه حوَّلها من مجال التنظير إلى التطبيق على يد النبي صلى الله عليه وسلم باعتباره القائد والرئيس المقتدى به، وإلا فمن الذي ساوى بين المهاجرين والأنصار في الحقوق والواجبات؟ من الذي جعل إماء المدينة وجواريها في الإسلام كعائشة، وحفصة، وأسماء؟ ومن الذي جعل سعد بن عبادة مساوياً لبلال بن رباح، وعبدالله بن مسعود؟ ومن الذي جعل أبا بكر مساوياً لأقل صحابي نسباً سواء في المدينة أو في مكة؟ رضي الله عنهم جميعاً.

النبي القدوة

ويتابع أبو ليلة: مَنْ الذي طبَّق القانون على الجميع معلناً الصرخة المدوية في أسماع التاريخ: «لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها..»، بعد أن أخبرهم أن هلاك من سبقهم كان بسبب عنصريتهم في تطبيق القوانين على الفقراء والضعفاء وإعفاء ذوي المال والسلطان؟

ويتساءل أستاذ الدراسات الإسلامية: مَنْ الذي حمى حق الحياة للإنسان أياً كان؛ مسلماً أو غير مسلم؟ مَنْ الذي جاء بتشريع يجعل الزكاة فريضة يدفعها الغني ليحمل الفقير ويعينه، ليربط المجتمع كله برباط المحبة، بعيداً عن العنصرية الطبقية التي تتمثل في شعبين مختلفي الهموم؛ شعب في «الكمباوند» وآخر في العشوائيات، والأهم أن هذه الزكاة لا تقف عند المسلمين فقط، بل يمكن أن تدفع لغير المسلم داخل المجتمع الإسلامي، لأهل الكتاب، بل للكفار أنفسهم، لأن حماية حق الحياة لا يرتبط بالدين ولا بالعنصر ولا بالجنس أيًا كان، بل ضمنه الإسلام للجميع؟

وعلى مستوى المرأة، يؤكد أبو ليلة أن الإسلام حمى حقوقها على مستوى النصوص، وعلى مستوى التطبيق، فهناك نصوص تند عن الحصر تؤكد حقوق المرأة، وقد كُتبت فيها مجلدات من المستشرقين أنفسهم، وعلى مستوى التطبيق؛ هناك عصر تتيه به البشرية كلها، كانت المرأة فيه أيقونة التكريم داخل المجتمع المسلم؛ أماً وأختاً وزوجة وبنتاً.



د. محمد أبو ليلة:

فلسفة حقوق الإنسان في الإسلام تسمو فوق فكرة القوانين والدساتير فهي جزء من الاعتقاد والثقافة

من محامد ديننا عدم تشريعه تشريعاً مباشراً ضد الرِّق

ويرى أبو ليلة أن الإسلام لم يقف عند حقوق الإنسان في أوقات الرخاء، بل أكد حقوق الأسرى والمحاربين بطريقة تقف أمامها المحاولات البشرية عاجزة عن الوصول إلى هذا الرقي الذي ضمنه التشريع الإسلامي لهذه الفئات، يكفيك أن تعلم أن النبي نهى أصحابه وتابعيه من بعدهم عن متابعة المنهزم.. لماذا؟ إنها فلسفة أسمى من فكرة النصر والقضاء على الأعداء ذاتها، إنها فلسفة قائمة على فكرة الرغبة في أن ينجو الجميع ويعطى الآبق فرصة تلو فرصة ليتم عرض الإسلام عليه بصورة أكثر وضوحاً؛ لعل الله يكتب له النجاة، فكرة قائمة على الحب والرحمة للبشر.. كل البشر.

الرِّق.. شغب على الإسلام

وعن سؤال حول ما يشغب به البعض على الإسلام من أنه لم يشرع تشريعاً واضحاً ضد جريمة الرِّق، قال أبو ليلة: هذه النقطة على وجه التحديد هي من محامد هذا الدين العظيم، وأحد الدلائل الواضحة على أنه دين إلهي وليس تشريعاً بشرياً.

وأوضح أبو ليلة: في التشريعات الصادرة من البشر هناك محاولة لفرض الرؤى دون اعتبار لطبائع المجتمعات ولا لسنن الكون، وحينما يأتي الإسلام وجريمة الرِّق هي أحد روافد الاقتصاد العالمي، فإنه لا يمكن وهو دين إلهي المصدر أن يكون مصادماً لمصالح الناس حتى لا ينفر منه كثيرون، بل القدرة والإبداع يتجليان في أن تستطيع جعل الناس أنفسهم ينفرون من تلك الظاهرة، ويتركونها دون أن تمارَس عليهم سطوة، وهذا ما حدث.

ويتابع: وهذا ما فعله الإسلام العظيم حين أكد أن الحرية أسمى حق للإنسان في تلك الحياة، بنصوص كثيرة، وممارسة عظيمة للنبي صلى الله عليه وسلم، ثم هذه الوصايا المبثوثة في مصادر الإسلام قرآناً وسُنة بالرقيق، حيث يوصي بهم خيراً وباحترام آدميتهم، ثم هذه السلسلة من التشريعات التي تجعل العتق أحد مكفرات ذنوب كثيرة في القرآن الكريم، ثم التشجيع على التحرير لا على الاستعباد، ووضع مجموعة من الآليات الضامنة لحقوق الرقيق وحقوق من يملكونهم، فأباح للرقيق أن يكاتبوا أسيادهم، وأباح للأسياد أن يحرروهم بعد وفاتهم، إلى آخر تلك الآليات التي أسهمت بالفعل في اختفاء هذه الظاهرة بعد ذلك ولم توجد إلا لظروف سياسية لا علاقة لها بالدين من قريب أو بعيد.

واختتم أبو ليلة قائلاً: ونحن إذ ننتقد المجتمع الغربي على هذه العنصرية المتجذرة، ونفخر بنموذجنا الإسلامي، فإننا ننادي على المسلمين أن يقضوا على العنصرية بينهم بكل صورها؛ سياسية اجتماعية فكرية، ولا بد للمجتمعات الإسلامية أن تطبق قواعد الإسلام، وأهمها «الناس سواسية كأسنان المشط»، فأسوأ أنواع العنصرية في العالم الإسلامي هو ما يتعلق بالعدالة الاجتماعية المفتقدة داخل تلك المجتمعات.■



بطش الشرطة بالسود متجذر في تاريخ أمريكا العنصري

كيشا بي. بلين (*)

المصدر: «Washington post»

اندلعت الاحتجاجات في مدينة مينيابوليس بعد قتل الشرطة للمواطن الأمريكي من أصل أفريقي «جورج فلويد»، الأسود البالغ من العمر 46 عاماً، وأظهر مقطع الفيديو الذي تم تداوله على نطاق واسع يوم القبض على الضحية ضابط شرطة أبيض يضغط بركبته في عنق «فلويد».

ويذكرنا قتل «فلويد» بذكرى قتل شرطة نيويورك «إريك جارنر»، وهو يئن مردداً: «لا أستطيع التنفس»، بينما يتجاهل الضابط أنينه وتوسلاته، وجاء مقتل «فلويد» بعد شهرين من قيام ضابط شرطة في لويزفيل بإطلاق النار على «بروناتايلور»، وهي مسعفة تبلغ من العمر 26 عاماً، خلال اقتحام شقتها.

قُدِّر على السود مواجهة تهديد بطش الشرطة مع تهديد «كورونا» المنتشر في مجتمعاتهم بشكل أكبر من البيض

في بداية القرن العشرين ظهر الإعدام الوحشي للسيطرة على حركات السود بتأييد من الشرطة

بينما يدمر فيروس «كورونا» مجتمعات السود بمعدل أعلى، بشكل غير متناسب، من المجموعات العرقية الأخرى، قُدِّر على هؤلاء السود أن يواصلوا مواجهة تهديد آخر؛ هو بطش الشرطة، والمشكلتان ناتجتان عن عنصرية هيكلية مؤسسية منتشرة في الولايات المتحدة، ولكن معضلة بطش الشرطة متجذرة بعمق في نسيج الحياة الأمريكية تتجاوز خطر جائحة «كورونا».

وجاء مقتل كل من «فلويد»، و«تايلور» بعد نمط مأساوي من العنف العنصري الذي تقره الدولة، وهذا للأسف هو الذي شكل التاريخ الأمريكي لقرون؛ ففي حقبة العبودية كانت حياة السود تقيَّد بأنواع من الأغلال من قبل مجموعات منظمة من البيض الذين كانوا يقومون بحراسة الرقيق المستعبدين.

الرموز السوداء

وفي أعقاب الحرب الأهلية، أدى ظهور ما يسمى بـ «الرموز السوداء» إلى الحد من حقوق السود وحركتهم، وتشجيع قوات الشرطة الناشئة آنذاك، وجماعات اليقظة البيضاء، على القيام بأعمال عنيفة وشائنة تحت ستار القانون والنظام.

وتم في جميع أنحاء البلاد استهداف السود من قبل قوات الشرطة، والقبض عليهم بمعدلات أعلى من نظرائهم البيض، وفي الولايات الجنوبية ظلوا محاصرين في نظام من القيود التي تعكس تاريخاً من الاسترقاق والعبودية.

وفي بداية القرن العشرين، ظهرت عمليات الإعدام الوحشي كتكتيك آخر للسيطرة على حياة وحركات السود؛ فأيدت قوات الشرطة العنصرية عنف الغوغاء البيض بدلاً من تحديه وتحجيمه، وكما لاحظت الناشطة المناهضة للإبادة الجماعية «إيدا بي.ويلز-بارنيت» على موقع «السجل الأحمر»، فإن عمليات إعدام الأمريكيين السود لم يتم التخطيط لها مسبقاً فحسب، بل كانت تحظى بدعم كامل من الشرطة المحلية.

وفي كثير من الأحيان، كانت الشرطة تشارك الغوغاء البيض في مهاجمة السود رجالاً ونساء، وهناك آخرون من الشرطة كانوا متواطئين يعملون على حماية مصالح

(*) أستاذة مشاركة في التاريخ بجامعة بيتسبرج، ومؤلفة كتاب «أحرقوا العالم: نضال الأمريكيات السود من أجل الحرية» الحائز على عدة جوائز.

الجناة البيض لضمان ألا يواجهوا عواقب أعمالهم العنيفة، ونتيجة لذلك تم إعدام الآلاف من السود بجميع أنحاء البلاد في محاكمات صورية.

ولقد نددت «ويلز بارنيت» وآخرون بهذا العنف الذي تمارسه الشرطة، ورغم ذلك استمر العنف؛ فخلال الصيف الأحمر لعام 1919م، اندلع العنف والانتفاضات العرقية المكثفة في أكثر من 12 مدينة بجميع أنحاء أمريكا؛ بسبب حادثة قتل عنصرية بشعة في شيكاغو، قُتل فيها «يوجين ويليامز»، وهو مراهق أمريكي من أصل أفريقي، في 27 يوليو 1919م، عندما تجرأ على السباحة في قسم «البيض فقط» في بحيرة ميتشجان!

وأثار موت «ويليامز» الوحشي بسبب تحدي ممارسات الفصل العنصري غير الرسمية على شواطئ شيكاغو، ورفض الشرطة اعتقال أي من قتلة «ويليامز» في مكان الحادث.. أثار أسبوعاً من الانتفاضات العنيفة في المدينة، وعندما انتهت «أعمال الشغب العرقية» في أغسطس 1919م، كان 15 من البيض و23 من السود قد قتلوا، وأصيب أكثر من 500 شخص، وفقدت آلاف العائلات السوداء منازلها.

وكلما اكتسبت حركة الحقوق المدنية زخماً جديداً؛ زاد استهداف النشطاء من قبل الشرطة المحلية التي تعمل جنباً إلى جنب مع المدنيين البيض لمنع السود من الحصول على الحقوق المدنية والسياسية، وقد لاحظ «لانجستون هيوز» أن الزنجي ليس له صوت، وأن الشرطة تعامله بوحشية، وجل المواطنين يعتقدون أن مثل هذه الديمقراطية الطبقية يجب إصلاحها.

جذور عنصرية

كشفت صور الشرطة التي تهاجم النشطاء السود خلال حملة برمنجهام عام 1963م، ومسيرات «سيلما» إلى «مونتجمري» عام 1965م، الجذور العنصرية للشرطة الأمريكية، وكيف استهدفت هذه الممارسات الرجال والنساء والأطفال، وكذلك فعلت التطورات المحلية في مينيابوليس خلال الستينيات.

ومثلما حدث في الانتفاضات الأخيرة رداً على مقتل «فلويد»، اشتبك السكان السود في المدينة مع الشرطة المحلية في صيف عام 1967م، وحسب روايات عديدة، اندلعت انتفاضات -أسفرت عن تدمير منازل وشركات- بسبب التوترات بين السكان المحليين وضباط والشرطة المقيمين في تلك المناطق.

وقد أدى تهديد قوات الشرطة المستمر لحياة الأمريكيين السود -بدلاً من حمايتهم- إلى قيام زعيم الحقوق المدنية «مارتن لوثر كنج» الابن بحملة لمواجهة هذه القضية خلال خطابه الشهير «لديَّ حلم»، في مارس 1963م بواشنطن، الذي قال فيه: «هناك من يسأل كل من يؤيد الحقوق المدنية: متى ستشعر بالرضا؟ لا يمكن أن نكون راضين أبداً ما دام الزنجي ضحية لأهوال ووحشية الشرطة التي لا توصف».

وبحلول الثمانينيات والتسعينيات من القرن الماضي، كان من الواضح أن حلم «كنج» بأمة بدون بطش ووحشية من قبل الشرطة لم يتحقق؛ فمن بين ضحايا تجاوزات الشرطة البارزة في مدينة نيويورك فقط: «مايكل ستيوارت» (1983م)، «إليانور بومبورز» (1984م)، «مايكل جريفيث» (1986م)، «إدموند بيري» (1985م)، «إيفون سمالوود» (1987م)، «أبنر لويما» (1997م)، «أمادو ديالو» (1999م)، بالإضافة إلى ضرب الشرطة العنيف لـ «رودني كنج» في لوس أنجلوس عام 1991م، وهذا يدل على ارتباط جذور وحشية الشرطة الأمريكية بعنصرية هيكلية مؤسساتية، وغالباً ما يتم القبض على السود وإطلاق النار عليهم من قبل رجال الشرطة بشكلٍ قاتل أكثر من نظرائهم من البيض، ونادراً ما يتم اتهام ضباط الشرطة بقتل السود غير المسلحين.

«لوثر كنج»: لا يمكن أن نكون راضين أبداً ما دام الزنجي ضحيـة لوحشية الشرطة التي لا توصف

رغم المكاسب السياسية لحركة الحقوق المدنية فإن السود ما زالوا يُعامَلون كمواطنين من الدرجة الثانية



كل هذه الحقائق تشير إلى أنه على الرغم من المكاسب السياسية لحركة الحقوق المدنية، لا يزال السود يُعامَلون كمواطنين من الدرجة الثانية في الولايات المتحدة؛ فالأمريكيون السود اليوم يموتون على أيدي الشرطة بمعدل يكاد يكون معادلاً لعدد عمليات القتل الجماعي الموثقة قبل قرن من الزمان.

وكما كشف تقرير صدر عام 2019م، فإن عنف الشرطة هو الآن أحد الأسباب الرئيسة لوفاة السود في الولايات المتحدة، وكما يوضح تقرير «اذكر اسمها» للمنتدى السياسي الأمريكي الأفريقي، فإن النساء والفتيات السود معرضات أيضاً لعنف الشرطة ووحشيتها.

وقد أخرجت الانتفاضات الأخيرة في مينيابوليس إلى السطح استمرار عنف الشرطة في مجتمعات السود، والحاجة الملحة إلى سياسات تتبناها الولايات وسياسات فيدرالية تحمي المواطنين السود، وتتضمن مقاضاة ومعاقبة ضباط الشرطة جنائياً، وكما تقول الصحفية الاستقصائية «بيرنت» عام 1909م: «لنتولَّ العمل معاً لتطبيق القانون، وجعله هو الأعلى والأكثر فعالية على كل شبر من الأراضي الأمريكية؛ درعاً للأبرياء، وعقاباً رادعاً ومؤكداً وسريعاً للمذنبين».■

المجتمع الأمريكي أبيض و أسود.. والإسلامي يضم كل الألوان

روضة علي عبدالغفار
صحفية وكاتبة

تعد مشكلة التجانس الاجتماعي إحدى أكبر المشكلات التي تواجه المجتمعات، خاصة إذا أدت إلى العنصرية والعصبية، ويقصد بالتجانس الاجتماعي التوافق والانسجام بين أفراد المجتمع بسبب وجود مصلحة واحدة تجمع الأطراف كلها، أو وجود فكرة توحد الجهود، فيعمل الجميع بيد واحدة وجهد واحد، ويمكن أن يكون المجتمع متعدد الأعراق والثقافات ولكنه متجانس، بمعنى أنهم يتوافقون ولا يتصادمون، ويتمتع كلٌّ منهم بمساحة من الحرية.

يمثل عدم التجانس الاجتماعي عائقاً أمام استقرار الدولة، وإن حققت تقدماً على المستوى الاقتصادي، فسوف تظل مشكلة الحفاظ على التجانس العرقي قائمة، وإذا كانت غالبية الأعراق مستعدة لبذل تضحيات من أجل عدم إثارة التوتر، يظل في كل عرق عدد من المتطرفين الذين يريدون أن يعملوا من أجل عِرقهم فقط، ولو أدى ذلك للصدام والعنف، وتفضي هذه المشكلات الاجتماعية بدورها إلى الصراع السياسي أو الدموي، فَتَحُول بين الدولة وتحقيق الاستقرار الذي يتمثل بمدى التجانس والتآزر الذي يميز مجتمع الدولة.

نتعرض هنا لمقارنةٍ بين المجتمع الغربي، ونأخذ أمريكا مثالاً، والمجتمع العربي والإسلامي، من خلال مدى تجانس وتضافر المجتمع ودوره في قيام وثبات الحضارة.

ثمة أسطورة إعلامية تقول: إن الولايات المتحدة تمكنت من إنهاء مشكلة العنصرية، لكن الأحداث الأخيرة في أمريكا تثبت عكس ذلك؛ حيث كشفت حادثة مقتل «جورج فلويد» عن أزمة تعانيها الولايات المتحدة منذ قرون، وأنها لم تنجح بعد في تجاوز التاريخ المرير للعبودية والتمييز العنصري في الممارسة العملية والثقافة السائدة في مؤسسات تطبيق القانون.

حادثة «فلويد» كشفت عن أزمة تعانيها أمريكا منذ قرون وأنها فشلت في تجاوز التاريخ المرير للعبودية والتمييز العنصري

مشكلات مجتمع السود تتجاوز التهميش والعنصرية إلى ظواهر أخرى أبرزها الفقر وعدم الأمان

ويصعب تحديد التقسيم العرقي الدقيق للولايات المتحدة الأمريكية؛ نظراً لأن غالبية الأمريكيين ينتمون إلى مجموعة متنوعة من الخلفيات العرقية، فهناك السكان الأصليون أو «الهنود الأمريكيون»؛ وهم الأفراد الذين كان أسلافهم السكان الأوائل للأرض، ثم جاءت الأجناس الأخرى بالهجرة إلى الولايات المتحدة -بعد اكتشافها من قبل الأوروبيين- من إنجلترا ودول أوروبية أخرى بشكل رئيس، ثم من أمريكا اللاتينية وآسيا، وكانت الدول الخمس التي ساهمت بأكبر عدد من المهاجرين إلى أمريكا، هي: المكسيك والهند والصين والفلبين وكوبا.

ونظراً لهذا التنوع من الناحية العرقية، اختلفت بطبيعة الحال أشكال البشر وألوانهم، وتنوعت المعتقدات والممارسات الدينية واللغات واللهجات، ومع عدم وجود مظلة تنصهر تحتها هذه الأعراق المتباينة حدث عدم الاستقرار الاجتماعي؛ فنجد حالة من التنافر بين أفراد المجتمع، قد تصل إلى حد ارتكاب الجرائم بسبب اختلاف العِرق.

وتحظى أمريكا بتاريخ عريض من العنصرية نتيجة عدم التجانس الاجتماعي، من خلال تعرض الأمريكيين من الأصل الأفريقي للعنصرية في مختلف مناحي الحياة، ورغم تبني القانون الذي يُجرّم التمييز العنصري، فإن السود في الولايات المتحدة ظلوا في وضع اجتماعي متدنٍّ بالنظر إلى أوضاعهم الاجتماعية في أسفل الهرم وضعف التأهيل.

ولا تقتصر مشكلات مجتمع السود الذي يشكل حوالي 13% من سكان الولايات المتحدة على التهميش والعنصرية فقط، وإنما يعاني من عدة ظواهر أيضاً، أبرزها الفقر وعدم الأمان، إذ يعيش 24.7% من السود تحت خط الفقر.

كما أن الاستهداف المنهج في تعامل الشرطة مع السود يجعلهم غير آمنين في بلدهم؛ فوفقاً لاستبيان «التمييز في أمريكا» الذي أجرته مؤسسة «الإذاعة الوطنية العامة»، خلال عام 2017م، قتلت الشرطة الأمريكية 1147 أمريكياً، من بينهم 25% من الأمريكيين من أصل أفريقي، حتى إن آباء الأطفال السود لا يثقون أن الشرطة لن تتعرض لأولادهم بالعنف، وتحاول هذه العائلات تجنب الاحتكاك بين أولادها والشرطة، مما يفضح هشاشة المجتمع في تلك البلاد، وعجز السلطة أن تسد الثغرات الراسخة في بنية مجتمعها.

هذا الوضع جعل أمريكا مهددة بالاحتجاجات وأحداث العنف الناتجة عن العنصرية، ولا تكاد حادثة تهدأ حتى تثور أخرى، وما خفي كان أعظم، ففي عام 1991م



ضجت الولايات المتحدة بالاحتجاجات وأعمال الشغب بعد تبرئة المحاكم الأمريكية لضباط شرطة لوس أنجلوس الذين أبرحوا مواطناً أسود ضرباً دون وجه حق، وفي ولاية فلوريدا، عام 1996م، قامت احتجاجات واسعة إثر مقتل شاب أسود غير مسلح على يد الشرطة الأمريكية، وفي عام 2016م أثار حادث مقتل رجل أسود على يد الشرطة الأمريكية غضباً شعبياً دفع عشرات إلى التجمهر، وما لبث أن تطور الأمر إلى أحداث شغب وعنف وإحراق للمتاجر والمحلات.

وفي حين يتصاعد هذا الخطاب العنصري ضد ذوي الأصول الأفريقية في الولايات المتحدة، يتراجع بريق هذا المجتمع الذي كان جاذباً ومصدراً لآمال وإلهام كثيرين حول العالم، ويزداد الغموض حول شكل المستقبل، وحول قدرة هذا المجتمع الذي يملك الكثير من عوامل القوة والحيوية، ولكنه لا يستطيع أن يقدم نموذج القيادة الخلاقة، بسبب عدم التجانس الاجتماعي.

دعائم الحضارة الإسلامية

وهنا نتطرق لثبات الحضارة الإسلامية ورسوخها، النابع من التجانس الاجتماعي للعرب من جهة -وهم نواة انتشار الإسلام- ومن تعاليم الدين الإسلامي التي صهرت الأعراق تحت مظلة واحدة، من جهة أخرى.

تميز المجتمع العربي بعدة ثوابت ساهمت في جعله أمة واحدة، وهي البعد الجغرافي واللسان الواحد والمظلة الدينية الواحدة؛ وهو ما أنتج مجتمعاً عربياً متكاملاً اجتماعياً وسياسياً، فالبيئة العربية كانت -وما زالت- بها عرقيات أخرى، ولكن ذلك لم يقف حائلاً أمام التقائهم جميعاً ببعض، خاصة إذا كان الجميع سكان وطن واحد، فالمهم هو إحساس الجميع بأن لهم مصيراً واحداً في ظل ثقافة واحدة، وفي ظل التجانس والتوافق في المعايشة وتبادل المصالح والتعاون المثمر البنَّاء، وهذه القناعات كانت أساساً راسخاً لبناء المجتمع القوي، والإنسان المعافى جسماً وعقلاً ونفساً بغض النظر عن عرقه.

البعد الجغرافي واللسان الواحد والمظلة الدينية الواحدة أنتجت مجتمعاً عربياً متكاملاً اجتماعياً وسياسياً

العرب كان ينقصهم الفكرة الخلاقة التي توحّد قلوبهم وعقولهم بعد أن وحدت اللغة ألسنتهم حتى جاءهم الإسلام

ولا ريب أن حقيقة وحدة المنشأ الحضاري والتاريخي (اجتماعياً وسياسياً)، ووحدة المصير، من عوامل ثبات المجتمع العربي، لكن ما كان ينقص العرب هو الفكرة الخلاقة، التي توحِّد قلوبهم وعقولهم بعد أن وحَّدت اللغة ألسنتهم، وهكذا كان الإسلام؛ حيث اهتم بوحدة المجتمع كنواة لقيام الحضارة، وقد وضح ذلك في إعلان وحدة النوع الإنساني، رغم تنوع أعراقه ومنابته ومواطنه، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحجرات: 13)، وتم ترسيخ قيم الحق والخير والعدل والمساواة بين الناس جميعاً، دون النظر إلى ألوانهم أو أجناسهم، فلا يؤمن بنظرية التفوق العنصري أو الاستعلاء الجنسي.

وبعد إعلان وحدة النوع الإنساني لتثبيت المجتمع، وحَّدت الحضارة الإسلامية مصدر الأخلاق، وهو الوحي، لتكون قيماً ثابتة تصلح لكل إنسان بصرف النظر عن جنسه وزمانه ومكانه ونوعه، وذلك بعكس مصدر الأخلاق النظرية التي هي نتاج العقل البشري التي تتغير من مجتمع لآخر، وهكذا تُقدِّم الحضارة الإسلامية نموذجاً فريداً في تثبيت قاعدة المجتمع وصهره تحت مظلة واحدة.

وبعد انصهار الأعراق والأجناس المختلفة تحت مظلة الإسلام، لم ينسَ الإسلام حقوق الأقليات غير المسلمة ليضمن استقرار المجتمع، فكفل لهم حرية الاعتقاد، وسنَّ لهم ما يحافظ على حياتهم، وحذَّر من ظلمهم أو انتقاص حقوقهم، وحرَّم أخذ أموالهم أو الاستيلاء عليها بغير وجه حق، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا من ظَلَمَ معاهَداً، أو انتقصَه أو كلَّفه فوقَ طاقته أو أخذَ منهُ شيئاً بغير طيب نفس، فأنا خَصمهُ يومَ القيامة»، وهذه أسس لم تعرفها البشرية قبل الإسلام، واليوم تتطلع إلى تحقيقها المجتمعات الحديثة، فلا تكاد تصل إليها بسبب العصبية والعنصرية.

هذه الخصائص الاجتماعية التي تتفرد بها الحضارة الإسلامية تكتسب طابع الديمومة والاستمرار، وتضفي على الحضارة رسوخاً وثباتاً حتى في فترات الضعف، وهذا هو سر قوة المجتمعات الإسلامية بالمقارنة بالمجتمعات الغربية.

وعلى الجانبين، هنا مجتمع يدعي الحضارة وما هو بمتحضر؛ يبلغ أقصى درجات التقدم الاقتصادي، ولكنه مهدد دائماً بالانهيار بسبب الصراعات العنصرية، وهنا مجتمع راسخ قوي مترابط ذو حضارة عريقة، لا ينقصه سوى إدراك قوته، وأن التوافق والتجانس والالتقاء ضروري لبقائه، في زمن لا مكان فيه للضعفاء والمتفرقين الذين تشق صفوفهم النعرات العنصرية والعرقية، فهل يدرك المجتمع العربي الإسلامي صلابة تكوينه التي تؤهله لقيادة الأمم بجدارة؛ وينطلق ليبني حضارته من جديد؟! ■

فاطمة عبدالرؤوف
كاتبة متخصصة بقضايا المرأة والمجتمع



أمريكا والمرأة السوداء..
السراب الخادع

يبدو الحلم الأمريكي كسراب بعيد للمرأة الأمريكية ذات الأصل الأفريقي؛ فكل ما تردد على أذنيها عن أرض الأحلام حيث المساواة بغض النظر عن الجنس واللون والدين والأصل ومكان المولد.. عن الفرص المتكافئة والعدالة الاجتماعية.. عن أحلام الثراء ومجتمع الوفرة واحترام حقوق الإنسان.. ذلك الحلم الذي داعب خيال ملايين البسطاء حول العالم.. الحلم في أرض تشبه الفردوس الأرضي متجاوزة مظالم التاريخ وأخطاء الحضارات حيث تتحقق للإنسان إنسانيته لم يكن إلا وهماً كبيراً وفكرة مزيفة نالت من الدعاية أكثر مما تستحق وتكسرت على أرض الواقع.

ببساطة، كانت المرأة السوداء أكثر من اكتشف هشاشة هذا الحلم وزيفه؛ فأن يكون الإنسان امرأة في المجتمع الأمريكي يعني أن يكون مجرد ترس صغير في آلة عمل الرأسمالية المتوحشة بلا حرية مطلقاً في اتخاذ قالب آخر للحياة.

مشكلة المرأة في أمريكا تتجاوز عدم المساواة في الأجور أو التحرش في أماكن العمل؛ فالفلسفة البرجماتية أفرزت بنىً ثقافية ومجتمعية لا تدعم المرأة وتحرمها كثيراً من الحقوق الطبيعية، وما مشكلات الأم العازبة إلا نموذج لهذه الضغوط التي تعانيها المرأة هناك.

وعلى الرغم من كل القوانين والمواثيق التي تساوي بين المرأة والرجل، فإن الواقع يشهد بغير ذلك، يكفي في هذا الصدد أن نذكر ما قاله الرئيس الأمريكي «دونالد ترمب» عن النساء ذات مرة بأنهن حيوانات مقززة وخنازير وقاذورات، وتحدث أكثر من مرة عن علاقة المرأة بدورة المياه بألفاظ عامية سوقية، وأشار بسخرية إلى موضوع العادة الشهرية، وفي أحد تصريحاته يقول: «لا يهم ما يكتبونه، المهم أن لديهن وجهاً جميلاً و... أجمل»! ويقول أيضاً: «عليك أن تعامل المرأة بحقارة»!

«ترمب» لا يمثل استثناء في المجتمع الأمريكي؛ فكثير من الرجال الذين انتخبوه يشاركونه نفس الأفكار والقيم إن لم يكن نفس الألفاظ، وهذه هي القيمة الحقيقية للمرأة عندهم لا تلك التي يتم الترويج لها في الخارج.

على أن الأمر يتجاوز القيم والأفكار والكلام المسيء؛ حيث تشير بعض الإحصاءات إلى أنه من بين كل خمس سيدات أمريكيات تتعرض أربع منهن للعنف المنزلي، وفي كل عام تتعرض ما يقرب من خمسة ملايين امرأة أمريكية للضرب والتعنيف من قبل شريك حياتها، وما لا يقل عن ثلاث سيدات يتم قتلهن على يد الزوج أو الشريك.

عنصرية تقاطعية

إذا كنتِ امرأة، وإذا كنتِ سوداء أيضاً، فهنا يتقاطعُ التمييز والعنصريةِ ضدكِ!

أما إذا كنت امرأة وكنت سوداءَ وكنت مسلمة؛ فهنا يجتمع عليك الاضطهاد بسبب الجنس والاضطهاد بسبب الأصول ولون البشرة، والاضطهاد بسبب الدين بحيث تبدو الفرصة شحيحة في النجاة من التعصب والعنصرية خاصة في بعض الولايات، حتى عندما تصل امرأة سوداء مسلمة إلى أن تكون عضواً في الكونجرس الأمريكي -أعلى جهة تشريعية في البلاد- فإنها لا تنجو من هذه العنصرية، هذا بالضبط ما حدث مع إلهان عمر، عضو الكونجرس الأمريكي المسلمة المهاجرة ذات الأصول الصومالية، حيث هددها أحدهم بقوله: «سأضع رصاصة في جمجمتها أو أنسفها بقنبلة.. إنها إرهابية»!

وقال عنها «ترمب»: «من الغريب أن نرى الآن عضوات الكونجرس الديمقراطيات «التقدميات» اللائي جئن أصلًا من بلدان

الفلسفة البرجماتية بأمريكا أفرزت بنىً ثقافية ومجتمعية لا تدعم المرأة وتحرمها كثيراً من الحقوق الطبيعية

من بين كل 5 سيدات أمريكيات تتعرض 4 منهن للعنف المنزلي و5 ملايين للضرب سنوياً

تعتبر حكوماتها كارثة كاملة وشاملة والأسوأ والأكثر فساداً وغير الكفؤة في أي مكان في العالم، وفي الوقت نفسه يخبرن شعب الولايات المتحدة «أعظم وأقوى أمة على وجه الأرض» بشراسة كيف تتم إدارة حكومتنا»!

بل ذهب أبعد من ذلك، حيث ألمح إلى طردها وعودتها من حيث أتت؛ «لماذا لا يعودن ويساعدن في إصلاح الأماكن المنهارة تماماً والمليئة بالجريمة التي أتين منها ثم يعودن ليوضحن لنا كيف تم ذلك؟»، وأخذ مؤيدوه يهتفون بصخب: «أعيدوها من حيث أتت»!

الأسرة السوداء

على أن العنصرية التي تواجهها مثل إلهان عمر تبدو أبسط بكثير من تلك التي تعانيها المرأة السوداء العادية البسيطة هي وأسرتها، فإذا كان عدد السود 42 مليون نسمة؛ أي 13% من إجمالي عدد السكان، فإنهم يمثلون 40% من أعداد المسجونين، و26% من حالات الإصابة بفيروس «كورونا»، و23% من الوفيات.

ويعاني 25% منهم من الحياة تحت خط الفقر، وفي ظلال جائحة «كورونا» تعقدت المشكلة الاقتصادية أكثر في الأسر السوداء؛ حيث فقدت 44% من الأسر وظيفة لأحد أفرادها، أو تم تخفيض راتبه، ولم يستطع 73% منهم الحصول على أي مساعدات مادية.

وكانت نتيجة هذا كله أن هناك 12 مليون طفل أمريكي أسود يعيش تحت خط الفقر يعاني من نقص الخدمات الأساسية في التعليم والصحة.

وهناك أسر تعيش حالة من التشرد، حيث يشكل السود النسبة الأكبر من المشردين الذين يتجاوز عددهم أكثر من نصف مليون شخص (عدد الشقق الشاغرة 5 أضعاف هذا العدد)، وهناك عدد كبير منهم من النساء والأطفال، وتشير بعض التقارير إلى أن نسبة النساء المشردات تمثل 40% من المشردين، واحتمال تعرضهن للمخاطر التي قد تصل للموت أو القتل مضاعفة، خاصة إذا أضفنا لذلك القسوة الرهيبة الممنهجة التي تتعامل بها الشرطة مع النساء السود، ولعل ما حدث مع مارلين بينوك المشردة المسنة السوداء التي انهال عليها أحد أفراد الشرطة بالضرب العنيف المبرح حتى أوقعها أرضاً، ثم جثا فوقها وأخذ يضرب رأسها بالأرض؛ نموذج بالغ الوضوح على الوحشية التي تنتهجها الشرطة حتى لو كانت الضحية سيدة تجاوزت الخمسين عاماً.

ومن المشكلات القاسية التي تواجهها الأسرة السوداء مشكلة الأطفال الذين يعيشون مع الأم الوحيدة التي لا تتمتع بالدعم الكافي، وما ينتج عن ذلك من مشكلات مادية ونفسية واجتماعية، فإذا كان 75% من جميع الأطفال البيض الذين تقل أعمارهم عن 18 عاماً يعيشون مع الوالدين، فإن أقل من 40% من الأطفال السود من يتمتع بأسرة طبيعية مع والديه، بينما يعيش أكثر من ثلث الأطفال السود في الولايات المتحدة تحت سن 18 عاماً مع أمهات غير متزوجات، مقارنة بـ6.5% من الأطفال البيض، والواقع يشهد أنه لا تُقدَّم لهؤلاء الأمهات صور الدعم التي تلقاها النساء البيض سواء من الناحية الاقتصادية أو الصحية أو الثقافية، بل هناك اتجاه متزايد لسحب الإعانات؛ في حالة من تكريس العنصرية في ظل توجه عام معاد لها حتى إنه كثيراً ما توصم الأم السوداء الوحيدة بالشيطنة.

السود رغم قلة أعدادهم بأمريكا يمثلون 40% من أعداد المسجونين و26% من المصابين بـ«كورونا» و23% من الوفيات

المرأة السوداء بأمريكا لن تنقذها حزمة القوانين ما دامت عقلية اليمين المتطرف هي المهيمنة على المشهد

على أنه لا يمكن أن نفهم كل صور العنصرية والاضطهاد التي تلقاها النساء السوداوات في اللحظة الراهنة دون النظر إلى ماض ليس ببعيد، ولكنه حاضر وبشدة، بل لعله لا يزال ساخناً طازجاً في الوعي الجمعي الغربي؛ فالمجتمع الأبيض ما زال منبهراً بـ «سكارلت» (بطلة رواية «ذهب مع الريح» للمؤلفة الأمريكية الشهيرة مرجريت ميتشل التي تحولت لفيلم من أهم وأشهر الأفلام الأمريكية وأعلاها إيراداً وأكثرها تأثيراً)؛ حيث تقول عن رائحة العبيد: «ولم تكد القطعة المقضومة تبلغ معدتها الفارغة المهتاجة حتى استلقت سكارلت على التراب تتقيأ بعناء، وزادت الرائحة الخفيفة المنبعثة من غرف الزنوج في اشمئزاز نفسها فاستمرت تتقيأ في صورة مزرية».

وكانت شخصية «مامي» -في الرواية نفسها- تلك السيدة السوداء السمينة التي لم نعرف اسمها أبداً هي النموذج المثالي للنساء السود -في البنية العقلية للبيض العنصريين- فهي تابعة مخلصة لسيدتها حتى بعد أن تحررت ترفض أن تتركها، وحتى عندما كرمت الممثلة السوداء التي أدت دور «مامي» بعد حصولها على جائزة «أوسكار» لأفضل ممثلة مساعدة رفضوا أن تجلس معهم في القاعة نفسها، ووضعوا لها طاولة بعيدة عن السادة البيض.. هذا الفيلم مجرد نموذج للذاكرة الجمعية الغربية التي تأصلت فيها العنصرية.

أما الذاكرة الجمعية للنساء السوداوات فهي مليئة بالجراح النازفة، وهل يمكن أن ينسين ما قام به طبيب النساء الشهير جيمس ماريون سيمز -الذي يطلق عليه «أبو علم طب النساء الحديث»- الذي قام بعمل تجارب لعمليات جراحية نسائية جديدة على نساء مستعبدات من ذوات البشرة السوداء دون أن يكلف نفسه عناء التخدير؛ لأنه كان يزعم أن النساء السوداوات لا يشعرن بالألم وكأنهن لا ينتمين للجنس البشري! وقد صورت إحدى اللوحات الفنية الطبيب وهو يقف قبالة المرأة السوداء الجاثية باستسلام وإذعان وهو يرمقها بنظرة بالغة البرود، وقد أمسك بإحدى يديه إحدى أدوات الجراحة، بينما تراقب نساء سوداوات أخريات من خلف الستار ما يحدث وما سيتعرضن له لاحقاً.

يمكننا إذن القول: إن المرأة السوداء في أمريكا لن تنقذها حزمة القوانين والمواثيق ما دامت العقلية العنصرية التي يزكيها اليمين المتطرف هي المهيمنة على المشهد، وظلت الثقافة التي لا تحترم قيمتها الإنسانية هي المسيطرة على الشارع.■

عنصرية اللون والمال بالولايات المتحدة الأمريكية.. رؤيـة إسلاميـة



د. أشرف دوابه
أستاذ التمويل والاقتصاد بجامعة إسطنبول صباح زعيم

في القرن الحادي والعشرين الذي ما زالت ترفع فيه الدول الغربية شعارات الحرية والإخاء والمساواة، يعيش العالم هذه الأيام على وقع العنصرية البغيضة التي أبرزها أمام العالم مقتل الشاب الأمريكي الأسود من أصول أفريقية «جورج فلويد» في مدينة مينيابوليس الأمريكية، بعد ضغط ضابط شرطة بركبته على رقبته، وهو يستغيث أن يتركه يتنفس، ولكنه لم يتركه إلا جثة هامدة.



جاءت جريمة مقتل «فلويد» بعد 3 أشهر من مقتل شاب أسود آخر وهو «أحمد أربيري» في ولاية جورجيا، أثناء ممارسته رياضة الجري، على يد رجل وابنه من ذوي البشرة البيضاء، وقد دفع مقتل «جورج فلويد» إلى اندلاع احتجاجات كبيرة في أنحاء الولايات المتحدة، ترفع شعار «حياة السود مهمة»، وخرجت بعض تلك الاحتجاجات عن جانب السلم إلى العنف، وأصبحت تهدد عرش الرئيس الأمريكي «دونالد ترمب»، حتى وظَّف الإنجيل في الوقوف ضدها، ولكن لم يزد تصرفه هذا إلا استهجاناً، كما انتشرت المظاهرات في العديد من دول العالم التي تندد بالعنصرية، ولم ينطفئ لهيب الاحتجاجات حتى اشتعلت نار التظاهرات بصورة أكبر بعد التمادي في قتل آخرين من السود.

إن هذه العنصرية البغيضة لم تكشف عن عنصرية الجنس البشري واللون فحسب، بل كشفت كذلك عن توحش النظام الرأسمالي الذي يزيد الغني غنى والفقير فقراً، ويقسم المجتمع إلى طبقتين؛ طبقة غارقة لا تجد قوت يومها، وطبقة طافية مترفة، حتى وصلت نسبة الذين يعيشون تحت خط الفقر في الولايات المتحدة نحو 12%، وارتفع معدل البطالة إلى 13.7%، في أبريل الماضي، وقد بدا واضحاً رد الفعل على الطبقية التي هي نتاج العنصرية المالية البغيضة من خلال السلب والنهب بصفة خاصة للمتاجر ذات الماركات العالمية المشهورة.

ما يحدث بأمريكا يفضح عورة الذين يتغنون بالحرية ويغذون العنصرية ثم يتهمون الإسلام ليلاً ونهاراً بالإرهاب

إن ما يحدث بأمريكا يكشف بوضوح عن عورة الذين يتغنون بالحرية ويغذون العنصرية، وفي مقدمتهم الرئيس الحالي «دونالد ترمب»، وفي الوقت نفسه يتهمون الإسلام ليلاً ونهاراً خفية وجهاراً بالإرهاب، هذا الدين الخالد الذي حارب العنصرية ووصفها بـ «المُنْتِنة»، وأقرَّ للبشر جميعاً التكريم والتسخير والرزق والتفضيل دون تمييز في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ (الإسراء: 70)، وحينما أقرَّ التمييز لم يجعله على أساس الجنس أو اللون أو اللغة أو المال، ولكن بمعيار التقوى، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: 13).

عنصرية المال التي بدت بأزمة «فلويد» لا مكان لها في الإسلام الذي يرسخ للدرجية لا الطبقية

فالله تعالى هو من خلق الأبيض والأسود، ولا ينبغي أن يحاسَب إنسان على لونه، فهو ليس من اختياره، ومعيار التفرقة يكون بشيء مرتبط بسعي البشر وإرادتهم وهو التقوى، وفي الحديث الصحيح أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إنَّ اللَّه لا ينظر إلى صوركم، ولا إلى أموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم».

كما رُوي عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال: قاولت رجلاً عند النبي صلى الله عليه وسلم، فقلت له: يا ابن السوداء، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «يا أبا ذر، طف الصاع طف الصاع، ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل».

وعنصرية المال التي بدت نواجذها واضحة في أزمة «فلويد» بأمريكا من خلال التفاوت الطبقي الكبير، وفقدان التراحم بين أبناء المجتمع، لا مكان فيها للإسلام الذي يرسخ للدرجية لا الطبقية، وفتح مجال التراحم ومعالجة التفاوت الطبقي من خلال إعادة التوزيع.

فالله تعالى جعل الناس درجات وليس طبقات، وسخر بعضهم لبعض وفق تخصصاتهم، فكل منهم يحتاج للآخر ولا يستغني عنه، يقول تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضاً سُخْرِيّاً وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (الزخرف: 32).

يقول صاحب «الظلال» في هذه الآية: «ورزق المعاش في الحياة الدنيا يتبع مواهب الأفراد، وظروف الحياة، وعلاقات المجتمع، وتختلف نسب التوزيع بين الأفراد والجماعات وفق تلك العوامل كلها، تختلف من بيئة لبيئة، ومن عصر لعصر، ومن مجتمع لمجتمع، وفق نظمه وارتباطاته وظروفه العامة كلها، ولكن السمة الباقية فيه، التي لم تتخلف أبداً حتى في المجتمعات المصطنعة المحكومة بمذاهب موجهة للإنتاج وللتوزيع أنه متفاوت بين الأفراد، وتختلف أسباب التفاوت ما تختلف بين أنواع المجتمعات وألوان النظم، ولكن سمة التفاوت في مقادير الرزق لا تتخلف أبداً، ولم يقع يوماً حتى في المجتمعات المصطنعة المحكومة بمذاهب موجهة أن تساوى جميع الأفراد في هذا الرزق أبداً.

والحكمة في هذا التفاوت في جميع العصور وجميع البيئات ليسخر بعضهم بعضاً.. ودولاب الحياة حين يدور يسخر بعض الناس لبعض حتماً، وليس التسخير هو الاستعلاء.. استعلاء طبقة على طبقة، أو استعلاء فرد على فرد.. كلا! إن هذا معنى قريب ساذج، لا يرتفع إلى مستوى القول الإلهي الخالد.. كلا! إن مدلول هذا القول أبقى من كل تغير أو تطور في أوضاع الجماعة البشرية؛ وأبعد مدى من ظرف يذهب وظرف يجيء.

الإسلام شرع آلية الإرث التي تعيد توزيع الدخول والثروات المكتسبة خلال دورة الحياة على أساس درجة القرابة

النظام الرأسمالي تسبب بتأجيج نار الصراع الطبقي وإشاعة الكراهية في النفوس المعسرة والمحرومة

إن كل البشر مسخر بعضهم لبعض، ودولاب الحياة يدور بالجميع، ويسخر بعضهم لبعض في كل وضع وفي كل ظرف، لمقدر عليه في الرزق مسخر للمبسوط له في الرزق، والعكس كذلك صحيح، فهذا مسخر ليجمع المال، فيأكل منه ويرتزق ذاك، وكلاهما مسخر للآخر سواء بسواء، والتفاوت في الرزق هو الذي يسخر هذا لذاك، ويسخر ذاك لهذا في دورة الحياة.. العامل مسخر للمهندس ومسخر لصاحب العمل، والمهندس مسخر للعامل ولصاحب العمل، وصاحب العمل مسخر للمهندس وللعامل على السواء، وكلهم مسخرون للخلافة في الأرض بهذا التفاوت في المواهب والاستعدادات، والتفاوت في الأعمال والأرزاق».

العدالة في الإسلام

لقد حرص الإسلام على تحقيق العدالة والتوازن في التوزيع للدخل والثروة؛ ففتح المجال أمام الملكية الفردية من خلال توظيف ما يملكه الإنسان من مهارات، والعمل بصورة نظيفة لا غش فيها ولا احتكار ولا ربا ولا قمار ولا أكل للمال بالباطل على العموم وفتح الباب للكفايات، وتقسيم العمل بين الناس على أساس التخصص وتبادل المنافع.

وفي الوقت نفسه؛ شرع آليات تتولى إعادة توزيع الدخل والثروة، من أبرزها آلية الإرث التي تعيد توزيع الدخول والثروات المكتسبة خلال دورة الحياة على أساس درجة القرابة، والشارع الحكيم وهو يتوخى توزيع الميراث على مستحقيه توزيعاً عادلاً -لا يشوبه حيف ولا يعتريه ظلم- أخذ في الاعتبار بمعيار الحاجة كأساس للتفاضل في التوزيع وليس عنصرية النوع، فكلما كانت الحاجة إلى المال أشد كان النصيب أكبر، ولعل هذا هو السر في كون «للذكر مثل حظ الأنثيين» في بعض حالات الميراث؛ لما يتحمله من تكاليف مالية في مقدمتها المهر والنفقة؛ فالعطاء على قدر الحاجة هو العدل، والمساواة عن تفاوت مقدار الحاجة هو الظلم.

كما شرع الإسلام الزكاة على الدخول والثروات بشرائطها، وهو ما يحقق إعادة تلقائية في توزيع الدخول في المجتمع، وفي الظروف الاستثنائية يتدخل الشرع لحماية الفقراء من الحاجة وحماية الأغنياء من الطغيان، قال تعالى: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ﴾ (الحشر: 7)، وقد حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على إعادة توزيع الدخول بالمال الذي أفاء الله به عليه حينما ظهر على بني النضير، حيث قسمه بين المهاجرين، ولم يعط أحداً من الأنصار منه شيئاً إلا رجلين كانا فقيرين.

كما فطن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى العدالة الحالية والمستقبلية في التوزيع فيما يتعلق بأرض السواد في العراق وغيرها، حيث نظر فوجد أن الأراضي المفتوحة تبلغ ملايين الأفدنة، فإذا قام بتقسيمها بين الفاتحين فقط وهم ألوف معدودة تضخمت الملكية في أيدي أفراد قلائل، ولم يجد من بعدهم شيئاً، فأبقى الأرض في يد أهلها وأخذ منهم خراجاً للمسلمين كافة وأجيالهم القادمة، وبذلك رسخ لمفهوم «التنمية المستدامة» قبل أن تعرفها الأمم المتحدة بمئات السنين.

إن إعادة توزيع الدخل والثروة في الإسلام يتجاوز النظام الرأسمالي وعنصريته المالية الذي لا يسمح باستحقاق الثروة أو الدخل المتولد في الاقتصاد إلا لعناصر الإنتاج التي شاركت فيه؛ لأنه يؤمن بأن قوى السوق هي المعيار الوحيد للتوزيع بين الفئات المختلفة، حتى أصبحت الثمرة المرة والنكدة التي أفرزها هذا النظام هي تأجيج نار الصراع الطبقي وإشاعة الكراهية والبغضاء في النفوس المعسرة أو المحرومة من الإنفاق أو من سعة في المال التي أقعدتها ظروف البطالة أو الفقر عن المشاركة في النشاط الاقتصادي، ومن ثم لم تستطع إشباع حاجاتها الضرورية أو أن تنال شيئاً مما يوزع من خلال آلية السوق، التي لا تلبي إلا الطلب المدعوم بالقوة الشرائية الذي يفتقد في حقيقته للمنافسة الشريفة ويتحكم فيه الرأسماليون الكبار.■

العنصرية..



قراءة نقدية في الأصول الفكرية

د. حسان عبدالله حسان
أستاذ أصول التربية- جامعة دمياط

رغم أن الصياغة الفكرية والفنية لمفهوم «العنصرية» تبدو حديثة؛ حيث ظهر الاهتمام بهذا المفهوم منذ صياغة مبادئ حقوق الإنسان في صيغتها المعاصرة، فإن واقع «العنصرية» ومبناها يبدوان قديمين قدم الإنسان على الأرض وحرفه عن منهج الله تعالى، أو منهج «النفس الواحدة».

لقد أعاد مقتل «جورج فلويد» الأمريكي من أصول أفريقية كوامن هذا المفهوم في النفس الغربية المعاصرة، والرغبة الجامحة في مواجهته من قبل جماعات وقطاعات عانت من أحد وجوهه أو من وجوهه كلها.

ونتناول في هذه المقالة المباني الفكرية التي قام عليها هذا المفهوم ومكوناته في النفس الغربية.

يستند مفهوم «العنصرية» إلى مجموعة من المبادئ الفكرية التي قام عليها، من أهمها:

1 - الشعور بالتفوق (الجنسي، العرقي، الطبيعي..) لدى مجموعة من الناس (فئة، جماعة، مجتمع، شعب، أمة)، نحو جنس آخر أو فئة أو جماعة أو مجتمع.

2 - الاستناد إلى معتقدات خاطئة تم صياغتها في صورة علمية، مثل أن اختلاف الجوانب التشريحية والوراثية لبعض الفئات يجعل لها تميزاً، عند قطاع أو فئة من البشر، أو انحطاطاً وتخلفاً عند فئة أخرى.

3 - النظر المتدني لقطاعات من البشر لأسباب بيئية (لون البشرة)، أو أسباب اقتصادية (الفقر)، أو أسباب حضارية (التخلف الحضاري)، أو أسباب دينية (المخالفة الاعتقادية).

العنصرية في القاموس الغربي:

يعود مفهوم «العنصرية» في جذوره إلى كلمة «عرق، جنس»، وظهرت هذه الكلمة في اللغات الأوروبية في القرن السادس عشر للميلاد، للإشارة إلى وجود مجموعة من البشر يمكن إرجاع خصائصهم المتشابهة إلى أصل سلالي مشترك، وظهرت في الكتابات الأوروبية إشارات متعددة إلى الفروق بين العرق الأوروبي، وكل من الأعراق والأجناس الأفريقية أو الآسيوية وغيرهما[1].

من ناحية أخرى، استخدمت كلمة «العنصرية» في الكتابات السياسية الأوروبية ذات الاتجاه العنصري، لتأكيد وجود أنواع من البشر تتفاوت من حيث ارتقاء خصائصها العقلية والسلوكية بسبب خصائص تشريحية متمايزة، وذلك رغم تكذيب تطورات علم الوراثة والتشريح لهذا المعتقد الخاطئ؛ فالاختلافات التشريحية والوراثية لا ينتج عنها تمايزات تشير إلى الرقي أو الانحطاط، وإنما تنتج تمايزاً في الثقافات[2].

الاختلافات الوراثية لا ينتج عنها تمايزات تشير إلى الرقي أو الانحطاط وإنما تنتج تمايزاً في الثقافات

بعض النظريات الغربية ترى أن الإنسان لا يستطيع خدمة المبادئ ما دامت الحاجات الطبيعية يصاحبها خلل الإشباع

«هيجل».. والتأسيس الفلسفي:

من أبرز الفلاسفة الذين قاموا بالتنظير لمفهوم «العنصرية» في الغرب، واتخذ مواقف عنصرية مبكرة نحو الآخر، ما قدمه الفيلسوف الألماني «هيجل» (1770 - 1831م)؛ حيث كتب تحت عنوان «الأساس الجغرافي لتاريخ العالم» مستبعداً قطاعاً كبيراً من البشر من رآه، حسب تصنيفه، أنه لا يمتلك مؤهلات «الإنسانية» التي تجعله مؤهلاً بالتبعية لصنع تاريخ العالم، والإسهام في حركته! ورد التاريخ وحركته وحضارته إلى أوروبا التي تمتلك من الناحية الجغرافية، بحسب وجهة نظره، كل عناصر الجغرافيا الحضارية والتاريخية.

استند «هيجل» في هذه الرؤية العنصرية إلى ما أسماه بالروح الطبيعية؛ أي العلاقة مع الطبيعة، فالعلاقة مع الطبيعة تساعد على إنتاج روح شعب ما، والمبدأ الخاص الذي

يجسده كل شعب من شعوب التاريخ يكون بمثابة خاصية طبيعية له[3].

في ضوء هذا المبدأ، فإنه بحسب التصنيف الجغرافي للعالم، يمكن تحديد خارطة للإنسان صانع التاريخ، والإنسان الذي لا تمنحه الطبيعة تلك القدرة، فيتخلف عن المشاركة، ومن ثم لا ينضم إلى الإنسانية الفاعلة في حركة التاريخ، ففي المنطقة المتجمدة والمنطقة الحارة لا يوجد الموقع المحلي المناسب لظهور شعوب التاريخ العالمي؛ وذلك لأن الوعي المستيقظ يظهر محفوفاً بالمؤثرات الطبيعية، وكل تقدم له انعكاس الروح على نفسها في مقابل الطبيعة مباشرة، فالمناطق المتطرفة (التجمد، والحرارة الشديدة) لا يستطيع الإنسان أن يكون حراً في حركته، فالبرد والحر في تلك المناطق من القوة بحيث لا يسمحان للروح أن تقيم عالماً لذاتها[4].

يعتمد «هيجل» في طرحه لهذه المبدئية على مقولة «أرسطو»: «حينما تشبع الحاجات الملحة، ينتقل الإنسان إلى طلب الأمور الرفيعة ذات الطابع العام»، والحقيقة رغم جدارة هذه المقولة وضرورتها الإنسانية، فإنها ترافق بين الإنسان وجانب من الحيوانية، حيث تشير إلى أن الإنسان لا يستطيع خدمة المبادئ ما دامت الحاجات الطبيعية يصاحبها خلل الإشباع، ولا شك أن مبادئ التضحية بالنفس، على سبيل المثال، التي شهدها التاريخ الإنساني، وما زال، من أجل المعتقد أو الوطن أو غير ذلك من المبادئ الرفيعة لدى شعوب الأرض المستعمرة، تدحض هذا المبدأ وتؤكد تهافته.

يصر «هيجل» متغافلاً عن حقيقة أن القيم الإنسانية تعلو لدى الإنسان عن الحاجات الطبيعية -وهو ما أثبته التاريخ في كثير من التجارب والشواهد- ويذكر بأن «الإلحاح والضغط الشديدين في المناطق المتطرفة لا تخف وطأته ولا يمكن تجنبه، ويضطر الإنسان أن يوجه اهتماماً مباشراً إلى الطبيعة، إلى أشعة الشمس المتقدة، أو إلى الجليد المتجمد، وعلى ذلك؛ فإن مسرح التاريخ الحقيقي هو المنطقة المعتدلة أو بالأحرى النصف الشمالي منها»[5].

«هيجل».. والرجل الأفريقي:

ينحو «هيجل» في نظرته «العنصرية»، وتأسيسه لهذا المفهوم منحى الرجل الأفريقي الذي يراه -طبقاً لتصوراته المتهافتة عن الأساس التاريخي للعالم- بأنه لا يستطيع في ذاته الإسهام في حركة التاريخ، بل هو ممن يستهلك الحضارة، بل ويدمرها.

«هيجل»: السمة البارزة للحياة الزنجية أن الوعي لم يبلغ بعد مرحلة التحقيق الفعلي لأي وجود موضوعي

«هيجل» يصنف الرجل الأفريقي على أنه خارج الإنسانية ولا يستحق الوصف بها ويراه كائناً ذا مخاطر على الحضارة!

يقول «هيجل» عن الرجل الأفريقي: «إن السمة البارزة للحياة الزنجية هي أن الوعي لم يبلغ بعد مرحلة التحقيق الفعلي لأي وجود موضوعي جوهري مثل الله، أو القانون، اللذين يرتبط بهما مصحة الإنسان، وفيهما يحقق وجوده العيني الموحد، الذي يتسم بالبساطة والتخلف، لم يبلغ الزنجي بعد تلك المرحلة التي يميز فيها بين ذاته بوصفه فرداً، وكلية وجوده الجوهري؛ بحيث إنه يفتقر تماماً إلى معرفة أن هناك وجوداً مطلقاً أعلى من وجوده الفردي، فالرجل الزنجي يمثل الإنسان الطبيعي في حالته الهمجية غير المروضة تماماً، وإذا أردنا أن نضع جانباً كل فكرة عن التبجيل والأخلاق وكل ما نسميه شعوراً أو وجداناً؛ فلا شيء مما يتفق مع الإنسانية يمكن أن نجده في هذا النمط من الشخصية»[6].

هكذا يصنف «هيجل» الرجل الأفريقي على أنه خارج الإنسانية، ولا يستحق الوصف بها، بل هو كائن ذو مخاطر على الحضارة، إما أن يتم ترويضه، أو سيلحق الضرر بالإنسانية، ومن هنا فتح «هيجل» الطريق أمام حركة الاستعمار لترويض هذا الأفريقي واستغلاله باستعباده للإنسانية البيضاء (أوروبا)، على حد وصفه وقناعته الذاتية المنحازة والمتهافتة.

إن الأحكام التي بنى عليها «هيجل» رؤيته العنصرية لم تكن نتيجة لشواهد أو تجارب مع الرجل الأفريقي، وإنما كما يذكر أنه اعتمد في ذلك على روايات المبشرين في أفريقيا، رغم ما هو معروف من عداء بين حركة المبشرين والثقافة الأفريقية التي جعلت مهمتهم صعبة وفي حالة عدائية مع الشعوب الأفريقية، إلا أنها سكنت العقل الأوروبي وانتقلت معه إلى أمريكا الجديدة.

تهافت «هيجل» ذاتياً:

يستمر «هيجل» في تهافته، في عنصريته نحو الرجل الأفريقي، فيصفه بأنه يحتقر الحياة ولا يأبه بها؛ لذلك فهو يقاوم المستعمر بحياته التي يفقد معناها! ويذكر في ذلك قوله: «إن السمة التي يتميز بها الزنجي في احتقار الإنسانية ليست هي ازدراء الموت، بقدر ما هي الافتقار إلى احترام الحياة، وينبغي أن نعزو الشجاعة العظيمة التي نجدها عندهم إلى سمة افتقارهم لاحترام هذه الحياة، وهذه الشجاعة تظهر عند أولئك الزنوج الذين كان الآلاف منهم يتعرضون للموت برصاص الأوروبيين وهم يقاتلونهم»!

إن قول «هيجل» هذا يدحض نفسه، ففي حين يرى أن القيم العليا لا توجد عن الزنوج، فإنه يتجاهل قيمة التضحية بالنفس ضد المستعمِر، وقيمة الوطن التي تساوي الحياة أو أكثر، وقيمة الحرية التي هي أكثر رفعة من حياة العبودية، وهذه كلها تمثلت في مقاومة الأفريقي للمستعمر، بيد أن «هيجل» كان عليه أن يرى أن الأوروبيين (المستعمرين) هم الذين يحتقرون حياة الإنسان، ولا يأبهون بحريتهم، ولا بقيمة الوطن والشرف، وراحوا يقتلون الإنسان المستعمَر بكل وحشية وبلا ذنب، فمن الذي توارت عنده القيم العليا؛ القاتل أم المقتول؟! المستعمِر أم المستعمَر الذي اتخذ من قيمة المقاومة والحرية أملاً في استقلال وطنه؟■

الهوامش

(1) سامي خشبة: مصطلحات فكرية، ص 384.
(2) المرجع السابق، ص 385.
(3) هيجل: العقل في التاريخ، ترجمة وتقديم وتعليق: إمام عبدالفتاح إمام، ص 157.
(4) المرجع السابق، ص 158.
(5) المرجع السابق، ص 158.
(6) المرجع السابق، ص 179.

كيف عامل المسلمون عبيدهم؟ شذرات من مؤلفات الرحالة الغربيين



محمد إلهامي
باحث في التاريخ والحضارة الإسلامية

إذا كنتَ تائهاً في بعض الأدغال أو الصحاري فليس من نعمة أغلى عندك وأثمن من أن تجد لافتة بائسة تدلك على الاتجاه! هذه اللافتة وحدها هي الهداية والإنقاذ من التيه والنجدة من الضلال، فإذا وجدتَ مع ذلك متطوعاً كبير الوقت يعرض عليك المساعدة فأنت الآن في ذروة النعيم، ولعلك تريد أن تبذل له بعض عمرك وأيامك نظير هذا الإنقاذ من الحيرة والضلال!
لا بد أنك مررت بمثل هذا الموقف أو بشيء شبيه منه، يمكنك أن تستعيد هذه المشاعر، فإنما هذا مَثَل الكتاب ومَثَل الرسول! إن الآية الواحدة تعصمك من التيه عقوداً وقروناً حين تكشف لك الحق، ولولاها لهلكت الأعمار والعقول والأجيال قبل أن تصل إلى الحق وربما لا تصل! وإن الرسول الذي شرح الآية وبذل حياته في محاولة الهداية وتقديم القدوة والأسوة يوفر عليك مثل هذا في الوصول للفهم الصحيح للآية وتطبيقها.

لقد ظلت أوروبا حتى وقت قريب تنظر للأعراق الأخرى نظرة دونية، ويتجادل علماؤها وفلاسفتها فيما إن كان بعض الناس بشراً أم أنهم ليسوا كذلك، وإذا وقع الاتفاق على أنهم بشر فهل هم في نفس المرتبة مع الأوروبيين، أم أنهم في مرتبة أدنى ويحتاجون بالضرورة إلى الأوروبي ليقوم بمهمة تحضيرهم واستعمالهم! وهذا نقاش قديم اشترك فيه طابور طويل من الفلاسفة والقساوسة والمنظرين والسياسيين منذ أفلاطون، وأرسطو، مروراً بجون لوك، وجوبينو، ولا يزال يتجدد في أيامنا هذه مع صعود اليمين ونظريات العرق الأبيض.

وفي عصر الاحتلال الأوروبي للعالم، الذي هو عصر النزعة العلمية (العلموية)، قدمت هذه العلوم خدماتها للساسة في تبرير وشرعنة احتلال الشعوب، بإنتاجها نظريات التفوق الطبيعي للأوروبي الأبيض ونظريات التدني والانحطاط الأصيل لبقية الشعوب، وهذا مجال واسع اشترك فيه طابور طويل من علماء الأنثروبولوجيا والاجتماع والمستشرقين، مثل صموئيل مورتون، وكارل فون ليناس.

ولا يمكن الحديث هنا عن نظريات علمية مجردة، أو آراء موضوعية ناتجة عن مجرد التأمل والتفكير والبحث، بل إن الغرائز والشهوات والأطماع والمصالح السياسية والاقتصادية تضغط على الإنسان وتشكل أفكاره وتؤثر في نظرياته، إن الأمر يؤول في النهاية إلى «اتباع الهوى» وأخلاق الشح والأثرة والظلم والاستبداد، ولكن هذه الدوافع تتزين بالنظريات العلمية والآراء الفلسفية.

هنا تبدو القيمة العليا والنعمة العظمى بوجود نص إلهي مقدس يقول: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحجرات: 13)، وبوجود رسول يقول: «لا فضل لعربي على أعجمي ولا أحمر على أسود إلا بالتقوى والعمل الصالح»، ثم إن هذا الرسول قضى حياته لترسيخ هذه المعاني حتى صار القرشي عمر بن الخطاب يقول عن الأسود الحبشي بلال: «سيدنا»!

ولهذا فلم تتطور نظريات وبحوث المسلمين -من مؤرخين وأدباء ورحالة- نحو العنصرية التي تحطّ من إنسانية الأقوام الآخرين، غاية ما هنالك أن يوجد من حاول تفسير بعض الظواهر الاجتماعية أو التاريخية أو النفسية من خلال اللون والبيئة والمناخ والحجم، بينما لم يكن ثمة من نزع عنهم الإنسانية أو رآهم في مرتبة أقل من البشر أو في مرحلة مما قبل التاريخ، بل شهد التاريخ الإسلامي صعوداً قوياً لطبقات العبيد الذين أُسروا إلى مراتب السياسة والجيش، منذ العصر الثاني للدولة العباسية مروراً بالمماليك والانكشارية، فضلاً عن صعودهم بما حققوه في العلم والعبادة، حتى انتشر ذكرهم حتى في كتب الزهد والرقائق.

لولا وجود هداية النص وهداية القدوة لما وصلنا إلى ترسخ معنى المساواة بين الناس، إذ مهما اجتهد بعض الفلاسفة والمنظرين والمفكرين في إثبات أن البشر جميعاً متساوون في الإنسانية، فإن هذا لن يعدو أن يكون قولاً ضمن أقوال، ورأياً ضمن آراء، حتى لو سُجِّل في حقبة ما ضمن وثائق عالمية لا تساوي -عملياً- ثمن الحبر الذي كتبت به! بغير وجود النص المقدس والعقيدة الدينية التي تأمر بالمساواة وتحرص عليها لن يكون ثمة عاصم من انزلاق الفكر إلى الآراء والنظريات البغيضة التي تجيز استعباد الإنسان والحط منه!

وفي هذا المعنى يقول الرئيس المجاهد علي عزت بيجوفيتش، رحمه الله: «إن المساواة والإخاء بين الناس ممكن فقط إذا كان الإنسان مخلوقاً لله، فالمساواة الإنسانية خصوصية أخلاقية وليست حقيقة (مادية)، إن وجودها قائم باعتبارها صفة أخلاقية للإنسان، كسمو إنساني أو كقيمة مساوية للشخصية الإنسانية، وفي مقابل ذلك إذا نظرنا إلى الناس من الناحية المادية فالناس غير متساوين.. فطالما حذفنا المدخل الديني



من حسابنا سرعان ما يمتلئ المكان بأشكال من اللامساواة؛ عرقياً وقومياً واجتماعياً وسياسياً، إن السمو الإنساني لم يكن من المستطاع اكتشافه بواسطة علم الأحياء أو علم النفس أو بأي علم آخر»[1]؛ ولهذا فقد لاحظ المستشرق الفرنسي الشهير جوستاف لوبون «أن العرب يتصفون بروح المساواة المطلقة وفقاً لنظمهم السياسية، وأن مبدأ المساواة الذي أعلن في أوروبا قولاً لا فعلاً راسخ في طبائع الشرع (الإسلامي) رسوخاً تاماً، وأنه لا عهد للمسلمين بتلك الطبقات الاجتماعية التي أدى وجودها إلى أعنف الثورات في الغرب ولا يزال يؤدي»[2].

يفتح موضوع العنصرية نقاشات طويلة، فللكاتب أن يفرد حديثه عن عظمة الإسلام في التعامل مع الأقوام المفتوحة، أو عن عظمة الفقه الإسلامي في التعامل مع حقوق العبيد والأرقاء، أو عن تاريخ العبودية وجرائم الاحتلال الغربي في أفريقيا لأربعة قرون على الأقل، أو حتى عن أوضاع السود والملونين في أمريكا حتى الآن، إلا أن ثمة باباً في هذا الموضوع لا يزال لم يُفتح بعد، وذلك هو ما تواتر وتكاثر في روايات غير المسلمين -من المستشرقين والمؤرخين والرحالة الأجانب- عن تعامل المسلمين مع عبيدهم وأرقائهم، فقد أنتج هؤلاء في القرون الثلاثة الماضية كثيراً من المؤلفات والتقارير التي مهدت لمرحلة الاحتلال

الأوروبيون ظلوا حتى وقت قريب ينظرون للأعراق الأخرى نظرة دونية ويتجادلون إن كان بعض الناس بشراً أم لا!

في عصر الاحتلال الأوروبي للعالم قدم علماؤه خدماتهم للساسة في شرعنة احتلال الشعوب

ورافقتها ولا تزال مستمرة حتى الآن، وقد سجَّل كثيرٌ من هذه المؤلفات أحوال البلاد العربية والإسلامية السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فمنها ما كان تشويهياً، ومنها ما كان منصفاً، ومنها ما كان واقعياً، ومنها ما زادت فيه جرعة الخيال، إلا أنها في كل الأحوال مصادر تاريخية لا غنى عنها، ثم إنها تتميز في موضوعنا هذا بكونها شهادة «شاهد من أهلها»، فهي بيان وحجة على لسان أعدائنا لتاريخنا العظيم الذي هو شعبة من تفسير قول الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: 107)، وقول الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (آل عمران: 110).

سنحاول في هذه السطور القادمة التقاط شذرات بسيطة من مناطق متفرقة، على سبيل فتح الباب أو حتى فتح الشهية، لعل باحثاً يتفرغ له فيخرج منه بسفر عظيم.

تركيا:

أفرد المستشرق البريطاني الشهير توماس أرنولد فصلاً عن تحول العبيد المسيحيين إلى الإسلام في العهد العثماني، وذلك في دراسته الشهيرة الضافية «الدعوة إلى الإسلام»، وكانت مادة هذا الفصل خليطاً من الأقوال والتحليلات التي تحاول تفسير لماذا اندفع العبيد النصارى إلى اعتناق الإسلام، فالأمر المؤكد أن الذين اعتنقوا الإسلام حتى وهم في العبودية كانوا أكثر بكثير جداً ممن بقوا على المسيحية.

وقد ذهب المؤرخون النصارى مذاهب كثيرة في تفسير هذا التحول، وفي التحسر عليه كذلك، والتقط بعضهم أن السر في ذلك هو ما للعبيد من حقوق مرعية، يقول: «كان للرقيق كما كان لسائر المواطنين حقوقهم، بل قيل: إنه كان للعبد أن يقاضي سيده إذا أساء معاملته، وأنه إذا تحقق القاضي من اختلاف طباعهما اختلافاً بيّناً إلى حد تعذر الاتفاق بينهما فله أن يرغم السيد على بيعه»، وقد نقل أرنولد بعض أقوال الغربيين المتحسرين على إسلام العبيد النصارى لما يرونه من حسن معاملة المسلمين، فمن ذلك: «في الوقت الذي لم يقض على أجسامهم بما أظهره لهم من رعاية وتقوى، صمم بدهائه الشيطاني على أن يقتل أرواحهم بتجريدهم من إيمانهم، ويمكن أن يشهد على هذه الحقيقة تلك الجموع من المؤمنين الذين لا يدخلون تحت حصر؛ ذلك أنه على الرغم من أن كثيرين منهم كانوا على غاية الاستعداد بأن يموتوا في سبيل العقيدة المسيحية.. قد نفث فيهم،

بإنقاذهم من الموت الجسدي، وحملهم إلى الأسر، فأفسدهم بمرور الزمن، ودفعهم بخسة إلى أن يُنكروا إيمانهم بالمسيح»، وسجل رحالة إنجليزي في القرن السابع عشر أنه «كان قليل منهم يعود إلى وطنه؛ وأقل منهم من كان له من الشجاعة والثبات ما يمكنه من الاحتفاظ بدينه المسيحي»(3).

الكويت:

أقام ضابط الأمن السياسي البريطاني هـ.ر.ب. ديكسون حوالي ربع قرن في منطقة شمال الجزيرة العربية وشرقها، وكان له دور سياسي مهم في خضم النفوذ البريطاني المهيمن على المنطقة، وجاء كتابه «عرب الصحراء» بمثابة تقرير شامل عن حياة سكان هذه الأنحاء، ويقع هذا الكتاب –كما يرى كثيرون– ضمن الكتب التشويهية في كثير من الأمور؛ مما اضطر دار النشر إلى حذف بعض الفصول والفقرات التي اشتدت فيها جنايته على الشخصيات والموضوعات، ومع ذلك، فنراه يقول في شأن تعامل العرب مع عبيدهم: «الغالبية من الناس يعاملون عبيدهم من العاملين في خدمتهم بالأعمال المنزلية معاملة حسنة، ولا أبالغ إذا قلت: إن بعضهم يعاملهم كأطفالهم تماماً، فلهم حرية التزاوج بالطريقة المناسبة وبمساعدة أسيادهم، ولهم الحق بالتناسل بمقدار ما يشاؤون، ويعامل أطفالهم كما يعامل أطفال أسيادهم، يلعبون معاً ويعيشون معاً، ولا أبالغ إذا قلتُ: إن سيدات البيت يعاملن هؤلاء معاملة أفضل، وحتى في بعض الأحيان لا تختلف عن معاملة أخت لأختها»(4).

الحجاز:

من أشهر الرحلات الاستشراقية وأشملها رحلة تشارلز داوتي إلى الجزيرة العربية، فإنها حافلة بالتفاصيل، وقد ترجمت في أربعة مجلدات إلى اللغة العربية، قضى فيها صاحبها عامين في أنحاء الجزيرة العربية (1876 – 1878م)، ومن أعجب ما ورد فيها مما يخص حديثنا هنا أن داوتي رأى عبيداً أفارقة في الجزيرة يحمدون الله على فضله أنهم صاروا عبيداً، وذلك أن هذه العبودية كانت طريقهم لاعتناق الإسلام وسكنى أرض الحرمين.

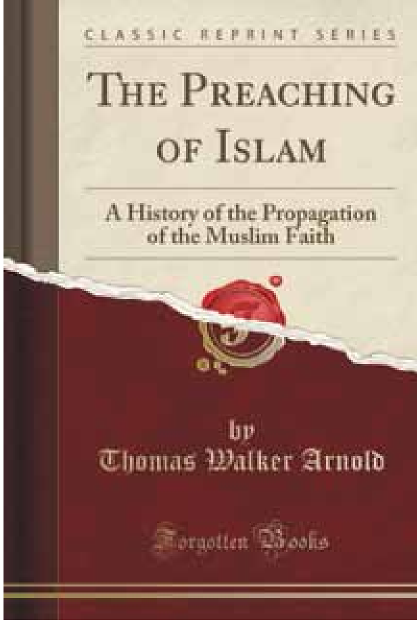


المستشرق البريطاني توماس أرنولد

يقول داوتي: «ظروف العبيد هي دوماً أمور مقبولة في الجزيرة العربية، وغالباً ما تكون ظروفاً سعيدة؛ والعبيد هنا ينشؤون باعتبارهم إخواناً مساكين وفقراء لأبناء الأسرة، وهو نوعٌ من مكافأة الرب لرب الأسرة المسلم المتدين، وهو العم لهؤلاء العبيد أثناء عبوديتهم، وهو أيضاً الأب بالنسبة لهم.. ورب البيت هنا إذا كان من النوع الذي يخشى الله ويخافه يعتق عبيده خلال بضع سنوات قلائل؛ وهو لا يعتقهم ويرسلهم لحال سبيلهم خاويّ الوفاض؛ ولكن في الجزء المرتفع من الجزيرة العربية (حيث لا يمتلك العبيد فيه سوى الأغنياء)، يقوم ذلك الرجل الطيب بتزويج العبد المعتوق سواء أكان ذكراً أم أنثى ويعطيه شيئاً من ثروته ومقتنياته.

هؤلاء الأفارقة لا يحسون بأي قلق أو ضيق لأنهم كانوا عبيداً في يوم من الأيام –إنهم في أغلب الأحيان يكونون أسرى من الحروب– بالرغم من أن تجار العبيد كانوا يختطفونهم من والديهم، كان الرعاة الذين

المتأمل بأحوال العبيد في تاريخنا الإسلامي سيجد أنها كانت أفضل من حال السجين بالسجون المعاصرة!



يتبنون أولئك العبيد ويشترونهم يضمونهم إلى عائلاتهم، ويقومون بتختين الذكور منهم –وكان ذلك يُقَوِّي من روح هؤلاء العبيد المعنوية، حتى فيما يتعلق بعاطفة الحنين إلى الوطن القوية– لقد نظر الله إليهم في محنتهم، وبوسعهم أن يقولوا: هذا فضل الله، لأنهم استطاعوا عن طريق ذلك الذي حدث لهم أن يدخلوا في الدين المنقذ، ومن هنا فهم يعتقدون أن هذا البلد، الجزيرة العربية، هو الأفضل حيث أعتقوا فيه، وأن الحياة المدنية في هذا البلد أفضل من بلدهم، وأن هذه هي بلاد الحرمين الشريفين، أرض محمد صلى الله عليه وسلم، ولذلك شكر هؤلاء العبيد الله على بيع أجسادهم في أسواق العبودية»(5).

ليبيا:

توقف المؤرخ الإيطالي إتّوري روسّي متعجباً، وهو يرصد وضع تجارة الرقيق في طرابلس الغرب (ليبيا) في منتصف القرن التاسع عشر، ومجهود أوروبا وبالذات الإنجليز في محاربة هذه التجارة و«إنقاذ» العبيد، وخلص بعد الاستعراض إلى القول: «الغريب أن عملية الإنقاذ هذه قد تعرضت لصعوبات جمة، من قبل هؤلاء العبيد أنفسهم، الذين عاد عدد كبير منهم إلى أسياده، بعد تحريرهم وإعتاقهم، كما تعود البهائم المعتادة على النير وحمل الأثقال، عاجزين عن أن يشقوا لأنفسهم طريقاً

خاصاً مستقلاً، وقد تخلوا في غير أسف عن تلك الحرية التي لم يرغبوا فيها، رغم ما كان يُوَفَّر لهم من حماية ومساعدة.

ومن الحق أن يقال: إن وضع هؤلاء العبيد، لم يكن سيئًا قاسياً، وأن أصحابهم كانوا يعاملونهم معاملة إنسانية في العادة، كما أن أوضاع العبيد في البيئة الإسلامية لم تكن مهينة، كما يمكن أن تبدو على ضوء الأفكار الحديثة، في المساواة بين البشر»[6].

مصر:

كان جوزيف بتس بحاراً إنجليزياً لكنه وقع في أسر الجزائريين عند السواحل الإسبانية في حروب القرن السابع عشر، فبقي أسيراً وزار مع سيده مكة، وكتب رحلته إلى الحج، وفي أثنائها مر بمصر، فوصف فيها حال العبيد والجواري على هذا النحو: «في الجزائر أعترف أن إجبار الرقيق على التحول للإسلام ليس أمراً شائعاً، رغم أنني –علم الله– قد عانيت بما فيه الكفاية منهم، لكن في مصر وتركيا –دعني أؤكد– أن الأمر يختلف؛ فالجواري والعبيد الذين هم في مرحلة الشباب يلحقون مباشرة بالمدارس لتعلم القراءة والكتابة، فهم مخلوقات جاهلة بائسة، وحقيقة فإنهم بعد تحولهم للإسلام تسير أمورهم في هذه الأنحاء على نحو أفضل، وقد يتفوقون كأبناء سادتهم إن كانوا أذكياء، ويقال: إن هؤلاء المتحولين للإسلام يلقون حظوة أكثر من الأتراك الأصلاء.. ويفخر العبيد والجواري الذين بيعوا هنا أن يوسف عليه السلام قد تم بيعه في مصر»[7].

وبعد قرنين من رحلة بتس؛ أي في منتصف القرن التاسع عشر، وصل إلى القاهرة أشهر رحالة إنجليزي في عصره وهو ريتشارد بيرتون الذي ملأت رحلاته ثلاثة وأربعين مجلداً، وكان يجيد خمساً وعشرين لغة، وكانت رحلته للحج في ثلاثة مجلدات، الأول منها هو ما كان في وصف الأحوال في مصر، وجاء فيه: «لقد عرف الإنجليز لتوِّهم أن العبيد ليسوا بالضرورة أكثر الناس بؤساً وأحطهم مرتبة، فهناك من لديه الشجاعة الكافية ليخبر الشعب الإنجليزي أن الرقيق في بلاد الشرق عامة يأكل أفضل بكثير من الخدم أو حتى أفراد الطبقات الدنيا ممن ليسوا عبيداً، وهذا أمر حقيقي.

بيجوفتش: السمو الإنساني لم يكن من المستطاع اكتشافه بواسطة علم الأحياء أو علم النفس أو بأي علم آخر

داوتي: العبيد بالجزيرة العربية ينشؤون باعتبارهم إخواناً فقراء لأبناء الأسرة وهو نوعٌ من مكافأة الرب لعائل الأسرة المسلم

فالشريعة الإسلامية تلزم المسلمين بمعاملة رقيقهم برقة بالغة، والمسلمون –بشكل عام– حريصون على الأخذ بتعاليم نبيهم، فالرقيق يعد فرداً من أفراد الأسرة.. وعندما لا يكون العبد راضياً بمعيشته ففي وسعه أن يجبر سيده على بيعه بالطرق المشروعة، والعبد في بلاد الشرق لا يعنى همَّ الطعام أو السكن أو اللباس أو الاستحمام، كما أنه مُعفى من دفع الضرائب، ومُعفى من الخدمة العسكرية ومن دفع أي مبالغ لسيده»[8].

إن المتأمل في الأحوال العامة للعبيد في عموم تاريخنا الإسلامي سيجد أنهم كانوا في حال أفضل من حال السجين في السجون المعاصرة، بما في ذلك السجون الغربية، وكلما أطلنا التفتيش في تاريخنا وتراثنا –بشرط أن نتخلص من ضغط الثقافة الغالبة– ازددنا إيماناً أن نبينا إنما هو «رحمة للعالمين»، وأن البشرية تنتظر صحوة هذه الأمة لتزيل ما رسخ في أقطار هذه الأرض من الجرائم والمظالم.■



الهوامش

(1) علي عزت بيجوفيتش، الإسلام بين الشرق والغرب، ترجمة: د. محمد يوسف عدس، ط1 (القاهرة: دار الجامعات، 1997م)، ص100.

(2) جوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، (القاهرة: الهيئة العامة المصرية للكتاب، 2000 م)، ص391.

(3) توماس أرنولد، الدعوة إلى الإسلام: بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية، ترجمة: د. حسن إبراهيم حسن وآخران، (القاهرة: مكتبة النهضة العربية، 1971م)، ص200 وما بعدها.

(4) ديكسون، عرب الصحراء، ط2 (دمشق – بيروت: دار الفكر – دار الفكر المعاصر، 1998م)، ص456، 457.

(5) تشارلز داوتي، ترحال في صحراء الجزيرة العربية، ترجمة: صبري محمد حسن، ط2 (القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2009)، الجزء الأول، المجلد الثاني، ص384، 385.

(6) إتوري روسي، ليبيا منذ الفتح العربي حتى 1911، ترجمة: خليفة التليسي، ط2 (طرابلس: الدار العربية للكتاب، ص1991م)، ص452.

(7) جوزيف بتس (الحاج يوسف)، رحلة جوزيف بتس إلى مصر ومكة والمدينة المنورة، ترجمة ودراسة: د. عبدالرحمن عبدالله الشيخ، (القاهرة: الهيئة العامة المصرية للكتاب، 1995 م)، ص37، 38.

(8) ريتشارد ف. بيرتون، رحلة بيرتون إلى مصر والحجاز، ترجمة وتعليق: د. عبدالرحمن عبدالله الشيخ، (القاهرة: الهيئة العامة المصرية للكتاب، 1994 م)، ص63.

«المجتمع»- طارق الشال:

شهد الاحتياطي الأجنبي المصري مزيداً من التراجع خلال شهرين متعاقبين بقيمة 8,5 مليار دولار، بعد أن سجل تراجعاً بلغ نحو 5.4 مليار دولار خلال مارس الماضي ليزيد من حصيلة خسائره نحو 3.1 مليار دولار في أبريل الذي أعقبه؛ ليصبح إجمالي ما تملكه مصر من احتياطي أجنبي هو 37.037 مليار دولار، هبوطاً من 45.5 مليار دولار في نهاية فبراير 2020م.

سيتراجع إلى 30 مليار دولار نهاية العام المالي الحالي

الاحتياطي الأجنبي المصري إلى تراجع كبير.. الأسباب والحلول

أرجع البنك المركزي المصري، في بيان نشره على موقعه الإلكتروني، انخفاض رصيد الاحتياطي من النقد الأجنبي بنسبة 18.6%، خلال شهري مارس وأبريل الماضيين، إلى تداعيات انتشار فيروس «كورونا» على الأسواق العالمية، التي على أثرها تواصلت عمليات التخارج لاستثمارات الصناديق المالية الأجنبية من الأسواق الناشئة.

وبحسب أرقام البنك المركزي، تراجع صافي الأصول الأجنبية ببنوك البلاد 162.12 مليار جنيه (10.33 مليار دولار) في مارس.

كما أظهرت بيانات موقع البنك المركزي أن المستثمرين الأجانب باعوا في مارس ما يعادل 149.3 مليار جنيه مصري (9.5 مليار دولار) من أذون الخزانة، بما يزيد على نصف حيازتهم.

وبحسب تقرير لوكالة «موديز» للتصنيف الائتماني، فإن احتياطي مصر من النقد الأجنبي سيتراجع إلى نحو 30 مليار دولار بنهاية العام المالي الحالي، نظراً للاحتياج المتزايد للتمويل الخارجي، وضعف تدفقات رؤوس الأموال الأجنبية.

المستثمرون الأجانب باعوا ما يزيد على نصف حيازتهم من أذون الخزانة في مارس

وتوقعت الوكالة اتساع عجز الحساب الجاري بنحو 4.5% كنسبة من الناتج المحلي الإجمالي بنهاية العام المالي الحالي؛ نظراً لانخفاض إيرادات السياحة والسفر والتحويلات الأجنبية.

وأنفقت البنوك المركزية في الأسواق الناشئة الكبيرة 240 مليار دولار من احتياطيها الأجنبي خلال الشهرين الماضيين، في محاولة لدعم أسعار عملاتها واقتصاداتها في مواجهة «كورونا».

أسباب تراجع الاحتياطي

إلا أن واقع الاقتصاد المصري يصطدم بمجموعة من المتطلبات التي يعد أبرزها سداد التزاماتها الخارجية من مديونيات خارجية، في وقت بلغ فيه الدين الخارجي نحو 112.6 مليار دولار في نهاية عام 2019م، بالإضافة إلى احتياجاتها من النقد الأجنبي لتلبية متطلبات الواردات.

ويرى الخبير الاقتصادي، أحمد ذكر الله، أن مصر تعتمد على مجموعة من مصادر الدخل الأجنبي التي يمكن أن نسميها المصادر شبه الريعية؛ مثل إيرادات السياحة، وتحويلات العاملين بالخارج، وإيرادات قناة السويس، مؤكداً أن هذه الثلاثية تضررت بشدة بعد جائحة «كورونا»؛ وبالتالي الدولة المصرية كان من الطبيعي أن تلجأ إلى الاحتياطي النقدي الأجنبي لسداد ما عليها من التزامات، سواء تجاه المستثمرين الأجانب أو احتياجاتها من الواردات، خاصة أن مصر مستورد صاف للسلع الأساسية مثل القمح.

وأضاف ذكر الله، في حديثه لـ «المجتمع»، أنه وفقاً لتلك المعطيات، فمن المنطقي أن نجد تراجعاً مستمراً في الاحتياطي الأجنبي لمرتين على التوالي، مضيفاً أن البنك المركزي اعتمد على البنوك المحلية -لا سيما الحكومية منها- في سداد فاتورة المستثمرين الأجانب في أدوات الدين المحلية التي نزح ما يقارب نصفها أو أكثر من نصفها خلال الفترة الماضية إلى الخارج.

كما يتم استخدام الاحتياطي في سداد ما على مصر من أقساط وفوائد القروض الخارجية التي تبلغ نحو 18.5 مليار دولار خلال عام 2020م، بالإضافة إلى أن مصر ملتزمة بسداد دفعة أولى لـ «إسرائيل» تقارب ملياري دولار؛ نتيجة صفقة الغاز الممتدة لمدة 10 سنوات، التي تبلغ إجمالاً نحو 19.5 مليار دولار؛ وبالتالي يصبح ما على مصر إجمالاً خلال عام 2020م بخلاف الاستثمار في أدوات الديون يبلغ نحو 20.5 مليار دولار.

وأكد الخبير الاقتصادي أن النصيب الشهري للواردات المصرية يقارب 70 مليار جنيه؛ أي نحو 5 مليارات دولار شهرياً، التي نقص منها إلى حد ما مخصصات استيراد البترول نتيجة انخفاض أسعاره عالمياً، ولكن تبقى فاتورة الواردات إلى حد كبير كما هي.

من جانبه، أكد الباحث الاقتصادي، محمد عباس، في حديثه لـ «المجتمع»، أن الاحتياطي لأي دولة يتم تقييمه من خلال نسبته للواردات السلعية، فعلى سبيل المثال؛ خلال عام 2018م كان المتوسط العالمي للاحتياطي النقدي الأجنبي لكل دول العالم يكفي لنحو 10 أشهر، إلا أن مصر كان متوسط الاحتياطي الأجنبي بها يكفي لنحو 8 أشهر فقط.

وأشار عباس إلى أن متوسط الواردات السلعية 5.5 مليار دولار شهرياً؛ أي أن بلوغ الاحتياطي الأجنبي 37 مليار دولار يعني أنه يكفي لأقل من 7 أشهر؛ وبالتالي نحن نقترب من حالة الخطر بشدة إذا لم تتخذ الحكومة إجراءات عاجلة، مضيفاً أن حديث الحكومة عن توافر احتياطي لسد نحو 3 أشهر يكفي للبلاد ليس بالأمر الصحيح في ظل ما نشهده من تطور للأحداث بصورة كبيرة.

تمويل النقد الأجنبي

دفع تراجع الاحتياطي النقدي الأجنبي مصر إلى اللجوء إلى الاقتراض، وبالفعل وافق صندوق النقد الدولي من خلال آلية التمويل السريع على قرض بحوالي 2.7 مليار دولار، الذي يمثل نسبة 100 % من حصة مصر في المشاركة بالصندوق، كما أن مصر تتفاوض مع الصندوق على قرض آخر من التمويل الميسر بنحو 5.6 مليار دولار، وتتيح تلك الآلية تمويلاً بمقدار 200 % من حصة مشاركة مصر في الصندوق ليبلغ ما يتوقع أن تحصل عليه مصر من قروض من صندوق النقد فقط حوالي 8.5 مليار دولار، هذا بالإضافة إلى بعض الاعتمادات السريعة من البنك الدولي وبعض المؤسسات الدولية الأخرى والمؤسسات الإقليمية.

وتوقع الخبير أحمد ذكر الله أن يفقد الاحتياطي النقدي الأجنبي في مصر ثلثي حجمه ليصل إلى 20 مليار دولار أو أقل، مضيفاً أن الاقتراض من الخارج قد يتجاوز 15 مليار دولار خلال العام الحالي، وأن

متوسط الواردات السلعية 5,5 مليار دولار شهرياً ونقترب من حالة الخطر بشدة إذا لم تتخذ الحكومة إجراءات عاجلة

مصر ستعتمد على اللجوء لسوق السندات إن توافرت أموال يمكن الحصول عليها؛ وذلك نتيجة ندرة السيولة العالمية، وارتفاع أسعار الفوائد على القروض في ظل ما تعانيه الدول المختلفة، واللجوء إلى عمل خطط تقشفية.

وكان وزير المالية المصري قد أعلن، مؤخراً، أن هناك خطة تقشفية تعتمد على خفض مخصصات السلع التموينية ودعم الخبز في الموازنة العامة للدولة من 89 مليار جنيه إلى 79 مليار جنيه فقط؛ أي خفض بقيمة 10 مليارات جنيه، هذا بالإضافة إلى أن الخفض الذي كان مقرراً من قبل لدعم الكهرباء بدلاً من 4 مليارات جنيه أصبح صفراً؛ أي أنه تم تحرير سعر الكهرباء بالكامل، كما تم تخفيض دعم البترول بمقدار 47%.

واعتبر ذكر الله كل هذه التخفيضات في الدعم المقدم للمواطنين سيمس بصورة رئيسة الشريحة الفقيرة في المجتمع؛ فالأرقام الرسمية لدى جهاز التعبئة والإحصاء تتحدث عن أن عدد الفقراء في مصر بلغ نحو 32.5% ويقول البنك الدولي:

التخفيضات في الدعم ستمس بصورة رئيسة الشريحة الفقيرة و60% من المصريين سيكونون تحت خط الفقر

كل الدول قدمت حِزَم مساعدات لجانبي العرض والطلب بالاقتصاد لكن الحِزم التي قدمت للعمالة المصرية واهية للغاية

إن هناك 27% آخرين دون خط الفقر وقريبين منه للغاية، مؤكداً أن الـ 60% من المصريين سيكونون هم بالكامل وقعوا تحت خط الفقر وربما نسبة أكبر من ذلك خلال العام الجاري.

هروب الاستثمار الأجنبي

وأشار ذكر الله إلى أن هروب الاستثمار الأجنبي من مصر ليس بحالة مصرية، وإنما حالة تشهدها الأسواق الناشئة، فهناك خسائر كبرى في كل الشركات حول العالم؛ وبالتالي كل المستثمرين ينزحون أموالهم تجاه الموطن الأصلي لشركاتهم أو وطنهم الأم في محاولة لتعويض خسائرهم أو من أجل سداد أجور العاملين.

وتابع أن نزوح الأموال في حد ذاته ليس المشكلة الكبرى، فعلى سبيل المثال؛ نزوح 10 مليارات دولار من أدوات الدين المحلية في مقابل 150 مليار دولار احتياطي لبعض الدول لن يشكل مشكلة كبرى، وإنما في حالة مثل مصر يمثل فيها أدوات الدين المحلية أو الاستثمار في أذون الخزانة نسبة كبرى من هذا الاحتياطي الأجنبي، فهنا تكمن المشكلة.

وأوضح ذكر الله أن كل دول العالم توجهت بحِزَم مساعدات لجانبي العرض والطلب في الاقتصاد، كما أنه كان هناك مساندة كبيرة لجوانب قطاع العمالة، فعلى سبيل المثال؛ الاقتصاد الأمريكي الآن يقدم إعانات لنحو 30 مليون عاطل، وتوجد دول أخرى في العالم قدمت إعانات بطالة للعاطلين.

واعتبر ذكر الله أن الحِزم التي قدمت للعمالة المصرية كانت واهية للغاية، مضيفاً أن معظم تلك العمالة هي عمالة يومية غير منتظمة، يقدرها الجهاز المركزي للتعبئة والإحصاء بأكثر من 5 ملايين عامل، فهذه الحزمة المقدمة إليهم بقيمة 500 جنيه شهرياً للعامل لمدة 3 أشهر حزمة ضئيلة للغاية، ولا تكفي أسبوعاً لأسرة متوسطة؛ وبالتالي لا بد من العمل على رفع هذه الحزمة.

وطالب محمد عباس الحكومة بالعمل على طمأنة المستثمرين ومساعدة الطبقات الفقيرة والمتوسطة على تخطي أعباء «كورونا»، واتخاذ إجراءات جدية بشأن مكافحة المرض والتصدي له، والتخفيف من الآثار السلبية التي ستنعكس على كل قطاعات الأعمال بالبلاد.■

محللون سياسيون مغاربة:

ضرورة الحفاظ على التوازن بين مؤسسات الدولة وباقي الفاعلين بعد «كورونا»

الرباط - عبدالغني بلوط:

أعاد تدبير أزمة جائحة فيروس «كورونا» في المغرب إلى الواجهة السؤال حول من له أحقية القيادة والمبادرة، هل هم المنتمون إلى الأحزاب السياسية القادمون من صناديق الاقتراع، الحائزون ولو نسبياً على شرعية انتخابية وشعبية، أم رجال السلطة والتكنوقراط الموالون قلباً وقالباً للإدارة؟

هذا السؤال يفرض نفسه بقوة في كل محطة من المحطات السياسية المفصلية التي يعرفها المغرب؛ لأنه تعبير، من جهة، عن مخاوف تكريس هيمنة الدولة في كل مجالات الحياة، وهي القوة الرئيسة في كل معادلة سياسية، وتطلع، من جهة أخرى، إلى مزيد من التمكين لديمقراطية نامية.

في هذا التقرير، يوضح محللون سياسيون بالمغرب، في تصريحات لـ «المجتمع»، العلاقة بين الفعل السياسي والتحولات العالمية في واقع زمن «كورونا»، ولجوء الدول القوية إلى التكنوقراط خلال الأزمات، ويسلطون الضوء على المؤثرات الداخلية والسياق التاريخي في صياغة المشهد السياسي المغربي، وعلاقة ذلك بالتضييق على حزب معين بذاته.

كما يقدم هؤلاء توقعاتهم حول المآلات المرتقبة، ويقترحون تصوراتهم للإبقاء على ذلك التوازن الضروري بين مؤسسات الدولة وباقي الفاعلين، والسماح لكل الأصوات بالظهور رفعاً لكل سوء فهم بين جميع الأطراف، وربحاً لرهان التحديات التي تفرضها الجائحة في واقع متقلب.

مع تفشي الوباء في العالم، وتعثر عجلة الاقتصاد، وتأثر قطاعات حيوية واسعة، وتغير السلوك العام للدول ومجتمعاتها، دخل الوضع الدولي مرحلة جديدة لا يمكن إنكارها، تظهر معالمها في الصراع الظاهر بين الولايات المتحدة المهيمنة على المشهد الدولي منذ عقود حفاظاً على مصالحها، وقوى عالمية جديدة.

لكنَّ تشكُّل هذا الوضع واتجاهه إلى عالم ذي قطبين أو متعدد الأقطاب أرخى بظلاله على باقي الدول بدرجات متفاوتة، وكان تأثيره أقوى على دول نامية مثل المغرب، مع ما رافق ذلك من ملاحظة لعودة ما سمي بالدولة الراعية، وعلاقة كل ذلك بتقدم أو تراجع الالتزام بالديمقراطية، والتغير الحاصل في المشهد السياسي.

إن لجوء الدول المتواتر للتكنوقراط يظهر مع كل أزمة على الرغم من اختلاف منظوماتها الأيديولوجية والحضارية، تجلى ذلك في مراحل مفصلية مر منها العالم، منها ما بعد الحربين العالميتين الأولى والثانية قديماً، وحديثاً مع الأزمة المالية لعام 2008م، وحالياً مع أزمة «كورونا».

في هذا السياق، يرى أستاذ العلوم السياسية خالد الشيات، أن استعادة التفكير في مفاهيم التمثيلية ليست قائمة في المغرب فقط، بل إن التحول المفاهيمي العام يمس كل القوى الديمقراطية الغربية، خاصة مع ترهل البنيات المنتَخَبة في ظل الأزمة التي يعرفها العالم اليوم، وصعود القوى الفعَّالة ذات الأنظمة شبه الشمولية كالصين، أو أنظمة ديمقراطيات الواجهة كروسيا.

مع ذلك، يبقى الأكاديمي المغربي عبدالصمد بلكبير متفائلاً بالديمقراطية، وتحدث عن هزيمة ما أسماه «الليبرالية المتوحشة»، مبرزاً أن المؤشرات قد تكون في صالح تحرر الشعوب وسلامها، ونجاح الديمقراطية الجديدة، ومزيد من الحريات والرخاء، قد تستفيد منها الدول الناشئة مثل المغرب كما وقع بعد الحرب العالمية الثانية.

واقع محلي

للمؤثرات الداخلية أيضاً دور في طبيعة وحجم دينامية المشهد السياسي المغربي، إذ إن بين قوة الدولة بطبيعتها، وضعف تأثير الأحزاب السياسية بحكم إمكاناتها ومدى تأثيرها في الواقع، يبرز الفارق أكثر في زمن تدبير الأزمات.

ويؤكد بلكبير أن الشروط كلها في زمن



«كورونا» فرضت أن تقوم الدولة بدورها الضبطي بدرجة عالية، لا يمكن أن يقوم به إلا قوة قاهرة لديها وسائلها، لكن ذلك منح لها الفرصة لأن تكرس هيمنتها.

ويرى الكاتب والحقوقي خالد بكاري أن التدبير السياسي هو ترجمة واضحة لكيفية تصور الدولة المغربية للأحزاب السياسية والمؤسسات المنتخبة؛ ولذلك تم استبعاد الأحزاب في هذا الظرف حتى على مستوى التشاور الشكلي، كما تم استبعاد المؤسسات المنتخبة.

فيما يعتقد خالد الشيات أن المشهد السياسي العام والحزبي منه ليس رهيناً بمآلات أزمة «كورونا»، بل هو تعبير عن وضع قائم ومستمر يتضمن مجموعة من المقدمات أو الآليات التي ينهلها من بيئة سلطوية قائمة.

ويشير الشيات إلى أنه ليس فقط الأحزاب والحكومة وتوابعها من وجد نفسه قليل التدخل في التدبير، بل أيضاً جُل ما نتج عن المنظومة المؤسساتية المنتخبة بما فيها الجماعات الترابية، وهذا يعني إزاحة سياسية للقوى الحقيقية بالبلاد، ولكن أيضاً ضعف المكونات التي أصبحت إما ثانوية أو آليات للتنزيل في أحسن الأحوال.

بدوره، يرى المحلل السياسي عبدالحفيظ اليونسي أن تدبير حالة الطوارئ الصحية في زمن كورونا يعرف، بحكم طبيعة الحالة التي تمر منها الدول، بحضور قوي للسلطة التنفيذية، فالدولة الحديثة ارتبطت بمفهوم حالة الاستثناء، حيث قدرة الفاعل العمومي على الفعل، وبالتالي فإن الحضور اللافت في تدبير هذه المرحلة هو المُعَيّن وليس المنتخب، وهذا المُعَيّن ليس بالضرورة أن يكون تكنوقراطياً.

مستقبل سياسي

إن تحليل ما يقع على مستوى تدبير هذه المرحلة لا يمنع من طرح سؤال آخر ما بعد «كورونا»، وتصور المحللين والفاعلين السياسيين لمستقبل المشهد السياسي المغربي.

ويتوقع خالد بكاري أن يعود الوضع لسابق عهده؛ أي رجوع الأحزاب والمؤسسات المنتخبة لأدوارها الشكلية، مؤكداً أن تمدد مجال السلطوية في المغرب وهيمنته المتزايدة على فضاءات مختلفة هو اختيار كان قبل «كورونا» التي لم تكن إلا لحظة من لحظات تسريع الهيمنة وتطبيع المجتمع والنخب مع هذا الوضع.

بكاري: التدبير السياسي ترجمة لكيفية تصور الدولة للأحزاب السياسية والمؤسسات المنتَخَبة المُبعَدة

بلكبير: ما بعد «كورونا» سيطول لتعوّد الدولة على ممارساتها السلطوية

اليونسي: صعود دور «الداخلية» أدى لتراجع المؤسسات المنتخبة بنهج مقصود

بيد أن عبدالصمد بلكبير يشير إلى أن ما بعد «كورونا» سيطول؛ لأن الدولة ستتعود أكثر على ممارساتها السلطوية، وتوسع الفارق بين سلطتها وسلطات باقي الفاعلين مع تقلص الحريات، وذلك بحكم ما ستفرضه الجائحة نفسها من سلوك في المجتمع من خلال التباعد الاجتماعي إلى حين.

في المقابل، يرى عبدالحفيظ اليونسي أن استمرارية الدولة مرتبطة أساساً بقوة السلطة العمومية وخصوصاً وزارة الداخلية، لكن الواقع لا يرتفع آجلاً أم عاجلاً، والدولة محتاجة إلى كل المؤسسات والفاعلين للخروج من خطورة القادم من الأيام، خصوصاً اقتصادياً واجتماعياً، الذي ستكون له انعكاسات أمنية على الاستقرار، حيث السياسة تؤدي دوراً مهماً في الحفاظ عليه وليس الأمن وحده.

ويؤكد أن صعود دور ممثلي وزارة الداخلية أدى تلقائياً إلى تراجع حضور طبيعي للسياسيين في المؤسسات المنتخبة وطنياً أو محلياً، يمكن أن يكون مقصوداً.

هل لكل ما سبق علاقة بالانتخابات القادمة، لا سيما أن عدداً من القوى الفاعلة أبدى تذمره من استمرار حزب العدالة والتنمية على رأس الحكومة لولايتين متتابعتين؟

يلاحظ الإعلامي والكاتب الصحفي حسن بويخف أنه خلال تطبيق الإجراءات الاحترازية، لوحظ تعامل تمييزي للسلطات بين الأحزاب، وهذا وإن لم يكن شاملاً، فهو يعبر عن اختلالات مقلقة في تدبير العلاقة بين الطرفين في الأزمات، فمثلاً؛ مقابل منع بعض أنشطة حزب المصباح في مناطق معينة دون أن يطال المنع غيره من الأحزاب، نجد أيضاً أن السلطات غضت الطرف عن أنشطة حزب الأحرار تتعلق بالقيام بتوزيع مساعدات اجتماعية مباشرة في عدة مناطق من المغرب، ورغم أنه عمل غير قانوني، فإنه لم يفتح أي تحقيق حول ما جاء حوله في وسائل الإعلام.

إن هذا التمييز، بحسب بويخف، يؤكد السعي الفاشل إلى استثمار أي مناسبة لضرب التنافس الحر والنزيه بين الأحزاب، ويعكس تصوراً تقليدياً كان يطبق بشكل ممنهج حتى في محطات الانتخابات.

ويضيف بويخف أن السلطوية تعلم جيداً أن فتح أي مجال، كيفما كان، أمام الأحزاب لا يعني سوى مزيد من تقوية حزب المصباح؛ لذلك تفضل مقاربة التضييق، ورغم ذلك فوضع المشهد الحزبي اليوم يؤكد أن حزب المصباح يتمتع بوضع جد مريح، وأن المعارضة ضعيفة جداً، وأن عمليات حشد جهات إعلامية لملء الفراغ الذي تركته المعارضة لن تنجح.

بدوره، يؤكد عبدالحفيظ اليونسي أن تجربة المغرب السياسية تؤكد خطورة جمع السلطة في جهة واحدة، وأنه لا بد من الحفاظ على شرعية ومشروعية الفعل العمومي، وأن مؤسسات الوساطة لها دور مهم في أي نظام سياسي، مضيفاً أنه سبق للدولة في خلاصاتها بخصوص حراك الريف وجرادة أن أشارت إلى أن من أسباب هذا الحراك ضعف مؤسسات الوساطة.

ويشير إلى أن هذه الأزمة سيكون لها تأثير على نسب المشاركة، محذراً من أن الطلب على الدولة وإن كان يريح البعض ممن يتوجس من الديمقراطية والأحزاب السياسية، فإن وفاء الدولة بقدرتها التوزيعية والاتفاقية ستكون جد محدودة في المرحلة المقبلة، وبالتالي المطلوب هو وجود رهانات حقيقية للرفع من جاذبية المشهد السياسي وحيوية حقله الحزبي.■

جدل مثار حول تصريحات سعيّد بفرنسا



هيمنة فرنسا على تونس.. هل كانت احتلالاً أم حماية؟

تونس- عبدالباقي خليفة:

لا يزال الجدل متواصلاً في تونس حول مضامين الزيارة التي قام بها الرئيس التونسي قيس سعيّد إلى باريس، مؤخراً، ولا سيما التصريحات المثيرة التي أدلى بها لوسائل الإعلام الفرنسية، خاصة عندما أطلق لفظ «الحماية» على الاحتلال الفرنسي لتونس؛ أي بنفس التسمية التي فرضها الفرنسيون على تلك «المعاهدة» التي وقّعت تحت تهديد السلاح عام 1881م.

عندما رد قيس سعيّد على سؤال في المناظرة التي تمت بينه وبين المرشح الثاني للرئاسية نبيل القروي، في أكتوبر 2019م، حول التطبيع بأنه «خيانة عظمى»، نزل لمكاتب الاقتراع كثير ممن كانوا لا ينوون التصويت وصوّتوا له، لكن الأمر اختلف عند الكثيرين عندما لاحظوا، أخيراً، أن رئيسهم يعتبر الاحتلال الفرنسي لبلادهم «حماية» وليس احتلالاً، ومختلف عمّا حدث في الجزائر، كما لو كان الاحتلال الفرنسي لتونس كان يقدم للشعب السمن والعسل!

ففي حوارين أجراهما سعيّد، أحدهما لـ «فرانس 24» العربية، والآخر بالفرنسية، وقد اختلفت الأسئلة حسب الجمهور الموجّه له الحوار، وقد علّق سعيّد على لائحة طلب الاعتذار من فرنسا بترديد مثل فرنسي يقول: «من يعتذر يتهم نفسه»، وعندما رد المذيع سريعاً: «ولِمَ لا؟»، أجاب سعيّد: «نحن ننظر نحو المستقبل، التاريخ وصفه ماكرون نفسه بكونه شهد فترات مضطربة»، هنا استوقفه من جديد المذيع: «ماكرون نفسه اعترف بجرائم ضد الإنسانية في الجزائر»، فرد سعيّد: «هذا في الجزائر نعم»، استوقفه المذيع: «أكان الأمر مختلفاً في تونس؟»، قال سعيّد: «كانت هناك جرائم في تونس وفظائع، لكن الأمر مختلف، في تونس كنا تحت حكم الحماية وليس الاستعمار المباشر كما هي الحال في الجزائر».

لم يصدق المذيع ما سمعه فجدّد السؤال: «إذن ليس لديكم الحق في اعتذار؟!»، يجيب سعيّد: «لديهم الحق، لكن صياغة الاعتذار ليس كافياً، ربما اعتذار مع مشاريع وشراكات، ربما هذا أهم من اعتذار، يمكن طلب تعويض»، المذيع لا يتوقف عن السؤال: «هل طالبت به؟»، ينفي سعيّد: «لا لم أطلب ذلك أبداً».

لم يكتف بذلك، بل ذكر بأن اللائحة التي تقدمت بها كتلة «الحرية والكرامة» لم تمر، بل واتهمها بأنها غير بريئة: «أولاً اللائحة لم تمر، ثم هي ليست بريئة»، وتساءل مثيراً استغراب ودهشة التونسيين: «لِمَ نطالب بعد 60 سنة بالاعتذار؟ أعتقد أنَ هناك أحداثاً تاريخية واضحة وجلية، الفرنسيون أنفسهم يعترفون بها، وأعتقد أن طلب الاعتذار يكون بطرق أخرى وليس بلائحة»!

احتلال أم حماية؟

أثارت إجابات وتصورات سعيّد التي تم اكتشافها في فرنسا ولم يكن التونسيون على علم بها السؤال مجدداً: هل هيمنة فرنسا على تونس منذ عام 1881م كان احتلالاً أم حماية؟ وقد شارك في هذا السجال أكاديميون وصحفيون ونواب في البرلمان التونسي.

واكتشف التونسيون مجدداً أن موضوع الاحتلال الفرنسي ليس عليه إجماع بين التونسيين، الذين نصت وثيقة «استقلالهم» أن اللغة الفرنسية ليست لغة أجنبية، وظل بعضهم وفياً إلى هذا النص حتى اليوم؛ فيقولون مثلاً: «اللغة العربية والفرنسية واللغات الأجنبية» (هكذا).

ومن الغرائب والطرائف أن تكون إحدى النائبات على رأي سعيّد؛ حيث انتقدت في كلمتها بالبرلمان من اعتبرتهم لا يميّزون

بين الحماية والاحتلال، وأنّهم يستهدفون رئيس الجمهوريّة، وميّزت بين تدخّل فرنسا في الجزائر الذي كان عسكرياً وتدخّلها في تونس الذي كان باتّفاق! لكنَّ الأستاذة، كما يقول الأكاديمي البارز سامي براهم، نسيت أن تقول لنا: هل هذا التدخّل الذي تمّ باتّفاق كان عسكرياً أم سلمياً؟ وهل هذه الاتفاقية حالت دون احتلال البلاد واستيطانها وافتكاك الأراضي ونهب الخيرات وارتكاب أفظع الجرائم بحقّ أهلها مثلما وقع في الجزائر ولا يقلّ عنه في شيء؟!

المعركة الدائرة في تونس استدعيت فيها الوثائق التاريخية، ومنها كتاب «المسألة التونسية والسياسة العثمانية» للدكتور عبدالرحمن تشايجي، ترجمة المؤرّخ عبدالجليل التميمي؛ وذلك لإثبات أن ما جرى في مايو 1881م كان احتلالاً وليس معاهدة بين طرفين كاملي الإرادة، ومن ذلك مراسلة باي تونس للباب العالي (تركيا) يوضح فيها ظروف إمضائه معاهدة «باردو»، وجاء فيها: «أعلم سيادتكم أنّ الجنرال قائد الجيش الفرنسي الذي يوجد كما أعلمت سيادتكم في منطقة الجديدة قد اقترب مساء اليوم الخميس من مقر إقامتي، وقد قدم على قصري تصحبه كتيبة من جنود الخيّالة، وطلب منّي إمضاء معاهدة حماية، معلناً أنّه لن يغادر القصر إلا بعد حصوله على جوابي، ولم يمهلني إلا أربع ساعات، وعندما لاحظت أنّني وقعت تحت ضغط القوّة نتيجة وجوده بالقصر؛ اضطررت لإنقاذ الشرف وإراقة الدماء إمضاء المعاهدة دون دراستها أو مناقشة أي بند منها، معلناً أني أمضيتها رغماً عني وتحت التهديد»، وهذه الرسالة بتاريخ 15 مايو 1881م.

ففي 6 أبريل 1881م، طلبت الحكومة الفرنسية من الباي الترخيص لجنودها بالدخول إلى التراب التونسي لـ «إخضاع القبائل المتمردة»، ورفض الباي الاستجابة لهذا الطلب، وفي 28 أبريل 1881م، تم دخول 28 ألف جندي من الحدود الجزائرية إلى الأراضي التونسية.

وفي 1 مايو، فرض الجنرال «جول إيمي بريار» حصاراً على مدينة بنزرت بقوة قوامها 8 آلاف جندي، وفي 3 مايو دخل الجنرال «بريار» حاضرة تونس، وفي 11 مايو حوصر قصر الباي، وفي 12 مايو أرغم الباي على إمضاء اتفاقية الحماية لتسويغ الاحتلال.

المعركة الدائرة استدعيت فيها الوثائق التاريخية لإثبات الاحتلال وليس معاهدة بين طرفين كاملي الإرادة

برلماني لسعيّد: هل تُجرِّم التطبيع مع الكيان الصهيوني وتعتبره خيانة بينما تُسمّي احتلال بلادك حماية؟

مؤلف «تونس الشهيدة» عن الاستعمار الفرنسي: إنه صراع حتى الموت وحرب صليبية ضد مجتمعنا واغتصاب منظَّم لثرواتنا

أما الأكاديمي د. محمد ضيف الله، أستاذ التاريخ المعاصر، فعنون تدوينة له على «فيسبوك» تحت عنوان «تكلم لأراك»، قائلاً: ما قاله قيس سعيّد في الندوة الصحفية مع الرئيس الفرنسي كان كافياً لمعرفة ما استمر عليه من غموض، طيلة أشهر بعد انتخابه، وها قد زادت المقابلة مع «فرانس 24» لتبين ما بقي مما خفي، وتابع: السياسة لا نتعلمها في العمر الثالث، والتاريخ كذلك، وهو على فكرة المعرفة الوحيدة التي كان يهتم بها الحكام القدامى.

وأردف: دعنا من الأحداث والانتفاضات التي تتالت والفظاعات التي ارتكبت في حق أجيال من التونسيين الذين رفضوا أن «تحميهم» فرنسا، حتى لو تمسكنا بالنصية القانونية، اتفاقية الحماية المفروضة، في 12 مايو 1881م، لم تكن إلا خطوة أولى، أعقبتها اتفاقية المرسى المفروضة أيضاً، في 8 يونيو 1883م، التي أصبحت فرنسا بموجبها تتحكم بكل شيء في تونس؛ بشراً وثروات.

وختم تدوينته قائلاً: واضح، قيس سعيد لم يقرأ تاريخ تونس، وواضح أيضاً أن التكوين في القانون والاشتغال بالسياسة كلاهما يتطلب حداً أدنى من معرفة العلوم الإنسانية والاجتماعية ومن بينها التاريخ.

تجريم التطبيع والحماية

وفي رسالة طويلة بعث بها النائب في البرلمان (صحفي سابق) الصحبي سمارة إلى الرئيس سعيّد، قال فيها: هل تريد أن تقنعنا أنك فعلاً تُجرِّم التطبيع مع الكيان الصهيوني وتعتبره خيانة بينما تُسمّي احتلال بلدك لأكثر من ثمانين عاماً حماية؟! هل تريد أن تقنعنا أنه بإمكانك من الآن فصاعداً أن تحدثنا عن معاني السيادة وأنت أمين سرّ مجلس أمننا القومي؟ هل أنت أدرى بدماء شهداء معركة التحرر الوطني على مدى ثلاثة أجيال أكثر من مؤرخي العالم؟ هل أنت أعمق من نعوم تشومسكي، وهاربرت ماركيز، وقبلهما كلود ليفي ستروس، الذين وصفوا الاحتلال بالاحتلال؟ هل أنت أكثر معرفة من سمير أمين؟ هل أنت أدرى من الهادئ التيمومي، وعبدالجليل التميمي (مؤرخ مشهور بتونس)؟!

وختم قائلاً: إذا كانت هذه زيارتك الأولى التي تستجدي فيها قطار الخطوط البعيدة وبعض البنايات وصفتَ فيها الاحتلال الدموي الغاشم بـ «الحماية»؛ فماذا ستقول في الزيارة الثانية؟ هل ستصف شهداءنا بالمتمرّدين؟ هل ستعتبرهم مجرّد فوضويين رفضوا مشروع التحضّر الذي جاء به المقيم العام روستان على رؤوس الدبابات عام 1881م؟

يقول الزعيم التونسي عبدالعزيز الثعالبي الذي نفته فرنسا ومات بالمنفى في كتابه «تونس الشهيدة»: «مِنْ واجبِنا أن نوضح الصفات الحقيقية للاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية، إنه صراع حتى الموت، وحرب صليبيّة موجهة ضد مجتمعنا، إنه الاغتصاب المنظّم لثرواتنا».

ويضيف: «إنه يهدف إلى تفقيرنا بانتزاع أراضينا الخصبة، وتجميد مؤسساتنا الزراعية وإصدار قوانين تقضي على تجارتنا وصناعتنا، وهو يرمي إلى الحطّ من مستوانا الثقافي والأخلاقي بإبقائنا في حال جهل وهوان وبانعدام المدارس، وانتهاج الحكومة لسياسة التمييز المسلّطة على تدريس اللغة الوحيدة القادرة على إحيائنا، وهو يرمي أيضاً إلى استبعادنا بإقصائنا عن إدارة شؤوننا العامة وعن السلطات الاجتماعية، وأخيراً فإن ما تهدف إليه الحكومة بتونس هو انحلال تنظيم اجتماعي عزيز علينا والنزول بنا إلى مستوى الجنس الأسفل».■





«المخلب – النمر»..

عملية تركية جديدة في العراق



د. سعيد الحاج
محلل سياسي مختص بالشأن التركي

أعلنت القوات المسلحة التركية، في 17 يونيو الماضي، عن إطلاق عملية «المخلب - النمر» ضد مسلحي حزب العمال الكردستاني في شمال العراق.

العملية البرية المدعومة من الجو بمروحيات «أتاك» والمسيّرات محلية الصنع تستهدف قوات الحزب في منطقة «حفتانين» الإستراتيجية، وتبنى على عمليات تركية سابقة كان آخرها عملية «المخلب - النسر» التي سبقتها في مارس الماضي.

يخوض حزب العمال الكردستاني، وهو منظمة إرهابية وفق التصنيف التركي والعراقي والأوروبي والأمريكي والأممي، حرباً انفصالية ضد تركيا منذ عام 1984م، تسببت في مقتل عشرات آلاف المواطنين الأتراك، إضافة لخسائر اقتصادية قدرت بمئات مليارات الدولارات.

وقد استفاد «الكردستاني» من التطورات في شمال العراق في حرب الخليج الأولى عام 1991م، ثم غزو العراق في عام 2003م؛ ليؤسس لنفسه معقلاً لإدارة المواجهة مع تركيا تدريباً وتخطيطاً وإطلاقاً للعمليات، ثم على هامش ضعف سيطرة الحكومة السورية على المناطق الشمالية بعد الثورة، أعلن فرعه السوري (حزب الاتحاد الديمقراطي) إدارات ذاتية على ثلاثة «كانتونات» في الشمال السوري مطلع العام 2014م.

وفي يونيو 2015م، وعلى إثر تراجع حزب العدالة والتنمية في الانتخابات البرلمانية وتأخر تشكيل حكومة جديدة، تراجع «الكردستاني» عن الهدنة التي كان أعلنها بناء على مسار التسوية الذي كان قد انخرط فيه منذ سنوات مع الحكومة التركية، واستأنف في يوليو 2015م عملياته العسكرية في الداخل التركي.

بالتزامن مع ذلك، أعلن عن إدارات ذاتية في مناطق الأغلبية الكردية في الشرق والجنوب الشرقي التركيين، ما عني أن مواجهة تركيا للعمال الكردستاني باتت داخلية وخارجية، في تركيا والعراق وسورية، لا سيما مع الدعم الأمريكي الكبير والعلني والمتزايد لوحدات الحماية الشعبية (الذراع المسلحة للكردستاني في سورية) رغم تحفظات الحليف التركي.

وعليه، رسمت تركيا إستراتيجية متكاملة ومتدرجة لمكافحة الكردستاني ودفع شبح التقسيم وتفجير الملف الكردي الداخلي عن نفسها، بحيث تتكامل جهود الحكومة في الداخل وفي سورية والعراق، بتكاتف عمل المؤسسات المختلفة وفي مقدمتها وزارتا الداخلية والدفاع مع جهاز الاستخبارات.

أفشلت تركيا الإدارات الذاتية في الداخل بعد أن أنهت حالة حرب المدن في مناطق الأغلبية الكردية لصالحها بشكل حاسم ونهائي، وأطلقت منذ عام 2016م –بعد الانقلاب الفاشل– أربع عمليات عسكرية في سورية، هي على التوالي: «درع الفرات»، «غصن الزيتون»، «نبع السلام»، وأخيراً «درع الربيع».

العراق

تواجه تركيا وجود العمال الكردستاني في جبال قنديل شمالي العراق منذ عشرات السنين، وكانت مكافحتها تقوم بالأساس على القصف من الجو، دون أن يمكنها ذلك من كسر شوكته بشكل ملموس، وقد أبرمت

مع الحكومة العراقية اتفاقيات وتفاهمات لمكافحة النشاط الإرهابي انطلاقاً من أراضيها، بما في ذلك حق تركيا فيما عرف بـ «الملاحقة الساخنة»؛ أي الدخول في قلب الأراضي العراقية لبضعة كيلومترات لملاحقة مسلحي المنظمة، في حال عجزت الحكومة العراقية عن فعل ذلك.

كما أبرمت أنقرة كذلك عدة تفاهمات مع حكومة إقليم كردستان العراق لاحقاً، لا سيما وأن الأخيرة ليست على وفاق فكري وأيديولوجي وسياسي مع «الكردستاني»، بل يمكن اعتبارهما متنافسَيْن شرسين على قيادة الكرد.

بَيْدَ أن أنقرة أدركت لاحقاً أن التوقف عند حد ما يتيح المجال للمنظمة الإرهابية لإعادة ترتيب صفوفها وشن عملياتها، خصوصاً أنها تحظى بدعم خارجي؛ ما يحتم الاستمرار في العمليات المتدرجة وفق الرؤية الشاملة، تشمل هذه الرؤية مواجهته في كافة معاقله: جبال قنديل معقله الأساسي، وسنجار أو شنغال معقله البديل، ولاحقاً عمق الأراضي العراقية مثل حفتانين وغيرها حيث شبكة الأنفاق والمغارات والدعم اللوجستي.

الإستراتيجية التركية المتدرجة قضت بالتعمق في العمليات شيئاً فشيئاً داخل الأراضي العراقية لإبعاد خطر «الكردستاني» عن الحدود والداخل، فكانت عمليات «المخلب 1 و2 و3» ابتداءً من مايو 2019م، التي أمَّنت خلالها منطقة هاكورك الإستراتيجية، وأنشأت منطقة آمنة فعلياً لتأمين الحدود، فضلاً عن تحييد عدد من قيادات الحزب.

في مارس الماضي، أطلقت تركيا عملية «المخلب – النسر» (عملية جوية) ضد مواقع «الكردستاني» في الشمال العراقي، وتعدُّ عملية «المخلب – النمر» (عملية برية) امتداداً واستمراراً لها بتركيزها على منطقة حفتانين.

محاذير

بعد أيام من إطلاقها، أعلنت القوات المسلحة التركية عن تدمير أكثر من 150 موقعاً للعمال الكردستاني، إضافة لتحييد عدد كبير من قياداته من خلال العمليات المتتالية؛ ذلك أن التنسيق المتزايد بين القوات المسلحة وجهاز الاستخبارات وكذلك وزارة الداخلية يشي بتشكيل وحدة خاصة تلاحق قيادات المنظمة، كما أوردت بعض الكتابات الصحفية في تركيا، وكان من نتيجة ذلك تحييد أسماء مهمة في التراتبية القيادية للمنظمة، منهم المسؤول الإعلامي، وعدد من القيادات الميدانية المسؤولة عن عمليات إرهابية، فضلاً عن مسؤولين داخل تركيا، وعدد كبير من المسلحين والأفراد.

ولعل العقبة الكبرى التي تواجهها تركيا في هذا النوع من العمليات هي رد الفعل الرسمي من العراق، الذي يعدُّ العمليات انتهاكاً للسيادة العراقية، بعد إطلاق تركيا للعملية، استدعت الخارجية العراقية السفير التركي في بغداد وسلمته مذكرة احتجاج على العملية، كما حصل سابقاً، وكان الرد التركي بأن العمليات التركية ستستمر ما دام خطر «الكردستاني» قائماً ضدها.

تركيا رسمت إستراتيجية متدرجة لمكافحة الحزب الكردستاني ودفع شبح التقسيم وتفجير الملف الكردي الداخلي

.. وترى أن عملياتها تحظى بالمسوغات السياسية والقانونية الكافية وبالتالي لا تعبأ كثيراً بالنقد الموجَّه لها

العقبة الكبرى التي تواجهها تركيا بهذه العمليات رد الفعل الرسمي العراقي الذي يعدها انتهاكاً لسيادته

أنقرة تضع ردود الفعل الرسمية العراقية ضمن المتوقَّع والمنتظر رسمياً وبروتوكولياً وكذلك للاستهلاك المحلي

تقول السردية التركية: إن أنقرة لا تستهدف أمن العراق ولا سيادته، وإنها لا مطامع لها في أراضيه، وإن هدفها الأساسي هو القضاء على خطر العمليات الإرهابية ضدها انطلاقاً منه؛ وبالتالي، فإن أنقرة ستكون أكثر من سعيدة لو كان العراق قادراً على إنجاز هذه المهمة بحيث لا تضطر هي للاضطلاع بها.

تتكئ تركيا في تسويغ عملياتها في العراق على الاتفاقات والتفاهمات سابقة الذكر مع بغداد وأربيل، وكذلك التصنيف الدولي للعمال الكردستاني كمنظمة إرهابية؛ وبالتالي مشروعية مكافحة الإرهاب، فضلاً عن حق الدفاع عن النفس المكفول في المواثيق والنصوص الدولية، ولذا فهي ترى أن عملياتها تحظى بالمسوغات السياسية والقانونية الكافية، وبالتالي تملك شبكة أمان إقليمية ودولية تجعلها لا تعبأ كثيراً بالنقد الموجَّه لها.

أكثر من ذلك، يبدو أن تركيا تعوّل على تفهم «ضمني» من الحكومة العراقية لعملياتها، بالرغم من الاحتجاجات البروتوكولية أو المبنية على حسابات سياسية داخلية، ومن شواهد ذلك موجة الاحتجاج الشديدة على معسكر «بعشيقة» قبل سنوات التي غابت لاحقاً، وإعلان أنقرة عن عملية عسكرية داخل العراق خلال زيارة رئيس الوزراء العراقي لأنقرة؛ بما يحمل إشارات واضحة على غض النظر العراقي عنها، فضلاً عن زيارة رئيس جهاز الاستخبارات التركية إلى بغداد قبل أيام من العملية الأخيرة؛ بما يعني وضع القيادة العراقية في صورتها.

يعني كل ذلك أن أنقرة تضع ردود الفعل الرسمية العراقية ضمن المتوقَّع والمنتظَر رسمياً وبروتوكولياً وكذلك للاستهلاك المحلي، بينما الموقف الحقيقي هو تفهم دوافع تركيا ومتطلبات أمنها لا سيما في ظل عجز بغداد نفسها عن كفايتها مؤونة تلك العمليات، وبالتالي فالمتوقع هو استمرار العمليات التركية الآن ومستقبلاً في سبيل تحقيق الأهداف النهائية لإستراتيجية مكافحة منظمة العمال الكردستاني في الداخل والإقليم.■



براء الشعار
باحث شرعي

هل يتعطل موسم الحج من أجل «كورونا»؟

إقامة مناسك الحج بكافة أركانه ممكن إذا تمت مراعاة الضوابط الصحية اللازمة مع تخفيض أعداد الحجاج

اجتاح فيروس «كورونا» العالم كله، وتعطلت الحياة في نواح كثيرة، ومما تأثر بهذا بشكل مباشر الشعائر التعبدية، وأبرزها الصلوات اليوميّة، والجمعة خلال الأسبوع، والعُمْرة خلال العام، نتيجة للقيود واسعة النطاق التي لا تزال مفروضة على الحياة العامة، ومع اقتراب موعد موسم الحج يبرز التساؤل: هل يمكن أن يؤدِّي هذا إلى تعطيل فريضة الحج في العام الحالي؟ أم يمكن أداء الفريضة في ظل هذه الظروف بصورة ما؟ وهل لهذا الأمر سابقة في التاريخ الإسلامي؟ وإذا تعطل الحج كلياً أو جزئياً، فما الحكم الفقهي في هذه المسألة؟

نحاول في هذه السطور الوقوف على أجوبة لهذه الأسئلة وغيرها.

الحجُّ فرضٌ من فروض الله تعالى في دين الإسلام، بل هو ركنٌ من أركان هذا الدين، كما دل على ذلك القرآن، والسُّنة، والإجماع، قال تعالى: ﴿وَلِلَّه عَلَى النَّاس حجُّ الْبَيْت مَن اسْتَطَاعَ إلَيْه سَبيلاً وَمَن كَفَرَ فَإنَّ اللَه غَنيٌّ عَن الْعَالَمينَ﴾ (آل عمران: 97)، وفي الصحيحين عن ابن عُمَرَ رَضيَ اللَّه عنهما قال: سمعتُ رسولَ اللَّه صلَّى اللَّه عليه وسَلَّم يقول: «بُنيَ الإسْلامُ علَى خمس: شهادَة أنْ لا إلَهَ إلَّا اللَّه وأنَّ محمَّدًا عبدُه ورسولُه، وإقام الصَّلاة، وإيتاء الزَّكاة، وحج البَيْت، وصوْمَ رَمضانَ» (أخرجه البخاري: 8، ومسلم: 16)، وقد نقلَ الإجماع على ذلك الأئمة ابنُ المُنْذر، وابنُ حَزْم، والكاسانيُّ.

وإنمـا كـان الحـج بهذه المنزلة في دين الإسلام لما يحققه من أهداف سامية وحكم رفيعة، منها: تحقيقُ توحيد الله تعالى، وإظهارُ الافتقار إلى الله سبحانه، وتحقيق التقوى لله تعالى، وتهذيب النَّفْس البشريَّة، ولما في الحج من تذكير بالآخرة ووقوف العباد بين يَدَي الله تعالى يوم القيامَة، والحج تربية للأمَّة على معاني الوحْدَة الصَّحيحة، وكذلك في أداء فريضة الحج شكر لنعْمَة المال وسلامَة البَدَن، كما فصلت ذلك «الموسوعة الفقهية للدرر السنية» (2/ 34) باختصار.

حكم إقامة الحج كل عام

وإذا كان هذا هو حكم الحج على الأفراد، فما حكم إقامة الحج كل عام على الدول المسلمة أو المجتمع المسلم؟

إن إقامة موسم الحج في كل عام فرض كفاية على الأمة المسلمة، ولا يسقط عنها هذا الفرض عند القدرة إلا بإقامتها له، وهذا الشأن في جميع فروض الكفايات، قال السيوطي: قال الرافعي وغيره: «فروض الكفاية أمور كلية، تتعلق بها مصالح دينية أو دنيوية لا ينتظم الأمر إلا بحصولها، فطلب الشارع تحصيلها، لا تكليف واحد من جماعة المكلفين بعينه، بخلاف العين، وإذا قام به من فيه كفاية سقط الحرج عن الباقين، أو أزيد على من يسقط به فالكل فرض، أو تعطل؛ أثم كل من قدر عليه إن علم به، وكذا إن لم يعلم إذا كان قريباً منه يليق به البحث والمراقبة، ويختلف بكبر البلد، وقد ينتهي خبره إلى سائر البلاد، فيجب عليهم، وللقائم به مزية على القائم بالعين؛ لإسقاط الحرج عن المسلمين بخلافه، ومن ثم ادعى إمام الحرمين ووالده والأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني: أنه أفضل من فرض العين، وحكاه أبو علي السنجي عن أهل التحقيق، والمتبادر إلى الأذهان: خلافه.

وبمثل قول السيوطي والرافعي، قال الإمام النووي رحمه الله تعالى في كتابه «الإيضاح في مناسك الحج والعمرة» (ص 438)، قال: «قال أصحابنا: من فروض الكفاية أن تحج الكعبة كل سنة فلا تعطل».

هذا هو حكم الحج وإقامته في حق الفرد المسلم والأمة المسلمة في الظروف

الطبيعية؛ فهل من الممكن تعطيل هذه الفريضة لظروف طارئة؟!

هل تعطل الحج من قبل؟

إذا عدنا إلى التاريخ الإسلامي الموثوق، وجدناه يخبرنا عن تعطل فريضة الحج مرات عديدة في الأمة المسلمة، وقد ذكرت لنا هذه الكتب أسباباً متفاوتة لذلك؛ سياسية، أو اجتماعية، أو مناخية، أو بسبب الغلاء، أو الخوف من قطاع الطرق، وذكرت أيضاً من أسباب تعطل الحج انتشار الأوبئة.

فقد توقف الحج بسبب «القرامطة»، كما يذكر الذهبي في كتاب «تاريخ الإسلام»، ويذكر ابن كثير في «البداية والنهاية» أنه في عام 357هـ ظهر داء انتشر في مكة، فمات به خلق كثير، وفيها ماتت جمال الحجيج في الطريق من العطش، ولم يصل منهم إلى مكة إلا القليل، بل مات أكثر من وصل منهم بعد الحج.

وقد انقطع الحاج المصري في عهد العزيز بالله الفاطمي؛ لشدة الغلاء، وفي سنة 419هـ لم يحج أحد من أهل المشرق ولا من أهل مصر، وفي سنة 421هـ تعطل الحج أيضاً سوى عدد قليل من أهل العراق ركبوا من جمال البادية من الأعراب ففازوا بالحج، وفي سنة 430هـ لم يحج أحد من العراق وخراسان، ولا من أهل الشام ولا مصر.

ويقول ابن الأثير في أحداث عام 417هـ: «في هذه السنة، كان بالعراق برد شديد جمد فيه الماء في دجلة والأنهار الكبيرة، فأما السواقي فإنها جمدت كلها، وتأخر المطر وزيادة دجلة، فلم يزرع في السواد إلا القليل، وفيها توقف الحج من خراسان والعراق».

هذه بعض الحوادث التي وقعت في التاريخ تعطل لأجلها أداء الحج، وقد تحدث فقهاؤنا أيضاً عن هذا الأمر، ففي «البحر الرائق» (3/ 72)، وكذلك «الدر المختار» (2/ 612) مسألة: لو أمر الموصي رجلاً بالحج في هذه السنة فأخره المأمور إلى القابل فإنه يجوز عن الميت، ولا يضمن النفقة؛ لأن ذكر السنة للاستعجال لا للتقييد؛ لأن الحج لا يختلف باختلاف السنين، ففي أي سنة حصل فيها وقع عنه، ثم قالوا: «ولا يخفى أن الأولى إيقاعه في السنة المعينة خوفاً



من أهداف الحج تحقيق توحيد الله وإظهار الافتقار إليه وتهذيب النفس البشرية

إقامة موسم الحج كل عام فرض كفاية على الأمة ولا يسقط عنها عند القدرة إلا بإقامتها له

فريضة الحج تعطلت مرات لأسباب سياسية واجتماعية ومناخية أو بسبب الغلاء ومنها انتشار الأوبئة

من ذهاب النفقة أو تعطل الحج»، لقد كان هذا الاحتمال قائماً إذن أمام أنظار ساداتنا الفقهاء في هذا الباب تنير لنا الطريق إلى الحكم في مثل هذه الظروف.

الحج هذا العام في ظل «كورونا»

إنَّ المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها يتمنون إتيان بيت الله الحرام في كلّ لحظة من ليل أو نهار، وليس معنى فرضية الحجِّ أنهم يأتونه مكرهين! كيف؟ والفقير قبل الغني، والضعيف قبل القوي، والصغير قبل الكبير، الكلّ يودّ أن لو ثاب إلى هذا البيت كل عام حاجّاً، بل وفي خلال العام معتمراً ومصليّاً، ومن استطاع منهم المجاورة الدائمة في رحابه فإنه يفعل، ومن لم يستطع يحمله قلبه إليه كل صلاة!

وإذا كان الله تعالى لم يفرض الحج إلا على المستطيع، كما في قوله تعالى: ﴿مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾؛ فإننا نجد المستضعفين والعجزة والمرضى ومن لا يستطيعون بحال يتحرقون شوقاً لإتيان هذا البيت وملء عيونهم برؤيته وقلوبهم بنوره.

ليست مسألة فريضة إذن فقط، وإن كان حديثنا هنا يخص الحكم الفقهي في الأمر، فلنأتِ إلى السؤال المهم: هل يقدر المسلمون على إقامة الحج هذا العام، أم لا؟ وكيف تكون الحال إذا قدروا؟ وكيف يكون الحكم إذا لم يقدروا؟

قدمنا أن إقامة الحج فرض كفاية، وأنه إذا تعطَّل مع القدرة على إقامته يأثم المسلمون جميعاً، وهذا معناه أن المسلمين مطالبون بإقامة فريضة الحج هذا العام إذا استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، وقد قدمت بحوث طبية إلى الهيئات المجتمعية المختصة حول مدى الضرر الناجم عن اختلاط البشر في ظل هذه الجائحة، وسبل تجنب انتقال العدوى بسبب ذلك، وكان من أثر هذه البحوث أن فتحت بعض المساجد كما نرى، ومنها الحرم النبوي الشريف، وذلك في حدود أعداد قليلة، مع المحافظة على التباعد البدني، واتخاذ بعض أسباب الوقاية الطبية الأخرى، وعليه فيمكن لنا أن نقول أيضاً: إن أداء فريضة الحج -على هذا النحو- ممكن، وبه يحصل فرض الكفاية؛ إذ لا يشترط في فرض الكفاية أن يفعله جميع المسلمين، بل بعضهم، وقد نص فقهاؤنا على ذلك، يقول النووي رحمه الله تعالى في «الإيضاح في مناسك الحج والعمرة» (ص 438): «ولا يشترط لعدد المحصلين لهذا الفرض قدر مخصوص، بل الغرض أن يوجد حجُّها -أي السنة- في الجملة، من المكلفين، في كل سنة مرة».

وعليه، فإن إقامة فريضة الحج فرض شرعي تأثم الأمة بتعطيله، فإن أقامته ولو بعدد محدود؛ أجزأ عنها وسقط الفرض بهم، ويمكن -عملياً- أن يختار لذلك مجموعة واعية من الأفراد، وأن يوجَّهوا توجيهاً طبياً كافياً، وتوفَّر لهم الرعاية اللازمة من النواحي المطلوبة على وفق شروط السلامة والوقاية التي بينتها الهيئات المختصة.

وإذا فعلنا ذلك، فلن نحتاج إلى القول -مثلاً- باختصار بعض أركان الحج على وفق المجمع عليه منها فحسب، أو على رأي بعض المذاهب؛ إذ إن فعل الحج بكافة أركانه على النحو المتقدم إيضاحه ممكن ميسور.■



بعد «كورونا»..

علينا الاستعداد لمواجهة الاكتئاب السريري



جوناثان كانتر
مديرة مركز علم الاتصال الاجتماعي بجامعة واشنطن

العزلة والتباعد الاجتماعي والتغيرات الشديدة في الحياة اليومية أصبحت صعبة جداً الآن، لكن الولايات المتحدة تحتاج أيضاً إلى الاستعداد لوباء الاكتئاب السريري الذي يمكن أن ينتج عن «كوفيد-19».

وندرس نحن علماء علم النفس السريري (الإكلينيكي) في مركز علوم الاتصال الاجتماعي بجامعة واشنطن العلاقات البشرية، وكيفية تحسينها، وكيفية مساعدة الأشخاص الذين يعانون من الاكتئاب السريري، مع التركيز على الأساليب القائمة على الأدلة لأولئك الذين يفتقرون إلى الموارد.

لا نريد أن نحمل لكم أخباراً سيئة، لكن هذه الأزمة واستجابتنا لها ستكون لها عواقب نفسية شديدة، ويحتاج الأفراد والأسر والمجتمعات إلى بذل قصارى جهدهم للاستعداد لوباء الاكتئاب، ويحتاج صانعو السياسات إلى التفكير في استجابة واسعة النطاق لهذه الأزمة القادمة.



صانعو السياسات يحتاجون إلى التفكير في استجابة واسعة النطاق للأزمة القادمة من وباء الاكتئاب

الحزن والتهيج والفراغ والإرهاق

معظمنا يعرف المكونات العاطفية للاكتئاب (الحزن والتهيج والفراغ والإرهاق)، ونظراً لظروف معينة، تستحوذ هذه التجارب العالمية على الجسم وتحوله؛ مما يقوض الدافع ويزعزع النوم والشهية والاهتمام، كما أن الاكتئاب يهدر قدرتنا على حل المشكلات وتحديد وتحقيق الأهداف والوظيفة بشكل فعال.

والجمهور يفهم الاكتئاب على أنه مرض في الدماغ؛ فجيناتنا يمكن أن تؤثر على مدى سهولة الوقوع في الاكتئاب الإكلينيكي، ولكن الاكتئاب أيضاً، بالنسبة لمعظمنا، يتأثر بشكل كبير بالضغط البيئي؛ فالضغوطات البيئية الفريدة لأزمة «كورونا» تشير إلى أن نسبة كبيرة بشكل غير عادي من السكان قد يصابون بالاكتئاب، ولسوء الحظ من المحتمل أن يتم توزيع هذا الألم بشكل غير عادل.

نتيجة لتفاقم الضغط الواسع النطاق لهذه الأزمة، يعاني الكثير منا من خسائر شخصية كبيرة وردود فعل حزينة، وهي مؤشرات قوية على الاكتئاب، ويضيف الاستمرار المستمر وغير المتوقع لهذه الضغوطات على كواهلنا

طبقة إضافية من المخاطر.

ومع تكشف هذه الأزمة، سيرتفع عدد القتلى، وبالنسبة للبعض، وخاصة أولئك الموجودين على الخطوط الأمامية، ستؤدي التجارب الحادة من الحزن والصدمة والإرهاق إلى تفاقم الإجهاد وتعريضهم لخطر أكبر.

عزلة شخصية

والعزلة الاجتماعية المطولة -إستراتيجيتنا الأساسية للحد من انتشار الفيروس- تضيف طبقة أخرى من المخاطر؛ فأجسادنا ليست مصممة للتعامل مع الحرمان الاجتماعي لفترة طويلة، والدراسات السابقة تشير إلى أن الأشخاص الذين أجبروا على «الاحتماء في مكانهم» سيعانون من المزيد من الاكتئاب، وأولئك الذين يعيشون بمفردهم ويفتقرون إلى الفرص الاجتماعية معرضون للخطر؛ فالوحدة تولد الاكتئاب.

وقد تواجه العائلات، التي يجب أن تبحر في أوقات غير عادية معاً في أماكن ضيقة، مزيداً من الصراع؛ وهو ما يزيد أيضاً من المخاطر، وقد شهدت الصين زيادة في الطلاق بعد الحجر الصحي الناتج عن «كوفيد-19»، الطلاق ينبئ بالاكتئاب، خاصة بالنسبة للنساء، ويرجع ذلك إلى حد كبير إلى زيادة الصعوبات الاقتصادية بمرور الوقت.

وأكبر الضغوط بالنسبة للكثيرين هي الضغوط المالية؛ فالبطالة والخسائر الاقتصادية ستكون شديدة، وتشير الأبحاث التي أجريت على فترات الركود السابقة إلى أن ارتفاع معدلات البطالة، وانعدام الأمن المالي يؤديان إلى زيادة معدلات الاكتئاب والانتحار، وأسفرت عمليات الرهن العقاري وفترة الركود في عام 2008م عن زيادة خطر الاكتئاب بنسبة 62% بين أولئك الذين تأثروا بالأزمة.

ولسوء الحظ، سيتم توزيع عبء الصحة النفسية من الركود الاقتصادي بشكل غير عادل؛ فعندما انهارت سوق الأوراق المالية في عام 2008م؛ عانى الأغنياء من خسائر كبيرة في الثروة، ولكن لم تزدد فيهم معدلات الاكتئاب، وفي المقابل؛ نلاحظ أن أولئك الذين يعانون من البطالة والديون والحرمان المالي خلال فترات الركود معرضون بشكل كبير لخطر الاكتئاب؛ بسبب زيادة الضغط وصعوبة ظروف الحياة، وقد تكون الشركات المملوكة للأقليات هي المعرضة بشكل خاص لخطر الالتواء تحت الضغط.

الضغوطات البيئية الفريدة لأزمة «كورونا» تشير إلى إصابة نسبة كبيرة من السكان بالاكتئاب

تدابير الإغاثة الاقتصادية يجب أن تكون استجابات حاسمة لكل من الركود الاقتصادي والاكتئاب النفسي

نوصي بإعطاء الأولوية لخيارات علاجية محددة وتدريب جيش من الممارسين وإدماجهم بالمجتمع

التعافي صعب

في الوقت الذي تزيد أزمة «كورونا» من خطر الإصابة بالاكتئاب، سيجعل الاكتئاب التعافي من الأزمة أصعب عبر مجموعة من الاحتياجات.

ونظراً لتأثير الاكتئاب على الدافعية وحل المشكلات، عندما يتعافى اقتصادنا، فإن أولئك الذين يعانون من الاكتئاب سيجدون صعوبة بالانخراط في السعي وراء أهداف جديدة والعثور على عمل، وعندما تنتهي فترة العزلة الاجتماعية الإلزامية، سيجد أولئك الذين يعانون من الاكتئاب صعوبة أكبر في إعادة الانخراط في نشاط اجتماعي هادف وممارسة الحياة.

وعندما يتراجع خطر الإصابة بالفيروس التاجي (كوفيد- 19)، سيواجه المصابون بالاكتئاب خللاً مناعياً متزايداً، مما يزيد من احتمالية إصابتهم بعدوى أخرى، والاكتئاب يزيد من أعراض المرض المزمن، وسوف يؤدي التوزيع غير العادل لعبء الأزمة إلى تفاقم التفاوتات الصحية العرقية الموجودة أصلاً، بما في ذلك التفاوتات في الحصول على علاج الاكتئاب.

اقتراحات المساعدة الذاتية هي المتاحة بسهولة، ومع ذلك؛ فإن تجربتنا تكمن في تشجيع المساعدة الذاتية للاكتئاب ليس كافياً، بل ومهيناً في بعض الأحيان، لأولئك الذين يكافحون حقاً.

ما الحل؟

نحن بحاجة إلى تحولات على مستوى أعلى في السياسة لنعرف كيف نتعامل مع المشكلة، يجب أن تكون تدابير الإغاثة الاقتصادية من الحكومة الفيدرالية هي استجابات حاسمة لكل من الركود الاقتصادي والاكتئاب النفسي، وندعو إلى حملة للصحة العامة لزيادة الوعي بخيارات الاكتئاب والعلاج، ولإدخال تحسينات على سياسات الإجازات المرضية للصحة العقلية واسترداد التأمين لتقليل العوائق التي تحول دون الوصول إلى العلاج.

الكيفية التي نتحدث بها عن الاكتئاب لا بد أن تتغير؛ فالضيق الذي نشعر به هو استجابة إنسانية طبيعية لأزمة حادة، والاعتراف بهذه المشاعر وقبولها يمنع الكرب من التحول إلى اضطراب.

إن وصف الاكتئاب فقط كمرض في الدماغ يزيد من العجز وتعاطي المخدرات بين أولئك الذين يعانون من الاكتئاب ويقلل من طلب المساعدة، وعلى النقيض من ذلك؛ فإن التأكيد على الدور السببي لسياقنا البيئي يطابق نظرة الأفراد المكتئبين عبر الأعراق المختلفة إلى أسباب معاناتهم، ويقلل من وصمة العار، ويزيد من طلب المساعدة.

أخيراً، نوصي بإعطاء الأولوية لخيارات علاجية محددة؛ حيث توجد خيارات علاج يسهل التدريب عليها، كما أنها فعالة وقابلة للتطبيق عبر الثقافات، نرجو أن يتم تدريب جيش من الممارسين وإدماجه في المجتمع وفي مراكز العلاج في جميع أنحاء البلاد، ويجب أن يمثل هذا الجيش التنوع الكبير لبلدنا.

الاكتئاب يكلف الاقتصاد الأمريكي 210 مليارات دولار أمريكي سنوياً في ظل الظروف العادية، أما وباء الاكتئاب فيتطلب استجابة متعددة الأوجه ومتعددة المستويات.■

ترجمة- جمال خطاب:

المصدر: «The Conversation»

مقال

من هو مُحرِّر العبيد؟



لندن - د. أحمد عيسى:



هل من حرر العبيد هو «سبارتاكوس» أشهر الذين قادوا ثورة لتحرير العبيد في روما القديمة قبل الميلاد؟ أم البرلمان الإنجليزي حينما قرر حظر العبودية في عام 1833م؟ أم الرئيس الأمريكي الأسبق «أبراهام لينكولن» عام 1865م حينما وقع قانون «تحرير العبيد»؟

سؤال ظهر في أعقاب المظاهرات العارمة التي شهدتها أمريكا وبريطانيا ثم أستراليا وكندا، إثر خنق شرطي أبيض لرجل أسود بالولايات المتحدة الأمريكية، في 25 مايو الماضي، وطالت مظاهرات بريطانيا تماثيل لتجار العبيد والساسة العنصريين.

لقد خلف إرث العبودية جروحاً لم تلتئم بعد، ونزف جرح العبودية القديم، وكشف المستور في هذه المجتمعات، ليس فقط العنصرية المتجذرة ضد كل من لا ينتمي إلى العرق الأبيض، ولكن أيضاً انشطار المجتمعات رأسياً، إلى طبقات تمتلك السلطة والثروة بكل مؤسساتها؛ الشرطة والقضاء والاقتصاد، وإلى طبقات تعاني التمييز بشتى طرقه في العالم، سواء كان ذلك المسلمين، أو الملونين، أو الفقراء، أو أصحاب الإعاقة، أو المهجرين والمهاجرين واللاجئين، أو النساء، أو أصحاب الأرض الأصليين في أستراليا (الأبورجيون)، أو كندا (سكان كندا الأصليين)، أو أمريكا (الهنود الحمر)، أو كافة أشكال التمييز العنصري المتعلقة بالأقليات والشعوب القبلية.

لا تجد في نصوص القرآن والسُّنة نصاً يأمر بالاسترقاق بينما يحفلان بالنصوص الداعية إلى العتق والتحرير

إلغاء تجارة الرقيق منذ أكثر من 200 عام لم يقض على قضية الاستعباد الحديث الذي يشهده العالم اليوم

تاريخ أبيض

وللإجابة عن السؤال، فإن الإسلام كان ولا يزال هو محرر العبيد؛ فقد قرر الإسلام أنَّ الله خلق الإنسان كامل المسؤولية، وكلَّفه بالتكاليف الشرعية، ورتَّب عليها الثواب والعقاب على أساس من إرادته واختياره، ولا يملك أحد من البشر تقييد هذه الإرادة أو سلب ذلك الاختيار، ولا عجب أنَّك لا تجد في نصوص القرآن والسُّنة نصاً يأمر بالاسترقاق، بينما تحفل آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم بمئات من النصوص الداعية إلى العتق والتحرير.

كانت مصادر الرِّق ومنابعه كثيرة عند ظهور الإسلام، بينما طرق التحرُّر ووسائله تكاد تكون معدومة، فقلَب الإسلام في تشريعاته النظرة، فأكثر من مصارف الحرية والتحرر، وسدَّ مسالك الاسترقاق، جاء في حديث قدسي: «ثلاثة أنا خصمهم يومَ القيامة، ومَن كنتُ خصمَه خصمْتُه؛ رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حُراً فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه العمل ولم يعطه أجره» (رواه البخاري).

ولقد كان الأسر في الحروب من أظهر مظاهر الاسترقاق، وكلّ حرب لا بد فيها من أسرى، وكان العرف السائد يومئذ أن الأسرى لا حرمة لهم ولا حق، وهم بينً أمرين؛ إما القتل، وإما الرق، ولكن الإسلام حثَّ على طريق ثالث من حسن معاملة الأسرى بالعدل والرحمة وفكّ أسره؛ ولهذا نجد أن المسلمين في «بدر» قبلوا الفداء، وفي «الفتح» قيل لأهل مكة: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»، وفي غزوة «بني المصطلق» حرر وتزوَّج الرسول أسيرة من الحي المغلوب ليرفع مكانتها، إذ كانت ابنة سيد قومها، فما كان من المسلمين إلا أن أطلقوا سراح جميع هؤلاء الأسرى وكانوا مائة، حيث قال الناس: أصهار رسول الله[1].

ونبي الإسلام عليه الصلاة والسلام في ميدان مكارم الأخلاق يقول: «عودوا المريض، وأطعموا الجائع، وفُكّوا العاني» (رواه البخاري)، والعاني هو الأسير، ومع كل هذا؛ فإن فرصة استعادة الحرية في الإسلام كثيرة وواسعة، فمن وسائل التحرير: فرض نصيب من الزكاة لتحرير العبيد، وكفَّارات القتل الخطأ، والظهار، والأيمان، والفطر بالجماع في نهار رمضان، إضافة إلى مناشدة عامة لإثارة المشاعر من أجل العتق ابتغاء وجه الله تعالى، من هذه الآيات: ﴿وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ﴾ (البقرة: 177)، ﴿وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ

وَفِي الرِّقَابِ﴾ (التوبة: 60)، ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ (المائدة: 89)، ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَئاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ﴾ (النساء: 92)، ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا﴾ (المجادلة: 3).

ولو سارت الأمور بمقتضى ذلك المنهج الرباني، لما كانت تلك المشكلات، وعلى رأسها استرقاق الأحرار عن طريق الخطف والغصب والاستيلاء والاتجار قديماً وحديثاً.

في حين خلَّد التاريخ قول الخليفة عمر ابن الخطاب رضي الله عنه: «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً»، في أول الإسلام، وبعد ألف ومائة عام أو يزيد أُلغي قانون تجارة الرقيق عام 1807م، وهو قانون من البرلمان البريطاني، الذي ألغيت بموجبه تجارة العبيد عبر الأطلسي، إضافة إلى الضغط على دول أوروبية لاتخاذ نفس الموقف، لكن ذلك لم يلغ العبودية نفسها، وإن صدر بعد 26 عاماً من ذلك التاريخ قرار بإلغاء العبودية في عام 1833م في بريطانيا، قبل 32 عاماً من حظرها في الولايات المتحدة، ورغم إعلان وقف تجارة الرق، وأن تجارتها عبر السفن البريطانية نحو الأمريكتين غير قانونية، فإن هؤلاء واصلوا إلى جانب غيرهم من الأوروبيين نقل المزيد من السكان الأفارقة عبر الأطلسي على مر العقود.

أكبر الهجرات القسرية للبشر

وكانت تجارة الرقيق عبر الأطلسي واحدة من أكبر الهجرات القسرية للبشر، وكان لها تأثير كبير على تاريخ أفريقيا والأمريكتين وأوروبا حتى اليوم، ويقدر عدد العبيد الأفارقة الذين أرسلوا إلى المستعمرات البريطانية في البحر الكاريبي بنحو 2.3 مليون شخص، وعلى عكس تاريخ أمريكا مع العبودية، فإن تجارة العبيد البريطانية نادراً ما يُفصح عن حجمها الحقيقي؛ وذلك لأن تجارة العبيد الأمريكية كان مسرحها داخلياً، ومن ثم لا يزال إرثها ماثلاً، في حين أن الكاريبي بعيد عن بريطانيا، ونُقل نحو 30 مليون شخص من أفريقيا وبيعوا في سوق النخاسة بالأمريكتين والكاريبي؛ 5% من هؤلاء الرقيق نُقلوا إلى أمريكا، بينما بيع 55% منهم في المستعمرات الإسبانية بأمريكا الجنوبية و35% بيعوا في جزر الهند الغربية البريطانية[2].

إن إلغاء تجارة الرقيق التي أعلنت منذ أكثر من 200 عام لم يقض على قضية الاستعباد الحديث الذي يشهده العالم اليوم؛ فيوجد بالفعل ما يقدر بنحو 152 مليون طفل في سوق العمل؛ 73 مليوناً منهم يمارسون أعمالاً خطرة، وأولئك يواجهون الآن ظروفاً أكثر صعوبة، ويعملون لساعات أطول، نصف الضحايا بين 5 و11 عاماً، وقد ركزت «منظمة العمل الدولية»، في 12 يونيو الماضي، فعالية اليوم العالمي لمكافحة عمل الأطفال لعام 2020م، على تأثير الأزمة الحالية على عمالة الأطفال، فلجائحة «كوفيد- 19» وما تسببت به من صدمة اقتصادية واختلالات في سوق العمل أثر كبير، وللأسف غالباً ما يكون الأطفال هم من أوائل من يعانون، وقد تدفع الأزمة ملايين أكثر من الأطفال لسوق العمل[3]، وتحذر منظمة «يونيسف» من احتمالية أن تدفع التداعيات الاقتصادية ما يصل إلى 86 مليون طفل إضافي إلى الفقر بنهاية عام 2020م[4].

عدد العبيد الأفارقة الذين أرسلوا إلى المستعمرات البريطانية بالبحر الكاريبي يقدر بنحو 2,3 مليون شخص

عدد ضحايا العمل القسري في العالم أكثر من 21 مليون شخص يشملون ضحايا الاستغلال الجنسي

العبيد الجدد والرق الحديث

إنه الاتجار بالأشخاص، وهو جريمة استغلال للنساء والأطفال والرجال لأغراض بما فيها العمل القسري والبغاء، وتقدر «منظمة العمل الدولية» عدد ضحايا العمل القسري في العالم بأكثر من 21 مليون شخص، يشملون ضحايا الاستغلال الجنسي، وفي حين أنه من غير المعلوم عدد الذين اتُّجر بهم، فإن التقديرات تشير إلى وجود ملايين البشر في ربقة هذه الممارسات الشائنة.

ويتأثر كل بلدان العالم بظاهرة الاتجار بالبشر، سواء أكانت من بلدان المنشأ أو نقاط العبور أو المقصد، ويتم استغلال الأشخاص في شبكات الدعارة وأشكال الاستغلال الجنسي، أو العمالة المجانية والسخرة، أو العمل كخدم، أو الاسترقاق، أو الممارسات الشبيهة بالرق، أو الاستعباد بهدف الاستخدام الجسماني ونزع الأعضاء[5].

هذا غير الاختفاء القسري، والاحتجاز التعسفي، الذي استشرى في بيئات الاستبداد والغطرسة التي تعامل المواطنين كعبيد، وضربت «منظمة العفو الدولية» مثلاً لتعرض 82 ألف شخص للاختفاء القسري في سورية منذ عام 2011م، وقد اختفوا في المراكز الحكومية، وضحايا الاختفاء القسري هم أشخاص اختفوا فعلياً بعيداً عن أحبائهم ومجتمعهم، والإخفاء أداة لإرهاب المجتمع أو فئات سياسية أو دينية فيه، ويعد دائماً جريمة بموجب القانون الدولي، ولا يتم إطلاق سراحهم، ويبقى مصيرهم مجهولاً، ويتعرضون للتعذيب، أو القتل، أو يعيشون في خوف دائم، ويعلمون أن عائلاتهم لا تعلم مكانهم، ولا يمكن لأي شخص مساعدتهم، وحتى إذا نجوا من الموت وأطلق سراحهم، تبقى فيهم جراحهم البدنية والنفسية[6]. ■

الهوامش

(1) انظر: كتاب «شبهات حول الإسلام»، «تلبيس مردود في قضايا خطيرة» للشيخ د. صالح بن حميد إمام الحرم المكي.

(2) مسرحية بريطانية تسلط الضوء على جوانب «خفية» في تاريخ بريطانيا في تجارة الرقيق.
https://www.bbc.com/arabic/vert-cul-51503141

(3) جائحة "كوفيد- 19": حماية الأطفال من عمالة الأطفال الآن أكثر من أي وقت مضى.
https://www.un.org/ar/observances/World-Day-Against-Child-Labour

(4) اليوم العالمي لمكافحة الاتجار بالأشخاص 30 يوليو.
https://www.un.org/ar/events/humantrafficking

(5) "كوفيد19-": 86 مليون طفل إضافي حول العالم مهددون بالانزلاق في براثن الفقر مع نهاية العام.
https://news.un.org/ar/story/2020/05/1055622

(6) الاختفاء القسري.
https://www.amnesty.org/ar/what-we-do/disappearances/



تنمية أسرية

خماسية النجاح بين الزوجين (ما بعد 15 سنة زواج)

د. إيمان الشوبكي

كاتبة وباحثة في علوم الأسرة



جرت العادة أن تكون معظم النصائح موجهة إلى المقبلين على الزواج، أو حديثي الزواج، إلا أنني هنا بصدد الزوجين اللذين استقلا معاً قطار الحياة الزوجية لمدة 15 عاماً أو أكثر، وفي طريقهما لاستكمال محطات الحياة الأسرية معاً قد يعتري مسيرتهما تلك كثير من الخلافات والمشكلات التي قد تؤدي أحياناً إلى إنهاء الرحلة الزوجية بقرار الطلاق المفاجئ والانفصال في مرحلة قد لا يتوقعها الأولاد والمحيطون معاً.

هناك أولويات في العلاقة الإنسانية بين الزوجين مع بعضهما بعضاً، قد تجنبهما الكثير من الخلافات التي ربما تتفاقم وتُحدث شروخاً في كيان الأسرة، وهي ليست أسراراً أو وصفات سحرية، لكنها سلوكيات عامة، استحضارها في بعض المواقف قد يُحدث فرقاً كبيراً في ردود الفعل المختلفة بين الزوجين.

هناك خمس قيم لها أولوية في أي علاقة إنسانية، لكن بين الزوجين، وخصوصاً ما بعد الأربعين مثلاً، وليس هذا تحديداً لسن، ولكن لتغليب المرحلة العمرية وتوافقها مع مرور 15 عاماً على الزواج أو أكثر، حيث إن بعض الأزواج في هذه المرحلة يتحسسون من كبر سنهم أمام زوجاتهم، وكذلك الزوجة قد تستشعر أن زوجها ليس في حاجة إليها، وتتقلص الأدوار والمشاعر بينهما إلا من المودة والعشرة والتراحم، فكيف نبقي على تلك حتى تستمر الحياة بسكينة ومودة؟ فمن مر بحياة زوجية أكثر من 15 عاماً فهو المقصود من خماسية النجاح الزوجي التالية:

1 - تذكُّر الحسنات

من المهم جداً تذكُّر حسنات كل طرف لشريك حياته، خصوصاً في هذه المرحلة بأحداثها المصيرية؛ كزواج الأولاد وغيره؛ مما قد يُحدث احتكاكات كثيرة؛ فتتحامل النفوس على بعضها حتى تصير مشحونة بشحنات مضادة قوية لا تجذب النفوس، بل تجذب المشكلات والنفور.

وقد قدم كل طرف ما لديه لإسعاد تلك الأسرة، وتحمل الكثير من أجلها، فينظر لنفسه نظرة تقييم إيجابي، ولكن حينما يكون رد فعل أحد الأطراف على غير توقع شريك حياته؛ فستكون النتيجة مؤلمة، وكأنه جريح صريع الشكوك ووسوسة الشيطان، فتوخّي الحذر من تجاهل شريك الحياة وتجاهل مشاعره أمر مهم، وإن حدث خطأ أو إساءة وقتها تذكّر حسنات وإيجابيات كل طرف؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقاً رضي منها آخر» (رواه مسلم)، سيساعد ذلك في تسكين النفس عن أي رد فعل غير متوقع أو مؤلم بعد عِشرة طويلة بينهما، فرصيد كل من الزوج والزوجة من المواقف النبيلة وحسن العشرة والمودة يسمح بأن يتجاوزا هذه الزلة التي حدثت بينهما، فعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن إبليس يضع عرشه على الماء، ثم يبعث سراياه، فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة، يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا، فيقول: ما صنعت شيئاً، قال: ثم يجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته، قال: فيدنيه منه، ويقول: نعم أنت» (رواه مسلم).

تذكُّر حسنات شريك الحياة يساعد في تسكين النفس عن أي رد فعل غير متوقع

التقدير يعزز المعنويات لاستكمال مسيرة العطاء ويعيد التوازن النفسي للزوجين ويجنبهما المشكلات

2- التقدير

التقدير من أشد الاحتياجات النفسية عند بعض الناس، وهو الشعور بالامتنان عما يقدمه لأسرته بعد الرضا عن النفس، ومع اختلاف نمط شخصية كل منهما؛ فستختلف طريقة التعبير عن هذا التقدير لما قدمه، فكل شخص يرى التقدير بعين عطائه، فمنهم من يعتبر التخطيط للمستقبل وتوفير حياة مخطط لها بشكل جيد هو خير ما قدَّم وضحى، وآخر يرى توفير سبل الراحة والترفيه والاستمتاع هي خير ما قدَّم.. وغير ذلك

وهكذا كلٌّ ينظر من منظوره أنه قدَّم وحان وقت الشعور بالتقدير لما أفنى عمره

فيه، فالافتقار إلى الشعور بالتقدير في هذه المرحلة العمرية في الحياة الزوجية أشد، ومهما حاول أن يكون محتسباً ما فعله لله، إلا أن نفسه تستشرف لشعور توافق ما قدم خلال هذه السنين مع احتياجات أسرته، وما يحدث مع العشرة الطويلة بين الأزواج يعتبر كل منهما أن ما قدم هو من قبيل الواجبات ولا يستحق الشكر أو التقدير، لكن الزوج بعد هذه الفترة يعيد تقييم ذاته؛ هل هو راض عن عطائه؟ وهل هو سعيد؟ وهل ما قدمه أسعَدَ من حوله؟ فالتقدير هنا يعزز معنوياته ليستكمل مسيرة العطاء برضا وسكينة، ويعيد التوازن النفسي لكليهما، ويجنبهما الكثير من المشكلات المحتملة، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «مَن أتى إليكم معروفاً فكافئوه، فإنْ لم تَجدوا، فادْعوا له».

3 - التأكيد المستمر

التأكيد المستمر أي المتكرر على حبك لشريك حياتك والمودة التي بينكما، وهنا نقصد التعبير عنها مباشرة، ولا يعتبران ما مضى في رحلة الحياة الزوجية مع بعضهما بما تحمل من مشاعر مختلفة كفيلاً بالتعبير أو التأكيد على مشاعر الحب التي يكنها ويحملها لشريكه، وأن هذا من قبيل أعمال المراهقين، ولكن أخبر من تحب بحبك، كما في حديث أَنَس بْن مَالِك رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلاً كَانَ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَرَّ به رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، إِنِّي لَأُحِبُّ هَذَا، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَعْلَمْتَهُ؟»، قَالَ: لَا، قَالَ: «أَعْلِمْهُ»، قَالَ: فَلَحِقَهُ فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّكَ فِي الله، فَقَالَ: أَحَبَّكَ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي لَهُ. (رواه أبو داود).

التأكيد المستمر على حبك لشريك حياتك كفيل بالتعبير عن مشاعر الحب التي يكنها

التغافل بعدم التصيُّد أو التدقيق الشديد مع شريك الحياة فيما يجري

فإخبار شريك حياتك من باب أولى وإعلامه بهذا الحب، أو على أقل تقدير الامتنان لبعض المواقف والعشرة التي بينكما، وبشكل مباشر وبوسائل مختلفة، وإن لم تكن العشرة طيبة بالقدر الكافي، فتذكرك لأي صفة حسنة فيه سيساعدك على التعبير عنها.

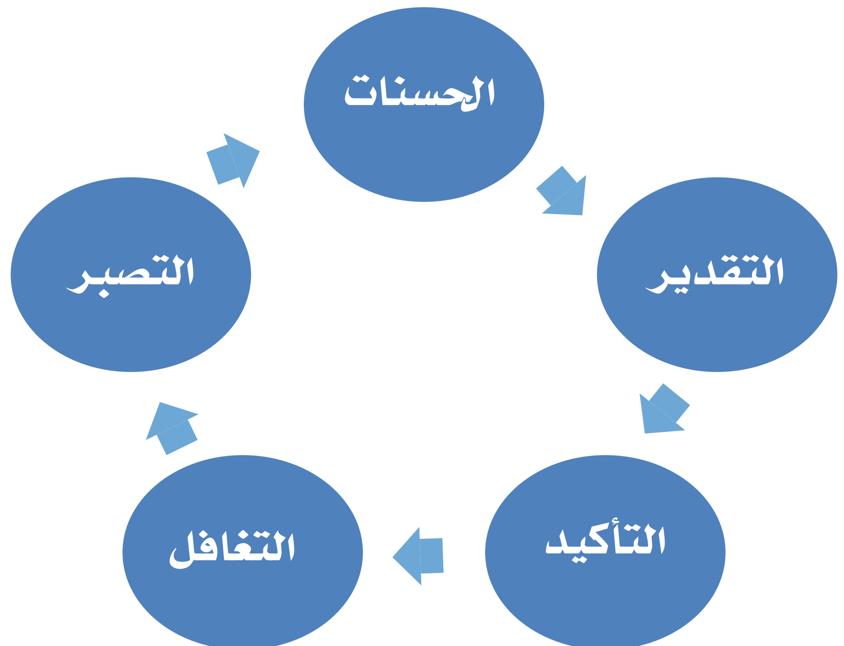
4 - التغافل

فإن تذكَّرت وقدَّرت وأكَّدت فلا بد أن هناك زلات وسقطات، فلستم ملائكة، هنا يأتي دور التغافل الذي يساعد على استكمال خماسية النجاح في تجنب المشكلات بين الزوجين بهذه المرحلة العمرية التي قد تحمل بعض المشاعر المتراكمة أو التأنيبية عما مضى من عمرهما في تضحية لم يجدا لها أثراً تكمل نفس هذه المسيرة بنفس هؤلاء الأشخاص الذين لا يحملون حباً ولا تقديراً لبعضهم، فتأتي بعض المواقف أو السقطات فتكون كالقشة التي قصمت ظهر البعير، وتقضي على ما بقي من حياة بين الزوجين؛ فيأتي التغافل هنا ليسكّن النفس حتى ترضى، بل ليتجنب التصادم، ويقي نفسه أو نفسها من إحراج متوقع بالتغافل.

والتغافل يأتي بعدم التصيُّد أو التدقيق الشديد مع شريك الحياة فيما يجري ويحدث، وإن وقع شيء يتظاهر بعدم الانتباه أو غيره، حتى يتجنب الاحتكاك والمشكلات، فقد قال الإمام أحمد بن حنبل: «تسعة أعشار حسن الخلق في التغافل»، وهو تكلف الغفلة مع العلم والإدراك لما يتغافل عنه تكرماً وترفعاً عن سفاسف الأمور.

5 - التصبر

وهنا يختم التصبر خماسية النجاح لعلاقة أكثر حباً ومودة ولطفاً ورحمة، فبعد استدعاء المواقف النبيلة لشريك الحياة، خصوصاً عند حدوث مشكلة، وتقديم التقدير والرعاية والاهتمام والاعتراف بجميل ما قدم، والتأكيد عليه بالوسائل المختلفة، ثم التغافل عما قد يسقط من أحدهما؛ يأتي التصبر ليتوج حياة المبتلين خصوصاً بحياة ليس بها رصيد من المحبة؛ ليكملا قطار هذه الحياة الشاقة سواء من زوج أو زوجة، أو ظروف جعلت الحياة غير مستقرة، لكن المرحلة العمرية والأولاد والظروف قد تكون عامل ضغط لاستكمال هذه الحياة بكل ما فيها، لكن النفس والعقل والروح لم يكن لديها ما تقدمه أكثر مما قدمته في السابق؛ فالتراحم والتصبر يعيدان توازن الحياة؛ لأن الابتلاء أصاب عصب الأسرة في الحب والمودة، فالتصبر يُسكَب على نار المشكلات والخلافات فيجعلها برداً وسلاماً، ويزيدها لجوءاً وفراراً إلى الله، ففي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم: «.. مَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفهُ الله، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِه الله، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ الله، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ».■



محطات إيمانية في طريق التربية

اقرأ!



إيمان مغازي الشرقاوي
ليسانس شريعة - ماجستير الدعوة
جامعة المدينة العالمية

بينما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في غار حراء يتعبد لله تعالى، ويتفكر في عظيم قدرته، إذا بجبريل عليه السلام يتنزل عليه بأمر من الله عز وجل، يتنزل بأول كلمة من كلمات الوحي الرباني: اقرأ.. اقرأ.. اقرأ.. أنزلت عليه في مكان عبادته، وأثناء العبادة، ويتكرر الأمر بها للنبي صلى الله عليه وسلم أنْ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ(1) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (العلق)، إنها آيات الوحي الأولى التي أرسِل بها إلينا.

حين أتفكر في الآيات الأولى من سورة «العلق»، أستشعر مكانة القراءة والعلم، وفضل مَن يقرأ ويتعلم، فلم تنزل أول آية من القرآن تدعو إلى الصلاة أو الحج، أو الصوم والصدقة، كما أنها لم تكن أمراً من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم أن يطيل مكثه في غار حراء ويكثر من عبادته لله تعالى.

أليس في هذا تشريف للقراءة ودعوة إليها وإرشاد لنا ودلالة على أهميتها كسبيل للمعرفة وأداة رئيسة من أدوات العلم، وأن ثمة علاقة وثيقة تربط بين القراءة والقلم إذا اجتمعا؟! كما أن في هذا أيضاً تعليماً لنا، وإشارة إلى أن العبادة تحتاج لعلم يبيِّنها، وأن القراءة وسيلة من وسائل هذا البَيَان إذا كانت باسم الله تعالى وعلى منهجه سبحانه، وأن مما يعين عليها الإخلاص والتوكل على الله والاستعانة به والاستفادة من القلم في حفظ ما يُقرَأ.

تزكية النفس

إن القراءة وسيلة مهمة من وسائل تزكية النفس، أليست قراءة القرآن والعلم الشرعي النافع من أعظم الأسباب لتزكية النفوس وسلامة القلوب؟ فالقراءة لا غنى عنها لمعرفة أي علم.

وقد تكون قراءة العلوم بأي لغة، لكن أشرف اللغات على الإطلاق اللغة العربية التي اختارها الله تعالى لكتابه الكريم، لذا فإننا إذا أردنا تعلم القرآن الكريم لننعم بتلاوته في خلواتنا وتصح عيوننا بالنظر في صفحات المصحف الشريف، ونفوز بالأجر المترتب على تلاوته؛ فلا بد لنا من تعلم القراءة الصحيحة له، ومعرفة اللغة العربية التي أنزل بها حتى نتدبر آيات القرآنِ الكريم ونفهم ما نقرأ، ومن هنا نجد أن كثيراً ممن يسلمون يسارعون في تعلم اللغة العربية ويحاولون معرفتها قراءة وكتابة.

ومما يزكي النفس قراءة قصص الأنبياء، وسيَر الصحابة والتابعين، والقراءة في كتب تاريخ الإسلام وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم، وما كتب العلماء في كتب التزكية والرقائق، وكل ذلك من القراءات المزكية التي نُؤْجَر عليها إذا ما خلصت النية فيها، أمَّا تعلُّم علوم الشريعة كالفقه والحديث وتدارسها مع الشيوخ والعلماء فلا غنى فيه عن القراءة؛ حتى نتعلم ونتزكى بالعلم، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «مَن يُرِد الله به خيراً يُفقِّهْهُ في الدِّين» (رواه مسلم).

القراءة بين الحاضر والماضي

كانت القراءة في وقت ما جزءاً مهماً من حياة الناس لا غنى عنه، وكان حبها يكبر معهم حين يكبرون، وأتذكر كيف كان البعض يدخر بعض القروش من مصروفه الزهيد ويُؤْثِر بها كتاباً يشتريه أو قصة يرغب فيها، ويفضل ذلك على قطعة الحلوى التي يحبها! وكانت أمنية المرء أن تكون عنده مكتبة يجد فيها الكتاب تحت عينيه وبين يديه.

أما في عصرنا هذا، فقد سارت القراءة مساراً مختلفاً في وقت عمَّ فيه التعليم،

العبادة تحتاج لعِلمٍ يبيِّنها والقراءة وسيلة من وسائل هذا البيان إذا كانت على منهجه

القراءة وسيلة لتزكية النفس وجزء مهم من حياة الناس لا غنى عنه

وحصل الكثيرون على الشهادات الجامعية، وصرنا في عصر الإنترنت والثورة الرقمية العارمة التي وصلت معظم البيوت، فتعددت معها أشكال القراءة وتنوعت ألوانها، وأدت إلى هجر الكتاب الورقي النفيس بعد أن كان البعض ينام وهو يحتضنه، وكاد أن يُنسى شكله مع التخلص من المكتبات المنزلية التي كانت تضم ما لذَّ وطاب مما هو زاد العقول والنفوس والقلوب والأرواح، التي كان مجرد رؤيتها يذكّر بالقراءة، فتحولت المكتبات الحائطية الورقية إلى مكتبات إلكترونية مرئية عبر صفحات النت، تحوي ما نريده وما لا نريده، الطيب والخبيث، الصحيح والسقيم.

وبذلك صارت معلوماتنا «إنترنتية» تحتاج إلى تنقيح وترجيح، وأصبحت قراءاتنا «تليفونية» تحتاج إلى تنقية ومصداقية! ومع هذا فلا أحد ينكر فضل الخدمات الرائعة التي تقدم للناس عبر الإنترنت، فهناك مواقع بها آلاف الكتب الشرعية والعلمية النافعة في كل التخصصات، وهي نفسها لم تصل إلينا إلا من خلال أناس يحبون القراءة ويشجعون عليها، بل ويقرؤون، وإلا ما وصلت إلينا، وهذه ثمرة من ثمرات القراءة.

أشكال القراءة

وتبعاً لما استجد في حياتنا، فقد صار للقراءة أشكال عديدة، منها ما هو مثمر، ومنها ما ضره أكثر من نفعه، ومنها ما يضر ولا ينفع، وتتعدد أشكال القراءة من حيث مادتها وكيفيتها، ومنزلتها وأهميتها، فأشرف القراءة على الإطلاق قراءة كتاب الله عز وجل، وقراءة تفسيره لفهمه وتدبره، كما أن من العلم ما هو واجب عيني على كل مكلف، من وسائل تحصيله ودراسته ومراجعته القراءة! وهذه إن جاز لنا تسميتها فهي قراءة واجبة.

إن الكتاب هو الأصل في القراءة، سواء كان الكتاب ورقياً أم إلكترونياً، وعلى القارئ أن يكون واعياً، فيتخير لقراءته المواقع الموثوقة، وعلى منهج أهل السُّنة والجماعة، حتى لا يضيّع وقته ويتشوّه ذهنه، ومن نظر في طريقة قراءة البعض في هذه الأيام فسيجد أن القراءة في مأزق! وسيرى أشكالاً غريبة منها لا تثمر، كالقراءة السطحية التي تكون بلا هدف ولا تركيز، خلال شاشات المحمول، فتعمل فيها العين كالماسح الإلكتروني دون تركيز أو تدقيق، وهذه لا تفيد كثيراً.

ومثلها القراءة السحبية التي تسحب القارئ دون أن يشعر، فيتنقل من موضوع لآخر فضولاً منه من غير ترتيب أو هدف أو غاية، وهذه أيضاً تضيّع الوقت أكثر مما تفيد القارئ، أما القراءة الهوائية فيتلقى فيها القارئ كل ما يصله عبر الهواء، كرسائل «واتساب» و«فيسبوك»، وكثير منها لا دليل على صحته، فتكون ثمرة قراءته مُرة المذاق أو لا طعم لها، وربما كانت بلغة عامية ركيكة أو بلهجة محلية تشوّه جمال العربية الفصحى.

ومما يزيد الأمر سوءاً تلك القراءة المسمومة في المواقع المشبوهة، أو المناوئة للإسلام التي تشوّه العقيدة، وتشكك في الدين، وتدعو إلى الإلحاد، أو تسبّ الصحابة وتقدح في عدالتهم، أو تزيّف التاريخ، فثمرة هذه القراءة سامة ومهلكة وقاتلة!

ومن القراءة المطلوبة القراءة الوظيفية التي تؤدي إلى إتقان التخصص الوظيفي وتطور المستوى العلمي فيه، لكنها قد يحصل الإسراف فيها على حساب غيرها من القراءات الأخرى المطلوبة، ومنها القراءة البحثية التي يقوم بها الباحثون فينقبون في بطون الكتب للبحث وعمل البحوث العلمية ليقدموا إلينا ثمرة جهودهم العلمية في مختلف التخصصات، وعلى العكس من هذا وذاك؛ فهناك قراءة المصلحة الشخصية للاختبار والحصول على الشهادة ومن بعدها لا كتب ولا قراءة!

ومن أهم أنواع القراءة التي كادت تُفقَد القراءة التربوية لتنشئة الأطفال على القيم الجميلة والأخلاق العالية والعقيدة الصحيحة، ومن أحب صورها لهم قصة ما قبل النوم التي أصبحت الآن شبه منعدمة.

اقرأ.. نعم.. اقرأ.. وليقرأ كل منا كل يوم ولو قليلاً، من الكتاب الورقي أو الكتاب الإلكتروني.

اقرأ.. وجدّد النية على المداومة على القراءة وتقرب بها إلى الله تعالى حتى تكون عبادة.

اقرأ.. فلا يستوي مَن يقرأ مع من لا يقرأ، وقد قال صلى الله عليه وسلم: «يؤمُّ القوم أقرؤهم لكتاب الله..» (رواه مسلم).

اقرأ.. وتعرف على الكتب الطيبة، واعقد بينك وبينها معاهدة صلح وصداقة ووفاء، تبدؤها بحسن الاختيار، وترويض النفس على القراءة ولو صفحة واحدة تزيد يوماً بعد يوم.

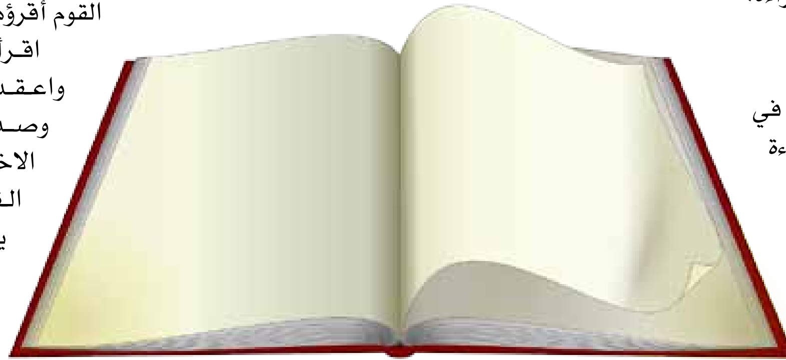
اقرأ.. حتى تغذي عقلك، وتزكي بما تقرأ نفسك، وتدرك به مطلبك، وتزد به علمك.

اقرأ.. فالقراءة مفتاح العلوم، وقد خلف لنا العلماء ثروة علمية هائلة ظلوا بها بيننا أحياء بعد موتهم.

اقرأ.. فلولا تعليم الله لنا وهدايتنا للقراءة ما كان كتاب، ولا انتشر علم ولا تعلم متعلم، وما كانت مدرسة وما أقيمت جامعة، وما درست العلوم.

اقرأ.. فبدون القراءة لن توجد حضارة، ولن تجد معلماً ولا تلميذاً، ولا طبيباً ولا دواء، ولا مهندساً ولا بناء، فكل ذلك يحتاج إلى العلم، ومفتاح العلم القراءة.

اقرأ.. وشجّع غيرك على القراءة وشارك في التعريف بالكتب المفيدة.■



الثورة الرقمية أدت إلى هجر الكتاب الورقي وكاد أن يُنسى شكله مع التخلص من المكتبات المنزلية

من أهم أنواع القراءة التي كادت تُفقَد القراءة التربوية لتنشئة الأطفال على القيم والأخلاق والعقيدة الصحيحة



المرتكزات النظرية في السياسة الدولية

عرض - محمود المنير:

بيانات الكتاب:

عنوان الكتاب: المرتكزات النظرية في السياسة الدولية.

تأليف: علي زياد فتحي العلي.

الناشر: دار الفجر للنشر والتوزيع- القاهرة.

سنة النشر: الطبعة الأولى- 2017م.

عدد صفحات الكتاب: 269 صفحة.

هذا الكتاب:

تستمد هذه الدراسة أهميتها من أنها تشكل مدخلاً مهماً لفهم طبيعة النظام الدولي، والمرتكزات التي تشكل بنيته الأساسية، والمفاهيم التي تبنى عليها حركة ديناميكية السياسة الدولية، وتشكل هذه المرتكزات الواردة فيها أهمية كبرى عند دراسة أي حالة خارجية تطرأ على السياسة الدولية؛ فعلى سبيل المثال، يشكل مرتكز المستقبل أهمية إستراتيجية عند دراسة أي بُعد لحركة السياسة على الصعيد العالمي والإقليمي التي تشكل حالة من اللايقين في المشاهد المستقبلية الصفة الملازمة لها، لا سيما أن المستقبل والاستشراف بدا يشكل أهمية قصوى لدى المهتمين بدراسة السياسة الدولية واتجاهات أبعادها المحلية والعالمية، وما يمكن أن يطرأ عليها من متغيرات في ظل قراءة الواقع الحالي بعد بناء مصفوفة السيناريوهات بشكل علمي دقيق.

لذا، تساعدنا هذه الدراسة على فهم واقع النظام الدولي ومسار الاتجاهات وفق إدراك هذه المرتكزات الأساسية، التي يرى المؤلف أنها الأهم والأبرز لفهم طبيعة النظام الدولي.

محتويات الكتاب:

يضم هذا الكتاب بين دفتيه مقدمة وعشرة مباحث عن المرتكزات النظرية في السياسة الدولية، جاءت على النحو التالي: مرتكز المستقبل، والتوازن، والصراع، ومرتكز التأثير الدولي، والإستراتيجية، والنظام الدولي، والقوة والواقعية والأمن، وأخيراً مرتكز الأحلاف الدولية، بحسب المؤلف.

السياسة الدولية:

تمثل السياسة الدولية نتاج عدة تفاعلات من السياسات الخارجية للدول في النظام الدولي، فهي عملية تفاعلية سياسية ذات أبعاد اقتصادية واجتماعية تترجم أبعادها بممارسات وسياسات الدول خارجياً، فهي في جوهرها حقل علمي نابع من صميم الدراسات الدولية التي يختص بها حقل العلاقات الدولية.

مرتكز المستقبل:

يرى المؤلف أن هناك اهتماماً بدراسات المستقبل والاستشراف وصلت إلى عمل دراسات استشرافية إلى أبعد من خمسين عاماً، ويستلزم الحديث عن المستقبل توفر نظرة إلى الماضي، يكتسب بها سير التاريخ الحد الأدنى الضروري من المعقولية والتماسك اللذين يسمحان بفهم الحاضر، وأن يستوجب ذلك التطلع من جهة ثانية.

فالمستقبل نتاج الحاضر، فكل مجتمع يصنع لنفسه مستقبلاً خاضعاً لقدراته المؤسسية المنظمة، وموارده الثقافية والطبيعية، والنظرة للمستقبل هي انعكاس للقدرات المؤسسية في المجتمع.

العلاقات الدولية لا تخضع لقانون مكتوب أو نظام رسمي ينظم العلاقات بين الدول

كل مجتمع يصنع لنفسه مستقبلاً خاضعاً لقدراته المؤسسية المنظمة وموارده الثقافية والطبيعية

ويرى أن هناك منهجيات محددة وأدوات للدراسات المستقبلية وخصائص، أبرزها:

- الشمول والنظرة الكلية للأمور.
- مراعاة التعقد وتفادي الإفراط في التبسيط والتجريد للظواهر المدروسة.
- القراءة الجيدة للماضي باتجاهاته العامة السائدة، وكذلك التعرف على الاتجاهات السائدة.
- المزج بين الأساليب الكيفية والكمية في العمل المستقبلي.
- عمل الفريق والإبداع الجماعي مع التزام الحيادية والعلمية.

التوازن والتأثير الدولي:

تتكئ الدراسة على مرتكز التوازن الذي يشكل من وجهة نظر المؤلف نتاجاً فعلياً لحركة التفاعلية في السياسة الدولية، الذي يمثل جانباً مهماً لدراسة ظواهر العلاقات الدولية بين القوى الفاعلة ودراسة الدور الذي تقوم به الأحلاف الدولية في حفظ توازن القوى، والاعتبارات التي تحيط بعملية التساوم التي تجري بين أطراف الصراع، سواء في ظروف التهديد باستخدام القوة، أو الخلفية الإستراتيجية لنظام التوازن الدولي والإقليمي في مجريات البيئة الدولية.

كما يرى المؤلف أن مرتكز التأثير الدولي من بين أهم المواضيع التي يجب دراستها وقياسها في العصر الراهن؛ حيث إنه لم يأخذ اهتماماً كبيراً لدى باحثي العلوم السياسية نظراً للتأثيرات الواضحة والخطيرة التي تتركها إستراتيجيات القوى العظمى على النظام الدولي والسياسة الدولية، فهو يوصف بأنه وثيق الصلة بمفهوم القوة الناعمة، ويمكن تحليله مثل تحليل مستويات القوة بوصفها قدرة وبوصفها علاقة بين الوحدات الدولية، ثم إن علاقة السطوة مشابهة لعلاقات القوة، بمعنى أنهما يحفزان دولة ما على فعل شيء ما كانت لتفعله بخلاف ذلك، فيتم إقناع الخصم بتغيير رأيه بدلاً من إجباره على ذلك عن طريق القوة الناعمة.

مرتكز الإستراتيجية:

يشير المؤلف إلى أن هذا المرتكز يحظى بأهمية بالغة في السياسة الدولية، بحيث لا يكاد يخلو تصريح أو مؤتمر أو ندوة في المجال السياسي أو غيره من إيراد المصطلح عن فهم دقيق أو سطحي في أغلب الأحيان، وهو بالفعل مفهوم غامض ومتشابك في أكثر من مجال وحقل معرفي، وعرض المؤلف في هذا المرتكز لبيان تعريف مفهوم الإستراتيجية، وأنواعها ومستوياتها والصيغ التي ترد فيها لا سيما في الصراعات والنزاعات الدولية، ومفهوم الإستراتيجية الشاملة التي تعني حشد وتوجيه جميع موارد الدولة لتحقيق الأهداف المطلوبة، وتشمل التخطيط والتنسيق والتطوير لجميع وإمكانيات الدولة في مرحلة السلم والحرب لتحقيق المصالح الوطنية العليا للدولة.

وفرق المؤلف بين أنواع الإستراتيجية القومية التي تقتضي تأمين متطلبات الاستقرار الداخلي وحماية المصالح الحيوية والأساسية لأي أمة مستفيدة من تاريخها وما أفرزته معطيات قوتها الجغرافية ومؤثرها التاريخي والاجتماعي.

مرتكز النظام الدولي:

يعد النظام الدولي بمثابة المحور والدائرة الرئيسة التي تصف شكل وأنماط العلاقات والتصرفات التي تسود العلاقات الدولية، التي على إثرها يتحدد شكل النظام الدولي، وأخذ النظام الدولي أشكالاً متعددة تارة يقوم على أساس توازن القوى متعدد الأقطاب، واستمر هكذا حتى الحرب العالمية الثانية.

وبعد الحرب العالمية الثانية، انتهى نظام تعدد الأقطاب وظهر نظام الثنائية القطبية، وبعد تفكك الاتحاد السوفييتي عام 1991م، بدأ نظام جديد أطلق عليه أحادي القطب بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية، إلا أنه سرعان ما أشرفت مرحلة جديدة يعيشها النظام الدولي إذ أخذ شكل قطبية أحادية عسكرية وتعددية اقتصادية ثقافية، ولا يمكن أن نعرف موازين القوى الدولية واتجاهات القوة فيه، دون معرفة هيكلية

مرتكز التأثير الدولي من أهم المواضيع التي يجب دراستها وقياسها في العصر الراهن

النظام الدولي يَشرُف على مرحلة جديدة إذ أخذ شكل قطبية أحادية عسكرية وتعددية اقتصادية ثقافية



النظام الدولي وتطورها من خلال معرفة تراتبية الوحدات التي يتألف منها الهيكل، بدلالة الأنماط العامة للقوة وطرائق توزيعها ودرجات الهيمنة والنفوذ بين الوحدات داخل الإطار الذي تنتظم فيه.

مرتكزا القوة والواقعية:

يعد مرتكز القوة من المرتكزات التي شهدت كذلك تطورات كبيرة من القوة الصلبة (العسكرية) إلى القوة الناعمة التي تعني هيمنة النموذج الجاذب ثقافياً وفكرياً واقتصادياً إلى القوة «الذكية»، ويشير المؤلف إلى أن هناك تضارباً وتشابكاً بالآراء حول إعطاء تعريف واحد للقوة، وتأتي أهميته في تحديد المدركات الإستراتيجية لقوة الدولة كنقطة انطلاق لدراسة السياسة الدولية بشكل أوسع، فهي في الفكر الإستراتيجي فاعلية الدولة ووزنها في المجال الدولي، الناتجان عن قدرتها على توظيف مصادر القوة المتاحة لديها في فرض إرادتها وتحقيق أهدافها ومصالحها القومية في محيطها الإقليمي والدولي، وقدرتها على التأثير في إرادات الدول الأخرى ومصالحها وأهدافها، وتتحدد قوة الدولة في ضوء عنصرين؛ الأول: مصادر القوة، والثاني: عملية توظيف وإدارة هذه المصادر على الصعيد الدولي.

كما يرى المؤلف أن مرتكز الواقعية بمثابة المرجع الأساسي الذي يفسر سير العلاقات الدولية، والواقعية -حسب رأيه- ليست مجموعة من الفرضيات السياسية بحسب، بل هي أعمق من ذلك بكثير، فهي رؤية خاصة للعالم، والإنسان والحياة، وتمتد جذورها وروافدها في عمق التاريخ الإنساني، فالمنهج الواقعي يعد من أهم المناهج السائدة في حقل السياسة الدولية، وأهم ما يميز أصحاب المدرسة الواقعية كحقل معرفي اشتماله على شبكة تتعلق ببعضها وتساعد في صياغة الفروض التي تعكس الشكل الحقيقي للبيئة الدولية.

مرتكز الأمن:

يعد مفهوم الأمن من أكثر الإستراتيجية إثارة للجدل؛ لارتباطه ببقاء الأفراد والشعوب والدول واستمرارها، وقد تعددت تعريفات الأمن من حيث المضمون أو مستوى التحليل أو الوسائل والأطراف المعنية به، فهو من المفاهيم الحديثة في السياسة الدولية، ويعود استخدام مفهوم الأمن إلى نهاية الحرب العالمية الثانية؛ حيث ظهر تيار من الأدبيات يبحث في كيفية تحقيق الأمن وتلافي الحروب، وكان من نتائجه بروز نظريات الردع والتوازن، ثم أنشئ مجلس الأمن القومي الأمريكي بمستوياته في حقبة سبعينيات القرن الماضي، ومنذ ذلك التاريخ انتشر استخدام مفهوم الأمن بمستوياته



المختلفة طبقاً لطبيعة الظروف المحلية والإقليمية والدولية.

وظهور مفهوم الأمن القومي -وفقاً لـ «جوزيف ناي وروبرت كيوهان»- كان بعد الحرب الباردة، والملاحظ أنه ليس هناك إجماع حول المقصود بالأمن القومي في حماية القيم المركزية كبقاء الدولة والاستقلال الوطني، والوحدة الترابية، والرفاه الاقتصادي، والهوية الثقافية، والحريات الأساسية.

وترجع أهمية هذا المرتكز إلى أن الأمن الدولي مفهوم مرتبط بأمن كل دولة عضوة في النسق الدولي، الذي هو مجموعة من الوحدات المترابطة نمطياً من خلال عملية التفاعل، فالنسق يتميز بالترابط بين وحداته، وتحقيق الأمن يتطلب آليات عمل جماعية، منها:

1 - نظام توازن القوى.

2 - نظام الأمن الجماعي.

ولعل ما نود التركيز عليه في هذا المرتكز هو أن التحديات الجديدة جعلت مفهوم الأمن شمولياً ومتعدد الأبعاد وأكثر التصاقاً بالحياة الاجتماعية، فلم يعد يقاس بمدى تقليص التهديدات، بل بمدى الاستجابة للحاجيات الأساسية للإنسان.

مرتكز الأحلاف الدولية:

يرى المؤلف أن هذا المرتكز أحد محركات التفاعل في السياسة الدولية، ويمكن النظر إليها على اعتبار أنها إحدى أدوات أساليب تحقيق التوازن، وتمثل اعتبارات توازن القوى أكثر التفسيرات شيوعاً فيما يتعلق بنشأة وانهيار التحالفات.

وتجدر الإشارة إلى أن اعتبارات توازن القوى الدولية قد تطغى على اعتبارات السياسة الوطنية، وقد يكون الهدف من قيام بعض التحالفات هو رسم وتحديد مناطق النفوذ التابعة لكل قطب من أقطاب العالم؛ وبالتالي هناك دوافع كثيرة تدفع العالم إلى إبرام تحالفات دولية من أقطاب دولية فيما بينها، ومن أهم هذه الدوافع الإبقاء على توازن القوى فيما بينها.

وفي الختام، بعد استعراض هذه المرتكزات الأساسية للنظام الدولي، نقول: إن السياسة الدولية ظاهرة مستقلة تهتم بدراسة الظواهر المعاصرة التي تعنى بالتفاعلات السياسية على الصعيد الدولي، وتختص بما هو كائن، وترتبط مع العلوم الاجتماعية في علاقة تأثر متبادل، وتتأثر بأيديولوجية صانع القرار؛ لما له من أثر كبير في رسم معادلات السياسة الدولية.

ومن هنا تأتي أهمية دراسة هذه المرتكزات، حيث تبنى التصورات الذهنية المتعلقة بالكيفية الممكنة لتقييم حركات التفاعل الدولية ورصد المعادلات الإستراتيجية الدائرة جراء تضارب السياسات الخارجية للوحدات والفواعل الدولية، سواء كانت دولة أم لاعباً دولياً يتخطى مفهوم الدولة؛ كالشركات الكبرى والأفراد المؤثرين بالساحة الدولية.

خلاصات الأفكار:

بعد ما تقدم عرضه في هذا الكتاب لمرتكزات السياسة الدولية، نقدم لأبرز خلاصات الأفكار التي حملتها هذه الدراسة للمهتمين بدراسة السياسة الدولية، وصناع القرار، ومنها:

- الاستشراف أصبح علماً يتخطى الكهانة و«اليوتوبيا»، ويعرف بأنه محاولة لاستكشاف المستقبل وفق الأهداف المخططة، باستخدام أساليب كمية تعتمد على قراءة أرقام الحاضر والماضي، أو أساليب كيفية تستنتج أدلتها من الآراء الشخصية القارئة لمجرى الأحداث.
- العلاقات الدولية بشكل عام لا تخضع لقانون مكتوب أو نظام رسمي ينظم العلاقات ما بين الدول، إنما هي تسبح في بيئة تحدد من قبل الفاعلين الدوليين، ولا يقتصر مصطلح الفاعلين الدوليين على الدول بحد ذاتها، وإنما يتخطاها ليصل إلى المنظمات الدولية والشركات المتعددة الجنسيات، بالإضافة إلى الأشخاص الذين يمارسون دوراً في الساحة الدولية، كما هي الحال بالنسبة للأشخاص الذين يمتلكون نفوذاً عالمياً بحكم طبيعة نشاطهم.
- مكانة الدولة في بنية النظام الدولي تعكس أهدافها وطموحاتها في المحيط الخارجي، والدول تحاول تحقيق أهدافها عبر السياسة الخارجية التي ستختلف بطبيعة الحال بين دولة وأخرى بسبب اختلاف مكانة وطموح الدولة.
- بقاء النظام السياسي الدولي مرتكزاً على مبدأ السيادة القومية يشكل المصدر الرئيس للصراعات الدولية، والتحلل من هذا المأزق يتطلب صهر الإدارات الفردية للدول ودمجها في إدارة عالمية ذات سيادة واحدة.
- القوة هي التي ترسم أبعاد الدور الذي تقوم به الدولة في المجتمع الدولي، وتحدد إطار علاقاتها بالقوى الخارجية في البيئة الدولية، وأنّ امتلاك عناصر القوة لا يكفي حتى تكون الدولة مؤثرة، فلا بد من تبني سياسات فعّالة لاستخدام القوة.
- توازن القوة بين القوى الدولية هو ما يحقق الاستقرار، وتوزيع تلك القوة هو ما يحدد بنية النظام الدولي التي تتميز بانعدام الثقة بين الدول.
- الإستراتيجية هي علم وفن استخدام الوسائل والقدرات المتاحة في إطار عملية متكاملة يتم إعدادها والتخطيط لها، بهدف خلق هامش من حرية العمل يعين صناع القرار على تحقيق أهداف سياستهم العليا في أوقات السلم والحرب.
- يشكل الأمن محوراً أساسياً في حياة الإنسان وتفكيره، سواءً كان ذلك على مستوى الفرد أم الجماعة أم الدولة، إذ يعتبر الأمن الأولوية الأولى في حياة الإنسان، وفي ترسيخ وتوطيد دعائم استقراره وتطوره وازدهاره، فالحاجة إلى الأمن بكافة صوره وأشكاله من أهم الحاجات الفطرية الإنسانية.■

مفهوم الأمن من أكثر الإستراتيجية إثارة للجدل لارتباطه ببقاء الأفراد والشعوب والدول واستمرارها

بقاء النظام السياسي الدولي مرتكزاً على مبدأ السيادة القومية يشكل المصدر الرئيس للصراعات الدولية





مسلمو كينيا.. بين المد التنصيري والعوز المالي

يواجهون المدّ التنصيري الجارف والإمكانات المادية المتدفقة التي تهدف إلى تذويب هويتهم

أشرف عيد

تقع كينيا في شرق قارة أفريقيا، يحدُّها شرقاً الصومال والمحيط الهندي، وجنوباً تنزانيا، وغرباً أوغندا، وشمالاً إثيوبيا وجنوب السودان، وتبلغ مساحتها 582,650 كم، وعدد سكانها 32 مليوناً تقريباً، و48% من السكان وثنيون، و16% نصارى، و2% يهود وديانات أخرى، ويقدر عدد المسلمين بـ8 ملايين بنسبة 25%، إلا أن بعض المراجع الغربية يقدرون نسبتهم بـ7% تقليلاً من شأنهم.

دخل الإسلام كينيا على يد التجار والقبائل العربية التي هاجرت إليها منذ القرن الأول الهجري، ويتوزع المسلمون في أقاليم كينيا بنسب متفاوتة، ومن أهم الأقاليم التي يتواجد فيها المسلمون بنسب كبيرة إقليم الساحل، وأهم مدنه: ممباسا وباتا ولامو ومالندي، وتسكنه عدة قبائل، ونسبة المسلمين بينهم 80% وفي الغرب تصل نسبة المسلمين إلى 20% فقط، والإقليم الشمالي الشرقي ومعظم سكانه من الصوماليين، وتبلغ نسبة المسلمين فيهم نحو 99%، ويعيش السكان فيه على تربية المواشي، ومعظمهم من البدو الرُّحَّل، وإقليم العاصمة نيروبي، وفيها أكثر من نصف مليون مسلم وحدها وأكثر من 30 مسجداً، ويتحدث المسلمون في كينيا اللغة الإنجليزية واللغة السواحلية.

ويوجد العديد من المؤسسات والجمعيات الإسلامية في كينيا التي يشرف عليها «المجلس الأعلى لمسلمي كينيا»، وهو الجهة الممثلة للمسلمين لدى الدولة، وبالرغم من أن المسلمين يمثلون ربع السكان، فإنهم ليس لهم وزن سياسي يتناسب مع عددهم، وليس بينهم رابطة توحدهم.

ومن أشهر الدعاة في كينيا الشيخ الأمين علي المازروي، الذي قام بإصدار جريدتين باللغتين العربية والسواحلية، وأنشأ مدرسة عربية في مدينة «شيلا»، والداعية عبدالله حسين، الذي كانت له جولات دعوية في قبائل «الجرياما» الوثنية بجنوب كينيا، والشيخ على كريسا، مدير المركز الإسلامي في جنوب ساحل كينيا.

كما أن جمعية العون المباشر التي كان يرأسها الداعية الكويتي د. عبدالرحمن السميط كانت لها إسهامات كبيرة في مساعدة مسلمي كينيا.

ويتعلم الأطفال قراءة القرآن الكريم ومبادئ الإسلام في الكتاتيب التي يبلغ عددها نحو 866 كتاباً، وهي قليلة جداً، والمساجد في كينيا قليلة جداً لا تتناسب مع عدد المسلمين؛ حيث يبلغ عددها 690 مسجداً حتى عام 2016م.

أهم التحديات

يعاني مسلمو كينيا من التهميش والتمييز، وحُرمت مناطقهم من الخطط التنموية وإنشاء مدارس أو جامعات أو مستشفيات؛ فنسبة المسلمين الذين يعيشون تحت خط الفقر وصلت إلى أكثر من 55%، وتنتشر في صفوفهم البطالة بنسبة 30%، وشرق وشمال كينيا على اتِّساعه لا توجد فيهما جامعة إسلامية، والمسلمون الذين يقطنون الأرياف كثير منهم لا يفقهون شيئاً عن أمور دينهم.

وقد أدت الحرب المزعومة على الإرهاب إلى إغلاق الكثير من مكاتب الإغاثة الإسلامية، ويواجه المسلمون المدّ التنصيري الجارف والإمكانات المادية المتدفقة للتنصير التي تهدف إلى تذويب هوية المسلمين.

وقد أدخلت الحكومة الكينية مادة التربية الدينية مادة أساسية إجبارية في التعليم الابتدائي والمتوسط، فيخير الطالب بين التربية الإسلامية والمسيحية، والغريب أن بعض أبناء المسلمين يفضّلون اختيار مادة التربية المسيحية للحصول على الشهادات؛ لكونها مكتوبة باللغة الإنجليزية لغة التواصل والتدريس التي يفهمونها، ولصعوبة تعلم التربية الإسلامية باللغة العربية التي يتعلمونها كلغة دينية وليست لغة التواصل.

وهناك نوع من المدارس التي تقوم بتدريس منهج وزارة التعليم للمرحلة الابتدائية، إضافة إلى تدريس اللغة العربية والعلوم الشرعية، مثل «مدرسة أبي هريرة الإسلامية» في ممباسا التي أُنشئت عام 1995م، ثم سارت على منوالها مدارس أخرى، مثل مركز الشيخ زايد الخيري لرعاية الأطفال وغيره، ويبلغ عددها حالياً 17 مدرسة.

والمسلمون في كينيا في حاجة شديدة إلى الدعم المادي من الدول العربية والإسلامية؛ فإمكاناتهم المادية لا تفي بالمتطلبات الأساسية، ويحتاجون قناة فضائية تعليمية تُعنى بنشر اللغة العربية والثقافة الإسلامية، وتكون بعض برامجها باللغة السواحلية والإنجليزية التي يتحدثون بها.■



د. وصفي عاشور أبو زيد
أستاذ مقاصد الشريعة الإسلامية

رتبة الفنون وجمالياتها وتكييفها الشرعي..

نظرة مقاصدية



مقاصد الشريعة الإسلامية -كما هو معلوم ومتواتر عن العلماء- ثلاث مراتب: الضروريات، والحاجيات، والتحسينيات.

والفنون ومركزها الجمال تدخل ضمن المرتبة الثالثة؛ وهي التحسينيات، وَقِسْمُ التَّحْسِينِيَّات -كما قال الإمام الشاطبي- جَارٍ أَيْضاً كجريان الحاجيات؛ فإنها راجعة إلى العمل بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَمَا يَحْسُنُ فِي مَجَارِي الْعَادَاتِ؛ كَالطَّهَارَاتِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الصَّلَوَاتِ، عَلَى رَأْيِ مَنْ رَأَى أَنَّهَا مِنْ هَذَا الْقِسْمِ، وَأَخْذِ الزِّينَةِ مِنَ اللِّبَاسِ وَمَحَاسِنِ الْهَيْئَاتِ وَالطِّيبِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، وَانْتِخَابِ الْأَطْيَبِ وَالْأَعْلَى فِي الزَّكَوَاتِ وَالْإِنْفَاقَاتِ، وَآدَابِ الرِّفْقِ فِي الصِّيَامِ، وَبِالنِّسْبَةِ إِلَى النُّفُوسِ كَالرِّفْقِ وَالْإِحْسَانِ، وَآدَابِ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَبِالنِّسْبَةِ إِلَى النَّسْلِ؛ كَالْإِمْسَاكِ بِالْمَعْرُوفِ أَوِ التَّسْرِيحِ بِالْإِحْسَانِ، مِنْ عَدَمِ التَّضْيِيقِ عَلَى الزَّوْجَةِ، وَبَسْطِ الرِّفْقِ فِي الْمُعَاشَرَةِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، وَبِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمَالِ؛ كَأَخْذِهِ مِنْ غَيْرِ إِشْرَافِ نَفْسٍ وَالتَّوَرُّعِ فِي كَسْبِهِ وَاسْتِعْمَالِهِ، وَالْبَذْلِ مِنْهُ عَلَى الْمُحْتَاجِ، وَبِالنِّسْبَةِ إِلَى الْعَقْلِ؛ كَمُبَاعَدَةِ الْخَمْرِ وَمُجَانَبَتِهَا وَإِنْ لَمْ يَقْصِدِ اسْتِعْمَالَهَا، بِنَاءً عَلَى أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾ (المائدة: 90) يُرَادُ بِهِ الْمُجَانَبَةُ بِإِطْلَاقٍ، فَجَمِيعُ هَذَا لَهُ أَصْلٌ فِي الْقُرْآنِ بَيَّنَتْهُ الْكِتَابُ عَلَى إِجْمَالٍ أَوْ تَفْصِيلٍ أَوْ عَلَى الْوَجْهَيْنِ مَعاً، وَجَاءَتِ السُّنَّةُ قَاضِيَةً عَلَى ذَلِكَ كُلِّهِ بِمَا هُوَ أَوْضَحُ فِي الْفَهْمِ وَأَشْفَى فِي الشَّرْحِ، وَإِنَّمَا الْمَقْصُودُ هُنَا التَّنْبِيهُ، وَالْعَاقِلُ يَتَهَدَّى مِنْهُ لِمَا لَمْ يُذْكَرْ مِمَّا أُشِيرَ إِلَيْهِ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ[1].

رتبة الفنون وجمالياتها في رتب المقاصد:

رتبة التحسينيات التي تندرج فيها الفنون هي المسؤولة عن جماليات التشريع، وعن تقريبه للنفوس وتقبلها له بقبول حسن، فإذا أضيف إلى عنصر الإيمان بالله تعالى عنصر التحسين الجمالي كان أقرب إلى الامتثال، وأدنى إلى المداومة على العبادة.

بل جعل بعض الأصوليين رتبة التحسينيات ثلاث مراتب: منفعة وزينة وفضول، وذلك بعد الضرورة والحاجة، قال الزركشي: فَائِدَةٌ: جَعَلَ بَعْضُهُمْ الْمَرَاتِبَ خَمْسَةً: ضَرُورَة، وَحَاجَة، وَمَنْفَعَة، وَزِينَة، وَفُضُول.

فالضرورة: بلوغه حداً إن لم يتناول الممنوع هلك أو قارب؛ كالمضطر للأكل واللبس بحيث لو بقي جائعاً أو عرياناً لمات أو تلف منه عضو، وهذا يبيح تناول المحرم، والحاجة: كالجائع الذي لو لم يجد ما يأكل لم يهلك غير أنه يكون في جهد ومشقة، وهذا لا يبيح المحرم، وأما المنفعة: فكالذي يشتهي خبز الحنطة ولحم الغنم والطعام الدسم، وأما الزينة: فكالمشتهي الحلو المتخذ من اللوز والسكر والثوب المنسوج من حرير وكتان، وأما الفضول: فهو التوسع بأكل الحرام أو الشبهة، كمن يريد استعمال أواني الذهب أو شرب الخمر[2].

وبهذا؛ يتبين لنا أهمية الفنون ومركزها الذي هو الجمال، وما تحتله من مرتبة مهمة وفاعلة في منظومة مقاصد الشريعة، وما لذلك من آثار في التعبد لله، وما له من وظيفة في الاجتماع الإنساني والاتساق مع الكون والتشريع، وعمارة الحياة.

التكييف الشرعي للفنون في ضوء المقاصد:

نعني بالتكييف الشرعي هنا فهم حكمها

رتبة التحسينيات التي تندرج فيها الفنون هي المسؤولة عن جماليات التشريع وتقريبه للنفوس

ومنزلته في ضوء المقاصد، وليس الحديث عن حل أو حرمة الفنون، فهذا أمر قد بحثه العلماء بما لا مزيد عليه، وفيه خلاف مشهور للاختلاف في اعتبار جهة النظر التي ينظر منها والمعاني التي يتحدث عنها الفقيه، والسياقات التي تصاحب الفنون.

ويمكننا أن نكيِّف الفنون في منظومة الشريعة بأنها وسائل تحقق، والقاعدة المقاصدية تقضي بأن للوسائل أحكامَ المقاصد، وقد عقد العز بن عبدالسلام فصلاً بعنوان «فصل في انقسام المصالح والمفاسد إلى الوسائل والمقاصد»، قال فيه: «الواجبات والمندوبات ضربان: أحدهما مقاصد، والثاني وسائل، وكذلك المكروهات والمحرمات ضربان: أحدهما مقاصد، والثاني وسائل، وللوسائل أحكام المقاصد؛ فالوسيلة إلى أفضل المقاصد هي أفضل الوسائل، والوسيلة إلى أرذل المقاصد هي أرذل الوسائل، ثم تترتب الوسائل بترتب المصالح والمفاسد، فمن وفقه الله للوقوف على ترتب المصالح عرف فاضلها من مفضولها، ومقدمها من مؤخرها، وقد يختلف العلماء في بعض رتب المصالح فيختلفون في تقديمها عند تعذر الجمع، وكذلك من وفقه الله لمعرفة رتب المفاسد فإنه يدرأ أعظمها بأخفها عند تزاحمها، وقد يختلف العلماء في بعض رتب المفاسد فيختلفون فيما يدرأ منها عند تعذر دفع جميعها، والشريعة طافحة بما ذكرناه»[3].

وفي فصل آخر مهم أيضاً يتحدث حديثاً مهماً ننفذ من خلاله إلى تكييف الفنون تكييفاً شرعياً صحيحاً، قال: «فصل في بيان الوسائل إلى المصالح: يختلف أجر وسائل الطاعات باختلاف فضائل المقاصد ومصالحها، فالوسيلة إلى المقاصد أفضل من سائر الوسائل، فالتوسل إلى معرفة الله تعالى ومعرفة ذاته وصفاته أفضل من التوسل إلى معرفة أحكامه، والتوسل إلى معرفة أحكامه أفضل من التوسل إلى معرفة آياته، والتوسل بالسعي إلى الجهاد أفضل من التوسل بالسعي إلى الجمعات، والتوسل بالسعي إلى الجمعات أفضل من التوسل بالسعي إلى الجماعات في الصلوات المكتوبات، والتوسل بالسعي إلى الصلوات المكتوبات أفضل من التوسل بالسعي إلى المندوبات التي شرعت فيها الجماعات كالعيدين والكسوفين، وكلما قويت الوسيلة في الأداء إلى المصلحة، كان أجرها أعظم من أجر ما نقص عنها، فتبليغ رسالات الله من أفضل الوسائل؛ لأدائه إلى جلب كل صلاح دعت إليه الرسل، وإلى درء كل فاسد زجرت عنه الرسل، والإنذار وسيلة إلى درء مفاسد الكفر والعصيان، والتبشير وسيلة إلى جلب مصالح الطاعة والإيمان، وكذلك المدح والذم، وكذلك الأمر بالمعروف وسيلة إلى تحصيل ذلك المعروف المأمور به، رتبته في الفضل والثواب مبنية على رتبة مصلحة الفعل المأمور به في باب المصالح، فالأمر بالإيمان أفضل أنواع الأمر بالمعروف.

وكذلك تعليم ما يجب تعليمه، وتفهيم ما يجب تفهيمه، يختلف باختلاف رتبه، وهذان قسمان:

أحدهما: وسيلة إلى ما هو مقصود في نفسه، كتعريف التوحيد وصفات الإله؛ فإن معرفة ذلك من أفضل المقاصد والتوسل إليه من أفضل الوسائل.

القسم الثاني: ما هو وسيلة إلى وسيلة كتعليم أحكام الشرع، فإنه وسيلة إلى العلم بالأحكام التي هي وسيلة إلى إقامة الطاعات، التي هي وسائل إلى المثوبة والرضوان، وكلاهما من أفضل المقاصد.

وكذلك الولايات تختلف رتبها باختلاف ما تجلبه من المصالح وتدرؤه من المفاسد؛ فالولاية العظمى أفضل من كل ولاية، لعموم جلبها المنافع، ودرئها المفاسد، وتليها ولاية القضاء لأنها أعم من سائر الولايات، والولاية على الجهاد أفضل من الولاية على الحج؛ لأن فضيلة الجهاد أكمل من فضيلة الحج، وتختلف رتب الولايات بخصوص منافعها وعمومها فيما وراء ذلك من جلب المصالح ودرء المفاسد[4].

هذا الكلام النفيس لسلطان العلماء يجعلنا نضع الفنون في مكانها الصحيح، وفي رتبتها اللائقة بها؛ فهي وسيلة تأخذ حكم ما تفضي إليه، وما تعمل على تعزيزه وخدمته، فإن كان موضوع عملها واجباً تأخذ حكمه، وإن كان مندوباً فهي مندوبة، وإن كان محرماً فهي حرام، وإن كان مكروهاً فهي مكروهة.

ولا شك أن أمتنا في واقعها المعاصر تحتاج أن تعيد النظر في هذا الموضوع، وتوليه اهتمامه الملائم له، لا سيما في عصرنا الذي نعيشه؛ ذلك العصر الذي يمر بتحولات اجتماعية وسياسية وفكرية كبرى، لا تمر بها الأمة إلا كل مائة عام، وما لم تأخذ الفنون بمعناها الواسع مكانها اللائق بها في خدمة هذا المشهد فسوف تخسر الأمة الكثير، وتبذل من الوقت والجهد والمال ما يغنيه عنها اهتمامها بأداة الفن بما هي وسيلة قوية ومؤثرة ومعبرة ومغيرة لواقعنا المعاصر وقضاياه الكبرى.■

الفنون تحتل مرتبة مهمة في منظومة مقاصد الشريعة وهو ما له آثاره في التعبد لله وعمارة الحياة

.. ووسيلة تأخذ حكم ما تفضي إليه وتعززه سواء كان واجباً أم مندوباً أم مكروهاً أم محرماً

ما لم تأخذ الفنون بمعناها الواسع مكانها اللائق في واقعنا المعاصر فسوف تخسر الأمة الكثير

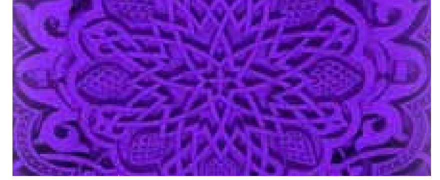
الهوامش

(1) الموافقات للشاطبي: 4/ 351-352. تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان. دار ابن عفان. الطبعة الأولى. 1417هـ/ 1997م.

(2) المنثور في القواعد للزركشي: 2/ 319-320. وزارة الأوقاف الكويتية. الطبعة الثانية. 1405هـ - 1985م.

(3) قواعد الأحكام في مصالح الأنام للعز بن عبدالسلام: 1/ 53-54. راجعه وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد. مكتبة الكليات الأزهرية. القاهرة. طبعة جديدة مضبوطة منقحة. 1414هـ - 1991م.

(4) قواعد الأحكام في مصالح الأنام للعز بن عبدالسلام: 1/ 124-126.



محمود عاصم
باحث وصحفي بنيودلهي



قانون المواطنة الجديد بالهند يتنافى مع دستورها العلماني

أقر البرلمان الهندي تمرير مشروع قانون المواطنة (المعدل) لعام 2019م، الذي أصبح قانوناً بعد توقيع رئيس جمهورية الهند، في 12 ديسمبر 2019م.

قامت الحكومة الهندية بقيادة رئيس الوزراء «ناريندرا مودي» بإقرار بعض التعديلات في قانون المواطنة بالهند الذي أقر عام 1955م، وأرادت الحكومة الهندية من خلال هذا القانون منح الجنسية الهندية للأفراد متبعي الديانات الهندوسية والسيخ والبوذية والجاينية والبارسية والمسيحية دون المسلمين الذين هاجروا إلى الهند من باكستان وأفغانستان وبنجلاديش قبل 31 ديسمبر 2014م.

ترى الحكومة الهندية أن الأقليات، ولا سيما الهندوس، يعانون من اضطهاد في الدول الإسلامية الثلاث المجاورة لها (أفغانستان، باكستان، بنجلاديش)، ومن واجبات الحكومة أن تعطي لهم فرصة للعيش في الهند بسلام واطمئنان، ولكن معارضي هذا القانون يتهمون الحكومة بكونها متعصبة تجاه أقلياتها، مدللين على ذلك بأن هذا القانون يعارض فكرة الهند كدولة علمانية ودستورها العلماني، وأنها خطوة لتهميش المسلمين الهنود البالغ عددهم نحو 200 مليون نسمة، ويتخوف المتظاهرون من غير المسلمين من المنطقة الشمالية الشرقية الهندية من تدفق المهاجرين، وانخفاض فرص العمل، وتغير الهوية الثقافية لهم.

وقد وافقت المحكمة العليا الهندية على الاستماع للطلبات التي رفعت ضد هذا القانون، في 22 يناير 2020م، عن شرعية هذا القانون بموجب الدستور الهندي، وطلبت استجواب الحكومة حول هذه القضية، ولكن في الوقت نفسه رفضت المحكمة وقف تنفيذ القانون رغم اندلاع احتجاجات عنيفة وحاشدة في طول البلاد وعرضها ضد القانون.

من أهم الأدلة التي تُعرض ضد القانون معارضته دستور الهند وروحه العلمانية، وأنه يميز بين شخص وآخر على أساس الديانة، والدستور الهندي يضمن المساواة والعدل لكل مواطن دون تمييز عقيدته أو عرقه أو جنسه، الذي ينص في بند (14) بأنه «لا يجوز للدولة حرمان أي شخص من المساواة أمام القانون أو الحماية المتساوية للقوانين داخل الأراضي الهندية».

كما أن ديباجة الدستور الهندي تنص على أن «نحن، شعب الهند، قد قررنا رسمياً، وبكل رزانة ووقار، أن نشكل الهند، دولة موحدة في جمهورية ديمقراطية، علمانية، اشتراكية، ذات سيادة واستقلال، وأن نضمن لجميع مواطنيها العدالة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وحرية الفكر والتعبير والاعتقاد والإيمان، والعبادة، والمساواة في الأوضاع والفرص، وأن نعزز فيما بيننا جميعاً الأخوة وضمان كرامة الفرد ووحدة وسلامة الأمة».

لا ينتهك قانون المواطنة الجديد فقط حق المساواة أمام الدستور، ولكنه يعارض القيم الدستورية للكرامة والنزاهة، وينفي قيمة المجتمع؛ لأنه ينتهك الروابط الأخوية بين المجتمعات، ويميز بين شخص وآخر.

يمنح الدستور الهندي الحقوق الأساسية لكل مواطن التي تشمل المساواة أمام القانون، والحق في الحرية وحماية الحياة والحرية الشخصية، ويحظر التمييز على أساس الدين أو العرق أو الطائفة أو الجنس أو مكان الولادة، ويضمن تكافؤ الفرص في مسائل التوظيف في القطاع العام.

أما قانون المواطنة الجديد فيرفض حق المساواة من جانب، ويسمح بالتمييز، في الوقت نفسه، بين المهاجرين الوافدين إلى الهند على أساس الديانة، ويتكلم عن منح المواطنة للمهاجرين بشرط ألا يكونوا مسلمين.

ويدافع وزير الشؤون الخارجية الهندي «أميت شاه» عن استثناء المسلمين قائلاً: إن الدول الثلاث (أفغانستان، باكستان، بنجلاديش) دول إسلامية، وليس هناك حاجة للمسلمين للهجرة منها إلى الهند.

يفشل القانون في إدراك العلاقات الأخوية بين الشعب حينما يفضل بعض الأشخاص المضطهدين على الآخرين، حتى لو تعرضوا للاضطهاد مثله، حيث يواجه مجتمع الأويجور المسلم اضطهاداً شديداً في الصين، ومجتمع التاميل الهندوسي الموجود في سريلانكا يتعرض لبعض المشكلات، ومجتمع الروهنجيا في ميانمار، ولكن هذا القانون يتكلم عن اضطهاد الأقليات من أفغانستان وباكستان وبنجلاديش فقط، والتمييز على أساس الموطن الأصلي للمضطهد ليس تعسفياً فحسب، بل يجرح كرامة الفرد، ويجرح الأخوة في عدم الاعتراف بالمعاناة الإنسانية الشائعة بالدول المجاورة الأخرى للهند، حيث يتوافد المئات من المهاجرين من الروهنجيا إلى الهند بسبب الاضطهاد الديني، ولكن الحكومة الهندية التي تستند إلى أسس إنسانية لمنح ملجأ آمن للمضطهدين، تبذل كل جهدها لطرد المهاجرين من الروهنجيا من الأراضي الهندية، ولعل هذا بسبب دينهم ومعتقداتهم.■

بقية المنشور ص 66

العبودية ما بين «كونتا كنتي» و«جورج فلويد».. والتعديل «الثالث عشر»

خلال فترة إعمار الولايات المتحدة بين عامي 1865 و1877م، حيث قدم القانون الاتحادي حقوقاً مدنية للمعتَقين في الجنوب وللأمريكيين الأفارقة الذين كانوا عبيداً في السابق.

ولكن بعودة الديمقراطيين البيض للسلطة تدريجياً في الولايات الجنوبية بداية من عام 1870م بالانتخابات، وباستخدام عصابات ترهيب ضد السود «منظمة كو كلوكس كلان» (K.K.K)، وبنجاحهم سحبوا القوات الفيدرالية من الجنوب، وأقرت حكومة الحزب الديمقراطي قانون «جيم كرو» لعزل السكان السود عن البيض.

وفي عام 1880م، قيدوا عملية الانتخابات للسود، وفي عام 1890م أقروا قوانين رفع الضرائب لمن يريد التصويت، فلم يستطع السود والبيض الفقراء ذلك؛ وبذلك فقدوا قدرتهم عن التمثيل في هيئات المحلفين أو في المكاتب المحلية ولا التأثير في الهيئات التشريعية، فتم تجاهل كل مطالبهم، وأصبح فصل الأمريكيين السود في كل مناحي الحياة وأماكن العمل أمراً مشروعاً، وظل هذا القانون فعالاً ما بين عامي 1890 و1920م، وأصبح فصل السود ثقافة أمريكية.

ومنع السود عامة من التصويت، في حين أعفي البيض الفقراء من الضرائب والقيود.

ولكن حدثت نقلة كبيرة مع بداية القرن العشرين، وذلك بواسطة فيلم «Birth of A nation» (ولادة أمة)، وهو الحدث السينمائي والمؤثر الذي حقق مبيعات عالية؛ حيث جسَّد الفيلم النظرة التي أراد الكثير من البيض أن يروها بشأن الحرب الأهلية وتبعاتها لمحو آثار الهزيمة.

وقد قام الرئيس الأمريكي «وودرو ويلسون»، الرئيس الـ28 آنذاك من عام 1913-1921م، بعرض خاص لهذا الفيلم في البيت الأبيض وقال: إنه «تاريخ مكتوب بالرق».

حيث خلق هذا الفيلم خيالاً في المجتمع الأمريكي؛ فكل صورة تراها لشخص أسود تصوره على أنه كائن منحط وشبيه بالحيوان، وأنه تهديد للنساء البيض.

كما أن الفيلم مسؤول عن ولادة جماعة «كو كلوكس كلان» (K.K.K) من جديد التي تأسست في ولاية بولاسكي (تينيسي) عام 1865م على يد 6 ضباط في الجيش، وكان هدفهم معارضة تحرير العبيد التي حدثت بعد الحرب الأهلية الأمريكية، ودُمرت هذه المنظمة على يد الرئيس «غرانت» عام 1871م، لكنها عادت للظهور عام 1915م متأثرة من فيلم «ميلاد أمة».

لذلك فقد تحول الفن إلى واقع بكل معنى الكلمة.

وكان تأثير الفيلم يمتد أبعد بكثير من مجرد فيلم من مرحلة الأفلام السينمائية الأولى.

وجاءت موجة جديدة من الإرهاب، وجرت إعدامات من دون محاكمة بين حقبة إعادة البناء والحرب العالمية الثانية، وقتل آلاف الأمريكيين من أصل أفريقي على يد جماعات في ظل فكرة أنهم ارتكبوا جريمة ما.

في المؤتمر الوطني الديمقراطي في نيويورك عام 1924م، يقرر بأن 350 مندوباً كانوا ينتمون إلى «كلو كلوكس كلان».

لقد نمت المنظمة وبلغ عدد أعضائها عام 1924م حوالي 6 ملايين، ثم في بداية الثلاثينيات بدأت بالتفكك إلى عام 1940م، حيث تم تفكيك المنظمة وحدثت انشقاقات بين أعضائها، واتجهوا ما بين عامي 1940 و1950م لقتل أعضاء في منظمات حقوق الإنسان إلى عام 1999م، حيث تم الإعلان أنها منظمة إرهابية.

ولقد تحولت الحالة العنصرية المتأصلة في قطاعات كبيرة من المجتمع الأمريكي إلى حالة جديدة من التلاعب السياسي من أجل تحويل حالة الخوف من الجريمة إلى زيادة فيما يسمى بصناعة السجون في العقود ما بعد حركة الحقوق المدنية التي أطلقت عام 1964م.

حيث أدى امتزاج الخوف الاجتماعي بالمصلحة السياسية والمنفعة المادية للشركات الكبرى والرأسمالية في المجتمع الأمريكي، وأدى ذلك إلى حالة من التلاعب السياسي والتقنين التشريعي من أجل صناعة السجون المزدهرة التي وضعت أجيالاً من المجتمع الأمريكي الأفريقي في السجون بحجة الجريمة، ولكن في الحقيقة هي إعادة نزع الحرية والاسترقاق والعبودية.■



عصبية طفلك.. كيف تتعامل معها؟

ياسر محمود
متخصص في الشؤون التربوية والأسرية



العصبية هي ضيق وتوتر وقلق نفسي شديد يمر به الإنسان، سواء كان طفلاً أم بالغاً، تجاه مشكلة أو موقف ما، وتظهر مع الأطفال في صورة صراخ، أو ربما مشاجرات مع الأقران أو مع أقرب الناس، كالإخوة أو الوالدين، وهي من الظواهر التي كثيراً ما يشكو الآباء والأمهات من اتصاف أبنائهم بها، فكيف يتعامل الوالدان مع هذه المشكلة؟ هذا ما سنحاول الإجابة عنه في السطور التالية:

1 - متى؟ ولماذا؟

من الضروري أن تهتم بالتعرف على الأسباب والدوافع الحقيقية وراء عصبية طفلك، بدلاً من الاكتفاء بتصنيفه بأنه عصبي؛ وذلك حتى يمكنك معالجة هذه العصبية بطريقة ناجحة، ومما يساعدك على تفهم أسباب العصبية لديه أن تعتني بملاحظة تصرفاته؛ لتصل إلى الإجابة عن هذه الأسئلة: متى؟ وكيف؟ ولماذا تظهر عصبيته؟

ومن الأسباب التي ربما تكون سبباً لعصبية الطفل -ولا يلتفت لها كثير من الآباء- معاناته من أحد الأمراض العضوية، التي يؤثر وجودها على انفعالاته بطريقة سلبية، فإذا ما لاحظت ارتباط عصبية طفلك بأعراض جسدية معينة، فلا بد من اصطحابه إلى طبيب متخصص لإجراء الفحوص الطبية اللازمة، ومعالجة ما تكشف عنها، فربما يكون هذا السلوك العصبي ناتجاً عن مرض عضوي يعاني منه طفلك.

من الأسباب التي ربما تكون سبباً لعصبية الطفل معاناته من أحد الأمراض العضوية التي تؤثر على انفعالاته سلبياً

2 - نموذج عملي:

في مرحلة الطفولة يتعلم الطفل معظم سلوكياته -ومن بينها طريقة التعبير عن مشاعره واحتياجاته- من خلال تقليده ومحاكاته لسلوكيات الآباء، فإذا كان الوالدان أو أحدهما يتسم بالعصبية في تصرفاته، فإنه يكتسب ذلك ويتعلمه بطريقة تلقائية، ويعيد إنتاجه في تعامله مع الآخرين؛ فاحرص على أن تكون قدوة عملية لطفلك بالتزام الهدوء، وتجنب العصبية في تعاملك مع من حولك بشكل عام، ومعه بشكل خاص.

3 - تجنب كثرة نقده:

تجنب كثرة نقد طفلك ولومه، أو تحقيره، أو الاستهزاء به، خاصة أمام من لهم مكانة عنده، أو أمام أقرانه؛ لأن تلك الأساليب لا تحقق المرجو منها، فضلاً على أنها قد تزيد من توتر الطفل، وتجعله أكثر عصبية.

4 - عدم تكليفه بما لا يطيق:

بعض الآباء يبالغون فيما يطالبون به صغيرهم، فهم يريدون منه أن يبقى نظيفاً طوال الوقت، وألا يتحرك كثيراً، وألا يتكلم كثيراً، وأن يرعى أخاه الأصغر منه.. إلخ؛ فهم يطالبونه طوال الوقت بالتزام معايير سلوكية قد لا تتفق مع عمره، ويكلفونه بأعمال قد تفوق إمكاناته وطاقته، وكل ذلك يصيبه بالإحباط، وربما يجعل سلوكياته وردود فعله تتسم بالعصبية.

فاحرص على أن تكون الأوامر والمطالب التي تطلبها من طفلك مناسبة لقدراته، ويستطيع القيام بها دون عناء شديد؛ لأن ذلك يشعره بالنجاح والقدرة على أن يقوم بما تتوقعه منه؛ وبالتالي يقل توتره وقلقه، ويكون أقل عصبية، وأكثر هدوءاً.

5 - إبعاده عن النزاعات الزوجية:

كثرة الخلافات والنزاعات بين الزوجين أمام الطفل تفقده الأمان النفسي، وتثير قلقه، وهذا الشعور بالقلق ربما يؤدي إلى ظهور بعض المشكلات السلوكية لديه، وقد يكون من بينها العصبية، فاحرص على ألا يكون طفلك طرفاً في خلافاتك مع زوجك، ولا أن يكون شاهداً لها أو عليها.

6 - الاعتدال في تلبية طلباته:

من الأمور التي تتسبب في عصبية الطفل أن يعتاد على تلبية كل متطلباته بمجرد إشارة صغيرة منه، وهذا بدوره يدعم تمركزه حول ذاته، ويجعله غير قادر على قبول فكرة تأجيل إشباع رغباته أو رفضها، وإذا ما حدث ذلك؛ فإنه يغضب ويثور على هذا الوضع؛ لأنه اعتاد على ألا يُرفض له طلب مهما كبر أو صغر، فتجنب المسارعة في تلبية رغبات طفلك بمجرد طلبه لها، واعمل على تعويده على أن بعض الرغبات قد تُلبى، وبعضها قد يؤجل إلى وقت لاحق.. وهكذا.

7 - سحب الانتباه:

ربما تكون عصبية طفلك ناتجة عن نجاحه في استخدامها كوسيلة لجذب انتباهك، أو للضغط عليك لتلبية احتياجاته، وفي هذه الحالة سيكون عليك أن تمارس معه ما يُسمى بسحب الانتباه، وذلك بأن تتركه يفعل ما يريد دون الالتفات إليه مهما حدث، بشرط ألا يكون في ذلك إيذاء أو خطر عليه، ثم بعد أن يتوقف عن ضغطه هذا تتعامل معه بشكل طبيعي دون التعليق على ما فعل، حتى يدرك أن هذه الطريقة لا تجدي نفعاً في تحقيق ما يصبو إليه.

8 - الحوار بدل الصراخ:

عوّد طفلك على لغة الحوار بدلاً من لغة الصراخ، وذلك من خلال تدريبه على الحديث معك والحكي عما فعله أثناء يومه، ويمكنك تشجيعه على ذلك من خلال كلامك أنت أولاً عما فعلته في يومك وما مر بك



من مواقف بطريقة تناسبه، وبحسن الإنصات له عند حديثه، وبالإجابة عن أسئلته بصدر رحب.. إلى غير ذلك مما يدربه على الحوار وحسن التعبير عن مشاعره واحتياجاته.

9 - تجنب العصبية المضادة:

احذر من مقابلة عصبية طفلك بعصبية مضادة، أو أن تفقد سيطرتك على مشاعرك كما فعل هو، وإنما عليك الاحتفاظ بضبط النفس في التعامل مع عصبيته؛ لأن مجاراته في عصبيته ستزيد من حدة المقاومة لديه، وستشعره بمزيد من الغضب، كما أن احتفاظك بالهدوء في التعامل مع غضبه يعلمه ضبط الذات.

ومن الأمور التي يمكن أن تساعدك على استعادة توازنك الانفعالي وضبط غضبك تجاه عصبيته:

أ- الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم.

ب- الإكثار من ذكر الله تعالى.

جـ- أخذ نفس عميق وبطيء لعدة مرات.

د- العد تنازلياً من 10 إلى 1.

هـ- تُغيِّر الوضع الذي أنت عليه عند الشعور بالغضب، من الوقوف إلى الجلوس، ومن الجلوس إلى الاتكاء، أو بالخروج من المكان حتى يذهب هذا الشعور.

و- المسارعة إلى الوضوء.

ز- تذكر أن تغيير سلوك الطفل والتخلص من صفاته السلبية لا يتم دفعة واحدة، ولكن بشكل تدريجي.

حـ- خصّص بعض الوقت لممارسة هواياتك المفضلة، فهذا يمنحك قدرة أفضل على احتمال ضغوط الحياة بشكل عام، ويجعلك أكثر هدوءاً ومرونة في التعامل مع مشكلات طفلك -ومنها عصبيته- بشكل خاص.

احرص على أن تكون الأوامر التي تطلبها من طفلك مناسبة لقدراته ويستطيع القيام بها دون عناء

تجنب المسارعة في تلبية رغبات طفلك وعوّده على أن بعض الرغبات قد تُلبى وبعضها قد يؤجل

10 - إشباع حاجاته النفسية:

احرص على إشباع حاجات طفلك النفسية والعاطفية، بتوفير أجواء الاستقرار والمحبة والحنان والأمان والدفء؛ لأن طبيعة العلاقة بين الطفل وأسرته ترسم صورته عن ذاته، فحين يجد الاهتمام والحب والدفء العاطفي يرتفع منسوب تقديره لذاته، وحين يفقد هذه الأجواء ينشأ غير واثق بنفسه وغير مقدر لذاته، فيغلب على حالته النفسية التوترات والصراعات التي يصحبها مشاعر الضيق والعصبية.

11 - الترويح والاهتمام بهواياته:

من المهم أن تعتني بتوفير فرص لطفلك للترويح عن نفسه، وتفريغ ما لديه من طاقة بطريقة إيجابية، من خلال التنزه، أو السفر، أو بزيارة من يحب من الأقارب، أو بممارسة هواياته المفضلة مثل: لعب رياضة ما، أو الرسم والتلوين، أو الأشغال اليدوية، أو التمثيل أو غير ذلك من الأمور المحببة إلى نفسه.

12 - الأنشطة الجماعية:

احرص على أن تتيح لطفلك فرصة المشاركة في الأنشطة الجماعية مع أقرانه، وتجنب الإفراط في الخوف عليه؛ حيث إن تفاعله ولعبه مع غيره من أقرانه يعلمه التنازل عن بعض رغباته كي يستمر اللعب، ويعلمه احترام ملكيات الآخرين، ويعلمه كثيراً من المفاهيم الاجتماعية التي تسهم بدورها في الحد من عصبيته.

13 - مساحة من الحرية:

من الضروري أن تمنح طفلك مساحة من الحرية، خاصة فيما يتعلق بشراء ألعابه أو ملابسه وغيرها من أموره الخاصة، وتجنب التدخل في كل صغيرة وكبيرة من شؤونه؛ لأن هذا يخلق مناخاً يسوده القلق والتوتر بينك وبينه.

14 - «البروفات» السلوكية:

تعد «البروفات» السلوكية إحدى الوسائل التي يمكن استخدامها في الحد من عصبية طفلك، فمثلاً إذا كان معتاداً على الصراخ إذا لم تستجب لطلبه، فمن الممكن أن تقوم باللعبِ معه من خلال تنفيذ موقف تمثيلي، فمثلاً يمكن تنفيذ موقف «طلب إحضار لعبة»، وذلك بأن يطلب هو منك أن تحضر له لعبة معينة بطريقة غاضبة، وأنت بدورك لا تستجيب لطلبه؛ لأنه طلبه بطريقة غاضبة، ثم تعيد الموقف مرة أخرى، بحيث يطلب اللعبة بطريقة هادئة، فتستجيب له وتحضرها؛ لأنه طلبها بهدوء ودون صراخ أو غضب، ففي ذلك تدريب له على التزام الهدوء عند طلبه لشيء ما، على أن تتم تلك «البروفات» السلوكية في غير وقت غضبه، وأن يسودها أجواء المرح والبهجة والمتعة وتبادل الأدوار.

15 - المدح والثناء:

عندما يعبر طفلك عن رفضه لشيء ما بطريقة مقبولة لا بد أن تمتدح هذا السلوك لديه؛ لأن في ذلك تعزيزاً وتشجيعاً له على الاستمرار والمداومة على السلوك الإيجابي.■



نجلاء محفوظ
كاتبة ونائبة رئيس تحرير «الأهرام»

خطوات عملية للسيطرة على المزاج السيئ

تنسحب الحيوية وتضطرب المشاعر ويمتلئ العقل بالانزعاج الممتزج بالغضب أو بالخوف وأحياناً الضيق، وتتراجع السيطرة على ردود الفعل؛ فنثور لأتفه الأسباب، ونبدو كسلك كهرباء غير مغطى يتسبب بالأذى لمن يقترب منه ويلمسه ولو دون تعمد.

هذا بعض ما يفعله المزاج السيئ ونخسر بالاستسلام له؛ فتتأثر بالسلب تعاملاتنا الاجتماعية، فلن نحسن التصرف، وسنكون أكثر تحفزاً ورغبة لتضخيم أي مشكلة، وأقل تسامحاً، وأبعد عن المرونة، وستتراجع طاقاتنا بالعمل، وقد يصل الأذى -لا قدر الله- لصحتنا النفسية والجسدية؛ والأولى يؤدي السماح له بالإقامة باعتياد العصبية ونفاد الصبر والقلق لنمنحهم إقامة بحياتنا بدلاً من طردهم.

أما الصحة الجسدية؛ فالرضوخ لها يرشح للإصابة بالأمراض النفسية والعضوية، بالإضافة لارتفاع ضغط الدم وقرح المعدة وغيرها.

مواجهة واحتضان

يشبه المزاج السيئ الرمال الناعمة المتحركة؛ كلما تأخرنا بالقفز بعيداً عنه؛ سارع بالتهامنا وإلقائنا بجوفه، إذا لم نواجهه لنعرف أسبابه للانتصار عليه ولتعزيز قدرتنا على الوقاية منه والتنبه لجولاته القادمة فلن نمنع زياراته البغيضة، ولكننا نستطيع تقليل أضرارها والاستفادة منها باكتشاف عيوبنا ونقاط ضعفنا، ثم نتعامل معها بوعي وبرحمة، فلا نبررها ولا نجلد أنفسنا، بل نحتضن أنفسنا بحب واحترام، ونمنح أنفسنا التعاطف الذكي بلا رثاء للذات، ثم نهمس لأنفسنا بأن كل شيء في طريقه للتحسن بمشيئة الله اللطيف بعباده.

ينشأ المزاج السيئ لعدة أسباب، ربما لسماعنا كلمات لم نتوقعها من المقربين أو زملاء، فتعكر الصدمة المزاج، وهذا طبيعي، ولا يجوز لوم النفس عليه مع ضرورة المسارعة باستعمال «الفرامل»؛ أي المكابح لمنع سيطرته، ولنتذكر أن هذه الكلمات كما تؤلمنا فإنها نعمة ومفيدة؛ لأنها تنبهنا إما لخطأ فعلناه وتسبب بها، أو تفضح سوء نوايا البعض وهذا مكسب وإن بدا كخسارة مؤقتة، فلنركز على المكاسب ونقلل التفكير بالخسارة لنساعد أنفسنا على التعافي السريع.

وقد يأتي بعد نوم مضطرب؛ لأننا قبل التوجه للفراش استغرقنا بالتفكير بمشكلاتنا واصطحبناها معنا طوال الليل؛ فاستيقظنا بمزاج سيئ وجسد مرهق وعقل منهك، والحل عندئذ بالمسارعة بكتابة ما يؤلمنا ويضايقنا ثم قراءته بصوت لإفراغ المزيد من الشحنات، ثم ننصح أنفسنا كما سننصح الصديق المقرب لتحسين الأمور، مع الاسترخاء والاستحمام بماء دافئ والوقوف باعتدال وترك الماء يغمر الرقبة والكتفين لأنهما من مناطق الاحتفاظ بالتوتر، ثم تناول كوب من الليمون المحلى بالعسل، وتدليك لطيف للوجه بالتربيت عليه بهدوء وإغماض العينين وتدليك المنطقة بين الحاجبين والجبهة بلطف لجلب الاسترخاء.

قد يتعكر المزاج للإحباط أو لطول انتظار أمر يهمنا؛ ولا تُكر على نفسك الضيق، واسترح قليلاً وشاهد شيئاً تحبه، أو تناول طعاماً مفضلاً ببطء، وضع عطرك الخاص، وارتد ملابس أنيقة، واكسر الدائرة اللعينة؛ أي الاسترسال بالضيق، وقم بتمثيل السعادة وستأتيك راغمة، وتفاءل بالخير وستجده بمشيئة الله.

> **من أسباب سوء المزاج بعض الأشخاص وكلامهم السلبي وتعبيراتهم المحبطة وجلساتهم السخيفة**
>
> **النوم لساعات كافية يساعدك على الاحتفاظ بمزاج جيد وصحة طيبة**

ومن مسببات سوء المزاج بعض الأشخاص وكلامهم السلبي وتعبيراتهم المحبطة وجلساتهم السخيفة، وهؤلاء يجب الفرار منهم -ما استطعنا- أو وضع مسافات نفسية تمنع امتصاصنا لسمومهم، وبعدم التركيز مع كلامهم، وتجنب النظر لوجوههم التي تنقل طاقات ضارة تسلب المزاج الجيد، وعندما نغادرهم نشكر الله ونحتفل بخلاصنا منهم، ولا نهدر ثانية بالتفكير عنهم.

من النصائح الخاطئة الاتصال أو البحث عن صديق لطيف وسعيد وإيجابي لنلجأ إليه عند تعكر المزاج، والمؤكد أنه لن يتحملنا دوماً، هذا إن وجدناه ولم يفاجئنا بقائمة طويلة من الأمور التي تضايقه؛ وهو ما يفعله البعض عندما يشكو إليه أحد.



من النصائح الخاطئة البحث عن صديق لطيف وإيجابي لنلجأ إليه عند تعكر المزاج

الرياضة تساعد على إفراز هرمون «الأندروفين» الذي يحسن المزاج

وقد تتلقى إجابة تضاعف سوء المزاج كالسخرية والتذكير بألم ومعاناة قاسية تستحق الضيق، وكأن من أصيب بنزلة برد يجب أن يخجل لأنه يتألم؛ لأن هناك مرضى بالسرطان يتألمون!

ويجب احترام الألم الإنساني لدينا ولدى الجميع، مع تجنب المبالغة والتنبه للمسارعة بفعل أي شيء حتى لا يلون حياتنا بالكآبة والضجر والوجع.

حتى تكون سيداً على مزاجك تذكر دائماً:

- أنت المسؤول الوحيد عن تحسين مزاجك بعد كل إزعاج تتعرض له أو لاستغراقك بالتفكير السلبي.
- المزاج الإيجابي يقلل «الأدرينالين» و«الكورتيزول»؛ وهي هرمونات القلق والتوتر التي تؤثر على ارتفاع ضغط الدم وعلى أمراض القلب والأوعية الدموية والنوبات القلبية.
- لا تسترسل بالتفكير فيما يزعجك؛ فسيعكر صفو حياتك ويؤلمك، ولا تتكلم عنه فتجدد الانزعاج؛ وإذا تمكنت من القضاء عليه فلا تتردد وواجهه بثبات بعد الاستعانة بالله عز وجل.
- من يترك نفسه تحت سيطرة مزاجه فلن ينجح؛ فمن يجتهد إذا كان مزاجه جيداً ويتكاسل عندما يكون مزاجه سيئاً سيخسر كثيراً.
- ينجح من يقاوم سوء المزاج، ويتذكر أن الإنجاز مهما كان بسيطاً يحسن المزاج ويضاعف طاقاته.
- الحرص على النوم الجيد ولساعات كافية يساعدك على الاحتفاظ بمزاج جيد وبمعنويات مرتفعة وصحة طيبة.
- اهتم بممارسة الرياضة ولو بالمشي أو بتمرينات الاستطالة؛ فالرياضة تساعد على إفراز هرمون «الأندروفين» الذي يحسّن المزاج، ويمنحك الشعور اللطيف بأنك تعتني بنفسك.
- تناول الفواكه والخضراوات لتفيدك صحياً وتمدك بمصادر طاقة حقيقية وتحسن المزاج، بينما الأطعمة السريعة ذات الدهون والمواد الحافظة تجعلك تشعر بالثقل وتجلب سوء المزاج.
- احرص على ممارسة هواياتك والتجديد بتفاصيل يومك لتوسع حياتك ولتحافظ على مزاجك جميلاً.
- لا تركز بالتفكير في مشكلاتك، فهذا وحده كفيل بسرقة أي فرص لك بالتمتع بحياة طيبة؛ بل خصص لها وقتاً محدداً ليس للتألم منها، ولكن للتفكير بحلول واقعية لها، ولو بعد حين، وبادر بالتنفيذ.
- تذكر مشكلات سابقة بالغت في التألم منها وأفسدت مزاجك بيديك وصنعت عذاباً وأوجاعاً ثم انتهت، ولا لتكرر ما فعلته بنفسك أبداً.
- ابتسم وتذكر دوماً النعم التي تحيط بك بدءاً من أنك ما زلت على قيد الحياة، ومروراً بأنك تستطيع بفضل الله أداء الأمور البسيطة بحياتك؛ كتناول طعامك وحدك دون الاحتياج لأحد وانتهاء بنجاحاتك بالحياة.
- كن شاكراً، وستتمكن من طرد سوء المزاج أولاً بأول.
- قلّل من متابعتك للإنترنت وللفضائيات؛ فهي تسرق السكينة وتستنزف الطاقات وتشعرك بالتعب، وكثرة التحديق بها تؤلم الرقبة والكتفين وتسبب التوتر الذي يضعف مقاومتك لسوء المزاج.
- اهتم بالحديث اللطيف مع نفسك حتى لو كنت مخطئاً، ولا تواصل الخطأ، وتعلم منه وامنع تكراره وامضِ قُدماً باحترام للنفس؛ وهو أفضل صانع للمزاج الجيد.
- افعل شيئاً تحبه قبل النوم.
- تعلم شيئاً جديداً، واجعل عقلك يحب التعلم، وستتسع حياتك وتسعد نفسك، ولا تجعل مجالاً ليتسلل إليك المزاج السيئ، وستشعر أنك تتطور وسيتحسن مزاجك.
- لا تقل أبداً: أنا سريع التقلب المزاجي، أتأثر بأقل شيء، لا فائدة سأظل هكذا دوماً؛ فهذا الكلام يضعف مقاومة سوء المزاج؛ فالعقل يأخذه على أنه حقيقة ويتقاعس عن بذل الجهد لتحسين الحالة النفسية.
- لا تسارع بتناول المهدئات، وتجنب الحلوى والتدخين.
- تذكر أن ما أزعجك سينتهي، ولا تسمح له بإيذائك.
- اكتب قائمة بالأمور التي تعكر مزاجك، وبالأشخاص الذين يتسببون بذلك، وتنبه لها، واخصم وأضف إليها من وقت لآخر.
- لا تأخذ الحياة بجدية زائدة، واهتم بصحتك الجسدية، ولا تتأخر بالذهاب للطبيب عند المرض -لا قدر الله- فالمرض من أسباب المزاج السيئ عند البعض.
- احرص على تنظيم حجرتك ومكتبك؛ فالمكان النظيف والمرتب يساعد على المزاج اللطيف.
- احرص على التنزه من وقت لآخر.
- اقطع الطريق على المزاج السيئ بفعل أي شيء يسعدك وكأنك تسير بطريق به دخان؛ فترفض مواصلة السير وتبتعد، فمجرد اتخاذ قرار عدم الاسترسال سيمنع التمادي ويشجعك على استرداد حياتك الطيبة.
- لا تفكر في ذكرياتك السيئة، أغلق صفحاتها واحتفظ بالخبرات ولا تعكر صفو مزاجك بها، وافتح صفحات جديدة مليئة بالخير.■



بقلم:
محمد سالم الراشد

العبودية ما بين «كونتا كنتي» و«جورج فلويد».. والتعديل «الثالث عشر»

ذكَّرتني صرخة «جورج فلويد» (George Floyd) -الأمريكي من أصل أفريقي- «لا أستطيع التنفس» التي مات على إثرها، يوم 25 مايو 2020م، خنقاً بضغط على رقبته من قِبَل شرطي أمريكي، ذلك ذكَّرني بالمشهد التلفزيوني في مسلسل «الجذور» بصرخة الأفريقي المسلم «كونتا كنتي»: «إني أختنق»، عندما خنقه سيده الأبيض بحبل من أجل أن يرغمه على تغيير اسمه إلى «توبي».

و«كونتا كنتي» الذي ولد عام 1750م في غامبيا من مدينة «جوفور»، اعتقل وعمره 17 عاماً، في 5 يوليو 1767م، وتم ترحيله إلى أمريكا (أنابوليس) مع 140 شخصاً تم القبض عليهم في الأدغال من قبل تجار العبيد مات منهم 60 في الطريق بالبحر، ووصل إلى أنابوليس ماريلاند في 29 سبتمبر 1767م، ثم تم بيعه إلى عائلة بورجوازية بقيمة 750 دولاراً، يوم 7 أكتوبر.

وقد حاول الهرب مراراً من سيده الأبيض؛ حيث قام مالكه بقطع رجله، وعالجته امرأة سوداء اسمها «بيل»، وهي طباخة المالك واسمه «ويليام»، وتزوج منها وأنجب طفلة اسمها «كيزي» التي انحدر منها نسله لأجيال إلى الحفيد «أليكس هيلي» الذي تتبع جذور أجداده في قصة سطرت كملحمة في الأدب الأمريكي، وتم عرضها في مسلسل تلفزيوني عام 1976م، توفي «كونتا كنتي» عام 1810م في مقاطعة سبوتسلفانيا.

هذه القصة رسخت في ذهني منذ أن شاهدتها في حلقات «الجذور» التي عرضت منتصف السبعينيات، ثم تابعت قراءة هذه القصة بعد إصدارها، حيث ألفها رواية أحد أحفاده وهو «أليكس هيلي» (1921-1992م)، مؤلف كتاب الجذور: ملحمة عائلة أمريكية» (Roots: The Saga of an American Family)، نشرت عام 1976، وحاز مؤلفها على جائزة «بوليتزر» عن فئة الجوائز الخاصة، حيث تتبع «أليكس هيلي» تاريخ عائلته إلى جده «كونتا كنتي».

وعندما تزور مدينة «أنابوليس» التاريخية، ستجد في وسطها النصب التذكاري لـ Kunta Konte – Alex Haly Memorial يصور ماريلاند بالكلمة والرمز وانتصار الروح البشرية.

إنه النصب التذكاري الوحيد من نوعه في الولايات المتحدة الذي يحتفل بالاسم الفعلي ومكان وصول الأفارقة المستعبَدين.

إن هذين الحدثين ما بين عام 1767 ومايو 2020م يطوفان بالمرء حول قرون من الاسترقاق والاستعباد لملايين من الأمريكيين من أصل أفريقي، ولتضعنا اليوم إلى فهم جذور ما حدث يوم 25 مايو 2020م، وحجم رد الفعل من المظاهرات والعنف التي ما زالت مستمرة في أغلب الولايات المتحدة الأمريكية.

وإذا أردت أن تفهم القصة بشكل تحليلي فيمكنك مشاهدة فيلم مختصر من إنتاج «أنجس وول» (Angus Wall)، و«جيسون ستيرمان» (Jason Sterman) الذي يعرض حالياً على موقع «نتفلكس» (Net flex) بعنوان «13th».

الذي يسرد تاريخياً وتحليلياً من خلال مقابلات لمجموعة من الخبراء والأكاديميين ومناهضي العنصرية وساسة ومحامين جذور مشكلة نهاية عصور الرق والعبودية التي بدأت مع استقدام العبيد في أول مستعمرة وهي «فرجينيا» عام 1619م في سفينة تحمل 20 عبداً أفريقياً.

فقد قام هؤلاء الخبراء بتوثيق وتحليل مشهد العنصرية المتأصل في المجتمع الأمريكي الذي كان بسبب التعديل الثالث عشر الذي أجري على الدستور الأمريكي الذي أقر كنتيجة للحرب الأهلية (1861 – 1865م)، وانتصار الشمال على الجنوب، ومن أجل إعادة إعمار الجنوب، وتم إقراره؛ حيث ألغى التعديل الثالث عشر في دستور الولايات المتحدة الأمريكية العبودية والاسترقاق الجبري إلا ما يطبق منها كعقوبة على الجرائم، وفي الكونجرس الأمريكي أقر مجلس الشيوخ هذا التعديل في الثامن من أبريل 1864م، وأقره مجلس النواب في 31 يناير 1865م، وكان أحد التعديلات الثلاثة ضمن تعديلات إعادة الإعمار المدخلة بعد الحرب الأهلية الأمريكية على الدستور، وكان انتصاراً لإعلان تحرير العبيد عام 1863م، حيث وصل عدد الولايات المؤيدة 27 ولاية فتم إقرار التعديل.

ولمواجهة القوانين التي أعطت حقوقاً لتصويت السود، فقد سُنت قوانين الفصل العنصري التي سميت بقوانين «جيم كرو»، وهو «الوصف التحقيري لزنوج أمريكا»

البقية ص (61)







جمعية
التكافل





AL-MUJTAMA'A

المجتمع

مجلة المسلمين في أنحاء العالم

العدد (2146) - السنة (51) ذو الحجة 1441هـ / 1 أغسطس 2020م

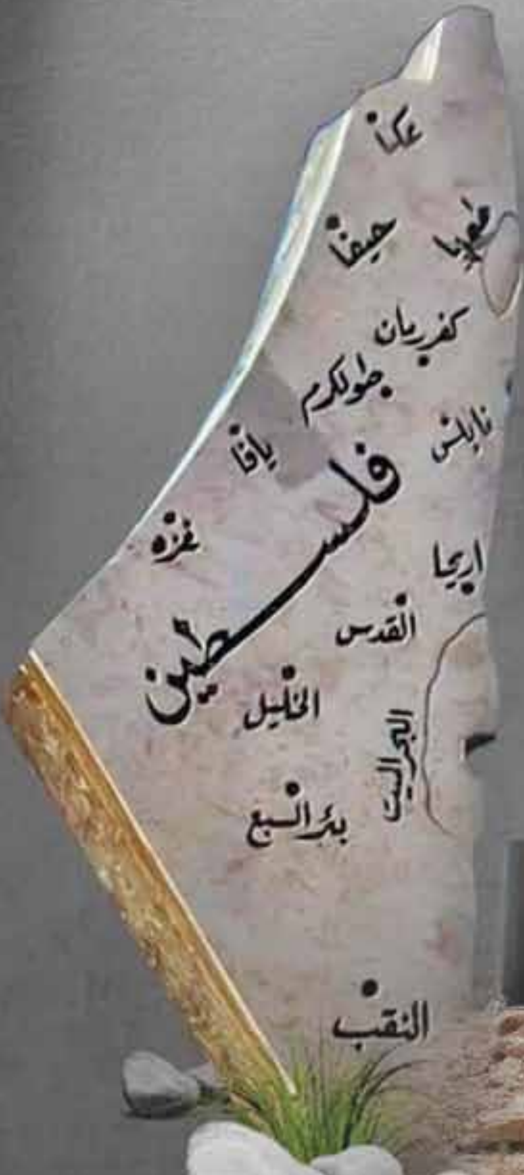
ولي العهد يطمئن المواطنين على صحة سمو الأمير

في الذكرى الـ 30 للغزو العراقي الغاشم..

الشاهين والمذكور يرويان مشاهداتهما عن دور «الإصلاح» البطولي

خطة الضم الصهيونية..

وكيفية المواجهة



 @mugtama  www.mugtama.com  facebook.com/mugtama  @mugtama

الكويت 750 فلساً - السعودية 10 ريالات - البحرين دينار بحريني - قطر 10 ريالات - سلطنة عمان ريال عماني - الأردن 1.750 دينار أردني - لبنان 4500 ليرة - المغرب 23 درهماً
USA $ 5 - Canada $ 6 - Australia AUD 6 - URB 3.5 - India INR 110 - Pakistan PRS 200 - Turkey TRY 7 - U.k £ 3

AL-MUJTAMA'A

المجتمع

مجلة المسلمين في أنحاء العالم

العدد (2146) - (السنة 51)

إسلامية أسبوعية تصدر شهرياً مؤقتاً

تأسست عام 1390هـ - 1970م

جمعية الإصلاح الاجتماعي. الكويت

رأس مجلس إدارتها

حتى 1427/8/10هـ - 2006/9/3م

عبد الله علي المطوع يرحمه الله

رئيس التحرير

محمد سالم الراشد

مدير التحرير

جمال الشرقاوي

الإخراج الفني

مصطفى عزالدين

المراسلات

العنوان البريدي: الكويت ص.ب (4850) الصفاة.

الرمز البريدي (13049)

التحرير

22514180 - 22519539

22513616 (داخلي 205).

mujtamaa@gmail.com

info@mugtama.com

الاشتراكات والتوزيع

تليفاكس: 22560525 (00965)

sales@mugtama.com

الموقع الإلكتروني

www.mugtama.com

موقع جمعية الإصلاح

www.eslah.com

طبعت بمطابع «الهدف» التجارية



ادخل على موقع «المجتمع»



في هذا العدد

موضوع الغلاف

خطة الضم الصهيونية.. وكيفية المواجهة

حركة «المجتمع» في فضاء الإعلام

أمر الله سبحانه وتعالى المسلم أن يعيش حياته نسيجاً واحداً متكاملاً شاملاً لله عز وجل، وأمره أن يكون شعاره في الحياة ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ۝ ﴾ (الأنعام). وأراد الإسلام من أتباعه أن يعيشوا حياتهم الاجتماعية والسياسية والعلمية والنفسية والتربوية والإعلامية، وما شئت من أسماء ومسميات مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بعرى هذا الدين سواء بسواء، ومن هذا المنطلق القيمي تنطلق «المجتمع» في فضاء الإعلام، متخذة شمولية الرسالة الإعلامية شعاراً لها؛ فتجمع بين الشأن الديني والتناول السياسي والتحليل الاقتصادي والتوجيه الأسري والتربوي.■

رأي المجتمع



الغزو العراقي الغاشم.. دروس وعبر

تمر، يوم 2 أغسطس 2020م، الذكرى الثلاثون للغزو العراقي الغاشم لدولة الكويت، الذي وقع كالزلزال المدمر، وهزّ ضمير الأمة، فلم يكن له ما يبرره غير العدوان والغدر، حيث قامت قوات النظام العراقي الغاشم، بقيادة المجرم «صدام حسين»، بتحطيم كافة المواثيق والأعراف الدولية والقيم والمبادئ الإسلامية والعربية، عندما اجتاحت غدراً الحدود الكويتية معتدية على استقلال أراضيها طمعاً في ثرواتها ومقدرات شعبها الكريم الذي ساند الشعب العراقي الشقيق ووقف بجواره، مقدماً له الدعم المادي والمعنوي على مدار حربه مع إيران وبعد انتهائها أيضاً خلال مرحلة إعادة الإعمار.

وقد قابل النظام العراقي الغاشم الإحسان بالإساءة والجميل بالنكران، فتنصل لكافة القيم والأعراف والمُثل، وسار خلف نزواته وأحلامه، ولكن تلك الأحلام تحطمت على صخرة وحدة الشعب الكويتي الأبي، والتفافه حول قيادته، وتمسكه باستقلال أراضيه، ورفضه القاطع للعدوان الغاشم، ومقاومته بشتى السبل والوسائل المكنة، وظهر معدن الشعب الكويتي الأصيل، وقدَّم بطولات وتضحيات على كافة المستويات.

ونحن إذ نستذكر تلك الذكرى الأليمة، فإنما لنستخلص منها الدروس والعبر، وأهم تلك الدروس أن الوحدة الوطنية لأبناء الكويت باختلاف توجهاتهم، والتفافهم حول قيادتهم السياسية، هما دائماً وأبداً العامل الأهم في حفظ وطننا الغالي من أي مخاطر مهما كان حجمها، وأن طرد الغازي لم يتحقق إلا بالتلاحم والتكاتف بين أقطار الخليج العربية التي وقفت يداً واحدة مع تحرير الكويت وساندت قيادتها السياسية، بمساعدة الدول الشقيقة والصديقة، حتى تحقق ذلك النصر المؤزر، ومن الدروس أيضاً، ضرورة السعي لتحقيق الاعتماد على النفس في كل شيء، فوجود جيش كويتي وخليجي قوي بات أمراً ضرورياً، فدراسة تجربة الغزو المريرة وتجارب العالم الأخرى تثبت أن الحماية الخارجية مؤقتة مهما طالت، ولا بد من التفكير في تطوير وتحديث مقوماتنا المحلية والخليجية والعربية للحماية من الأخطار.

وكذلك الاعتماد على تنمية وتشجيع الاقتصاد الوطني لتحقيق الاكتفاء الذاتي وتعزيز الأمن الغذائي، والاهتمام بالنسيج الاجتماعي ونبذ ثقافة الكراهية، والعمل على توحيد الصف.

فما أحوجنا اليوم لاستحضار تلك الروح الوطنية التي تجلت أثناء الغزو، واختفت معها كافة مظاهر الفرقة والاختلاف بين أطياف الشعب الكويتي، لنستطيع مجابهة الأخطار والتحديات التي تحيط بنا، واستكمال مسيرة البناء والنهضة والتنمية.

حفظ الله الكويت من كل مكروه وسوء، وأدام عليها الأمن والأمان والاستقرار.■

آية العدد

﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ١٠٣﴾

(آل عمران)

وكلاء التوزيع:

الكويت: شركة باب الكويت للصحافة:
ت : 22272733 ف: 22272736
distribution@alanba.com.kw

الشركة السعودية للتوزيع Saudi Distribution Co.

السعودية: الشركة السعودية للتوزيع:
www.saudidistribution.com
الإدارة العامة: الرياض 0096612128000
فرع الرياض: 0096612705837

فرع جدة: 0096626530909
فرع الدمام: 0096638473569

قطر :
دار الثقافة ت: 4622182 / ف: 4621800
البحرين :
مؤسسة الأيام للصحافة والنشر والتوزيع
ت :725111 / ف : 723763
TURKIYE- DUNY SUPER DAGITIM
Tel: (90 -1) 5120190
Fax: (90- 1) 5140883

الاشتراكات:

الكويت: 10 دنانير كويتية
الدول العربية: 17 ديناراً كويتياً
الدول الأجنبية: 25 ديناراً كويتياً
للمؤسسات والشركات: 30 ديناراً كويتياً

تشمل عمولة التحويل

الإعلانات :
امتياز الإعلان : مجلة المجتمع
ت: 22560525 - 22560526 الكويت.



ولي العهد يطمئن المواطنين على صحة سمو الأمير

طمأن سمو نائب الأمير ولي العهد الشيخ نواف الأحمد الجابر الصباح الشعبَ الكويتي على صحة سمو الأمير الشيخ صباح الأحمد، حفظه الله ورعاه، جاء ذلك خلال استقبال سمو ولي العهد لرئيس مجلس الأمة وأعضاء المكتب.

وعبّر سمو نائب الأمير ولي العهد عن شكره لما أظهره المواطنون والمقيمون من مشاعر صادقة تجاه سمو الأمير؛ وهو ما برهن على أصالة الشعب الكويتي ونقاوة معدنه والتفافه حول قيادته، كما أشاد سموه بمسيرة المجلس، لا سيما التعاون القائم بين رئيس مجلس الأمة، وسمو رئيس مجلس الوزراء.

وفي هذا الإطار، قال رئيس مجلس الأمة مرزوق الغانم: إنه تشرف وأعضاء مكتب المجلس بلقاء سمو نائب الأمير ولي العهد الشيخ نواف الأحمد؛ حيث طمأنهم على صحة صاحب السمو الأمير الشيخ صباح الأحمد، حفظه الله ورعاه.

وأضاف الغانم أن ما يصل من أخبار بشأن صحة صاحب السمو الأمير الشيخ صباح الأحمد مطمئنة جداً بحمد الله، سائلاً المولى تعالى أن يعجّل بشفائه ورجوعه إلى وطنه وشعبه.

دعوات بالشفاء العاجل

هذا، وقد تتابعت التغريدات المحملة بأصدق الدعوات لسموه بالشفاء وموفور العافية، من البرلمانيين والسياسيين والدعاة وعلماء الدين.

فقد أعرب النائب محمد الدلال عن خالص التمنيات والدعاء بالشفاء لسمو أمير البلاد، حفظه الله، قائلاً: دعاء أهل الكويت وكل من يعرف قدر ومكانة صاحب السمو الأمير أن يمنّ الله عليه بالصحة والعافية والشفاء، وأن يرجع إلى الكويت سالماً غانماً بإذن الله تعالى.

وقال النائب أسامة عيسى الشاهين: حفظ الله سمو الأمير الشيخ صباح الأحمد الصباح من كل مكروه، وسدد على الخير خطاه، ومتعنا بصحة وسلامة سموه رعاه الله.

وقال النائب عبدالله الكندري: ندعو الله أن يحفظ الكويت من كل مكروه، سائلاً المولى عز وجل أن يمد سموه بالصحة والعافية، وتمنى الكندري لسمو الأمير موفور الصحة والعافية، وأن يسدد الله خطاه لمصلحة الوطن والمواطنين، مؤكداً أن سمو الأمير رجل دولة وصمام الأمان الذي يراهن عليه.

وقال النائب ماجد مساعد المطيري: حفظ الله والدنا الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح، وأدامه عزاً لهذا الوطن، ونسأل الله أن يرد كيد الحاقدين وشر الحاسدين، وأن يحفظ الكويت وشعبها من كل سوء.

وغرد البرلماني الكويتي مبارك الحجرف داعياً الله لسموه بالشفاء العاجل، قائلاً: أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يمُنّ على سمو الأمير بموفور الصحة والعافية، اللهم إنا نستودعك أميرنا فاحفظه بحفظك واحفظ الكويت وأهلها من كل مكروه.

بدوره، قال الكاتب الكويتي فيحان العازمي: إلهي، أذهب البأس ربّ النّاس، اشف وأنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقماً، أذهب البأس ربّ الناس، بيدك الشفاء، لا كاشف له إلا أنت.

أما رئيس جمعية الإصلاح الاجتماعي د. خالد مذكور المذكور، فقد كتب قائلاً: الحمد لله رب العالمين على نجاح العملية التي أجريت لحضرة صاحب السمو الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح أمير البلاد، اللهم أذهب الباس رب الناس، اشفِ وأنت الشافي شفاء لا يغادر سقِماً، اللهم أتمم عليه نعمة العافية والصحة وسلمه من كل داء وامنن عليه بالشفاء.

فيما قال رئيس مجلس إدارة





جمعية إحياء التراث الإسلامي طارق العيسى: ندعو الله في ظل هذه الأيام المباركة لسموه بأن يمن عليه بالشفاء والعافية، وأن يعود إلى أرض الوطن سالماً معافى.

وقال الداعية الكويتي د. محمد العوضي: اللهم رب الناس أذهب البأس اشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقماً، اللهم حفظاً وشفاء ورعاية برحمتك لأميرنا.

أما أستاذ العلوم السياسية في جامعة الكويت د. عبدالله الشايجي فكتب قائلاً: الجميع في الكويت ومحبو الكويت وصاحب السمو في الخارج يدعون لسموه بالشفاء العاجل والعودة سالماً معافى لديرته وشعبه.

عملية جراحية ناجحة

وأجرى سمو الأمير، في 19 يوليو الماضي، عملية جراحية تكللت بالنجاح، بحسب الديوان الأميري.

وفي منتصف يوليو، صرح وزير شؤون الديوان الأميري الشيخ علي جراح الصباح بأنه صدر أمر أميري بالاستعانة بسمو ولي العهد لممارسة بعض اختصاصات حضرة صاحب السمو الأمير، حفظه الله، الدستورية مؤقتاً.

وفي يوم الجمعة 24 يوليو، وصل صاحب السمو الأمير الشيخ صباح الأحمد، حفظه الله ورعاه، إلى الولايات المتحدة الأمريكية الصديقة، وهو بحالة صحية مستقرة ولله الحمد؛ وذلك لاستكمال العلاج.

هذا، وقد فاض موقع التواصل الاجتماعي «تويتر» بابتهالات ودعوات وتضرع إلى الله، أن يشفي أمير الكويت الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح، عقب الإعلان عن دخوله المستشفى، لإجراء بعض الفحوصات الطبية.

وأطلق الكويتيون وأهل الخليج وسومات (هاشتاجات) عدة تعبيراً عن حبهم وامتنانهم وتقديرهم لأمير الكويت، من بينها وسم يحمل اسم «صباح الأحمد الصباح»، و«أجر وعافية يا والد الجميع»، و«أمير الإنسانية».

وأبرز المغردون ومن بينهم أمراء وسفراء وشعراء وكتّاب وإعلاميون المحطات المضيئة للشيخ صباح خلال مسيرته الحافلة بالعطاء والزاخرة بالإنجازات، التي تسجل بأحرف من نور جهوداً بارزة على مدار 66 عاماً قضاها في خدمة بلاده ودفاعاً عن قضايا أمته ودعم القضايا الإنسانية وجهود السلام حول العالم.■



شكلت جائحة «كورونا» حالة مأساوية على الوضع التعليمي في دولة الكويت، فمنذ شهر مارس الماضي والعملية التعليمية شبه معطلة في معظم مدارس البلاد؛ ما انعكس ذلك على الطلبة وأولياء أمورهم.

وما زاد الأمر تعقيداً أن المدارس الخاصة بقيت تطالب أولياء الأمور بدفع القسط الدراسي، علماً بأن الطلبة لم ينتفعوا من المدرسة طيلة فترة الأزمة، بالرغم من السماح للمدارس الخاصة الأجنبية باستكمال العام الدراسي 2020/2019م عبر وسائل التعليم عن بُعد.

آراء متباينة حول دفعها..

الرسوم الدراسية في أزمة «كورونا».. عبء مَنْ يتحمله؟



تحقيق: سيف الدين باكير - سعد النشوان:

يشكو أولياء أمور طلبة، تحدثوا لـ«المجتمع»، من معاملة المدارس الخاصة لهم طيلة فترة الأزمة، حيث لم تنفك بإرسال الرسائل النصية إليهم تدعوهم إلى دفع الرسوم الدراسية، إلا أن أولياء أمور آخرين يرون أن إدارات المدارس لهم الحق في استيفاء الرسوم؛ لأنها ملزمة بتسديد رواتب المعلمين، وآخرين اقترحوا بتخفيضها.

وتحدث عدنان أبو حشمة، وهو أب لطالبتين بمدرسة النجاة الخاصة، لـ«المجتمع» قائلاً: الحمد لله، لم تطالبني المدرسة برسوم الفصل الدراسي الثاني لهذا العام، وهذا طبيعي ومنطقي؛ لأنه أُلغي من قبل وزارة التربية بسبب جائحة «كورونا».

وبخصوص الرسوم للعام الدراسي المقبل، يرى أبو حشمة أنه لا يمكن أن تكون على حالها، ولا بد أن تخفَّض إلى النصف، لعدم استفادة الطلاب بمرافق المدرسة المختلفة، ويشير إلى التكاليف التي سيتحملها جراء عملية التعليم عن بُعد كشراء أجهزة «اللابتوب» وملحقاته.

أحمد مثقال، أب لـ4 أولاد يدرسون في المدرسة الهندية (نظام «IG» البريطاني)، يروي معاناته، قائلاً: طيلة فترة الأشهر الخمسة الماضية لم تكف المدرسة عن الاتصال بي والمطالبة بسرعة سداد القسط الأخير الخاص بالفصل الدراسي الثاني، رغم حالة القلق والتوتر النفسي من انتشار مرض «كورونا».

وقال: على أي أساس يتم المطالبة بسداد القسط الأخير، على الرغم من عدم انتفاع الأولاد من المدرسة طوال الشهور الماضية؟!

ويمضي بقوله: المدرسة أرسلت لنا جدول الأقساط للعام الدراسي القادم، الذي أعلنت وزارة التربية عن بدئه بتاريخ 2020/10/4م، وبضرورة دفع القسط الأول من العام الجديد بتاريخ 2020/8/25م؛ أي تقريباً قبل شهر ونصف شهر من بدء العام الدراسي الجديد.

ويختم: أنا شخصياً والكثير من أولياء الأمور لن يقوموا بإرسال أو تسجيل أولادهم في نظام التعليم عن بُعد بالرسوم المدرسية الحالية التي لا تتناسب مع التعليم المبني على الحضور والمشاركة.

وهذا إياد مرعي الذي سُرِّح من عمله منذ مارس الماضي بسبب جائحة «كورونا»، وهو أب لـ5 أولاد، يشير إلى أن التعليم في الكويت يستنزف أغلب ميزانية الأسرة، ويقول: وفي ظل الظروف التي نعيشها بسبب جائحة «كورونا» لا أستطيع دفع كامل القسط الدراسي، مضيفاً أن إدارة المدرسة لن تعطيه شهادات أولاده ما لم يدفع الرسوم.

ويرى أسامة فوزي، ولي أمر لطالب بالثانوية العامة، ضرورة دفع القسط الثاني من الرسوم المدرسية، يعلل ذلك بأن المدرسة قامت بالتعاقد مع عدد من المعلمين للقيام بتعليم أولادهم، وأصبح لزاماً على المدرسة تسديد رواتب المعلمين، وإلا سيلحق بهم ضرر كبير.

ويصف المعلم كرم أبو زياد دفع الرسوم في ظل أزمة «كورونا» بسلاح ذو حدين، فالمدارس لن تستطيع الوفاء بالتزاماتها تجاه المعلمين والإداريين العاملين لديها إذا امتنع الأهالي عن دفع الرسوم، وسيلحق بهم الضرر؛ ما يجعلهم عاجزين عن مواجهة أعباء الحياة.

يوافقه الرأي المعلم حامد العاصي، فهو يرى أن عدم دفع الرسوم الدراسية سيتسبب بضرر كبير على المعلمين، وفي الوقت نفسه؛ استيفاؤها كاملة ظلم للطالب.

من ناحيته، أشار النائب أسامة الشاهين، في حديث لـ«المجتمع»، إلى أن أولياء أمور

طلاب المدارس الخاصة يشعرون بالغبن بسبب مطالبات ملاك المدارس بالرسوم الدراسية كاملة دون أي تخفيضات أو تسهيلات تنسجم مع واجب التكافل الاجتماعي في ظل أزمة «كورونا الراهنة» وانعكاساتها الاقتصادية الكبيرة، حيث يطالبهم هؤلاء الملاك بالرسوم، رغم أن العام 2020/2019م كان منقوصاً باعتباره أوقف قبل موعده المخصص بشهور طويلة.

ويضيف أن تلك المدارس تطالب الطلبة بتسجيل إجباري للفصل الإلكتروني وسداد رسوم سنة دراسية كاملة مقابل التعليم الإلكتروني المبسط، رغم إعلان وزارة التربية إنهاء العام الدراسي للصفوف الدراسية من الأول إلى الحادي عشر، وانتقال الجميع إلى العام الذي يليه.

ويتابع: ويزداد الغبن في قلوبهم وقلوبنا كممثلين ومدافعين عنهم باعتبار وزارة التربية تقف صامتة أمام هذه المظاهر دون أي تدخل أو ضغوط على هذه المدارس، وأخشى أن بعضها قد تحول من مؤسسات تعليمية وتربوية إلى شركات تجارية تبحث عن الربح ولا شيء سوى الربح.

ويطالب ولي الأمر مرعي بأن تتحمل الأسر نصف الأقساط الدراسية، فيما يقترح فوزي أن يتم خصم جزء من القسط الثاني يتعلق بأرباح المدرسة والمصاريف التشغيلية تقدر بنسبة معينة، ويخصم من القسط الثاني، ويدفع فقط التزامات المدرسة تجاه المعلمين.

ويرى المعلم أبو زياد أن الحل الأنسب للطرفين بتخفيض الرسوم الدراسية بنسبة لا تؤثر على أصحاب المدارس لمواجهة الأعباء المالية المطلوبة.

ويشير المعلم العاصي إلى أن الحل المناسب تخفيض القسط الدراسي بما يرضي الطرفين؛ لأن الأرباح لدى المدارس خلال السنوات الماضية كبير جداً، وعدم المساس برواتب المعلمين أو خصم جزء بسيط منه.

وبوجهة نظر إبراهيم الحمد، خبير في الاستثمارات التعليمية، فإن الضرر الحاصل من دفع الرسوم الدراسية يجب أن يتوزع على كافة الأطراف المتضررة من جائحة «كورونا»؛ المدرسة وأولياء الأمور والمعلمين.

ويوضح الحمد أن هناك ضرراً يتعلق بالتعليم يمكن أن يعوض بخطة واضحة يضعها المسؤولون عن العملية التعليمية، والآخر ضرر مالي يتحمله كافة الأطراف وباتفاق مُرضٍ بينها، مشيراً إلى أن مشكلة المدارس الخاصة بالكويت رسومها واحدة ولا تتنافس أو تقدم أي خصومات لأولياء الأمور، لافتاً إلى أن المدارس محدودة جداً وعدد الطلبة أكبر بكثير من طاقتها الاستيعابية.

وزير التربية: تخفيض الرسوم 25% للعام الدراسي 2021/2020م

إلغاء رسوم المدارس الخاصة العربية عن الفصل الثاني اعتباراً من 26 فبراير الماضي

«التربية».. تخفيض وإعفاء

إلى ذلك، أصدر وزير التربية وزير التعليم العالي د. سعود الحربي، يوم الأربعاء 29 يوليو الماضي، قراراً وزارياً بإعادة تنظيم الرسوم الدراسية للعام الدراسي 2021/2020م بتخفيض نسبة 25% من الرسوم الدراسية المقررة عن العام الدراسي 2020/2019م، وذلك عن الفترة من بداية العام الدراسي 2021/2020م، وإلى حين السماح للطلاب بالعودة إلى المدارس.

كما أصدر الحربي قراراً بإعادة تنظيم الرسوم الدراسية المقررة على طلاب المدارس الخاصة العربية الأهلية والنموذجية للعام الدراسي 2019/ 2020م من رياض الأطفال وحتى الصف الحادي عشر، وذلك بإعفائهم من الرسوم الدراسية عن الفصل الثاني اعتباراً من 2020/2/26م وحتى نهاية الفصل، لعدم تلقيهم الخدمات التعليمية خلال تلك الفترة.

وأكد الحربي ضرورة التزام المدارس الخاصة بكافة أنظمتها التعليمية بتفعيل التعليم عن بُعد عبر منصات تعليمية إلكترونية تتضمن الفصول الافتراضية وكافة مصادر التعلم الأخرى اعتباراً من بداية العام الدراسي 2021/2020م بحسب كل نظام تعليمي، وإلى حين السماح للطلاب بالعودة إلى المدارس.

أولياء أمور: طيلة أزمة «كورونا» لم تكُفّ المدارس عن الاتصال والمطالبة بسرعة سداد القسط الثاني

وأشار إلى استمرار سريان كافة أحكام القرار الوزاري رقم (10 لسنة 2018م) بشأن وقف زيادة الرسوم الدراسية للمدارس الخاصة بكافة أنظمتها التعليمية عن الفترة من تاريخ السماح للطلاب بالعودة للمدارس وحتى نهاية العام الدراسي 2021/2020م.

من جانبه، أكد الوكيل المساعد للتعليم الخاص والنوعي د. عبدالمحسن الحويلة أن تكلفة تفعيل التعليم عن بُعد في المدارس الخاصة بشكل عام تقل عن تكلفة التعليم التقليدي في عدة جوانب، أهمها انخفاض كافة مصاريف التشغيل الفعلية والمتعلقة بميزانيات الهيئتين الإدارية والتعليمية، لا سيما في ظل تخفيض أعداد معلمي المواد الأساسية، وقيام عدد كبير من المدارس الخاصة بإنهاء خدمات المعلمين في التخصصات غير الأساسية؛ كالتربية البدنية والتربية الفنية والموسيقى وخلافها.

وأشار إلى انخفاض تكلفة استهلاك الكهرباء والماء لعدم وجود الطلاب في المدارس، وانخفاض نسبة استهلاك المباني المدرسية وموجوداتها وتكلفة صيانة المبنى المدرسي وملحقاته عن الأحوال الاعتيادية.

وأوضح أن المدارس الخاصة وبحسب الأصل لا تقدم لطلابها الخدمات التعليمية فقط، وإنما تمتد التزاماتها لتقديم عدة خدمات أخرى تتعلق بالأنشطة الرياضية والاجتماعية والثقافية التي سوف يُحرم منها الطالب نتيجة تلقيه لخدمات تعليمية عبر وسائل التعليم عن بُعد فقط.

وذكر الحويلة أن نسبة تخفيض الرسوم الدراسية عن الفترة التي يتلقى فيها الطالب خدمات التعليم عن بُعد تحقق مقتضيات المصلحة العامة، كما تحقق التوازن بين قيمة الرسوم الدراسية المستحقة على الطلاب مع الخدمات التي سوف يحصل عليها الطالب عبر وسائل التعليم عن بُعد مع مراعاة جودة الخدمات التعليمية ومخرجاتها.■





العم عيسى الشاهين أحد مؤسسي حركة «المرابطون» أثناء الغزو لـ«المجتمع»:

الرباط كان جزءاً أصيلاً من المقاومة الكويتية.. وهذا ما ميَّز حركتنا

التقت «المجتمع» مع العم عيسى ماجد الشاهين، عضو مجلس الأمة الأسبق، الأمين العام السابق للحركة الدستورية الإسلامية (حدس)، أحد مؤسسي حركة «المرابطون» أثناء الغزو العراقي الغاشم لدولة الكويت، ليحدثنا عن شهادته الميدانية لعمل حركة «المرابطون» التي أسسها الإسلاميون بدولة الكويت، ودورها في التصدي للغزو العراقي الغاشم داخل الكويت وخارجها، كشهادة لله وللتاريخ رداً على بعض المشوّهين والمشوشين على جهود التيار الإسلامي في مقاومة الغزو الغاشم.

حوار- سعد النشوان:

● بداية، نرحب بالعم عيسى الشاهين، حياكم الله في «المجتمع».

- الله يحييكم، ويبارك بجهود مجلة «المجتمع»، ودعاؤنا إلى المولى أن تستمر مسيرة الجهاد بالصدع بالحق والثبات في سبيل الدعوة المباركة، وأن يوفق الله تعالى قيادة المجلة إلى المزيد من النجاح والانتشار والتطور.

● نريد أن نتعرف منكم على حركة «المرابطون» التي تأسست أثناء الغزو العراقي لدولة الكويت.

- أفضل وأوضح مدخل للتعريف بحركة «المرابطون» هو فهم أهداف نشأتها الخمسة، وهي: تحرير الكويت وعودة الشرعية، العمل على تثبيت الناس في أرض الكويت، تخفيف المعاناة عن أهل الكويت في الداخل، العمل على وحدة الصف الكويتي، الاستشراف لبناء كويت المستقبل في إطار العقيدة والشريعة الإسلامية.

فحركة المرابطون هي حركة مقاومة كويتية وطنية مجتمعية جامعة إسلامية، كان قرارها الأول على الإطلاق هو البقاء والمكوث في الكويت تحت أي ظروف.

● ما الذي ميَّز «المرابطون» عن تشكيلات المقاومة الأخرى؟

- ابتداء لا بد من التأكيد أن كل مَنْ رابط ومكث هو جزءٌ أصيل من المقاومة الكويتية، وشارك في تحقيق وتأكيد أن الشرعية الشعبية في الداخل مساندة ومكملة للشرعية الرسمية في الخارج، وساهم في إفشال مخطط العدو الغازي في تفريغ الكويت من الكويتيين.

وقيام جماعات وتشكيلات مقاومة عدة هو صفحة نيرة لتفاعل الشعب مع حق وواجب المقاومة، وهو تعبير عن التعاون في تحقيق الأهداف دون ضرورة وحدة التنظيم ولكل فضلٌ في مجاله وتخصصه وتميزه، وهنا يجب أن أكون واضحاً أن ذكر سمات تميز حركة «المرابطون» لا يعني بتاتاً افتقاد جماعات وتشكيلات المقاومة الأخرى لمثل هذه السمات.

وبدون تفصيل وإسهاب أذكر أهم سمات الحركة:

1 - تأسست الأفواج الأولى الرائدة في حركة «المرابطون» على منهج عقائدي وفكري موحد.

2 - تيسر التشكيل وتوفر ضمان الأمن لتكون القاعدة تنظيماً راسخاً وواسع الانتشار.

3 - اشتملت الحركة على أنشطة وتخصصات شاملة في شتى المجالات.

4 - توفرت شبكة تواصل داخلية مجربة وفاعلة.

5 - حقق المواطنون المنتمون والمتفاعلون مع الحركة في الخارج وكذلك الجمعيات واللجان والجماعات الإسلامية شبكة اتصالات عالمية.

6 - التمكن من الاتصال شبه اليومي بالحكومة الشرعية في الطائف.

7 - وفرت نقاط توزيع الأموال وتقديم الخدمات في جميع أنحاء المناطق السكنية.

8 - قدمت الحركة تقريراً مالياً ختامياً عما تم توزيعه من الأموال المقدمة من الحكومة، وذلك أثناء الضربة الجوية في فبراير 1991م مع قرب التحرير.

9 - حافظت على سلامة جهاز الاتصالات عبر الأقمار الصناعية إلى ما بعد التحرير، وكان لهذا الجهاز الدور الأكبر في العملية الإعلامية عبر العالم.

10 - حصلت على شهادات خطية من قيادة قوات التحالف تشيد بالدور الفعّال المشارك في تحقيق التحرير.

وقبل الانتقال من إطار هذا السؤال، لا بد من الإشارة إلى شهادة اللواء محمد البدر، رحمه الله، الذي كان بمثابة الأب الروحي والرمز لكل من رابط من العسكريين، وكان له دور كبير في جمع الصفوف، ودفع عجلة التنسيق والتعاون مع جميع أطراف جماعات وتشكيلات المقاومة المتواجدة آنذاك في الساحة.

يقول، رحمه الله، عن دور التيار الإسلامي: «لا يوجد شك أن إخواننا المتدينين أدوا دوراً

كبيراً وشجاعاً في تهدئة مشاعر الناس، وحثهم على الصبر على الكارثة واللجوء إلى الله سبحانه وتعالى، وبسرعة أخذوا الهامش الإداري في العملية، وبدؤوا يسيطرون على الجمعيات قبل نهبها أو انتشار الفوضى فيها، وبدؤوا بتسهيل الأمور للمواطنين حتى وصلوا أخيراً إلى أن يقوموا مقام البنوك بإقراض الناس وتوصيل المؤن لهم في المنازل، وهذه الجماعات خلفيتها التنظيمية السابقة سياسية كانت أو إدارية قد ساعدت في الوصول إلى السيطرة المرجوة، والحقيقة أنهم ساعدونا كثيراً كعسكريين حتى إننا عندما نجلس لنرى الهامش الإداري كنت أقول للجماعة: دعوهم فهم أفضل منا، وإن تدخلنا نحن كعسكريين سنلخبط أمورهم».

• دور «المرابطون»، هل كان مدنياً أم عسكرياً؟

– غطت أنشطة وتحركات حركة «المرابطون» الجوانب المدنية والعسكرية، المراجعة السريعة لأسماء رموز وقادة العمل العسكري في المقاومة والتعرف على توجهاتها الفكرية وانتمائها الفكري نتأكد من التكامل الموحد بين لجان التكافل والمقاومة الشعبية الكويتية.

وحقول أعمال الجناح المدني والخدمي: إدارة المناطق السكنية والجمعيات التعاونية والمساجد والهلال الأحمر وإدارة المستشفيات وتخزين الأدوية وتوزيعها ورعاية ذوي الشهداء والأسرى والإعلام والنشرات والبيانات.

واشترك الجناح المدني مع الجناح العسكري في مجالات النفط وتوفير الغاز والوقود والكهرباء والماء والإطفاء.

واختص الجناح العسكري بثلاث مهام رئيسة؛ القيام بعمليات مسلحة ضد قوات العدو خارج نطاق المناطق السكنية المأهولة، تغذية قوات التحالف بمعلومات استخبارية ميدانية، ومهام الاتصالات.

• هل كان هناك ذراع إعلامية لـ«المرابطون»؟

– قدر الله سبحانه وتعالى للحركة أذرعاً إعلامية قوية على رأسها المساجد؛ حيث بثت منها الدعوة للرباط وشرح أسبابه ودواعيه ومآلاته المباركة، وكانت البيانات والمنشورات والأخبار توزع من داخل المساجد.

ثم الدواوين، ومنها يعاد نشر وتوزيع البيانات والمنشورات.

«المرابطون» هدفت إلى تحرير الكويت وتثبيت الناس في الأرض وتخفيف معاناتهم ووحدة الصف وبناء كويت المستقبل

تأسست الأفواج الأولى الرائدة في «المرابطون» على منهج عقائدي وفكري موحد

«نشرة يوميات الأحداث» (DEED) الراصدة للمجريات والأحداث اليومية من أخبار تحركات العدو وإجراءاته الإدارية والدموية والملاحقات للمواطنين والحالة التموينية والمعنوية للمرابطين وكافة شؤون النفط والماء والكهرباء والأدوية وغيرها، هذه النشرة من أهم وأكمل يوميات الغزو، وتصدرها الحركة وترسل إلى الحكومة الكويتية الشرعية، وإلى قيادة التحالف في الرياض، وإلى مراكز إعلامية وسياسية عالمية، وكان يتم هذا بشكل يومي بمتوسط عشر صفحات، وترسل عبر جهاز الاتصالات الفضائية الخاص بالحركة.

وقد كان للأخ د. ناصر الصانع، والأخ محمد سالم الراشد، دور مميز في نشر التقارير الإعلامية ومن ضمنها «اليوميات».

• هل تم التنسيق مع الحكومة الشرعية في الطائف أثناء الغزو؟

– ابتداءً كان التنسيق والتعاون مكتملين مع ممثلي الشرعية في الداخل، وقد أحسنوا التعامل مع مختلف الجماعات والتشكيلات، ولم يتدخلوا في السياسات والأساليب الخاصة لكل منها، وكانوا مصدراً رئيساً للإسناد المالي وللتوزيع على المواطنين في مناطقهم.

إن التعامل المهني الرفيع مع ممثلي الشرعية في الداخل وتنامي الثقة المتبادلة والاطلاع عن كثب على جهود الحركة وفاعليتها في الميدان ساهم في تكوين جسور قوية.

• ما دور «المرابطون» في المؤتمر الشعبي بجدة في أكتوبر 1990م؟

– كان تمثيل «المرابطون» في مؤتمر جدة الشعبي قوياً وواضحاً من خلال المنتمين للتيار الإسلامي وخاصة رئيس مجلس إدارة جمعية الإصلاح الاجتماعي العم عبدالله العلي المطوع، رحمه الله، إضافة إلى الإخوة الشيخ عبدالواحد أمان، والشيخ يوسف الحجي، يرحمه الله، ود. عبدالله سليمان العتيقي، والشيخ أحمد القطان، ود. علي الزميع، والشيخ عبدالله عبدالكريم العزاز، والشيخ أحمد الدبوس، والنائب مبارك الدويلة، ود. ناصر الصانع، ود. إسماعيل الشطي، رئيس تحرير «جريدة المرابطون»، ود. أحمد الهولي، ود. بدر الناشي، والأستاذ عبدالمحسن العثمان، ود. عثمان الخضر، وأ. عبدالقادر العجيل، وأ. إياد الشارخ، وأ. مساعد الظفيري، ود. ناصر العنزي، وأ. عبدالوهاب الحوطي.. وآخرين كثر من الإخوة الذين لا تحضرني أسماؤهم الكريمة.

وقد كان للعم بو بدر، يرحمه الله، موقف حاسم وقوي حول الخلاف الذي دبَّ في المؤتمر وحسم الخلاف، وهنا نذكر كلمته التي تسطر بالذهب التي ناشد بها الأطراف المختلفة: «إذا قمنا مختلفين من هذه الجلسة سنزيد من تشريد أهلنا داخل الكويت فضلاً عن أن معرفتهم باختلافنا وعدم اتفاقنا سيسيء إلينا إساءة بالغة»، كما عمل العم بو بدر مع وزير العدل آنذاك على تعديل بعض مواضيع وعبارات في كلمة السيد عبدالعزيز الصقر، يرحمه الله، التي ألقاها في المؤتمر.

وقد ألقى د. ناصر الصانع البيان الختامي للمؤتمر الذي تضمن القرارات الخمسة، وقد كان ختام البيان: «نعاهد الله أن يكون التحرير غايتنا والعودة هدفنا، والأمير قائدنا، والجهاد سبيلنا، والوحدة الوطنية سلاحنا، والموت في سبيل الله أسمى أمانينا».

كما ألقى د. إسماعيل الشطي كلمة الداخل التي عرض فيها حال المرابطين ما بين الصمود والمقاومة والوحدة الوطنية والتمسك بالشرعية والأمل بالنصر القريب.

• كيف ساهمت «المرابطون» في تحقيق وحدة الصف ضد الغزو؟

– أعتقد أن التواصل النشط بين أبناء الحركة قبل الغزو مع مختلف مكونات المجتمع قد يسَّر من تكوين تلاحم بارز بين هذه المكونات في فترة الغزو، وقد حرصت الحركة تمام الحرص على هذا التلاحم من خلال المشاركة في مختلف لجان التكافل والعديد من الأعمال الخدمية للمواطنين كإدارة الجمعيات التعاونية، وكان مبدأ الحركة في إنشاء لجان التكافل أن يشترك معنا أكبر عدد من غير المنتمين متى ما توفرت الكفاءة والأمانة.■



رئيس جمعية الإصلاح الاجتماعي د. خالد المذكور لـ«المجتمع»:

هذه مشاهداتي على قيام الجمعية بدورها منذ اليوم الأول للاحتلال العراقي



يأتي شهر أغسطس كل عام ليذكرنا بذكرى أليمة على نفس كل كويتي، بل كل عربي مسلم عنده حس وطني؛ حيث قامت قوات الاحتلال العراقي الغاشم باحتلال الكويت ونهبها في صورة شهد بمأساويتها كل العالم الحر، لكن هذه المحنة تولدت من رحمها منحة عظيمة؛ وهي تكاتف الشعب الكويتي واجتماعه يداً واحدة حتى تم دحر هذا الاحتلال، وقد كان في مقدمته الجمعيات الخيرية والأهلية، وفي القلب منها جمعية الإصلاح الاجتماعي التي كان لها دور رائد وبارز منذ اللحظات الأولى للغزو.

وفي الذكرى الثلاثين من هذا الاحتلال الغاشم، نلتقي من خلال هذا الحوار مع د. خالد مذكور المذكور، رئيس جمعية الإصلاح الاجتماعي، لنتعرف من خلال معايشته لأحداث الغزو على دور الجمعية في صد هذا العدوان.

ما حدث هو اجتياح واحتلال ونهب وسلب وقتل وأسر.. لذا أسميه احتلالاً وليس غزواً

أجرى الحوار- سعد النشوان:

تم التحقيق معي من قِبَل رئيس مخفر كردي كان متعاطفاً مع الكويتيين ولولاه لربما حدث لي ما لا تُحمد عقباه

• حياكم الله، وأهلًا ومرحباً بكم في هذا الحوار مع «المجتمع».

- حياكم الله، وحيا الله جميع العاملين في مجلة «المجتمع» التي تعد مجلة العالم الإسلامي.

• نمر في هذه الأيام بالذكرى الثلاثين للغزو العراقي الغاشم للكويت (أغسطس 1990م)، لكن كان هذا الغزو ملحمة تاريخية من ملاحم الشعب الكويتي، حبذا لو تعطينا مقدمة عن هذا الأمر.

- ما زالت ذكرى الاحتلال العراقي الغاشم حاضرة في أذهاننا بآلامها وقسوتها، وأنا بالمناسبة لا أسميه غزواً، حتى لا يكون هنا وجه مقارنة مع غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم؛ لأن مصطلح الغزو والغزوة والسرية مصطلحات السيرة النبوية والفقه الإسلامي، لكن الذي حدث هو اجتياح واحتلال واغتصاب ونهب وسلب وقتل وأسر وحقد وبُغض، كل هذا تجمع في فجر ذلك اليوم (2 أغسطس 1990م)، واستمر نحو 7 أشهر، إلى أن أذن الله سبحانه وتعالى أن يفرج عن الكويت وأهلها، وأن تعود حرة مستقلة صافية نقية من هذا الفيروس المحتل بإذن الله تعالى.

• هل ترون أن الأزمة الاقتصادية كانت وراء الاحتلال العراقي؟

- نعم، كان العراق حينها يواجه أزمة سياسية واقتصادية، وقد تغيرت نبرة العراق تجاه الكويت بعد اتهامها بأنها وراء تخفيض سعر برميل النفط في السوق العالمية، وهذا نوع من التبرير والدعاية الإعلامية، ثم بعد ذلك ادَّعى أن الكويت جزء من العراق، وهذا



الادعاء -بالمناسبة- لم يكن صدام حسين أول من ادعاه، بل ادَّعاه قبل ذلك عبدالكريم قاسم بعد استقلال الكويت بأسبوع في يوليو 1961م، حيث ألقى عبدالكريم خطبة دعا فيها إلى ضم الكويت إلى العراق، باعتبارها جزءاً منه.

فصدَّام لم يأتِ بجديد في زعمه بأن الكويت جزء من العراق، لكن الفرق بين صدام، وعبدالكريم، أن الثاني توقف عند التهديد والوعيد، خاصة بعد أن جاءت القوات العربية الرمزية والقوات البريطانية، حيث كانت الكويت لا تزال تحت الحماية البريطانية، لذا لم يستطع عبدالكريم تجاوز الحدود، لكن هذا الأرعن (صدام) هدد وتوعّد وبيّت النية حتى مع اللقاءات المستمرة، ومع الوفود التي كانت تذهب إلى العراق وتأتي، ومع التطمين، ومع اللقاء الذي تم من خلال المملكة العربية السعودية بواسطة الملك فهد، رحمه الله، عندما جمع نائب الرئيس العراقي مع الشيخ سعد العبدالله، رحمه الله، في جدة للتفاوض من أجل حل المشكلة بين الدولتين العراق والكويت.

مع العلم أن العراق طالب بجزيرة بوبيان أثناء حربه مع إيران لتكون منطلقاً للهجوم عليها؛ لذا فقد كان الظن كل الظن أن العراق يريد احتلال جزء من الكويت، كاحتلال الشريط الحدودي وجزيرة بوبيان، ويتوقف عند هذا الحد، ولكن الكويتيين تفاجؤوا، في فجر يوم الخميس 2 أغسطس، بالغزو الغاشم، وكان يوم عمل، حيث تفاجأنا بالجنود العراقيين داخل الكويت، ليعيثوا فيها فساداً.

وأعود إلى ما يتعلق بإرهاصات الغزو، وقيام الجمعيات والهيئات بالمؤازرة، واللقاء مع سمو الشيخ جابر، رحمه الله، وبالتأكيد على أن الكويت يد واحدة، ومن أهم الشخصيات التي ذهبت إلى سمو الأمير وسمو ولي العهد: العم أبو بدر، والعم يوسف الحجي، والعم أحمد بزيع الياسين، رحمهم الله جميعاً، الذين كانوا يمثلون الخبرة والتجربة والرزانة، وبحمد الله كان موقفاً جيداً وجدياً.

نبرة العراق تغيرت تجاه الكويت بعد اتهامها بأنها وراء تخفيض سعر النفط بالسوق العالمية

«صدام» لم يأتِ بجديد في زعمه أن الكويت جزء من العراق فقد سبقه بهذا «قاسم»

«الإصلاح» قامت بتشكيل لجان مساعدة انتشرت بكل مناطق الكويت وأخرى خارجها لمساعدة الكويتيين

وأذكر أن بعض الوفود التي كان قد استدعاها صدام، واجتمع معها وزير الإعلام العراقي، ورأوا منه الغلظة في القول، والتهديد المبطن، جاؤوا وأخبروا المسؤولين الكويتيين بما دار في اللقاء، من تهديد ووعيد، وطلبوا من المسؤولين الكويتيين أن يأخذوا حذرهم، وبدأت الأمور تتوالى حتى تبين أنه مقدم على شيء خطير.

● بعد أن قدَّر الله تعالى ووقع الاحتلال، كيف كان دور جمعية الإصلاح بالتحديد؟

- منهج الجمعية هو القيام بدورها في مواجهة أي حدث من الأحداث، وكان احتلال الكويت هو الحدث الأكبر، وقام الإخوة في الجمعية بتشكيل لجان طارئة، خاصة بما يتعلق بالجمعية ومبناها وملفاتها، ثم شكَّلوا لجنة مساعدة انتشرت في جميع المناطق داخل الكويت وخارجها، خصوصاً أنه في شهر أغسطس كان قد سافر الكثير من الكويتيين للاصطياف خارج البلاد؛ لذا كان الاتصال بجمعية الإصلاح الاجتماعي في شخوص أعضائها يتم داخل الكويت، وفي خارجها أيضاً.

وحينما خرج الكثير من الكويتيين مع عائلاتهم خارج الكويت تم تشكيل العديد من اللجان في كل من الإمارات العربية المتحدة، والمملكة العربية السعودية، وجمهورية مصر العربية، وقطر، والبحرين، وسلطنة عُمان، وكان لهذه اللجان دور كبير في تقديم الخدمات والمساعدات للكويتيين في هذه البلاد.

وأذكر أن الشيخ أحمد القطان كان في «أبها» بذلك الوقت، وعندما سمع بالغزو ترك «أبها» ونزل إلى مكة، والتقى بالشيخ الراجحي، ومن ثم كان له دور كبير في إعطاء الأموال للكويتيين الذين وصلوا هناك، وكان «المرابطون» عندهم تنظيم وترتيب للعمل في المساجد، والمستشفيات، والمدارس، ودور الإعاقة، وهناك بعض الأسر كانت عوائلها خارج الكويت، ومنهم العجزة وكبار السن، وكانت لجنة «المرابطون» تقوم بدور كبير في خدمتهم.

● هناك من يقول: إن جمعية الإصلاح

لم تأخذ موقفاً قوياً من الغزو؛ فما ردكم؟

- أنا من جمعية الإصلاح الاجتماعي، ومن أعضائها، ومن أول يوم للغزو كنا في مشرف؛ حيث أسكن بها ويسكن معي بعض أعضاء الجمعية، منهم: عيسى ماجد الشاهين، وعبدالله العتيقي، وجاسم المهلهل، ومحمد الرحماني.. وغيرهم الكثير، كنا نجتمع يومياً في ديوانية سليمان القلاف، رحمه الله، وكان يسكن قريباً من بيتي، وكنا ننظم ما يتعلق بالترتيب، سواء الغذاء، أو التموين، ومساعدة الناس، وأذكر أنه في هذه الليلة بالذات، اجتمعنا في مسجد الشمروخ القريب من بيتي في قطعة (5) بمشرف، وقمنا بتوزيع العمل بيني وبين أخي د. عجيل النشمي، وصلينا الظهر، وسمعنا الأخبار بأن سمو الأمير وولي العهد والحكومة قد سلّمهم الله تعالى، ونجوا من مصيدة الاحتلال، فحمدنا الله تعالى وشكرناه.

وبعد الصلاة اجتمعنا ووزعنا العمل، حتى نطمئن الناس؛ فذهبتُ إلى بعض المساجد، ود. عجيل النشمي ذهب إلى بعضها الآخر، وعقب كل صلاة كنا نطمئن الناس بإلقاء الخواطر الإيمانية لتثبيتهم وحثهم على الصبر في صلوات العصر والمغرب والعشاء من أول يوم للاحتلال، وهذه الخواطر كانت ضمن جهود جمعية الإصلاح الاجتماعي لتثبيت الناس وزرع الطمأنينة في نفوسهم؛ فجمعية الإصلاح من أول يوم للغزو قامت بدورها المنوط بها على أكمل وجه، وذلك في كل مناطق الكويت، وليس مشرف وحدها.

● هل قدمت «الإصلاح» من أبنائها شهداء أثناء التصدي لهذا الاحتلال؟

- نعم، قدمت شهداء وأسرى، ومن الشهداء يوسف الخاطر، ونايف المقبول الذي تم اختطافه يوم التحرير، تحديداً يوم 26 فبراير، بعد صلاة الفجر، حينما كان الاحتلال الغاشم يقوم بالانسحاب؛ حيث ذهب الأخ نايف -جزاه الله عنا خيراً- إلى العمل؛ حيث كان مهندساً كهربائياً، وكان يرغب في توصيل التيار الكهربائي، وقدر الله أن يقابل في طريقه مجموعة هاربة من الجيش العراقي (الحرس الجمهوري)، فأطلقوا عليه الرصاص وأصابوه، مع أننا قمنا بالتحذير في ذلك اليوم من أنه لا يخرج أحد من بيته، نتيجة للألغام الموجودة، أو الأدخنة، أو فلول المخابرات العراقية.



الزميل سعد النشوان محاوراً د. خالد المذكور

● ماذا عن الأسرى؟

- الأسرى ينقسمون إلى قسمين؛ أسرى من العسكريين والضباط الذين تم أسرهم منذ أول يوم للاحتلال، وتم أخذهم إلى العراق، وكانت أوضاعهم أفضل من أوضاع الأسرى المدنيين بعد ذلك، وبقية الأسرى تم أسرهم في أثناء فترة الاحتلال؛ حيث كان لا يخلو يوم من أيام الاحتلال من أسرى، وكانوا ينتقلون بهم من مكان إلى آخر، سواء في المدارس أو هيئة الزراعة، أو غيرها، وكان من بين الأسرى د. عبدالرحمن السميط، ود. إبراهيم ماجد الشاهين، وعادل الصبيح الذي تم أخذه إلى البصرة بالعراق؛ فبعض الأسرى أسروا داخل الكويت وفك سراحهم قبل الانسحاب، ومنهم من تم أخذه إلى العراق، وتم الإفراج عنهم بعد مطالبة النظام العراقي بإطلاق سراح الأسرى، وقد ساعدت الثورة ضد النظام العراقي في إطلاق العديد من الأسرى، وذلك بمساعدة الجنود الأمريكيين الذين أجلوهم إلى الكويت، ومنهم من تم أخذه ولم يتم الإفراج عنه.

● ماذا عن الفتوى التي أصدرتموها بعدم خروج أعضاء الجمعية خارج الكويت؟

من شهداء الجمعية الخاطر والمقبول.. ومن الأسرى د. السميط الشاهين والصبيح

- في بداية الأحداث، قمنا بتشكيل لجنة للفتوى تتكون من د. عجيل النشمي وبعض الإخوة من أعضاء هيئة الفتوى، وكنا نتناول الأمور التي تتعلق بالغزو وخروج الناس، والهدف من وراء تكوين هذه اللجنة تثبيت الناس في الكويت، وتوصيل ذلك لهم من خلال الخواطر التي كنا نلقيها في المساجد التي انتشرنا فيها، وأفتينا بأن يكون الخروج من الكويت لضرورة؛ كالعلاج، أو لوجود الآباء والأمهات خارج الكويت؛ حيث كان هناك العديد من الأطفال مع أعمامهم وأخوالهم، وكان آباؤهم وأمهاتهم خارج الكويت؛ فلا غبار على هؤلاء الأطفال أن يلتحقوا بآبائهم وأمهاتهم.

أما البقية فلا بد أن يظلوا داخل الكويت، وهذه كانت الفتوى الأولى التي قمنا بإصدارها، وكنا نجتمع في منزل د. عجيل النشمي.

حدِّثنا عن قصة استجوابك بعد اعتقالك من قبل القوات العراقية المحتلة.

- في سبتمبر 1990م، طلبت مني بعض النساء أن ألقي خاطرة في أحد مساجد ضاحية عبدالله السالم، من أجل تثبيت النساء، فوافقت على ذلك، وبالفعل ذهبت إلى المسجد حوالي الساعة العاشرة والنصف صباحاً، ودخلت المسجد، وطلبت من الإمام الإذن في إلقاء خاطرة فوافق، وكان من بين الحضور بدر بزيع الياسين وعدد من الرجال الذين اصطحبوا نساءهم للمسجد، وطلبتُ من المؤذن أن يفتح الميكرفون داخل المسجد، وخصوصاً في مصلى النساء، وعدم فتحه خارجه.

وفي آخر المحاضرة، كانت تأتي إليَّ أسئلة وأجيب عنها، ثم جاءني أحد العاملين

بالمسجد، وأخبرني بأن العراقيين يحاصرون المسجد، ويرغبون في اعتقالي، فقلت له: «دعهم يدخلوا للاستماع للمحاضرة والأسئلة»، لكنهم رفضوا لأنهم كانوا مسلحين، فخرجت لهم، وكان أحدهم بلباس مدني، وكان من المخابرات، وقال لي: «الله يعطيك العافية، ماذا عندكم؟»، فقلت له: «عندنا محاضرة»، فقال لي: «الوقت ليس وقت صلاة، فما السبب في وجودكم في المسجد؟»، ثم قال لي: «تفضل معنا إلى مخفر عبدالله السالم»، فقلت له: «سوف أركب سيارتي وألحق بكم»، ولما شاهدت النساء ما حدث من انقطاع المحاضرة، أردن أن يقمن بمظاهرة، فطلبت منهن الرجوع إلى بيوتهن، وركب معي الأخ بزيع الياسين، وكانت خلفنا سيارة أمن عراقية وأمامنا سيارة أخرى، حتى وصلنا إلى مخفر عبدالله السالم، وكان رئيس المخفر من الأكراد، فحقق معي ومع أحمد بزيع الياسين الذي أصر على اصطحابي وعدم تركي في هذا الموقف، فسألني: من أين أنت؟ قلت له من مشرف، فقال لي: «على أي أساس تتواجد في مسجد بضاحية عبدالله السالم لإلقاء محاضرة؟»، فقلت له: «أنا خريج كلية الشريعة، جامعة الأزهر، وأقوم بإلقاء المحاضرات في أي مكان».

في ذلك الوقت حضرت المخابرات العراقية، وقد سمعتُ من القائمين على المخفر بأنهم سوف يذهبون بي إلى البصرة، ثم جاء جارالله حسن الجارالله (بو علي)، وكان من سكان ضاحية عبدالله السالم، وكان ممن يتعاونون مع الجمعية، وحين سيطر الاحتلال على ضاحية عبدالله السالم، وكانوا بالقرب من الجمعية كان يعطيهم من الجمعية ما يريدون، وحينما حضر بوعلي أشار له رئيس المخفر الكردي، فدخل إلى غرفة رئيس المخفر، وقال لي: «عسى ما شر يا دكتور»، فقال له رئيس المخفر: «ماكو إلا العافية»، ثم قال لي رئيس المخفر: «تذهب إلى بيتك ولا تخرج منه لأنه يوجد خطر عليك»، ورئيس المخفر الكردي هذا كان يتعاطف مع الكويتيين ويعاونهم.

شكلنا لجنة فتوى وكانت فتواها الأولى هي منع الخروج من الكويت إلا للضرورة مثل العلاج

وبعد الغزو استضافه عبدالعزيز أحمد الغنام؛ حيث إن بيته يقع أمام مخفر عبدالله السالم الذين كان يترأسه هذا الكردي، وتم إكرامه لأنه كان يدافع عن الكويتيين.

ونحمد الله أنهم ذهبوا بي إلى هذا الكردي الذي أفرج عني؛ لأنهم لو ذهبوا بي إلى عراقي آخر، فلربما كان قد حدث ما لا تُحمد عقباه.

● ما رسالتك للشعب الكويتي بعد 30 عاماً من الغزو، حتى تدعوهم إلى نسيان الماضي؟ وما رسالة جمعية الإصلاح للحكومة والشعب؟

- الجيل الذي كان حاضراً في ذلك الوقت، وشاهد المحنة والاحتلال لا ينسى؛ لأنها كانت في عمق القلوب، فهي لا تُنسى أبداً؛ فالإنسان قد ينسى بعض الذكريات مع أحبابه وأهله وإخوانه، ولكن ما حدث في أيام الاحتلال محفور في قلوب وعقول الكويتيين، وكان هناك من حضر الغزو من إخواننا المقيمين، وكان لهم دور كبير جداً في الصمود، ومعاونة الكويتيين، وأنا لا أنسى من بشرني بالتحرير.

فقد كانت هناك أسرة فلسطينية قمنا بنقلها من خيطان إلى مشرف، وأسكناها في بيت أخينا فيصل العبدالجادر الذي كان خارج الكويت، وكان رب الأسرة فلسطينياً أردنياً، وكانت قوات الاحتلال تتعامل معه معاملة غير المعاملة التي تتعامل بها مع الكويتيين، وهذا الشخص الفلسطيني أخبرني أنه في طريقه من خيطان إلى مشرف لم يصادف في طريقه أياً من القوات العراقية، وسمع أنهم انسحبوا من الكويت، والناس في سعادة غامرة، وكان ذلك في فجر يوم الثلاثاء 26 فبراير، وفرار القوات العراقية بدأ يوم 25 فبراير ليلاً، ونحن سمعنا هدير وأصوات السيارات العراقية المنسحبة من الكويت، وحمدنا الله تعالى أنهم لم ينفذوا تهديدهم بتحويل الكويت إلى أرض محروقة.

لذا، يجب علينا أن نعرّف أولادنا وأحفادنا بما يتعلق بهذا الاحتلال، وقد كتبتُ عدة مقالات في بعض الصحف، وقدمت بعض الاقتراحات لبناء الكويت على أساس سليم، وأخذ الحيطة، وكنتُ في مجلس التخطيط، ومعي في اللجنة الاقتصادية الشيخ محمد صباح السالم، وكنت أجتمع معه دائماً، وهدفنا من وراء ذلك إلى معالجة التركيبة السكانية؛ بحيث يكون الكويتيون 60% وبقية الوافدين 40%، ونسبة الوافدين زادت بمراحل كبيرة بعد التحرير، وكأنه تم تناسي الأمر، والوثائق موجودة.

وفي جائحة فيروس «كورونا»، عاد الكويتيون إلى ما كانوا عليه من لُحمة وتواصل، وعطاء وبذل، وكان لجمعية الإصلاح الاجتماعي دور رائد في العمل الخيري ومساعدة المحتاجين، سواء كان ذلك في أيام الغزو الغاشم، أو في أثناء الجائحة الأخيرة (كورونا).■





ملحمة بطولية لجمعية الإصلاح الاجتماعي في التصدي والمقاومة

عبدالله المطوع: لم ألبِّ دعوة لزيارة العراق طوال حكم «صدام» ولم أساهم بفلس للنظام البعثي

قبيل الغزو العراقي الغادر، شهدت الساحة الكويتية أحداثاً ساخنة كان لجمعية الإصلاح الاجتماعي فيها مواقف مهمة، قد لا يعرفها البعض لعدم متابعة ما جرى، أو لغياب المعلومات عنهم، وكذلك لمحاولة البعض إخفاء الدور الوطني الكبير الذي قامت به الجمعية، ولعل حلول الذكرى الثلاثين لهذا الغزو الغاشم تدعونا أن نذكر تلك المواقف شهادةً للتاريخ.

ونستعرض في هذا الصدد مواقف الجمعية أثناء الغزو، ودور أعضائها البطولي في الداخل والخارج على المستويين المدني والمقاومة.

بقلم - جمال الشرقاوي:

عن فترة ما قبل الغزو العراقي الغاشم، تحدث رئيس جمعية الإصلاح وقتها عبدالله المطوع (العم أبو بدر)، يرحمه الله تعالى، قائلاً: «قبل الغزو العراقي الغاشم، عاشت الساحة الكويتية اختلافات في وجهات النظر حول بعض الأمور السياسية المطروحة على الساحة، وتمت مناقشة هذه الأمور في لقاءات عقدها السياسيون، وبعض مسؤولي التجمعات السياسية، لشرح وجهة نظرهم ولسماع وجهات نظر الآخرين، وفي هذا الإطار؛ زار جمعية الإصلاح الاجتماعي وفد، من بينهم الإخوة: أحمد عبدالعزيز السعدون، ود. أحمد الخطيب، والأخ سامي المنيس (يرحمه الله تعالى)، والأخ جاسم القطامي، وعدد آخر من زملائهم.

وقد طرح أعضاء هذا الوفد علينا في جمعية الإصلاح ما لديهم من آراء، وتبادلنا معهم وجهات النظر، وقد تم توثيق هذا اللقاء بتسجيل فيديو، وما زال الشريط موجوداً لدينا، وكان منطلق جمعية الإصلاح -كما هو دائماً- التأكيد على ضرورة جمع الكلمة ووحدة الصف، والحفاظ على أمن الكويت واستقرارها، وحيث إنه حدث في تلك المرحلة إرهاصات غدر من قبل النظام العراقي تجاه الكويت؛ فقد أبدينا رأينا للإخوة أن نقف جميعاً أمام أعداء الكويت الذين يتربصون بها الدوائر صفاً واحداً؛ دفاعاً عن الوطن، حتى وإن اختلفت وجهات النظر في تقييم بعض الأمور، كما أكدنا ضرورة الوقوف يداً واحدة في وجه أطماع المتربصين، ملتفين حول قيادتنا السياسية، ودعونا الجميع لتفويت الفرصة على خصوم الكويت والمتربصين بها الدوائر، وأن نقف صفاً واحداً؛ دفاعاً عن الوطن، حتى لا يتخذوها حجة.

حشدت الجهود لمواجهة أطماع «صدام» في الكويت.. والتكتل وراء القيادة السياسية قبل الغزو

ولا شك أن هذا الموقف المبدئي من جمعية الإصلاح والقائمين عليها يؤكد حرصها على وحدة الصف وجمع الكلمة وتفويت الفرصة على أعداء الكويت.

وقد طرح الوفد الزائر بعض آرائه وتطلعاته السياسية ووجهة نظره فيما يجري على الساحة المحلية، وأوضحنا أنه إذا كانت هناك ثمة مطالب فقد اقترحنا أن يكون ذلك عبر اللقاء مع المسؤولين للتفاهم معهم حول تحقيق تلك المطالب المهمة.

مخطط عدواني

وبعد هذا اللقاء، مرت الأيام سِراعاً، وبدأ المجرم «صدام» يسير في مخططه العدواني؛ إذ بدأ اتصالاته وأرسل دعوات للصحفيين ورؤساء تحرير الصحف الكويتية، وبعض الشخصيات لحضور مؤتمر عُقد في بغداد، وقبله مؤتمرات كثيرة عقدها طاغية العراق باسم المؤتمرات الإسلامية وغيرها، وقد وُجِّهت لي بصفتي رئيس جمعية الإصلاح الاجتماعي العديد من الدعوات لمعظم المؤتمرات ذات الطابع الإسلامي -كما يزعم طاغية العراق- لكن وبفضل الله عليَّ وعلى جمعية الإصلاح أن هذه الدعوات كلها قوبلت بالرفض، وللعلم فإنني لم أزر بغداد قط في ظل وجود «صدام» على رأس السلطة، ويعرف الإخوة في الكويت رأيي بـ«صدام»، وحزب «البعث» الذي نحن كحركة إسلامية على خلاف جذري معه منذ قيامه، إذ إنه حزب مناوئ للإسلام والحركة الإسلامية، كما أننا نرفض تلك المبادئ والأفكار الهدَّامة التي خطط لها الغرب بمكر، وجيء بـ«صدام» وبمن



قبله من البعثيين والقوميين العرب وغيرهم من أصحاب الدعوات الأخرى الشاذة ليحاربوا الاتجاه الإسلامي في المنطقة، وبالفعل فقد قام البعثيون باغتيال شخصيات إسلامية معروفة، فضلاً عن محاربة الدين بشكل عام، كما أن مجلة «المجتمع» قد انفردت بذكر «مذابح حلبجة»، ولكن للأسف قام الرقيب بوزارة الإعلام الكويتية بمنع نشر المقالات الخاصة بـ«مذابح حلبجة»، في حين صمت الجميع عن هذه المذابح.

وانطلاقاً من معرفتنا بتلك الأحزاب –الكلام ما زال للعم أبو بدر يرحمه الله تعالى– التي لا تقوم على الدين والأخلاق والقيم، بل قامت لمحاربة الدين، فنحن في خلاف معها، منذ مجيئها، ولا يمكن أن نلتقي معها في أي وقت من الأوقات، فخصومتنا مع حزب «البعث» معروفة وقديمة، ولذلك لم أستجب لأي دعوة من دعوات الحكومة العراقية التي وُجِّهت لي التي استجاب لها الكثير من الصحفيين والنواب وغيرهم.

ويؤيد ما أقوله ما جرى خلال حرب «صدام» مع جارته إيران، ضمن مخطط من وراء الحدود، ففي أثناء تلك الحرب، قام كثير من أهل الكويت وتجارها –بحسن نية– بجمع التبرعات وإرسالها إلى «صدام» لإعمار «الفاو»، وتحت هذا الشعار تم جمع مبالغ طائلة من أهل الكويت، وقد زارني بعض الإخوة وشخصيات كويتية، وطلبوا منِّي المساهمة في إعمار «الفاو» أسوة بمن تبرع من أهل الكويت –بحسن نية بالطبع– ولكنني رفضت المساهمة، ولو بدينار واحد لشخص بعيد عن دين الإسلام وأخلاق الإسلام، واعتذرت للإخوة الفضلاء، وقلت لهم يومها: اطلبوا ما شئتم من تبرع لأي عمل خيري، أما لـ«صدام» و«حزب صدام» فلا، وجرت محاولات أخرى من إخوة آخرين أيضاً أعزة عليَّ وطلبوا مني المساهمة مع أهل الكويت لكي لا أعتبر شاذاً –في نظرهم– لكنني أصررت على الرفض، فما أعرفه عن «صدام» وخصومتنا القديمة والمستمرة معه جعلتني أرفض كل الوساطات، ولم أساهم بدينار واحد، إذن من فضل الله عليَّ وعلى جمعية الإصلاح أنني لم أساهم بدينار واحد لـ«صدام»، ولم أزُر العراق في وجود «صدام» على رأس الحكم».. انتهى كلام العم «أبو بدر».

مواقف مشهودة

فمواقف جمعية الإصلاح منذ تأسست التي هي امتداد لجمعية «الإرشاد» معروفة، ولم يحدث طوال تاريخها ومسيرتها الطيبة ما يسيء إلى الكويت أو استقرارها أو سلامتها، بل على العكس من ذلك؛ فقد كانت جمعية الإصلاح والإسلاميون عامة في هذا البلد من خلال مواقفهم الرجولية وأعمالهم المشرفة هم أحرص الناس على بلدهم.

فها هم قبل غزو العراق للكويت من قبل البعثي الغادر «صدام حسين» يحذِّرون المواطنين والمشتغلين بالسياسة من مطامع هذا الغادر في بلادنا، ومطالبة الجميع بالحفاظ على روح الأسرة الواحدة، وتفويت الفرصة على كل من يريد بالكويت السوء، وقد كان لجمعية الإصلاح مواقفها الشجاعة حينما حشد «صدام» جنوده على الحدود قبل أيام من الغزو، فقامت جمعية الإصلاح بتجميع جمعيات النفع العام في الكويت ومسؤولي القطاعات الاجتماعية ورجالات الكويت وقاموا بزيارة سمو الأمير، وسمو ولي العهد، وتأكيد التضامن والتعاون والوقوف يداً واحدة ضد أي معتدٍ يريد النَّيل من الكويت وأمنها واستقرارها، وما مجلة «المجتمع» التي جسدت ذلك بالصورة والكلمة قبل غزو الكويت بيومين على صفحاتها، مطالبة الجميع بالوقوف صفاً واحداً ضد المعتدين، إلا تعبير صادق عن مواقف جمعية الإصلاح، وكانت هذه رسالة صادقة عن التلاحم الكويتي موجهة لطاغية العراق الذي أخذ يشكك في وحدة المجتمع الكويتي وانقسامه على نفسه، فكانت مواقف الجمعية خير رد على طاغية العراق.

فترة الغزو

أما عن فترة الغزو العراقي الغاشم، وبعد دخول قوات «صدام» للكويت، فكان لأعضاء جمعية الإصلاح دور بطولي خلالها، فقد كان شباب ورجال ونساء الجمعية مهيئين بما تلقوه من تربية سابقة على الصبر والثبات لتحمل مشاق أي كارثة أو مصيبة تصيبهم، ولذلك فقد تلقوا الصدمة الأولى للغزو العراقي لبلدهم الكويت بكل ثبات؛ فأسرعوا في العمل بالتعاون مع باقي الجمعيات الخيرية والقوى الشعبية في تشكيل لجان التكافل الاجتماعي التي جسَّدت صور الصمود والتعاون بين جميع أبناء المجتمع على مختلف توجهاتهم، فقامت اللجان بإرسال المعونات المادية والغذائية وتوزيعها على الأسر، ورتبت أمور الجمعيات التعاونية وأوضاع الأسواق، وتوفير الخدمات الأساسية والضرورات الحياتية، كما شكَّلت فرق حراسة لضمان الأمن في الأحياء، كذلك وجدت لجان تعمل من خلال المساجد على رفع معنويات الشعب وتزويدهم بالمعاني الإيمانية المطلوبة خلال تلك المرحلة.

فامتلأت المساجد بالمصلين في كل الأوقات، وكانت الدروس والعبر في الابتلاء والتثبيت هي ديدن خطباء المساجد؛ فثبت الناس بفضل الله تعالى ورابطوا؛ دفاعاً عن وطنهم وعن عقيدتهم وعن شرعيتهم الدستورية التي حاول «البعث» اجتثاثها من الوجود.

وساهم رجال جمعية الإصلاح في تأسيس حركة «المرابطون» التي أبلت بلاءً حسناً في مقاومة المحتل، وقدمت الجمعية



عدداً من شبابها كشهداء وأسرى لدى نظام «صدام» أثناء مقاومتهم للغزو الغاشم.

وأصدرت الحركة صحيفة «المرابطون» للدفاع عن الكويت، وقادوا المظاهرات للتنديد بالغزو، مطالبين الدول العربية بالتعاون لطرد المحتل الغاشم، وساهمت في إيصال الأموال للمقاومين والمرابطين في الداخل للإنفاق على المقاومة والعمليات الفدائية ضد المحتل.

ويمكن عرض جهود «جمعية الإصلاح الاجتماعي» أثناء الاحتلال العراقي داخل الكويت فيما يلي:

- تأسيس لجان التكافل الاجتماعي.
- المشاركة في أعمال جمعية الهلال الأحمر الكويتية.
- المشاركة في تأسيس حركة المقاومة الكويتية.

كما قامت جمعية الإصلاح بدور بارز لمواجهة الغزو البعثي خارج الكويت، وتمثل ذلك في إنشاء الهيئة العالمية للتضامن مع الكويت.

وشاركت الجمعية مشاركة فعالة في المؤتمر الشعبي الكويتي بجدة برئاسة رئيس مجلس إدارتها العم عبدالله المطوع («أبوبدر» يرحمه الله تعالى)، وقامت بدور كبير في رأب الصدع وتوحيد الصفوف أمام المجتمع الدولي ضد العدوان العراقي، وكان لجهود العم عبدالله المطوع دور بارز في إنجاح المؤتمر.

وشاركت الجمعية في تأسيس عدد من اللجان والحركات المساندة للكويت من الخارج، ومنها:

- لجنة الإخاء الإماراتية الكويتية بعضوية مساعد العبدالجادر (يرحمه الله تعالى)، ومحمد الراشد، وعبدالله العتيقي، وبراك عبدالنصار (نائب القنصل العام لدولة الكويت في الإمارات آنذاك).
- المشاركة في تأسيس «اللجنة النسائية في القنصلية الكويتية» في دبي، بإدارة سعاد الجارالله، وخولة العتيقي.
- المشاركة في اللجنة الكويتية العليا في بريطانيا (Free Kuwait) من خلال عبدالعزيز الخلف، وعثمان الخضر، وصلاح العبدالجادر، ود. فيصل الكندري، ود. فيصل مندني، ود. بدر الناشي، ود. ناصر الصانع.. وغيرهم.



رجال الجمعية ساهموا في تأسيس حركة «المرابطون» التي أبلت بلاءً حسناً في مقاومة المحتل

جسَّدوا مع بقية الكويتيين ملحمة إسلامية تكافلية غير مسبوقة عن طريق لجان التكافل

- المشاركة في إدارة فرع «لجنة هيئة الأعمال الخيرية الإماراتية» التي عملت في تركيا لمساعدة الكويتيين مباشرة بعد الغزو.
- المشاركة في المؤتمر الطلابي الإسلامي العالمي للتضامن مع الكويت الذي عقد بالشارقة في 1991/8/25م الذي أقامه الاتحاد الوطني لطلبة الكويت والإمارات، بحضور د. عبدالله العتيقي، ود. إسماعيل الشطي، والشيخ عبدالحميد البلالي، ومبارك الدويلة، ومحمد الراشد، وخالد الصالح، وممثلين عن 48 منظمة طلابية.
- المشاركة في المؤتمر الإسلامي العالمي لرابطة العالم الإسلامي حول أزمة الخليج.
- المشاركة في مؤتمر الاتحاد الوطني لطلبة الكويت– فرع أمريكا؛ للدفاع عن قضية الكويت أثناء الفترة من 1990/8/31م إلى 1990/9/2م برئاسة عبدالله المطوع يرحمه الله تعالى.

نشاطات الجمعية بعد التحرير

أولاً: نشاطات عامة:

1 – أقامت الجمعية حفلاً تكريمياً للهيئات الشعبية العاملة للقضية الكويتية في الداخل والخارج أثناء الاحتلال.

2 – أقامت حفلاً تكريمياً لفريق إطفاء آبار النفط الكويتي بعد إطفاء آخر بئر.

3 – خصصت جناحاً للتحرير في معرض الكتاب الإسلامي السابع عشر.

4 – أصدرت لجنة التوعية والإرشاد في الجمعية كتاباً عن المحنة بعنوان «محنة الكويت.. دروس وعبر».

5 – أصدرت لجنة العلاقات العامة والإعلام معلقاً إعلامياً كتب عليه «الحمد لله دوماً على التحرير».

6 – أقامت لجنة التوعية الاجتماعية ندوة بعنوان «دور المؤسسات الشعبية في معركة التحرير والبناء».

7 – أقامت لجنة الدعوة الإسلامية بالتعاون مع صندوق التكافل ومسرح السور للفنون مسرحية «راجع»، التي تسرد حال الأسرى وتعاونهم والأمل بتحريرهم.

ثانياً: أنشطة اللجنة النسائية:

1 – تنظيم محاضرة للنساء بعنوان «الرحمة الإلهية في المحنة الكويتية»، ألقتها السيدة بدرية العزاز.

2 – إقامة حفل ترفيهي للأطفال المرابطين في 12 مايو 1991م على مسرح الجمعية بالروضة.

3 – قامت اللجنة بإحياء حفل «أبناء الشهداء»، حيث نظمته اللجنة النسائية بصندوق التكافل لرعاية أسر الشهداء والأسرى في صالة الزين بالروضة.

4 – شاركت اللجنة في الندوة التي نظمتها لجنة المرأة بالاتحاد الوطني لطلبة الكويت ضمن فعاليات المؤتمر الثالث عشر للاتحاد، وكانت بعنوان «الدور المطلوب من المرأة في مرحلة إعادة البناء».

الهيئة العالمية للتضامن مع الكويت:

ضمن جهود جمعية الإصلاح البارزة في مواجهة الغزو البعثي خارج الكويت، قامت بالتعاون مع شخصيات كويتية وعربية بتأسيس الهيئة العالمية للتضامن مع الكويت وبمشاركة الأعضاء: عبدالله المطوع، وأحمد الجاسر، د. طارق السويدان، وإسماعيل الشطي، وبدر السميط، وخالد الصالح، وسعد الراجحي، وسليمان شمس الدين، وصلاح العبدالجادر، وعبدالحميد البلالي، وعبدالرحمن العبيدلي، وعبدالله الربيعة، وعبدالله العتيقي، وعبدالمحسن العثمان، وعبدالواحد أمان، وعبدالوهاب الحوطي، وعيسى العيسى، وفؤاد الفوزان، وماجد الرفاعي، ومبارك الدويلة، ومحمد الراشد، ومساعد عبدالجادر، وناصر الصانع، ويوسف الحجي، من الكويت.■



خطة «الضم» الصهيونية.. وكيفية المواجهة

تعد القضية الفلسطينية، وفي القلب منها المسجد الأقصى المبارك، البوصلة التي تحدد وجهة الأمة، ومدى قربها أو بعدها من معركة التحرر الوطني، خاصة في المحطات المفصلية التي تمر بها.

ولعل ما تمر به القضية الآن من محاولات صهيونية حثيثة لتصفيتها من خلال محاولات التهويد، وقضم أجزاء من الضفة الغربية وغور الأردن في تحدٍّ واضح لكل الأعراف والمواثيق الدولية -حتى من اعترف منها بدولة الاحتلال- يقتضي من الأمة هَبّة شاملة للحفاظ على ما تبقى من أنفاس القضية حتى يأتي اليوم الذي تستعيد فيه عافيتها، وتكمل مسيرتها للتحرر من الاحتلال الغاصب.

ولما كان الإعلام هو أحد المحركات الرئيسة لهذه الهبّات من خلال إدارة معركة الوعي إدارة رشيدة وفاعلة؛ كان هذا الملف الذي تقدمه «المجتمع» لدق ناقوس الخطر المحدق بالأمة عامة، وبالقضية الفلسطينية خاصة، من خلال هذه الموضوعات:

- الصهاينة و«المستوطنات».. 50 عاماً من اغتصاب الأرض.
- الكيان الصهيوني.. وطن لقيط قام على وعي زائف.
- الأسرة الفلسطينية بالضفة الغربية.. هل يُجْهز عليها قرار «الضم»؟
- الواجبات الشرعية نحو قرار ضم الضفة الغربية.■

إسلام عبدالعزيز

بعد قرارها الأخير بضم أجزاء من الضفة وغور الأردن..

الصهاينة و«المستوطنات»..

50 عاماً من اغتصاب الأرض

مستوطنات أم مستعمرات أم مستخربات.. نقاش يعلو بين الشباب مزايدة على مشاعر الوطنية والعروبة والفهم الصحيح لمفردات الخطاب المشوب بصبغة قومية وإسلامية، بينما الواقع يقفز قفزات بعيدة ليترسخ وجود هذه المستوطنات أو المستخربات -سمِّها ما شئت- على الأرض اغتصاباً صريحاً لا يقدر أحد على مواجهته سوى بعبارات الإدانة والشجب!

وحينما تريد التعرف على هذه الكيانات الاستعمارية على الأرض الفلسطينية؛ تاريخها، وطبيعتها، وسوسيولوجيتها، وديموغرافيتها، تصدمك بكل التفاصيل؛ أرقام مفزعة، وقفزات هائلة، بينما كثيرون لا يعلمون عنها شيئاً، بل الأنكى أن آخرين من بني جلدتنا أصبحوا يرون فيها امتداداً طبيعياً لكيان ترسخ وجوده في دنيا العرب يسمونه «إسرائيل» وعلينا قبوله كجار يمكننا أن نتعاون معه!

في الصراع العربي الصهيوني حدِّث ولا حرج عن الصدمات غير المتوقعة؛ فعلى مدار الخمسين عاماً الماضية، وكما تؤكد منظمة العفو الدولية، فإن «إسرائيل» طردت آلاف الفلسطينيين عنوة من أراضيهم، التي احتلتها واستخدمتها بشكل غير قانوني في بناء مستوطنات لا يسكنها سوى مستوطنين «إسرائيليين» يهود.

وقد شُرد أبناء مجتمعات فلسطينية بأكملها بسبب هذه المستوطنات؛ حيث دُمرت منازلهم وسبل عيشهم، وفُرضت قيود على تنقلاتهم، وعلى وصولهم إلى أراضيهم ومصادر مياههم، وغير ذلك من الموارد الطبيعية، كما تعرضت هذه المجتمعات لاعتداءات عنيفة من جيش الاحتلال، ومن المستوطنين.

وفي السطور التالية، نتعرف على تلك «المستوطنات» عن قرب أكثر؛ كيف نشأت؟ وما طبيعة تطورها؟ وكيف هم ساكنوها؟ ولماذا يحرصون على الإقامة فيها؟ وما طبيعة الخط البياني لتلك المستوطنات؟ وما الذي تمثله من هموم وأزمات للمواطن الفلسطيني على مستوى حياته اليومية؟ وهل تأثرت «إسرائيل» بالقانون الدولي وما يقرره بخصوص تلك المستوطنات؟

صدمة الأرقام:

- 600 ألف.. مجموع المستوطنين اليهود الذين يعيشون على الأراضي الفلسطينية المحتلة.

- 100 ألف هكتار.. مساحة الأراضي التي استولت عليها دولة الاحتلال من الفلسطينيين منذ عام 1967م (الهكتار يساوي 100 ألف متر مربع).

- 50 ألف منزل وبناية.. مجموع المنازل والمباني التي هدمتها دولة الاحتلال في الأراضي الفلسطينية المحتلة على مدى الخمسين عاماً الماضية.

- 5 ملايين نسمة.. مجموع الفلسطينيين الذين يواجهون قيوداً يومية على تنقلاتهم بسبب انتشار هذه المستعمرات المشؤومة.

- من 95 - 99%.. نسبة القضايا التي نظرتها محاكم الاحتلال العسكرية في الضفة الغربية المحتلة، وانتهت إلى إصدار أحكام بالإدانة ضد الفلسطينيين، في حين يُحاكم المستوطنون اليهود أمام محاكم مدنية.

- صفر.. نسبة التحقيقات في شكاوى التعذيب؛ حيث لم يتم إجراء أي تحقيقات جنائية بخصوص ما يزيد على ألف شكوى من التعذيب قُدمت إلى السلطات «الإسرائيلية» منذ عام 2001م.

- أكثر من 60%.. مناطق الضفة الغربية الخاضعة بشكل كامل للحكم «الإسرائيلي».

- 13%.. مساحة مناطق القدس الشرقية التي يُسمح فيها للفلسطينيين بالبناء، وتغطي المستوطنات اليهودية نحو 35% من مساحة القدس الشرقية، وقد ضم الاحتلال القدس الشرقية رسمياً، بشكل غير قانوني، في عام 1980م.

صدمتك الأرقام إذن، وهي بالقطع صادمة، لكن الأكثر صدمة هو ما تحمله تلك الأرقام من دلالات على تفاصيل حياة الفلسطينيين اليومية، التي تحولت مع تلك الأرقام -المرشحة للزيادة قطعاً بقرار الضم الأخير- إلى جحيم لا يُطاق.

ومن الجدير بالذكر، وحسب العفو الدولية؛ فإن وجود المستوطنات على الأراضي الفلسطينية المحتلة في حد ذاته يعتبر انتهاكاً للقانون الدولي الإنساني، كما أنه يشكل جريمة حرب.

وبالرغم من قرارات عدَّة أصدرتها الأمم المتحدة، فقد واصل الاحتلال الاستيلاء على أراضي الفلسطينيين ودعم ما لا يقل عن 600 ألف مستوطن يعيشون في الضفة الغربية، بما فيها القدس الشرقية، وحتى عام 2005م كان ما يزيد على 9 آلاف مستوطن يهودي يقيمون بشكل غير قانوني في قطاع غزة.

اغتصاب للموارد

وبحسب منظمات حقوقية، فإن الكيان الصهيوني يحاول -إضافة إلى بناء مساكن ومرافق أساسية- إقامة مؤسسات تجارية دولية للإبقاء على وجوده وتوسعه.

ويعتمد هذا «المشروع الاستيطاني» على الاستيلاء بشكل غير قانوني على موارد الفلسطينيين، بما في ذلك المياه والمعادن، من أجل إنتاج بضائع تُصدر وتُباع للحصول على أرباح خاصة، حيث تُصدر بضائع من منتجات المستوطنات بمئات الملايين من الدولارات إلى دول شتى كل عام.

ومعلوم أن سلطات الاحتلال تفرض قيوداً تعسفية تجعلها تتحكم في سبل وصول الفلسطينيين إلى المياه الآمنة والنظيفة، كما أن استهلاك اليهود من المياه يعادل على الأقل أربعة أضعاف استهلاك الفلسطينيين الذين يعيشون في الأراضي الفلسطينية المحتلة.

ويرى حقوقيون أن تقييد سبل حصول الفلسطينيين على المياه، من خلال نظام تخصيص حصص المياه، لا يفي بالاحتياجات الأساسية للسكان الفلسطينيين، ولا يوفر التوزيع العادل لمصادر المياه المشتركة.

وقد أكدت العفو الدولية على موقعها، في اتهام صريح لـ «إسرائيل»، أن «مشهد حمامات السباحة، والمروج الزاخرة بالمياه، والمزارع الشاسعة المروية في المستوطنات «الإسرائيلية» المقامة على الأراضي الفلسطينية المحتلة، التي تشع خضرة حتى في ذروة موسم الجفاف، يتناقض بشكل صارخ مع المشهد في القرى الفلسطينية القاحلة والمجدبة الملاصقة لهذه المستوطنات؛ حيث يعاني سكانها أشد المعاناة من أجل الحصول على ما يكفي من المياه للاغتسال والاستحمام والطهي والتنظيف أو الشرب، ناهيك عن توفير المياه لري محاصيلهم..».

وبالطبع، فإن هذه السرقة الممنهجة للموارد يتبعها تضييق على السكان الأصليين الذين تترابط مصالحهم اليومية مع مفردات حياة المستوطنين، فعلى سبيل المثال؛ رصدت منظمات حقوقية مئات من عمليات الإغلاق التي يفرضها جيش الاحتلال في الضفة الغربية، من خلال نقاط التفتيش وحواجز الطرق، إضافة إلى تخصيصه طرقاً خاصة بالمستوطنين فقط؛ مما يجعل من أبسط الأمور اليومية للفلسطينيين، الذين يحاولون الذهاب إلى العمل أو المدارس أو المستشفيات، نوعاً من المشقة المستمرة.

وتؤكد العفو الدولية أن ادعاء سلطات الاحتلال أن الجدار/ السور الذي يمتد بطول حوالي 700 كيلومتر يهدف إلى منع الهجمات المسلحة التي يشنها فلسطينيون على دولة الاحتلال، إلا أن ذلك لا يفسر السبب في بناء حوالي 85% من هذا الجدار على الأراضي الفلسطينية، بما في ذلك أراضٍ في عمق الضفة الغربية.

وترى منظمات حقوقية أن هذا الجدار يفصل مجتمعات فلسطينية عن بعضها بعضاً، ويمزق شمل عائلات بأكملها، كما يحرم الفلسطينيين من الوصول إلى الخدمات الأساسية، ويفصل المزارعين عن أراضيهم، وغيرها من الموارد؛ مما يؤدي إلى شل الاقتصاد الفلسطيني، وبالإضافة إلى ذلك؛

نحو 5 ملايين فلسطيني يواجهون قيوداً يومية على تنقلاتهم بسبب المستوطنات

الاحتلال يفرض قيوداً تعسفية تتحكم في سبل وصول الفلسطينيين إلى المياه النظيفة

منظمة العفو الدولية



AMNESTY INTERNATIONAL

«العفو الدولية»: المستوطنات في الأراضي المحتلة انتهاك للقانون الدولي الإنساني وجريمة حرب





فإن القوانين الجائرة التي تنطوي على تمييز في جوهرها تمنع الكثيرين من القدرة على الزواج، أو السفر داخل الأراضي المحتلة، أو السفر إلى داخل كيان الاحتلال، أو العيش مع أقاربهم وأحبائهم أو حتى زيارتهم، وتنطوي هذه القيود التعسفية على تمييز، وتُعتبر منافية للقانون، ومن ثم ينبغي أن تُلغى فوراً.

وجدير بالذكر أن محكمة العدل الدولية أصدرت، في عام 2004م، رأيها الاستشاري الذي ينص على أن «إسرائيل مُلزمة بإعادة الأراضي والبساتين وكروم الزيتون وغيرها من الممتلكات الثابتة التي استولت عليها لأغراض بناء الجدار في الأراضي الفلسطينية المحتلة، وجميع دول العالم مُلزمة بعدم الاعتراف بالوضع غير القانوني الناجم عن بناء الجدار».

خط المستوطنات البياني

وتلك قصة أخرى، قصة أخرى على مستوى طبيعتهم، وما يحملونه من أفكار ومعتقدات، وعلى مستوى حالتهم الاقتصادية، ودوافعهم للبقاء على تلك الأراضي، والخط البياني لنموهم الطبيعي منذ بدأت متوالية الاغتصاب المنهجة للأرض الفلسطينية.

فهناك معطيات «إسرائيلية» رسمية عن ارتفاع ملحوظ في عدد المستوطنين بالضفة الغربية المحتلة وغور الأردن خلال عام 2019م، بعد «انخفاض مقلق» دام لنحو 6 أعوام، حيث سجل في عام 2019م ارتفاعاً بمعدل 3.4% في حجم المستوطنين في المنطقة، بحسب ما ورد في إحصائية لما يسمى «السجل السكاني ليهودا والسامرة (المسمى اليهودي للضفة الغربية) في 2019م»، ونقلته صحيفة «إسرائيل اليوم» التي أكدت أن الارتفاع وإن لم يكن كبيراً، ولكنه جميل، ففي مجلس «يشع» للمستوطنين ينسبون ذلك لوتيرة البناء السريع نسبياً في المنطقة.

وفي تحليلها لتلك المعطيات، قالت الصحيفة: «يتبين أن الارتفاع السنوي بعدد المستوطنين في عام 2019م، الذي وصل إلى 3.4% أكثر بضعفين من الارتفاع السنوي المتوسط في «إسرائيل»، الذي بلغت نسبته في بداية عام 2020م نحو 1.9%».

وأوضحت أن «الارتفاع السنوي في المناطق يشكل نهوضاً، بعد ميل الهبوط الذي بدأ في عام 2012م، حين بلغت وتيرة النمو

ارتفاع ملحوظ في عدد المستوطنين بالضفة وغور الأردن خلال عام 2019م

كثرة التجمعات المتشددة داخل المستوطنات تعود لمعتقد ديني بأن الله منحهم هذه الأرض ليعيشوا فيها

ثلث المستوطنين بالضفة من الأرثوذكس المتشددين وحجم الأسر فيها كبير وأكثر فقراً

السنوي 4.7%، كما يتبين من المعطيات أن الارتفاع في عدد النفوس في المناطق ارتفع من 12964 نسمة في عام 2018م إلى 15229 نسمة في عام 2019م».

وقالت: «في العقد الأخير، ارتفع الاستيطان في المناطق 152263 نسمة، وهذا ارتفاع نسبته أكثر من 48% في 10 سنوات، في الإجمالي، بلغ عدد المستوطنين في عام 2019م بالمناطق 463901 نسمة يسكنون في 150 مستوطنة».

حتى على مستوى الصور الفضائية، فقد أظهرت نمو المستوطنات في الأراضي الفلسطينية المحتلة بمرور الزمن، فمثلاً في عام 2004م كان يسكن في مستوطنة غيفات زئيف نحو 10 آلاف مستوطن، أما الآن فقد ارتفع عدد سكانها إلى 17 ألفاً، وتمددت هذه المستوطنة غرباً وشُيدت فيها مساكن ومراكز تسوق وكنيس.

ويتراوح حجم المستوطنات بشكل كبير، فلا يسكن بعضها إلا المئات، أما المستوطنة الأكبر حجماً ومساحة، وهي مستوطنة موديعين إليت، فيبلغ عدد سكانها نحو 73080 نسمة، فقد تضاعف عدد سكانها 3 مرات في السنوات الـ15 الأخيرة.

سكان المستوطنات

تفيد الإحصاءات الواردة من داخل الكيان المحتل التي أعدها «يينون كوهين»، و«يوسف حييم يروشالمي»، أستاذا الدراسات اليهودية والإسرائيلية في جامعة كولومبيا، أن «المستوطنة الإسرائيلية» تلد في المعدل أكثر من 7 أطفال (يذكر أن معدل الولادات في «إسرائيل» مرتفع أصلاً، إذ يبلغ 3.1 طفل لكل امرأة، بينما يبلغ المعدل في الاتحاد الأوروبي 1.58 طفل)، لكن هذا المعدل يرتفع في المستوطنات بشكل لافت؛ فمعدل الإنجاب في مستوطنة موديعين عيليت، على سبيل المثال، يتجاوز معدلات كل المدن «الإسرائيلية» والفلسطينية؛ إذ يبلغ 7.59.

أما معدل تكاثر الفلسطينيين في الضفة الغربية المحتلة، بحسب المركز الفلسطيني للإحصاء، فقد وصل إلى أدنى مستوى له على الإطلاق؛ إذ يبلغ الآن 3.2 طفل لكل امرأة، ولكن تأثير هذا الاختلاف لن يظهر إلا بعد جيل كامل.

وبعيداً عن النمو السكاني الكبير لسكان المستوطنات، فإن كثيراً منهم ينتقل إلى المستوطنات لأسباب اقتصادية، حيث إن الإعانات المقدمة من حكومة الاحتلال توفر لهم سكناً بأقل كلفة؛ وبالتالي التمتع بمستوى معيشي أفضل، بحسب منظمة «السلام الآن».

غير أن الاعتقاد الديني سبب رئيس في وجود كثير من هؤلاء داخل هذه الكيانات؛ فيعتقد بعضهم أن الله منح اليهود هذه الأرض، وعليهم الاستقرار فيها، بحسب ما جاء في كتابهم المقدس (التوراة)، وهذا ما

يفسر كثرة التجمعات المتشددة داخل تلك المستوطنات.

ومعلوم، بحسب إحصاءات المكتب المركزي «الإسرائيلي» للإحصاء والموجودة في قاعدة بيانات منظمة «السلام الآن»، أن ثلث المستوطنين في الضفة الغربية هم من الأرثوذكس المتشددين، وغالباً ما يكون حجم الأسر فيها كبيراً وأكثر فقراً، لذلك فإن مستوى المعيشة يعد عاملاً أساسياً كما أشرنا.

وبحسب منظمة «السلام الآن»، فإن المستوطنين في الضفة الغربية يتوزعون على الفئات الثلاث بالتساوي.

المستوطنات والقانون الدولي

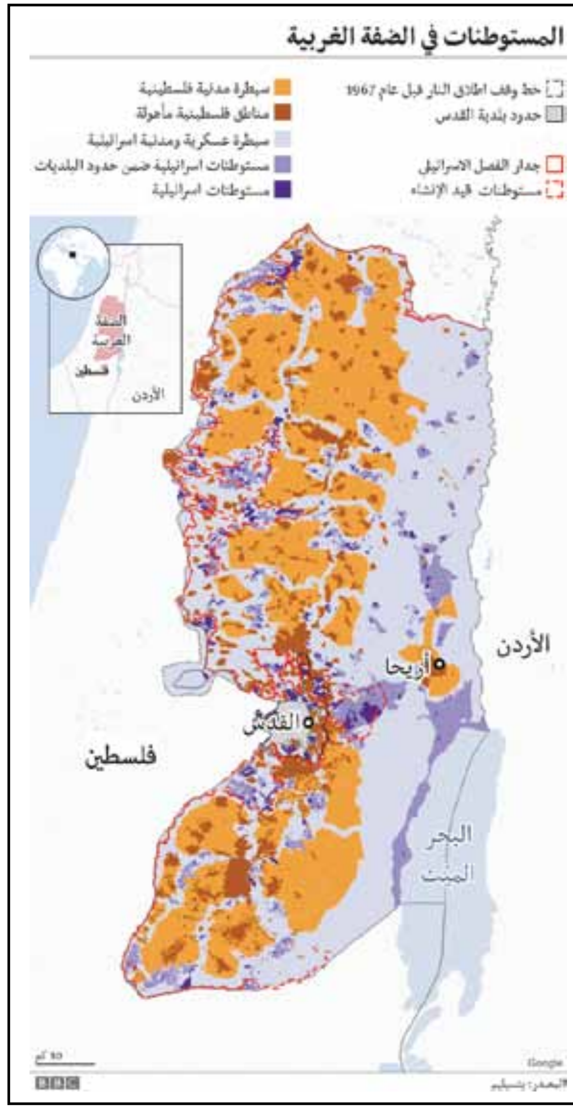
وتلك حكاية طويلة، ربما تختصرها هذه العبارة: «افعلوا ما شئتم فبغير القوة لن أتراجع».

هذه الحكاية تبدأ من عام 1917م، حيث رسمت اتفاقية «سايكس بيكو» أول الحدود الجغرافية لدولة فلسطين، لكن الأمم المتحدة التي ينبغي أن تراعي الاتفاقيات المبرمة أصدرت قراراً بالتقسيم في عام 1947م يقضي بإقامة دولة عربية وأخرى يهودية في فلسطين.

وتبعاً لذلك، تم إيجاد كيان اسمه «إسرائيل» على الخريطة بعد عام 1948م، وليت الأمر توقف عند هذا الحد، إنما صار هذا الكيان يكبر في فراغ الانشغال العربي بصورة مريبة.

فبعد حرب فلسطين كانت الهزيمة الكبرى للعرب في عام 1967م، التي قامت على إثرها دولة الكيان باحتلال الضفة الغربية وقطاع غزة وسيناء وهضبة الجولان السورية، وظل التوسع يراوح مكانه إلى أن جاءت هزيمة «أوسلو»؛ التي جرى التوقيع عليها عام 1993م، وقسمت الضفة الغربية إلى 3 مناطق («أ»، «ب»، «ج»).

وبموجب هذه الاتفاقية، تخضع مناطق «أ» لسيطرة أمنية ومدنية فلسطينية بالكامل، بينما تخضع المنطقة «ب» لسيادة مدنية فلسطينية وسيادة أمنية «إسرائيلية»، أما المنطقة «ج» فتخضع للسيطرة «الإسرائيلية» بالكامل.



وها نحن ننتظر الآن مزيداً من هذا التوسع وبمباركة أمريكية بعد الإعلان عن «صفقة القرن» التي ستشهد الضفة الغربية على إثر تنفيذها انكماشاً ضخماً يحولها إلى «كانتونات» سكانية؛ حيث تتضمن الخطة إعلان سيطرة دولة الاحتلال على 30% من الضفة الغربية ضمن المناطق التي تعرف باسم «ج»، وفق تصنيفات اتفاق أوسلو المبرم عام 1993م.

كل هذا وسط صمت دولي وعربي مطبق، اللهم إلا من بيانات الشجب والإدانة والاستنكار، وتغييب كامل لمواد القانون الدولي الذي يتغنى به العالم الحر بمنظماته الدولية!

وقد قالت منظمة العفو الدولية، في بيان لها: إن عملية «الضم» انتهاك صارخ للقانون الدولي، ولا يمكن أن يكون لها أي تأثير على الوضع القانوني للأرض، التي تظل محتلة بحكم القانون، وفي سياق الأراضي الفلسطينية المحتلة، تعني خطة «الضم» توسيع نطاق القانون «الإسرائيلي» ليشمل مناطق يُعترف بأنها محتلة، ومعاملتها كجزء من أراضي «إسرائيل».

وأكدت أن القانون الدولي واضح للغاية في هذا الشأن (الضم غير قانوني)، والواقع أن استمرار «إسرائيل» في اتباع هذه السياسة يوضح مزيداً من الاستخفاف السافر بالقانون الدولي؛ فمثل هذه السياسات لا تغير الوضع القانوني للأراضي بموجب القانون الدولي، ووضع سكانها الواقعين تحت الاحتلال، ولا تلغي مسؤوليات «إسرائيل» كسلطة احتلال، بل تشير إلى الحاجة، التي طال أمدها، من قبل المجتمع الدولي إلى وضع حد للإفلات من العقاب عن انتهاكات «إسرائيل» للقانون الدولي.

جريمة حرب

وبلغة واضحة، قالت العفو الدولية، في بيانها: إن سياسة «إسرائيل» المتمثلة في توطين مدنيِّيها في الأرض الفلسطينية المحتلة، وتشريد السكان المحليين، تتعارض مع القواعد الأساسية للقانون الإنساني الدولي.

ومعلوم أن المادة (49) من اتفاقية جنيف الرابعة تنص على ما يلي: «لا يجوز لدولة الاحتلال أن ترحِّل أو تنقل جزءاً من سكانها المدنيين إلى الأراضي التي تحتلها»، كما يحظر «النقل الجبري الجماعي أو الفردي للأشخاص المحميين أو نفيهم من الأراضي المحتلة».

ومعلوم أن إنشاء المستوطنات يتم لغرض وحيد يتمثل في إقامة «مدنيين إسرائيليين» بشكل دائم على الأراضي المحتلة؛ وهذا يعتبر جريمة حرب بموجب نظام روما الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية، ولا تؤثر عملية «الضم» على هذا التوصيف القانوني.

وفي الآونة الأخيرة، أعرب عشرات من خبراء الأمم المتحدة عن بواعث قلقهم من أن خطة «الضم» المقترحة من شأنها أن تخلق «عملية فصل عنصري في القرن الحادي والعشرين».■





خيارات الأردن في مواجهة مخططات «الضم»

في منتصف مايو الماضي، أطلق العاهل الأردني الملك عبدالله الثاني تصريحاً حول مساعي الحكومة «الإسرائيلية» ضم أجزاء من الضفة الغربية (الأغوار الأردنية ومستوطنات الضفة الغربية، وشمال البحر الميت) التي تمثل 30% من أراضي الضفة الغربية، و21% من أراضي الدولة الفلسطينية التاريخية؛ حيث صرح العاهل الأردني، لمجلة «دير شبيجل» الألمانية، أن أي خطوة باتجاه قرار الضم ستؤدي إلى صدام كبير مع الأردن، لكن:

ما طبيعة العلاقة التاريخية بين الأردن والضفة الغربية المعرضة للقضم «الإسرائيلي»؟

ولماذا يرفض الأردن قرار الضم؟

وما خيارات الأردن في مواجهة المساعي الأمريكية «الإسرائيلية» للضم؟

محمد العودات
كاتب ومحام أردني

«الضم» يمثل إنهاء لخيار الدولتين الذي جاءت معاهدة السلام الأردنية «الإسرائيلية» بناء عليه

الأردن يعمل دبلوماسياً على تأخير تنفيذ القرار تعويلاً منه على رحيل «ترمب» في الانتخابات القادمة

تهجر على إثر حرب النكبة عام 1948م وإعلان قيام الكيان الصهيوني ما يزيد على 400 ألف فلسطيني من المناطق المحتلة إلى داخل الضفة الغربية والضفة الشرقية، وقد تنادت الزعامات الفلسطينية في مؤتمر أريحا مطالبة بالوحدة بين «الضفتين» (الضفة الغربية التي استطاع الجيش الأردني أن يحتفظ بها، وتمثل 21% من أراضي الدولة الفلسطينية، والضفة الشرقية - الأردن)، بتاريخ 1950/4/24م، بعدها صدر قرار إداري غير مقنن بالوحدة، وأصبح كل فلسطيني يقيم في الضفة الغربية إقامة طبيعية أردني الجنسية، وأجريت على إثر هذا القرار انتخابات برلمانية بواقع 20 مقعداً عن كل من الضفتين بمجلس مكون من 40 نائباً، وعرض القرار على المجلس المنتخب؛ فتمت الموافقة عليه بالإجماع باستثناء عضوين ممثلين للضفة الشرقية اعترضا على وحدة الضفة الغربية مع الأردن.

واجه قرار الوحدة معارضة من جامعة الدول العربية التي أصدرت قرارها في العام نفسه، الذي جاء نصه: «المملكة الأردنية الهاشمية تعلن أن ضم الجزء الفلسطيني إليها، إنما هو إجراء اقتضته الضرورات العملية، وإنها تحتفظ بهذا الجزء وديعة تحت يدها، على أن يكون تابعاً للتسوية النهائية لقضية فلسطين عند تحرير أجزائها الأخرى بكيانها الذي كانت عليه قبل العدوان، وعلى أن تقبل في شأنه ما تقرره دول الجامعة الأخرى».

ترافق موقف جامعة الدول العربية مع صمت دولي من الوحدة، إذ لم يعترف بالوحدة على المستوى الدولي إلا باكستان وإنجلترا، وبقيت الوحدة قائمة بين الأردن والضفة الغربية حتى عام 1967م.

اول الأردن التوسط لدى الغرب لمحاولة إعادة الضفة الغربية إلى المملكة، لكنه لم يحقق شيئاً في هذا المضمار، واستمر الوضع على هذه الحال حتى صدور قرار في مؤتمر جامعة الدول العربية في الرباط بتاريخ 1974/10/26م، جاءت نتائجه بإجماع الدول العربية التي كانت ترغب في أن تكون منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني.

حينها أُسقط في يد الأردن، وبقي محجماً ومماطلاً في إعلان فك الارتباط بعد قمة الرباط حتى تاريخ 1988/7/31م؛ حيث تم الإعلان بموجب «قرار إداري» دون موافقة

مجلس النواب عليه، وقد تم حله قبل قرار فك الارتباط في العام ذاته.

جاء الإعلان بعد خروج استطلاعات للرأي تابعة للفصائل الفلسطينية وقت ذاك، أشارت إلى أن 2.5% فقط من فلسطينيي الضفة كانوا يؤيدون استمرار الوحدة مع الأردن.

لماذا يرفض الأردن «الضم»؟

يرفض الأردن قرار قضم الأغوار والمستوطنات غير الشرعية ومناطق شمال البحر الميت من قبل الكيان الصهيوني لعدة أسباب، منها:

- يمثل القرار إنهاء لخيار الدولتين الذي جاءت معاهدة السلام الأردنية «الإسرائيلية» بناء عليه.

- يحوّل قرار الضم الأراضي الفلسطينية المتبقية في الضفة الغربية إلى مقاطعات جغرافية وكانتونات معزولة تخضع للسيادة والهيمنة «الإسرائيلية»، لا تصلح لإقامة دولة مستقلة قابلة للحياة.

- يمثل القرار تهديداً للهوية الأردنية، وذلك بترحيل مزيد من الشعب الفلسطيني إلى أراضيه، وتحقيق الرؤية «الإسرائيلية» باعتبار الأردن الوطن البديل للشعب الفلسطيني، وأن الدولة الفلسطينية الموعودة هي الدولة الأردنية؛ فـ«إسرائيل» تريد من الضفة الغربية الأرض، أما الشعب فتريده أن يكون في الأردن الذي يرى في ذلك تهديداً لهويته الوطنية.

- القرار بقضم الأغوار يقطع الامتداد الجغرافي للضفة الغربية مع الأردن التي كانت تخضع للسيادة الأردنية حتى حرب عام 1967م وجزء من الدولة الأردنية حتى عام 1988م، وهذا من شأنه أن يمنع أي اتحاد فدرالي أو كونفدرالي بين الأردن والضفة الغربية بالمستقبل فيما لو قامت الدولة الفلسطينية وتم الاعتراف بها دولياً.

- يتوجس الأردن أمنياً من أن تدفق مزيد من اللاجئين الفلسطينيين المؤدلجين فصائلياً من المناطق الخاضعة للقضم إلى الأردن قد يؤثر على البيئة السياسية المستقرة للنظام في المملكة الأردنية.

خيارات الأردن

يبدو أن الأردن يعمل دبلوماسياً مع دول الاتحاد الأوروبي من أجل تأخير قرار الضم إلى حين إجراء الانتخابات الأمريكية التي

يمكن للأردن قلب الطاولة على الجميع بإعلان تحوله من الملكية الشمولية إلى الدستورية وإعادة سلطة الشعب للشعب

.. ووقف التنسيق الأمني ومحاربة الإرهاب وتأمين الحدود المترتب على اتفاقية «وادي عربة»

تُظهر فيها استطلاعات الرأي تقدماً محققاً لـ«جو بايدن»، مرشح الحزب الديمقراطي، على الرئيس الأمريكي «دونالد ترمب»، الذي منح الضوء الأخضر لرئيس وزراء الكيان «بنيامين نتنياهو» بضم أجزاء من الضفة الغربية، وعلى ما يبدو أن الأردن نجح حتى الآن في تأخير البدء بتنفيذ قرار الضم الذي كان محدداً بتاريخ 2020/7/1م وتم تأجيله إلى إشعار آخر.

لكن، ما خيارات الأردن فيما لو استمر «ترمب» في البيت الأبيض لفترة رئاسية ثانية؟

أولاً: خيارات داخلية:

- ما زال أمام الأردن فرصة كبيرة للإفلات من ضغوط أمريكا وحلفائها بخصوص قبول قرارات الضم والتسليم بها، إذ يمكن للأردن أن يقلب الطاولة على الجميع؛ بإعلان تحول الأردن من الملكية الشمولية إلى الملكية الدستورية وإعادة سلطة الشعب للشعب؛ فبمثل هذا التحول يستطيع الأردن أن يتخلص من الضغوط الخارجية فيما يتعلق بأمنه واستقراره الداخلي، فليس هناك جهاز وحزام أمني أقوى من الديمقراطية، وليس هناك خيار أفضل من صندوق الانتخاب الحر النزيه في تدعيم الاستقرار الداخلي.

ثانياً: خيارات خارجية:

الأردن ليس عاجزاً أو خالي اليد من أي أوراق ضغط يمكن أن يستخدمها في مواجهة قرارات الضم وقضم أجزاء من الضفة الغربية؛ إذ يمكن له:

- العمل الدبلوماسي مع الشركاء الأوروبيين والصين وروسيا وتركيا من أجل رفض خيار الضم، واعتماد قرارات الشرعية الدولية للضغط على «الإسرائيليين» ومن خلفهم إدارة «ترمب» التي تجاوزت كل قرارات الشرعية الدولية فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية.

- وقف التنسيق الأمني والاستخباراتي، ووقف محاربة الإرهاب وتأمين الحدود المترتب على اتفاقية السلام (اتفاقية «وادي عربة») بين الأردن و«إسرائيل»، خاصة أن الكيان الصهيوني تربطه مع الأردن أطول حدود برية تبلغ 400 كلم.

- وقف الاتصال والتمثيل الدبلوماسي بين الأردن والكيان، وسحب السفراء والبعثات الدبلوماسية.

- وقف التبادل التجاري مع الاحتلال؛ حيث يعد الأردن بوابته إلى المنطقة العربية.

- أو حتى إعادة النظر في اتفاقية السلام الأردنية «الإسرائيلية» المنعقدة عام 1994م بكاملها على طاولة الخيارات مرة أخرى أو أي أجزاء منها، وهي التي جاءت على أساس الاعتراف بإقامة الدولة الفلسطينية وحل الدولتين؛ فبوجود قرار الضم تكون اتفاقية السلام من حيث الأثر والعدم سواء.

- إعادة احتضان الفصائل الفلسطينية، وفتح مكاتب تمثيل سياسي لها فيه، وخاصة حركة «حماس» و«الجهاد الإسلامي»، كما كان يقوم به النظام الأردني سابقاً بعد عملية السلام.

- تجميد العمل باتفاقية الغاز الأردنية «الإسرائيلية» التي تضخ بموجبها «إسرائيل» 45 مليار متر مكعب من الغاز على مدار 15 عاماً بقيمة إجمالية تبلغ 15 مليار دولار.

- دعم توجه بعض الفصائل الفلسطينية في إشعال انتفاضة شعبية فلسطينية ثالثة غير مسلحة، وتقديم غطاء سياسي دولي لها كشكل من أشكال نضال الشعوب في التحرر من الاحتلال.

رغم أن الحقيبة الأردنية مليئة بالخيارات المؤثرة في تعطيل مسار قرارات الضم، فإن الأردن الرسمي بدأ وكأنه يستسلم للخيارات الأمريكية «الإسرائيلية»؛ إذ صرح رئيس الوزراء عمر الرزاز أن الأردن يقبل بحل الدولة الواحدة وإلغاء خيار الدولتين بشرط إعطاء الفلسطينيين حقوقهم في هذه الدولة، وفي ذلك مؤشرات وكأن الأردن بدأ يستسلم للأمر الواقع ويتنازل عن اللاءات السابقة التي أطلقها الأردن الرسمي وقت الإعلان عن «صفقة القرن».■



د. محمد أحمد عزب
أستاذ العقيدة المشارك بجامعة المدينة العالمية

لم تحظَ قضية دولية بسيل من التضليل والأكاذيب مثل الذي صاحب إنشاء الكيان المحتل على أرض فلسطين، ذاك أن سنوات طوالاً عاشها اليهود في ظل الحضارة الإسلامية، أمنوا على أموالهم ومقدساتهم وحرماتهم، لم تشفع هذه السنوات لأبناء هذه الحضارة أن يلقوا جزاءً مماثلاً.

الكيان الصهيوني..

وطن لقيط قام على وعي زائف

لقد تم تسخير القوى الدولية الكبرى للإسهام في إنشاء الوطن اللقيط، وسارعت دول كبرى متطوعة في عملية التوطيد والتوطين للرعايا اليهود، الذين جاؤوا مهجرين من أوطانهم بالرغبة والرهبة وافتتحوا بقدومهم عهداً امتلأ بتزييف الوعي.

لقد أخذ تزييف الوعي مسارات شتى؛ بدأت من ادعاء ملكية الأرض والإرث التاريخي لها؛ إذ زعموا أن أرض فلسطين هي أرض الميعاد التي وعدهم الرب إياها؛ تحقيقاً لما في أسفارهم، مثل ما ورد في سفر التثنية عندهم: «يطرد الرب جميع هؤلاء الشعوب من أمامكم، فترثون شعوباً أكبر وأعظم منكم، كل مكان تدوسه بطون أقدامكم يكون لكم؛ من البرية ولبنان، من النهر –نهر الفرات– إلى البحر الغربي يكون تخمكم»[1].

هذه العقيدة التي تتشابك وعقيدة المسيا أو المسيح المنتظر، التي ينتظرها اليهود والنصارى معاً، ويعملون بجد على التمهيد لها، زاعمين أن وجوده لن يتم إلا بوجود الدولة المسيطرة من النهر إلى النهر.

في مجال تزييف الوعي؛ ظهر بين المسلمين من تلقف مقولة المحتل الغادر: اليهود والعرب أبناء عمومة، ووجودهم في أرض فلسطين وجود طبيعي، ومحاولة منع هذا الوجود هو محاولة ضد طبيعة الأشياء.

وفي مجال تزييف الوعي؛ تم تصوير الجهاد الإسلامي في كل صوره –حتى تلك التي يدافع بها المسلمون عن أنفسهم– على أنه نوع من الإرهاب، وغدا من يقاوم المحتل ويدفع عن نفسه وأرضه وعرضه عُرضة للاتهام بالإرهاب والتطرف.

وفي مجال تزييف الوعي؛ رُفعت خرائط فلسطين من على منصات البحث الإلكتروني، ومُحيت كلمتها من على خرائط البث، وغدا الاعتراف بها محصوراً بين عدد من الدول، بعد أن كانت يوماً ما ركيزة الكون، ويفد إليها القاصدون من الشرق والغرب، وكانت حلقة الوصل الدائمة بين قارتين هما الأقدم في تاريخ الإنسانية.

في مجال تزييف الوعي؛ تم اختلاق عدو تلتف حوله الجموع لتتصرف من عداوتها للمحتل الغاصب للديار والمقدسات إلى عدو آخر.

فللأسف، صدَّروا للشعوب التي تم تغييب وعيها عدواً مسلماً، فأصبح الإنفاق على عداء العثمانيين، على سبيل المثال، يشمل كل ما يتعلق بهم، بداية من تأسيس دولتهم التي يتهمونها بالتصوف المغرق، مروراً بتاريخها الذي يقولون: إنه كان سبباً في تأخر المسلمين، وانتهاء بعدائها، حيث يراهم بعض المسلمين أخطر من الروس والأمريكيين، وأصبح نفر من المسلمين يتقبلون الوجود الروسي والأمريكي بل و«الإسرائيلي»، ولا يتقبلون الوجود التركي!

فمن الذي نجح في اختلاق هذا العدو الموهوم في حس الجماهير التي نسيت به احتلال «الأقصى» وتغيير هوية السكان، واحتلال التراب الفلسطيني كاملاً، وأجزاء من دول عربية مجاورة للكيان المحتل؟

وهو –لا شك– جزء ماكر من تزييف

الوعي وصرفه بعيداً عن المشروع الصهيوني.

ومن تجليات تزييف الوعي: أنهم ألقوا في روع الجماهير قصة العدو الذي لا يُغلب، والكيان الذي يملك كل أسباب النصر، وأصبح الإيمان بقوة المحتل التي لا تقبل الهزيمة هو أحد مسلمات الوعي عند بعض المسلمين، غافلين عن قوله تعالى: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذًى وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأَدُبَارَ ثُمَّ لاَ يُنصَرُونَ﴾ (آل عمران: 111)، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيّاً وَلَا نَصِيراً﴾ (الفتح: 22)، ثم الغفلة عن مسلمة النصر القرآنية: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ (آل عمران: 126).

ومن تجليات تزييف الوعي: تداول أخبار الكيان في الصحف والمكاتبات، وجعل الكيان كأنه صار حقيقة واقعة وجزءاً من تاريخ وجغرافيا المكان، فلا شك أن تداول أخبار الكيان الغاصب في مجال الحوادث والفعاليات والانتخابات نوع من أنواع تزييف الوعي لدى الجماهير، فقد غدت الجماهير تتابع بشغف نتائج انتخابات الكيان، وهكذا صار الكيان جزءاً من حالة الوعي الباطن لدى الإنسان الذي اغتصبت أرضه، وانتهكت مقدساته، فصار يفرح بولاية فلان، وانهزام فلان ممن لعن الله أجدادهم جميعاً الذي تولى والذي ولى.

ومن تجليات تزييف الوعي: التصدي لكل محاولات كشف إسفاف اليهود، وكذبهم وعداوتهم، لقد ظهر في المسلمين من يفتي بأنه لا يجوز التطاول على الكيان؛ لأنه في الحقيقة تطاول على اسم نبي من الأنبياء! بل يجب الاحترام والتقدير لـ«إسرائيل»؛ لأنه لقب يعقوب عليه السلام! وهذا كلام ساقط لا يستأهل رداً، ولا ينبغي شغل السطور بمناقشته.

لن أتحدث بطبيعة الحال عما صار يقال على ألسنة بعضهم؛ فهذه قضية تخص أصحابها ولا شأن لنا بهم، وإنما نتج هذا من تحول قضية الاغتصاب من قضية المسلمين إلى قضية العرب، ثم إلى القضية الفلسطينية، ثم إلى قضية المفاوضين.

الدور المطلوب

إن تحرير الأرض من دنس هذا الكيان الغاصب حقيقة يسلم بها المؤمنون في كل بقاع الدنيا، بل لعلها حقيقة يسلم بها الغاصبون أنفسهم، لكن هذا التحرير لا يأتي منبعثاً كالبركان، ولا يأتي خاطفاً كالزلازل، بل إن خطوات اقتلاع الكيان تبدأ من تبديد حالة الزيف الذي أصاب الوعي المسلم، فتحرير مصطلح الجهاد وفق الرؤية الإسلامية لا النعرات الجاهلية التي أصابته، وجعلته فتكاً بأبناء الأمة؛ صار ضرورة.

ومن الضرورات تنشئة الأجيال من خلال المناسبات الدينية والتربية الأسرية والمجتمعية على ضرورة العمل لاسترداد البيت من مغتصبيه، وتهجير من جاء مهاجراً مغتصباً له.

يجب تبديد حالة التهويل التي التصقت بالكيان وبقوته، فحين قامت الثورات العربية هرول اليهود نحو مصالحات شتى مع أبناء فلسطين، ثم تبددت الهرولة لما فشلت الثورات.

كما أصبح لازماً تداول تاريخ فلسطين، وجغرافيتها على شبكات التواصل الاجتماعي تذكيراً دائماً بها، وبكونها رباطاً تلتف حوله الأمة لا ينبغي التفريط فيه.

كما يجب التذكير الدائم بالمسجد الأقصى، وتأليف الروايات والقصص للأطفال حوله وحول فضائله وفضل دياره، ليظل الطفل مرتبطاً بالمكان دائماً سائلاً: فلماذا لا نذهب إليه؟

لقد نهض علماء الأجناس البشرية لمحاولة التعرف على فرية اليهود في انتسابهم ليعقوب عليه السلام، فجاء في دراسة «لوثروب ستودارد»، عالم الأجناس: إن الوثائق الموجودة لدى اليهود أنفسهم تقر بأن 82% من المنتسبين إلى الحركة الصهيونية السياسية هم من الأشكناز المدعوين باليهود، ولكنهم ليسوا ساميين، وقام أنثروبولوجي بريطاني بدراسة على يهود «إسرائيل» انتهى فيها إلى أنّ 95% من يهود اليوم ليسوا من بني إسرائيل[2].

لقد آلت القوة لهؤلاء المشردين الذين بلا أساس، فماذا حدث؟ يقول الشيخ الغزالي رحمه الله: «إن اليهود اليوم في أقوى مراحل حياتهم وأذكاها، وقد استطاعوا أن يسخّروا قوى هائلة في إقامة دولتهم «إسرائيل»، فهل شمَّ أحد رائحة التقوى والسمو في النشاط الديني الذي تقوم الصهيونية تحت رايته؟ وهل شمَّ أحد بريقاً من خير وعفة في قيام «إسرائيل» تحمل لقباً لواحد من الأنبياء؟

الواقع أن بني إسرائيل من وراء الكبوة الخطيرة التي تعانيها الإنسانية هنا وهناك، ومن الحماقة التماس هدى للعاملين في شيء عندهم»[3].

إن تبديد حالة الزيف التي أحاطت بالكيان، والسعي الحثيث في اقتلاعه من جذوره، كما بدأ؛ لهو تخليص للإنسانية كلها من شر مستطير وخطر داهم، ونار ما إن تخبُ في مكان حتى تلتهب في غيره بفعلهم، فإنهم محركو الفتن، ومشعلو القتال وتجار السلاح لكلا المتنازعين، ودورة الزمان اليوم لهم، لكنها لن تتوقف عندهم، وللنصر رجال إن لم نكن منه، فلا أقل أن نكون من صنّاعه وواضعي أساسه.■

تزييفاً للوعي رُفعت خرائط فلسطين من منصات البحث الإلكتروني ومُحيت كلمتها من خرائط البث

الإيمان بقوة المحتل التي لا تقبل الهزيمة أصبح أحد مسلمات الوعي عند بعض المسلمين

حين قامت الثورات العربية هرول اليهود نحو المصالحات مع أبناء فلسطين ثم تبددت لما فشلت الثورات

السعي الحثيث لاقتلاع الكيان من جذوره تخليص للإنسانية كلها من شر مستطير

الهوامش

(1) سفر التثنية، الإصحاح الحادي عشر، 24/23.
(2) https://samanews.ps/ar/post/417200/A.
(3) ركائز الإيمان بين العقل والقلب، ص 22.



الأسرة الفلسطينية بالضفة الغربية..
هل يُجْهز عليها قرار «الضم»؟



عاشت الأسرة الفلسطينية في الضفة الغربية معاناة قاسية وسنوات عجافاً طالت كثيراً، فيما لم يظهر حتى اللحظة ضوء في نهاية هذا النفق، فمنذ العام 1967م عندما سقطت الضفة الغربية تحت وطأة الاحتلال الصهيوني الخبيث، وقد تتابعت سلسلة من المعاناة؛ حيث تم استهداف الطفل الفلسطيني والحاضنة التربوية التي يعيش فيها من أجل صناعة جيل يقبل بالتهجير، ويتصالح مع العدو على المدى البعيد.

فاطمة عبدالرؤوف
كاتبة متخصصة بقضايا المرأة والمجتمع

تحديات المرأة الفلسطينية تتجاوز الأزمات الاقتصادية إلى العبث بعقلها من خلال المنظمات النسوية

إذا كان المجتمع الفلسطيني كله يعاني من شرور الاحتلال الصهيوني (عمالاً، وفلاحين، وطلاباً، ونخبة مثقفة)، فإن الشرور التي وقعت على الأسرة الفلسطينية هي نوع من الشرور المركبة القذرة؛ فما يقع على الأسرة من ضغوط وعنف واضطهاد يتجاوز مجموع ما يقع على كل فرد، ويتلامس بشكل واضح مع الرؤية المستقبلية للقضية.

ولقد اعتمدت آلة القمع الصهيونية على أشكال متداخلة من العنف البدني والنفسي الموجهة لتفكيك وخلخلة البنية العميقة للأسرة الفلسطينية؛ بهدف خلق أمر واقع جديد لا على الأرض فحسب، بل في شخصية الجيل القادم الذي يواجه هذا الاحتلال.

انتهاك الطفولة

لعل أبشع ما قام به العدو الصهيوني منذ أن احتل هذه الأرض المباركة هذه الانتهاكات البشعة التي قام بها تجاه الأطفال الفلسطينيين، فجعلهم يعيشون تجربة حياتية تفتقر للأمن والاستقرار النفسي، حياة تترعرع على هدم البيوت وضرب الآباء وسجنهم، حياة بها مجموعة من الخبرات الصادمة التي تترجم في صورة كوابيس ليلية مفزعة وفرط حركة وتشتت انتباه وانطوائية والتصاق بالكبار.. وغيرها كثير من المشكلات النفسية التي رصدتها المؤسسات المعنية بالأمر.

بعض من يكتبون عن الطفل الفلسطيني يكتبون كما لو لم يكن مجرد طفل بحاجة لإشباع حاجاته الأساسية، وعلى رأسها الرغبة في الأمان حتى يشب طفلاً سوياً نفسياً؛ فهو لا يولد بطلاً أو خارقاً.

على أن الأمر يتجاوز هذه القاعدة النفسية الهشة التي ينشأ عليها الطفل في ظل الاحتلال؛ حيث تفنن الاحتلال في هدم أركان شخصية هذا الطفل؛ فهو لا يريد إنساناً فلسطينياً على درجة من العلم والثقافة ذا لياقة صحية جيدة، فعمد إلى خلق بيئة تعليمية بالغة السوء تدفع الطلاب حتى في المرحلة الإلزامية للتسرب من المدرسة، ويعزز الوضع الاقتصادي المتردي للأسرة من عملية هذا التسرب؛ حيث يذهب الأطفال للعمل بالمستوطنات في ظل ظروف بالغة القسوة؛ بحيث يفتقدون مع هذا العمل المضني ليس التعليم فحسب، وإنما الصحة في سنوات النمو الثمينة؛ فأن يعمل طفل بدوام كامل لمدة 60 ساعة في الأسبوع في درجات حرارة تزيد على الأربعين كما في غور الأردن؛ لهو انتهاك غير مسبوق لحقوق هذا الطفل.

آلة القمع الصهيونية اعتمدت على أشكال متداخلة من العنف البدني والنفسي لتفكيك الأسرة الفلسطينية

وتزداد المأساة إذا أضفنا لذلك حمل الصناديق الثقيلة التي تؤثر على فقرات الظهر الغضة، أو تلك المبيدات التي ترش على المزروعات التي تسبب التهاب العين وحساسية الجلد، وتلك المعاملة المهينة التي

تحط من كرامته حتى لا يستطيع في المستقبل أن يخرج عن حدود الدور المرسوم له، بل إن هذا الدور له يد في الترويج للمخدرات بين الشباب الفلسطيني الصغير الذي ما زال في مرحلة المراهقة، والهدف من ذلك كله هو تحطيم الشخصية الفلسطينية بتحطيم مستقبلها المتمثل في هذه الطفولة الناشئة.

على أن المخطط الصهيوني لتحطيم الأسرة الفلسطينية لا يمكنه أن يتم دون استهداف النساء اللاتي يمثلن قلب الأسرة النابض بحزمة متشابكة من التحديات والعقبات؛ تبدأ من تحدي الإفقار الذي يمارس بحقها وحق أسرتها، وكثيراً ما تجد نفسها هي المعيل الأساسي للأسرة، ولأنه لا يوجد مشروعات عمل فلسطينية كافية، ولأنها قد تحصل على إعانات شحيحة للغاية أو لا تحصل على الإطلاق، وتتبخر كل الأفكار عن التمكين الاقتصادي للمرأة، فهو غير موجود إلا لمواجهة سلطة الرجل داخل الأسرة.

فالمنظمات الداعية لمثل هذه الأفكار لا تتبع إلا شروط المانحين الذين لا يعنيهم في شيء معاناة المرأة الفلسطينية على أرض الواقع ولا مساعدتها على عيشه ومواجهته؛ بل راحوا يخلقون لها مشكلات وهمية ينفقون عليها بسخاء، ومن ثم تضطر عدد غير قليل من النساء المعيلات للعمل في المستوطنات كعمالة زراعية وفي بعض الصناعات الصغيرة بل وكخادمات منزليات، كل ذلك بصورة غير قانونية لا تراعي الحد الأدنى من الأجور، وبدون أي تأمين أو تعويض، بل كثيراً ما تتعرض العاملة الفلسطينية للتحرش الجنسي من قبل المستوطنين أصحاب العمل، وللأسف يتم التكتم على مثل هذه الأمور، وتعاني الضحية في صمت لأنها تعتقد أنه لن يساعدها أحد.

على أن التحديات التي تواجه المرأة الفلسطينية في الضفة الغربية تتجاوز التحديات الاقتصادية الظاهرة للعيان؛ فالعبث بعقل وفكر المرأة هو الهدف الإستراتيجي الصهيوني، فمن خلال المنظمات النسوية الكثيرة المنتشرة التي يهبها المانحون في الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة معونات سخية، يتم الترويج للفكر النسوي بين النساء لرفض الزواج المبكر وتحديد النسل حتى لا يقاطع ذلك مسيرة المرأة العلمية والعملية، تحت زعم أن قضيتنا هي قضية كيف ونوعية لا قضية كم.

في المقابل، تشن داخل مجتمع المستوطنين حملات هستيرية تناقش الخطر الديمغرافي وأهمية الدخول في حرب الأرحام، أو كما قال الباحث الصهيوني «غاي بخور»، منذ سنوات: «علينا الفوز في حرب الأرحام مع الفلسطينيين، وذلك من خلال مشروع وطني نجند فيه رجال الدين لرفع نسبة الإنجاب رداً على التفوق العربي»[1]، وهذا ما حدث بالفعل؛ فقد استقطبت المستوطنات اليهود الأكثر تديناً، خاصة مع رخص السكن هناك، وكثير من الامتيازات؛ للحث على الإنجاب الذي تسارعت وتيرته؛ حيث إن معدل المواليد لدى المستوطنين أكثر من 7 أطفال للأسرة الواحدة، وتتميز مستوطنة موديعين عيليت بمعدل خصوبة أعلى من أي مدينة في الأراضي الفلسطينية بمتوسط 7.59 طفل لكل أسرة، وفي الوقت الحالي تنجب الأمهات الفلسطينيات بالضفة الغربية أطفالاً أقل من أي وقت مضى بمتوسط 3.2 طفل لكل أسرة، وعلى الرغم من ذلك؛ فإن تأثير هذا التباين لن يظهر قبل جيل واحد[2]، فهل حقاً انتصر الرحم اليهودي؟

ماذا بعد «الضم»؟

إذا كانت نتائج المخططات الإستراتيجية الديمغرافية لدولة الاحتلال قد لا تظهر إلا بعد جيل قادم، فإنهم لا ينتظرون في صمت حتى ذلك الوقت؛ فعملية ترويع الأهالي الفلسطينيين بغية تهجيرهم قائمة على قدم وساق؛ فعملية هدم البيوت مستمرة، حتى الخيام اقتلعوها إلى حد أن لجأ أهالي قرى بالكامل للسكن غير الآدمي في كهوف الجبال، وتحملت المرأة الفلسطينية النصيب الأكبر من العبء لتوفير الحد الأدنى الممكن للحياة في كهوف بلا كهرباء ولا ماء ولا صرف صحي، فالأمر يتجاوز شظف العيش للحياة المستمرة تحت التهديد الذي يمثله المستوطنون المسلحون قبل الذي يمثله جيش الاحتلال، وما حرق عائلة دوابشة ببعيد، حتى أزمة «كورونا» لم تُثنِ المستوطنين المصابين بالفيروس من إحراق عدد من المركبات الفلسطينية وإلقاء الحجارة على المواطنين الفلسطينيين العزل ورشهم بغاز مسيل للدموع.

على أن الضم الرسمي المزمع لغور الأردن وأجزاء واسعة من الضفة الغربية تشمل المنطقة «ج» على الأقل يحرم الأسرة الفلسطينية من حق الوجود ذاته؛ فهذه العائلات لن يتم التعامل معهم كعرب 48، بل سيسعى الاحتلال لتهجيرهم قسرياً بكل صور العنف الممكنة؛ فهو لا يطيق انتظار نتيجة التغير الديمغرافي، وربما لا يثق في استمراريته على مثل هذا النحو.

ولعلنا نذكر اقتراح «الليكود» السابق بدفع مبالغ سخية للعائلة الفلسطينية التي تهاجر من الضفة طوعاً وتترك الأرض المباركة، إلا أن قرار الضم بالقوة سيكون هو الأسوأ؛ فعلى الرغم من حرمان الفلسطينيين من كثير من الأراضي بزعم أنها أراض عسكرية، ورغم التشريد وهدم المنازل؛ فإن ذلك كله مخالف للقانون الدولي، وإذا تم تمرير هذه الخطة ضمن سياق «صفقة القرن»؛ فسوف تعيش الأسرة الفلسطينية مأساة تتشابه فصولها مع مأساة الفلسطينيين أيام نشأة كيان الاحتلال من قتل وترويع وتهجير، ومن المحتمل جداً ألا يصمت الفلسطينيون على هذه الخطة، وتندلع أعمال مقاومة مسلحة مع ما يتبع ذلك من أسر وتصفية جسدية تطال حتى الأطفال، وتنوء كواهل النساء بأعباء مسؤولية وإعالة الأسرة، أو تكون هي ذاتها هدفاً لعملية الأسر والتصفية.

مستقبل غامض ملبد بغيوم القلق والترقب ينتظر الأسرة الفلسطينية إذن في ظل حالة من التخاذل والانقسام العربي التي تعيشها أمتنا ■

أن يعمل طفل لمدة 60 ساعة أسبوعياً في حرارة تزيد على 40 درجة لهو انتهاك غير مسبوق لحقوقه

الهامشان

(1) تقرير منشور بـ«الجزيرة.نت» بعنوان «حرب الأرحام.. المرأة الإسرائيلية وهستيريا الديمغرافيا».

(2) تقرير منشور على موقع «بي بي سي» بعنوان «صفقة القرن: ما هي المستوطنات الإسرائيلية في الضفة الغربية المحتلة، ولماذا يرفضها الفلسطينيون؟»، بتاريخ 2020/1/30م.

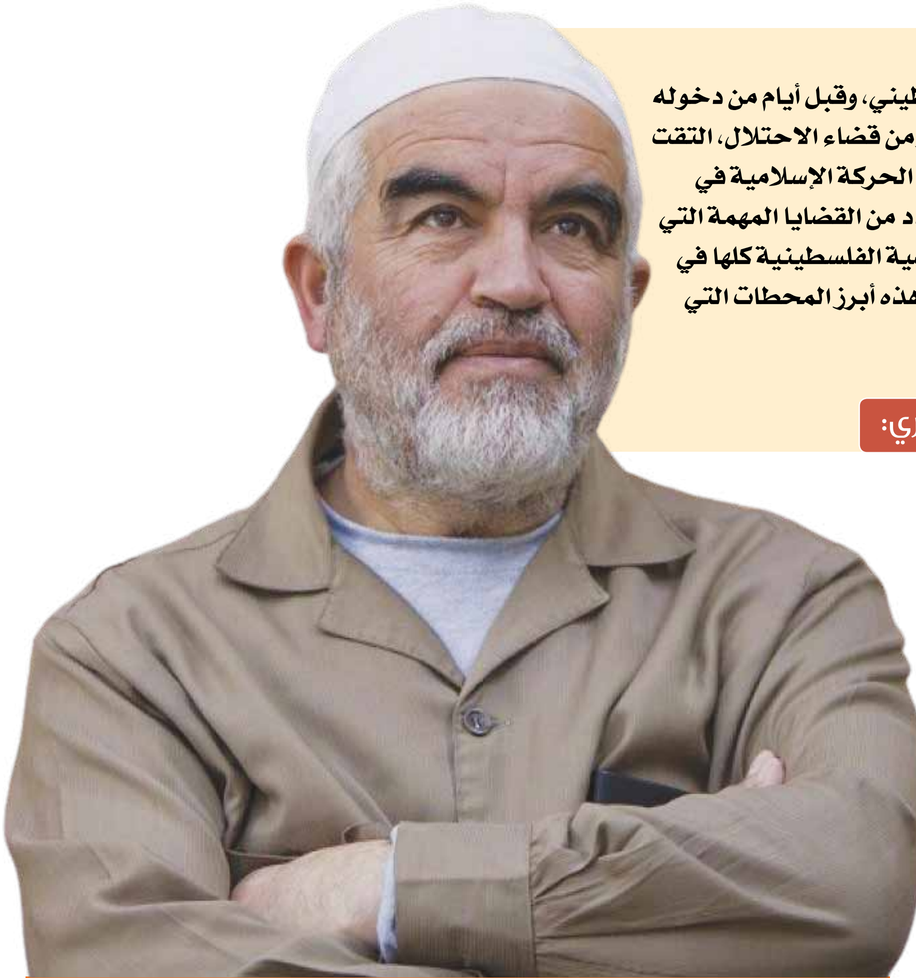


من منزله بأم الفحم وقبيل أيام من سجنه.. الشيخ رائد صلاح لـ«المجتمع»:

الاحتلال بات يستهدف كل فلسطيني أينما كان

في منزله بأم الفحم في الداخل الفلسطيني، وقبل أيام من دخوله سجن الاحتلال تنفيذاً لحكم قضائي جائر من قضاء الاحتلال، التقت «المجتمع» شيخ الأقصى رائد صلاح، رئيس الحركة الإسلامية في الأراضي المحتلة؛ حيث تجولنا معه في عدد من القضايا المهمة التي تخص القدس والمسجد الأقصى، بل والقضية الفلسطينية كلها في مرحلة مهمة ومفصلية من مراحلها، فكانت هذه أبرز المحطات التي توقفنا فيها مع الشيخ:

أم الفحم المحتلة- مصطفى صبري:



كان لا بد أن تكون البداية مع الشيخ صلاح منطلقة من الحديث عن المسجد الأقصى والقدس؛ حيث أكد ضرورة التعامل مع إستراتيجية الاحتلال في هذا المجال وعدم الانشغال ببعض الأحداث المتفرقة؛ حيث قال: أنصحُ أن نتعامل مع قضية المسجد الأقصى من خلال قراءة إستراتيجية الاحتلال «الإسرائيلي»، وليس من خلال قراءة حدث عدواني فقط، بمعنى لو سألنا أنفسنا: ما إستراتيجية الاحتلال «الإسرائيلي» في المسجد الأقصى؟

الجواب واضح؛ نجده في مقولة المشروع الصهيوني، التي أعلن عنها في القرن الثامن عشر، عندما قال: «لا قيمة لإسرائيل بدون القدس، ولا قيمة للقدس بدون الهيكل»؛ معنى ذلك أن المشروع الصهيوني قام على ثلاث خطوات؛ الأولى: إقامة كيان سياسي اسمه «إسرائيل»، وتحقق ذلك، الثانية: احتلال القدس وتحقق له ذلك، وبقيت الثالثة: إقامة الهيكل المزعوم لاكتمال تطبيق تلك الإستراتيجية.

المشروع الصهيوني قام على 3 خطوات.. إقامة «إسرائيل» ثم احتلال القدس ثم إقامة الهيكل المزعوم

الاحتلال أهوج وتصرفاته صبيانية تنم عن حالة هستيريا وكأنه يريد اختصار الزمن ليبني هيكله المزعوم

ويتبادر للذهن السؤال عن سبب عدم بناء الهيكل حتى الآن؟ والجواب واضح؛ لأن المشروع الصهيوني ومن خلال ذراعه الاحتلال «الإسرائيلي» لا يريد أن يبني هيكلاً في أي أرض؛ فهو قادر على بنائه منذ عشرات السنوات، بل يريد أن يبني هيكلاً واحداً في مكان واحد وهو مكان المسجد الأقصى المبارك، ومن هنا يجب أن نفهم أن كل اعتداء على المسجد الأقصى هو عبارة عن وسيلة في حسابات الاحتلال «الإسرائيلي» من أجل أن تقربه لإقامة الهيكل المزعوم، وهناك مجسم للهيكل في القدس، تمهيداً لإقامة الهيكل المزعوم على حساب المسجد الأقصى، وخرجت إشاعات ودندنات أنهم أعدوا كل ما يلزم للهيكل عند إقامته مكان «الأقصى» من خادمين وخزائن وألبسة وسائر الطقوس.

وأضاف الشيخ صلاح: عُمّر الاحتلال «الإسرائيلي» قصير جداً، والعمر الطويل للمسجد الأقصى المبارك، سيزول الاحتلال، وسيبقى المسجد الأقصى، هذا يعني أننا مطالبون بفهم أهداف الاحتلال؛ فهو لا

يهدف إلى فرض التقسيم الزماني أو المكاني وإغلاق باب الرحمة، فهو يعتبر كل هذه الأفعال مقدمات للوصول إلى بناء هيكل خرافي مكان المسجد.

وتابع قائلاً: لذا يجب علينا أن نؤكد في خطابنا الواضح الذي لا غموض فيه، أن المسجد الأقصى المبارك حقنا وحدنا فقط، والاحتلال «الإسرائيلي» لا يوجد له حق في ذرة تراب من الحرم القدسي الشريف.

ترجمة الشعار

وأشار إلى أن ترجمة شعار «المسجد الأقصى لنا» يكون وفق الظروف التي نعيشها ولا تخفى على أحد؛ فأهلنا بالقدس وفي الداخل الفلسطيني مطالبون يومياً بشد الرحال للمسجد الأقصى، وأن نؤدي عبادة الرباط، ونحافظ على تواصل العلاقة الدائمة والحيوية بين الأهل المقدسيين والأهل في الداخل، وهذا يشكل حامية بشرية لوجودنا في «الأقصى»، وعلينا ألا نتنازل عن خطابنا؛ وهو أن الوجود «الإسرائيلي» في المسجد الأقصى احتلالي باطل بلا سيادة وإلى زوال، إن شاء الله تعالى.

وتابع صلاح قائلاً: عندما يقوم الاحتلال بفرض سلاحه وجنوده على كل أبواب «الأقصى»؛ فهذه خطوة نحو إستراتيجيته الباطلة التي تحلم بإقامة الهيكل المزعوم، وإغلاق مبنى باب الرحمة، وتجريم الرباط في المسجد، واعتقال وإبعاد الصغير والكبير الذين يؤدون عبادة الرباط، والمساس بخطيب «الأقصى» الشيخ عكرمة صبري وفرض الإبعاد مراراً عليه؛ فهذا الاحتلال أهوج، وتصرفاته صبيانية، وتنم عن حالة هستيريا داخله، وكأنه يريد اختصار الزمن ويبني هيكله المزعوم، كون الطرف المحلي وكذلك الدولي مناسبين لتطبيق الخطوة الثالثة من إستراتيجيته المسعورة والباطلة، وأنا أجزم عقلياً وقلبياً ووجدانياً أن ذلك لن يكون؛ فهو وأحلامه السوداء إلى زوال، وقضية القدس والمسجد الأقصى هي القضية المنتصرة.

وأشار شيخ الأقصى إلى أن الهدف من تجريد الاحتلال لصلاحيات الأوقاف أصبح واضحاً، فهو يسعى إلى تجريد الأوقاف من صلاحياتها لهدفين؛ الأول: الاستفراد بالمسجد الأقصى وإدارة شؤونه منفرداً، وأن يتعامل مع المسجد كأنه لا يوجد أوقاف، كأنه صاحب القرار الوحيد، بالرغم من وثيقة «استاتيكو» التي تنص على الحفاظ على الوضع القائم، فهو يتعامل مع «استاتيكو» كأنها غير موجودة، وكأن هناك نظاماً جديداً، هكذا يتعامل الاحتلال من خلال إلغاء القديم وابتداع «استاتيكو» جديد، يكون فيها هو الآمر الناهي بعيداً عن الأوقاف، وصاحب القرار الأخير في الوضع الجديد، هذا هدفه من محاولة تجريد الأوقاف من صلاحياتها، فهو يريد تهيئة الأجواء للتدخل في شؤوننا، فإذا ظل الاحتلال «الإسرائيلي» سادراً في غيّه وتهوّره المجنون في «الأقصى»؛ فسيتدخل في قادم الأيام برفع الأذان في القدس الشريف؛ فهناك تفكير خطير مجنون، ومع ذلك ستبقى القدس هي القدس عصية على التهويد مهما كانت المخططات المرعبة وإمكانات الاحتلال، والمطلوب من أمتنا المسلمة وعالمنا العربي أن يتعاملوا مع القدس ليسوا كمتضامنين معها، فهذا لا يجوز، وهم أصحاب هذه القضية، ولا يكون تدخلهم كوسطاء، وهذا مرفوض جملة وتفصيلاً، بل المطلوب من الجميع الانتصار للقدس وللمسجد الأقصى المبارك كما تنتصر لأوطانها وللمسجد الحرام ومكة المكرمة والمدينة المنورة.

وعن الحفريات، قال صلاح: الحفريات بدأت منذ تلك الأيام السوداء الأولى في عام 1967م عندما وقع فيها المسجد الأقصى بيد الاحتلال، وبدأت عمليات الهدم لحارة المغاربة، وتواصلت الحفريات حول المسجد بلا توقف، وباعترافات الكثير من «الإسرائيليين»، وهذا يؤكد خطورة هذه الحفريات على بناء «الأقصى»، وتنذرنا بأن هذا الاعتداء بوسيلة اسمها الحفريات هي حلقة من حلقات وخطوات التمهيد لإقامة الهيكل المزعوم حسب حساباتهم الباطلة.

محاكمة ثوابت

وعن محاكمته الأخيرة، قال صلاح: هي محاكمة للقدس و«الأقصى» وفلسطين؛ فهي قامت على أساس جرأة المؤسسة «الإسرائيلية» على محاكمة ثوابتنا الإسلامية العروبية الفلسطينية، كما تجرأت المحكمة على نصوص القرآن الكريم والأحاديث النبوية، وأعطت لنفسها الحق أن تفسر هذه الآيات والأحاديث وكذلك بعض مصطلحات اللغة العربية، ففي القرآن وردت كلمة «رابطوا» والمحكمة «الإسرائيلية» جرَّمت الرباط، وهذا يعني أن المحكمة تدخلت في نصوصنا الدينية وكذلك الأحاديث النبوية؛ فعبادة الرباط مطالب بها كل مسلم بتوجيه رباني من القرآن الكريم والأحاديث النبوية، إلا أن القضاء «الإسرائيلي» أصم أذنيه كأن لم يسمع شيئاً، وحاكَم الآيات والأحاديث، وتم محاكمة الفلكلور الفلسطيني؛ فهكذا كانت أجواء محاكمتي حتى انتهت.

وأردف قائلاً: قراءتي لقرار المحكمة وطاقم المحامين أيضاً أن القرار لم يقم على أي معايير قانونية قضائية؛ ففي محكمة الصلح بحيفا نصَّب القاضي نفسه قاضياً على قضايا لا يفقه فيها؛ فهو لا يعرف شيئاً عن اللغة العربية والقرآن والأحاديث والفلكلور الفلسطيني، ومع ذلك أعطى لنفسه الحق بالبت في هذه الثوابت؛ فأي قضاء هذا؟!

وأبعد من ذلك، جاءت المحكمة المركزية في حيفا لتؤكد قرار ذلك القاضي، كما أن المحكمة قالت في ختام قرارها: إن «الذي لا يستنكر أي عملية إرهابية فهو إرهابي»؛

المسجد الأقصى المبارك حقنا وحدنا وهو باقٍ والاحتلال عمره قصير وسيزول

إذا ظل الاحتلال سادراً في غيه وتهوره فسيتدخل في قادم الأيام برفع الأذان بـ«الأقصى»

الاعتداء على «الأقصى» بالحفريات حلقة من حلقات التمهيد لإقامة الهيكل المزعوم حسب حساباتهم الباطلة

فالتجريم أيضاً للساكت، ونحن في مرحلة عجب عجاب! ويجب ألا ننكسر من أي صدمات، وعلينا بالصبر والثبات والتوكل على الله تعالى.

وعن إقرار قانون التحريض والقومية، قال صلاح: كل شعبنا الفلسطيني مستهدف بقوانين عنصرية بالاعتقال والملاحقة، وهناك المئات يحاكمون، فعلى سبيل المثال؛ الأخت الأسيرة آية الخطيب تحاكم لأنها أطعمت جائعاً وفقيراً ويتيماً، ووفرت الدواء لمريض، فهو عمل إنساني من الطراز الأول؛ فالاحتلال بات يستهدف كل فلسطيني أينما كان، فهذا جو الرعب السائد، لكن أوصي نفسي والشعب بالثبات.

وعن دخوله السجن، قال: سأدخل السجن حراً، وسأخرج منه حراً، مع أن دخولي السجن في أجواء غير مريحة، وسيكون ضمن أجواء جائحة «كورونا» التي تفشت في السجون، الأمر المقلق الذي يهدد حياة كل أسرى الحرية، ونحن نتوكل على الله في كل تفاصيل حياتنا، سأحيا بسجني في خلوة مع الله، سوف أحافظ على القراءة والكتابة والصلوات والاستغفار، وسأحيا بهذه الروح حتى يأذن الله ونعود إلى شمس الحرية.

وأضاف صلاح عن مطاردته من قبل الاحتلال: إن ظننتم أن مواصلة مطاردتكم لي ستجعلني أتخلى عن ثوابتي فهذا لن يكون، سأبقى مع ثوابتي حتى ألقى الله تعالى، وستنالون الهزيمة، وسوف أنتصر على وسائلكم.

وخاطب صلاح الأسرى قائلاً: أنتم خير شعبنا الفلسطيني، وتمثلون نبض وضمير الشعب الفلسطيني، وسيكون آخر شخص في السجن هو السجان، وستنعمون بشمس الحرية.

رسالة إلى غزة

وقال الشيخ صلاح موجهاً رسالته لأهل غزة: من أراد أن يتعلم الصبر والثبات فليتعلم من أهل غزة، ومن أراد أن يجمع بين التوكل على الله وأداء واجبه اليومي فليتعلم من أهل غزة، ونرى فيهم أن الحق لا يمكن أن يكون ضعيفاً، قد يكون أعزل لكنه لا يكون ضعيفاً، الحق لا يمكن أن يُهزم ولكن قد يُؤذى، وفي نهاية الأمر قد يخسر جولة، ولكن في نهاية الأمر هو المنتصر، وهذا ما أظنه لواقع أهلنا في غزة.



محكمة الاحتلال أعطت لنفسها الحق في تفسير الآيات القرآنية والأحاديث ومصطلحات اللغة العربية!

سأحيا بسجني في خلوة مع الله وسوف أحافظ على القراءة والكتابة والصلوات والاستغفار

من أراد أن يتعلم الصبر والثبات ويجمع بين التوكل على الله وأداء واجبه فليتعلم من أهل غزة

وإلى الرئيس التركي رجب طيب أردوغان، قال صلاح: أؤكد ما قاله فضيلة الشيخ عكرمة صبري، في بيانه التاريخي والشجاع بأن إعادة مسجد «آيا صوفيا» إلى طبيعته كمسجد أفرحت الأهل في بيت المقدس، وأفرحت الأهل في كل العالم الإسلامي.

وأؤكد ما قاله الرئيس التركي أردوغان: إن إعادة السيادة إلى مسجد «آيا صوفيا» يعد المقدمة القريبة لإعادة السيادة إلى المسجد الأقصى، عكس ما حاول أن يشيعه بعضهم وفق هواهم، كما أؤكد أن إعادة السيادة إلى مسجد «آيا صوفيا» بعد عقود من الغطرسة والعدوانية يؤكد أن الاحتلال «الإسرائيلي» سيزول بكل ما مارسه من عدوانية ولو طال الزمان، وستبقى السيادة للمسجد الأقصى المبارك قبلة المسلمين الأولى وثالث الحرمين الشريفين.

وفي رسالته الأخيرة لـ«المجتمع»، قال صلاح: مجلة «المجتمع» وجدتُ فيها المنبر الحر الإسلامي العروبي، الذي يحافظ على الانتصار لكل قضايانا على المستوى الإسلامي والعربي والفلسطيني، وما زلتُ أحمل لهم الحب والتقدير والاحترام، وجزاهم الله خيراً.

ومن خلال منبرهم أفتخر أنني أنتمي إلى أمة إسلامية وعالم عربي وشعب فلسطيني، وأحب هذا الانتماء بكل جوانبه، وأعتبر نفسي في خدمة وقضايا هموم الجميع، والخير والهمة والعطاء كل هذا موجود في كل شعوب الأمة الإسلامية والعربية والشعب الفلسطيني، وهذه الشعوب تحب القدس كما نحبها، ويحبون المسجد الأقصى وقد يكون حبهم أشد، وهم حريصون على أن تأتي أيام يصلون فيها بـ«الأقصى» بعد زوال الاحتلال، كما نتشوق نحن دائماً للصلاة فيه.

لذلك أقول: نحن منكم وأنتم منا، نحن وأنتم الجسد الذي قال عنه الرسول صلى الله عليه وسلم: «إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»؛ فاصبروا وصابروا ورابطوا، أنتم أمة الهداية، أنتم أمة الحق، أنتم أمة الحرية، والحاضر والمستقبل لنا بإذن الله تعالى.■

الواجبات الشرعية
نحو قرار ضم الضفة الغربية



د. وصفي عاشور أبو زيد
أستاذ مقاصد الشريعة الإسلامية

أعلن الكيان الصهيوني مؤخراً عزمه على اتخاذ قرار بضم أجزاء واسعة من الضفة الغربية إلى هذا الكيان، وهو ما يمثل جريمة بحق قضية فلسطين، وجوراً جديداً على حقوق الشعب الفلسطيني، واعتداء صارخاً على مقدسات الأمة المسلمة.

أقام الله تعالى الحياة على سنن وقوانين لا تبديل لها ولا تحويل ولا محاباة، ومن أهم هذه السنن سُنة التدافع، فلا حياة بدون تدافع، وبدون التدافع تفسد الأرض؛ إذ يسود الباطل ويتمكن من الأرض، وهو ما سيترتب عليه فساد في الأرض، بعدم معرفة الحق من الباطل ولا الباطل من الحق، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (البقرة: 251).

قال العلامة عبدالرحمن السعدي في تفسيرها: «أي: لولا أنه يدفع بمن يقاتل في سبيله كيد الفجار وتكالب الكفار لفسدت الأرض باستيلاء الكفار عليها وإقامتهم شعائر الكفر ومنعهم من عبادة الله تعالى، وإظهار دينه ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾؛ حيث شرع لهم الجهاد الذي فيه سعادتهم والمدافعة عنهم ومكنهم من الأرض بأسباب يعلمونها، وأسباب لا يعلمونها». (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: 109، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1421هـ/ 2000م).

ومن سُنة الله تعالى في الاحتلال أنه لا يدوم، ولا يستقر ولا يستمر، فلم يحتل عدو أرضاً على مر التاريخ إلا ووجد هبة الشعب المقاوم يدافعه ويقاتله حتى ينجلي انجلاء تاماً من الأرض التي احتلها، هكذا تحدث التاريخ ونبَّأ الواقع!

أمام هذا الإقدام على قرار ضم أجزاء من الضفة الغربية لأرض المحتل الصهيوني، فإن هناك عدة واجبات شرعية نوجزها في الآتي:

الأول: استحضار خطاب التحرير الكامل والمقاومة الشاملة:



خطة الضم الصهيونية.. وكيفية المواجهة

أحياناً -بل دائماً- يتعمد العدو إلهاء المسلمين في قضايا جزئية لينسى أصل القضية، ففي حالة فلسطين مثلاً احتل الصهاينة الأرض، ثم يجورون شيئاً فشيئاً، ويحتلون أجزاء إضافية، ويقومون باعتداءات جديدة؛ فيكون الأمل والمطلب أو الهدف هو الرجوع للحالة التي قبل الاعتداء الإضافي، ويتناسى الناس أصل الاحتلال وواجب مقاومته حتى زواله عن الأرض كلها.

فمرة يبني مستوطنات، ومرة ثانية يجعل القدس عاصمة «إسرائيل»، ومرة ثالثة يقدم على التقسيم المكاني والزماني للمسجد الأقصى، ومرة رابعة يعلن تهويد القدس، وهكذا.. فينشغل الناس بالحديث عن الاعتداء الجديد وينسون الحديث أو استحضار الحديث في الخطاب الشرعي والسياسي والقانوني عن واجب التحرير الكامل للأرض والمقدسات والأسرى والمسرى والقدس وفلسطين كاملة.

وقد أجمع المسلمون من جميع المذاهب أن العدو إذا اغتصب أرضاً وجب الجهاد على الرجل والمرأة والصغير والكبير والعبد والحر، فإن لم تتحقق الكفاية بأهل المحلة تحرك الواجب الشرعي على من يلونهم حتى تتحقق الكفاية في جهاد العدو ودحره.

فالواجب الشرعي استحضار خطاب التحرير الكامل مهما أقدم العدو على اعتداءات جديدة، ولا يجوز الانغماس الكامل في الحديث عن الجديد ونسيان الأصل، بل استحضاره والحديث عنه جنباً إلى جنب مع الاعتداءات الجديدة واجب شرعاً وعقلاً وسياسة؛ وهو ما يحيي القضية بشكل حقيقي في نفوس الأمة، ويحقق غيظ العدو وإرهابه، وهو من مقاصد المقاومة.

الثاني: توحيد الصف الفلسطيني:

ومن الواجبات المهمة أمام قرار الضم وغيره من القرارات وجهاد العدو الصهيوني عموماً هو توحيد الصف الفلسطيني، ولن يتم نصر أو أي إنجاز يذكر في قضية فلسطين ولا غيرها من قضايا الأمة إلا بتوحيد صف الشعب الفلسطيني وبخاصة فصائل المقاومة فيه، فالوحدة من واجبات الشرع عموماً، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء 92)، وتوحيد الصفوف فريضة في القتال أعلن الله تعالى في القرآن الكريم أنه يحبها، وهو حض عليها وأمر بها، قال عز شأنه: ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾ (الصف: 4)، قال ابن كثير في تفسيرها: «فَهَذَا إِخْبَارٌ مِنْهُ تَعَالَى بِمَحَبَّةِ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا اصْطَفُّوا مُوَاجِهِينَ لِأَعْدَاءِ اللَّهِ فِي حَوْمَةِ الْوَغَى، يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ، لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا، وَدِينُهُ هُوَ الظَّاهِرُ الْعَالِي عَلَى سَائِرِ الْأَدْيَانِ». (تفسير القرآن العظيم: 8/ 107، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، الطبعة الأولى، 1418هـ/ 1997م).



من واجب المقاومة شرعاً تطوير قدراتها على القتال أرضاً وجواً وبحراً بما يحقق الإثخان في العدو

على أهل الضفة التحرك لأنهم أهل المحلة الذين يتعلق بهم الوجوب العيني شرعاً حتى تتحقق الكفاية بالجهاد

وهذا الصف والتراص يجب أن يكون على الجهاد والمقاومة وليس على المهاترات السياسية والاتفاقات الزائفة التي ثبت أنها سراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً، ومن هنا فإن العدو لن يحترمنا إلا إذا كنا صفاً واحداً، يداً واحدة، كلمة واحدة، أمام صلفه المعهود، وكبره الدائم، وعدوانه المستمر، وإجرامه المتكرر.

وهذا التوحد والتراص يجب أن ينادي به العلماء ويبيّنوا وجوبه الشرعي، وتنادي به الأمة الفصائل أن تتحد وتتوحد؛ فإن في وحدتهم إغاظة للعدو، وإعطاء دفقة أمل كبيرة للعلماء أنفسهم، وبث روح تفاؤل وأمل في جموع المسلمين في كل مكان.

الثالث: تطوير إمكانات المقاومة القتالية:

نحن في عصر -وهكذا كل عصر- لا يعرف إلا لغة القوة، والقوة عندنا محفوفة بضوابط الشرع وليست طائشة أو باغية، والله تعالى يقول: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ (الأنفال: 60).

يقول العلامة جمال الدين القاسمي في كتابه «محاسن التأويل» في تفسير هذه الآية: «دَلَّتْ هَذِه الآيَةُ عَلَى وُجُوبِ إعْدادِ القُوَّةِ الحَرْبِيَّةِ، اتِّقاءَ بَأْسِ العَدُوِّ وهُجُومِه، ولَمّا عَمِلَ الأُمَراءُ بِمُقْتَضى هَذِه الآيَةِ، أيّامَ حَضارَةِ الإسْلامِ، كانَ الإسْلامُ عَزِيزاً عَظِيماً، أبِيَّ الضَّيْمِ، قَوِيَّ القَنا، جَلِيلَ الجاهِ، وفِيرَ السَّنا، إذْ نَشَرَ لِواءُ سُلْطَتِه عَلى مُنْبَسَطِ الأرْضِ، فَقَبَضَ عَلى ناصِيَةِ الأقْطارِ والأمْصارِ، وخَضَّدَ شَوْكَةَ المُسْتَبِدِّينَ الكافِرِينَ، وزَحْزَحَ سُجُوفَ الظُّلْمِ والِاسْتِعْبادِ، وعاشَ بَنُوهُ أحْقاباً مُتَتالِيَةً وهم سادَةُ الأُمَمِ، وقادَةُ مَشْعُوبٍ، وزِمامُ الحَوْلِ والطَّوْلِ وقُطْبُ رَوْحَي العِزِّ والمَجْدِ، لا يَسْتَكِينُونَ لِقُوَّةٍ، ولا يَرْهَبُونَ لِسَطْوَةٍ.

وأمّا اليَوْمَ، فَقَدْ تَرَكَ المُسْلِمُونَ العَمَلَ بِهَذِه الآيَةِ الكَرِيمَةِ، ومالُوا إلى النَّعِيمِ والتَّرَفِ فَأهْمَلُوا فَرْضاً مِن فُرُوضِ الكِفايَةِ، فَأصْبَحَتْ جَمِيعُ الأُمَّةِ آثِمَةً بِتَرْكِ هَذا الفَرْضِ ولِذا تُعانِي اليَوْمَ مِن غُصَّتِه ما تُعانِي، وكَيْفَ لا يَطْمَعُ العَدُوُّ بِالمَمالِكِ الإسْلامِيَّةِ، ولا تَرى فِيها مَعامِلَ لِلْأسْلِحَةِ، وذَخائِرَ الحَرْبِ، بَلْ كُلُّها مِمّا يُشْتَرى مِن بِلادِ العَدُوِّ؟

أما آنَ لَها أنْ تَتَنَبَّهَ مِن غَفْلَتِها، وتُنْشِئَ مَعامِلَ لِصُنْعِ المَدافِعِ والبَنادِقِ والقَذائِفِ

والذَّخائر الحَرْبيَّة؟ فَلَقَدْ أَلْقَى عَلَيْها تَنْقُصُ العَدُوِّ بَلادَها مِن أَطْرافِها دَرْساً يَجِبُ أَنْ تَتَدَبَّرَهُ، وَتَتَلافَى ما فَرَّطَتْ به قَبْلَ أَنْ يُداهِمَ ما بَقِيَ منها بِخَيْلِه ورَجِله، فَيَقْضي -والعِياذُ بِاللَّه- عَلَى الإِسْلام ومَمالك المُسْلمين، لاسْتِعْمَار الأَمْصار، واسْتِعْبَاد الأَحْرار، وَنَزْعِ الاسْتِقْلال المُؤذِنِ بالدَّمار، وَبِاللَّه الهِدايَة». (مَحاسِنِ التأويل: 3025-3026، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، طبعة عيسى البابي الحلبي، الطبعة الأولى، 1376هـ- 1957م).

ومن هنا، فإن من واجب المقاومة شرعاً تطوير قدراتها وإمكاناتها على القتال أرضاً وجواً وبحراً بما يحقق الإثخان في العدو، وإيلامه وإيجاعه، والإقدام عليه ومطاردته في كل مكان على أرض فلسطين حتى لا يجد أمامه مخرجاً إلا الجلاء الكامل وترك الأرض لأصحابها.

الرابع: تثوير الضفة الغربية:

إن الضفة الغربية وقد تعلق هذا القرار بها مباشرة، فإن الواجب الشرعي أول ما يقع إنما يقع عليهم؛ لأنهم أهل المحلة الذين يتعلق بهم الوجوب العيني شرعاً، ثم ينضم إليهم من حولهم أو تبعهم حتى تتحقق الكفاية في الجهاد القتالي إلى التحرير، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ (38) إِلاَّ تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّوهُ شَيْئاً وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (39) إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (40) انْفِرُواْ خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (التوبة).

وقد أورد شيخ المفسرين الطبري أقوالاً في معنى «خفافاً وثقالاً»، وهي: شباباً وشيوخاً، مشاغيل وغير مشاغيل، أغنياء وفقراء، نشاطاً وغير نشاط، ركباناً ومشاة، ذا ضَيْعة وغير ذي ضيعة، ثم قال: «وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أمر المؤمنين بالنَّفر لجهاد أعدائه في سبيله، خفافاً وثقالاً، وقد يدخل في «الخفاف» كلُّ من كان سهلاً عليه النفر لقوة بدنه على ذلك، وصحة جسمه وشبابه، ومن كان ذا يُسْر بمال وفراغ من الاشتغال، وقادراً على الظَّهر والركاب، ويدخل في «الثقال» كلُّ من كان بخلاف ذلك، من ضعيف الجسم وعليله وسقيمه، ومن مُعسر من المال، ومشتغل بضيعة ومعاش، ومن كان لاَ ظهرَ له ولا ركاب، والشيخ وذو السِّن والعيَال، فإذ كان قد يدخل في «الخفاف» و«الثقال» من وصفنا من أهل الصفات التي ذكرنا، ولم يكن الله جل ثناؤه خصَّ من ذلك صنفاً دون صنف في الكتاب، ولا على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم، ولا نَصَب على خصوصه دليلاً وجب أن يقال: إن الله جل ثناؤه أمر المؤمنين من أصحاب رسوله بالنفر للجهاد في سبيله خفافاً وثقالاً مع رسوله صلى الله عليه وسلم، على كل حال من أحوال الخفّة والثقل». (جامع البيان عن تأويل آي القرآن: 11/ 474. تحقيق: عبدالله التركي، طبعة هجر، القاهرة، 1422هـ/ 2001م).

ولقد آن الأوان للضفة الغربية أن «تثور» حسب استطاعتها، وتنضم لقطاع غزة وغيره في التحرير والمقاومة؛ كي يذوق هذا الاحتلال الغاصبُ وبالَ أمره، ولا تظلَّ على حالتها التي يتحكم بها الاحتلال الغاشم الذي لا يفهم إلا لغة القوة، ولا يكسره ويدحره إلا السلاح، فالواجب أن تشتعل أرض فلسطين ناراً تحت أقدام هذا العدو، ومن أمامه ومن خلفه، وعن يمينه وعن شماله حتى يندحر وينجلي عن أرضنا ومقدساتنا.

الخامس: حشد الأمة للإسهام في التضامن العام والجهاد المالي:

من الواجبات الشرعية أمام هذا القرار وتجاه القضية بصفة عامة أن تُعزز الأمةُ قضية فلسطين في نفوسها ونفوس أبنائها وأجيالها؛ رجالاً ونساء، شيباً وشباناً، أطفالاً وكباراً، بالتذكير بها، وذكر فضائلها، وبيان تاريخها، وتعظيم مقدساتها، والعمل على التضامن مع أهلها بإقامة الندوات، وعقد المؤتمرات، وإلقاء الخطب، وكتابة المقالات؛ كي تصبح القضية حاضرة دائماً لا تغيب، قوية أبداً لا تخبو.

ومن الواجبات الشرعية على الأمة الجهاد بالمال دعماً لهذا الشعب المسلوبةِ أرضُه والمغتصبة حقوقُه، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (10) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (الصف).

فهذه هي التجارة الرابحة مع الله تعالى، وقد قدم الجهاد بالمال هنا على الجهاد بالنفس، وفي آية إعداد القوة يقول تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ﴾ (الأنفال: 60)، فإن إعداد القوة لا بد له من مال، وتطوير المقاومة وتعزيز قدراتها القتالية يحتاج إلى المال، وتوحيد الشعب الفلسطيني يحتاج إلى مال، وتثوير الضفة الغربية يحتاج إلى مال، فالمال عصب الجهاد وقوته وعدته؛ ولهذا ربطه الله تعالى بالجهاد القتالي في القرآن الكريم في مواضع كثيرة، وكذلك في السُّنة النبوية، فقد أخرج البخاري بسنده عن زيد بن خالد الجهني أنَّ رَسولَ اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم قال: «مَن جَهَّزَ غازِياً في سَبِيلِ اللَّهِ فقَدْ غَزا، ومَن خَلَفَ غازِياً في سَبِيلِ اللَّهِ بخَيْرٍ فقَدْ غَزا» (صحيح البخاري، رقم: 2843).

وفي هذا الحديث بيان فضل تجهيز الغزاة، فهو بمثابة من يقوم بالغزو، وهو يشير من ناحية أخرى إلى أن تجهيز الغزاة بما يتضمنه هذا التجهيز من مال يعتبر بمثابة الغزو نفسه، وبهذا فإن دعم المرابطين في القدس، وإنفاق المال لكفالتهم، وإنفاقه كذلك لتطوير أدوات المقاومة وإمكاناتها أرضاً وجواً وبحراً لهو من أوجب الواجبات الشرعية على الأمة التي حيل بينها وبين الجهاد على أرض فلسطين بالسلاح، فيبقى المستطاعُ واجباً عليها وهو الجهاد بالمال، والميسور لا يسقط بالمعسور، والله غالب على أمره.■

لن يتم أي نصر بقضية فلسطين إلا بتوحيد صف الشعب الفلسطيني خاصة فصائل المقاومة

من الواجبات الشرعية على الأمة الجهاد بالمال لإعداد القوة وتطوير المقاومة



د. عامر الزناتي الخبير في الشأن الصهيوني لـ«المجتمع»:



مثلت قرارات «بنيامين نتنياهو»، رئيس وزراء الكيان الصهيوني، الأخيرة بضم أجزاء من الضفة الغربية وغور الأردن صدمة لبعض أولئك الحالمين بما يسمونه «السلام»، بحسبانها جزءاً أصيلاً من «صفقة القرن» التي أعلن عنها الراعي الأمريكي مطلع العام الجاري.

«صفقة القرن» وخطواتها المحسوبة بدءاً من نقل السفارة وليس انتهاء بضم أجزاء من الضفة الغربية وغور الأردن، هي أحد تجليات الضعف العربي التي يمكننا لمسه في رد الفعل المهترئ على ما يمكن وصفه بالخطوات الأخيرة لتصفية القضية.

لذا، فإن أسئلة كثيرة تثار عقب الإعلان عن قرار الضم، طرحنا بعض هذه الأسئلة على الخبير في الشأن «الإسرائيلي» أستاذ اللغة العبرية بكلية الآداب جامعة عين شمس أ.د. عامر الزناتي، في هذا الحوار.

الشجب والإدانة لا يجديان وما أُخذ بالقوة يُسترد بالقوة

حاوره- علا سليمان:

● كيف ترى قرار دولة الاحتلال الأخير بضم أجزاء من الضفة الغربية وغور الأردن، على مستوى أسبابه وتبعاته؟

- هذا القرار له عدة أسباب، لعل أهمها ما يتعلق بالحالة الداخلية «الإسرائيلية»؛ بمعنى أن «بنيامين نتنياهو» يريد الحصول على مجموعة من المكاسب تضفي لصالحه مزايا تمنع عنه الوقوع في شرك الإشكالات القانونية التي تورط فيها، وكأنه يريد لهذه المكاسب أن تكون أحد الحصون التي يلتجئ إليها هرباً من هذه القضايا.

أيضاً من أهم أسباب هذا القرار التي لا يمكننا إهمالها ما يمكن تسميته بحالة الضعف العربي الشديد الذي ربما لم يكن من قبل في تاريخ الصراع العربي الصهيوني؛ فحيثما قلّبت بصرك سترى هذا الضعف والتمزق بادياً للعيان؛ فاليمن كما ترى، والعراق كما يعرف الجميع، وسورية حدّث ولا حرج، وليبيا بالصورة التي يشاهدها الكل على شاشات الفضائيات، والسودان على هذه الكيفية من التمزق، حتى الأقطار العربية التي يمكن القول: إنها يمكن التعويل عليها تعاني أزمات داخلية وتفرض عليها ملفات لتشغلها عن هذه القضية المحورية.

فمصر مثلاً مشغولة بملف «سد النهضة»، وكذلك بحدودها الغربية مع ليبيا، والخليج العربي كاملاً لم يعد كما كان من قبل؛ السعودية منشغلة باليمن، وباقي دول الخليج تعاني من حالة الفرقة حيث هناك الحصار المفروض على قطر.. وهكذا.

هذه الحالة جعلت الاحتلال يختار اللحظة الراهنة بحنكة كبيرة كأنسب لحظة يمكنه من خلالها إعلان هذه القرارات، على أساس أن رد الفعل العربي سيكون -في أقصى مدى له- مقتصراً على بيانات الشجب والإدانة فقط، بحسبان الوضع الداخلي في كل دولة يمثل حالة من الغليان التي تشغلها عن التفكير في أي قضية خارجية.

● على المستوى الدولي، هل يعتبر وجود إدارة «دونالد ترمب» والتعويل عليه أحد أسباب اختيار توقيت الإعلان؟

- بكل تأكيد؛ فالمجتمع الدولي خاضع خضوعاً كبيراً لفكرة الضغط الذي يمارسه الرئيس الأمريكي «ترمب»، وهو بالمناسبة يحاول التمرير بهذه الطريقة منطلقاً من مصلحة شخصية في دعم اللوبي اليهودي له داخل الولايات المتحدة.

أضف إلى ذلك، من ناحية أخرى، أن فكرة «صفقة القرن» لم تنته لا بالنسبة للإدارة الأمريكية ولا للإدارة «الإسرائيلية»، الفكرة ما زالت قائمة، وبالمناسبة موضوع الضم جزء من تلك الصفقة وأحد بنودها، حتى الاختلاف على حجمه وتوقيتاته وكونه مرحلياً أو مرة واحدة كل هذا لا ينفي أنه محل اتفاق بين الطرفين.

هؤلاء يتعاملون بمنطق القوة، أما المنطق الدبلوماسي فافعل فيه ما تريد ونحن سننفذ ما نريد، القوة هي الأصل، هم لديهم القوة ليفعلوا ذلك، وأنت لا تمتلك تلك القوة وليس لك أي سهم فيها، أو بالأحرى قوتك معطلة بفعل فاعل.

وهنا أريد أن أؤكد شيئاً غاية في الأهمية؛ هؤلاء الناس لا يفكرون في اللحظة الحالية؛ لأنهم أعدوا لها منذ عشرات السنين، فضم أجزاء من الضفة وغور الأردن ليس وليد اللحظة، كل ذلك مخطط له من قديم من أجل إبعاد غزة صاحبة الكثافة



العددية الكبيرة لما تمثله من عبء على الاحتلال.

وإذا أردت دليلاً على ذلك فانظر إلى اتفاقية «أوسلو»، ليس فيها أي تحديد مطلقاً لوضعية هذه المستوطنات، حتى ما قيل عن حل توافقي باستبدالها، هو كلام عائم ليس فيه تحديد، وهذا يدل على أنهم يدركون جيداً أنهم لن يتركوها، وأن هذه الأرض كلها كما يدرّسون لأبنائهم ملك لهم، هؤلاء يختلفون عنا في طريقة التفكير التي يضعون فيها خططاً إستراتيجية لخمسين سنة قادمة، وليس خمس أو عشر سنوات.

● بمناسبة ما يدرّسونه لأبنائهم، هل ترى أن إستراتيجيتهم عقدية بحتة، أم استعمارية قائمة على التوسع، وأن الدين فيها مجرد مطية لهذا التوسع؟

- بكل تأكيد؛ الدين لديهم مطية يحاولون من خلاله إضفاء الشرعية على مسلكهم، لكنهم في الأصل صهاينة، والصهيونية حركة استعمارية توسعية تستخدم الدين فقط لكنه ليس محركها الأساسي، محركها الأساسي هو إستراتيجية التوسع، بدليل أن طوائف يهودية كثيرة ترفض هذا المسلك الصهيوني، وترى أن التوراة لم تنص عليه.

وخطورة العقلية التوسعية أنها لو استطاعت أن تصل إلى مرحلة «الكانتونات» المعروفة تاريخياً في جنوب أفريقيا ستفعلها، وستجعل العرب يعيشون فيها، وستمارس فصلاً عنصرياً قميئاً ضدهم، والدليل على ذلك أن عرب الداخل حينما حاولوا تحريك عرب النقب حركوهم بالجبر، وحدثت مشكلات كثيرة داخلية، المهم أن هذه العقلية تحاول تنفيذ ما تراه لصالح فكرة الدولة الكبرى التي تتوسع بأي ثمن، مستخدمين الدين كمطية ومسوغ لفكرة وجودهم من أساسها، وهنا يبقى السؤال قائماً: ماذا نحن فاعلون والوضع على هذه الصورة؟

● هل يمكننا أن نعوّل على انتفاضة للشعب الفلسطيني كالانتفاضات السابقة يمكنها حلحلة الوضع القائم وفرض رؤية معينة على الاحتلال؟

- يؤسفني أن أبدو متشائماً، لكنني لا أعوّل على ذلك؛ لأسباب كثيرة؛ أولاً الشعب الفلسطيني منقسم انقساماً حاداً بين «فتح» أو «منظمة التحرير» أو «السلطة» القائمة بالمعنى الصريح، وحركة «حماس» بما لها من رصيد شعبي كبير، أساساً هذا الانقسام وحده كفيل بوأد أي انتفاضة في مهدها، فالواجب أولاً إنهاء هذا الانقسام والاقتتال المكبوت، وتوحيد الرؤى، ثم الانطلاق بخطة محددة، وهذا من الصعوبة بمكان الآن، وبالمناسبة هذا ما يدركه الاحتلال إدراكاً واعياً، ولذا كما قلت من قبل؛ فإنه اختار اللحظة بحسابات شديدة الحساسية، لإدراكه أن هذا الانشغال داخل البيت الفلسطيني بخلافاته سيمنعه من التوحد ضده.

أكرر وأقول: نحن في مصر وعالمنا العربي مثلاً أقصى خطط موضوعة الآن هي عام 2030م، لكن في دولة الاحتلال عام 2050م انتهى ويفكرون فيما بعده، الناس يفكرون لنصف قرن إلى الأمام وليس لعشرة أو عشرين عاماً.

العقلية الغربية الإستراتيجية هي التي تحكم «إسرائيل»، والفكر الإستراتيجي الغربي هو ما يسيطر على مقاليد الأمور هناك، فـ«إسرائيل» في النهاية بؤرة استعمارية صنعها الغرب داخل الجسد العربي، هذا جانب يمنع للأسف من التعويل على انتفاضة فلسطينية، جانب آخر مهم يجب وضعه في الحسبان؛ وهو ما حدث في مسيرات «حق العودة»، وما حدث في مستوطنات غلاف غزة وغيرها وشدة التنكيل، كلها أمور ستجعل من الانتفاضة بالطريقة المعروفة مخاطرة شديدة.

عباس ليس كعرفات وغياب رمزية للبيت الفلسطيني أحد أسباب عدم التوافق

الاحتلال يدرك جيداً اللحظة الراهنة بما فيها من ضعف عربي وانقسام فلسطيني ولهذا قرر استغلالها

لذا، فإن أي تفكير في حراك من هذا النوع يجب أن يتم التخطيط له بتركيز وحذر شديدين، فالفلسطينيون قد عانوا معاناة شديدة، وهم يريدون ولا يألون جهداً في تحرير أرضهم، لكن أيديهم مغلولة؛ لذا يجب أن يتم التخطيط لحراكهم بحرص شديد تجنباً لمزيد من الخسائر.

● على ذكر التوافق وترميم البيت الفلسطيني، هل ترى أن غياب الرمزية الجامعة (نموذج عرفات مثلاً) هو أحد تلك الأسباب؟

- بالطبع نعم؛ محمود عباس لن يكون ياسر عرفات، فعباس لا يملك التاريخ ولا الكاريزما العرفاتية، عرفات كان رمزاً مقاوماً، ولذلك كان قادراً في وقت ما أن يجمع البيت الفلسطيني، وغيابه أوجد فراغاً لم ولن يستطع عباس أن يملأه؛ لذلك، أوصي أولاً بإعادة ترتيب البيت العربي، ثم إعادة ترتيب البيت الفلسطيني، إن كنا جادين حقيقة في الوقوف أمام مثل تلك القرارات من الاحتلال التي لن تكون الأخيرة.■



د. سعيد الحاج
محلل سياسي مختص بالشأن التركي

«آيا صوفيا» يعود مسجداً

بعد عشرات السنين من المطالبات والانتظار، أصدر مجلس الدولة التركي، في العاشر من يوليو الماضي، قراره حول الدعوى المرفوعة بخصوص «آيا صوفيا»، بإلغاء قرار المجلس الوزاري، المتخذ عام 1934م، بتحويل المسجد إلى متحف، القرار القضائي فتح الباب أمام إعادة المبنى مسجداً مرة أخرى، وهو ما فعله الرئيس أردوغان دون إبطاء، بإصدار مرسوم رئاسي بإلحاقه برئاسة الشؤون الدينية وفتحه للعبادة.

الرمزية الدينية مؤثرة في المخيال التركي لا سيما مع ربطها بحديث الرسول بخصوص فاتح القسطنطينية وجيشه

إعادة «آيا صوفيا» مسجداً يخدم سردية «الجمهورية الثانية» وفكرة السيادة التركية على أراضيها واستقلالية قرارها

يكتنز مبنى «آيا صوفيا» رمزيات دينية وحضارية وتاريخية، بل وأيديولوجية عميقة ومتداخلة؛ فقد كان المبنى رمزاً للإمبراطورية البيزنطية والعالم المسيحي الأرثوذكسي، وكان مركز إدارة الحرب مع الدولة العثمانية في القرن الخامس عشر، ولذلك عامله السلطان محمد الفاتح كمقر سيادي وسياسي أكثر منه كنيسة للعبادة، فحوَّله إلى مسجد مع الحفاظ على آثاره المسيحية، كأحد دلائل الانتصار والسيادة وتغير مجرى التاريخ في المنطقة لصالح الدولة العثمانية.

بقي المبنى مسجداً منذ عام 1453 وحتى 1934م؛ أي على مدى خمسة قرون تقريباً، قبل أن يغيره قرار المجلس الوزاري إلى متحف، تناغماً مع سياسات الجمهورية التركية الوليدة في عهد مصطفى كمال أتاتورك، التي كانت تسعى حثيثاً نحو العلمنة والتغريب في سياساتها الداخلية، وكذلك الانضمام للكتلة الغربية خارجياً ودولياً.

ولذلك، فللمبنى والقضية ثلاث ثنائيات متواجهة ومتناقضة من الرمزيات:

أولاها: مرتبطة بالبعد الديني أو الإسلامي – البيزنطي والصراع الممتد بينهما على مدى قرون طويلة بدءاً من فترة الخلفاء الراشدين، بل منذ العهد النبوي المتأخر، وحتى فتح القسطنطينية عام 1453م، ولا شك أن الرمزية الدينية مهمة ومؤثرة في المخيال التركي، لا سيما مع ربطها بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم بخصوص فاتح القسطنطينية وجيش فتحها.

والثانية: متعلقة بالبعد القومي، أو العثماني – الرومي، الذي تقوى كثيراً في السنوات القليلة الأخيرة مع ارتفاع منسوب الشعور القومي في تركيا، وإعادة الاعتبار نسبياً للدولة العثمانية، وقبول فكرة أن الجمهورية التركية الحالية امتداد لها، وهو شعور يتغذى، ولا شك، على تاريخ العلاقات التركية – اليونانية المضطرب وحاضرها المتوتر بسبب عدة ملفات متفجرة، في مقدمتها القضية القبرصية وجزر بحر إيجه وغاز شرق المتوسط.

والثالثة: لها ارتباط وثيق بالثنائية العلمانية – الإسلامية أو المحافظة في تركيا، فإن كان تحويل مسجد «آيا صوفيا» تم في ظل سياسات العلمنة وفي عهد أتاتورك، فإن إعادته مسجداً تمت في عهد أردوغان والعدالة والتنمية، بما يخدم سردية «الجمهورية الثانية» التي يسعى لها الحزب وفق أنصاره، وكذلك فكرة السيادة التركية على أراضيها واستقلالية قرارها.

ولعله من المهم في سياق هذه الثنائيات ملاحظة أنها متداخلة ومتفاعلة إلى حد كبير، لا سيما أن القومية في تركيا؛ شعوراً وخطاباً وتيارات، متصالحة مع الثقافة





الدينية للشعب، بل تعتبر الدين الإسلامي أحد روافدها، كما أن الثنائيات المذكورة تفسر لماذا كانت الشريحة المحافظة هي الأكثر مطالبة بإعادة «آيا صوفيا» مسجداً عبر العقود الماضية، ولماذا انضمت لها الشريحة القومية مؤخراً بشكل معلن وملحوظ، كما يتضح من مواقف حزب الحركة القومية المتحالف مع العدالة والتنمية، والحزب الجيد المعارض له.

المسار القضائي

القرار القضائي الأخير ختم مساراً طويلاً من المطالبات والقضايا المرفوعة في هذا الإطار، التي كرَّست نفسها لها جمعية تركية اسمها «جمعية الأوقاف الدائمة وخدمة الآثار التاريخية والبيئة»؛ حيث بدأت الجمعية أولاً بتقديم طلب للحكومة عام 2004م، لكنها لم تحصل على رد؛ ما عني ضمناً أن طلبها رفض، فلجأت للقضاء.

في عام 2005م، تقدمت الجمعية بشكوى أمام الدائرة العاشرة في مجلس الدولة لإلغاء قرار مجلس الوزراء الصادر عام 1934م بتحويل المبنى من مسجد إلى متحف، إلا أن القرار صدر عام 2008م بالرفض، فاستأنفت الجمعية أمام محكمة أعلى في نفس العام ليصدر القرار عام 2012م بتثبيت الحكم السابق، ليبقى المبنى متحفاً.

أعادت الجمعية الكرة عام 2016م أمام الدائرة العاشرة لمجلس الدولة، لإلغاء القرار بعدة مسوغات من ضمنها التشكيك بصحة توقيع أتاتورك على القرار المذكور، وهي القضية التي صدر القرار أخيراً بخصوصها بإجماع كافة القضاة الأعضاء بإلغاء القرار السابق، وبالتالي عودة المبنى لأن يكون مسجداً ووقفاً.

يتضح مما سبق، أن حزب العدالة والتنمية لم يكن متحمساً لإعادة المسجد خلال السنوات القليلة الماضية، رغم أن أردوغان كان قد وعد بذلك حين كان رئيساً لبلدية إسطنبول الكبرى في تسعينيات القرن الماضي، تحسباً لردود الفعل الداخلية والخارجية على قرار من هذا القبيل، ويتضح ذلك جلياً من عدم تجاوبها مع الأمر كحكومة عام 2004م، وكذلك باعتبارها الطرف «المدعى عليه» في القضايا التي رفعتها الجمعية أمام مجلس الدولة حيث كانت تدافع عن فوائد إبقائه متحفاً.

أكثر من ذلك، كان الرفض هو موقف أردوغان حتى قبل سنة وثلاثة أشهر من الآن؛ ما يعني أن التغير في موقفه وموقف حزبه مبني على بعض المتغيرات المهمة؛ خارجياً وداخلياً، الأخير تحديداً كان أكثر ثقلاً في المعادلة فيما يبدو، وله علاقة بدعم حزب الحركة القومية للأمر من جهة، وتأسيس أحزاب جديدة من رحم العدالة والتنمية مؤخراً من جهة أخرى؛ حيث يحاول الحزب اليوم جاهداً عدم خسارة بعض أصوات الشريحة المحافظة لصالحها.

خارجياً، كذلك، باتت فرص العدالة والتنمية في عضوية الاتحاد الأوروبي اليوم أضعف بكثير مقارنة مع سنوات حكم العدالة والتنمية الأولى، وازدادت التوترات معه ومع اليونان بخصوص القضية القبرصية وغاز شرق المتوسط وغيرها من الملفات، فضلاً عن المتغيرات الكبيرة في نظرة تركيا لنفسها ودورها ومشروعها الإقليمي وبوصلة سياستها الخارجية في السنوات القليلة الأخيرة، ومن ضمن ذلك علاقاتها مع كل من الولايات المتحدة وروسيا وحلف شمال الأطلسي.

وبغض النظر عن الأسباب والسياقات، يبقى القرار تاريخياً كما وصفته الصحافة التركية على مدى أيام طويلة، وله رمزيته ودلالاته وستكون له تبعات بدرجة أو بأخرى.

ففي المقام الأول، ثمة دلالات رمزية ودينية وحضارية وتاريخية كثيرة مشبّعٌ بها القرار، ولذلك استفز الأخير مواقف منددة و/أو متحفظة من اليونان وروسيا ومنظمة «اليونسكو» وبعض الأطراف الأخرى، لكنها مواقف متوقعة وغير مؤثرة على أنقرة ولا على العلاقات الثنائية، في حالة روسيا مثلاً.

في المقابل، سيذكر الشعب التركي لأردوغان أنه هو من عاد «آيا صوفيا» مسجداً في عهده، مقابل أتاتورك الذي كان تحول إلى متحف في عهده، وهي رمزية حاضرة وبقوة، وعكستها بعض المقالات وحتى رسومات الكاريكاتير التركية التي أظهرت محمد الفاتح سعيداً وفخوراً بـ«حفيده» أردوغان، وقد عبر الأخير عن ذلك صراحة حين قال: إنه يحمد الله أن صدر هذا القرار خلال رئاسته.

ولذا، فإنه من المتوقع ارتفاع شعبية أردوغان بعد هذا القرار داخلياً، لا سيما أنه حظي بإجماع ملحوظ، لدرجة أن المعارضة التقليدية المتمثلة بحزب الشعب الجمهوري التزمت الصمت ولم تنتقد القرار، بينما أكد بعض قياداتها حق تركيا السيادي في القرار رافضاً الضغوط الخارجية.

وهكذا، عاد «آيا صوفيا» مسجداً بعد هذه الرحلة التاريخية الطويلة، وصليت فيه صلاة الجمعة الأولى في الرابع والعشرين من يوليو الماضي، من جهة أخرى؛ أكدت أنقرة احترام التراث المسيحي والإنساني في المبنى –كما حصل دائماً على مدى القرون السابقة– والحفاظ عليه، وهو أمر يمكنه مع الوقت خفض مستوى الاعتراضات والانتقادات الخارجية، لا سيما من «اليونسكو».■



حول تطورات قضية «سد النهضة» الإثيوبي وتأثيره على مصر، وتغير موازين القوى في المنطقة، وأوضاع مصر في القارة الأفريقية بشكل عام، وإدارتها لملف السد بشكل خاص، وموقف السودان تجاه قضية مياه النيل، والأوراق الدبلوماسية والخيارات العسكرية في قضية السد؛ أجرت «المجتمع» هذا الحوار مع د. عصام عبدالشافي، مدير المعهد المصري للدراسات السياسية والإستراتيجية، أستاذ العلوم السياسية والعلاقات الدولية بجامعة صقاريا التركية.

د. عصام عبدالشافي مدير المعهد المصري للدراسات السياسية والإستراتيجية لـ«المجتمع»:

قضية المياه كارثة تهددٍ أي نظام سياسي يأتي في مصر مستقبلاً

حوار- روضة عبدالغفار:
صحفية متخصصة في الشأن الأفريقي

• برؤيتك للموقف الإثيوبي، هل ينجح الاتحاد الأفريقي ومجلس الأمن بإلزام إثيوبيا باتفاق شامل، والنجاح فيما فشلت به واشنطن؟

- لا أعتقد أن ذلك أصبح ممكناً الآن؛ لأن إثيوبيا انتهت بالفعل من الجزء الأكبر من مشروع «سد النهضة»، كما أنها قد تكون بدأت الآن في عملية الملء للتشغيل؛ وبالتالي أمر السد أصبح واقعاً لا مفر منه، إلا إذا حدثت اعتبارات أخرى خارجة مثل عمل عسكري، لكن وقف المشروع من خلال المفاوضات أصبح مستحيلاً تقريباً.

• لِمَ لمْ تلجأ مصر للاتحاد الأفريقي ورغبتَ بـ«تدويل» القضية من البداية؟

- هناك خلل كبير في مفهوم «التدويل»؛ لأن القضية منذ بدايتها قضية دولية، لأنها بين مجموعة من الأطراف كل منهم يتمتع بسيادة دولية وقانونية على أراضيه وحدوده، وبالتالي هي قضية دولية، ولكن مصر منذ عام 2015م بعد التوقيع على «إعلان المبادئ»، دخلت في مفاوضات لمدة 5 سنوات لم تنجح خلالها؛ رغم أن مصر كانت ترأس الاتحاد الأفريقي عام 2019م، لكن فشل الاتحاد في التعامل مع الأزمة، وفشلت السياسة الخارجية المصرية في التعاطي بفاعلية مع الأزمة عبر المنظمات الإقليمية، بل إنه عندما لجأت مصر إلى جامعة الدول العربية سارعت إثيوبيا أيضاً بتوجيه الاتهامات لمصر، والحديث عن أن هناك عرباً في مواجهة أفارقة، ولذلك صارت أزمة داخلية.

> **توقيع مصر على «المبادئ» عام 2015م أعطى شرعية للسد مكنت إثيوبيا من اللجوء للمنظمات التمويلية الدولية**

> **موقف السودان المضطرب ينبع من التحولات السياسية وغياب الرؤية والخشية من التدخلات الإثيوبية**

أيضاً من المهم الإشارة إلى أن اللجوء إلى مجلس الأمن لا يعني بأي حال من الأحوال أن الاتحاد الأفريقي يجب أن يعترض أو يتحفظ على مناقشة هذه الأزمة؛ لأن مجلس الأمن من صلاحياته أن يحيل الأزمة إلى المنظمات الإقليمية، ومنها الاتحاد الأفريقي، كما أن ذلك لا يلغي دور مجلس الأمن في مناقشة الأزمة في أي وقت من الأوقات، والتدخل في إدارتها في أي مرحلة من المراحل، ومع أي طرف من الأطراف التي تلجأ إليه؛ لأن المادة (54) من ميثاق الأمم المتحدة تنص على أن قيام المنظمات الإقليمية بالنظر في النزاعات الدولية لا يلغي اللجوء لمجلس الأمن، ولا يلغي دور مجلس الأمن بإدارة هذه الأزمات.

• لماذا تتعثر مصر في إدارة هذا الملف المصيري؟

- تعثرت لعدة اعتبارات، أبرزها الخطأ الكبير بالتوقيع على «اتفاق المبادئ»، في 23 مارس 2015م، الذي أعطى شرعية لمشروع السد، هذه الشرعية هي التي مكّنت إثيوبيا من اللجوء إلى المنظمات التمويلية الدولية مثل البنك الدولي للحصول على

مساعدات كبيرة، بجانب أنها توسعت في التواصل مع عدد من الأطراف الإقليمية والدولية للحصول على المزيد من الدعم.

● بعد تصريح السودان أنه أول المستفيدين من السد، كيف ترى موقفه؟

- موقف السودان المضطرب ينبع بدرجة أساسية من التحولات السياسية التي شهدها في السنوات الخمس الأخيرة، وما تعرض له من سقوط نظام عمر البشير؛ حيث إنه في عهد البشير الذي شهد توقيع «إعلان المبادئ» عام 2015م، كان السودان يرتبط بعلاقات سلبية مع مصر عام 2013م، وهناك خلافات سياسية بين الطرفين.

وبعد التحولات السياسية التي شهدها السودان عامي 2018 و2019م، وسقوط نظام البشير، اختلفت الأوضاع، وأصبح السودان يناور أيضاً باستخدام ملف «سد النهضة» بشكل لا يستطيع فيه حسم موقفه؛ هل هو وسيط، أم طرف متضرر باعتبار السودان دولة مصب!

فغياب الرؤية عند السياسيين السودانيين وخوفهم من التدخلات الإثيوبية في مناطق شرق السودان وجنوبه، وخوفهم أيضاً من تدخلات مصر في شمال السودان؛ هو ما يقف وراء هذا الموقف المضطرب.

الإشكال الآخر أن هناك فجوة حقيقية بين آراء ومواقف سياسيين في السودان، ومواقف الخبراء السودانيين، وتحديداً عدد من المهندسين وأساتذة القانون الدولي السوداني، الذين يؤكدون أن «سد النهضة» يشكل كارثة حقيقية للسودان، وقد وضحت هذه الآثار فعلياً بعد قيام إثيوبيا بالملء المبدئي للسد.

● من الواضح أن هناك تغيراً في موازين القوى داخل القارة الأفريقية، كيف ترى تأثير هذا التغير على مصر عموماً، وإدارتها لملف السد خصوصاً؟

- هناك تغير حقيقي في موازين القوى بالفعل، هناك صعود كبير في دور إثيوبيا خلال السنوات العشر الأخيرة في شرق القارة الأفريقية، هذا الصعود لا يرتبط فقط بمشروع السد، لكن بمعدلات نمو اقتصادي عالية، وبالاهتمام الكبير بالبنية التحتية في الدولة الإثيوبية، بتغير في أوضاعها السياسية بدرجة كبيرة، وبدخول عدد من القوى الدولية والإقليمية لتوفير الدعم الكبير لإثيوبيا وللاستثمار بها، وهذا ما انعكس على مكانتها في شرق القارة الأفريقية، وأصبح يُنظر إليها على أنها تُشكل أحد النمور الأفريقية القادمة من الناحية الاقتصادية.

في المقابل، مصر منذ عام 2013م فقدت دورها الأساسي داخل القارة الأفريقية، وهو ما انعكس على فشلها في إدارة ملف «سد النهضة»، ليس فقط بعد توقيع «إعلان المبادئ» في عام 2015م، ولكن منذ عام 2011م عندما بدأت إثيوبيا في تشييد السد، في الوقت الذي كان المجلس العسكري هو المسؤول عن إدارة شؤون البلاد بعد ثورة 25 يناير.

● ما الأوراق الدبلوماسية التي تمتلكها القاهرة للضغط على أديس أبابا، بعد التصعيد الأخير لمجلس الأمن؟

- هناك عدة أوراق دبلوماسية وإجراءات تصعيدية؛ منها إعلان إلغاء الالتزام بـ«اتفاق المبادئ» عام 2015م، على أن تستند في ذلك إلى الخروقات الكبيرة التي قام بها الجانب الإثيوبي سواء في عملية التفاوض أو التشغيل، أو لعدم التزامه بتقارير اللجان الدولية، كما يمكن فرض نوع من العقوبات السياسية والاقتصادية مثل سحب السفير، أو التهديد بقطع العلاقات السياسية، والتهديد بقطع التبادل التجاري والعلاقات الاقتصادية، وكذلك ورقة شركات الطيران الإثيوبية وإمكانية استخدامها للمجال الجوي المصري.

هناك صعود في دور إثيوبيا بالسنوات الأخيرة شرق أفريقيا في مقابل تراجع الدور المصري

يجب عدم طرح الخيار العسكري في التعامل مع السد لأن العلاقات بين مصر إثيوبيا إستراتيجية

د. عصام عبدالشافي.. في سطور

- **حصل على الدكتوراه في فلسفة العلاقات الدولية من جامعة القاهرة عام 2009م.**
- **مدير المعهد المصري للدراسات السياسية والإستراتيجية.**
- **أستاذ العلوم السياسية والعلاقات الدولية بجامعة صقاريا التركية.**
- **مؤسس ورئيس أكاديمية العلاقات الدولية في إسطنبول.**
- **باحث بمركز الجزيرة للدراسات في قطر، ومركز التميز للاستشارات والتدريب في الكويت.**
- **له أبحاث ومؤلفات عديدة، منها: «السياسة الأمريكية والثورة المصرية»، «الإدارة الكويتية للأزمة العراقية 2003م»، «البعد الديني في العلاقات الدولية.. الماهية والتأثير»، «المسلمون في أمريكا بحثاً عن الدور»، «الدين والسياسة في أمريكا»، «أفريقيا في الإستراتيجية الأمريكية».■**

كما أن المزيد من التنسيق السياسي والإستراتيجي مع الدول الداعمة لمشروع «سد النهضة»، يمكن أن يشكل ورقة من أوراق الضغط، وأيضاً التأثيرات السلبية للسياسة الإثيوبية في المنطقة سواء في الصومال أو السودان أو إريتريا يمكن أن يشكل أوراق ضغط للجانب المصري، بتعزيز علاقاتها مع دول الجوار الإثيوبي.

● كيف ترى الخيار العسكري لحسم القضية؟

- من الأمور المهمة التأكيد على أن العلاقات بين الدولتين؛ مصر وإثيوبيا، والشعبين كذلك، هي علاقات تاريخية وإستراتيجية، ولا يجوز المساس بها، لذلك يجب عدم طرح الخيار العسكري في التعامل مع مشروع «سد النهضة»؛ لأن هذا المشروع أصبح مشروعاً وطنياً وقومياً إثيوبياً، وتهديده أو استهدافه يمكن أن يؤثر في العلاقات التاريخية؛ لأن في النهاية إثيوبيا ترتبط بمصر والسودان ارتباطاً إستراتيجياً، وقضية المياه هي قضية أمن قومي للدولة المصرية بغض النظر عن طبيعة النظام الحاكم في مصر.■



الرباط - عبدالغني بلوط:

إصرار المغرب على إجراء الانتخابات في موعدها رغم الجائحة.. دلالات ورهانات

لأول مرة في المغرب وإبان الدستور الجديد، يصادف إجراء الانتخابات البرلمانية المفضية إلى تشكيل الحكومة، وتتصادف كذلك مع جائحة عالمية غير مسبوقة أحدثت رجة عميقة في كل بُنى المجتمع، وأثرت على السياسة والاقتصاد والصحة والتعليم وغير ذلك.

في ظل أزمة «كورونا» التي يمر بها المغرب، والعالم أجمع، ذهب متتبعون إلى إمكانية تأجيل الانتخابات البرلمانية إلى حين التعافي من الأزمة، وظهور المعالم الكبرى للنموذج التنموي الجديد الذي يشرف على إعداده نخبة من الخبراء، وأيضاً اتقاء احتمال نسبة مشاركة متدنية للمواطنين، مع إجرائها منفصلة تأسياً بما كان يحدث في الماضي؛ حيث كانت انتخابات مجالس الجهات والمدن بمثابة جس نبض الشارع، توفر للفاعلين في السياسة الفرصة لترتيب الأوراق قبل خوض الانتخابات التشريعية.

لكن الدولة أعلنت عن إجراء الانتخابات جميعها عام 2021م، في موعدها المحدد؛ مما أرسل إشارات ورسائل متعددة للداخل والخارج، وأعطى للقرار دلالات قوية، كما طرح الأمر رهانات متشابكة.

وعملت الحكومة على عقد اجتماعات للتشاور مع الأحزاب حول هذه الانتخابات سواء الممثلة في البرلمان أو غير الممثلة، وانتظر الجميع خطاب وزير الداخلية أخيراً، الذي أكد حرص الدولة على إجراء الانتخابات في موعدها، التزاماً بالآجال الدستورية؛ وهو ما جعل البعض يذهب إلى القول: إن الموقف الحكومي انتصر للاختيار

مراقبون يرون أن الإعداد التقني للانتخابات غير كافٍ ما لم تحدد بدقة الغايات الكبرى لها

الديمقراطي في وجه دعوات التأجيل.

وسعى هذا الخطاب إلى طمأنة الأحزاب والمتتبعين والمواطنين، ووجه رسائل إلى الداخل والخارج، باستعمال مصطلحات قوية، مثل: اتخاذ «الحياد التام»، «التحلي بالقيم الديمقراطية»، «الالتزام بأخلاقيات الانتخابات»؛ مما يعني أن هَمَّ الدولة الأكبر تعزيز المسار الديمقراطي والمؤسساتي الذي بدأه المغرب منذ اعتلاء الملك محمد السادس عرش المملكة، على حد تعبير المراقبين.

وفي هذا السياق، اعتبر المحلل السياسي محمد بودن، في تصريح لـ«المجتمع»، أن للحفاظ على الدورة الانتخابية رسائل مهمة على المستوى التداولي والتنافس على السلطة، كما يؤكد أن الاختيار الديمقراطي بالمغرب اختيار إستراتيجي للدولة، وثابت مركزي ومتفق من قبل القوى الحية في البلاد، وأن أزمة «كورونا»، التي يعيشها العالم ومنه المغرب، لا يمكن أن تعطل انتخاب مؤسسات تدبير الشأن العام.

تدبير الأزمة

خلال تدبير الأزمة، اعتمدت الدولة أكثر على أطرها الإدارية، وسطع نجم بعض الأسماء التكنوقراطية مع غياب أو تغييب للأطر الحزبية؛ مما جعل الحديث عن حكومة «كفاءات» يطفو على السطح بقوة، وإن عارضته قوى سياسية؛ لما يشكل من تهديد للعملية السياسية، بحسبها، فيما يدعو البعض الآن إلى تخصيص «لائحة كفاءات» في الانتخابات المقبلة، كما حدث في السابق؛ من أجل ضمان إشراك الشباب والنساء أكثر في تحمل المسؤولية.

ويرى بودن أن أخذ الدولة زمام المبادرة خلال الأزمة مسألة طبيعية؛ لأن الإدارة جزء من تدبير الشأن العام، أثبتت فعاليتها وقدرتها على تعبئة الموارد واختصار الزمن للدفع ببعض الحلول العاجلة، مؤكداً أن ذلك لا يعني بتاتاً تغييب دور الأحزاب السياسية من المشهد السياسي، بل الأمر يتعلق بتكامل الأدوار لتعزيز المناخ المناسب، مع حرص الدولة على دورها الحيادي، وكذا إحداث التوازن اللازم لحماية المصلحة الوطنية وتدبير اللحظات الحاسمة.

لكن السؤال الذي يطرح الآن: هل الانتخابات غاية في حد ذاتها، أم وسيلة من أجل إحداث تغيير عميق في البنية السياسية لتحقيق التغيير المنشود، وتقديم الإجابات المقنعة للشعب المغربي في عدد من القضايا التي تهم معاشهم اليومي تفادياً لكل احتقان اجتماعي غير مرغوب؟

يرى الكثير من المراقبين والفاعلين السياسيين أن الإعداد التقني للانتخابات غير كاف بتاتاً، وأن فوز هذا الحزب أو ذلك بالمرتبة الأولى (لا سيما أن عودة العدالة والتنمية يشكل هاجساً كبيراً لعديد من الأطراف)، أو إعداد وجه معين لتولي المسؤولية لن يكون ذا نفع كبير، ما لم تحدد بدقة الغايات الكبرى للانتخابات، تماشياً مع طرح «النموذج التنموي الجديد» الذي يعده الخبراء في تشاور مع القوى الحية ومع المواطنين.

فالدولة، حسب المراقبين، في حاجة إلى تجديد شرعية المؤسسات المنتخبة، بل وتقويتها إزاء باقي مؤسساتها، وهو ما سعت إليه بإجراء الانتخابات في موعدها، لكن على الأحزاب، حسب بودن، أن تبرهن على فاعليتها، وابتكار طرق جديدة في طرح برامجها في انتخابات تأتي في سياق وزمن مختلفين، مع تقديم برامجها وعروضها التنموية، وتحديث أفكارها التقليدية في ظل تدبير الجائحة.■



مسلمو غانا..

الجهل والفقر أبرز مداخل التنصير

أشرف عيد

غـانـا، أو سـاحـل الـذهـب، أو إمـبـراطـوريـة غانا كما كانت تسمى قـديـمـاً، دخلها الإسـلام على يد التجار، ومع توسع دولة المـرابـطـين فـي غـرب أفـريـقـيـا، أسس التجار المسلمون بها مملكة «جـونـجـا» مـن قـبـائـل «المـانـدي» التي أسلمت، وواصلت جماعات «المـانـدي» توسعها في الأراضي الأفريقية لنشر تعاليم الإسلام، وساعدها على ذلك معرفتها للغة «الداجومبا» الشهيرة والسائدة لدى معظم القبائل.

وتقع غانا في وسط غرب أفريقيا على ساحل المحيط الأطلسي، يحدّها من جهة الشرق توجو، ومن الغرب كوديفوار، ومن الشمال بوركينا فاسو، ومن الجنوب المحيط الأطلسي، وعاصمتها أكرا، ولغتها الرسمية الإنجليـزية، وبـعض الـسكـان يـتحـدّثون باللهجة القبلية، ويتكلم غالبية المسلمين لغة «الهاوسا».

يبلغ عدد سكانها حالياً 30 مليون نسمة، ولا يوجد تقدير دقيق لعدد المسلمين، ويرجح أن عددهم 10 ملايين بنسبة 33% تقريباً، وعدد المسيحيين يقترب أو يزيد على 50%، والباقي أصحاب ديانات أخرى.

ومن أكثر المدن التي يمثل فيها المسلمون كثافة عالية: «تَمَالِي»، والعاصمة «أكرا»، و«كُومَاسِي»، و«صَلْغا»، و«كِيت كِراتْشِي»، و«تُكْراد»، و«كوفوريدُوا»، وغيرها.

الأنشطة الدعوية

وتوجد للمسلمين مؤسسات تقدم أنشطة تعليمية ودعوية وخدمية، منها: المجلس الأعلى للدعوة والبحوث الإسلامية، ويعمل في مجال الدعوة والتعليم في العاصمة أكرا، والجمعية الإسلامية للتربية والإصلاح، وتركز على التعليم الإسلامي، والمجلس الإسلامي للتنمية والخدمات الإنسانية، ويعمل في مجالات بناء المساجد، وحفر الآبار، وبناء العيادات الطبية، وبناء المدارس، ومن الناحية السياسية يوجد حزب الرابطة الإسلامية (MAP) ممثلاً للأقليات المسلمة في المدن الجنوبية خاصة «أكرا» و«كوماسي».



وتوجد المدارس القرآنية الملحقة بالمساجد غالباً، ومهمتها تدريس اللغة العربية والقرآن الكريم في نهاية الأسبوع (السبت والأحد)، وقد عُنيت المدارس الابتدائية بتيسير طريقة التهجّي وصحّة نطق الحروف، والاهتمام بالمبادئ الأساسية في الكتابة والإملاء، وإتقان قراءة القرآن قراءة مجوّدة.

وهناك مدارس أسهمت في تطوير الدراسات العربية والإسلامية في المرحلة الثانوية، مثل: مركز البحوث الإسلامية في أكرا، والمدارس الأزهرية والنورية ومدارس أنصار السُّنة، والمعهد العالي للدراسات الإسلامية، ومعهد إعداد المعلمين، وكلاهما في كوماسي، وكلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية، وبعض هذه المعاهد لها معادلات مع بعض الجامعات في السعودية؛ حيث تُدرّس فيها مواد النحو والصرف والفرائض والبلاغة والفقه والحديث، كما تتحد في طريقة التدريس؛ إذ تُستخدم اللغة العربية وسيلة تعليمية يتخاطب بها الطلاب.

تحديات

يعاني المسلمون في غانا من الجهل بتعاليم الإسلام والفقر، وهما من أخطر مداخل المنصِّرين، كما يعاني الدّعاة في غانا من قلّة الإمكانات المادية؛ وعدم القدرة على تفعيل الوسائل الحديثة في الدعوة، ويواجه التعليم العربي الإسلامي في غانا مشكلات متعددة، منها:

- ضعف مستوى المدرسين المؤهلين لمهنة تدريس اللغة العربية، وصعوبة الظروف المعيشية التي يواجهها الطلاب المسلمون.

- عدم الاعتراف الكامل باللغة العربية من قبل الحكومة؛ فلا يجد الشباب المتخصّصون في الدراسات العربية والإسلامية فرص العمل في الهيئات والمؤسسات الحكومية والأهلية؛ مما يجعل المواطن المثقف باللغة العربية والعلوم الإسلامية يشعر بأنه أقلّ شأناً من غيره.

- عدم وجود منهج موحد للمدارس الإسلامية؛ فالكتب التي توجد في مدارس المسلمين في غانا خليط من مناهج دول عربية كثيرة، إضافة إلى أن معظم مباني المدارس غير ملائمة للتعليم؛ فيقل الإقبال على دراسة اللغة العربية والعلوم الإسلامية في غانا.

ويحتاج المسلمون في غانا إلى الدعم المادي، وتأسيس هيئة خاصّة مستقلة تشرف على التعليم الإسلاميّ، وتأسيس جامعات أو معاهد عليا في المدن التي يكثر بها المسلمون.■

المراجع

1 - ياسر محمد السبكي: التحول الديمقراطي في غانا منذ عام 1992، المكتب العربي للمعارف، القاهرة، 2015.

2 - د. محمد حافظ: التعليم العربي الإسلامي وتطوره في غرب أفريقيا (غانا نموذجاً).

3 - د. أحمد إلياس حسين: الإسلام في مملكة غانا، مجلة دراسات أفريقية، الخرطوم، 1409هـ/1989م.



التمويل الاجتماعي الإسلامي

اقتصاد إسلامي



د. أشرف دوابه

أستاذ التمويل والاقتصاد بجامعة إسطنبول صباح زعيم

مصطلح «التمويل الاجتماعي الإسلامي» من المصطلحات المعاصرة، وهو يعني: تقديم المال لأغراض اجتماعية وفق أحكام ومقاصد الشريعة الإسلامية، بما يساهم في التمكين الاقتصادي وتنمية المجتمع وعمارة الكون، أو بمعنى آخر: تقديم المال بهدف التمكين الاقتصادي.

والتمويل الاجتماعي الإسلامي قد يكون تمويلاً اجتماعياً بحتاً بدون ربحية من خلال التمويل بالقرض الحسن والزكاة والصدقات والوقف، وقد يكون تمويلاً اجتماعياً مع الربحية ولكنها ربحية متواضعة لضمان استدامة التمويل، من خلال التمويل بالمعاوضات والتمويل بالمشاركات؛ بما يحقق المسؤولية الاجتماعية أو بالأحرى المسؤولية الاستخلافية.

ذهب تقرير التمويل الاجتماعي الإسلامي للمعهد الإسلامي للبحوث والتدريب بجدة إلى أن التمويل الاجتماعي الإسلامي يضم الزكاة والأوقاف ومؤسسات التمويل الأصغر لخلق فرص عمل للفقراء، وذلك من خلال ثلاثة أنماط من المؤسسات التي تقدم التمويل الإسلامي الأصغر، وهي:

الأولى: مؤسسات تمويل أصغر تستخدم عقوداً تمويلية ربحية، وتسعى إلى تحقيق أرباح متواضعة لضمان استدامة التمويل.

الثانية: مؤسسات إسلامية غير ربحية وتعاونيات قائمة على الأعضاء تقدم خدمات التمويل الأصغر، وتستند كذلك إلى عقود تمويلية ربحية.

الثالثة: مؤسسات إسلامية غير ربحية وتعاونيات قائمة على الأعضاء تقدم خدمات التمويل الأصغر، وتستند إلى عقود تمويلية غير ربحية، مثل القرض والوكالة والكفالة.

خصائصه

يتسم التمويل الاجتماعي الإسلامي بخصائص متعددة، من أهمها:

1 - أنه تمويل ذات أبعاد اجتماعية، فهو جزء لا ينفصم من طبيعة التمويل ذاته، سواء أكان ربحياً أم غير ربحي.

2 - أنه تمويل يتفق وأحكام مقاصد الشريعة الإسلامية، فلا يعرف للربا والنشاط المحرم سبيلاً، ولا للحيل المذمومة في المعاملات المالية طريقاً.

3 - أنه تمويل يهدف إلى التمكين الاقتصادي وتنمية المجتمع وعمارة الكون، فهو منهج عملي لمفهوم الاستخلاف في المال، وما يتطلبه من مسؤولية استخلافية.

يتسم بأنه ذو أبعاد اجتماعية ومتوافق مع مقاصد الشريعة ويهدف للتمكين الاقتصادي

4 - أنه تمويل متنوع ومتعدد الأساليب التمويلية، حيث ينقسم إلى:

أ- التمويل الاجتماعي الخيري (غير الربحي): وهو قائم على التبرعات والبر والإحسان؛ كالقرض الحسن والصدقات التطوعية والزكاة والوقف.

ب- التمويل الاجتماعي الربحي: وهو قائم على الربحية المتواضعة التي تراعي الجوانب الاجتماعية، وتسعى في الوقت نفسه لضمان استدامة التمويل، وينقسم بدوره إلى:

- التمويل الاجتماعي بالمعاوضة: وهو قائم على المعاوضات كالبيع الآجل وبيع السلم وبيع الاستصناع والتأجير سواء أكان منتهياً بالتمليك أم خدمات، فضلاً عن الوكالة بالاستثمار.

- التمويل الاجتماعي بالمشاركة: وهو قائم على المشاركات كالمشاركة المؤقتة، والمشاركة المتناقصة، والمضاربة، والمزارعة، والمساقاة، والمغارسة.

5 - أنه تمويل يقوم على أساس دراسات الجدوى من الناحية الاقتصادية والاجتماعية، وهذا يعني أن المشروعات عند دراستها تخضع للأولويات الإسلامية من ضروريات وحاجيات وتحسينات؛ مما يحقق تخصيصاً أمثل للموارد، وتنمية اقتصادية واجتماعية مستدامة.

6 - أنه تمويل يعمل على بناء الإنسان من خلال قدرته على التمكين الاقتصادي، ومن ثم بناء رجال وسيدات أعمال في المجتمع، والانتقال بالمحتاجين من كونهم اليد السفلى لتكون يدهم عليا، تعطي ولا تأخذ.

أهميته

تبدو أهمية التمويل الاجتماعي الإسلامي من خلال كونه عبادة يتقرب بها المول إلى الله عز وجل إذا أخلص له النية فيها بتلبية الحاجات المشروعة للخلق وإعمار الكون، كما أنه قد يكون فرض عين من خلال التمويل التمليكي بالزكاة، أو فرض كفاية من النوعية الأخرى من التمويلات، توفيراً للاحتياجات التمويلية للعباد، لإعانتهم على طاعة الله، وتمكينهم اقتصادياً، ومن ثم تقوية بنيان الدولة الاقتصادي، وإعانتها على تحقيق دورها في سياسة الدنيا وحراسة الدين.

والتمويل الاجتماعي الإسلامي وسيلة من وسائل تحقيق مقاصد الشريعة، باعتبار حفظ المال من المقاصد الشرعية الخمس (الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال) التي ترجع إليها تصرفات العباد، فضلاً

عن كون التمويل الاجتماعي الإسلامي يمتد لحفظ الدين والنفس والعقل والنسل كذلك، بقدرته على التمكين الاقتصادي، ومن ثم التمكين الاجتماعي، كما أن التمويل الاجتماعي الربحي إحدى الوسائل المشروعة للكسب، فرغم أن ربحيته متواضعة لاستدامة التمويل، فإن فيه دوراناً للمال وتقليبه، وتسخيراً للموارد الاقتصادية البشرية والمادية، ومن ثم إشاعة الخير والنماء في المجتمع.

صعوبة التمويل

يشير تقرير التنمية العربية إلى أن المشروعات الصغيرة والمتوسطة في الدول العربية ما زالت تشكو من صعوبة التمويل المناسب، بالرغم من تعدد الجهات التي تقدم التمويل لهذه المشروعات سواء أكانت داخلية؛ مثل المؤسسات المصرفية، وجمعيات القروض الصغرى، وشركات التأجير التمويلي، وشركات الاستثمار، بالإضافة إلى آليات التمويل من خلال الأسواق التي تستهدف تلك المشروعات في بعض الدول العربية، أم كانت جهات خارجية؛ مثل الحساب الخاص الذي يديره الصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي، وتمويل البنك الإسلامي للتنمية، وتمويل المنظمات الدولية.

ومما يؤسف له أن هذا التخبط التمويلي في الدول العربية لم يحقق الحماية لأبنائها من الفقر والبطالة؛ حيث يشير التقرير الاقتصادي العربي الموحد إلى أن نسب الفقر في الدول العربية وفق خطوط الفقر الوطنية تتراوح بين 4.8% في المغرب، و48.6% في اليمن، كما يشير البنك الدولي إلى أن نسبة البطالة في الدول العربية بلغت نحو 10%، وهو ما يمثل نحو ضعفي معدل البطالة في العالم.

إنه رغم ما تعانيه المجتمعات العربية من فقر وبطالة، فإن التمويل في الجانب الاجتماعي في تلك المجتمعات ما زال متواضعاً، وهذا الأمر يطرح إشكالية تتعلق بالتمويل الاجتماعي الإسلامي ومدى قدرته على المساهمة في التمكين الاقتصادي من خلال تمويل المشروعات المتناهية الصغر والصغيرة، وقد تعددت تعريفات تلك النوعية من المشروعات وفق رؤية المؤسسات الدولية والإقليمية والوطنية المعنية بها، «حيث عرفت منظمتا العمل الدولية والعربية المشروعات الصغرى أو متناهية الصغر بأنها المشروعات التي يعمل بها من 1 – 4 عمال، والمشروع الصغير الذي يعمل به من 5 – 19 عاملاً».

ولعل التوجه نحو الشمول المالي الذي تتبناه المؤسسات الدولية والمحلية يفتح المجال بصورة فعالة للاهتمام بالتمكين الاقتصادي؛ حيث إن الشمول المالي يعني: «إمكانية وصول الأفراد، بمن فيهم أصحاب الدخل المنخفض، والشركات، إلى مجموعة واسعة من الخدمات المالية الرسمية ذات جودة عالية (مدفوعات، تحويلات، ادخار، اقتراض، تأمين.. إلخ)، يتم توفيرها بطريقة مسؤولة ومستدامة من قبل مجموعة متنوعة من مقدمي الخدمات المالية في بيئة قانونية وتنظيمية مناسبة وبكلفة معقولة».

وفي ظل الحاجة الماسة إلى اتباع أساليب مبتكرة لتحفيز النمو الاقتصادي، يمكن للشمول المالي القيام بدور بالغ الأهمية في خلق فرص عمل والحد من الفقر وتحقيق التنمية بالمفهوم الشامل والمستدام؛ فالأفراد والمشروعات الصغيرة والمتوسطة الذين تتوافر لديهم فرص الوصول إلى مصادر التمويل الرسمية والحصول على التمويل، يكونون قادرين على إنشاء أنشطة مدرة للدخل ومشروعات جديدة والتوسع في المشروعات القائمة.

وتشير نتائج قاعدة بيانات الشمول المالي، على مستوى الدول العربية، إلى أن متوسط نسبة الذين يمتلكون حساباً في مؤسسة مالية قد ارتفع من 22% عام 2011 إلى 37% عام 2017م، وذلك مقارنة بارتفاع المتوسط العالمي الذي ارتفع من 51% عام 2011 إلى 69% عام 2017م؛ وهذا يعني انخفاض مستوى الشمول المالي في الدول العربية مقارنة بالمتوسط العالمي.

نسبة البطالة بالدول العربية 10% نحو ضعفي معدل البطالة في العالم

يمكن للشمول المالي القيام بخلق فرص عمل والحد من الفقر وتحقيق التنمية بالمفهوم الشامل والمستدام

ومن هنا، جاء الشمول المالي على رأس أولويات صناع القرار على مستوى العالم كأولوية اقتصادية وإنمائية؛ نظراً لدوره الكبير في دعم النمو الاقتصادي، وتقليل التفاوت في توزيع الدخل، وتوفير فرص العمل، وزيادة مستويات الرفاه الاقتصادي.

إضافة لما سبق، يساعد الشمول المالي على تحقيق تسعة من الأهداف السبعة عشر التي أقرتها الأمم المتحدة لتحقيق التنمية المستدامة بحلول عام 2030م، التي على رأسها خفض الفقر، ومكافحة الجوع، وخلق المزيد من فرص العمل.

التوازن التنموي

إن التكامل بين التمويل الاجتماعي الإسلامي والشمول المالي لتحقيق التنمية المستدامة من أبرز ما يميز الاقتصاد الإسلامي الذي يحقق التوازن التنموي الأفقي للجيل القائم، والتوازن التنموي الرأسي بين الجيل الحالي والأجيال اللاحقة قبل أن تعرف الأمم المتحدة مصطلح التنمية المستدامة، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (الحشر: 10).

والتمويل الاجتماعي الإسلامي من أهم الوسائل الفعالة للمساهمة في تحقيق التمكين الاقتصادي والتنمية المستدامة، بما يملكه من تنوع في أساليبه، سواء أكان تمويلاً خيرياً أم ذات ربحية، وقد آن الأوان للدول الإسلامية (ومؤسسات العمل الخيري) التركيز على التمويل الاجتماعي الإسلامي بعيداً عن سعر الفائدة المقيت؛ للانتقال بالمحتاجين من الفقر والبطالة إلى الكفاية، ومن أخذ الزكاة إلى إخراجها، ومن الاعتماد على الغير في احتياجاتنا إلى الاعتماد على أنفسنا بتمويل اجتماعي يراعي حاجات المجتمع وأولوياته، ويوفر سلعاً وخدمات تحل محل الواردات، وتعزز الصادرات، وتحقق الاكتفاء الذاتي للبلاد والعباد.■

مقـال

أدب الصورة ودوره في معركة الوعي

المؤسس عثمان.. وسيف الله



أ. د. حلمي محمد القاعود
أستاذ الأدب والنقد

لا ريب أن أدب الصورة الناجح يحقق خدمة عظمى في معركة الوعي، وإيقاظ الأمة باستعادة أمجادها وقيمها الإسلامية الرفيعة، كانت الدراما التركية في صورتها العاطفية المتأثرة بالقيم الغربية المادية الحسية تحقق انتشاراً دعائياً كبيراً على مستوى العالم منذ سنوات، وتستقطب عدداً هائلاً من المشاهدين وخاصة الشباب في العالم العربي، ومع أن المسلسلات العاطفية لقيت انتقاداً كبيراً، بحكم ما تقدمه من علاقات متحررة، وتشويه لصورة المسلمين الفاتحين والخلفاء من بني عثمان، فقد جذبت بعض المنتجين وصناع الدراما العربية لتقليدها والسير على منوالها لدرجة استنساخ بعض المسلسلات طبق الأصل.

كان تأثير المسلسلات التركية العاطفية على الشباب العربي كبيراً، لدرجة أغرتهم بزيارة الأماكن التي يتم فيها التصوير، والاستمتاع السياحي بروعتها وخضرتها وجمالها، وتحولت أسماء الممثلين والممثلات والأماكن التركية إلى مفردات على ألسنة شبابنا وفتياتنا.

لكن اختلف الأمر حين ظهرت المسلسلات التي تعتمد على التاريخ وروح الإسلام، فقد حدث انقلاب كبير، حوّل المسألة من قصص الحب والغرام والجمال والوسامة، إلى مجال مخاطبة العقل وصراع القيم وبناء الأمم، ومواجهة الغزاة المعتدين، وكشف مؤامرات الأعداء التاريخيين، ومخططاتهم في تأصيل الخيانة، وتفكيك الدول وإثارة الفتن، وسرقة الثروات والمستقبل والأمل.

مشاهدون اعتنقوا الإسلام تأثراً بالمواقف الإسلامية الإنسانية التي عبَّرت عنها بعض الأعمال الدرامية التركية

وأنتج أدب الصورة الجديد مسلسلات «قيامة أرطغرل»، و«السلطان عبدالحميد»، و«كوت العمارة».. وغيرها، التي شهدت إقبالاً منقطع النظير في شتى أنحاء العالم، لدرجة أن بعض المشاهدين من عقائد أخرى دخل الإسلام ونطق بالشهادتين تأثراً بالمواقف الإسلامية الإنسانية التي عبَّر عنها هذا الأدب في فنية رائعة وجمالية عظيمة.

لا شك أن وقوف الدولة التركية على أعلى مستوى ودعمها لبعض هذه الأعمال كان من وراء ظهورها في أفضل صورة أدبية درامية!

الانتقال من أجواء الحب والغرام إلى مجالات الصراع القيمي والقتال بين الحق والباطل كان مثيراً للغاية، فقد ظن بعضهم أن الدراما الجادة لا جمهور لها، ولن تحظى بالاهتمام من المشاهدين، ولكن النتيجة كانت على العكس، فقد حقق أدب الصورة الجادة مشاهدة عالية ليس في العالم العربي فحسب، بل في العالم أجمع، وخاصة في أمريكا اللاتينية التي دفعت «مادورو»، رئيس فنزويلا، إلى القول: إن مسلسل «قيامة أرطغرل» سيدفعه إلى دخول الإسلام! ولم يكن «مادورو» مبالغاً، فقد أعلنت بعض الأسر هناك -كما سبقت الإشارة- إسلامها على يد بعض ممثلي المسلسل نتيجة تأثرها بما رأته من أخلاق الإسلام وقيمه وتشريعاته التي تجلت في العدل والرحمة والتكافل والإنسانية والدفاع عن المظلومين.. وغيرها.

مسلسل «قيامة أرطغرل» ركز في ثناياه على فكرة توحيد الأمة الإسلامية من نقطة الصفر كما يقال؛ من القبائل، إلى الإمارات، إلى الدولة، والقضاء على الخونة وضعاف النفوس الذين يؤثِّر فيهم الذهب وحب المناصب والزعامة والركون إلى الرفاهية والاستسلام، وهي أمور تعيشها الأمة الإسلامية اليوم بصورة وأخرى.

لا ريب أن أدب الصورة ذا المضمون التاريخي الإسلامي ضغط على الوجع الذي تستشعره بعض الشاشات العربية، فوقفت منها موقفاً غير ودّي؛ وهذا ما دفعها إلى إنتاج مسلسلات موازية تفسر التاريخ تفسيراً شعوبياً عنصرياً، يكرس الفرقة ويشعل البغضاء والخلاف بين أمة الإسلام، ويعتمد على تزوير التاريخ أو في أحسن الأحوال يروج لروايات غير موثوقة، وهي أعمال لم تنجح فنياً ولا جماهيرياً، مع أنها تكلفت كثيراً من الأموال والدعاية.

بعد أن استغرق عرض مسلسل «قيامة أرطغرل» خمسة مواسم أو خمس سنوات، ورأى الناس من خلاله كيف نمت فكرة الكيان الإسلامي القوي المنتصر الذي تشكّله مجموعة قبائل مؤمنة بالإسلام إيماناً حقيقياً، حيث تستقر في أرض أكثر خصوبة وعطاء، ويتجاوز معظم أبطال المسلسل سن الشباب والكهولة، وينهض عثمان بن أرطغرل (مؤسس الدولة العثمانية) ليكمل مسيرة أبيه، ويواصل رحلة التوحيد والجهاد والبناء وإقامة العدالة؛ في طريق صعب مليء بالأعداء والخصوم والخونة والصراعات الداخلية.

«عثمان».. المؤمن الشجاع

ظهر في المسلسل الجديد (المؤسس عثمان) بحكم تتابع الأجيال بعض أفراد المسلسل الأول (أرطغرل)، منهم المحارب الشهير «بامسي» الذي يقاتل بسيفين، والمحارب «عبدالرحمن» (حارس أرطغرل)، والسيدة «سيلجان» (زوجة شقيقه جوندوجو)، بالإضافة إلى الشقيق «دوندار»، والابن «غوندوز»، وشقيقه «عثمان»، ظهر هؤلاء في

أوضاع تتناسب مع أعمارهم، فضلاً عن الشخصيات التي استجدت من الجيل الجديد بفعل تغيّر الزمان والمحاربين والسادة، ومن أبرزها شخصية «أديب علي» -عالم الدين البديل لـ«ابن العربي»- رمز العقل والعلم والحكمة، وابنته «بالا» -رمز المرأة المسلمة التي تحمل رسالة الإسلام بالمفهوم الصحيح المتسامح- وقد تزوجها «عثمان» وتوازي شخصية أمه السلطانة «حليمة» التي أعانت زوجها «أرطغرل» على طريق الجهاد.

هناك فريق القلعة البيزنطية الصليبية بخبثه ومؤامراته ومخططاته، وأفراده متعصبون مخادعون ماكرون تقودهم الأميرة الصليبية «صوفيا» التي تمارس دورا خطيرا بالاغتيالات والفتن وتجنيد الخونة وتكره المسلمين أو من تسميهم الأتراك كراهية، ولكن غايتها طرد الأتراك من وطنهم وخداعهم باتفاقيات زائفة، وتصفية المحاربين الأوغوز، مستغلة طموح بعضهم للزعامة، والمهادنة والاسترخاء والدعة، والفرح بما تدره التجارة في الأسواق وصناعة السجاد، وصراع «دوندار» مع «عثمان» ابن أخيه على الزعامة والقيادة، ولكنها تهزم في النهاية وتقتل على يد «عثمان» الذي كان يتصدى لمكرها وتحالفاتها وألاعيبها، ويستولي على قلعتها، ويرفع عليها الراية الإسلامية.

لقد استطاع «عثمان» أن يقضي على القائد المغولي الذي هدد المنطقة، وأتباعه من المغول والخونة، أو عشاق الذهب، ولقي في سبيل ذلك متاعب وواجه انكسارات، ولكنه لم يستسلم أبداً، كلما وقع نهض، وأفاد من أسباب الوقوع كي لا تتكرر، ولم يكن السيف وحده سبيله، بل كان العقل والتفكير والتخطيط والقلب الشجاع قبل السيف وبعده دائماً، ولهذا انتصر وصدح الأذان في كل مكان حرّره.

يعالج المسلسل في ثناياه جانب الصراع المتعلق بالمرأة داخل القبيلة، ويكشف عن صورة مشرقة للمرأة التي تساعد على الجهاد وترميم العلاقات بالنصيحة والحكمة والتوعية، وأخرى معتمة تؤجج الصراعات بالغيرة والحماقة والأنانية، «بالا ابنة أديب علي» نموذج للأولى، و«زهرة»، زوج «دوندار»، نموذج للأخرى، أما «صوفيا» المرأة الصليبية فهي نموذج للمرأة الأفعى.





«قيامة عثمان» يكشف عن صورة مشرقة للمرأة التي تساعد على الجهاد وترميم العلاقات بالنصيحة والحكمة والتوعية

مسلسل «خالد بن الوليد» يجلّي بطولاته وانتصاراته وإسلامه وإخلاصه لربه ودينه وأمته

بيد أن المسلسل في جوهره يلح على معالجة فكرة الخوف من العدو والخسارة في القتال ويبرز موقف المؤمن الشجاع، الذي ينهض بإعداد أقصى ما يستطيع من قوة وتدريب وعتاد وتنظيم وتخطيط، مع استخدام قدراته العقلية والفكرية والذكاء في تقدير المواقف التي يكون فيها السلاح عنصراً حاسماً، أو الحيلة التي تعوض ما يعجز عنه السلاح، ثم يتوكل على الله وحده، دون إغفال فكرة الخيانة بوصفها سبب بلاء الأمة، وكأن المسلسل يذكّر الأمة المهزومة بواجبها إزاء أعدائها، وما ينبغي أن تقوم به لتطهير صفوفها.

تتبلور على امتداد الحلقات التي انتهى بثها في منتصف هذا العام (2020م)، رحلة البطولة الصعبة لكيان إسلامي قوي ينهض للقضاء على المغول وهزيمة الدولة البيزنطية، وقهر وجودها العدواني، وإيقاف جرائمها العنصرية وتحرشها بالمسلمين.

المفارقة، أنه على الجانب العربي تناثرت بعض الأخبار عن رغبة جهة ما في إنتاج مسلسل يذاع في العام القادم عن خالد بن الوليد بعنوان «سيف الله»، يجلّي بطولاته وانتصاراته وإسلامه وإخلاصه لربه ودينه وأمته، اعتماداً على كتاب «عبقرية خالد» للأستاذ العقاد رحمه الله، فإذا بعاصفة هوجاء في الصحف ووسائل الإعلام تهب من جانب خدام الغرب وصنائع اليهود يشعلها الشيوعيون وأشباههم، تندد بالمسلسل، وترفض إنتاجه.. لماذا؟ لأنه في زعمهم يعني استعادة الغزوات والفتوحات، وصورة القائد المحارب المقاتل في سبيل انتشار الدعوة، وتدعيم الخلافة الإسلامية!

ويطرحون بديلاً هو استدعاء التاريخ الفرعوني؛ مثل أحمس أو رمسيس الثاني أو حتشبسوت! ويذهبون إلى أبعد من ذلك -كراهية لسيف الله وشجاعته وعبقريته- فيقترحون على مؤلفي الدراما الذين تستهويهم الشخصيات الإسلامية في صناعة الدراما، بدلاً من خالد بن الوليد، أن يقدموا ابن سينا، أو ابن الهيثم، أو الخوارزمي.. وغيرهم من العلماء والمفكرين الذين قدموا إضاءات في الثقافة الإسلامية، ويتساءلون: لماذا الالتفات إلى شخصيات الخلفاء والحكام والقادة، دون العلماء وأصحاب الفكر والمعرفة، الذين تركوا بصماتهم على الثقافة الإنسانية كلها؟

وهو قول حق أريد به باطل! تجاهل هؤلاء الكارهون لخالد بن الوليد أن الدراما قدمت بالفعل سهرات وحلقات عن هؤلاء الأعلام وغيرهم، ونسوا أن خالد بن الوليد يمثل البطولة التي تحتاجها الأمة الآن في وجه من يحرمون أوطاننا الممزقة استقلالها وحريتها ووحدتها، ومن يغتصبون فلسطين ويحتلون القدس ويحلمون بالنيل إلى الفرات، ويؤكدون على استعباد أمة لا إله إلا الله محمد رسول الله، وهو ما يجيب عن سؤال: لماذا خالد بن الوليد اليوم؟!

إن أدب الصورة الجاد يجعل الحديث عن المؤسس عثمان، وسيف الله خالد بن الوليد، مرحلة جديدة من مراحل الصراع في معركة الوعي لتشكيل وجدان الأمة بتاريخها المضيء وقيمها المنيرة، أملا في استعادة حريتها وكرامتها واستقلالها.■

مقال



د. يوسف السند
إمام وخطيب بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت

الفوائد التربوية والإيمانية من طبقات الشافعية

سُلطان العلماء العز بن عبدالسلام

هو عبدالعزيز بن عبدالسلام بن أبي القاسم بن حسن بن محمد بن مُهَذَّب السُّلَميّ شيخ الإسلام والمسلمين، وأحد الأئمة الأعلام، سُلطانُ العلماء، إمام عصره بلا مُدَافعة، القائمُ بالأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر في زَمانه، المُطَّلعُ على حقائق الشريعة وغوامضها، العارفُ بمَقاصدها، لم يرَ مثلَ نفسه، ولا رأى مَن رآه مثلَه، علماً وورعاً وقياماً في الحق وشجاعةً وقوة في جَنان وسَلاطَةَ لسان.

ولد سنة سبع أو سنة ثمان وسبعين وخمسمائة.

تفقّه على الشيخ فخر الدين ابن عساكر، وقرأ الأصولَ على الشيخ سيف الدين الآمديّ وغيره، وسَمِع الحديثَ من الحافظ أبي محمد القاسم بن الحافظ الكبير أبي القاسم بن عساكر، وشيخِ الشيوخ عبداللّطيف بن إسماعيل بن أبي سعد البغداديّ.

روى عنه تلامذتُه؛ شيخُ الإسلام ابن دَقيق العيد، وهو الذي لَقَّب الشيخَ عزَّ الدين سُلْطانَ العُلماء، والإمامُ علاء الدين أبو الحسن الباجيّ، والشيخ تاجُ الدين ابن الفِرْكاح، والحافظ أبو محمد الدِّمْياطيّ.

درّس بدمشقَ أيام مُقامه بها بالزاوية الغَزّلية وغيرها، ووَلِي الخَطابة والإمامةَ بالجامع الأمويّ.

قال الشيخُ شهابُ الدِّين أبوشامةَ أحدُ تلامذة الشيخ: وكان أحقَّ الناس بالخَطابة والإمامة، وأزال كثيراً من البدَع التي كان الخُطباء يفعلونها؛ من دَقِّ السَّيْف على المِنْبر وغير ذلك، وأبطل صلاتي الرَّغائب ونِصْف شَعْبانَ، ومَنع منهما.

سمعت الشيخَ الإمامَ رحمه الله يقول: سمعت شيخَنا الباجيَّ يقول: طلع شيخُنا عزُّ الدين مرّةً إلى السلطان في يوم عيد إلى القامة، فشاهد العساكر مُصطفِّين بينَ يديه ومجلسَ المملكة وما السلطانُ فيه يومَ العيد من الأُبَّهة، وقد خرج على قومه في زينته على عادة سلاطين الديار المصرية، وأخذت الأمراءُ تقبِّلُ الأرضَ بينَ يدَي السلطان، فالتفت الشيخُ إلى السلطان وناداه: يا أيّوبُ، ما حُجَّتُك عند الله إذا قال لك: ألم أُبوّئْ لك مُلكَ مصر ثم تبيح الخمور؟ فقال: هل جرى هذا؟ فقال: نعم، الحانة الفُلانيّة يُباع فيها الخمور وغيرُها من المنكَرات، وأنت تتقلَّب في نِعْمة هذه المملكة، يناديه كذلك بأعلَى صوته، والعساكر واقفون، فقال: يا سيِّدي، هذا أنا ما عملته، هذا من زمان أبي، فقال: أنت من الذين يقولون: «إنَّا وَجَدْنَا آباءَنَا عَلَى أُمَّة»، فرسَم السلطان بإبطال تلك الحانة.

سمعت الشيخَ الإمام يقول: سمعتُ الباجيَّ يقول: سألت الشيخَ لمّا جاء من عند السُّلطان وقد شاع الخبر: يا سيِّدي، كيف الحال؟ فقال: يا بُنَيَّ، رأيتُه في تلك العظمة فأردت أن أهينَه لئلّا تكبُر نفْسُه فتؤذيَه، فقلت: يا سيِّدي، أما خِفْتَه؟ فقال: والله يا بُنيَّ، استحضرتُ هَيْبَةَ الله تعالى، فصار السلطان قُدَّامي كالقِطّ.

وحكى قاضي القضاة بدرُ الدِّين بنُ جماعة، رحمه الله، أنّ الشيخَ لمّا كان بدمَشْق وقع مرّةً غلاءٌ كبير حتى صارت البساتين تُباع بالثمن القَليل، فأعطتْه زوجتُه مَصاغاً لها وقالت: اشتر لنا به بُستاناً نَصيفُ به، فأخذ ذلك المَصاغ وباعه وتصدَّق بثمنه، فقالت: يا سيِّدي، اشتريتَ لنا؟ قال: نعم، بستاناً في الجنَّة، إني وجدت الناس في شدَّة فتصدَّقتُ بثمنه، فقالت

له: جَزاكَ اللّه خيراً.

وحكى أنه كان مع فقره كثيرَ الصَّدقات، وأنه ربّما قَطع من عمامته وأعطى فقيراً يسأله إذا لم يجد معه غيرَ عمامته.

قال شيخ الإسلام ابنُ دقيق العيد: كان ابنُ عبدالسَّلام أحدَ سلاطين العلماء.

وعن الشيخ جمال الدين بن الحاجب أنه قال: ابنُ عبدالسَّلام أفقهُ من الغزّاليّ.

ذكر واقعة التَّتار وما كان من سُلْطان العُلماء فيها:

استشاروا الشيخ عزَّ الدِّين، رحمه اللّه، فقال: اخرُجوا وأنا أضْمَن لكم على اللّه النَّصرَ، فقال السلطان له: إن المالَ في خزانتي قليلٌ، وأنا أريد أن أقترضَ من أموال التُّجّار.

فقال له الشيخُ عزُّ الدِّين: إذا أحضرتَ ما عندك وعند حَريمك، وأحضر الأمراءُ ما عنْدَهم من الحُليّ الحرام، وضَرَبْتَه سكَّةً ونَقْداً، وفرَّقته في الجيش ولم يَقُم بكفايتهم، ذلك الوقتَ اطلُب القَرْض، وأما قَبْلَ ذلك فلا، فأحضر السلطانُ والعسكرُ كلُّهم ما عنْدَهم من ذلك بين يدي الشيخ، وكان الشيخ له عظمةٌ عندَهم وهَيْبةٌ بحيث لا يستطيعون مخالفته، فامتثلوا أمرَه، فانتصروا.

ذكر كائنة الشيخ مع أمراء الدولة من الأتراك:

وهم جَماعةٌ ذُكر أن الشيخ لم يثبُتْ عنْدَه أنهم أحرارٌ، وأن حُكْمَ الرِّقّ مُسْتَصْحَبٌ عليهم لبيت مال المسلمين، فبلغهم ذلك، فعَظُم الخَطْبُ عندهم فيه، وأُضْرِم الأمرُ، والشيخ مصمِّمٌ لا يصحِّح لهم بيعاً ولا شراءً ولا نكاحاً، وتعطَّلتْ مصالحهم بذلك.

فقال: نَعْقد لكم مجلساً، ويُنادى عليكم لبيت مال المسلمين، ويحصُل عِتْقُكم بطريق شرعي.

قال: أُنادي عليكم وأبيعكم، قال: ففيم تَصْرِف ثمنَنا؟ قال: في مصالح المسلمين، قال: مَن يَقْبِضُه؟ قال: أنا.

فتمَّ له ما أراد، ونادى على الأمراء واحداً واحداً، وغالَى في ثمنهم، وقبضه وصرفه في وجوه الخير، وهذا ما لم يُسْمَع بمثله عن أحد، رحمه اللّه تعالى ورضي عنه.

ومن تصانيف الشيخ عزِّ الدين «القواعد الكبرى»، وكتاب «مجاز القرآن»، وهذان الكتابان شاهدان بإمامته وعظيم منزلته في علوم الشريعة.

توفي في العاشر من جُمادى الأولى سنة ستين وستمائة بالقاهرة، ودُفِن بالقرافة الكبرى رحمه اللّه تعالى[1].

الفوائد التربوية والإيمانية:

- السعي لطلب العلم عبر العلماء المتخصصين المعتبرين سمة لازمة لعلماء الأمة وأئمتها الأجلاء العظماء.
- العالم الرباني لا يستغني عن تعليم الناس وتدريسهم في المسجد أو في المدرسة والناس لا يستغنون عن ذلك.
- حياة الفرد بالأمة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بعلم ودراية وإخلاص.
- العالم الصادق المخلص يبلغ دين اللّه ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويوصل كلمة الحق لمن يعنيه الأمر ولو كان حاكماً أو والياً أو مسؤولاً.
- إن تبليغ رسالة الإسلام للناس من سمات العلماء الربانيين والمؤمنين الصادقين الذين يخشون اللّه وحده ويحبونه؛ ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّه وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّه وَكَفَى بِاللَّه حَسِيباً﴾ (الأحزاب: 39).
- إن الأمة إذا تركت الحق واتبعت الباطل فسيذهبها اللّه ويأتي بأقوام آخرين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وما ذلك إلا لأهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِه فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّه بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّه وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّه يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّه وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (المائدة: 54).
- من أرضى اللّه تعالى بسخط الناس رضي اللّه عنه وأرضى عنه الناس.
- لا يستغني أحد عن بركات الصدقة وأجرها وحسناتها وخيراتها ولو كان فقيراً!
- إنفاق الحاكم وأهله وحاشيته وقت الأزمات والكوارث والحروب يساهم في دفع الكوارث والكربات ويجعلهم محل القدوة والتوبة والمعروف والإحسان.

والحمد للّه رب العالمين.■

الهامش

(1) عبدالوهاب بن علي السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج8، تحقيق: عبدالفتاح محمد الحلو، محمود محمد الطناحي.

مقال



د. أحمد عيسى

قلبي معكم!

قلبي مع مَن سيفتقد رؤية ملايين المسلمين والمسلمات وقد اجتمعوا بمكان واحد لرب واحد في مشهد مهيب

من رغب في الحج ولكنه عجز عنه لسبب خارج عن إرادته فليبشر بثبوت الأجر من الله تعالى

ليكن فيما حصل دافع لتجديد العزم والنية للحج لمن لم يطرق الشوق باب قلبه

سارعوا بالأعمال الصالحات قبل أن يحل بكم حائل يحول بينكم وبين القيام بالقربات

قلبي معكم يا من نويتم الحج هذا العام، ولم تستطيعوا ذلك بسبب فيروس «كورونا»، أكاد أتخيل مَن تحطم حلمه على صخرة الواقع، وقد منَّى النفس لأعوام عديدة بأداء الفريضة، ومَن بلغ من الكِبَر عتياً، وبالكاد جمع المال المطلوب بصعوبة بالغة، ويسابق الزمن حتى لا تأتيه المنية دون القيام بالحج إلى بيت الله العتيق، أو مَن يريد أن يصحب أمه لتقوم بحجتها وقد أضناها المرض، وهو قد خطط أن يحاول أن يوفيها حقها من البر، فيكون لها خادماً مطيعاً في رحلة العمر، أو كالذي منَّ الله عليه بالربح أو النجاح أو الشفاء، ويريد أن يحج فريضة وشكراً لصاحب العطاء رب الأرض والسماء، وكان يُعدُّ أذكار الشكر، وترانيم الحمد، وأحاديث الدعاء.

أو مَن وقع في بلاء أو ابتعد عن أمر الله؛ فيريد أن يقترب من بيت الله، يدق بابه تائباً، ويتعلق بأستار الكعبة باكياً، ويطوف حول الكعبة ليعود إلى المسار الطبيعي في الطاعة والإنابة، وتكرار الشعيرة والمنسك.

قلبي مع مَن كانت تنتظر الشرب من ماء زمزم ليذهب الله عنها المرض، وقلبي مع مَن كان يريد أن يتجرد لله لينقي قلبه الذي ران عليه الشك والريب، وقلبي مع الزوجين اللذين كانا يريدان أن يحجا معاً، فيكون كل منهما عوناً للآخر ومشجعاً، فيصيران قلباً واحداً يلهج بالتلبية لنداء الله، والتصديق بوحدانيته؛ ليعودا أقوى حباً، وأقرب رحماً.

قلبي مع مَن سيفتقد رؤية الملايين من المسلمين والمسلمات وقد اجتمعوا في مكان واحد لرب واحد في مشهد مهيب، كل يشكو بثه وحزنه، ويسأل حاجته، من رب كريم رحيم.

قلبي مع مَن سيفتقد السعي مع «هاجر» على بُعد الأزمان، ولا يستطيع أن يخطو في مكان خطواتها، أو مَن كان يُمَنِّي النفس أن يكون جسده وروحه وفؤاده وقد طهروا وعلوا من بركات المكان قرب مقام إبراهيم وحجر إسماعيل عليهما السلام.

قلبي مع مَن اشتاق أن يقف مكان الرسول صلى الله عليه وسلم ويمشي في مكانٍ مشى فيه الصحابة الأبرار؛ فيستعيد ذكرى فجر الإسلام، ونزول الوحي، وانبثاق النور والهدى للعالمين.

قلبي مع مَن تكرر حجه ولكنه أجبر أن يتوقف، ففي كل مرة يزداد شوقه، وتحل عليه بركات الله، فهو الآن كالرضيع الذي منع عن أمه التي تمده بالطمأنينة والرضا والحب.

قلبي مع مَن أرادوا الحج، وقبله أو بعده يذهبون لمسجد النبي صلى الله عليه وسلم الذي تُشدّ إليه الرحال، كانوا يشتاقون للسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه رضي الله عنهما أبي بكر، وعمر، فحبهم لرسولهم ليس له حدود، ورؤيتهم لقبره الشريف لا يهدأ مع هذا الحب الجارف، بل يزيده قوة ومتانة.

قلبي مع مَن كان يريد أن يصلي في روضة من رياض الجنة؛ «ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة» (رواه البخاري)، ليتنفس أريجها، ويشم عطرها، في روحانية هي خير من الدنيا وما فيها.

وقلبي مع مَن كان يُعد لخدمة حجاج بيت الله، من شركات الطيران، وأصحاب الفنادق والمساكن والمطاعم والنقل، قلبي مع التجار الذين كانوا يبتغون فضلاً من ربهم في الحرمين ومع المطوفين وحملات الحج وغيرهم.

حبسهم العذر

إلى كل هؤلاء المشتاقين المحزونين المحبوسين، «سيجعل الله بعد عسر يسراً»، وهذا امتحان وابتلاء من الله تؤجرون عليه.

ففي حديث النبي صلى الله عليه وسلم: «ما يُصيب المسلم من نَصب، ولا وصَب، ولا هَمٍّ، ولا حَزن، ولا أذى، ولا غَمٍّ، حتى الشوكة يُشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه» (رواه البخاري)، ومعنى هذا الحديث أن ما يُصاب به المسلم من أمراض وهموم وأحزان وكروب ومصائب وشدائد وخوف وجزع إلا كان ذلك كفارة لذنوبه وحطّاً لخطاياه، وإذا زاد الإنسان على ذلك الصبر والاحتساب؛ كان له مع هذا أجر.

ولعل الحكمة أن يعلم الإنسان حقيقة نفسه الضعيفة، قال ابن القيم: «فلولا أنه سبحانه يداوي عباده بأدوية المحن والابتلاء؛



لطغوا وبغوا وعتوا، والله سبحانه إذا أراد بعبدٍ خيراً؛ سقاه دواءً من الابتلاء والامتحان علىً قدر حاله، يستفرغ به من الأدواء المهلكة، حتى إذا هَذَّبه ونَقَّاه وصَفَّاه، أَهَّلَهُ لأشرف مراتب الدنيا، وهي عبوديته، وأرفع ثواب الآخرة، وهو رؤيته وقربه» (زاد المعاد، 4/ 195).

وأبشروا بثبوت الأجر إن شاء الله، فإن من أراد الحج ورغب فيه وتمناه ولكنه عجز عنه؛ فإن الله الواسع فضله ورحمته لا يحرمه الأجر، ففي الحديث الذي في صحيح البخاري عن أنس بن مالك، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رجع من غزوة «تبوك»، فدنا من المدينة فقال: «إن بالمدينة أقواماً ما سرتم مسيراً، ولا قطعتم وادياً، إلا كانوا معكم»، قالوا: يا رسول الله، وهم بالمدينة؟! قال: «وهم بالمدينة، حبسهم العذر».

ويقول الله عز وجل: ﴿لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاء وَلاَ عَلَى الْمَرْضَى وَلاَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (91) وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَناً أَلاَّ يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ﴾ (التوبة)؛ فلم يصادفوا عندك شيئاً، قُلْتَ لهم معتذراً: «لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ»، فإنهم عاجزون باذلون لأنفسهم، وقد صدر منهم من الحزن والمشقة ما ذكره الله عنهم، فهؤلاء لا حرج عليهم، وإذا سقط الحرج عنهم، عاد الأمر إلى أصله، وهو أن من نوى الخير، واقترن بنيته الجازمة سَعْيٌ فيما يقدر عليه، ثم لم يقدر، فإنه ينزل منزلة الفاعل التام (تفسير السعدي).

اغتنم الفرصة

أما من لم يطرق الشوق باب قلبه، فسوَّف وأجَّل الفريضة؛ فإن عليه العزم وتجديد نيته أن يحج متى زال العذر، وليكن فيما حصل عبرة وسبب دافع لنية الحج، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «تَعَجَّلُوا إلى الحَجِّ؛ فإنَّ أحَدَكُمْ لا يَدري ما يَعرِضُ لَهُ» (أخرجه أحمد وصححه الألباني)، فينبغي اغتنام فرصة كون الحج ممكناً والفوز بهذا الثواب العظيم قبل أن يفوت، فإن الحج واجب على الفور متى تمكن المسلم من ذلك واستطاع وتيسرت السبل وتهيأت الأسباب.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «استمتعوا من هذا البيت، فإنه قد هدم مرتين ويُرفع في الثالثة» (رواه ابن خزيمة، وابن حبان، والحاكم وصححوه، وصححه الألباني)، فيُحرم من فريضة الحج من تهاون في أدائها حال استطاعته، فلينو كل منا أداء الفريضة حال الاستطاعة، ويؤيد ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: «من أراد الحجَّ فليتعجَّلْ فإنَّهُ قد يمرضُ المريضُ وتضلُّ الضالَّةُ وتعرضُ الحاجَةُ» (صحيح ابن ماجة، وحسنه الألباني).

وليكن هذا حالنا مع كل الفرائض والأعمال في كل وقت، وليس مع الحج فقط، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «بادِروا بالأعمالِ سبعاً: هل تنظرون إلا فقراً مُنسياً، أو غنى مُطغياً، أو مرضاً مُفسداً، أو هَرَماً مُفنِّداً أو موتاً مُجهزاً، أو الدَّجَّالَ فشرٌّ غائبٌ يُنتَظرُ، أو السَّاعةُ فالسَّاعةُ أدهى وأمرُّ» (رواه الترمذي)؛ أي: سارعوا وسابقوا في الأعمال قبل أن يشغلكم شاغل، ويحل بكم حائل، يحول بينكم وبين القيام بالأعمال الصالحات والقربات.

سنعود للحج إن شاء الله تعالى.

ستعودون للحج.. بالأمل البسام، والقلب الذي سيطير فرحاً.

ستعودون.. لـ«الزغرودة» حينما تحط الطائرة في جدة أو المدينة.

ستعودون.. للثم الحجر الأسود والتزاحم عليه.

ستعودون.. لرؤية الكعبة المشرفة بشرفها وعظمتها ومهابتها فتخرج الدموع من المآقي بعفوية ودهشة.

ستعودون.. لرفع أكف الضراعة في عرفات.

ستعودون.. تائبين عابدين شاكرين ملبين مهللين تعظمون شعائر الله مع جموع الحجيج من كل بقاع الأرض.■



مستقبل التعليم العالي عن بُعد في ضوء بعض التجارب العربية

في ظل جائحة «كورونا»

أ.د. حسان عبدالله
أستاذ أصول التربية المساعد بجامعة دمياط- مصر

تأثر التعليم العالي في البلدان العربية كغيره من بلدان العالم بسبب جائحة «كورونا»؛ حيث تشير «اليونسكو» إلى أن الطلاب المسجلين للتعليم حول العالم تجاوز ملياراً و184 مليون طالب، تأثر نحو 67% منهم؛ حيث قامت ما يقرب من 143 دولة بإغلاق مؤسسات التعليم بسبب الجائحة، وللوقاية من انتشار الوباء المستجد الذي ظهر في نهاية العام الماضي (2019م).

نحاول في هذه المقالة الموجزة استقراء واقع التعليم العالي في بعض البلدان العربية في ظل الجائحة، لإدراك كيف تم التعامل مع هذه الأزمة الطارئة، وذلك من خلال واقع التعليم العالي في دولتين، هما: جمهورية مصر العربية، والمملكة العربية السعودية.

الفضاء الإلكتروني هو المجال الحيوي للتغيير الطوعي أو القسري المتوقع لنظام التعليم بالوطن العربي

ما الوسائل التي اعتمدتها إدارات التعليم العالي في إدارة الأزمة؟ هل هي ذات بنية تحتية صالحة أم عشوائية؟

مقدمات أساسية في القراءة:

لكل استقراء علمي منطلقاته الفكرية، وسوف نشير هنا إلى هذه المنطلقات في صورة مقدمات أولية للقراءة العلمية لواقع التعليم العالي العربي في ظل الجائحة، على أن يتولى الباحثون تفنيد هذه المقدمات حال إجراء بحوث علمية في هذا الإطار، وهذه المقدمات هي:

1 - ضرورة الوعي بتباين الإمكانات المادية المتاحة للتعليم العالي بين منطقة الخليج، وغيرها من المناطق العربية.

2 - الوعي بأهداف التعليم العالي في العالم العربي؛ فهذا الوعي يرشد بتقويم الوسائل البديلة المتبعة إبان التعامل مع الأزمات، التي تطال التعليم العالي بشكل مباشر كما في هذه الجائحة.

3 - ما يتعلق بالخطط المعتمدة في إدارة الأزمات في واقع التعليم العالي العربي، ومدى تدريب العاملين بالجامعة عليها ووعيهم بأهميتها، ومدى تأثيرها في التغلب على عائق الجائحة.

4 - ما يتعلق بطبيعة المدى الزمني لخطة إدارة أزمة الجائحة؛ هل هي لحظية موقوتة بنهاية العام الدراسي، أم مستقبلية إستراتيجية؟

5 - ما الوسائل التي اعتمدتها إدارات التعليم العالي في «إدارة الأزمة»؛ هل هي وسائل ذات بنية تحتية صالحة للاستخدام ومجربة ومدرب عليها، أم أنها عشوائية ارتجالية، تخضع للاجتهاد الفردي وتختلف بحسب اجتهاد كل عنصر في العملية التعليمية؟

يمكن إضافة مقدمات أخرى، إلا أننا سنكتفي بتلك المقدمات الخمس التي نراها ضرورية لمعالجة ما نقوم بطرحه هنا.

التعليم العالي في مصر وإدارة أزمة «كورونا»:

فيما يتعلق باستقراء حالة التعليم العالي في مصر، يمكن الوقوف على الخطوات التالية، كمحكات رئيسة في إدارة أزمة الجائحة في الواقع الجامعي، وهذه الخطوات هي:

1 - توقيف الدراسة في الجامعات؛ حيث صدر قرار وزاري بوقف الدراسة في الجامعات منذ أول مارس، ولم يتم استئنافها في الواقع الفعلي حتى نهاية العام الجامعي 2020/2019م، وهنا بدأ التفكير في طرق بديلة لاستكمال العام الدراسي الجامعي وإجراء الاختبارات النهائية لسنوات النقل والسنة النهائية.

2 - أصدر المجلس الأعلى للجامعات، في 18 أبريل 2020م، قراراً بضرورة استكمال المقررات الدراسية حتى 30 أبريل.

صدر هذا القرار دون التطرق إلى بيان الكيفية التي يمكن من خلالها لعضو هيئة

التدريس كيفية القيام بهذا الاستكمال، وبأي طريقة أو وسيلة تتضمن التواصل الكامل والفعال والميسر لكل من الأستاذ والطالب، وترك الأمر لاجتهاد الأستاذ وتوفيقه في التواصل مع طلابه، ومن ثم خضع التواصل بين الطالب والأستاذ إلى ما يمكن تسميته بـ«التواصل الشخصي».

3 - وفيما يتعلق بالتقويم، أصدر المجلس الأعلى للجامعات، في 7 مايو 2020م، قراراً بإلغاء الامتحانات التحريرية والشفوية لطلاب الجامعات، واستبدل بها نظام الأبحاث (مقالة بحثية، بحث مرجعي، مشروع بحثي)، وترك لكل جامعة أن تنظم ما يناسبها وتعلن عنه للطلاب.

أما الشروط الخاصة بهذا النظام (الأبحاث) فلم يتعدَّ كونها تلخيصاً وافياً للمقرر الدراسي في صورة مقولبة؛ حيث تم وضع مجموعة من العناصر لهذا التلخيص، الذي تم اختزال أكثر من نصفه في أسبوعين من خلال التواصل الشخصي بين الأستاذ والطالب.

ترتب على ذلك أن ظل الكتاب الورقي مركزياً في ظل التعامل مع الجائحة؛ حيث كان لا بد أن يلجأ الطلاب إليه من أجل القيام بإعداد الأبحاث أو بالأحرى الملخصات، هذا على الرغم من وجود «المركز القومي للتعليم» أحد المراكز التابعة للتعليم العالي منذ عام 2009م!

من ناحية أخرى، أتاح ذلك -نظام الأبحاث- لجوء عدد من الطلاب إلى طرق مختلفة للحصول على هذه البحوث؛ حيث وصلت لأثمان باهظة، كما تناقل ذلك بعض وسائل الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي، وكما ظهر في البحوث المرسلة من الطلاب.

أما طريقة الإرسال فكانت أكثر ذاتية؛ حيث قام كل طالب بإرسال بحثه للتقويم من خلال بريده الإلكتروني الخاص به، أو اللجوء إلى «السيبرات» للقيام بهذا الإرسال، دون وجود طريقة موحدة ضامنة، وذلك من خلال «الكنترول» التقليدي باستقبال هذه البحوث، وإعادة إرسالها بطرق مختلفة إلى أستاذ المادة بغرض تصحيحها، وإعادة الكشوف الخاصة بها إلى «الكنترول» مرة أخرى.

هل تم تدشين خطة لإدارة الأزمة؟

تناقلت الصحف خطة وزارة التعليم العالي الخاصة بالعام الجامعي 2021/2020م، التي تشير إلى أنه سيتم تقسيم الطلاب بالجامعات المصرية إلى مجموعات صغيرة لمنع التزاحم وتحقيق التباعد الاجتماعي، وأنه سيكون كل عضو من أعضاء هيئة التدريس مسؤولاً عن عدد من المجموعات، على أن يتم تطبيق النظام «الهجين» الذي يجمع بين تنفيذ التعليم المباشر والتعليم عن بُعد (الإلكتروني) معاً، بنسبة 60% مباشر إلى 40% إلكتروني بالكليات العملية، و50% تعليم مباشر إلى 50% تعليم عن بُعد للكليات النظرية، مشيراً إلى أن هذا النظام سيكون نظاماً دائماً وليس إجراء مؤقتاً بسبب فيروس «كورونا»، مع مراعاة كافة الإجراءات الاحترازية مع بداية العام الدراسي الجديد للجامعات.

في مصر ظل الكتاب الورقي مركزياً في ظل التعامل مع الجائحة ولجأ الطلاب لطرق مختلفة لإنجاز البحوث



وكذلك سيكون ارتداء الكمامات إلزامياً للطلاب والعاملين وأعضاء هيئة التدريس، وأن نسبة الحضور بالجامعات مع العام الدراسي الجديد ستكون يومين لطلاب الكليات النظرية، و3 أيام لطلاب الكليات العلمية، على أن يتم مواصلة الأيام الباقية من خلال التعليم عن بُعد إلكترونياً مع عقد الأنشطة والحلقات النقاشية إلكترونياً، ويدير كل عضو هيئة تدريس عدة مجموعات (جاء ذلك خلال اجتماع لجنة التعليم والبحث العلمي بمجلس النواب في 20 يوليو 2020م).

إلا أن هذا التصور لم يصاحبه إعادة النظر في البنية التحتية للتكنولوجيا الرقمية في الجامعات، ولا الإعداد لإيجاد برامج للتواصل المضمون والفعال بين الأستاذ والطالب، أو بين مكونات المنظومة التعليمية بالجامعة، ولا كيف ستكون طريقة التقويم، وهل ستستمر بالنظام الذي كانت عليه (الأبحاث) رغم سلبياته العديدة أم لا؟ كذلك لم توضح الجامعات لأعضائها ما يتعلق بشكل العام الجديد بعد، وكل ما تم الإعلان عنه هو تصريحات صحفية.

حالة التعليم العالي في السعودية في ظل الجائحة:

اتسمت الحالة السعودية بتوافر البنية التحتية للتواصل الجامع بين الأستاذ والطالب، وكذلك بين عناصر المنظومة التعليمية بالجامعة بعضها بعضاً من ناحية، وبينها وبين الطالب من ناحية أخرى، ولعل ذلك يرجع إلى جهوزية هذه البنية من قبل الجائحة.

تحديداً يرتبط النظام التعليمي في الجامعة السعودية بنظام تكنولوجي تعليمي هو نظام «البلاك بورد» (Blakboard)، وهذا النظام يتضمن أدوات متعددة تدعم المعلم والمتعلم، وكذلك المنظومة الإدارية التي ترتبط بعملية التعليم، كما أنه يتيح وسائل متعددة الخيارات يمكن من خلالها التنويع في وسائل الاتصال بين الأستاذ والطالب، كما أنه أيضاً يتيح إجراء الاختبارات الخاصة بالمقررات الدراسية



وتقديم التغذية الراجعة الفورية للطالب، وتتولى عمادة التعليم الإلكتروني والتعليم عن بُعد متابعة استخدام هذا النظام لعناصر العملية التعليمية في الجامعة السعودية.

ومن الناحية الواقعية، التزمت الجامعات السعودية –بعد توقيف الدراسة المباشرة فيها منذ 8 مارس 2020م وحتى الآن– باستخدام نظام «البلاك بورد» في استكمال العام الدراسي الجامعي، وهذا النظام يسجل عليه الطالب منذ دخوله الجامعة، ويتم التواصل معه في كل أموره الإدارية، هذا بالإضافة إلى التسجيل لكل عناصر المنظومة التعليمية والإدارية في الجامعة عليه.

وقد أتاح هذا النظام التعليمي في المجال الجامعي ما يلي:

1 – تحقيق التواصل المباشر بين الجامعة بصفة عامة والأستاذ بصفة خاصة وبين الطالب من ناحية ثانية، من خلال وعاء تقني يجمع جميع عناصر المنظومة عليه.

2 – بث المحاضرات إلكترونياً لاستكمال المقررات الدراسية للنصف الثاني من العام الجامعي الحالي.

3 – التقويم من خلال ما يوفره برنامج «البلاك بورد» من مخزن للأسئلة والاستطلاعات والاختيارات، وهي اختبارات متنوعة ومتعددة الأشكال، كما يتوفر على تغذية راجعة للطالب ومعرفة درجته الامتحانية الفورية.

كما منح الطالب فرصة أخرى لدخول الاختبارات حال رغبته في تحسين درجاته الامتحانية بما يضمن مصلحة الطالب في النهاية ومراعاة الظروف الاستثنائية للجائحة، وبذلك تم التغلب على إشكالية إلغاء العام الدراسي، إلا أنه مما ساعد على ذلك هو توافر البنية التحتية الرقمية للمنظومة التعليمية بالجامعة، والتدريب عليها.

خطة العام الجديد:

كما ذكرنا –سابقاً– بأن وزارة التعليم العالي تمنح الاستقلالية العالية للجامعات السعودية في إدارة منظومتها التعليمية ولا تقوم الوزارة إلا بدور المشرف والمنظم في ذلك، ولهذا فالملاحظ وجود تباين في خطة العام الدراسي القادم، فبعض الجامعات –مثل جامعة أم القرى– أعلنت أنها سوف تعتمد نظام التعليم عن بُعد، بينما جامعات أخرى تجري تجهيزات ميدانية لاستقبال الطلاب دون أي إشارة إلى طبيعة ذلك الاستقبال، وجامعات أخرى لم تأخذ قرارها حتى الآن.

التصور المصري لم يصاحبه إعادة النظر بالبنية التحتية للتكنولوجيا الرقمية بالجامعات

مستقبل التعليم عن بُعد في التعليم العالي بالبلدان العربية:

يمكن أن نشير في نهاية المقالة إلى أن واقع التعليم العالي في بلداننا العربية آخذ بصورة حتمية في التغيير، وأن الفضاء الإلكتروني هو المجال الحيوي لهذا التغيير الطوعي أو القسري، لذلك نطرح هنا مجموعة من المباني المعرفية التي نراها من الضرورة بمكان أن تخضع للنقاش الأكاديمي والمجتمعي معاً، فإن التعليم عن بُعد ليس فقط توافر برنامج وشبكة إنترنت، ولكنه يتضمن مجموعة كبيرة من الأوعية الثقافية والفكرية والأبنية القانونية كذلك، ومن تلك المحاور التي ينبغي أن تخضع لمثل هذا النقاش ما يلي:

1 – ما يتعلق بطبيعة المعرفة الجامعية المقدمة للطلاب، هل تظل كما كانت سابقاً في الكتاب الورقي، والمذكرات والملخصات وما إلى ذلك مما اختزل عقل الطالب الجامعي العربي، أم أنه لا بد من النقاش حول بنية معرفية جديدة تنموية وتزكوية واجتماعية متطورة؟

النظام التعليمي بالسعودية أتاح تحقيق التواصل بالتعليم المباشر وبث المحاضرات إلكترونياً والتقويم المتنوع

هل المعرفة الجامعية المقدمة للطلاب ستظل مرتبطة بالكتاب الورقي أم ستنتقل لبنية جديدة أكثر تطوراً؟

2 – ما يتعلق ببناء علاقات جديدة، بين بينيات عديدة، منها:

- بين الطالب والأستاذ، والأستاذ والطالب.
- بين الطالب وأدوات التكنولوجيا ووسائط التواصل.
- بين الأستاذ وأدوات التكنولوجيا وأدوات التواصل.
- بين الجامعة –كمؤسسة إدارية– والطالب من جهة، والأستاذ من جهة أخرى.
- بين الطلاب بعضهم بعضاً.
- بين الأساتذة بعضهم بعضاً.

3 – ما يتعلق بالجانب الأخلاقي، نحو استخدام أدوات التكنولوجيا وأدوات التواصل، وفي بناء علاقات جديدة للمعلم والطالب أفقية ورأسية.

4 – ما يتعلق بالتقويم والتغذية الراجعة.

5 – ما يتعلق بالبناء الثقافي والتربوي الجديد للطلاب.

6 – ما يتعلق بالبناء الثقافي لعناصر المنظومة التعليمية والبيئة الأسرية الحاضنة للطالب.

7 – ما يتعلق بالأوضاع القانونية واللائحية الجديدة، لاستخدام أدوات التكنولوجيا ووسائط التواصل، وإجراء العملية التعليمية برمتها، فلا يمكن أن تترك للاجتهاد الفردي والشخصي.

هذه جملة من المحاور المعرفية الضرورية التي نرى أن تخضع للنقاش الأكاديمي والمجتمعي والتقني في إطار ما نحن مقبلون إليه وعليه من نظام جديد للتعليم العالي في بلداننا العربية.■

سعود محمد حسن الكندري..

الداعية الرباني

إعداد - أ. عادل العصفور:

نشأ سعود محمد حسن الكندري نشأة صالحة، حيث كان والده الحاج محمد حسن رجلاً صالحاً، وكان سعود ابنه الأخير له رعاية خاصة؛ فيأخذه المسجد، ويدعو دائماً له ويقول: إن شاء الله تكون «شيخ سعود»، وهو يسمع أباه، يقول في دعائه: ستكون شيخاً؛ مما كان له أكبر الأثر في نشأته، وشخصيته، وكانت والدته امرأة صالحة؛ فنشأ في هذا البيت المحافظ، الحريص على تنشئة أبنائه في المساجد، وبين أيدي العلماء والصالحين.

النشأة والدراسة:

ولد في 22 شوال 1380هـ/ 8 أبريل 1961م بمنطقة شرق، وتزوج ورُزق بثلاثة أبناء (محمد، وعبدالعزيز، وعبدالله).

درس الابتدائية في مدرسة النجاح بمنطقة شرق، ودرس المتوسطة في مدرسة الرميثية المتوسطة بمنطقة الرميثية، ودرس الثانوية في ثانوية الرميثية، ثم درس في معهد المعلمين، تخصص لغة عربية.

عُيِّن بعد التخرج مدرساً في مدرسة صهيب بن سنان الابتدائية بمنطقة الرقة، ثم عمل مأذوناً شرعياً، وإماماً وخطيباً بمسجد سعيد بن الربيع في الرقة، ثم أصبح مسؤولاً للجنة التكافل الاجتماعي في الرقة.

كانت لديه أنشطة دعوية بارزة في المسجد، فأحبه الناس واجتمعوا عليه اجتماع الأبناء الصغار للأب الحنون، وحوَّل المصلين باختلاف أعمارهم وقبائلهم ومستوياتهم الاجتماعية إلى إخوة متحابين، كما كانت له أنشطة خارج الكويت في عدة دول من العالم؛ فقد شارك في العمل الإغاثي بالبوسنة، وبناء المساجد في الفلبين رفقة الشيخين أحمد الدبوس، ويوسف السند، حفظهما الله.

الدعوة بالقرآن:

كان رجلاً قرآنياً؛ فلم يفارقه القرآن في حياته وسلوكه، واستشهاداته، وتصرفاته، ومواقفه، ومن ذلك أنْ جُرحت قدمه وأصيبت بالغرغرينا؛ فتورمت، وقرر الأطباء قطع إبهام قدمه اليسرى؛ مما أثر على ابنه الكبير محمد فبدأ يبكي، فقال له: «لا تبكِ، سأقرأ القرآن والأدعية، وأنا على يقين أنهم لن يقطعوه، وسيشفيني الله»، وبدأ يقرأ القرآن ويدعو بأدعية من المأثور، وعندما جاء الأطباء لأخذه إلى غرفة العمليات، قالوا له: هل أنت مستعد للبتر؟ قال: نعم، ولكن أريد أن تفحصوا القدم قبل العملية، ففحصوها ثم تفاجؤوا بزوال أثر المرض، فسألوه: ماذا فعلت؟! فقال: قراءة القرآن والأدعية والأذكار، وكان من بين الفريق طبيب هندي مسيحي، فلما رأى ذلك بعينه أعلن إسلامه أمام الحضور.

هذا القلب الكبير والمتصل برب العالمين، وهذه الربانية التي ربى نفسه عليها، من الصعب أن تجد فراغاً للانتقام الذاتي أو لحظّ من حظوظ الدنيا، وهكذا كان يقدم العفو على الانتقام، ويتنازل عن حقه إيثاراً لما عند الله تعالى، وحرصاً على أن يخرج من هذه الدنيا مظلوماً لا ظالماً، ومن ذلك أنه كان ذاهباً لاستلام إعلانات محاضرة للشيخ القطان من جمعية الرقة، وإذا بشاب مسرع بسيارته يصدم الشيخ فسقط على الأرض، وكسرت أضلاعه ورجله والقدم والحوض، وإذا بالمارة يقبضون على الشاب سائق السيارة، وعندما وصلت الشرطة قال لهم: اتركوه، ولا تحققوا معه، وأنا مسامحه لوجه الله تعالى، ولا تبيّتوه ليلة واحدة في الحبس؛ فكان لهذا الموقف الأثر الكبير على ذلك الشاب مما غيَّر حياته من الاستهتار إلى الهداية والصلاح.

وهكذا، فإن هذا الدين لا ينتشر بالكلام المجرد، بل بالتطبيق العملي لأخلاقه، وما تصنعه الأفعال أضعاف ما تصنعه الأقوال.

مع أبنائه:

كان حريصاً، رحمه الله، على تربية أبنائه تربية صالحة، بتعليمهم الفرائض وحثهم عليها، وترغيبهم بالنوافل وتبيين الأجر المترتب على القائم بها وخاصة الصلاة والصيام، فكان يحثهم ويرغبهم بصيام النوافل وهم صغار، ويأخذهم معه في رحلات الحج، ويعلمهم ويربيهم على حب الصدقات ورعاية الضعفاء، فيعطيهم المال لينفقوه على الفقراء بأيديهم ليحسوا بطعم الصدقة، ويداوموا على ممارسة هذه الأعمال الجليلة، ويتفنن في ذلك، ويستخدم طرقاً مختلفة في ترسيخ هذه المعاني.



لم يفارقه القرآن في حياته وسلوكه واستشهاداته ومواقفه

ربَّي أولاده على حب الصدقات فيعطيهم المال ليعطوه للفقراء بأيديهم ليحسوا بطعم الصدقة

وفاته:

توفي، رحمه الله تعالى، بعد حياة حافلة من الدعوة والعطاء وعمل الخير، في 27 جمادى الآخرة 1426هـ/ 2 أغسطس 2005م.■

مصلحون ومحسنون خليجيون رحلوا في أغسطس..

الجسار والجهني والبحر

إعداد - عبده دسوقي:
باحث في التاريخ الحديث

إن تناول حياة الرجال العظماء الذين رسّخوا قواعد دعوة الإسلام المعاصرة ليست مادة تُطرح من أجل الاطلاع أو التسلية، بل إن مراجعة تلك الحيوات والأحداث والتصرفات هي مادة للتأمل، والتعلم، والاعتزاز بوجود مثل هؤلاء الرعيل الأول الذين آلوا على أنفسهم إلا أن يحملوا أمانة الدعوة إلى الله تعالى في وقت كانت ترزح فيه البلاد تحت نير الاستعمار.

علي عبداللطيف الجسار.. بين الإعلام وعمل الخير

يرجع نسب عائلة الجسار إلى قبيلة عتيبة فهم من آل الدخيل من الأساعدة من الروقة من قبيلة عتيبة؛ حيث جدهم الأول هو الشيخ حمود بن جسار.

ولد الشيخ علي عبداللطيف الجسار عام 1922م بالمرقاب في أسرة كريمة حافلة بمشايخ الدين، وتلقى تعليمه الأولي في الكتَّاب، لكنه خرج من التعليم النظامي بعد دراسة الابتدائية لثلاث سنوات في المدرستين المباركية والأحمدية لسوق العمل؛ حيث تحمل المشاق والمتاعب في بداية حياته من أجل أسرته حتى صنع لنفسه مكانة.

ومع ذلك، تميز بملازمة الكتاب في يده دائماً، حيث يشهد أهل المرقاب أنه كان قبل بلوغ الثامنة عشرة من عمره لا يمشي إلا ومعه كتابه الذي يقرأ فيه، ويحدث أهل محلته بعد الصلاة في مسجد المطران (مسجد العتيقي)، حتى إنه كان إذا غاب الخطيب تصدر للخطابة دون تحضير مسبق رغم صغر سنه.

وكان له اهتمام كبير بالأدب، حتى إن حديثه في أي مسألة كان لا يخلو من الاستشهاد بالشعر العربي، أو مما يحفظ عن شعراء الكويت.

حاز ثقة المسؤولين؛ فكلّفوه بالعمل مختاراً في منطقة النقرة، بالإضافة لرئاسة لجنة المناقصات المركزية، وإلى جانب ذلك تم تكليفه بعضوية لجنة رقابة الكتب لفترة طويلة.

كان له حضوره الإعلامي في وسائل الإعلام المختلفة؛ المقروءة والمسموعة والمرئية، حيث بث من خلالها مواعظه



كان له دور في تشكيل الوعي المجتمعي من خلال مواعظه التي كان يبثها في وسائل الإعلام

رأى أن مشكلات العصر ناجمة عن عدم التقيد بأوامر الله والابتعاد عما نهى عنه

وتوجيهاته التي كان لها تأثيرها في الوعي المجتمعي.

اشتهر بشخصيته القوية وسعة صدره؛ وهو ما كان له أكبر الأثر في تربية أبنائه وبناته وجمعهم حوله بكل اهتمام حتى آخر أيام حياته، وكان دائماً يقول: تربية الأولاد أفضل من استثمار الأموال.

كان أحد الذين سارعوا بالاجتماع في ديوان الشيخ يوسف بن عيسى وتدارسوا كيفية تأسيس جمعية إسلامية تهدف إلى بناء مجتمع متكافل يتمسك بالقيم والمبادئ الإسلامية، فجاءت جمعية الإرشاد الإسلامي التي تأسست في الأول من رمضان عام 1371هـ/ 24 مايو 1952م، قبل أن ينتهي دورها عام 1959م لتحل محلها جمعية الإصلاح الاجتماعي القائمة الآن.

وكان يرى أن مشكلات العصر ناجمة عن عدم التقيد بأوامر الله والابتعاد عما نهى عنه؛ فقد وضع الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم قوانين تصلح لكل زمان ومكان، ولحل كافة المشكلات التي تواجه المسلم منذ بداية الدعوة الإسلامية وحتى قيام الساعة، فلو تمسكنا بهذه القواعد والتوجيهات؛ فلن نجد هذه المشكلات، ولن نقع فريسة لهذه الهموم، ولن نصل إلى هذه الحالة من الضياع التي نعيشها.

وفي 10 فبراير 1980م، اختير ضمن لجنة تنقيح الدستور.

وفي 24 رجب 1427هـ/ 19 أغسطس 2006م، رحل العم علي عبداللطيف عن عمر ناهز 84 عاماً، وقد نعاه وزير الإعلام الكويتي -حينها- محمد السنعوسي بقوله: الراحل كان علماً متميزاً على ساحة الوطن، ومن أبرز الشخصيات الرائدة خلال العقود الماضية، وقد أجزل العطاء للوطن والمجتمع بكل جدية وصدق ووفاء، وأعطى من عقله وقلبه الكثير مما نعتز به ونفخر.■

المراجع

1 - عبدالمحسن الجارالله الخرافي: صحيفة القبس 2006م.
2 - وكالة الأنباء الكويتية (كونا): 2006م.
3 - صحيفة النهار: العدد 1789، 22 فبراير 2013م.
4 - الشرق الأوسط: العدد 8651، 5 أغسطس 2002م.
5 - عبدالله العقيل: مانع حماد الجهني الداعية المتجول، موقع إخوان ويكي.
6 - صحيفة القبس: العدد 268، 24 أغسطس 2004م.

مانع بن حماد الجهني.. الداعية الرحالة



في قبيلة بلي بين العيص والعلا بالطائف، ولد مانع الجهني في عام 1361هـ/ 1942م، قبل أن يسافر مع والده للأردن وعمره 4 سنوات، وبقي فيه إلى عام 1377هـ، حيث كان والده يعالج فيه، وأثناء وجوده بالأردن في منطقة الموجب دخل المدرسة النظامية، ثم بعد عودته للسعودية أكمل الدراسة الابتدائية بمدرسة ثقيف ثم الثانوية بالطائف، وكان في أثنائها يعمل في البرق والبريد والهاتف من عام 1380هـ/ 1961م - 1392هـ/ 1972م في مكة ثم الطائف.

انتقل إلى الرياض، والتحق بجامعة الملك سعود، وحصل على البكالوريوس باللغة الإنجليزية من الجامعة، ثم ابتُعث للدراسة في الولايات المتحدة الأمريكية لاستكمال دراسة الماجستير والدكتوراه في جامعة إنديانا بمدينة بلومنجتون، وهناك بدأ نشاطه في تجميع الطلاب المسلمين، وطور الأمر لإنشاء مركز إسلامي فيها، حيث صار مركزاً للدعوة الإسلامية ونشاط الطلاب المسلمين بأمريكا.

قضى 9 سنوات في الولايات المتحدة الأمريكية، كان فيها شعلة من النشاط والحيوية في تجميع الطلاب والعمل لنشر الإسلام، فأسهم في تأسيس الكثير من المساجد والمراكز الإسلامية على مستوى الولايات المتحدة، وفي إنشاء «رابطة الشباب المسلم العربي» كفرع لاتحاد الطلاب المسلمين في أمريكا وكندا، وانتخب رئيساً لها، والتف الطلاب حوله واتخذوه إماماً وشيخاً لهم.

وبعد عودته إلى المملكة، عام 1402هـ/ 1982م، عمل أستاذاً مساعداً، ثم أستاذاً مشاركاً في قسم اللغة الإنجليزية بجامعة الملك سعود، كما عمل متطوعاً في الندوة العالمية للشباب الإسلامي، عام 1403هـ/ 1983م، قبل أن يصبح أميناً عاماً لها منذ عام 1406هـ/ 1986م حتى وفاته عام 1423هـ/ 2002م.

شغل د. الجهني عضوية العديد من الهيئات والمؤسسات الإسلامية العاملة في مجال الدعوة والإغاثة والشباب؛ منها: الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية بالكويت، والهيئة العالمية للدعوة والإغاثة بالقاهرة، واللجنة العليا للشؤون الإسلامية في السعودية، ومجلس إدارة مؤسسة القدس، ومجلس إدارة ائتلاف الخير، واللجنة العليا لمساعدة مسلمي البوسنة والهرسك، والجامعة الإسلامية ببنجلاديش، وكانت له اهتمامات بالدراسات الأدبية والتاريخ والدعوة.

كما كانت لديه مكتبة ضخمة تحتوي على آلاف الكتب في الموضوعات المختلفة، فضلاً عن المؤلفات باللغة الإنجليزية مثل: «الصحوة الإسلامية.. نظرة مستقبلية»، «حقيقة المسيح»، «عقيدة أهل السُّنة والجماعة»، «مشكلات الدعوة والداعية»، «الموسوعة الميسرة في الأديان والأحزاب والمذاهب المعاصرة».

اختير عام 1418هـ/ 1997م عضواً في مجلس الشورى السعودي وأعيد اختياره لدورة ثانية في عضوية مجلس الشورى عام 1422هـ/ 2001م.

وفي يوم الأحد 24 جمادى الأولى 1423هـ/ 4 أغسطس 2002م، وأثناء توجهه لمقابلة الأمير عبدالله بن عبدالعزيز، نائب خادم الحرمين الشريفين آنذاك، لأخذ موافقته لرعاية المؤتمر العالمي عن «الشباب والانفتاح» تعرض لحادث؛ حيث انقلبت به سيارته، ففارق الحياة، وأقيمت صلاة الجنازة عليه في مسجد الراجحي بالرياض.■

كان شعلة دعوية في تجمع الطلاب بأمريكا وأسهم في تأسيس الكثير من المساجد والمراكز الإسلامية بها

شغل عضوية العديد من الهيئات الإسلامية العاملة في مجال الدعوة والإغاثة والشباب

علي عبدالرحمن البحر.. فيض كالبحر

أحد مؤسسي جمعية «الإرشاد» وعرف عنه الكرم والتواضع والتواصل مع الناس في أفراحهم وأتراحهم

علي عبدالرحمن البحر (أبو مرزوق)، صاحب يد ناصعة في العمل الخيري، ولد في عام 1924م حيث تلقى تعليمه الأولي في منطقة الكويت.

مارس العمل التجاري طوال حياته، وعرف عنه الكرم والسماحة والتواضع، وكان مشهوراً بالتواصل مع الناس في أفراحهم وأتراحهم.

وفي يوم الجمعة 28 مارس 1958م، اصطف الكويتيون في طوابير أمام المدرسة المباركية لانتخاب مجلس يساعد الحاكم والمجلس الأعلى على إدارة شؤون البلاد؛ حيث نال فيه علي عبدالرحمن البحر الترتيب الرابع والثلاثين، غير أن هذا المجلس لم يعقد جلسة واحدة.

وفي انتخابات مجلس الأمة عام 1963م، ترشح عن الدائرة الثانية (القبلة)، فجاء ترتيبه 16 بعدد أصوات 75 صوتاً.

كان العم علي عبدالرحمن البحر واحداً من الذين شاركوا في تأسيس جمعية الإرشاد الإسلامي، وظل داعماً للعمل الخيري التربوي ومعاونة ذوي الاحتياجات الخاصة، حتى رحل عن دنيانا يوم 11 رجب 1425هـ/ 27 أغسطس 2004م عن عمر ناهز 79 عاماً.■



أمم متفرقة: التكالب على القوة في عالم غير محكوم (1 - 2)

عرض - محمود المنير:

هذا الكتاب:

في الوقت الذي يشهد العالم فيه تحولات جذرية غير مسبوقة بفعل تفشي فيروس «كورونا»، وما واكبه من تداعيات على كافة الأصعدة عالمياً، يصدر هذا الكتاب مواكباً لانتشار الجائحة عالمياً؛ لذا أثار ضجة وجدلاً واسعين لما طرحه من توقعات وسيناريوهات استشرافية تتعلق بالنظام العالمي، لا سيما أن «بيتر زيهان» يمتلك من الخبرة عقداً كاملاً في رصد التحولات الجيوسياسية في العالم، من خلال عمله نائباً لرئيس مؤسسة «ستراتفور» لأكثر من 12 عاماً، ويثير الكاتب الكثير من الآراء الصادمة ربما للكثير بشأن مستقبل العالم في الوقت الذي نشهد فيها انهيار الاتفاقيات التجارية، وعجز المؤسسات الدولية التي تشكل الأعمدة الرئيسة للنظام الدولي الحالي، وتوقف سلاسل التوريد العالمية بفعل تفشي فيروس «كورونا».

ويقدم «زيهان» رؤيته وتحليله للتحولات الصاعدة والمشكلات الناتجة عنها عالمياً التي من المتوقع أن تصبح واقعاً خلال العقدين المقبلين، ربما المثير حقاً هو توقعه بأن العالم مقبل على فترة تتسم بالفوضى والتحولات الكبيرة غير المتوقعة من خلال تغير موازين القوى على مستوى العالم.

الكتاب يناقش كيفية تغيُّر النظام الدولي بالتزامن مع تحولات القوى الكبرى الغربية وفي مقدمتها أمريكا

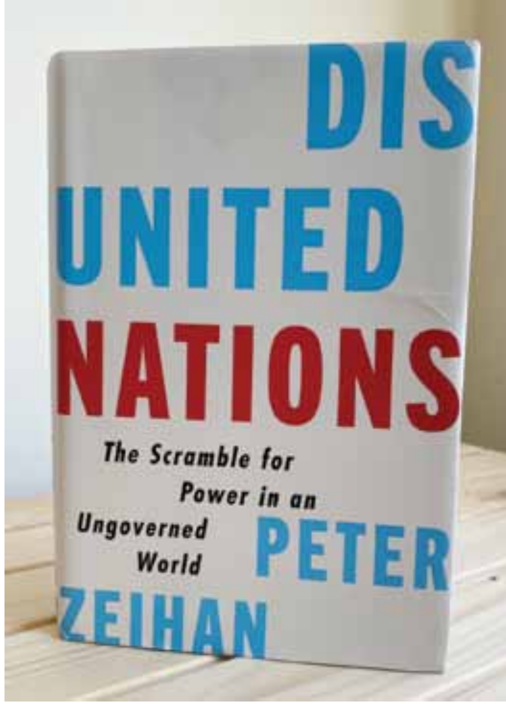
السياسة الخارجية الأمريكية مؤخراً فاشلة لتركيزها على تطوير ترسانتها العسكرية أكثر من أدواتها الدبلوماسية والاقتصادية

يطرح «زيهان» سؤالاً محورياً في كتابه حول مستقبل النظام الدولي القادم خلال العقدين القادمين الذي بدأت تتشكل ملامحه الآن، وفي سياق الإجابة عن هذا التساؤل، يناقش «زيهان»، في كتابه، كيفية تغير النظام الدولي الحالي، بالتزامن مع تحولات القوى الكبرى الغربية وفي مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية.

يقدم المؤلف تصوراً مستقبلياً للنظام العالمي الجديد، مشيراً إلى أن النظام الدولي الحالي الذي تقوده الولايات المتحدة كقوة عظمى تشكّل بالتحالف مع مجموعة من الدول الكبرى في أعقاب الحرب العالمية الثانية؛ وهو ما جعل حالة من السلم والاستقرار العالميين تسود العالم بفعل هذه التحالفات، وضمن هذا النظام الدولي تأمين حركة ممرات التجارة الدولية في ممرات الملاحة العالمية المعروفة؛ مما أدى إلى زيادة نشاط حجم التبادل التجاري بين دول العالم.

وشكل التحالف مع واشنطن طوق نجاة لحركة التجارة العالمية من تهديد الاتحاد السوفييتي، وخفض كثيراً من الصراعات التي ترتبط بالحدود الجغرافية، لكن «زيهان» يرى -مثل غيره من الكثير من المحللين والمتابعين للسياسة الأمريكية في الشرق الأوسط- أنه مع الانسحاب التدريجي للولايات المتحدة من مواقع نفوذها وسيطرتها حول العالم، باتت تثار التساؤلات المقلقة على طاولات البحث والنقاش: ما مستقبل النظام الدولي القادم في ظل هذا التراجع الأمريكي؟ وما القوى القادمة؟ وهل سيكون النظام العالمي الجديد أحادي القطب أم متعدد الأقطاب؟

يرى «زيهان» أن العالم في ظل الهيمنة الأمريكية تمتع بمكاسب غير عادية عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية، ويرى أن السبب في ذلك هو قواعد النظام الدولي الذي ترعاه الولايات المتحدة، الذي يسمح بالتبادل التجاري الآمن بين الدول، ويشير الكاتب إلى أن التجارة الحرة بين الدول



بيانات الكتاب:

عنوان الكتاب: **أمم متفرقة: التكالب على القوة في عالم غير محكوم.**

المؤلف: **بيتر زيهان(*).**

الناشر: **هاربر بيزنس، الولايات المتحدة الأمريكية.**

تاريخ النشر: **الطبعة الأولى، مارس 2020م.**

عدد صفحات الكتاب: **480 صفحة.**

ليست مجرد تبادل للسلع والخدمات فقط، بل هي تعبر في الحقيقة عن وجود شبكة عالمية من التحالفات، يحكمها نظام إداري عالمي قوي يحمي هذه التحالفات من أي تهديدات تعيق حركة تدفقها.

وضرب الكاتب مثالاً لهذه التحالفات بالتحالف بين الولايات المتحدة ودول كبرى مثل ألمانيا واليابان، وأن عدد الدول المتحالفة معها استمر في الازدياد حتى انهار الاتحاد السوفييتي في عام 1991م، فانضمت دول الكتلة الشرقية الشيوعية لدول الكتلة

الغربية الرأسمالية، ثم انضمت لهم الصين التي أرادت تحقيق مكاسب اقتصادية من الاندماج مع الاقتصادات الرأسمالية الكبرى؛ وهو ما أحدث توازناً واستقراراً عالمياً، ووفر ممراً تجارياً آمناً ومنظماً بين دول العالم.

تغير السياسة الأمريكية

يرى «زيهان»، كما ذهب غيره من المحللين والسياسيين حول العالم، أن النظام الدولي الذي شكلته وهيمنت عليه الولايات المتحدة الأمريكية في طريقه إلى التراجع والأفول، ويشير إلى أننا بصدد نظام عالمي جديد يتشكل، وتحكمه المنافسة التجارية بين أمم صغيرة بآسيا وأوروبا، وأكبر دليل على ذلك إدارة الرئيس الأمريكي «دونالد ترمب» للملفات الكبرى في الشرق الأوسط، وطريقة تعامله معها، التي تختلف اختلافاً جذرياً عن السياسة الأمريكية في عهد أسلافه من الرؤساء.

ووفقاً لنظرية التحدي والاستجابة، يشير «زيهان» إلى أن سقوط الاتحاد السوفييتي في عام 1991م ثبّط من عوامل التحدي والعزيمة لدى الولايات المتحدة في الحفاظ على النظام الدولي تحت هيمنتها المطلقة كما كان في السابق، وأن اكتشاف النفط الصخري في أمريكا قلل حاجة واشنطن من النفط في منطقة الشرق الأوسط؛ فلم تعد تهتم بالحفاظ على استقراره وحمايته وعدم تهديد تدفقه بصورة كبيرة، كما كان في السابق.

ويؤكد «زيهان» أن السياسة الخارجية الأمريكية في السنوات الأخيرة فاشلة، ويرجع ذلك لتركيزها على تطوير ترسانتها العسكرية بشكل أكبر من أدواتها الدبلوماسية ومساعداتها الاقتصادية التي تقدمها للدول، وعدم الاستثمار في قوتها الناعمة منذ سقوط الاتحاد السوفييتي؛ وهو ما جعل سياستها الخارجية ضعيفة مقارنة بدول أخرى صاعدة بفعل الاستثمار في قوتها الناعمة.

ويقول «زيهان»: إن الولايات المتحدة بمساندة الدول المتوافقة مع سياستها والمتحالفة معها استطاعت حماية العالم من عدم نشوب حرب عالمية ثالثة، بفعل سباق التسلح النووي الذي نشهده، لكنها اليوم في ظل إدارة الرئيس «ترمب» لم تعد مستعدة لتقديم الدعم العسكري والاقتصادي والسياسي للدول إذا احتاجت له إلا بمقابل، ولن تقحم نفسها مجدداً في نزاعات الشرق الأوسط بشكل مباشر.


المؤلف: بيتر زيهان

وبناء على هذا التقييم والتحليل لمسارات السياسة الخارجية الأمريكية في العالم، وباعتبارها تمثل قاطرة النظام الدولي الحالي والمهيمنة عليه، فإن 2020م هو العام الفاصل لزيادة معدلات كراهية الولايات المتحدة الأمريكية وسياستها الخارجية على مستوى العالم على نحو متزايد، مقارناً ومذكراً بعام 2003م عندما احتلت الولايات المتحدة العراق، حيث زادت معدلات الكراهية لها عالمياً بسبب ممارساتها في العراق.

وعلى قاعدة «رب ضارة نافعة»، يؤكد «زيهان» أن تراجع الهيمنة الأمريكية عالمياً وظهور مؤشرات أفولها يشكل التحدي الذي سيولد الاستجابة، وهو أمر إيجابي على المستوى الأمريكي داخلياً، حيث سيمكّنها مجدداً من إعادة بناء ذاتها، وتطوير قدراتها الداخلية، وسد نقاط العجز بمؤسساتها، ويرى أن ذلك ممكن ولا يزال متاحاً.

مؤشرات الاضطراب

الاتحاد الأوروبي أكثر عرضه للتفكك نتيجة زيادة نقاط الخلل في بنية مؤسساته وآليات إداراته الحالية

الاقتصاد الصيني ضعيف لأنه قائم على نظام اقتصاد الفقاعة ما يجعله معرضاً للتدهور وعدم الاستمرار

في رؤيته للتغيرات الجيوسياسية عالمياً، ووفقاً لمسارات وسيناريوهات استشرافه لمستقبل النظام الدولي، يُشير «زيهان» في كتابه إلى مؤشرات الاضطراب في النظام الدولي الحالي التي تؤشر بزواله، وستسفر عن انكشاف وولادة نظام دولي جديد، حيث يرى أن التحالفات الدولية الحالية والقادمة لن تستمر بدون مجابهة تهديدات متنوعة ومحفزة للصراع.

ويرى أن الاتحاد الأوروبي أكثر عرضه للتفكك نتيجة زيادة نقاط الخلل في بنية مؤسساته وآليات إداراته الحالية، حيث ستتراجع مكانة ألمانيا داخل الاتحاد، بينما ستتقدم فرنسا لممارسة دور أكبر، ويرجع ذلك لامتلاك فرنسا جيشاً عسكرياً قوياً ومتطوراً ومتطلعاً؛ مما سيُكسبها مزيداً من النفوذ العالمي في المرحلة المقبلة؛ وهو ما يجعلها تستحوذ على النفوذ الألماني في أوروبا.

ويتوقع «زيهان» تراجع بريطانيا وضعفها تدريجياً في أعقاب خروجها من الاتحاد الأوروبي، وأنها ستكون مجرد تابع لسياسات الولايات المتحدة الأمريكية.

وفيما يتعلق بقوة الصين الصاعدة، واحتمالية أن تشغل الفراغ الأمريكي، وعلى عكس الكثير من آراء الخبراء والمحللين، يرى «زيهان» أن الاقتصاد الصيني ضعيف؛ لأنه قائم على نظام اقتصاد الفقاعة، وهو ما يجعله معرضاً للتدهور وعدم الاستمرار، وفي ظل انسحاب أمريكا من تأمين الممرات التجارية العالمية، ومع ضعف الاقتصاد الصيني القائم على التجارة العالمية، فقط لن تكون لديها القدرة على التحول إلى قوة عسكرية عالمية تقود أو تهيمن على النظام الدولي.

وبنظرة استشرافية سبقت أحداث «كورونا» وتداعياتها التي نشهدها على مستوى العالم، وتوقف سلاسل التوريد العالمية التي تستحوذ الصين على جزء كبير منها التي أكدت ما ذهب إليه «زيهان»؛ حيث ينصح الدول بالاعتماد على الذات في النواحي التصنيعية في ظل احتمالية تأثر التجارة مع الصين.■

(*) مؤسس مؤسسة «زيهان الجيوسياسية»، ونائب الرئيس بمؤسسة «ستراتفور» لأكثر من 12 عاماً.



محطات إيمانية في طريق التربية

اكتُب

إيمان مغازي الشرقاوي
ليسانس شريعة - ماجستير الدعوة
جامعة المدينة العالمية

إن محطتنا التي سوف نحط رحالنا فيها اليوم هي محطة «اكتب»، محطة العلم والتربية، والتزكية والتنمية، محطة الدين والدنيا، والثقافة والمعرفة، ولِمَ لا وهي محطة الكتابة التي تأخذنا إلى عالم مليء بكل العلوم المتنوعة التي يُكتب فيها مما يحفظ علينا ديننا ودنيانا، ويملأ عقولنا وقلوبنا، ونعيش فيها مع آثار الأولين وسِيَر الصالحين، وأحوال المتقدمين وأخبار المعاصرين، كما أنها تحول أفكارنا ومشاعرنا من مجرد فكر وشعور إلى مقال مكتوب، وتنقلها من عالم الغيب إلى عالم الشهادة، ومن الخيال إلى الحقيقة، فتجد طريقها لأهلها ومحبيها فتتحقق بها المآرب، وتتواصل بها القلوب ولو لم تلتقِ الأجساد.

إن بطل محطتنا اليوم هو ذلك القلم الذي كرَّمه الله تعالى أيما كرامة، وخلَّد اسمه حيث ذكره صراحة في مقام الامتنان به علينا، وذلك في أول ما نزل من القرآن الكريم، فقال تعالى: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (العلق)، ثم يزداد تكريمه حين سميت به ثاني السور نزولاً في القرآن؛ وهي سورة «القلم»؛ ليشير ذلك إلى تعلم الكتابة وبيان منزلة القلم.

فهل تساءلنا يوماً لنعرف سرَّ هذا القلم الذي نكتب به، مهما كان شكله أو لونه، ومهما كان قديماً وكيف صار الآن؟ وهل تفكرنا في كرامته وتكريمه؛ حيث إنه الأداة المهمة في كل عصر ومِصْر لطلب العلوم؛ فهو قرين العلماء، وصاحب علمهم، وملازمهم في حِلهم وترحالهم، وليلهم ونهارهم، فبه يسجلون علومهم ويحفظون تراثهم فيتحول إلى إرث لمن بعدهم وصدقة جارية لهم؟

وهل عرفنا حجم المسؤولية الملقاة على عاتق مَن يمسك بالقلم ليكتب به، فيحاسب نفسه ماذا كتب وماذا سيكتب، وكيف كتب ولماذا كتب ولمن يكتب؟! وهل كان قلمه قلمَ هُدى أم قلم ضلالة؟ هل كان قلمه شاهدَ حق أم شاهد زور؟ هل هو قلم عدل أم قلم جور؟ هل كتابته طاعة فتقربه من الله أم معصية تستوجب العقاب؟ هل يُظهر به الحق أم يحاول طمسه وتشويهه؟ وهل يسرق به حقوق العباد أم يحاول إثباتها؟

أهمية القلم

إن الله تعالى كرَّم الإنسان بالعلم، ويسَّر له أسبابه ووسائله وعلى رأسها القلم، فقد ذكره في القرآن مباشرة بعد ذكر الأمر بالقراءة، وهذا مما يدعو للتدبر؛ فالقراءة والكتابة لا ينفصمان، فقد أمرنا الله تعالى أن نقرأ وعلمنا بالقلم لنكتب! فجعل هذا القلم وسيلة لكتابة العلوم وحفظها من الضياع عبر الزمان، كما جعله سبباً في انتشارها، ولولا أن الله سخر لنا القلم وألهمنا كيف نمسك به وجعله يجري بالكتابة؛ لما كان هناك علم ولا توثيق، ولا كُتب ولا مكتبات، ولا كُتَّاب ولا قُرَّاء، ولاندرست العلوم بموت أصحابها، وانتشر الجهل وأحاط بالناس، ولا يتخيل أحد الحياة دون الكتابة.

وقد يعجز اللسان عن الكلام فتحل الكتابة محله، فهي سبيل العلم والعلماء وتجارة المعلمين الأتقياء، وبالقلم كُتبت الآيات البيِّنات، وسُطرت به الأحكام والعبادات، به تُحفظ الحقوق والعهود، وبه تُكتب الوصايا والعقود، وتُسجل الشهادات وحقوق العباد، يصل بين القلوب عبر رسائل الناس، ويعبر القارات ببضع كلمات خطها بنان الإنسان، فهو آية من آيات الله تدعو للتفكر، قال ابن القيم: «فقف وقفة في حال الكتابة، وتأمل حالك، وقد أمسكت القلم وهو جماد، ووضعته على القرطاس وهو جماد؛ فتولد

من بينهما أنواع الحكم وأصناف العلوم وفنون المراسلات والخطب والنظم والنثر وجوابات المسائل» (مفتاح دار السعادة، ج1).

إن تعلم الكتابة بالقلم منَّة من الله تعالى على عباده، فهو سبحانه «الَّذي علَّم بالقلم»، قال الطبري: «يعني الخط والكتابة؛ أي علَّم الإنسان الخط بالقلم، وعن قتادة قال: القلم نعمة من الله تعالى عظيمة، لولا ذلك لم يقم دين، ولم يصلح عيش، فدل على كمال كرمه سبحانه، بأنه علَّم عباده ما لم يعلموا، ونقلهم من ظلمة الجهل إلى نور العلم، ونبَّه على فضل علم الكتابة، لما فيه من المنافع العظيمة، التي لا يحيط بها إلا هو، وما دُونت العلوم، ولا قُيدت الحكم، ولا ضُبطت أخبار الأولين ومقالاتهم، ولا كتب الله المنزلة إلا بالكتابة؛ ولولا هي ما استقامت أمور الدين والدنيا»، وقد أدرك ذلك الصحابي الجليل أبو هريرة رضي الله عنه حين قال: «ما من أَصْحَابِ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ أحَدٌ أكْثَرَ حَدِيثاً عنْه منِّي، إلَّا ما كانَ من عبدالله ابنِ عَمْرٍو؛ فإنَّه كانَ يَكْتُبُ ولَا أكْتُبُ» (رواه البخاري).

وقد جعل الله الكتابة بالقلم من البيان الذي علَّمه الإنسان، قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الْإِنسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ (الرحمن)، قال ابن القيم: «والبيان هنا يتناول ثلاث مراتب كل منها يسمى بياناً؛ أحدها: البيان الذهني الذي يميز به المعلومات، الثاني: البيان اللفظي يعبر بها عن تلك المعلومات ويترجم عنها فيه لغيره، الثالث: البيان الرسمي الخطي الذي يرسم به تلك الألفاظ فيتبين الناظر معانيها» (مفتاح دار السعادة، ج1).

والكتابة لا تقل أهمية عن القراءة، وقد حث النبي على تعلم الكتابة، فقد صح في سنن أبي داود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للشفاء بنت عبدالله وهي عند حفصة: «ألا تُعلِّمين هذه رُقية النَّملة كما علَّمتِها الكتابة»، فدل ذلك على مشروعية تعلم النساء للكتابة وحاجتهن لتعلمها، وفي مسند أحمد: «كان ناسٌ من الأسرى يومَ بدرٍ لم يكن لهم فداءٌ، فجعل رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم فداءَهم أنْ يُعَلِّمُوا أولادَ الأنصار الكتابة»، وكان للنبي صلى الله عليه وسلم كُتَّاب للوحي منهم الخلفاء الأربعة، وكُتاب لرسائله إلى الملوك، وكُتاب يكتبون أموال الصدقات، ولا أحد ينكر أهمية الكتابة في كل ذلك.

لولا أن الله سخر لنا القلم لما كان هناك عِلم ولا توثيق

القلم قرين العلماء وملازمهم في حِلهم وترحالهم وإرثهم لمن بعدهم

رغم أننا بعصر التكنولوجيا والثورة المعلوماتية فإنه لا يزال بيننا محرومون من القراءة والكتابة

اكتب الحق وكن سبباً في التعريف به ولا تكتب الشائعات ولا تنشرها

الكتابة بين الماضي والحاضر

إن الكتابة تختلف أداتها في كل عصر عن سابقه، وقد كانت الأقلام قديماً من الخشب تُغمس في المداد (الحبر) ثم تُنسخ بها الكتب المراد نسخها، وما زالت الأقلام تتحسن في شكلها وكتابتها حتى صارت على ما هي عليه الآن، وأصبح منها القلم الإلكتروني الخاص بالشاشات الإلكترونية، كما حَلَّ الأصبع مكان القلم بلمسة على شاشة الهاتف وما شابهه من هذه الأجهزة؛ فسهلت الكتابة، وصار معظم الناس يمارسها ليلاً ونهاراً! فهل يكفي هذا في الكتابة؟ وماذا إذا فقدت هذه الأجهزة أو تعطلت؟!

إن من الخطأ الكبير ألا نعلم أطفالنا بداية الإمساك بالقلم والورقة ليبدؤوا أولى خطواتهم مع الكتابة، فالقلم بالنسبة إليهم هو الأصل، لا سيما في المرحلة الأساسية من التعليم، حتى لا يكون عندهم الأمية في الكتابة بالقلم وكيفية احتضانه بين أصابعهم، ثم بعد ذلك يمكنهم التعامل مع الشاشات وقد أتقنوا الكتابة.

وبالرغم من أننا نعيش عصر التكنولوجيا والثورة المعلوماتية، فإنه لا يزال يوجد بيننا محرومون من القراءة والكتابة، منهم من حرم بسبب الحروب التي تتسبب في هدم المدارس وتشريد طلابها وتهجيرهم قسراً! ومنهم من يُحرم لفقره، ومهما كان السبب، فإن على الجميع كل في موقعه أن يشارك في الحد من انتشار الأمية، فقد أكدت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (أليكسو) أن معدل الأمية في الدول العربية لا يزال مرتفعاً بالمقارنة مع دول العالم النامي، مشيرة إلى أن 21% من العرب يعانون من الأمية.

اكتب:

– اكتب بالعربية؛ فهي خير لغة وخير لسان وخير خط، وبها نزل القرآن، ولا تكتب باللغات التي ظهرت هذه الأيام على وسائل التواصل، فلا هي عربية، ولا أجنبية!

– اكتب ما تتعلمه من علم وقَيِّده بالكتابة، ولا تقل: إني أحفظه، فالحفظ عرضة للنسيان، وقد قيل: «العلم قَيد والكتابة صيد».

– اكتب وتعلم الكتابة وحسن الخط، وعلّم غيرك، واحتسب ما تكتب عند الله فلولاه ما تعلمنا ولا كتبنا.

– اكتب الرسائل الهادفة نفعاً لغيرك وحفاظاً على وقتك، من كلمة طيبة، ونصيحة صادقة، ولا تكتب الرسائل التي لا فائدة من ورائها.

– اكتب الحق والصدق وكن سبباً في التعريف به، ولا تكتب الشائعات ولا تنشرها فينلك إثمها.

– اكتب لوالديك كلمة بر، ولزوجك كلمة حب، ولولدك كلمة عطف، ولصديقك كلمة وفاء، ولأخيك في الله أنك تحبه فيه.

– اكتب ما تحب أن تُذكر به بعد حياتك، ويكون أثراً صالحاً لك.

– اكتب ما يسرّك أن تراه غداً في صحيفتك، واعلم أنك عن كتابتك مسؤول، وقد قال تعالى: ﴿اقْرَأْ كَتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً﴾ (الإسراء: 14).■



«الرحلات الحجازية»..
عالم من المتعة



محمد إلهامي
باحث في التاريخ والحضارة الإسلامية

من يقرؤون في بلادنا قلة، وهذا أمر مؤسف، غير أن الأشد أسفاً من ذلك أن هذه القلة القارئة ينصرف معظمها نحو قراءة الروايات والقصص والمواد الخفيفة اللطيفة التي لا تسمن ولا تغني من جوع، لا.. بل الحق أنها تضر ولا تنفع، وأنها تؤذي ولا تُصلح!

والإكثار من قراءة الروايات يشبه الإكثار من الاستماع إلى المسلسلات والأفلام، وأكبر الضرر أن تكون مادّة العقل وأفكاره ورؤاه وتصوراته مبنية على قصص خيالية حبكتها عقول المؤلفين، بينما حقيقة الحياة أكثر تركيباً وتعقيداً وعمقاً، إن هذه الحال تشبه كثيراً أن يكون كل غذاء الجسم من المأكولات السريعة؛ حلوة الطعم حافلة بالمقبلات ولكنها مضرة بالجسم.

ربما كان الكثير من الشباب معذوراً؛ حيث لم يجد من يوجهه إلى المعرفة الثقيلة الرصينة النافعة، وربما كان العذر في أن هذه المعرفة النافعة لم تُكتب بأساليب سهلة مبسطة مشوقة تمتّع القارئين، فظلت حكراً على المتخصصين فيها وعلى من يتصبر لها ويتجلد أمامها حتى يفهمها فيذوق لذتها.

هذا مع أن التاريخ مَبْنِيٌّ على القصص والحكايات، حتى لقد أوصى بعض العلماء طالبَ العلم أن يتعلم التاريخ «خاصةً وقت راحته وسآمته من تعلم غيره من العلوم، فإن هذا العلم سهل جداً، ومَنْشَط ومُنْتَزَه ولذة، لا ينبغي لأحد أن يخلو منه»[1]، فيجتمع في مطالعة كتب التاريخ «ترويح للخواطر وعِبَرٌ لأولي البصائر»[2]، وقد تكرر في كلامهم أن علم التاريخ «يستمتع بسماعه العالم والجاهل، ويستعذب موقعه الحمق والعاقل، ويأنس بمكانه وينزع إليه الخاصي والعامي، ويميل إلى رواياته العربي والعجمي»[3].

لقد جُبل الإنسان على حب القصة، وعلى الشغف بالسرد، حتى لو أنه يعرف نهاية القصة، فإنه لا يزال يستمع إليها معجباً بها، وبهذه الفطرة سمعنا قصص الطفولة من آبائنا وأمهاتنا عشرات المرات ولم نكن نشعر بالملل.

وهذه السطور تعريف بكتاب عظيم اجتمع فيه العلم والمتعة، الدين والدنيا، النفع واللذة، ذلك هو كتاب «الرحلات الحجازية» للشيخ د. محمد موسى الشريف.

ومؤلف هذا الكتاب عُرف بغزارة الإنتاج، وقائمة كتبه طويلة متعددة؛ منها ما بلغ عدداً من المجلدات، ومنها الكتيبات الصغيرة، وقد حدثني –حفظه الله– أنه صار يتعمد أن يخرج كتباً صغيرة؛ لأن همم القراءة قد ضعفت، وهو يحب ألا يظل العلم حكراً على المتخصصين والقلة من ذوي الهمة.

وقد دفعته هذه الرغبة فيما يبدو لتلخيص وتهذيب عدد من الموسوعات الكبرى العلمية، لتكون أيسر على القارئين، ككتاب «سير أعلام النبلاء» للإمام الذهبي الذي بلغت به بعض الطبعات خمسين مجلداً، وهو سجل حافل للشخصيات الكبيرة في التاريخ الإسلامي لسبعة قرون، حيث اختصره د. موسى الشريف إلى أربعة مجلدات بعنوان «نزهة الفضلاء»، ومثل ذلك كتاب «الوافي بالوفيات» للصفدي، وهو سفر ضخم في التراجم، اختصره إلى مجلدين بعنوان «الأخبار العليّات»، ومثلهما كتاب «رياض النفوس»، وهو تراجم لأعلام المغرب الإسلامي، اختصره في مجلد واحد، ثم أتمَّ مسيرة التراجم بكتاب آخر اختصره من تسعة عشر كتاباً في التراجم لأعلام الإسلام بين القرن الثامن حتى القرن الثالث عشر الهجري، وسماه «المختار المصون من أعلام القرون» في ثلاثة مجلدات.

خلاصة الخلاصة

لكن الكتاب الذي نحن بصدده مُخْتَصَرٌ من بين نحو ثلاثين مجلداً، فقد نهضت همة الشيخ إلى جمع أربعة وعشرين كتاباً كتبها أصحابها عن رحلتهم إلى الحج، ثم اختصر ذلك في كتاب واحد، فخرج الكتاب في ثلاثة مجلدات كأنه خلاصة الخلاصة ورحيق الرحيق، وسمَّاه «المختار من الرحلات الحجازية إلى مكة والمدينة النبوية»!

وقد اتسعت دائرة الجمع، فشملت القدامى كابن جبير، وابن رشيد، الفهري، وابن بطوطة، كما شملت المتأخرين كشكيب أرسلان، ورشيد رضا، وعلي طنطاوي، ومحمد حسين هيكل، كما شملت كذلك كتب المستشرقين الغربيين الذين تنكروا كمسلمين ليشاهدوا الحج ويكتبوا عنه، مثل فارتيما، وجوزيف بتس، وريتشارد بيرتون.

فاجتمعت في هذا الكتاب أنواع من المعارف واللطائف وزوايا النظر لاتساع الزمان وتعدد الرجال، فلكل زمان أهله وأفكاره وقضاياه، ولكل مؤلف رؤاه وقضاياه وما يلفت نظره وما يعتمل في نفسه، حتى الأساليب اللغوية الأدبية قد تنوعت في هذا الكتاب بين القديم والحديث، المشرقي

هذه الرحلات تضم آثاراً علمية واجتماعية يصعب أن تُدرك بوضوح في مصادر التأريخ التقليدية

والمغربي، الأصيل والمترجم.

كأنه صورة بانورامية مصغرة وشاملة لرحلة الحج عبر عشرة قرون، تمر فيها على أحوال مكة والمدينة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية، وعلى طرق الحج وأحوالها وأوضاعها، وما يكتنف الحاج فيها من المشاق وما وُضع له فيها من التسهيلات، ومواقف الحكومات من الحج ما بين المنع والتضييق أو الفسح والتشويق، وطبيعة التنظيم لقافلة الحج والقائمين عليها وتدابيرهم في الحماية والحراسة ونحو ذلك، وأحوال المطوفين في مكة والمُزَوِّرين (أي الذين يرشدون الزائرين) في المدينة وتعاملهم مع المسلمين ممن لا يعرفون العربية وما يقع بينهم وبين الحجاج من تراحم أو ضده، وما يقع في الحج من التعارف والتآلف واللقاء بين المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وما يقع للحجاج عند مغادرة بلادهم من التوديع وعند العودة إليها من الحفاوة.

وكأنه بستان متنوع من الخواطر والنظرات الإيمانية التي جالت في صدور أصحابها وهم في الديار المقدسة، وبستان متنوع من صور الشوق العظيم الذي يغمر قلوب المسلمين، فمنهم من حجَّ فارتوت أشواقه وتجددت، ومنهم من لم يدرك، ولكن قَلَماً لأحد هؤلاء الرحالة سجَّل هذه الأشواق.

آثار علمية واجتماعية

وظهر في هذه الرحلات آثارٌ علمية واجتماعية يصعب أن تُدرك بوضوح في مصادر التأريخ التقليدية، كذلك الذي يقع بين الحجاج والمدن على طريق الحج من الإقامة والزواج والتعليم والتجارة، وما يتعرض له الحجاج من المغامرات مع قطاع الطرق أحياناً ومع غيرهم من قوافل الحج أحياناً أخرى، وما شاع في بعض الأزمنة والأمكنة من العادات والتقاليد الدينية والدنيوية، وما يترنم به الحجاج من الأناشيد والأهازيج، وما أصدره بعض العلماء من فتاوى لإسقاط فرض الحج حين يبلغهم ما في الطريق من الصعوبات والمخاوف، وكيف استقبل الناس هذه الفتاوى فمنهم من غلبه الشوق ومنهم من غلبه الخوف.

ولا تخلو هذه الرحلات من فوائد قوية في الأحوال السياسية لبلاد المسلمين، لا سيما ما تعلق منها بأمراء مكة والمدينة وأعيانهما، وأوضاع الخلافة الإسلامية لا سيما في العصر

المختار من الرحلات الحجازية إلى مكة والمدينة النبوية

اختيار وتهذيب وفهرسة
د. محمد بن حسن بن عقيل موسى الشريف

المجلد الأول

دار الأندلس الخضراء

اجتمعت في الكتاب أنواع من المعارف واللطائف وزوايا النظر لاتساع الزمان وتعدد الرجال

المملوكي والعثماني، وما كان يلقاه الحجاج من الرعاية أو الإهمال، وكيف أدارت السلطة شأن الحجاج بداية من تمهيد السبل والحماية من قطاع الطرق وتنفيذ الحجر الصحي ومتابعة شؤونهم في التنقل والإقامة ورفع المظالم، وذلك المشروع الكبير الذي تعلقت به قلوب المسلمين في عهد السلطان عبدالحميد؛ سكة حديد الحجاز!

ومن عادة المؤلف -حفظه الله- أنه يضع في نهاية الكتاب فهرساً للفوائد، يضع فيه ما هو جدير بالنظر والمطالعة من المعارف واللطائف والغرائب والمواعظ وما يثير التأمل، وهذا الفهرس هو من بدائع ما يفعل المؤلف، ومن يبدأ بقراءته يزداد شوقاً لمطالعة الكتاب.

وقد صرَّح في كتابه «رحلتي مع القراءة» بقوله: «لما تعمقت في القراءة، رأيت أن أضع علامة على المواضع المهمة في الكتاب حتى أعود إليها فيما بعد، وقد أفادتني هذه الطريقة فيما بعد، فقد كنت إذا أردت الرجوع إلى كتاب قرأته من قبل فإني أقلّب صفحاته لأعرف المواضع المهمة فيه، وربما وضعت بعض التعليقات داخل الكتاب على ما أجده جيداً أو مستهجناً مما أقرؤه، وربما وضعت في صدر



للحصول على نسخة PDF من الكتاب

الكتاب بعد فراغي من قراءته رأيي فيه وفي مصنفه بكلمات موجزة قليلات، ثم إني انتهيت في القراءة إلى وضع فهرسة خاصة لفوائد كل كتاب أقرأه غالباً، وذلك الفهرست -فهرست الفوائد- هو العمل الأرضى عندي في باب القراءة؛ وذلك لأن الفهرست يعد خلاصة ما في الكتاب».

وللمؤلف أيضاً كتابان آخران يتعلقان بأمر الحج؛ أولهما: كتاب «المقالات النفيسة في الحج إلى الأماكن الشريفة»، وهو قريب من فكرة كتاب «الرحلات الحجازية»، إلا أنه عن المقالات لا عن الرحلات، وفيه جمع المؤلف عشرات من عيون المقالات التي كتبها أئمة وعلماء ودعاة وأدباء في شأن الحج ومعانيه وفقهه وآثاره في النفس والمجتمع، وما يوصَى به للحاج في نفسه، أو ما يُرفع للحكام والأمراء من النصائح في باب الحج، وقد استخرج هذه المقالات من المجلات والجرائد، وكثيرٌ منها في حكم الضائع؛ لأنه لم يُجمع ضمن كتب أخرى لصاحبه، فهذا الكتاب بستان آخر في عالم الحج والحجيج، وشعاع نور بديع تشاركت في نسجه ورسمه أقلام أصيلة رصينة.

وثانيهما: كتاب «الشوق والحنين إلى الحرمين»، وهو مستخلص من كتاب «الرحلات الحجازية»، إذ أفرد المؤلف أخبار الشوق والحنين لدى الحجاج وما يتصل بها في ذلك الكتاب الصغير، وحسناً فَعَل، إذ هو أرجى أن ينتشر ويُقرأ ويتحقق منه معنى التشويق والتحفيز إلى الحرمين الشريفين.

والخلاصة المقصودة أن كتاب «الرحلات الحجازية» هو نموذج بديع وعظيم للكتب التي ننصح أن ينصرف إليها الشباب عن غيرها من الروايات الأدبية والخيالية، فلا بد للمرء أن يكون حريصاً على عقله كما هو حريص على جسمه، بل غذاء العقل أهم وأولى من غذاء الجسم، لا سيما وكثيرٌ من غذاء العقل النافع هو أيضاً غذاء ممتع ولذيذ.■

الهوامش

(1) ابن حزم، رسائل ابن حزم، 73/4؛ ابن الجوزي، شذور العقود في تاريخ العهود، تحقيق: د. أحمد عبد الكريم نجيب، ط1 (د. م: مركز نجيبويه، 2007م)، ص33، 34.

(2) ابن الأكفاني، إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد، نشر: طاهر بن صالح الجزائري، (بدون بيانات نشر)، ص18؛ وانظر: مسكويه، تجارب الأمم، 49/1.

(3) المسعودي، مروج الذهب، 53/2.





تخاف بعض الزوجات من تقاعد الأزواج، وتتوقع خلافات ومشكلات كثيرة، بينما تترقب أخريات تقاعد أزواجهن ويعددن قوائم طويلة لأحداث سعيدة، ولا تهتم زوجات أخريات بذلك ويتفاجأن بعد التقاعد بما لم يُعددن له.

ولذلك كانت هذه الأسطر لنأخذ بيد الزوجات لينعمن -بمشيئة الله تعالى- بحياة أفضل وأكثر سعادة قبل وبعد تقاعد الأزواج.

نصائح للزوجات قبل تقاعد الأزواج وبعده

نجلاء محفوظ
كاتبة ونائبة رئيس تحرير «الأهرام»

أحياناً ننسى التفرقة بين التوقعات والأمنيات؛ فالأولى تسبقها مقدمات (واقعية) تبررها، والثانية أحلام قد تتحقق أو لا تتحقق، وكثيراً تخاصم الواقع؛ كتوقع الزوجة أن زوجها سيسارع بتعويضها عن ابتعاده عنها لانشغاله بالعمل وسيتفرغ للاهتمام بها، ويدللها وأولادها، وسيهتم بأسرتها وبتفاصيل حياتها، وهذا غير واقعي؛ فالزوج لا يحس بالذنب لاستغراقه بعمله، ويراه دليلاً على حرصه على النجاح بعمله ليعود بالخير المادي والمعنوي على أسرته، أما عن الشعور بالتقصير تجاه زوجته وأولاده، فتختلف فيه وجهات النظر بين الزوجين.

لا تعرف الزوجات أن الأزواج يمرون بعد التقاعد بارتباك نفسي، وأحياناً بأزمة نفسية، يجتازها بعضهم سريعاً، ويعاني منها آخرون طويلاً، والذي يجتاز أزمة لا يتمتع ببراح نفسي كافٍ ليتعمد التعامل الأفضل مع شركاء الحياة، وقد يحتد عليهم، أو ينعزل طلباً للسلامة لهم ولنفسه، ولمنع الاصطدامات.

ويتعرض جميع المتقاعدين -حتى من لم يحبوا أعمالهم- لبعض الاكتئاب؛ نظراً للتغيير الإجباري لنظام الحياة، وانخفاض الدخل المادي بعد التقاعد، حتى لو كانت لديه مدخرات كثيرة؛ فيندفع البعض بالقيام بنشاط تجاري، قد يضع فيه كل مدخراته وأحياناً مكافأة التقاعد؛ ليستمر بالشعور بالأمان المادي، وبأنه لن يضطر يوماً للعيش بأقل مما اعتاده هو وأسرته، ويلجأ آخرون للتقتير على أسرهم للسبب نفسه، وينكر غيرهم الخوف فيسرفون وكأنهم يُطمئنون أنفسهم؛ وكل ذلك ضار بالمتقاعد وأسرته، وعلى الزوجة في كل الحالات مخاصمة الحدة والنصائح المباشرة، ولا تخبر أسرتها ولا تسمح لأحد بالحديث مع زوجها بهذه الأمور الخاصة، ولتستمع لزوجها بصبر وهدوء تامين.

وعلى الزوجة ألا تقاطع زوجها، ولتمنع أي احتجاج ولو بملامح وجهها، وإذا لم يعجبها كلامه ووجدته منافياً للمنطق؛ فلا تقل له ذلك؛ فسيغضب وقد يختار العناد، خاصة إذا قالت له كلاماً يؤكد عدم ثقتها به أو يقلل من تقديرها له، ولتقل: حسناً، فلتأخذ وقتاً كافياً لتفكر بالأمر، واسترح جيداً واجمع المعلومات، وأثق أنك ستفعل الأفضل.. فمثل هذه الكلمات ستجعله يعيد التفكير، ويمكن مساعدته بجمع المعلومات اللازمة وإعطائه إياها بلا أي نصائح.

أما الزوج الذي يختار الإسراف فلتتركه قليلاً، ثم تخبره بلطف أنه كريم جداً، وعليه الادخار ليستمتع جيداً بثمار عمله.

ليس ضيفاً

تضيق معظم الزوجات بما يسمينه تدخل الأزواج بشؤون البيت -خاصة بعد التقاعد- وكأنه ضيف وليس رجل البيت والمسؤول عن الأسرة، وأكاد أسمع: وأين كان قبل ذلك؟

وأرد بكل الود والاحترام: كان يعمل



ليؤمِّن احتياجات الأسرة المادية، ولا يصح القول له: انتهى عملك، ولا نريد أن تغير أي شيء بحياتنا، واصمت ما تبقى لك من العمر، والتفت لشؤونك فقط ولا تزعجنا بتدخلاتك، ونثق أن هذا ما لا تعنيه أي زوجة؛ ولكن هذه هي الرسالة التي قد تصل للزوج المتقاعد من نظرات وكلمات الاعتراض على ملاحظاته.

ومؤكد أن بعض ملاحظاته جيدة؛ فليس منطقياً أنها كلها سيئة، فلماذا لا تشكره الزوجة بلطف وبلا مبالغة على التنبيه وتنفذها، ولا تتعامل بحساسية معها؛ فهي ليست دليلاً على فشل إدارتها للمنزل؛ فلا أحد منا كامل، وكلنا نحتاج لمن ينبهنا لنكون أفضل.

أما باقي الملاحظات؛ فإن كانت غير مهمة فلتتجاهلها، وإن كانت حيوية فلا تتعجل الرد ولتأخذ وقتاً كافياً للتفكير والرد بأقل الكلمات وبلطف وبلا جمل استفزازية، مثل: أنت تريد إلغائي، وأزواج صديقاتي لا يفعلون مثلك، وما شابه ذلك.. ومع عدم توقع أن يتراجع الزوج عن كل ما يرغب به؛ وهناك دائماً مساحات ذكية من المرونة والحلول الوسط، ولسان حال الزوجة يقول: ليست تنازلات بأي حال من الأحوال؛ فالتنازلات تورث المرارة والتحسر على النفس؛ بل هي مرونة ذكية لتجميل حياتي.

تلجأ الزوجة -بحسن نية- لتحسين العلاقة بين الأولاد والزوج المتقاعد؛ فهم لم يعتادوا تبرمه من أمور تخصهم أو بالبيت فتقول لهم: تحملوا والدكم؛ فهذه الجملة وحدها تجعلهم يشعرون بأنهم ضحايا، ولا أحد يحب هذا الشعور؛ ولذا ينفجرون بالغضب ويسيؤون التصرف مع الأب، والأفضل القول: افرحوا باهتمامه بكم، واستفيدوا من خبراته، حتى وإن كان يقولها بحدة، فهو يغضب لكم وليس عليكم، ويريد لكم الأفضل، ولا تسمح بأي كلمات مسيئة عن الأب حتى لو أخطأ؛ فليس مسموحاً للأولاد محاسبة الآباء، وعلى الزوجة أن تخبرهم بذلك، حتى لو كانت على خلاف مع الزوج؛ فتشجيعها للأولاد على العقوق ولو بنظرة للأب سيجعلهم يخسرون دينياً ودنيوياً.

جميع المتقاعدين يتعرضون لبعض الاكتئاب نظراً للتغيير الإجباري لنظام الحياة وانخفاض الدخل

معظم الزوجات يتضايقن من تدخل الأزواج بشؤون البيت وكأنه ضيف وليس المسؤول عن الأسرة

ربما تحاول الزوجة حباً للزوج دفعه لإيجاد عمل ولو كان تطوعياً لحمايته من توابع التقاعد النفسية

قد تحاول الزوجة -حباً للزوج- دفعه لإيجاد عمل مناسب ولو كان تطوعياً، لحمايته من توابع التقاعد النفسية، ونحترم ذلك، ونؤكد أن كل المطلوب من الزوجة هو الإشارة بأقل كلمات وبلا حماس زائد ولا كلمات، مثل: لتجعل لحياتك قيمة، أو لتستفد من وقتك؛ فهذه الجمل قد تأتي بنتائج عكسية إذا لم يرغب الزوج بالعمل، والأفضل الاكتفاء بالقول: ما رأيك بكذا وكذا.. فكّر واختر ما يناسبك، وسأدعمك فيما تختاره.

لا تبالغي

أما الزوجة التي تعمل وتقاعد زوجها قبلها فليست مجبرة على التقاعد المبكر، إلا إذا رغبت بذلك، فقد تزوجها وهو يعرف أنها تعمل؛ فلتواصل عملها ولا تغير معاملتها له، ولا تترك عملها وتشعر بالتضحية وتتوقع مقابلها، ولا تبالغ بمحاولات إرضائه وكأنها تعتذر بسبب مواصلة العمل، ولتهتم بشؤونه، ولا تتوقف عن إخباره بما يحدث بعملها، إن كانت تفعل ذلك سابقاً.

تظن بعض الزوجات أن الزوج بعد التقاعد يحتاج لمن يملأ له وقته، فتلتصق به ولا تترك له الفرصة لينفرد بنفسه، وترى أنها تحميه من الشعور بالوحدة، وهذا خطأ شائع، والأفضل منحه مساحته الخاصة، والانشغال عنه بأمورها المعتادة مع حسن التعامل معه وعدم توجيه انتقادات له، فهو ليس طفلك، بل زوجك، وإذا أردت شيئاً فقولي له بلطف: ما رأيك لو فعلت كذا؟ وتجنبي الإلحاح فنتائجه سيئة، ولا تتعاملي بلطف زائد وكأنه فقد عمله أو أصبح عجوزاً، وشجعيه دون مبالغة على مواصلة الرياضة والعودة لهواياته التي تركها لانشغاله بالعمل، ولا تتوقعي استجابة سريعة لما تريدين، ولا تقولي سيفيده؛ فكلنا نعلم ما يفيدنا ولا يسارع معظمنا لفعله، وهذه ليست دعوة للسلبية، ولكن لعدم المبالغة بالتشجيع حتى لا يشعر بالإجبار، وكلنا نكره ذلك.

إذا كان أمامك سنوات أو أشهر أو أسابيع ليتقاعد زوجك؛ فسارعي بحسن استثمارها؛ بتحسين علاقتك معه عاطفياً وبكل تفاصيل الحياة، وحسِّني صداقتك معه، أو ابدئي بتكوينها، فالوقت أمامك دائماً لتكوني صديقة زوجك، وتعاملي معه بود واحترام، وتوقفي عن كل الأمور التي تضايقه حتى لو رأيت أن بعضها غير منطقي؛ فالأهم والأذكى أن تعيشي بسعادة، وأشعريه بأهميته في حياتك بتدرج وبلا مبالغة، وتجاهلي تعليقات مثل: هل تريدين شيئاً؟ وماذا أصابك؟ واستمري؛ فهو فقط غير معتاد على توددك إليه.

ولا تقولي له: أدامك الله لأولادك، وقولي: أدامك الله لي ولأولادنا، ولا تختزلي أبداً علاقتك به كأب لأولادك وممول للبيت، واستعدي لما بعد التقاعد وزواج الأولاد؛ فستعيشان سوياً فقط، فاصنعي رصيداً جيداً، وسارعي بفعله بتدرج وبلا تعجل للنتائج.

واهتمي بغذائه ومظهره بالبيت وخارجه، ولا تهمليه أو تحاصريه، ولا تقولي له أو لنفسك أبداً: لقد كبرت، ولا تجبريه على اهتماماتك، وزيدي دوماً من نجاحك وسعادتك كزوجة.■



بقلم:
محمد سالم الراشد

بعض المثقفين العرب.. وجُبَّة الاستبداد!

يخرج لنا بين فترة وأخرى بعض الكتّاب والمثقفين العلمانيين لينظّروا لنا رؤاهم حول تحليل الأوضاع، ومنها ظاهرة الاستبداد العربي، ثم كالعادة يُلقون بتبعات تلك الظاهرة على «الإسلام السياسي»، وبدلاً من الانتقال لما يسمونه بالمشروع النهضوي العربي الذي سبق وأن فشل إبان منتصف القرن الماضي، وتكبدت الأمة العربية نتائج كارثية خلّفت نظاماً انقلابياً استبدادياً، ومع ذلك يعلِّقون أسباب انهزامهم وفشل مشروعهم على ظاهرة «الإسلام السياسي».

وعادة ما يكون ضربهم للأمثال انتقائياً من بلد دون آخر، فالبلدان العربية التي يتحكم فيها العسكر والاستبداد العربي أياً كان موقعها على الخريطة الجغرافية العربية هو المعسكر الذي وأد حركة الشعوب العربية نحو التحرر والانفتاح والانطلاق من أجل مشروع تنموي ديمقراطي، وقاموا بمواجهته بالحديد والنار والسجون، وما زالوا ينفقون المليارات على ذلك، ولم يحدد هؤلاء المثقفون العرب لماذا هم مستمرون في دعمهم انقلاب العسكر في مصر، أو دعم حفتر في ليبيا الذي مارس الإبادة الجماعية في بنغازي وترهونة، وحاصر طرابلس أكثر من سنة وقطع عنها إمدادات المياه والغذاء؟!

كما أنهم توقفوا عن نقد الدول الاستبدادية والأنظمة العسكرية المتصلة بمحور الثورات في إرهابها ودورها في التدخلات بليبيا واليمن وسورية وتونس، ومحاولة ترجيح الحكم العسكري على الحكم المدني في السودان، وكذلك دعم الأسد في سورية، والمجلس الانتقالي وطارق صالح في اليمن، وبقايا النظام البائد في تونس.

يريد بعض المثقفين العرب أن يمضوا تحت جبة العسكر والاستبداد من أجل توهمهم أن مشروع النهضة العربي سيكون من وراء هذه الأنظمة الاستبدادية.

لقد قامت ثورات الشعوب العربية في دول حكمها العسكر والاستبداديون عقوداً من الزمن حتى ضاقت الأرض بما رحبت بالناس؛ فكانت ثورات عفوية، لكنها أقامت حكماً مدنياً ديمقراطياً، واحتكمت للصناديق الانتخابية، وعندما نسجت دساتير مدنية توسّع الحريات وترسّخ العدالة وتمضي للتنمية رفضها بعض المثقفين العرب وتحالفوا مع العسكر والمستبدين؛ ليتم الانقلاب في مصر، والانقلاب على الثورة في اليمن وليبيا، وخذلان الشعب السوري في ثورته.

وهكذا ليدعموا عودة العسكر والاستبداد وإقصاء «الإسلام السياسي»، بل وسايروا تلك الأنظمة الاستبدادية والعسكرية في تصنيف «الإسلام السياسي» بـ«الإرهاب» ظلماً وعدواناً، هكذا اعتقاداً منهم بأن ذلك سينهي مشروع الشعوب لتحرير نفسها لأنها اختارت طريق الحرية والتنمية عبر الإسلاميين والشعوب العربية.

ومع الهزائم الأخيرة لمعسكر الاستبداد العربي والمضاد لحرية الشعوب ونهضتها في ليبيا والسودان وتونس واليمن، تطلق بعض التسجيلات الصوتية لما سمي بـ«خيمة القذافي»؛ أي منذ ما يقارب العشرين عاماً إلى الوراء.

ربما يجدون ما يقيمون من أجله فرصة يلجؤون إليها لوصم مخالفيهم بالإرهاب والخيانة وغيرها من الاتهامات التي لا تصمد أمام منطق العقل والتاريخ، فضلاً عن صمودها أمام منصة القانون.

وهكذا دأب هؤلاء المثقفون على استغلال كل فرصة لدعم التدخل الخارجي في بلدانهم ما دام ذلك سيساعد في إقصاء منافسيهم ممن ينتسبون إلى ما يسمى بـ«الإسلام السياسي»، في حالة يرثى لها من التقييم المتطرف وعدم العدل والبعد عن الإنصاف المنهجي، ويواجه هؤلاء المثقفون اليوم تحديات تراجع منطق الإرهاب الفكري والتخوين ومسايرة الإعلام الدكتاتوري وإعلام الفتنة؛ إذ إن وعي الشعوب في ارتقاء وصعود، وإن الشعوب العربية والخليجية قد استبان لها -بعد عقد من أول محاولة لحكم مدني ضد الاستبداد الماضوي- أن مسار الثورة المضادة وحكم الاستبداد والانقلابات يحوي تحت جبته مجموعة من المثقفين العرب الذين أصبحوا من الماضي، وأن هذه الظاهرة لا شك في طريقها إلى الاندثار.■

AL-MUJTAMA'A
المجتمع
مجلة المسلمين في أنحاء العالم
العدد (2147) - السنة (51) المحرم 1442هـ / 1 سبتمبر 2020م



سمو ولي العهد:

لا أحد فوق القانون.. ولا حماية لفاسد

التغريب وخطره على الأمة


@mugtama

www.mugtama.com

facebook.com/mugtama

@mugtama

الكويت 750 فلساً ـ السعودية 10 ريالات ـ البحرين دينار بحريني ـ قطر 10 ريالات ـ سلطنة عمان ريال عماني ـ الأردن 1.750 دينار أردني ـ لبنان 4500 ليرة ـ المغرب 23 درهماً
USA $ 5 - Canada $ 6 - Australia AUD 6 - URB 3.5 - India INR 110 - Pakistan PRS 200 - Turkey TRY 7 - U.k £ 3

AL-MUJTAMA'A

المجتمع

مجلة المسلمين في أنحاء العالم

العدد (2147) - (السنة 51)

إسلامية أسبوعية تصدر شهرياً مؤقتاً
تأسست عام 1390هـ - 1970م
جمعية الإصلاح الاجتماعي - الكويت

رأس مجلس إدارتها
حتى 1427/8/10هـ - 2006/9/3م
عبد الله علي المطوع يرحمه الله

رئيس التحرير
محمد سالم الراشد

مدير التحرير
جمال الشرقاوي

الإخراج الفني
مصطفى عزالدين

المراسلات

العنوان البريدي: الكويت ص.ب (4850) الصفاة.
الرمز البريدي (13049)

التحرير
22514180 - 22519539
22513616 (داخلي 205).
mujtamaa@gmail.com
info@mugtama.com

الاشتراكات والتوزيع
تليفاكس: 22560525 (00965)
sales@mugtama.com

الموقع الإلكتروني
www.mugtama.com

موقع جمعية الإصلاح
www.eslah.com

طبعت بمطابع «الهدف» التجارية





ادخل على موقع «المجتمع»

في هذا العدد

موضوع الغلاف

التغريب.. وخطره على الأمة

حركة «المجتمع» في فضاء الإعلام

أمر الله سبحانه وتعالى المسلم أن يعيش حياته نسيجاً واحداً متكاملاً شاملاً لله عز وجل، وأمره أن يكون شعاره في الحياة ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ (الأنعام).
وأراد الإسلام من أتباعه أن يعيشوا حياتهم الاجتماعية والسياسية والعلمية والنفسية والتربوية والإعلامية، وما شئت من أسماء ومسميات مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بعرى هذا الدين سواء بسواء، ومن هذا المنطلق القيمي تنطلق «المجتمع» في فضاء الإعلام، متخذة شمولية الرسالة الإعلامية شعاراً لها؛ فتجمع بين الشأن الديني والتناول السياسي والتحليل الاقتصادي والتوجيه الأسري والتربوي.■



رأي المجتمع

العمل الخيري الكويتي.. في ذكرى اليوم الدولي

أُعتمد الخامس من سبتمبر من كل عام يوماً دولياً للعمل الخيري، وقد أعلنت الجمعية العامة للأمم المتحدة عن هذا اليوم في عام 2012م، وقالت: إن الهدف الأساسي لليوم الدولي للعمل الخيري هو التوعية بالعمل الخيري وتوفير منصة مشتركة للأنشطة الخيرية حول العالم؛ ليشارك بها الأفراد والمنظمات الخيرية والإنسانية والتطوعية من أجل تحقيق أهدافهم على المستوى المحلي والوطني والإقليمي والدولي.

وبهذه المناسبة الدولية، نستذكر جهود العمل الخيري الكويتي على المستوى المحلي والعربي والإسلامي والدولي.

فالشعب الكويتي جُبل على حب الخير منذ القِدَم؛ ويفزع دائماً لنصرة أصحاب الحاجة، وإغاثة ونجدة من تحل بهم الكوارث والابتلاءات.

ويوماً بعد يوم، تؤكد الكويت، عبر مؤسساتها الخيرية العملاقة، أنها أرض النجدة والإغاثة، وأن أهلها الخيّرين هم أهل النخوة والمروءة لإغاثة كل محتاج، التي لن تكون آخرها بإذن الله فزعة إغاثة الشعب اللبناني.

فموقف الكويت؛ أميراً وبرلماناً وحكومة وشعباً، دائماً يمثل وساماً على الصدور، كما يمثل دافعاً وقوة لمؤسسات العمل الخيري لمزيد من انطلاق هذا العمل حول العالم؛ ليؤدي رسالته الإنسانية التي ترفع اسم الكويت عالياً، وليس ذلك غريباً؛ فمؤسسة الحكم في الكويت ترعى وتساهم وتدعم العمل الخيري الكويتي حول العالم منذ القدم، وذلك واضح وجلي من مواقف وأقوال سمو أمير الكويت الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح، حفظه الله، الذي أكد قائلاً: «إن العمل الخيري الكويتي تاج على الرؤوس»، ووصية أمير الكويت الراحل سمو الشيخ جابر الأحمد الصباح لأهل الكويت بقوله يرحمه الله: «كونوا عوناً على فعل الخير»، وتأكيدات رؤساء مجالس الأمة الكويتي، ورؤساء مجالس الوزراء على رعاية العمل الخيري.

وهكذا يواصل العمل الخيري الكويتي مسيرته الإنسانية الناصعة بكل قوة وثبات، مدعوماً من الشعب الكويتي المسلم، ولم -ولن- تعطل مسيرته تلك الأقلام المسمومة والأبواق الرخيصة التي تحاول تشويه رسالته السامية، وخدماته الإنسانية الجليلة التي يشهد بها العالم أجمع، التي تنتشر آثارها في شتى بقاع الأرض.■

آية العدد

﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦١) الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

(البقرة)

وكلاء التوزيع:

الكويت: شركة باب الكويت للصحافة:
ت : 22272733 ف: 22272736
distribution@alanba.com.kw



السعودية:الشركة السعودية للتوزيع:
www.saudidistribution.com
الإدارة العامة: الرياض0096612128000
فرع الرياض: 0096612705837

فرع جدة: 0096626530909
فرع الدمام: 0096638473569

قطر :
دار الثقافة ت: 4622182 / ف: 4621800
البحرين :
مؤسسة الأيام للصحافة والنشر والتوزيع
ت :725111 / ف : 723763
TURKIYE- DUNY SUPER DAGITIM
Tel: (90 -1) 5120190
Fax: (90- 1) 5140883

الاشتراكات:

الكويت: 10 دنانير كويتية
الدول العربية: 17 ديناراً كويتياً
الدول الأجنبية: 25 ديناراً كويتياً
للمؤسسات والشركات: 30 ديناراً كويتياً

تشمل عمولة التحويل

الإعلانات :
امتياز الإعلان : مجلة المجتمع
ت: 22560525 - 22560526 الكويت.





سمو نائب الأمير:
لا أحد فوق القانون ولا حماية لفاسد

التعدي على حريات الناس مرفوض وسيواجه أصحاب الأفعال الدنيئة العقاب العادل

نحذر من مظاهر العبث والفوضى والمساس بكيان الوطن ومؤسساته

لن يفلت أي مسيء من العقاب وواثقون بأن شعب الكويت لن تنطلي عليه الأباطيل

وجّه سمو نائب الأمير ولي العهد الشيخ نواف الأحمد الجابر الصباح، حفظه الله ورعاه، إلى أبنائه المواطنين كلمة وضع سموه خلالها -بلغة حاسمة وحازمة ورؤية واضحة- النقاط على الحروف إزاء ما تشهده الساحة المحلية من أحداث طارئة.

حيث وصف سموه التسريبات الأخيرة بأنها «بدعة وممارسات شاذة ومرفوضة وتعدٍّ على حريات الناس وخصوصياتهم، تطول بعض العاملين في مؤسساتنا الأمنية»، محذرًا من أن ما يدور في الساحة «مظاهر عبث وفوضى ومساس بكيان الوطن ومؤسساته».

وأكد سموه اعتزازه «بمؤسساتنا الأمنية ورجالها ونسائها المخلصين، ولن يضيرها أو ينتقص من قدرها شذوذ البعض الذين سينالون قصاصهم العادل جرّاء أفعالهم الدنيئة».

وقال سموه: إن البعض يحاول شق الصف وإثارة الفتنة، لكن «الأمر بيد قضائنا العادل، وأشدد: لن يفلت مسيء من العقاب»، واصفاً التسريبات بالأفعال الدنيئة التي ينبغي التوقف عن تداولها، موضحاً أنه «لن يستفيد من تداول المواد الضارة غير أعداء الوطن، ومن يسعون إلى تحقيق مصالح خاصة على حساب أمنه واستقراره».

وردّ سمو نائب الأمير على من يثير التساؤل حول محاسبة أبناء الأسرة الحاكمة بأنهم جزء من أبناء الشعب الكويتي وتسري عليهم القوانين ذاتها، ومن يخطئ يتحمّل مسؤولية خطئه، فليس هناك من هو فوق القانون.

وأكد سموه أنه لا أحد فوق القانون، ولا حماية لفاسد مهما كان اسمه أو صفته أو مكانته.

ودعا الحكومة ومجلس الأمة إلى اعتماد التدابير الفاعلة والتشريعات الكفيلة بردع الفاسدين والقضاء على مظاهر الفساد وأسبابه بكل أشكاله.

كما شدّد سمو نائب الأمير على أن محاربة الفساد ليست خياراً، بل هي واجب شرعي واستحقاق دستوري ومسؤولية أخلاقية، ومشروع وطني يشترك الجميع في تحمّل مسؤوليته.

ووصف الفساد بأنه آفة مدمرة، قائلاً: «ورأينا كيف أحال أمماً متقدمة إلى كيانات مهلهلة يفتك بها الفقر والجهل والمرض، وقد استشعرنا غزو هذه الآفة بلدَنا عبر مظاهر مختلفة».

وقال سموه: «إذا كنا نشكو من الفساد فليس من المقبول أن يصور البعض الكويت بأنها أصبحت موطناً للفساد! ولنا وقفة جادة وحازمة لمواجهة هذا الخطر المدمر بكل عزم وقوة».

كما بيّن سمو نائب الأمير أن «شعب الكويت الأصيل لن تنطلي عليه هذه الأباطيل، ولن نسمح لقلة ضالة بجرّ بلدنا إلى الانقسام والفوضى باسم الحرية الزائفة».

وأعاد سموه إلى الأذهان ما حذّر منه سمو الأمير مراراً بشأن خطورة انحراف بعض وسائل التواصل الاجتماعي وما تشكّله من معاول هدم وتخريب لبنيان مجتمعنا وقيمه الفاضلة، وما تحفل به من افتراءات وإثارة للفتن وإشاعة روح الإحباط والتشاؤم وإطلاق الاتهامات بلا دليل، وقال: «إن الأمر يُوجب الإسراع في ترجمة التوجيه السامي بالقضاء على من أسماهم سموه (سمو الأمير) أشباح الفتنة، حفاظاً على أمن البلاد وصيانة مجتمعنا».

كما دعا سموه السلطتين التنفيذية والتشريعية إلى تصويب مسار العمل واستشعار التحديات والمخاطر، مشدّداً على أنه أمام الكويت تحديات حقيقية جادة، لا تحتمل ترف التسويف والانشغال بالمماحكات السياسية وتصفية الحسابات، وتسجيل النقاط والانحراف في استخدام الأدوات الدستورية الرقابية.

وأشاد سمو نائب الأمير برئيس مجلس الوزراء سمو الشيخ صباح الخالد، وقال: «أمامنا الكثير من الملفات والقضايا المهمة، نتيجة تراكمات طويلة تحتاج في معالجتها الجدية والحكمة والفكر الخلاق، كما تحتاج التعاون البنّاء والإيجابية وروح الفريق الواحد، ولنا في سمو الشيخ صباح الخالد وقدرته على التصدي لهذه الملفات ثقة كبيرة مستحقة، بالتعاون مع المخلصين من أبناء هذا البلد الكريم».

خطاب الحزم

هذا، وقد أكد عدد من نواب مجلس الأمة أن خطاب سمو نائب الأمير ولي العهد الشيخ نواف الأحمد الصباح كان واضحاً وصريحاً بضرورة مواجهة آفة

الفساد، مع التأكيد على أنه لا أحد فوق القانون.

وأشاد رئيس مجلس الأمة مرزوق الغانم بخطاب سمو نائب الأمير ولي العهد الشيخ نواف الأحمد الذي وجهه للشعب الكويتي، واصفاً إياه بأنه «خطاب الحزم ووضع النقاط على الحروف».

وقال الغانم: «هكذا يتصرف رجال الدولة الكبار، وهكذا ينبرون في مثل تلك المنعطفات التاريخية الوطنية ليعيدوا الأمور إلى نصابها الصحيح».

وقال الغانم: «عندما يتحدث سموه عن آفة الفساد فهو يذهب باتجاهين متوازيين؛ الأول: التشديد على ضرورة محاربة الفساد، وأنه لا أحد فوق القانون حتى لو كان من الأسرة الحاكمة، والثاني: عدم اتخاذ تلك الأفعال الشاذة سبباً ومطية لإشاعة ثقافة الإحباط وتصوير الكويت وكأنها بؤرة فساد كما وصفها سموه».

من جانبه، قال النائب محمد الدلال: بعد خطاب سمو نائب الأمير ولي العهد، على الحكومة ترجمة الخطاب إلى خطوات عملية جادة تبدأ بإعادة تقييم جهاز أمن الدولة وإعادة بنائه من جديد وفق معايير جادة وقانونية، وإيكاله إلى قيادات مسؤولة.

وأضاف أن سموه أكد في خطابه احترام خصوصية الناس وحرمة انتهاكها، وعلى الحكومة المبادرة مع المساءلة باتخاذ إجراءات حازمة لمنع أي تجاوز على خصوصيات وحريات الأفراد، وبإعادة النظر في التشريعات باتجاه التشدد في احترام خصوصيات الناس ومنع التجاوز عليها.

أما النائب أسامة الشاهين فقال: إن تأكيد سمو نائب الأمير على الحزم والقوة في محاربة الفساد، ومحاسبة المخطئ من أبناء أسرة الصباح الكريمة وغيرها، وعدم حماية الفاسدين مهما علوا، محل تقديرنا واعتزازنا جميعاً، وطالب الحكومة بترجمة الخطاب لإجراءات عملية فورية، مبيناً أن تجديد سمو نائب الأمير بالتمسك بالديمقراطية والحريات العامة والدستور مبعث إجماع واعتزاز يتجدد.

وقال النائب محمد المطير: إن كلمات سمو نائب الأمير، حفظه الله، واضحة ألفاظها، سديدة معانيها، وأضاف أن الدور الآن على سمو رئيس الوزراء لترجمتها عملياً، وأكد أن أول إجراءات رئيس الوزراء يجب أن تكون إبعاد كل من وجوده في الحكومة سيفقد الشعب الثقة بإجراءاتها؛ لأنه سبب المشكلة وأصل بقائها.

من جانبه، قال النائب د. حمود الخضير: «سمعاً وطاعة يا سمو نائب الأمير، ونعاهد سموك على تنفيذ التوجيهات السامية بتعاون السلطتين في إقرار التشريعات المطلوبة للتصدي لمثيري الفتن ومظاهر الفساد، وكلنا ثقة في شعبنا الوفي بالحفاظ على كويت المحبة والسلام من عبث العابثين».

بدوره، قال النائب د. عادل الدمخي: «سمعاً وطاعة يا سمو نائب الأمير ولي العهد، وسنتصدى بإذن الله وفق مسؤوليتنا لكل من يعبث فساداً في بلدنا بالطرق القانونية والدستورية، وخاصة من يعبث بالأمن الوطني والشخصي وينتهك حرمات الناس وخصوصياتهم، وهذا ما أقسمنا عليه أمام الشعب الكويتي».

وقال النائب د. محمد الحويلة: «جاءت كلمة سمو نائب الأمير ولي العهد الشيخ نواف الأحمد بأسلوب الوالد الحكيم الذي يثق بأبنائه ويعول عليهم، وحملت مضامين سامية ورسائل عميقة».■



كتب- سيف الدين باكير:

استنفرت دولة الكويت على المستويين الرسمي والشعبي لإغاثة الشعب اللبناني، وذلك بعد التفجير المروع الذي ضرب مرفأ بيروت في الرابع من أغسطس الماضي، وأدى إلى مقتل ما لا يقل عن 180 شخصاً، وإصابة نحو 6 آلاف آخرين، وتسبب في دمار هائل بأحياء العاصمة وخسائر بمليارات الدولارات.

عقب تفجير مروّع ضرب مرفأ بيروت وخلَّف آلاف القتلى والجرحى..



فزعة كويتية لإغاثة الشعب اللبناني

أكدت دولة الكويت؛ حكومة وشعباً، وبناء على حرص وتوجيهات صاحب السمو الأمير الشيخ صباح الأحمد، وسمو نائب الأمير ولي العهد الشيخ نواف الأحمد، حفظهما الله ورعاهما، تقديم كل الدعم وتوفير كل المستلزمات الضرورية في مواجهة تداعيات الحادث الأليم للأشقاء في لبنان.

فقد أجرى سمو نائب الأمير ولي العهد الشيخ نواف الأحمد اتصالاً هاتفياً بالرئيس اللبناني العماد ميشال عون، أعرب خلاله عن تعاطف دولة الكويت مع لبنان الشقيق في مواجهة حادث الانفجار، ودعمها له في مواجهة آثاره ووقوفها إلى جانبه، وعبر سموه عن خالص تعازيه وتعازي الشعب الكويتي له وللشعب اللبناني

الكويت ستعيد بناء صوامع القمح في مرفأ بيروت التي دمرها الانفجار

تخصيص 41 مليون دولار لمساعدة لبنان

ولأسر الضحايا، متمنياً سموه للضحايا الرحمة والمغفرة، وللمصابين سرعة الشفاء والعافية، سائلاً سموه المولى تعالى أن يحفظ لبنان وشعبه الشقيق من كل مكروه.

وكانت توجيهات سامية صدرت بإرسال مساعدات طبية عاجلة إلى الأشقاء في لبنان لمواجهة آثار الانفجار.

من جهته، أعلن رئيس مجلس الوزراء الشيخ صباح الخالد، في المؤتمر الدولي لدعم بيروت، استعداد الكويت لتقديم الدعم للبنان في مواجهة كارثة الانفجار بالتزامات مسبقة على الصندوق الكويتي للتنمية يعاد تخصيصها لمصلحة لبنان بما يقارب 30 مليون دولار، سيتم التنسيق بشأنها مع السلطات اللبنانية لدعم الأمن الغذائي، إضافة إلى مساعدات طبية وغذائية عاجلة تصل إلى 11 مليون دولار، إضافة إلى تبرعات الجمعيات الخيرية الكويتية.

وتسلَّم لبنان أولى المساعدات العاجلة من الكويت التي نقلت بواسطة طائرة تابعة للقوة الجوية الكويتية على متنها 35 طناً من المستلزمات الطبية لدعم الشعب اللبناني.

من جهتها، قالت رئاسة أركان الجيش الكويتي: إن هذه الشحنة جاءت تنفيذاً للتوجيهات السامية، وتجسيداً لروح الأخوة والتعاون المشترك بين الكويت ولبنان، وحملت احتياجات ومساعدات طبية طارئة لتأمينها للمتضررين جراء حادث الانفجار.

بدوره، عبر مجلس الأمة الكويتي، في بيان، وقوف دولة الكويت مع لبنان في هذه المحنة، مستذكراً الموقف المبدئي للبنان عندما كان أول بلد عربي يدين ويستنكر ما تعرضت له الكويت في يوم الثاني من أغسطس 1990م من غزو غاشم واحتلال.

بناء صوامع القمح

وفي خطوة إنسانية لافتة، أعلن سفير الكويت في بيروت، عبدالعال القناعي، أن الكويت ستعيد بناء صوامع القمح في مرفأ بيروت التي دمرها الانفجار.

وقال: إن الكويت أنشأت جسراً جوياً بعد وقوع انفجار المرفأ، وإن 18 طائرة نقلت حتى الآن نحو 800 طن من المساعدات التي ستتواصل للتخفيف من المحنة والكارثة التي ألمت بالشعب اللبناني.

وعلى المستوى الشعبي، أطلقت عدة هيئات وجمعيات خيرية كويتية حملات عاجلة لإغاثة متضرري انفجار بيروت تحت شعار «فزعة للبنان».

فقد عبرت جمعية الإصلاح الاجتماعي عن تعاطفها وتضامنها مع الشعب اللبناني في مصابه الأليم، وأعلنت عن فتح باب التبرعات لإغاثة الشعب اللبناني.

وقال رئيس مجلس إدارة الجمعية د. خالد المذكور: نقف مع إخواننا بلبنان في مصابهم انطلاقاً من واجب الأخوة العربية والإسلامية، وقول الله تعالى: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ (المؤمنون: 52)، وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى».

وأثنى المذكور على تفاعل الشعب الكويتي بكل فئاته مع هذا المصاب الجلل، وخاصة التوجيهات السامية من سمو نائب الأمير ولي العهد الشيخ نواف الأحمد، بإرسال مساعدات طبية عاجلة إلى الأشقاء في الجمهورية اللبنانية لمواجهة آثار الانفجار، مشيراً إلى أن الاهتمام الدائم الذي تبديه الكويت للبنان واللبنانيين يعكس بأمانة الحرص الكويتي على دعم لبنان في المحافل الإقليمية والدولية، والعمل للمحافظة على استقراره وأمنه واقتصاده.

وأكد المذكور أن ما يربط الشعبين الكويتي واللبناني من وشائج ضاربة في عمق التاريخ وعلاقات أخوية استدعى الوقوف بجانب الشعب اللبناني في مثل هذه الظروف، وأشار إلى أن لبنان وقف دائماً إلى جانب الحق الكويتي، فقد بادر بالاعتراف الفوري باستقلال دولة الكويت عام 1961م، وكان رئيس الوزراء اللبناني الأسبق د. سليم الحص أول من أدان بصراحة وقوة الغزو العراقي الغاشم لدولة الكويت عام 1990م.

فيما جمعت «نماء للزكاة والتنمية المجتمعية» بجمعية الإصلاح الاجتماعي 100 ألف دولار حتى الآن ضمن حملتها «بيروت تستغيث»، بحسب مديرها العام سعد العتيبي.

وأعلنت جمعية الهلال الأحمر الكويتي عن حملة تبرعات لمصلحة الشعب اللبناني، وأرسلت طائرة إغاثية من قاعدة عبدالله المبارك الجوية إلى لبنان، وعلى متنها 36 طناً من الأدوية والكراسي المتحركة وحليب الأطفال وأكياس الدم.

وأشار رئيس مجلس إدارة الجمعية د. هلال الساير إلى أن فريقاً من المتطوعين توجه إلى لبنان لتوفير الاحتياجات اللازمة وتقديم كل الإمكانات، بالتعاون مع سفارة الكويت في بيروت والصليب الأحمر اللبناني.

وتحت شعار «فزعة للبنان»، أطلقت الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية حملتها العاجلة لإغاثة متضرري الانفجار، وفي هذا السياق خصصت 250 ألف دينار للإسهام في تضميد جراح المنكوبين.

وقال المدير العام للهيئة الخيرية م. بدر الصميط: إن الهيئة عقدت اجتماعاً عاجلاً فور وقوع الانفجار لتقدير الموقف ودراسة التقارير والاحتياجات التي وردتها من شركائها، وعلى الفور خصصت مبدئياً 250 ألف دينار للمساعدة في الدعم الإغاثي والصحي والإيوائي للمتضررين، كما أطلقت حملة شعبية لدعوة المتبرعين للإسهام في تخفيف معاناة الضحايا.

ولفت إلى أن فرق العمل بالهيئة الخيرية استنفرت جهودها للوقوف إلى جانب الشعب اللبناني حتى نهاية أزمته، مشدداً على أن التضامن مع المنكوبين في هذا الظرف الاستثنائي والدقيق واجب شرعي وإنساني.

«نماء» أطلقت حملة «بيروت تستغيث» وجمعت 100 ألف دولار

«الهيئة الخيرية»: 250 ألف دينار لتضميد جراح المنكوبين

«النجاة»: «أبشري لبنان» لجمع مبلغ 100 ألف دينار

«الرحمة العالمية»: 7 شاحنات إغاثية بها أكثر من 7 آلاف طرد من المواد الإغاثية

«النوري» أطلقت حملة «اطمئني بيروت» وسيّرت 9 قوافل إغاثية

إلى ذلك، سيّرت جمعية الرحمة العالمية في إطار حملتها التي أطلقتها «الكويت معكم» 7 شاحنات تحمل مواد إغاثية للبنان، وقال ممثل الجمعية وليد السويلم: الجمعية وزعت مواد إغاثية على المتضررين من الانفجار المروع، حيث سيّرت 7 شاحنات بها أكثر من 7 آلاف طرد من المواد الإغاثية الضرورية، واستفادت 7 آلاف أسرة متضررة من البرنامج الغذائي، لافتاً إلى أن فرق العمل بجمعية الرحمة العالمية استنفرت جهودها للوقوف إلى جانب الشعب اللبناني حتى نهاية أزمته.

كما أعلنت جمعية الشيخ عبدالله النوري الخيرية تسيير 9 قوافل إغاثية، بالتعاون مع عدد من المؤسسات الخيرية اللبنانية، وقال مدير إدارة تنمية الموارد والإعلام بالجمعية عبداللطيف الدواس: أطلقنا حملة «اطمئني بيروت» عقب وقوع الحادثة مباشرة، موضحاً أن الجمعية قدمت الطرود الغذائية والمساعدات الطبية، بالإضافة إلى صيانة وترميم العديد من المنازل المتضررة جراء الانفجار، بكلفة بلغت 50 ألف دينار كويتي، استفاد منها 5600 متضرر.

وأوضح رئيس الجمعية الكويتية للإغاثة أحمد الجاسر أن الجمعية كعادتها بادرت بدعوة مجموعة من الجمعيات الخيرية لدراسة كيفية إطلاق المساعدات بأقصى سرعة ممكنة، وبالتنسيق مع وزارتي الشؤون والخارجية تم بفضل الله تعالى اعتماد مبلغ 100 ألف دينار كإغاثة عاجلة أولية تحت شعار «الكويت بجانبكم».

من جهته، صرح رئيس قطاع الموارد والعلاقات العامة والإعلام بجمعية النجاة الخيرية عمر الثويني بأن الجمعية أطلقت حملة إغاثية عاجلة لنجدة ومساعدة الأشقاء في لبنان، تحت شعار «أبشري لبنان» لجمع مبلغ 100 ألف دينار.

وقال الثويني: ما نقلته لنا العدسات من مشاهد تقشعر لها الأبدان، فقد شاهدنا اللحظات الأولى لكارثة الانفجار الضخم الذي هز العاصمة اللبنانية بيروت، وهذه المشاهد آلمتنا جميعاً ودفعتنا للمسارعة بإطلاق هذه الحملة.■

رحل في مثل هذا الشهر..

عبدالله العلي المطوع وفقه إدارة الأزمات



كانت لتربيته أثر كبير في دعم القضية الفلسطينية ودعم الشعوب الإسلامية المستضعفة في مواجهة الإمبريالية

كان له دور مهم في إنقاذ مؤتمر جدة الشعبي من الفشل إثر حدوث خلافات قبيل افتتاحه

دعا إلى مؤتمر الرياض الإسلامي الذي حقق نجاحاً كبيراً في مواجهة مؤتمر لصدام بالعراق

كان يوزع الأموال بسخاء على المناضلين والمقاومين وأبناء الشعب الكويتي

تتدافع الأيام، وتتزاحم الليالي، وتظل ذكرى الصالحين متعمقة في نفوس الجميع، لما لمسوه منهم من الفهم السديد، والإيمان القويم، والعمل الدؤوب لنصرة هذا الدين، وظلوا كذلك حتى لقوا الله وهم على ذلك.

وفي مثل هذه الأيام، رحل عن عالمنا أحد القادة الذين وهبهم الله حسن إدارة الأزمات ودبلوماسية الحوار ووطنية القيادة، وهو العم عبدالله العلي المطوع، الذي رحل يوم الأحد 10 شعبان 1427هـ/ 3 سبتمبر 2006م.

رحل المطوع وقد ودعه ورثاه العلماء والأمراء والمحبون والفقراء والدعاة والتلاميذ والشعراء، لما تركه في نفوسهم من تأثير تربوي ومواقف عملية وحية.

رحل بعدما حشد الجموع من أجل نصرة بلاده حينما اجتاحها الغزو العراقي عام 1990م، حيث تحرك على جميع الأصعدة لشحذ همم القادة والشعوب من أجل تحرير بلاده.

بين الصفوف المؤمنة:

ولد العم عبدالله بن علي بن عبدالوهاب المطوع القناعي عام 1345هـ/ 1926م بالكويت، ونشأ في أجواء عائلية ملتزمة ساعدت على رسم طريقه واختيار رفقته.

تمرس منذ صغره في العمل التجاري حتى أضحى وسط الجميع التاجر الصدوق، وأصبح بوابة العمل في الحقل الإسلامي بعدما تعرف على الشيخ حسن البنا في رحلة الحج عام 1367هـ/ 1946م، حيث أسهم في تأسيس جمعية الإرشاد الإسلامي، في عام 1950م، كأول عمل إسلامي مؤسسي بالكويت، ثم جمعية الإصلاح الاجتماعي في مطلع الستينيات، وأصبح رئيس مجلس إدارتها.

العمل الجهادي:

كانت لتربية عبدالله المطوع وحبه لدينه وأوطانه الأثر الكبير في دعم القضية الفلسطينية، بل ودعم الشعوب الإسلامية المستضعفة في مواجهة الإمبريالية المقيتة.

كانت القضية الفلسطينية قضية كل مسلم، فمنهم من نصرها بماله أو نفسه أو وقته، وقد عمل أبو بدر المطوع على نصرتها بكل ما أوتي.

فحينما أنشئت قواعد ومعسكرات الشيوخ بمنطقة الأغوار في الأردن لمناجزة اليهود، شارك بماله في دعم المجاهدين الذين كان لهم دور كبير في معاركهم ضد اليهود في الفترة من عام 1968 حتى 1971م.

الدبلوماسية من أجل وطنه:

كانت من المواقف التي ميزت عبدالله المطوع دبلوماسيته المحنكة التي جمعت الآراء حينما اجتاح الغزو العراقي الكويت.

فقد كان أبو بدر في الأردن يقضي إجازة الصيف حينما دخل الجيش العراقي إلى الكويت، واستولى عليها؛ فسارع أبو بدر يتحرك في جميع الاتجاهات ليوحد الجهود، ويشحذ الهمم من أجل تحرير وطنه.

وقد يخفى على البعض دوره الكبير في إنقاذ «مؤتمر جدة الشعبي» بعد الاحتلال، حيث حصلت اختلافات قبيل افتتاح المؤتمر بساعات من بعض التيارات السياسية، وكادوا يفشلون المؤتمر والجماهير تنتظر في القاعة، فما كان منه إلا أن سارع بالالتقاء بهم ومحاورتهم وإقناعهم بتقديم مصلحة الكويت قبل كل شيء، فتم الإصلاح قبل ساعتين فقط من الافتتاح!

ولا يجهل أحد زيارته لمصر قبل مؤتمر «جدة» الشعبي التاريخي؛ حيث التقى بجميع الأحزاب والفعاليات السياسية المصرية وقيادات ورؤساء الأحزاب، منهم فؤاد سراج الدين، رئيس حزب الوفد، وخالد محيي الدين، رئيس حزب التجمع، وإبراهيم شكري، رئيس حزب العمل، كما التقى مجموعة كبيرة من العلماء والمسؤولين، وكذلك قيادات جماعة الإخوان، وكانت مواقف الجميع مشرفة، كما قال رحمه الله، حيث أبدوا كامل استعدادهم وتأييدهم للقضية الكويتية.

وقام بالتعاون مع وزارة الإعلام الكويتية بنشر الفظائع التي ارتكبها النظام العراقي الغاصب داخل الكويت، وغير ذلك من الأنشطة والجهود الوطنية.

كما شارك في العديد من الوفود الشعبية التي زارت دولاً كثيرة برفقة العم يوسف الحجي، والنائب أحمد السعدون، ووزير الإعلام آنذاك يوسف السميط، والعم أحمد سعد الجاسر.. وآخرين؛ لشرح القضية الكويتية.

ومن أدواره المشهودة في تلك الفترة الدعوة إلى مؤتمر إسلامي في الرياض، عندما علم بأن صدام حسين يعد العدة لمؤتمر كبير في العراق يدعو إليه علماء المسلمين، في محاولة للتغطية على فعلته الشنعاء بالكويت وأهلها، وكان العم أبو بدر وقتها في «دكا» لأمور تتعلق بالقضية الكويتية، فاتصل بعلماء المسلمين الذين تربطه معهم صلات طيبة من جميع أنحاء العالم، وحقق المؤتمر الذي عقد في الرياض نجاحاً كبيراً في دعم القضية الكويتية، وقضى على مؤتمر صدام العراق في مهده.

ولم يتوقف دوره عند هذا الحد نصرة لوطنه المحتل، فقد أسهم في إصدار صحيفة «المرابطون» في بريطانيا للدفاع عن الكويت، وقام بالتنديد بالاحتلال ومطالبة الدول العربية بالتعاون لطرد الغازي العراقي، وكان يقوم بتوزيع الأموال بسخاء على المناضلين والمقاومين وأبناء الشعب الكويتي بواسطة فعاليات موجودة داخل الكويت من أجل تخفيف المحنة على المواطنين.

رحم الله المجاهد الشيخ أبا بدر العم عبدالله المطوع؛ حيث ترك في نفوس الجميع أثراً وبصمات، وخلف من الأعمال التي نحسبها تشهد له بالخير أمام الله سبحانه.■

المصادر

1- عبدالله المطوع.. رائد دعوة الإصلاح: مجلة المجتمع الكويتية، https://bit.ly/2LW4vMs

2- غسان محمد دوعر: قواعد الشيوخ: مقاومة الإخوان المسلمين ضدّ المشروع الصهيوني 1968 - 1970م، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت لبنان، ط1، 2018م، ص 57.

3- عبدالله العقيل: من أعلام الحركة والدعوة الإسلامية المعاصرة، ط8، دار البشير طنطا، 2008م، ص 565.

عفواً.. غزة العزة



سعد النشوان

رئيس قسم الشؤون المحلية

قبل 13 عاماً، فرضت سلطات الكيان الصهيوني الغاصب حصاراً على قطاع غزة على إثر فوز التيار الإسلامي (حركة «حماس») في الانتخابات التشريعية، ويشمل هذا الحصار منع أو تقنين دخول كافة المحروقات والكثير من السلع، بالإضافة إلى الكهرباء، وهنا لا أعلم ما المطلوب من التيارات الإسلامية لكي تُسيِّر أمور البلاد والعباد والشراكة مع المجتمع؟! وكأن «الديمقراطية» ممنوعة على التيارات الإسلامية، ويجب أن تكون النتيجة في أي انتخابات لا يكون للإسلاميين نصيب فيها! هذا والدولة الفلسطينية تحت الاحتلال الصهيوني، فما بالنا لو أن فلسطين دولة مستقلة ذات سيادة، تحت حكم القيادات الحالية؛ لأصبحت الدماء كما يقول المثل العربي «إلى الركب»!

إن الأمر الخطير في الحصار على غزة ليس من الصهاينة، فهم كما قال الله تعالى: ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لاَ يَرْقُبُواْ فِيكُمْ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (التوبة: 8)، بل إننا نعتب على الدول العربية والإسلامية، وخاصة الجارة الكبرى لغزة وعمق الأمة العربية جمهورية مصر العربية التي دائماً ما تغلق معبر رفح المتنفس الوحيد لغزة.

إن آثار هذا الحصار الجائر ألقت بظلالها على أهل غزة؛ فأصبحت البطالة السمة الغالبة للغزيين التي وصلت إلى 56%، حسب المصادر الرسمية، ووصل خط الفقر في القطاع إلى 65%، وأصبح أكثر من 80% من الشعب الغزاوي يعتمد على المساعدات الدولية، وبعض الدول العربية، ومع ذلك نجد هذا الشعب الصابر الذي يتعرض منذ 13 عاماً إلى هذا الحصار الظالم؛ نجده قد خرَّج أكثر من 20 ألف حافظ لكتاب الله عز وجل، ووجود 2226 حلقة تحفيظ، وظهرت الصناعات اليدوية في القطاع، بالإضافة إلى الدور المهم للمرأة الغزاوية التي استطاعت أن تربي للأمة جيلاً من أبناء المقاومة الذين لا يرضون بالمهانة والذل، وهم فعلاً من قدَّم للأمة المعنى الحقيقي للعزة والكرامة، وأدخلوا مصطلحاً جديداً بعنوان «أهل غزة العزة».

إن المساعدات التي تُقدَّم من بعض الدول الإسلامية لا تفي بالغرض المعيشي لأهلنا في غزة، ويجب علينا أن نعمل على زيادة هذه المساعدات، وعلى الدول العربية والإسلامية العمل بطريقة واقعية والشعور الحقيقي بأن أهل غزة وفلسطين هم أهلنا حقيقة، وليس لتسجيل موقف سياسي.

وأقول لأهل غزة خاصة، وفلسطين عامة: عذراً، فنحن لا نملك إلا الكلام، ونحن عاجزون عن نصرتكم إلا بالدعاء، ونبرأ إلى الله من المواقف السياسية المتخاذلة التي لا تعبر عن رأي أغلب الشعوب العربية، وأنا أتحدث عن دور دولة الكويت الذي أفخر به كأحد مواطنيها، فلدينا أمير وضع نصرة فلسطين وغزة نُصب عينيه، ومجلس أمة (البرلمان الكويتي) أخذ طرد الصهاينة من الاتحاد البرلماني الدولي هدفاً له، وجمعيات خيرية هدفها الأول إغاثة فلسطين، وهذا هو جهدنا.. فعفواً غزة.■

الكويت

رحل في مثل هذا الشهر (10 سبتمبر 2018م)..

إبراهيم عبدالله الكفيف العجمي

كتب- عادل العصفور:

ولد الشيخ إبراهيم عبدالله الكفيف العجمي في 9 أكتوبر 1960م بالكويت، وكان والده من أوائل مَنْ حفظ القرآن الكريم في أهله بذلك الوقت، فنشأ ابنه إبراهيم في هذه البيئة وترعرع بين القرآن وأهله.

وقد عرف عنه وصله لأرحامه وبره بوالديه، وكان مضرب المثل في هذا؛ فقد عاشت والدته لعدة سنوات وهي مصابة بالخرف، وتكاد لا تعرف أحداً، ولكنه كان باراً بها، وكأنها تعرفه مثل ما كانت رحمهما الله جميعاً.

إنجازاته ومآثره:

كان الشيخ إبراهيم مقدماً للبرامج في «إذاعة القرآن الكريم»، وكان يشارك في تقديم البرنامج المعروف حتى الآن «تباشير الصباح»، الذي له الأثر الطيب والنافع على المجتمع، وكانت له أصداء طيبة.

ومن أعماله أنه أصدر ألبوم «قصص الأنبياء»، وكان له رواج طيب في دول الخليج العربي في ذلك الوقت.



وقد استضافته مؤسسة عيد بن محمد آل ثاني الخيرية في رابع فعاليات حملة ركاز قطر الجماهيرية «كلامك.. عنوانك»، وذلك في لقاء جماهيري.

كان حريصاً على الحج في كل عام، فقد حج ما يقارب 20 حجة، كان فيها مرشداً ومعلماً للحجاج الذين معه.

تقول شقيقته: أذكر في يوم من الأيام أني التقيت بامرأة جاءت لحاجة، فعرفتها بنفسي، فلما علمت أنني أخت الشيخ إبراهيم الكفيف طارت من الفرح، ومن صدفة اللقاء المفاجئ! وقالت: إني أدعو ربي أن ألتقي بأحد قريب من الشيخ لأروي له ما عندي، واستطردت قائلة: أنا إحدى المصليات في مسجد الشيخ (مسجد بيبي البدر) في الصباحية، وقد رأيت فيه رؤيا وأحسبها عند الله كذلك، وأريدك أن توصليها للشيخ.

فروت لي الرؤيا قائلة: كأننا والساعة قامت والناس متطايرون، والأرض ليست الأرض، والأهوال من كل مكان حولنا، والكل يتراكض لا يعلم المصير ولا إلى أين اللجوء، وكل شيء ليس له قرار، وأنا أجري مثل كل الناس حتى ساقتني قدماي إلى مكان عليه حفظة، فقالت لي نفسي: ادخلي الحوض لتأمني من الهول والتعب، فدخلت ولله الحمد دون عائق، وإذا بي فيما يقارب الجنة ويشابهها حوض كبير لا حد له، والكل من حوله ومن أطرافه يرشفون، وإذا بعيني تقع على رجل في وسط الحوض، تبارك الله يأخذ من ماء الحوض ويغسل به جسمه من رأسه إلى سائر بدنه بكل رضا وحمد لله سبحانه.

فتبادر إلى ذهني السؤال: من يكون هذا الرجل؟ فإذا بهاتف يقول لي: ما عرفته؟ هذا هو الشيخ إبراهيم الكفيف.

كان، رحمه الله تعالى، يكثر من ترديد هذا المعنى الذي ورد عن بعض السلف: «إذا رأيت الناس يعجبون بك؛ فاعلم أنهم يعجبون بجميل أظهره الله منك».

وقد انتقل الشيخ إبراهيم الكفيف إلى جوار ربه في يوم السبت 10 سبتمبر 2018م، رحمه الله وتقبله في الصالحين.■

المشرف العام للأمانة العامة للقرآن الكريم وعلومه بـ«الإصلاح الاجتماعي» أحمد الشيحة لـ«المجتمع»:

رسالتنا التميز في إدارة الحلقات القرآنية

أكدت الأمانة العامة للقرآن الكريم وعلومه بجمعية الإصلاح الاجتماعي أنها تسعى إلى التميز في إدارة الحلقات القرآنية، وصولاً إلى الشخصية القرآنية الحافظة لكتاب الله قولاً وعملاً.

وأشار المشرف العام للأمانة الأستاذ أحمد الشيحة، في حوار مع «المجتمع»، إلى أن الأمانة العامة للقرآن الكريم وعلومه استمرت في أنشطتها خلال أزمة «كورونا» عبر «أونلاين»، وقدمت للمجتمع عدة برامج بما يحقق تنمية مهارات المهتمين بحفظ ودراسة القرآن الكريم والتفاعل معهم.



حوار- سعد النشوان:

• متى تأسست الأمانة العامة للقرآن الكريم وعلومه في جمعية الإصلاح الاجتماعي؟ وما أهدافها؟

– تأسست الأمانة العامة للقرآن الكريم وعلومه بجمعية الإصلاح في سبتمبر 2008م.

وقد وضعت الأمانة عدة أهداف لتحقيق رؤيتها المتمثلة بالريادة والإبداع في جميع المناشط القرآنية، ويمكن تلخيصها بالنقاط التالية:

1 – مساعدة الشباب على حفظ كتاب الله عز وجل وتلاوته وتجويده.

2 – التنسيق بين مراكز وبيوت وحلقات حفظ القرآن الكريم.

3 – التواصل مع المؤسسات القرآنية والشرعية الحكومية والأهلية.

4 – تحقيق أهداف قطاع الصحبة الصالحة والنشء الإسلامي المتعلقة بحفظ القرآن الكريم والتثقيف الشرعي.

5 – استثمار المشاريع تربوياً وشرعياً لتنمية الشباب وتثقيفهم.

6 – دفع عملية التثقيف الشرعي المنهجي في قطاع الصحبة الصالحة والنشء الإسلامي لتحقيق المستوى المنشود.

7 – تبني واحتضان المشاريع القرآنية على مستوى المحافظات.

8– إبراز دور جمعية الإصلاح الاجتماعي في المشاركة بمسابقات القرآن في الداخل والخارج.

• هل للأمانة أفرع في محافظات الكويت؟

– نعم، الأمانة العامة للقرآن الكريم وعلومه تعمل في جميع محافظات الكويت، وتتعاون مع جهات مشابهة لها بالعمل؛ مثل «أجيال القرآن» في مبارك الكبير، و«بيت القرآن» في كيفان والفحيحيل، و«منابر النور» في الفروانية.

• ما أبرز مشاركات الأمانة في المسابقات المحلية بالكويت والدولية بالخارج؟

– الأمانة منذ تأسيسها وهي تشارك في مسابقة سمو الأمير السنوية، وقد حصلت على المركز الأول عام 2007م، وأيضاً على المركزين الثاني والثالث خلال السنوات الماضية، والعام الماضي حصلت كذلك على المركز البرونزي، أما المشاركات الخارجية فقد شارك بعض المنتسبين للأمانة في مسابقات فردية مثل الشيخ خالد الجهيم وغيره.

• هل للأمانة فرع نسائي؟

– نعم، موجود في المركز الوقفي بمنطقة «الرحاب» برئاسة الأخت فتوح الزير.

• ماذا قدمت الأمانة للمجتمع الكويتي خلال أزمة «كورونا»؟

– قمنا بعدة برامج، منها:

1 – مسابقة أعذب التلاوات.

2 – احفظ وراجع حفظك «أونلاين».

3 – مسابقة ثقافية «أونلاين 1».

4 – مسابقة ثقافية «أونلاين 2».

5 – دورة محفظ في كل بيت.

• هل يوجد لديكم مشروع ختمة بالسند النبوي؟

– نعم، عندنا حلقات الحفاظ الدائمة، ويوجد عدد لا بأس به سوف يختم القرآن في الأشهر القادمة، إن شاء الله تعالى، ويأخذ السند من المشايخ المعتمدين.

• ألا يوجد لكم نشاط خارجي للأمانة؛ مثلاً إرسال الطلاب إلى مكة المكرمة أو المدينة المنورة لختم القرآن؟

– نعم، هناك تعاون وثيق مع مركز تاج الوالدين سنوياً لدعم رحلة المدينة المنورة.

• هل المحفظون من الشباب الكويتي؟

– حالياً لا يوجد، ونسعى في المستقبل القريب أن يكون عندنا محفظون كويتيون قريبون من عادات وتقاليد الوطن، ولنا تجربة في بعض المحفظين الكويتيين أثناء جائحة «كورونا» في مشروع «احفظ وراجع أونلاين» في رمضان، وقد نالت هذه التجربة استحسان مجلس الإدارة.

• كم حافظاً لديكم؟

– الحلقات لدينا تنقسم إلى جزأين:

الأول: الحلقات التمهيدية، وتضم 20 حلقة موزعة على جميع المحافظات بدولة الكويت، وعدد المشاركين 350.

الثاني: حلقات الحفاظ، وتضم 5 حلقات موزعة على 5 محافظات من أصل 6، وعدد المشاركين 80.

• رسالة أخيرة توجهها من خلال «المجتمع».

– أحث الآباء والأمهات على تسجيل أولادهم في حلقات أمانة القرآن، وأيضاً المشاركة في المسابقات الأهلية والحكومية.■

مقال



د. يوسف السند
إمام وخطيب بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت

الفوائد التربوية والإيمانية من طبقات الشافعية

الإمام الرافعي

عبدالكريم بن محمد بن عبدالكريم بن الفضل بن الحسن القَزْوينيّ الإمام الجليل أبو القاسم الرافعيّ، صاحب الشرح الكبير المُسَمَّى بـ«العزيز»، وقد تورَّع بعضُهم عن إطلاق لفظ العزيز مجرَّداً على غير كتاب الله، فقال: «الفتح العزيز في شرح الوجيز»، و«الشرح الصغير»، و«المُحَرَّر»، و«شرح مُسْنَد الشافعي».

كان الإمام الرافعيُّ متضلِّعاً من علوم الشريعة، تفسيراً وحديثاً وأصولاً، مترفِّعاً على أبناء جنسه في زمانه، نَقْلاً وبَحْثاً وإرشاداً وتحصيلاً، وأما الفقه فهو فيه عُمدة المحقِّقين، وأُستاذ المصنِّفين، كأنما كان الفقه ميِّتاً فأحياه وأنْشَره، وأقام عمادَه بعدما أماته الجهلُ فأقْبَره، كان فيه بدراً يتوارى عنه البدر إذا دارت به دائرته والشمس إذا ضَمّها أَوْجُها، وجَواداً لا يلحقه الجوادُ إذا سلك طُرُقاً ينقل فيها أقوالاً ويُخَرِّج أَوْجُها، فكأنما عناه البُحْتُرِيّ بقوله:

وإذا دَجَــتْ أقْــلامُـهُ ثُــمَّ انْـتَـحَـتْ
بَــرَقَــتْ مَـصـابـيـحُ الـدُّجـا فـي كُـتْـبِـهِ

وكان يرحمه الله وَرِعاً زاهداً تقياً طاهرَ الذَّيل مُرَاقِباً لله تعالى.

سمع الحديث من جماعة، منهم أبوه، وأبو حامد عبدالله بن أبي الفتوح بن عثمان العِمْرانيّ، والخطيب أبو نصر حامد بن محمود الماوراء النَّهريّ، والحافظ أبو العلاء الحسن بن أحمد العطّار الهَمَذانيّ.

روى عنه الحافظ عبدالعظيم المُنْذريّ، وغيرُه.

قال ابن الصَّلاح: أظن أني لم أرَ في بلاد العَجَم مثلَه.

وقال النَّوويّ: الرَّافعيُّ من الصالحين المتمكِّنين، كانت له كراماتٌ كثيرة.

وقال أبو عبدالله محمد بن محمد الإسْفَرايِنيّ: هو شيخُنا، إمامُ الدِّين، وناصر السُّنَّة، كان أوحدَ عَصْره في العلوم الدِّينيّة؛ أُصولاً وفُروعاً، فريد وقته في التفسير، كان له مَجلسٌ بِقَزْوِينَ للتفسير ولتسميع الحديث. (انتهى كلامه)[1].

وإن خَـوارَزْم شاه، يعني جلال الدين، غزا الكَرَج بِتَفْلِس، في هذه السنة، وقتل فيهم بنفسه حتّى جَمَد الدَّمُ على يده، فلما مرَّ بِقَزْوِينَ خرج إليه الرافعيُّ، فلما دخل إليه أكرمه إكراماً عظيماً، فقال له الرافعيُّ: سمعتُ أنك قاتلتَ الكفّارَ حتى جمَد الدَّمُ على يدك، فأُحبّ أن تُخْرجَ إليَّ يدَك لأُقَبِّلَها، فقال له السُّلطان: بل أنا أُحبّ أن أُقبِّلَ يدَك، فقبَّل السُّلطانُ يدَه، وتحادَثا، ثم خرج الشيخ وركب دابَّتَه، وسار قليلاً، فعثرت به الدابَّةُ، فوقع فتأذَّت يدُه التي قبَّلها السُّلطان، فقال الشيخ: سُبْحانَ الله، لقد قبَّل هذا السُّلطانُ يدي، فحصل في نفسي شيءٌ من العَظَمة، فعُوقِبْتُ في الوقت بهذه العقوبة.

سمعت شيخَنا شَمْسَ الدِّين محمد بن أبي بكر بن النَّقيب، يحكي أن الرافعيَّ فقَد في بعض اللّيالي ما يُسْرِجُه عليه وقتَ التصنيف، فأضاءت له شجرةٌ في بيته.

تُوُفِّيَ في ذي القَعْدة سنة ثلاث وعشرين وستمائة[2].

الفوائد التربوية والإيمانية:

- الطهارة والورع والتقوى والمراقبة لله تعالى معالم نور وهدى في حياة علمائنا الأجلال؛ إذ لا تكاد تخلو سيرة أحدهم من هذه المعالم البارزة والمعاني السامية، فهي الخطوة الأولى إلى الفتح العزيز ورياض الصالحين والروض المربع ودار السعادة بل إلى أفراح الروح!
- المجلس التربوي للعالم الرباني وسيلة للتعليم الرباني والتواصل الاجتماعي والتذكير الإيماني، فقد كانت حياة العلماء حافلة بالمجالس التربوية، وكلما حرص عليها الدعاة المربون ارتقت أرواحهم وسمت أخلاقهم ونجحوا في تربيتهم لأنفسهم وللناس، بل وتَجدَّدَ إيمانهم وزَكى علمُهم وعملُهم وفقهوا دينهم.
- تقدير العلماء الربانيين للجهاد والمجاهدين، واحترام الولاة والحكام للعلماء الربانيين؛ بهذه تنمو الأمة ويسودها الأمن والأمان بمنهج أخلاقي يراه الناس في أعينهم بين العلماء والأمراء.
- ضرورة نشر علم الفقه بين الناس حتى يُعرف الحلال من الحرام، وتُعرف به أحكام الدين والشريعة، وحتى لا يتجرأ الجهال والغلاة على التحليل والتحريم والفتيا.
- حرص العلماء على نشر علمي التفسير والحديث؛ إذ بهما يُعرَف كتاب الله تعالى وسُنة رسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم.
- معرفة العلماء لأنفسهم ومراقبة آفاتها وضعفها وأهوائها وحرصهم على تربية أنفسهم.
- إتقان العلماء للعلوم يأتي بعد شدة طلب وقوة تحمل وصبر عظيم وسعي للأكابر من الأئمة والعلماء الراسخين في العلم.
- للعلماء والصالحين كرامات يظهرها على أيديهم إذا شاء سبحانه وتعالى.

والحمد لله رب العالمين.■

الهامشان

(1) بتصرف.

(2) عبدالوهاب بن علي السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج8، تحقيق: عبدالفتاح محمد الحلو، محمود محمد الطناحي.



التغريب.. وخطره على الأمة

يعد «التغريب» من المصطلحات التي تعددت تعريفاتها، ودراساتها، وتنوعت زوايا تناولها؛ نظراً لما يمثله من خطورة على هوية الأمة من حيث التصور والاعتقاد، خاصة بعد أن خرج الاحتلال الغربي لبلادنا بجنوده وأجساده، وترك فينا مفاهيمه وأفكاره.

ولعل من أخطر التصورات التي طغت على عقول الكثير من أبناء الأمة ومثقفيها -للأسف- هو هذا الخلط بين مفهوم التغريب (بما يعنيه من استلاب كامل للغرب حلوه ومره، خيره وشره)، ومفهوم التطور أو الحداثة؛ حيث ساد الاعتقاد بأن الأول شرط للثاني، وأن الثاني نتيجة للأول؛ وهو ما ترتب عليه فقد الثقة في الذات وتسليم زمامنا للغرب يجرنا خلفه حسبما يسير.

وإزاء هذا الأمر، كان لا بد من إفاقة للعقول، وتصحيح للمفاهيم، ودق لنواقيس الخطر، من خلال هذا الملف الذي تساهم به «المجتمع» قياماً بواجبها الإعلامي الذي تقدم فيه الموضوعات التالية:

- التغريب.. ومخاطره على الأمة.
- جذور التغريب في التعليم الحديث بالعالم الإسلامي.
- التغريب.. والاقتصاد الإسلامي.
- التشريع.. من ضيق التغريب إلى رحابة الإسلام.
- السينما العربية والتغريب.. واقع الصناعة وأبعاد التأثير.
- كلمة في «تغريب» الفكر السياسي.
- الأسرة والتغريب.. بين الأمس واليوم.■

التغريب.. ومخاطره على الأمة



أ. د. حلمي محمد القاعود
أستاذ الأدب والنقد

التغريب نسخة شبه سلمية من الاستعمار الغربي، حيث تصمت قعقعة السلاح وتتوقف الوحشية الغربية مؤقتاً، لتقوم الطلائع الأوروبية الناعمة والوكلاء المحليون الخشنون بالدور الاحتلالي المطلوب في إخضاع السكان العرب والمسلمين لثقافة الغرب الهمجية والاستسلام لفكره وإرادته، والدفاع عن جرائمه ومخططاته، فالتغريب ليس مجرد ارتداء القميص والسروال والسترة الأوروبية، أو استخدام الشوكة والسكين عند تناول الطعام، وتناول المشروبات المحرمة، ومراقصة النساء للرجال في الحفلات، ولكنه أعمق من ذلك؛ إنه تشرُّب الروح الغربية الوثنية المعادية للإسلام والأخلاق والإنسانية، وإن تزيّت بأزياء رقيقة مهذبة.

غاية التغريب بالنسبة للمسلمين أن يتحولوا من دينهم إلى الوثنية الغربية التي تنسى الله الواحد وتعبد المادة والشهوة، وتستنيم إلى الكسل، فليس في منهج التغريب أن يعمل المسلمون وينتجوا ويكتفوا ذاتياً من الغذاء والدواء والسلاح، إن غاية غاياته أن يعيش المسلم متسوّلاً على باب الغرب، ليمنحه عطاء رديئاً أو لا يمنحه شيئاً على الإطلاق.

التغريب هو التبعية المطلقة للغرب في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية كافة، وهي تبعية العبد لسيده الذي يأتمر بأمره، دون أن يستطيع أن يقرر لنفسه شيئاً، والتغريب لا يعلن عن نفسه مباشرة، ولكنه يتسلل تحت شعارات ومصطلحات مراوغة يتقبلها الناس بسهولة، مثل الحرية وتحرير المرأة والتطور والحداثة والعلمانية والتنوير والسلام والعولمة والشركات عابرة القارات..

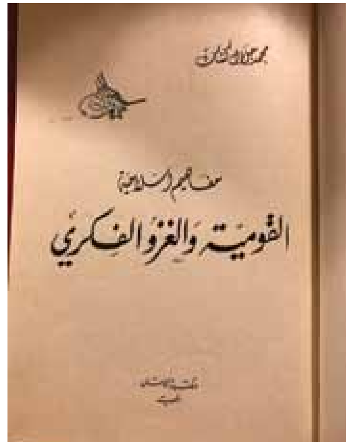
ينبهر البسطاء بهذه المصطلحات وأمثالها، فيستسلمون لمدلولها السطحي، ويتجاهلون عمقها الخفي الذي يقصده التغريب وصنّاعه، هل هناك أحد يرفض الحرية وتحرير المرأة مثلاً؟ بالطبع لا.. ولكن صناع التغريب يلحّون على الحرية الفردية المنفلتة، وتحرير المرأة من قيود الأسرة والالتزام الديني والخلقي، ليتجاهل الناس حرية الأوطان واستقلالها وقدرتها على بناء نفسها وقوتها وصناعة مستقبلها بيدها وعقلها وفكرها ومصالحها، فتظل محتلة بقوة السلاح أو قوة القروض أو قوة الاحتياج إلى الغير.

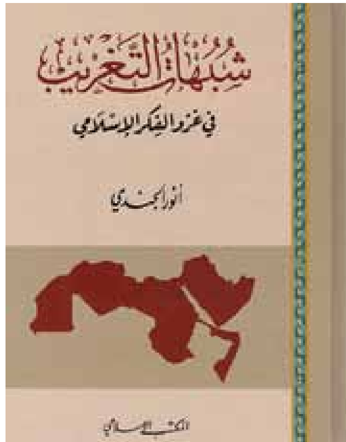
الفكر والمرتكز

ترتكز فكرة التغريب على مقولة: إن «الغرب هو مصدر الحضارة»، وهذه المقولة فيها نظر، فالحضارة تختلف عن المدنية، فالمدنية هي الشق المادي للحضارة، ويشمل الآلة والبناء والنظم والصناعة والزراعة والسلاح والاختراع، الحضارة لها شق آخر هو الشق المعنوي الذي يشمل الدين والقيم والأخلاق والتاريخ والتراث والتقاليد.. والغرب لا يقدم شيئاً ذا بال في هذا الشق، حيث يحفظ له الناس فيضاً من العنصرية والوحشية والحروب الدموية الاستئصالية، وقليلاً من التراث الوثني والفنون المعبرة عن الجوع المادي، صحيح أنه يملك الآن أسرار العلم التي ارتكزت على ما أنتجته الحضارات الشرقية من قبل، ولكنه لا يملك الروح الإنسانية التي تجعله بريئاً من الآثام والخطايا التي لا تسقط بالتقادم.

والقضية -من وجهة نظري- لا تكمن في التغريب بقدر ما ترتبط بالاستجابة له، وبقدر مقاومته يتجلى الأمل في المستقبل الطيب القائم على الحرية والكرامة والعدل والاستقرار، ولدينا أمثلة عديدة على عملية المقاومة للتغريب، أكتفي باثنين فقط:

الأول: في اليابان؛ حيث خرجت من الحرب العالمية الثانية مدمرة، ولكنها قررت المقاومة وفقاً لتراثها القديم وهويتها الذاتية.





الناس يحفظون للغرب فيضاً من العنصرية والوحشية والحروب الدموية الاستئصالية وقليلاً من التراث الوثني

مع انتهاء الحروب الصليبية نشطت عملية التغريب بمصر والشام وأفريقيا والخليج بحركة متفاوتة



عقب الحرب تنازع اليابانَ تياران؛ أحدهما يؤيد تقليد الغرب تماماً والتخلي عن الهوية والتراث، والآخر يقاوم ويرفض تقليد الغرب، وقد انتصر الفريق المقاوم، الذي اهتم باللغة اليابانية والنظام الملكي والحصول على العلم من المصادر الغربية بكل الوسائل، لدرجة أن بعض علماء اليابان اشتغلوا خدماً لدى بعض العلماء والباحثين في أوروبا ليحصلوا على المعارف الممنوعة.

ومع العزيمة والصبر ومراعاة الأولويات ونبذ الحروب، استطاع اليابانيون أن يناطحوا الغرب وأمريكا اقتصادياً وعلمياً وإدارياً، مع احتفاظهم بهويتهم ولغتهم وتقاليدهم.

المثال الآخر: فلسطين المحتلة؛ حيث استطاع الصهاينة الغزاة أن يقاوموا الذوبان في الغرب مع أنهم جماعات شتى، وثقافة معظمهم في الأصل غربية؛ لأن أكثريتهم جاءت في ثوب الغزاة من أنحاء أوروبا وأمريكا وروسيا (وما حولها من العرق الخزري)، لقد بعثوا لغة ميتة هي العبرية عمرها أربعة آلاف سنة، وجعلوها لغة التخاطب والعلم والثقافة والسياسة والفنون، وأيقظوا العصبية اليهودية، بحيث صارت مرجعاً للتشريع والعمل والسلوك والقتال والتفاوض، وأغدقوا على من يدرس الشريعة اليهودية امتيازات مغرية، والمفارقة أنهم صنعوا من شظايا الأساطير والخرافات تراثاً حضارياً كما يزعمون يواجهون به العالم!

ومن خلال بناء هوية مستقلة، أمكنهم أن يقيموا كياناً قوياً يشبه الكيانات الأوروبية، ولكنه ليس منها لأنه يملك شخصية مختلفة، فهو متقدم علمياً وعسكرياً وسياسياً واقتصادياً، ولكنه يظهر بهويّة يهودية، بينما الآخرون من حوله في وضع المريض الذي يحتاج إلى رثاء حزين!

الحكمة في الحضارة الإسلامية تتسع لتضم كل ما يعود بالفائدة على المسلمين وليس ما يخرجهم من دينهم

التغريب في أمتنا المنكوبة وصل ببعض النخب إلى حد جعل الإسلام قريناً للإرهاب والتطرف

الغراب والحمامة

الاستجابة على المستوى العربي والإسلامي للتغريب كانت فاجعة، ما يذكّر بالمثل الذي كان يدرس لنا في المرحلة الأولية قبل سبعين عاماً عن الغراب الذي أراد أن يكون حمامة، فلا بقي غراباً يحتفظ بخصائصه، ولا استطاع أن يكون حمامة! لقد نجح الغرب في تصنيع نخب عربية وإسلامية وفق متطلباته، عملت بهمة ونشاط في التفريط بهويتها ودينها ولغتها وتراثها وتقاليدها، وسمحت له أن يتدخل في أدق تفاصيل أمورها ومصائرها ومستقبلها، وأن يرسم لها الطريق الذي يريد هو لا الذي تريد هي، فكانت معرّة العالمين!

مع انتهاء موجة الحرب الصليبية التاسعة بإخفاق «نابليون» في غزو مصر (1798م)، نشطت عملية التغريب في مصر والشام وشمال أفريقيا والخليج بحركة متفاوتة، أسرعها كان في مصر؛ حيث بدت طلائع المستشرقين وإرساليات التبشير (التنصير) تغزو وادي النيل والشام بصورة مكثفة، وتبدأ في التأليف والتحقيق وإنشاء المدارس والمستشفيات والجمعيات الخيرية، وهو ما توافق مع البدء في حركة تفكيك الخلافة العثمانية من خلال الحركات السرية وجمعيات المعارضة والماسونية والأحزاب الشيوعية، وتجنيد الوكلاء المحليين الذين يحملون أسماء إسلامية أو طائفية، وساعدت البعثات إلى أوروبا وانتشار المطبعة والصحافة على حمل معطيات التغريب وعناصره، وبدلاً من الالتفات لبناء الشق المادي في الحضارة ونقل المسلمين من حال الضعف إلى مجال القوة، انغمست النخب في معارك جانبية كان معظمها يصبّ في تدمير الشق المعنوي الذي تملكه الأمة، وفي مقدمته الإسلام للأسف الشديد!

عندما قال الحق تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ (الحجرات: 13)، فقد جعل التعارف بمعناه الأشمل يتجاوز معرفة الحساب والأنساب، إلى تبادل المنافع والمصالح واكتساب الخبرات، وهو ما عبر عنه الأثر «اطلبوا الحكمة ولو في الصين»؛ فمعنى الحكمة يتسع ليضم كل ما يعود بالفائدة على المسلمين، وليس ما يخرجهم من دينهم وهويتهم، فالآية فيما بعد تشير إلى التفاضل بالتقوى، أي التزام الدين.

ولعل أوضح تطبيق لذلك كان في إنشاء الدواوين في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه تقليداً للنظام الفارسي بعد أن اتسعت الدولة الإسلامية، وتشعبت مصالحها، واحتاجت إلى تنظيم إدارة الدولة (ديوان المال، ديوان الجند، ديوان البريد، ديوان الحسبة..)، لم يجد المسلمون في ذلك غضاضة أو مخالفة لأمور دينهم، ولكن حين تجد من يقول لك: علينا أن نمنح الحرية للواط والدعارة والعلاقة خارج الزواج تأسياً بما يفعله الغرب المتقدم، فهذا نوع من

التضليل والتدليس، فالغرب ليس متقدماً في هذا السياق، ثم إنه مخالف للنصوص الإسلامية القطعية الصريحة، والغريب أنك لا تسمع واحداً من هؤلاء يتحدث مثلاً عن كيفية الاكتفاء الذاتي من القمح أو الفول أو الأرز أو اللحوم أو نحوها مما يستوجب العمل والجهد، وقطع الطريق على دول الابتزاز التي يمكن أن تقتل المسلم جوعاً.

لقد وصل التغريب في أمتنا المنكوبة ببعض النخب إلى حد جعل الإسلام قريناً للإرهاب والتشدد والتطرف، وهو ما لا يوصف به معتقد آخر، في بورما أو الهند أو الدول الأوروبية أو أمريكا التي يمارس فيها الإرهابيون غير المسلمين نشاطهم على أساس ديني.

مجالات التغريب

ويمكن أن نوجز مجالات التغريب في معظم بلادنا الإسلامية من خلال نقاط قليلة:

أولاً: في المجال السياسي: صار الإسلام خارج الوظيفة السياسية، فالعلاقات الدبلوماسية والسياسية بين المسلمين تقوم على أساس التصوّر الغربي والتقاليد الغربية، وقد عبر أحد السياسيين العرب ذات يوم بقوله: «لا سياسة في الدين ولا دين في السياسة»؛ ومعنى ذلك أن تقبل أيّ اتفاق أو معاهدة أو قانون ولو كان مخالفاً للدين، وللأسف لا تضع دولنا الإسلامية اعتباراً للثوابت الإسلامية في العلاقات والتفاوض، بينما اليهود يرفعون التوراة في وجه المفاوض المسلم وغيره، ولا يتزحزحون عنها ولو كانت أساطير زائفة، أما عندنا فأبسط الأمثلة أن كثيراً من سفاراتنا الإسلامية في الخارج تقدم الخمور في احتفالاتها، وتسمح بما يريده الآخرون في هذه الاحتفالات من سلوكيات مرفوضة إسلامياً.

ثانياً: التعليم: صار التعليم تقليداً كاريكاتورياً لتعليم الغرب، تتداخل فيه البيروقراطية، وتزييف التاريخ والجغرافيا، والاستهانة باللغة القومية، وتهميش الإسلام أو إقصاؤه، وهناك مندوبون من بعض الدول الغربية يشرفون أو يتابعون المناهج العربية والإسلامية في بعض الدول العربية، وقد نُقل عن صحفي صليبي زار بعض الكتاتيب التي تحفّظ القرآن في باكستان، قوله: «هنا تزدهر مصانع الإرهاب»!

دولنا لا تضع اعتباراً للثوابت الإسلامية في العلاقات بينما يرفع اليهود التوراة بوجه المفاوض

التعليم صار تقليداً كاريكاتورياً للغرب تتداخل فيه البيروقراطية وتزييف التاريخ والجغرافيا والاستهانة باللغة وتهميش الإسلام

ثالثاً: اللغة العربية: أصبحت اللغة العربية تمثل في الوجدان العام -خاصة الأجيال الجديدة- حالة من الفولكلور السخيف الذي ينبغي تجاهله، وقد نجحت السينما والدراما والمسرح الكوميدي في تحقيرها وازدرائها بتصويرها في حالة التقعر والتشدق، خاصة حين يستخدم الممثلون ألفاظاً مهجورة لا يفهم الجمهور معناها، ومع انتشار وسائل التواصل الاجتماعي، والفضائيات، والنزعات الشعوبية شاع استخدام الألفاظ الأجنبية والعاميات وامتدت إلى الخطب والصحف، وما يعرف بالشعر الشعبي مما يسهم في إبعاد الجمهور عن الفصحى وتذوق جمالياتها، وكثيراً ما تصادف من يحدثك ببعض العبارات الأجنبية المخلوطة بالعامية ازدراء للعربية.

رابعاً: الفنون التمثيلية خاصة السينما والمسرح والدراما: في هذه الفنون تتسلل القيم بنعومة إلى الجمهور، فمن يرى مثلاً فيلماً سينمائياً، تعيش فيه الشخصيات التي لا تعرف الوضوء ولا السجود، وتسكن بيتاً فيه ركن للبار والمنكر بوصف ذلك أمراً عادياً، وعندما يتأزم الموقف بالبطل لأمر ما لا يذهب إلى المسجد وإنما يتجه إلى الملهى الليلي (الكباريه)، حيث الشرب والسكر والعربدة والرقص والمجون، البطل لا يذكر الله ولا يعرف شيئاً عن الإسلام، فيظن المشاهدون أن الحياة الصحيحة هي حياة البطل، الذي يمارس حياة شبه حيوانية تتعرى فيها النساء اللاتي يقمن علاقات حرة مع الرجال.

خامساً: الاقتصاد: يأخذ التغريب في هذا الجانب منحى خطيراً يكاد يذهب بوجود الدول وتماسكها، فهو اقتصاد ربوي يعتمد على الإقراض لا الإنتاج، على مستوى الدولة والأفراد، فالغرب الصليبي الاستعماري يشجع الدول الإسلامية على الاقتراض من دول غنية أو مؤسسات عالمية أو بنوك دولية، ويفرض المقترض شروطه التي تجعل هذه القروض لا تذهب للشعوب المسلمة المسكينة، بل تتقاسمها جهات من الدول أو المؤسسات المانحة، وجهات ومسؤولين من الجهات والدول المقترضة، وما يتبقى بعدئذ عليه أن يدبر تسديد الفوائد المركبة التي تتجاوز أحياناً قيمة القرض الذي قد يتولاها فاسدون، وتجعل البلاد التي تمد يدها تدور في دائرة مفرغة، إلى ما شاء الله، ولا يفيد المواطنون من القرض شيئاً ذا بال.

إذا تحدثت عن اقتصاد إسلامي يعمل وينتج ويؤسس، قالوا: كلا، نحن نخضع لنظام عالمي لا نستطيع الفكاك منه!

سادساً: الثقافة والدعاية: تعمل أجهزة الثقافة والدعاية التي يقودها شيوعيون وناصريون وليبراليون وطائفيون وأشباههم بإلحاح على قضايا من قبيل فصل الدين عن الدولة، والعلمانية والتنوير والحداثة، وبعث الحضارات القديمة بوصفها الهوية الأساسية للشعوب الإسلامية وليس الإسلام.. وغير ذلك من قضايا، والهدف منها هو إقصاء الإسلام، واستئصاله.

إن هذه الأجهزة تبث على مدار الساعة أضاليلها دون أن يجد المسلمون فرصة للرد والحوار والمناقشة، لدرجة أن مسؤولاً كبيراً في مؤسسة إسلامية شهيرة اشتكى أنه لا يستطيع أن يرد على ما يثار حول الإسلام، ولا تتاح له فرصة الظهور على الشاشات المهاجمة، ويشارك في حملات التغريب نفر من الطائفيين الذين يجمعون إلى التعصب قدرة عجيبة على الكذب والتدليس، ومع ذلك تتاح لهم فرصة التعبير على المنابر التلفزيونية والإذاعية والصحفية وغيرها.

يستفيض الحديث عن التغريب وآثاره المدمرة التي تنتهي إلى ضياع المسلم فرداً ودولة، وكان «لورنس براون» صريحاً حين قال: «إن الخطر الحقيقي كامن في نظام الإسلام وفي قدرته على التوسع والإخضاع وفي حيويته، إنه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الغربي؛ ولهذا فلا بد من الدعوة إلى أن يطبع المسلمون بالطابع الغربي».■

جذور التغريب في التعليم الحديث بالعالم الإسلامي

أ.د. حسان عبدالله
أستاذ أصول التربية المساعد بجامعة دمياط- مصر

نتناول في هذه المقالة بدايات التغريب في التعليم الحديث بالعالم الإسلامي، من خلال ثلاثة نماذج شكلت عبر التاريخ الإسلامي روافد رئيسة للحضارة الإسلامية؛ هي تركيا ومصر وإيران؛ في محاولة لتتبع الاختراقات المعرفية للتغريب في المنظومة القيمية المسؤولة عن تشكيل الشخصية المسلمة.



يبدأ المشهد الفكري من حالة الضعف الذاتي الذي كانت تعاني منه الدولة العثمانية في القرن الثامن عشر دون أن يكون هناك إدراك حقيقي من قِبَل السلطة الحاكمة لهذا الضعف، ويرجع ذلك لعاملين:

الأول: أن التفوق الأوروبي لم يكن بارزاً بالصورة التي تشكل خطراً واضحاً على الدولة العثمانية الذي برز لاحقاً في القرن التاسع عشر.

الثاني: يتمثل في كون الدولة العثمانية لا تزال في تصنيف الدول العظمى (أو الإمبراطوريات الكبرى)، هذا التصنيف الذي بدأ بالتراجع في التاريخ المذكور.

مع تنامي الضعف داخل الدولة العثمانية واستمرار التفوق المادي الأوروبي في الصعود، لم يجد السلاطين العثمانيون إلا الخيار الأقرب والأسهل في تصورهم لمعالجة القصور والضعف من ناحية، واللحاق بالصعود الأوروبي أو تقليل الهوة من ناحية أخرى، وكان هذا الخيار هو «النقل والاقتباس»، أو استيراد أفكار النهضة والتقدم بدلاً من معالجة المثالب والعيوب الذاتية، وقد بدأ استخدام هذا النهج فيما يتعلق بالمجال العسكري الذي لاقت فيه الإمبراطورية هزائم متعددة من الداخل والخارج، وكانت هذه البداية في عهد السلطان مصطفى الثالث (1757 – 1773م)، حيث «تم استحضار النموذج الأوروبي الحديث، واستمر هذا الاهتمام بالمجال العسكري أساساً لسلاطين الدولة العثمانية؛ لتستطيع الدفاع عن نفسها وسط إرهاصات التفوق العسكري الأوروبي، وذلك حتى مجيء السلطان محمود الثاني حيث شملت إصلاحاته جوانب إدارية وتعليمية أخرى على النظام الأوروبي»[1].

في ظل اهتمام الدولة العثمانية بالتعليم العسكري في بدء الاتصال بالغرب لم يتم الالتفات إلى التعليم الديني

المدارس الدينية الإسلامية ظلت تقدم لطلابها الثقافة الدينية التقليدية اعتماداً على ما كان لديها من أوقاف

بين التعليم الديني والعسكري

وفيما يتعلق بنظام التعليم المسؤول عن التشكيل المعرفي للإنسان داخل المجتمع، وفي ضوء التغلغل الواضح لحركة التغريب؛ نجد -كما يشير «جوستين ماكارثي»- أن التغيير (الناتج عن التغريب) الأكثر تأثيراً نتج عن النظام التربوي الأوروبي؛ «فكتب الحساب والمثلثات الضرورية للهندسة العسكرية والمدفعية كانت مكتوبة باللغات الأوروبية، وخاصة الفرنسية لغة القرن التاسع عشر في أوروبا، والتعليمات لتشغيل الآلات وكتيبات التصليح كانت أيضاً باللغات الأوروبية»[2]، «كما بدل السلطان محمود التوجه الألسني للحكومة، وأعطيت مكاتبٍ الحكومة تعليمات بفتح أكثر المدارس نجاحاً؛ (مثل) مكتب الترجمة التابع لوزارة الخارجية الذي أسس عام 1833م، ولم يخرج هذا المكتب مترجمين فحسب، وإنما ساهم في تدريب الإداريين الذين اكتسبوا توجهات غربية، وفتحت اللغة أمام الإداريين العثمانيين وكبار الرسميين باب الثقافة الأوروبية، وبسرعة أصبح خريجو مكتب الترجمة قادة السلطة التنفيذية في الدولة»[3].

ومن ناحية أخرى، نلاحظ أنه في ظل

التغريب..
وخطره على الأمة



الاهتمام بالتعليم العسكري في بدء الاتصال بالغرب لم يتم الالتفات إلى التعليم الديني، «فالنظام التعليمي الحديث تمركز في مجالين؛ أحدهما عسكري والآخر مدني هدفه مد الجيش والإدارة بالكوادر اللازمة لهما، وفي حدود حاجة الدولة للعمالة في كل قطاع، وكان التعليم العسكري أيسر منالاً في ولايات العراق والشام من التعليم المدني الذي كان القبول فيه يتطلب فرزاً اجتماعياً دقيقاً جعله مقصوراً على أبناء الأعيان، بينما ظلت المدارس الدينية الإسلامية تقدم لطلابها الثقافة الدينية التقليدية، اعتماداً على ما كان لديها من أوقاف تدر عليها من أبناء الطبقتين الفقيرة والوسطى، وظلت تلك المدارس –في معظمها– تقدم تعليماً دينياً لم يتأثر بالاتجاهات الإصلاحية الحديثة، وإلى جانب هذين النظامين قام نظام تعليمي ثالث، قدمته مدارس الإرساليات التبشيرية على اختلاف مذاهبها[4].

المدارس العلمانية

كما انتشرت المدارس العلمانية التي تخرج أصحاب المهن اللازمة لتلبية احتياجات الجيش الجديد الذي كونه باسم العساكر المحمدية المنصورة، واحتياجات المجتمع، كما تأسست المدارس الإعدادية (الرشيدية) لتخريج معلمي المدارس الابتدائية، والمدارس الفنية لتنشئة الموظفين، ومدرسة الحربية لتنشئة الضباط، وأنشئت المؤسسات التي تهتم بالشؤون الصحية والطبية في الدولة[5].

وأدخلت اللغة الفرنسية إلى المدارس إلى جانب اللغة التركية في المدارس التي يلتحق بها أفراد الأقليات غير المسلمين والأتراك من أبناء الأسر الميسورة، وسرعان ما جرى التصريح بإنشاء مدارس وكليات أجنبية فرنسية في غالبيتها، تدار من جانب المبشرين، وظهرت مؤسسات علمية على نسق أوروبي مثل «مجلس المعارف» الذي قام على غرار الأكاديميات الفرنسية لإعداد الكتب التي ستدرس في الجامعة المزمع تأسيسها، والغرض الأصلي منها إيجاد شكل أكاديمي يحقق اتصالاً بالحياة الفكرية والعلمية الأوروبية، وافتتحت الجامعة، وكانت تسمى دار الفنون عام 1286هـ/ 1869م، وسار هذا جنباً إلى جنب مع التعليم الديني الموجود في المدارس والكتاتيب، وهو القاعدة بالنسبة للمناطق الريفية البعيدة عن تأثير المثقفين العثمانيين آنذاك، ومن أهم التغيرات التي أتت بها التنظيمات –أيضاً– استخدام الأقليات في مجال التعليم؛ مما يعد أمراً جديداً في تاريخ الدولة التركية[6].

الازدواجية بين التعليم المدني والديني مثلت إشكالية معرفية واجهت العقل المصري

وفي ظل السلطان عبدالعزيز (1861 – 1876م)، بدأ التعليم العام الواسع النطاق لتخريج موظفين، وشملت بنيته: التعليم الأولي، وكان مخصصاً من حيث المبدأ للأطفال اعتباراً من السادسة من العمر؛ مدارس أولية عليا، كليات، وقد أنشئ الليسيه الأول في جالاتا سراي عام 1868م، وكان يجري تدريس الفرنسية فيه، وأصبح بؤرة لتفريغ مثقفين وموظفين، وسرعان ما جرى التصريح بإنشاء مدارس وكليات أجنبية (فرنسية في غالبيتها وتدار من جانب رهبانيات كاثوليكية)، وكان يتردد عليها في آن واحد أفراد من الأقليات وأتراك من الأسر الميسورة الحال، وقد أتيح للبنات، لأول مرة، الحصول على تعليم حديث على النمط الأوروبي[7].

وكذلك أيضاً حدث في عهد السلطان عبدالمجيد (1839 – 1861م) الذي عرف بتبنيه الكامل لمشروع التغريب؛ حيث تحولت

الحرب الإيرانية الروسية كان لها دور في توجه إيران نحو النمط الغربي في وسائل الحرب وفنونها

ظهر جيل من المثقفين الإيرانيين تبنوا الفكر الغربي وتمثلوا أفكاره خاصة بالنظرة إلى الدين ووظيفته

في عهده مؤسسات الثقافة التركية إلى مؤسسات تبشر بالمشروع المعرفي الغربي، وتأسست في عهده في إسطنبول أول جامعة حديثة؛ حيث يحذو تعليم العلوم حذواً أوروبياً، كما أمر بإنشاء أكاديمية العلوم العثمانية (أنجومين – أي دانيش) عام 1850م.

ومن أبرز رموز التغريب ودعاته في تركيا رشيد باشا (1800 – 1858م)، إبراهيم شناسي (1826 – 1871م)، ضيا باشا (1825 – 1880م)، نامق كمال (1840 – 1888م)، مدحت باشا (1822 – 1885م)، عبدالله جودت.

الازدواجية والابتعاث

أما في مصر، فنلاحظ أن الإشكالية المعرفية الكبرى التي واجهت العقل المصري وكانت مصدراً لمعاناته الفكرية تكمن في تلك الازدواجية التي بدأت تتكون مع إيجاد نظامين للتعليم مسؤولين عن تشكيل البنية المعرفية للعقل المصري، هما:

الأول: التعليم المدني الذي بدأ مع تجربة محمد علي، الذي يقوم على اتباع النمط الغربي.

الثاني: التعليم الديني الذي أصبح بجموده وانسداد روافد الاجتهاد فيه وفشل محاولات إصلاحه؛ يشكل عبئاً وليس حلاً للواقع الراهن.

وفي ضوء ذلك «بدأت مصر تعرف ذلك الازدواج الخطير بين نمطين من الثقافة؛ ثقافة دينية تقليدية جامدة، وثقافة علمية غربية متجددة، وكان لهذا أسوأ الآثار والشرور التي عانت منها مصر؛ فقد فتتت من وحدة الفكر بين أبناء المجتمع، وخلقت أخدوداً ثقافياً قلَّ من كانوا يستطيعون عبوره»[8].

ونتيجة لسياسة الابتعاث إلى أوروبا في ضوء غياب التحصين المعرفي من جهة،

واستقدام الأوروبيين لاستخدامهم في وضع البرامج الثقافية والتربوية في مصر من جهة أخرى؛ تكونت في مصر بيئة خصبة للتغريب، ظهرت فيها كافة أفكار ودعوات المشروع المعرفي الغربي من الدعوة إلى العلمانية وفصل الدين عن الدولة، وتحرير المرأة والدعوة إلى السفور ومحاربة الحجاب، والتبشير بسيادة الفلسفة المادية، وتبني نظرية دارون في النشوء والارتقاء (شبلي شميل 1850م، وإسماعيل مظهر 1891م، وسلامة موسى 1887م).

أما في إيران (الرافد الثالث للحضارة الإسلامية)، فقد كان للحرب الإيرانية الروسية، وما تبعها من هزيمة للإيرانيين، ومعاهدة «تركمان جاي» (1828م) -التي سنت بموجبها امتيازات كثيرة للأجانب- دور كبير في التوجه نحو النمط الغربي في وسائل الحرب وفنونها، ولم يعد لدى الإيرانيين خيار سوى إعداد جيش على الطراز الحديث، فأنشؤوا مدرسة «دار الفنون» في منتصف القرن التاسع عشر (1851م – 1867 هـ.س) في عهد الدولة القاجارية، ضمت في دورتها الأولى سبعة أقسام، هي: الرياضة والهندسة، والطب والجراحة، والصيدلة، وعلوم المعارف، وثلاثة أقسام أخرى خاصة بـ«علوم العسكرية»[9].

مدرسة «دار الفنون»

وعلى الرغم من استقدام مدرسين أجانب لهذه العلوم وانتقاء الطلاب من غير المدارس الدينية والتحول الإداري والقانوني الذي شهدته مدرسة «دار الفنون»؛ فإنه لم يعترض أحد من علماء الدين؛ وذلك لرغبتهم في إعداد جيش قوي يتم به مواجهة الروس مرة أخرى، إلا أنه لم يتم التعايش مع مدرسة «دار الفنون» من قبل رجال الدين إلا لفترة محدودة، انتهت ببدء الدورة الثانية لهذه المدرسة (1859م) التي تأسست فيها مجموعة من الأقسام الدراسية الأخرى تهتم بتشكيل القيم، وتتدخل في الثقافة والأخلاق، وهذه الأقسام هي «المسرح والتمثيل»، «النحت والتصوير»، «الموسيقى».

وفي هذه المرحلة بدأ الصراع بين رجال الدين كمدافعين عن التعليم التقليدي (الديني) وما يحمله من قيم وخصائص، وفئة «المتغربين» الذين درسوا في أوروبا هذه العلوم الجديدة وعادوا لتدريسها في مدرسة دار الفنون وما تبعها من مدارس أخرى على النمط الغربي ذاته؛ فبعد نصف قرن تم إنشاء عدد من المدارس المشابهة، فأنشئت مدرسة الحقوق والعلوم السياسية عام 1899م، كانت مدة الدراسة فيها 4 سنوات، وتنتمي إلى التعليم العالي، ثم أنشئت في عام 1908م مدرسة الطب، ومدة الدراسة فيها 5 سنوات، كما أنشئت المدرسة العالية للزراعة والحرف المهنية عام 1922م، ومدرسة المهندسين عام 1926م، والمدرسة البيطرية عام 1932م.

ويعتبر الإيرانيون أن افتتاح «دار الفنون» واستقدام معلمين ومناهج ودراسات غربية كان من العوامل المؤثرة والفعالة في انتشار وترويج الفكر الغربي بإيران، لا سيما فيما يتصل بمنظومة القيم والثقافة، وقد وصل عدد الخريجين خلال 4 سنوات 1100 طالب، وكان أغلبهم من أسر معروفة وذات نفوذ كبير، وشغل معظمهم مناصب عليا في الدولة، وكانوا في نفس الوقت يسعون لنشر الثقافة الغربية[10].

وفي هذه الأثناء ظهر جيل جديد من المثقفين الإيرانيين الذين تبنوا الفكر الغربي، وتمثلوا أفكاره لا سيما ما يتعلق بالنظرة إلى الدين ومهامه ووظائفه في حياة الإنسان، لدرجة وصلت إلى معاداة الدين باعتباره أساس التخلف، كما فعل التنويريون الغربيون مع الدين المسيحي؛ فقد «تأثر الجيل الأول من تيار التنوير الإيراني بروحية معاداة الدين والمؤسسة الدينية التي كانت سائدة في أوروبا، ومن هنا اتخذ هؤلاء موقفاً معادياً من الدين، وتوجهوا نحو الأصول القومية، فقفزوا إلى الوراء ليتجاوزوا الإسلام بوصفه مرحلة تاريخية دخيلة من عمر إيران والإيرانيين، ويعودوا إلى تاريخ الأجداد الساسانيين»[11].

وقد ارتبطت المؤسسات التعليمية الحديثة، ومصطلح المستيرين بمن يروجون للفكر الغربي وباستعداء الدين واستبعاده من حركة النهضة الإيرانية، ومن ذلك ما كتبه جلال أحمد عن هذه الحالة فيما أسماه «درخمت وخيانة روشنفكران» (المستنيرون خدمة وخيانة)، والمصطلح يشير بوضوح إلى هؤلاء الذين يميلون للغرب ويرجحون أفكاره وينقلونها.■



السلطان عبدالمجيد عُرف بتبنيه لمشروع التغريب وبدأت مؤسسات الثقافة التركية تبشر بالمشروع المعرفي الغربي

الهوامش

(1) إسماعيل أحمد ياغي: الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، الرياض، مكتبة العبيكان، 1996، ص149.
(2) جوستين ماكارثي: «سياسات الإصلاح العثماني»، ترجمة: عبداللطيف الحارث، مجلة الاجتهاد، العدد 45-46، بيروت، 2000، ص 64.
(3) المرجع نفسه، ص 75.
(4) رءوف عباس: «الإصلاح العثماني الدوافع والأبعاد»، بيروت، مجلة حوار العرب، العدد الرابع، مارس 2005، ص48.
(5) ماجدة مخلوف: «الإصلاح والتجديد في تركيا»، مرجع سابق، ص20.
(6) المرجع نفسه، ص22.
(7) روبير مانتران (إشراف): مرجع سابق، 463.
(8) سعيد إسماعيل علي: تاريخ التربية والتعليم في مصر، القاهرة، عالم الكتب، 1985، ص337.
(9) مهدى إشراقي: دار الفنون كفتارى درهويت دار الفنون وجايكاه در تاريخ معاصر إيران (مكانة وتاريخ مدرسة دار الفنون في الهوية الإيرانية)، طهران، مركز التعليم والتربية 2004م، ص27.
(10) المرجع نفسه، ص53.
(11) انظر:
- نهاوندي هوشنگ وديكران: أمير كبير ودار الفنون، طهران، المكتبة المركزية، 1999.
- محمد شفيعي فر: الأسس الفكرية للثورة الإسلامية، ترجمة: محمد حسن زراقط، بيروت، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، 2007، ص 112.

د. عبدالحميد مدكور الأمين العام لمجمع الخالدين بالقاهرة لـ«المجتمع»:

لا ندعو للقطيعة مع الحضارات الأخرى لكن نرفض الذوبان والاستسلام



«ليس معنى أن نتخذ موقفاً من التغريب أننا ندعو للقطيعة مع الحضارات الأخرى، فليس ذلك مقصوداً أبداً، ولكننا في الوقت نفسه نرفض الذوبان أو الاستسلام أو التبعية..»، بهذه العبارة الدالة الواضحة بدأ د. عبدالحميد مدكور، الأمين العام لمجمع الخالدين بالقاهرة، حواره لـ«المجتمع» حول قضية «التغريب» وما يكتنفها من لغط يروج له دعاته بين فينة وأخرى.

أستاذ الفلسفة الإسلامية بكلية دار العلوم جامعة القاهرة أكد أن العلاقة بين الحضارات وما يقع بينها من تأثير وتأثر يمكن تشبيهها بعملية نقل الدم من إنسان إلى آخر، وهذا النقل يقتضي تماثلاً وتجانساً من نوع الفصيلة التي سيتم نقلها، فإذا لم يتحقق هذا التماثل أو التجانس، فإنه سيتسبب بإضرار الشخص الذي سينقل إليه الدم، وقد يؤدي إلى وفاته، وهكذا الشأن في علاقة بعض الحضارات ببعض.

حاوره- إسلام عبدالعزيز:

• بداية، لو أردنا وضع تعريف محدد لمفهوم التغريب لننطلق منه في الحكم على مفرداته المختلفة، فكيف يمكننا أن نعرفه؟

- كلمة التغريب -في أصلها اللغوي- تدل على معاني النأي والبعد والارتحال بعيداً عن الوطن والانتقال من جهة الشرق إلى جهة الغرب، حيث يقال غرب واغترب، وتغرب عن الوطن بمعنى نزح عنه، ويقال: أغرب إذا أتى الغرب، وقد تدل على أنه جاء بالشيء الغريب غير المعهود في الآراء والأفكار، ويقال كذلك: أغرب في الأرض بمعنى أمعن فيها وسافر سفراً بعيداً.

وما يزال للكلمة صلة وثيقة بهذه المعاني في الاستعمال اللغوي المعاصر، لكنها تطورت في دلالتها ومضمونها، فأصبحت تستعمل على الألسنة، وفي الكتابات والآراء بمعنى جديد يتصل بظواهر ثقافية واجتماعية وسياسية في علاقة العرب والمسلمين وغيرهم من الحضارات والشعوب الشرقية بالحضارة الغربية التي تسعى بكل الوسائل لإضفاء الطابع والنموذج الغربي على الحياة في سائر الحضارات الأخرى، ومنها الحضارة العربية والإسلامية.

• هل ترون أن هذا الموقف ثابت من الحضارة الغربية، بمعنى أن لديها رغبة لذلك، أم هو محض افتتان من بعض من يفتتن بها من هذه الشعوب؟ ولماذا؟

- بالطبع هو موقف ثابت تتخذه الحضارة الغربية تجاه العالم، رغبة منها في تأكيد تفوقها العلمي والصناعي، وتوسيع نطاق هذا التفوق ليشمل الظواهر الإنسانية والاجتماعية والفكرية.

وبالمناسبة ودليلاً على ما أقوله، فإنها تسلك لتحقيق ذلك كل سبيل، بداية من المعونات الاقتصادية والضغوط السياسية إلى شن الحروب إذا لزم الأمر، ويرتبط ذلك في العالم العربي والإسلامي بالحقبة الاستعمارية التي قامت بها أوروبا على هذين العالمين، التي كان من أهم وقائعها الحملة الفرنسية على مصر (1798 – 1801م) وما تلاها من المحاولات الغربية لاحتلال العالم الإسلامي.

وهنا ربما يجدر بنا أن نؤكد أنه مما يستدعي الانتباه ويستوقف النظر ما عرضه «نابليون» على المجمع العلمي الذي أنشأه بمصر في أول جلسة له، حيث طالب بدراسة وفهم الموقف عموماً في مصر من ناحية القانون المدني والجنائي وتدريس القانون، وهل يمكن إدخال تحسينات يقبلها الأهالي!

وعندما دعا الديوان العام الذي شارك فيه بعض علماء الأزهر إلى الاجتماع عام 1798م، كان من أهم أهدافه أن يعمل الديوان على إعادة النظر في الإجراءات الجنائية والمدنية وقوانين الملكية والمواريث والضرائب، وكان من أهم الأسئلة التي عرضها على الديوان: ما القوانين التي يجب سنّها وتشريعها لضمان حق الميراث.

ولم تكن هذه الأسئلة تمثل مشكلة للمصريين الذين كانوا يتبعون الشريعة الإسلامية، وما جاء بها من قواعد للميراث والملكية، ولكنها كانت تمثل رغبة «نابليون» في إزاحة الشريعة عن مكانتها التي كان المصريون يحتكمون إليها، دون شكوى أو تبرم، كما أن ذلك كان يعني محاولة إضفاء الطابع الغربي على النظم والقوانين السائدة في مصر، بما يترتب على ذلك من تغير في

أنماط الحياة الاجتماعية التي تترتب على تطبيق هذه القوانين.

وقد خرج «نابليون» وجيشه من مصر دون أن يتمكن من تحقيق غايته، ولكن الفكرة ظلت قائمة منتظرة الفرصة لتحقيقها في مصر حتى جاء اللورد «كرومر»، فجعل القانون الأجنبي هو القانون المطبق في المحاكم المصرية كلها ما عدا قضايا الأحوال الشخصية، وأصبح التغريب هو السائد في نطاق القانون الذي يمثل ركناً مهماً من أركان الحياة الاجتماعية.

● لو ابتعدنا قليلاً عن العمق التاريخي لبدايات محاولات التغريب، وأردنا أن تضع لنا حدثاً تعتبره فارقاً في وسائل هذا التغريب وطريقة إدارته، فما هذا الحدث؟ وكيف تراه؟

– أعتقد هو ما حدث في أواخر القرن العشرين، وتحديداً في العام 1994م، حيث استعملوا وسيلة أخرى من وسائل التدخل في شؤون المجتمعات الإنسانية، تحقيقاً لما يريدونه من تغريب يصبغ المجتمعات غير الغربية بالطابع الغربي عن طريق المعاهدات الدولية التي تعمل على تغيير ثوابت المجتمعات.

وأقصد هنا تحديداً مؤتمر القاهرة للسكان والتنمية الذي عقد في عام 1994م بإشراف الأمم المتحدة، حيث تدل وثائق هذا المؤتمر صراحة على أنها تدعو سائر المجتمعات إلى تطبيق النمط الغربي في النظر إلى الحياة الأسرية والحرية الجنسية وحرية الشذوذ! وتتحدث عن علاقات جنسية قبل الزواج، وبدونه، وتسعى إلى تحقيق أقصى قدر من الإمتاع للفرد على حساب التعاليم الدينية، والقيم الأخلاقية.

وكان من فضل الله أن الأزهر الشريف والكنيسة المصرية وقفا بقوة لهذه الوثيقة، وقابلاها بالرفض الصريح، ولولا ذلك لسقط ركن آخر من أركان الأسرة والحياة الاجتماعية، ولدخل المجتمع في وهدة التحلل والفساد الخلقي اللذين يقضيان على تماسك المجتمع وقيمه الأخلاقية.

● على ذكر الوسائل، هل ترون الاستشراق إحدى تلك الوسائل الناعمة لتحقيق هذا التغريب؟

– بكل تأكيد، وذاك تحديداً يتمثل فيما كان يقوم به فريق من الباحثين في شؤون الشرق من المفكرين الغربيين الذين يندرجون تحت راية الاستشراق الإنجليزي والفرنسي ثم الأمريكي، ويشير إلى هذا الجهد المستشرق الأمريكي من أصول عربية إدوارد سعيد، الذي ذكر أن فريقاً من المستشرقين كانوا ينظرون إلى الاستشراق بوصفه أسلوباً غربياً للسيطرة على الشرق والسيادة عليه، وإعادة بنائه على النحو الذي يتفق مع العقلية الغربية، والإسهام في تكوين فكرة الشرق عن نفسه بما يتفق مع الفكرة الغربية عنه، وإن كانت مختلفة مع واقع الشرق نفسه.

● البعض يقول: إن الاستشراق في جزء كبير منه بهذا المعنى ما هو إلا تمهيد لتقبل فكرة الاستعمار ذاتها، هل توافقون على ذلك؟

– نعم، وهذا ما يقوله إدوارد سعيد الذي يربط بين الاستشراق بهذا المعنى واتجاه الغرب إلى استعمار الشرق ابتداء من أواخر القرن الثامن عشر الميلادي، حيث يرى هؤلاء أن تغيير العقليات والأفكار، وزلزلة الثوابت الدينية والاجتماعية، والتقبل لصور الحياة الواردة يجعل من السهل على هؤلاء تقبل الاستعمار بعد إخضاعهم لغسيل المخ وإعادة حشوه بالوافد المنتمي إلى الحضارة الغربية ومنظومة أفكارها وطريقتها في العيش وترتيبها للأولويات والقيم السلوكية.



هناك رغبة أكيدة من الغرب لإضفاء طابعه على الحياة في سائر الحضارات الأخرى

نرفض التغريب ونواجهه ولا ندعو للقطيعة مع الحضارات لكننا نأبى التبعية

● لكن، ألا ترون أن الأزمة ليست في عمل هؤلاء بقدر ما هي في أن هناك من بني جلدتنا ممن يوصفون بالنخبة الفكرية والثقافية وهم أبواق هؤلاء يرون ذلك ويدعون إليه؟ هل تتفقون معي؟

– بكل تأكيد هذه هي الأزمة الكبرى، التي تزيد الطين بلّة، عندما تجد مفكرين من أبناء المجتمعات المستهدفة بهذا التغريب ينادون بمثل ما ينادي به أبناء الحضارة الغربية، حيث يرى بعض هؤلاء –كما يقول طه حسين في «مستقبل الثقافة في مصر» الذي ظهر في أربعينيات القرن الماضي– أن الطريق إلى النهضة هو الأخذ بأسباب الحياة الحديثة التي يأخذ بها الأوروبيون في غير تردد ولا اضطراب، وأنه ليس في الأرض قوة تستطيع أن ترد العرب وغيرهم عن أن يستمتعوا بالحياة على النحو الذي يستمتع بها الأوروبيون، وأن السبيل إلى ذلك ليس بالكلام المرسل، ولا بالمظاهر الكاذبة والأوضاع الملفقة، وإنما هي واضحة بيّنه مستقيمة ليس بها اعوجاج أو التواء، وهي واحدة فذة ليس لها تعدد، وهي أن نسير سيرة الأوروبيين ونسلك طريقهم لنكون لهم أنداداً، ولنكون لهم شركاء في الحضارة خيرها وشرها، حلوها ومرها، وما يحب منها وما يكره، وما يحمد منها وما يعاب، ومن زعم لنا غير ذلك فهو خادع أو مخدوع.

ولا يختلف عن ذلك كثيراً ما يقوله سلامه موسي: «كلما ازددت خبرة وتجربة وثقافة توضحت أمامي أغراضي، فهي تتلخص في أنه يجب علينا أن نخرج من آسيا، وأن نلتحق بأوروبا، فكلما زادت معرفتي بالشرق زادت كراهيتي له، وشعوري بأنه غريب عني، وكلما زادت معرفتي بأوروبا زاد حبي لها وتعلقي بها، وزاد شعوري بأنها مني وأنا منها».

تخيل هذه مشاعره تجاه الشرق الذي ظهر فيه الإسلام، وفيه قبلته، وهو في نظره تزداد كراهيته له كلما زادت معرفته بتاريخه وثقافته! أما أوروبا فهي رمز للتمدن والحضارة والعلم والحرية عنده!

● ما سر هذا الافتتان الكبير بالنموذج الغربي من هذه النخبة؟

– الدعوة إلى التغريب كانت تمشي في ركاب التقدم التقني الذي كانت الحضارة الغربية الأوروبية سابقة فيه لغيرها من الحضارات، وكان التفوق العسكري للغرب واضحاً ابتداء من القرن السابع عشر، وذاك

هو السر؛ الربط بين هذا ونموذج الحياة، وكأن هذا نتيجة لذاك!

وكما يقول المؤرخ الكبير «توينبي»: إن فن الحرب ما هو إلا أحد وجوه طريقة المعيشة الغربية، وأي مجتمع غريب يرغب في تعلم هذا الفن دون أن يحاول تبني طريقة العيش نفسها يكتب له الفشل حتماً، وهو يفسر ذلك بأن جميع المقومات في حضارة ما من دين وتكنولوجيا لها جذور داخلية، وإذا تخلى أحدهم عن طريقته التقليدية ليتبنى طريقة أجنبية، فهذا التغيير الذي يبدو عليه أنه سطحي لا يبقى كذلك، بل يتسرب إلى الأعماق، إلى درجة تصبح معها الحضارة التقليدية في الصف الثاني، بينما تشق الحضارة الأجنبية لنفسها شيئاً فشيئاً طريقاً بواسطة الشق الذي خلفه على السطح من الخارج الطريق الأجنبي؛ لذلك كان البدء بالتكنولوجيا مقدمة سيتبعها بالضرورة باقي العناصر.

● هل ترون انتشار المدارس الأجنبية في جنبات وطننا العربي والإسلامي إحدى وسائل التغريب؟

– نعم، خاصة انتشار المدارس التي تجعل اللغات التي تعلّم بها معياراً للفكر والفن والثقافة والتاريخ، ويقع ذلك فيها دون إشراف جاد على مناهجها.

ولذلك لا يجد المنتسبون إليها والمتعلمون فيها ما يؤكد هويتهم، وما يربطهم بتاريخهم وقضايا شعوبهم، بل قد يحظر في بعضها النطق بالعربية التي هي اللغة الأصلية لطلابها، وكل هذه قنوات يتسرب منها التغريب إلى المجتمع، ويحدث أثره في تغيير الأفكار والأذواق ونمط العيش وطريقة الحياة، بل قد يؤدي إلى الانفصال النفسي عن المجتمع والتفكير في الهجرة إلى هذه البلاد التي قد تكون معارفهم عنها أكثر من معارفهم عن مجتمعاتهم.

● لكن بعض هؤلاء لا يرون في ذلك تغريباً، بل حداثة وتقدماً ومدنية وتحضراً!

– ولن تغني عنهم ألفاظهم التي يروجون بها للتغريب شيئاً، فالعبرة بالآثار التي تترتب عليه، فليُسمّوه مدنية أو تحضراً أو حداثة أو تقدماً أو تنويراً، لأن هذه الأسماء مرتبطة – في مضمونها– بالمجتمعات التي نشأت فيها، ولكل حضارة مصطلحاتها، ومشكلاتها، وتصوراتها وقيمها ومفاهيمها وغاياتها، وعلى كل مجتمع أن يعالج مشكلاته، ويحدد غاياته بما يتفق مع ثوابته، وبما يتلاءم مع قيمه، وقد قيل –قديماً– فيما يتعلق بنسبية الأخلاق: إن شيئاً ما قد يكون فضيلة على أحد جانبي النهر، على حين أنه قد يكون رذيلة على الجانب الآخر.

بل إن المجتمع الواحد قد تتغير فيه منظومة القيم، ومناهج التفكير من عصر إلى عصر، وهذا واقع يثبته النظر في أحوال الأمم والشعوب، وقد حملت الحضارة الأوروبية العلمانية التي تتخذ موقفاً سلبياً من الدين، لكن شعوباً أخرى وقفت في وجه هذا الموقف وقاومته متمسكة بقيمها وأصالتها، ثم حملت الحضارة الغربية إلى العالم مصطلح العولمة، ولكن شعوباً كثيرة تصدت لهذه العولمة وقاومتها كذلك، وسعت إلى الحفاظ على مصالحها، ولم تقبل الذوبان في هذه العولمة التي تنال من هويتها، وتقطعها عن تاريخها، وتنال من خصوصيتها الحضارية، بل إن بعض الدول التي رفعت شعار العولمة قد تراجعت عنه من الناحية العملية حتى ولو لم تعلن ذلك على المستوى النظري والأيديولوجي.

لكن من المهم التأكيد على أن اتخاذ مثل هذه المواقف لا يكون عن طريق الشعارات والادعاءات التي لا تغني فتيلاً عن أصحابها الذين سيجرفهم الطوفان لو لم يأخذوا بأسباب القوة التي تمكنهم من المقاومة، وهي القوة الشاملة التي لا تعنى بجانب واحد من جوانب الحضارة، بل عليها –إذا أرادت المحافظة على مكانتها– أن تعنى بكل الجوانب؛ اقتصادية وعلمية وتقنية وسياسية وعسكرية، ويتحول كل هذا إلى واقع يراه أصحابه ويراه الآخرون أيضاً.

● لكن أليس هذا يعني تقوقعاً وقطيعة مع الآخر، وسنن الله في الكون تأبى ذلك، فالحضارات تتلاقح وتقوم إحداها على ما أخذته من الأخرى، فكيف تريدون لنا أن نقطع صلتنا بتلك الحضارات؟

– لا أبداً، لم ندعُ إلى ذلك، ولن ندعو إليه، فليس معنى أن نتخذ موقفاً من التغريب أننا ندعو للقطيعة مع الحضارات الأخرى، فليس ذلك مقصوداً أبداً، ثم إنه ليس ممكناً من جهة أخرى بسبب هذا التواصل الذي لم تعرف البشرية له نظيراً من قبل، ولكن ذلك لا يعني الذوبان أو الاستسلام أو التبعية.

ينبغي أن يكون واضحاً أن العلاقة بين الحضارات وما يقع بينها من تأثير وتأثر يمكن تشبيهها بعملية نقل الدم من إنسان إلى آخر، وهذا النقل يقتضي تماثلاً وتجانساً من نوع الفصيلة التي سيتم نقلها، فإذا لم يتحقق هذا التماثل أو التجانس، فإنه سيتسبب بإضرار الشخص الذي سينقل إليه الدم، وقد يؤدي إلى وفاته، وهكذا الشأن في علاقة بعض الحضارات ببعض.

وليس لدينا في حضاراتنا رفض –من حيث المبدأ– للتفاعل بين الحضارات، فالله تعالى يقول: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ (17) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾ (الزمر)، وفي الحديث الشريف، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «الكلمة الحكمة ضالة المؤمن حيثما وجدها فهو أحق بها» (رواه ابن ماجة، والترمذي)، وليس يعني ذلك استيراد الحلول الحضارية أو عن طريق التبعية لحضارات أخرى، وليس هناك عائق يمنع الإفادة من تجارب الأمم الأخرى التي قد تتضمن كنوزاً من الخبرة الإنسانية في مجالات عدة، ومن ثم تكون جديرة بالرجوع إليها والإفادة منها، بشرط التجانس كما قلنا وعدم التعارض مع الثوابت التي لا يصح التفريط فيها.

● الثوابت، هذه كلمة ربما كثر حولها



مؤتمر السكان بالقاهرة عام 1994م أحد أهم الأحداث الفارقة للدلالة على الرغبة في «التغريب» وفرضه كاملاً

انتشار المدارس التي تجعل اللغات التي تعلّم بها معياراً للفكر والفن والثقافة والتاريخ أهم وسائل تغريب مجتمعاتنا



الجدل، فهل يمكن أن تحدد لنا ما تراه أهم هذه الثوابت في موضوع التغريب على وجه الخصوص؟

– أعتقد أن اللغة العربية هي من أهم هذه الثوابت التي يجب الحفاظ عليها، بالنسبة للمجتمع العربي خاصة وللمجتمعات الإسلامية عامة، من حيث هي وعاء العلم، وخزانة الفكر ومستودع التاريخ، وأقوى عناصر توحيد الأمة، وتوحيد هويتها وتحديد مشاعر أهلها وإشعارهم بقوة الرابطة التي تجمع بينهم.

ثم هي لغة القرآن الكريم والحديث الشريف، وبها دونت الكتب ووضعت المؤلفات في سائر العلوم العربية والإسلامية، وقد اتسعت للمعارف الإنسانية التي أبدعتها الحضارات السابقة على الإسلام، وظهر ذلك في حركة الترجمة الكبرى التي وقعت منذ وقت مبكر من تاريخ العالم الإسلامي، ثم ازدهرت في عصر الدولة العباسية، وقد حوت بين جنباتها معارف الفرس واليونان والهند والسريان ولغات أخرى، وهي من أطول اللغات الحية عمراً، وقد تعلمها وبرع فيها أبناء الشعوب التي دخلت الإسلام؛ فاتخذوها لساناً لهم، وألفوا فيها كتبهم، وتغنوا بها في أشعارهم، وكتبوا بها كتبهم العلمية في الفلك والرياضيات والطبيعيات والطب والصيدلة والفلسفة، فضلاً عن العلوم العربية والإسلامية.

لكنها تلقى عنتاً كثيراً متعدد الجوانب، وهي توصف عند بعض خصومها بأنها لغة بدوية عاجزة عن مواكبة الحضارة الحديثة، بل توصف أحياناً بأنها لغة ميتة، وقد كانت كذلك حتى في زمن ظهور القرآن الكريم، وهذا ما أورده سلامة موسى بالمناسبة في «اليوم والغد».

● بعيداً عما روج له دعاة التغريب، كيف تم الاعتداء على اللغة العربية من وجهة نظرك؟

– مثلاً، تحول تدريس الطب في قصر العيني عندنا في مصر من اللغة العربية إلى الإنجليزية بعد الاحتلال الإنجليزي لمصر عام 1882 بسنة واحدة، تخيل.. سنة واحدة! وبدؤوا في محاولة طمس الهوية، وبدأت الدعوة إلى استعمال العامية بدلاً منها، وكان من الدعاة إليها «ولكوكس» المهندس الزراعي الإنجليزي، ثم تلقفها غيره من المصريين، بل ودعا بعضهم إلى استعمال اللغة اللاتينية، ولم تعد العربية لغة العلم في الكليات العملية كالطب والهندسة والصيدلة والعلوم وغيرها.

أيضاً، نشأت المدارس الأجنبية التي تدرس كل موادها بلغة غير اللغة العربية كالإنجليزية والفرنسية، وخُصص لها في برنامج الدراسة وقت لا يكفي لدراستها، وغاب استعمالها في بعض المؤسسات والشركات واللافتات على الرغم من بعض القوانين التي تمنع ذلك.

كذلك لم يعد لها الغلبة في الإعلام ولا في برامجه التي يدار فيها الحوار باللهجة العامية التي قد تخرج أحياناً ببعض الكلمات الأجنبية، ثم ظهرت الوسائل المسماة بوسائل التواصل الاجتماعي فاستعملت لغة هجيناً من الكلمات العامية والأجنبية، وحلت الأرقام فيها مقام بعض الحروف، وأصبحت المسافة بينها وبين العربية شاسعة، وتضافرت هذه العوامل كلها على اللغة العربية وأصبحت معضلة كبرى.

● إذن، ما الحل؟ وكيف يمكننا التعامل مع تلك المعضلة؟

– الأمر يحتاج إلى تدخل الدول لانتشال اللغة من الوهدة الثقافية التي تعيشها، وذلك بإصدار القوانين لحمايتها والتمكين لها، والعمل على أن تكون لغة علم كما كانت قروناً طويلة.

ونحن نقول ذلك توافقاً مع القول المأثور: «إن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن»، فالدول هي التي تصدر القوانين، وهي التي تضع مناهج التعليم، وهي التي تستطيع محاسبة من لا يستجيب للقوانين أو النظم التعليمية.

● لكن، دعني أؤكد أن كثيرين يعوّلون على مؤسسات المجتمع أكثر مما يعولون على الدول والحكومات لأسباب كثيرة.

– هذا صحيح، فالأمر لا يقتصر على الحكومات وحدها، بل يجب على المؤسسات التعليمية كالجامعات ومراكز البحث العلمي أن تقوم بواجبها نحو اللغة العربية التي هي اللغة الرسمية في البلاد العربية.

ومن العجب أن أكثر كلياتها لا تتضمن موادَّ لدراسة اللغة العربية، والطلبة الذين يدخلونها تنقطع صلتهم بهذه اللغة بعد الثانوية العامة، فليس لها موضع في مناهجها ولو بمواد اختيارية، وأنَّى لهؤلاء أن يعرفوا هذه اللغة أو يستعملوها في حياتهم أو أبحاثهم العلمية فيما بعد، وقد ظهرت دعوات لتضمين اللغة العربية ضمن مناهج الكليات الجامعية منذ عام 1979م، ولكن هذا لا يطبق إلا في القليل من البلاد العربية.

ويبقى العبء الأكبر طبعاً على مجامع اللغة العربية، ومنها مجمع اللغة العربية في القاهرة.

● على ذكر مجمع الخالدين بالقاهرة، ما الذي فعله المجمع في مواجهة ذلك؟ وهل أنتم راضون عن هذا الجهد؟

– أصدر المجمع عدداً من المعاجم المتخصصة تعد بالعشرات، ثم أصدر عددا من المعاجم اللغوية كان من أهمها «المعجم الوسيط» الذي فاز بجائزة الملك فيصل العالمية منذ بضع سنوات.

وهو يعمل الآن بحول الله وطوله لإصدار المعجم الكبير الذي سيكون –عند إتمامه– أوسع معجم للغة العربية، وقد صدر منه حتى الآن أربعة عشر مجلداً، وينتظر أن يصل إلى نحو ثلاثين مجلداً يتعاون على إصدارها عدد كبير من أعضاء المجمع وخبرائه ومن يعاونهم من الباحثين الفنيين المؤهلين تأهيلا علمياً عالياً، والمدربين تدريباً عالياً كذلك، وهم يبذلون أقصى جهودهم لإنجازه في وقت قريب.■

التغريب.. والاقتصاد الإسلامي

التغريب تيار كبير ذو أبعاد سياسية واجتماعية وثقافية وفنية يرمي إلى صبغ حياة الأمم بالأسلوب الغربي



د. أشرف دوابه
أستاذ التمويل والاقتصاد بجامعة إسطنبول صباح زعيم

قضية التغريب من القضايا التي تفرض نفسها في الساحة الإسلامية، وتشهد لهيباً محموماً في هذه الأيام، خاصة في ظل دعاة العلمانية في عالمنا العربي الذين يتقبلون أي دين أو مذهب وضعي إلا دين الإسلام، ولم يقتصر التغريب على الجانب السياسي والاجتماعي، بل الجانب الاقتصادي أيضاً.

عرَّفت الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة التغريب بأنه «تيار كبير ذو أبعاد سياسية واجتماعية وثقافية وفنية يرمي إلى صبغ حياة الأمم بعامة والمسلمين بخاصة بالأسلوب الغربي؛ وذلك بهدف إلغاء شخصيتهم المستقلة وخصائصهم المتفردة، وجعلهم أسرى التبعية الكاملة للحضارة الغربية».

فالتغريب لا هدف من ورائه سوى صبغ حياة المسلمين باللون الغربي بحلوه ومره، خيره وشره، والدعوة إليه والتغني به باسم التقدم والحداثة، ومنها الحياة الاقتصادية، مع أن الحداثة بمفهومها الصحيح لا غبار عليها إذا كانت لا تصطدم بالأحكام الشرعية، فـ«الحكمة ضالة المؤمن أنَّى وجدها فهو أحق الناس بها»، وشتان ما بين التغريب والحداثة، فالأخيرة تعني الانتقال من حالة قديمة إلى حالة جديدة، تشمل وجود تغيير ما، وتيسر لنا الاستفادة من كل جديد نافع، بينما التغريب يبدل ثقافة شعوبنا ويقوم على نبذ القيم والثقافة الإسلامية، وإحلال القيم الغربية مكانها، فهو انسلاخ من حضارتنا وقيمنا، وتكريس للتبعية الغربية المادية فينا.

ولو تطرقنا إلى التغريب في الاقتصاد لوجدنا الرأسمالية المتوحشة هي سيدة الموقف بويلاتها وأزماتها وثقافتها التي جعلت الربا أمراً لا فكاك منه، والمقامرة من مشتقات مالية ونحوها دواء لا بد منه، والاستهلاك الترفي متاعاً لا بد من التمسك به، وحرية السلع دون الأفراد مسلكاً محموداً، وفرض الضرائب وإهمال الزكاة منهجاً، وحصر دولنا الإسلامية في الإنتاج الريعي والتقنية المتقادمة، وتحويل الدولة من راعية للاقتصاد إلى حارسة له، بل وتفريغ العديد من البنوك الإسلامية من منهجها بالتحايل المقيت ببيع العينة والتورق المصرفي المنظم.

ومن أشد أساليب التغريب في الاقتصاد أيضاً الركون إلى المنهج التجريبي وحده دون غيره، والاستسلام لمقولة العقل هو المصدر الوحيد للمعرفة، ولا مكان للدين والأخلاق سوى التحييد.

إن المعرفة تشمل كل ما يتجمع لدى الإنسان من المعلومات العامة أو الحقائق القائمة على التجربة أو الإدراك الحسي أو التأمل الفلسفي أو الجهد الفكري المنظم، والعلم هو المعرفة المنظمة التي تنشأ عن الملاحظة الحسية التي تعرضت للفحص والتدقيق والتحليل والتجريب بغرض تحديد طبيعة وأسس وأصول ما تم دراسته، ولا علم بدون منهج، ولا ممارسة للعلم بدون قاعدة علمية وضوابط منهجية، والمنهج هو الطريقة الواضحة التي ينتهجها العقل للتوصل إلى الكشف عن الحقيقة التي يريد الباحث الوصول إليها، مستعيناً في ذلك بمجموعة من القواعد العامة التي يخضع لها العقل في عملية البحث عن طريق بعض أدوات التحليل، ومنها: أدوات التحليل المنطقي التي تضم الطريقة الاستنباطية والطريقة الاستقرائية.. إلخ، وذلك بهدف التوصل -من خلال عملية التحليل- إلى أفكار ومقولات عامة.

والإسلام يؤمن بالمعرفة والعلم، ويثمن على منهج البحث في علم الاقتصاد الذي

يرتبط بالسلوك الإنساني، وينصرف إلى طرق الدراسة والتحليل التي تستخدم من خلال الفكر المتتابع والمنتظم عن دراسة موضوع معين بهدف التوصل إلى قانون عام يحكم الموضوع محل الدراسة، ولكن السلوك الإنساني في الإسلام ليس سلوكاً عشوائياً ولا سلوكاً يحكمه التجريب فقط، بل يحكمه العقل والوحي المرشد لهذا العقل.

النظرية الاقتصادية

والاقتصاد الإسلامي كعلم ينشغل بالسلوك الاقتصادي للإنسان في إطار الأصول الشرعية والجوانب العقدية والأخلاقية، فهو يتضمن الأحكام التقريرية (الوضعية)، والتقديرية (المعيارية) معاً، فدراسة الجوانب الواقعية من السلوك الاقتصادي لا تقل أهمية عن دراسة الجوانب المعيارية فيه، والنظرية الاقتصادية الواقعية هي نظرية علمية يتحدد إطارها بملاحظة الواقع وتفسيره، مثل قانون الطلب الذي يعكس العلاقة العكسية بين الكمية المطلوبة والسعر، فهي تستند لمعايير واقعية.

والنظرية الاقتصادية المعيارية لا تعني انفصال النظرية الاقتصادية عن الواقع تماماً، حيث تصبح هذه المثالية مسألة خيالية خارجة عن نطاق اهتمام الاقتصاديين، إنما المقصود بالمفهوم المثالي هو ارتباط النظرية الاقتصادية ببعض الأهداف المرغوبة التي يظن صاحب النظرية أنه ينبغي تحقيقها في الواقع، فقد تتضمن النظرية الاقتصادية فرض التوزيع العادل للدخل القومي في المجتمع، بينما أن التوزيع السائد في الواقع غير عادل، وفي مثل هذه الحالة لن يمكن اختبار النظرية الاقتصادية مثلما هي الحال في المفهوم الواقعي للنظرية، حيث يقتصر ذلك فقط على تحقق الهدف المثالي على أرض الواقع، حيث يمكن حينئذ اختبار النظرية وتنتفي منها الصفة المثالية وتصبح واقعيةوالواقع أن منهج البحث في العلوم الاجتماعية يختلف عنه في العلوم الطبيعية، والاقتصاد كعلم اجتماعي محوره الإنسان ككل في نطاق الإنتاج والاستهلاك والتوزيع إشباعاً لحاجاته، وهو مجال يختلف عن مجال بحث وأهداف العلوم الطبيعية، وإن كانت جميعها في النهاية تخدم الإنسان، ومن ثم فإن الدراسة العلمية لا تقتصر على مجال الأحكام التقريرية، وإنما تمتد إلى مجال الأحكام التقديرية كذلك.

وعلى ذلك، فإن علم الاقتصاد الإسلامي لا يقف عند دراسة الواقع فقط، بل يتجاوزه إلى دراسته كما ينبغي أن يكون، ثم تحديد الخطوات العلمية والعملية لتعديل الواقع القائم ليصبح هذا الواقع كما ينبغي أن يكون، بمعنى آخر؛ إن مهمته وهدفه هي مهمة وضعية ومعيارية معاً.

والباحثون في الاقتصاد الإسلامي مطالبون بالنظر في الكتاب والسُّنة وأقوال الفقهاء والعلماء في الكتب الشرعية وكتب الفكر الاقتصادي وكتب التاريخ ورؤيتهم للظاهرة الاقتصادية في الإنتاج والاستهلاك والتوزيع والنقود والتجارة الدولية.. إلخ، وكذلك دراسة الواقع من حيث وصفه وتفسيره.

> **لا هدف من وراء التغريب سوى صبغ حياة المسلمين باللون الغربي والتغني به باسم التقدم ومنها الحياة الاقتصادية**

> **التغريب يبدل ثقافة شعوبنا ويقوم على نبذ القيم الإسلامية وإحلال الغربية مكانها**

وقد عجزت النظريات الاقتصادية الوضعية التي يسعى أهل التغريب لجعلها منهجاً لنا عن حل المشكلات الاقتصادية المعاصرة، وركزت على الماديات وأهملت الروحانيات وحيدت الأخلاق، وسارت في ركب الحياد العلمي للنظرية الاقتصادية الذي تبنته المدرسة التقليدية الجديدة بمناداتها بتجريد الظاهرة الاقتصادية عن غيرها من الظواهر الاجتماعية والأخلاقية، بينما النظرية الاقتصادية الإسلامية تنبع من القيم الإسلامية، وتوازن بين المادة والروح، وهدفها بناء الإنسان الاقتصادي الصالح الذي استخلفه الله لعمارة الكون بحوافز مادية وإيمانية وأخلاقية، لا الإنسان الاقتصادي المادي الذي على أساسه تم إقرار تعظيم الربحية للمنتج وتعظيم المنفعة للمستهلك بحوافز مادية بحتة.

وبناء نظرية اقتصادية إسلامية ينبغي أن يكون في إطار الثوابت، بالاستفادة من دراسة النظريات الاقتصادية الغربية رغم ارتباطها بفلسفات وبيئات مختلفة، ولكن مع ذلك يمكن البناء عليها بما يلائم واقعنا، ودون اصطدام مع أحكام شريعتنا، سواء بمفهوم المخالفة إذا كنا مختلفين تماماً، أو بمفهوم المشابهة في بعض الأحيان إذا كان هناك تشابه، فنحن لا نبدأ من الصفر ولا نهدر القوانين الاقتصادية التي ثبت صحتها ولا تصطدم بشريعتنا، فالمعرفة تراكمية، والتعديل والتطوير للنظريات الاقتصادية المعاصرة لا غبار عليه، لا سيما وأننا نمتلك تراثاً فقهياً عظيماً يمكننا من الربط بين الأصالة والمعاصرة.

وإذا كانت النظرية الوضعية تتطلب اختبار فروضها الاحتمالية بالرجوع إلى الحقائق والمشاهدات التي تؤيد ذلك، فإن النظرية الاقتصادية الإسلامية لا تحتاج إلى مثل هذا الاختبار على أساس أن الثوابت مسلمات في الاقتصاد الإسلامي يوقن بها الباحث يقيناً لا شك فيه، فحينما يقول الله تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾ (البقرة: 276) فهذا من المسلَّمات ولا مجال لاختباره حتى نثبت صحته.

وعلى هذا الأساس، يمكن القول: إن النظرية الاقتصادية الإسلامية يمكن أن تحتوي الممارسات المادية بعد تهذيبها وفقاً للمبادئ الإسلامية، فالعقل ليس المصدر الوحيد للمعرفة، بل العقل والوحي المرشد له، مع أهمية تفسير النتائج المتأتية منها بعناية، ويجب ألا تلتبس بشريعة الإسلام وعصمتها، فالباحثون متفاوتون في المقدرة على الفهم والاستنباط، بل ومتفاوتون في معرفة هذه الأصول الشرعية والإحاطة بها، فالنظرية الاقتصادية الإسلامية وإن استمدت مسلماتها وأطرها العامة من الوحي، فإنها ليست في نفسها وحياً منزلاً، وإنما هي بالضرورة مشتملة على اجتهادات وأفكار وتفسيرات بشرية ضمن مكوناتها الرئيسة، وفي كل ذلك قد يرد الخطأ، وهذا الخطأ لا يمكن أن يمس عصمة الشريعة، فهو مجهود بشري مستنبط من النصوص ويرجع على قائله ومفسره.■

التغريب..
وخطره على الأمة

التشريع..
من ضيق التغريب إلى رحابة الإسلام





د. حازم علي ماهر
باحث مهتم بدراسة الشريعة الإسلامية وتطبيقاتها في الدساتير والقوانين المعاصرة

يمكن تعريف التغريب بأنه تطبيع الأغيار بطابع الغربيين بهدف استتباعهم للغرب، والغرب هنا يكاد يتركز في دول أوروبا الكبرى بامتداداتها في أمريكا، باعتبار أن الأوروبيين هم من استوطنوا أمريكا بعد أن أبادوا سكانها الأصليين من الهنود الحمر، فإذا كان التغريب في المعاجم العربية يأتي بمعنى النفي عن البلاد، فإن التغريب في الثقافة الغربية يعني النفي عن الزمان وعن التراث الذاتي والإنساني لأجل تيسير عملية الذوبان في العصر الأمريكي الأوروبي وحده؛ سياسياً واقتصادياً وثقافياً واجتماعياً.

لقد كان المجال التشريعي من أهم الآليات التي استعملها الغرب لتحقيق أهدافه في تنميط العالم الإسلامي –تحديداً– على هواه ووفقاً لما يحقق مصالح «الرجل الأبيض»، ولذلك كان من الطبيعي أن يعمل بجد على تنحية الشريعة الإسلامية عن مرجعية التشريع والقضاء التي تبوَّأتها على مدى أكثر من ثلاثة عشر قرناً، لا سيما وهي –بطبيعتها– عصية على التطويع والاحتواء، وتمنح المؤمنين بها الصمود والثبات في مواجهة العواصف التي تحاول أن تقتلعهم من جذورهم حتى لا يصبحوا لقمة سائغة للمتداعين عليهم كما تداعى الأكلة على قصعتها!

فقد استغلت أوروبا الفجوة الكبرى التي حدثت بينها وبين المسلمين في الجوانب المادية والعسكرية خصوصاً لفرض نفوذها السياسي والاقتصادي على العالم الإسلامي منذ نهايات القرن الثامن عشر، ثم بدأت في احتلال دول العالم الإسلامي تباعاً، وكلما احتلت بلداً فيه استبدلت القوانين الوضعية بالشريعة الإسلامية، ليتغرب بذلك التشريع على مستوى المرجعية والمفهوم والمؤسسات والبيئة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية، وذلك على الوجه الآتي:

1 – من حيث المرجعية، تحولت مرجعية التشريع من الشريعة الإسلامية إلى المرجعية الغربية، فلم يعد نابعاً من الشريعة، بل مما يحدده الغرب ويختاره، فباتت قوانينه والفقه الآخذ عنها –عملياً– هما الميزان وهما أصل المشروعية في المجتمع الإسلامي؛ وتحولت مصادر التشريع من القرآن والسُّنة والمصادر الاجتهادية التي ترتد إليهما وفق القواعد الأصولية والفقهية التي اعتمدها علماء الشريعة على مدى التاريخ الإسلامي، إلى «التقنينات» التي تصدرها الدولة ممثلة في الجهة المختصة بالتشريع، والمبادئ العامة للقانون والقانون الطبيعي وقواعد العدالة، وغيرها من مصادر القانون.

2 – انحسر مفهوم التشريع في الدول المتغربة في معناه الغربي المقتصر على القواعد المنظمة للروابط بين الناس على وجه الإلزام من قبل الدولة، بعد أن كان التشريع يتسع في المفهوم الإسلامي ليشمل كل الأحكام الشرعية الإسلامية التي لها مقتضى عملي في حياة الإنسان بصفة عامة، بما تحتويه تلك الأحكام من عقائد وأخلاق وعبادات ومعاملات كمنظومة تشريعية متشابكة ومتكاملة، لا ترتبط بالضرورة بالدولة كجهة إلزام أو رقابة، بل كانت جهة الإلزام بتلك الأحكام هي القرآن الكريم والسُّنة النبوية وحدهما.

3 – أحلَّ الغرب مؤسساته التشريعية والقضائية محل الجهات المختصة بالتشريع الإسلامي، فاستبدل الغرب –ووكلاؤه المتغربون– البرلمانات بالفقهاء، وولى الدولة الحديثة –المستوردة منه والتابعة له– استتباع المؤسسات الدينية المختلفة، وعلى رأسها جهات التعليم الديني، الذي قضى الغرب على

تمويله الأهلي عبر نظام الوقف الإسلامي، فحرم الشريعة من علمائها المستقلين، وسلمهم والأوقاف للدولة وسلطتها التنفيذية المتغولة بدورها على المؤسستين التشريعية والقضائية، بعد أن تحكمت فيهما من حيث المنبع والمصب والوظيفة وإطارها!

4 - تغيرت البيئة المحيطة بالتشريع، حيث تغرب الواقع الاجتماعي والأخلاقي والسياسي والاقتصادي والثقافي، وانتقلت العادات الغربية رويداً رويداً إلى بلاد المسلمين، فاختفت الأسرة الممتدة أو غاب الترابط عنها إلا قليلاً، ثم تبعها تفكيك الأسرة النواة كذلك تأسياً بالغرب الذي ما فتئ ينشر ثقافته ويفرضها على مجتمعات العالم فرضاً كي يستتبعها، فإذا بالأخلاق تتحول من الثبات إلى السيولة، ومن الإطلاق إلى النسبية، وإذا بالاقتصاد تغيب عنه العدالة والغايات الإنسانية التي كانت تستهدف إشباع ضروريات الإنسان واحتياجاته؛ فتحول إلى اقتصاد ربوي جشع لا يستهدف غالباً سوى توفير كماليات يمكن الاستغناء عنها دون عناء، أسهمت في تركيز ثروات العالم في يد شرذمة قليلين، مما وسع الفجوة بين الفقراء والأغنياء، بعد أن هيمنت عليه الشركات الدولية الكبرى التي باتت توجه الثقافة كذلك لتصبح استهلاكية وتحول الإنسان نفسه إلى كائن استهلاكي، وفي السياسة تحولت ولاءات المسلمين من الإسلام إلى أراض وحدود إقليمية رسمها «الاستدمار» الغربي للعالم الإسلامي لضمان التفرقة بين المسلمين، فكان طبيعياً أن يبتعد الواقع عن الشريعة الإسلامية، حتى أصبحت غريبة في واقع متغرب!

كيف نقاوم التغريب ونجري تغييرات عكسية؟

لا يعد تغريب التشريع قدراً لا فكاك منه، بل هو بمثابة تحدٍّ يقتضي استنفار الجهود لمقاومته بحكمة لا تستهدف إعادة عقارب الساعة إلى الوراء، ومحاكاة الماضي بحذافيره، ولكن تبتغي إعادة المرجعية التشريعية والثقافية للشريعة الإسلامية بأسلوب متدرج، يبدأ بإعادة فهم الإسلام نفسه وتحريره مما ران عليه نتيجة الجهل والتقليد الأعمى وضيق الأفق والتوظيف السياسي والاقتصادي الانتهازي لأحكامه.

ومن أهم معالم هذا التحرير للإسلام إعادة فهمه كدين عالمي لا يخاطب العرب وحدهم، بل يخاطب الناس جميعاً، لا سيما في عالمنا المعاصر الذي بات بمثابة قرية واحدة تجمع بين المستكبرين والمستضعفين، والذين اتُّبعوا والذين اتَّبعوا، والأغنياء والفقراء، والمتقدمين تقنياً والمتأخرين.

ومن معالم هذا التحرير كذلك إبراز الوجه الإنساني الرحيم للشريعة الإسلامية، وتقديم مقاصدها الكلية السامية على أحكامها العقابية، وقيمها الأخلاقية التراحمية في وقت أقام فيه الغرب المعاملات بين الناس على أساس تعاقدي لا رحمة فيه.

فالإسلام يستطيع أن يجبر نقص التشريع الوضعي فيعلي القيم الإنسانية على المصالح المادية، ويعيد الارتباط بين القانون والأخلاق، عبر تقديم نموذجه المعرفي المتفرد الذي يمكن أن يسترشد به أي نظام تشريعي يريد تحقيق مصالح الأنام، عبر الفهم السديد للتوحيد الذي يحرر العباد من تسلط البشر، ويدفع الإنسان إلى التركيز على مهامه الأساسية في هذه الحياة الدنيا، من تزكية واستخلاف وعمران، وإلى استهداف مقاصد عامة تتمثل في حفظ النفس والعقل والدين والمال والنسل، وإلى الاستعصام بمبادئ حاكمة -مطلقة لا نسبية، وصلبة لا سائلة- مثل العدل والمساواة والشورى والحرية المنضبطة بنصوص شرعية قطعية

المجال التشريعي من أهم الآليات التي استعملها الغرب لتحقيق أهدافه في تنميط العالم الإسلامي على هواه

التشريع بالدول المتغربة انحسر بمعناه الغربي المقتصر على القواعد المنظمة للروابط بين الناس من قبل الدولة

تغريب التشريع ليس قدراً لا فكاك منه بل هو تحدٍّ يقتضي استنفار الجهود لمقاومته بحكمة

لا يمكن لبشر تحويرها أو التلاعب بها.

وهذه منظومة متضافرة من القيم والمقاصد التي تعلو فوق الدساتير والقوانين، وتمثل ثوابت تقف عندها سلطة البشر التشريعية بحيث لا تتحكم فيها الأهواء، فتصبغ شرعية على أفكار وسياسات تقود العالم نحو الهاوية!

كما أنه قد آن الأوان لإعادة الربط بين العقيدة والأخلاق والمعاملات عبر وضع إطار عقدي وأخلاقي لنصوص القوانين حتى يمتثل الإنسان طواعية للقانون، حتى لا يخالفه كلما أمن العقاب، ويمكن أن يجري ذلك عبر وضع مذكرة إيضاحية لكل قانون تؤصل له عقدياً وأخلاقياً، حتى يتقبلها المواطن وينصاع لها عن اقتناع.

ومن الناحية العملية لا يستلزم الأمر إلغاء كل التغييرات التي حدثت في التشريع نتيجة تغريبه، بل يمكن الاستفادة من إيجابيات تلك التغييرات وتجنب سلبياتها، فمن الممكن أن تبقى سلطة البرلمان في التشريع كما هي مع ضم علماء الشريعة الموثوق بهم إلى أهل الخبرة والاختصاص في مجالات التشريع المختلفة لضمان أن تصدر التشريعات عبر اجتهاد جماعي يحرص على موافقتها للشريعة وما تتغياه من تحقيق مصالح الجماعة، مع اشتراط أن تكون تلك البرلمانات ممثلة للأمة بحق لا للحاكم وحده، فتكون بمثابة «أهل حل وعقد» في ثوب جديد.

كما أنه لا ضير في بقاء القضاء بشكله الجديد بشرط تحقيق استقلاليته الكاملة، بحيث «يكون تقدير كل قاض لوقائع النزاع، وفهمه لحكم القانون بشأنها، متحرراً من كل قيد، أو تأثير، أو إغواء، أو وعيد، أو تدخل، أو ضغوط أياً كان نوعها أو مداها أو مصدرها، وكان مما يعزز هذه الضمانة ويؤكدها استقلال السلطة القضائية عن السلطتين التشريعية والتنفيذية، وأن تنبسط ولايتها على كل مسألة من طبيعة قضائية»، كما انتهت المحكمة الدستورية العليا المصرية -في أحد أحكامها- بحق.

كما ينبغي العمل على إعادة الاستقلالية إلى المؤسسات الدينية الإسلامية بحيث تكون لعلمائها حصانة القضاة المبتغاة، فلا يوضع عليهم أي قيد عند اجتهادهم في استنباط الأحكام الشرعية وإعلانها، من أي جهة كانت، مما يضمن قيامهم بمهامهم السامية في إقامة العدل وإعلاء حكم الشرع على ما سواه.■

التغريب..
وخطره على الأمة

د. مصطفى جمعة
أكاديمي وناقد وخبير تربوي

السينما العربية والتغريب.. واقع الصناعة وأبعاد التأثير



تُعَدُ السينما من أعظم المؤثرات في الثقافة والوعي وتشكيل التحيزات والترويج للأفكار، نظراً لأنها وسيلة شديدة الجاذبية، عظيمة التشويق، متعددة الجماليات، فهي تجمع الصوت والصورة، والحركة والموسيقى، والقصة الشيقة، والأحداث المتتابعة، والشخصيات المثيرة، وهو ما جعلها ذات رصيد جماهيري هائل.

وعندما نتناول قضية التغريب في السينما العربية، فإننا نناقش واقعاً معيشاً، ليس وليد اليوم، وإنما يمتد بجذوره منذ السنوات الأولى لصناعة السينما، وحتى استواء عودها، وتكوين قاعدة إنتاجية تشمل معاهد متخصصة، وأستوديوهات وشركات منتجة، ورصيداً ضخماً من التراكم الإبداعي والإنتاجي، شكّل في مجموعه ملامح السينما العربية، سواء في مصر بوصفها «هوليوود الشرق» كما يطلق عليها، أو في بقية الدول العربية مع مراعاة التفاوت في حجم الإنتاج السينمائي، ومستوى جودته.

يُعرَّف التغريب اصطلاحاً بأنه حالات التعلق والانبهار والإعجاب والتقليد والمحاكاة للثقافة الغربية والأخْذ بالقيم والنُّظم وأساليب الحياة الغربية؛ بحيث يصبح الفرد أو الجماعة أو المجتمع المسلم غريباً في مُيوله وعواطفه وعاداته وأساليب حياته وذوقه العام وتوجهاته في الحياة؛ يَنظرُ نظرةَ إعجاب وإكبار إلى الثقافة الغربية وما تشتمل عليه من قيم ونُظم ونظريات وأساليب حياة؛ ويرى في الأخذ بها الطريقة المُثلى لتقدُّم جماعته أو أمته الإسلامية[1].

فالتغريب ليس تأثيراً فكرياً فحسب، وإنما يمتد ليشكّل التوجهات والسلوكيات، ويصنع تحيزات بعينها، تُعْلِي من ثقافة الغرب وممارساته الحياتية، بجانب الترويج لأنماط الحياة والملابس والتقاليد والعادات، ليصبح تقليد الغرب واقعاً معيشاً في المجتمع، وبمرور الزمن وتتابع السنوات تنشأ أجيال تهجر ثقافتها وقيم الإسلام، وتحيا حياة تشابه الغرب في مجتمع الشرق.

ذلك الدور الذي قامت به السينما في عالمنا العربي بشكل واضح، وبدا واضحاً مع انتشار الأفلام الأجنبية المستوردة، التي لا تزال تحتل المساحة الأكبر في دور السينما العربية، وكما يشير «جان الكسان»، فإن اكتساح الأفلام الأمريكية في الدرجة الأولى، ثم الآسيوية والأوروبية بعدها؛ إنما هو عائد إلى ضخامة الإنتاج العالمي، وعدم قدرة صناعة السينما العربية على منافسة الأجنبي، نظراً لمحدودية تكلفتها، وضعف تقنياتها، وقلة إنتاجها، والأفلام الأجنبية جزء من تركة الاستعمار الغربي في بلادنا، التي لا تزال مستمرة، إن لم تكن قد زادت، بجانب سيطرة القطاع الخاص في غالبية البلدان العربية على دور السينما وشركات الإنتاج[2].

وهي تتعامل بمنطق رأسمالي تجاري بوصفه الغاية الأولى فوق أي قيم أو سلوكيات أو مضامين راقية، فلا يسعها إلا أن تستورد أفلاماً تروّج الحياة الغربية بكل ما فيها من سلوكيات سلبية، ودغدغة لمشاعر المشاهدين وغرائزهم، وإن تصدت هذه الشركات للإنتاج، فإنها لا تضع نصب عينيها التشويق والإثارة لتحقيق أكبر ربحية؛ لنكتشف أن الأمر لم يعد تغريباً مقتصراً على الحياة الغربية، وإنما اتسع ليشمل مؤثرات من شرقي آسيا، من خلال انتشار الأفلام الهندية والصينية والكورية وغيرها، وما زلنا نتذكر أفلام «بروس لي» الصينية (1940 - 1973م)

السينما تأتي ضمن منظومة الصناعات الثقافية التي تستقطب ملايين الكوادر وهي حاملة للهويات الثقافية ومروجة لقيمها

التي انتشرت في الستينيات والسبعينيات التي حملت التوليفة المعروفة «الإثارة والحب والمعارك»، وقد صُنع على غرارها فيلم الكاراتيه المصري «الأبطال» (1974م) من بطولة أحمد رمزي، وجاءت أيضاً سلسلة الأفلام الهندية «أميتاب باتشان» (1969 – 2017م)، التي زادت على 100 فيلم، وقد أضافت على التوليفة السابقة الغناء والرقص والموسيقى الهندية الصاخبة، وحملت إلينا –فيما حملت– سلوكيات المجتمعات الآسيوية، وعرّفت الجمهور بالبوذية وشعائرها.

توازى هذا مع الأفلام الأمريكية التي اعتمدت على حروب العصابات، مثل سلسلة أفلام «روكي» (1974 – 1990م)، والتمجيد للبطل الأمريكي وأنماط الحياة الأمريكية، واحتقار المنافس السوفييتي، إبّان فترة اشتعال الحرب الباردة في نهاية القرن العشرين، وبالطبع كانت الأفلام المعروضة للجماهير العربية أفلاماً تجارية في المقام الأول، وهناك أفلام أجنبية راقية عميقة المضمون، جيدة الطرح، وهذه لا تجد حظها في قاعات السينما العربية، وربما تُعرض في بعض القنوات التلفازية العربية.

وتكمن المشكلة في تدني حجم الإنتاج السينمائي العربي على الخريطة السينمائية العالمية، فلا تزال السينما العربية لا تجد الدعم المادي والمعنوي المناسبين، ويكفي أن نقرأ تقرير «يونسكو» عن حجم الإنتاج السينمائي في العالم لنعرف موقعنا؛ فالهند، وفق الإحصاءات الأخيرة، تحتل المركز الأول عالمياً، من خلال ما تنتجه مدينة بوليوود السينمائية بحوالي 1091 فيلماً سينمائياً طويلاً في العام، مقابل 872 فيلماً أنتجتها صناعة السينما في نيجيريا (نوليوود)، بينما أنتجت هوليود بالولايات المتحدة الأمريكية 485 فيلماً طويلاً، وفيما عدا هذه البلدان الثلاثة، فإن 8 بلدان أخرى تنتج أكثر من 100 فيلم سنوياً، وهي: اليابان (417)، والصين (330)، وفرنسا (203)، وألمانيا (147)، وإسبانيا (150)، وإيطاليا (116)، وكوريا الجنوبية (110)، والمملكة المتحدة (104).

وذكر التقرير أن السينما تأتي ضمن منظومة الصناعات الإبداعية والثقافية التي تستقطب ملايين الكوادر، كما أنها حاملة للهويات الثقافية ومروجة لقيمها، وهي في الوقت نفسه تفتح الأبواب أمام الحوار والتفاهم المتبادل بين الشعوب، فضلاً عن تحقيق النمو الاقتصادي والتنمية(3).



وكما نرى، فإن القائمة تخلو من الدول العربية، فلا توجد دولة عربية تنتج 100 فيلم في السنة الواحدة، بما يجعل العالم العربي مضطراً لفتح أسواقه السينمائية للاستيراد الأجنبي، وهو ما يعني غزواً ثقافياً وتغريبياً بشكل دائم، لما يبثه الفيلم الواحد من آثار ورسائل وأفكار مباشرة أو غير مباشرة، ولعل المثال على ذلك أفلام الجريمة، فقد ذكرت دراسة ميدانية لوزارة الإعلام الكويتية تحت عنوان «دور وسائل الإعلام في نشر العنف والجريمة بين الشباب»، أن الأفلام الأجنبية البوليسية تحتل المركز الأول في المشاهدة، وأن 13% من أفراد العينة البحثية يتقمصون شخصية البطل بشكل كبير، وأن 22% يمكنهم إلى حد ما تقمص الشخصيات، وقد فضّل 89% أن ينال المجرم عقابه، في حين فضّل 11% إفلات المجرم من العقاب.

وأظهرت الدراسة أن تأثير مشاهد العنف على الشباب قد يكون لحظياً أو يمتد ليخزن في العقل الباطن ويظهر على المشاهد بعد فترة، وعادة ما يكون مدمراً لنفسه أو لغيره؛ حيث يشعر 70% بالانسجام مع تلك المشاهد، وهناك 37.5% يصابون بالخوف والفزع، و27% يرون أحلاماً مزعجة(4)، والأمر ينطبق أيضاً على أفلام «الأكشن» والرعب.

جذور التغريب السينمائي

أما التغريب في السينما العربية فهو كامن في جذورها، ومنذ نشأتها، بحكم أن صانعي السينما الأوائل –في مصر على سبيل المثال– كانوا من الأجانب، وهؤلاء بثّوا رؤى وأفكاراً تسجم مع توجهاتهم الخاصة، فمؤسس أول شركة للإنتاج السينمائي وأيضاً أول أستوديو سينمائي بالإسكندرية هو «توجو مزراحي»، وهو يهودي الديانة، وينتمي لعائلة يهودية مصرية ثرية، وذلك خلال عامي 1929، 1930م، وكان فيلم «الهاوية» هو باكورة إنتاجه، وعرض في سينما بلفي بالإسكندرية، ثم في سينمات القاهرة عام 1931م، واستمر شخصاً مؤثراً، ويعد من أهم صنّاع السينما المصرية حتى العام 1948م، قبل أن يهاجر إلى إيطاليا ويستقر بها(5).

وكان كثير من الأجانب يعملون ككوادر فنية في السينما المصرية، خاصة الإيطاليين، على مستوى الإخراج والمونتاج والتصوير، وأيضاً في العملية الإنتاجية، وشايعهم السينمائيون

المصريون الذين تأثروا بهم مباشرة، أو تعلّموا في الغرب، وعادوا مشبعين بالسينما الغربية بكل ما فيها، من نزعات تغريبية، تقدّم الغرب بوصفه نموذجاً في الرقي والتقدم العلمي والإنساني والاجتماعي.

وقد أكثر صنّاع السينما في مصر، خلال الثلاثينيات والأربعينيات، في الاقتباس من السينما العالمية، مثل يوسف وهبي (1898 – 1982م)، وأنور وجدي (1904 – 1955م)، فتم تمصير الكثير من القصص العالمية، وتقديمها إلى الجمهور المصري، ومن أبرز هذه الأفلام فيلم «أمير الانتقام» لأنور وجدي (1950م)، وهو مقتبس من رواية «الكونت دي مونت كريستو» للكاتب الفرنسي «ألكسندر دوماس»، وأعيد تقديمه عام 1963م من بطولة فريد شوقي باسم «أمير الدهاء»، وما الاقتباس إلا شكل غير مباشر لترسيخ القيم الغربية وتصوراتها.

مظاهر تغريبية

لقد أضحى كثير من الأفلام المصرية نسخاً من الأفلام الأجنبية، خاصة الأفلام الغنائية، وكما تشير «موسوعة السينما العالمية»، فإن الأفلام الموسيقية لفريد الأطرش، ومحمد عبدالوهاب، وأم كلثوم، ثم عبدالحليم حافظ، جاءت تقليداً لمثيلاتها في السينما الغربية، وإن كانت لا تنافسها على المستوى الفني والتقني[6]، وقِسْ على ذلك كثيراً من الموضوعات التي درج صنّاع السينما المصرية –وأيضاً العربية بعد ذلك– على تقديمها، حيث تم تصوير الحياة الحديثة بأنها الحياة الغربية بما فيها من مباهج، فكثرت مشاهد الرقص، المصحوبة بالأغاني، وغلبت الأفلام الرومانسية، والإسراف في قصص الحب والغرام، ولقاءات العشاق، وإن حاولوا تمصيرها من خلال لقاءات على أسطح المنازل أو على شاطئ البحر أو النيل، وفي الحقول، وكأن الحياة لا شيء فيها إلا الركض خلف الحبيب، والفوز بقلبه، ناهيك عن مشاهد العلاقات الحميمية والقبلات التي لم يخلُ منها فيلم إلا نادراً.

وكانت الخمر جزءاً لا يتجزأ من مشاهد الأفلام يشربها البطل إذا كان مأزوماً نفسياً، فيلوذ بها؛ هارباً من أزمته النفسية، كما يعب منها البطل أيضاً إذا كان سعيداً مبتهجاً، وكأن شرب الخمر سلوك مألوف

العالم العربي اضطر لفتح أسواقه السينمائية للاستيراد الأجنبي وهو ما أحدث غزواً ثقافياً وتغريبياً

التغريب بالسينما العربية كامن في جذورها بحكم أن صانعيها الأوائل كانوا من الأجانب

لدى الشعب المصري.

على صعيد آخر، سعت السينما إلى تقديم الفتاة النموذجية بأنها الفتاة المتبرجة، التي تخرج للتعليم والعمل، وتحرص على اختيار شريك حياتها، أما الحجاب فلا تظهر به إلا العجائز، أو النساء الريفيات، وكأن التحضر مرتهن بخلعه، وهو من الرسائل المبطنة التي حملتها السينما العربية، والمثال على ذلك فيلم «الباب المفتوح» (1963م) من بطولة فاتن حمامة، وصالح سليم، فالفتاة المثقفة المناضلة هي التي ترفض الزواج التقليدي، وتصر على التعليم الجامعي، وتتمسك بمن أحبّت.

أما شخصية المسلم المتدين، فقد جاءت منزوية، وإن ظهرت في بعض الأفلام، فهي تبدو في شخصية الشيخ «حسن البارودي» الذي ينافق العمدة، ويبيح له تطليق زوجة من زوجها، ثم زواج العمدة منها قسراً، ويقنع زوجها المسكين بقوله تعالى: ﴿أَطِيعُواْ اللَّه وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾ (النساء: 59)، وذلك في فيلم «الزوجة الثانية» (1967م)، أو في صور التعلق بالأضرحة والتبرك بها من جانب العامة البسطاء، الذين يتبركون بزيت قنديل السيدة زينب في القاهرة، ويتداوون به، ثم يأتي طبيب العيون خريج ألمانيا فيواجه هذا الدجل، كما في فيلم «قنديل أم هاشم» (1963م)، وكأن العلم الحديث يعادي الدين، بدون التفرقة بين الممارسات البدعية الخطأ، ومفهوم الإسلام الصحيح الذي يدعو للعلم والتقدم، فربط التدين بخرافات البدع والتبرك بالمقامات.

ودوماً ما حفلت الأفلام المصرية بشخصية الدرويش المنعزل عن مشكلات الحياة الدنيا الذي ينطق بهرطقات ينهيها بترديد كلمة «حيّ.. حيّ»، مثلما نراه في فيلم «عنتر ولبلب» (1952م)، الذي يحمل دلالة سياسية، تتمثل في الصراع بين ابن البلد الذكي اللماح (محمود شكوكو)، وسطوة المستعمر وتجبّره بالقوة المفرطة (سراج منير)، وكلما اشتد الصراع، نرى الدرويش يهرطق، ثم ينزوي مختفياً، والأمر نفسه نجده في فيلم «اللص والكلاب» (1962م)، عن رواية لنجيب محفوظ، وفيها صراع بين اللص المغرَّر به من طرف أحد الصحفيين الماركسيين، ودفعه إلى استحلال مال الأغنياء، ثم وشى به وأدخله السجن، وخرج اللص لينتقم منه، ونرى الدرويش غائباً عن الصراع في الدنيا، في خلوة دائمة بالزاوية، غير منتبه إلى شكوى اللص، ولا يجيب عن تساؤلاته هل كان على صواب عندما سرق أو عندما قتل انتقاماً!

إن السينما أداة عظيمة التأثير، ولا بد من استثمارها في بث القيم والأخلاق الفضيلة، والتعبير عن هوية المجتمع، ومناقشة مشكلاته وأزماته، وأيضاً تطلعاته وأحلامه، ولا بد من وضع خطط وطنية، تدعم صناعة السينما لتكون سينما تصوغ هويتنا الثقافية النابعة من الإسلام والعروبة، ولا تتركها عرضة لتقلبات السوق، وأهواء المنتجين الراكضين خلف الأرباح، ولا لتكون ساحة مستباحة للأفلام الأجنبية بكل ما تحمله من تغريب، وانمحاء للهوية، وتغييب الذات الوطنية، وقضاياها الحياتية.■

الهوامش

(1) التغريب والغزو الصهيوني، عمر التومي الشيباني، مجلة الثقافة العربية، طرابلس، ليبيا، ع10، 1982، ص162.

(2) السينما في الوطن العربي، جان الكسان، سلسلة عالم المعرفة، 1982، ص8، 9.

(3) موقع اليونسكو (منظمة الأمم المتحدة للثقافة والعلوم)، http://www.unesco.org/new/ar/culture/themes/dynamic-content-single-view/news/nollywood__rivals__bollywood__in__filmvideo__production-1/

(4) موقع وكالة الأنباء الكويتية (كونا) https://www.kuna.net.kw/ArticlePrintPage.aspx?id=1206511&language=ar

(5) من ذاكرة السينما: توجو مزراحي، مجلة ذاكرة مصر، مكتبة الإسكندرية، أكتوبر 2015، ص57.

(6) السينما العربية، في موسوعة تاريخ السينما في العالم، ترجمة: أحمد يوسف، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2010، ج3، ص565، 566.

ذات يوم جمعنا مجلس بصديق، وكان قد أنهى الماجستير في العلوم السياسية بإحدى الجامعات الأوروبية، فطرح علينا هذا السؤال: هل حقاً حظيت دراسة السياسة في الإسلام بالجهد المناسب؟ ألا نحتاج لإعادة قراءة كيف أديرت السياسة؟ وكيف استجاب الحكام والفقهاء والقضاة لتعقيداتها؟ أليس من الضروري أن نكشف -من الناحية العملية التطبيقية- عن نسبية السياسة؛ مدنيتها، سلطة الشريعة، وكيف تم تعريفها وتطبيقها في سياقات مختلفة، وحدود البراغماتية والمصلحة؛ فضلاً عن التعددية والحرية واستقلال المجتمع وحيويته؟

ألم تكن أسئلة السياسة التي تصدى لها «ميكيافيللي»، و«هوبز»، و«لوك»، و«روسو» هي تقريباً ذاتها التي تصدى لها الماوردي، والجويني، وابن تيمية، وابن خلدون، وابن رشد.. فإلى أي حدّ تشابهت الإجابات؟ وإلى أي حدّ اختلفت؟

وانفتح نقاش حول هذه الأسئلة، نقاش لم ينتهِ ولا أحسبه ينتهي يوماً ما، فتلك الساحة من المقارنات والقراءات تلد كل يوم جديداً، لكنْ ثمة شيء يثير التأمل في سياق هذه الأسئلة، وهو هذه الروح الغربية السائرة فيها، التي تبدو في رنين المصطلحات وإيحاءاتها، كما تبدو في طبيعة تعريف الموضوعات، فذلك هو ما يهمنا مناقشته في السطور القادمة.

مع التأكيد التام على أن صاحبنا السائل هو من الأفاضل، ولستُ أحسبه من المنبهرين بالغرب ولا من المتجافين عن تراثه الإسلامي، لكن طبيعة الدراسة التي نتلقاها في الجامعات إنما تنصبغ وتنفعل بالرؤية الغربية بطبيعة الحال، فلا تزال جامعاتنا ومعاهدنا العلمية تقفو أثر المناهج الغربية المتشبعة برؤيتها وفلسفتها وتصورها للأمور.

كلمة في «تغريب» الفكر السياسي



محمد إلهامي
باحث في التاريخ والحضارة الإسلامية

يبدأ مفتاح النقاش من فهم معنى كلمة «السياسة»، فهذه الكلمة (السياسة) في عصر الحداثة صارت تعني كل شيء تقريباً؛ لشمول نشاط السلطة كافَّة الجوانب داخل الدولة، بينما هي فيما قبل كذلك تتصرف إلى جانب الأمن والدفاع وما يتعلق بهما، وبعض ما نعنيه اليوم بـ«الاقتصاد».

لهذا، فإن كان المعنى المقصود بالسياسة هو معناها الآن في زمن الحداثة، فأحسب أنه لن يوجد مفكرون غربيون أسهموا في هذا بالقدر الذي أسهم فيه المسلمون، لسبب بسيط، وهو أن أغلب الإنتاج الإسلامي في الفكر السياسي إنما أنتجه فقهاء، وأكثرهم تولوا مناصب القضاء، وكلهم مارسوا الفتوى، فكانوا على معرفة عميقة بتفاصيل الشؤون الاجتماعية والمالية، وجرى استفتاؤهم في شؤون الجهاد والأسرى والأموال والإدارة، فكتبوا فتاوى كما كتبوا فقهاً، بينما عموم المفكرين السياسيين الغربيين لم يكونوا على اطلاع تفصيلي بسائر هذه الجوانب، وإنما عُرفوا بجانب أو جانبين منها، حتى من كان منهم سياسياً أو قاضياً أو مستشاراً فلم يكن جامعاً لبقية شؤون الرعية ولا يُلجأ له فيها.



أغلب الإنتاج الإسلامي السياسي أنتجه فقهاء وأكثرهم تولوا مناصب القضاء ومارسوا الفتوى

ومن ثَمَّ يبدو طبيعياً أن إنتاج ثمرات المفكرين السياسيين الغربيين -بمن في ذلك أسماؤهم اللامعة- إنما يغلب عليها الكلام في النظرية السياسية، وأقل منه الكلام في النظم السياسية، ثم أقل منه الكلام في العلاقات الدولية، ويغلب في هذه الأبواب كلها المعالجة النظرية التي تحاول القبض على تصور فلسفي محكم يفسر حركة السياسة والاجتماع ليصدر عنها تصور التنظيم والتطبيق.

بينما يجد ذو الخبرة بكتب الفقه المذهبي والفتاوى والنوازل تراثاً ضخماً كله متعلق بالموازنة في القضايا المعقدة، ومحاولة تحقيق مفهوم الموازنة بين المصالح والمفاسد والأضرار والمنافع، وهذه الموازنات هي التي تطور بها وتفرع علم أصول الفقه والمقاصد وما يشتملان عليه من معايير صناعة الفتوى، حتى إن كثيراً من الكتب التي تُصَنَّف في باب السياسة الشرعية تحتوي على مسائل في البيئة والعمران والتخطيط ورعاية الحيوان وغيرها، لهذا فالمدونة الفقهية أبعد ما تكون عن أنها مدونة سلطانية أو سياسية بحتة، إنها مدونة حافلة بالنقاش العميق في الأمور المعقدة، ومن ثم فقد اتسعت فيها مساحة النظر للقاضي والمجتهد، كما اتسعت فيها مساحة الصلاحيات للأمير والوالي.

تنوع الفقه الإسلامي

ومن هنا نجد الفقه الإسلامي شديد التنوع والثراء، حتى إن أحكامه التكليفية هي في حدها الأدنى على خمسة مراتب: الواجب والمندوب والمباح والمكروه والحرام

(ويتطور في مذهب الأحناف إلى بضع عشرة درجة)، بينما ينحو الفكر السياسي الغربي إلى الضبط القانوني وإحكام التفصيل حتى تضيق المساحة على اجتهاد القاضي، وتضيق المساحة على تصرف الرئيس، وبغض النظر الآن عن الأسباب التي دفعت إلى هذا والتي هي أصيلة في بنية النظام السياسي والاجتماعي، إلا أن الشاهد المقصود هنا أن التراث السياسي الإسلامي كان أوسع وأكثر مرونة لاستيعاب المستجدات والنوازل، ومائلاً إلى توسيع وتكثير التصنيفات والأقسام والمراتب، بينما كان هذا على العكس منه في التراث السياسي الغربي.

ومما يلفت النظر هنا أن علماء أهل السُّنة قرروا السكوت في بعض القضايا، كقضية الفتنة بين الصحابة، التي هي ذروة التعقد في الموازنات السياسية واشتباه الموقف، وذلك مع كونهم يقررون أيضاً أن المُصيب هو علي رضي الله عنه، وأن المخطئ هو معاوية، فالتجربة تشهد أن أقل الناس هم من يستطيعون الحكم في الأمور المعقدة، وهذا واقع نراه بأنفسنا وفي أنفسنا، فكم تحيرنا نحن في قضايا أبسط بكثير، وكم نتضايق حين نجد من يستخف بالقضية المعقدة فيُصدر فيها حكماً جازماً حاسماً ببساطة واستسهال.

ثمة مشكلة أخرى تطالعنا لدى الحديث عن السياسة في الإسلام، تلك هي أن ألفاظ هذا الحقل تحمل ظلالاً سلبية أو أيديولوجية، يعني حين نستعمل مثلاً عبارات من قبيل «نسبية السياسة»، «مدنية السياسة»، «حدود البرجماتية»، فإن هذه الظلال تدفع القارئ إلى محاولة تبرئة الفكر السياسي الإسلامي منها، أو إلى محاولة وصمه بها (حسب موقفه العام من الفكر السياسي الإسلامي)، ومن هنا؛ فإن وجود مثل هذه الألفاظ يُعَقِّد -عملياً- النقاش المتعمق في المعاني الكامنة وراءه، التي من الوارد جداً أن صاحب الكلام لم يقصد إيحاءاتها السلبية.

أهم ما في الأمر هنا أن الفكر السياسي الإسلامي كان وليد العقلية الفقهية، يعني أنتجه فقهاء، والفقهاء لم يكونوا طبقة متميزة، بل كانوا شبكة متغلغلة داخل المجتمع، وكانوا في أعم الأحوال ممثلي المجتمع أمام السلطة، فضلاً عما نعرفه جميعاً من أن السلطة لم تكن متغولة على كل أنشطة المجتمع.. ماذا يعني هذا؟

يعني أن الفقهاء كانوا دائماً قوماً عمليين



إنتاج المفكرين السياسيين الغربيين يغلب عليه الكلام في النظرية السياسية وأقل منه في النظم السياسية والعلاقات الدولية

الفكر السياسي الغربي ينحو إلى الضبط القانوني وإحكام التفصيل فتضيق المساحة على اجتهاد القاضي



لا فلاسفة ولا منظرين ولا مفكرين ولا منفصلين عن الواقع؛ كانوا مغروسين دائماً في الموازنات المعقدة الناتجة عن مسائل الناس وأحوالهم وعلاقتهم بالسلطة وعلاقة السلطة بهم، ولهذا كان عموم إنتاجهم أكثر واقعية وعملية من أن يسمى «فكراً سياسياً»؛ لأن كلمة «فكر» في قاموسنا المعاصر تحمل معنى تنظيرياً تجريدياً فوقياً.

فأسماء الماوردي، والجويني، وابن تيمية، وابن خلدون، وابن رشد تقذف إلى أذهاننا معنى الفقيه الكبير الذي عمل بالقضاء، وكان على دراية قوية بالنصوص الجزئية، وكان مرتبطاً بواقعه، فمثلما كان له اجتهاد في فقه الطهارة والعبادات والمعاملات المالية والاجتماعية وحتى في الرقائق والتصوف، كان له إسهامه القوي في السياسة، كانت خبرته العملية الواقعية المجتمعية التفصيلية ودرايته القوية بالنصوص الجزئية الفرعية تجعله قادراً على إنتاج النظرية السياسية أو الفتوى السياسية وهو مستوعب لظروف كثيرة.

بينما أسماء «لوك»، و«هوبز»، و«ميكيافيللي»، و«روسو» لا تقذف إلى أذهاننا ذات المعنى، بل هي أسماء مفكرين أكثر تنظيراً وتجريداً وفوقية وعمومية، ربما نال أحدهم منصباً سياسياً أو كان مستشاراً أو نحو ذلك، ولكن أحداً منهم لن يكون أبداً بخبرة القاضي الفقيه الذي انغرس في أحوال الناس ووازن طويلاً وهو يتأمل مسائلهم وحيلهم في استخلاص الفتوى أو الحكم منه.

ويبدو أثر هذا جلياً واضحاً في أن ابن تيمية، والجويني، وابن خلدون كانوا يتعاملون أكثر في مستوى التطبيق، بينما «ميكيافيللي»، و«روسو»، و«جون لوك» وغيرهم كان إسهامهم الفكري الأبرز في ميدان التنظير، وميدان التنظير قد استغنى فيه المسلمون بنصوص قرآنية ونبوية عن كثير من إشكالاته، لم يُرهق العقل الإسلامي بمحاولة تحديد الأساس النظري الفلسفي لعلاقة الحاكم بالمحكوم، وبمعنى السيادة، ومن أين يكون استمدادها، وكيفية تحققها، وكيفية انتهائها، وحتى هذه اللحظة لا يستطيع «لوك» ولا «هوبز» ولا «روسو» ولا غيرهم تقديم أساس تاريخي عملي تحققت فيه الفكرة المركزية الفلسفية التي نَظَّروا لها في العلاقة بين السلطة والناس.





عبدالرزاق السنهوري — د. توفيق الشاوي — د. يوسف القرضاوي

بينما هذا كله لم يكن المسلمون بحاجة للتنظير فيه؛ لأنه محلول بنصوص القرآن والسُّنة وسيرة الخلافة الراشدة، كان الفقهاء المسلمون مشغولين بكيفية الاقتراب من نموذج دولة النبوة والخلافة الراشدة، وباستخلاص منهجهم وطريقتهم في التعامل مع الموازنات.

بين الفقهاء والفلاسفة

لقد كانت طريقة الفقهاء أنسب وأقرب إلى شأن السياسة وواقع الناس وتعقيدات الحياة من طريقة الفلاسفة، وكان ميلهم إلى المعالجة العملية أصوب من البقاء في فراغ النظرية الفلسفية والرؤية المثالية، ومن هنا كثر في طريقة الفقهاء التفريع والموازنة بالحديث عن المصلحة والمفسدة وجلب المنفعة ودفع المضرة واحتمال أدنى المفسدتين ونحو ذلك، وهو المسار الذي أنتج البناء الفقهي الإسلامي الضخم الذي حفل بقواعد الموازنة بين النصوص لاستخلاص الحكم، وقواعد الموازنة بين الأحوال لإصدار الفتوى.

بينما كانت طريقة الفلاسفة والمفكرين والمنظرين كثيرة التفريع والتشقيق في التعريفات والمصطلحات وضبط حدود المعاني والمفاهيم، ولئن صحَّ بشكل عام أن التطبيق السياسي كان مخالفاً للنظرية السياسية في كل التجارب الإنسانية، فيصحّ أيضاً أن تأثير المعرفة الإسلامية والنظرية الإسلامية في واقع المسلمين كان أعلى بكثير من تأثير الفلسفة الغربية في واقع التطبيق الحضاري الغربي.

يبقى سؤال: هل بُحثت السياسة في الإسلام بما يناسب أهميتها؟

تقديري أن السياسة الشرعية كتب فيها كثير جداً جداً، بل فيها تخمة، كثير منها مجهول، ويمكن مطالعة كتاب د. نصر عارف «مصادر التراث السياسي الإسلامي» لتصور حجم المنتج التراثي، كما أن جامعات العالم الإسلامي حوت كثيراً جداً من المتخصصين في السياسة الشرعية، لكنهم لم يبرزوا إعلامياً مثل فتحي الدريني، وفتحي عبدالكريم، ومنير البياتي، وسعدي أبو جيب، وضياء الدين الريس، ومحمد بلتاجي حسن، والدميجي، وسامي الوكيل، والطريقي، ومحمد يسري إبراهيم، وعطية عدلان، فضلاً عن المشاهير كالسنهوري، والقرضاوي، والشاوي، وحاكم المطيري، وسعد العتيبي، والطريفي، وإبراهيم السكران، وفهد العجلان.. وغيرهم.

ومهما اختلفنا في شأن هؤلاء من حيث الكثرة والقلة في الإنتاج، أو من حيث العمق والتبسيط، أو حتى من حيث الصواب والخطأ، فإن المقصود هو أن الإنتاج الإسلامي في السياسة الشرعية كثير، ولكنه مغمور فضلاً عن أنه غير مُفَعَّل، إن سؤال الدولة الذي ضغط على المسلمين طوال قرن أو أكثر أنتج أجوبة كثيرة عنه.

القيمة العظيمة لتراثنا العلمي العظيم أنه لم تصنعه سلطة ولم تتحكم فيه

طريقة الفقهاء كانت أقرب إلى شأن السياسة وواقع الناس من طريقة الفلاسفة

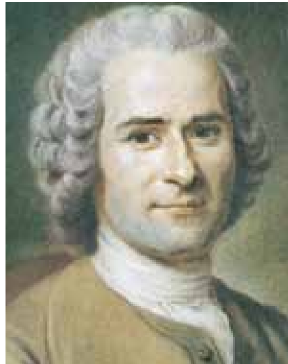


إلا أن أهم ما في كتب السياسة الشرعية أنها لم تبرر الواقع ولم تلفق له، ولو أنها فعلت لما ظللنا حتى اليوم نتحدث ونتجادل في التغلب وفي ولاية العهد، جدالنا هذا نفسه هو ثمرة من ثمرات أجدادنا الفقهاء العظماء الذين حفظوا لنا الدين وأخبرونا في كل كتبهم أن ولاية التغلب تجوز في الاضطرار، وأن ولاية العهد تجوز في الاضطرار، وتحت ضغط الموازنات الواقعية، وأن الأصل هو التولية الرضائية باختيار الأمة الحر، وهذه هي القيمة العظيمة لتراثنا العلمي العظيم، أنه لم تصنعه سلطة ولم تتحكم فيه سلطة، وإنما كان الفقيه يُقرر الأصل ثم يجيز ما هو خلاف الأصل للضرورة والموازنات.

بينما عموم الفكر السياسي الغربي أنه كان وليد بيئته وأوضاعه، ولذلك فهو يحمل من السيولة والاختلاف والتضارب ما لا يمكن معه الحديث عن «فكر سياسي غربي» إلا بنوع من التعميم الواسع ولغرض التصنيف الدراسي لا غير، وبين هذه المدارس الفكرية من التناقض ما لا يمكن رفعه، فإذا استطاعت فكرة ما أن تنجح في أرض الواقع وتطبق نفسها فليس لها معيارٌ إلا نفسها، ولا يمكن أن تُحاكَم إلى أي معيار آخر يمثل أساساً ثابتاً ومستقراً.

إن الملكية التي تبدو عيباً خطيراً في مدرسة ما تبدو مقبولة تماماً في مدرسة أخرى، واحتكار الأسواق والتحكم في التجارة يبدو ظلماً شنيعاً في مدرسة ما بينما يبدو ذروة العدالة في مدرسة أخرى، وعلى كل فكرة أن تجاهد لتحقيق نفسها في الواقع لتفرض قيمها وتجعلها قيمة كونية وعلامة حضارية.■





جان لوك — ميكيافيللي — جان جاك روسو

الاستقطاب.. بين دعـ

أحمد طه
باحث وكاتب مصري

شهد الفضاء المصري خلال السنوات الماضية عدّة معارك جدلية، دارت حول عدة أمور مثل الحجاب، وأحكام المواريث في الشريعة الإسلامية، بالتزامن مع صيحات تجديد الخطاب الديني التي يطلقها «التنويريون» إيّاهم، بين حين وآخر، فضلاً عن انطلاق حملات متتابعة تجاه الأزهر، تستهدف رموزه، وشيوخه، ومناهجه، وتاريخه، وترميه بأنه معقل الجمود، والتطرف، وتطالبه بضرورة تجديد خطابه، وتغيير مناهجه كي تتواءم مع روح العصر.

من الوضوح أن هذه المعارك ذات الطابع الهوّياتي تدور حول مدى حضور الدين في المجال العام، ودوره الذي يؤديه بين الشرعي، والسياسي، والاجتماعي، وتعدّ تلك المعارك جولات مُتكرِّرة، لمسلسل الاستقطاب الإسلامي - العلماني في مصر.

جهود العلمانيين انصبّت مؤخراً باتجاه تقويض الهوية الحضارية وملاحقة مظاهرها بالمجال العام

رموز تاريخية ليبرالية ترى أن لنا مرجعية حضارية مميّزة ينبغي احترامها لأنها تحمل قيمنا وتاريخنا

مفهوم العلمانية تجاوز عند العلمانيين الجدد فصل الدين عن السياسة إلى فصله عن المجتمع وسلخه عن هويته



«مناكفة ومكايدة الإسلاميين»، كان هو العنوان الرئيس للمعارك ذات الطبيعة «الاستشراقية» التي افتعلها غالبية العلمانيين المصريين في الفترة الأخيرة، حيث انصبّت كلّ جهودهم تقريباً في اتجاه تقويض الهوية الحضارية، وملاحقة مظاهرها، ومحاولة تحجيم حضورها في المجال العام، في حين أنها غابت بصورة شبه كلية عندما يتعلّق الأمر بالحقوق والحريات، وبالقضايا التي تُعدّ من صميم الليبرالية.

فقد انشغل العلمانيون طيلة السنوات الماضية بالإجابة عن سؤال كيفية مكايدة الإسلاميين ومناكفتهم وتحجيم حضورهم، أكثر من محاولاتهم كسر حالة الهزال الجماهيري، والضمور الشعبي، التي يعانون منها منذ عقود، عبر التمددّ ومحاولة بناء قواعد شعبية، واكتساب أرضية مجتمعية، بالاشتباك مع قضايا تمس اهتمامات عموم المصريين؛ وهو ما أوقع العلمانيين في تناقضات ذاتية صارخة، ودفعهم إلى ارتكاب أخطاء أيديولوجية، وفكرية، وأخلاقية فادحة، تمثّلت في تنكّرهم لأبسط مبادئ الليبرالية، عبر تحالفهم مع قوى سلطوية، واصطفافهم مع توجّهات «دولتية» فجّة، وتأييدهم لإجراءات استثنائية بالغة الخشونة نكاية في خصومهم الإسلاميين.

كل تلك المواقف العجيبة التي اتّخذها بعض العلمانيين المصريين، مؤخراً، تدفعنا لاستدعاء مواقف أخرى صدرت من رموز ليبرالية تاريخية، تندرج تحت ما يمكن أن نسميه «الليبرالية الوطنية» المتصالحة مع الهوية الحضارية، فلم تقع في تلك الوهدة «الاستشراقية» التي سقط فيها أدعياء الليبرالية، من «المتلبرلين» والعلمانيين المتطرّفين في الحاضر، فقد كانت تلك الرموز التاريخية الليبرالية ترى دوماً أن لنا «مرجعية حضارية» مميّزة لمجتمعاتنا ينبغي احترامها، تحمل قيمنا، وتاريخنا، وثقافتنا، وهو ما دفعها إلى قصر مفهوم العلمانية على فصل الدين عن السياسة، لا فصل الدين عن المجتمع، وسلخه عن هويته، وتبني قطيعة معرفية كاملة معها، والسعي للصدام مع قيم مرجعيته الحضارية المميّزة للتشكيل الحضاري العربي الإسلامي.

فعلى سبيل المثال، عندما أصدر قاسم أمين كتابه «تحرير المرأة»، انبرى كثيرون للردّ عليه، وكان في مقدّمتهم الليبرالي الوطني العظيم طلعت حرب باشا -أحد رموز الحركة الوطنية المصرية- عبر كتابَيْن كاملَيْن تحت عنواني «تربية المرأة والحجاب»، و«فصل الخطاب في المرأة والحجاب»، هاجم خلالهما ما تبنّاه قاسم أمين من مرجعية غربية في دعواه لتحرير المرأة، مشدّداً على أن الدين الإسلامي لا يمنع مطلقاً من تعليم

ـــــاوى التغريب والتطرف

المرأة وتهذيبها وتربيتها، بل هو يحضّ على ذلك ويأمر به، مختتماً الأول منهما بقوله: «الحجاب أصل من أصول الأدب، فيلزم التمسّك به، إلا أن المطلوب أن يكون منطبقاً على ما جاء به الشرع».

وخلاصة ما ذهب إليه طلعت حرب في كتابه هو التأكيد على نقطة الحفاظ على هويتنا الحضارية من الاستلاب أمام الحضارة الغربية، وأنّ الحجاب ليس «فريضة شرعية» وحسب، وإنّما هو سمة من سمات «الخصوصية الحضارية» التي يجب التمسّك بها في مواجهة موجات التغريب ومشروعات الاستشراق.

ونستحضر أيضاً هنا ردّ الزعيم الوطني مصطفى كامل باشا، أحد روّاد مدرسة «الوطنية الإسلامية»، فقد كتب عدّة مقالات في صحيفة «اللواء» جاء فيها: «فنحن مصريون، ويجب أن نبقى كذلك، ولكل أمّة مدنيّة خاصة بها، فلا يليق بنا أن نكون قردة مقلّدين للأجانب تقليداً أعمى، بل يجب أن نحافظ على الحسن من أخلاقنا، ولا نأخذ عن الغرب إلا فضائله، فالحجاب في الشرق عصمة، وأي عصمة، فحافظوا عليه في نسائكم وبناتكم، وعلموهنّ التعليم الصحيح، وإن أساس التربية التي بدونه تكون ضعيفة، وركيكة غير نافعة».

والقاسم المشترك بين كلام حرب، وكامل، هو التأكيد على نقطة الحفاظ على هويتنا الحضارية من الاستلاب أمام الحضارة الغربية، وأنّ الحجاب ليس «فريضة شرعية» وحسب، وإنّما هو سمة من سمات «الخصوصية الحضارية».

وفي السياق نفسه، يُروى عن الزعيم مصطفى النحّاس باشا (وهو أحد روّاد الليبرالية الوطنية المتصالحة مع الهوّية الحضارية التي تختلف عن الليبرالية الأوتوقراطية ذات الطبيعة الاستشراقية) أنه كان شديد التديّن، فلم يكن يتخلّف عن صلاة الفجر إلا نادراً، كما كان له وردٌ قرآني يومي، وبالرغم من هذا فإنه كان يرفض استخدام الدين في العمل السياسي، فقد كان مع إبعاد السياسة عن الدين، وليس إبعاد الدين عن السياسة، حتى إنه عنّف أحمد حسين، زعيم «مصر الفتاة»، على شعارها الذي كان «اللّه.. الوطن.. الملك»؛ لأنه رأى أن وضع كلمة «اللّه» في شعار سياسي لون من الشعوذة.

العلمانيون الجدد

إلا أن مفهوم العلمانية يتجاوز عند «العلمانيين الجدد» نقطة فصل الدين عن السياسة، إلى مرحلة فصل الدين عن المجتمع، وسلخه عن هويته، وتبني قطيعة معرفية كاملة معها، والسعي للصدام مع قيم مرجعيته الحضارية، ونفيها بالكلية من المجال العام وشطبها من العقل الجمعي للمجتمع، وتحويله إلى مجتمع منزوع المرجعية، وهو أمر غير قابل للتحقّق حيث لا توجد دولة، ولا نظام، ولا فرد، ولا جماعة، إلا ولها مرجعية ما في تعاملاتها، ونظمها، وعلاقاتها، تتكوّن من الأصول الفكرية، والثقافية العامة التي تؤمن بها الجماعة، وتشكّل قوة التماسك الأساسية في تشكّلها، بوصفها جماعة بشرية وفقاً لطارق البشري.

المفارقة الطريفة هنا أن العلمانيين يُسْدون بتلك الحملات التي تتبنّى ذلك الخطاب -من دون قصد منهم- خدمات جليلة لتيارات التطرّف، التي تقتات على ذلك الخطاب الاستشراقي التغريبي المتطرّف، وتستمدّ منه مبررات حضورها، فثمّة علاقة خفية وطيدة بين التغريب والتطرّف، فكلّما ارتفعت دعاوى التغريب انتشر التطرّف والعكس صحيح، فالتغريب هو أفضل وقود لنشر التطرّف.

عملية «العلمنة» التي يتبناها بعض العلمانيين، هي الوجه الآخر لعملية «الأسلمة» التي ينتهجها بعض الإسلاميين من أتباع التنظيمات والجماعات الحركية، وكلتاهما محكوم عليها بالفشل، لأنهما تقومان على فرضية نقصان أهلية المجتمع وعدم بلوغه الرشد، واستخدام أنياب الدولة لفرض الوصاية عليه.

ولا بد أن يدرك الفريقان أن المجتمع هو وحده الذي يختار مرجعيته الحضارية، وليس بإمكان أحد أيّاً كان أن يفرضها عليه، كما أنّ المجتمع هو الوصيّ على المنظومة القيمية والأخلاقية، وليست الدولة وصيّة عليها إلا بالقدر الذي يمنحه لها المجتمع.

أُصيبت ثورة 25 يناير بانتكاسة كبيرة بعد سقوطها في هاوية الاستقطاب الإسلامي - العلماني، الذي أشعله فريقان؛ ظنّ أحدهما أنّ الثورة قامت لإعادة اكتشاف الهوية الحضارية، بينما ظنّ الثاني أنّها فرصة لسلخ المجتمع عن هويته، في حين غابت مطالب الثورة، وغاب الوعي بالتناقض الرئيس مع شبكات المصالح الفاسدة، وبجوهر الصراع السياسي والاجتماعي، والمعركة الحقيقية مع البنية السلطوية المتجذّرة، واحتكار السلطة والثروة، وتغوّل الدولة على المجتمع، وبكل أسف يبدو أنّ هذا المشهد الاستقطابي مرشّحٌ للتكرار مستقبلاً.

هذه المشاهد الجدلية ليست حالة استثنائية منفصلة، وإنّما هي حلقات في سلسلة طويلة متصلة، تمتدّ جذورها إلى نشأة الدولة الوطنية الحديثة في العالم العربي، والتشوهات الخلقية التي صاحبت ولادتها، بعد فشلها في تقديم إجابات عن أسئلة بنيوية كبيرة، متعلّقة بالهوية الحضارية، وحضور الدين في المجال العام، والموقف من التغريب، وتذويب الذات الحضارية، والموقف من التراث، والصراع التاريخي بين الوافد والموروث، وإشكالية العلاقة بين الديني والسياسي.

وعليه، فمن المتوقع أن نشهد في المستقبل القريب حلقات جدلية جديدة ذات طبيعة استقطابية نخبوية، حتّى يأتي وقت تحصل فيه تلك الأسئلة العالقة على إجابات «الحدّ الأدنى»، التي تقود بدورها إلى نواة تمثّل توافق «الحدّ الأدنى» بين النُخَب من الإسلاميين والعلمانيين، يتفقون فيه على إطار فكري وسياسي لإدارة الخلافات فيما بينهم، وعدم انفجارها إلى صراع صفري، يجنح خلاله كل طرف إلى الإجهاز على الآخر، فلن يشهد المجال العام العربي قدراً من الاستقرار، حتى يعرف العلمانيون أنّ احترام المرجعية الحضارية للمجتمع، وحضور الدين في المجال العام، لا يعني ردّة حضارية، أو النيْل من الحريّات، وحتى يعرف الإسلاميون أنّ مناخ الحريّات لا يعني الانحلال القيمي والأخلاقي، أو استباحة المُقدّسات.. وحتى ذلك الحين سيستمرّ هذا الصراع، وستتجدّد جولات تلك المعارك الاستقطابية.■

الأسرة والتغريب.. بين الأمس واليــــوم

فاطمة عبدالرؤوف
كاتبة متخصصة بقضايا المرأة والمجتمع

إذا كان لا يمكننا الفصل في تحدي التغريب بين قضايا الأسرة وقضايا المجتمع ككل؛ فهناك علاقة جدلية بين ما تتعرض له الأسرة وما يتعرض له المجتمع، حتى إننا نستطيع قراءة المشهد كاملاً إذا تم تسليط الضوء على المخططات التي تعرضت لها الأسرة؛ حتى يتم تفكيك بنيتها القديمة وتشكيل بنية جديدة متوافقة مع المعايير والقيم الغربية المستحدثة، وهي مخططات عميقة الجذور متعددة المستويات والمراحل؛ لأنها تحاول تفكيك واحدة من أشد البنى المجتمعية رسوخاً في بلادنا، ولأن الانتصار في هذه المعركة يعني ببساطة أن ما بعدها بالغ السهولة.

في معركتنا مع التغريب لا بد أن نعترف أن ثمة نقاط ضعف بعضها بالغ الفداحة موجودة في محيطنا الداخلي، وفي بنيتنا الأسرية العميقة؛ فكثير من القيم الأسرية الحاكمة هي نتيجة لمجموعة عادات وتقاليد ظالمة بعضها يعود للعصر الجاهلي بشكل صريح، وبعضها الآخر مزج بين قيم العصر الجاهلي وبعض الأفكار المغلوطة التي شاعت في عصور الانحطاط عن الدين، بدأت معركة التغريب في بلادنا باستثمار مدروس لنقاط الضعف هذه، وجعلها نقطة ارتكاز محورية للتفكيك لينطلق بعضها لآفاق أكثر اتساعاً وأشد تطرفاً.

ويمكننا في هذا الصدد التمييز بين موجتين كبيرتين للتغريب تعرضت لهما الأسرة المسلمة.

يعد أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين هو التوقيت الصحيح الذي انطلقت منه الموجة الأولى من التغريب؛ حيث شكل المناخ الثقافي السائد بيئة خصبة ترعرعت فيها كل صور التقاليد الظالمة التي حكمت الأسرة كما حكمت المجتمع كله حالة من التأخر الحضاري الشامل في ظل الاستعمار، ضربت كل نواحي الحياة، وكان المصلحون في هذه المرحلة يسعون للتعامل مع قضايا المرأة والأسرة بطريقة التوالي؛ أي أنه بعد التحرر من الاستعمار نبدأ في التعامل مع المظالم الداخلية الموجودة في المجتمع، وعلى رأسها ما تعيشه المرأة والأسرة مما لا علاقة له بالدين (وإن ألبسهم البعض ثوبه مستنداً إلى آثار غاية في الضعف)، بينما تعامل الاستعمار وأعوانه بطريقة التوازي، فضرب جميع مناحي الحياة بالقوة الخشنة والقوة الناعمة، ومن ذلك ما تعرضت له الأسرة المسلمة من صدمات البداية.

ويمكننا النظر لكتاب «المرأة الجديدة» لقاسم أمين كنموذج واضح لا لبس فيه للموجة الأولى للتغريب، التي وإن بدأت في ظل رفض عارم لها، إلا أنها استطاعت في غضون عقود قليلة أن تحقق إنجازات حقيقية وملموسة في الواقع الفعلي الذي تجاوب مع المضامين الجديدة التي ويا للعجب تم تسويقها باعتبارها السبيل الحقيقي للتخلص من الاستعمار! وهو ما عبر عنه د. طه حسين بشكل صريح: «إن سبيل النهضة واضح بيِّن مستقيم ليس فيه عوج ولا التواء، وهو أن نسير سيرة الأوروبيين، ونسلك طريقهم؛ لنكون لهم أنداداً، ولنكون لهم شركاءً في الحضارة خيرها وشرها، حلوها ومرها، وما يُحَبُّ منها وما يُكره، وما يُحمد منها وما يُعاب»[1].

تغريب بالإكراه

الموجة الثانية الكبيرة من التغريب هي ما نعيشه هذه الأيام؛ فمنذ سبعينيات القرن الماضي ظهر تيار إصلاحي جديد بدأ بالعمل على الإصلاح بمنطق التوازي، وقدم إسهامات تجديدية في شتى قضايا الأسرة والمرأة، وحقق إنجازات ملموسة مع الظهير الشعبي، وشاركت النساء في صوغ هذا المشروع، وظهرت نوعيات غير نمطية منهن شاركن في صناعة هذا المشروع، حتى إن الكثيرات منهن نشأن في أسر عاشت التجربة التغريبية سواء على مستوى الفكر أو السلوك، ورفضنها وقررن بشكل واع أن يصبحن جزءاً من تيار الإصلاح النهضوي الجديد القائم على الأسس الإسلامية.

وما يميز هؤلاء النساء أيضاً أنهن تلقين تعليماً عالي الجودة، واستطعن التمييز بوضوح بين التحديث؛ حيث الاستفادة من العلوم الغربية بشتى مجالاتها المعرفية حتى على مستوى الإنسانيات مع نمو عقلية نقدية واعدة وبين التغريب من حيث هو تذويب للهوية واستلاب عاطفي ونفسي وشعوري.

بدأت الموجة الثانية من التغريب، إذن، بشكل عكسي؛ حيث تيار تغريبي مسيطر على الجامعات ومناحي الحياة الثقافية، لكن في المقابل نشأ تيار إصلاحي بدأ يشق طريقه مستفيداً من تجارب الماضي، سواء منها ما يتعلق بالتوازي في النظر للقضايا،

معركة التغريب بدأت في بلادنا باستثمار مدروس لبعض نقاط الضعف وجعلها نقطة ارتكاز محورية

التيار الإصلاحي أُخرج عمداً من المواجهة وبقي التيار التغريبي وحيداً يعرض مشروعه وينفر من التيار الإسلامي



أو بشنه هجوماً عنيفاً على الأفكار التقليدية العفنة البائدة التي حاربها بنفس القوة التي واجه بها تيار التغريب.

وأصبح هذا التيار الإصلاحي الجديد رقماً صعباً في أي معادلة، حتى اضطر التيار التغريبي للاحتماء بحزمة التشريعات الدولية لتخريب الأسرة بدءاً من اتفاقية إلغاء كافة أشكال التمييز ضد المرأة، ثم ما حدث في مؤتمر القاهرة للسكان ومقررات بكين وما تلاها، التي لم تعد مجرد مؤتمرات تقدم التوصيات، ولكن أصبح لها صفة إلزامية ومتابعة دورية لمتابعة تنفيذ المقررات وتضمينها في القوانين الوطنية، بحيث يتم تدويل القيم الأسرية في حد ذاته لصالح الرؤية الغربية للحياة الاجتماعية؛ فبينما يولي ما يطلق عليها خدمات الصحة الإنجابية أولوية الرعاية لحمل المراهقات، يتم تجريم الزواج المبكر للفتاة باعتباره انتهاكاً لطفولتها، وبينما يتم وصم المهر بثمن بيع الفتاة، يتم الحديث عن العمل المأجور كطريق وحيد لتمكين المرأة الاقتصادي؛ بل إن الأمر يتجاوز ذلك كله لفرض الرؤية الجندرية على مجتمعاتنا.

والجندر في أبسط تعريف له يعني أن الجنس البيولوجي (ذكر وأنثى) لا يرتبط بالجنس الثقافي (رجل وامرأة)، أو كما قالت «سيمون دي بوفوار»: «لا تُولد المرأة امرأة.. وإنّما تُصبح كذلك»! ومن ثم انطلق التيار التغريبي بجموح لفرض مثل هذه الأفكار الشاذة وتأصيلها ووضعها في صلب مشروعه، وأصبح مصطلح «العابرون جنسياً» مصطلحاً شائعاً يتم الترويج له، وتم استخدام وسائل الإعلام بمهارة في نسج وعرض قصص هؤلاء والاضطهاد الذي يعانون منه في المجتمع، والبعض منهم فنانون وأبناء فنانين؛ وهو ما أثار لغطاً في الشارع، خاصة وقد عملت وسائل الإعلام هذه بإلحاح على أخبار هؤلاء النجوم الفنانين! والحديث عن أدق تفاصيلهم الحياتية، واستخدمت منصات التواصل الاجتماعي في هذه الحرب على ثوابت القيم الأسرية، وما معركة «البكيني» التي أثيرت مؤخراً واعتباره حرية شخصية من غير المقبول انتقادها إلا واحدة من معارك هذا التيار الذي يفرض مفهومه عن الحرية بمثل هذه الأدوات، وما رفع سقف الطموحات العلمانية بهذه الصورة المستكرة إلا آلية للقبول بالدرجات الأقل؛ فإذا كان «البكيني» مستنكراً على شواطئ الفقراء فكشف الشعر مثلاً أمر طبيعي!

على أن ما يميز هذه الموجة الثانية هو تلك الضربات الموجعة التي تلقاها التيار الإصلاحي وإغلاق صحفه ودور نشره ومواقعه الإلكترونية في كثير من البلدان، فأُخرج عمداً من ساحة المواجهة، وبقي التيار التغريبي وحيداً في الساحة يعرض مشروعه من جهة، وينفر من أطروحة التيار الإسلامي الإصلاحي من جهة أخرى، دون أن يملك الأخير حتى حق الرد.

أسلمة التغريب

يمكننا القول، إذن: إنه بعد المد التغريبي الأول الذي وصل ذروته في ستينيات القرن الماضي (مع بعض التباينات الأيدولوجية التي تلتقي في الأصل العلماني الكبير)، بدأ التيار التغريبي يفقد الكثير من شرائحه المثقفة لصالح التيار الإصلاحي الأصيل الذي تعلم الكثير من تجاربه السابقة، والذي تجاوز كثيراً من القيم والتقاليد والعادات التي لا ترتبط بأصل إسلامي صحيح، وأصبحت قضايا الأسرة تعالَج بشكل كلي ومتكامل في إطار فهم الواقع الاجتماعي، وتحت منظومة القيم الإسلامية الفلسفية الحاكمة؛ وهو ما أزعج صناع القرار في العالم الذين سعوا للالتفاف على هذا المد.

التيار التغريبي بدأ يفقد الكثير من شرائحه المثقفة لصالح التيار الإصلاحي الذي تعلم من تجاربه السابقة

وما تقرير مؤسسة «راند» الأمريكية الذي حمل اسم «بناء شبكات إسلامية معتدلة» إلا نموذج لهذه المحاولة الالتفافية الناعمة لضرب هذا المشروع من الداخل، وبنفس أدواته، عن طريق دعم ما يطلقون عليهم المعتدلين، وما هم إلا أصحاب المشروع التغريبي الذين يسقطون رؤيتهم على النصوص الإسلامية، ويقومون بتأويلها بطريقة تجافي منطق اللغة، متجاهلين آراء المفسرين والمحدثين جميعاً؛ «يرى المعتدلون أن المواقف ذات صبغة الاضطهاد في القرآن والسُّنة بالنسبة للمرأة في المجتمع والأسرة (على سبيل المثال أن البنت ترث نصف ما للولد) يجب أن يعاد تفسيرها في ضوء الواقع الحالي وليس الواقع الذي ساد أيام حياة النبي محمد صلى الله عليه وسلم»[2].

حتى إن التقرير أشار بشكل صريح إلى أهمية استغلال وسائل الإعلام والفنون المختلفة للترويج لهذا الفكر، وبالطبع إذا قامت بهذا الدور امرأة ومن أصول إسلامية، فإن الأمر يكون أشد وقعاً؛ «في الترويج، على سبيل المثال، فإن ممثلة الكوميديا المسرحية «تسابانا رحمان» وهي من أصول باكستانية تحب أن تظهر على المسرح مرتدية البرقع، ثم تقوم بخلعه ليظهر تحته فستان سهرة أحمر، قبل أن تقوم بإلقاء نكاتها المعارضة للشريعة، وتؤكد فوائد التكامل مع الحداثة الغربية»[3].■

الهوامش

(1) مستقبل الثقافة في مصر.. طه حسين.
(2) تقرير «بناء شبكات مسلمة معتدلة»، مؤسسة راند، مارس 2007م.
(3) المرجع السابق.



شرق المتوسط.. وحرب الاتفاقات البحرية

على مدى السنوات العشر الأخيرة، باتت منطقة شرق البحر الأبيض المتوسط إحدى أهم بؤر التوتر في العالم، ومناط اهتمام القوى الإقليمية والكبرى، بعد أن اكتشفت فيها بعض أحواض الغاز الطبيعي؛ دفع ذلك مختلف دول الحوض إلى تسريع وتكثيف جهودها في التنقيب عن الموارد الطبيعية، لكنه أيضاً زاد من مستوى المنافسة والتوتر بينها إلى درجة غير مسبوقة باتت تنذر باحتمالات المواجهة العسكرية.



د. سعيد الحاج
محلل سياسي مختص بالشأن التركي

يعدُّ الخلاف التركي – اليوناني من أقدم الخصومات التقليدية في المنطقة وأكثرها تعقيداً، فبينهما عداوة تاريخية تجتمع فيها الأبعاد الدينية والقومية والسياسية والإستراتيجية والحضارية معاً، كما أن جزر بحر إيجة من الخلافات الرئيسة بينهما منذ تأسيس الجمهورية التركية، فضلاً عن القضية القبرصية منذ ستينيات القرن الماضي.

لكن الخلاف الأكثر حدة ووضوحاً حالياً هو التنافس المرير بينهما على حدودهما البحرية، وما ينبني عليه من مناطق اقتصادية خالصة وجرف قاري في شرق المتوسط، وهو ما اتخذ شكلاً متسارعاً في السنوات القليلة الماضية.

تتناقض رؤية البلدين بشكل كامل؛ فبينما تنادي أنقرة بترسيم الحدود البحرية وفق ما يقتضيه المنطق والتوزيع العادل بين الدول، تريد أثينا التقسيم على أساس التنصيف أو «خط المنتصف»، ولكن ليس بين برها والبر التركي، وإنما بين الأخير والجزر اليونانية العديدة المنتشرة.

فإذا ما وضعنا في الحسبان أن جزيرة «مييس» بالتركية أو «كاستيلوريزو» باليونانية تقع على بعد 2 كم فقط من الساحل التركي، و580 كم من الساحل اليوناني، وتخيلنا كيف يمكن ترسيم الحدود البحرية بينها وبين تركيا، وأن هناك عدداً آخر من الجزر قريباً من هذا الوصف، أدركنا إلى أي حد تتعرض أنقرة للغبن والحيف وفق الرؤية اليونانية.

بينما أنقرة تنادي بترسيم الحدود البحرية وفق ما يقتضيه التوزيع العادل تريد أثينا التقسيم على أساس التنصيف

اليونان لم تكتف بالتشبث بموقفها لكن سعت لتشكيل تكتل إقليمي يدعمها في مواجهة تركيا

ولذلك، تحاجج تركيا بأن الجزر، لا سيما الصغيرة منها وغير المأهولة بعدد كبير من السكان، لا ينبغي أن يكون لها جرف قاري مستقل فضلاً عن أن يكون مساوياً لدولة إقليمية كبيرة مثل تركيا تملك الساحل الأطول على شرق المتوسط، لا سيما أن بعض هذه الجزر، وحسب ما سبق تفصيله، تقع أصلاً ضمن المياه التركية.

لم تكتف اليونان بالعناد والتشبث بموقفها، وإنما سعت لتشكيل تكتل إقليمي يدعمها في مواجهة تركيا، مستفيدة من حالة الاستقطاب التي تعمقت في المنطقة مؤخراً، وهكذا نشأت في عام 2018م وفي قمة ثلاثية مصرية – يونانية – قبرصية فكرة إنشاء منتدى لغاز شرق المتوسط للتنسيق بين مختلف الدول، أعلن المنتدى في يناير 2019م بمشاركة هذه الدول مضافاً لها الأردن والسلطة الفلسطينية والكيان الصهيوني وإيطاليا، وبات واضحاً من تأسيس المنتدى وأعضائه ثم بياناته ومواقفه الصادرة لاحقاً أنه يتجاهل حقوق تركيا في شرق المتوسط ويتبنى الرواية اليونانية، بل يصل لحد الاستهداف.

مصر على الخط

رداً على ذلك، انتهجت تركيا سياسة ثنائية على التوازي؛ فقد سعت أولاً للبحث عن شركاء لها في المنطقة، فأبرمت في نوفمبر 2019م اتفاقية لتحديد المناطق الاقتصادية الخالصة مع حكومة الوفاق الوطني الليبية، التي تبعتها اتفاقية للتعاون الأمني والعسكري، بما أعادها للعبة شرق

أنقرة سعت لإبرام اتفاق لترسيم الحدود البحرية مع القاهرة إلا أن أثينا بادرت بإبرام اتفاق لترسيم جزئي معها

مصر وتركيا تدركان أن هناك مصلحة جوهرية لهما في ترسيم الحدود البحرية



المتوسط بقوة وأفادها وأفاد ليبيا، بل ومصر.

والمسار الثاني كان إثبات نفسها وقوتها أمام هذه الأطراف، وإيصال رسالة بأنه لا يمكن تجاهلها ونكران حقوقها، وهذا ما فعلته من خلال زيادة عدد سفنها للمسح والتنقيب في شرق المتوسط وكذلك قواتها العسكرية الحامية لها.

إضافة لذلك، فقد سعت أنقرة لإبرام اتفاق لترسيم الحدود البحرية مع مصر، الدولة الأخرى التي تملك مثلها ساحلاً طويلاً على شرق المتوسط التي -في المقابل- لا تتمتع بعلاقات طيبة معها منذ أحداث 3 يوليو 2013م.

ففي يوليو 2020م، أعلن وزير الخارجية التركي مولود تشاووش أوغلو عن حصول اجتماعات بين البلدين للحوار حول ترسيم حدودهما البحرية، كما أنها جمّدت مؤقتاً أنشطة المسح والتنقيب في شرق المتوسط إثر وساطة ألمانية لنزع فتيل التوتر الذي أدى لبعض الاحتكاكات مع اليونان، تمهيداً لحوار ثنائي بخصوص الحدود البحرية، إلا أن أثينا فاجأتها بإبرام اتفاق لترسيم جزئي للحدود البحرية مع القاهرة.

كما هو واضح ومعلن أيضاً من قبل اليونان، فهدف هذا الاتفاق الأساس هو نقض الاتفاق التركي - الليبي الذي سبقه، ورغم ذلك حملت القنوات الدبلوماسية رسائل طمأنة من مصر لتركيا، بأنها حرصت على ألا تكون طرفاً في النزاع التركي - اليوناني المذكور، بل إن جهاز المخابرات المصري أبلغ نظيره التركي بوجود سوء فهم في الموضوع، وفق ما قال الرئيس التركي.

وبالتالي ساهم ذلك في تراجع حدة التوتر بين البلدين، بعد أن ارتفعت على مدى الأسابيع السابقة إثر التقدم الميداني الذي حققته حكومة الوفاق الوطني الليبية بدعم تركي، وتهديد القاهرة بتدخل عسكري مباشر في ليبيا إذا ما تخطت قواتها خط سرت - الجفرة.

صدام أم حوار؟

وهكذا، أصبحنا في شرق المتوسط أمام اتفاقين متناقضين ومتداخلين؛ اتفاق تركي - ليبي لا تعترف به أثينا والقاهرة، واتفاق مصري - يوناني لا تعترف به أنقرة وطرابلس الغرب، كما أن تركيا ترى أن الاتفاق الأخير ينتهك حقوقها وحقوق ليبيا، وهو ما توافقها عليه حكومة الوفاق الليبية.

انبنى على ذلك أن تركيا استأنفت نشاطها في المسح والتنقيب بعد أن كانت جمدته مؤقتاً كبادرة حسن نية تجاه اليونان، وهددت بأنها لن تسمح بأي أنشطة في مناطقها التي ينتهكها الاتفاق المصري - اليوناني وفق تقييمها، زادت أنقرة وكذلك اليونان من تواجدهما العسكري في المنطقة، وحصلت بعض الاحتكاكات بين سفنهما في شرق المتوسط، ما أعاد للأذهان مرة أخرى سيناريوهات المواجهة العسكرية.

نظرياً هناك عدة سيناريوهات محتملة للمستقبل، ولكن عملياً يمكن جمعها في خمسة رئيسة: الحوار المباشر، أو الوساطة، أو التحكيم الدولي، أو التصعيد العسكري، أو بقاء الأوضاع على حالها.

بالنظر إلى التطورات الأخيرة والتراشق بين مختلف الأطراف، لا يبدو أن هناك أرضية جاهزة حالياً لحوار مباشر بين تركيا واليونان، كما أن الاختلاف الكبير في وجهات النظر، إضافة لعدم توقيع تركيا على اتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار يصعّبان كثيراً من فكرة التحكيم الدولي حالياً، في المقابل؛ فإن التطورات الأخيرة رفعت نسبياً من احتمالات المواجهة العسكرية بين الجانبين، وكذلك من كلفته إن حصل، وهو تحديداً ما يدفع الطرفين لمحاولة تجنبه.

ولذا، يبدو أن المراوحة في المكان هو السيناريو الأرجح على المدى القصير، بحيث يكتفي الطرفان بتبادل الرسائل السياسية والعسكرية الباردة والساخنة، واللعب على حافة التصعيد دون تعمّد اللجوء له، بينما يمكن أن تتهيأ الظروف لوساطة بينهما على المدى المتوسط، من ألمانيا كما في المرة السابقة أو من أي طرف آخر مثل الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوروبي وحلف شمال الأطلسي.

أما بالنسبة لمصر وتركيا، فرغم الاتفاقات الموقعة ورغم الخلاف الكبير في ليبيا، فإن الجانبين يدركان جيداً أن هناك مصلحة جوهرية وحقيقية لكليهما في ترسيم الحدود البحرية، وهو ما يبدو السبب وراء الرسائل الإيجابية المطمئنة بالاتجاهين مؤخراً، ورغم ذلك، لا يبدو أن الجانبين مستعدان اليوم لحوار شامل ومباشر بينهما، إذ سيحتاج ذلك لمرحلة إعداد واستكشاف مواقف منهما في البداية.■

بين الاحتجاجات الشعبية والانقلابات العسكرية..

ماذا يحدث في مالي؟

روضة علي عبدالغفار
صحفية متخصصة في الشأن الأفريقي

في العاصمة المالية باماكو، تتسابق الأحداث بوتيرة سريعة، تحمل موجات من الترحيب وأخرى من القلق والتنديد؛ فهنا شعب يحتفل، وهذه قوى دولية غير راضية، وهذا رئيس معتقل، وعسكر يتقلد زمام الدولة.. فماذا يحدث في دولة مالي الواقعة غرب أفريقيا؟ وكيف تصاعد الحراك حتى وصل لانقلاب عسكري؟ وما سيناريوهات المشهد المالي بعد الإطاحة بالرئيس؟

في هذا التحقيق نسلط الضوء على هذه القضايا.

شهدت مالي مؤخراً أزمة سياسية حادة؛ حيث طالبت المعارضة باستقالة رئيس البلاد إبراهيم أبوبكر كيتا، كشرط لأي تسوية سياسية، وتصاعدت الأزمة في يوم الثلاثاء 18 أغسطس الماضي، حيث قام عدد من العسكر بتمرد لوحدات من الجيش في ثكنة قرب العاصمة المالية، وتم إطلاق نار كثيف في قاعدة «كاتي» العسكرية، على إثرها هدأت الاشتباكات وألقي القبض على عدد من الوزراء وكبار المسؤولين وضباط بالجيش، من ضمنهم وزيرا الخارجية والمالية ورئيس البرلمان.

بعد ذلك بفترة وجيزة، شرع المتمردون في اعتقال الرئيس ورئيس وزرائه، وتم اقتيادهم بعيداً إلى بلدة كاتي، التي تبعد 15 كيلومتراً عن العاصمة باماكو، وأعلن «التلفزيون المالي» الرسمي، في الساعات الأولى من الأربعاء 19 أغسطس، استقالة رئيس البلاد أبوبكر كيتا، الذي قال في كلمة مقتضبة أذاعها التلفزيون الرسمي: إنه يستقيل من رئاسة البلاد، ويحل البرلمان، وأضاف: «لا أريد أن تراق الدماء لإبقائي في السلطة».

الرئيس أعلن استقالته وحل البرلمان وأكد أنه لا يريد إراقة الدماء مقابل بقائه في السلطة

وبعد أكثر من ثلاث ساعات على إعلان الرئيس أبوبكر كيتا قراره مغادرة منصبه، ظهر المتحدث باسم العسكريين إسماعيل واغي ليعلن تشكيل «لجنة وطنية لإنقاذ الشعب»، مؤكداً أنهم يريدون القيام بانتقال سياسي مدني، وأن تتم انتخابات عامة خلال مهلة معقولة، مُعرباً عن احترامهم للاتفاقات الدولية بما في ذلك اتفاقية السلام في الجزائر بين الفرقاء، مطالباً الجيش البقاء بالجبهات.

كما أعلن أنه اعتباراً من يوم 19 أغسطس 2020م، سيتم إغلاق جميع الحدود الجوية والبرية في البلاد حتى إشعار آخر، وتم فرض حظر تجول من الساعة 9 مساءً حتى الساعة 5 صباحاً، كما دعا المجتمع المدني والحركات الاجتماعية والسياسية للانضمام معاً؛ لخلق أفضل الظروف لانتقال سياسي مدني، يؤدي إلى انتخابات عامة ذات مصداقية للممارسة الديمقراطية التي ستضع الأسس لدولة مالي الجديدة.

ويقود الانقلاب في مالي العقيد مالك دياو، نائب القائد العام في معسكر كاتي، وقائد آخر هو الجنرال ساديو كامارا، والجنرال شيخ فانتا ديمبيلي.

تتويج لحراك الشعب

وعن موقف الشعب المالي إزاء الانقلاب، يؤكد الأكاديمي والناشط المالي إلياس كوني، لـ«المجتمع»، أن هذا الانقلاب تتويج لحراك الشعب منذ أشهر، وأن الشعب استنجد بالعسكر للتدخل وإيقاف قتل المدنيين،

اعتقاداً منه أن النظام لن يُركعه سوى الجيش، كما أن المفاوضات والوساطات التي تقودها المجموعة الاقتصادية لدول غرب أفريقيا اتسمت بالانحياز لصالح النظام وفرنسا، المتورطين في تأزم المشهد المالي، وأضاف أن تدخل العسكر كان عاملاً حاسماً في نجاح الحراك ضد النظام، وأن الشعب رحب به ترحيباً ممزوجاً بالفرحة والابتهاج والانتصار.

بينما يرى الباحث في الشأن الأفريقي عباس صالح أن المعارضة راهنت على قوة الشارع وليس تدخل العسكر، لكن هناك تقاطع مصالح بين الطرفين، وتكمن مصلحتهما المشتركة في إجبار الرئيس كيتا على مغادرة السلطة، والبحث عن نظام سياسي جديد، ولكن غير معروف إلى أي مدى سيستمر توافق الطرفين ومتى سيفترقان.

في المقابل، أعربت العديد من القوى الإقليمية والدولية رفضها لانقلاب مالي، ودعت إلى عودة الحكم المدني وإطلاق سراح قادة البلاد، فقد أدانت الأمم المتحدة الانقلاب، وتقرر عقد جلسة طارئة مغلقة لمجلس الأمن الدولي لبحث الأزمة في مالي، بطلب من فرنسا والنيجر التي ترأس حالياً المجموعة الاقتصادية لدول غرب أفريقيا (إيكواس)، كما علقت مجموعة «إيكواس» عضوية مالي، الثلاثاء 18 أغسطس.

وأعلن الاتحاد الأفريقي أنه يدين بشدة أي محاولة لمخالفة الدستور في مالي، ودعا العسكريين الذين أعلنوا التمرد للعودة إلى ثكناتهم، وتم تعليق عضوية مالي في الاتحاد الأفريقي إلى حين استعادة النظام الدستوري، كما أعرب الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون عن إدانته لمحاولة التمرد المستمرة في مالي، وقال وزير خارجيته: إن فرنسا ستواصل دعمها لسيادة وديمقراطية مالي.

وفي هذا الصدد، قال إلياس كوني، لـ«المجتمع»: إن الإدانات الدولية متوقعة؛ لأنها تأتي في إطار المعاهدات والمواثيق الدولية؛ فلا عجب أن تتسارع الدول والمنظمات إلى ذلك، غير أنه مع الأيام سوف تتضاءل القلاقل الموروثة جراء الثورة على


إلياس كوني


عباس صالح

كوني: الانقلاب تتويج لحراك الشعب منذ أشهر الذي استنجد بالعسكر للتدخل وإيقاف قتل المدنيين

الاتحاد الأفريقي أدان أي محاولة لمخالفة الدستور ودعا العسكريين للعودة لثكناتهم وعلّق عضوية مالي

النظام الحاكم، مع الحراك الدبلوماسي المكثف الذي سيتوالى هذه الأيام؛ علماً أن هذه ليست أول ثورة تطيح بالنظام في تاريخ جمهورية مالي، فالشعب وقادته خبراء بالتعامل مع مثل هذه الظروف واجتيازها للوصول إلى تفاهمات مع القوى الداخلية والخارجية.

منذ يونيو الماضي، يخرج عشرات آلاف المتظاهرين إلى شوارع بماكو، مطالبين كيتا بالاستقالة، لاستيائهم من مواقف نظامه


الإمام محمود ديكو

إزاء قضايا كثيرة، على رأسها تدهور الوضع الأمني، وعجز حكومته عن وقف العنف في البلاد، إضافة إلى الانهيار الاقتصادي، وفشل خدمات الدولة، وتفشي الفساد، وشهدت مالي موجات متتالية من المظاهرات بقيادة حركة «5 يونيو» المعارضة وعدد من المستقلين، منذ إعلان نتائج الانتخابات التشريعية التي جرت في مارس الماضي، وفاز فيها حزب الرئيس كيتا ورفضتها المعارضة.

تم انتخاب أبوبكر كيتا رئيساً لمالي عام 2013م، وفاز بولاية رئاسية ثانية عام 2018م مدتها 5 سنوات، وفي هذا الصدد، يقول الباحث عباس صالح لـ«المجتمع»: «صحيح أن الرئيس كيتا هو رئيس منتخب عبر الشعب، ولكنه بممارساته وسوء إدارته خان ثقة الناخبين وخذل تطلعاتهم؛ حيث جعل الشارع يتحرك ضده، ويقبل بأي تحرك ما دام سيطيح به وبنخبته الفاسدة».

وقد تشكلت حركة «5 يونيو» في يونيو الماضي، وكانت عبارة عن جبهة معارضة واسعة دعا إليها الإمام محمود ديكو، الرئيس السابق للمجلس الإسلامي الأعلى في مالي، وكانت الاستجابةُ واسعة وكبيرة؛ والتفَّت حوله أحزاب وقوى سياسية ومنظمات مجتمع مدني تجمعها جميعاً نفس المطالب السابقة تحت غطاء وزخم شعبي كبير.

ولم تلبث حركة 5 يونيو كثيراً حتى أصبحت محطَّ أنظار العالم، وشخصيتها المقدمة والمؤثرة الإمام محمود ديكو، حتى جاء يوم 10 يوليو الماضي، وهو اليوم الذي امتزجت فيه القضية والمطالب بدماء الشباب المالي، وأخذت بُعدًا آخر، وهو الثورة على النظام الذي يقتل المواطنين.

وكانت أبرز مطالب الاحتجاجات الشعبية: استقالة الرئيس وحل الحكومة والبرلمان، وحل المحكمة الدستورية وتعيين أعضاء جدد، والانتقال إلى فترة انتقالية يتم تنظيم خلالها انتخابات رئاسية وبرلمانية، وانطلقت دعوات إلى السيطرة على مقرات الحكومة والدخول في عصيان مدني.

وأرسل اتحاد غرب أفريقيا مبعوثاً خاصاً لحل الأزمة، وهو الرئيس النيجيري السابق جودلاك جوناثان، لكنه لم يستطع تقريب وجهات النظر؛ نظراً لانحيازه للحكومة



والرئيس؛ مما دفع حركة المعارضة إلى رفض خطته لحل الأزمة وباءت مساعيه بالفشل.

فرنسا ولعبة المصالح

في عام 2013م، جاءت قوات دولية إلى مالي، على رأسها فرنسا، وكانت محل ترحيب من الشعب المالي؛ نظراً لأن البلاد كانت على المحكّ، نتيجة اشتباكات حادة بين الحركات الانفصالية، التي أعلنت استقلال منطقة أزواد والسيطرة عليها تحت اسم «جمهورية أزواد»، وبين الجيش المالي الذي يحاول السيطرة على المنطقة المنفصلة، ونتج عن ذلك تشريد 200 ألف من سكان الإقليم، ومقتل المئات وارتكاب مجازر مُروِّعة بحق الأهالي، وهدم للأضرحة والآثار، ونشاط غير مسبوق للجماعات المسلحة والمتطرفة والانفصالية.

ومنذ دخول فرنسا، ومن ورائها قوات أوروبية أخرى؛ لم تتحسن الأوضاع في مالي، رغم أنه كان مُرَحَّباً بها في البداية، وكان الغرض هو حفظ الأمن والاستقرار، ويبلغ عدد القوات الفرنسية في مالي أكثر من 4000 جندي، وزاد العدد ليصبح 5800 جندي حالياً.

ويعلق الناشط إلياس كوني على تدخلات فرنسا، أنه لا أحد ينكر العلاقة الإستراتيجية بين الدولتين والمصالح المشتركة بينهما قديماً وحديثاً، ورغم أن تدخل فرنسا في عام 2013م كان له دور كبير في ردع الجماعات المسلحة، والحيلولة دون سقوط العاصمة والدولة؛ غير أن الفرحة بتدخل فرنسا لم تدم طويلاً بعد إدراك الشعب أن فرنسا متورطة في دعم بعض تلك الحركات بالمال والعتاد والجنود لمصالحها في الشمال، وتدخل فرنسا وتوغلها في قضايا الدولة لمصالحها هي حقيقة ماثلة، لذا لا عجب في عدم التفات الشعب إلى تنديدات فرنسا وتهديداتها.

إن الوجود الفرنسي في المنطقة يشكّل إرث الماضي الاستعماري، إضافة إلى المصالح الاقتصادية الكبيرة في غرب أفريقيا، حيث تسعى فرنسا للحفاظ على حصتها من الذهب، في هذا البلد الذي ينتج ما يقارب 50 طناً سنوياً، وهناك مئات

باحث أفريقي: هناك تقاطع مصالح بين الشعب والعسكر لكن غير معروف إلى أي مدى سيستمر توافقهما

الوجود الفرنسي بالمنطقة يشكّل إرث الماضي الاستعماري إضافة إلى المصالح الاقتصادية الكبيرة

أكثر السيناريوهات ترجيحاً استمرار الاضطرابات والفوضى السياسية وتصاعد وتيرة انعدام الأمن

المناجم من الذهب والبوكسيت وغيرهما من المعادن، وكذلك تعزيز وجودها في الأماكن التي يُرجَّح أنها تحتوي على احتياطيات هائلة من النفط والغاز في شمال مالي، من خلال القوات الفرنسية المرابطة في الشمال.

في حين يرى الباحث عباس صالح أن التدخلات الفرنسية هي لصالح باريس فحسب، وهي لا ترى في الفاعلين المحليين إلا أن يكونوا تابعين لها أو خادمين لمصالحها، وتعتبر التدخلات الفرنسية أحد أسباب الغضب الشعبي في الشارع المالي ضد كيتا، لا سيما أن فرنسا رغم تدخلها في شمال البلاد، فشلت هي الأخرى في إرساء الأمن والاستقرار واستعادة النظام.

ماذا بعد الإطاحة بالرئيس؟

أعلن قادة الانقلاب في مالي أنه سيتم تنصيب رئيس انتقالي للبلاد، وسيكون مدنياً أو عسكرياً، على أن يترأس مجلساً لإدارة البلاد خلال فترة 9 أشهر، وقال المتحدث باسم الانقلابيين العقيد إسماعيل واغي: إنهم على اتصال مع المجتمع المدني وأحزاب المعارضة والأغلبية، لمحاولة ترتيب الانتقال، كما أضافت اللجنة الوطنية لإنقاذ الشعب

-التي شكلها قادة الانقلاب- أن المجلس الانتقالي يضم 6 عسكريين و18 مدنياً، على أن يتم انتخاب رئيس المجلس من قبل أعضائه، وأوضحت اللجنة أن رئيس المجلس الانتقالي سيتولى منصبي رئيس الدولة، وقائد المرحلة الانتقالية.

ويرى الناشط المالي إلياس كوني أن العسكر صادقون في تسليم السلطة؛ لأن تدخلهم كان للحيلولة دون انهيار الدولة، وإنقاذها من الأزمات المعقدة التي تعيشها، وأضاف أن التدخل العسكري جاء بمناشدة الشعب ومباركته، مما يوحي باستعدادهم الكامل لرد السلطة إلى المدنيين.

بينما قال الباحث عباس صالح لـ«المجتمع»: إن أكثر السيناريوهات ترجيحاً هو استمرار الاضطرابات والفوضى السياسية، وتصاعد وتيرة انعدام الأمن في البلد وفي الإقليم بشكل عام، خاصة إذا مضت حكومة الإنقاذ الوطني، التي شكلها الانقلابيون، في نفس الطريق الذي سلكته الحكومات السابقة وآخرها نظام كيتا، ولكنَّ هناك متغيراً جديداً هو صحوة الشارع، بجانب احتمالات انقسام مكونات الحراك الجماهيري.

وكان ائتلاف «5 يونيو» المعارض قد أشاد بما سماه التدخل العسكري الذي جاء ليكمل مسيرة الشعب المالي وتطلعاته إلى دولة ديمقراطية مدنية وعلمانية، وحثَّ المجتمعَ الدوليَّ على النظر إلى قضية مالي بعيداً عن منطق العقوبات، وأنهم يعملون حالياً مع العسكريين الذين تولوا السلطة.

وبالسؤال عن دور القوى الثورية والمعارضة لضمان انتقال سلمي للسلطة، أضاف إلياس كوني، لـ«المجتمع»، أنه يجب على القوى المدنية والسياسية أن تبلور موقفاً موحداً؛ للتعامل مع الظرف الحالي وقيادة المرحلة بشكل سياسي ديمقراطي، كما على القوى العسكرية تكثيف المساعي مع جميع التيارات المختلفة بالدولة، وأن تمهد الطريق أمام التوصل إلى تفاهمات داخلية وخارجية لضمان سلاسة الانتقال السلمي للحكم.

وبين كل هذه الاضطرابات التي عاشتها مالي وما زالت تعيشها، هل يصبح الانقلاب العسكري هو يد العون التي أنقذت الشعب حقاً، أم تكشف الأيام عن جديد ليس في الحسبان؟!■



المغرب.. هل يقلص «العدالة والتنمية» مشاركته في الانتخابات القادمة؟

الرباط- عبدالغني بلوط:

مع اقتراب الانتخابات المقررة عام 2021م في المغرب، تعود من جديد مخاوف منافسي حزب «العدالة والتنمية» من عودته لقيادة الحكومة للمرة الثالثة على التوالي.

ويطلق البعض بالونات اختبار حول إمكانية تقليص مشاركة حزب العدالة والتنمية المغربي في الانتخابات القادمة، بدعوى أن ذلك تقدير للمصلحة العليا للوطن، وتكريس لمبادئ الديمقراطية المرتكزة على تداول السلطة، إلى جانب رؤيتهم أن الحزب في حاجة للعودة إلى المعارضة من أجل استرجاع بريقه الذي فقده من خلال تدبيره للشأن العام على مدى عشر سنوات.

في اتصال لـ«المجتمع» بعدد من القيادات الحزبية لحزب العدالة والتنمية، أكدوا أن الأمر لم يناقش داخل المؤسسات الداخلية لأنه غير مطروح أصلاً، فيما رأى محللون أن طرحه في هذا الوقت هو من أجل الاستهلاك الإعلامي والتشويش على تجربة الحزب في تدبير الشأن العام، وشغله بقضية ثانوية عن قضايا أكثر إلحاحاً مثل محاربة الفساد وتثبيت الديمقراطية والمساهمة بروح عالية ووطنية في حل الإشكالات الحقيقية للبلد، وما تطرحه التحديات المستقبلية لا سيما في ظل جائحة فيروس «كورونا المستجد».

بالرغم من ذلك، فقد حظي الموضوع بنوع من السجال على الجرائد الوطنية وفي مواقع التواصل الاجتماعي، ومن بين الأصوات التي نادت بتقليص المشاركة، نجد الإعلامي مصطفى الفن، الذي حاول ربط ذلك بمنهج الحزب الذي يدعو إلى «التدرج والوسطية والاعتدال وعدم التنازع مع أولي الأمر».

ويضيف أن هذا المنهج الاستثنائي في التغيير والإصلاح هو الذي ساعد أو بالأحرى جنب الحزب من الدخول في متاهة الاصطدام مع الدولة في أكثر من محطة سياسية، بل جنبه حتى إمكانية الحل.

الفن: منهج الحزب في التغيير والإصلاح جنَّبه الدخول في متاهة الاصطدام مع الدولة

ماء العينين: البلد في حاجة إلى تسوية حقيقية وعلى الحزب أن يكون فاعلاً رئيساً

ويبرز الفن أن قوله هذا لا ينسيه أن استثنائية المؤسسة الملكية في المغرب هي التي كانت حاسمة في إدماج الإسلاميين بالحياة السياسية في وقت اختارت فيه أنظمة عربية دكتاتورية رميهم في السجون والمنافي، بمعنى آخر؛ فعلى قادة «العدالة والتنمية» أن يستفيدوا من الدروس، وعليهم أن يلتقطوا الإشارات، وأن يعيدوا من جديد قراءة أدبيات حزبهم التي أملت «التقليص الذاتي» والتراجع إلى الخلف في استحقاقات انتخابية سابقة.

من جانبه، يرد الإعلامي والكاتب عضو المجلس الوطني لحزب العدالة والتنمية حسن حمورو على دعوة التقليص، في تدوينة طويلة، بالقول: إن استعمال مصطلح الصدام مع الدولة ظل مجرد فزاعة لتخويف جزء من قيادة الحزب، للتأثير عليها أثناء التداول في اتخاذ القرارات والمواقف، في حين أن وثائق الحزب وأدبياته تؤكد واقعياً أن أحد مبررات وجوده إسناد الدولة ومساعدتها.

وخلص حمورو إلى أن السياق الذي سبق للحزب أن اتخذ فيه قرار تقليص المشاركة في الانتخابات انتفى، ولم يعد قائماً، سواء من حيث معطيات الحياة السياسية الوطنية التي تأثرت بسياق ما سمي الحرب على الإرهاب، أو من حيث المعطيات الخاصة بالحزب، الذي كان حينها يشغل موقع المعارضة، وكان حديث عهد بالمشاركات الانتخابية.

ويؤكد أن قرار تقليص المشاركة في الانتخابات المقبلة يعد حلاً سهلاً، بل وهروباً وتخلياً عن الواجب الوطني، ورسالته ثقيلة، ومخالفة لمواقف الحزب، تجاه المؤسسات السيادية للدولة، لأنه يستبطن استنكافاً عن المشاركة في مؤسسات الدولة المنتخبة، ويستبطن التشكيك في المسار الديمقراطي للدولة، ومعلوم أن التشكيك غير الانتقاد المطلوب من أجل التحسين والتجويد، فضلاً عن كونه يشكك كذلك في أطروحة «الإصلاح من الداخل».

من جهتها، تبرز القيادية في حزب العدالة والتنمية البرلمانية آمنة ماء العينين، في تعليقها على تدوينة حسن حمورو، أنها غير مؤمنة بخيار تقليص المشاركة؛ لأنه متجاوز وسطحي بهاجس عددي وبدون مضمون سياسي.

وتؤكد أن النقاش الحقيقي اليوم منصب على المضمون السياسي الذي سيؤطر الانتخابات المقبلة بعيداً عن لغة الأرقام والمقاعد، إذ يجب أن نعترف أن العدالة والتنمية عاجز اليوم عن قيادة النقاش السياسي أو التأثير فيه بفعالية، ولذلك لم يعد اليوم الرهان كامناً في الفوز بالرتبة الأولى بقدر ما يكمن الرهان في تجديد الفكرة والأطروحة للتعبئة حولها.

وتضيف أن البلد في حاجة إلى تسوية حقيقية سمتها في أكثر من مناسبة بالعملية التفاوضية الكبيرة، وعلى الحزب أن يكون فاعلاً رئيساً فيها، مبرزة أن عاملين أساسيين شرطان لإنجاح هذه التسوية المطلوبة، المضمون السياسي الديمقراطي، والنخبة القادرة على إدارة النقاش والتفاوض.■





ها قد أطلّ علينا هلال عام هجري جديد يحمل بين نوره الأمل في حياة أفضل وعمل أحسن وعودة راشدة إلى منهج الله، وتذكرة بمرور الأيام والسنين مع مسير قطار العمر عاماً بعد عام، فالحمد لله الذي منّ علينا بنعمة الحياة لنزداد له ذكراً، ونسجد له شكراً، ونستكثر من فعل الخيرات، والحمد لله الذي أمدّ في أعمارنا وبلغنا هذا العام الجديد علنا نلملم شعث قلوبنا، ونضمد جراحات ذنوبنا، ونتوب إلى ربنا، فنستقبله بقلب جديد ونية جديدة.

محطات إيمانية في طريق التربية

هلال الأمل

إيمان مغازي الشرقاوي
ليسانس شريعة - ماجستير الدعوة
جامعة المدينة العالمية

كان رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم إذا رأى الهلالَ قال: «اللَّهمَّ أهلَّه علينا بالأمنِ والإيمانِ والسَّلامةِ والإسلامِ والتَّوفيقِ لِمَا تُحبُّ وتَرضى ربُّنا وربُّكَ اللهُ» (صحيح ابن حبان).

لقد جمع النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الدعاء كل مقومات الحياة السعيدة في الدنيا والآخرة، فهو دعاء جامع لأصول السعادة لمن أراد أن يسلك سبلها.

فقوله صلى الله عليه وسلم: «اللهم» فيه الاعتراف بألوهية الله سبحانه وتعالى وتوحيده ويدخل فيها دعاؤه سبحانه وحده لا شريك له، (وكلمة «اللهم» صيغة نداء ودعاء مثل: يا الله)، ومَن قال: يا الله، فهو إنما يلجأ إلى ربه عز وجل القادر، ويدعوه ويستعين به ويستغيث، ويطلب منه حاجته، وهذا ما ينبغي بل يجب أن يكون عليه المسلم، فهو إنما يَكِل ويفوّض أمره إلى الله، ويبث إليه حاجته وشكواه، وكلما كان ذلك في السر والخلوة كان إلى الإخلاص أقرب وإلى الإجابة أسرع.

لكننا، للأسف، انتشرت بيننا على صفحات التواصل الاجتماعي آهات الشكاوى وبث النجوى، ليس إلى الله سراً، بل إلى الناس علانية وجهراً، بالليل والنهار، حتى إنك عندما تقرؤها تعرف أن فلاناً في ضيق مالي، قد ترك عمله، وهذا مريض يعرض مرضه، وفلانة غضبى مع زوجها، وأخرى سافر ابنها، وهذه تركها خطيبها، وأخرى تنعى حالها! وهكذا حتى أصبحت هذه الأجهزة –بقصد وبغير قصد– محلاً للتشكّي بدلاً من اللجوء إلى الله ودعائه على سجادة الصلاة وفي جوف الليل، وتحوَّل الصبر والتصبر إلى شكوى وجزع، إلا من رحم الله، فصارت الهموم تُبث لغير الله، وتُعلن على الملأ دونما تردد.

لذا، فإن علينا أن نحسن العَود إلى الدعاء، ونقول من قلوبنا في كل وقت وحال: اللهم يا الله، ونكل إليه أمورنا كلها بعيداً عن أعين وآذان المخلوقين، فسيد الخلق صلى الله عليه وسلم يدعو ويطلب من الله «الأمن والأمان والسلامة والإسلام والتوفيق لما يحب ربنا ويرضى».

الأمن في حياة المسلم

إن الحياة الدنيا إذا خلت من الأمن والأمان تنغصت على الناس معايشهم، وصارت حياتهم كبداً ومشقة، لا سيما إذا انتزع هذا الأمن الحروب والصراعات المسلحة، لكن المسلم المؤمن بأقدار الله الصابر على ابتلاءاته ينعم مع كل ذلك بأمن من نوع آخر لا يملكه إلا الله، وهو الأمن النفسي والأمان القلبي الذي يجده العبد في إيمانه بالله وعبوديته له، ورضاه بقدره، وفي صدق التوجه إليه والإخلاص له، وفي سجوده بين يديه وتضرعه بالدعاء وشعوره بالذل أمام عظمته سبحانه، ولا عجب أن تجد وسط البلاء من يلهج لسانه بـ«يا الله»، وقلبه بـ«الحمد لله».

إن هذا الأمن يسكب في النفس الراحة والطمأنينة، وقد قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد: 28) قال ابن كثير: «تطيب وتركن إلى جانب الله، وتسكن عند ذكره، وترضى به مولى ونصيراً»، وقال السعدي: «يزول قلقها واضطرابها، وتحضرها أفراحها ولذاتها»، وهذا الأمن

النفسي الناشئ عن الإيمان بالله والاستقامة على أمره يؤدي إلى الأمن في الحياة الدنيا، والأمن عند لقاء الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (فصلت: 30)، قال ابن كثير: «فيُؤَمِّن الله خوفه، ويقرّ عينه، فما عظيمة يخشى الناس يوم القيامة إلا هي للمؤمن قرة عين؛ لما هداه الله، ولما كان يعمل له في الدنيا، وقال زيد بن أسلم: يبشرونه عند موته، وفي قبره، وحين يبعث».

ومن الأمن أيضاً الأمن يوم القيامة يوم الفزع الأكبر، قال تعالى: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾ (النمل: 89)، قال البغوي: «الحسنة: كلمة الإخلاص، وهي شهادة أن لا إله إلا الله، وقيل: هي كل طاعة لله»، ﴿فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾ قال ابن عباس: «فمنها يصل الخير إليه، يعني: له من تلك الحسنة خير يوم القيامة، وهو الثواب والأمن من العذاب»، قال تعالى: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (الأنبياء: 103)، قال السعدي: «لا يقلقهم إذا فزع الناس أكبر فزع، وذلك يوم القيامة، حين تقرب النار، تتغيظ على الكافرين والعاصين فيفزع الناس لذلك الأمر وهؤلاء لا يحزنهم، لعلمهم بما يقدمون عليه، وأن الله قد أمنهم مما يخافون».

السلامة والإسلام

إن الإسلام دين الأمن والأمان والسلامة، ويتحقق كل ذلك بالتسليم لله سبحانه وتعالى، ومهما سلِم الإنسان سلامة ظاهرة للعين، فإنه لن يعيش الأمن النفسي الخفي والسلام الحقيقي إلا إذا أسلم نفسه واستسلم لله عز وجل وخضع له وذل.

إننا حين نطلب في دعائنا السلامة من الله تعالى، فإن هذه السلامة قد تكون في سلامة أعضائنا وجوارحنا من العاهات والأمراض البدنية؛ لنتمتع بأبدان قوية وأجساد سالمة، وهذا يستلزم منا الأخذ بأسباب ذلك من تناول الطعام الصحي المتوازن، وممارسة الرياضة البدنية المعتدلة، والتداوي المباح من أي مرض، والبعد عما يضرنا تناوله.

رؤية الهلال تذكرنا بالله الذي خلقنا وخلقه وتبث فينا الأمل فنستبشر بتجدد الليالي وازدياد الطاعات

إذا خلت حياة الناس من الأمن والأمان تنغصت عليهم معايشهم

كما تتمثل السلامة أيضاً في سلامة العقيدة من أمراض الشرك المهلكة؛ كاعتقاد الضر والنفع من غير الله، ودعاء الأولياء والتمسح بالأضرحة، واللجوء إلى الكهان والمشعوذين والمنجمين وتصديق ونشر ما يدّعون، وكذلك طلب سلامة النفس من الآفات المهلكة من الذنوب والمعاصي، والأخذ بها لتطهر وتتحول من النفس الأمارة بالسوء إلى النفس المطمئنة، فتَسلم القلوب من أمراضها الفتاكة؛ كالكبر والحسد والرياء والنفاق والغل والقسوة والغفلة، وهذا يتطلب من كل مسلم أن يصحح إيمانه، وأن يعالج أدواء نفسه، فإن فعل فإن الله يمنّ عليه بالسلامة في بدنه وقلبه، وهو إن سلم فقد أمن ونجا.

وفي قول النبي صلى الله عليه وسلم: «والتَّوفيق لما تحب وترضى» توجيه نبوي لنا جميعاً في حسن الظن والثقة بالله عز وجل، وطلب التوفيق لما يرضيه فيه حرص

مهما سلِم الإنسان سلامة ظاهرة فلن يعيش الأمن النفسي إلا إذا أسلم نفسه واستسلم لله تعالى

إذا وفَّق الله عبادَه لما يحبه ويرضاه فإنه يحبِّب إليهم الإيمان وعمل الخير ويعينهم على البر

على حُسن العمل ورغبة في إرضاء الله الذي بيده مقاليد الأمور، وفيه إظهار لضعف ذلك العبد المخلوق وحاجته إلى ربه أن يوفقه لما فيه صلاح دنياه، من العمل المناسب، والرزق الحلال، والزوجة الصالحة، والمسكن الواسع، وقرة العين من الذرية البارة، وكل هذا من الله منحة وعطاء وتوفيق، وهو من وسائل الحياة الطيبة في الدنيا المعينة على القيام بدور الإنسان في الأرض كما أمر الله عز وجل.

خير البرية

فإذا وفق الله عباده لما يحبه ويرضاه، فإنه يحبب إليهم الإيمان والعلم وعمل الخير، ويعينهم على البر والصلة وصدق الأخوة، وييسر لهم سبل الدعوة إليه، ويبغض إليهم الكفر والفسوق والعصيان، ويجعلهم بإيمانهم وأعمالهم الصالحة خير البرية كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ (البينة: 7)، وإذا كانوا خير البرية، فإنهم لن يستحلوا أكل الحرام، ولا سفك الدماء، ولا استباحة الأعراض، ولن يتفكهوا بالغيبة وتضييع الأوقات، بل يكون مطعمهم طيباً، ودماؤهم معصومة، وأعراضهم محفوظة، وحقوقهم معروفة، وأوقاتهم ثمينة.

أما التوفيق في الآخرة فليس بعد رضا الله توفيق، قال تعالى: ﴿جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ (البينة: 8)، قال الطبري: ﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بما أطاعوه في الدنيا، وعملوا لخلاصهم من عقابه، ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ بما أعطاهم من الثواب يومئذ، على طاعتهم ربهم في الدنيا، وجزاهم عليها من الكرامة.

إن رؤية الهلال لتذكّرنا بربنا وربه الذي خلقنا وخلقه، وتبث فينا الأمل والحياة، فالهلال يبدأ صغيراً ثم يكبر رويداً رويداً، وكلما كبر بث النور في الآفاق فأنار لغيره الطريق، وبدد بنوره الظلمات، فلنستبشر مع ظهوره بتجدد الليالي وازدياد الطاعات، ولنسأل الله تعالى في مطلع كل شهر أن يهلّ علينا هلاله بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام والتوفيق لما يحب ويرضى.■

د. هاني محمود

الهجرة النبوية..

من دلالات المشهد



في مثل هذه الأيام من كل عام تعيش الأمة الإسلامية في رحاب ذكرى عطرة لواحد من أعظم أحداث السيرة النبوية المطهرة؛ إنه حدث الهجرة.

مخطئ من ظن أن الهجرة هي مجرد انتقال من أرض إلى أرض، بل الهجرة منهج ومعنى تجلى -في أسمى صوره- من خلال حادثة الهجرة النبوية المباركة، لكن هذا المنهج وذلك المعنى لا يزال حياً قابلاً للتطبيق.

إن معنى الهجرة هو: الثبات على المبدأ، والاستمرار في نصرته، والنضال من أجل نشره مهما كانت المعوقات التي تخر لها الشم الرواسي، وليس هذا المعنى -كما يظن ذوو التفكير السطحي- قالباً جامداً على حدث، قاصراً على مشهد، مهما كانت أهميته، بل هو روح تسري في همم الصادقين من أصحاب الدعوات على مر الدهور، وكر العصور، ولا ينقطع هذا المعنى بهجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة.

إن الهجرة مدرسة إيمانية يتربى فيها العاملون على معاني التضحية والجهاد، فها هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه يبذلون النفس والنفيس، ويهجرون الأهل والمال والولد، فارين بدينهم إلى أرض لم يخبروها، وعشيرة لم يألفوها، ولا باعث لهم إلا نصرة الفكرة، ونشر الدعوة، وبناء الدولة، إنها مدرسة الإخلاص العظمى، وبوتقة الصدق الكبرى.

وفي مدرسة الهجرة دروس لأهل البلاء؛ حيث تتربى عزائمهم على أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً، وأن ليل المحنة مهما طال فلا بد من بزوغ فجر الفتح، وشروق شمس الرِّبح.

في الهجرة ابتلاء بمفارقة المحبوبات، وترك المرغوبات؛ لأجل غاية أسمى، تتضاءل أمامها كل رغبات النفس؛ ولهذا فالهجرة -إعزازاً للدين- تصنع شخصية رسالية قوية، قادرة على الصمود في مواجهة مدلهمات الخطوب

أي قلب تصنعه الهجرة غير قلب تقي، نقي من شوائب الحظوظ النفسية التي تكدر صفاء الإيمان.

أي عقل تعيد الهجرة تشكيله سوى عقل بعيد المدى، واسع القوى، لا ينتهي مداه حيث بصر صاحبه، بل يتسع إدراكه ليجاوز حدود هذا العالم.

إن النفس التي تحوي هذا القلب التقي وذاك العقل الصفي لجديرة بأن تكون هي النفس المطمئنة التي حبب إليها الطاعة، وكره إليها الكفر والفسوق والعصيان، فهجرت ما نهى الله عنه.

لقد أحدثت الهجرة النبوية تحولاً جوهرياً في مسيرة الإسلام؛ حيث نقلت الرسالة الإسلامية من مرحلة الدعوة إلى الفكرة والمنهج، إلى مرحلة الدولة التي تتجسد فيها الفكرة، ويهيمن فيها المنهج، وتصير في أكنافها دعوةُ الحق عزيزة في حصن حصين.

سُنَّة ماضية

لا عجب، إذن، أن تكون الهجرة سُنَّة ماضية في حياة الأنبياء، تحقق للدعوة مناخاً أفضل لانتشارها، وتمنح نفوس المؤمنين ميداناً أرحب للنضال من أجل إعزاز راية الحق في أرض جديدة بعد انضمامها إلى معسكر الدعوة مكسباً عظيماً، يحقق تحولاً لافتاً في مسار انتشارها

رأينا الهجرة في حياة أبي الأنبياء إبراهيم بعد أن انسدت أمامه آفاق الدعوة في أرض قومه.

ورأيناها كذلك في حياة موسى عليه السلام بعد أن عزم فرعون وقومه على قتله ومن معه.

والخبر يغنينا عن استقراء حياة الأنبياء لتتبع هذا المعنى؛ ففي صحيح البخاري: لما ذهب النبي صلى الله عليه وسلم مع خديجة إلى ابن عمها ورقة بن نوفل، تنبأ ورقة باضطرار النبي صلى الله عليه وسلم إلى الهجرة، وأخبر ورقة النبي صلى الله عليه وسلم بأنه لا يأتي نبي بمثل ما جاء به محمد إلى عودي.

لقد آن للعقل المسلم والقلب المؤمن أن يجولا في دروب الأحداث النبوية العظمى جوَلاناً يعيد للعقل المسلم بوصلة التفكير الإيماني النافذ، وللقلب المسلم ربانية الوجدان الإسلامي المشرق؛ حتى تسترد الشخصية الإسلامية المعاصرة أعظم أركانها المفقودة.■

الهجرة النبوية.. وفن إدارة الأزمات

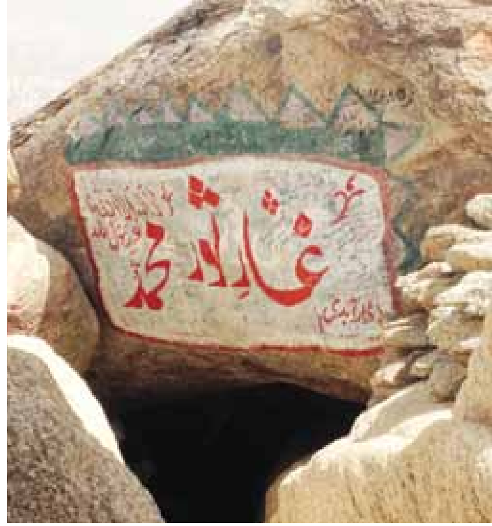
تركت الهجرة النبوية المباركة آثاراً جليلة على المسلمين، ليس فقط في عصر النبوة، ولكنها امتدت لتشمل حياة المسلمين في كل عصر ومِصْر، كما أن آثارها شملت الإنسانية عامةً؛ لأن الحضارة الإسلامية قدمت -وما زالت تقدم- للبشرية أسمى القواعد الأخلاقية والتشريعية التي تنظم حياة الفرد والأسرة والمجتمع.

كانت الهجرة النبوية من مكة إلى المدينة المنورة حدثاً تاريخياً عظيماً، وفيصلاً بين مرحلتين من مراحل الدعوة الإسلامية، كما كانت محوراً عظيماً في تغير مجرى التاريخ، ودروس في التخطيط وفن إدارة الأزمات.

عظمة التخطيط بين الدار والغار:

حينما اشتد الأذى على المسلمين في مكة، وكانت هناك فرصة مواتية لانتشارها خارجها، جاء الإذن الرباني لرسوله والمستضعفين بالهجرة، فرفع النبي صلى الله عليه وسلم جاهزية التخطيط للخروج بالمسلمين دون خسائر، وقد تحققت الخطوة الأولى بهجرة المسلمين، وجرى الاستعداد للخطوة الثانية؛ وهي خروج النبي الكريم، التي جاءت في ليلة السابع والعشرين من صفر السنة الرابعة عشرة من النبوة، وأتى إلى دار أبي بكر رضي الله عنه في وقت الظهيرة متخفّياً على غير عادته، ليستكمل أدوات التخطيط المحكم الأولى للخروج من مكة، حيث جهز صاحبه أبو بكر راحلتين، وأوصى ابنته أسماء بمهام توفير المؤن، واستعان بأهل الخبرة من قريش المؤتمنين لإرشادهم على الطريق الصواب كعبد الله ابن أريقط، والعمل على إزالة آثار أقدامهم حتى لا يتعرف عليها أحد من قريش، ثم جاء التكليف لعلي بن أبي طالب بالتخلف عن السفر قليلاً لرد الأمانات لأصحابها، والنوم مكان الرسول صلى الله عليه وسلم.

ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلم أن الطريق الذي ستتجه إليه الأنظار هو طريق المدينة الرئيس المتجه شمالاً، سلك طريقاً عكسياً؛ وهو الطريق الواقع جنوب مكة والمتجه نحو اليمن، حتى بلغ إلى جبل ثور، ومكث فيه أياماً، لتبدأ المرحلة الثانية من التخطيط الدقيق بعدما قام كل من عبدالله بن أبي بكر، وعامر بن فهيرة، وأسماء بنت أبي بكر، بدورهم.



ما بالك باثنين الله ثالثهما؟

بعد أن اقتحمت قريش بيت النبي صلى الله عليه وسلم، واكتشفوا فشل مخططهم زاد غضبهم؛ فاستنفروا الناس لتقصي مكان محمد صلى الله عليه وسلم، وانطلقوا إلى كل حدب وصوب في محاولات يائسة للقبض على رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث كان التخطيط بعدم السير المباشر واللجوء لمكان اختباء حتى ييأس الكفار وتقل حركتهم، وبالفعل كان نشاط الكفار في اليوم الأول كبيراً، لكن مع مرور الأيام ظنوا أنه صلى الله عليه وسلم قد عمى عليهم ونجا منهم، لكن عيونهم كانت متيقظة لما رصدوه من مكافأة.

مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه في الغار ثلاث ليال حتى انقطع عنهم الطلب، فخرجا ومعهما عبدالله ابن أريقط (الدليل)، وعامر بن فهيرة يخدمهما.

فتحت المكافأة شهية بعض المشركين؛ فسلكوا كل السبل للنيل من محمد صلى الله عليه وسلم، حتى فاز بها سراقة بن مالك، ووصل لمكان النبي صلى الله عليه وسلم، فكان التدخل الإلهي في هذه اللحظات بأن غاصت قدما فرسه أكثر من مرة، حتى يئس من النيل منهما؛ وصدق النبي الكريم حينما قال: «يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما» (صحيح البخاري).

التوكل واليقين مع الأخذ بالأسباب:

إن المتأمل لحادثة الهجرة والتخطيط لها يدرك حسن توكل النبي صلى الله عليه وسلم على ربه، ويقينه أن الله حافظه وناصر دينه، وهذا التوكل لا ينافي أو يتعارض مع الأخذ بالأسباب، فقد شاء الله تعالى أن تكون الهجرة النبوية بأسباب عادية من التخفي والصحبة والزاد والناقة والدليل، ولكن لا يعني دقة الأخذ بالأسباب حصول النتيجة دائماً؛ لأن هذا أمر يتعلق بأمر الله ومشيئته، ومن هنا كان التوكل واليقين والاستعانة بالله، لتقتدي به أمته في التوكل على الله، والأخذ بالأسباب وإعداد العدة.

يقول د. علي الصلابي: إنَّ من تأمَّل حادثة الهجرة، ورأى دقَّة التَّخطيط فيها، ودقَّة الأخذ بالأسباب من ابتدائها إلى انتهائها، يدرك أنَّ التَّخطيط المسدَّد بالوحي في حياة النبي صلى الله عليه وسلم كان قائماً، وأنَّ التَّخطيط جزءٌ من السُّنَّة النَّبويَّة، وهو جزءٌ من التَّكليف الإلهي في كل ما طولب به المسلم، وأنَّ الذين يميلون إلى العفوية؛ بحجة أنَّ التخطيط، وإحكام الأمور ليسا من السُّنَّة؛ أمثال هؤلاء مخطئون، ويجنون على أنفسهم، وعلى المسلمين.

لقد كانت الهجرة النبوية الشريفة من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة انطلاقة لبناء دولة الإسلام، وإعزازاً لدين الله تعالى، وفاتحة خير ونصر وبركة على الإسلام والمسلمين، ولذا؛ فإن دروس الهجرة الشريفة مستمرة لا تنتهي ولا ينقطع أثرها، وتتوارثها الأجيال جيلاً بعد جيل.■

عبده دسوقي

إعداد - عبده دسوقي:
باحث في التاريخ الحديث

الرجال في كل عصر لهم علامات وآثار، والمخلصون منهم يتركون أثراً واضحاً في عموم الناس، ويسير حبُهم في الوجدان، فالرجل الصالح يترك أثراً صالحاً أينما حل، والمؤمن كالغيث أينما حل نفع.
ولقد رحل في سبتمبر العديد من المصلحين والدعاة الذين نشير إلى سِيَر بعضهم في السطور التالية:

مصلحون رحلوا في سبتمبر..

النفيسي وعاكف والخطيب وعبدالكريم

يوسف النفيسي.. أول رئيس لـ«الإصلاح» بالكويت

سعى في رئاسته لـ«الإصلاح» لغرس القيم وتحقيق الأهداف النبيلة ومنع المنكرات



كثيراً ما تجود الحركات الإسلامية برجال صنعوا تاريخ هذه الأمة، ومنهم العم يوسف عبدالله النفيسي الذي ساهم بمعاونة رجال مخلصين في بناء أركان دولة الكويت.

ولد يوسف عبدالله النفيسي في منطقة القبلة بالعاصمة الكويت عام 1321هـ/ 1903م، ويقال: إن عائلة النفيسي نزحت إلى الكويت عام 1892م بعد أن كانت تستوطن منطقة وسط الجزيرة العربية.

كان واحداً من أوائل الطلبة الذين التحقوا بالمدرسة المباركية التي افتتحت في 22 ديسمبر 1911م، قبل أن يعمل بالتجارة حيث اشتهر بالاستقامة والورع وطيب الخلق.

ووقع الاختيار عليه -ضمن عدد من الرجال- في مهمة حصر الكويتيين ومنحهم وثائق الجنسية الكويتية.

وبعد استقلال الكويت عام 1961م، وفي 22 يوليو 1963م أشهرت «جمعية الإصلاح الاجتماعي» وفقاً لأحكام القانون رقم (24 لسنة 1962)، بهدف الحفاظ على الأخلاق والهوية الإسلامية للشعب الكويتي.

وفي 16 المحرم 1383هـ/ 9 يونيو 1963م، عقد أول اجتماع لجمعية الإصلاح، تم فيه انتخاب الهيئة الإدارية للجمعية؛ حيث اختير يوسف النفيسي رئيساً للجمعية، وظل كذلك حتى 21 شعبان 1391هـ/ 21 أكتوبر 1971م، حينما سلم الراية لخليفته العم يوسف الحجي لظروفه الصحية.

سعى العم النفيسي -بالتعاون مع إخوانه في الجمعية- لغرس القيم وتحقيق الأهداف النبيلة في المجتمع الكويتي، وذلك بمنع كثير من المنكرات وإقرار كثير من المعروف، بإنشاء لجان الزكاة وإصدار الكتب ونشرات التوعية الإسلامية، ونشر الفضيلة بين الشباب قولاً وعملاً.

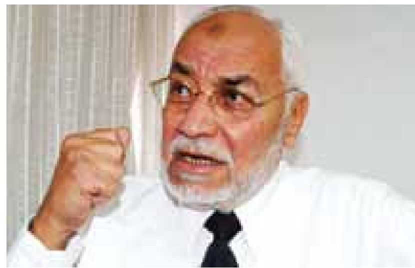
رحل العم يوسف النفيسي بعد رحلة طويلة زخرت بالعمل من أجل وطنه ودينه عن عمر ناهز 91 عاماً في 11 ربيع الآخر 1415هـ/ 17 سبتمبر 1994م.■

محمد مهدي عاكف.. نهر من العطاء

رحل محمد مهدي عاكف يوم 22 سبتمبر 2017م بعد رحلة من العطاء على جميع المستويات، التي تركت نموذجاً فريداً للشباب في العمل والثبات والصبر والاحتساب.

ولد عاكف في مركز أجا بمحافظة الدقهلية بمصر، في 12 يوليو 1928م، ونشأ في بيئة متدينة؛ فقد حرص الأب والأم على غرس معاني المسؤولية والرجولة في نفوس أبنائهما.

سافرت الأسرة للعيش في القاهرة، وتخرج عاكف في كلية التربية الرياضية، وتعرف على الشيخ حسن البنا عام 1940م، وقد برزت مواهبه في العمل وسط جماعة الإخوان المسلمين حتى صار أحد قادتها رغم صغر سنه.



كان قائداً للفدائيين بجامعة إبراهيم باشا أثناء حرب القنال وأول مرشد للإخوان يتخلى عن المنصب طواعية

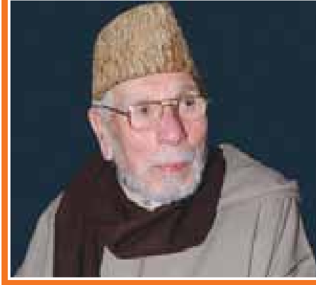
وصار قائداً للفدائيين بجامعة إبراهيم باشا (عين شمس حالياً) أثناء حرب القنال عام 1952م، وهو ما جلب عليه نقمة الأنظمة التي زجت به في السجن ليقضي نحو 20 عاماً من عمره داخل السجون -بعد أن خفف عنه حكم الإعدام- حتى خرج عام 1975م.

انطلق عاكف للعمل في الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ثم رئيساً لمركز ميونخ الإسلامي حيث كانت له بصمات في النهوض به، قبل أن يعود إلى مصر ويصبح عضواً بمكتب الإرشاد للإخوان، وعضواً في البرلمان المصري عام 1987م، ليعود بعدها للسجن مرات ومرات في عهد مبارك.

ووسط تدافع الأحداث، يرحل المستشار مأمون الهضيبي ليختار الإخوان مهدي عاكف ليقود سفينتهم قبل أن يتخلى عنها طواعية عام 2010م، لكنه شارك في الأحداث، وكانت له آراء سديدة إلى أن غُيب في السجون 7 سنوات قبل أن يموت فيها عام 2017م.■

عبدالكريم الخطيب.. بين العمل الإسلامي والسياسي

كان من المناضلين ضد المحتل الفرنسي وساهم في تأسيس قيادة جيش التحرير والحركة الشعبية الدستورية



ولد الخطيب في 2 مارس 1921م، بمدينة الجديدة جنوب الدار البيضاء بالمغرب، لأسرة مهتمة بالعلم تنحدر من أصول جزائرية بمدينة معسكر.

درس الطب في الجزائر العاصمة، واختير نائباً لرئيس جمعية الطلبة المسلمين لشمال أفريقيا خلال السنة الدراسية 1944 - 1945م، قبل أن يسافر إلى جامعة السوربون بفرنسا ليستكمل دراسة الجراحة والعمل بها قبل أن يعود للمغرب عام 1951م، فكان أول جراح في البلاد، وفتح أول عيادة للجراحة بمدينة الدار البيضاء قدم فيها خدمات للمقاومين ضد الاستعمار.

انتخب عام 1956م مسؤولاً أعلى للمقاومة المسلحة، وعيّنه الملك محمد الخامس وزيراً للعمل والشؤون الاجتماعية عام 1960م، ثم عين وزيراً للصحة، قبل أن يصبح رئيس أول برلمان عرفه التاريخ المغربي الحديث (1963 - 7 يونيو 1965م).

كان من المناضلين ضد المحتل الفرنسي، وساهم في تأسيس قيادة جيش التحرير المعروفة بـ«لجنة تطوان»، كما أسس الحركة الشعبية الدستورية الديمقراطية، في فبراير 1967م، وقد اختير وزيراً عام 1972م، ثم نائباً في البرلمان عام 1977م.

بعد هروب توفيق الشاوي إبان عهد عبدالناصر، توثقت الصلة بين الخطيب، والشاوي، وأسس للعمل الإسلامي بالمغرب، وفي بداية التسعينيات فتح الأبواب لأبناء الحركة الإسلامية من حركة «الإصلاح والتجديد»، و«رابطة المستقبل الإسلامي» للعمل الحزبي السياسي، حيث اختير أميناً عاماً للحزب عام 1996م، وفاز في انتخابات عام 1997م بـ9 مقاعد، وفي عام 1998م تغير اسم الحزب إلى العدالة والتنمية، ويصبح سعد الدين العثماني أميناً عاماً عام 2004م في حين أصبح الخطيب الرئيس المؤسس للحزب.

كان للخطيب صوت عال في قضايا أفغانستان والبوسنة والهرسك، وزار مخيمات اللاجئين الأفغان في بيشاور وباكستان، وظل يعيش لدينه ووطنه حتى توفاه الله عن عمر ناهز 87 عاماً، يوم 26 رمضان 1429م/ 27 سبتمبر 2008م.■

المصادر

1 - مجلة المجتمع: العدد 1118، الموافق 21 ربيع الآخر 1415هـ، 27 سبتمبر 1994م، ص 10، والعدد التالي 1119 ص 6، 7.

2 - مهدي عاكف: إخوان ويكي، https://bit.ly/3h4gRxT

3 - د. عبدالكريم الخطيب: موقع إخوان ويكي، https://bit.ly/2Dy5RKm

4 - محمد يسري مرشد: حكايات على هامش الجونة، الثلاثاء 24 أبريل 2018م، https://bit.ly/39kP6x9، وحسن المستكاوي: النادي الأهلي، ط1، دار الشروق، القاهرة، 2017م.

محمود عبدالكريم.. وعالمية الإسكواش

ربما لم يسمع الكثيرون عن محمود عبدالكريم، رغم أنه كان أحد الرياضيين أصحاب الأخلاق العالية والقيم النبيلة.

في حي إمبابة بمحافظة الجيزة بمصر، ولد محمود عبدالكريم، في يونيو 1912م، بأسرة فقيرة؛ وهو ما دفعه للعمل صغيراً في النوادي الإنجليزية، خاصة نادي الجزيرة (الأهلي حالياً)؛ حيث لفتت نظره لعبة الإسكواش التي أدخلها الإنجليز لمصر حينها.

كانت مهمة محمود هي جمع الكرات للاعبين، وفي يوم أعطاه أحد الضباط الإنجليز مضرب إسكواش كان مكسوراً وخيوطه ممزقة، لكنه فرح به، وأثناء عودته لمنزله، شاهد أحد اللاعبين الإنجليز يلعب وحده، فنادى عليه أن يلعب معه، وشرح له قواعد اللعبة وفنونها، وانتهت المباراة بهزيمة محمود وهو ما ترك في نفسه أثراً، كيف لمحتل أن يهزمه حتى ولو كانت هذه أول مرة يمسك فيها بالمضرب؟! ومن ثم أخذ عهداً على نفسه بالتدريب لهزيمة الإنجليزي، إلا أن الحلم كبر ليتحدى النجم الإنجليزي الأسطورة «جيم دير» (Jim Dear)، وتوسط بعض الوجهاء لدى سفير مصر بإنجلترا عبدالفتاح عمرو باشا -الذي كان بطلاً عالمياً للإسكواش أيضاً- كي يتقدم بطلب التحدي للاتحاد الإنجليزي للإسكواش وقد كان.

أقيمت المباراة على ملعب نادي لانسداون بلندن، حيث هزم عبدالكريم الإنجليزي «جيم دير» في هذه المباراة، وتوج بطلاً للعالم عام 1947م، ثم استمر 4 أعوام متتالية حتى عام 1951م بطلاً للعالم في لعبة الإسكواش، قبل أن يعتزل ويتجه للتدريب عام 1952م، وينتقل للعيش والتدريب في مونتريال بكندا، وظل بها حتى عاد لمصر عام 1984م وأصبح مدير الإسكواش بنادي «الجزيرة».

لقد كانت كلمات عبدالكريم الذي



بدأ جامعاً لكُرات لاعبي الإسكواش الإنجليز حتى صار بطلاً للعالم فيها لمدة 4 أعوام متتالية

لخص بها تفوقه وبلوغه العالمية حينما قال: «الأخلاق يا بني هي التي تدفع بالإنسان للأمام» ملخصاً لحياة هذه الشخصية.

ظل عبدالكريم محافظاً على مبدئه في حسن الخلق حتى توفاه الله يوم 9 سبتمبر 1999م، عن عمر ناهز 87 عاماً ودفن بالقاهرة.■

مقـال



د. علي الصلابي
كاتب إسلامي ليبي

تمكين الله تعالى للإنسان في الأرض وربط الحياة به سبحانه

إن الله خالق الأرض وخالق الناس هو الذي مكّن لهذا الجنس البشري في الأرض، وهو الذي أودع الأرض هذه الخصائص والموافقات الكثيرة التي تسمح بحياة هذا الجنس وتقوته، وتعينه بما فيها من أسباب الرزق والمعايش، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ﴾ (الأعراف: 10).

هو الذي جعلها مقراً صالحاً لنشأته بجوها وتركيبها وحجمها وبُعدها عن الشمس والقمر، ودورتها حول الشمس، وميلها إلى محورها، وسرعة دورتها، إلى آخر هذه الموافقات التي تسمح بحياة هذا الجنس البشري عليها، وهو الذي أودع هذه الأرض من الأقوات والأرزاق ومن القوى والطاقات ما يسمح بنشأة هذا الجنس وحياته، وبنمو هذه الحياة ورقيها معاً، وهو الذي جعل هذا الجنس سيد مخلوقات هذه الأرض قادراً على تطويعها واستخدامها بما أودعه الله من خصائص واستعدادات للتعرف على بعض نواميس هذا الكون وتسخيرها في حاجته.

ولولا تمكين الله للإنسان في الأرض بهذا وذاك، لما استطاع هذا المخلوق الضعيف القوي أن يقهر الطبيعة، كما يعبر أهل الجاهلية قديماً وحديثاً، ولا كان بقوته الذاتية قادراً على مواجهة القوى الكونية الهائلة الساحقة.

إن التصورات الجاهلية الإغريقية والرومانية هي التي تطبع تصورات الجاهلية، وهي التي تصور الكون عدواً للإنسان، وتصور القوى الكونية مضادة لوجوده وحركته، وتصور الإنسان في معركة مع هذه القوى -بجهده وحده- وتصور كل تعرّف إلى النواميس الكونية وكل تسخير لها -قهراً للطبيعة- في المعركة بينها وبين الجنس الإنساني.

إنها تصورات سخيفة، فوق أنها تصورات خبيثة، لو كانت النواميس الكونية مضادة للإنسان، عدوة له وتتربص به وتعاكس اتجاهه، وليس وراءها إدارة مدبرة كما يزعمون، لما نشأ هذا الإنسان أصلاً، وإلا فكيف ينشأ في كون معاد بلا إدارة وراءه؟ ولما استطاع المضي في الحياة على فَرض أنه وُجد، وإلا فكيف يمضي والقوى الكونية الهائلة تعاكس اتجاهه؟ وهي بزعمهم التي تتصرف بنفسها ولا سلطان وراء سلطانها؟

التصور الإسلامي

إن التصور الإسلامي وحده هو الذي يمضي وراء هذه الجزئيات ليربطها كلها بأصل شامل متناسق، وإن الله هو الذي خلق الكون، وقد اقتضت مشيئته وحكمته أن يجعل طبيعة هذا الكون بحيث تسمح بنشأة هذا الإنسان، وأودع الإنسان من الاستعدادات ما يسمح له بالتعرف إلى بعض نواميس الكون واستخدامها في حاجته.

وهذا التناسق الملحوظ هو الجدير بصنعة الله الذي أحسن كل شيء خلقه، ولم يجعل خلائقه متعاكسة متعادية متدابرة.

وفي ظل هذا التصور يعيش الإنسان في كون مأنوس صديق، وفي رعاية قوة حكيمة مدبرة، يعيش مطمئن القلب، مشروح النفس، ثابت الخطو، ينهض بأمور عمارة وخلافة الأرض في اطمئنان الواثق بأنه مُعان على الخلافة، ويتعامل مع الكون بروح المودة والصداقة، ويشكر الله كلما اهتدى إلى سرٍّ من أسرار الوجود، وكلما تعرف إلى قانون من قوانينه التي تعينه في خلافة الأرض، وتُيسر له قدراً جديداً من الرقي والراحة والمتاع.

إن هذا التصور لا يكفه عن الحركة لاستطلاع أسرار الوجود والتعرف إلى نواميسه، على العكس، هو يشجعه ويملأ قلبه ثقة وطمأنينة، إنه يتحرك في مواجهة كون صديق لا يبخل عليه بأسراره ولا يمنع عنه مدده وعونه وليس في مواجهة كون عدو يتربص به ويعاكس اتجاهاته ويسحق أحلامه، بل هذا الكون وهذه الأرض مسخرة عند الله عز وجل للإنسان.

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: 29)، وقال تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً﴾ (البقرة: 22)، ومن الآيات التي تدل على تسخير الكون للإنسان قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً﴾ (طه: 53)، وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَاراً﴾ (غافر: 64).

ابن الكون

إن الإنسان هو ابن هذه الأرض، وهو ابن هذا الكون، لقد أنشأه الله في هذه الأرض ومكّنه فيها، وجعل له فيها أرزاقاً ومعايش،

التصورات الجاهلية الإغريقية والرومانية هي التي تصور الكون عدواً للإنسان والقوى الكونية مضادة لوجوده

الله أودع الإنسان من الاستعدادات ما يسمح له بالتعرف إلى بعض نواميس الكون واستخدامها في حاجته



ويسّر له المعرفة التي تسلمه مفاتيحها، وخلق نواميس موافقة لوجود هذا الإنسان تساعده حتى يتعرف إليها على بصيرة وتُيسّر له حياته.

إن الله يُريد من الإنسان أن يدرس حياته دائماً بما تشتمل عليه من إمكانات القوة ومواطن النعمة، فيربطها بالله المصدر لكل قوة ونعمة، ليدفعه ذلك إلى الشعور بالمسؤولية أمامه فيما يستخدم فيه القوة أو يستعمل فيه النعمة، وذلك هو مفهوم الشكر العملي، المفهوم الذي يريد الله من الإنسان أن يجعله الطابع العام لحركة حياته، والسّمة البارزة لشخصيته، وذلك بأن يحوّل كل ما أعطاه الله إلى السبيل الذي يتحرّك فيه أمر الله ونهيه، لأنه لا يملك ذلك كله، فلا حرية له أن يتصرف فيه تبعاً لمزاجه وهواه، بل يعتبر ذلك منه تمرُّداً على الله وضاداً لحالة الشكر له، ولن يتحقق ذلك إلا بالوعي الدائم لارتباط الوجود الإنساني في عناصره وخصائصه بالله، والابتعاد عن الانغلاق الفكري والروحي داخل الذات الذي يوحي إليه بالإمكانات الذاتية التي يستمدها من وجوده بعيداً عن الله.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الأَرْضِ﴾؛ فيما أودعه من عناصر القوّة في الإنسان وما سخرّه له من مخلوقاته.

وقال سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ﴾؛ فيما تأكلون وتشربون وتلبسون وتستمعون، لتشكروا الله على ذلك وتنطلقوا به في طريق طاعته.

الإنسان هو ابن هذه الأرض أنشأه الله فيها ومكّنه وجعل له أرزاقاً ومعايش

الشكر وعي وإيمان لتعرف أن الله لم يخلقك عبثاً ولم يتركك بدون نظام

وقال تعالى: ﴿قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ﴾؛ تلك هي النتيجة الطبيعية للغفلة عن معنى الحياة المسؤولة في صلتها بالله؛ لأن قضية الشكر هي قضية وعي وانفتاح وإيمان، لتعرف أن الله لم يخلقك عبثاً، ولم يخلق الحياة بدون هدف، ولم يترك الإنسان بدون نظام.

والشكر هو صرف العبد كل ما أنعم الله به عليه إلى ما خلق لأجله، من نعمه ظاهرة باطنة في النفس والمال، فيصرف ذلك كله إلى عبادة ربه بما يليق بكل جارحة على الوجه الأكمل، وإذا ما فعل ذلك كان قد أظهر نعم الله عليه وأدى واجب شكرها.

ويعتبر الشكر من أجلّ الأخلاق السلوكية الإيمانية التي على المؤمن أن يتحلى بها في كل أحواله؛ لما فيه من الاعتراف بالنعم لمسديها.

ولقد كانت عناية القرآن الكريم بهذا الخلق عظيمة كعظم مكانته في الأخلاق، فقد ورد ذكره في نحو من سبعين آية أمراً به، وحثاً عليه، وثناء على أهله ووعداً لهم بحسن جزائه، ونهياً عن ضده مما يدل على أمر هذا الخلق عظيم الشأن، ومن الأوامر القرآنية للتحلي به كثيرة منها قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ﴾ (البقرة: 152)، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُواْ لِلّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (البقرة: 172)، وقوله تعالى: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ حَلالاً طَيِّباً وَاشْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (النحل: 114).

فإن كانت عبادتكم خالصة له سبحانه حقاً فعليكم أن تشكروا نعمه، فإن العبادة تستلزم الشكر، بل هو من ضروب العبادة وأنواعها، ويأتي الحديث مفصلاً عن هذا الخلق في محله بإذن الله تعالى.

لقد أعطانا الله عز وجل أدوات التمكين، وسخر لنا كونه وأرضه، وجعل لنا فيها المعايش التي تستحق شكره ليلاً ونهاراً، سراً وعلناً، قولاً واعتقاداً وعملاً.

المراجع

1 – علي محمد محمد الصلابي، مسودة كتاب قصة بدء الخلق وخلق آدم عليه السلام، ص 608 – 603.

2 – في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط17، 1412هـ، ص 1263/3.

3 – تفسير من وحي القرآن، محمد حسنين فضل الله، دار الملوك، بيروت، ط3، 1439هـ/ 2018م، ص 30/7.

4 – أخلاق النبي في القرآن والسُّنة، أحمد عبدالعزيز الحداد، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1419هـ/ 1999م، ص 185/1، 186.

5 – مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن القيم، تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1996م، ص 249/2.

مقال

وللقلوب أعمال

لذة العبادة والطمأنينة فيها لا تكون إلا بتحقيق أعمال القلوب أثناء القيام بتلك العبادات

أمراض القلوب هي التي تحرف المنافقين عن الحق وتمنعهم من إعلان موقفهم الحقيقي



د. أحمد عيسى



منعنا الفيروس أن نلتقي بأحبابنا ونصل أرحامنا بالسفر إليهم، ومنعنا أن نصلي في المساجد جماعة وقتاً طويلاً، فنتفقد أحوال المصلين ومن تجمعنا بهم روابط الأخوة ورياض الصالحين.

منعنا الفيروس أن نوصل صدقاتنا وزكواتنا إلى مستحقيها في وقتها.

منعنا الفيروس أن نحج أو نعتمر ونشهد المناسك والمنافع وجماعة المسلمين.

لقد منع أجسادنا، لكنه لم يمنع قلوبنا من عملها.

إن أعمال القلوب آكد وأهم من أعمال الجوارح، فهي تميز المؤمن عن المنافق، وتفاضل بين المؤمنين بعضهم بعضاً بما في قلب كل منهم من أعمال، يقول ابن القيم: «إن لله على العبد عبوديتين؛ عبودية باطنة، وعبودية ظاهرة، فله على قلبه عبودية وعلى لسانه وجوارحه عبودية، فقيامه بصورة العبودية الظاهرة مع تعريه عن حقيقة العبودية الباطنة مما لا يقربه إلى ربه، ولا يوجب له الثواب، وقبول عمله؛ فإن المقصود امتحان القلوب وابتلاء السرائر، فعمل القلب هو روح العبودية ولبها، فإذا خلا عمل الجوارح منه كان كالجسد الموات بلا روح» (بدائع الفوائد، ابن القيم 3/ 162 – 163).

لو حاولنا أن نعدد بعض أعمال القلوب لوجدناها كثيرة العدد وعظيمة القدر؛ أولها الإيمان الذي محله القلب، كما في قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾ (المائدة: 41)، وكما في قوله عز وجل: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ (الحجرات: 14).

ومن أعمال وعبادات القلب: المحبة، والتوكل على الله، والإنابة إليه، والخوف منه، والرجاء فيه، والرهبة، والرغبة، وإخلاص الدين له، والصبر على أوامره وعن نواهيه وعلى أقداره، والرضا به وعنه، والموالاة فيه والمعاداة فيه، والذل له والخضوع والخشوع والإخبات إليه، والطمأنينة به.

ومن أعمال القلوب أيضاً: الصدق، واليقين، والإيمان، والتفكر، والتدبر، والمراقبة، والورع، والشكر، والتوبة، والإنابة، والتقوى؛ التي أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن محلها في القلوب، فقال: «لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخواناً، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله، ولا يحقره، التقوى هاهنا»،

ويشير إلى صدره ثلاث مرات. (رواه مسلم).

الشجرة الطيبة

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (24) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ (إبراهيم)، فالأصل والجذر الثابت هو الإيمان، والأكل والثمر هو الطاعات، والشجرة كلما قوي أصلها (بالأعمال القلبية) قويت فروعها (أعمال الجوارح)، وأيضاً كلما قويت فروعها ثبت أصلها.

«عن ابن عباس في قوله: ﴿مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ شهادة أن لا إله إلا الله، (كشجرة طيبة) وهو المؤمن، ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ يقول: لا إله إلا الله ثابت في قلب المؤمن، ﴿وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ يقول: يرفع بها عمل المؤمن إلى السماء» (تفسير ابن كثير).

من الآيات في هذا قول الله عز وجل: ﴿لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى منكُمْ﴾ (الحج: 37)، ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ (الأنفال: 2)، وقوله: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد: 28)، وقوله: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ (الحديد: 16)، وقوله عز وجل: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ (الزمر: 23)، وقوله عز وجل: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (88) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (الشعراء)، فالقلب السليم أي السالم من الشرك ومن النفاق ومن البدعة هو أساس النجاة.

ويقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾ (الفتح: 18)؛ يعني بيعة أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بالحديبية، وقوله: ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ يقول تعالى ذكره: فعلم ربك يا محمد ما في قلوب المؤمنين من أصحابك إذ يبايعونك تحت الشجرة، من صدق النية، والوفاء بما يبايعونك عليه، والصبر معك ﴿فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾ يقول: فأنزل الطمأنينة والثبات على ما هم عليه من دينهم وحُسن بصيرتهم بالحقّ الذي هداهم الله له. (تفسير الطبري).

ولقد كان قلب النبي صلى الله عليه وسلم خير قلوب العباد، ومن بعده صحابته الكرام، قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: «إن الله نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد صلى الله عليه وسلم خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه، فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه، يقاتلون على دينه، فما رأى المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما رأوا سيئاً فهو عند الله سيئ» (رواه أحمد).

وهو صلى الله عليه وسلم الذي قال: «إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم» (رواه مسلم)، وقال: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب» (رواه البخاري).

إن لذة العبادة والطمأنينة فيها والأنس بها وقرة العين وراحة النفس وانشراح الصدر لا تكون إلا بتحقيق أعمال القلوب أثناء القيام بتلك العبادات، فشهادة في صدق، وصلاة في خشوع، وزكاة في حب، وصوم في تقوى، وحج في رجاء.

كما أن العكس صحيح، فيكون للعبادات الصحيحة أثر رائع على القلب؛ فتغرس الصلاة محبة الله وتعظيمه في القلب، أما الصيام فيأخذ بالقلوب إلى التقوى والصبر والصفح والعفو، أما الحج فيربي القلوب على التآلف والتعارف والوحدة ويطهرها من النزاع والمعصية والتفرق، وتطهر الزكاة النفس من الشح والغل والحقد، وتزرع فيها المحبة والمودة والتراحم، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «وَأَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ» (جزء من حديث رواه مسلم).

معاصي القلوب

وفي المقابل، فإن أشد المعاصي خطراً هي معاصي القلوب؛ مثل الكبر، والغرور، وإعجاب المرء بنفسه، والشح، واليأس من روح الله، واتباع الهوى، وحب الدنيا والمال والجاه، والرياء، والحسد، الفرق بين معصية آدم عليه السلام ومعصية إبليس أن معصية آدم كانت معصية عملها بجوارحه، حين أكل من الشجرة، ومعصية إبليس كانت معصية قلب، حين أبى واستكبر، وكان من الكافرين، معصية آدم كانت زلة عارضة، نتيجة النسيان وضعف الإرادة، فتذكر وتاب، أما معصية إبليس فكانت متمكنة من قلبه، ساكنة في أعماقه.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه» (رواه البزار، والطبراني، وحسنه الألباني)، وهذه الثلاث هي عوامل الهلاك في الدنيا والخسران في الآخرة؛ لأنها أخلاق تميت القلب، وتضعف الإيمان، وتزرع النفاق والرياء، وتؤجج نيران الحقد والعداوة والبغضاء، وتسبب للمجتمع الشقاء الدائم، والفتن الماحقة، وتؤدي إلى سفك الدماء، وقطع وشائج الأرحام، واستحلال المحارم والآثام.

وعلى الطريق المناقض، فهناك المنافقون الذين قال الله فيهم: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (المنافقون: 4)؛ أي إذا رأيت هؤلاء المنافقين يا محمد تعجبك أجسامهم لاستواء خلقها وحسن صورها، ﴿وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ يقول جلّ ثناؤه: وإن يتكلموا تسمع كلامهم يشبه منطقهم منطق الناس، ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾ يقول: كأن هؤلاء المنافقين خُشُب مسنَّدة لا خير عندهم ولا فقه لهم ولا علم، وإنما هم صور بلا أحلام، وأشباح بلا عقول. (تفسير الطبري).

وهم جبناء أن يعلنوا موقفهم الحقيقيّ لأهل الإيمان والمجتمع، فلا يعلنون إيماناً صريحاً، ولا إنكاراً للحق واضحاً، وسبب ذلك كله هي قلوبهم وما تمكن فيها من مرض يحرفها عن طريق الإيمان؛ ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ (البقرة: 10).

فاللهم لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، واللهم آت نفوسنا تقواها، وزكّها أنت خير من زكاها، اللهم يا مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك، يا مقلب القوب ثبت قلوبنا على دينك.■

مقـال

الأفكار المقبورة



محمد فتحي النادي

في دورة الحياة يأتي على الناس عصور تسود فيها فكرة من الأفكار ورأي من الآراء، ويكون هناك من العلماء والساسة وعِلية القوم وعامتهم من يؤمن بها ويعتنقها.

لا يرون فيها عيباً ولا بأساً، ويرون فيها الكمال، ويحاولون فرضها على الناس فرضاً، ويجعلونها منهج حياة.

والتاريخ مليء بالكثير من الأمثلة على أفكار وآراء سادت وحكمت فترة من الزمن طالت أم قصرت، ثم ما لبث أن تجاوزها الناس إلى غيرها من الأفكار والآراء، ثم طواها التاريخ، وصارت أثراً بعد عين.

ومثال على ذلك منهج المعتزلة الذي اقتنع به خلفاء كبار من بني العباس كالمأمون، والمعتصم، والواثق، الذين امتحنوا الأمة كلها سنوات عديدة ليجبروها على اتباع ما آمنوا به في مسألة خلق القرآن؛ فقد كتب المأمون إلى نائبه على العراق إسحاق بن إبراهيم الخزاعي كتاباً يمتحن العلماء، يقول فيه: «وقد عرفنا أن الجمهور الأعظم والسواد من حشو الرعية وسفلة العامة، ممن لا نظر لهم ولا روية، أهل جهالة وعمى عن أن يعرفوا الله كنه معرفته، ويقدروه حق قدره، ويفرقوا بينه وبين خلقه، فساووا بين الله وبين خلقه، وأطبقوا على أن القرآن قديم، لم يخترعه الله.

فمال قوم من أهل السمت الكاذب والتخشُّع لغير الله إلى موافقتهم، فرأى أمير المؤمنين أنهم شر الأمة ولعمر أمير المؤمنين، إن أكذب الناس من كذب على الله ووحيه، ولم يعرف الله حق معرفته.

فاجمع القضاة، وامتحنهم، فيما يقولون، وأعلمهم أني غير مستعين في عمل، ولا واثق بمن لا يوثق بدينه، فإن وافقوا فمرهم بنص من بحضرتهم من الشهود، ومسألتهم عن علمهم في القرآن، ورد شهادة من لم يقر أنه مخلوق.

وكتب المأمون أيضاً في أشخاص سبعة: محمد بن سعد، وابن معين، وأبي خيثمة، وأبي مسلم المستملي، وإسماعيل بن داود، وأحمد الدورقي، فامتحنوا فأجابوا.

قال ابن معين: جَبُنا خوفاً من السيف»[1].

ثم دار الزمان دورته، وذهبت الفكرة والفتنة، وما عاد يعرفها أحد إلا من يدرسها بقاعات الدرس في تاريخ الفرق والمذاهب.

ونسي التاريخ رؤوس الفتنة أو حط من شأنهم، وأعلى من قيمة من ثبت في الفتنة؛ فأصبح القاضي ابن أبي دؤاد في مزبلة التاريخ، والإمام أحمد بن حنبل إمام أهل السُّنة.

وأصبح كثير من أفكارهم كنفي الشفاعة، وإنكار عذاب القبر، والحكم بخلود مرتكب الكبيرة في النار من الأفكار المقبورة.

واستقرت العقائد في غالب الأمة على إثبات الشفاعة، وعذاب القبر في الحياة البرزخية، وعدم خلود العاصي في النار.

وتظل هذه الأفكار المقبورة حبيسة ومدفونة في كتب أصحابها الذين عرضوا تلك الأفكار وشرحوها وجادلوا عنها، أو في كتب مخالفيهم الذين ردوا عليهم وفندوا آراءهم وأفكارهم.

لكن يأتي البعض وينبش في تلك الأفكار، ويحاول بعثها من جديد، وقد ينجح ويثير بلبلة، وقد يفشل فتظل كما هي مقبورة.

فمذهب اللذة والمتعة كان ينادي به «أبيقور» اليوناني قبل الميلاد، ثم ظهر من جديد في الغرب في القرن الثامن عشر الميلادي على يد الفيلسوفين الإنجليزيين «جيرمي بنتام»، و«جون ستيوارت ميل».

وهذا المذهب مذهب غير أخلاقي فلسفي «يرى أن اللذة هي الشيء الخيِّر الوحيد في الوجود، واللذة إما أن تكون جسمية وإما أن تكون عقلية، وإذا كانت آلام العقل أقسى من آلام البدن، فإن الإنسان يجب أن يحيا حياة فاضلة حتى يستشعر اللذة؛ لأن رجحان كفة اللذة التي هي مبعث السعادة، يعني صيرورة حياة الإنسان مصدراً للمزيد من اللذة»[2].

بين ابن تيمية وميكافيللي

وعلى الجانب الآخر، هناك أفكار في أول نشأتها وظهورها لا يراد لها الذيوع والانتشار، ويتم محاربتها بشتى الوسائل، بدءاً من محاربة صاحبها وأتباعه، إلى حرق كتبها ومنعها من النشر.

فهذه أفكار وآراء يراد لها أن تكون أفكاراً مقبورة.

التاريخ مليء بالكثير من الأمثلة لأفكار سادت فترة من الزمن ثم طويت وصارت أثراً بعد عين

خلفاء كبار من بني العباس تبنوا منهج المعتزلة وأجبروا الناس على اتباعه ثم دار الزمان وذهبت فكرتهم

لكنها بعد فترة ورغم الحصار والمحاربة والتنكيل لا تعدم من يقبلها ويؤمن بها ويعمل على نشرها في الآفاق.

وأشهر مثالين في وجهة نظري أفكار شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله الذي تمت محاربته لمخالفته ما كان مستقراً عند الساسة والعلماء من أفكار السادة الأشاعرة رضي الله عنهم.

حتى إنه قد «نُودِيَ بِدِمَشْق: من اعْتقد عقيدة ابْن تَيْمِية حل دَمه وَمَاله خُصُوصاً الْحَنَابِلَة، فَنُودِيَ بذلك، وقرئ المرسوم، وَقَرَأَهَا ابْن الشهَاب مَحْمُود فِي الْجَامِع، ثمَّ جمعُوا الْحَنَابِلَة من الصالحية وَغَيرهَا وأشهدوا على أنفسهم أَنهم على مُعْتَقد الإِمَام الشَّافِعِي»[3].

ومات ابْن تيمية في الحبس، ورغم ذلك خرجت الجموع الغفيرة لتشييعه و«تزايد الجمع إلى أن ضاقت الرحاب والأزقة والأسواق بأهلها ومن فيها، ثم حمل بعد أن صلِّي عليه على الرؤوس والأصابع، وخرج النعش به من باب البريد واشتد الزحام وعلت الأصوات بالبكاء والنحيب والترحم عليه والثناء والدعاء له، وأغلق الناس حوانيتهم ولم يتخلف عن الحضور إلا من هو عاجز عن الحضور»[4].

ثم بعد قرون من موته جاء الشيخ محمد بن عبدالوهاب النجدي وسار على نهجه، واعتنى بكتب ابن تيمية وتلميذه ابن القيم اعتناء بالغاً؛ يقول عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ: «أكب على مطالعة مؤلفات شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، ومؤلفات تلميذه محمد بن قيم الجوزية، فازداد بهما علماً وتحقيقاً وعرفاناً، وقد كتب بخط يده كثيراً من مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية، لا يزال بعضها موجوداً بالمتحف البريطاني بلندن»[5].

ثم بعد أكثر من مائة عام جاء الملك عبدالعزيز آل سعود وأبناؤه من بعده فنشروا كتب ابن تيمية، وأنفقوا الأموال الطائلة على طباعتها، فصارت أفكار ابن تيمية لها سطوة على غيرها من الأفكار.

والمثال الآخر أفكار «ميكافيللي» التي أودعها كتابه «الأمير»، وأشهرها فكرته «الغاية تبرر الوسيلة» التي أصبحت عماد السياسة الغربية والطغاة منذ عصور النهضة، رغم المحاربة الشديدة لها في القرن السادس عشر الميلادي.

وقد «دافع ميكافيللي في كتابه عن نهجه شارحاً بالتفصيل المكثف العميق أساليب سيطرة الحكام على الشعوب؛ حيث استنتج أن على الأمير ألا يعبأ بأن يوصف بالشدة ما دامت هذه الشدة من أجل الحفاظ على مواطنيه وولائهم له؛ فالحريات هنا تعتبر مسألة فردية صغيرة لا مانع من انتهاكها إذا ما أردنا الحفاظ على وحدة وتماسك البلاد؛ فمن يصبح حاكماً لمدينة حرة ولا يدمرها فليتوقع أن تقضي عليه؛ لأنها ستجد دائماً الدافع للتمرد باسم الحرية وباسم أحوالها القديمة.

مكيافيللي لا يتصور الأمير كرجل لديه مسؤوليات كثيرة، بل مسؤوليته الوحيدة هي ضمان استقرار الدولة التي يحكمها فينبغي ألا تكون له غاية أو فكرة سوى الحرب وطرق تنظيمها.

نصح ميكافيللي الأمير بالقضاء على معارضيه واقتلاعهم من الجذور فلا تقوم لهم قائمة أبداً، وبذلك يأمن انتقامهم ويجعلهم درساً عملياً للعامة.



ابن تيمية حورب لمخالفته ما كان مستقراً عند الساسة والعلماء من أفكار الأشاعرة ثم بُعثت أفكاره بعد مئات السنين

«ميكافيللي» نصح الأمير بالقضاء على معارضيه واقتلاعهم من الجذور فلا تقوم لهم قائمة أبداً وبذلك يأمن انتقامهم

المكر بالنسبة لميكافيللي يجب أن يكون أسلوب حياة معجون في كل شيء يفعله الأمير يُشعره بالمتعة عندما يخدع العامة ويُشعره بالمتعة المضاعفة عندما يخدع المخادعين»[6].

والخلاصة:

أن المعتزلة مع أفكارهم دخلوا مقبرة الأفكار.

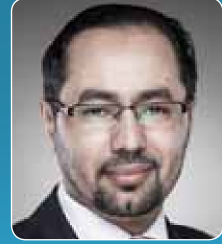
وابن تيمية، وميكافيللي مع أفكارهما خرجوا من مقبرة الأفكار.

وما زالت عجلة الأفكار دائرة.

الهوامش

(1) سير أعلام النبلاء، (10/287-288) باختصار.
(2) الموسوعة الميسرة في الأديان (2/791).
(3) الدرر الكامنة لابن حجر (1/171).
(4) البداية والنهاية لابن كثير، (14/156-157) باختصار.
(5) مشاهير علماء نجد وغيرهم، ص23 باختصار.
(6) مقالة ميكافيللي.. أراد توحيد إيطاليا فأصبح ملهماً للطغاة، لعبدالرحمن السر، https://bit.ly/34LaYT5 باختصار.

مقال



طه سليمان عامر
رئيس هيئة العلماء والدعاة بألمانيا

العنصرية.. كيف عالجها الإسلام وحالها الآن؟

إنها لحظة العصيان والتمرد على الله تعالى يوم أعلن إبليس في صفاقة فضلاً مزعوماً له أنه خير من آدم عليه السلام، وبالتالي فلن ينصاع لأمر الله بالسجود؛ فكانت بذرة العنصرية الأولى في الأرض، ومع تَقلُّب الأزمان والعصور تتجلى تلك النزعة البغيضة في صور متعددة، إلى أن جاء الإسلام والناس مراتب وطبقات لا حسب مؤهلاتهم وقدراتهم وطاقاتهم، بل لأن إنساناً وُلد فقيراً أو أسود فعليه إذاً أن يتجرع مرارة إثم لم يرتكبه، وعاقبة فعل لم يجْنه.

ورحم الله الإمام أبا الحسن الندوي الذي كتب كتابه المشهور «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟»، وذكر فيه مظاهر الطبقية في الحضارات والأمم السابقة إلى أن جاء الإسلام فصرخ في أذن الدنيا أن عودوا إلى فطرتكم واستقيموا.

ناهض الإسلام العنصرية وقدَّم حلولاً ونماذج عملية وخططاً ورؤية للقضاء عليها، ما أحوج العالم الآن للاستفادة منها!

الإسلام بنى خُطته في القضاء على العنصرية من خلال التغيير الفكري والنفسي في نظرة الإنسان للإنسان

الإسلام لم يكتف بالحديث عن المساواة بل وضع تشريعات تصون الكرامة الإنسانية وتحفظ حقوق الضعفاء

وتلكم أهم المحاور التي عمل عليها الإسلام للقضاء على العنصرية، وبناء مجتمع متراحم متعاون متساند.

أولاً: تغيير الفكر وبناء الوعي:

تتكون مشاعر الإنسان ويتحدد سلوكه من خلال تَشَكُّل قناعات معينة وبها يسير ويختار، ومن هنا فقد بنى الإسلام خُطته في القضاء على العنصرية من خلال التغيير الفكري والنفسي في نظرة الإنسان للإنسان:

- ألَحَّ كثيراً على أن الناس جميعاً ينحدرون من أصل واحد، وتكرر النداء في القرآن الكريم: «يا بني آدم»، «يا أيها الناس»، وأول سورة في ترتيب المصحف هي «الفاتحة» التي افتتحت بـ«الحمد لله رب العالمين»، وآخر سورة «قل أعوذ برب الناس».

- تثبيت معنى الأخوة الإنسانية الجامعة، وقد وردت على ألسنة الأنبياء في دعوة أقوامهم، قال تعالى: ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّه مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ أَفَلاَ تَتَّقُونَ﴾ (الأعراف: 65)، وقال تعالى: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّه مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ (هود: 61)، وهكذا دَرَجَ الخطاب النبوي مع الناس، لا فوقية ولا طبقية ولا علو في الأرض.

- التأكيد على أن التفاضل بين الناس في الدنيا لا يكون إلا لما يبذلون من جهد نفسي وخلقي وروحي وعملي يفيد الناس، ولا دخل للجنس أو اللون أو العرق في إنزال الناس منازلهم.

- التعارف مقصد الاختلاف في الخلق كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: 13).

لذلك انفتح المسلمون الأوائل على تراث الأمم السابقة وانتفعوا به وحافظوا عليه، وكانوا الناقل المعرفي الثقافي للتراث اليوناني في العصر الذهبي للخلافة العباسية، وأثناء فترة العطاء الحضاري الواسع للمسلمين في الأندلس، ومن هذه الرؤية احترم المسلمون عند فتح البلاد العادات والتقاليد والتراث الذي هو جزء من تاريخ الأمم؛ فلم يؤْثَر أن قام المسلمون بمحو اللغات واللهجات والعادات كما فعلت بعض الدول الاستعمارية الحديثة في البلاد التي اغتصبتها ونهبت ثرواتها.

ثانياً: إقرار الحقوق وتطبيقها:

لم يكتف الإسلام بالحديث عن المساواة والأخوة الجامعة، بل وضع القوانين والتشريعات التي تصون الكرامة الإنسانية وتحفظ حقوق الضعفاء، فأوجب الزكاة رعاية لحق الفقراء والمساكين وأصحاب الحاجات، ووصى باليتيم حتى لا يشعر بالحرمان والجور، وأكرم منزلة المرأة ورفع شأنها ورد كرامتها، ويوم جاء أرسى خطة لتجفيف منابع الرق، من خلال تغيير النظرة له، وحسن معاملته والانتفاع به ورعاية حقوقه، وفتح الباب أمام التحرير والترغيب فيه وجعل كفارات كثيرة منطلقاً لعتق العبيد، حتى أثر عن ابن عمر أنه كان يعتق العبيد الذين يصلّون؛ فكان أحدهم يتظاهر بالصلاة



حتى ينال حريته، ولما قيل له: إنهم يخدعونك فقال: من خدعنا في الله انخدعنا له.

وقد زوَّج النبي صلى الله عليه وسلم زيد ابن حارثة -ولم يكن ذا نسب- من السيدة زينب بنت جحش سليلة الحسب والنسب، ثم نسبه لنفسه وتبناه ليعلن مرحلة جديدة في معاملة الإنسان، ولم تمنعه عبودية الأمس أن يكون قائد جيش المسلمين في غزوة «مؤتة»، كما لم تمنع حداثة سن ولده أسامة أن يتولى بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قيادة الجيش وفيه كبار الصحابة.

وها هو بلال بن رباح رضي الله عنه يحتل أرفع المنازل في قلوب الصحابة وقلوب الأمة.

وقد فصَّل القول في قضية منهج الإسلام في تحريم الرقيق الأستاذ محمد قطب في كتابه «شبهات حول الإسلام»، فليرجع إليه من شاء.

ثالثاً: حماية حقوق الإنسان:

لا يكفي أن تُعلَن الحقوق، بل يجب أن تكون هناك جهات تقوم على حراستها وتنفيذها ومراقبة أي خروقات ممكنة.

ولعل أقدم دستور ظهر في العالم وهو وثيقة المدينة المنورة التي صنعت مجتمعاً واحداً، الكل فيه سواء، قام على أساس المواطنة، والوحدة في إطار التنوع، وضمنت الوثيقة لغير المسلمين أن يعيشوا بسلام وأمن مع إخوانهم المسلمين.

وحين تعرَّض يهودي لاتهام ظالم بالسرقة نزل القرآن ليعلن براءته ويرفض موالاة الخائنين، قال جلَّ شأنه: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلاَ تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيماً﴾ (النساء: 105).

القرن العشرون لم يسدل الستار إلا على رحلة معاناة واضطهاد حول العالم لأقليات تم سحقها

أحزاب اليمين المتطرف لا يتركون أزمة تمر إلا امتطوا صهوتها بالشحن المعنوي ضد الأجانب عامة والمسلمين خاصة

ورفَضَ كل أشكال التمييز بين الناس، كما بينت سورة «الحجرات»؛ فلا مكان لسخرية أو طعن ولا همز ولا لمز، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (الحجرات: 11).

ويوم سبَّ أبو ذر الغفاري بلالاً وعيَّره بأمه قائلاً: يا ابن السوداء، قال له النبي صلى الله عليه وسلم غاضباً: «ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل».

ثم هو المُعلِن صلى الله عليه وسلم على مشهد من العالَم الدعوة إلى السلام العالمي في حجة الوداع أنَّ الناس كلهم إخوة، وأن ربهم واحد وأباهم واحد؛ فقال صلى الله عليه وسلم: «يا أيها الناس، ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لأعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى» (رواه أحمد، والبيهقي).

أمَّا بعد.. فالعنصرية تتجدد

نعم، عانى العالم ولا يزال يعاني في العصر الحديث من العنصرية، وعلى ضفاف أحد الأنهار في المدينة البريطانية بريستول قام المحتجون بإنزال تمثال تاجر العبيد البريطاني «إدوارد كولستون» وإلقائه في النهر، وسط مظاهرات عالمية حاشدة على إثر مقتل الشاب الأمريكي الذي يعود إلى أصول أفريقية «جورج فلوريد» خنقاً تحت أقدام الشرطة الأمريكية في مشهد وحشي؛ ليذكرنا بحقبة الاستعباد يوم سِيق إلى عمارة الأراضي الجديدة في الأمريكيتين مئات الآلاف من السود دون أدنى حقوق، وبيعوا كما تباع الأنعام.

ولم يسدل القرن العشرون الستار إلا على رحلة معاناة واضطهاد حول العالم لأقليات تم سحقها، فما زال السود في أمريكا يعانون التمييز، وذهبت الملايين في رواندا ضحايا العنف، وقدم نظام الفصل العنصري في جنوب أفريقيا أسوأ نظام للتمييز بين الناس.

والآن يعاني المسلمون في الغرب من ظاهرة الكراهية والاعتداءات المتكررة، ويوم كتابة هذا المقال (يوم فاتح يوليو الماضي) هو الذكرى الحادية عشرة لمقتل د. مروة الشربيني (مصرية) طعناً في قاعة محكمة مدينة دريسدن شرقي ألمانيا على يد متطرف عنصري لتذكرنا بالاضطهاد والاعتداءات المتكررة على المسلمين ومساجدهم وسط ردود فعل سياسية وقانونية وإعلامية دون المستوى المأمول.

لقد سجل مكتب التمييز 1200 حالة اعتداء عنصري في عام 2019م بنسبة زيادة 10% عن العام الذي سبقه؛ ما يعني أن المستقبل سيشهد مزيداً من العنف والكراهية ضد المسلمين ما لم يتم اتخاذ التدابير اللازمة لوقف الاعتداءات وتجفيف منابعها.

وشهد يوم 19 فبراير 2020م حدثاً إرهابياً عنصرياً دامياً، حينما قتل أحد

المتطرفين تسعة من الشباب المسلمين على أحد المقاهي في مدينة هاناو الألمانية.

وقد أحدث صدمة هائلة عند الرأي العام، ووضع ألمانيا أمام تحديات صعبة، كما ألقى بظلال كئيبة وأسئلة مفتوحة عن مستقبل المسلمين في البلاد، وحقوقهم كمواطنين لا يشعرون بالأمان والسلام، ووسط رفض رسمي وشعبي كبير للمذبحة تجلى في مظاهرات شعبية واسعة النطاق على الساحة الألمانية، أعلنت عن رفضها للعنصرية والاعتداء على المسلمين وإدانتها لليمين المتطرف.

مَن يُشعل النار؟

من يطالع الواقع سيرى أن هناك أسباباً وقوى غير خافية وراء هذه العنصرية المتزايدة، منها:

1 - قوى اليمين المتطرف ومن يدور في فلكها:

لا تفتأ أحزاب اليمين المتطرف إحراق المجتمع بدعاوى العنصرية والإعلان عن كراهية المسلمين والأجانب، ولا يدعون أزمة تمر إلا امتطوا صهوتها بالشحن المعنوي ضد الأجانب عامة والمسلمين خاصة، وقد حاز خطابهم على قبول من قطاع بالشارع الألماني تجلى في صناديق الانتخابات، وغدا حزب البديل ثالث قوة في البرلمان الألماني.

وحينما وجدت بعض الأحزاب المعتدلة سابقاً ذلك، قامت هي كذلك بالمزايدة في خطاب الكراهية والشحن طمعاً في كعكة الأصوات، ثم لتذهب المبادئ إلى الجحيم!

2 - بعض الأجهزة الإعلامية:

إذا أردت أن تعرف الانحياز السافر فتتبع تغطية وتحليل وسائل الإعلام لحدث إرهابي يكون المتهم فيه مسلماً، ثم قارن بعد ذلك إن كان الفاعل في حدث آخر غير مسلم.

في مارس 2015م، تحطمت الطائرة الألمانية القادمة من برشلونة إلى دوسلدورف وعلى متنها 150 راكباً فوق جبال الألب لقوا حتفهم فوراً، وأظهرت تحقيقات المدعي العام الفرنسي أن مساعد الطيار (28 عاماً) ألماني الجنسية تعمد تدمير الطائرة.

الشاهد في الأمر أن جميع التصريحات الرسمية الألمانية والفرنسية نفت أن تكون هناك دوافع إرهابية، أو أيديولوجية، وصمت الإعلام ولم يُقلب أوراق الجاني ليقف على دوافعه الإرهابية! ولو كان الفاعل أجنبياً لوجدتَ التقارير الوافية عن أصوله المهاجرة، أو تديُّنه، أو غير ذلك من الدوافع الإرهابية الشيطانية خلف هذا الجنون.

لقد سارعت هيئة حماية الجريمة الألمانية في حادثة هاناو بالقول: إن الحادث لا يحمل بصمات عنصرية؛ الأمر الذي دعا المدعي العام الألماني أن يعلن أنه حادث إرهابي عنصري، وكان تصريح وزير الداخلية في الولاية قريباً منه، وصرَّح رئيس الجمهورية الألماني «شتاين ماير»، والمستشارة «ميركل» بأنه حادث إرهابي.

3 - بعض الأجهزة الأمنية:

ما زالت بعض أجهزة الأمن تتعامل بعنصرية مع المهاجرين ومن ينحدرون من أصول أجنبية، وهناك أجهزة رفيعة المستوى انحرفت عن هدفها وتحيزت لليمين المتطرف، إنه يمارس الشحن العنصري من خلال تقاريره التي يشيطن فيها فئات ومؤسسات من المسلمين، ويتهمهم بالتطرف ومعاداة قيم المجتمع ومناهضة الدستور دون دليل أو بيّنة؛ الأمر الذي يعزز مكانة دعاة الكراهية ويحرم المجتمع من كفاءات وطاقات عظيمة.

لذلك يعتبره كثير من المراقبين شريكاً في حالات الاعتداء على المسلمين، وفي المظاهرات العارمة التي اشتعلت في المدن الألمانية تضامناً مع ضحايا الاعتداء الإرهابي الذي وقع في هاناو سمعتُ كثيراً من المتحدثين والمسؤولين في أحزاب وقوى مجتمع مدني يلقون باللائمة على جهاز المخابرات الداخلية.

بعض أجهزة الأمن تمارس الشحن العنصري من خلال تقارير تشيطن فيها فئات من المسلمين

يجب العناية بالأعمال الفنية والأدبية التي ترسخ معاني الأخوة والتعاون بين الناس جميعاً

كيف نكافح العنصرية؟

إن العنصرية داء خطير على مستقبل الإنسانية كلها، ومن هنا وجب أن تتضافر الجهود الرسمية والشعبية لمناهضة جميع صور العنصرية، من خلال:

1 - سَن وتفعيل القوانين التي تجرّم جميع صور التمييز وتلاحق من يحرض عليها في الوسائل المقروءة أو المسموعة أو المرئية.

2 - تأسيس مراكز تابعة للحكومات لمراقبة أداء الشرطة وأجهزة الأمن.

3 - تأسيس مراكز لرصد انتهاك حقوق الإنسان والتمييز ضده في العمل أو السكن أو غير ذلك.

4 - العناية بالأعمال الفنية والأدبية التي ترسخ معاني الأخوة والتعاون بين الناس جميعاً؛ بالأغنية الهادفة والقصيدة الملهبة والفيلم الجميل نستطيع أن نشيع أرقى المعاني، ونحاصر التيارات التي تزرع الشوك في طريق البشر.

5 - إحياء ذكرى ضحايا العنصرية حول العالم، والاعتذار عن حقبة الاستعمار السابقة للدول التي نهبت ثروات الشعوب، واستعبدت الملايين منهم، وطي هذه الصفحة الحزينة.

6 - إبراز الفترات التاريخية المهمة التي عمَّ فيها السلام والتعاون بين الشرق والغرب، والعناية بالمؤلفات في هذا الشأن.■







مسلمو الكاميرون.. حرية دينية وضعف سياسي

أشرف عيد

تقع الكاميرون في منطقة وسط غرب أفريقيا بين جمهورية أفريقيا الوسطى ونيجيريا، وعاصمتها «ياواندي»، ويبلغ عدد سكانها 24 مليوناً، ولغتهم هي الفرنسية والإنجليزية، بالإضافة إلى لهجات أخرى، ولا توجد إحصائية دقيقة بعدد المسلمين في البلاد، ويقدر عددهم بـ7 ملايين بنسبة 30% تقريباً من السكان.

وتنتشر القبائل المسلمة على الجانب الأيمن من نهر «ساناجا»، وفي هضبة «أداماوا»، وفي حوض «بنوي»، وفي القسم الشمالي من البلاد في حوض بحيرة «تشاد»، وفي جبال «ماندرا»، وهضبة «النولوب باموم»، كما يتواجد المسلمون في معظم المدن الجنوبية بالكاميرون.

ومن أهم القبائل المسلمة في الكاميرون: الفولاني، الباموم، التيكار، الماندرا، الشاوية العرب، وقبائل الكيردي، وينتمى كثير منهم للمذهب المالكي.

أولاً: حقوق المسلمين في المجتمع:

يتمتع المسلمون بحريتهم الدينية التي كفلها الدستور دون تمييز؛ فحق الاعتقاد مكفولٌ للجميع؛ حيث يوجد بالكاميرون أكثر من ألف مسجد، وتنتشر المساجد في جميع المدن والقرى، فقلّ أن تجد مدينة أو قرية تحتوي على عدد من المسلمين إلا وتجد فيها مسجداً أو مصلى أو أثراً إسلامياً، ولا تمنع الدولة بناء المساجد بالتبرعات، وتسمح برفع الأذان وإقامة الصلاة في الخلاء كصلاة العيد، واتخذت الدولة الأعياد الإسلامية عطلة رسمية للبلاد، ويحضر حاكم كل منطقة صلاة العيد –نيابة عن رئيس الدولة– لتهنئة المسلمين، وتوجد للمسلمين 50 مدرسة ابتدائية، و5 مدارس إعدادية (فرنسية وعربية) تهتم بتعليم الإسلام ونشر الثقافة الإسلامية.

وتسمح لرموز المسلمين بالظهور في وسائل الإعلام المختلفة، وتقديم بعض البرامج الدينية، مثل «البرنامج الإسلامي» في إذاعة الكاميرون الرسمية، لكن تأثير المسلمين في صنع القرار السياسي ضعيف، لا يتناسب مع نسبتهم؛ بسبب عدم توحدهم في أحزاب ليكون لهم وزن في المعترك السياسي، وبالرغم من ذلك، فإنهم يشاركون في بعض المناصب الإدارية في الدولة.

ثانياً: الهيئات الإسلامية:

يوجد بالكاميرون لجان وهيئات تشرف على شؤون المسلمين، منها: «المجلس الوطني الإسلامي»، و«لجنة ترجمة القرآن الكريم»، و«الجمعية الثقافية»، و«جمعية الكاميرون الإسلامية» التي تأسست عام 1963م.

لكن روابط الصلة بين الكاميرون والعالم الإسلامي ضعيفة، تقتصر على بعض المنح التي تقدِّمها جامعات إسلامية للطلاب الكاميرونيين الذين يجيدون اللغة العربية ويحفظون أجزاء من القرآن الكريم للدراسة في جامعة الأزهر بمصر، والجامعة الإسلامية بالسعودية.

> **المساجد تنتشر بجميع المدن والقرى وللمسلمين 50 مدرسة ابتدائية و5 إعدادية**

> **تأثير المسلمين في صنع القرار السياسي ضعيف لا يتناسب مع نسبتهم بسبب عدم توحدهم في أحزاب**

> **من التحديات التي تواجه المسلمين الجهل بالشريعة وقلة العلماء والفقر والأمية وانتشار منظمات التنصير**

ثالثاً: التحديات التي تواجه مسلمي الكاميرون:

– جهل كثير من المسلمين هناك بالشريعة الإسلامية، بالإضافة إلى قلة العلماء والدعاة المتخصصين في العلوم الشرعية.

– انتشار الفقر والأمية في مناطق المسلمين وفي مدنهم الكبرى؛ في ناروا وماروا وساميان، حتى إن الأب قد لا يستطيع الإنفاق على تعليم أولاده، وقد يعجز كثير منهم عن تأمين المعيشة اليومية لأسرته، ومن ثمّ فإنهم يحتاجون إلى الدعم المادي الذي لا يصل إليهم منه إلا القليل من بعض مؤسسات الإغاثة من الكويت والإمارات اللتين قامتا بإنشاء عدد من المدارس والمراكز الإسلامية في العاصمة «ياوندي» التي يعيش فيها أكثر من 900 ألف مسلم.

– انتشار منظمات التنصير بين الأحياء المسلمة الفقيرة؛ حيث يقدمون لهم المساعدات في جميع المجالات التي يحتاجونها، فتوجد في مناطق جنوب الكاميرون بعثات تبشيرية مكثفة ومؤسسات إعلامية تعرض مشاريعها في التعليم والعمل الإغاثي، ولجأ بعضها أخيراً إلى فتح باب الحوار الإسلامي المسيحي، ويؤثر نشاطهم في المسلمين الفقراء والأميين، ومن ليس لديهم ثقافة إسلامية.■

المراجع

1 – سيد عبدالمجيد بكر: الأقليات المسلمة في أفريقيا، إدارة الصحافة والنشر، مكة المكرمة 1995.

2 – د. محمد عاشور: دليل الدول الأفريقية، جامعة القاهرة، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، 2007م، ص 278.

3 – د. أحمد محمود السيد: الأقليات الإسلامية في الكاميرون، مجلة البيان، 2011/4/6م.

4 – حوار مع الداعية الكاميروني د. أحمد جروز، صحيفة الجزيرة السعودية، آفاق إسلامية، العدد 12552، الجمعة 21 محرم 1428هـ.



تنمية أسرية

ياسر محمود

متخصص في الشؤون التربوية والأسرية

تعد مرحلة الطفولة حجر الأساس لبناء شخصية الإنسان؛ ففيها تتكون الأبعاد الرئيسة لشخصيته، ويؤكد كثير من الباحثين في علم نفس الشخصية وعلم نفس النمو أن الطفولة تؤدي دوراً كبيراً في توافق الإنسان وتمتعه بالصحة النفسية في باقي مراحل حياته. فعلى الوالدين أن يهيئا من العوامل التربوية ما يساعد على تحقيق السواء النفسي للطفل، وأن يتجنبا كل ما قد يؤدي إلى تعرضه لأزمات نفسية قد تحدث له اضطراباً في نموه النفسي.

كيف تربي طفلاً سوياً نفسياً؟

عوامل مقومات الاتزان النفسي:

1 - أجواء أسرية آمنة:

وفّر لطفلك بيئة أسرية آمنة ومستقرة، خاصة فيما يتعلق بعلاقتك بشريك حياتك؛ لأن شكل العلاقة بين الوالدين يمثل جانباً أساسياً في صحة الطفل النفسية، فإذا كانت العلاقة بينهما تتسم بالدفء والحب والتفاهم؛ فإن ذلك ينعكس على الطفل بصورة إيجابية، أما إذا كانت تتسم بكثرة التوتر والمشاحنات والنزاعات؛ فإن ذلك يؤدي إلى العديد من الآثار السلبية على نفسيته.

2 - عبِّر عن حبك:

احرص على أن تعبّر عن حبك لطفلك بكل الوسائل الممكنة، كإخباره بذلك بصورة مباشرة، أو بتقبيله، أو بضمه إلى صدرك، أو بالمسح على رأسه، أو بغير ذلك من وسائل التعبير؛ فهذا يشعره بالأمن النفسي، ويلبي له واحدة من الاحتياجات التي تؤثر في السواء النفسي له.

3 - تفهم طبيعة المرحلة:

تعرف على المرحلة العمرية التي يمر بها طفلك، فهي من أهم الموجهات التي تضعك في الاتجاه الصحيح في تربيته، فمعرفتها وإدراك خصائصها تساعدك على تفهم ما يصدر منه من سلوكيات وتصرفات، وبالتالي تكون أقدر على التعامل مع هذه السلوكيات بأسلوب مناسب وهادئ يساعد على تنمية شخصيته بشكل سوي، أما عدم إدراكها فيؤدي إلى العديد من الأخطاء التربوية التي ربما تؤثر على بناء شخصيته بشكل سلبي.

وعلى سبيل المثال؛ فإن الطفل في مرحلة الطفولة المتوسطة (2 – 6 سنوات) يكون خياله واسعاً وخصباً، وربما يدفعه ذلك حين يحكي عن موقف ما أن يضيف إليه خياله بعض الأمور التي لم تحدث، فيظن الآباء أنه يكذب ويتعاملون معه على أنه كاذب؛ نتيجة عدم إدراكهم لطبيعة المرحلة؛ وهذا ينعكس بصور سلبية على شخصيته.

4 - التواصل الفعال:

احرص على أن تمد جسور الحوار بينك وبين طفلك، بأن تخصص له وقتاً تتحدث إليه فيه وتسمع منه، وأن تحسن الإنصات إليه، وأن تهتم أثناء حديثك معه بمشاركته هواياته واهتماماته التي يفضلها، وأن تبتعد عن أسلوب التحقيق الذي يشعره أنه في حالة استجواب، فالحوار الناجح يؤدي أدواراً عديدة في دعم النمو النفسي والاجتماعي والفكري واللغوي للطفل، ويسمح له بالتعبير عن احتياجاته وعما يزعجه أو ما يواجهه من مشكلات، كما ينمي ثقته بنفسه.

5 - احترام إرادته:

احترم إرادة طفلك، ولا تسعَ لإلغائها؛ لأن هذا يسبب صراعاً شديداً بين الآباء والأولاد، وتداعياته السلوكية السلبية على الأولاد كثيرة، وقد تظهر في صورة سلبية واستسلام وشخصية اعتمادية، أو في صورة عناد وتمرد ومكايدة وصراع، ومشكلات ليس لها أول من آخر.

6 - تقدير الإيجابيات:

احرص على تقدير كل عمل متقن قام به طفلك أو كل سلوك جيد يصدر منه، واحتفِ بكل إنجاز يحققه في الدراسة أو في الهوايات والأنشطة أو غير ذلك، فهذا يكسبه ثقة بنفسه، ويحفزه على تطوير نفسه والسعي لتحقيق طموحه.

7 - تطوير قدراته:

اجتهد في اكتشاف قدرات طفلك ومهاراته وكل ما يتمتع به من جوانب القوة والتميز، ثم

هيئ له الفرص المناسبة لتنميتها وتطويرها، ولا تحصر تميزه في مجال واحد محدد كالدراسة مثلاً، ولكن وسّع أفقك وابحث عن تميزه في مجالات مختلفة، فربما يكون مميزاً في ممارسة الألعاب الرياضية، أو لديه قدرة على القيادة والتواصل الاجتماعي الفعَّال، أو مبدعاً في الرسم والتلوين والنحت، أو يتمتع بقدرات لغوية كالخطابة والشعر والنثر، أو يجيد التمثيل واستخدام الجسم للتعبير عن أفكاره ومشاعره.. إلخ، فإن ذلك يرفع من منسوب ثقته بنفسه وتقديره لذاته.

8 - تحمُّل المسؤولية:

درِّبه على الاعتماد على نفسه في كل ما يمكنه القيام به من أعمال تناسب قدراته ومرحلته العمرية، كأن يأكل ويشرب ويرتدي ملابسه بنفسه، ويرتب سريره وأدواته ولعبه، ويشارك في تحضير المائدة، ويقوم بواجباته المدرسية وحده، ويرعى أخاه الصغير ويلاعبه بحب، ويعتني برعاية نبتة في المنزل.. إلخ، مع الثناء على بعض الإجادة منه، ولفت نظره بلطف إلى بعض الملحوظات المصححة للسلوك.

9 - التوازن بين الإشباع والحرمان:

احرص على إشباع احتياجات طفلك الأساسية (مثل: الطعام، الشراب، الملبس، الترفيه، الشعور بالقبول والحب والأمن والتقدير.. إلخ) بطريقة متوازنة، لا إفراط فيها ولا تفريط؛ لأن الإشباع التام يولِّد شخصاً أنانياً، اعتاد ألا ترد له حاجة ولا يرفض له طلب، بينما الحرمان الشديد يولِّد لديه مشاعر الكره والحقد لمن حوله.

10 - حسن التعامل مع الأخطاء:

تعامل مع أخطائه بطريقة هادئة، واجتهد في ضبط انفعالاتك تجاهه، وتجنب إهانته أو وصفه بالفشل والفوضوية والغباء.. إلخ، خاصة أمام الآخرين.

مدمرات الشخصية:

1 - التسلط:

ابتعد عن التحكم التام في تصرفات طفلك، كأن تفرض عليه ارتداء ملابس معينة، أو طعاماً معيناً، أو أصدقاء معينين، أو تمنعه من نشاط يحبه، أو تلزمه بمهام تفوق قدراته.. إلخ؛ لأن ذلك قد يولِّد شخصاً قلقاً يشعر

شكل العلاقة بين الوالدين يمثل جانباً أساسياً في صحة الطفل النفسية

الحوار الناجح يؤدي أدواراً عديدة في دعم النمو النفسي والاجتماعي والفكري واللغوي للطفل

دائماً بالخوف من السلطة، يتسم بالخجل والحساسية المفرطة، ويشعر دائماً بالتقصير، ولا يستطيع التعبير عن رأيه، أو قد يولِّد شخصاً في الاتجاه المعاكس؛ بمعنى أن يكون متمرداً على كل شيء، ولا يحترم أي قواعد، ويغلب على سلوكه العدوانية في تعامله مع من حوله.

2 - التمييز والتفرقة:

إياك والتفرقة بين أطفالك في المعاملة، بسبب الجنس أو السن أو الترتيب أو غيرها؛ لأن ذلك قد يولِّد شخصاً حقوداً كارهاً لأخيه المميز عنه، وقد يصاب بالانطواء والعزلة والشك المرضي في الآخرين والاكتئاب، وقد يدفعه ذلك للعقوق كرد فعل لشعوره المتنامي بعدم العدل والظلم الواقع عليه.

3 - المقارنة:

احذر من مقارنته بأي من إخوته أو أقرانه أو غيرهما؛ لأن هذه المقارنة تولِّد لديه روح الانهزام والشعور بالنقص، وتشعل نار الغيرة والحقد والكراهية تجاه المقارن به، وتزعزع ثقته بنفسه، وقد تؤدي إلى إصابته بالقلق والتوتر، وقد تدفعه إلى بعض الاضطرابات السلوكية، مثل: العصيان والتمرد، والانطواء، والتأتأة واللجلجة في الكلام، والسرقة، والكذب.. إلخ.

4 - كثرة النقد:

تجنب كثرة النقد لطفلك؛ لأن ذلك يشعره بالنبذ والإهانة والتصغير، ويجعله فاقداً للثقة فيما يقوم به، بل ويجعله خائفاً من القيام بأي حركة أو سكنة خشية أن يُنتقد، وعند ارتكابه لخطأ ما فليكن تركيزك على السلوك الذي تريد تعديله وليس على شخصه، كأن تقول له

مثلاً: ضربك لأخيك سلوك غير لائق، بدلاً من أن تقول له: أنت ولد مشاغب، فهذه الطريقة تحافظ على تقديره لذاته، وتساعدك على توجيهه بطريقة إيجابية.

5 - الحماية الزائدة:

تجنب الحماية الزائدة، التي تدفعك لأن تنوب عن طفلك في القيام بما ينبغي أن يقوم هو به؛ مخافة أن يصاب بسوء أو لتوفير سبل الراحة له؛ لأن هذا الأسلوب يقلل من اعتماده على نفسه، ويضعف قدرته على تحمل المسؤولية، فينشأ ضعيف الثقة بالنفس، غير قادر على تحمل أعباء الحياة ومواجهة تحدياتها.

6 - القسوة:

احذر من القسوة الزائدة في تربية طفلك؛ لأنها قد تولِّد شخصاً ضعيفاً غير قادر على تحمل أعباء الحياة، تراه دائماً خائفاً مترددا قلقاً، مفتقداً للأمان النفسي، لا يثق في نفسه، وقد تولِّد شخصاً عنيفاً يتسم بالعدوانية تجاه الآخرين مع أقل اختلاف معهم.

7 - التعارض بين الأبوين:

تجنب التعارض بينك وبين الطرف الآخر في توجيه طفلك؛ كأن تطلب منه الأم - مثلاً- القيام بعمل ما، بينما تقابل أنت هذا الطلب بالرفض أمام الطفل، فهذا يوقعه في حيرة، ويفقده القدرة على التمييز بين المقبول والمرفوض، ويجعله مشتتاً بين الأوامر المتضاربة منكما.

8 - عدم الثبات في المعاملة:

احذر من التذبذب في التعامل مع طفلك تجاه نفس السلوك، كأن ترفض منه سلوكاً في وقت ثم تقبل منه نفس السلوك في وقت آخر؛ مما يجعله مشتتاً في إدراك الصواب من الخطأ، وقد يجعله ذلك صاحب شخصية مزدوجة في تعامله مع الآخرين.

9 - الإيحاءات السلبية:

ابتعد عن الإيحاءات السلبية والجمل الهدامة التي قد تصفه بها؛ كالفشل والكسل وضعف الشخصية.. إلخ؛ لأنك تسهم بذلك في بناء نظرة سلبية لطفلك نحو ذاته، كما أنك بهذه الطريقة تقوي بقاء هذه الصفة السلبية لديه ولا تعالجها.■



تنمية أسرية

نجلاء محفوظ
كاتبة ونائبة رئيس تحرير «الأهرام»

ساعد أولادك وأتقن مهارات العقاب

عندما نعاقب أولادنا على أخطائهم؛ فإننا نُعدهم لمواجهة الحياة بواقعية وبصلابة وبوعي أنه لا خطأ سيمر بلا دفع للثمن، ونعلمهم التحكم بالنفس والتفكير بتمهل قبل التصرف لمنع الندم؛ ونعلمهم الحدود التي يجب التزامهم بها بأقوالهم وتصرفاتهم، كما نعلمهم المشي والانتباه لخطواتهم حتى لا يصابوا بأذى.

لا تربية بلا عقاب وثواب، ولا يكفي الأخير فقط، ويجب وضع قوانين وتدريب الأولاد على احترامها وشرح أهميتها بأقل كلمات؛ فكثرة الكلام يشتت الانتباه ويقلل الاهتمام بالتنفيذ.

لن يمتنع الابن عن الخطأ بالحب فقط؛ فلا بد من الردع، وهو يبحث عن قائد، فإن لم يجده بالبيت بحث عنه خارجه، وغالباً ما يكون صديقاً بعمره يتسلط عليه فلا تفعل ذلك بولدك أبداً.

يجب تعلم مهارات العقاب وتغييره وفقاً للعمر وللخطأ والتنويع به؛ فلا يعتاده الابن ويفقد جدواه.

أخطاء شائعة

العقاب الخطأ يضر الأولاد مثله مثل تأجيل العقاب؛ فيجب المسارعة به، أو عدم توضيح الخطأ أو تجاهله عندما نكون بمزاج لطيف ولا نريد تعكيره بالعقاب، أو عقاب أحد الأبناء على خطأ وتجاهل عقاب ابن آخر على نفس الخطأ؛ لأننا نفضله، أو بسبب مرضه، أو لأننا عاقبناه على أخطاء أخرى مؤخراً؛ فذلك يفسد العقاب ويقدمنا للأبناء كأهل غير عادلين ويضر بعلاقتنا بهم، ويدفعهم للمزيد من الأخطاء واستقبال العقاب بلا مبالاة وأحياناً بتحدٍّ فج.

يسارع بعض الأهل لمعاقبة الأولاد بشدة عند أصغر هفوة، ويتجاهل آخرون العقاب بدعوى أنهم صغار، وعندما يكبرون سيفهمون، وكلا الموقفين ضار وخطأ.

فالتشدد بالعقاب خطأ، وعند الهفوات علينا أن ننبهم بلطف ونحذر من التكرار، أما الزعم بأنهم لا يفهمون لأنهم صغار؛ فالطفل يفهم الخطأ قبل أن يتم عامه الأول؛ فنراه عندما يجذب شيئاً ليلقيه على الأرض مثلاً ينظر للأهل ويبتسم في محاولة للحصول على موافقتهم، ويعلم منذ صغره من يمكنه اللعب بهاتفه المحمول ومن يرفض ذلك؛ فلا مجال للزعم بعدم الفهم وتبرير ضعفنا وخوفنا الزائد عليهم من البكاء بعد العقاب.

تعمدنا وضع كلمة الأولاد بالعنوان وليس الأطفال؛ ففي كل عمر لا بد أن يوجد العقاب والثواب، وإذا قال الابن: أنا كبرت على العقاب، فليكن الرد: الكبير لا يتعمد الخطأ ولا يكرره، وإذا أخطأ فليعتذر وليتحمل العقاب، ومن يكبر فليُجِد التصرف، وصدق المثل: من لا يتحمل العقاب فلا يرتكب الجريمة.

امنع الانكسار

العقاب ليس انتقاماً، ويجب ألا يمارس بعنف ولا بغضب شديد فيرسل لهم رسالة خاطئة بالانتقام، فهو رحمة بهم؛ لأنه الرادع من تكرار الخطأ، والوسيلة العملية لإعدادهم للتعامل مع الحياة.

بعض الأهل يسارعون لمعاقبة الأبناء بشدة عند أصغر هفوة وآخرون يتجاهلون العقاب بدعوى أنهم صغار

من الأخطاء الشائعة التهديد بالعقاب ثم عدم تنفيذه فيحرض الأبناء على التمادي

أما الذين يتساهلون مع أخطاء الأبناء ولا يعاقبونهم؛ خوفاً عليهم من الحزن أو لتوهم أن العقاب سيكسرهم نفسياً، ويقول بعضهم: لن نكون والأيام على أولادنا، فيتناسون أن الحياة لن ترأف بأولادهم وترسل لهم من يتجاوزون عن أخطائهم، بدءاً من دور الحضانة وانتهاء بالعمل، ويتعامون عن زلاتهم، والواقع يؤكد أن هؤلاء الأبناء سيكونون أكثر عرضة للانكسار أمام المواقف العادية بالحياة خارج البيت، وأن الأهل حرموهم من النضج ومن تحمل مسؤولياتهم عن أفعالهم.

مهم أن يتناسب العقاب مع طبيعة شخصية الطفل؛ فحتى التوءمان تختلف شخصيتاهما.



إذا أخطأ أحد الوالدين أو تعامل بقسوة مع الأولاد فليتجنب الطرف الآخر الحديث عن ذلك أمامهم

عند تعمد تكرار الخطأ فعليك أن تغلظ العقوبة ولا تعاقبه أمام أحد حتى ولو إخوته

وقد يتبادر للذهن فور سماع كلمة العقاب اللجوء للضرب، لكننا لا ننصح به إلا عند تعمد ارتكاب الأخطاء الفادحة وبأضيق نطاق؛ حتى لا يفقد قيمته، أو يعتاده الابن ولا يبالي به، وأذكر أمًّا قالت لي: إن ابنها أخطأ وسارع بإحضار الحزام وقال لها: هيا اضربيني! ونحن لا نريد ذلك.

يمكن عقاب الطفل بوضعه بحجرته والنور مضاء والباب مفتوح وإلزامه بالبقاء بها بلا لعب لبعض الوقت وفقاً للخطأ، ويمكن خصامه، لكن لا تبالغ بالخصام حتى لا يعتاده الأبناء.

ويمكن الامتناع عما يحبه من حكايات أو ما شابه، ونرفض المنع من الحلوى، حتى لا يزيد إقبال الأطفال عليها بعد انتهاء العقاب، ولا الثواب بالحلوى؛ حتى لا يربط بينها وبين المتعة مما يعرضه للسمنة ولأخطاء التغذية، ويمكن حرمانه من التنزه أو الحديث أو الذهاب لأصحابه.

ولنتجنب المبالغة بالعقاب؛ فالعنف يولّد العناد، والعقاب البسيط يجعل الطفل يستخف بالخطأ، ونفضل عقاب الأم للأبناء -عند غياب والدهم- ولا تقُل لهم: سيعاقبكم والدكم عندما يأتي للمنزل؛ فهذا يقلل من دورها كأم ويحصر الأب بدور العقاب، وكأن الأمر يحتاج لقوة لا تمتلكها الأم، وهذا خطأ.

من الأخطاء الشائعة التهديد بالعقاب ثم عدم تنفيذه؛ فيحرض الأبناء على التمادي بالأخطاء، أو إعلان قائمة عقوبات مبالغ بها ثم التراجع عن بعضها، وهذا خطأ يمس هيبة الوالدين، والهيبة مطلوبة، وهي تختلف عن الخوف؛ فالأولى تعني الاحترام والتعامل مع الوالدين على أنهما المسؤولان عن إدارة البيت، ويضعان القوانين به ويراقبان الالتزام بها لمكافأة من يلتزم بها ومعاقبة من يخرقها؛ فلا تقرر أبداً عقاباً لا يمكنك الالتزام به.

الأسوأ

يجب توضيح خطأ الابن بهدوء وبأقل كلمات، فالصراخ والكلام الكثير يشتتان ذهن الابن، ونرفض كلمات مثل: هل يعجبك اضطراري لعقابك؟ فسيفهم الابن أن الأب والأم لديهما مشكلة بعقابه وسيتساويان بالضيق من العقاب، وهذا خطأ، فلا بد أن يشعر الطفل أنه وحده من يدفع ثمن فعلته.

والأسوأ مصالحة أحد الوالدين الابن المعاقَب وتعويضه عاطفياً أو مادياً من دون علم الطرف الآخر؛ فسيفهم الابن أن الطرف الآخر ظالم أو سيئ، وهذا خطأ بشع.

إذا أخطأ أحد الوالدين أو تعامل بقسوة مع الأبناء فليتجنب الطرف الآخر الحديث عن ذلك أمامهم، وينفرد به ليخبره بذلك، وإذا شكا الابن فليؤكد حب الطرف الآخر له، وأنه فعل ذلك خوفاً عليه من توابع الخطأ، وعليه ألا يكرره ويستعيد الثقة به.

الأم العاملة قد تشعر بالذنب لترك طفلها للذهاب لعملها فتتساهل معه عندما يخطئ بحجة أن الوقت الذي تقضيه معه قليل؛ فلا ينبغي إضاعة بعضه بالعقاب، وهذا خطأ؛ فالعقاب جزء مهم من التربية ومن تكوين شخصية الطفل، وقبل العقاب يمكن استنكار الخطأ وكيف يفعله ذكي مثله، وإبداء الإعجاب بتصرفاته الجيدة سابقاً، وكذلك قد يفعل الأب الذي يقضي أوقاتاً طويلة بعمله، أو إذا كان كثير الأسفار؛ فليقم بدوره بالعقاب عند حدوث ما يستوجبه ولا يخذل نفسه ولا أولاده بتجاهل الأخطاء؛ فستكبر وسيعتادها الأبناء وسيقاومون بشدة أي محاولات للإصلاح؛ وكما يقال عن صدق؛ فإن تقويم الفرع المائل من الشجرة يكون أيسر وبلا خسائر عند بداية الاعوجاج.

تجنب النظر لوجه ابنك عندما تعاقبه؛ فسيحاول التأثير عليك بالاستجداء، وربما كانت نظراته بها تحدٍّ ليثير غضبك، ولا تتصرف أبداً كرد فعل لما يفعله ابنك عند سماعه العقاب.

لا تبالغ بالحرمان المادي وتجاهل إلحاحه لإنهاء العقاب ولا تضعف نفسك؛ فتراجعك ولو لمرة سيدفعه للاستهانة بالعقاب، وسيكرره وهو يعرف أنك ستخضع لإلحاحه.

لا تهنه بالسخرية منه، ولا تصفه بالفعل الذي ارتكبه، ووضّح كيف يتجنبه.

لا تقارنه بأقرانه ولا بإخوته الذين لا يرتكبون خطأه، وقل له: إنه أفضل من أن يرتكبه ويستطيع ذلك، ولا تذكره بأخطائه السابقة.

استمع إليه قبل العقاب، وإذا كذب أو حاول خداعك؛ فضاعف له العقاب بسبب ذلك حتى لا يعتاد الهروب من تحمل المسؤولية عن أفعاله.

عند تعمد تكرار الخطأ غلّظ العقوبة، ولا تعاقبه أمام أحد حتى ولو إخوته، وإذا أخطأ أمام الناس انفرد به وأخبره بعقابك، ولا تؤجل ذلك؛ حتى لا يتمادى وهو بمأمن من العقاب.

لا تعاقبه بالشتم فستعلمه السب، ولا تشهر به بعد العقاب.

لا تعاقب نفسك أو الأسرة بعد عقابه؛ حتى لا تشيع النكد بالبيت، وتعامل بصورة طبيعية، ولا تبالغ بالمرح؛ فيبدو وكأنك تغيظ المخطئ، وكن عادياً، وتذكر الإلحاح بالدعاء لله سبحانه بالهداية لأولادك ولأولاد المسلمين بكل زمان ومكان.■



بقلم:
محمد سالم الراشد

دول الخليج.. ومستقبل «التطبيع» مع الكيان الصهيوني

بعيداً عن الآراء الشرعية والمواقف السياسية والأبعاد الأخلاقية، فإن مناقشة آثار «التطبيع» المتوقع بين الكيان الصهيوني وبعض دول الخليج برؤية إستراتيجية سيجعل الكلفة لصالح الكيان الصهيوني، والخسارة المحتمة للدول الخليجية التي ستطبّع مع هذا الكيان.

وقبل أن نلج في صلب الموضوع، علينا التمعن في نتائج التطبيع مع الدول التي طبّعت العلاقات مع الكيان الصهيوني؛ كمصر والأردن والسلطة الفلسطينية، وبعض الدول التي فتحت مكاتب تعاون، حيث لم تجن الدول العربية أي فائدة، بل وعلى حسب تأكيد الخبير السياسي الفلسطيني (أستاذ العلوم السياسية) عبدالستار قاسم: «إن الأردن خرب، فلم يبقَ له لا مياه ولا أرض ولا آثار ولا مؤسسات ولا شركات كبرى، وذلك بعد السيطرة عليها «إسرائيلياً»، كما إن مساحات كبيرة من الأراضي في الأردن تُباع للصهاينة تمهيداً للوطن البديل، وحتى آثار البتراء تقع بيد الصهاينة»، وأقول: إنه ما زال الاقتصاد المصري ضعيفاً، وبقيت مصر تعاني الفقر، وهناك تهديد لمياه النيل، أما السلطة الفلسطينية فإن دولتها أصبحت سراباً، وإن «صفقة القرن» تنتظر نجاح «ترمب» في الانتخابات القادمة.

د. إبراهيم خالد عبدالكريم، في مؤلفه «الإستراتيجية الإسرائيلية إزاء شبه الجزيرة العربية» الذي أصدره مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية عام 2000م، حدد أهداف السياسة «الإسرائيلية» تجاه شبه الجزيرة العربية (المحاطة بالبحر الأحمر وبحر العرب والخليج العربي)، من أهمها المكانة الخاصة جيوسياسياً باعتبارها نقاط تقاطع خطوط المواصلات بين قارة آسيا وأفريقيا وأوروبا، وتوافر مخزون ضخم من الثروات الباطنية ومصادر مستمرة، والقدرة على التأثير في الواقع العربي، وامتلاك دولها لجميع مقومات التنمية الشاملة، وهذه تمثل فرصاً لانطلاق عملية السلام والاستثمار فيها، وضمان حماية الملاحة في البحر الأحمر، وتوفير فرص تدخل «إسرائيل» في الشؤون الخليجية، وإبقاء الخلل القائم في ميزان التسلح لصالح إسرائيل». انتهى.

ومن المتوقع أيضاً أن يكون الميزان التجاري بين دول الخليج والكيان الصهيوني لصالح الكيان؛ حيث كشف تقرير لمعهد «توني بلير» (للتعاون الدولي) أن قيمة التبادل التجاري بين «إسرائيل» ودول الخليج تتجاوز المليار دولار سنوياً، وأن «إسرائيل» تصدّر إلى الخليج أكثر مما تصدّره إلى روسيا أو اليابان، ومن المتوقع أن يزداد حجم الصادرات عدة أضعاف في حالة إقامة علاقات رسمية قد تصل إلى 25 مليار دولار.

إن أحد أهم الأهداف الإستراتيجية للكيان الصهيوني رقابة مسار النفط والسيطرة عليه في حال نجاحه في توقيع اتفاقيات تطبيع مع الدول الخليجية، فالدول الخليجية تسعى لأن تخرج من منافذ الخليج والبحر الأحمر المسيطر عليها من دول أخرى إلى المصبات والبحار الواسعة؛ كالمحيط الهندي أو بحر العرب أو البحر الأبيض المتوسط، ومن هنا فإن السيطرة على مسارات النفط والغاز ستشكل على المستوى البعيد فرصة تحكم للكيان الصهيوني على نفط وغاز دول الخليج.

كما أن مصادر في الكيان الصهيوني تحدثت عن خطة جاهزة لبناء خط سكك حديدية يمتد من «إسرائيل» عبر الأردن وصولاً إلى دول الخليج، في محاولة لاستقطاب النفط الخليجي لنقله عبر ميناء حيفا الواقع شمال الكيان الصهيوني إلى الأسواق الأوروبية والأمريكية.

لكن من أهم المخاطر التي ستواجه دول الخليج حال التطبيع مع الكيان الصهيوني هو أن تكون دول الخليج ساحة حرب للإستراتيجية الصهيونية مع إيران في المنطقة، ولا يهم الصهاينة إن أُحرقت المدن الخليجية في حرب تخدم مصالحهم، أو دخلت شعوب المنطقة في احتراب طويل الأمد لحساب السيطرة الصهيونية.

وتعتقد بعض الدول الخليجية أن مشروع «ترمب» في إيجاد ما يسمى «تحالف الشرق الأوسط» أو «قوة حماية الشرق الأوسط» هو في صالحها، إذ إن القيادة والسيطرة ستكون للولايات المتحدة و«إسرائيل»، في حين أن بعض الدول الخليجية ودول أخرى في المنطقة ستكون الميدان الجغرافي والقوة البشرية التي ستنفذ السياسات الأمريكية والصهيونية في المنطقة، فالهدف هو الأمن القومي الصهيوني على حساب الأمن القومي الخليجي والعربي، ولقد أتم الكيان الصهيوني خططاً عسكرية مستقبلية لتسديد ضربات إلى مواقع إيران تحت هذا الغطاء، في حين أن رد الفعل بالطبع سيكون على جغرافية الدول الخليجية.

إن انضمام الدول الخليجية لهذا التحالف سيكون بمثابة ضربة قاضية لقدرات دول الخليج لحماية نفسها وخضوعها كلياً للهيمنة الأمريكية والصهيونية وردود الفعل الإيرانية، وهذا يمثل إحدى الخسائر الكبيرة لاتفاقيات التطبيع مع الكيان الصهيوني.

كما أن سلاسل شراء الأسلحة الصهيونية والمنتجات الإلكترونية المعلوماتية والاستخباراتية والتعاون المعلوماتي الأمني سيكون شرعياً وقانونياً في حينها، حيث سيصبح الأمن الخليجي مكشوفاً بالكامل بما فيه أمن المواطنين ومعلوماتهم؛ مما سيجعل الشعوب الخليجية تحت السيطرة التامة والانقياد للأهداف الصهيونية؛ مما يعني أن التصادم بين الشعوب وحكوماتها سيكون على المحك، إذا أضفنا خطر تغيير الهوية على أجيال المنطقة، إذ بدأت بعض الدول الخليجية بتعديل قوانينها ومناهجها التعليمية وبيئتها العلمية للتكيف مع اتفاقيات التطبيع؛ مما سيعني تشويه الهوية العربية والإسلامية، وعلو النموذج الصهيوني على هوية الشعوب الخليجية، وبعد مرور عقد من الزمان على هذه الاتفاقيات، سيطالب الكيان الصهيوني بكل ما له علاقة بالتاريخ في المنطقة، حتى يصبح الكيان ممتداً على جميع جغرافية دول الخليج كما رُسمت من مؤسسيه.

فلماذا تنزلق بعض دول الخليج إلى اتفاقيات تطبيع هذه نتائجها الإستراتيجية الكارثية؟!■

ملف العدد

AL-MUJTAMA'A

المجتمع

مجلة المسلمين في أنحاء العالم

العدد (2148) - السنة (51) صفر 1442هـ / 1 أكتوبر 2020م

فرنســا.. وحلم الهيمنة على المنطقة العربية مجدداً





سمو الأمير الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح في ذمة الله

سمو ولي العهد الشيخ نواف الأحمد الجابر الصباح أميراً للكويت

 @mugtama  facebook.com/mugtama  www.mugtama.com  @mugtama

الكويت 750 فلساً. السعودية 10 ريالات. البحرين دينار بحريني. قطر 10 ريالات. سلطنة عمان ريال عماني. الأردن 1.750 دينار أردني. لبنان 4500 ليرة. المغرب 23 درهماً

USA $ 5 - Canada $ 6 - Australia AUD 6 - URB 3.5 - India INR 110 - Pakistan PRS 200 - Turkey TRY 7 - U.k £ 3





«المجتمع» مجلة إسلامية عالمية شاملة

تصدر أسبوعياً عن «جمعية الإصلاح الاجتماعي» بدولة الكويت، وقد صدر العدد الأول منها يوم الثلاثاء 9 من المحرم 1390هـ - 17 مارس 1970م، ومازالت منتظمة الصدور منذ ذلك التاريخ، حددت «المجتمع» هويتها في أول مقال افتتاحي بالقول: إنها «تستمد فكرها الأصيل من الإسلام، وعلى ضوئه وبمقياسه، وتتقبل - بصدر رحب - كل نقد هادف بناء، وترفض النقد الغوغائي الذي يأباه الخلق الإسلامي.. وتمد يدها لكل الناس، يداً ترفع راية الإسلام، وتبشر بالخير والبر، وتقف في تحدٍّ لخصوم الإسلام.. وتكتب في كل القضايا التي تهم أمتنا، وتعالج مشكلات المجتمع بكل جرأة وأمانة، ولن تتخلى عن قضاياه».

ومازالت «المجتمع» ماضية في طريقها الذي رسمته لنفسها؛ حيث تتناول شتى القضايا التي تهم الأمة: القضية الفلسطينية والقدس والمسجد الأقصى - قضايا الأقليات الإسلامية حول العالم - موجات الغزو الثقافي والتيارات الفكرية المحرفة - موجات الانحلال الأخلاقي وتذويب الهوية - جهود المفكرين في ترسيخ الفكر الإسلامي وتربية أبناء الأمة - معالم الاقتصاد الإسلامي ودوره في بناء النهضة والنجاحات التي يحققها في مقابل الاقتصاد الربوي الذي كان السبب الأول في الكارثة المالية العالمية.. وغيرها من القضايا.

من أجل ذلك وغيره..

تبرع وساهم معنا بتوصيل أكثر من 3000 اشتراك

- لمراكز إسلامية تلح بطلبها
- لمدارس وجامعات إسلامية
- لقراء «المجتمع» في العالم الذين لا يستطيعون اقتناءها

الدفع على حساب : 0008881094 بنك بوبيان

(IBAN): KW54BBYN0000000000000008881094

البريد الإلكتروني: sales@mugtama.com

تليفون: 0096597228290 - تلفاكس: 0096522560525

AL-MUJTAMA'A

المجتمع

مجلة المسلمين في أنحاء العالم

العدد (2148) - (السنة 51)

إسلامية أسبوعية تصدر شهرياً مؤقتاً

تأسست عام 1390هـ - 1970م

جمعية الإصلاح الاجتماعي. الكويت

رأس مجلس إدارتها

حتى 1427/8/10هـ - 2006/9/3م

عبد الله علي المطوع يرحمه الله

رئيس التحرير

محمد سالم الراشد

مدير التحرير

جمال الشرقاوي

الإخراج الفني

مصطفى عزالدين

المراسلات

العنوان البريدي: الكويت ص.ب (4850) الصفاة.

الرمز البريدي (13049)

التحرير

22519539 - 22514180

22513616 (داخلي 205).

mujtamaa@gmail.com

info@mugtama.com

الاشتراكات والتوزيع

تليفاكس: 22560525 (00965)

sales@mugtama.com

الموقع الإلكتروني

www.mugtama.com

موقع جمعية الإصلاح

www.eslah.com

طبعت بمطابع «الهدف» التجارية





ادخل على موقع «المجتمع»

في هذا العدد

ملف العدد

فرنسا.. وحلم الهيمنة على المنطقة العربية مجدداً

حركة «المجتمع» في فضاء الإعلام

أمر الله سبحانه وتعالى المسلم أن يعيش حياته نسيجاً واحداً متكاملاً شاملاً لله عز وجل، وأمره أن يكون شعاره في الحياة ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣)﴾ (الأنعام). وأراد الإسلام من أتباعه أن يعيشوا حياتهم الاجتماعية والسياسية والعلمية والنفسية والتربوية والإعلامية، وما شئت من أسماء ومسميات مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بعرى هذا الدين سواء بسواء، ومن هذا المنطلق القيمي تنطلق «المجتمع» في فضاء الإعلام، متخذة شمولية الرسالة الإعلامية شعاراً لها؛ فتجمع بين الشأن الديني والتناول السياسي والتحليل الاقتصادي والتوجيه الأسري والتربوي.■



رأي المجتمع

صمود الكويت في وجه «التطبيع»

منذ بداية الاحتلال الصهيوني لدولة فلسطين حسمت دولة الكويت موقفها من هذا الكيان، فعلى الرغم من مرور عشرات السنوات على الإعلان عن قيام دولة الاحتلال، فإن الكويت لم تغيّر موقفها من هذا الكيان الغاشم، وظلت على موقفها الراسخ بعدم إقامة أي علاقات معه، بل ودعم الشعب الفلسطيني مهما كانت الظروف والتحديات.

تلك العقيدة التي انتهجتها الكويت؛ قيادة وحكومة وشعباً، جعلت منها محط أنظار العالم.

وقد حاولت حكومات الاحتلال المتعاقبة إقامة علاقات مع دولة الكويت، إلا أنها فشلت فشلاً ذريعاً، وهذا يؤكد نجاعة السياسات الكويتية ونجاحها في حماية الأمن القومي الكويتي.

وظلت المواقف المتعاقبة للقيادة الكويتية في مساندة القضية الفلسطينية من خلال سياسات عدة تبناها مجلس الأمة في خطاباته، وأكدتها الدبلوماسية الكويتية من خلال البيانات والمؤتمرات التي تشارك فيها على المستويين الإقليمي والدولي، إضافة للتضحيات والشهداء الكويتيين في حروب العرب مع الاحتلال الصهيوني منذ عام 1948م وحتى انتصار أكتوبر 1973م الذي تمر ذكراه هذا الشهر.

وفي ظل سياسة الرفض الثابتة من القيادة الكويتية تجاه الاحتلال الصهيوني، اصطفت دولة الكويت إلى جانب الشقيقة فلسطين، وخاضت معها الكثير من المعارك الدبلوماسية في الهيئات والمنظمات المختلفة، لتبرهن في مواقف عدة على صدق تحركاتها، وتنامي دورها في مواجهة سياسات العداء التي ينتهجها الكيان الصهيوني، ومن خلال تواجد الكويت في الأمم المتحدة وهيئاتها المختلفة، استطاعت أن تقدّم خدمات كثيرة للقضية الفلسطينية من خلال تضييق الخناق على «تل أبيب»، ومواجهة أكاذيبها في ميادين العمل السياسي والهيئات الدولية، فضلاً عن أنها أدت دوراً كبيراً في دعم إنشاء منظمة التحرير الفلسطينية، وانضمامها إلى جامعة الدول العربية.

المسؤولية التي انتهجتها الكويت تجاه القضية الفلسطينية لم تقتصر على المجال السياسي ودعم فلسطين في المحافل الإقليمية والدولية فقط، بل إن القيادة الكويتية أولت اهتماماً خاصاً بالشعب الفلسطيني، وقدمت له الكثير من الدعم المالي من أجل رفع مستوى معيشة أفراده، فضلاً عن تقديم المساعدات إلى اللاجئين ومنظمات الإغاثة التي تعمل في الأراضي الفلسطينية المحتلة، من خلال المؤسسات الكويتية الحكومية والشعبية أيضاً.

القيادة الكويتية التي دعمت فلسطين؛ سياسياً وإنسانياً، كانت ولا تزال تنادي بضرورة حل قضية الشعب الفلسطيني، وتؤكد حقه في إقامة دولته المستقلة، مطالبة المجتمع الدولي بتحمل مسؤولياته الكاملة تجاه مساعدة أبناء فلسطين على إقامة دولتهم المستقلة على ترابهم الوطني، مع التصدي لسياسات الكيان العدوانية.

والتطورات المتلاحقة في منطقة الشرق الأوسط تؤكد أن الموقف الكويتي الرافض للاحتلال هو الجدار الأفضل لحماية الأمن القومي الكويتي، وأصبح وجوباً على باقي الدول العربية وخاصة الخليجية التي لم تصبها عدوى التطبيع وسمومه أن تتكاتف فيما بينها من أجل حماية أمنها القومي، خاصة وأن اختراق المزيد من الدول العربية سوف يضعف من قدرات الدول الباقية في مقاومة الاحتلال.■

آية العدد

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ
أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا
جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ
أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا
فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ
وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ
مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن يَثْقَفُوكُمْ
يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ
وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾﴾

(الممتحنة)

وكلاء التوزيع:

الكويت: شركة باب الكويت للصحافة:
ت : 22272733 ف: 22272736
distribution@alanba.com.kw



السعودية:الشركة السعودية للتوزيع:
www.saudidistribution.com
الإدارة العامة: الرياض0096612128000
فرع الرياض: 0096612705837

فرع جدة: 0096626530909
فرع الدمام: 0096638473569

قطر :
دار الثقافة ت: 4622182 / ف: 4621800
البحرين :
مؤسسة الأيام للصحافة والنشر والتوزيع
ت :725111 / ف : 723763
TURKIYE- DUNY SUPER DAGITIM
Tel: (90 -1) 5120190
Fax: (90- 1) 5140883

الاشتراكات:

الكويت: 10 دنانير كويتية
الدول العربية: 17 ديناراً كويتياً
الدول الأجنبية: 25 ديناراً كويتياً
للمؤسسات والشركات: 30 ديناراً كويتياً

تشمل عمولة التحويل

الإعلانات :
امتياز الإعلان : مجلة المجتمع
ت: 22560525 - 22560526 الكويت.





وداعاً سمو الأمير

بعد رحلة حافلة بالإنجاز الدبلوماسي والنشاط السياسي والعطاء الخيري والإنساني، رحل سمو الأمير الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح، يرحمه الله تعالى، مخلفاً تبعة سياسية كبيرة ينوء بحملها أولو الشدائد والعزائم؛ حيث كان يبحر بسفينة الكويت في بحر متلاطم من الأمواج والأنواء التي تحتاج لقائد ماهر ذي دربة وبصيرة للنجاة منها.

ففي يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من سبتمبر 2020م، أعلن الديوان الأميري وفاة المغفور له بإذن الله سمو الشيخ صباح الأحمد، في الولايات المتحدة الأمريكية، بعد رحلة علاجية استمرت أكثر من شهرين، عن عمر يناهز 91 عاماً، قضى معظمها في دروب السياسة ومسالك الدبلوماسية المحلية والعالمية، قضى منها نحو 14 عاماً أميراً لدولة الكويت، ترك خلالها بصمته الواضحة في مختلف الملفات المحلية والدولية للكويت؛ حتى استحق عن جدارة أن يكون عميداً للدبلوماسية وقائداً للعمل الإنساني، اختتمها قبيل وفاته بمنح الرئيس الأمريكي «دونالد ترمب» له وسام الاستحقاق العسكري برتبة قائد أعلى، خلال مراسم في البيت الأبيض؛ اعترافاً بالجهود العظيمة والدؤوبة والدور الكبير الذي قاده سموه في المنطقة والعالم، وتتويجاً لعلاقات الشراكة التاريخية والمتميزة بين الكويت والولايات المتحدة.

وكان سمو الأمير الراحل قد غادر البلاد إلى الولايات المتحدة الأمريكية، في الثالث والعشرين من يوليو الماضي، لاستكمال رحلة العلاج بعد إجراء عملية له في الكويت.

وقبل سفره بأيام في 18 يوليو الماضي، قرر سمو الأمير الراحل أن يتولى ولي عهده الشيخ نواف الأحمد بعض الاختصاصات الدستورية لأمير البلاد بشكل مؤقت، بعد دخول سمو الأمير الراحل المستشفى لإجراء فحوص طبية.

وفي يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من سبتمبر، فوجئ الكويتيون بقطع التلفزيون والمحطات الفضائية والإذاعية البث المعتاد ليذيع آيات من القرآن الكريم، قبل أن يعلن وزير الديوان الأميري الشيخ علي الجراح الصباح نبأ وفاة سموه الذي قال فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (27) ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (28) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (29) وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ (الفجر)، ببالغ الحزن والأسى، ينعى الديوان الأميري إلى الشعب الكويتي والأمتين العربية والإسلامية وشعوب العالم الصديقة وفاة المغفور له بإذن الله تعالى، صاحب السمو الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح، أمير دولة الكويت، الذي انتقل إلى جوار ربه.

داعين الله عز وجل أن يتغمد الفقيد بواسع رحمته، وأن يسكنه فسيح جناته، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وإنا لله وإنا إليه راجعون».

نعي وحداد

وفور إعلان وفاة سموه، توالت برقيات وبيانات العزاء والنعي من قادة الدول العربية والإسلامية ومن مختلف أنحاء العالم، فضلاً على السياسيين والجمعيات والهيئات والمؤسسات في الكويت وكافة أبناء الوطن الذين أعربوا عن خالص العزاء وصادق المواساة لآل الصباح الكرام، وللأمتين العربية والإسلامية.

هذا، وقد اجتمع مجلس الوزراء الكويتي، مساء يوم إعلان الوفاة، لبحث ترتيبات مرحلة ما بعد الوفاة؛ حيث نادى مجلس الوزراء -في البيان الذي ألقاه نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الداخلية وزير الدولة لشؤون مجلس الوزراء أنس خالد الصالح، الذي أذاعه «تلفزيون الكويت»- بولي العهد الشيخ نواف الأحمد الجابر الصباح أميراً للبلاد، عملاً بأحكام الدستور؛ حيث تنص المادة الرابعة من قانون توارث الإمارة في الكويت على أنه إذا «خلا منصب أمير البلاد نودي بولي العهد أميراً، فإذا خلا منصب الإمارة قبل تعيين ولي للعهد مارس مجلس الوزراء اختصاصات رئيس الدولة إلى حين اختيار الأمير».

كما أعلن مجلس الوزراء الحداد الرسمي بالبلاد على سمو الأمير لمدة 40 يوماً، مع إغلاق الدوائر الرسمية لمدة 3 أيام.

وعلى إثر هذا، دعا رئيس مجلس الأمة مرزوق الغانم لعقد جلسة خاصة، يوم الأربعاء 30 سبتمبر؛ حيث أدى سمو الأمير الشيخ نواف الأحمد الجابر الصباح اليمين الدستورية أميراً للكويت، وفقاً للمادة (60) من الدستور، وقد تعهد سموه بأن يسير على درب سلفه، وأن يحافظ على مصالح الوطن، وأن يرعى الدستور والقانون.

هذا، وقد توالت بيانات التهاني والتبريكات وخالص الدعوات لسمو الأمير الشيخ نواف بأن يكون خير خلف لخير سلف.

هذا، وتتقدم مجلة «المجتمع» باسم رئيس تحريرها والعاملين فيها بخالص العزاء في سمو الأمير الراحل الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح، سائلين المولى سبحانه وتعالى أن يتغمده بواسع رحمته، وأن يسكنه الفردوس الأعلى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

كما تتقدم بأسمى آيات التهاني لسمو الأمير الشيخ نواف الأحمد، حفظه الله، سائلين الله تعالى لسموه موفور الصحة والعافية، وأن يعينه على هذه التبعة التي هو أحق بها وأهلها، وأن يرزقه البطانة الصالحة الناصحة التي تعينه على العبور بسفينة الوطن إلى بر الأمان.■



سمو الأمير:
وطننا يواجه تحديات خطيرة تحتاج توحيد الصفوف

أدى صاحب السمو أمير البلاد الشيخ نواف الأحمد الجابر الصباح، حفظه الله ورعاه، اليمين الدستورية في الجلسة الخاصة التي عقدها مجلس الأمة، يوم الأربعاء 30 سبتمبر 2020م، لتأدية سموه القسم.

وقد ألقى سموه كلمة هذا نصها:

إنه قضاء الله وقدره، وإنه وحده سبحانه الذي لا يُحمد على مكروه سواه، نحمده تعالى ونشكره في المحنة والبلاء، كما نحمده في الفضل والرخاء.

فقد رحل عنا إلى دار الآخرة رمز شامخ من رموزنا الخالدين، قدَّم الكثير لوطنه وشعبه وأمته، ترك إرثاً غنياً زاخراً بالإنجازات والأعمال المشهودة؛ محلياً وعربياً وإسلامياً ودولياً، نستذكر بكل الاعتزاز والاهتمام توجيهاته السديدة ونصائحه الأبوية التي تعكس عشقه لكويتنا الغالية وأهل الكويت الكرام التي ستظل نبراساً هادياً لنا ونهجاً ثابتاً.

الإخوة رئيس وأعضاء المجلس المحترمون، تعرضت الكويت خلال تاريخها الطويل إلى تحديات جادة ومحن قاسية نجحنا بتجاوزها، متعاونين متكاتفين، وعبرنا بسفينة الكويت إلى بر الأمان.

ويواجه وطننا العزيز اليوم ظروفاً دقيقة وتحديات خطيرة لا سبيل لتجاوزها والنجاة من عواقبها إلا بوحدة الصف وتضافر جهودنا جميعاً، مخلصين العمل الجاد لخير ورفعة الكويت وأهلها الأوفياء.

وإذ نشير إلى هذه التحديات، فإننا نؤكد اعتزازنا بدستورنا ونهجنا الديمقراطي، ونفتخر بكويتنا دولة القانون والمؤسسات، وحرصنا على تجسيد روح الأسرة الواحدة التي عرف بها مجتمعنا الكويتي والتزامنا بثوابتنا المبدئية الراسخة.

وانني إذ أتصدى لحمل المسؤولية الجسيمة بروح الأمل والطموح لأعاهد الله وأعاهد شعب الكويت وأعاهدكم أن أبذل غاية جهدي وكل ما في وسعي حفاظاً على رفعة الكويت وعزتها، وحماية لأمنها واستقرارها، وضمانة لكرامة ورفاه شعبها، متسلحاً بدعم ومساندة أهل الكويت المخلصين، سائلاً الله العون والسداد والتوفيق؛ «ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير».■





الأمير الراحل صباح الأحمد..

محطات تاريخية ومواقف خالدة

فقدت الكويت، يوم الثلاثاء 29 سبتمبر الماضي، أميرها الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح، يرحمه الله تعالى، عن عمر ناهز 91 عاماً، وذلك في الولايات المتحدة الأمريكية، حيث كان يتلقى العلاج.

ونعى الديوان الأميري، في بيان، الأمير الراحل، وذكر أنه «ببالغ الحزن والأسى، ننعى إلى الشعب الكويتي والأمتين العربية والإسلامية وشعوب العالم الصديقة، وفاة المغفور له بإذن الله تعالى، صاحب السمو الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح، أمير دولة الكويت، الذي انتقل إلى جوار ربه».

الولادة والنشأة:

ولد سمو الأمير الراحل في محافظة الجهراء، في 16 يونيو 1929م، وهو أمير البلاد الخامس عشر، والابن الرابع لأمير دولة الكويت العاشر الشيخ أحمد الجابر الصباح، الذي توسم في نجله الفطنة والذكاء منذ صغر سنه؛ فأدخله المدرسة المباركية، ثم أوفده إلى بعض الدول للدراسة واكتساب الخبرات والمهارات التي ساعدته على ممارسة العمل بالشأن العام.

نهج حكيم:

قاد سمو الأمير، رحمه الله، مسيرة تنمية البلاد خلال الـ14 عاماً الماضية –التي تولى فيها إمارة البلاد– وخلد اسمها في المحافل الإقليمية والعربية والعالمية.

ومنذ أن تولى سموه دفة الحكم في البلاد، يوم 29 يناير 2006م، حرص على السير على النهج الحكيم الذي سار عليه قادة الكويت طوال العقود الماضية في أداء دور فاعل في مسيرة الأمن والاستقرار بالمنطقة، ودرء الخلافات بين دولها، وتحقيق السلام في مجتمعاتها.

وعلى الصعيد الداخلي، قاد سمو الأمير الراحل البلاد نحو التطور والتنمية والازدهار في مرحلة صعبة شهدت فيها المنطقة تحديات كبيرة، واهتم ببناء الإنسان باعتباره أثمن الموارد التي يملكها الوطن وعماد نهضته وتطوره ورخائه.

وحظي سمو الأمير الراحل حين تولى دفة الحكم باعتباره الحاكم الخامس عشر لدولة الكويت بتأييد شعبي ورسمي كبير، وتمت مبايعته بالإجماع من أعضاء السلطتين التنفيذية والتشريعية، ليصبح أول أمير منذ عام 1965م يؤدي اليمين الدستورية أمام مجلس الأمة.

وكثيراً ما عرف سمو الأمير الراحل بانتهاج سياسة حكيمة حافظ من خلالها على مكانة متميزة للكويت في محيطها الخليجي والعربي والدولي، وشهد العالم بأسره نجاحاته الدبلوماسية في نصرة القضايا العادلة للشعوب، وحماية الدولة من أي تأثير يهدد كيانها، والوصول بها إلى بر الأمان، في ظل محيط مضطرب بالتهديدات.

مسيرة العطاء:

بدأت مسيرة العطاء لسمو الأمير الراحل في عام 1954م حينما عُين عضواً في اللجنة التنفيذية العليا التي عهد إليها آنذاك مهمة تنظيم مصالح الحكومة ودوائرها الرسمية.

عُرف بانتهاج سياسة حكيمة حافظت على مكانة متميزة للكويت في محيطها الخليجي والعربي والدولي

شهد العالم بأسره نجاحاته الدبلوماسية في نصرة القضايا العادلة للشعوب

وفي عام 1955م، تولى سموه، يرحمه الله، منصب رئيس دائرة الشؤون الاجتماعية والعمل، فعمل على تنظيم العلاقة بين العمال وأصحاب العمل، لا سيما في ضوء تدفق الهجرات الخارجية من الدول العربية والأجنبية للعمل في الكويت، واستحداث مراكز التدريب الفني والمهني للشباب ورعاية الطفولة والأمومة والمسنين وذوي الاحتياجات الخاصة وتشجيع الجمعيات النسائية والاهتمام بالرياضة وإنشاء الأندية الرياضية.

وأولى فقيد الكويت اهتماماً بالفنون، وعلى رأسها المسرح؛ فأنشأ أول مركز لرعاية الفنون الشعبية في الكويت عام 1956م، وفي عام 1957م أضيفت إلى مهام سموه رئاسة دائرة المطبوعات والنشر؛ إذ عمل على إصدار الجريدة الرسمية للكويت (الكويت اليوم)، وتم إنشاء مطبعة الحكومة لتلبية احتياجاتها من المطبوعات، ووقتها تم إصدار مجلة «العربي».

وبعد استقلال دولة الكويت عام 1961م، عُين سموه عضواً في المجلس التأسيسي الذي عهدت إليه مهمة تشكيل لجنة وضع دستور البلاد، ثم عُين في أول تشكيل وزاري عام 1962م وزيراً للإرشاد والأنباء.

وفي 28 يناير 1963م، وبعد إجراء أول انتخابات تشريعية لاختيار أعضاء مجلس الأمة، عُين وزيراً للخارجية لتبدأ مسيرة سموه مع العمل السياسي الخارجي والدبلوماسية التي برع فيها، فاستحق لقب «مهندس السياسة الخارجية الكويتية وعميد الدبلوماسيين في العالم» بعد أن قضى 40 عاماً على رأس تلك الوزارة رباناً لسفينتها في أصعب الظروف والمواقف السياسية التي شهدتها البلاد.

ويستذكر الكويتيون بكل فخر الدور الكبير للشيخ صباح الأحمد عندما كان وزيراً للخارجية حين رفع سموه علم الكويت فوق مبنى الأمم المتحدة بعد قبولها عضواً فيها، في 11 مايو 1963م.

محطات تاريخية:

سعى سموه منذ نحو 54 عاماً في لمِّ شمل الأشقاء وحل الخلافات عندما شارك في اللقاء الذي نظمته الأحزاب المتنافسة في اليمن مع ممثلي مصر والسعودية لوضع حد للحرب الأهلية هناك، التي استأنفت اجتماعاتها بالكويت، في أغسطس 1966م.

وعندما تدهورت العلاقة بين اليمن (الجنوبي والشمالي) وبدأت الصدامات بينهما على الحدود المشتركة، قام سموه بزيارة للدولتين، في أكتوبر 1972م، أثمرت توقيع اتفاقية سلام بينهما.

وقام فقيد الكويت، في عام 1980م، بوساطة ناجحة بين سلطنة عُمان وجمهورية اليمن الديمقراطية؛ نتج عنها توقيع اتفاقية خاصة بإعلان المبادئ، ثم وجَّه سموه الدعوة لوزيري الخارجية في الدولتين لزيارة الكويت عام 1984م، حيث اجتمع الطرفان على مائدة الحوار، وتوصلا إلى إعلان انتهاء الحرب الإعلامية بينهما، واحترام حسن الجوار وإقامة علاقات دبلوماسية.

واختط سمو الأمير الراحل منذ نحو خمسة عقود منهجاً واضحاً للسياسة الخارجية لدولة الكويت، استطاع من خلاله أن يتخطى بالكويت مراحل حرجة في تاريخها، من خلال انتهاج مبدأ التوازن في التعامل مع القضايا السياسية، ومن أبرزها الحرب العراقية الإيرانية التي استمرت من عام 1980 حتى عام 1988م، وما نتج عنها من تداعيات أثرت على أمن الكويت واستقرارها داخلياً وخارجياً.

وبذل سموه طوال سنوات قيادته لوزارة الخارجية جهداً كبيراً في تعزيز وتنمية علاقات الكويت الخارجية مع مختلف دول العالم، وخصوصاً الدول الخمس دائمة العضوية في مجلس الأمن.

وشهدت البلاد نتيجة ذلك استقراراً في سياستها الخارجية وثباتاً اتضحت ثماره في الثاني من أغسطس 1990م، عندما وقف العالم أجمع مناصراً للحق الكويتي في وجه العدوان العراقي الذي أثمر صدور قرار مجلس الأمن رقم (678) الذي أجاز استخدام كل الوسائل بما فيها العسكرية ضد العراق ما لم يسحب قواته من الكويت.

ونظراً إلى ما يتمتع به من فطنة وذكاء وقدرة فائقة على تحمل المسؤولية، فقد أسندت إلى سموه مناصب عدة إضافة إلى منصب وزير الخارجية؛ إذ عُين وزيراً للإعلام بالوكالة في الفترة من 2 فبراير 1971 وحتى 3 فبراير 1975م.

وفي 16 فبراير 1978م عُين نائباً لرئيس مجلس الوزراء، وفي 4 مارس 1981م تسلم حقيبة الإعلام بالوكالة، إضافة إلى وزارة الخارجية حتى 9 فبراير 1982م.

وفي 3 مارس 1985م عُين رحمه الله نائباً لرئيس مجلس الوزراء وزيراً للخارجية حتى 18 أكتوبر 1992م، عندما تولى منصب النائب الأول لرئيس مجلس الوزراء وزير الخارجية.

وفي 13 يوليو 2003م صدر مرسوم أميري بتعيينه رئيساً لمجلس الوزراء، وكانت المرة الأولى في تاريخ الكويت التي يتم فيها الفصل بين منصبي ولاية العهد ورئاسة مجلس الوزراء.

ولم يقتصر نجاح سمو الأمير الراحل عند السياسة الخارجية فقط، بل استمر هذا العطاء والنجاح عند توليه قيادة دفة السياسة الداخلية للبلاد، فقد حرص منذ اللحظات الأولى لتوليه منصب رئاسة الوزراء على تبني رؤية شاملة وعميقة للتنمية في الكويت تشمل مختلف قطاعات الدولة وعلى رأسها القطاع الاقتصادي.

واستمر فقيد الكويت في مسيرة العطاء رئيساً للحكومة الكويتية حتى يناير عام 2006م، عندما اجتمع مجلس الوزراء واتخذ قراراً بالإجماع بتزكية سمو الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح أميراً للبلاد، وفقاً للمادة (3) من قانون توارث الإمارة الصادر عام 1964م.

وانطلاقاً من هذا القرار الذي اتخذه مجلس الوزراء ومن مبايعة أسرة آل الصباح، عرض الأمر وفقاً للدستور على مجلس الأمة الذي عقد جلستين يوم الأحد 29 يناير 2006م، خصصت الأولى لمبايعة أعضاء مجلس الأمة لسمو الشيخ صباح الأحمد أميراً للبلاد، في حين خصصت الجلسة الثانية لتأدية سموه القسم الدستوري أمام المجلس بحضور جميع أعضاء مجلس الوزراء.

أوسمة رفيعة:

في عام 2014م كرمت الأمم المتحدة سموه في احتفالية رعاها «بان كي مون»، أمين عام الأمم المتحدة آنذاك، تقديراً لجهوده الإنسانية، وسماه «قائد العمل الإنساني».

وحصل سموه على أوسمة رفيعة عالمياً، أبرزها في مارس 2017م، بتقليده «وسام الدولة»، وهو أرفع وسام في تركيا.

كما منح الرئيس الأمريكي «دونالد ترمب» سموه «وسام الاستحقاق العسكري برتبة قائد أعلى» في مراسم أقيمت بالبيت الأبيض حيث مثل الشيخ ناصر صباح الأحمد سموه في مراسم تسلم الوسام.■

دعم القضية الفلسطينية

طوال فترة حكم الشيخ صباح الأحمد، رحمه الله، سخَّر سموه الكثير لدعم القضية الفلسطينية، ورفضت الكويت مراراً وتكراراً التطبيع مع الكيان الصهيوني، وأكدت غير مرة أنها ستكون آخر من يطبِّع مع الكيان.

كما رفضت الكويت ما يعرف بـ «صفقة القرن»، وأي نتائج مترتبة عليها، مؤكدة أنها تقبل فقط بما يقبل به الشعب الفلسطيني.■

القيادة الكويتية طوال فترة حكم سموه رفضت مراراً وتكراراً التطبيع مع الكيان الصهيوني

بذل طوال سنوات قيادته لوزارة الخارجية جهداً كبيراً في تعزيز علاقات الكويت الخارجية

استطاع أن يتخطى بالكويت مراحل حرجة من خلال انتهاج مبدأ التوازن في التعامل مع القضايا السياسية



قادة الدول ومختلف الرموز والمؤسسات عن رحيل الشيخ صباح الأحمد:

العالم خسر حاكماً مخلصاً وقائداً إنسانياً من طراز فريد

عقب إعلان خبر وفاة سمو الأمير الراحل الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح، يرحمه الله تعالى، توالت بيانات التعازي والنعي مختلف أنحاء العالم، من الأمراء والرؤساء والقادة السياسيين، فضلاً على العلماء والدعاة ومختلف أبناء الوطن وهيئاته ومؤسساته.

والبداية من دول التعاون الخليجي التي أعلنت جميعها الحداد وتنكيس الأعلام لمدة 3 أيام لوفاة سمو الأمير؛ فقد نعى العاهل السعودي الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود، وولي عهده الأمير محمد بن سلمان، سموَ أمير البلاد الراحل؛ حيث قال بيان صادر عن الديوان الملكي: «الملك وولي العهد يقدمان خالص التعازي وصادق المواساة لعائلة آل صباح الكريمة، وللشعب الكويتي الشقيق، وللأمتين العربية والإسلامية، في وفاة الشيخ صباح الذي رحل بعد مسيرة حافلة بالإنجاز والعطاء وخدمة جليلة لبلده وللأمتين العربية والإسلامية والإنسانية جمعاء».

كما نعى أمير دولة قطر الشيخ تميم بن حمد آل ثاني الشيخَ صباح الأحمد الجابر الصباح، رحمه الله، وقال: إن الراحل «كان قائداً عظيماً وزعيماً فذاً، اتسم بالحكمة والاعتدال وبُعد النظر والرأي السديد، كرَّس حياته وجهده لخدمة وطنه وأمته، والدعوة إلى الحوار والتضامن ووحدة الصف العربي والدفاع عن قضايا أمته العادلة».

أما رئيس دولة الإمارات الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان، فقد نعى «ببالغ الحزن والأسى أخاه صاحب السمو الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح، أمير دولة الكويت الشقيقة، الذي وافته المنية».

وإلى سلطنة عُمان؛ حيث قطع «تلفزيون السلطنة» بثه الإذاعي والبرنامج المعتاد، وبدأ بإذاعة آيات من القرآن الكريم، ونعت سفارتها في الكويت سمو الأمير؛ حيث قالت في حسابها على «تويتر»: «تشاطر السفارةُ الكويتَ حكومة وشعباً الحزن والأسى في فقيدها وفقيد الإنسانية الكبير سمو الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح، أمير دولة الكويت».

وفي مملكة البحرين، نعى الديوان الملكي سمو الأمير الراحل، وأعلن الحداد الرسمي وتنكيس الأعلام لمدة ثلاثة أيام، وقال الديوان، في بيان: «مملكة البحرين التي آلمها هذا المصاب الجسيم لتعرب عن خالص تعازيها وصادق مواساتها إلى أسرة آل الصباح الكرام وحكومة وشعب الكويت».

أما رئيس الوزراء العراقي مصطفى الكاظمي، فقد نعى الأمير الراحل، وقال: «ساهم الراحل الكبير في تعزيز مسيرة العراق الجديد، الخارج من نير الدكتاتورية، مثلما وقف معه وهو يواجه الإرهاب وينتصر لأرضه ووجوده».

كما نعى ملك الأردن عبدالله الثاني سمو الأمير الراحل، وقال في تغريدة: «فقدنا اليوم أخاً كبيراً وزعيماً حكيماً مُحبّاً للأردن، سمو الشيخ صباح الأحمد، رحمه الله، كان قائداً استثنائياً وأميراً للإنسانية والأخلاق، كرَّس حياته لخدمة وطنه وأمته، ولم يتوانَ في مساعيه الخيِّرة عن بذل كلّ جهد لوحدة الصف العربي، نعزي أنفسنا والشعبَ الكويتي الشقيق بهذا المُصاب الجلل».

وأعلن الديوان الملكي الأردني الحداد في البلاط الملكي الهاشمي لمدة 40 يوماً، اعتباراً من اليوم (الثلاثاء 2020/9/29م).

> أمير قطر: كان قائداً عظيماً وزعيماً فذاً اتسم بالحكمة والاعتدال وبُعد النظر والرأي السديد

> المذكور: كانت له منزلة خاصة في قلوب أهل الكويت فهو والد الجميع ومصدر فخر واعتزاز لكل كويتي

المذكور: كان نبراساً للجميع

ومن الملوك والرؤساء إلى العلماء والدعاة ومختلف المؤسسات والهيئات؛ حيث تقدم رئيس مجلس إدارة جمعية الإصلاح الاجتماعي د. خالد مذكور المذكور بخالص العزاء وصادق المواساة إلى آل الصباح الكرام وإلى الشعب الكويتي والعالم العربي والإسلامي، في وفاة المغفور له بإذن الله تعالى، سائلاً المولى عز وجل أن يتغمده بواسع رحمته، ويدخله الفردوس الأعلى من الجنة.

وقال المذكور: «لقد كانت مسيرة حياته، يرحمه الله، نبراساً يستفيد منه الجميع، ونقتبس من حياته الكثير من المواقف الكريمة والمبادرات المشرفة، وقد كانت له منزلة خاصة

في قلوب أهل الكويت، فهو والد الجميع، ومصدر فخر واعتزاز لكل كويتي؛ لكون سموه راعياً لمسيرة الخير والعمل الإنساني، وصاحب المواقف الإنسانية النبيلة»، مشيراً إلى امتداد أيادي سموه البيضاء بالعطاء ومساندة الفقراء والمساكين والأيتام في أنحاء مختلفة من العالم؛ بما عكس الوجه الحضاري والإنساني لوطننا الحبيب الكويت، ووضع الكويت في مكانها اللائق بين دول العالم.

المعتوق: كان صاحب رؤية ثاقبة

كما نعى رئيس الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية المستشار بالديوان الأميري، د. عبدالله المعتوق، صاحبَ السمو الأمير الراحل، في بيان، أكد فيه أنه برحيل سموه يكون العالم قد خسر حاكماً مخلصاً وقائداً إنسانياً من طراز فريد، مستذكراً رحلة العطاء الثرية والزاخرة لسموه وسجله الريادي في خدمة وطنه وشعبه وأمتيه العربية والإسلامية والإنسانية جمعاء.

وأكد أن العمل الخيري الكويتي شهد في عهد سموه، رحمه الله، تطوراً مؤسسياً مشهوداً وحركة انتشار واسعة في مختلف أنحاء العالم، أسهمت في انتشال ملايين الفقراء من مستنقع الجهل والمرض والحاجة، وتخفيف معاناة المنكوبين جراء الحروب والكوارث، وكانت لتوجيهاته السامية، رحمه الله، ودعمه المتواصل لمسيرة العمل الخيري، الأثر البالغ في دعم مشاريع التنمية المستدامة.

وأشارت إلى أن الراحل كان صاحب رؤية إنسانية ثاقبة ومواقف منصفة للعمل الخيري، فقد كان يردد في العديد من المناسبات أن العمل الخيري تاج على الرؤوس، وأن العمل الخيري هو الذي حفظ الكويت، ومنذ تولي سموه، رحمه الله، مقاليد الحكم عام 2006م برز العمل الخيري معلماً مميزاً من معالم السياسة الخارجية للبلاد وركيزة أساسية من ركائزها في بناء العلاقات.

وأكد البيان أن «الراحل، رحمه الله، بحكمته وحبه للخير خلف إرثاً خيرياً كبيراً، وقدَّم نموذجاً يحتذى في القيادة والبذل والعطاء، وبمشيئة الله ستظل مواقفه ومبادراته الإنسانية وأعماله ومنجزاته الوطنية شاهدة على استثنائية قيادته للوطن، وأن سيرته العطرة ستبقى حية في وجدان شعوب العالم؛ لأن أياديه البيضاء امتدت لإغاثة الملهوفين ومساعدة الضعفاء وتضميد جراح المنكوبين في مشارق الأرض ومغاربها من دون تمييز».

«حماس»: صاحب المواقف الشجاعة

وببالغ الحزن وبمزيد من التسليم والرّضا بقضاء الله وقدره، نعت حركة المقاومة الإسلامية (حماس) -كما جاء في بيان للحركة- ومعها الشعب الفلسطيني في أماكن وجوده كافة، إلى آل الصباح الكرام، وإلى دولة الكويت الشقيقة، وإلى الشعب الكويتي العزيز، المغفور له بإذن الله تعالى، سمو الأمير الراحل.

ووصفت الحركة سموه بأنه كان «صاحب المواقف الشجاعة والحكيمة، والأيادي البيضاء، والمسيرة المعطرة بالخير والبذل والعطاء»، مستذكرة بكل حبّ وتقدير وفخر واعتزاز سيرته ومسيرته في خدمة قضايا الأمَّة العربية والإسلامية، وبصمته الواضحة في دعم وحدتها وأمنها واستقرارها، وفي مقدّمة تلك القضايا القضية الفلسطينية، وفي القلب منها القدس والمسجد الأقصى المبارك، ودعم حقوق الشعب الفلسطيني وصموده ونضاله المشروع؛ ما جعل دولة الكويت الشقيقة في صدارة الداعمين والمؤيّدين لقضية شعبنا وحقوقه ومقدساته.

وقال البيان: «إنّنا في حركة «حماس» لنعتبر أنَّ المصاب في فقده، يرحمه الله، هو مصاب الشعب الفلسطيني ومصاب الأمَّة قاطبة».



المعتوق: العمل الخيري الكويتي شهد في عهد سموه تطوراً مؤسسياً مشهوداً وحركة انتشار واسعة بمختلف أنحاء العالم

«حماس»: نستذكر بكل اعتزاز سيرته في خدمة قضايا الأمَّة العربية والإسلامية وفي مقدّمتها القضية الفلسطينية

«الديلي ميل»: اكتسب سمعة طيبة كقائد داهية لا يتزعزع وساعد في توجيه بلاده خلال الغزو العراقي وانهيارات أسواق النفط

«حدس»: نستذكر حنكته الدبلوماسية ومبادراته الإنسانية

وقد نعت الحركة الدستورية الإسلامية الكويتية (حدس) ببالغ الأسى والحزن للشعب الكويتي والأمة العربية والإسلامية والعالم أجمع الفقيد الكبير، وقالت الحركة، في بيان لها: «إننا في هذا المصاب الجلل لنستذكر مآثر الفقيد، رحمه الله، في حنكته الدبلوماسية ومبادراته الإنسانية ومساعيه السلمية، داعين المولى تعالى أن يجعل ذلك كله في صحيفة أعماله ويثقل بها ميزانه وأن يسكنه أعالي الجنان».

وأضافت أن «المواطنين والمواطنات وهم يقاسون الحزن في المصاب الجلل يستمدون صبرهم وسلواهم من المولى الغفور الرحيم، ثم من ثقتهم بقيادة البلد وبوجود مؤسسات وضوابط دستورية تبسط الأمن والطمأنينة والاستقرار».

الصحافة الأجنبية: قائد داهية

كما تناولت الصحافة الأجنبية خبر وفاة سموه في تقارير موسعة مشيدة بمواقفه ومسيرة حياته الحافلة بالإنجازات؛ حيث قالت وكالة «بلومبيرغ»: توفي اليوم الشيخ صباح الأحمد الزعيم الكويتي الذي حاول معالجة الانقسامات عن عمر ناهز 91 عاماً.

وتابعت: الشيخ صباح دبلوماسي محنك حاول رأب الصدع بين دول الخليج المتناحرة، وإعادة بناء العلاقات مع العراق رغم الاعتداء الغاشم الذي صدر من الأخير.

كما قالت صحيفة «الديلي ميل»: إن أمير الكويت الشيخ صباح الأحمد الصباح يعد مهندس السياسة الخارجية الحديثة للبلاد والوسيط في بعض أسوأ الأزمات في الخليج.

وتابعت: اكتسب الشيخ صباح سمعة طيبة كقائد داهية لا يتزعزع، ساعد في توجيه بلاده خلال الغزو العراقي عام 1990م، والانهيارات في أسواق النفط العالمية والأزمات في البرلمان وفي الشوارع.

وتابعت: بصفته أكبر دبلوماسي في البلاد لما يقرب من أربعة عقود، فقد عزز العلاقات الوثيقة مع الغرب، وعلى الأخص الولايات المتحدة التي قادت التحالف الدولي الذي حرر الكويت من الاحتلال العراقي في عام 1991م.

وقالت «كريستين ديوان»، كبيرة الباحثين بمعهد دول الخليج العربية في واشنطن: «خسارة صباح الأحمد ستؤثر بشكل عميق، بسبب دوره البارز كدبلوماسي ووسيط إقليمي وكشخصية موحدة في الداخل»، وأضافت أن «الكويتيين يقدرون قدرته على إبعاد الإمارة عن الصراعات والمنافسات الإقليمية».■



الكويت

سُمُوّه أحد المساهمين في بناء الكويت الحديثة وإرساء دعائمها وتحقيق نهضتها

بصمات سموه أهلته لأن يكون مسؤولاً ناجحاً وقائداً بارزاً

الأمير نواف الأحمد.. نصف قرن من العطاء

أدى الشيخ نواف الأحمد الجابر الصباح، حفظه الله ورعاه، اليمين الدستورية أميراً لدولة الكويت، خلفاً للأمير الراحل الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح، رحمه الله، الذي وافته المنية، يوم الثلاثاء 29 سبتمبر الماضي، في الولايات المتحدة.

المولد والنشأة:

ولد سمو الشيخ نواف الأحمد في مدينة الكويت بفريج الشيوخ، في 25 يونيو 1937م، وهو النجل السادس لحاكم الكويت العاشر المغفور له بإذن الله الشيخ أحمد الجابر المبارك الصباح الذي حكم الكويت في الفترة من عام 1921 وحتى عام 1950م.

جنّد كل الطاقات العسكرية والمدنية لتحرير دولة الكويت من الاحتلال العراقي

أسهم في دعم وبناء التكامل الأمني بدول مجلس التعاون الخليجي والدول العربية

نشأ في قصر دسمان، بيت الحكم أثناء إمارة والده أحمد الجابر، وتلقَّى تعليمه في الكويت، ضمن مدارسها النظامية، ومن بينها المدرسة المباركية.

تدرج على مدى 6 عقود في مناصب عدة بالدولة، ترك فيها بصمات واضحة، وهو من المسؤولين الذين حظوا بإجماع شعبي كونه يتمتع بصفات إنسانية غلب عليها التواضع، إلى جانب ما عهد فيه من صلاح وجدارة.

يتمتع سمو الشيخ نواف الأحمد، الذي أصبح الأمير الـ16 للكويت، بمسيرة حافلة بالعطاء، تدرج فيها سلم المسؤولية، شاغلاً خلالها العديد من المناصب المهمة.

وكانت بصمات سمو الشيخ نواف الأحمد واضحة في وزارات الدفاع والداخلية والشؤون والحرس الوطني وإنجازاته الكثيرة، أهَّلته لأن يكون مسؤولاً ناجحاً وقائداً بارزاً.

واختير سمو الشيخ نواف الأحمد ولياً للعهد عام 2006م، بإجماع من أفراد الأسرة الحاكمة؛ نظراً لما يتمتع به من شعبية واسعة في الأسرة ولدى مختلف فئات المجتمع، حيث عُرف بحسمه وتواضعه وحبه للعمل والإخلاص فيه بعيداً عن الأضواء.

ويعتبر سمو الأمير الشيخ نواف الأحمد أحد مؤسسي الكويت الحديثة الذين ساهموا في إرساء دعائم الدولة وشاركوا في عمليات النهضة والبناء التي شهدتها البلاد عقب الاستقلال.

فالتاريخ السياسي والعملي لسموه والممتد لأكثر من نصف قرن من الزمن شاهد حي على جهوده الواضحة لجعل مكانة الكويت بين الدول المتقدمة والمتطورة، وأضحى عطاؤه وخبرته في المجالات التي تولى قيادتها محل احترام وتقدير من الجميع.

الحياة المهنية:

فمنذ استقلال البلاد مطلع الستينيات، كان لسموه بصمة في العمل السياسي، ففي 12 فبراير 1962م عيَّنه الأمير الراحل الشيخ عبدالله السالم الصباح، يرحمه الله، محافظاً لحولي، وظل في هذا المنصب حتى 19 مارس 1978م، عندما عُين وزيراً للداخلية في عهد الأمير الراحل الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح، يرحمه الله، ثم اختير وزيراً للدفاع في 26 يناير 1988م، حيث عمل سموه على تحديث وتطوير المنظومة الدفاعية من خلال حرصة على إيفاد أبنائه العسكريين الكويتيين إلى الدول الصناعية العسكرية للتدريب على قيادة الطائرات العسكرية واستعمال كافة أنواع الأسلحة والمدرعات.

وبعد تحرير الكويت من الغزو العراقي عام 1991م، تولى سموه حقيبة وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل، في 2 أبريل 1991م، حيث قال حينها: «أنا جندي أقبل العمل في أي مكان يضعني فيه سمو أمير البلاد».

وفي 16 أكتوبر 1994م، تولى سموه منصب نائب رئيس الحرس الوطني؛ فترك بصمته المميزة على هذا المرفق الأمني الحيوي، حيث عمل على تطوير المنظومة العسكرية للحرس وجعله الذراع اليمنى للقوات المسلحة.

واستمر سموه في هذا المنصب حتى 13 يوليو 2003م، عندما تولى وزارة الداخلية، ثم صدر مرسوم أميري في 16 أكتوبر من العام نفسه بتعيين سموه نائباً أول لرئيس مجلس الوزراء وزيراً للداخلية، وبقي في هذا المنصب حتى تعيينه ولياً للعهد في عام 2006م.

إنجازات بارزة:

ولسموه إنجازات بارزة قبل توليه ولاية العهد، منها تحويل منطقة حولي التي كانت عبارة عن قرية إلى مركز حضاري وسكني يعج بالنشاط التجاري والاقتصادي، وأصبح العمران الحديث ينمو في أرجائها وبقية مناطق المحافظة.

وحين أسندت إلى سموه حقيبة وزارة الداخلية كان الهاجس الرئيس له هو حفظ الأمن والاستقرار للوطن والمواطنين، وحرص على مجاراة العصر ومواكبة التقدم العالمي في مجال الأمن؛ إذ عمل على تطوير وتحديث كافة القطاعات الأمنية والشرطية، وتوفير الإمكانات المادية للنهوض بالمستوى الأمني، وإدخال الأجهزة الأمنية الحديثة، ورسم إستراتيجية منظومة أمنية متكاملة لمكافحة الجريمة وضرب أوكارها في مختلف مناطق وحدود الكويت.

وحرص سموه على الاستفادة من الثورة المعلوماتية في العالم من خلال توظيف تطبيقاتها التكنولوجية المتقدمة في عمل الأجهزة الأمنية المختلفة، مثلما فعل بكل الوزارات التي تولى مسؤوليتها.

كما وضع سموه إستراتيجية أمنية دقيقة لمنظومة شاملة تحمي الحدود براً وبحراً، إذ ترصد المنظومة الإدارية كل شبر من أرض الوطن، فيما تغطي القواعد البحرية المياه الإقليمية والجزر، أما المراكز الحدودية فتغلق الطرق أمام المتسللين وضبط كل من تسول له نفسه العبث بأمن واستقرار البلاد.

وخلال توليه وزارة الدفاع حقق سموه نقلة نوعية فيها، من خلال تطوير العمل بشقيه العسكري والمدني، وتم تحديث وتطوير معسكرات الوزارة ومدها بكل الأسلحة والآليات الحديثة لتقوم بواجبها الوطني في الدفاع عن الكويت وحمايتها من المخاطر الخارجية.

وترك سموه بصمات إنسانية واضحة حين تولى حقيبة وزارة الشؤون الاجتماعية؛ إذ سارع إلى اتخاذ قرارات إنسانية لرعاية الأرامل والأيتام والمسنين، كما برهنت أعماله



كان خير العضيد والمساند للأمير الراحل الشيخ صباح الأحمد في جهود المصالحة الخليجية

سموه يحرص على تعزيز الفضائل والقيم والإيمان بأهمية وحدة وتكاتف أبناء الكويت جميعاً

على أنه خير نصير للطفل والمرأة والأرملة والمسن والعامل.

وعندما تعرضت البلاد إلى محنة الغزو عام 1990م، ساهم سمو الشيخ نواف الأحمد في القرارات الحاسمة لمواجهة الاحتلال، وجنَّد كل الطاقات العسكرية والمدنية من أجل تحرير دولة الكويت، وأدى دوراً في قيادة المقاومة وتأمين وصول الشرعية للمملكة العربية السعودية الشقيقة إلى جانب قيادته للجيش.

وحققت الرؤية الأمنية الثاقبة لسموه ثمارها وخصوصاً في التعامل مع الحوادث الإرهابية في البلاد، كالتي حدثت في يناير 2005م، حيث قاد سموه بنفسه المواجهة ضد الإرهابيين، وكان موجوداً في مواقع تلك الأحداث لاستئصال آفة الإرهاب في البلاد من جذورها.

وعلى الصعيد الإقليمي، أولى سموه أهمية كبرى لأمن دول الخليج العربي، فمن خلال مشاركته في اجتماعات وزراء الداخلية للدول الأعضاء في مجلس التعاون الخليجي تم تحقيق قدر كبير من التنسيق الأمني بين أجهزة الأمن في الدول الشقيقة؛ بهدف مجابهة المخاطر التي تهدد المنطقة ودولها وعلى رأسها الإرهاب.

وأكد سموه أن الأمن العربي وحدة واحدة وكل لا يتجزأ، وانطلاقاً من هذه الرؤية الإستراتيجية، كانت مشاركات سموه في اجتماعات وزراء الداخلية العرب التي أسفرت عن إجماع عربي على محاربة الإرهاب، ودعم جهود العمل الأمني المشترك، وأهمية تبني الحلول العلمية الشاملة لمواجهة مخاطر الإرهاب والمخدرات وغسيل الأموال والفساد وسائر القضايا الأمنية الأخرى.

وكان سموه خير العضيد والمساند لأخيه الأمير الراحل الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح، رحمه الله، في جهود المصالحة الخليجية وجهود المصالحة اليمنية.

ويرى سموه أن القوة والمنصب يجب أن يسخرا لنصرة الضعيف والمظلوم، وأن الناس سواسية أمام القانون، وأن البلد مسؤولية الجميع، ويحرص سموه على تعزيز الفضائل والقيم والإيمان بأهمية وحدة وتكاتف أبناء الكويت جميعاً إيماناً بأن قوة الكويت في وحدة أبنائها، وأن تقدمها وتطورها مرهون بتآزرهم وتلاحمهم وإخلاصهم في العمل.■





الكويت تودِّع أحد أبرز علمائها ودعاتها

الشيخ عبدالرحمن عبدالخالق

فقدت الأمة الإسلامية العلاَّمة الشيخ عبدالرحمن عبدالخالق، الذي وافته المنية، بمستشفى الصباح في دولة الكويت عن عمرٍ يناهز الـ80 عاماً، إثر أزمة قلبية مفاجئة تعرض لها.

والشيخ عبدالرحمن عبدالخالق مصري المولد، حيث ولد في قرية عرب الرمل بمحافظة المنوفية بمصر عام 1939م، وحصل على الجنسية الكويتية بموجب مرسوم أميري صدر في عام 2011م.

وتواجد الشيخ عبدالرحمن في الكويت منذ عام 1965م، قام خلالها بتدريس العلوم الشرعية وإلقاء المحاضرات الدينية وإصدار عشرات الكتب، وهو أحد أبرز رموز الدعوة السلفية في الكويت، كما ساهم في تأسيس جمعية إحياء التراث في عام 1982م.

كما أن للشيخ، رحمه الله، ما يزيد على 60 مؤلفاً، من أشهرها: «الشورى في ظل نظام الحكم الإسلامي»، «السلفيون والأئمة الأربعة رضي الله عنهم»، «أضواء على أوضاعنا السياسية»، «العقبات التي تعترض بناء الأمة الإسلامية»، «الإلحاد أسباب هذه الظاهرة وطرق علاجها»، «المسلمون والعمل السياسي».

أحد أعلام الدعوة السلفية

ومن جانبه، تقدم رئيس مجلس إدارة جمعية الإصلاح الاجتماعي، د. خالد مذكور المذكور، بخالص العزاء وصادق المواساة في وفاة العالم الجليل، وقال، في تصريح صحفي: فقدت الساحة الدعوية عالماً كبيراً كرَّس حياته في البحث العلمي والدعوة إلى الله تعالى، وله الكثير من الكتب والمؤلفات في مختلف العلوم الإسلامية للدفاع عن العقيدة الإسلامية ودفع الشبهات والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

وأشاد المذكور بعطاء الفقيد، يرحمه الله، مشيراً إلى أن عطاءه لم يقف عند حدود العمل الدعوي، بل امتد إلى مجالات العمل الاجتماعي وإصلاح ذات البين وتأليف القلوب، وكانت له عناية خاصة بقضية القدس وفلسطين ومناصرة المستضعفين.

هذا، وقد نعاه رئيس الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية والمستشار بالديوان الأميري د. عبدالله المعتوق، واصفاً إياه بأنه كان «أحد رواد العمل الخيري والإسلامي، وأنه كان من العلماء الأفذاذ الراسخين في العلم، والدعاة الأجلاء، والمفكرين الأعلام، والمجتهدين المخلصين، مشيراً إلى أنه تتلمذ على أيدي علماء ومربين عمالقة في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وهو صاحب العديد من المؤلفات والكتب الإسلامية القيمة التي أثْرت المكتبة الإسلامية وأنارت عقول الشباب المسلم.

كما نعاه علماء ومفكرون وسياسيون عبر مواقع التواصل الاجتماعي، فمن جانبه، قال رئيس مجلس الأمة مرزوق الغانم: «ببالغ الحزن والأسى، تلقينا خبر وفاة الشيخ الجليل عبدالرحمن عبدالخالق، ونسأل الله جلت قدرته أن يرحمه برحمته الواسعة، ويسكنه جنات الفردوس، وأن يلهم ذويه ومحبيه الكثر الصبر والسلوان».

> **المذكور: عطاؤه لم يقف عند حدود العمل الدعوي بل امتد إلى مجالات العمل وكانت له عناية خاصة بقضية فلسطين**
>
> **الشنقيطي: كان من رجالات الإسلام الذين حملوا همّه طيلة عمره الطويل بجد واجتهاد**

وقال عضو هيئة الفتوى في الكويت د. عجيل النشمي: رحم الله الشيخ عبدالرحمن عبدالخالق، المحدّث المفسر الفقيه، اللهم اقبل شهادتي فيه، فقد خبرته حضراً وسفراً، فعلمت عميق علمه، وعلو همته، وإخلاصه، وبالغ حرقته على دينه وأحوال أمته، ولا نزكي على الله أحداً، اللهم فاقبله برحمتك، وأنعم عليه برفقة خير خلقك من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

وقال عنه رئيس جمعية «بشائر الخير» المهندس عبدالحميد البلالي: إنه «قضى حياته في التعليم والدعوة إلى الله على منهج السلف الصالح، وكان من أبرز شيوخ السلف الذين استنكروا مذبحة «رابعة»، وله ردود مفحمة ضد الأحزاب الدينية التي أيدت المذبحة».

ووصف أستاذ الحديث بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية في جامعة الكويت د. عبدالرزاق الشايجي بأنه كان من أبرز علماء الأمة العاملين، ومؤسس الدعوة السلفية في الكويت، عرفه أهلها منذ أكثر من 55 عاماً باعتداله، تتلمذ على يده العشرات من طلبة العلم، وعزاؤنا في علمه الوفير المتاح.

وقال عنه المفكر والداعية د. محمد العوضي: منذ وعينا على الدنيا واسمه في سماء الدعوة ناصراً لقضايا أمته، وختم مسيرته برسالة يحذر فيها من جريمة التطبيع مع الصهاينة، رحمه الله ورفع درجته في المهديين، وأسكنه فسيح جناته، وجمعنا به في دار كرامته ومستقر رحمته.

وقال المفكر الموريتاني د. محمد مختار الشنقيطي: رحل الشيخ الداعية المربي الكويتي المصري عبدالرحمن عبدالخالق، رحمه الله رحمة واسعة، فقد كان من رجالات الإسلام الذين حملوا همّه طيلة عمره الطويل العريض بجد واجتهاد، غفر الله ذنبه وتقبّل كسبه، إنّا لله وإنا إليه راجعون.■



فرنسا.. وحلم الهيمنة على المنطقة العربية مجدداً

جاءت زيارة الرئيس الفرنسي «إيمانويل ماكرون» للبنان، مؤخراً، إثر انفجار مرفأ بيروت، وما صاحبها من تصريحات وتصرفات منه تفتقد لأدنى الأخلاقيات التي يجب أن يتحلى بها أي ضيف؛ لتنكأ جراحاً لم تكد تندمل، خلفتها فترة الاحتلال الفرنسي الذي رحل عن المنطقة شكلاً وبقي فيها مضموناً وموضوعاً؛ حيث ما زالت فرنسا تقوم بدور الوصاية والابتزاز على الدول التي كانت تحتلها، وما «الفرنكوفونية» إلا خير دليل وأوضحه على هذا.

جاءت هذه الزيارة وما صاحبها أيضاً من بعض الأصوات النشاز التي طالبت «ماكرون» بحمياتهم من حكوماتهم وفسادها؛ لتدق جرس إنذار كبيراً لمواجهة هيمنة أخرى مرتقبة بدأت تلقي بظلالها الكئيبة على المنطقة التي تعاني من الأزمات تلو الأزمات.

ولما كان الأمر يتعلق بمعركة تحرر وانعتاق من خيوط مؤامرة حيكت في الظلام وبدأت تخرج للعلن؛ كان لا بد من تذكير الناسي وتنبيه الغافل واستنهاض الهمم للقيام بأدوار منوطة بكل من ينتمي لهذه الأمة وينتسب إليها، وذلك من خلال هذا الملف الذي تقدمه «المجتمع»، الذي يتضمن الموضوعات التالية:

- فرنسا.. والهيمنة على الشرق الأوسط.
- من «نابليون» إلى «ماكرون».. تجديد الغزو الفرنسي للشرق الإسلامي.
- مواجهة الإسلام و«العثمانية الجديدة».. دوافع فرنسا للهيمنة على المنطقة العربية.
- اللغة.. الباب الواسع الذي استهدفت منه فرنسا الهوية العربية.
- الفرنكوفونية.. توحيد للشعوب أم هدم للهويات؟■

فرنسا.. والهيمنة على الشرق الأوسط



أ. د. حلمي محمد القاعود
أستاذ الأدب والنقد



الأجيال الغربية وتوابعها تغذت على الثقافة الصليبية حيث الإيمان بالقوة الهمجية واحتقار الآخر

كي نفهم السلوك الغربي عامة، والفرنسي خاصة، تجاه منطقتنا والعالم المحيط بها ينبغي أن نلقي نظرة سريعة على الماضي الذي يفسّر التصرفات الغربية، والفرنسية تحديداً.

أذكر منذ أربعين عاماً أنني قرأت عبارة للمستشرق اليهودي «ليوبولد فايس» الذي أسلم وصار اسمه «محمد أسد»، تقول: «إن الروح الصليبية هي التي تحكم أوروبا».

والروح الصليبية لا علاقة لها بالبنية الدينية للمسيحية، ولكنها تتلفع بها وتتكئ عليها وتنطلق منها لتشيع العدوان والنهب والفساد في الأرض؛ فلم يحضّ المسيح عليه السلام على القتل والذبح والتدمير والسلب وقهر الآخرين المخالفين، ولكن الصليبيين اتخذوا من المسيحية أداة لوحشيتهم وهمجيتهم التي طالت العالم الإسلامي والأرثوذكسي على مدى عشرة قرون تقريباً، وللأسف فقد تغذت الأجيال الغربية وتوابعها في أمريكا وروسيا وبقية بلدان العالم على الثقافة الصليبية إن صح التعبير، حيث الإيمان بالقوة الهمجية، واحتقار الآخر، واستحلال أرضه وثرواته والهيمنة على أسواقه، واستخدام الأساليب المحرمة وغير المشروعة لتحقيق ذلك، وفي مقدمتها سفك دماء الأبرياء.

يمكن أن نكتشف جذور الصليبية الوحشية الهمجية في يوم 27 نوفمبر 1095م، حيث ألقى «أوربان الثاني» (أوربانوس الثاني)، بابا الفاتيكان، خطبته في سان مونت كلير بجنوبي فرنسا لتدشين الحرب الصليبية الأولى؛ فقد وصف المؤرخ «جوستاف لوبون» في كتابه «حضارة الغرب» هذه الخطبة بأنها نوبة حادة من الجنون.

ماذا قال البابا في خطبته؟

«يا شعب الله المحبوب المختار، لقد جاءت من تخوم فلسطين، ومن مدينة القسطنطينية أنباء محزنة تعلن أن جنساً لعيناً أبعد ما يكون عن الله قد طغى وبغى في تلك البلاد، بلاد المسيحيين في الشرق، قلب موائد القرابين المقدسة، ونهب الكنائس وخربها وأحرقها، وساقوا بعض الأسرى إلى بلادهم، وقتلوا بعضهم الآخر بعد أن عذبوهم أشنع تعذيب، ودنسوا الأماكن المقدسة برجسهم، وقطعوا أوصال الإمبراطورية البيزنطية، وانتزعوا منها أقاليم بلغ من سعتها أن المسافر فيها لا يستطيع اجتيازها في شهرين كاملين.

على من إذن تقع تبعة الانتقام لهذه المظالم، واستعادة تلك الأصقاع إذا لم تقع عليكم أنتم، أنتم يا من حباكم الله أكثر من أي قوم آخرين بالمجد في القتال، وبالبسالة العظيمة وبالقدرة على إذلال رؤوس من يقفون في وجوهكم؟ ألا فليكن من أعمال أسلافكم ما يقوي قلوبكم، أمجاد «شارلمان» وعظمته، وأمجاد غيره من ملوككم وعظمتهم، فليثر همتكم ضريح المسيح المقدس ربنا ومنقذنا -الضريح الذي تمتلكه الآن أمم نجسة، وغيره من الأماكن المقدسة التي لوثت ودنست- لا تدعوا شيئاً يقعد بكم من أملاككم أو من شؤون أسركم، ذلك بأن هذه الأرض التي تسكنونها الآن التي تحيط بها من جميع جوانبها البحار، وتلك الجبال، ضيقة لا تتسع لسكانها الكثيرين، تكاد تعجز عن أن تجود بمن يكفيكم من الطعام، ومن أجل هذا يذبح بعضكم بعضاً، وتتحاربون ويهلك الكثيرون منكم في الحروب الداخلية.

طهروا قلوبكم إذن من أدران الحقد، واقضوا على ما بينكم من نزاع واتخذوا طريقكم إلى الضريح المقدس، وانتزعوا هذه الأرض من ذلك الجنس الخبيث وتملكوها أنتم، إن أورشليم أرض لا نظير لها في ثمارها، هي فردوس المباهج، إن المدينة العظمى القائمة في وسط العالم تستغيث بكم أن هبوا لإنقاذها، فقوموا بهذه الرحلة راغبين متحمسين تتخلصوا من ذنوبكم، وثقوا بأنكم ستنالون من أجل ذلك مجداً لا يفنى في ملكوت السماوات».

حركت الخطبة مشاعر المجتمعين، وتدافعوا بالمئات يركعون أمام البابا مثل الأسقف «أدهمير» الذي طلب إلحاقه بالحملة الصليبية، كان الحماس منقطع النظير، وراح المجتمعون يحملون الصلبان ويقسمون على

تخليص المدينة المقدسة، وقد وصل عددهم إلى ثلاثمائة ألف، وأوضح «أدهمير»، الذي عيّنه البابا «أوربان الثاني» ممثلاً شخصياً ونائباً عنه، أن الحملة تحت إشراف الكنيسة، بل تحت إشرافه هو مباشرة.

في هذه الخطبة تتكشف أسس العدوانية الصليبية الاستعمارية ضد المسلمين منذ ذلك الحين حتى الآن:

1 – العنصرية الفاقعة ضد المسلمين وعدّهم جنساً نجساً معتدياً، يعتدي على شعب الله المحبوب المختار.

2 – الاعتماد على الأكاذيب والادعاءات غير الصحيحة لتسويغ العدوان على المسلمين (الطغيان، البغي، قتل الأسرى، تدنيس المقدسات، الاستيلاء على الأراضي..).

3 – الرغبة الشريرة في الانتقام اقتداء بالأسلاف العدوانيين وخير من يمثلهم الإمبراطور «شارلمان» وأمثاله من القادة الصليبيين.

4 – الادعاء الكاذب بحق الصليبيين في حماية ما يسمى ضريح المسيح الذي لا وجود له أصلاً وفقاً للعقيدة الإسلامية.

5 – التلميح إلى ضيق الأراضي الصليبية، وضرورة التوسع في أراضي المسلمين.

6 – الطمع في القدس والرغبة في الاستيلاء عليها؛ «إن أورشليم أرض لا نظير لها في ثمارها، هي فردوس المباهج».

7 – ربط القتال والسيطرة على القدس بغفران الذنوب ودخول الجنة.

هل تفعل فرنسا الآن شيئاً غير ذلك، وإن اختلفت المسميات منذ بدأت الحروب الصليبية بقيادة «بطرس الحافي» قبل عشرة قرون؟

بين المرفأ و«إيبدو»

على ضوء الماضي، يمكن أن نفسر سلوك فرنسا ورغبتها الجامحة في الهيمنة على الشرق الإسلامي، والتحكم في مصائر أهله وثرواتهم، بعد أن وصل بهم الضعف أو التدهور إلى الحضيض في المجالات كافة؛ العسكرية والتنظيمية والعلمية والثقافية والاجتماعية، فضلاً عن الأوضاع الاقتصادية المنهارة.

هناك مثالان قريبان للغاية؛ الأول ما يتعلق بانفجار ميناء بيروت (2020/8/9م)، والآخر تعليق الرئيس الفرنسي (2020/9/2م) على ما نشرته مجلة «شارلي إيبدو» من إساءات للرسول صلى الله عليه وسلم.

عقب انفجار بيروت سارع الرئيس الفرنسي، وتلاه عدد من المسؤولين الكبار بزيارة بيروت، وذهب إلى المرفأ (موقع الانفجار) قبل أن تطأه قدم مسؤول لبناني، وتحدث عن ضرورة مواجهة آثار الانفجار وعقد مؤتمر دولي لدعم اللبنانيين، وتشكيل حكومة لبنانية جديدة تتوفر فيها عناصر العمل الجاد من أجل لبنان ومعالجة مشكلاته الاقتصادية والسياسية، وكانت تصريحاته من هناك توحي أن لبنان مجرد مقاطعة فرنسية يحكمها الفرنسيون وحدهم، وترتب على ذلك أن تقدم نحو ستة وثلاثين ألف لبناني بمذكرة تطالب بإعادة احتلال فرنسا لبلدهم كي تستقيم الأمور! وهو ما أثار جدلاً كبيراً على مستوى العالم العربي.

مع تراجع الدور الأمريكي بالمنطقة نشطت فرنسا بعهد «ساركوزي» الذي تبنى مشروع «الاتحاد من أجل المتوسط»

فرنسا تمكنت من تغريب الجزائر وتغيير هويتها فألغت اللغة العربية وأحلّت الفرنسية وحاربت الكتاتيب

لقد جاء تعليق «ماكرون» على إساءة «شارلي إيبدو» بأنها حرية تعبير، وأن أي فرنسي يستطيع أن ينتقد رئس الجمهورية، ونسي أن الغرب –بما فيه فرنسا– أصدر قانوناً يمنع الإساءة إلى اليهود ومقدساهم وتاريخهم، ويحرّم التشكيك في المحرقة.

لقد شاركت فرنسا بوصفها رأس حربة في الحروب الصليبية، ومع انتهاء دور محمد علي السياسي بالنسبة لفرنسا، اتجهت نحو المغرب العربي الكبير، لتحتله وتمارس أبشع أنواع القتل والفرْنسة واستئصال الإسلام، واتضحت أبرز جرائمها في الجزائر التي احتلتها عام 1830م، ويوم قرر «ديجول» الانسحاب من الجزائر، وإعلان استقلالها، خلّف وراءه في البلاد حزباً كبيراً يسمى «حزب فرنسا»، وإن لم يكن له صفة رسمية، ويضم نخبة ضخمة من العسكريين والمثقفين والتكنوقراط والتجار وأتباع الكنائس التي زرعوها في البلد المسلم وآخرين، وهو ما جعل الاستقلال شكليا.

استقلال زائف

بينما كانت تمنح فرنسا مستعمراتها أو محمياتها العربية والأفريقية استقلالاً زائفاً، فقد حرصت على أن تكون حاضرة باستمرار في الأحداث المؤثرة وخاصة في المنطقة العربية، لقد وقفت من وراء الكيان الصهيوني الغاصب وزوّدته بالتقنية العلمية المتقدمة، وأسّست لمفاعلين نوويين؛ أحدهما مفاعل ديمونة الشهير، كما سلحت جيش الحرب الصهيوني بطائرات «الميراج» التي حسمت عدوان عام 1956م الثلاثي، ثم عدوان عام 1967م بهزيمة مدوية قصمت ظهر مصر والعرب والمسلمين.

قبل عقد من الزمان، تراجع الدور الأمريكي في الشرق الإسلامي، فنشطت فرنسا في عهد «نيكولاي ساركوزي» الذي زار بعض البلدان العربية واستقبل «نتنياهو»، رئيس وزراء الكيان الصهيوني، ليقوم بإحياء المفاوضات بين الفلسطينيين والمحتلين، لكنه لم يوفق لرفض الكيان الصهيوني الخضوع للقرارات الدولية، ولكن «ساركوزي» كان يسعى إلى حضور فرنسا الإقليمي، فتبنى منذ وصوله إلى الرئاسة الفرنسية مشروع «الاتحاد من أجل المتوسط»، الذي أصبح مشروعاً أوروبياً تبناه الاتحاد الأوروبي لاحقاً لتتحرك فرنسا في مجال أرحب وتفيد اقتصادياً وسياسياً وثقافياً.

لقد تدخلت فرنسا عسكرياً مع الحلفاء الأوروبيين وأمريكا في سورية وأفغانستان، فضلاً عن قيادة الاتحاد الأوروبي لتصفية العقيد القذافي في ليبيا والسيطرة على النفط، وتسعى الآن إلى إبعاد تركيا عن المنطقة، وتحرض ضدها، وتستخدم قواتها المسلحة في مالي وأفريقيا الوسطى لمكافحة الإسلام أو ما تسميه الإرهاب!

أما مجال الهيمنة الناعمة؛ فيتمثل في نشر الثقافة الفرنسية عبر المدارس الفرنسية التبشيرية في المدن العربية الإسلامية، وتقديم آلاف المنح الدراسية سنوياً للطلاب العرب والمسلمين للدراسة في فرنسا !■

د. زينب عبدالعزيز أستاذة التاريخ والحضارة الفرنسية بجامعة القاهرة لـ«المجتمع»:

فرنسا تتزعم فرض الكاثوليكية رغم زعمها فصل الدين عن الدولة



حوار- علا سليمان:

هي د. زينب عبدالعزيز، أستاذة الحضارة الفرنسية بجامعة القاهرة، من مواليد الإسكندرية بمصر، في 19 يناير 1935م، وصاحبة أحدث ترجمة بالفرنسية لمعاني القرآن، وواحدة من أبرز الناشطات في مواجهة العمل «التنصيري» وفضح مخططاته، لدرجة أنها تعرضت للتهديد بالقتل ثلاث مرات بسبب «فضحها لحملات التنصير ومخططاته»، كما صرحت هي.

كذلك، فإن د. زينب صاحبة إنتاج غزير فيما يتعلق بهذا الملف الشائك (ملف الاستعمار القديم والحديث ومحاولات طمس الهوية العربية والإسلامية لصالح الهوية الغربية المسيحية)؛ ولذلك تجد عناوين كتبها تؤكد ذلك مثل: «حرب صليبية بكل المقاييس»، «المساومة الكبرى.. من مخطوطات قمران إلى مجمع الفاتيكان الثاني».. وغيرهما مما لا يتسع المقام لذكره.

اختارت «المجتمع» الذهاب إليها بوصفها من أهم المختصين في هذا الملف بكل روافده، لنسألها عن زيارة الرئيس الفرنسي «إيمانويل ماكرون» الأخيرة للبنان، وكيف تراها في سياق الأطماع الاستعمارية الغربية، ولنسألها عن توابع هذه الزيارة وما يمكن أن ترتبط به من جهد «فرنكوفوني» دؤوب لإحياء هذه الهوية، وعلاقة ذلك كله بالجهد التنصيري من خلال طبيعة الدور الفرنسي وعلاقته بالفاتيكان ومخططاته.. أسئلة كثيرة طرحتها «المجتمع» على أستاذة التاريخ والحضارة الفرنسية د. زينب عبدالعزيز من خلال الحوار التالي:

● بداية، لو أردنا تصوراً لزيارة الرئيس الفرنسي «إيمانويل ماكرون» الأخيرة للمنطقة ولبنان على وجه التحديد كيف يكون؟

- التصور لديَّ واضح وغير ملتبس بالمرة، ولا علاقة له أبداً بما يتم ترويجه عبر وسائل إعلامية موجهة، وهو أن الزيارة لا يمكن فصلها عن السياق الاستعماري الذي ما زالت تتحرك فيه فرنسا تجاه المنطقة وتجاه بعض الدول وعلى رأسها لبنان لأسباب معينة.

وهنا أؤكد أن حضور الرئيس الفرنسي «ماكرون»، في السادس من أغسطس الماضي، قبل مرور 48 ساعة على انفجار بيروت له دلالاته على أهمية لبنان تحديداً في خارطة الاستعمار الفرنسي.

وبالمناسبة -وهذا أمر لا بد من ذكره- «ماكرون» ليس أول رئيس فرنسي يزور لبنان، ففي أكتوبر 1983م سافر «فرانسوا ميتران» لإحياء ذكرى رجال المظلات الذين قتلوا في إحدى المعارك؛ وفي فبراير 2005م ذهب «جاك شيراك» لحضور جنازة رفيق الحريري، وكان الرئيس الوحيد الذي حضر.

● إذن، تركيز فرنسا تحديداً على لبنان ليس وليد الأحداث؟

- بكل تأكيد، وهنا يمكنني أن أذكّر ببعض التواريخ المهمة التي تؤكد أن المخطط قديم؛ فقد تم إنشاء لبنان عام 1520م كحامية فرنسية، وأولى العلاقات الدولية تم نسجها أيام ملك فرنسا «فرانسوا الأول» الذي تسلم أو انتزع آنذاك من السلطان التركي مسؤولية حماية مسيحيي الشرق، وازدادت الروابط عام 1920م عندما أصبح لبنان تحت الحماية الفرنسية.

وفي عام 1943م حصل لبنان على

استقلاله، إلا أن الوجود الفرنسي ظل قوياً خاصة من خلال التعليم وما يبثه، لذلك فإن الاستقلال لم يمثل أي شرخ في العلاقات بين البلدين، فقبل مغادرتها قامت سلطات الاحتلال الفرنسية بفرض دستور يترك لها الباب مفتوحاً على مصراعيه؛ إذ نص ذلك الدستور على أن يترأس الدولة رئيس مسيحي، وأن يكون رئيس الوزراء مسلماً.

البعض يعتبر هذا الأمر طبيعياً في بلد متعدد الأطياف والملل والنحل؛ بل يعدّه آخرون نموذجاً على التعايش، فما رأيك؟

- أنا معك، قد يبدو الأمر طبيعياً في دولة بهذا الوصف، لكن حينما تعلم أن المسلمين في لبنان طبقاً لتعداد أجراه الفاتيكان نفسه يمثلون 67.5% من السكان، وأن الباقي منه (32.5%) يضم كل مختلف الطوائف الأخرى لأدركنا اللعبة الاستعمارية من جهة، وأدركنا الدور الذي تقوم به الأقليات المسيحية لصالح الغرب الصليبي وصالحها.

وهنا أيضاً ندرك معنى أن يتقدم 36 ألفاً من اللبنانيين، ويوقعون على عريضة تطالب بعودة الاحتلال الفرنسي، يفعلون ذلك بينما الموت لا يزال يحصد من يحصده، فور الانفجار المدمر!

● هل تودين القول: إن بعض الأقليات المسيحية في الشرق إحدى الأدوات المهمة للمستعمر الغربي ضد بلدانهم؟

- بكل تأكيد، فالدور الذي تقوم به الأقليات المسيحية في البلدان المسلمة بالشرق الأوسط مهم لخدمة الدور التدميري الذي يقوم به الغرب لاقتلاع الإسلام بفضل مساعدتهم.

فقرار تنصير العالم صادر عن مجمع الفاتيكان الثاني، وكل بابا ترأس الفاتيكان من بعد عام 1965م يؤكد «أنه قرار لا نقاش فيه ولا رجعة»، وهو ما يطرح على المسيحيين في جميع البلدان المسلمة قضية الولاء؛ هل يكون ولاؤهم للفاتيكان من خلال كنيستهم، أم للبلد الذي ولدوا به ويعيشون فيه كمواطنين أمناء؟

وهو الوضع الذي ينقلنا إلى قضية أخرى -أو إن شئنا التحديد إلى مصيبة أخرى- تتم تحت نفس المسمى الشهير «حماية

فرنسا ابنة الكنيسة الكبرى وزيارة «ماكرون» للبنان لا يمكن فصلها عن السياق الاستعماري

حسب الفاتيكان فإن نسبة المسلمين في لبنان 67.5% وباقي الطوائف لا تزيد على 32.5%

لبنان بالنسبة لفرنسا يمثل أحد أهم المداخل للتأثير بالمنطقة وحميمية زيارة «ماكرون» ليست نزيهة

مسيحيي الشرق الأوسط»، فمن أهم الكتب التي صدرت في أبريل 2016م كتاب بعنوان «مسيحيو الشرق»، وعنوانه الفرعي «لنقاوم على أرضنا»، بهذا الوضوح وبهذه الفجاجة، فالكاتب قس مسيحي، وما يترأسه مؤسسة تمثل جزءاً من ترتيب اقتلاع الإسلام.

وهنا يجب أن نلاحظ شيئاً يتعلق بفرنسا على وجه التحديد لندرك تشابك خيوط اللعبة، فالكتاب بقلم «مونسنيور بسكال جولنيش»، رئيس مؤسسة «عمل الشرق» بفرنسا، نعم هي مؤسسة فرنسية.

ونطالع على الغلاف الخلفي توضيحاً يقول: إن «مؤسسة «عمل الشرق» مهمتها مساعدة الكنائس التي تقف في خط الدفاع الأول لإقامة جسور بينها وبين فرنسا، للعمل من خلال الصحة والعمل الاجتماعي والثقافة ونقل العقيدة»، وعبارة «خط الدفاع الأول» عبارة حربية دارجة، موضحاً أن «مستقبل هذه المنطقة المتآكلة لن يتم بدون مسيحيّيها»، وحين يصل ما يستوجب التلميح إلى مثل هذا الوضوح، فذلك يشير إلى مدى تمكنهم من اللعبة.

وهنا ألفت النظر إلى عبارة شبيهة تناولها الغرب الصليبي أيام تصديه للإسلام والإمبراطورية العثمانية، وقد كانت التعبير الذي يستخدمونه فيما بينهم وفي مراسلاتهم هو «مسألة الشرق»، حتى أتوا عليها بتنصيب كمال أتاتورك واقتلاع اللغة العربية وغيرها، والباقي معروف، والآن تتم إعادة نفس المخطط، وقد تضافر الغرب الصليبي لتنفيذ النظام العالمي الجديد، وإعادة تنظيم الشرق الأوسط بفضل الأقليات المسيحية التي يحمونها، ويفرضون عليها عدم الولاء للأوطان التي يعيشون فيها.

● برأيك، لماذا كل هذا الشحن ضد الإسلام من الجانب الغربي؟

- بسبب خوفهم من انتصار الإسلام، وأن يمتد إلى شطآنهم مرة أخرى، خاصة في وقت تداعى فيه وجود المسيحية.

وهنا ينبغي تذكر عبارة «جورج بوش» الابن بأن «هذه الحرب الصليبية ستكون طويلة المدى»! لنرى عدد البلاد المسلمة التي تم تدميرها بعد الحادي عشر من سبتمبر؛ لندرك أننا في قلب مخطط يتم تنفيذه بإصرار في خط متواصل يمتد بين بلدان



الشرق الأوسط لإعادة ترسيمه إن لم يكن اقتلاعه، وكل ذلك كلام معلن وليس بخفيّ على أحد.

حتى في الكتاب الذي أشرت إليه منذ قليل، يؤكد «جولنيش» أن أهمية بقاء «مسيحيي الشرق» في أماكنهم يرجع إلى أمرين؛ أن وجودهم في الغرب يغيّر من تشكيل وتكوين بلدانهم حضارياً، فهم قادمون من الشرق المتخلف، كما أن وجودهم حيث هم حماية لنقاء حضارة الغرب، وأنهم هناك بعيداً عنا هم في مكان نشأة المسيحية؛ أي في مكانهم.

أعتقد أن الرؤية بهذه الصورة شديدة الوضوح، بل معلنة بصريح العبارة، ويتم تنفيذها خطوة خطوة، وللأسف هناك من المسلمين من ينكر ذلك.

● أشرت إلى الكتاب الصادر عن مؤسسة «عمل الشرق» الفرنسية، وقلت: إن هناك خصوصية لفرنسا في هذا الإطار الذي نتحدث فيه، وبما أننا إزاء التعليق على زيارة الرئيس الفرنسي «ماكرون»، فهلا وضحت لنا هذه الخصوصية؟

- فرنسا اسمها رسمياً «الابنة الكبرى للكنيسة»، وكل رئيس فرنسي يتولى رئاسة الدولة عليه أن يتوجه إلى الفاتيكان، ويلقي خطاب ولائه للفاتيكان في كنيسة «سان جاك دي لاتران»، ولم يخرج عن هذا الأمر إلا الرئيس «فرانسوا هولاند»؛ لأن هناك ما يحول دون دخوله الكنيسة بسبب وضعه الأسري غير الشرعي بالنسبة للكنيسة، لكن ذلك لم يمنعه من القيام بالتزاماته حيال الفاتيكان بموجب الاتفاقية الدولية الموقعة بين الدولتين في العصور السابقة، التي تتحمل فرنسا رسمياً بموجبها ثلثي تكاليف عمليات التبشير والتنصير من أموال وأشخاص ومعدات.

وكما قلت، فإن لبنان يمثل لفرنسا أيقونة غاية في الأهمية من خلال طبيعة تعداد مسيحيي الشرق الذين هم أقليات في كافة بلدان الشرق الأوسط، لكنهم يمثلون منافذ فعلية للفاتيكان وللكنيسة الكاثوليكية خاصة.

وهذا يؤشر إلى أهمية لبنان بالنسبة للغرب كله، ولفرنسا والفاتيكان وما بينهما من تنسيق تحديداً، خاصة أنهم حددوا أنه في هذا العام وتحت غطاء «كورونا»، فإنهم سينفذون المخطط الخاص بالنظام العالمي الجديد، فهو نظام سياسي واحد، واقتصادي واحد، وديني واحد، لكن غطاء «كورونا» جعل الأمور أكثر تعقيداً، خاصة فيما يخص ملفات اقتصادية كزيادة البطالة وإفلاس بعض الكيانات الاقتصادية وما إلى ذلك مما اضطرهم إلى تأجيل تنفيذ هذا المخطط.

● على ذكر المخططات، كيف ترين رفض «ماكرون» فكرة انتقاد إعادة مجلة «شارلي إيبدو» نشر الرسوم المسيئة؟

- دعيني أجيب بمجموعة من الأسئلة لندرك -دون إحاطة مني- حجم المؤامرة:

لماذا تم تأجيل فتح محاكمة «شارلي إيبدو» 5 أعوام لتتواكب مع ذكرى الحادي عشر من سبتمبر واحتفاليات البابا «فرانسيس» لفرض مخطط خطابه الرسولي «ممجد أنت»؟ ولماذا انتزع البابا وثيقة «الأخوة الإنسانية» من الأزهر التي تقول خلاصتها: الأزهر والمسلمون يناشدون الفاتيكان اقتلاع الشر باسم الدين من القرآن؟ ولماذا قام البابا بتكوين لجنة لتنفيذ بنود تلك الوثيقة بتاريخ الحادي عشر من سبتمبر لتثبيت وربط فكرة الشر و11 سبتمبر بالإسلام؟

كل هذه الأسئلة وغيرها كثير يتضافر ليشير إلى ما يحيكه الصهاينة والفاتيكان، ليكون المناخ كله في هذه الفترة مهيأً لمعاداة الإسلام وبداية اقتلاعه، بكل ما يقوم به البابا «فرانسيس» كخطوة أولى لتوحيد التعليم على مستوى العالم، وتوحيد الإجازة عالمياً بيوم الأحد، إضافة إلى ما ينوي ترتيبه في مجالي السياسة والاقتصاد.

● نعود مجدداً إلى فرنسا، وهذه المرة من نافذة الفرنكوفونية، هل هي إحدى أدوات هذا الصراع، أم أنها كما يروج البعض نافذة للتعايش والتقارب؟

- هذا الأمر يقتضي تعريف الفرنكوفونية وفهم السياق الذي نشأت فيه، فالفرنكوفونية لغة تعني ما يتعلق باللغة الفرنسية في كل استخداماتها الجغرافية، وإنسانياً تعني من يتكلم عادة اللغة الفرنسية بصفة دائمة طبيعية أو على الأقل في بعض الظروف والمناسبات الاجتماعية، سواء كلغة أم، أو كلغة أجنبية ذات طابع مؤسسي أو تعليمي، كما تطلق للإشارة إلى جماعات يتحدثونها في منطقة ما؛ إذ يقال: «المغرب الفرنكوفوني» أو «أفريقيا الفرنكوفونية».

● إذن، يمكننا تصنيف كثير من اللبنانيين بهذه الطريقة، فاللغة الفرنسية شديدة الانتشار في لبنان؟

- ليست في لبنان فحسب، بل في سورية كذلك؛ حيث كان التبشير قد سرى فيهما أكثر من غيرهما، فقد انغرست فيهما اللغة الفرنسية واستتبت منذ القرن السابع عشر، ومع تزايد الوجود السياسي المرتبط بالموجة الاستعمارية الثانية (فيما بين عامي 1815 و1939م)؛ فقد أصبحت اللغة الفرنسية بمثابة دعامة أساسية لنقل نمط الحياة الغربي الذي سرعان ما امتد

التداخل الواضح بين الفرنكوفونية والاستعمار والغرس الثقافي والتبشير ليس بحاجة إلى مزيد من الأدلة

.. وإحياء النزعة الأدبية الأفريقية والزنجية باللغة الفرنسية نوع من الاستدراج لتثبيت الفرنكوفونية



إلى مصر منذ ذلك الوقت، ومنذ عام 1815م امتد الاستعمار الفرنسي إلى أفريقيا تسانده بعثات التنصير ليبدأ بالسنغال، ثم الجزائر عام 1930م؛ حيث أصبحت الفرنسية هي لغة السلطة الحاكمة، ثم تمت السيطرة على الجابون، والكونغو، والسودان، والنيجر، وداهومي، وسرعان ما أخذت اللغة الفرنسية مكانتها المؤسسية في بلدان الساحل وأفريقيا الغربية والاستوائية.

وقد وصل اتساع الإمبراطورية الاستعمارية الفرنسية في عام 1939م إلى مساحة 12 مليوناً من الكيلومترات، وضمت 68 مليوناً من البشر، وكانت تعد ثاني إمبراطورية استعمارية في العالم بعد الإمبراطورية الاستعمارية البريطانية، إلا أنها بدأت تتصدع بفضل حركات التحرير ابتداء من نهاية الحرب العالمية الثانية، أما هذه المستعمرات الشاسعة فقد بدأ تكوينها اعتماداً على دعامتين أساسيتين تواكبان الأحداث السياسية والعسكرية، وهما التجارة والبعثات التنصيرية.

• هل يعني ذلك أن هذه القوة الناعمة لم تفقد مكانها بعد انتهاء الاستعمار بشكله التقليدي؟

– نعم، فمنذ أن فقدت فرنسا مكان الصدارة كقوة عظمى في أوروبا انتقلت هذه الزعامة إلى اللغة الفرنسية وآدابها، وهو ما يوضح سر تمسك فرنسا بما تبقى لها من مستعمرات، حتى وإن كانت قد تحررت عسكرياً، كما يوضح سر اهتمامها بالجزائر خاصة؛ فمما له مغزاه أن تضع فرنسا احتلال الجزائر تحت إمرة وزير الداخلية الفرنسية، بينما كانت كل من تونس والمغرب تحت إمرة وزير الخارجية الفرنسية، ويرجع تمسك فرنسا بالجزائر حتى يومنا هذا إلى أنها بمثابة المدخل الحيوي الأرضي لمستعمراتها في غرب أفريقيا.

• نعود إلى مصطلح «الفرنكوفونية» كتجلٍ لهذا التاريخ، ما حقيقته؟

– الفرنكوفونية مصطلح اشتقه الجغرافي الفرنسي «أونيزيم ركلوس» عام 1871م، وهو مكون من مقطعين: فرنكو (من فرنسا)، وفوني (من صوت)، ونادراً ما تصادف هذا المصطلح قبل عام 1930م رغم اشتقاقه عام 1871م، إلا أنه أخذ في الانتشار منذ عام 1960م، وقد تم انتشاره

ورقة مسيحيي الشرق هي الأهم وكلمة السر في التدخل الغربي بالمنطقة

رغم أن مسيحيي الشرق أقلية في بلدانهم فإنهم يمثلون المنافذ الفعلية للفاتيكان داخلها

عام 1962م عندما بدأت فرنسا إحياء النزعة الأدبية الأفريقية لبعض حكامها كالزعيم سنجور، أو حمامي دوري، أو بورقيبة، أو بعض الحكام الآسيويين كالزعيم سيرمانوك؛ إذ أفردت مجلة «إسبري» عدداً خاصاً عن اللغة الفرنسية والمتحدثين بها وآدابهم، وانطلقت الكلمة.

كما بدأ تكوين جمعيات وتخصيص اعتمادات لمختلف وسائل الإعلام الفرنسية، وإنشاء الجامعات المتحدثة بالفرنسية أو تلك التي تحتل الفرنسية فيها مكانة واضحة، وإنشاء العديد من المنظمات ومنها منظمة «الأوبلف» عام 1966م، ووكالة التعاون الثقافي والتقني في بلدة ثايومي عام 1969م التي تضم في عضويتها 41 دولة، والأمر الذي يوضح مدى أهمية الفرنكوفونية ولواحقها بالنسبة لفرنسا هو قيام الحكومة الفرنسية عام 1984م بإنشاء مجلس أعلى للفرنكوفونية، وفي عام 1988م قامت بإنشاء وزارة للفرنكوفونية، ومنذ عام 1971م كانت فرنسا قد وحدت كل الكنائس الفرنكوفونية في مستعمراتها السابقة والحالية لتتمكن من التصدي لما يطلقون عليه اليوم «الديانات غير المسيحية».

ويوضح إحصاء عام 1992م أن هناك 200 مليون نسمة يتحدثون باللغة الفرنسية، أي أن هذه اللغة لم تعد مقصورة على الشعب الفرنسي، بل إن الفرنسيين أنفسهم أصبحوا يمثلون أقلية صغرى بين المتحدثين بلغتهم!

• هذا يعني أن انتشار اللغة أصل في بسط النفوذ سياسياً واقتصادياً ودينياً حتى؟

– بالطبع، فاللغة الفرنسية دعامة أساسية لنقل نمط الحياة الغربي الفرنسي؛ والاستعمار السياسي والاقتصادي والتبشير قائم على اللغة التي هي هنا الفرنكوفونية؛ وفرنسا تتزعم فرض الكاثوليكية رغم زعمها العلمانية وفصل الدين عن الدولة؛ وإحياء النزعة الأدبية الأفريقية والزنجية باللغة الفرنسية هو نوع من الاستدراج لتثبيت الفرنكوفونية، وقد بدأت بتشجيع بعض الحكام والزعماء ليكونوا قدوة لشعوبهم؛ وإنشاء ترسانة من الجامعات الفرنسية خارج أراضيها والخاضعة لنفوذها مثل «جامعة سنجور» بالإسكندرية، وإنشاء منظمات ووكالات لتدعيمها؛ وتتويج هذه الترسانة بمجلس أعلى ثم بوزارة دليل صارخ على معنى الفرنكوفونية ومغزاها وأهدافها.

وهنا نؤكد أيضاً أن التداخل الواضح بين الفرنكوفونية والاستعمار والغرس الثقافي المخطط والتبشير ليس بحاجة إلى مزيد من الأدلة؛ وليس من المبالغ فيه تعريف الفرنكوفونية بأنها بمثابة الآلة الحربية التي تساعد فرنسا على الاحتفاظ بمستعمراتها؛ فإن الاستعمار لا يتخلى أبداً عن المجال الثقافي حتى وإن تخلى عن الأرض المحتلة، وإنه يتصدى للدين على أنه أكبر قوى يمكنها تجميع الشعب أو الشعوب، وهو ما نراه يتم حالياً بصورة علنية أو شبه علنية من حيث محاولة اقتلاع الإسلام بفعل مخطط الفرنكوفونية من جهة، وبفعل القرار الذي تم اتخاذه في المجمع الفاتيكاني الثاني عام 1965م لاقتلاع الإسلام في عقد التسعينيات حتى تبدأ الألفية الثالثة وقد تم تنصير العالم.

فإذا ما تذكرنا أن معظم البلدان التي احتلتها فرنسا بلدان إسلامية أو وثنية، وأن الوثنية لا تعنيها في كثير أو قليل؛ لأنها تقوم بتنصير أتباعها بشتى الوسائل، لأدركنا خلفيات كثيرة غائبة أو مغيبة، ولأدركنا ضرورة وأهمية المطالبة بالحقوق الاقتصادية والثقافية والدينية والعدالة الاجتماعية، ولأدركنا أهمية وضرورة أن نتمسك بإسلامنا، وألا نعاون على اقتلاعه عن المنبع كما يتم حالياً بشتى المسميات، وخاصة ضرورة المطالبة بأن يقتصر تعليم اللغة الفرنسية بحيث تظل لغة تعامل إنساني متكافئ المستويات، والأكثر أهمية من هذا وذاك أن نكف عن تنفيذ مخططات الفرنكوفونية بأيدينا.■

من «نابليون» إلى «ماكرون».. تجديد الغزو الفرنسي للشرق الإسلامي

أ.د. حسان عبدالله
أستاذ أصول التربية المساعد بجامعة دمياط- مصر

إن ما أعلنه الرئيس الفرنسي «إيمانويل ماكرون»، والصور التي التقطت معه، خلال زيارته الأخيرة لبيروت، تدعو العقل العربي المعاصر إلى إعادة استدعاء التفكير في الحملة الفرنسية على الشرق الإسلامي (1798م)، التي جاءت -في إعلانها الرسمي- مشابهة لحديث «ماكرون» المعاصر، وهو إنقاذ الشعب العربي والإسهام في حل أزمته المجتمعية والحضارية، وتخليصه من الفساد الذي أحدثه المماليك في بلدهم!

وتأتي هذه المقالة لإثارة تفكير العقل العربي -خصوصاً الأجيال الشابة منه- في التاريخ العربي الفرنسي الحديث، من خلال العروج على بعض جوانب الأصول الفكرية لتاريخ الحملة الفرنسية على الشرق الإسلامي في ضوء زيارة «ماكرون» المريبة والمثيرة للتساؤلات.



الاحتكاك بين المسلمين والغرب بدأ بالحملة الفرنسية وهو ما يعد عصر نهضة للغرب وجمود عند المسلمين

الفرنسيون من خلال قراءتهم للحضارة الإسلامية والتاريخ الإنساني فطنوا لدور الفكرة وأثرها في التغيير

جاء في كلمة «ماكرون» أن الانفجار صورة لأزمة لبنان الحالية، وقال: إن هناك حاجة إلى نظام سياسي جديد، وأضاف أن التمويل متاح للبلاد لكن يتعين على قادتها تنفيذ الإصلاحات أولاً.

أما «نابليون بونابرت»، قائد الحملة الفرنسية الأولى على الشرق الإسلامي من مدخل مصر (1798م)، فقد أعلن في منشوره الأول احترامه وتقديره للمصريين أكثر مما يحترمهم المماليك، و«إنني أكثر من المماليك احتراماً لله ونبيه وللقرآن، وإن الفرنسيين أصدقاء للمسلمين الصادقين، وإن الله قد حكم على انقضاء دولتهم (أي المماليك)، وإن المصريين بأجمعهم ينبغي أن يشكروا الله تعالى عند زوال تلك الدولة»[1]!

وقد وجه «نابليون» حديثه في الفئات الشعبية (المصريين عامة، وكذلك النخب من الأئمة والقضاة والأعيان)، معلناً أن الفرنسيين ما جاؤوا إلا لغاية واحدة؛ وهي «تخليص حق المصريين من يد الظالمين» (أي المماليك)، ثم ترغيب المصريين إذا قبلوا دخول الفرنسيين بود ومساعدة لهم أن يدخلوا في المناصب السامية ويكتسبوا المراتب العالية.

الأمر يدعو إذن إلى إعادة التفكير وتجديد الأصول الفكرية للحملة الفرنسية الأولى على الشرق الإسلامي؛ لنسحب منها بعض الأحكام والتعميمات على الحملة الفرنسية المعاصرة على الشرق أيضاً، لكن هذه المرة من مرفأ لبنان.

الأصول الفكرية للحملة الفرنسية

بدأ الاحتكاك بين المسلمين والغرب في العصر الحديث بالحملة الفرنسية (1798-1801م)، وهو العصر الذي بدأ ببزوغ عصر النهضة الأوروبية والتخطيط الاستعماري الغربي للعالم الإسلامي، وهذا العصر يقابله عند المسلمين حصاد الجمود والتقليد والترف، وغياب الاجتهاد وتوقف التطور الذاتي، وضعف شبكة علاقاته الاجتماعية وتفسخها في ظلال الضعف العام الذي لحق بدولة الخلافة العثمانية (1299-1924م)، وضعف حركة الإصلاح الذاتي لمعالجة الآفات الموروثة.

وبينما كان هناك نظر إسلامي يترقب تمهيدات النهضة الأوروبية في موقع الخلافة بتركيا، ويحاول الاقتراب أو بالأحرى استيراد جوانب من التطور الحادث، كان رد الفعل الغربي عنيفاً جداً في أطراف الخلافة وقلبها، التي بدأت في العالم العربي بمدافع «نابليون» على القاهرة، وخيوله في الأزهر الشريف، وصاحب هذه المدافع أقلام ومطابع الاحتلال وأفكاره؛ ففي حين كانت «الفكرة»

تغيب في المجتمع الإسلامي وتراجع مكانتها، جاءت «الفكرة الفرنسية» لتحل محل «الفكرة الإسلامية».

لقد فطن الفرنسيون من خلال قراءتهم للحضارة الإسلامية والتاريخ الإنساني لدور الفكرة وأثرها العميق في التغيير؛ لذلك فإن رمزية المطبعة والأوراق والعلماء في حملة «نابليون بونابرت» (1769-1821م) على مصر والشام لا تخلو من معنى عميق يستبطن في داخله ارتفاع قيمة الفكرة في المجتمع الأوروبي الاستعماري الجديد، في مقابل تراجع تلك القيمة في المجتمع الإسلامي الحضاري، وهو ما يعني أيضاً أن القادم ليس مجرد مدافع وهيمنة عسكرية وسياسية وتقسيم غنائم ونهب مواد خام، وفتح أسواق استهلاكية جديدة، وذلك ما تعلمه العربي في برنامجه التربوي والتعليمي وهو حق ولكنه ليس وحده، بل هناك أيضاً استهداف لعقل الإنسان ووجدانه؛ أي «الإنسان المُستعمَر» الذي يخلف الاستعمار عند الرحيل، ويقدم له خدماته دون مقابل أو بمقابل بخس، ويستمر الاستعمار على يد هذا الإنسان المحتل (المُستعمَر)، وهذا ما تنبه إليه الاستعمار الفرنسي، رائد الاستعمار على الشرق الإسلامي.

إن النظر الأولي لبدايات الاتصال أو الغزو بمعناه الواقعي التاريخي يظهر لنا عمق النظرة التي امتلكها العقل الاستعماري حيال الشرق والإسلام، ويظهر ذلك في أدواته التي استخدمها في هذا الغزو الحضاري والتبديل التاريخي لعلاقات الأمم والشعوب، كما يظهر أيضاً في استجابة الأدوات الداخلية الذاتية لتلك الشعوب نحو أهداف الاستعمار الفكرية والثقافية المرئية منها وغير المرئية.

كانت الحملة الفرنسية (1798-1801م) أولى موجات الصدام بين الغرب والمسلمين، وهي أقدم موجات الاستعمار الأوروبي، كما أنه (الصدام) كان أسوأه وأقساه بما مهد به لاحتلال الشرق معرفياً وفكرياً، والإسهام في تفاقم إشكالاته الحضارية التي كان يعاني منها، حيث أرسى أعمدة القطيعة التاريخية والحضارية بين المسلمين وتراثهم الفكري والعقدي، وتغلغل في الحياة الاجتماعية بصورة مثلت الريادة للاحتلال الأوروبي والهيمنة الثقافية وتأكيد مشروع التغريب الثقافي.

إن بدايات التغريب الأولى في مصر والعالم الإسلامي بدأت بهذه الموجة الاستعمارية -الحملة الفرنسية- وإذا كنا نشكو من اختراق القانون الغربي لمناطق سيادة الشريعة الإسلامية منذ تسلل هذا القانون -في النصف الثاني من القرن التاسع عشر- إلى «المحاكم القنصلية» ثم إلى «المحاكم المختلطة»، ثم تمددت يده إلى القضاء الأهلي على يد الاستعمار الإنجليزي وفي سلطان اللورد «كرومر» (1841-1971م) منذ عام 1883م، إن بواكير هذا الاختراق الذي داهم شريعتنا وفقهنا الوطني، حتى أجلاها عن أغلب ميادين التشريع والقضاء في بلداننا الإسلامية، إن بواكير هذا الاختراق قد كانت من آثار الحملة الفرنسية على مصر.

لقد كان مخطط المشروع الفرنسي هو تفتيت الأمة، وعلمنة الإسلام، وفرنسة اللغة، وإحلال القانون الفرنسي محل الشريعة الإسلامية وفقه معاملاتها، وبذلك تندمج العادات والأعراف الأصيلة في المجتمع الإسلامي بالقانون الفرنسي، وهو ما طبقته سلطات الاستعمار الفرنسي بالمغرب العربي[2].

إن المطبعة التي جاء بها الاستعمار الفرنسي -التي روَّج لها التغريبيون الأوائل- إنما جاءت لإحكام السيطرة على المصريين، وهي ترسم نموذجاً مخططاً للهيمنة على عقل ووجدان الإنسان في العصر الحديث، استخدمت الحملة المطبعة في المنشورات التي توجهها إلى المصريين لتزييف غايات الاحتلال وتزيينه، وكان أول هذه المنشورات ما وجهه «نابليون» إلى الشعب المصري مدعياً فيه أنه جاء مخلصاً لهم من الظلم، وحافظاً للملة من الضياع، ومحدثاً دولتهم من التخلف.



«نابليون» اصطنع التناقض والخلاف بين المصريين والمماليك والتنبيه إلى سلطة المماليك المستبدة!

ويشير محمد سيد محمد إلى أهم المضامين -التي لم يذكرها المنشور- على وجهها الحقيقي، وذلك من خلال تحليل مضمونه وأهدافه برؤية إعلامية بصفته إعلام المستعمر لشعب مستعمَر، وكانت نتائج هذا التحليل الكيفي هي[3]:

1 - اصطناع التناقض والخلاف بين المصريين والمماليك، والتنبيه المستمر إلى سلطة المماليك المستبدة الظالمة، الطامعة الفاشلة التي يشكل استمرارها مصدر خطر على مصالح المصريين.

2 - الترويج للحكم الفرنسي للبلاد، ودعوة الناس إلى قبوله باعتباره الأساس الذي يضمن معه إنهاء استبداد المماليك وتخليص البلاد من فسادهم، وفي المقابل يُظهر الفرنسيين بأنهم القوة المخلصة التي تحرر البلاد.

3 - تعزيز موقفهم بالبحث عن السبيل الذي يكفل التنويم السيكولوجي للجماهير، بالاستناد إلى شرعية دينية تكفل هذا التعزيز، ومؤداها أنهم قوة مرسلة من الله بهدف إنقاذ البلاد وتخليصها من حكم المماليك.

4 - الحرص على قتل روح المقاومة في نفوس المصريين من خلال الإيحاء بأن الحرب بينهم وبين المماليك وليست بينهم وبين المصريين، ومن الواجب على المصريين أن يبتعدوا عن هذه المواجهة، وفي هذا الابتعاد خير لهم ومصلحة وعلو في الرتب.

5 - التوجه إلى القوى المؤثرة في حركة المجتمع التي يسهم بعضها في تشكيل الرأي العام، فمرة يخاطب المشايخ والقضاة، ومرة يخاطب الأئمة والعلماء، من أجل تقديم صورة إيجابية لهم عند الشعب.

كانت هذه خطة فكرية عامة حاول الاستعمار الفرنسي أن ينفذها في مصر كما حاول في الجزائر، وكانت له نجاحات لا نستطيع إنكارها.■

الهوامش

(1) محمد سيد محمد: الغزو الثقافي والمجتمع العربي المعاصر، ص183.

(2) محمد عمارة: «الاحتفال بالاحتلال أم بالاستقلال»، مجلة المسلم المعاصر، بيروت، عدد (91)، أبريل 1999، ص34.

(3) محمد سيد محمد: مرجع سابق، ص187.

مواجهة الإسلام و«العثمانية الجديدة» (على حد زعمها)

دوافع فرنسا للهيمنة على المنطقة العربية

في 9 يوليو 2020م، أصدر مجلس الشيوخ الفرنسي تقريراً برلمانياً تضمن توصيات تحذر من تنامي الحركات الإسلامية، خصوصاً جماعة الإخوان المسلمين في أوروبا، وأوصى بتطبيق نحو 40 توصية لقمع ما أسماه «التشدد والإسلام الأصولي»، وأكدت «جاكلين أوستاش برينيو»، كاتبة التقرير وعضو مجلس الشيوخ الفرنسي، ضرورة منع قيادات الإخوان والتيارات الإسلامية النشطة من دخول فرنسا وأوروبا.

تزامن هذا مع قيادة الرئيس الفرنسي «ماكرون» حملة على الإسلام والحركات الإسلامية في فرنسا والدول العربية، ضمن خطته لإلهاء الفرنسيين والتخلص من الاحتجاجات والضغوط الاقتصادية التي تواجه نظامه، ومحاولة تغيير وجهة المطالبات بالإصلاح الداخلي عبر انتهاج سياسة معادية للإسلام يستميل فيها تيارات اليمين المتطرف.

يوسف أحمد

جاءت رحلات الرئيس الفرنسي «إيمانويل ماكرون» المتكررة إلى لبنان والعراق، وتعزيز الوجود العسكري البحري الفرنسي في شرق البحر المتوسط، ضمن محاولات فرنسا إحياء حلم عودة الهيمنة على المنطقة العربية والإسلامية، وشجعه مطالبة عفوية من لبنانيين غاضبين على فساد ساستهم بعودة الاحتلال (الانتداب) الفرنسي للبنان.

وشجع «ماكرون» على المضي في حلمه أيضاً، تراجع النفوذ الأمريكي في المنطقة، وخروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي وتقوقعها داخلياً، فقدم نفسه على أنه القيادي الحامل للمشعل في المنطقة، حسبما قالت صحيفة «ديلي تلغراف».

وأشار تحليل لمجلة «فورين بوليسي» الأمريكية إلى رغبة فرنسا في إعادة تشكيل المنطقة، ورغبة «ماكرون» أن يكون قوة عظمى في الشرق الأوسط، لكنها نقلت عن خبراء علاقات دولية أن محاولاته «ستفشل».

وقالت «فورين بوليسي»: إن النفوذ التركي وعودة «العثمانية الإسلامية» للمنطقة العربية -بجانب اللاجئين والطاقة- كانت أحد أبرز ثلاثة أسباب أزعجت باريس، ودفعتها لتجديد هذا الحلم بالعودة للمنطقة للحفاظ على مصالحها.

تعزيز الوجود العسكري الفرنسي شرق المتوسط يأتي ضمن محاولاتها إحياء حلم الهيمنة على المنطقة العربية

«فورين بوليسي»: النفوذ التركي بالمنطقة العربية أحد دوافع فرنسا لتجديد حلم العودة للمنطقة للحفاظ على مصالحها

حلم استعماري يصطدم بالإسلام

دفع العداء للإسلام والقلق من موجة «ربيع عربي» ثانية (يرى كثير من الخبراء أنه سيكون ربيعاً «إسلامياً»)، وكذا إفشال تركيا أدوار فرنسا التقليدية في المنطقة العربية (ليبيا وتونس) وأفريقيا (مالي والنيجر والجزائر)، كل هذا دفع باريس لتعزيز حلمها بالعودة للهيمنة للمنطقة بالتحالف مع حلف «الثورة المضادة» العربي من جهة، ومحاولة حصار تركيا في البحر المتوسط بتحالفات أوروبية وعربية من جهة أخرى؛ إذ تتبنى باريس رؤية مسيحية تاريخية متطرفة في التعامل مع تركيا، فقد كانت أبرز الرافضين لدخول تركيا الاتحاد الأوروبي، والتأكيد أنه يجب أن يظل نادياً من البلدان ذات الغالبية المسيحية، كما أنها تخشى من تغلغل النفوذ التركي الإسلامي في مستعمراتها السابقة بما يحرمها، ليس فقط من النفوذ، لكن من موارد هذه المستعمرات التي تعيش عليها فرنسا.

ففرنسا من أكثر الدول تدخلاً عسكرياً في القارة الأفريقية، للحفاظ على النفوذ في المستعمرات السابقة، وتسعى لاستغلال عباءة مكافحة الإرهاب لتبرير تدخلها وتحقيق مصالحها، وهو ما اصطدم بنفوذ تركي متعاظم في نفس مناطق النفوذ الفرنسية.

إذ تضع فرنسا أعينها على الذهب في مالي، التي تعد ثالث أكبر منتج للذهب في أفريقيا، وكذلك على ما تمتلكه هذه الدولة الإسلامية من ثروة ضخمة من النفط والغاز، وأيضاً في النيجر حيث يزود ثلث اليورانيوم في مناجمها المفاعلات النووية الفرنسية.

وقد طرحت صحيفة «مونيتور» الأمريكية تساؤلاً حول: هل تطيح تركيا بالنفوذ الفرنسي في مالي بعدما ضجر شعبها من سياسات «ماكرون»، وأدى الإمام «محمود ديكو»، المعادي للنفوذ الفرنسي، دوراً في كشف دور فرنسا بدعم الفساد في البلاد ومن ثم التغيير الذي حدث؟

وتساءلت الصحيفة الأمريكية عن الدور التركي في انقلاب مالي ضد الرئيس الموالي لفرنسا، وتواصل تركيا السريع مع صنّاع الانقلاب الأخير، وهل للأمر علاقة بين التنافس المستمر بين تركيا وفرنسا؟ وهل تستطيع تركيا أن تأخذ مكان النفوذ الفرنسي





في مالي؟ حيث زار وزير الخارجية التركي «مولود جاويش أوغلو» المستعمرة الفرنسية السابقة، في 10 سبتمبر الماضي، قبل زوال الغبار عن الانقلاب الذي وقع قبلها بفترة قصيرة، في 18 أغسطس الماضي، والتقى «أوغلو» بأعضاء «اللجنة الوطنية لإنقاذ الشعب» التي شكلها الانقلابيون.

كما أن علاقة الإمام «ديكو» بتركيا أفضل من علاقته بفرنسا، وسبق للرئيس التركي «رجب طيب أردوغان» أن سخر في مقابلة سابقة من الرئيس الفرنسي «ماكرون» بسبب زيارته لمالي، قائلاً: «ما العمل الذي لديك هناك؟!»، مشيراً إلى أن 95% من سكان مالي من المسلمين.

فرنسا كانت أبرز الرافضين لدخول تركيا الاتحاد الأوروبي وتخشى من تغلغل نفوذها الإسلامي بمستعمراتها السابقة

«العثمانية الجديدة» -على حد زعمها- تعتمد على التصالح مع الذات الحضارية الإسلامية والانفتاح على الغرب

القلق من «العثمانية الإسلامية»

حين سعى «ماكرون» للعودة إلى الشرق الأوسط وتصادم بتركيا، قال بوضوح لمجلة «باري ماتش»، في أغسطس الماضي: إن سياسات «أردوغان» «قومية إسلامية»، وتحدث ضمناً عن مخاطر عودة «العثمانية الإسلامية» لتهيمن على البحر المتوسط كما كانت تفعل بحرية الإمبراطورية العثمانية، وهو ما رد عليه «أردوغان» بالحديث عن سِجل فرنسا الاستعماري الذي تسعى لاستعادته الآن على يد «ماكرون».

ولأن منطقة شرق البحر المتوسط كانت تمثل منطقة نفوذ فرنسية تقليدية، وتحالف فرنسي مصري يوناني قبرصي حالي، يسعى لحصار تركيا في حدودها القديمة الضيقة التي وضعتها معاهدة «سيفر» التي فُرضت على الإمبراطورية العثمانية، في 10 أغسطس 1920م، ومهدت الطريق لإعادة تشكيل الشرق الأوسط لصالح القوى الاستعمارية الغربية، فقد أقلق الفرنسيين بشدة سعيُ تركيا للتخلص من تبعات هذه المعاهدة، واستعادة حلم الإمبراطورية العثمانية بالمقابل.

حيث تعتمد «العثمانية الجديدة» على ثلاثة مرتكزات:

أولها: أن تتصالح تركيا مع ذاتها الحضارية الإسلامية بسلام وتعتز بماضيها الإسلامي متعدد الثقافات والأعراق، ومن ثم توثق روابطها مع العالم العربي والإسلامي.

ثانيها: استبطان حسّ العظمة والكبرياء العثماني والثقة بالنفس عند التصرُّف في السياسة الخارجية، والتخلص من الشعور بالضعف أو بالنقص تجاه الآخرين.

ثالثها: الاستمرار في الانفتاح على الغرب مع تقوية العلاقات مع الشرق الإسلامي؛ إذ إن أنصار «العثمانية الجديدة» يرون أن الحاجة لنقد الماضي العثماني بمرارة لم تعد قائمة مثلما كانت في العقود الأولى لتأسيس الجمهورية.

وقد زاد قلق باريس بعدما ربحت تركيا معركة ليبيا بسهولة، وأجهضت خطط فرنسا ومصر لتثبيت الانقلابي خليفة حفتر قائداً لليبيا بالسلاح، لو احتل طرابلس، وتقدمت لتفرض معادلات جديدة في البحر المتوسط بالتنقيب عن النفط وعدم الاعتراف بقيود معاهدات الحقبة الاستعمارية التي أعقبت سقوط دولة الخلافة الإسلامية.



العداء للإسلام بالتالي هو ما يحرك باريس و«ماكرون» بشكل أساسي بحثاً عن إعادة إحياء الدور الاستعماري الفرنسي في المنطقة العربية والإسلامية، ولأن تركيا تتصدى لهذه العودة، ويهيمن عليها نظام يتبنى بالمقابل إحياء «العثمانية الإسلامية» بشكل أكثر حداثة وقوة، فقد بدأت المعركة تأخذ طابع الصراع الحضاري والتاريخي، وتتحول أحلام فرنسا الاستعمارية تدريجياً إلى سراب.■

اللغة.. الباب الواسع الذي استهدفت منه فرنسا الهوية العربية



تقرير- إسلام فرحات:

المتتبع لتواريخ نشأة الفرنكوفونية وتطورها يتأكد أنها الوجه الآخر للاستعمار وفرض الهوية والتبعية للحضارة الفرنسية من خلال بابها الواسع وهو اللغة، وأن بداية الفرنكوفونية وظهورها للنور بشكلها المعروف في فترة خروج فرنسا من مستعمراتها ليس مصادفة، بل هو الخطة الاستعمارية البديلة عن الاستعمار المباشر الذي أسست له فرنسا بعد دحرها على يد المقاومة المسلحة.

«ماكرون»: الفرنكوفونية مشروع مستقبلي وتحدُّث الفرنسية فرصة حقيقية لغوياً واقتصادياً وثقافياً

في دوريته الشهيرة، بتاريخ 16 يونيو 1921م، إلى ضباط المخابرات ورؤساء المناطق العسكرية والمدنية المغربية، يقول الجنرال «ليوطي»: «ليس علينا أن نعلم العربية لمجموعات من الناس استغنوا عنها دائماً (في إشارة إلى البربر)، إن العربية عنصر أسلمة لكونها لغة القرآن؛ أما مصلحتنا فتفرض علينا أن نجعل البربر يتطورون خارج إطار الإسلام، ومن الوجهة اللسانية علينا أن ننزع إلى المرور مباشرة من البربرية إلى الفرنسية، ولهذا نحتاج إلى عارفين بالبربرية، ويتوجب على ضباط مخابراتنا أن ينكبُّوا بعزم على دراسة اللهجات البربرية، كما يلزم خلق مدارس فرنكو-بربرية حيث نعلم الفرنسية للبربر الشباب».



وفي فبراير 2018م، وقف الرئيس الفرنسي «إيمانويل ماكرون» في العاصمة التونسية قائلاً: «إن تونس ستكون خلال سنتين قاعدة جديدة لتعليم اللغة الفرنسية، وسوف تساعد الفرنكوفونية التونسيين والتونسيات على النجاح في عدة مجالات وفي دول مختلفة».

وأضاف أن الفرنكوفونية ليست مشروعاً قديماً، بل هي مشروع مستقبلي، فتحدث اللغة الفرنسية تعد فرصة حقيقية، على المستويات اللغوية والاقتصادية والثقافية، وقال: أتمنى أن تحيا الفرنكوفونية في بلادكم، محدداً هدف مضاعفة عدد متعلمي الفرنسية خلال سنتين (أي حتى عام 2020م، وهو موعد انعقاد قمة الفرنكوفونية بتونس التي كان مقرراً لها ديسمبر المقبل، وتم تأجيلها بسبب جائحة «كورونا»).

اللغة واقتلاع الهوية

اللغة إذن هي الباب الواسع الذي دخلت منه الفرنكوفونية مستهدفة أحد أهم مفاتيح الهوية العربية والإسلامية وغيرها من الهويات التي تحاول فرنسا اقتلاعها وتثبيت ما تريده من هوية غربية ذات طابع فرنسي.

وفي ذلك يقول يقول د. عمر النمري، في مقال له بعنوان «الفرنكوفونية استعمارٌ أم استخرابٌ؟»: «لا شك عندي في أن الفرنكوفونية إنما استهدفت تنحية اللغة العربية، ومن ثم استبعاد الثقافة الأصلية للشعوب المستعمَرة؛ لا بل استبعاد الدين الإسلامي والحضارة الإسلامية لهذه الشعوب؛ ولا سيما أن أغلب الشعوب الأفريقية تدين بالإسلام وتنتسب إلى الحضارة الإسلامية؛ وذلك بهدف إحلال الفرنسية محلها وتحقيق الإلحاق الثقافي والحضاري، لا بل الإلحاق الجغرافي أيضاً كعزمهم السابق على إلحاق الجزائر بالقطر الفرنسي».

ويقول «بول مارتي»، في كتابه «مغرب الغد» (ص 338): «.. إن كلَّ تعليم للعربية، وكلَّ تدخل من الفقيه، وكلَّ وجودٍ إسلامي، سوف يتم إبعاده بكل قوة؛ وبذلك نجذب إلينا الأطفال الشلوح (البربر) عن طريق مدرستنا

وحدها، ونبعد متعمدين، كل مرحلةٍ من مراحل نشر الإسلام».

ويقول «دي روفيكو»: «إني أنظر إلى نشر تعليمنا ولغتنا كأنجع وسيلة لجعل سيطرتنا في هذا القطر (الجزائر) تتقدم في إحلال الفرنسية تدريجياً محل العربية؛ فالفرنسية تقدر على الانتشار بين السكان خصوصاً إذا أقبل الجيل الجديد على مدارسنا أفواجاً أفواجاً».

المهمة الصعبة

هناك إذن وعي لدى الفرنسيين بمدى أهمية اللغة كباب يسهل من خلاله الدخول للسيطرة على العقول، وقد بدا ذلك الوعي حاضراً لدى بعضهم منذ عصر الاستعمار، حيث يقول مثلاً «جورج هاري»، مدير التعليم في المغرب خلال الفترة الاستعمارية: «إن انتصار السلاح لا يعني النصر الكامل؛ إن القوة تبني الإمبراطوريات، ولكنها ليست هي التي تضمن لها الاستمرار والدوام، إن الرؤوس تنحني أمام المدافع؛ في حين تظل القلوب تغذي نار الحقد والرغبة في الانتقام، يجب إخضاع النفوس بعد أن تم إخضاع الأبدان، وإذا كانت هذه المهمة أقل صخباً من الأولى؛ فإنها صعبة مثلها، وهي تتطلب في الغالب وقتاً أطول».

ويعلق د. إدريس جنداري على ذلك قائلاً: «وإذا كان إخضاع النفوس والعقول خلال المرحلة الاستعمارية مرتبطاً بإخضاع الأجساد عبر السلاح؛ فإن اضطرار فرنسا إلى الانسحاب على وقع ضربات المقاومة؛ سيبطل الآلية الثانية؛ وفي الوقت نفسه سيفتح المجال أمام تضخم الآلية الأولى التي تعتمد الثقافة واللغة كأداة للسيطرة، وتغيير الهوية.

إذن استهداف اللغة كهدف رئيس للفرنكوفونية لم يأت عبثاً، بل كان ضمن مخطط شديد الخبث في محاولة توليد أجيال بعيدة عن مفردات دينها التي تعتبر اللغة هي الوعاء الحامل لها».

هناك دراسة استقرائية لحضور اللغة الفرنسية (أداة الفرنكوفونية) في العالم العربي لأستاذة الأدب المعاصر بجامعة القديس يوسف، كاتيا حداد، ضمن أعمال الندوة التي نظمتها جامعة الدول العربية والمنظمة الدولية للفرنكوفونية ومعهد العالم العربي بباريس، 31 – 30 مايو 2000م، إصدار «الإيسيسكو».



جنداري: استهداف اللغة كهدف رئيس للفرنكوفونية لم يأتِ عبثاً بل كان ضمن مخطط شديد الخبث لتوليد أجيال بعيدة عن مفردات دينها

وقد أكدت الدراسة أمرين مهمين:

الأول: يرتبط بتراجع حضور اللغة الفرنسية في مجموع هذه الدول كلغة التواصل اليومي كما كان الأمر أثناء الاستعمار؛ «فقد مضى عهد كان فيه حضور اللغة الفرنسية أكثر تنوعاً، حيث كانت الفرنسية تجوب الشوارع؛ مما يعني أنها لم تكن محصورة في حيز المدرسة».

الثاني: وفي مقابل تراجع اللغة الفرنسية كلغة للتواصل اليومي، فإنها تعوض هذا التراجع عبر حضور كثيف في المدارس، كلغة أساسية في مناهج التعليم، وذلك باعتبارها أصبحت تقترن (من منظور الاستلاب اللغوي) بمؤشر من مؤشرات التنمية المتمثل في المدرسة.

ولذلك، تؤكد حداد أن تعلم الفرنسية في المدرسة قد يكون بمثابة استثمار على المدى البعيد، وتفسر ذلك باعتبار أن من يتعلم اللغة في المدرسة خليق أن يحافظ عليها فيما بعد؛ بحيث تصاحبه مدى حياته.

ومن خلال هذه الدراسة الاستقرائية يثبت بالأرقام الهيمنة التي أصبحت تمارسها اللغة الفرنسية في مجموعة من الدول العربية، فهي تخترق مؤسسات التعليم، باعتبارها لغة العلم والمعرفة الحديثة، في زمن لجأت فيه المؤسسات الأكاديمية الفرنسية نفسها إلى اللغة الإنجليزية!

روفيكو»: نشر تعليمنا ولغتنا أنجع وسيلة لجعل سيطرتنا في الجزائر تتقدم في إحلال الفرنسية تدريجياً محل العربية

حداد: الفرنكوفونية المدرسية تقدمت خلال العقد الأخير ولم تتأخر وذلك لانحسار تيار التعريب من المناهج الدراسية

وهذا الأمر –كما يرى د. إدريس الجندري– أكثر من محير، ويثبت بالملموس أن اللغة الفرنسية في هذه الدول ليست اختياراً بيداغوجياً يرتبط بمناهج التعليم؛ لأن هذه اللغة تثبت الآن أنها غير قادرة على مسايرة التطور العلمي الحاصل باللغة الإنجليزية، بل حتى باللغتين الصينية والألمانية وبعض اللغات الحية الأخرى.

تقول حداد: «وقد أتاحت لنا الدراسة الاستقرائية التي قمنا بها إبراز حقيقة أن الفرنكوفونية المدرسية تقدمت خلال العقد الأخير ولم تتأخر، وكان من أسباب هذا التطور انحسار تيار التعريب من المناهج الدراسية، فقد شهد العقد الأخير إعادة إدراج اللغة الفرنسية أو تقويتها في البرامج الدراسية بدرجات متفاوتة، وذلك في البلدان الآتية: تونس والمغرب وسورية ومصر، وفي لبنان، تم اعتماد مبدأ الازدواجية اللغوية المبكرة على مستوى الدولة، وهو مبدأ جاء ليزكي اختيارات السكان اللغوية، ويضفي طابعاً رسمياً على مكانة اللغات الأجنبية، وبخاصة مكانة اللغة الفرنسية، وكان هذا الإجراء أول سابقة من نوعها في هذا البلد».

إن ما يفسر هذا الحضور القوي للغة الفرنسية ضمن مناهج التدريس في مجموعة من الدول العربية يرتبط في العمق بأبعاد أيديولوجية ومصلحية، ترتبط بالهيمنة التي أصبحت تمارسها الفرنكوفونية على مستعمرات فرنسا السابقة؛ من خلال الحضور القوي للوبي الفرنكوفوني، الذي يتشكل من نخب ثقافية وسياسية واقتصادية، لا يهمها سوى الحفاظ على مصالحها الخاصة في علاقتها بالمستعمر السابق الذي نسجت معه شبكة من المصالح؛ الأمر الذي يحول اللغة لديها إلى أيديولوجيا تتجاوز كل حدود المنطق.■

يرى القيادي بحركة مجتمع السلم الجزائرية، ناصر حمدادوش، أن التحركات الفرنسية في الإقليم العربي، ووقوفها ضد تركيا في قضية التنقيب على النفط في حوض المتوسط، وما استتبعه من خلافات وملاسنات، مردّه أساساً إلى السعي الفرنسي الحثيث وراء منابع الطاقة والنفوذ في المنطقة، متكئة في ذلك على رصيد كولونيالي دموي، وطموحات تغذيها الخلافات التاريخية والدينية مع العالم العربي والإسلامي، بالإضافة إلى طموحها في أن تكون فاعلاً دولياً منافساً للقوى الكبرى الأخرى المهيمنة على هذه المنطقة.

وأكد في الحوار الذي أجرته معه «المجتمع» أن النفوذ الفرنسي لا يرجع بالضرورة إلى قوّة فرنسا الذّاتية، بقدر ما هو اتكالٌ على الرّصيد التاريخي السّابق، وارتهانُ الأنظمة غير الشّرعية لها، ووفاءُ نخبها وأدواتها المتنفّذة، مشيراً إلى أن نفوذ فرنسا الحالي ما هو إلا امتدادٌ للحنين التاريخي والأطماع الاستعمارية القديمة، في حرب استنزاف لما تزخر به مستعمراتها من ثروات وطاقات، لضخّها في اقتصادياتها وتلبية احتياجاتها وتغطية عجزها واختلالاتها.



القيادي بحركة مجتمع السلم الجزائرية ناصر حمدادوش لـ«المجتمع»:

فرنسا الرسمية الحالية هي امتداد للاستعمارية القديمة

حوار- عبدالعالي زواغي:

• ترمي فرنسا بكل ثقلها في العديد من الملفات العربية والإقليمية، ولا تبدي حرجاً في التدخل السافر بالشؤون الداخلية للبلدان العربية؛ فما مقدرات القوة التي تمتلكها حتى باتت تحاول التأثير والهيمنة بهذا الشكل المتنامي؟

- تشكّل المنطقة العربية والأفريقية منطقة حيوية وإستراتيجية لدى الدول الكولونيالية عموماً ولدى فرنسا خصوصاً، كما أنّ نفوذ فرنسا الحالي ما هو إلا امتدادٌ للحنين التاريخي والأطماع الاستعمارية القديمة، في حرب استنزاف لما تزخر به مستعمراتها من ثروات وطاقات، لضخّها في اقتصادياتها وتلبية احتياجاتها وتغطية عجزها واختلالاتها المالية والطاقوية.

وبالرّغم من تراجع النّفوذ الفرنسي تحت وطأة تغيّر موازين القوى الدولية، فإنّ فرنسا مستفيدة من تقاسم الدول الكبرى لمناطق النّفوذ والسيطرة، كما أنّ استقلال بعض هذه الدول كان استقلالاً مشروطاً بديمومة التعاون المالي والاقتصادي والثقافي معها، وهو ما شرعن لهذا النّفوذ والتّبعية.

ولذلك، فإنّ هذا النّفوذ الفرنسي لا يرجع بالضّرورة إلى قوّة فرنسا الذّاتية بقدر ما هو اتكالٌ على الرّصيد التاريخي السّابق، وارتهانُ الأنظمة غير الشّرعية لها، ووفاءُ نخبها وأدواتها المتنفّذة.

هناك تنافسٌ دولي يطعن في هذا النّفوذ الفرنسي ويهدّده، وهو ما يبقي على هذه الجذوة والحرارة في محاولات الحضور الإقليمي والدولي لها كشريك وكجزء من الهيمنة الدولية باسم عضويتها في الاتحاد الأوروبي والحلف الأطلسي والعضوية الدائمة في مجلس الأمن.

• هل يمكن القول: إن فرنسا مدفوعة بحنين كولونيالي، وهي اليوم تعرف نشأة مستأنفة للروح الاستعمارية، التي تمكنت في السابق من احتلال العديد من البلدان العربية، وتكريس الانتداب على البعض الآخر؟

- إنّ فرنسا المتهالكة حالياً بأزماتها الداخلية المتعدّدة، وهي المثقلة بأعباء الركود الاقتصادي وارتفاع معدلات البطالة والأزمات المالية المتتالية، وتراجع مكانتها الدولية، وتصاعد قوى إقليمية ودولية منافسة لها لا تستند إلى قوّتها، بل إلى ضعف هذه الدول العربية والأفريقية، فهي التي تمتدّ في ضعف الآخرين.

ولذلك تستثمر الآن في ذرائع جديدة للتدخّل والوجود، مثل: الإرهاب والهجرة غير الشّرعية والجريمة المنظمة..

وبالرّغم من التراجع في التواجد العسكري المباشر وفي النّفوذ السّياسي والاقتصادي، فإنّها تكابر من أجل الوجود بدوافع أمنية، أمام المنافسة الأمريكية والصّينية والتركية مؤخراً؛ لأنه لا تاريخ لفرنسا دون أفريقيا ومستعمراتها القديمة، كما أنها تريد صناعة تاريخ استعماري جديد على أنقاض الاستعمار التقليدي القديم.

• ما دلالة التوقيت الذي ظهرت فيه نوازع الهيمنة الفرنسية؟ وما دوافعها الإستراتيجية التي تقودها حالياً إلى التدخل في شؤون لبنان مثلاً، والاصطفاف عسكرياً مع اليونان ضد تركيا؟

- هناك عدّة دوافع إستراتيجية وحيوية لفرنسا في التدخّل، وهي مصالحها الأساسية؛ لأنّ الدول ليست جمعيات خيرية تتعامل بحسن النوايا، بل تقوم على المصالح الحيوية لها، وهي تختلف من بلد إلى آخر؛ ففي الوقت الذي تتستّر على أهدافها الخفيّة في التدخّل بأفريقيا، ومنها المصالح الاقتصادية، مثل بسط يدها على «اليورانيوم» في الصحراء الأفريقية وتحديداً في النيجر، إذ تعتمد عليه في تلبية نحو 75% من احتياجاتها من الكهرباء على الطاقة النووية، تتمثل مصالحها في لبنان وليبيا واحتكاكها مع تركيا واصطفافها مع اليونان في الصّراع من أجل الطاقة والنّفوذ في المنطقة، تغذّيها الخلفيات الدّينية والخلافات التاريخية.

• إلى أي مدى تتحمل النخب السياسية في البلدان العربية هذا الخضوع إلى الإملاءات الفرنسية؟ وهل يمكنها تحدي رغبتها في الهيمنة والسيطرة من جديد، خصوصاً أن تاريخها الاستعماري شاهد على جرائمها البربرية وحجم الخراب الهائل الذي خلفته وراءها؟

- المؤكد أنّ فرنسا الرّسمية الحالية هي امتدادٌ لفرنسا الاستعمارية القديمة، وهي لم تتحرّر بعدُ من فكرها الكولونيالي وعاداتها القديمة، ولذلك لا تزال تمجّد تلك الحقبة الاستدمارية، وترفض الاعتراف بجرائم الحرب والإبادة والجرائم ضدّ الإنسانية التي لطّخت تاريخها الأسود، ومنه ذلك التاريخ الدّموي الطويل في الجزائر، إذ بيننا وبينها بحار من الدّماء وجبال من الجماجم.

ولا يمكن القضاء على هذا الإرث المثقل بالمآسي إلا إذا استعادت هذه الدول استقلالها التام وسيادتها الكاملة، وذلك بإرادة شعوبها الحرّة، وعبر تلازم الديمقراطية الحقيقية بالتنمية الفعلية، وهو ما يغلق كلّ أبواب النّفوذ والهيمنة والتبعية وانتهاك الخصوصية.

وعلى الشّعوب الحرّة والنّخب الشّريفة أن تحرّر بلدانها من هذا النّوع من الاستعمار الجديد، والسّبيل إلى ذلك هو القوّة النّضالية للنّخب، صانعة الوعي والرأي والفكر، وقائدة الكفاح والمقاومة السياسية، وأنّ إرادات الشعوب عبر الثورات الشعبية السّلمية أو عبر الانتخابات النزيهة ما هو إلاّ عامل حاسم في ميزان القوّة المرجّح لصالح التتويج بالتحرير والتغيير والتعمير.

• هل هناك تخوف فرنسي-مسيحي من صعود تركيا في السنوات الأخيرة كقوة إقليمية وعالمية، ومن شأن هذا الصعود أن يخلخل ميزان القوة في العالم، خصوصاً أن تركيا أثبتت وجودها في العديد من بؤر التوتر بالمنطقة وأفشلت الكثير من المخططات، لا سيما الفرنسية؟

- المؤكّد أنّ حساسية الدول الغربية والدول الوظيفية الوكيلة عنها في المنطقة والنّخب التغريبية المرتهَنة لها يزعجها هذا الصّعود المتنامي لتركيا إقليمياً ودولياً، والانزعاج الأكبر هو من الخلفية الحضارية والتاريخية والهوياتية لهذا المارد الإسلامي الصّاعد، الذي يفضح ويرفع السّقف عن الفساد والتزوير والظلم والاستبداد والاحتلال، وهو الغطاء الذي تتدثّر به هذه الأنظمة الغربية والعربية؛ وهو ما يقضّ مضاجعهم بهذه العودة الحضارية للإسلام، وهذا الاستئناف الحضاري وإعادة استدعاء الحضارة الإسلامية من جديد.

هذا الوَصل المتصالح بين تركيا وهويتها، وهذه التجربة التنموية الناجحة لها، وهذا النموذج الذي يجمع بين القيم الإسلامية والإنسانية المعاصرة هو الذي يفجّر كلّ هذا الزّخم من الصّراع ضدّها، وكلّ هذه العدوانية عليها، وكل هذا التآمر ضدّها، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ (البقرة: 120).■

نفوذ فرنسا لا يرجع لقوتها الذاتية بل اتكال على الرصيد التاريخي السابق وارتهان بعض الأنظمة لها



لا تاريخ لفرنسا دون أفريقيا ومستعمراتها القديمة وهي تريد صناعة تاريخ استعماري جديد

الدول ليست جمعيات خيرية تتعامل بحسن النوايا بل تقوم على المصالح الحيوية لها

حساسية الدول الغربية والنخب التغريبية المرتهَنة لها يزعجها الصعود المتنامي لتركيا إقليمياً ودولياً

الإستراتيجية الفرنسية بين القصور الذاتي وعجز «ماكرون»

إخفاقات «ماكرون» لم تقتصر على السياسة الداخلية بل طالت الخارجية

حازم عياد

تحول «الكتاب الأبيض الفرنسي للدفاع والأمن» منذ ظهر في العام 1974م إلى إستراتيجية تحدد الخطوط العريضة لرؤساء الجمهورية في فرنسا تجاه الملفات الخارجية.

الكتاب خضع لتعديلات متكررة تبعت التحولات الكبرى؛ كانهيار الاتحاد السوفييتي وانتهاء الحرب الباردة عام 1994م، استبعد فيه انضمام تركيا وأوكرانيا للاتحاد الأوروبي في حينها، وفي العام 2008م أعيدت كتابته لتتناسب مع التحديات الجديدة التي أعقبت الأزمة المالية العالمية والتدخل الأمريكي في العراق وأفغانستان.

«الكتاب الأبيض الفرنسي» صيغت نسخته الأخيرة في عهد الرئيس الفرنسي الأسبق «فرانسوا أولاند»، عام 2013م، لتتضمن أهم التحديات المستجدة عقب اندلاع «ثورات الربيع العربي»؛ لتضاف إلى التحديات التي تم تشخيصها في عام 2008م، وركزت على الأزمة المالية العالمية والإرهاب والطاقة وصعود الصين كقوة اقتصادية.

النسخة المعدلة للعام 2013م فُعّل فيها المجال الحيوي لفرنسا الممتد 7000 كم من نقطة المركز الممثل بالجمهورية الفرنسية، مطلقة العنان لسياسة تدخلية بدأت في ليبيا، عام 2011م، وامتدت نحو مالي، عام 2014م، لتتوج في عهد الرئيس الفرنسي «إيمانويل ماكرون» بتوسيع حضور فرنسا العسكري شرق المتوسط وانخراطها في صراعات الطاقة وترسيم الحدود البحرية بين اليونان وتركيا، ومحاولاتها تدعيم نفوذها في لبنان وسورية والعراق.

الرؤية الإستراتيجية الفرنسية

حدد «الكتاب الأبيض» للعام 2008م التهديدات والتحديات للسياسة الفرنسية، بدءاً بالقوى الإقليمية الصاعدة والطاقة والإرهاب؛ فكان امتداداً لرؤية الرئيس الفرنسي الديجولي «جاك شيراك» التي عبر عنها في خطاب له، في يناير 2005م؛ لتخضع مجدداً للمراجعة بعيد الأزمة الاقتصادية العالمية، عام 2008م.

ورغم تحديات الأمن السيبراني والاعتراف بصعود الصين الاقتصادي وتنامي أهمية جنوب شرق آسيا في السياسة الدولية والاقتصادية؛ فإن اهتمام فرنسا بقي منصباً على منطقة الساحل والصحراء وحوض المتوسط وشرق أوروبا؛ محذراً من ضعف وهشاشة دول شرق أوروبا والمتوسط وإمكانية انهيارها؛ فهي المجال الحيوي القريب الذي يتهدد أمن واستقرار فرنسا، ويتطلب دعماً وإسناداً للدول الهشة في مواجهة القوى الإقليمية والدولية؛ وهنا تبرز اليونان في السياسة الفرنسية كنقطة ارتكاز لردع أنقرة، والحد من نفوذها شرق المتوسط، والاتفاق النووي «5+1» لاحتواء إيران وردعها غرب آسيا في لبنان والعراق وسورية.

النزعة التدخلية التي تم إقرارها في الكتاب الأبيض تعد امتداداً للرؤية المعلنة للعام 1994م التي اشترطت ألا تستهدف التدخلات الخارجية الشعوب بحسب الدستور الفرنسي، وأن تكون بصيغة جماعية مع شركاء دوليين عبر «الناتو» أو الاتحاد الأوروبي والأمم المتحدة، وهو ما لم تلتزم به فرنسا بسبب القصور الذي تمتعت به هذه الإستراتيجية والفجوة المتنامية بينها وبين شركائها في الاتحاد الأوروبي، وعلى رأسهم إيطاليا وحلفاؤها في «الناتو» خاصة الولايات المتحدة التي أبدت أكثر من مرة رغبتها في الانسحاب من سورية والعراق وأفغانستان؛ متجاهلة مصالح فرنسا وتوجهاتها الإستراتيجية، ورافعة بذلك الكلف على الجمهورية الفرنسية التي تتعاطى وحيدة مع رؤيتها بعيداً عن حلفائها وشركائها الغربيين.

منذ لحظة وصول «ماكرون» إلى سدة الرئاسة، في مايو 2017م، طغى المشهد

الداخلي على أدائه الاقتصادي ذي النزعة الليبرالية المنحازة لرجال المال والأعمال؛ إذ لم يمض عام واحد على وصوله إلى قصر الإليزيه حتى اندلعت احتجاجات «السترات الصفراء»، في مايو 2018م؛ وهو ما قوض مكانته كرئيس منتخب تفوق على اليسار واليمين بكافة أطيافه؛ إذ اتهمه المحتجون باستهداف الطبقة المتوسطة وتجاهل الفقراء والتعامل بتعالٍ مع الطبقة العاملة نتيجة اتباعه سياسة تُحابي رجال المال والأعمال.

ولم تقتصر إخفاقات «ماكرون» على السياسة الداخلية، إذ سرعان ما شق الإخفاق طريقه إلى السياسة الخارجية؛ فدخل في مواجهات دبلوماسية مع شركائه في الاتحاد الأوروبي وعلى رأسهم قادة اليمين الإيطالي، فالنفوذ الفرنسي في أفريقيا عصفت به النكسات خلال الفترة الممتدة من تسلمه الرئاسة إلى عام 2020م، متأثراً بتصاعد الخلافات والتنافس بين فرنسا وإيطاليا في الملف الليبي، وملف الهجرة والصحراء والساحل، مهدداً بمزيد من الانقسامات والتشرذم داخل الاتحاد الأوروبي الذي عصفت فيه الأزمات؛ بدءاً من إعلان بريطانيا خروجها من الاتحاد الأوروبي، وليس انتهاء بأزمة تفشي وباء «كورونا».

دوافع التوجه نحو الشرق

دفع ضيق أفق الرؤية الفرنسية وطبيعة الأزمة الداخلية التي عانى منها الرئيس «ماكرون» إلى التحالف مع قوى نفطية عربية؛ أملاً بالحصول على عقود تسلح ضخمة والمزيد من الصفقات التجارية، إلى جانب الوعود بتمويل حربه في مالي ودول الساحل ودعم نفوذه في ليبيا؛ ما قيد خياراته، وفاقم أزمته السياسية الخارجية والداخلية التي عكستها إخفاقات وحالة تخبط وتهور في السياسة الخارجية تجاوزت المحددات والضوابط التي رسمها الكتاب الأبيض والدستور الفرنسي.

فالتحالفات والشراكات التي أنشأها «ماكرون» لدعم خليفة حفتر في ليبيا وتعزيز سياسته في منطقة الساحل والصحراء لم تعوض فرنسا عن الشركاء الأوروبيين و«الناتو»، ولم تفلح في تجاوز قيود الشرعية الدولية؛ إذ أدت هذه العناصر الدور الأبرز في تفاقم القصور الإستراتيجي الذي حاول الكتاب الأبيض تجنبه من خلال الدعوة للتحرك الجماعي الذي فشل «ماكرون» بتحقيقه.

ويمكن ملاحظة تفاعل هذه العناصر من خلال المؤشرات التالية:

1 - تضارب المصالح الفرنسية الإيطالية كان العنصر الأكثر تأثيراً في صياغة السياسة الخارجية والأمنية الفرنسية تجاه ليبيا ومنطقة الساحل والصحراء؛ إذ أعاق قدرتها على إشراك دول الاتحاد في الإستراتيجية الفرنسية ليبقى اعتمادها على دول «جي 5» (مالي وموريتانيا والنيجر وبوركينا فاسو وتشاد) إلى جانب دعم مالي عربي محدود.

2 - الإخفاق الفرنسي في مالي وليبيا سار بالتوازي مع تعاظم الفجوة بين التحركات العسكرية لقوات «أفريكوم» الأمريكية في منطقة الساحل والصحراء والقوات الفرنسية العاملة في مالي، المقدرة بين 3000 و4000 عنصر من القوات الفرنسية؛ إذ أوقفت وزارة الدفاع الأمريكية دعمها

رغم التحديات التي تواجه فرنسا بقي اهتمامها منصباً على منطقة الساحل والصحراء وحوض المتوسط وشرق أوروبا

جهود «ماكرون» لتجاوز عقدة الفشل تحكمت في جوهر السياسة الخارجية التي باتت رهينة بأزمته وعجزه

الاستخباري واللوجستي لعملية «برخان» الفرنسية في مالي، في حين لم تقدم الدعم السياسي أو العسكري للجنرال خليفة حفتر في هجومه على العاصمة طرابلس في ليبيا؛ بسبب طبيعة الشراكة التي جمعته بالروس، خصوصاً شركة «فاغنر» مقابل تعاون القوات الأمريكية مع حكومة الوفاق الشرعية لمكافحة الإرهاب في سرت وسائر الغرب الليبي.

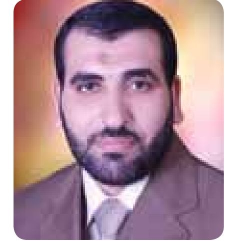
3 - الإخفاق الفرنسي لم يأت حصيلة الخروج الفرنسي على الإجماع الأوروبي والابتعاد عن «الناتو»؛ إذ شمل عجزها عن التعاون مع حكومة الوفاق الشرعية لأسباب أيديولوجية فضلاً عن تعارض طموحاتها مع قرارات الأمم المتحدة بحظر السلاح في ليبيا؛ لتجد فرنسا نفسها وحيدة مع حلفاء عرب وأفارقة تتنازعهم مصالح متضاربة ومتعارضة مع الشركاء الإقليميين في الجزائر والمغرب وليبيا، إلى جانب الشركاء الدوليين الروس والصينيين والأمريكيين الذين وجدوا ثغرات مكنتهم من تعزيز نفوذهم في ليبيا والساحل والصحراء على حساب فرنسا ونفوذها.

4 - فشل «ماكرون» في إدارة الملف الليبي لم يمنعه من التحرك بعيداً عن الحلفاء في الاتحاد الأوروبي و«الناتو» بتوسيع دائرة الاشتباك لتشمل تركيا شرق المتوسط وإيران غرب آسيا، ليتصدر لغة التصعيد والمواجهة شرق المتوسط وغرب آسيا في جزيرة قبرص ولبنان والعراق دون إسناد أوروبي فعلي، معتمداً على أثينا كحليف في مواجهة تركيا في المتوسط، وعلى بغداد لمواجهة نفوذها في سورية والعراق، مقابل عجز كامل عن التعامل مع إيران في لبنان والعراق وسورية.

لا يمكن عزل تحركات «ماكرون» شرق المتوسط عن النكسات المتتالية التي لحقت بإستراتيجية بلاده في منطقة الساحل والصحراء التي استثمرت فيها باريس الكثير، كما لا يمكن عزلها عن الخسارة الكبيرة في الانتخابات المحلية لحزبه «الجمهورية إلى الأمام»؛ التي عكست تراجع شعبيته بُعيد انطلاق حركة «السترات الصفراء»، ومن ثم الاستياء العام من إدارته لملف وباء «كورونا»؛ ما استدعاه لإقالة رئيس الوزراء.

جهود «ماكرون» لتجاوز عقدة الفشل تحكمت في شكل وجوهر السياسة الخارجية الفرنسية التي باتت رهينة بأزمته وعجزه عن تحقيق الرؤية السياسية الفرنسية، كما هي رهينة القصور الذاتي للإستراتيجية الفرنسية التي تمت صياغتها وتعديلها أكثر من مرة دون فاعلية تُذكر؛ فعوامل القصور الذاتي؛ سواء الداخلية -الممثلة بالبيئة الحزبية والاجتماعية الفرنسية المتقلبة والمنقسمة- أم بالبيئة الخارجية -فرنسا في الاتحاد الأوروبي و«الناتو»- أعاقت قدرة باريس على إدارة فاعلة لسياساتها الخارجية؛ وهو ما فاقم أداء «ماكرون» وتوجهاته ذات النزعة الصدامية مع بيئته الداخلية والإقليمية مهدداً باريس بتكرار الفشل شرق المتوسط وغرب آسيا.■

الفرنكوفونية..
توحيد للشعوب أم هدم للهويات؟



محمد فتحي النادي

فرنسا لها سجل أسود ضد الشعوب والبلدان أثناء حقبتها الاستعمارية؛ فيدها متلطخة بدماء ملايين البشر الذين قتلتهم حينما هبوا للدفاع عن أوطانهم، واستخدمت أبشع طرق الفتك والتنكيل، وهي لم تكن راغبة في احتلال الأرض فحسب، بل واحتلال العقول أيضاً؛ لتضمن التبعية الدائمة والولاء المطلق لها، هذا كله رغم ما تدعيه من أنها بلاد النور والحرية وحقوق الإنسان، نعم هي كذلك للإنسان الغربي مسيحي الثقافة حتى وإن كان ملحد الديانة، لكنها مع الآخر وخصوصاً المسلم فإنها شديدة العنصرية والتعصب.

لقد أفل نجم فرنسا الاستعمارية، لكنها ما زالت تعيش على تاريخ إمبراطوريتها القديمة، ومن الأدوات التي تستخدمها لمد أمد النهاية ولو قليلاً، والاقتيات على التاريخ غير البعيد المنظمة الفرنكوفونية.

هذا المصطلح (الفرنكوفونية) الشائع الآن يرجع اشتقاقه إلى أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، وتحديداً في عام 1880م، الذي وضعه الجغرافي الفرنسي «أونزيم ريكلوس» (Onesime Reclus)، الذي يدل الآن على الأفراد والبلدان التي تستخدم اللغة الفرنسية استخداماً كلياً أو جزئياً، التي كانت مستعمرات فرنسية قديمة.

تحولت الفرنكوفونية إلى منظمة دولية تضم عدداً كبيراً من الدول، ومنها بعض الدول العربية والإسلامية، فهي تضم الآن 84 دولة وحكومة، من بينها 58 دولة عضواً و26 دولة تتمتع بصفة مراقب، وقد تأسست في 20 مارس 1970م في نيامي عاصمة النيجر، وقد اعتبروا هذا اليوم يوماً عالمياً للاحتفال بالفرنكوفونية، وفي مدينة باريس يقع المقر الرئيس لهذه المنظمة.

أهداف الفرنكوفونية

ذُكر أن هدف المنظمة هو الترويج للغة الفرنسية، «وتعزيز التعاون بين الدول والحكومات الأعضاء، وقد صيغ هذا الهدف رسمياً في ميثاق الفرنكوفونية الذي اعتمده مؤتمر قمة هانوي عام 1997م، ونقحه المؤتمر الوزاري عام 2005م في أنتاناناريفو»[1].

فالفرنسية رغم كل ما فعله أبناؤها في مستعمراتها من طمس للهويات ومحو للغات الوطنية، فإنها اللغة الخامسة عالمياً، وتأتي بعد اللغة العربية.

وتشهد عزوفاً عنها إلى الإنجليزية؛ لذا تعمل هذه المنظمة على نفخ الروح في اللغة الفرنسية، بل والترويج لها.

واللغة الفرنسية تستخدم كوسيلة للدفاع عن مصالح فرنسا في العالم، وترى فرنسا أنها إن لم تفعل ذلك فستفقد وتخسر الكثير[2].

وهذا واضح في ذهن القيادة السياسية، ففي عام 2018م قام رئيس الجمهورية الفرنسية بعرض الخطة الشاملة لترويج الفرنسية وتعدد اللغات في العالم، وكيف «تصب فرنسا تركيزها على اللغة الفرنسية باعتبارها أرضية مشتركة لمؤسسات الفرنكوفونية المتعددة الأطراف، ولا سيما المنظمة الدولية للفرنكوفونية»[3].

وهي مكلفة بأربع مهام رئيسة، هي:

1 - ترويج اللغة الفرنسية وتعزيز التنوع الثقافي واللغوي على الصعيد الدولي وفي البلدان الأعضاء من خلال برامج تعاون محددة الأهداف.

2 - تعزيز السلام والديمقراطية وحقوق الإنسان عبر إقامة شراكات من أجل تسوية الأزمات والنزاعات في الحيز الفرنكوفوني.

3 - دعم التعليم والتدريب المهني (تدريب المدرسين، والتعليم الثنائي اللغة).

4 - توطيد التعاون لخدمة التنمية المستدامة (مؤازرة أنشطة التنمية المستدامة وتقديم الدعم التقني في المفاوضات الدولية)[4].

واللغة وعاء الثقافة وعنوان الهوية، والفرنسيون لا يقبلون بالتنوع الثقافي، وكان إحلال لغتهم محاولة منهم لفرض التبعية ومسخ الهوية، يقول «دي روفيكو»: «إني أنظر

الفرنسية رغم كل ما فعله أبناؤها بمستعمراتها من طمس للهويات ومحو للغات فإنها اللغة الخامسة عالمياً بعد العربية

الفرنسيون لا يقبلون بالتنوع الثقافي وكان إحلال لغتهم محاولة منهم لفرض التبعية ومسخ الهوية

إلى نشر تعليمنا ولغتنا كأنجع وسيلة لجعل سيطرتنا في هذا القطر (الجزائر) تتقدم في إحلال الفرنسية تدريجياً محل العربية؛ فالفرنسية تقدر على الانتشار بين السكان خصوصاً إذا أقبل الجيل الجديد على مدارسنا أفواجاً أفواجاً»[5].

وهذه الرؤية والتوجه لهم أثمرت وآتت أكلها؛ حيث إننا نسمع بعض المتفرنسين يقول: المنظمة روح وفكر وثقافة وحضارة[6].

المؤسِّسون رموز تبعية

من العجيب أن هذه المنظمة لم تقم على أيدي الفرنسيين، بل على أيدي عرب وأفارقة وآسيويين، وهؤلاء رأوا أن الفرنسية (اللغة والثقافة) رابطة وجامعة تجمعهم!

والأعجب من ذلك أن هؤلاء المؤسسين كانوا القادة الذين أتوا رؤساء بعد استقلال بلدانهم عن فرنسا! فـ «ليوبولد سيدار سنغور» أول رئيس للسنغال بعد الاستقلال عن فرنسا، وكذا «الحبيب بورقيبة» في تونس، و«حماني ديوري» في النيجر، هؤلاء صاغوا ميثاق وكالة التعاون الثقافي والتقني في عام 1970م، التي تغير اسمها إلى المنظمة الحكومية الدولية الفرنكوفونية عام 1998م، وفي عام 2005م أصبح اسمها المنظمة الدولية للفرنكوفونية.

وهذا «بورقيبة»، في لقاء صحفي له مع إحدى الصحف الفرنسية، يقول: «إن مستقبلنا مرتبط بمستقبل الغرب عموماً ومتضامن مع مستقبل فرنسا خاصة، ونحن نتجه اليوم من جديد إلى فرنسا.. إنني أنا الذي تزعمت الحركة المنادية بالفرنكوفونية؛ فالرابطة اللغوية التي تجمع بين مختلف الأقطار الأفريقية أمتن من روابط المناخ أو الجغرافيا»[7].

ورغم ارتماء هؤلاء في أحضان فرنسا، فإنها لم تمنع من الانقلاب على «بورقيبة»، أو «حماني».

وتهتم المنظمة ومن ورائها فرنسا بتوسيع دائرة المنظمة لتشمل عدداً أكبر من الدول، ولا يهمها إن كانت هذه الدول تمارس الشورى والديمقراطية أم أنها تقمع شعوبها، فالمهم أن ترعى هذه الدول مصالح الغرب عامة وفرنسا خاصة.

تهديد اللغات والهويات

ذكر «ستيفان لوبيز»، أحد المسؤولين بالمنظمة، في محاضرة ألقاها بعنوان «الفرنكوفونية.. تاريخ وتطورات وإنجازات»، أن المنظمة «تهتم بالدرجة الأولى بالجوانب الثقافية أكثر من الجوانب السياسية للدول الأعضاء، وتهتم بنشر الثقافة، وإقامة معارض الكتب وتبادل الخبرات والدورات بشأن كل ما يتعلق باللغة الفرنسية».

فهذا يعني أنها رأس الحربة لفرنسا في الغزو الفكري والثقافي والعبث بالهويات؛ لذا يرى «سيدي غالي لو» أن للفرنكوفونية مخاطر كبيرة، تتمثل في:

1 - سعيها لإحلال القوانين المستمدة من الفكر العلماني محل القوانين المحلية في الدول الأعضاء التي معظمها دول إسلامية ذات صلة بتعاليم الإسلام.

2 - نشر اللغة الفرنسية مع محاربة اللغات المحلية وخاصة العربية الفصحى في الدول الأعضاء في الفرنكوفونية.

3 - ممارسة الغزو الفكري وعملية غسل المخ من خلال إنشاء جامعة فرنكوفونية عالمية.

4 - خلخلة القيم الدينية والأخلاقية في البيئات الإسلامية وتوجيهها نحو الحياة الاجتماعية الغربية الفاسدة من خلال وسائل إعلام مختلفة.

5 - تشتيت شمل المسلمين، وبث الخلافات بين الدول الإسلامية بسبب موالاة بعضها لمعسكر الفرنكوفونية ضد البعض الآخر الموالي لمعسكر الكومنولث البريطاني؛ مما يحول دون تحقيق وحدة حقيقية بين هذه الدول[8].

فالمنظمة وريثة فرنسا الاستعمارية، وتكمل مسيرة الاستدمار والاستخراب للشعوب التي سبق احتلاها، يقول د. عمر النمري: «لا شك عندي في أن الفرنكوفونية إنما استهدفت تنحية اللغة العربية، ومن ثم استبعاد الثقافة الأصلية للشعوب المستعمَرة؛ لا بل استبعاد الدين الإسلامي والحضارة الإسلامية لهذه الشعوب؛ ولا سيما أن أغلب الشعوب الأفريقية تدين بالإسلام وتنتسب إلى الحضارة الإسلامية؛ وذلك بهدف إحلال الفرنسية محلها وتحقيق الإلحاق الثقافي والحضاري، لا بل الإلحاق الجغرافي أيضاً كعزمهم السابق على إلحاق الجزائر بالقطر الفرنسي»[9].

يعول الساسة الفرنسيون كثيراً على تلك المنظمة لتجعل لهم موطئ قدم في عالم سريع التغيرات، وتتبدل فيه موازين القوة بسرعة، وهذا التعويل يظهر في قول الرئيس الفرنسي «إيمانويل ماكرون» خلال زيارته لتونس عام 2018م حينما قال: «إن الفرنكوفونية ليست مشروعاً قديماً، بل هي مشروع مستقبلي، فتحدث اللغة الفرنسية تعد فرصة حقيقية، على المستويات اللغوية والاقتصادية والثقافية»[10].■



الهوامش

(1) الفرنكوفونية حيز للتعاون متعدد الأطراف منشور على موقع «الدبلوماسية الفرنسية».

(2) استمع إلى الحلقة النقاشية: منظمة الفرنكوفونية: تكتل ثقافي أم سياسي؟ على موقع قناة «فرنسا 24».

(3) الفرنكوفونية حيز للتعاون متعدد الأطراف، منشور على موقع «الدبلوماسية الفرنسية».

(4) المرجع السابق.

(5) ساكري البشير: هل لا تزال الجزائر محمية فرنسية (مقالة)، مجلة البيان، 2015/8/23م.

(6) استمع إلى الحلقة النقاشية: منظمة الفرنكوفونية: تكتل ثقافي أم سياسي؟

(7) عمر النمري: الفرنكوفونية استعمار أم استخراب، مجلة البيان، العدد 178، 2002م، ص48.

(8) سيدي غالي لو: الفرنكوفونية كما هي الميلاد والنشأة والسياسة، مجلة البيان، العدد 238، باختصار.

(9) عمر النمري: الفرنكوفونية استعمار أم استخراب، مجلة البيان، العدد 178، 2002م، ص48.

(10) https://www.bbc.com/arabic/art-and-culture-42919547.

الفرنكوفونية.. والعبث بهوية الأسرة المسلمة

تعبث بهوية الأسرة من خلال دعم القوانين التي تعارض الشريعة الإسلامية والإنفاق على الجمعيات النسوية



في الوقت الذي قامت فيه فرنسا الاستعمارية بأبشع المذابح في مستعمراتها لسلب الأرض واللغة والثقافة والهوية، كتب مفكروها ومثقفوها عن الحرية والعدالة والمساواة وقدموها كبلد الأنوار، فيما انساق عدد كبير من مثقفينا يدافعون عن فرنسا الثقافة والفكر، ويفصلون بينها -بسذاجة بالغة أو ربما بشعور مركب من النقص- وبين فرنسا السياسة والاحتلال والتخريب.

فاطمة عبدالرؤوف
كاتبة متخصصة بقضايا المرأة والمجتمع

كانت محاولات فرنسا لاختراق شعوبنا العربية والإسلامية دائماً ما تواجه بتاريخها الاستعماري الأسود، وفي ضوء هذا يمكننا قراءة اعتراف الرئيس الفرنسي «إيمانويل ماكرون» الهزيل بالتعذيب المنظم الذي انتهجته فرنسا في الجزائر دون أن يقدم اعتذاراً رسمياً عن الاحتلال ذاته، ويمكننا أيضاً أن نقرأ ما قام به مؤخراً من تحركات في لبنان من زيارة للأماكن المنكوبة، وتعاطف مع أهالي الضحايا، وتقديم الدعم المادي للمدارس والمؤسسات ذات التوجه الفرنكوفوني ومدارس الإرساليات الكاثوليكية، تلك المدارس التي أنتجت إنساناً لبنانياً فرنسياً يرى في فرنسا الأم الحنون ويتوق لأيام الاحتلال، حتى إنهم قاموا بكتابة عريضة تطالب بعودة الانتداب الفرنسي على لبنان!

يحاول الرئيس الفرنسي، إذن، الذي يطلق عليه البعض «ماكرون بونابرت»! أن يستعيد بعضاً من النفوذ الفرنسي عن طريق القوة الناعمة؛ اللغة والثقافة والقيم الفرنسية، من خلال المدارس والمؤسسات الفرنكوفونية التي تعيد تشكيل هوية الإنسان العربي والمسلم، ومن ثم تعيد تشكيل هوية الأسرة من خلال التفكيك وإعادة البناء.

في لبنان وحده أكثر من 330 مدرسة كاثوليكية 80% منها تقدم تعليمها بالفرنسية وتضم 50% من التلاميذ

الهوية الفرنكوفونية

لا يمكن النظر إلى الفرنكوفونية كونها مجرد النطق باللغة الفرنسية، بل هي ثقافة وهوية، أو كما يصفها الكاتب والباحث السياسي اللبناني قاسم محمد عثمان بطريقة حالمة أنها «واقع معيش ونمط تفكير وسلوك حياة قبل أن تكون انخراطاً في نموذج سياسي أو في كيان جغرافي؛ فهي كيان يتحرك فيه الإنسان ضمن تنوعه العرقي والوطني والديني، وهي مكان للتلاقي بين البشر ولتبادل المعلومات وتناقل المعرفة وتقاسم الثقافة، وهي إطار للتلاقح المثمر ولتقدير الحياة بالمعنى الإنساني والأخلاقي للكلمة».

هذه هي الفرنكوفونية في ضمير أنصارها؛ حياة لها قيمها الخلقية الخاصة، وهذا ما يسعى إليه الفكر الفرنكوفوني، حتى إن المنظمة الدولية للفرنكوفونية أوضحت أن القيم الفرنكوفونية لا تقل قيمة عن اللغة، وبحسب ما ورد في الموقع الرسمي للمنظمة «تمثل الفرنكوفونية مجالاً من أكبر المجالات اللغوية العالمية، فهي ليست مجرد تقاسم لغة؛ لأنها تعتمد أيضاً على أساس الاشتراك في القيم الإنسانية التي تنقلها اللغة الفرنسية، ويمثل هذان العنصران الدعائم التي ترتكز عليها المنظمة الدّولية للفرنكوفونية».

من هنا نستطيع أن نفهم أن سعي فرنسا المحموم لدعم تعليم اللغة الفرنسية يتجاوز المعنى الضيق الذي قد يتبادر للذهن لنشر اللغة اللسانية، وفي عصر العولمة تريد فرنسا أن تحافظ على نصيبها من الكعكة على الأقل في مستعمراتها السابقة، وهذا ما قاله «ماكرون» مراراً كونه عازماً على المساهمة في زيادة انتشار اللغة الفرنسية في العالم؛ حيث يزعم أنها تتمتع بإمكانات هائلة.

وإذا كانت أفريقيا هي مستقبل اللغة الفرنسية حيث الخصوبة البشرية الهائلة، فلبنان يمثل الجسر الأكثر أهمية بين الشمال والجنوب الفرنكوفوني، حتى إن كثيراً من أدباء لبنان البارزين يكتبون الأدب بالفرنسية، الأدب بكل ما يحمله من رموز وأساطير وتاريخ وفلسفة وصناعة لوجدان الإنسان لذلك، فحماية لبنان هو حماية إستراتيجية لمصالح فرنسا في المنطقة.

التعليم والهوية

تهتم فرنسا اهتماماً هائلاً بالتعليم والثقافة، حتى إن «ماكرون» دعا القادة الأوروبيين لإعادة تأسيس أوروبا عن طريق نشر الثقافة الأوروبية، حيث قال: «لا توجد أوروبا من دون ثقافة، ما نحتاج إليه هو الخيال الأوروبي الإيجابي لعلاج الوهن الذي أصاب القارة العجوز».

تقوم فرنسا بدور طليعي -إن جاز التعبير- في نشر هذه المعرفة والثقافة، ولها تاريخ طويل في إنشاء المدارس صانعة

الثقافة الأولى لإعادة تعريف الهوية، أو كما تقول الكاتبة الجزائرية لطيفة بن منصور: «القائمون على مدارس الاستعمار كانوا يريدون إخضاع النفوس؛ غسلها وتعقيمها لإنتاج فرنسيين صغار على دراية بمعارك فرنسا في بواتييه وآليزيا وووترلو، على دراية كاملة بأسماء الشعراء والكتَّاب الذين يبرزون مجد وواجهة فرنسا –الوطن الأم– أكثر مما يفعله الجنرالات».

قديماً أيام الاحتلال كان يتم التعامل بعنف وقوة لفرض اللغة الفرنسية وتنحية العربية في المدارس، يشرح «بول مارتي» سياسة التعليم على هذا النحو: «إن كل تعليم للعربية، وكل تدخل من الفقيه، وكل وجود إسلامي سوف يتم إبعاده بكل قوة؛ وبذلك نجذب إلينا الأطفال البربر عن طريق مدرستنا وحدها، ونبعد متعمدين كل مرحلة من مراحل نشر الإسلام»، وهذا ما حدث بأبشع صورة في الجزائر، ولم تعتذر عنه فرنسا مطلقاً.

في اللحظة الراهنة، يمكننا أن نأخذ نموذج التعليم الفرنكوفوني في لبنان كنموذج لتعزيز القوة الناعمة لفرنسا في بلادنا؛ ففي لبنان وحده أكثر من 330 مدرسة كاثوليكية؛ 80% منها تقدم تعليمها بالفرنسية، وتضم نحو نصف مليون تلميذ (حوالي 50% من عدد تلاميذ لبنان)، بالإضافة لـ5 مدارس تابعة للبعثة العلمانية الفرنسية، وتلتقي المدارس الكاثوليكية والعلمانية في نشر الثقافة الفرنكوفونية، ومن ثم فلا دهشة مطلقاً من أن الدعم الذي وجهته فرنسا للبنان بعد الأحداث الأخيرة تم تقديمه لخدمة مصالحها الإستراتيجية المتمثلة في تلك المدارس.

على جانب آخر، تسعى فرنسا لتذويب أبناء المهاجرين العرب في ثقافتها ولكن بمنهجها الناعم الجديد؛ فبدلاً من الحرب على العربية والإسلام، تسعى فرنسا من أجل إسلام جديد بثقافة عربية مختلفة، أو كما جاء في تقرير معهد «مونتاني» حول اللغة العربية: «كلما تأخرنا في تعليم اللغة العربية في المدارس؛ ارتفع عدد التلاميذ في المساجد»!



إذا كانت أفريقيا مستقبل اللغة الفرنسية فلبنان الجسر الأكثر أهمية بين الشمال والجنوب الفرنكوفوني

الفرنكوفونية والأسرة

هناك آليتان تعمل بهما الفرنكوفونية للعبث بهوية الأسرة المسلمة؛ الأولى هي التعليم الفرنكوفوني الذي يصنع أجيالاً شابة منسحقة أمام هذه الهوية، هذه الأجيال هي مستقبل الأسرة العربية والمسلمة، حيث تستميت فرنسا –كما أوضحنا– في دعم هذا النوع من التعليم الذي أتى بنخبة متغربة فرنكوفونية الهوى، ويمكننا في ضوء ذلك قراءة بيان الجمعية اللبنانية للطب النفسي الذي قالت فيه: إن المثلية الجنسية لا تشكل اضطراباً أو مرضاً؛ وهي بالتالي لا تتطلب أي علاج (المثلية الجنسية ليست نتيجة اضطراب في الدينامية العائلية أو نمو نفسي غير متزن)، ويمكننا أيضاً في ضوء ذلك استشراف صورة الأسرة اللبنانية في المستقبل وهي تسير على خطا الأسرة الفرنسية.



خروبات: بالفرنكوفونية يتم نشر الخلاعة الفكرية وتشتيت الأسرة المسلمة باسم حرية المرأة والطفل وحقوقهما

أما الآلية الثانية لمحاولة الفرنكوفونية العبث بهوية الأسرة، فهي تتمثل في دعم القوانين التي تتعارض مع الشريعة الإسلامية؛ من خلال أموال طائلة تحصل عليها الجمعيات النسوية والعلمانية في بلادنا من أجل عمل مشاريع تمهد الأرض لمثل هذه الأفكار، ومسابقات وأبحاث تسير في الاتجاه ذاته، ومن خلال مؤتمرات تعقد في الداخل والخارج من أجل أطروحات جديدة أو آليات أكثر سلاسة لتغيير فكري ناعم، ويمكننا تلمس التخصص في العمل والنشاط في الحركة والمتابعة حتى الوصول لمرحلة نصوص قانونية علمانية موحدة متعلقة بالأسرة تعتمد على المساواة المطلقة بين الرجل والمرأة، وتتبنى الرؤية الغربية العلمانية الفرنكوفونية للأسرة.

يقول أستاذ الفكر والحضارة الإسلامية د. محمد خروبات: «من خلال الفرنكوفونية يتم نشر التغريب وتكريس التبعية المُذلة، وبالفرنكوفونية يتم تشتيت الأسرة المسلمة باسم حرية المرأة وحقوقها، وباسم حرية الطفل وحقوقه، وبالفرنكوفونية يتم نشر الخلاعة الفكرية المنافية للأعراف، والمخالفة للتقاليد، والمضادة للأخلاق والقيم، وباسم الفرنكوفونية يتم التضييق على الثقافة الإسلامية الأصيلة».

يبدو جلياً، إذن، لمن يعي أن هناك حالة نفاق وازدواجية مقصودة في أطروحة الفرنكوفونية؛ فرغم أنها تروج لنفسها على أنها حاملة لقيم التعددية في القبول بالثقافات واللغات، فهي في الحقيقة تمارس عنصرية واضطهاداً للآخر، وتصدر خطاب كراهية، وما الموقف من الحجاب وفلسفته إلا نموذج لهذا التناقض، ولا يمكن فهم تحركات باريس للدعم أو التعاطف إلا في ضوء المصلحة العليا للفرنكوفونية لغة القيم الاستعمارية والعنصرية والعلمانية.■

الفرنكوفونية والسينما العربية..
أقنعة استعمارية ورسائل سلبية

تحمل الفرنكوفونية شعارات أيديولوجية قوامها نشر الحداثة والتنوير الفرنسي، بوصفها نموذجاً ينبغي احتذاؤه في التقدم الحضاري؛ وهو ما أكده مفهوم الفرنكوفونية الاصطلاحي الذي يقرر أنها تمثّل تيّاراً ثقافياً نودي به في أعقاب استقلال البلاد التي كانت خاضعة للاستعمار الفرنسي بقصد الإبقاء على الصلات الثقافيّة المشتركة المتمثّلة في تعزيز نشر اللغة الفرنسيّة وثقافتها، ثم تطوّر الأمر لتأسيس منظّمة فرنكوفونية جامعة[1].

FESTIVAL D'ALEXANDRIE DU FILM FRANCOPHONE
مهرجان الإسكندرية للسينما الفرنكوفونية

د. مصطفى جمعة
أكاديمي وناقد وخبير تربوي

يتفرع عن منظمة الفرنكوفونية عشرات المؤسسات والجهات الداعمة للثقافة الفرنسية على مستوى العالم، لمواصلة تعميم اللسان الفرنسي بمؤسسات التعليم في المستعمرات الفرنسية السابقة، حيث تشير الدراسات إلى أن النخب الوطنية الفرنكوفونية في السلطة كانت خير معين في تطبيق سياسة الفرنسة؛ فتحقق لفرنسا في عهد الاستقلال ما لم يتحقق لها في عهد الاستعمار.

كما رعت الفرنكوفونية مشروعات ثقافية وفنية وأدبية لترويج أيديولوجيتها، عبر دعمها لشرائح واسعة من المثقفين والمفكرين الوطنيين الذين هم فئات متفرنسة تغريبية في بلادهم؛ أملاً في صنع ما يُسمّى «الفضاء الناطق بالفرنسية»، الذي يحتضن كل من ينتمي إلى الثقافة الفرنسية، خاصة في الدول التي استعمرتها فرنسا، وسعت لمواصلة هيمنتها الاستعمارية على صعيد الفكر والثقافة، بنشر الآداب والفنون الفرنسية، مع ترجمتها إلى اللغات المحلية.

من الثقافة إلى السياسة

كما تطورت الفرنكوفونية من البعد الثقافي والرابطة اللغوية لتتخذ أبعاداً سياسية وفكرية واقتصادية[2]، وتكرّست تلك التوجّهات بشكل أكبر تأثيراً، منذ مطلع التسعينيات من القرن الماضي، خاصّة بعد بروز الولايات المتّحدة كقطب أوحد في أعقاب انهيار الاتحاد السوفييتي السابق حينما شعرت فرنسا بتحدٍّ كبير أمام العولمة الأمريكية، والاستعلاء الأنجلوفونيّ مع السيادة شبه التامّة للغة الإنجليزيّة عالمياً في شتّى مجالات الحياة، التي عزّزتها ثورة المعلومات والشبكة العنكبوتية[3]، فتوسعت أنشطتها لتشمل الهجوم على النموذج الأمريكي، بوصفه نموذجاً إمبريالياً ورأسمالياً قميئاً، لا يرتكز على إرث ثقافي وفكري رفيع مثل النموذج الفرنسي.

ومن ثم دعّمت الفرنكوفونية مشروعات فكرية وثقافية وسينمائية عديدة في الدول المنضمة الأعضاء، عبر برامج واسعة تضم عدداً كبيراً من العاملين الفاعلين،

تطورت من البعد الثقافي والرابطة اللغوية لتتخذ أبعاداً سياسية وفكرية واقتصادية في مواجهة القطب الأمريكي

دعّمت مشروعات فكرية وسينمائية في الدول الأعضاء بهدف اغتصاب اللسان العربي

الذين يحصلون على مزايا مالية وتكريمية عالية، وتستهدف -كما يقول عبدالإله بلقزيز- اغتصاب اللسان الوطني (العربي)، ومسخ الشخصية الثقافية، وتزوير الذاكرة الجماعية، وتنمية المثقف الوطني المتغرب المستلَب ثقافياً، كي يدافع عن الثقافة والتنوير الفرنسي، والدخول في مواجهة مع أبناء جلدته منتصراً للفرنسة[4].

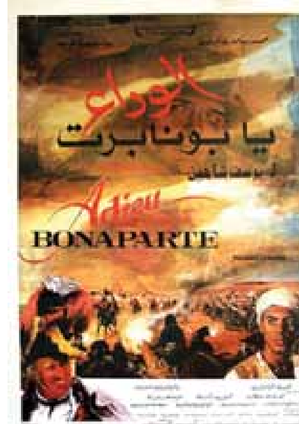
فعملت الآلة الفرنكوفونية على إستراتيجية التغريب الثقافي والفكري، ومواصلة المشروع الاستشراقي المضاد للهوية العربية الإسلامية، والترويج لأنماط الثقافة الفرنسية، وتصوير فرنسا على أنها بلد كمال الحضارة والتقدم والمعرفة، واحتقار قيمنا الأخلاقية، ومحاربة التيارات الإسلامية، وإعلاء المنظومة السلوكية والأخلاقية الأوروبية، مثل حقوق المرأة بالمفهوم الغربي، وتشجيع العلاقات خارج الزواج، والتعاطف مع المثليين والأمهات اللائي لم يحصلن على زواج شرعي؛ وتقديمهم على أنهم فئات مضطهدة اجتماعياً، ومثلهم كذلك الملحدون والعلمانيون، وتبدّى كل ذلك واضحاً في برامج دعم السينما الموجهة في العالم العربي، مثل الأفلام السينمائية في المغرب العربي (تونس، والجزائر، والمغرب)، وموريتانيا، ومصر، ولبنان، ناهيك عن الدول الأفريقية المسلمة، مثل السنغال، ونيجيريا، وتشاد، والنيجر.

ولعل خير شاهد على ذلك الفنان المصري حسين فهمي (عندما تولى رئاسة مهرجان القاهرة السينمائي، وقد رفض عرض أفلام يوسف شاهين)، فقد ندد بتمويل بعض الأفلام العربية من جانب وزارة الثقافة الفرنسية، وهو ما يكون ملوثاً مسيئاً للمجتمعات العربية، سواء أكان في مصر أم في المغرب العربي، حيث تمجد هذه الأفلام الحياة في فرنسا وتقدمها كأنها حلم لكل شاب، بل ويتم دفعها إلى المهرجانات حتى تحصل على جوائز، مستشهداً بتمويل فرنسا لفيلم تونسي يحلم فيه البطل بالسفر إلى باريس، وأيضاً فيلم مغربي يحكي قصة سبعة شبان مغاربة يفضلون العيش في غرفة بباريس بدلاً من العودة إلى بلادهم[5]، بما يعني أن الشباب العربي يحتقر وطنه، وبدلاً من أن يساهم في تنميته والانتماء له؛ يحلم بالهجرة -أو الفرار- إلى فرنسا المتحضرة، ويتباهى بثقافتها الراقية.

شاهين.. والفرنكوفونية

إن القضية ليست فيلماً أو بعض أفلام، إنما هي سياسة فرنكوفونية ثابتة، فهناك عدد من المخرجين العرب ارتبطوا ثقافياً وفكرياً بالمشروع الفرنكوفوني في أعمالهم، وحصلوا على دعم مؤسساته، ويأتي في مقدمتهم المخرج المصري يوسف شاهين (1926 - 2008م)، الذي تولى ابن شقيقته المنتج الفرنسي «جابي خوري» إنتاج أفلامه، بمشاركة المنتج الفرنسي «أمبير بالزان»، بوصفه مندوباً عن الفرنكوفونية، وقد أنتج الاثنان معظم الأفلام في العقدين الأخيرين من حياة شاهين، كما ضمنا له عرضها في عشرات من دور السينما بفرنسا، بعد دبلجتها بالفرنسية، كما أن مؤسسات الفرنكوفونية كانت تشترط تزكية مسبقة من يوسف شاهين، من أجل تمويل أي أفلام لمخرجين آخرين[6]، وكأن شاهين صار عرّاباً للسينما الفرنكوفونية في مصر.

وإذا نظرنا لأفلام شاهين خلال عقد التسعينيات وما بعده، سنجد أنها تغازل في مضمونها ورسائلها الرؤية الفرنسية للعالم، المعادية للعولمة والأمركة، والرافضة للهويات العربية الإسلامية، حيث ترى أن التقدم للمستعمرات الفرنسية السابقة ينبغي أن يكون وفق النموذج الفرنسي لغوياً وفكرياً وقيمياً وأخلاقياً وحضارياً، وبالطبع فإن هذا لا يحمله كل فيلم، وإنما يكفي أن يدور الفيلم حول موضوع بعينه، ضمن هذه الدائرة الفكرية والقيمية المتفرنسة.



أما المخرج التونسي عبداللطيف كمشيش، فقد تمتع بدعم فرنسي لأفلامه المتتابعة، ودائماً ما يفتح لها مهرجان «كان» أبوابه، فقد درج هذا المخرج على تقديم ما يسمى بسينما الصدمة، باختيار مضامين صادمة للمتلقي

عدد من المخرجين العرب ارتبطوا فكرياً بالمشروع الفرنكوفوني في أعمالهم على رأسهم شاهين

أفلام شاهين خلال التسعينيات تغازل في رسائلها الرؤية الفرنسية للعالم

في العالم العربي، متباهياً بكسره المحرمات.

إن السينما العربية التي ترعاها الفرنكوفونية وترحّب بها وتحتفي بمخرجيها في مهرجاناتها، فضلاً عن عرضها في دور السينما الفرنسية؛ يُعَدُّ دليلاً واضحاً على استمرار فرنسا في نفس رؤيتها الاستعمارية الاستشراقية، التي ترى في المجتمعات العربية انغلاقاً وكبتاً، وتحصر المسألة كلها في المشكلات الجنسية وقضايا المرأة، وتتغاضى عن مشكلات الفقر والفساد، ولا تقدّم صورة حقيقية عن واقع الحياة والأزمات في المجتمعات العربية، بل تقدم ما ألفه المشاهد الغربي الذي يتمتع بالحرية ومستويات المعيشة المرتفعة، وينظر باحتقار إلى شعوب المستعمرات، غير مدرك أن رفاهية فرنسا مأخوذة من نهب ثروات الشعوب الفقيرة.■

الهوامش

(1) الموسوعة الاقتصاديّة الاجتماعيّة، إسماعيل عبدالفتّاح، نشر خاص، 2005، ص373.

(2) الفرنكوفونية: دراسة في المصطلح والمفهوم والتطور التأريخي، وليد كاصد الزيدي، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية، العراق، ط1، 2020، ص18.

(3) المرجع السابق، ص83.

(4) الفرنكوفونية: أيديولوجية، سياسات، تحد ثقافي لغوي، د. عبدالإله بلقزيز، في كتاب الفرنكوفونية (أبحاث وحلقة نقاشية)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2011، ص29.

(5) جاء هذا في حوار حسين فهمي مع قناة «CBC» المصرية، في 2011/11/20م https://www.hespress.com/art-et-culture/41563.html

(6) حوار جابي خوري على موقع «البوابة نيوز»، 2017/10/3م https://www.albawabhnews.com/2740672

«المجتمع»- طارق الشال:





الاقتراض لسد عجز الموازنة المصرية.. هل هو الحل؟

طرح البنك المركزي المصري، في 6 سبتمبر الماضي، أذون خزانة بقيمة 19 مليار جنيه مصري (1.2 مليار دولار)، في ظل مجموعة من الديون التي تعمل الحكومة المصرية على اقتراضها خلال الفترة الحالية، بغرض سد عجز الموازنة العامة، وتدبير النفقات من خلال سندات وأذون الخزانة على آجال زمنية مختلفة، وتعتبر البنوك الحكومية أكبر المشترين لها.

وقد قامت وزارة المالية المصرية، في 30 أغسطس 2020م، بطرح سندات خزانة بقيمة إجمالية بلغت 7 مليارات جنيه (442 مليون دولار)، وذكرت الوزارة، عبر موقعها الإلكتروني، أنه تم طرح سندات خزانة أجل 3 سنوات بقيمة 4 مليارات جنيه بمتوسط سعر فائدة بلغ 14.563%، وبلغ أعلى سعر 14.59%، وأقل سعر 14.4%.

الحكومة تعتزم اقتراض ملياري دولار من تحالف مصرفي يضم بنوكاً عربية وعالمية لسد عجز الموازنة

الدين لا يزال يلتهم نحو 89% من الناتج المحلي ويتوقع تزايد تلك الأرقام مع نهاية عام 2020م

وتعتزم الحكومة المصرية اقتراض ملياري دولار من تحالف مصرفي يضم بنوكاً عربية وعالمية لصالح وزارة المالية لسد عجز الموازنة في العام المالي، وذلك عقب موافقة البرلمان وتوقيع عقود الانتهاء من جميع الإجراءات.

ويضم التحالف المشارك في تدبير القرض ما يقرب من 12 بنكاً عربياً وعالمياً، بينها «أبوظبي الأول»، و«الإمارات دبي» بصفتهما المرتبين بجانب بنوك «المشرق»، «إتش إس بي سي»، «سيتي»، «ميتسوى سوميتومو»، «ABC» البحرين.

وضاعفت الحكومة قيمة القرض إلى ملياري دولار بدلاً من مليار دولار كانت قد طلبت من بنكي «أبوظبي الأول» و«الإمارات دبي» الإماراتيين، تدبيره قبل شهرين تقريباً بغرض سد فجوة التمويل للعام المالي الحالي 2020/ 2021م.

ومن المتوقع أن تصل قيمة العجز في الموازنة العامة للدولة إلى 389.1 مليار جنيه خلال الفترة من يوليو2019م إلى مايو 2020م.

أسباب العجز

ورفعت مصر في مطلع مايو توقعاتها للعجز الكلي في الميزانية في السنة المالية الحالية 2019/ 2020م إلى ما يتراوح بين 7,8 و7.9% بسبب أزمة فيروس «كورونا» المستجد من توقعات سابقة عند 7.2%.

وبحسب الخبير الاقتصادي، أحمد ذكرالله، في حديثه لـ«المجتمع»، فإن أسباب عجز الموازنة في مصر تكمن في العجز المزمن في الميزان التجاري ونقص الإنتاج والاعتماد على الواردات وعلى الإيراد الضريبي بصورة أساسية بشكل من أشكال تمويل الخزانة العامة للدولة حتى أصبح يقارب الـ75% من جملة الإيرادات.

وأضاف ذكرالله أن هناك عدم قدرة للدولة على تحقيق مستهدفها من الإيراد الضريبي، وإغفال أهمية الإيرادات غير الضريبية وتنويع مصادرها وزيادة مواردها المختلفة، فعلى سبيل المثال؛ تحصل الدولة

من نحو 30 شركة من شركات القطاع العام على ما يقارب 7 مليارات جنيه فقط، وبالتالي على الدولة الاهتمام بالإيرادات غير الضريبية.

وتوقع صندوق النقد الدولي عدم تحقق الإيرادات الضريبية التي جاءت في الموازنة الحكومية لعام 2019/ 2020م، بنقص 95 مليار جنيه (6 مليارات دولار)، كما توقع عدم تحقق قيمة الاستثمارات الحكومية الواردة في الموازنة الحكومية، بنقص 35 مليار جنيه (2.21 مليار دولار).

من جانبه، يرى الخبير الاقتصادي، عبدالحافظ الصاوي، في حديثه لـ«المجتمع»، أن أسباب ارتفاع عجز الموازنة في مصر هو أن الاقتصاد المصري يعتمد بشكل كبير على الاستهلاك وليس اقتصاداً إنتاجياً، كما يعتمد أيضاً على الإيرادات الريعية التي تأثرت بسبب أزمة «كورونا» بشكل كبير، فضلاً عن حالة الركود التي يعاني منها الاقتصاد المصري منذ فترة، وبالتالي وجدت الحكومة نفسها مطالبة بسداد التزامات كثيرة.

وأشار الصاوي إلى أن سوء الإدارة الاقتصادية لدى الحكومة المصرية فيما يتعلق بالاقتصاد الكلي بشكل عام والموازنة بشكل خاص أدى إلى ارتفاع عجز الموازنة؛ لأن الفجوة التمويلية الموجودة في مصر قائمة، وتقدر بحوالي 28 مليار دولار تقوم الحكومة بتدبير 18 مليارًا من الجهاز المصرفي والسوق المحلية المصرية، وتعتمد على 10 مليارات دولار من سوق السندات الدولية أو الاتفاقيات الثنائية أو المؤسسات الإقليمية والدولية، وأصبح هذا الأمر يمرر سنوياً لسد الفجوة التمويلية في مصر.

وتابع: ليس لدى الحكومة خطة لتدبير مصادر تمويل من المدخرات المحلية التي تعد واحدة من المشكلات الكبيرة في الاقتصاد المصري، فمعدل الادخار في مصر يعد من أقل معدلات الادخار بالعالم، وذلك بسبب تراجع دخول الأفراد في مصر ومرور الكثير منهم بحالة فقر أو إفقار بسبب السياسات الاقتصادية الموجودة منذ 7 سنوات ماضية.

تداعيات العجز

ويعد عجز الموازنة في أي دولة يعبر عن مدى نجاح أو فشل الحكومات في إدارة شؤون الدولة الاقتصادية، فهو ليس مجرد رقم.

فالعجز قد يكون مستهدفاً لتحقيق معدلات اقتصادية مرغوبة، كأن يكون بنسبة محدودة لا تتجاوز من 3 - 6%، بغرض تمويل أنشطة استثمارية، تخلق فرص عمل جديدة، وتساهم في زيادة القيمة المضافة للنشاط الاقتصادي، وهنا يكون العجز بالموازنة محدوداً ومحموداً.

وأشار ذكرالله إلى أن الاقتراض من أجل سد عجز الموازنة وتوفير السلع الأساسية للمواطنين وسداد القروض والفوائد يزيد من الاقتراض الداخلي والخارجي، وبخاصة أن عجز الموازنة في مصر ما زال في تزايد شديد، نتيجة تضاعف فوائد وأقساط الديون خلال الفترة الماضية.

وأضاف أن عجز الموازنة العامة ينعكس أيضاً على قدرة الدولة سلباً على تمويل الاستثمارات المحلية، وبالتالي نلحظ تردي الخدمات المقدمة في القطاعات الخدمية مثل الصحة والتعليم والمواصلات وغير ذلك بسبب عدم قدرة الدولة على تمويل مثل هذه المشروعات.


أحمد ذكر الله — عبدالحافظ الصاوي

ذكرالله: هناك عدم قدرة للدولة على تحقيق مستهدفها من الإيراد الضريبي وإغفال الإيرادات غير الضريبية وتنويع مصادرها

الصاوي: هذه القروض سيقوم بسدادها الأجيال القادمة وستكون خصماً من حقهم في الحياة وتمتعهم بالموارد الاقتصادية

وتبلغ قيمة إجمالي مخصصات أقساط القروض وفوائدها 1.12 تريليون جنيه، حيث تقدر مخصصات سداد القروض بـ555,5 مليار جنيه، أما مخصصات فوائد الدين فتقدر بنحو 556 مليار جنيه، أي 48.8% من جملة المقدر من الاستخدامات بمشروع الموازنة.

وتمثل اعتمادات الفوائد، بدون الأقساط، 33% من إجمالي المصروفات، كما تمثل مدفوعات الفوائد أكبر باب على جانب المصروفات منذ عام 2015/ 2016م، وفق البيان المالي لوزارة المالية.

وأكد الصاوي أن آلية أذون الخزانة هي واحدة من الآليات المتبعة لدى الحكومة المصرية منذ فترة، وهي واحدة من أسباب تفاقم مشكلة الدين في مصر؛ لأن الحكومة أصبحت تقوم بما يسمى بتدوير الديون، فهي تصدر أذون الخزانة لسد عجز الموازنة ولسداد الديون القديمة، فتحولت أذون الخزانة من إجراء استثنائي إلى إجراء أصيل لدى الحكومة المصرية، وهي واحدة من أكبر أمراض الموازنة المصرية، لذلك فعلى الحكومة أن تدير أمورها بشكل يمكنها من الاستغناء عن قضية الديون.

إمكانية السداد

ولا يزال الدين يلتهم نحو 89% من الناتج المحلي الإجمالي المصري، كما أظهرت بيانات البنك ارتفاع الدين العام بنسبة 7.7% على أساس سنوي إلى 4,186 تريليون جنيه (نحو 266 مليار دولار) بنهاية سبتمبر 2019م، ومن المتوقع أن تتزايد تلك الأرقام مع نهاية عام 2020م.

بينما اعتبر الصاوي أن قدرة مصر على سداد الديون واحدة من القضايا التي تحتاج إلى شفافية من قبل الحكومة المصرية، واصفاً إياها بالمعضلة الكبيرة، مشيراً إلى أن حل مشكلة القروض بالنسبة لمصر يحتاج إلى إستراتيجية متوسطة وطويلة الأجل تحول الاقتصاد المصري من اقتصاد ريعي إلى اقتصاد إنتاجي، وأن يكون لديها رشادة اقتصادية في إدارة مواردها، والسعي للقضاء على الفساد وتوجيه الإنفاق بشكل صحيح.■

كيف تنظر تركيا لاتفاقات التطبيع؟





د. سعيد الحاج
محلل سياسي مختص بالشأن التركي

في 15 سبتمبر الماضي، وقعت دولتا الإمارات العربية المتحدة والبحرين اتفاقاً لتطبيع علاقاتهما مع «إسرائيل» برعاية أمريكية مباشرة من الرئيس الأمريكي «دونالد ترمب»، خطوة أدت لردود فعل كثيرة وكبيرة على المستوى العربي، لخطورتها وتوقيتها وارتداداتها المتوقعة على القضية الفلسطينية والمنطقة.

لكنها كذلك استحثت رد فعل تركياً منددا ورافضاً رغم العلاقات السياسية والدبلوماسية القائمة بين أنقرة وتل أبيب؛ ما يدفع للبحث في أسباب هذا الموقف التركي اللافت.

ورث حزب العدالة والتنمية، الذي تأسس في عام 2001م، وتسلم الحكم في بلاده في عام 2002م، دولة تركية وهي لها علاقات راسخة مع الاحتلال؛ فقد كانت تركيا أول دولة مسلمة تقيم علاقات دبلوماسية معه في عام 1949م، وهي علاقات نمت وتطورت مع الوقت والأحداث لتصل لمرحلة التحالف الإستراتيجي في تسعينيات القرن الماضي.

لم ينقلب الحزب تماماً على سياسات بلاده الخارجية، بل أعاد صياغتها وتفسيرها، وبالتالي استمر على العلاقات مع «تل أبيب» في سنواته الأولى، بل وسعى للوساطة بينها وبين دول أخرى في مقدمتها سورية والباكستان.

بيد أن العدوان الصهيوني على قطاع غزة نهاية عام 2008م، خلال المحادثات غير المباشرة بين سورية والكيان الصهيوني بوساطة تركية، ترك أثراً سلبياً جداً لدى الحكومة التركية، وفي عام 2009م حدثت حادثة دافوس الشهيرة بين «أردوغان»، و«شمعون بيريس»، التي دقت إسفيناً آخر في العلاقات بين الجانبين، وفي عام 2010م اعتدت القوات «الإسرائيلية» على سفينة «مافي مرمرة» التي حملت متضامنين ضد حصار غزة موقعة 10 شهداء أتراك؛ ما أدى لقطيعة في العلاقات الثنائية.

اشترطت أنقرة لعودة العلاقات ثلاثة شروط؛ الاعتذار، وتعويض عوائل شهداء السفينة، وكسر الحصار على غزة، مع الوقت، وبوساطة أمريكية، وصل الطرفان للحظة تطبيع العلاقات مجدداً بعد 6 سنوات من القطيعة (عام 2016م)؛ فقد كان رئيس وزراء الكيان الصهيوني «بنيامين نتنياهو» قد اعتذر هاتفياً عن الحادث، وتضمن اتفاق إعادة العلاقات بنداً لإنشاء صندوق لتعويض عائلات شهداء «مافي مرمرة»، وإشارة لسماح «تل أبيب» لأنقرة بإرسال مساعدات إلى غزة، وهو الأمر الذي تعثر ثم توقف لاحقاً.

رغم عودة العلاقات الدبلوماسية، لم تعد العلاقات بين الجانبين لسابق عهدها؛ ففي أكثر من محطة وحدث، عبّر الطرفان عن هواجس بل ومشاعر سلبية تجاه بعضهما بعضاً، بما في ذلك «شماتة إسرائيلية» ببعض التطورات السلبية في تركيا، وهو أمر يضاف إلى تناقض رؤية الطرفين لقضايا المنطقة وتعارض مصالحهما وأهدافهما فيها بشكل كبير.

العدالة والتنمية ورث تركيا ولها علاقات راسخة مع الاحتلال فلم ينقلب عليها بل أعاد صياغتها

أكثر من ذلك، فقد أعادت تركيا سفيرها لدى الاحتلال وأعلنت سفيرَهُ لديها شخصاً غير مرغوب به، في مايو 2018م؛ احتجاجاً على قرار «ترمب» نقل سفارة بلاده إلى القدس، وتعامل الاحتلال الأمني الفظ مع مسيرات العودة في قطاع غزة؛ ما يعني أن العلاقات السياسية والدبلوماسية بين الطرفين حالياً في مستوياتها الدنيا، رغم أن العلاقات الاقتصادية والتجارية بينهما بقيت على حالها ولم تتأثر سلباً.

لماذا الإدانة؟

والحال كذلك (أي وهناك علاقات دبلوماسية بينها وبين «تل أبيب») سيبدو غريباً أن تدين أنقرة اتفاق تطبيع العلاقات -أو ما سمي بـ«اتفاق سلام»- بين الاحتلال من جهة، والإمارات والبحرين من جهة أخرى، لكن الأمر يصبح مفهوماً بالنظر إلى زاوية تقييم تركيا للاتفاق من جهة، ودورها المتنامي مؤخراً في القضية الفلسطينية من جهة أخرى؛ فقد طوّرت تركيا في السنوات القليلة الأخيرة من دورها في القضية الفلسطينية ورفعت من سقف خطابها؛ حيث كانت في مقدمة الدول التي دعمت الجهود الفلسطينية الرسمية في الأمم المتحدة والمحافل الدولية، كما أنها تتمتع بعلاقات جيدة مع فصائل المقاومة الفلسطينية، ولا سيما حركة «حماس»؛ حيث استقبل الرئيس «أردوغان» قياداتها مراراً، وآخرها لقاؤه مع رئيس مكتبها السياسي إسماعيل هنية الذي اعترضت عليه الولايات المتحدة.

كما أن تركيا، وخلال رئاستها الدورية لمنظمة التعاون الإسلامي، قادت المنظمة في مواجهة قرار «ترمب» نقل السفارة للقدس، منظِّمة قمتين باسم القدس، التي تنشط فيها المؤسسات المدنية التركية رغم قيود الاحتلال وتشديده على عملها.

لا تنظر أنقرة للاتفاق على أنه تطبيع لعلاقات طرفين سادت بينهما أزمات أو

تركيا طوّرت بالسنوات القليلة الأخيرة من دورها في القضية الفلسطينية ورفعت من سقف خطابها



توترات سابقة، وإنما كاتفاق يهدف من جهة لتصفية القضية الفلسطينية، ومن جهة أخرى لإعادة صياغة المنطقة بما يضرها ويتعارض مع مصالحها.

فوفق الرؤية الأمريكية، التي تحدثت عن «تغيير الشرق الأوسط» أو بلورة «أجندة إستراتيجية جديدة» للشرق الأوسط، وفق ما نصّت عليه الاتفاقية، ثمة سعي لإنشاء «ناتو شرق أوسطي» يضم الكيان الصهيوني، بمعنى التعاون والتحالف بينه وبين الدول العربية بعد قبوله في المنطقة وإدماجه بها كدولة طبيعية.

وفق هذه الرؤية، يتحول الاحتلال لدولة طبيعية وجارة، بينما تتحول كل من إيران وتركيا إلى خصوم وأعداء، وبالتالي؛ ترى الأولى نفسها مستهدفة من هذا الاتفاق؛ بما يعني أنه لا يسعها البقاء في صفوف المتفرجين أو الصمت عنه.

أكثر من ذلك، ترى تركيا أن الاتفاق قد جمع بين خصمين لها في المنطقة؛ فكما سبق، لا تربطها حالياً علاقات جيدة مع الاحتلال، فضلاً عن وقوفه إلى جانب اليونان في نزاعه معها في شرق المتوسط، ومن جهة أخرى تبدو دولة الإمارات العربية المتحدة في الجهة الأخرى المواجهة لتركيا في معظم قضايا المنطقة؛ فهي تنظر لتركيا كدولة داعمة للتيارات الإسلامية في العالم العربي، وهي من الدول المنددة بدورها وعملياتها العسكرية في سورية والعراق، وهي من الداعمين للجنرال خليفة حفتر في ليبيا، بينما تدعم تركيا حكومة الوفاق الوطني بقيادة السراج، ورغم أنها ليست من دول حوض المتوسط، فإنها كانت إحدى 5 دول وقعت على بيان يندد بالأنشطة التركية في شرق المتوسط، ناعتة إياها بـ «الأنشطة

أنقرة تنظر لاتفاق التطبيع على أنه لتصفية القضية الفلسطينية وإعادة صياغة المنطقة بما يضرها ويتعارض مع مصالحها

غير القانونية»، فضلاً عن مشاركتها أكثر من مرة في مناورات عسكرية مع كل من اليونان و«إسرائيل».

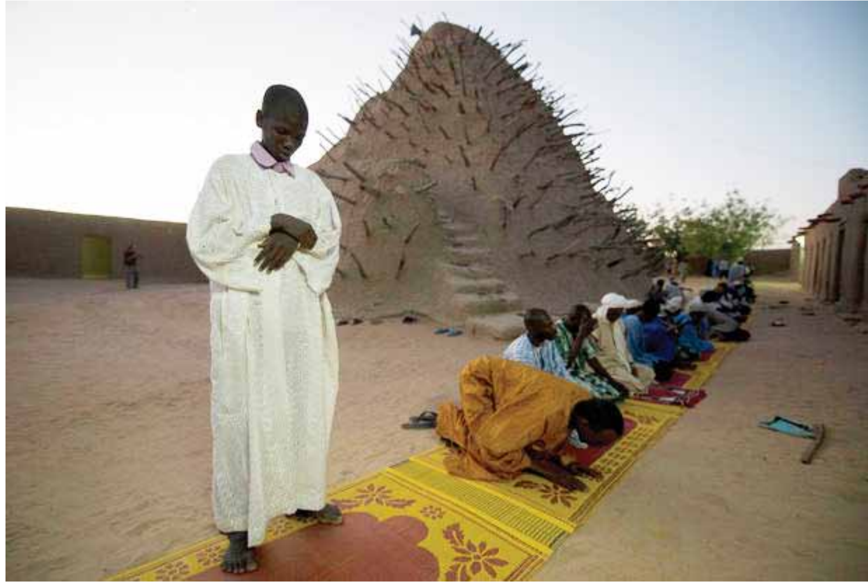
الأهم وربما الأخطر أن أنقرة تتهم أبو ظبي باستهدافها والإضرار بأمنها القومي، حيث ترى أنها من داعمي المنظمات الانفصالية الكردية في شمال سورية، كما تتهمها بالتدخل في الشأن الداخلي التركي، ومن ضمن ذلك دعم المحاولة الانقلابية الفاشلة في تركيا صيف 2016م.

وعليه، فإن قراءة أنقرة للاتفاق أبعد بكثير من كونه اتفاقاً عادياً لبدء علاقات دبلوماسية بين جانبين كانا في قطيعة ومواجهة، وإنما كخطوة إضافية في مسار إعادة تشكيل المنطقة بطريقة تجعلها هدفاً لعدة أطراف لا تحمل لها الود وتتناقض معها في المصالح والرؤى والأهداف.

وبالتالي، ورغم أن تركيا ما زالت تقيم علاقات دبلوماسية وسياسية مع الاحتلال، وإن بحدها الأدنى حالياً، فإنها اختارت التنديد بالاتفاق الموقع بين «تل أبيب» وأبو ظبي والمنامة، خصوصاً أنه يتجاوز الحد الأدنى المتوافق عليه عربياً والمتمثل في المبادرة العربية للسلام، وكذلك الحل الذي تدعو له المجموعة الدولية؛ وهو حل الدولتين.■



أشرف عيد



مالي.. فقر في وجود الموارد وهيمنة فرنسية رغم الاستقلال!

مالي دولة إسلامية قديمة قامت فيها ممالك إسلامية منذ القرن السابع الهجري، عرفت في المصادر التاريخية العربية باسم السودان الغربي أو بلاد التكرور، ويبلغ عدد سكانها نحو 15 مليوناً، يمثل المسلمون 90% منهم، وينتشر بينهم المذهب المالكي وكذلك الطرق الصوفية، ويعيش أغلب السكان في المنطقة الجنوبية من البلاد حيث يجري نهرا النيجر والسنغال، وليس لها حدود ساحلية، وتبلغ مساحتها 1240000 كيلومتر مربع، تحيط بها عدة دول؛ النيجر وبوركينا فاسو شرقاً، وموريتانيا والسنغال غرباً، والجزائر شمالاً، وغينيا وكوت ديفوار جنوباً، وعاصمتها باماكو، وخضعت للاحتلال الفرنسي واستقلت عنه عام 1960م، والفرنسية هي اللغة الرسمية في مالي، لكن توجد لغات أفريقية تستخدم على نطاق واسع أيضاً.

تنقسم مالي إلى عدة مناطق، هي: باماكو العاصمة، وكايس، وكوليكورو، وسيكاسو، وسيغو، وموبتي، وتومبكتو، وغاو، وكيدال، ويسود فيها النظام القبلي، ومن أهم القبائل فيها: الطوارق الأمازيغ، والبمبرا، والماندينغو، والفولاني.

وهي دولة فقيرة رغم تعدد مواردها؛ حيث تمتلك ثروات مائية ومعدنية متنوعة، فهي تعد ثالث أكبر منتج للذهب في أفريقيا، ويشكل التعدين والصناعة جزءاً ضئيلاً من مصادر الدخل القومي فيها، وتعاني من سوء الخدمات الأساسية في التعليم؛ فمعظم السكان أميّون لا يعرفون القراءة والكتابة، و27% فقط من الأطفال يلتحقون بالمدارس، ويوجد بها مدارس عربية أشهرها مدارس دار القرآن والحديث بمدينة طوبى، وكلية الدراسات الإسلامية.

ويعيش معظم السكان في القرى، ويعتمدون في دخلهم على الزراعة، وأكثر من ثلثي السكان يعيشون تحت خط الفقر، والرعاية الصحية سيئة للغاية؛ حيث تعاني المستشفيات من نقص المتطلبات الأساسية في ظل وباء «كورونا» حالياً، وتنتشر فيها الملاريا التي تتسبب في أكبر نسبة للوفيات بين الأطفال، وتعاني مناطق كثيرة من سوء التغذية.

شهدت مالي منذ استقلالها حتى اليوم (1960 – 2020م) سيطرة الجيش على مقاليد الأمور في البلاد، فقد تولى خمسة رؤساء تم الانقلاب على أربعة منهم، وهم:

– «موديبو كايتا»، عام 1960م، الذي حكم مالي بقبضة عسكرية طوال 8 سنوات، شكل خلالها «مجلساً عسكرياً للتحرير الوطني» أوكلت له مهمة قيادة البلاد، حتى قام الملازم «موسى تراوري» بالانقلاب العسكري عليه، في 19 نوفمبر 1968م.

– تولى قائد الانقلاب «موسى تراوري» رئاسة الدولة لمدة 23 عاماً (1968 – 1991م)، شكل خلالها «لجنة عسكرية» جمع فيها منصب رئيسي الدولة والحكومة، حتى قام الكولونيل «أمادو توري» بإنهاء حكمه بالانقلاب العسكري عليه، في 26 مارس 1991م، عقب انتفاضة شعبية تندد بتدهور الأوضاع الاقتصادية.

– تولى قائد الانقلاب «أمادو توري» رئاسة الدولة لفترة انتقالية لمدة عام، عقد فيها انتخابات رئاسية، فاز فيها المعارض «ألفا عمر كوناري»، عام 1992م، الذي استمر

تعاني من الفقر رغم امتلاكها ثروات مائية ومعدنية وثالث أكبر منتج للذهب بأفريقيا

شهدت منذ استقلالها سيطرة الجيش على مقاليد الأمور فقد تولى 5 رؤساء تم الانقلاب على 4 منهم



في الحكم لولاية رئاسية ثانية حتى عام 2002م، تنسمت فيها مالي عبير الحكم الديمقراطي، فقد عمل «كوناري» على محاربة الفساد وتحقيق الإصلاح السياسي والاقتصادي، وأصبح وسيطاً بارزاً في النزاعات الأفريقية.

– وعاد الجنرال «أمادو توماني توري» إلى الحياة السياسية ليتم انتخابه، في 8 يونيو 2002م؛ ثم أعيد انتخابه مرة ثانية، عام 2007، حتى قام الكابتن «أمادو سانوغو» بالانقلاب العسكري عليه، في 21 مارس 2012م، وأعلن الاتحاد الأفريقي تجميد عضوية مالي على إثر الانقلاب، وأدانت دول أوروبية وأمريكا الانقلاب، كما أدانت دول الجوار مع مالي الانقلاب ووصفته بأنه غير دستوري.

– نظم المجلس العسكري الانتقالي انتخابات رئاسية، عام 2013م، فاز فيها «إبراهيم أبو بكر كيايتا»، حتى أطاح به الجيش بانقلاب عسكري، في 18 أغسطس 2020م، على خلفية تظاهرات ضده؛ ليخرج الرئيس بعد اعتقاله بساعات يعلن استقالته حقناً للدماء، وأعلن قادة الجيش تشكيل «اللجنة الوطنية لإنقاذ الشعب»، وتعهدوا بانتقال سياسي مدني يؤدي إلى انتخابات عامة، مؤكداً أن كل الاتفاقات الدولية التي أبرمتها مالي ستُحترم.

ويستمر سيناريو الانقلابات العسكرية في مالي في التكرار تحت دعوى تحقيق مطالب الشعب، ويصبح أي رئيس يتولى السلطة مهدداً بانقلاب الجيش عليه حتى لو كان قائداً سابقاً في الجيش.

احتلال فرنسي غير مباشر

استقلت مالي عن فرنسا عام 1960م، لكن قرارها السياسي والاقتصادي لم يستقل عنها، فقد عملت فرنسا على تغيير طريقة الاحتلال العسكري المباشر بالاحتلال غير المباشر، واحتفظت لنفسها بقواعد عسكرية في منطقة غرب أفريقيا تخول لها التدخل العسكري في أي وقت تتهدد فيه مصالحها.

وارتبطت مالي بفرنسا بروابط سياسية وعسكرية واقتصادية وبمعاهدات تضمن تبعية مالي لفرنسا، ومن تلك المعاهدات:

– اتفاقية الدفاع العسكري المشترك التي تجمع فرنسا بـ21 دولة أفريقية من بينها مالي؛ تُحتِّم عليها مساعدة دولة مالي في حالة نشوب صراعات تهدد كيان الدولة.

فرنسا عملت على الاحتلال غير المباشر لمالي واحتفظت بقواعد عسكرية لحماية مصالحها

.. وتسعى لمنع قيام كيان إسلامي يهدد مصالحها بالمنطقة

– ربطت فرنسا مستعمراتها السابقة بما فيها مالي بـ«منطقة الفرنك الفرنسي الأفريقي» (CFA)، وهي عملة موحدة لمجموعة دول غرب أفريقيا بما فيها مالي.

وتترسخ عقيدة سياسية وأمنية لدى فرنسا بأهمية الحفاظ على النظام المؤيد لها في مالي، ومن ثم فإن أي تغييرات تطرأ في مالي تتعارض مع أهداف ومصالح فرنسا؛ فإنها تقوم بالتدخل السريع لاستعادة الأوضاع، والحيلولة دون حدوث تغييرات سياسية يمكن أن يكون لها تأثير مباشر أو غير مباشر على المصالح الفرنسية هناك، فعلاقة فرنسا بدول أفريقيا بما فيها مالي مصيرية لها، فهي تتعلّق ببقاء واستمرار فرنسا كقوة عالمية؛ حيث تسيطر المؤسسات والشركات الفرنسية في مالي على 65٪ من قطاع الخدمات، و20٪ في التجارة، و15٪ في قطاع الصناعة، وعدد المستثمرين الفرنسيّين في مالي يبلغ نحو 5 آلاف مستثمر.

وتُعتبر فرنسا المستورد الأول للمواد الخام من غالبية دول غرب أفريقيا بشكل عام، ودولة مالي بوجه خاص، كما تعد مالي سوقاً كبيرة للصناعات الفرنسية.

التدخلات العسكرية الفرنسية

وعقب الانقلاب العسكري على الرئيس المالي «أمادو توماني توري»، في 21 مارس 2012م، استولت الجماعات الإسلامية المسلحة على شمال مالي الذي تعتبره فرنسا منطقة نفوذ حيوي؛ فسارعت فرنسا إلى بدء عملية عسكرية هناك مستغلة قواعدها العسكرية في منطقة غرب أفريقيا، ولم تنتظر قراراً من مجلس الأمن، متذرعة بحماية مالي من النموذج الصومالي والمحافظة على سلطة الدولة.

لم يكن التدخل العسكري الفرنسي في مالي الأول، إذ تدخّلت فرنسا منذ عام 1960م أكثر من 40 مرّة في نزاعات أفريقية، فأحياناً تتدخّل لفائدة أنظمة سلطويّة أو دكتاتورية، وأحياناً أخرى لمساندة جانب سياسي على حساب آخر، بيد أن مصالح فرنسا كانت دائماً الدافع الثابت لتدخّلاتها العسكرية في أفريقيا، وإن كانت بمسوغات متغيّرة، وكان واضحاً حرص فرنسا وبعض الدول داخل النظام الدولي على تضخيم ما حدث في مالي جرّاء الانقلاب العسكري الأخير، في عام 2012م، وتصويره على أنه إرهاب، وأنه لا بد لفرنسا أن تتدخل لإعادة سيادة مالي على أراضيها، إلا أن الواقع يشير إلى أن الدافع الرئيس لفرنسا كان الحفاظ على مصالحها والإبقاء عليها، ومنع قيام كيان إسلامي يهدد مصالحها في المنطقة، والسعي لاسترجاع نفوذها ومكانتها، والسيطرة على ما تملكه مالي وتزخر به من ثروات ومواد أولية مهمّة، وهذا يجسّد إعادة ترتيب المنطقة، وإعادة توزيع الموارد الحيوية بين الشركات المتعددة الجنسيات.■

المصادر

1 – عادل مساوي، المواقف الدولية من الأزمة في شمال مالي، ورقة مقدمة في ندوة «المغرب العربي والتحولات الإقليمية الراهنة»، الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات، فبراير 2013.

2 – عبير الفقي: أزمة مالي والوجود الفرنسي الاستعمار في شكله الجديد، المجلة الأفريقية للعلوم السياسية، سبتمبر 2018.

3 – عبير شليغم: التدخل الفرنسي في مالي: البعد النيوكولونيالي تجاه أفريقيا، المركز العربي للبحوث والدراسات، الأحد 15 فبراير 2015.

4 – حسين جواد قبيسي، ملابسات التدخل الفرنسي العسكري في مالي مجلة أفق، العدد 301، يناير 2013.

5 – مادي إبراهيم كانتي، التدخل العسكري الفرنسي في مالي، آفاق أفريقية، المجلد 11، العدد 38، 2013.



الفساد من منظور الاقتصاد الإسلامي



د. أشرف دوابه
أستاذ التمويل والاقتصاد بجامعة إسطنبول صباح زعيم

الفساد آفة العصر، وإذا كانت الأمم المتحدة اتخذت من التاسع من ديسمبر يوماً دولياً لمكافحة الفساد، وعرفت الفساد بأنه: «سوء استعمال السلطة العامة لتحقيق مكسب خاص»، فإن الإسلام ونظامه الاقتصادي حارب الفساد على مدار الوقت، وجعله آفة ومعرة ومهلكاً للأمم، فالفساد نقيض الإصلاح، ومن خلاله تضيع الحقوق وتُنتهك المصالح وتقتل الروح المعنوية تقتيلاً.

أشار القرآن الكريم إلى الفساد كسلوك شائن بغيض ومصيره مهلك مهين في العديد من آياته، منها قوله تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (الروم: 41)، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (11) أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ﴾ (البقرة)، ﴿الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (البقرة: 27)، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (204) وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ (205) وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ (البقرة).

وقد قال الله تعالى في حق فرعون: ﴿إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص: 4)، وفي حق قارون: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلاَ تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلاَ تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص: 77)، وعن طغاة قوم ثمود ورؤوسهم: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلاَ يُصْلِحُونَ﴾ (النمل: 48)، وعن قوم شعيب: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلاَ تَنقُصُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّيَ أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ (84) وَيَا قَوْمِ أَوْفُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (هود)، وعن اليهود: ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (المائدة: 64).

وبيَّن عز وجل أن الفساد نتيجة طبيعية للطغيان والاستبداد، وهو يصل بصاحبه في نهاية المطاف إلى النهاية المحتومة من هلاك ودمار وعذاب؛ ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (6) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (7) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ (8) وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (9) وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ (10) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلادِ (11) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (12) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (13) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ (الفجر).

مضار الفساد:

يمكن إبراز أهم مضار الفساد فيما يلي:

1 - الفساد يمثل سرقة لثروات الأمة؛ فهو يسرق من المواطنين قدراتهم الكامنة كما يسرق منهم طموحاتهم وتطلعاتهم نحو مستقبل أفضل وتعليم أحسن ورعاية صحية أشمل وقدرة أكبر على الحصول على المسكن والطعام والمياه وغيرها من ضروريات الحياة.

2 - الفساد يؤدي إلى إهدار سيادة القانون، والتشكيك في فعاليته وفي قيم الثقة والأمانة، إلى جانب تهديده للمصلحة العامة من خلال إسهامه في خلق نسق قيمي تعكسه مجموعة من العناصر الفاسدة أو ما يسمى «Public bads»؛ وهو ما يؤدي إلى ترسيخ مجموعة من السلوكيات السلبية في المجتمع؛ ومن ثم انتشار الجريمة وتهديد الاستقرار السياسي والاجتماعي والأمني، وسيادة الشعور بالاغتراب لدى المواطن العادي، وبأن القانون لا يطبق سوى على الفقراء ومن ثم انهيار منظومة القيم الأخلاقية.

3 - الفساد يعوق عمليات التنمية ويضعف النمو الاقتصادي؛ حيث يؤثر على استقرار وملاءة مناخ الاستثمار، ويزيد من تكلفة المشروعات ويهدد نقل التقنية، ويضعف الأثر الإيجابي لحوافز الاستثمار بالنسبة للمشروعات المحلية والأجنبية؛ ومن ثم تطفيش رأس المال سواء أكان محلياً أم أجنبياً، ويؤثر على روح المبادرة والابتكار ويضعف الجهود لإقامة مشروعات استثمارية جديدة.

4 - الفساد يؤثر على كل من العدالة التوزيعية والفعالية الاقتصادية، ويحول دون التخصيص الأمثل للموارد، نظراً لارتباطه

يعوق التنمية ويضعف النمو الاقتصادي حيث يؤثر على استقرار مناخ الاستثمار ويزيد من تكلفة المشروعات

يدفع ذوي النفوس الضعيفة للربح غير المشروع بالرشى والإيرادات الريعية بدلاً من المشاركة بالأنشطة الإنتاجية



بإعادة توزيع أو تخصيص بعض السلع والخدمات، حيث يسهم الفساد في إعادة تخصيص الثروات لصالح الأكثر قوة، لا سيما في حالة زواج السلطة بالمال، وقد تعرض ابن خلدون لذلك في مقدمته بتناوله «الجاه المفيد للمال».

5 – الفساد يعمل ضد الشورى والعدالة؛ لأنه يزيد من سلطة ونفوذ الأثرياء ويوجه قرارات نظام الحكم وفقاً لمصالح المفسدين، ويوسع الفجوة بين الطبقات، ويؤذي الشريحة الفقيرة من المجتمع ويزيدها فقراً، ويزيد من البطالة ونسبة المهمشين سياسياً واقتصادياً واجتماعياً.

6 – الفساد يؤدي إلى إضعاف جودة البنية الأساسية والخدمات العامة، ويدفع ذوي النفوس الضعيفة للسعي إلى الربح غير المشروع عن طريق الرشى والإيرادات الريعية بدلاً من المشاركة في الأنشطة الإنتاجية، ويحد من قدرة الدولة على زيادة الإيرادات، ويفضي إلى معدلات ضريبية متزايدة تجبى من عدد متناقص من دافعي الضرائب، ويزيد من الأموال المحولة للخارج لغسلها؛ وهو ما يؤدي في نهاية المطاف إلى زيادة العجز في ميزان مدفوعات الدولة ومن ثم عجزها عن توفير الخدمات العامة الأساسية.

7 – الفساد يقوم بتغيير تركيبة عناصر الإنفاق الحكومي، إذ يبدد أصحاب الثروة والسلطة موارد عامة أكثر على البنود التي يسهل ابتزاز رشى كبيرة منها مع الاحتفاظ بسريتها، ويلاحظ أن الأجهزة الحكومية التي ينتشر فيها الفساد تنفق أقل على الخدمات الأساسية مثل التعليم والصحة، وتتجه إلى الإنفاق بشكل أكبر على مجالات الاستثمار المفتوحة للرشوة وغسل الأموال.

تفعيل القيم الإيمانية والخلقية وتربية الأفراد على حرمة المال العام أقرب الوسائل لمنع الفساد

يجب ترسيخ مفهوم الإدارة بالقدوة التي أرساها النبي وسار على نهجه خلفاؤه الراشدون من بعده

علاج الفساد:

علاج الفساد يتطلب إلى من يقف أمامه ويزيله من جذوره، فلا إصلاح مع فساد، فهما نقيضان لا يجتمعان، وقد بيَّن الله سبحانه وتعالى أهمية مقاومة الفساد وعدم الركون إليه وعدم اليأس من الإصلاح، فقال تعالى: ﴿فَلَوْلاَ كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ (116) وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ (هود)، وشاء الحق سبحانه أن يجعل أمة محمد صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّم خير الأمم بشرط أن يأمروا بالمعروف، وينهوا عن المنكر؛ ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ (آل عمران: 110)، ومن أهم أبواب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قطع دابر الفساد وإعلان الحرب على المفسدين، من خلال ما يلي:

1 – وجود شورى وعدالة حقيقية يشعر من خلالها المواطن بكرامته والقدرة على التغيير، ويشعر الجميع أنهم متساوون أمام القانون، وأنه لا يوجد شخص فوق القانون؛ «لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يديها»، والتأكيد على استقلالية القضاء وفاعليته، والفصل بين السلطات، واحترام حقوق الإنسان المدنية والسياسية، ومنح مؤسسات المجتمع المدني حريات الرأي والتعبير والاجتماع.

2 – إرساء مبادئ النزاهة والشفافية والإفصاح والحوكمة في جميع العمليات الحكومية، وإرساء مبدأ المساءلة قيداً على سلوك القائمين على شؤون السلطة، وإصلاح الجهاز الإداري وتحقيق الكفاية المعنوية والمادية له، ببناء كادر حكومي يتقاضى أجوراً جيدة، مع الاعتماد في التعيين والترقي على الكفاءة لا الولاء، ووضع بنية تشريعية –كماً وكيفاً– لمكافحة الفساد وتفعيل تنفيذها.

3 – تكاتف قوى المجتمع المدني والقطاع الخاص والدولة في جهود مكافحة الفساد، وإتاحة الفرصة لوسائل الإعلام المسؤول والصوت الحر المسموع في مكافحة الفساد، مع بذل الجهود المكثفة لتحسين الاقتصاد ورفع مستويات المعيشة وتعزيز بيئة الأعمال التجارية.

4 – تفعيل القيم الإيمانية والخلقية وإرشاد وتربية الأفراد على حرمة المال العام، فذلك أقرب الوسائل لمنع الفساد؛ لأن الوازع النفسي أقوى وأعم من الوازع الخارجي، وإن كان لا بد من الجمع بينهما.

5 – ترسيخ مبدأ من أين لك هذا؟ وتطبيق العقوبة الشرعية الرادعة للقضاء على الفساد والمفسدين جزاء نكالاً لفسادهم وجشعهم في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (المائدة: 33).

6 – ترسيخ مفهوم الإدارة بالقدوة التي أرساها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبيَّنها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾ (الأحزاب: 21)، وسار على نهجه خلفاؤه الراشدون من بعده حتى قال علي بن أبي طالب، لعمر بن الخطاب رضي الله عنهما قولته المشهورة: «عففت فعفوا ولو رتعت لرتعوا»، كما أن لنا عبرة حسنة في عمر بن عبدالعزيز وحربه على الفساد، حتى إنه في نحو ثلاثين شهراً فاض بيت مال المسلمين بالأموال، وعجز أن يجد فقيراً محتاجاً.■

مقـال



د. يوسف السند
إمام وخطيب بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت

الفوائد التربوية والإيمانية من طبقات الشافعية..

الإمام الغَزَّالِي

محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسيّ، الإمام الجليل، أبو حامد، الغَزَّاليّ حجّة الإسلام، ومحجّة الدين التي يُتوصّل بها إلى دار السَّلام.

جامع أشتات العلوم، والمُبرِّز في المنقول منها والمفهوم.

جاء والناس إلى رَدِّ فِرْية الفلاسفة أحوجُ من الظَّلْماء لمصابيح السماء، وأفقر من الجَدْباء إلى قَطَرات الماء، فلم يزل يناضل عن الدين الحنيفيّ بجلاد مقاله؛ ويحمي حَوْزَة الدين، ولا يُلطِّخ بدَم المعتدين حَدَّ نصاله، حتى أصبح الدِّينُ وثيقَ العُرَى، وانكشفتْ غياهبُ الشبهات، وما كانتْ إلا حديثاً مُفْتَرَى.

هذا مع ورعٍ طوى عليه ضميرَه، وخَلْوةٍ لم يتَّخذ فيها غيرَ الطاعة سَمِيرَه.

ترك الدنيا وراء ظهره، وأقبل على الله يعامله في سرِّه وجَهْره.

ولد بطُوس، سنة خمسين وأربعمائة.

ويحكى أن أباه كان فقيراً، صالحاً، لا يأكل إلا من كسب يده في عمل غَزْل الصوف، ويطوف على المتفقِّهة، ويجالسهم، ويتوفّر على خِدْمتهم، ويجدُّ في الإحسان إليهم والنَّفقة بما يمكنه، وأنه كان إذا سمع كلامَهم بكى، وتضرَّع وسأل الله أن يرزقَه ابْناً ويجعله فقيهاً؛ ويحضر مجالسَ الوعظ، فإذا طاب وقتُه، بكى، وسأل الله أن يرزقه ابْناً واعظاً، فاستجاب الله دعوَتَيْه.

قرأ في صباه طرَفاً من الفقه، ببلده، على أحمد بن محمد الراذكاني.

ثم سافر إلى جُرْجان، إلى الإمام أبي نصر الإِسْمَاعِيلِيّ، وعلّق عنه «التعليقة»، ثم رجع إلى طوس.

قال الإمام أسعد المِيهَنِيّ: فسمعتُه، يقول: قُطعتْ علينا الطريقُ، وأخذ العيَّارون جميع ما معي، ومضوا، فتبعتُهم، فالتفت إليَّ مقدَّمهم، وقال: ارجع، وَيْحَك، وإلا هلكْتَ.

فقلت له: أسألُك بالذي ترجو السلامَة منه، أن تَرُدَّ عليَّ تعليقتي فقط، فما هي بشيء تنتفعون به، فقال لي: وما تعليقتك؟ فقلت: كتُبٌ في تلك المِخْلاة، هاجرتُ لسماعها، وكتابتها، ومعرفة علْمها، فضحك، وقال: كيف تدَّعي أنك عرفْتَ علمها، وقد أخذناها منك فتجرَّدتَ من معرفتها، وبَقِيت بلا علم؟! ثم أمر بعضَ أصحابه، فسلَّم إليَّ المِخْلاة.

قال الغَزَّالي: فقلتُ: هذا مُستنْطَق، أنطقه الله ليرشدني به في أمري، فلما وافيتُ طُوس، أقبلت على الاشتغال ثلاث سنين، حتى حفظتُ جميعَ ما علَّقْته، وصرْتُ بحيث لو قُطِع عليَّ الطريق لم أتجرَّد من علمي.

ثم إن الغَزَّاليّ قدم نَيْسابُور، ولازم إمام الحرمين، وجدَّ، واجتهد، حتى برع في المذهب، والخلاف، والجدل، والمنطق، وقرأ الحِكمة، والفلسفة، وأحكم كلَّ ذلك.

وفهم كلامَ أرباب هذه العلوم، وتصدَّى للردِّ على مُبطليهم، وإبطال دَعاويهم، وصنَّف في كل فنّ من هذه العلوم كتباً، أحسن تأليفها، وأجاد وضعَها، وترْصيفها.

وكان رضي الله عنه شديدَ الذكاء، شديدَ النظر، عجيب الفطرة، مفرط الإدراك، قويّ الحافظة، بعيد الغَوْر، غوَّاصاً على المعاني الدقيقة، جَبَلَ علم، مناظراً، محْجاجاً.

ثم لما مات إمام الحرميْن، خَرج الغَزَّاليّ إلى المعسكر، قاصداً للوزير نظام الملك، إذ كان مجلسُه مجمعَ أهل العلم، وملاذَهم، فناظر الأئمة العلماء في مجلسه، وقهر الخصوم، وظهر كلامه عليهم، واعترفوا بفضله، وتلقَّاه الصاحب بالتَّعظيم، والتبجيل، وولَّاه تدريسَ مدرسته ببغداد، وأمره بالتوجُّه إليها.

فقدم بغداد 484 هـ، ودرَّس بالنِّظاميَّة، وأعجب الخلقَ حسنُ كلامه، وكمالُ فضله، وفصاحة لسانه، ونكَتُه الدقيقة، وإشاراتُه اللطيفة، وأحبُّوه.

وأقام على تدريس العلم، ونشره، بالتعليم، والفُتْيا، والتصنيف، مدة، عظيمَ الجاه زائد الحِشْمة، عاليَ الرتبة، مسموع الكلمة، مشهورَ الاسم، تُضرَب به الأمثال.

إلى أن عزَفت نفسُه عن رذائل الدنيا، فرفض ما فيها، من التقدُّم، والجاه، وترك كلَّ ذلك وراء ظهره، وقصد بيت الله الحرام.

فخرج إلى الحج في ذي القَعدة، سنة 488هـ، واستناب أخاه في التَّدريس.

ودخل دمشق، سنة 489هـ، ثم توجَّه إلى بيْت المقدس، فجاور به مدة، ثم عاد إلى دمشق، واعتكف بالمنارة الغربيَّة، من الجامع، وبها كانت إقامتُه.

قال الحافظ ابن عساكر: أقام الغَزَّاليّ بالشام نحواً من عشرين سنة.

ثم رجع إلى بغداد، وعقد بها مجلس الوعظ، وتكلَّم على لسان أهل الحقيقة، وحدَّث بكتاب «الإحياء».

وذكر الحافظُ ابن عساكر، أنه سمع «صحيح البخاريّ» من أبي سهل محمد بن عُبيدالله الحَفْصيّ.

ووزَّع أوقاته على وظائف، من خَتْم القرآن، ومجالسة أرباب القلوب، والتَّدريس لطلبة العلم، وإدامة الصلاة والصِّيام وسائر العبادات، إلى أن انتقل إلى رحمة الله تعالى، ورضوانه.

وكانت وفاته يرحمه الله، بطُوس يوم الإثنين، رابع عشر جمادى الآخرة، سنة 505هـ.

قال أبو الفرج بن الجَوْزيّ، في كتابه «الثبات عند الممات»: قال أحمد، أخو الإمام الغزَّاليّ: لما كان يوم الإثنين، وقت الصبح، توضأ أخي أبوحامد وصلَّى، وقال: عليَّ بالكَفن، فأخذه، وقبَّله، ووضعه على عينيه، وقال: سمعاً وطاعة للدُّخول على الملك، ثم مدَّ رجليه، واستقبل القبلة، ومات قبل الإسْفار، قدَّس الله روحَه.

مصنَّفاته:

له في المذهب: «الوسيط»، و«البسيط»، و«الوجيز»، و«الخلاصة».

وفي سائر العلوم: كتاب «إحياء علوم الدين»، و«الأربعين»، و«الأسماء الحسنى»، و«المستصفَى».

و«المنخول» في أصول الفقه، ألفه في حياة أستاذه إمام الحرمين.

و«بداية المجتهد» و«المآخذ» في الخلافيَّات[1].

العبر والفوائد التربوية والإيمانية:

- تأثير صلاح الأب على حسن نشأة الولد؛ فالله تعالى يستجيب لدعوة الآباء والأمهات وكل من دعاه صادقاً مخلصاً.
- طلب العلم من الصغر له التأثير الطيب المبارك في تميز المتعلم ونبوغه وتفوقه.
- العلماء والدعاة المخلصون همهم التعليم والتدريس والتربية والدعوة إلى الخير؛ ولذلك يخوض العلماء الحكماء غمار التعليم والتدريس رغم وعورته وصعوبته، فهو السبيل الأمثل للإصلاح ونشر الخير في المجتمع وتربية الشباب وتثقيفهم على خلق الإسلام ومعاني الإيمان، ونحن ما زلنا نتذكر الدعاة والخطباء الذين كانوا يدرّسون في مدارس دولة الكويت أمثال الأساتذة الفضلاء والمشايخ المكرمين طايس الجميلي، وعمر الأشقر، وعبدالله العتيقي، وأحمد القطان.. وغيرهم.

ولذلك يجب أن يهتم العلماء والمشايخ والدعاة بالعمل في المدارس والجامعات والمعاهد، وأن يتميزوا بالحكمة والمهنية والموعظة الحسنة.

- كثرة تنقل العلماء في الأمصار والأقطار والبلدان للتعلم والتعليم سمة من سمات علمائنا الربانيين.
- كثرة التصنيف والتأليف لعلمائنا رغم العوائق والصعوبات وقلة المواد والآلات، فكيف لو وجد علماؤنا السابقون ما بأيدينا من آلات وأجهزة وبرامج وأنظمة؟!
- الإفادة والتعلم من كل مواقف الحياة حتى يحصل المتعلم على الجودة والتميز.
- إن حسن الخاتمة تنتظر الصادقين المخلصين والعابدين الزاهدين الذين آثروا ما عند الله على الدنيا الفانية.

والحمد لله رب العالمين.■

الهامش

(1) عبدالوهاب بن علي السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج 6، تحقيق: عبدالفتاح محمد الحلو، محمود محمد الطناحي.

مقال

حرب المناعة



د. أحمد عيسى:
دكتوراه جامعة برمنجهام كاتب وأديب

تتسابق القوى الاقتصادية الكبيرة مع الزمن ومع أنفسها والآخرين لصناعة لقاح ضد فيروس «كورونا» ينتج مناعة في الجسم البشري، من باب «وداوني بالتي كانت هي الداء»! وهناك حوالي 140 لقاحاً في المراحل الأولى من التطوير، وحوالي 24 لقاحاً يجري اختبارها الآن على البشر والجيوش في تجارب سريرية.

ويشك المتتبع لما يجري من شجون وجنون وفنون في العالم جراء هذا الفيروس، عن أصله وفصله وأمه وأبيه اللذين أنجباه وربياه في معاملهما، والآن يريدان أن يقاوماه، دون القضاء عليه، ويربحا من ورائه ثروات تعوض الفاقد، مستثمرة التخويف الإعلامي، والأرقام الإحصائية، ورمادية المستقبل وتوجساته.

والسؤال الذي يعشش في الأذهان كالخفافيش: هل كان ذلك الفيروس ضمن الاستعدادات لحروب جرثومية بيولوجية؟ وما حدود الصراع السياسي لإنتاج اللقاح؟

وهذا بالطبع لا ينفي وجود الفيروس وضرره، وواجب أخذ غاية الاحتياط والحذر.

حين أعلنت موسكو، في 11 أغسطس الماضي، عن إقرارها أول لقاح ضد «كوفيد-19»، وسمته «سبوتنيك 5» (Sputnik V)، كانت رسالة لها مدلولها، ففي عام 1956م أطلق الاتحاد السوفييتي القمر الصناعي «سبوتنيك» محققاً النصر في سباق الفضاء، والآن ها هي روسيا تقول: إنها حققت قفزة في مجال الطب، ولكن يبقى التشكيك الذي قوبل به إعلانها تذكيراً بضراوة المنافسة الدولية، وفي هذا السباق الآن تبرز الاتهامات بسلوك الطرق الملتوية، والتجسس، والمجازفة غير الأخلاقية، والغيرة، وسط حديث عن «القومية في توزيع اللقاحات».

في يوليو الماضي، اتهمت بريطانيا والولايات المتحدة وكندا وكالات الاستخبارات الروسية بقرصنة أبحاث اللقاحات، ثم اتهمت وزارة العدل الأمريكية مواطنين صينيين بقرصنة أبحاث اللقاحات نيابة عن وكالات استخبارات صينية.

كما أثارت تقارير بشأن خطط البلدين تجربة اللقاح في صفوف القوات المسلحة مخاوف أخلاقية، إذ إن أفراد الجيش لا يتمتعون بالحرية في رفض أو قبول أخذ اللقاح، وكان عقار تطوره شركة «كان سينو» (CanSino) بالتعاون مع الجيش الصيني قد تم إقرار استخدامه من قبل أفراد الجيش، في يونيو الماضي، قبل بدء المرحلة الثالثة من التجارب.

وبالتأكيد توجد بين الدول الغربية نزعة قومية في توفير اللقاحات -مثلما نرى في الولايات المتحدة وبريطانيا- بالعمل على حجز جرعات أولية كبيرة من إمدادات اللقاحات لمواطنيها.

إن السبب وراء الرمزية السياسية التي أعطيت للقاح «كوفيد- 19» هو أن القوى العظمى تعتبره انعكاساً لبطولتها العلمية واعترافاً بتفوق نظامها السياسي[1]، ناهيك عن المردود المالي في حال بيعه.

الغزو الاستعماري كان أداة جبارة في إصابة شعوب الأمريكيتين بأمراض لم يكونوا يعرفونها ما أدى إلى إبادة شعوبهما

الوباء بأوروبا يتوقف بفعل التقنيات التي تعتمد لمقاومته لكنه يستمر في غيرها 40 عاماً أو أكثر

شحن لقاح «كورونا» عبر أنحاء العالم سيكون أكبر تحدٍّ في مجال النقل على الإطلاق

إبادة بالأمراض

نبهني أحدهم ونحن نتحدث عن الفيروس للبعد التاريخي، واستغلال انتفاء المناعة من قبل القوى «الاستعمارية»، الذين هم أجداد القوى الحالية، بطريقة لا إنسانية ولا أخلاقية، تذكرك بشيء مما يحدث الآن، خذ مثلاً تجربة مصل «كورونا» على بلاد فقيرة في الشرق الأوسط بلا مناعة، مستغلين تواطؤ الحكومات، وفقر الأفراد.

من الكتب المنشورة في هذا الشأن كتاب «الأوبئة والتاريخ.. المرض والقوة والإمبريالية»، حيث ذكر الكتاب أن الغزو الاستعماري كان أداة جبارة في إصابة شعوب الأمريكيتين بأمراض لم يكونوا يعرفونها؛ ما أدى إلى إبادة شعوبهما؛ حيث لم تكن هذه الشعوب البريئة النظيفة البعيدة عن أوبئة أوروبا تملك مناعة فعالة لمقاومة هذه الأمراض.

ويمثل لذلك بتدفق الآلاف من شبه جزيرة أيبيريا (إسبانيا والبرتغال) الحاملين لفيروس الجدري إلى أمريكا بعد عقدين من وصول «كولومبوس» إليها، فوصل هذا الوباء إلى أمريكا الوسطى والمكسيك ابتداء من عام 1518م، وإلى شعوب حضارة «إنكا» من الهنود الحمر الذين كانوا يعيشون في رخاء واستقرار، عام 1527م؛ مما أدى إلى إبادتها وهجرة العديد من القبائل، وإصابة قبائل أخرى، وهو ما أدى، حسب الكتاب، إلى انقراض 90% من شعوب الأمريكيتين الأصليين[2].

ومن القصص التي تروى عن جرائم الأوروبيين في إبادة الهنود الحمر قصة «البطانيات القاتلة»، فما هي؟

عندما حاول المستكشفون الإسبان

احتلال البلاد، قدموا للهنود الحمر ملابس ملوثة بفيروس الجدري، ويعيد التاريخ نفسه حينما أرسلت القوات البريطانية عام 1763م خلال الحرب الفرنسية والهندية (البريطانيون في أمريكا ضد الفرنسيين والهنود الحمر) عدوى مرض الجدري إلى رؤساء القبائل الهندية؛ مما أدى إلى قتل معظم السكان الأصليين بسبب انتشار الوباء، حدث ذلك عندما أرسل قائد القوات البريطانية بطانيتين ومنديلاً ملوثة بالجدري إلى رؤساء هذه القبائل كهدية، حيث إن الجدري من الأمراض الفيروسية، شديدة العدوى.

ويشير الكتاب إلى العلاقة الوطيدة بين الإمبريالية ونشر الأوبئة، من جهة نشاط الشركات الكبرى التي كانت تشكل الأذرع الاقتصادية للإمبريالية، وكيف استثمرت في خلق بيئة وبائية سانحة لانتشار الأمراض، وذلك تحت اسم «تنمية الشعوب»، إذ عمدت هذه الشركات في غرب أفريقيا إلى إزالة الغابات واقتلاع الأشجار لاستعمالها في مد سكك الحديد في أوروبا، وتم إنشاء مساحات لمحاصيل جديدة مثل القطن وزيت النخيل والفول السوداني لا تطابق نوع التربة الموجودة؛ مما أدى إلى تخريب التربة وترك أشجار ضعيفة الجذور مكشوفة أمام عوامل التعرية المناخية، ونتيجة لتعرضها للحرارة الشديدة، وسقوط الأمطار الغزيرة، سرعان ما وهنت هذه التربة الرقيقة فوق قاعدة الصخور الصلبة، مما تسبب في شقوق وحفر مليئة بالماء، وفرت وضعاً مثالياً لتكاثر البعوض الناقل للحمى الصفراء والملاريا.

استعمار بيولوجي

كان نشر الأوبئة من الأساليب الفريدة التي استعملها الأوروبيون للقضاء على الشعوب الأصلية، فبحسب كتابه عن أرقام الشعوب الأصلية في أمريكا، للأمريكي «هنري دوبينز»، فقد تعرض هؤلاء لأكثر من 100 حرب جرثومية شاملة، منها 41 حرباً بالجدري، و25 بالسل، 17 بالحصبة، و10 بالأنفلونزا، و4 بالطاعون، والدفتريا والتيفوس والكوليرا.

استخدم الكاتب الدراسة المقارنة، مركزاً على تتبع ورصد وتحليل نمط وأسلوب التعاطي مع الوباء وطريقة مقاومته بين مجموعتين؛ المجموعة الأوروبية، والمجموعة



القوى العظمى تعتبر إنتاج لقاح «كورونا» انعكاساً لبطولتها العلمية واعترافاً بتفوق نظامها السياسي

الشرقية القديمة (الهند والصين ومصر)، فالمجتمعات الأوروبية التي استعملت تقنيات العلم الحديث، كانت لها أساليبها الخاصة في التحكم ومقاومة الأمراض المتوطنة فيها، وقد طورت تقنيات ومعارف نقلتها من علم الأوبئة العربي من المسلمين منذ القرن الرابع عشر، واستخدمتها في مقاومة أوبئة تعرضت لها بعد ذلك، في حين اضطرت المجتمعات القديمة، التي كانت لها تقنياتها الخاصة المتوارثة من ثقافتها في مواجهة الجدري والكوليرا والجذام، فبعد خضوعها لهيمنة الاستعمار والإمبريالية منذ القرن التاسع عشر اضطرت إلى استخدام التقنيات الأوروبية، فوقعت تحت طائلة الهيمنة الإمبريالية[3].

ويلاحظ الكاتب المفارقة في زمن الوباء

توزيع اللقاح في عموم أفريقيا سيكون مستحيلاً حالياً بالنظر إلى العجز في قدرات الشحن

بين المجموعتين، ففي الوقت الذي يتوقف الوباء في أوروبا بفعل التقنيات التي تعتمد لمقاومته، يستمر الوباء في المجموعة المقابلة أربعين عاماً أو أكثر، وتظل هذه الدول تحت سطوة الارتهان للدول الإمبريالية، فهل سيتكرر هذا الآن؟

قال الاتحاد الدولي للنقل الجوي: إن شحن لقاح لفيروس «كورونا» (إن وجد) عبر أنحاء العالم سيكون «أكبر تحدٍّ في مجال النقل على الإطلاق»، وذكر أن العملية ستحتاج الاستعانة بما يعادل 8 آلاف طائرة من طراز «بوينج 747» العملاقة».

«الإيصال الآمن للقاحات سيكون مهمة القرن بالنسبة لصناعة الشحن الجوي الدولية»، ويحتاج نقلها إلى المحافظة على درجة حرارة تتراوح بين درجتين و8 درجات مئوية، وبالتالي لا تصلح كل الطائرات لذلك، كما أن بعض اللقاحات قد تحتاج إلى أن تُنقل في درجة التجمد، والرحلات الجوية إلى مناطق معينة من العالم، بما في ذلك بعض المناطق في جنوب شرق آسيا، ستكون ضرورية جداً، حيث إن هذه المناطق تفتقر للقدرات على إنتاج اللقاحات.

وتوزيع لقاح في عموم أفريقيا سيكون مستحيلاً في الوقت الحاضر بالنظر إلى العجز في قدرات الشحن، وحجم المنطقة، والتعقيدات الخاصة بالمعابر الحدودية[4]، معنى هذا بقاء الفيروس نشيطاً في الدول الفقيرة، أو تزداد فقراً لشراء اللقاح، مع تعطيل الاقتصاد، وتستمر حرب المناعة.■

الهوامش

(1) لقاح «كورونا»: ما بين الألاعيب قذرة وتجسس ومجازفات غير أخلاقية، بي بي سي، 24 أغسطس 2020م.
https://www.bbc.com/arabic/features-53881575

(2) Epidemics and History: Disease، Power and Imperialism، Sheldon Watts. Yale University Press، 1999.

(3) Their Number Become Thinned: Native American Population Dynamics in Eastern North America، Henry Dobyns. University of Tennessee Press، 1983.

(4) فيروس «كورونا»: نقل لقاح عبر العالم «يتطلب 8000 طائرة عملاقة»، بي بي سي، 10 سبتمبر 2020م.
https://www.bbc.com/arabic/business-54100593



قصة الاستشراق الفرنسي.. الوجه العلمي للهيمنة الفرنسية



محمد إلهامي
باحث في التاريخ والحضارة الإسلامية

في فرنسا، وإلى الجنوب من باريس، توقفت الفتوحات الإسلامية عند مدينة بواتيه، المعروفة في التاريخ العربي باسم «بلاط الشهداء» (114هـ/ 732م)، بعد الهزيمة التي أنزلها «شارل مارتل» بجيش عبدالرحمن الغافقي، وهي الهزيمة التي اكتسب بها «مارتل» سمعته الكبيرة في التاريخ الأوروبي باعتباره البطل الذي أوقف الزحف الإسلامي.

على أن بعض المستشرقين الفرنسيين، مثل «جوستاف لوبون»، تحسر بعد أكثر من ألف سنة على حصول هذه الهزيمة، وتمنى أن لو كان المسلمون قد حكموا فرنسا، يقول:

مجاورة فرنسا للأندلس ساعدت عدداً من الفرنسيين على الاحتكاك بالحضارة الإسلامية والتعرف إليها عن قرب

لما فشلت الحملات الصليبية بدأت محاولات دراسة التجربة من فرنسا لمعرفة أسباب الإخفاق وتحديد سبل العودة

«لنفرض جدلاً أن النصارى عجزوا عن دحر العرب، وأن العرب وجدوا جو شمال فرنسا غير بارد ولا ممطر كجو إسبانيا، فطابت لهم الإقامة الدائمة به، فماذا كان يصيب أوروبا؟ كان يصيب أوروبا النصرانية المتبربرة مثل ما أصاب إسبانيا من الحضارة الزاهرة تحت راية النبي العربي، وكان لا يحدث في أوروبا التي تكون قد هذبت ما حدث فيها من الكبائر كالحروب الدينية، وملحمة سان بارتملي، ومظالم محاكم التفتيش وكل ما لم يعرفه المسلمون من الوقائع الخطيرة التي ضرجت أوروبا بالدماء عدة قرون»[1].

لكن هذا الرأي كان هو النشاز والشذوذ، فمنذ ذلك الوقت وكانت فرنسا رأس حربة في عموم تاريخ العلاقات الإسلامية الغربية، كما كانت أيضاً رأس المبادرة في حركة الاستشراق التي هدفت إلى دراسة العالم الإسلامي وتقديم صورته للغربيين.

لقد استهدف الاستشراق هدفيْن كبيريْن:

الأول: دراسة أحوال المسلمين للاستفادة بما عندهم من النظم والعلوم بغرض الانتصار عليهم.

الثاني: تقديم صورة المسلمين للشعوب الأوروبية التي كانت في ذلك الوقت غارقة في الجهل والظلام، حتى إنه لم يكن يعرف القراءة والكتابة في عموم أوروبا في تلك العصور الوسطى سوى بعض الكهنة والأساقفة داخل الكنيسة.

كانت المجاورة بين فرنسا والأندلس من أهم العوامل التي ساعدت عدداً من الفرنسيين على الاحتكاك بالحضارة الإسلامية والتعرف إليها عن قرب، كذلك فإن شمال فرنسا كان هو الموطن الأول الذي خرج منه النورمان، أولئك الذين سيطروا لفترات على إيطاليا وألمانيا، وأولئك هم الذين أنهوا الوجود الإسلامي في جزيرة صقلية بعد قرنين من الزمن، إلا أنهم -أي النورمان- انبهروا بالحضارة الإسلامية؛ فكان بلاطهم عربياً، وثيابهم عربية، وتسمى ملوكهم بألقاب عربية مثل «الملك المعظم روجار المعتز بالله»، واستضافوا العلماء العرب كالإدريسي صاحب الخريطة المشهورة، ومع ذلك؛ فإنهم اضطهدوا المسلمين وضيّقوا عليهم في دينهم، حتى أفنوهم تماماً في عهد «فريدريك الثاني».

ومن فرنسا انطلقت الحروب الصليبية، التي هي أشهر الحوادث التاريخية في العلاقات الإسلامية الغربية، وكانت فرنسا المخزن الأكبر لإمداد الحروب الصليبية بالمال والرجال، وكان ملوك فرنسا وأمراؤها هم الأكثر حضوراً وبروزاً في سائر فصول الحروب الصليبية، حتى عُرف الصليبيون على اختلاف أعراقهم وبلادهم في الرواية الإسلامية بأنهم «الفرنجة».

وقد مثّلت هذه الحقبة الصليبية المنفذ الأكبر لتعرف الفرنسيين -وسائر الغرب- على الإسلام وحضارته ونظمه وتقاليده، ولما فشلت الحملات الصليبية واستطاع المسلمون تحرير أراضيهم، بدأت محاولات


البابا سلفستر الثاني



دراسة التجربة من فرنسا، لتحديد أسباب الإخفاق وتحديد سبل العودة مرة أخرى إلى ديار المشرق.

بداية الاستشراق

وابتدأ الاستشراق على يد رجل فرنسي، هو البابا «سلفستر الثاني»، الذي درس في قرطبة وإشبيلية وفاس، وعرف علوم العرب، ثم تولى البابوية فأنشأ مدرستين للعلوم العربية، أحدهما في روما –مقر بابويته– والأخرى في موطنه مدينة ريمس، ثم أضيف إليها مدرسة شارتر، فهو أول من يوصف بالمستشرق.

وأول معهد لدراسة اللغات الشرقية في أوروبا نشأ في جامعة فرنسا، أنشأه البابا «هونوريوس الرابع» (1285م)، وهذا قبل 25 عاماً من الانطلاقة الرسمية للاستشراق في مجمع فيينا الكنسي الذي أوصى بإنشاء كراسي للغات الشرقية (1312م)، وهو المجمع الذي كان تحت إشراف البابا «كليمنت» (إكليمنص) الخامس، وهو فرنسي أيضاً.

ومثلما كانت فرنسا صاحبة السبق في إنشاء كراسي للغات الشرقية، فقد سبقت إلى إنشاء كراسي للغة العربية على وجه الخصوص، لم يسبقها بذلك إلا إسبانيا التي أنشأت كرسياً للغة العربية بعد مجمع فيينا في سالامانكا، أما فرنسا فقد أنشأ الملك «فرانسوا الأول» كرسياً للغة العربية والعبرية في مدرسة ريمس عام 1519م.

المستشرقون كانوا حاضرين بالموجة الثانية من الحروب الصليبية التي بدأت بالحملة الفرنسية على مصر

فرنسا ساهمت بدسائسها في تنصيب محمد علي والياً على مصر فكان هو وأسرته عهد النفوذ الفرنسي بها

وحين بلغ الاستشراق نضوجه في القرن التاسع عشر، لم يكن ثمة مستشرق أكثر شهرة من الفرنسي «سلفستر دو ساسي» الذي يُعَدُّ عميد الاستشراق الأوروبي، وتلاميذه الألمان هم مؤسسو المدرسة الاستشراقية الألمانية، وقد سخَّر هذا المستشرق إمكانياته لخدمة الاستعمار الفرنسي، وتذكر بعض المصادر أنه كان هو الذي ألقى خطاب القوات الفرنسية بعد احتلالها للجزائر، وقد روى رفاعة الطهطاوي في كتابه «تخليص الإبريز» قصة تدل على خبثه ومكره حيث استطاع خداع امرأة مسلمة حتى قبلت تنصير ولدها، ثم ارتدت عن الإسلام، كما روى ما يدل على غزارة علمه وتمكنه واتساع معارفه[2].

وكان المستشرقون حاضرين في الموجة الثانية من الحروب الصليبية التي بدأت بالحملة الفرنسية على مصر (1798م)، حيث لم يحضر «نابليون» إلا بناء على تقارير كتبها مستشرقون زاروا مصر واطلعوا على أحوالها، ثم لما حضر «نابليون» بجيوشه كان معه مجموعة من العلماء المستشرقين الذين فحصوا أحوال مصر فحصاً عظيماً دلَّت عليه موسوعتهم «وصف مصر»[3].

تنصيب محمد علي

ولما أخفقت الحملة الفرنسية في السيطرة على مصر، دخلت من الباب الخلفي؛ حيث استطاعت فرنسا اكتشاف محمد علي باشا، وساهمت في تنصيبه والياً على مصر بدسائسها بمصر وفي الأستانة، فكان عهد محمد علي وأسرته عهد النفوذ الفرنسي بمصر، حيث افتتحت في مصر المدارس الفرنسية، وجيء بالقانون الفرنسي ليحكم المعاملات التجارية وغيرها من الأمور المدنية فيما سوى الأحوال الشخصية، وزادت البعثات إلى فرنسا، وكان مؤسس جيش محمد علي رجلاً فرنسياً هو الجنرال «سيف» الذي ادعى الإسلام وتسمى باسم «سليمان باشا الفرنساوي»، وبقي النفوذ الفرنسي عظيماً غالباً على مصر حتى جاء الاحتلال الإنجليزي الذي ما كان له أن يستقر لولا التمهيد الذي أحدثته أسرة محمد علي بتجريف وإبادة مقومات المجتمع المصري وكسر مواطن قوته وتحطيم موارده المعنوية.

ومع أن الإنجليز احتلوا مصر 70 عاماً فيما بعد، إلا أن اللغة المهيمنة على الطبقة الحاكمة والمترفة كانت هي اللغة الفرنسية.

وإذا كان هذا هو التأثير الفرنسي في بلد لم تحتله سوى 3 سنوات، فيمكن أن نتوقع –بل نحن نرى– كيف هو التأثير الفرنسي في الأقطار التي احتلتها سنين وقروناً مثل المغرب العربي والدول الأفريقية، بل إن تركيا التي لم تقع تحت الاحتلال الفرنسي وقعت عملياً تحت سطوتها الثقافية في أواخر العصر العثماني وفي عصر الاتحاد والترقي ثم في عصر الكمالية، وإلى الآن تزخر اللغة التركية الحديثة بالألفاظ الفرنسية.

كان الاستشراق الفرنسي هو الوجه العلمي للهيمنة الفرنسية، مثلما أن حركة





الاستشراق كلها إنما هي وسيلة من وسائل الهيمنة الغربية، فالاستشراق -كما يقول إدوارد سعيد- هو «المؤسسة الجماعية للتعامل مع الشرق، والتعامل معه معناه التحدث عنه، واعتماد آراء معينة عنه، ووصفه، وتدريسه للطلاب، وتسوية الأوضاع فيه، والسيطرة عليه، وباختصار؛ بصفة الاستشراق أسلوباً غربياً للهيمنة على الشرق وإعادة بنائه والتسلط عليه»[4].

ولقد اصطبغ الاستشراق بظروف نشأته الذي كان رد فعل أهوج غير عقلاني أمام التفوق الإسلامي، فتولى هو شيطنة المسلمين والتنفير منهم فيما يسميه د. محمد الشرقاوي «أكبر عملية تزييف وعي في التاريخ الإنساني».

لم تتغير هذه الحال بعد نضوج الاستشراق واختلاط المستشرقين بالمسلمين في مرحلة ما قبل الاستعمار أو ما بعده، وإنما تحول دور الاستشراق ليكون التمهيد العلمي والبوابة الفكرية لإحكام الهيمنة على الشرق وإخضاعه، بالبحث عن ثغراته، وبتبرير العملية الاستعمارية وإعطائها شرعيتها ومسوغاتها؛ ذلك أنه لم يكن مجرد حركة علمية بحثية موضوعية، إنما هو وسيلة ضمن وسائل وأداة ضمن أدوات وجزء من الشبكة الاستعمارية نفسها.

بين الاستشراق والسياسة

إن «ثمة روابط قوية متماسكة بين الخطاب الاستشراقي والمؤسسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي

دور الاستشراق تحول ليكون التمهيد العلمي والبوابة الفكرية لإحكام الهيمنة على الشرق وإخضاعه

تمنحه القوة، وقدرته الفائقة على الاستمرار.. إنه كيان له وجوده النظري والعملي، وقد أنشأه من أنشأه، واستُثمِرَت فيه استثمارات مادية كبيرة على مرّ أجيال عديدة، وقد أدى استمرار الاستثمار إلى أن أصبح الاستشراق، باعتباره مذهباً معرفياً عن الشرق، شبكة مقبولة تسمح منافذها بتسريب صورة الشرق إلى وعي الغربيين، مثلما أدى تكاثر ذلك الاستمرار نفسه، بل وتحوله إلى مصدر حقيقي للإنتاج والكسب، إلى تكاثر الأقوال والأفكار التي تتسرب من الاستشراق إلى الثقافة العامة»[5].

تشبه هذه الحالة، مثلاً، أن تكون الأفلام والمسلسلات المصرية هي الرافد الوحيد الذي يعطي صورة عن المجتمع المصري؛ حيث إن الصورة التي تتكون عبر هذا الرافد تنتج بطبيعتها النفور من المجتمع المصري وازدراء أخلاقه واحتقار رجاله ونسائه، ولا يخفى على أحد أن الذي يزور مصر يجد صورة أخرى ومجتمعاً آخر، هذا مع أن هذه الأفلام والمسلسلات إنما هي نتاج الطبقة النخبوية المصرية التي تتحكم في صناعة الصورة وتقديمها، وهي رؤية نخبوية تغريبية للمجتمع المصري، وإن مجتمعاً يظهر بهذا القدر من الانحلال وفساد الأخلاق وانتشار العنف والجريمة فيه سيكون مقبولاً أن يجري احتلاله واستعباده بدواعي التحضير والتحرير والترقية والتنظيم.


جوستاف لوبون

هذا هو الذي صنعه الاستشراق بصورة الأمة الإسلامية لدى الشعوب، ووفَّر للاستعمار الصورة التي تبرر الاحتلال والتدمير وتشرعن الهيمنة عليه لضرورات التحرير والتحضير.

لم يمنع هذا التاريخ من العلاقات الفرنسية مع العالم الإسلامي أن يظهر في المستشرقين الفرنسيين من عرف الحقيقة أو بعضها، فبعضهم أسلموا مثل «ناصر الدين آتييه»، و«موريس بوكاي»، وبعضهم وقف موقفاً منصفاً من الإسلام وحضارته ومجتمعاته، مثل «جوستاف لوبون»، و«لويس سيديو»، و«مارسيل بوازار»، و«جاك ريسلر»، و«دومينيك سورديل»، و«بلاشير»، و«إميل درمنجهم».. وغيرهم.■

الهوامش

(1) جوستاف لوبون، حضارة العرب، ص317.

(2) رفاعة الطهطاوي، تخليص الإبريز، ضمن: الأعمال الكاملة، 70/2، 103/2 وما بعدها.

(3) عن تاريخ الاستشراق الفرنسي، انظر: نجيب العقيقي، المستشرقون، 138/1 وما بعدها؛ يوهان فوك، تاريخ حركة الاستشراق، ص78 وما بعدها، 207 وما بعدها.

(4) إدوارد سعيد، الاستشراق ص45، 46.

(5) المرجع السابق، ص50.



الجامية في الميزان

دراسة موضوعية نقدية من بداية ظهورهم إلى وقتنا الحاضر

عرض - محمود المنير:

بيانات الكتاب

عنوان الكتاب: **الجامية في الميزان.. دراسة موضوعية نقدية من بداية ظهورهم إلى وقتنا الحاضر.**

المؤلف: **د. مشاري سعيد المطرفي.**

الناشر: **دار النور المبين، عمَّان، الأردن.**

سنة النشر: **الطبعة الأولى- 2019م.**

عدد الصفحات: **500 صفحة.**

هذا الكتاب:

يقدم هذا الكتاب دراسة موضوعية نقدية عن جماعة الجامية؛ حيث يرصد المؤلف تاريخها من بداية ظهورها إلى وقتنا الحاضر، وكيف حولت الخلاف الفقهي السائغ إلى عداء وخصومة، مروراً بتتبع لأصولها التي أسست عليه منهجها، وعقدت عليه الولاء والبراء، وذكر ظروف وأسباب نشأتها وخريطة انتشارها، وأشهر مسمياتها وأبرز رموزها، وتقسيماتها، وانتهاء بذكر أشهر موقفهم من علماء الأمة.

كما رصد المؤلف أقوال المؤسسات الدينية كاللجنة الدائمة للإفتاء في السعودية، ومجمع الفقه الإسلامي في السودان، وأعلام الأمة كابن باز، وابن جبرين، وبكر أبوزيد، وعبدالرحمن عبدالخالق في هذه الجماعة.

والكتاب يعد مرجعاً علمياً موسعاً في موضوعه للباحثين والمهتمين بدراسة الفرق والجماعات الإسلامية المعاصرة.

يرى المؤلف أن ظهور هذا الكتاب بعد ثمانية عشر عاماً من ظهور هذه الجماعة ليس مناكفة لهم ولا ترفاً فكرياً، بل دفاعاً عن الحق وشهادة لله تعالى؛ لأن الكتاب يتناول تاريخ ومواقف جماعة ملأت ساحة العمل الإسلامي وشغلت الناس بأفكارها وفتواها الضالة والمضلة، ولا يزال أثرها السلبي في ميدان الدعوة إلى الله يؤرق كل غيور على هذا الدين لعرضه بهذه الصورة من الغلو والتحريف، ولا يزال شيوخها يعتلون المنصات الإعلامية التي تبث هذا الفكر الضال بين طلاب العلم وجمهور المسلمين، لذا اندفع المؤلف لتوثيق مسيرة هذه الجماعة لبيان التناقضات الفكرية والمنهجية التي تصدر عن شيوخها، وناقش أفكارهم بمنهج علمي رصين يكشف كيف أنهم اختطفوا مصطلح السلفية زوراً وبهتاناً، بينما هم أبعد ما يكونون عن منهج السلف.

ضم هذا الكتاب مقدمتين؛ الأولى لأحد رموز العمل الإسلامي السلفي وهو الشيخ عبدالرحمن عبدالخالق، الذي رصد فيها ابتداعهم في الدين في ثلاث دوائر، هي:

الأولى: ما قالوه في شأن الحكام الذين يحكمون في بلاد المسلمين.

الثانية: في شأن الدعوة والدعاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الثالثة: في أخلاقهم وما أحدثوه من الشرور والفتن.

ثم مقدمة المؤلف التي صدرها بأبرز معالم الجامية المدخلية وسماتها التي ستدور عليها الدراسة لبيان أنها من الفرق الضالة المنحرفة، ومنها:

1 - الطعن في العلماء والدعاة من أهل السُّنة وتتبع زلاتهم ونشرها وتهويلها.

2 - تصنيف العلماء والدعاة من أهل السُّنة وتبديعهم وتفسيقهم.





البدعة عندهم ليس لها تعريف معين ما أدى لإيقاع الناس في الحرج والدخول في المحظور

3 - ادعاؤهم أنهم الجماعة السلفية الوحيدة في عصرنا، وما عداهم من الجماعات الأخرى إنما هي جماعة ضالة منحرفة.

ثم قسم المؤلف الدراسة إلى أحد عشر مبحثاً تحدث عن بداية ظهور الجامية، وسبب تسميتهم بهذا الاسم، وأهم رموزها، وأبرز من طعن فيهم الجامية، وانقسامهم، وطعنهم في بعضهم بعضاً، وأقوال أهل العلم فيهم، وفيمن سار على نهجهم، وموقف أهل السُّنة من العالم إذا أخطأ، وأهم سمات ومعالم الجامية.

واختتمت الدراسة برسالة إلى كل من احترف التصنيف فتاب، وإلى من رمي بالتصنيف فصبر، وهي جملة من الأصول الشرعية التي ينبغي على كل مسلم مراعاتها.

منهج المؤلف وأسلوبه:

استخدم المؤلف المنهج التاريخي الاستقرائي في تتبع تاريخ الجامية وشيوخهم ومواقفهم وما صدر عنهم من فتاوى، وما وقع بينهم من انشقاقات، وما صدر عنهم من تناقضات، ثم عمد إلى تفنيد مواقفهم تجاه المخالفين لهم، وبيان ما لديهم من انحراف في أقوالهم التي اتسمت بالطعن والسب والتجريح من خلال بيان أقوال أهل العلم فيهم والرد عليها من القواعد الشرعية المرعية الثابتة لمنهج أهل السُّنة والجماعة، من خلال ذكر فتاوى الجامية والرد عليها بالحجة والدليل من أقوال علماء الأمة وسلفها الصالح.

كما اتسم أسلوب الكاتب بالسهولة والجزالة والبعد عن الاستغراق والاستطراد في الفتاوى والمسائل الشرعية، والاختلافات بين العلماء، كما حرص على البعد عن الفحش من القول والاستهزاء والطعن والتجريح، فلم يطعن بأحد منهم كما يفعلون هم مع مخالفيهم.

ووطأ المؤلف الكتاب للقارئ غير المتخصص، ورسم خريطة ذهنية واضحة المعالم لدراسته تناول فيها الجامية من مختلف الجوانب، وختمها برسالة طريفة جمع فيها من الأصول الشرعية ما لا يسع المسلم جهله؛ كتحريم النيل من عرض المسلم، وبناء حال المسلم على السلامة والستر؛ لأن اليقين لا يزيله الشك، وإنما يزال بيقين مثله، والتزام الإنصاف مع المخالفين لك في الرأي، والحذر من دعاة «الفتنة» الذين يتصيدون العثرات وغيرهم من الأصول الراقية المستمدة من تعاليم الدين الإسلامي السمحة.

الأصالة العلمية والمصادر:

نظراً لحداثة ظهور فرقة الجامية مقارنة بالفرق الإسلامية التي شهدها التاريخ الإسلامي؛ مثل الجهمية والمعتزلة والأشاعرة والخوارج وغيرها من الفرق الإسلامية، اعتمد المؤلف على مراجع حديثة نسبياً؛ مثل مجموعة كتب ومؤلفات رموز الجامية، والكثير من المواقع الإلكترونية التي حوت محاضرات ودروس وفتاوى الجامية، حيث تتبع المؤلف إصدارات وخطب ودروس الجامية في مواقعهم وقنواتهم الفضائية ومنابرهم الإعلامية على نحو دقيق لاستقراء أقوالهم ومواقفهم وبيان أقوال أهل العلم فيها.

إلا أنه مما يؤخذ على الدراسة عدم وجود ثبت لهذه المراجع والمصادر وتصنيفها بشكل علمي دقيق، فلم يوثق الكاتب مصادره من الشبكة العنكبوتية خاصة «يوتيوب» بإرفاق الروابط وتاريخ الاطلاع عليها كما هو معمول به في إثبات المصادر الإلكترونية في الرسائل العلمية، واكتفى بذكر عناوين هذه الحلقات كما وردت.

من سمات الجامية

أشار الكاتب إلى الكثير من سمات الجامية المخالفة لمنهج أهل السُّنة والجماعة، لا سيما أن خلافاتهم لم تكن منهجية؛ بل غلب عليها التبديع والتفسيق والتضليل، والسب والشتم واللعن والطعن في النوايا وسوء العبارة بين بعضهم بعضاً، واللغو في ثناء بعضهم على بعض، ثم اللغو في ذم بعضهم بعضاً عند الاختلاف، وهذا بلا شك صنيع أهل البدع، أما أهل السُّنة والجماعة فينصح بعضهم بعضاً، ويصوّب بعضهم بعضاً، ويعذر بعضهم بعضاً، ويأتلفون ولا يختلفون.

ومن أبرز معالم وسمات الجامية التي ساقها المؤلف بكل جلاء ووضوح ودلل عليها ووثقها:

1 - الطعن في العلماء والدعاة من أهل السُّنة وتتبع زلاتهم وهفواتهم وأخطائهم وسقطاتهم ونشرها وتهويلها، من أجل إسقاطهم وتزهيد الناس بهم.

2 - تصنيف العلماء والدعاة من أهل السُّنة وتبديعهم وتفسيقهم.

3 - وضع أصول وقواعد للسلفية، فمن قال بها فهو منهم، ومن لم يقل بها فهو ليس منهم وليس بسلفي، وهي أصول وقواعد لا دليل عليها لا من الكتاب ولا من سُنة نبيه صلى الله عليه وسلم كقاعدة: «من لم يبدّع المبتدع فهو مبتدع»، التي هي في حقيقتها

> **الكتاب يعد مرجعاً علمياً للباحثين في دراسة الفرق والجماعات الإسلامية المعاصرة**
>
> **أسلوب الكاتب اتسم بالسهولة والبعد عن الاستغراق في الفتاوى والمسائل الشرعية**
>
> **الجامية يدعون أنهم الجماعة السلفية الوحيدة ويرون غيرهم من الجماعات ضالة منحرفة**

«من لم يبدّع من بدّعناه فهو مبتدع».

4 – اختبار وامتحان العلماء والدعاة وعامة الناس بأسماء معينة، فإن أجاب السائل بما يريدون فهو منهم وهو سلفي، وإن أجاب بعكس ما يريدون فهم عندهم ليس بسلفي بل هو ضال، منحرف، مبتدع، خارجي، تكفيري، بحسب وصفهم وتصنيفهم.

5 – ادّعاؤهم أنهم الجماعة السلفية الوحيدة في عصرنا الحاضر، وأن ما عداهم من الجماعات الأخرى إنما هي جماعات ضالة، منحرفة، وليست بجماعات سلفية وإن ادعت ذلك!

6 – التوسع في مفهوم البدعة، فالبدعة عندهم ليس لها مفهوم أو تعريف أو ضابط معين، وهذا التوسع يؤدي إلى إيقاع الناس في الحرج والمشقة والدخول في المحظور من التنطع والتشدد.

رصد الكاتب ملمحاً مهماً في مسيرة وتاريخ الجامية؛ وهي كثرة التناقضات والانشقاقات على نحو لافت للمتابع لهم، سواء في المدينة أو الكويت، والتساؤل الذي يطرح نفسه: ما الأسباب التي تقف خلف هذه الظاهرة؟

يشير المؤلف إلى أن من يتعرف على الجامية يجد الجواب واضحاً؛ فالجامية خالفوا منهج أهل السُّنة والجماعة في التعامل مع أخطاء بعضهم بعضاً، وسلكوا منهج أهل الزيغ والبدع في التعامل مع هذه الأخطاء؛ فضلل بعضهم بعضاً، وحذّر بعضهم من بعض، وطعن بعضهم في بعض، وهذا لا شك منهج أهل البدع والزيغ، فالجامية لما فرغوا من الطعن والتحذير من الذين يخالفونهم في منهجهم القائم على الطعن في العلماء والدعاة باسم الجرح والتعديل، وقعوا وتفرغوا للطعن والتحذير في بعضهم بعضاً.

من خلال رصد وتتبع الفتاوى والآراء والأقوال والمواقف التي تصدر عن الجامية، لا سيما فيما يتعلق بقضايا مثل الخروج على الحاكم والمظاهرات والشأن العام، يجد الباحث أنه ليس هناك خيط ناظم لمنهج منضبط لدى شيوخها في الفتوى، بل هناك عبث وفوضى في الاستدلال المبتور، وتخبط شديد في استيفاء الأدلة والقياس والاستنباط من الأصول، وتبرير متناقض للواقع؛ فتارة يجيزون الخروج على حاكم بعينه، ويحرمون الخروج على آخر، ومن معالم الاضطرابات الشرعية لديهم:

– الجهل العميق بأدوات الاستنباط الشرعية (علم أصول الفقه).

– الضعف الشديد في الفقه المقارن والخلاف العلمي.

– ضعف بقواعد علم الجرح والتعديل.

– لا يفرقون بين المسائل التي وردت في غير مظانها.

– لديهم ضعف وجهل ظاهر في تحقيق المناط.

ومن الأمثلة الدالة على ذلك التي فندها المؤلف:

– تبديع وجرح العلماء بلا سبب سوى الخصومة معهم.

– قولهم بعدم جواز الصلاة خلف من بدّعوه.

– قولهم: إن أهل البدع أشر من اليهود والنصارى.

– اعتبارهم المظاهرات خروجاً على ولي الأمر.

– اعتبارهم وسائل الدعوة توقيفية.

– اعتبارهم الحاكم الكافر المتغلب ولي أمر.

– قولهم بوجوب السكوت عن انحراف الحكام.

– إنزالهم الآيات النازلة في الكفار على المسلمين.

وسبب هذا التناقض في المواقف والخلل المنهجي الواضح أن الجامية ليست جماعة فكرية، بل جماعة وظيفية تحركها الأنظمة حسب المواقف السياسية، ويسوق المؤلف على ذلك الكثير من الأدلة، ومنها قوله: «لقد بلغ الخزي بأحد شيوخهم.. أنه أفتى بجواز التخابر مع المخابرات الفرنسية للإبلاغ عن المسلمين، وقد سمعته منه» (ص 195).

ومن المسائل التي خالفوا فيها السُّنة السلفية معاداتهم لأهل الحسبة الرسميين وغير الرسميين، بكل أشكالهم، حتى وصفهم عبدالعزيز الريس بأنهم «دواعش»! (ص 179).

ومثال ذلك أيضاً تعاون وقوف شيوخ ورموز الجامية في ليبيا مع القائد العسكري حفتر صاحب التوجه العلماني والمدعوم من الغرب ضد المجاهدين بدعوى أنهم من الإخوان المسلمين. (ص 545).

خلاصات الأفكار:

– الذي ينظر في تاريخ الدعوات والفرق والجماعات والأحزاب التي ظهرت على مدار التاريخ الإسلامي لا يجد فرقة مثل هذه الفرقة الخطرة التي تخصصت في تجريح العلماء والجماعات والأحزاب على نحو غير مسبوق، والتوسع في تبديع المخالفين لهم، والتعاون مع الأجهزة الأمنية لإلحاق الضرر بمن خالفهم.

– غياب القدوات في حياة الجامية المداخلة أدى إلى غياب التربية الحقيقية الأخلاقية السلوكية؛ مما أثر في عقولهم وسلوكهم مع مخالفيهم، وهذه ظاهرة ينبغي أن تدرس عن هذه المجاميع المقلدة الهائمة التي ليس لها هدف سوى السب والتجريح والطعن فيمن خالفهم، وكلهم يعتبر نفسه من العلماء، وكلهم يفتي بلا مؤهلات علمية وشرعية للفتيا.

– مجموع ما قدمته الجامية المداخلة إنما هو هدم وتفريق وكلام لا ينتهي في تصنيف الناس والعلماء، وردود جلها السب والطعن والتجريح في المخالفين، وهو منهج مخالف لمنهج أهل السُّنة والجماعة.

– هناك ظاهرة من التناقض الصارخ في مواقف شيوخ ورموز الجامية بين النظرية والتطبيق؛ ففي الوقت الذي يحرمون الخروج على ولي الأمر يحرضون على الخروج على حاكم آخر لمجرد أنه من جماعة مخالفة لهم! وهذا يشير بوضوح إلى أن الجامية المدخلية جهاز وظيفي تحركه الأجهزة الأمنية في بعض الأنظمة لأهداف سياسية.■

خالفوا منهج أهل السُّنة والجماعة في التعامل مع أخطاء بعضهم ما أدى لانشقاق أفراد منهم

من التناقضات لديهم أنهم يجيزون الخروج على حاكم بعينه ويحرِّمون على آخر

الجامية ليست جماعة فكرية بل وظيفية تحركها الأجهزة الأمنية ببعض الأنظمة لأهداف سياسية



المُناقشة



إيمان مغازي الشرقاوي
ليسانس شريعة - ماجستير الدعوة
جامعة المدينة العالمية

منذ وقت غير قصير وهو يستعد لتلك اللحظة الحاسمة التي ينتظرها ليتحقق هدفه ويصل إلى غايته، كان يعرف أن الوصول إلى ذلك سوف يكلفه جهداً كبيراً وعملاً متواصلاً وسهراً طويلاً يصل فيه ليله بنهاره، بالإضافة إلى إنفاق مقدار غير قليل من ماله، لكنه مع كل هذا استعان بربه عز وجل، وتوكل عليه، وشحذ الهمة دون أن يتوانى أو يكسل، ورفع كفيه طالباً من الله أن يخلص له نيته في عمله هذا، وأن تتمخض ليالي سهره وأيام جده عن ولادة بحثه الكبير الذي يكتبه، وأن يكلل سعيه بأعلى درجات التوفيق ويؤتي أكُله في قلوب القارئين وعقول الباحثين، ومن ثَم يكون له حسنة متجددة وصدقة جارية له.

إنه ما زال يعمل ويعمل، وكلما فترت همته تذكّر الغاية، وإذا ما أصابه الإعياء نظر إلى الهدف وهو يقترب منه؛ فيتجدد نشاطه وينهض من عثرته، نقب في بطون الكثير من الكتب، ليستخرج ما فيها من دُرر، ويتعرف على ما تخبئه من كنوز، ويكشف زيف بعضها وأصالة الكثير منها.

وها هو قد بدأ بصياغة كلماته بعد الحمد والثناء على خالقه.. هذه الفقرة هنا، وهذا الكلام في هذا الموضع مناسب، وهذا يحتاج للرد عليه، وهذا قول راجح وهذا مرجوح، وهذا.. وهذا.. يقدِّم ويؤخِّر، ويضيف ويحذف، ويعيد ويكرر، ويقرأ وينظر، وأخيراً وصل إلى خاتمة بحثه وكتابة نتائجه وخلاصة عمله، وتوصياته العلمية والعملية، ولما أحس أنه قد بذل وسعه وأتقن ما استطاع جهده، واتقى الله ما استطاع في عمله، حمد الله وأثنى عليه واستغفره، وقدم للجامعة بحثه، التي حددت له وقتاً لمناقشته.

مر وقت عليه حسبه دهراً وهو يستعد لمناقشة رسالته ويستذكر من جديد ما كتبه، ويُعد الإجابة لكل سؤال يتوقع أن يُسأله، وهو مع هذا يفكر ليله ونهاره في تلك اللحظات التي يتحقق فيها حلمه، مع قلق على نفسه حين ينـاقَش ويُسـاءل أمـام الحـاضـرين والمستمعين.

وأخيراً، حان وقت المناقشة! وحضرت معه زوجه تشد بنظراتها من أزره، ويسكن بقربها قلقه.

رأتـه وهـو يجلس أمـام لجنة المناقشة وكأنه في امتحانٍ كبير، الكل فيه يمتحنه؛ فخفق قلبها رغماً عنها، رأت العيون تنظر إليه، والجميع يرقبه، فازداد قلقها، وبدأت المناقشة من اللجنة الموكلة بها وهي من عدة علماء متخصصين في موضوع البحث، لا شك أنهم حصروا ما فيه من ملاحظات وعددوها، وقيدوا ما اعتبروه غير مناسب من منظورهم كأهل علم، لكنهم جزاهم الله خيراً بدؤوا بذكر محاسن هذا البحث وأهميته، ومواطن الجمال فيه، شاكرين للطالب جهده الكبير، آملين منه المزيد، فانشرحت لذلك نفسه، واستعدت لتلقي ما يقولونه نُصحاً وإرشاداً وتصحيحاً وتقويماً، فاستمعَ إليهم شاكراً نصحهم، واستمعوا إليه دفاعاً عن بحثه.

واستمرت المناقشة وهو مُنصتٌ إليهم يدوِّن ملاحظاتهم؛ لماذا قلت هذا؟ ومن أين أتيت بهذا الكلام؟ وأين الحديث عن كذا؟ ضع هذا الكلام هنا، وهذا جيد أحسنت فيه، وهو مع هذا رحب الصدر متقبل نقدهم البَنَّاء الممتزج ببعض الثناء، مُقدِّر جهدهم وعلمهم، متأكد أن كل ذلك سيجعل رسالته في أبهى حُلة شكلاً ومضموناً، فلم يضجر ولم ييأس ولم يحزن، فهكذا نتعلم، وهكذا يجب أن نفعل، وبعد وقت غير قصير انتهت المناقشة، وها هو جالس ينتظر إعلان

كم في حياتنا من مجالات يناقش بعضنا بعضاً تسودها الأنانية وتغشاها الغلاظة وتنقصها الحكمة!

ما أنجع المناقشة حين تكون بين الدعاة ومدعويهم حينما تكون بحكمة وموعظة حسنة!

النتيجة ويترقبها.

أحست زوجته وهي تستمع إلى النقاش الدائر أن حياتنا كلها ساحة كبيرة للنقاش فيما بيننا، وتمنت أن تكون مناقشاتنا جميعاً فيما بيننا شبيهة بهذه المناقشة العلمية الراقية التي تُبنَى على الأسس العلمية لا على التخمين والظن، التي غرضها البناء لا الهدم، ويغلفها الاحترام المتبادل والرغبة في الإصلاح والتقويم والحصول على أعلى الرتب، ويزينها التواضع من الجميع.

وتساءلت في نفسها، فإذا كانت هذه المناقشة العلمية بضوابطها المتعارف عليها بين أهلها تهدف إلى تحسين العمل وتصحيح الخطأ وتعليم العلم، فلماذا لا نستفيد منها فيما بيننا، فكم في حياتنا من مجالات يناقش بعضنا بعضاً تسودها الأنانية وتغشاها الغلظة وتنقصها الحكمة، فتنتج عنها القطيعة دون أن يتغاضى بعضنا أو يتنازل عن رأيه!

مناقشات يومية

رأت بقلبها الكثير من المناقشات اليومية التي نتعرض لها ونمارسها بطريقة صحيحة أو غير صحيحة، فهي تلازمنا في كثير من أحوالنا، فالمناقشة تعني المداولة، والجدال والمُحاسَبة وتبادل الآراء ووجهات النظر (معجم المعاني الجامع)، وهذا ما يفعله الناس، حيث إنها وسيلة من وسائل الفهم والإيضاح وتوصيل المعلومة، ونحتاج إليها في تواصلنا وكلامنا.

فما أنفع المناقشة في المدارس ودروس العلم، حين تكون أشبه بالحوار بين الطالب وأستاذه، ويكون المعلم فيها صبوراً في إيصال علمه وإفهام طلابه، ويحترم الطالب أستاذه ويجله.

وما أجمل المناقشة بين الزوج وزوجه عند حصول أي مشكلة أو عند تبادل الرأي فيما بينهما، فيسودها المحبة والمودة والرحمة، في حوار قلبي عقلي دون أن تتحول إلى جدال عنيف وخصام وهجران وقطيعة قد تؤدي إلى الطلاق وهدم بناء الأسرة!

وما أروع المناقشة حين تكون بين الولد ووالديه ببر وشفقة، وعطف وإحسان، ولين جانب وخفض جناح، دون أن تشتمل على «الأفّ» والتأفف، والصياح ورفع الصوت!

وما أنجع المناقشة حين تكون بين الدعاة ومَن يدعونهم، فتكون بحكمة وموعظة حسنة وجدال بالتي هي أحسن، روحها الحب والرحمة، وغلافها التواضع، وسمتها الرفق، وغرضها هداية الناس؛ فيهتدي الضال، ويُحسن المسيء، ويطيع العاصي، ويتوب المذنب!

وما أكثر فائدتها حين تكون بين طلبة العلم في بعض الكتب العلمية لترسيخ الفهم والتدرب على الاستنباط واستخراج المعاني!

وما أحسنها حين تكون بين الأخ وأخيه والصديق وصديقه والجار وجاره للتقارب فيما بينهم وتبادل وجهات النظر والاستفادة من الخبرات!

أفاقت من فكرها حين دخلت لجنة المناقشة لإعلان النتيجة، وما إن أعلنوا بها حتى خرَّ لله ساجداً، فقد كلل جهده بالنجاح والتوفيق، وإن كل لحظة قضاها في طلب العلم كانت لبنة في سُلم نجاحه وفوزه بالامتياز مع مرتبة الشرف.

شكرت الله تعالى مع زوجها، هنأته بفوزه، ودعت له بما أثلج صدره، جعلك الله من الفائزين الفوز العظيم وأدخلك الجنة بغير حساب مع هؤلاء المتوكلين، فقد رأيت فيك حسن التوكل جنباً لجنب مع أخذك بأسباب النجاح، وقد بشر النبي صلى الله عليه وسلم أمته فقال: «يَدْخُلُ الجَنَّةَ من أُمَّتي سَبْعُونَ أَلْفاً بغير حساب، هُمُ الَّذِينَ لا يَسْتَرْقُونَ، ولا يَتَطَيَّرُونَ، وعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» (رواه البخاري).

الاستعداد للعَرض

لقد ذكرتني كلمة المناقشة بأمنا عائشة رضي الله عنها حين قالت: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في بعض صلاته: «اللهم حاسبني حساباً يسيراً»، فلما انصرف قلت: يا رسول الله، ما الحساب اليسير؟ قال: «أن ينظر في كتابه فيتجاوز له عنه، إنه من نوقش الحساب يا عائشة يومئذ هلك» (رواه أحمد).

فانظر إلى هذا الحوار التعليمي والنقاش الهادئ بين النبي صلى الله عليه وسلم وزوجه عائشة رضي الله عنها وهي تسأله فيجيب، فكان جوابُه لها لبَيان المقصود الحقيقيّ للآية، وأن الحساب اليسير شيء آخَر، وهو العـرْضُ، وهو إبراز الأعمال، وإظهارها، فيُعرِّفُ اللهُ صاحبَها بذنوبه، ثم يتجاوَز عنه؛ حتى يعرف منَّة الله عليه في سَترها عليه في الدنيا، وفي عفوه عنها في الآخرة، وأن مَن نُوقش الحساب يَهلِك لأن التقصير غالب على العباد، فمَن استُقصِيَ عليه ولم يُسامَح؛ هلك وأدخل النار.

فالحساب يوم القيامة نوعان: حسابُ عَرْض ومُعاتَبة، وهو حساب يسيرٌ لا عذاب فيه، وحسابُ مُناقشة، وهو حسابٌ عسيرٌ وشديد، ولا يخلو من العذاب؛ لأنه مُناقَشة للعبد على أخطائه، وتوقيفه على جميع ذنوبه، واستقصاءٌ لكل سيئاته. (انظر الدرر السنية، شروح الأحاديث).

لكنه للأسف يوجد فينا من لا يلين جانبه لأخ أو جار أو صديق ولا لوالد أو قريب، ولا لزوج أو ولد، تراه في نقاشه يدقق في كل صغيرة وكبيرة ويشح بنفسه أن تسامح أو تترك المراء والجدال، غرضه الانتصار لنفسه، والأخذ برأيه، مهما تكن النتائج! فلنتخفف معاً من الأوزار، وليكن نقاشنا جميلًا سَمحاً حتى يحاسبنا الله حساباً يسيراً.■



ما أجمل المناقشة بين الزوج وزوجه حينما يسودها المودة والرحمة في حوار قلبي عقلي!

علماء ومصلحون رحلوا في أكتوبر..

الدوسري والنجار والأنصاري

إعداد - عبده دسوقي:
باحث في التاريخ الحديث

الموت قدر محتم على كل حي، لا ينجو منه كبير ولا صغير، غير أن رحيل العلماء وهم بمثابة بركات الأرض ورحمات السماء، ثلمة في الإسلام لا يسدها شيء ما اختلف الليل والنهار، كما ذكر الحسن البصري.

وفي أكتوبر رحل الكثير من العلماء والمصلحين الذين كانوا كالنجوم وسط الناس يضيؤون لهم الطريق، وكان منهم:



عبدالرحمن الدوسري.. المدافع عن الحق

هو عبدالرحمن بن محمد بن خلف الدوسري، تعود أصوله إلى مدينة السليل جنوب مدينة الرياض، لكنه ولد في البحرين عام 1332هـ/ 1914م أثناء زيارة والديه لجده لأمه، وجاء الكويت مع والده حينما نزح إليها للعمل في الغوص لاستخراج اللؤلؤ ثم في تجارة «البشوت» (المشالح)، ونشأ بحي المرقاب، وامتهن مهنة أبيه.

تلقى العلم في «المدرسة المباركية»، وقد وهبه الله ملكة الحفظ فأتم حفظ القرآن الكريم في أسابيع معدودة، وتتلمذ على يد الشيخ يوسف القناعي، وابن دحيان، وصالح الدويش، وعبدالعزيز الرشيد وغيرهم من علماء الكويت الكرام.

كان شاعراً وكاتباً بارعاً طاف الكويت والبحرين والسعودية داعياً ومذكراً ومدافعاً عن الإسلام

كان الدوسري شغوفاً بالعلوم، حريصاً على نشرها وتوزيع الكتب على طلبة العلم والراغبين في القراءة بالمجان، وليس ذلك فحسب، بل كان صريحاً في قول كلمة الحق، جريئاً في المواقف، لا يعرف التردد أو المداهنة، ولا يخضع لتهديد أو وعيد؛ بل يصدع بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

كانت له دروس وخطب ومواعظ في معظم مساجد الكويت طيلة أيام الأسبوع، يشرح للناس فيها حقيقة الإسلام، والتمسك به، ويحذِّرهم من البدع والخرافات والمعاصي والمنكرات.

كان له مع إخوانه الشيخ أحمد خميس الخلف، والحاج عبدالرزاق الصالح المطوع، والشيخ عبدالله النوري دور كبير وجهد موفق في التصدي للقوانين الوضعية التي ينادي بها دعاة العلمانيين والمستغربين من أبناء المسلمين.

وكان من المنادين بضرورة الاهتمام بإنشاء المدارس الإسلامية، ونشر التعليم الإسلامي، والاهتمام بالإعلام الإسلامي مقروءاً ومسموعاً ومشاهداً، ونشر الوعي الصحيح والعمل الجاد المتواصل.

كان شاعراً وكاتباً بارعاً؛ فكان من إنتاجه «صفوة الآثار والمفاهيم في تفسير القرآن العظيم» في 9 مجلدات، ونظم «الجواهر البهية في نظم المسائل الفقهية» (12 ألف بيت)، و«إرشاد المسلمين إلى فهم حقيقة الدين».

طاف مدن الكويت والبحرين والسعودية داعياً ومذكراً ومدافعاً عن الإسلام حتى استقر به المقام بمدينة الرياض في أواخر حياته، حتى مرض وسافر إلى لندن للعلاج، فمات هناك في صباح يوم الأحد 16 ذو القعدة 1399هـ/ 7 أكتوبر 1979م، فحمل إلى الرياض حيث دفن في مقابر العود.■

المصادر

1 - سليمان ناصر الطيار: حياة الداعية الشيخ عبدالرحمن بن محمد الدوسري رحمه الله، (نال بها الماجستير)، ط1، مكتبة الرشد، الرياض- السعودية، 2010م، 1431هـ.

2 - محمد سعيد النجار: إخوان ويكي، https://bit.ly/2ETIziU.

3 - عمر تهاني ناجي مختار: علامة قطر الشيخ عبدالله بن إبراهيم الأنصاري.. حياته العلمية وجهوده الدعوية، مركز شباب برزان، مسابقة أعلام من قطر، 2006م، نشر في كتاب عام 2011م.■



محمد سعيد النجار.. الطبيب الإنسان

في مدينة دمنهور بمحافظة البحيرة بمصر ولد د. محمد سعيد محمد علي عبدالوهاب النجار، في 27 يناير 1916م، وتخرج في كلية الطب جامعة عين شمس بتفوق، وعين مدرساً بها عام 1944م.

انضم إلى حركة الإخوان المسلمين وهو طالب، وشارك في حرب فلسطين عام 1948م في صفوف الإخوان طبيباً مع د. أحمد الملط والعديد من الأطباء، كما شارك في حرب القنال عام 1951م، حيث كان أحد المشرفين على معسكر تدريب الطلبة في

عبدالله الأنصاري.. ونهضة قطر العلمية

في مدينة «الخور» شمال شرق الدوحة بدولة قطر وُلد الشيخ عبدالله إبراهيم عبدالله علي الأنصاري -الذي يعد أحد رواد النهضة العلمية في دولة قطر- وينتهي نسبه إلى الصحابي سعد بن عبادة الأنصاري الخزرجي، ولد عام 1333هـ/ 1914م.

تلقى العلم على يد والده، فحفظ القرآن الكريم ودرس كتب الفقه الشافعي، والحديث النبوي وعلم النحو واللغة وعلوم الميراث، ثم ارتحل إلى منطقة الإحساء بالسعودية لتلقي المزيد من العلم.

عمل بالغوص على اللؤلؤ في أول شبابه قبل أن يقرر الرحيل إلى مكة المكرمة حيث التحق بالمدرسة الصولتية بمكة، ومدرسة الحرم، وظل يترحل بين قطر والسعودية ينهل في العلم، حتى انتقل إلى مدينة دارين، وتولى قضاء ناحية القطيف، وظل بها 3 سنوات.

وفي عام 1372هـ/ 1953م أرسل حاكم قطر الشيخ علي بن عبدالله آل ثاني برسالة إلى الملك سعود يطلب منه السماح للشيخ الأنصاري بالعودة.

عاد الشيخ عبدالله الأنصاري فكان من إسهاماته العديدة في المجال التعليمي تأسيسه المعهد الديني في قطر -وهو أول معهد يقام فيها- كما شارك بفكره وجهده



ساهم في تأسيس أول معهد ديني بقطر وشارك ببناء منهج التربية الإسلامية على العقيدة الراسخة

في بناء منهج التربية الإسلامية المبنية على العقيدة الراسخة، كما أشرف على بعض الكتب المدرسية للمراحل المختلفة في مجال التربية الإسلامية، وكان له الفضل في تذليل العقبات التي اعترضت تعليم الفتاة في دولة قطر.

بعد إغلاق المعهد الديني بأمر من مديرية المعارف أسند إلى الشيخ إدارة أول مدرسة ابتدائية في قطر، عرفت باسم «المدرسة الجديدة الابتدائية» وقد غُيِّر اسمها إلى مدرسة صلاح الدين الابتدائية، واهتم بنشر الدعوة الإسلامية وتفريغ الدعاة والأئمة والمدرسين وتقديم المساعدات المالية للمحتاجين من المسلمين في كل مكان، وإقامة المدارس والمعاهد والمساجد والمراكز واستمرار الدعم لها ورفدها لتنهض في أداء رسالتها الإسلامية.

يقول القاضي عبدالقادر العماري، في مجلة «المجتمع» الكويتية: إن الشيخ الأنصاري كان جماعة في واحد، أمة في فرد، همة عالية ونشاطاً متواصلاً، كبرت همته فأثقلت على جسمه وشيخوخته، إن الجماهير الغفيرة التي احتشدت للصلاة عليه في المسجد الكبير بالدوحة ضاق بها المسجد على سعته، وإن الجموع الحاشدة التي خرجت تودعه إلى مثواه، لم تشهد قطر لها مثيلاً في تاريخها.

كانت للشيخ الأنصاري دراية واسعة بعلم الفلك، فقد قام على إصدار التقويم القطري لنحو 30 عاماً، فكان إصدار أول تقويم تحت إشرافه عام 1377هـ.

كان الأنصاري عضواً بالمجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي، وعضواً برابطة الأدب الإسلامي، وعضواً مؤسساً لمنظمة الدعوة الإسلامية، والمجلس الأفريقي الإسلامي، والعديد من المراكز في دول العالم، كما أسس دار الأيتام الأنصارية في كيرلا بالهند، التي أصبحت اليوم من أكبر الجامعات التكنولوجية بها.

ظل الشيخ -رغم تقدم العمر- شعلة من النشاط في نشر العلم حتى سكن جسده واستسلمت الروح لربها يوم 14 ربيع الأول 1410هـ/ 15 أكتوبر 1989م، حيث دفن بالدوحة.■

جامعة عين شمس مع مهدي عاكف.

قال عنه حسن دوح: أما د. سعيد النجار، المدرس بكلية الطب بجامعة عين شمس، فقد كان قاسماً مشتركاً بين الأساتذة والطلبة، وكان الحركة الدائبة النشيطة.

وحينما قامت ثورة 1952م، وحدث الصدام مع الإخوان، هاجر د. سعيد النجار إلى الكويت، وكان له دور وأثر بين المجتمع الكويتي، حيث شارك في حملة صحية للتوعية والإرشاد بالكويت عام 1960م، وقد رصدت مجلة «تراث دائرة معارف الكويت» جهوده، كما هنأه المراقب الفني بدائرة معارف الكويت أ. كامل بنقسلي على سيرته الحسنة في أحد الاحتفالات.

اتصف د. النجار بالشهامة والشجاعة والمروءة؛ فقد شهد في المحاكمات العسكرية عام 1954م على بشاعة التعذيب التي تقع

كان له أثر بالمجتمع الكويتي واتصف بالشجاعة والمروءة وظل يسعى على حاجات المحتاجين

على المعتقلين ولم يخشَ الضرر من أحد، كما ظل طيلة حياته يسعى على حاجات المحتاجين ويبحث عن عمل للعاطل، ومال للمدين، وحل لكل مشكلة.

يقول عنه الأديب الكويتي عبدالله خلف: كان يرفض أخذ المكافأة المالية المخصصة لرجال الثقافة والدين، وكان يزاول عمله في الطرقات والدواوين، يحمل الشنطة والختم والوصفات، وعند انصرافه من الإذاعة كان يقف بسيارته أمام باب الخروج فيطلب من المنتظرين مرور الحافلة أن يوصلهم، منهم من هو في العاصمة وآخر في إحدى الضواحي ويوصلهم إلى أن يدركه ميقات صلاة العصر فيصلي في أي مسجد ويعود لمنزله متأخراً، وكان هذا نهجه كل يوم.

وقد نعته مجلة «الجمعية الطبية الكويتية» في عددها السادس لعام 1972م بقولها: «كان -رحمه الله- أقرب إلى الأسطورة منه إلى رجل يعيش بين الناس.. وكان طاقة.. عجبنا كيف احتواه وعاء آدمي واحد.. وكانت حياته قصصاً تروى وأمثالاً تضرب ومروءات تأخذ بالألباب، تناقلت الألسنة أحاديث وأسماراً وأخباراً، لا ذكريات عن ميت توفاه الله ولكن إعجاباً براحل حي»، ظل على نهج حياته المتفرد حتى توفاه الله بالكويت في أكتوبر 1972م، وحمل جثمانه إلى مسقط رأسه بمصر حيث احتشدت الجموع لوداعه.■

مقـال



د. وصفي عاشور أبو زيد
أستاذ مقاصد الشريعة الإسلامية

تقديم المصلحة على النص.. بين الحقيقة والافتعال

بين الحين والآخر يخرج علينا «الحداثيون»، كما يسمون، بآراء جديدة يطلقون عليها اجتهادات، وما هي من الرأي في شيء، ولا من الاجتهاد في قليل أو كثير، يريدون بها تغيير الدين، وتمييع الأحكام، وتحويل الأصول إلى فروع، والثوابت إلى متغيرات، والمحكمات إلى متشابهات، والقطعيات إلى ظنيات؛ في محاولة منهم لتلبية رغبات دفينة في نفوسهم للتخلص من الشريعة ومحكماتها وأحكامها وفرائضها وقطعياتها، مرة بالمناداة بتسوية المرأة بالرجل في الميراث، ومرة بإلغاء الصيام لأنه يعطل الإنتاج، ومرة بأن الحدود قاسية ولم تعد مناسبة للعصر الذي نعيشه، وقد كانت مناسبة للعصر البسيط البدوي الذي نزلت فيه.. إلخ!

والواقع أنه ظهرت في واقعنا الفكري والثقافي ثنائيات جدلية مفتعلة، أقيم بينها تعارض وما هي من التعارض في شيء، استعيرت من بلاد الغرب في العصور الوسطى التي كانت الكنيسة فيها سبباً من أسباب قيام هذا التعارض بما لا يوجد شيء منه مطلقاً عندنا في شريعة الإسلام وتصوراته.

وذلك مثل: «العقل والنقل»، و«التراث والتجديد»، و«الأصالة والمعاصرة»، و«الحرية والشريعة»، و«المقاصد والنصوص»، و«المصالح والشريعة».. إلخ، والغرض أنه يراد إلهاء العقل المسلم والتشويش عليه بجلب هذه الثنائيات وإلصاق التناقض بها ظناً من المستوردين أنها عندنا مثل ما هي عليه في بيئات أخرى وتصورات أخرى وعصور أخرى.

التعارض بين المصلحة والنص وهمي ولا وجود له في شريعتنا مطلقاً

ومن هذه الثنائيات «المصلحة والنص»، وقد أقام البعض بينهما تعارضاً، وهو تعارض وهمي ومفتعل، ولا وجود له في شريعتنا مطلقاً، وقرروا أنه عند تعارض النص والمصلحة يجب تقديم المصلحة، ولا ندري عن أي مصلحة يتحدثون وبمعيار من، وإن كان معيارها العقل فوفق أي عقل من عقولهم؟

ونسبوا مقولة تقديم المصلحة عند تعارضها مع النص للإمام الطوفي الحنبلي، فهل قال الطوفي هذا فعلاً؟ وما حقيقة قوله؟ وما أدلته؟ وما المنهج الذي يسير عليه في التعامل بين يدي النص والمصلحة؟ وهل يقدم الطوفي النص على المصلحة بإطلاق، ومن أول ظهور للتعارض؟ وهل يختلف هذا عنده في القرآن عن السُّنة، وهل هو في العبادات والمعاملات سواء؟

الحق أننا يجب أن نقرأ للإنسان ما كتبه هو، ولا نقرأ ما تَقوَّله عليه غيرُه، وللإجابة عن هذه الأسئلة يجب أن نورد كلام الطوفي نفسه في هذه القضية؛ ليتبين لنا وجه الحق والصدق فيها.

يقول الطوفي: «وإن اجتمع في الحكم كتاب وسُنة؛ فإن اتفقا عمل بهما وأحدُهما بيان للآخر أو مؤكِّد له، وإن اختلفا فإن أمكن الجمع بينهما جمع، وإن لم يمكن فإنه اتَّجهَ نسخ أحدهما بالآخر نسخ به، وإن لم يَتَّجِهْ فهو محل نظر وتفصيل، والأشبه تقديم الكتاب لأنه الأصل الأعظم فلا يترك بفرعه.. هذا تفصيل القول في أحكام العبادات.

أما المعاملات ونحوها فالمتبع فيها مصلحة الناس كما تقرر، فالمصلحة وباقي أدلة الشرع إما أن يتفقا أو يختلفا، فإن اتفقا فبها ونعمت كما اتفق النص والإجماع والمصلحة على إثبات الأحكام الخمسة الكلية الضرورية، وهي قتل القاتل والمرتد وقطع السارق وحد القاذف والشارب ونحو ذلك من الأحكام التي وافقت فيها أدلة الشرع المصلحة، وإن اختلفا فإن أمكن الجمع بينهما بوجه ما جُمِعَ، مثل أن يحمل بعضُ الأدلة على بعض الأحكام أو الأحوال دون بعض، على وجه لا يخل بالمصلحة، ولا يُفضي إلى التلاعب بالأدلة أو بعضها، فإن تعذر الجمع بينهما قدمت المصلحة على غيرها لقوله عليه الصلاة والسلام: «لا ضرر ولا ضرار»، وهو خاص في نفي الضرر المستلزم لرعاية المصلحة فيجب تقديمه، ولأن المصلحة هي المقصود من سياسة المكلفين بإثبات الأحكام، وباقي الأدلة كالوسائل، والمقاصد واجبة التقديم على الوسائل»[1].

فأنت ترى هنا عدة أمور مع الإمام الطوفي من خلال هذا النص الواضح:

1 - منهجيته في التعامل مع الكتاب والسُّنة لا سيما في العبادات: موافقة، تعارض، جمع، نسخ، نظر وتفصيل، ثم إذا انتهينا للتعارض بينهما فالأشبه تقديم الكتاب لأنه الأصل الأعظم فلا يقدم عليه فرعه.

2 - أن مسألة التعامل مع النص والمصلحة لها منهج كذلك في المعاملات: موافقة، ثم الجمع عند الاختلاف بوجه من وجوه الجمع لا يخل بالمصلحة ولا التلاعب بالأدلة أو بعضها.

3 - عند التعارض بعد امتناع محاولات الجمع تُقدَّم المصلحة؛ استناداً لنص وليس مجرد أهواء، وهو «لا ضرر ولا ضرار».

4 - أن ميدان هذا التقديم بعد كل هذه الخطوات إن تعذرت هو في «مجال المعاملات»، وليس العبادات أو المقدرات أو القطعيات، وهذا ما يغفُل عنه الكثيرون حين يتحدثون عن هذه القضية عند الطوفي.

5 - أن المصلحة هي المقصود من سياسة المكلفين بإثبات الأحكام، وباقي الأدلة كالوسائل، وعند التعارض تقدم المصلحة من باب تقديم المقاصد على الوسائل.

ثم أود أن أشير إلى نقطة مهمة هنا في كلام الطوفي، وهي أن هذا الافتراض المفتعل أو الوهمي بين النص والمصلحة غير موجود في أحكام الشريعة الإسلامية، ولم يستطع الطوفي نفسُه أن يظفر بمثال واحد يبرهن به على هذه الافتراضية؛ وذلك لسبب واضح؛ وهو أن الشريعة بنصوصها مصالح، وأن المصالح الحقيقية هي الشريعة، فما نزلت الشريعة إلا لمصالح العباد، وما جاءت المصالح إلا من الشريعة.

المصلحة غاية الشريعة

بل إن عندنا أصلاً مستقلاً من أصول الفقه وأدلته التي تستقى منها الأحكام الشرعية وتستنبط بها وهو «المصلحة المرسلة»، وقد أخذت بها المذاهب الفقهية قاطبة، بل إنها معمول بها عند عامة الفقهاء قديماً وحديثاً؛ خلافاً لزعم البعض بأن المالكية قد اختصوا به.

كما أن هناك أصولاً وأدلة أخرى تدور حول المصلحة وتحقيقها للناس، مثل الاستحسان الذي عرفوه بعدة تعريفات تدور كلها حول المصلحة، مثل: «الاستحسان ترك القياس والأخذ بما هو أوفق للناس»، وقيل: الاستحسان طلب السهولة في الأحكام فيما يبتلى فيه الخاص والعام، وقيل: الأخذ بالسعة وابتغاء الدعة، وقيل: الأخذ بالسماحة وابتغاء ما فيه الراحة»[2]؛ فتأمل كيف دارت كل هذه التعريفات على مصلحة المكلفين!

والمصلحة لها علاقة بالأدلة جميعاً، بالقرآن والسُّنة والإجماع والقياس وشرع من قبلنا وقول الصحابي وغير ذلك من أدلة وأصول، فلا تخلو هذه الأدلة من إعمال المصلحة فيها لأنها جزء منها، كما لا تخلو من استثمار المصلحة منها لتحقيقها للعباد في الدنيا والآخرة جميعاً.

وحسبنا أن العلماء قديماً وحديثاً قد استفاض عنهم أن الشريعة نزلت لمصالح العباد؛ فها هو العز بن عبدالسلام يقول: «والشريعة كلها مصالح إما تدرأ مفاسد أو تجلب مصالح، فإذا سمعت الله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ (البقرة: 104)؛ فتأمل وصيته بعد ندائه، فلا تجد إلا خيراً يحثك عليه، أو شراً يزجرك عنه، أو جمعاً بين الحث والزجر، وقد أبان في كتابه ما في

الطوفي استند في قوله بتقديم المصلحة إذا امتنع الجمع بينها وبين النص إلى «لا ضرر ولا ضرار»

.. ولم يستطع أن يظفر بمثال واحد يبرهن به على احتمالية امتناع الجمع بين النص والمصلحة

بعض الأحكام من المفاسد حثاً على اجتناب المفاسد، وما في بعض الأحكام من المصالح حثاً على إتيان المصالح»[3].

وقال ابن تيمية: «إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ الرُّسُلَ بِتَحْصِيلِ الْمَصَالِحِ، وَتَكْمِيلِهَا، وَتَعْطِيلِ الْمَفَاسِدِ وَتَقْلِيلِهَا، فَكُلُّ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَرَسُولُهُ فَمَصْلَحَتُهُ رَاجِحَةٌ عَلَى مَفْسَدَتِه، وَمَنْفَعَتُهُ رَاجِحَةٌ عَلَى الْمَضَرَّةِ، وَإِنْ كَرِهَتْهُ النُّفُوسُ»[4]، وقد تكررت هذه العبارة في كتب ابن تيمية أكثر من ثلاثين مرة.

وقال تلميذه المحقق ابن القيم: «هذا فصل عظيم النفع جداً وقع بسبب الجهل به غلط عظيم على الشريعة أوجب من الحرج والمشقة وتكليف ما لا سبيل إليه ما يعلم أن الشريعة الباهرة التي في أعلى رتب المصالح لا تأتي به؛ فإن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها؛ فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث؛ فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها

التعارض الوهمي قد ينشأ بين النص والمصلحة من فهم النص على غير وجهه أو من تحديد المصلحة

بالتأويل؛ فالشريعة عدل الله بين عباده، ورحمته بين خلقه، وظله في أرضه، وحكمته الدالة عليه وعلى صدق رسوله صلى الله عليه وسلم أتم دلالة وأصدقها»[5].

وقال إمام المقاصد أبو إسحاق الشاطبي: «وضْع الشرائع إنما هو لمصالح العباد في العاجل والآجل معاً»[6].

حتى إن الإمام الطوفي نفسه قال عن القرآن: «وبالجملة فما من آية من كتاب الله عزَّ وجلَّ إلا وهي تشتمل على مصلحة، أو مصالح كما بيَّنَّاه في غير هذا الموضع»، وقال عن السُّنة: «وقد بيَّنا اشتمال كل آية منه –أي القرآن– على مصلحة، والبيان –أي السُّنة– على وفق المُبَيَّن»[7].

والحاصل من هذا كله أنه لا يوجد أي تعارض بين نص ومصلحة، ولا بين مقصد ونص، فالشريعة مقاصد ومصالح، والمصالح والمقاصد هي الشريعة، وينشأ التعارض الوهمي بينهما من إحدى جهتين؛ الأولى: فهم النص على غير وجهه، أو أنه نص غير ثابت، أو من الخطأ في تطبيق النص في الواقع، والثانية: تحديد المصلحة وتقديرها، وهل هي مصلحة شرعية أم لا.

وعند التحقيق والتدقيق فسوف نجد أن المصالح والمقاصد جزء من بنية النصوص والشريعة وليست شيئاً خارجاً عن ماهيتها.■

الهوامش

(1) كتاب التعيين في شرح الأربعين: 329–330. سليمان بن عبدالقوي بن عبدالكريم الطوفي، نجم الدين. تحقيق: أحمد حَاج محمّد عثمان. مؤسسة الريان (بيروت – لبنان)، المكتَبة المكيّة (مكّة – المملكة العربية السعودية). الطبعة: الأولى. 1419هـ/ 1998م.

(2) الوصف المناسب لشرع الحكم: 324. أحمد بن محمود بن عبد الوهاب الشنقيطي. نشر عمادة البحث العلمي، بالجامعة الإسلامية، بالمدينة المنورة. الطبعة الأولى. 1415هـ.

(3) قواعد الأحكام: 11/1. مطبعة الكليات الأزهرية.

(4) الفتاوى الكبرى: 14/3. لابن تيمية. دار الكتب العلمية. الطبعة الأولى. 1408هـ. 1987م.

(5) إعلام الموقعين: 11/3. لابن القيم. تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد. مكتبة الكليات الأزهرية. القاهرة.1414هـ/ 1991م.

(6) الموافقات: 9/2. لأبي إسحاق الشاطبي. تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان. دار ابن عفان. الطبعة الأولى.1417هـ/ 1997م.

(7) التعيين في شرح الأربعين: 243–244.



الدعوة لوحدة الأديان.. في ميزان الشرع والإيمان

لا يخفى على أحد ما يعانيه المسلمون في شتى بقاع الأرض من أزمات شتى، ففي الوقت الذي يصارع فيه علماء المسلمين موجات الإلحاد والزندقة، وردّ دعاوى الجاهلية القديمة والمعاصرة، وصد عاديات التغريب، والانحراف، بدت محنة أخرى من أبشع المحن التي تعرض لها الإسلام والمسلمون؛ إذ نزعت في المواجهة نزعاً عنيفاً بوقاحة، كيداً للمسلمين، وطعناً في الدين، لإفساد نزعة التدين بالإسلام، والدخول فيه، وتذويب شخصيته في معترك الديانات، ومطاردة التيار الإسلامي، وكبت طلائعه المؤمنة، وسحب أهله عنه إلى ردة شاملة.. ألا وهو ما جَهَر به اليهود والنصارى وأتباعهم، من الدعوة إلى الخلط بين الإسلام وغيره من الأديان (وحدة الأديان)، وزرع خلاياهم في أعماق أمة الإسلام في كل صقع ودار، وصهر المسلمين معهم في قالب واحد، فلا «ولاء»، ولا «براء»، ولا يوجد مسلم وكافر، فالكل عند الله تعالى سواسية.

من هنا، وجب علينا أن نتوقف عند هذه الفرية «وحدة الأديان» التي ظهرت بين المسلمين، ونزلت بساحتهم؛ ما الباعث لها؟ وما الغاية التي ترمي إليها؟ وما مدى مصداقية شعاراتها؟ وما حكم الإسلام فيها، وحكم الاستجابة لها من المسلمين، وحكم من دعا إليها، ومهد السبيل لها بين المسلمين، ونشرها في ديارهم؟



بقلم - الشيخ أحمد ناجي
باحث في العقيدة وعلم الكلام

أولاً: السرد التاريخي:

بتتبع المراحل التاريخية لفرية «وحدة الأديان»، نجدها قد مرت بأربع حقب زمانية، هي:

1 - عصر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فقد بيَّن الله سبحانه في محكم كتابه أن اليهود والنصارى في محاولة دؤوبة لإضلال المسلمين عن إسلامهم، وردهم إلى الكفر، ودعوتهم المسلمين إلى اليهودية أو النصرانية، فقال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُواْ وَاصْفَحُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة: 109)، وقال تعالى: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُوداً أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُواْ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (البقرة: 135)، وهكذا في عدد من الآيات التي يتلوها المسلمون في كتاب الله؛ ليحذروا اليهود والنصارى، وغيرهم، كما قال تعالى: ﴿وَلاَ تَلْبِسُواْ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُواْ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: 42)، قال ابن جرير الطبري عند هذه الآية: «عن مجاهد أنه قال: (وَلاَ تَلْبِسُواْ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ) اليهودية والنصرانية بالإسلام»، وفي تفسير ابن كثير عن قتادة أنه قال عند هذه الآية: «ولا تلبسوا اليهودية والنصرانية بالإسلام، إن دين الله الإسلام..».

2 - مرحلة الدعوة إليها بعد القرون المفضلة: ثم بدت محاولاتهم مرة أخرى تحت شعار صنعوه، وموهوا به على الجهال، وهو أن الملل (اليهودية، والنصرانية، والإسلام) هي بمنزلة المذاهب الفقهية الأربعة عند المسلمين، كل طريق منها يوصل إلى الله تعالى[1]، وهكذا فيما يثيرونه من الشبه، ثم تلقاها عنهم دعاة «وحدة الوجود» و«الاتحاد» و«الحلول» وغيرهم من المنتسبين إلى الإسلام من ملاحدة المتصوفة وغلاة الرافضة، حتى بلغت الحال أن بعض هؤلاء الملاحدة يجيزون التهود، والتنصر، بل فيهم من يرجح دين اليهود والنصارى على دين الإسلام، وهذا فاش فيمن غلبت عليهم الفلسفة منهم، ثم انتقلوا إلى أن أفضل الخلق عندهم هو «المحقق»؛ وهو الداعي إلى الحلول، والاتحاد، ولقد كشفهم شيخ الإسلام ابن تيمية في مواضع من كتبه[2]، وقد قُمعَت هذه الدعوة الكفرية بمواجهة علماء الإسلام لها، والمناداة عليها، وعلى منتحليها بأنها كفر وردة عن الإسلام.

3 - مرحلة الدعوة إليها في النصف الأول من القرن الرابع عشر: وقد خمدت حيناً من الدهر محتجرة في صدر قائليها، المظهرين لـلإسلام، المبطنين للكفر والإلحـاد، حتى تبنتها حركة «صن مون التوحيدية»، وقبلها «الماسونية» تحت غطاء الدعوة إلى وحدة الأديان الثلاثة، ونبذ التعصب بجامع الإيمان بالله، فكلهم مؤمنون.

4 - وكنا نظن أن هذه الفرية قد انتهت للأبد، إلا أننا فوجئنا بالمرحلة الرابعة في ظل النظام العالمي الجديد، والتطبيع مع الكيان الصهيوني المغتصب؛ حيث جهر اليهود والنصارى بالدعوة إلى التجمع الديني بينهم، وبين المسلمين، وبعبارة أخرى التوحيد بين الموسوية، والعيسوية، والمحمدية باسم «الدعوة إلى التقريب بين الأديان» (التقارب بين الأديان)، ثم باسم «نبذ التعصب الديني»، ثم باسم «الإخاء الديني»، وباسم «مجمع الأديان»، وفتح له مركز بسيناء مصر بهذا الاسم[3]، وباسم «الصداقة الإسلامية

القرآن كشف محاولات اليهود والنصارى الدؤوبة لإضلال المسلمين عن دينهم ودعوتهم لليهودية أو النصرانية

المسيحية»، وباسم «التضامن الإسلامي المسيحي ضد الشيوعية»، ثم أخرجت للناس تحت عدة شعارات، منها «وحدة الأديان»، «توحيد الأديان»، «توحيد الأديان الثلاثة» «الإبراهيمية»، «الوحدة الإبراهيمية» «وحدة الدين الإلهي»، ثم لحقها شعار آخر، هو «وحدة الكتب السماوية»، ثم امتد أثر هذا الشعار إلى فكرة طبع القرآن الكريم، والتوراة، والإنجيل في غلاف واحد.

ثانياً: حُكم هذه الفرية:

من أصول الاعتقاد في الإسلام اعتقاد توحد الملة والدين في التوحيد، والنبوات، والمعاد، والإيمان الجامع بالله، وملائكته، وكتبه ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وما تقتضيه النبوة والرسالة من واجب الدعوة، والبلاغ، والتبشير، والإنذار، وإقامة الحجة، وإيضاح المحجة، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور، بإصلاح النفوس، وتزكيتها، وعمارتها بالتوحيد، والطاعة، وتطهيرها من الانحراف، والحكم بين الناس بما أنزل الله، واعتقاد تعدد الشرائع وتنوعها في الأحكام، والأوامر والنواهي، وهذا الأصل هو جوهر الرسالات كلها.

وإن الدعوة إلى توحيد دين الإسلام الحق الناسخ لما قبله من الشرائع، مع ما عليه اليهود والنصارى من دين دائر بين النسخ والتحريف، هي أكبر مكيدة عُرفت لمواجهة الإسلام والمسلمين اجتمعت عليها كلمة اليهود والنصارى بجامع علتهم المشتركة بُغض الإسلام والمسلمين، وغلفوها بأطباق من الشعارات اللامعة، وهي كاذبة خادعة، فهي في حكم الإسلام دعوة بدعية، ضالة كفرية؛ لأنها تصطدم مع بدهيات الاعتقاد، وتنتهك حرمة الرسل والرسالات، وتبطل صدق القرآن الكريم، ونسخه لجميع ما قبله من الكتب، وتبطل نسخ الإسلام لجميع ما قبله من الشرائع، وتبطل ختم النبوة والرسالة بمحمد صلى الله عليه وسلم، فهي فرية مرفوضة شرعاً، محرمة قطعاً بجميع أدلة التشريع في الإسلام من كتاب وسُنة، وإجماع، وما ينطوي تحت ذلك من دليل وبرهان.

فلا يجوز لمسلم يؤمن بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولاً، الاستجابة لمثل هذه الدعوات، ولا الدخول في مؤتمراتها، وندواتها، واجتماعاتها، وجمعياتها، ولا الانتماء إلى محافلها، بل يجب نبذها، ومنابذتها، والحذر منها، والتحذير من عواقبها، واحتساب الطعن فيها، والتنفير منها، وإظهار الرفض لها، وطردها عن ديار المسلمين، وعزلها عن شعورهم، ومشاعرهم والقضاء عليها، وهذه الفرية إن حظيت بقبول من اليهود، والنصارى، فهم جديرون بذلك؛ لأنهم لا يستندون إلى شرع منزل مؤبد، بل دينهم إما باطل محرف، وإما حق منسوخ بالإسلام، أما المسلمون فلا يجوز لهم بحال الانتماء إلى هذه الفكرة؛ لانتمائهم إلى شرع منزل مؤبد كله حق، وصدق، وعدل، ورحمة.

في ظل التطبيع مع الصهاينة تجددت الدعوة للتوحيد بين الموسوية والعيسوية والمحمدية باسم التقارب بين الأديان

وليعلم كل مسلم عن هذه الفرية أنها فلسفية النزعة، سياسية النشأة، إلحادية الغاية، تستهدف الإسلام والمسلمين من خلال:

1 - إيجاد مرحلة التشويش على الإسلام، وبلبلة عقول المسلمين، وشحنهم بسيل من الشبهات، والشهوات؛ ليعيش المسلم بين نفس نافرة، ونفس حاضرة.

2 - إتيانها على الإسلام من القواعد، مستهدفة إبرام القضاء على الإسلام واندراسه، ووهن المسلمين، ونزع الإيمان من قلوبهم، وَوَأده.

3 - حل الرابطة الإسلامية بين العالم الإسلامي في شتى بقاعه؛ لإحلال الأخوّة البديلة اللعينة: «أخوة اليهود والنصارى».

4 - إبطال أحكام الإسلام المفروضة على المسلمين أمام الكافرين من اليهود والنصارى وغيرهم من أمم الكفر ممن لم يؤمنوا بالإسلام، وترك ما سواه من الأديان.

5- صياغة الفكر بروح العداء للدين في ثوب «وحدة الأديان»، وسلخ العالم الإسلامي من ديانته، وعزل شريعته عن الحياة، حينئذ يسهل تسريحه في مجاهل الفكر، والأخلاقيات الهدامة، مفرغاً من كل مقوماته، وجعل المسلم في محطة التلقي لِمَا يملى عليه من أعدائه، وأعداء دينه.

6 - إسقاط جوهر الإسلام، واستعلائه، وظهوره وتميزه، بجعل هذا الدين المحكم المحفوظ من التحريف والتبديل، في مرتبة متساوية مع غيره من كل دين محرف منسوخ، بل مع العقائد الوثنية الأخرى.

7 - ثم غاية الغايات: بسط جناح الكفرة من اليهود والنصارى، وغيرهم على العالم بأسره، والتهامه، وعلى العالم الإسلامي خاصة؛ لغزو شامل ضد الإسلام والمسلمين بشتى أنواع النفوذ: الفكري، والثقافي، والاقتصادي، والسياسي، وإقامة سوق مشتركة، لا تحكمه شريعة الإسلام، ولا سمع فيه ولا طاعة لخُلق فاضل أو فضيلة[4].

لذا وجب على المسلمين الكفر بهذه الفرية «وحدة الأديان»، وليعلم كل مسلم أن الدعوة إلى هذه الفرية كفر، ونفاق، ومشاقة، وشقاق، وعمل على إخراج المسلمين من الإسلام، وأن حال الدعاة إليها من اليهود، والنصارى مع المسلمين كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ (آل عمران: 119).

وأخيراً: قد يقول قائل: ما المانع أن تتعاون كل الأديان في إسعاد البشرية؟

ونقول: إن الإسلام يدعونا إلى بر كل إنسان لم تمتد يده بالأذى للمسلمين، قال تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ (الممتحنة: 8)، ولكنه في الوقت نفسه حذرنا من حقد هؤلاء علينا، فقال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (البقرة: 120)؛ فكيف نتعاون مع أناس لا يعترفون بنا ويضمرون لنا كل شر؟! ■

الهوامش

(1) الموسوعة الميسرة: 2/ 669 - 674. ط 3، ص 449 - 454. ط1.

(2) الرد على المنطقين: ص 282 - 283.

(3) كتاب «الإخاء الديني، ومجمع الأديان.. سياسة غير إسلامية» ص 3، محمد البهي.

(4) انظر: كتاب: «صحوة الرجل المريض» لموفق بني المرجه، ص 345.

للمزيد طالع كتاب «الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان» د. بكر بن عبدالله أبو زيد.



نجلاء محفوظ
كاتبة ونائبة رئيس تحرير «الأهرام»



نتمنى جميعاً حياة سعيدة وناجحة لأولادنا، وندعو لهم بالانتصار على المشكلات وانتزاع الخبرات، ونقدم للأهل هذا الدليل الواقعي الذي يرصد أهم الأخطاء، ويقدم النصائح العملية والمجربة لتقوية أولادنا ولحمايتهم من الانكسار النفسي وضياع حقوقهم وصنع عداوات لا مبرر لها، أو الانحناء أمام الأزمات والسماح لها -لا قدر الله- بالتأثير السلبي على اعتزازهم بأنفسهم والنيل منهم دينياً ودنيوياً.

دليلك لتعليم أولادك مواجهة مشكلاتهم

من أهم الأخطاء الشائعة وأخطرها المبالغة بحماية أولادنا وكأننا نقوم بوضعهم في صُوبات ونصنع عوازل تبعدهم عن رؤية أي شرور بالواقع، ونقدم لهم صوراً وردية لا وجود لها بالحياة عن الناس، وكيف أن الجميع يتمنون لنا الخير ولا يقصدون أي إساءة، ويفعل البعض ذلك حتى لا يصدم الأطفال خاصة، والمؤكد أن الواقع لن يرأف بهم، ولن يجنبهم المشكلات وعندئذ ستكون الخسائر أكبر.

وصدق القائل: الإنسان المفاجَأ نصف مهزوم، والأسوأ أنهم قد يعيشون كضحايا -لا قدر الله- ويجب تمهيدهم لمواجهة الحياة، وإفهامهم أنهم قد يصنعون بعض مشكلاتهم، وعليهم الاعتراف بذلك ليس لجلد الذات ولكن لتحمل المسؤولية.

نوصي بإخبار الطفل منذ بداية وعيه حقيقة أن الحياة بها خير وشر، وأن يكون ذلك بجرعات قليلة وعلى فترات؛ كما نعطيه التطعيمات ضد الأمراض، ونخبره أن الله عز وجل خلقنا ومنحنا القوة لمواجهة ما نكره بالدنيا، وأننا وحدنا من نضعف أنفسنا، وإذا ردوا: ولماذا نجد ما يزعجنا بالحياة؟ نرد بهدوء: لأننا بالدنيا ولسنا بالجنة، وعندما ننجح في تصرفاتنا سنفوز بحياة ممتعة وسعيدة بلا منغصات بالجنة.

يخطئ الأهل بمبالغتهم في رعاية الأطفال عندما يمرضون ويتعاملون معهم بجزع؛ فيزرعون داخلهم الخوف أو الشعور بالحاجة للرعاية، وأحياناً يقوم الطفل بتمثيل المرض أو ادعاء عدم الشفاء ليستمر بالحصول على الرعاية الزائدة.

ونوصي بالتفرقة بين الحنان والجزع؛ فالأول مطلوب ويفيد الطفل، والثاني مرفوض ويؤذيه، والصواب أن نخبره بأنه سيشفى قريباً بمشيئة الله تعالى، ونشجعه ليفعل ما يستطيعه من أنشطته اليومية -دون مبالغة- ونزرع داخله أنه دوماً يستطيع -بعد الاستعانة بالله- أن يصنع ما يفيده ويسعده، وأن يتعلم أيضاً من مرضه بأن يعيد تقسيم أوقاته ليعوض ما فاته من الدراسة بسبب مرضه، ويسعد بنعمة الصحة ويحافظ عليها، ويتجنب ما يمرضه قدر الاستطاعة، وألا يستسلم للحزن إذا مرض، ويشكر الله سبحانه على نعمة التداوي وامتلاك المال لذلك.

ولا يقال له هذا الكلام أثناء اشتداد المرض؛ فسيضايقه ولن يستوعبه، ولنؤجله حتى الشفاء.

ننبه لأهمية تجنب الأهل لوم الأبناء عند تعرضهم لأي مشكلة صحية أو غيرها؛ فالابن عندئذ -أياً كان عمره- يكون غاضباً ومتألماً، ويفتش عن مخرج لأزمته، وآخر ما يريده هو اللوم؛ فليتماسك الأهل وليساعدوه -ما استطاعوا- أو ليخبروه بكلمات قليلة بأن الأمور ستسير على خير؛ فالإسراف بالكلام يصيب الابن عندئذ بالتوتر، ويفقده التركيز، وقد يدفعه ليحتد على الأهل.

لا تبالغ بالتعاطف أثناء مروره بأزمة؛ فيشعر بالرثاء لنفسه ويعطله عن البحث عن حل ويضعف ثقته بنفسه، ولا تتجاهله فيشعر بخذلانك له، ولا تتسرع بتقديم الحلول له، واطلب منه التفكير في حلول، واستمع إليه جيداً، وإذا لم تعجبك فلا تنتقده وقل: جيد أنك تحاول التفكير، واطرح الحل الذي تراه مناسباً، واذكر البدائل المتاحة أمامه، مع توضيح إيجابيات وسلبيات كل خيار، وتشجيعه على التعبير عن مخاوفه وعدم السخرية منه بسببها أو المبالغة بالتهوين منها.

علّمه الاعتدال عند الأزمات؛ فلا يبالغ بها وكأنها مسألة حياة أو موت أو كارثة لا يمكنه تحملها، ولا يتعامل معها بلا مبالاة وكأنها غير موجودة.

حاجز نفسي

إذا بكى الابن فلا تقل: أنت رجل لا تبك، ولا تسمح للبنات بالمبالغة بالبكاء عند المشكلات، وننبههن للفروق الهائلة بين الرقة والضعف.

ولا تبالغ؛ فتتعامل معه وكأنه لن يستطيع مواجهة مشكلاته، وراقب كيف يتصرف؛ هل يسارع بإخبار كل أصحابه بمشكلته؟ وهل يكتبها على وسائل التواصل الاجتماعي؟ وعندئذ يجب إخباره أنه يضاعف المشكلة ولا يحلها؛ فكلما قلَّ عدد من نخبرهم بمشكلاتنا كان أفضل؛ لمنع التشتت بالتفكير، وحتى لا يصبح حكاية تتناقلها الألسن، وليتعلم اختيار الجديرين بالثقة من المقربين، وليترك لنفسه الفرصة ليكبر ويعرف كيف يتعامل مع مشكلاته؛ ويمكنه نصح نفسه بالحل كما ينصح صديقه المقرب.

وأكّد للابن الذي يبالغ بالاستقلال ويرفض إشراك أهله بمشكلاته، أن لجوءه للأهل يقوي شخصيته ولا يضعفها؛ فالجميع يرغبون بالبحث عمن يشاركهم التفكير

من أخطر الأخطاء المبالغة في حماية أولادنا وكأننا نضعهم في صُوبات ونصنع عوازل حولهم

يخطئ بعض الأهل في مبالغتهم برعاية الأطفال عندما يمرضون ويتعاملون معهم بجزع فيزرعون داخلهم الخوف

لا تبالغ بالتعاطف أثناء مروره بأزمة حتى لا يشعر بالرثاء لنفسه ويضعف ثقته بنفسه

أحياناً، ولا تقل: يحتاجون؛ فنثير حساسيته، ونوصي بإخبار الأولاد منذ سن صغيرة ببعض المشكلات التي يواجهها الأهل بالعمل وبالتعاملات المختلفة؛ لإكسابهم الخبرات بطريق غير مباشر، ولتشجيعهم على فعل المثل بسرد مشكلاتهم أيضاً.

لا تقل لابنك، مهما أخطأ: لو كان فلان بموقفك لما وقع بمشكلتك، حتى لو كنت تثق بذلك؛ فستضايقه، ولن تساعده، وستصنع حاجزاً نفسياً يحرمه الاستفادة من نصائحك؛ واهتم بتوضيح طرق عملية لمساعدته.

لا تقل لابنك: أنت تقع كثيراً بالمشكلات أو تصنعها أو تستحقها؛ فسيبدو وكأنه هجوم عليه وسبب للدفاع عن نفسه، ولن يصغي لنصائحك، ولو قال: المشكلات تحاصرني؛ رد: من يقع كثيراً أثناء السير فالسبب لأنه لا ينتبه للطريق؛ فتعلم التركيز ولا تكرر مشكلاتك واستفد منها، وعلّمه كتابة خبراته من المشكلات التي يتعرض لها، أياً كان نوعها، وأن يجمعها تحت عنوان «الانتصارات» في دفتر خاص، ليقرأها خاصة أثناء الأزمات؛ فيضاعف قوته الداخلية وثقته بنفسه، ولا ينساها ولا يكررها.

علّمه ألا يوقف حياته أثناء المشكلات، وأن يواصل الاهتمام بطعامه وبمظهره وبالحصول على قسط جيد من الراحة والنوم، ليساعده على مواجهة أفضل لها، ولا تسمح له بالعصبية أو بالحدة معك أو مع إخوته أثناء أزماته، وارفض ذلك بحزم، وأخبره أن ذلك ليس مقبولاً ولن يتحمله أحد، فلا ذنب لهم فيما تعانيه، وليس من الذكاء إضافة مشكلات جديدة لنفسه بسوء التعامل مع أهله أو أصحابه.

لا تقل له أبداً: ما دمت أنا بالحياة لا تحمل هموم مواجهة المشكلات؛ فسيصبح اعتمادياً، وسيشعر بالخذلان عندما تضيق بتكاسله عن تدبير أموره، وستضعف ثقته بنفسه؛ والأفضل أن تقول له: ثق أن الله سيكرمك وسيعينك متى لجأت إليه بصدق ولم تعجز، ثم بحثت عن أفضل الحلول ولم تتسرع وقمت بتنفيذ الحل بدقة وبلا تعجل للنتائج التي ترغب بها؛ وعلّمه الفرح بأي انفراجة، وألا يؤجل ذلك لانتهاء المشكلة، وأن يشكر الله تعالى دوماً.

لطف وحزم

علّمه أن تجاهل مواجهة المشكلات عند بدايتها سيجعلها أصعب، وسيبذل مجهوداً مضاعفاً مضطراً لمواجهتها؛ كتجاهل شرارة نيران على سجاد، فلن تنطفئ وحدها وستكبر بغفلة منه.

وتنبه، ولا تؤذِ ابنك بالحماية الزائدة، فبعض الأهل يخفون المشكلات الدراسية للأبناء كالرسوب بمادة أو الحصول على درجات ضعيفة حتى أمام إخوتهم منعاً للمضايقات، والأسوأ تبريرها؛ وهذا يضرهم ونرفض معايرتهم أمام إخوتهم أو أمام الناس، ونطالب بتذكيرهم بها حتى لا تتكرر وتصبح عادة.

لا تقل عندما يقع بنفس المشكلة: لا فائدة منك، ولا تتجاهل ذلك وكأن التكرار أمر طبيعي، ونبهه بلطف وبحزم.

وعندما يقع بمشكلة رغم تنبيهك له ليتجنبها، فلا تقل: ألم أقل لك، واهتم بتوضيح الضرر الذي وقع به وكيف يتخلص منه، فلا يتحول الأمر وكأنك تنتصر لرأيك السابق.

علّمه شكر الله سبحانه وتعالى بعد انتهاء المشكلة وألا يتحدث عنها؛ فيركز على الضرر الذي وقع عليه حتى لا يعتاد التحسر على النفس، وهو أسوأ ما يمكن فعله بنفسه، والأذكى أن يسارع بمحو الذكريات السيئة، ويدخر عمره وطاقاته لفعل ما يفيده دينياً ودنيوياً، ولا ينظر للماضي إلا للتعلم منه.■



أ.د. زيد بن محمد الرماني

مستشار اقتصادي وأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الصورة الذهنية للنجاح

إن المرض الأول الذي يجب أن يتجنبه كل شاب قبل كل شيء، مرض الشعور بالنقص والإخفاق والفشل في الحياة، ومتى ظفر بهذا المرض، وأخرجه من حياته، كان من السهل على الطبيب معالجته.

إذ في وسع كل منا أن يتجنب الإخفاق، والخيبة، والشقاء، وأن يوجه دفة سفينته إلى النجاح، وإصابة الهدف، والسعادة، إذا ما غيّر الصورة الذهنية التي يكنها لنفسه.

هل سمع أحد بمحام يكسب قضية، أو لاعب يكسب مباراة، أو جرّاح يجري عملية ناجحة وهو يضع الفشل نُصب عينيه؟

لقد سمعنا وعرفنا أشخاصاً ليس لهم من مزايا سوى ثقتهم بأنفسهم واعتدادهم بها، ينجحون حيث أخفق من يفوقونهم خبرة ومعرفة.

وإذا نظرنا إلى هؤلاء الناجحين نتساءل في عجب: كيف تسنى لهم أن يبلغوا هذا النجاح؟ ونقارن بين ما وهبنا الله من صفات وميزات وما وهبهم، فندهش إذ نرى أننا ربما كنا أوفر منهم حظاً في الصفات والميزات المؤهلة للنجاح!

فما السر؟ أتراهم يتبعون وصفة سحرية تدنيهم من النجاح؟

لو نفذنا إلى عقولهم، لرأينا أن الوصفة السحرية التي تدنيهم من النجاح هي الصورة التي يحملونها في أذهانهم لأنفسهم، لقد تمثلوا أنفسهم رجالاً ناجحين!

أما أولئك الذين توافرت لهم مؤهلات النجاح ومع ذلك فقد أخفقوا، فالأغلب أن نفوسهم حافلة بالمخاوف والشكوك، وربما بالكراهية لأنفسهم، فهم لهذا عاجزون أن يتخيلوا أنفسهم رجالاً ناجحين.

والرجل الذي يقول: لا أبتغي من الحياة سوى عمل يكفل لي القوت ويؤمنني شر الجوع، إنما هو في الحقيقة يوقّع على نفسه عقاباً نتيجة إحساسات دفينة بالذنب لعلها غرست في نفسه منذ الطفولة.

وصاحب هذا الرأي لا يحقق في الحياة أكثر من الصورة التي رسمها لنفسه رغم ما قد يتصف به من ميزات ومواهب.

وثمة شخص آخر ينأى بنفسه عن النجاح، لأنه يهيم في أحلام اليقظة، إنه يتمنى النجاح ولكنه عاجز عن إصابته، إنه يتخيل نفسه في أحلامه رجلاً عظيماً، ولكن في دنيا الحقيقة يعجز عن التعبير عن نفسه والانطلاق على سجيته؟

جاء في كتاب «كيف تكسب الثروة والنجاح؟»: لو أن الإخفاق هو الذي تمثل للكتاب، والفنانين، والعلماء، فكم كان يصبح عدد الكتب التي كتبت، وعدد اللوحات الفنية التي أنتجت، وعدد الكشوف والمقترحات التي أنجزت؟

يجب أن نخلع من ذهن الإنسان صورة الفشل في الحياة، وأن نحل محلها صورة النجاح، فلو ظلت صورة الفشل مرتسمة في ذهنه وعقله لكان مصير كل النصائح التي نقدمها فشلاً وعبثاً.

ولكن نستطيع تبديل الصورة الذهنية التي رسمها المرء لنفسه التي أدت إلى فشله، علينا أن نساعده على تحديد هدفه وماذا يريد في حياته.

كثيرون يحلمون باليوم الذي يصبحون فيه من الناجحين، فإذا سألتهم: ما النجاح الذي يطلبونه؟ عجزوا عن وصفه، ومن ثم تتبدد طاقات نشاطهم، لأنهم لا يستهدفون شيئاً محدداً، وإذا فالخطوة الأولى هي تحديد الهدف، كأن تحدد ما تريده من عمل لنفسك.

هل تريد أن تكون طبيباً أم محامياً أم تاجراً أم موظفاً أم محاسباً أم صاحب عمل من الأعمال، أو صناعة من الصناعات.

اختر لنفسك صناعات وتأكد أولاً أنها ترضيك، فإذا تبينت هدفك واضحاً فامض فيه نشطاً معتزاً واثقاً أنك ستكون من الناجحين، فجميع الذين نجحوا في الحياة عرفوا ما يريدون، أول ما بدؤوا معركة الحياة.

ومن جعل هدفه نصب عينيه، وركز قواه في العمل لتحقيقه، واطمأن إلى أنه سوف ينجح، لن يفشل بإذن الله تعالى.■

AL-MUJTAMA'A

المجتمع

مجلة المسلمين في أنحاء العالم

العدد (2149) - السنة (51) ربيع الأول 1442هـ / 1 نوفمبر 2020م

إلا رسول الله ﷺ





الكويت تفقد أحد رموزها الإعلامية والخيرية

د. عصام الفليج

مستقبل الكويت خلال العقد القادم

 @mugtama  www.mugtama.com  facebook.com/mugtama  @mugtama

الكويت 750 فلساً - السعودية 10 ريالات - البحرين دينار بحريني - قطر 10 ريالات - سلطنة عمان ريال عماني - الأردن 1.750 دينار أردني - لبنان 4500 ليرة - المغرب 23 درهماً

USA $ 5 - Canada $ 6 - Australia AUD 6 - URB 3.5 - India INR 110 - Pakistan PRS 200 - Turkey TRY 7 - U.k £ 3

AL-MUJTAMA'A

المجتمع

مجلة المسلمين في أنحاء العالم

العدد (2149) - (السنة 51)

إسلامية أسبوعية تصدر شهرياً مؤقتاً

تأسست عام 1390هـ - 1970م

جمعية الإصلاح الاجتماعي. الكويت

رأس مجلس إدارتها

حتى 1427/8/10هـ - 2006/9/3م

عبد الله علي المطوع يرحمه الله

رئيس التحرير

محمد سالم الراشد

مدير التحرير

جمال الشرقاوي

الإخراج الفني

مصطفى عزالدين

المراسلات

العنوان البريدي: الكويت ص.ب (4850) الصفاة.
الرمز البريدي (13049)

التحرير

22519539 - 22514180

22513616 (داخلي 205).

mujtamaa@gmail.com

info@mugtama.com

الاشتراكات والتوزيع

تليفاكس: 22560525 (00965)

sales@mugtama.com

الموقع الإلكتروني

www.mugtama.com

موقع جمعية الإصلاح

www.eslah.com

طبعت بمطابع «الهدف» التجارية





ادخل على موقع «المجتمع»

في هذا العدد

موضوع الغلاف

مستقبل الكويت خلال العقد القادم

حركة «المجتمع» في فضاء الإعلام

أمر الله سبحانه وتعالى المسلم أن يعيش حياته نسيجاً واحداً متكاملاً شاملاً لله عز وجل، وأمره أن يكون شعاره في الحياة ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ (الأنعام). وأراد الإسلام من أتباعه أن يعيشوا حياتهم الاجتماعية والسياسية والعلمية والنفسية والتربوية والإعلامية، وما شئت من أسماء ومسميات مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بعرى هذا الدين سواء بسواء، ومن هذا المنطلق القيمي تنطلق «المجتمع» في فضاء الإعلام، متخذة شمولية الرسالة الإعلامية شعاراً لها؛ فتجمع بين الشأن الديني والتناول السياسي والتحليل الاقتصادي والتوجيه الأسري والتربوي.■



رأي المجتمع

مجلس الأمة القادم.. والاختيار الصحيح

في 5 ديسمبر القادم، تجرى انتخابات مجلس الأمة لاختيار ممثلي الشعب الكويتي في البرلمان.

وحيث إن الكويت تثقل كاهلها المشكلات، ويأتي على رأسها مشكلة الفساد التي تعتبر أكبر معوق لعملية التنمية في أي بلد، ثم تأتي بعدها مجموعة مشكلات، من بينها: المشكلة الإسكانية، والخلل الاقتصادي بانخفاض الدخل من النفط، والنظام التعليمي، والوساطات التي تدخل في كل شيء وعدم تحقيق مبدأ تكافؤ الفرص، وقضية غير محددي الجنسية وخطرها، ومشكلة الخلل في التعامل مع التركيبة السكانية، والقروض، وغيرها.

لذلك وجب على الشعب الكويتي حسن اختيار ممثليه الذين يستطيعون مواجهة تلك المشكلات والأزمات التي تقف حجر عثرة في طريق نهضة الدولة ورفاهية الشعب.

فالشعب الكويتي يتشوق إلى ممارسة برلمانية مثمرة، كما ينتظر من الحكومة أداء متميزاً ومنتجاً، وينتظر من السلطتين تعاوناً بروح جديدة أكثر إيجابية وانطلاقاً؛ لإنجاز منظومة من التشريعات والقوانين الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، التي تساهم في علاج تلك المشكلات، وإنجاز المشاريع التنموية الكبرى، التي طالما انتظرها الشعب الكويتي؛ لتحقيق نقلة نوعية وحضارية في البلاد، لكننا لا بد أن نعترف أن حالة التأزيم شبه المستمرة التي سادت العلاقة بين الحكومات ومجالس الأمة السابقة، ضيَّعت الكثير من الأوقات والجهود فيما لا طائل من ورائه، واليوم آن للجميع أن يتجه لأداء جديد وجاد يعلي مصلحة الوطن العليا، ومصالح الشعب بكل فئاته دون استثناء، وأن يكون النائب تحت قبة البرلمان نائباً لكل الشعب الكويتي، وأن يكون الوزير وزيراً لكل أبناء هذا الشعب دون تمييز أو استثناء.

فالكويت كانت دائماً على امتداد العقود الماضية رائدة بديمقراطيتها، ونالت احترام وتقدير دول المنطقة ودول العالم بإفساحها المجال لحرية الرأي، ورعايتها لانتخابات نزيهة؛ الأمر الذي حفظ على الكويت أمنها واستقرارها.

إن الكويت ذلك البلد الذي حباه الله سبحانه وتعالى بموقع مهم في المنطقة، وبثروات فاض خيرها على كثير من بقاع العالم، وبشعب مسلم مسالم ومحب للخير، تواجه تحديات كبرى في عالم تتنازع فيه مشاريع الهيمنة المختلفة للسيطرة على المنطقة وثرواتها ومقدراتها وقراراتها، بل ومصيرها، وإن وحدة الشعب الكويتي بمختلف مكوناته وتعاون برلمانه وحكومته لصناعة نهضة حقيقية لهذا البلد، تعد حائط الصد الأقوى لتلك المشاريع الطامعة.

كما إن حرص الكويت على استمرار علاقات التعاون وحسن الجوار، لا شك يسهم في إرساء مزيد من الأمن والاستقرار للمنطقة، وينعكس بصورة إيجابية على الكويت، ويفتح المجال على مصراعيه لانطلاق مشاريع التنمية التي تنهض بالبلاد، ولا يتحقق ذلك إلا ببرلمان قوي وحكومة قوية أيضاً، وتعاون بين السلطتين.

إن الكويت تنتظر من شعبها الكثير للنهوض بها، وحمايتها والحفاظ على قيمها وعقيدتها وثوابتها الإسلامية الراسخة.

فلينطلق الشعب نحو اختيار برلمان قوي أمين، يقفز في تعاون مع حكومته نحو المستقبل الزاهر، في عهد جديد موفور الإخلاص بقيادة سمو أمير البلاد الشيخ نواف الأحمد الصباح، وولي عهده الأمين الشيخ مشعل الأحمد الصباح، حفظهما الله ورعاهما.■

آية العدد

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى
النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ
وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴿٥٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ
اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُّهِيناً ﴿٥٧﴾
وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً
وَإِثْماً مُّبِيناً ﴿٥٨﴾﴾ (الأحزاب)

وكلاء التوزيع:

الكويت: شركة باب الكويت للصحافة:
ت : 22272733 ف: 22272736
distribution@alanba.com.kw



السعودية:الشركة السعودية للتوزيع:
www.saudidistribution.com
الإدارة العامة: الرياض0096612128000
فرع الرياض: 0096612705837

فرع جدة: 0096626530909
فرع الدمام: 0096638473569

قطر :
دار الثقافة ت: 4622182 / ف: 4621800
البحرين :
مؤسسة الأيام للصحافة والنشر والتوزيع
ت :725111 / ف : 723763
TURKIYE- DUNY SUPER DAGITIM
Tel: (90 -1) 5120190
Fax: (90- 1) 5140883

الاشتراكات:

الكويت: 10 دنانير كويتية
الدول العربية: 17 ديناراً كويتياً
الدول الأجنبية: 25 ديناراً كويتياً
للمؤسسات والشركات: 30 ديناراً كويتياً

تشمل عمولة التحويل

الإعلانات :
امتياز الإعلان : مجلة المجتمع
ت: 22560525 - 22560526 الكويت.



الكويت تتأهب للانتخابات البرلمانية وتتحدى «كورونا»

يدلي الكويتيون بأصواتهم في الانتخابات التشريعية لمجلس جديد في الخامس من ديسمبر المقبل، في ظل أوضاع مستجدّة فرضتها أزمة «كوفيد 19»، حيث تم حظر الندوات والتجمعات الجماهيرية والولائم وزيارات الديوانيات وغيرها، التي عادة ما كانت تصاحب الحملات الانتخابية للمرشحين، والهدف من المنع تقليل الاحتكاك والتواصل المباشر بين المرشحين والناخبين للحد من انتشار فيروس «كورونا».

ويحق لـ574 ألف ناخب وناخبة، أغلبهم ذكور، التصويت في الانتخابات القادمة، وقد حذفت إدارة الانتخابات، في فبراير الماضي، 7 آلاف ناخب متوفى من القوائم.

ويعتقد الكاتب الكويتي داهم القحطاني أن انتخابات مجلس الأمة 2020 ستكون واحدة من أسوأ الانتخابات في تاريخ الكويت السياسي، معتقداً في الوقت ذاته أن هذا المجلس في حال أجريت الانتخابات لن يعيش في أفضل الأحوال أكثر من عام واحد فقط.

ويرجع ذلك إلى غياب الحملات الانتخابية الحقيقية بسبب «كورونا»، وكل ما سيكون مجرد لقاءات منمقة ومدفوعة الأجر في القنوات الفضائية، وقنوات «يوتيوب».

وفي مقال له نشره بصحيفة «القبس»، يرى القحطاني أن الحملات الدعائية في شبكات التواصل الاجتماعي ستجتاح الحسابات كما لو كانت «تسونامي» خطابات لن تترك مجالاً للتفكير بما يطرح، فمعظم المرشحين سيحرصون على الكلام الدعائي المرسل، مع إخراج احترافي لمقاطع الفيديو؛ ومن ثم سيظهر المرشح كما لو كان «مارتن لوثر كينج»!

وأشار إلى أن أزمة "كورونا" ستمنع حدوث لقاءات مباشرة بين المرشحين والناخبين، وستتلاشى أي فرصة لاختبار قدرات المرشحين على مخاطبة الناس بشكل مباشر، لهذا لن يكون بالإمكان الحكم على قدراتهم السياسية.

ويتفق في هذا الأمر السفير محمد أحمد المجرن الرومي؛ حيث قال: إن الانتخابات تجري هذه السنة في ظروف مختلفة كلياً عن المرات السابقة؛ نظراً لانتشار وباء «كورونا» الذي حدَّ من التجمعات وعقد الندوات وغيرها، وهي من الأساسيات في الترشح وإبراز كل مرشح لما يريد أن يقوله للناخبين وجهاً لوجه.

ورأى المجرن، في مقال له نشرته صحيفة «الجريدة»، أن وسائل التواصل الاجتماعي التي تقوم ببعض الأمور ومنها الدعاية الانتخابية لن تكون كافية، خصوصاً للوجوه الجديدة التي ترغب في الترشح لمجلس الأمة، مشيراً إلى أن بعض المطلعين على شؤون الانتخابات يَرَوْن أن نسبة المشاركة ستكون أقل من 50%؛ لأن عدداً من كبار السن لن يشاركوا لأسباب صحية إذا استمرت جائحة «كورونا»، يضاف إلى ذلك المقاطعون للانتخابات بسبب «الصوت الواحد»، وكذلك بسبب الأداء المتواضع لهذا المجلس.لن يتم رفع إعلانات

وعلى صعيد متصل، أكد مصدر في بلدية الكويت عدم منح أي ترخيص إعلان لمرشحي مجلس الأمة 2020 لوضع إعلاناتهم الانتخابية، سواء على الطرقات العامة والسريعة والشوارع الفرعية، أو أمام المنازل وعلى جدرانها، لافتاً إلى أن فرق البلدية ستقوم برفع أي إعلان مخالف يتم نصبه فوراً، مع تحرير مخالفة بحق المرشح.

وقال المصدر: كما هو متعارف عليه عقب تسجيل المرشح لنفسه في إدارة شؤون الانتخابات، يقوم بالتوجه مباشرة إلى بلدية الكويت لحجز موقع مقره الانتخابي، وبما أن إقامة التجمعات غير مسموحة في ظل الظروف الحالية، فلن يتم السماح للمرشحين بوضع إعلاناتهم الانتخابية في أي مكان عام، وذلك لارتباط الإعلان بالمقر قانوناً.

وبحسب دراسة حديثة لشركة «إكسبر» للاستشارات وإدارة الأعمال، حول وسائل الإعلام والقنوات الأساسية التي سيتم اعتمادها من قبل مرشحي انتخابات مجلس الأمة 2020 في حملاتهم الانتخابية، أظهرت أن 45% من الميزانيات الإعلانية المرصودة من قبل المرشحين ستستقطبها الصحف، و20% المواقع الإلكترونية ومنصات التواصل الاجتماعي، و18% القنوات التلفزيونية، و17% ستذهب لإعلانات الطرق.

هذا، وقد بدأت التيارات

البلدية: لن يسمح بوضع إعلانات انتخابية في أي مكان عام لعدم وجود مقرات للمرشحين بسبب «كورونا»

«حدس» تشارك بـ5 مرشحين: الشاهين (الأولى) والمطر (الثانية) والصقعبي (الثالثة) وفهاد (الرابعة) والدلماني (الخامسة)

القحطاني: أزمة «كورونا» ستمنع حدوث لقاءات مباشرة بين المرشحين والناخبين وستتلاشى أي فرصة لاختبار قدرات المرشحين

المجرن: الدعاية الانتخابية لن تكون كافية خصوصاً للوجوه الجديدة التي ترغب في الترشح

والتكوينات السياسية الاستعداد والتأهب والتكتيك لانتخابات «أمة 2020» في ظروف استثنائية لم تشهدها أي انتخابات مثلها، خصوصاً أن تحديد يوم الانتخاب في 5 ديسمبر، وقصر المدة المتبقية (نحو 40 يوما).

ورغم أن هناك كتلاً وتيارات استعدت باكراً وأعلنت عن مرشحيها، فإن الأمر لا يخلو من مفاجآت ربما تؤثر على الاستعداد مهما كانت قوتها، خصوصاً أن رياحاً للتغيير تلوح في أفق التوقعات، ربما تكون عاتية وتعصف بكراسي تقليدية كان من الصعب زحزحتها.

وأكد محللون أنه من المرجح أن تتراوح نسبة تبدل الوجوه بين 50 و70%، خصوصاً أن نحو 12% من نواب 2016 فضّلوا عدم خوض الانتخابات لأسباب شخصية أو تكتيكية أو تشاورية، وهم: عبدالله الرومي، ومحمد الهدية، ومبارك الحريص (الدائرة الأولى)، وراكان النصف (الدائرة الثانية)، ومحمد الدلال (الدائرة الثالثة)، وسعود الشويعر (الدائرة الرابعة)، وهناك نواب تُشير الدلائل إلى أن فقدهم لكراسيهم مجرد وقت.

وتعتبر حظوظ التيارات الإسلامية في الوصول إلى البرلمان كبيرة، وهناك مقاعد يمكن القول: إنها باتت محجوزة، وأخرى لا تزال في إطار التكتيكات.

مرشحو «حدس»

وتدخل الحركة الدستورية الإسلامية (حدس) السباق البرلماني القادم بخمسة مرشحين، وسيمثلها أسامة الشاهين (الدائرة الأولى)، ود. حمد المطر (الدائرة الثانية)، ود. عبدالعزيز الصقعبي (الدائرة الثالثة) الذي سيحل بديلاً عن النائب الحالي محمد الدلال، وعبدالله فهاد (الدائرة الرابعة)، ود. عبدالله الدلماني (الدائرة الخامسة).

وقالت مصادر من «حدس»، لجريدة «الراي»: إنه تقرّر دعم عضو مجلس الأمة الحالي أسامة الشاهين مرشحاً للحركة في الدائرة الأولى استناداً إلى الأداء «الرزين» للشاهين الذي وفّر له قبولاً واسعاً بين قواعد «حدس» وبين الناخبين في الدائرة عموماً.

أما د. حمد المطر فعلى موعد من جديد مع انتخابات الدائرة الثانية، وسط إشادة بالجهود المتواصلة التي بذلها طوال سنوات مضت، وآمال بأن يكون ما حققه بين الناخبين وبما لديه من قواعد «حدس» وفي ظل عدم وجود مرشح آخر ينهل من القواعد ذاتها دافعاً إضافياً، لتكون فرصته لبلوغ الكرسي الأخضر باتت قاب قوسين أو أدنى؛ وعليه، والحديث لمصادر «حدس»، أن يواصل نهجه ويتفادى الوقوع في أخطاء تدفعه إلى التراجع.

«الدائرة الثالثة ليست نزهة أبداً»، هكذا وصفت المصادر لـ«الراي»، خطة «حدس» الانتخابية فيها، مشددة على قوة فرص مرشحها فيها عبدالعزيز الصقعبي الذي يحظى بقبول في الدائرة، لكن المصادر لم تشرح كيفية التعامل مع مرشحين اثنين آخرين دعمتهما الحركة سابقاً في هذه الدائرة، ومدى تأثير ذلك على الصقعبي في السباق الانتخابي المقبل.■

الكويت

مرشح الدائرة الثالثة د. عبدالعزيز الصقعبي لـ«المجتمع»:

محاربة الفساد أصبحت شعاراً انتخابياً ونريد إعادة هيبة المجلس

د. عبدالعزيز طارق الصقعبي، مرشح الدائرة الثالثة في الانتخابات البرلمانية المقبلة، هو عضو بهيئة التدريس بجامعة الكويت، ومتخصص في السياسات العمرانية وتخطيط وتنظيم المدن، وقد التقته «المجتمع» في هذا الحوار الذي وضع من خلاله يده على الجرح من وجهة نظره في بعض القضايا المهمة المتعلقة بمجلس الأمة؛ حيث كشف عن انتقائية مكتب المجلس في عرض القوانين بالجلسات، وكشف أن هناك من يحاول أن يجعل النائب رهن إشارة الوزير بالخدمات التي يقدمها، مؤكداً أن نظام «الصوت الواحد» خلق الفردية وقسّم المجتمع ومزّق نسيجه الاجتماعي؛ فجعل المجتمع عبارة عن قبائل وعوائل وأفخاذ.



● بداية، نرحب بكم، واسمح لنا أن نتعرف على تقييمكم لأداء مجلس الأمة السابق.

- أهلاً ومرحباً بكم في مجلة «المجتمع»، بداية هناك كثير من الناس يحاولون أن يصوروا أن هذا المجلس أنجز، ويستدلون في ذلك بعدد التشريعات والقوانين التي أقرها، وفي الحقيقة؛ إن عدد القوانين التي تم إنجازها خلال السنوات الأربع لم يتجاوز 52 قانوناً، وإذا نظرنا إلى الكَمّ فسنجد أن «مجلس 2013»، الذي يعد أسوأ مجلس في الحياة السياسية الكويتية، أنجز أكثر من 112 قانوناً؛ لكن أداء المجلس يتم قياسه بجودة التشريعات التي أُقرت، ومدى تأثيرها على المواطن، وانعكاسها الإيجابي على حياته اليومية.

وإذا كان هذا المجلس بالفعل أنجز لما رأيت هذا الكم من السخط الشعبي على نواب الأمة؛ فما الذي تفيدنا التشريعات إذا كانت ناقصة ولا تلامس واقع الناس؟! ما الذي نستفيده من هذه التشريعات إذا كان الفساد مستشرياً ويضرب كل مفاصل الدولة؟! وما الذي نستفيده من هذه التشريعات إذا كان هناك سوء إدارة وهدر للأموال؛ وهو ما يجعل المواطن يحتاج النائب في أبسط أمور حياته؟ فللأسف الشديد اليوم في الكويت أصبحت الحقوق تؤخذ بالواسطة؛ فعن أي إنجاز أو قوانين أو تشريعات نتحدث؟!

يُراد لنواب «الأمة» أن يكونوا رهن إشارة الوزراء من خلال إنجاز المعاملات الفردية

هذا المجلس عجز عن أداء دوره الرقابي وهو عبارة عن إدارة صغيرة في جيب الحكومة

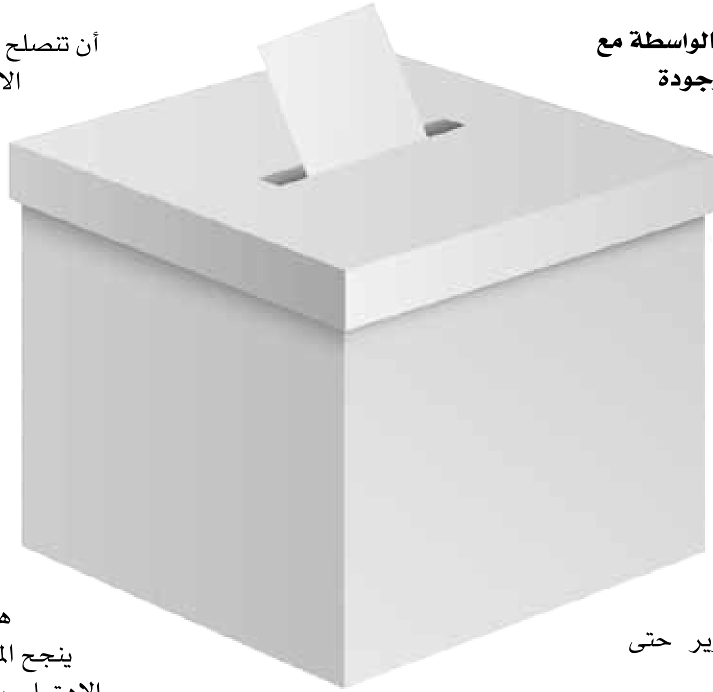
● **ما الحقوق التي تؤخذ بالواسطة مع أن كل الأنظمة والقوانين موجودة ومستقرة؟**

- مع الأسف، اليوم يراد للوضع في الكويت أن يكون بهذه الصورة؛ أن تسير الأمور بالواسطة حتى يحتاج الناخب إلى النائب على طول الدوام؛ وبالتالي يكون النائب رهن إشارة الوزير، ويرهن مواقفه بسبب الخدمات التي يقدمها للناخب؛ فأصبحت هناك سياسة متكاملة خاطئة؛ فالناخب يحتاج إلى النائب في أبسط حقوقه، والنائب يرهن مواقفه السياسية للوزير حتى تنجز معاملة الناخب.

أما عن الدور الرقابي فحدِّث ولا حرج، فهذا المجلس عجز عن أداء دوره الرقابي، فهو عبارة عن إدارة صغيرة في جيب الحكومة؛ فالحكومة تملك عتبة نيابية مريحة تعطل أي مشروع إصلاحي لا يناسب سياساتها، حتى مساءلتها من الممكن أن تعطَّل بسبب هذه العتبة النيابية المريحة، والأدهى أن الحكومة الآن أصبحت تتدخل في الشأن الرقابي، وهذه المسألة تحتاج إلى مراجعة، واللائحة الداخلية للمجلس يجب أن تعدَّل، فاليوم الحكومة تشارك في التصويت على لجان التحقيق التي قد يكون الهدف منها التحقيق في ملاحظات حكومية؛ فكيف أكون الخصم والحكم في الوقت نفسه؟! وكيف تشارك الحكومة اليوم في التصويت على سرية الجلسات ومنها جلسات الاستجواب أو شطب الاستجواب أو إحالته للتشريعية؟! فهذا خلل واضح.

● **لكن، هناك كَم استجوابات غير عادي قُدِّم للحكومة خلال دور الانعقاد الأخير؟**

- لا يخفى على أحد أن هناك بعض الاستجوابات عبثية، فالاستجواب حق أصيل للنائب، لكن على الحكومة أن تصعد إلى المنصة وتفند الاستجواب والحكم في النهاية هو الشارع؛ فالنواب سوف يصوتون على الاستجواب، والشارع سيحكم على النواب، والحكومة يجب أن تكون قوية، لكن الحكومة الآن أصبحت خائفة من الصعود إلى المنصة، وعليه فنحن نفقد جزءاً كبيراً من الدور النيابي وهو الدور الرقابي.



نظام «الصوت الواحد» قسَّم المجتمع ومزَّق نسيجه الاجتماعي وصنع نوعاً من التطرف السياسي

ما زال هناك متسع أمام الحكومة الحالية لتبني ملفات مهمة كمحاربة الفساد وطرحها على الناس بشفافية

● **تقول: «هناك سخط وعدم رضا عن أداء المجلس، وسنحتكم إلى الشارع»، لكن أليست هذه هي مخرجات الشارع؟**

- نحن ندور ونعود إلى حلقة مفرغة، مشكلتنا في «الصوت الواحد» والنظام الانتخابي ومخرجاته السيئة؛ فنظام «الصوت الواحد» قسَّم المجتمع ومزَّق نسيجه الاجتماعي، فجعل المجتمع عبارة عن قبائل وعوائل وأفخاذ؛ فهذا النظام صنع عندنا ما يسمى بالتطرف السياسي في خطاباتنا، وخلق ما يسمى بنائب الخدمات، ولا يمكن أن تنصلح الحال إلا من خلال تعديل النظام الانتخابي، فاليوم المرشح ليس لديه أن يسخط عليه 97% من أبناء الدائرة في مقابل إرضاء 3% فقط من أبناء الدائرة الكفيلة بإنجاحه، فأولى أولويات المجلس اليوم هو تعديل النظام الانتخابي، فالنزعة الفردية غلبت أداء المجلس، وجزء أساسي منها هو نظام «الصوت الواحد».

● **هل من الممكن الارتقاء بأداء المجلس في ظل نظام فردية العمل البرلماني؟**

- نظام «الصوت الواحد» هو من أوجد هذه الفردية، فحينما ينجح المرشح بألف وألفي صوت يظل كل الاهتمام بهذه الفئة فقط؛ يحاول تقديم الخدمات لهم ما استطاع، فتعديل النظام الانتخابي هو بوابة الإصلاح، فكثير من النواب الإصلاحيين وعدوا نوابهم بتعديل النظام الانتخابي وتغيير «الصوت الواحد»، وهناك 46 مقترحاً مقدماً لتعديل النظام الانتخابي، وهناك طلب قدم بعقد جلسة خاصة لتعديل النظام الانتخابي، في 18 أغسطس الماضي.

● **هذه الحكومة استهلت أعمالها بالتهديد والوعيد، ثم حدثت أزمة «كورونا»، ثم أزمة الاستجوابات؛ فأنت تطلب أموراً شبه مستحيلة، ما ردُّك؟**

- إذا كانت الحكومة جادة فلا يوجد هناك مستحيل؛ فنحن نتحدث عن أداء خطة حكومية تكون واضحة، ووضع خطط إستراتيجية، فإذا كانت الحكومة جادة في محاربة الفساد فستحاربه، أما إذا كانت هي جزءاً من هذه المنظومة الفاسدة فلا بد أن تتخلص منها، للأسف الشديد كان الشعب ينظر إلى الحكومة السابقة على أنها جزء من منظومة الفساد، كان يرى الوزراء لا يملكون قرارهم وغير قادرين على تنفيذ رؤاهم على الأرض؛ فالوزير لم يكن يقوم بعمله من مكتبه، بل من مكتب تاجر أو شيخ؛ لذلك لا نتعجب من الناس حينما يتحدثون عن الدولة العميقة؛ فإما أن تكون هناك حكومة قوية قادرة على التحديات، ولا تسمح لأحد بالتدخل في



قرارتها، ولا الدخول في منظومة السلطة التنفيذية للسيطرة على القرار السياسي، وإلا فستكون الثقة مفقودة، فالثقة تحتاج إلى وقت طويل لترميمها، لكن نحذر من أن يكون نهج الحكومة الحالية كسابقتها ونعود للمربع الأول.

● قلت في معرض حديثك: «هناك قضايا فساد وتلوثت أسماعنا بتقارير محلية وعالمية وأخبار ملأت الصحافة من غسيل أموال وغيرها»، ماذا تقصد بهذا الكلام؟

– محاربة الفساد أصبحت شعاراً انتخابياً، فالجميع يتحدث عن استشراء الفساد ومحاربته، لكنه كلام إنشائي، ولن تحل القضية بشعارات، فلا بد أن نعالج أصل الخلل، ونحن جلسنا مع مجموعة من الشباب ودرسنا قانون مكافحة الفساد وقارناه بالقوانين الموجودة حول العالم، وكانت تجاربهم ناجحة، وتساءلنا: ما الذي يقومون به ونحن في الكويت لا نقوم به؟ وأين الخلل؟ فاكتشفنا أن هناك بعض المعايير الرئيسة لنجاح أي هيئة لمكافحة الفساد نفتقدها نحن، مثل:

الأول: معيار الاستقلالية؛ فهيئة مكافحة الفساد في الكويت هيئة تابعة للحكومة، وتعيَّن من قبلها، ولا يمكن لتابع أن يحاسب متبوعاً، والقانون نصَّ على هذا الأمر، لكن في الواقع هذا غير موجود؛ فهناك بعض الدول مثل سنغافورة أو تركيا أو النرويج تنتخب فيها هيئات مكافحة الفساد من البرلمان أو الشعب.

الثاني: يتمثل في وجود سلطة محاسبة حقيقية؛ فاليوم ما سلطة هيئة مكافحة الفساد في الكويت إلا جمع البيانات واكتشاف الفساد وتحويله إلى النيابة؟ وما المانع من إنشاء محكمة خاصة بمكافحة الفساد؟

الثالث: لا توجد مشاركة شعبية فاعلة وقوية، فالقانون يحكم المسألة، وأغلب المغردين بدأ بسبب بعض القوانين يخشى من التغريد حتى لو لديه مجموعة من الأدلة والأمثلة الواضحة، فإذا غردت اليوم عن قضايا مكافحة الفساد فمن الممكن أن يكون مصيرك أن تذهب إلى تركيا! ومن خلال حديث المعارضة السابقة تبين بشكل واضح أن حجم الفساد الذي كشفوا عنه قليل مقارنة بما اكتشف اليوم؛ فلا يوجد لدينا ضمانات لحماية المبلِّغ رغم وجود قانون لحمايته، لكنه غير مفعَّل.

أضف إلى ذلك، إذا كنت اليوم في وزارة ما واكتشفت قضية فساد ثم ذهبت إلى الإدارة القانونية أو المسؤول أو الوزير فسيتم تشكيل لجنة تحقيق من داخل الوزارة نفسها، فحينما أعرف أن المسؤول أو الإدارة القانونية أو الوزير عبارة عن فريق واحد، وسوف يتم تشكيل لجنة تحقيق في الوزارة التي أنتمي لها؛ أبدأ أخاف على نفسي، فالخصم هو الحكم! فالإدارات القانونية ببعض الوزارات في بعض الدول تكون تبعيتها لهيئة مكافحة الفساد وليس للوزير أو الوزارة.

مشكلتنا الرئيسة اليوم مع مجلس الأمة أنه فقد هيبته والناس مستاؤون من العمل السياسي

هناك مزاجية من قبل مكتب المجلس في اختيار القوانين التي تعرض عليه

● هل أصبح الإصلاح مطلباً بعيد المنال؟

– الإصلاح ممكن إذا كنا صادقين كشعب وكنشطاء سياسيين؛ فالكويت اليوم تمر بأزمة اقتصادية غير عادية؛ فالميزانية من عام 2000 إلى 2013م كانت بها فوائض مالية تقدر بـ50 مليار دينار كويتي، لكن في آخر 5 سنوات بسبب سوء الإدارة والفساد الذي نتحدث عن محاربته الآن تم صرف أكثر من 24 ملياراً لسد العجوزات خلال السنوات الخمس الماضية، والـ26 المتبقية لسد العجز الاكتواري في التأمينات، ودعم ميزانيات الدفاع والهيئات التابعة.

واليوم ونحن في الموازنة الثانية، أصبح العجز 14 مليار دينار، حسب تقرير «بلومبرج» الأخير، وقد حسبها على أسعار نفط تقدَّر بـ30 دولاراً للبرميل بعد أن كانت



55 دولاراً، وإيرادات الدولة 7.5 مليار دينار بعد أن كانت 14 ملياراً؛ أي أن الإيرادات لا تغطي نصف بند الرواتب والدعوم؛ فنحن اليوم جميعاً لا بد أن نجلس لنرى شكل دولة الكويت فيما بعد النفط، وحقيقة نشعر أننا بدأنا هذه المرحلة ولا يوجد لدينا رؤية ولا إستراتيجية واضحة؛ فهل نحن دولة سياحية؟ وهل نحن دولة ستعتمد على الرياضة والإعلام؟ وهل نحن مركز تجاري ومالي، أم نحن محطة تجارية؟

● هل القطاع الحكومي مستقر في موضوع التركيبة السكانية؟

– مشكلة التركيبة السكانية قديمة، وأزمة فيروس «كورونا» بيَّنت أن هناك خللاً كبيراً من الممكن أن يهدد المنظومة الصحية والأمنية والاجتماعية والاقتصادية؛ فهناك مجموعة من الشباب قدموا مبادرة كاملة للحديث عن هذا الأمر، أساسها أننا مللنا من الشعارات؛ فوضعنا 8 مشروعات عملية لمعالجة خلل التركيبة السكانية، ونحن هنا نتحدث عن الجانب الاقتصادي، وهو أحد الجوانب المهمة من الخطة التي وضعناها؛ فحينما نتحدث عن مليون و700 ألف وظيفة في القطاع الخاص وعدد الكويتيين فيها لا يتجاوز 63 ألفاً فهناك مشكلة، نعم نحتاج إخواننا الوافدين في كثير من المهن التي لا يمتهنها الكويتي، وبعد البحث وجدنا أن من أصل مليون و700 ألف وظيفة في القطاع الخاص 428 ألف وظيفة يمتهنها الكويتي، سواء أكان محاسباً أم معلماً أم إدارياً، ونسبة الكويتيين الذين يشغلون هذه المهن لا تتعدى 13%؛ فما زال لدينا خلل حتى في هذه المهن؛ لأننا لم نهيئ بيئة عمل تجعل صاحب المؤسسة الكويتي يستقطب المواطن، ولم نهيئ المواطن الكويتي للعمل في القطاع الخاص؛ فلا توجد بيئة عمل مناسبة، وتبين هذا الأمر خلال أزمة «كورونا».

هل تعلم اليوم أنه لو قرر 20 ألف مواطن الخروج من القطاع الخاص إلى الحكومي؛ فستكون هذه تكلفة زائدة على الميزانية تقدر بحوالي 420 مليون دينار! فهناك أزمة حقيقية، ولا نتحدث اليوم عن الوافدين، فوطننا يسع الجميع، لكن نتحدث عن خلل موجود، واليوم الولايات المتحدة الأمريكية التي يتشدق البعض بديمقراطيتها بلد 330 مليون نسمة لديها سقف لعدد «التأشيرات» التي تقدم للعمالة من خارج أمريكا، لديها سقف 140 ألف وظيفة سنوياً، ونحن الكويت بلد الـ5 ملايين نستقدم 40 ألف وظيفة سنوياً! ولدى أمريكا «كوتا» 7% من العمالة، ونحن في الكويت لدينا 52% من الوافدين ينحصرون في جاليتين فقط!

الجميع يتحدث عن استشراء الفساد ومحاربته لكنه كلام إنشائي ولن تحل القضية بشعارات

تم صرف أكثر من 24 مليار دينار لسد العجوزات خلال السنوات الخمس الماضية

● هل تعتبر الخلل في التركيبة السكانية جريمة في حق الوطن؟

– نعم، لأنني أتفهم وضع الكويت كدولة صغيرة في هذه الإقليم الملتهب، وأتفهم أنها في بعض الأحيان تدفع مبالغ وتكلفة حتى تكوِّن نوعاً من العلاقات الخارجية المتينة، لكن في المقابل نريد أن نرى نتيجة على أرض الواقع؛ فاليوم في أزمة «كورونا» تحدثنا مع إحدى الحكومات لاستقبال رعاياها المخالفين للإقامة إلى أن تنتهي الأزمة فرفضت، وكان من الممكن أن يتطور الأمر إلى تهديد أمني؛ فاليوم سياستنا الخارجية يجب أن تكون مبنية على المراجعات وهو أمر يحتاج إلى وقفة.

وحينما أقوم بحرمان شباب الكويت اليوم من الدراسة في بعض الدول لأن جامعاتها سيئة وفقاً للتعليم العالي، وفي الوقت نفسه نستقدم عمالة بالآلاف من خريجي هذه الجامعات؛ فماذا نصنع بالكويت؟ فأنت تجامل على مصلحة الكويت والوطن والمواطن.

● ما الأمانة التي تحملها إلى مجلس الأمة؟

– مشكلتنا الرئيسة اليوم مع مجلس الأمة أنه فقَدَ هيبته، فالناس مستاؤون من العمل السياسي، ولا يريدون أن يذهبوا للتصويت؛ لأنهم فقدوا الأمل في المنظومة السياسية على مستوى الكويت بشكل كامل، والسبب الرئيس في إضعاف المؤسسة التشريعية هو مكتب رئاسة المجلس واللجان؛ لأن المكتب طرف في أغلب الصراعات التي تحدث داخل البرلمان، فلا يوجد استجواب ولا جلسة خاصة ولا قوانين إلا وهو طرف في هذا الصراع، رغم أنه ينبغي أن يقف على مسافة واحدة، ومع الأسف فمجلس الأمة فوَّض مكتب المجلس بتحديد أولويات القوانين والمقترحات التي تعرض على المجلس، وإلى اليوم لا أحد يعرف معيار هذا التحديد.

وعلى سبيل المثال، نجد أن جدول أعمال جلسة مجلس الأمة، يوم 15 سبتمبر 2020م، كان يشتمل على بعض القوانين، منها مقترح تعديل المحكمة الدستورية المتعلق بإبطال المجلس الذي وصل إلى المجلس 20 مارس 2018م، وإلى اليوم لم يناقش، وهناك اقتراحات بقوانين بشأن الرسوم والتكاليف (رسوم البنزين وغيرها)، وهناك قضية تهم الشارع الكويتي منذ 11 أبريل 2017م ولم تناقش، وهناك قانون بشأن فرض ضريبة على التحويلات المالية للوافدين منذ 17 أبريل 2018م، وتعديل قانون الجزاء المتعلق بالتغريدات من 15 مايو 2018م كل هذا لم يناقش، فعن أي أولويات نتحدث؟

ونحن تحدثنا عن قوانين الانتخابات، وهي من أهم القوانين التي وعد بها الناخب، وآخر القوانين التي نوقشت في اللجان هو مقترح النائب راكان النصف الذي قدمه في 2020/7/14م، ووافقت عليه اللجنة التشريعية في 2020/7/19م، وخرج من لجنة الداخلية والدفاع في 2020/8/13م، ووزع مع الجدول في 2020/8/18م، والمشكلة أن المقترحين الأول والثاني اللذين قدما في 2017/1/4، و2017/1/15م، وقدما إلى لجنة الداخلية والدفاع ما زالا موجودين في اللجنة؛ فما معيار الأولويات التي نتحدث عنها؟ (للعلم: تم فض دور الانعقاد العادي الخامس التكميلي من الفصل التشريعي الخامس عشر لمجلس الأمة اعتباراً من نهاية جلسة يوم الثلاثاء 3 ربيع الأول 1442هـ/ 20 أكتوبر 2020م).

فهناك مزاجية في اختيار القوانين التي تعرض على المجلس؛ فلا بد من إرجاع هيبة المجلس وبيت الشعب للشعب.■





شخصيات بارزة نعته: ناصحاً ومدافعاً عن المبادئ والقيم وقضايا أمته..

الكويت تفقد أحد رموزها الإعلامية والخيرية د. عصام الفليج

فقدت الكويت، يوم الثلاثاء 27 أكتوبر الماضي، رمزاً من رموز الإعلام والعمل الخيري والإنساني د. عصام عبداللطيف الفليج، عن عمر يناهز 59 عاماً بعد صراع مع المرض.

وقد نعته شخصيات بارزة، مستذكرة مناقبه ومآثره وجهوده الكبيرة في الإعلام والعمل التطوعي.

وقال رئيس جمعية الإصلاح الاجتماعي د. خالد المذكور: اللهم إنا عرفناه في الدنيا تقياً نقياً، باذلاً جهده ووقته وماله وقلمه في طاعتك ورفع كلمتك، مدافعاً عن شريعتك في صحته ومرضه، اللهم إنه كان لنا أخاً وصاحباً وصديقاً وزميلاً ورفيقاً؛ فألحقنا به في الصالحين، واجمعنا به في جنات النعيم، ولا تحرمنا أجره ولا تفتنّا بعده، اللهم اربط على قلوب زوجته وأبنائه وبناته ووالده وإخوانه وعائلته ومحبيه برباط الصبر والإيمان بقضائك وأجرهم بمصيبتهم.

وفي تغريدة، عبر حسابه على «تويتر»، تقدم رئيس مجلس الأمة مرزوق الغانم بخالص العزاء لعائلة الفليج لوفاة فقيدهم د. عصام الفليج، قائلاً: أحد رجالات الكويت الأوفياء الذي أفنى حياته في العمل الخيري ودعم المشاريع الخيرية.

وفي رسالة صوتية، نعى العلاَّمة الموريتاني الشيخ محمد الحسن ولد الددو، الفقيد، قائلاً: اللهم اغفر لأخينا د. عصام الفليج، وارحمه وعافه واعفُ عنه، وآجره من فتنة القبر ومن عذاب القبر وعذاب النار، اللهم وسِّع له في قبره، ونوِّر له فيه، واملأه عليه خضراً ونوراً وروحاً وريحاناً، واجعل قبره روضة من رياض الجنة، اللهم اكتبه في عليين، وارفع درجته في الصالحين، مصيبتنا وتعزيتنا واحدة ولا أراكم الله مكروهاً.

مثال للعطاء

وترحم النائب الكويتي محمد الدلال على الفقيد، قائلاً: رحل الرجل الحبيب الناصح المتواضع الكبير في أخلاقه.

وقال النائب الكويتي عبدالله الكندري: فُجعت بخبر وفاة د. عصام الفليج بعد معاناة وصراع مع المرض، عرفته صابراً محتسباً مثقفاً كريماً وسخياً، مدافعاً عن المبادئ والقيم الإسلامية والمجتمعية.

الأكاديمي بجامعة الكويت د. عبدالله الشايجي، كتب على صفحته في «تويتر»: رحم الله الصديق الخلوق د. عصام الفليج، عرفته دمث الخلق طيب المعشر ومخلصاً في عمله، كان يحرص، رحمه الله، على إرسال مقالاته الأسبوعية لي.

وكتب الفنان الكويتي عبدالعزيز المسلم: رحم الله الأخ الخلوق د. عصام الفليج، عرفته طيب القلب محباً لعمل الخير والأعمال الإنسانية، آخر مراسلاته لي يوصيني، رحمه الله، بإنتاج مسلسلات تراثية قيمية، وأهداني كتابه «لغرس القيم».

وقال مدير عام نماء للزكاة والتنمية المجتمعية بجمعية الإصلاح الاجتماعي سعد العتيبي: كان رحمه الله من رواد العمل الإعلامي القيمي، وله إسهاماته في العمل الخيري، قدَّم العديد من الاستشارات الإعلامية للمؤسسات، وهو كاتب صحفي له عمود ثابت يعبر فيه عن رؤاه وتطلعاته.

فيما قال الصحفي الكويتي سعد النشوان: فُجعت بنبأ وفاة أخي الغالي وأستاذي د. عصام الفليج الذي كان له الأثر الكبير في حياتي الصحفية والعملية، ولكننا في هذه الدنيا راحلون عند رب رحيم، وإنا لله وإنا إليه راجعون، رحمك الله د. عصام وجمعنا بك تحت ظل عرش الرحمن.

وقال د. طلال هادي، من مركز السلام بمدينة مونستر بألمانيا في حق الفقيد: رمز من رموز العمل الإسلامي والخيري بالكويت، وداعاً أخي الحبيب وركني الشديد، وداعاً يا صاحب القرآن التي لمساتك وبصماتك ما زالت متوالية لخدمة القرآن في ألمانيا خاصة وأوروبا عامة، عرفتك أخاً وحبيباً وصابراً وكاتباً، فتحت لنا قلبك قبل بيتك.

تتقدم «المجتمع» باسم رئيس تحريرها الأستاذ محمد سالم الراشد، وجميع العاملين بالمجلة، بخالص العزاء في وفاة نائب رئيس التحرير د. عصام عبداللطيف الفليج، سائلين المولى عز وجل أن يتغمده بواسع رحمته، ويسكنه فسيح جناته، ويلهم أهله وذويه الصبر والسلوان.■

وكتب عنه رئيس رابطة شباب لأجل القدس العالمية طارق الشايع: ما توقف لحظة عن نصرة قضايا أمته؛ باذلاً في العمل لها، وناصحاً ومرشداً لإخوانه وأبنائه، ومؤسساً للمشاريع الخيرية، وكانت قضية فلسطين على رأس القضايا التي عمل لها.

سيرة ومسيرة

ولد الفقيد، يرحمه الله، في مدينة الكويت عام 1961م، وحصل على البكالوريوس تخصص العلوم والرياضيات في جامعة الكويت، في يناير 1986م، وعلى الدكتوراه في الإعلام من جامعة صوفيا بجمهورية بلغاريا.

شغل عدة مناصب، أبرزها في اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية مديراً لإدارة الإعلام والعلاقات العامة، ثم مساعداً للأمين العام، ثم أميناً عاماً.

وكان نائباً لرئيس جمعية المنابر القرآنية، ثم أميناً للسر، وآخرها نائب رئيس تحرير مجلة «المجتمع».

وتعددت إبداعاته وتنوّعت، من تأليف للكتب، إلى إعداد وتقديم البرامج الإذاعية والتلفزيونية، والإشراف على العمل المسرحي، وكتابة المقالات الصحفية الهادفة، فضلاً عن جهوده في العمل التطوعي وتوثيقه للعمل الخيري والوطني.

وإذا أردنا أن نشير إلى جهود الفليج، يرحمه الله، في الدعوة إلى العمل الخيري وتشجيع الكويتيين على بذل أموالهم، فإننا نجده قد قام بالإعداد والتقديم والإشراف العام على البرنامج التلفزيوني «سفراء الخير»، الذي

يدعم العمل الإنساني والخيري للكويتيين من خلال إجراء اللقاءات التلفزيونية الحية مع شخصيات ورموز العمل الخيري الرسمي والأهلي في الكويت، كما ترأس تحرير مجلة تحمل الاسم نفسه «سفراء الخليج».

وفي إطار جهوده، رحمه الله، لدعم العمل الخيري كذلك، قام الفليج بتوثيق زياراته الإعلامية إلى كل من غزة المحاصرة، والصومال، فأصدر كتابيه «غزة رأي العين»، في أبريل 2010م، و«الصومال الآمن رأي العين»، في أكتوبر 2010م، وأصدر كتابه «فلسطين في كلمات سمو أمير دولة الكويت الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح»، في أبريل 2011م.

كما أبدع الفليج، يرحمه الله، فكرة إنشاء «لجنة تأهيل الخريجين لسوق العمل» في جامعة الكويت، حيث تقوم اللجنة بإعداد البرامج التدريبية التأهيلية المكثفة لخريجي الجامعات لتهيئتهم لسوق العمل.

وشملت جهود الفليج، رحمه الله، جانباً آخر بالغ الأهمية، يتمثل في توثيق أحداث الاحتلال العراقي الغاشم لدولة الكويت، حيث قام بجهود كبيرة في هذا الشأن، نخص بالذكر منها:

1 - إشرافه على إصدار سلسلة «قوافل شهداء الكويت الأبرار»، التي صدر منها ثماني قوافل باللغة العربية، وواحدة باللغة الإنجليزية.

2 - مشاركته الجادة في إعداد كتاب «الشهيد.. مثوبة ومكانة».

3 - إعداد كتاب «التكافل.. تاريخ وإنجازات»، الذي يسجل فيه دور لجنة التكافل في المقاومة الشعبية، وتثبيت المرابطين وخدمتهم أثناء الاحتلال الغاشم.

4 - إعداد كتاب «جنود الخفاء»، الذي يروي فيه إنجازات المتطوعين القائمين على المقابر والدفن فيها خلال فترة الاحتلال الغاشم في الفترة من 2 أغسطس 1990 حتى فبراير 1991م.

5 - إعداد «أجندة 2000م» بعنوان «ذكريات كويتية»، وكانت ذات طابع جديد ومتميز، وثقت أسماء الشهداء والأسرى، والأحداث التي جرت خلال فترة الاحتلال العراقي الغاشم لدولة الكويت.

6 - الإشراف على إصدار كتاب «شهداء الواجب».

7 - الإشراف العام على مسرحية «راجع» الخاصة بقضية الأسرى والمرتهنين والشهداء، التي عرضت في الكويت وبعض الدول العربية والأجنبية الأخرى، مثل الإمارات وبريطانيا، وأمريكا، حيث حضرها العديد من السفراء والدبلوماسيين والإعلاميين.

8 - الإشراف المباشر على إدارة وتنفيذ ثلاثين حملة إعلامية بخصوص قضية الأسرى، سواء في داخل الكويت أو خارجها.■



رحل في 14 نوفمبر 2016م..

هشام النصف.. الطبيب الإنسان المقاوم

هو أحد الذين كان لهم دور بارز في فترة الغزو العراقي الغاشم؛ حيث تحمل مسؤولية إدارة مستشفى الصباح، كما قام بدور مهم وهو علاج المصابين من أفراد المقاومة الكويتية وكبار السن في منازلهم.

المولد والنشأة:

ولد هشام نصف سلمان النصف بمدينة الكويت في العاشر من يوليو 1952م، وكانت نشأته في بيت العائلة بمنطقة شرق قرب ديوان ومسجد النصف.

تولى مسؤولية أسرته وإخوانه الأشقاء بعد وفاة والده وأخيه الأكبر، وكان عمره وقتها لا يتجاوز 9 سنوات، ولهذه المرحلة في حياته أثر كبير في تحمل المسؤولية مبكراً؛ فقد صقلت شخصيته وعجلت من نضوجه المبكر بين أقرانه.

وعُرف عنه بره الشديد بوالدته؛ حيث تولى رعايتها بعد وفاة والده، وحرص على القيام بدور الوالد والراعي للأسرة، وحتى في أثناء إقامته للدراسة خارج البلاد كان يشرف ويتابع والدته من غربته.

الحياة العلمية:

بدأت حياته التعليمية في المدرسة الشرقية؛ حيث درس المرحلة الابتدائية، وبعدها انتقل إلى مدرسة فلسطين بمنطقة الدسمة لدراسة المرحلة المتوسطة، ثم كانت المرحلة الثانوية في ثانوية كيفان.

بعد التخرج في الثانوية توجه للدراسة في جمهورية مصر العربية بكلية الطب بجامعة الأزهر، حيث نهل من العلوم الشرعية، وحفظ القرآن خلال السنة الأولى، ثم انتقل إلى دراسة الطب البشري وتخصص في الأنف والأذن والحنجرة.

وقد شارك في عدة مؤتمرات علمية حول العالم، كما شارك في عدد من الدورات التدريبية في تخصص الأنف والأذن والحنجرة.

العمل والمناصب:

بعد عودته من الدراسة في جمهورية مصر العربية عام 1978م بدأ العمل طبيباً عاماً في وزارة الصحة، وتدرب في مختلف التخصصات، حتى استقر به المقام متخصصاً في جراحة الأنف والأذن والحنجرة بمستشفى الصباح، ثم شارك خلال فترة عمله في عدة لجان ومشاريع طبية داخل الوزارة.

خلال فترة الغزو العراقي تحمل مسؤولية إدارة مستشفى الصباح، كما تطوع في علاج المصابين من أفراد المقاومة الكويتية وكبار السن في منازلهم.

صفاته وسماته:

تميز د. النصف، رحمه الله، بعدد من الصفات والسمات الحميدة التي عرفت عنه، مثل:

– الهدوء وقلة الكلام، وكان دائماً يحرص على اختيار أفضل الكلام.

– كان اجتماعياً يحب التواصل والزيارات الاجتماعية.

– كان يحب التطوع ويشجع عليه ويدعم النشاط التطوعي.

الوفاة:

توفي، يرحمه الله تعالى، يوم الإثنين 14 نوفمبر 2016م، بعد صلاة المغرب؛ حيث كان في ديوان العائلة مع عدد من أحبابه.

رحمه الله تعالى وتقبّله في الصالحين.■





مستقبل الكويت في العقد القادم

تعد الكويت من الدول المؤثرة بمواقفها الكبيرة وتحركاتها المتوازنة في محيطها الخليجي والعربي والإسلامي، والشواهد على ذلك واضحة لكل ذي عينين.

لكن في عالم يموج بالأحداث والتغيرات المتسارعة والمتلاحقة، تحتاج الدول إلى محطات مراجعة وتقييم من خلال دراسة الماضي والحاضر، والانطلاق منهما للمستقبل برؤية استشرافية تتصل بالعصر وتراعي الأصل.

ولما كان دور المؤسسات الإعلامية داعماً لمتخذ القرار ومساعداً له؛ صاغت «المجتمع» هذا الملف الذي سعت فيه إلى تقديم مقترح لدولة الكويت خلال العقد القادم، في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والتعليمية والفنية.. لتضعه بين يدي المسؤولين والقائمين على الأمر، سائلين الله عز وجل أن يكون فيه الكلمة الطيبة والفكرة المفيدة والعمل الصالح.

وقد تضمن الملف الموضوعات التالية:

- الاقتصاد الكويتي خلال العقد القادم.. رؤية استشرافية.
- غازي الرشيدي: إصلاح التعليم وتطويره بالكويت يحتاج لإرادة وإدارة.
- مساعد السعيدي: رؤيتنا للحالة السياسية الكويتية يملؤها الأمل ويحيط بها الحذر.
- إبداعات السينما الكويتية.. نبض الوطن والأمة واستشراف المستقبل.

الاقتصاد الكويتي خلال العقد القادم.. رؤية استشرافية



عبدالله السيف
مستشار اقتصادي

في إطار استشراف مستقبل دولة الكويت خلال العقد القادم في مختلف المجالات ومن بينها الجانب الاقتصادي، نسعى في هذه السطور رسم ملامح المرحلة القادمة خلال السنوات العشر القادمة، من خلال التعرف على مستقبل الكويت في ظل الاعتماد على النفط، وتحديد مكانة الصناعات النفطية على خارطة الاقتصاد الكويتي، وتأثير الترقي إلى مستوى الأسواق الناشئة لبورصة الكويت خلال السنوات القادمة، ومستقبل التصنيف الائتماني، وقيام مركز مالي في البلاد، والمتطلبات اللازمة لتطوير وتعزيز مكانة الكويت إقليمياً وعالمياً.

أولاً: مستقبل الاقتصاد الكويتي في ظل الاعتماد على النفط:

تتمتع دولة الكويت بالعديد من المميزات التي تجعل قصة نموها الاقتصادي على المدى الطويل جاذبة، وتضمن توقعاتها للاقتصاد الكويتي خلال السنوات العشر المقبلة مميزات بأن لها إستراتيجية ووضعاً ثقافياً حول العالم، ونمواً سكانياً كبيراً يسيطر عليه أغلبية من الشباب الواعد، ورغبة حكومية في تعديل التركيبة السكانية، وقطاعاً مالياً وخاصاً غير نام لديه فرصة للتوسع، ومن المتوقع أن تشهدً الكويت معدلات نمو اقتصادية قوية إلى حد ما في العقد المقبل، باستثناء العامين المقبلين بسبب تأثير النشاط الاقتصادي بأزمة فيروس «كورونا».

وهذا النمو سيكون مدفوعاً بالإصلاحات الهيكلية التي من المتوقع أن تنفذها، والمميزات الكامنة في الاقتصاد الكويتي، التي منها الاستقرار السياسي بعد الانتقال السلس للسلطة، وموارد الطاقة الهائلة -التي تضم الغاز والبترول- وموقعها الجغرافي الإستراتيجي.

وعلى المدى المتوسط، ستكون الاستثمارات في مجال الطاقة ومشروعات الحكومة هي المفتاح الرئيس الدافع للنمو، إلا أن معدل النمو من المرجح أن يتراجع على المدى الطويل، نتيجة عدة معوقات؛ منها عدم وجود مساحة كبيرة للقطاع الخاص، وانخفاض عدد الاندماجات في الكويت وأخذها وقتاً طويلاً، ولا تزال الفرصة قائمة أمام بيئة الأعمال للتطور.

وهناك حاجة لمزيد من الإصلاحات لكي تجلب الاستثمارات والعمليات التجارية ولدعم سوق العمل وتعديل التركيبة السكانية، وسيبقى النمو قوياً على المدى المتوسط، بفضل الاستثمارات القوية وتعافي بيئة الاستهلاك؛ حيث تعد دولة الكويت واحدة من أكبر 10 منتجين ومصدرين عالميين للسوائل النفطية، وتمتلك سادس أكبر احتياطي نفطي في العالم، ومنذ يناير 2016م كان لدى الكويت ما يقدر بنحو 102 مليار برميل من الاحتياطيات النفطية المؤكدة؛ أي حوالي 6% من إجمالي الاحتياطي العالمي، والسادس بين المنتجين على مستوى العالم.

ويعد القطاع النفطي أحد المحركات الرئيسة للنمو الاقتصادي في دول الخليج والدول المنتجة له، وتنبع أهمية هذا القطاع على المستوى المحلي باعتباره قطاعاً قائداً متشابكاً مع بقية القطاعات والصناعات في الاقتصاد المحلي، وله العديد من المساهمات في دفع النمو والتنمية الاقتصادية المستدامة، ودوره المحوري في التجارة الدولية باعتباره مصدراً رئيساً للدخل.

ويعد النفط سلعة إستراتيجية أساسية في الصناعة، وله أثر فعَّال على مختلف أوجه النشاط الاقتصادي المالي والمصرفي، ولديه درجة عالية من التشابك القطاعي بينه وبين كافة القطاعات الاقتصادية، لا سيما صناعة السيارات والبتروكيماويات والمشتقات النفطية، وصناعة الأدوية والملابس، وتشير التوقعات إلى أن الناتج المحلي الإجمالي النفطي لعام 2030م سيظل يمثل 25% فقط من القيمة الإجمالية للناتج المحلي الإجمالي.

وقد ساعد ارتفاع الإيرادات النفطية ودخل الاستثمار على تحسين الرصيد الكلي للسنة المالية 2017/ 2018م حتى حقق فائضاً يقدر بنسبة 8% من الناتج المحلي الإجمالي، وإلى قرابة 12% من الناتج المحلي الإجمالي في السنة المالية 2018/ 2019م، غير أن احتياجات تمويل المالية العامة -الرصيد الكلي باستثناء الدخل الاستثماري والتحويلات



الإلزامية لصندوق الأجيال القادمة- ظلت كبيرة عند مستوى 12.5% من الناتج المحلي الإجمالي في السنة المالية 2017/ 2018م.

ونظراً لتأخر المصادقة على قانون جديد للدين العام، لم تتمكن الحكومة من إصدار سندات دين منذ أكتوبر 2017م، ومن ثم اضطرت إلى السحب من أصول «صندوق الاحتياطي العام» للحصول على التمويل اللازم، بما في ذلك سداد الدين الذي يحل أجل استحقاقه.

ومن المتوقع أن تواجه الكويت ضغوطاً اقتصادية كبيرة على المدى الطويل، حيث يتراجع دخل صادراتها النفطية بسبب الحصة المتزايدة للغاز ومصادر الطاقة المتجددة في مزيج الطاقة العالمي، وتداعيات أزمة «كورونا»، والانخفاض الحاد في أسعار النفط؛ وهو ما يؤدي إلى انخفاض الطلب المتزايد وانخفاض الأسعار بالقيمة الحقيقية، ومع ذلك؛ فإننا نتوقع أن تكتسب خطط الاستثمار الطموحة التي طال انتظارها في قطاع النفط الكويتي زخماً متزايداً، مدعوماً في البداية بخطة التنمية طويلة الأجل للبلاد، ورؤية الكويت الجديدة 2035م، فضلاً عن زيادة اللجوء إلى الشراكات بين القطاعين العام والخاص.

ومع ذلك، ستمثل العقبات البيروقراطية وافتقار البرلمان للقدرة التشريعية قيوداً مستمرة، وعلى الرغم من انخفاض الأهمية النسبية، فإن إنتاج النفط سيستمر في تشكيل العمود الفقري للاقتصاد على المدى الطويل.

ومع الاستنفاد المستمر للحقول الحالية، سيتم الاستمرار في الاستثمار في توسيع إنتاج الغاز الطبيعي، بهدف زيادة الإنتاج المستدام للغاز غير المصاحب من حوالي 500 مليون قدم مكعبة/ يوم في الوقت الحالي إلى 2.5 مليار قدم مكعبة/ يوم بحلول عام 2040م، وتتوقع وحدة المعلومات الاقتصادية (EIU) أن يتوسع الناتج المحلي الإجمالي الحقيقي بمقدار متوسط سنوي 1.2% في الفترة من عام 2020 - 2030م، قبل أن يتباطأ إلى 1% في الفترة من عام 2031 - 2050م؛ نتيجة لاستمرار عدم الاستقرار السياسي في جميع أنحاء الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، كما أن البلاد عرضة للتباطؤ الاقتصادي العالمي، بسبب تأثيرها السلبي على الطلب على النفط وأسعاره.

ثانياً: هل للصناعات البترولية مكان في الخارطة الاقتصادية الكويتية؟

تعد مؤسسة البترول الكويتية الذراع التنفيذية لوزارة النفط الكويتية التي تتولى الإشراف على شؤون الثروة النفطية واقتراح السياسات العامة لها، كما تعتمد المؤسسة على تكامل شركاتها التابعة في تسيير أعمالها، وهو مكّنها من تخفيف اعتمادها على موردين آخرين غير تابعين لها، وهي واحدة من شركات النفط والغاز الرائدة التي لها تواجد في العديد من الدول؛ بداية من الاستكشاف والتطوير، ومروراً بالإنتاج

الاستثمارات بمجال الطاقة ومشروعات الحكومة ستكون المفتاح الرئيس الدافع للنمو على المدى المتوسط

النفط سلعة إستراتيجية أساسية في الصناعة وله أثر فعَّال على مختلف أوجه النشاط الاقتصادي المالي والمصرفي

والتكرير والبتروكيماويات، وانتهاءً بالتسويق والتجارة والشحن والنقل من خلال الشركات المملوكة لها.

وقد أنشئت مؤسسة البترول الكويتية في عام 1980م، وأصبحت واحدة من كبرى شركات النفط والغاز العالمية الرائدة التي تعمل في العديد من الدول، ويقوم نموذج عملها بشكل متكامل عبر 8 شركات مملوكة لها تتكامل فيما بينها، وتقوم بكافة الأعمال المتعلقة بهذا القطاع بداية من التنقيب، مروراً بالاستخراج وأعمال التكرير والإنتاج، ثم النقل والتسويق والبيع والتصدير.

وتتمتع مؤسسة البترول الكويتية بعدة مزايا؛ من بينها عمليات تجارية متكاملة لأنشطة الإنتاج والتصنيع المختلفة للنفط الخام والغاز، وتنوع المخرجات والمنتجات التي تطرحها المؤسسة إلى السوق العالمية؛ منها النفط الخام، والغاز المسال، ومنتجات بترولية مكررة، ومنتجات بتروكيماوية تامة، وقطع غيار ومواد ولوازم متنوعة، إلى جانب الخدمات المختلفة التي تؤديها المؤسسة بشكل متكامل حول قطاع النفط، كما تمكنت المؤسسة من فصل النفط الخام الخفيف عالي الجودة من وحدات الإنتاج الجوراسية وتصديره، ليضاف بذلك إلى المنتج الحالي المعروف بنفط الكويت، وتخطو دولة الكويت بذلك نحو تعزيز مكانتها كمزود رئيس للنفط الذي يعتمد عليه.



لدى مؤسسة البترول الكويتية خطة طموحة للاستكشاف داخل الكويت وخارجها بالشرق الأوسط والأقصى وغرب أوروبا وأمريكا

ولـدى المؤسسة خطة واضحـة طموحة للاستكشاف داخل دولة الكويت وخارجها في عدة دول بالشرق الأوسط والشرق الأقصى وغـرب أوروبـا والـولايـات المتحدة الأمريكية وكندا وأستراليا وفيتنام والنرويج والصين وأستراليا وباكستان والهند ودول أخـرى؛ حيث تتمتع المؤسسة بمكانة قوية في عمليات التنقيب والإنـتـاج، ولديها وجـود فـي جميع المناطق الرئيسة المنتجة للنفط، وتقوم بتشغيل محطات تحويل الـغـاز الطبيعي المسال من خـلال أسطول النقل ومحطات التكرير في جميع أنحاء العالم، وقد مكَّن ذلك من تأمين الـوصـول إلـى أسـواق الغاز في جميع أنحاء العالم.

ثالثاً: تأثير الترقي إلى مستوى الأسواق الناشئة لبورصة الكويت خـلال السنوات القادمة:

من شأن قبول الأسهم الكويتية في مؤشر «MSCI» القياسي للأسواق الناشئة أن يزيد من استثمارات المحفظة الأجنبية في البورصة المحلية، كما أن استكمال بيت التمويل الكويتي لأول اندماج إقليمي نادر في الكويت من شأنه أن يعزز مكانة قطاع البنوك في البورصة الكويتية، كما أن القواعد الجديدة بشأن حوكمة البنوك والتنظيمات تسهل إدخال مجموعة أوسع من المنتجات المالية فيها.

رابعاً: هل التصنيف الائتماني للكويت سيكون محل نظر في ظل إقليم ملتهب؟

أكـدت «ستـانـدرد آنـد بـورز» للتصنيف الائتماني تراجع النظرة المستقبلية للكويت من «مستقرة» إلى «سلبية»، وقالت: إنها تتوقع أن مصدر السيولة الرئيسة للبلاد (صندوق الاحتياطي الـعـام) لـن يكون كافياً لتغطية العجز لدى الحكومة المركزية، كما أن «رصيد» صندوق الاحتياطي العام كان يتناقص باطراد على مدار السنوات الثلاث الماضية، لكن هذه العملية تسارعت في الشهور الأخـيـرة بعد التراجع في أسعار النفط وتطبيق الكويت لاتفاق أوبك لخفض إنتاج النفط»، وتسحب الكويت من صندوق الاحتياطي العام لديها من أجل سد العجز، الذي تشير تقديرات صندوق النقد الدولي إلى أنه سيتجاوز 11% من الناتج المحلي الإجمالي هذا العام، مقارنة مع فائض 4.8% العام الماضي، وتوقعت وكالة التصنيف الائتماني أن يبلغ العجز بالكويت نحو 40% من الناتج المحلي الإجمالي في السنة المالية 2020م، وذلـك بارتفاع نسبته 10% مقارنة بتقديراتها العام الماضي، وتوقعت ألا يكون صندوق الاحتياطي العام قـادراً وحـده على تمويل عجز بهذا الحجم.

وقالت «ستاندرد آند بورز»: إنه في ظل عدم وجود إجـراءات أخرى، فإن الاستنزاف التام لصندوق الاحتياطي العام قد يؤدي إلى ضغط قاس للموازنة بالنسبة للكويت؛ ما قد يدفع إلـى تعديل غير منضبط للإنفاق في وقت يضعف فيه الأداء الاقتصادي بالفعل.

وأمـام رفـض مجلس الأمـة إقـرار قانون الدين العام، ستظل أزمـة السيولة واللجوء إلى الاحتياطي العام وعدم وجود إجـراءات لخصخصة بعض القطاعات؛ سيظل ذلك هاجساً قـويـاً وداعـمـاً لتخفيض التصنيف الائتماني للدولة، إلا أن الأمـر الـذي يدعو للتفاؤل هـو الانـتـقـال السلس للسلطة في الـكـويـت، وضـــرورة فـتـح صـفـحـات جـديـدة للإصلاح الاقتصادي وتحسين العلاقة بين السلطتين التنفيذية والتشريعية في البلاد.

استكمال بيت التمويل لأول اندماج إقليمي نادر بالكويت سيعزز مكانة قطاع البنـوك في البورصة الكويتية

أمام رفض «الأمة» إقرار «الدين العام» ستظل أزمة السيولة واللجوء للاحتياطي هاجساً قوياً لتخفيض التصنيف الائتماني

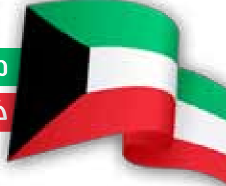
الاستثمار الحكومي بالتكنولوجيا وزيادة الاستثمار بالأمن السيبراني سيؤديان لتحسين بيئة الأعمال

خامساً: هل من المتوقع أن تكون الكويت فعلاً مركزاً مالياً؟

يتوفر في الكويت عناصر قيام مركز مالي إقليمي، حيث إن لديها جهازاً مصرفياً ومالياً متيناً بعد سلسلة إجراءات لتحسينه وتطويره واستيعاب آثار الأزمة المالية العالمية في عام 2008م، حيث بات القطاع المالي قوياً، كما أنه يملك قاعدة لاعبين مرموقين، وعدداً كبيراً من الشركات المدرجة يتمتع فيه التمويل الإسلامي بمكانة متميزة، وكـان الانضمام مؤخراً إلـى المؤشرات العالمية الدولية مؤدياً إلـى تعميق بورصة الكويت؛ حيث نفذت بورصة الكويت تحسينات فنية كبيرة في السنوات الأخيرة، مثل تمديد دورة التسوية إلى 3 أيام وتطوير سلسلة من المؤشرات الجديدة؛ مما يساعد على جذب المستثمرين الأجانب، وقد أضافت «FTSE-Russell» الـكـويـت إلـى مؤشرها للأسواق الناشئة في عام 2018م.

وبالمثل، أعلنت «MSCI» في عام 2018م قرارها بالقيام بالشيء نفسه، لكنها أرجأت التنفيذ إلى نوفمبر 2020م بسبب الوباء، ولولا الأثر المزدوج لأزمة «كورونا» وانخفاض أسعار النفط لتطورت السوق بشكل أسـرع، إلا أن الأمر يحتاج إلى دفعة قوية من الإصلاحات وزيـادة عـدد الأدوات المالية والاستثمارية في السوق المالية، ومزيد من الانفتاح على الأســواق الـعـالمـيـة وتـشـجـيـع الانـدمـاجـات ومشاريع الشراكة والخصخصة لخلق كيانات عملاقة قادرة على المنافسة الدولية وتقليص مستويات الـبـيـروقـراطـيـة وتخفيف العبء التنظيمي الحكومي فـي أسـواق المنتجات والائتمان والعمل.

إن الإسـراع بتنفيذ مشروع بوابة شمال الخليج كمخطط جديد لتنمية شمال الكويت غـيـر المستغل الـذي يشتمل عـلـى مخطط اقتصادي وتـجـاري بمساحة 250 كيلومتراً مربعاً، يستوعب ما يصل إلى 700 ألف نسمة، وفي عام 2018م وقعت الحكومتان الكويتية والصينية مذكرة تفاهم للتعاون لتطوير مدينة الحرير، ومنذ ذلك الحين نما التعاون الثنائي بينهما؛ حيث ستساعد الاستثمارات الصينية والروابط العراقية على تنمية الشمال، كما أن الاستثمار الحكومي في التكنولوجيا، وزيادة الاستثمار في الأمن السيبراني من قبل كل من الحكومة وشركات القطاع الخاص الكبرى سيؤديان إلى تحسين بيئة الأعمال والإسراع بقيام مركز مالي إقليمي واعد.■





«كنا نملك منظومة اقتصادية سليمة وصحيحة وواعـدة، وكانت مدرسة تُدرّس على مستوى العالم..»، بهذه الكلمات تحدث الخبير المالي الكويتي نايف العنزي عن قوة الاقتصاد الكويتي في الماضي، لكنه يرى أن هذه الحال تغيرت كثيراً في الحاضر.

ويرى الخبير المالي، في الحوار الذي أجرته معه «المجتمع»، أن الحل يكمن في وجود رؤية واضحة، ووضع الرجل المناسب في المكان المناسب، ومجابهة الفساد بكل قوة.

الخبير المالي نايف العنزي لـ«المجتمع»:

الاقتصاد الكويتي يعاني من افتقاد الرؤية وشبكات الفساد والاستعانة بغير المؤهَّلين

حوار- سعد النشوان:

• بداية، لو تعطينا لمحة عن الاقتصاد الكويتي، هل هو متين؟ وعلى ماذا يعتمد؟

- مرّ الاقتصاد الكويتي بمراحل عديدة، فمنذ نشأة الدولة الحديثة، وهو يمر بتطورات من اقتصاد مبتدئ إلى اقتصاد ريادي، ووصلنا إلى مرحلة أن الاقتصاد الكويتي أو القائمين على الشأن الاقتصادي أسسوا مدرسة اقتصادية أو فكراً اقتصادياً، لم يكن معهوداً في العالم أجمع، والدليل أنه عندما بدأت الكويت في تصدير النفط، وأصبح أحد أهم وأكبر مصادر الدخل للدولة، فكّر القائمون على الاقتصاد آنذاك في تفعيل منظومة لهذا الاقتصاد، والانتقال من الاقتصاد القديم إلى الحديث، الذي تعتمد فلسفته على أن النفط أصل من أصول الدولة، والنفط الذي يخرج من الأرض لا يعتبر مجرد ربح تستفيد منه الكويت وكفى، بل يجب أن يكون أصلاً من أصولها وتستفيد من عائداته واستثماراته.

كان سمو الأمير الراحل الشيخ جابر الأحمد، رحمه الله، مدرسة اقتصادية فذة في الاقتصاد العالمي الحديث، وهو من قاد هذه العملية الاقتصادية الجريئة، حيث قام بتحويل الكويت من دولة تعتمد في مواردها على تصدير النفط فقط، إلى دولة تستثمر العوائد النفطية؛ مما يدر عليها دخلاً كبيراً، مع عدم المساس بالأصول النفطية الثابتة والأساسية، والاستفادة من عوائده الاستثمارية.

وقد بدأ سمو الأمير الراحل الشيخ جابر، رحمه الله، بتحويل كل عوائد النفط إلى صناديق سيادية، بحيث لا يتم صرف فلس واحد من الأصول، بل يتم الصرف من العوائد فقط، ويتم استثمار هذه الأموال في الصناديق السيادية، ومن عائدات هذه الاستثمارات يتم الصرف.

وفي بداية السبعينيات من القرن الماضي، كان 65% من الناتج القومي أو ميزانية الدولة يأتي من عوائد الاستثمارات (الصناديق السيادية) سواء المحلية أو الخارجية، فالأصول تبقى ثابتة، والإنفاق يتم من العوائد الاستثمارية، أما اليوم فنحن نعاني من العجز والتضخم، والتفكير في الديون.

فالأموال التي كانت تجنيها الكويت من وراء تصدير النفط كانت تدخل على الصناديق السيادية باعتبارها من الأصول الثابتة.

ومع مجيء الاحتلال العراقي الغاشم توقف إنتاج البترول، ولم يعد هناك تصدير للنفط، والتصنيف الائتماني للكويت خلال هذه الفترة (7 أشهر) لم يتغير ولم يتبدل، حتى على المستوى الاستثمار المنخفض أو غيره.

• مصاريف الدولة أيام الغزو، هل كانت من الصناديق السيادية؟

- الدولة عليها التزامات، مثل الرواتب التي كانت تأخذ جزءاً كبيراً من الميزانية، علاوة على مصروفات أخرى تتكبدها الدولة، مثل مصاريف الجيوش والتسليح وغيرها من الالتزامات، في ظل توقف الإنتاج والتصدير للبترول الذي استمر 7 أشهر أثناء الاحتلال، و7 أشهر أخرى للقيام بعمليات إطفاء آبار البترول المشتعلة، وبعد إطفاء آبار البترول، احتاج الأمر إلى 5 أشهر أخرى لإصلاح تلك الآبار وإعدادها للإنتاج ومن ثم التصدير، وكانت أول شحنة للتصدير قدرها 300 ألف برميل.

ومع ذلك، فميزانية الكويت لم تتأثر،

والتصنيف الائتماني لم يتأثر؛ فالكويت مستقرة من كل النواحي، سواء الاقتصادية أو السياسية وغيرهما.

وكنا نمتلك منظومة اقتصادية سليمة وصحيحة وواعدة، وكانت مدرسة تُدرَّس على مستوى العالم، إلى درجة أن الصناديق السيادية الكويتية كانت في المرتبة الأولى على العالم أجمع.

واليوم الكويت تحتل المركز الخامس عشر أو السادس عشر على العالم، والصناديق السيادية لم تعد تحقق الأرباح التي كانت تحققها من قبل، و99.9% من الميزانية الكويتية تأتي من شركة نفط الكويت؛ يعني من بيع النفط الخام، وأي استثمارات في الوقت الراهن تتعرض لخسائر متتالية.

● ما أسباب هذه الخسائر؟

– لا توجد رؤية واضحة، وأنا لا أتهم الذمم، فالاتهام خطير جداً، ولكني أعتقد أن الخسائر ترجع إلى سوء الإدارة، وعدم المتابعة الصحيحة، وعدم وجود أشخاص مقتدرين على إدارة الاقتصاد الكويتي، وعدم وضع الرجل المناسب في المكان المناسب، ووضع أناس أصحاب مصالح وغايات ولهم أجندات خاصة، سواء حزبية أو عائلية أو أسرية، وبالتالي كانت النتيجة تعرّض الاستثمارات الكويتية لخسائر كبيرة.

وهناك وزراء مالية متعاقبون تحدثوا عن وجود عجوزات مالية، أثرت في الرواتب.

● هل هذا الكلام حقيقي؟

– هم يؤكدون ذلك، وبالتالي هذا الكلام حقيقي، تصور لو أن النفط هبط سعره إلى أقل من 20 دولاراً، فسيكون هناك عجز كبير جداً في الميزانية.

الكويت تمتلك مخزوناً نقدياً واستثمارياً عالياً جداً، لكن السؤال المطروح: هل الدولة تسير في خطوات اقتصادية صحيحة؟ أين كنا في الماضي؟ وأين نحن اليوم؟ هل الاستثمارات التي كنا نستثمر فيها بالماضي هي ذاتها الاستثمارات التي نستثمر فيها اليوم؟ بالتأكيد لا، فـ«روتردام» تم تصفيتها وبيعها، و«بروتش بتروليوم» تم تصفية الحصة وبيعها، وحصة الكويت في «بيوينج–إيبرباص» تم تصفيتها وبيعها، وحصة الكويت في «دملر بنز» تم تصفيتها وبيعها، وكل فندق اسمه «هيلتون» في العالم كان مملوكاً للكويت، أما اليوم فقد تم تصفية هذه الشركة.

الكويت تمتلك مخزوناً نقدياً واستثمارياً عالياً جداً لكن هل الدولة تسير في خطوات اقتصادية صحيحة؟

الحلول تحتاج إلى قرار ولكنه مُزعِج لمنظومات الفساد وبالتالي لا يوجد هذا القرار

● من المستفيد من وراء ذلك؟

– القائمون على شأن الفساد، ومنظومة الفساد، واليوم لا توجد رؤية اقتصادية للكويت، مع أن الأمير الراحل الشيخ صباح الأحمد، طيب الله ثراه، وضع رؤية ممتازة وواضحة لكي تصبح الكويت مركزاً مالياً وتجارياً، وسموه تكبد عناء السفر لدول متعددة منها الصين وألمانيا وغيرهما، من أجل التعاون في مجالات مختلفة أبرزها التعاون الاقتصادي، وبهذا وضع الخطوط العريضة للتعاون مع تلك الدول، ولكن السؤال: من الذي يتابع وينفذ هذا التعاون؟ وهل قام القائمون على الاقتصاد الكويتي بواجبهم في المتابعة؟

● بخصوص تجميع مصادر الدخل، نحن نمتلك منظومة اقتصادية كبيرة وهي موجودة وقديمة، فلمَ لا نقوم باستثمار ما هو موجود بالفعل لتحقيق طفرة اقتصادية كبرى؟

– نحن في حاجة إلى أناس مناسبين

بعض قوانيننا إلى الآن تتحدث بـ«الروبية» وحتى يخرج القانون يحتاج إلى عامين في دهاليز مجلس الأمة!

مع إنشاء مجلس اقتصادي يكون القائمون عليه من أصحاب الكفاءات الشرفاء غير المحسوبين على أحد

في الأماكن المناسبة، والاقتصاد يحتاج إلى فكر، ولا يحتاج إلى واسطة أو محاباة كما هو موجود، نحن نتحدث عن منظومة اقتصادية، وأجهزة تدير الشأن الاقتصادي؛ فاليوم ليس لدينا رؤية أو خطة اقتصادية، حتى البرنامج الحكومي لخمس سنوات، ليس فيه رؤية اقتصادية واضحة، هل يعجبنا وضع عاصمة الكويت الحالي، وهي الدولة الغنية ذات الإمكانات الضخمة؟!

● ماذا عن الدور التشريعي لمجلس الأمة في هذا المجال؟

– لا يوجد دور تشريعي للمجلس؛ فاللجنة المالية فيه إنجازها صفر، حيث اجتمعت 4 مرات، منها مرتان لم يكتمل النصاب فيهما، وفي النهاية النتاج صفر.

● ماذا تتوقع في المرحلة القادمة؟ وهل يصل الأمر إلى الإفلاس؟

– تصريحات المسؤولين عن الاقتصاد الكويتي يقولون ذلك، والمشكلة أن المسؤول يصرّح ويظل في مكانه، فالمفترض أنه وضع يده على الخلل، وبالتالي يستطيع أن يضع يده على الحل والعلاج، فإذا لم يكن لديه القدرة على الحل والعلاج، مثل الطبيب الذي يستطيع تشخيص حالة المريض، ولكن لا يملك العلاج اللازم الذي يقدمه للمريض، إذاً ما فائدة هذا الطبيب؟ كذلك الاقتصادي الذي يشخّص مواطن الداء والفساد ولكنه يعجز عن وضع الحلول المناسبة.

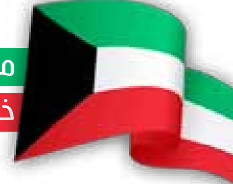
فأنا أمام أناس يستطيعون التشخيص، ويعجزون عن وضع الحلول، قد يكون عندهم حلول، ولكن الحلول تحتاج إلى قرار، والقرار مكلِّف ومُزعج على منظومات الفساد، وبالتالي لا يوجد قرار.

● ماذا عن المستقبل؟

– يجب أن نشير إلى مكان الخلل، ومكان الخلل هو الشعب؛ فالشعب هو من يأتي بالفاسدين، فماذا ينتظر منهم غير الفساد؟ ومن يزرع الشوك لا يحصد الورود، بل يحصد الشوك.

● لكن هناك منظومة مفروضة على الشعب، مثل نظام «الصوت الواحد»؟

– «الصوت الواحد» يستطيع أن يخرج لنا رجلاً صالحاً أو رجلاً فاسداً، فلماذا لا يخرج لنا الرجل الصالح، خصوصاً أن الأمر برمته متاح لنا وفي متناول أيدينا، ومع ذلك نختار الفاسدين أكثر من اختيارنا للصالحين.





• الحكومة تجبر الناس أن يذهبوا للشخص الفاسد من أجل تحقيق مصالحهم الخاصة، ما رأيك؟

– الحكومة تدفع في اتجاه منظومة الفساد، وهم جزء من منظومة الفساد، وحتى يستمر الفساد لا بد من الدفع باتجاه الفساد، فالفساد أصبح مؤسسياً منظماً، له أركانه وقياداته.

• هل تتوقع أن المرحلة الجديدة ستكون موجَّهة ضد الفساد؟

– يمكن هذا لو اختار الشعب نواباً حقيقيين، لديهم رؤية، وعندهم الخُلق والدين، فالحكومة تملك التنفيذ، لكن البرلمان يملك التشريع والمراقبة؛ فالبرلمان له ذراعان (المراقبة والتشريع)، أما الآن فالمجلس يراقب فقط مصالحه، وإذا نظرنا إلى التشريع لا نجد تشريعات صحيحة.

توجد أزمات اقتصادية تمر على العالم، مثل الأزمة المالية العالمية في عام 2008م، حيث تم انهيار الأسهم في العديد من الدول؛ فالعالم غيَّر خططه وقوانينه لتجاوز الأزمة عبر القائمين على المؤسسات التشريعية، فهم من يضعون الخطط والمسار ويراقبون تنفيذها؛ ففي أمريكا خلال 5 أشهر تم تغيير أنظمة وقوانين عديدة، وكان في الشهر الواحد يتم الإقرار والتبديل والتغيير مرات عديدة للأنظمة والقوانين، خاصة إذا كانت الدولة في أزمة وتحتاج للوصول إلى الأفضل.

هل نتصور أن بعض قوانيننا إلى الآن تتحدث بـ«الروبية»، وحتى يخرج القانون يحتاج إلى عامين في دهاليز مجلس الأمة، وقوانين هيئة سوق المال لم تخرج إلا بعد 4 سنوات!

• هل أنت مع إنشاء مجلس اقتصادي لمعالجة الخلل؟

– أنا مع إنشاء مجلس اقتصادي يكون القائمون عليه من أصحاب الكفاءات الشرفاء غير المحسوبين على أحد، وعندهم القدرة على إدارة الشأن الاقتصادي، ووضع الحلول، وإيجاد إبداعات جديدة.

نحن دولة أحادية الدخل، دولة ريعية تعتمد على النفط فقط لا غير.

• ألا توجد خطط لتنويع مصادر الدخل؟

– للأسف لا توجد خطة من هذا النوع على أرض الواقع، أما الخطط الإنشائية التعبيرية المنمقة فهي موجودة بالفعل، ولكن ليس لها صدى على أرض الواقع.

أي إصلاح اقتصادي يستطيع أي مواطن رؤيته دون الحاجة إلى خبير

• ما توقعاتك خلال العقد القادم، في ظل ما نراه من بعض التحركات في مواجهات الفساد التي تحدث الآن؟

– أتكلم بكل شفافية وصراحة، حين تنعكس معالم هذه المرحلة على أرض الواقع فمن اليوم الأول تستطيع أن تتنبأ بمصير السنوات العشر القادمة، وبسهولة جداً؛ لأن أي إصلاح اقتصادي تستطيع رؤيته بالعين المجردة دون الحاجة إلى خبير أو متخصص، يقول لك: إنه يوجد إصلاح أو لا يوجد.

هل يحتاج الإنسان لخبراء لكي يفرّق بين الليل والنهار، كذلك الاقتصاد وإصلاح الشأن الاقتصادي لا يحتاج إلى خبراء يقولون: إننا نتجه الاتجاه السليم.

الإصلاح الاقتصادي لا أحد يستطيع إخفاءه، أو يظهر عكسه، واليوم اسأل أيَّ إنسان في الشارع، ليس له دراية بالاقتصاد، عن الاقتصاد، سيقول لك: نحن نعاني، وعلينا ديون، والمعاشات لا تكاد تكفي، فهل هذا تذمر أم انتعاش أم انتكاس؟ بالتأكيد هو انتكاس.

فالإصلاح والقفزات الاقتصادية يشعر بها الناس جميعاً بصرف النظر عن مستوياتهم الثقافية، فلسنا بحاجة إلى خبير يقول لنا: إننا نمشي في الاتجاه السليم، بل نحن نرى القفزات والإصلاح بأنفسنا، لأنها أمور لا يستطيع أحد حجبها أو إخفاءها.

• هل يرجع ذلك إلى أن هناك تضخماً في الكويت؟

– كثير من الناس يقولون: إن الدينار هو أقوى عملة، لكنهم لا يفرّقون بين سعر العملة وقيمة العملة، فسعر صرف الدينار يساوي أكثر من 3 دولارات منذ عام 1970م، ولم يتغير، فالدينار من ناحية الصرف قوي، أما من ناحية القيمة الشرائية فقد ضعف، والدليل على ذلك أنه بعشرة دنانير كنت تذهب إلى الجمعية وتشتري نصف «عربانة»، واليوم تستطيع شراء سلعة أو سلعتين فقط بها، وذلك يرجع إلى ارتفاع نسبة التضخم، فنحن نعاني بالفعل من التضخم، وليس عندي أرقام عن نسب التضخم، ولكني أراها عالية جداً، ولا توجد أرقام رسمية، ولكن من واقع ما نشاهده عملياً، فإن الدينار قياساً على العقارات أرى أنه انخفض بنسبة 70%، وعلى مستوى المواد الاستهلاكية انخفض ما بين 35 و40%.

• هل تأثر المواطن العادي صاحب الراتب؟

– نعم تأثر، وهو في أزمة، وسببها العادات والتقاليد والأعراف الاجتماعية التي اختلفت، علاوة على القيمة الشرائية للدينار التي انخفضت؛ فقد دخلت علينا عادات جديدة، وأصبح رب الأسرة مثقلاً بالطلبات، خاصة في الزيارات العائلية أو المناسبات الاجتماعية المختلفة مثل الزواج والنجاح وغيرهما.

• هناك من يقترض لتلبية متطلبات هذه العادات، فما رأيكم؟

– هذا لا يصح، ويجب تجنيد وسائل الإعلام المختلفة للمساهمة في القضاء على هذه العادات؛ لأنها مرض خطير يجب التخلص منه، فهو ينخر في المجتمع، ويهدم الأسر، وهناك أسر لا تقوم بواجب الزيارات، وبالتالي لا يزورها أحد، والسبب أن الكثير من الأسر تعجز عن أداء متطلبات هذه الزيارات.

• ما أمنياتك للكويت في العقد القادم؟

– نحن تعوّدنا من أسرة آل الصباح الخير، فهي أسرة كريمة، والشعب الكويتي مجمع على هذه الأسرة، وأنا أعتقد بإذن الله تعالى، خصوصاً أننا أمام أمير التواضع، سمو الشيخ نواف أطال الله عمره، فهو رجل يملك كماً هائلاً من الحياء والخُلق، وأنا متفائل جداً بسموّه، وأسأل الله تعالى أن يهيئ له البطانة الصالحة والسديدة والراشدة التي تدله على الخير، وكذلك سمو ولي العهد الشيخ مشعل لديه من الحكمة والقوة والحزم والتواضع في كفتين متوازيتين، فهو حازم ومتواصل.■



د. غازي الرشيدي الرئيس السابق لمركز تطوير التعليم لـ«المجتمع»:

إصلاح التعليم وتطويره بالكويت يحتاج إرادة وإدارة

التعليم عماد نهضة الأمم، وسبب رقي الحضارات؛ ولذلك يجب أن يكون الارتقاء به وتطويره في مقدمة أي خطة تطويرية، وأن تفرغ له الكفاءات وترصد له الميزانيات.

في هذا الحوار، ذهبت «المجتمع» لأهل الذكر في هذا المجال، من خلال هذا اللقاء الذي اتسم بالشفافية والوضوح والموضوعية مع د. غازي الرشيدي، الأستاذ في كلية التربية بجامعة الكويت الرئيس السابق لمركز تطوير التعليم بالكويت.

● ما واقع جودة ومستوى التعليم في الكويت حالياً؟

– الحكم على مستوى التعليم ومدى جودته وكفاءته يجب أن يخضع إلى معايير دقيقة ومقاييس علمية واضحة، حتى لا يكون عرضة للاجتهادات والجدل الذي لا طائل منه؛ فنحن في الكويت لا توجد عندنا اختبارات معيارية وطنية محايدة، يتم إجراؤها من قِبل جهات مستقلة، بحيث تقيّم مدى جودة ومستوى تعليم أولادنا.

لذا، فالذي يحدث هو أن وزارة التربية هي الخصم والحكم، وهي التي تقيّم وهي التي تعلِّم، وهي التي تصدر الأحكام، وبذلك نجد أن هذا الأمر لا يتناسب مع العلمية في الطرح، وتجد أن أعداداً كبيرة من التلاميذ في المرحلة الابتدائية يحصلون على الامتياز، ومع ذلك نلاحظ معاناة الكثير من الأهالي في تدريس أبنائهم المهارات الأساسية، كما أننا نلاحظ تضخم درجات ونسب الطلبة في الثانوية العامة، وهناك أخبار عن عدم قدرة البعض منهم على إكمال دراسته الجامعية في دول الابتعاث التي أوفدوا إليها بسبب ضعف مستواهم التعليمي، ولذلك نحن نحتاج إلى اختبارات معيارية مقياسية، نستطيع من خلالها أن نحكم على جودة التعليم.

لكن بالنظر إلى توافر مجموعة من الأدلة على وجود خلل ما، هو مشاركة الكويت في الاختبارات الدولية في العلوم والرياضيات المسماة بـ«التمس»، التي شاركت فيها الكويت منذ العام 1995م، وإلى وقتنا الحاضر، وقد شهدت نتائجها تدنياً كبيراً في مستوى الطلبة، والسبب في ذلك يعود إلى أن هذه الاختبارات تركز على مهارات التفكير العليا، مثل التحليل والتركيب، وحل المشكلات، والتفكير النقدي، بدلاً من التدريس التلقائي، أو النمط التلقائي في التدريس في الكويت، الذي يعتمد في مجمله على التلقين، ولذلك لم يحالف التوفيق طلبتنا في هذه الاختبارات، وهذا مؤشر كبير على أن هناك إشكالية في مستوى التعليم في دولة الكويت، وإذا أخذنا مؤشرات عامة منه كما قلنا –مثل انتشار الدروس الخصوصية بأشكالها المتنوعة، من معلم خصوصي، إلى معاهد موجودة وبدأت تتوسع في المناطق السكنية، إلى غيرها من أشكال الدروس الخصوصية– لوجدنا أن هناك خللاً واضحاً في العملية التعليمية، يحاول أولياء الأمور أن يسدّوها من خلال الدروس التعويضية ما بعد الظهر.

● ما السبيل إلى إصلاح وتطوير منظومة التعليم؟

– إصلاح التعليم وتطويره في ظني إرادة وإدارة، وذلك من خلال عدة نقاط:

الأولى: يجب أن تكون هناك إرادة حقيقية، على مستوى الدولة، لإصلاح منظومة التعليم، يتم ترجمتها باختيار الأشخاص المناسبين، لتسلم ملفات التعليم الصعبة، دون أي محاولة انتقاء، أو اختيار من لا يتصف بمواصفات الشخص المؤهل.

الثانية: دعم تلك القيادات التي يتم اختيارها، دعماً قوياً وسياسياً، بحيث تقوم بمهمتها على أكمل وجه.

وزارة التربية هي الخصم والحكم والمعلم والمقيّم التي تصدر الأحكام

الثالثة: يجب أن تقدم تلك القيادات خطة علمية وعملية لإصلاح منظومة التعليم، بمعنى لا يتم اختيارهم إلا بعد مقابلتهم، وسؤالهم عن رؤيتهم في إصلاح منظومة التعليم، ثم بعد ذلك يتم السير في خطوات إصلاح وتطوير التعليم، وهي خطوات تحتاج أيضاً إلى فريق كفء، يعرف كيف يتعامل مع مراحل التغيير، وكيف يدير التغيير، بطريقة صحيحة، وأعتقد أنه ليس لدينا وقت يكفي، لذا يجب أن نسرع بعملية إصلاح وتطوير التعليم بطريقة جادة وحقيقية، وليست فقط بطريقة شكلية، ووفق الله الجميع.

● ما جهود وزارة التربية في إصلاح المنظومة التعليمية خلال السنوات الماضية؟

– الوزارة في الفترة الماضية، وبالتحديد خلال السنوات الخمس عشرة الماضية، ومن خلال مراقبتي لها، قامت بتجربة الكثير من البرامج والمشاريع التي أدخلتها تحت مسمى مشاريع تطوير التعليم، ولم تبخل الدولة على التعليم بميزانية تعزيزية بلغت 500 مليون دينار عام 2006م، تم رصدها فقط لتطوير العملية التعليمية، وقد باءت كثير من هذه الخطط بالخذلان والفشل، واستعانت الكويت بكثير من الجهات الخارجية لدعم مشاريعها، وكان آخرها مشروع المدارس الفاعلة التي أشرف عليها البنك الدولي، والذي كان من ضمنها أيضاً منهج الكفايات، وغيرها من الممارسات والتقييم الذاتي وغيرها من القضايا، ولكن من الواضح أن البيئة التعليمية في النظام التعليمي لا تساعد على نجاح هذه المشاريع التطويرية.■

مساعد السعيدي رئيس المكتب السياسي للحركة الدستورية الإسلامية (حدس) لـ«المجتمع»:

رؤيتنا للحالة السياسية الكويتية يملؤها الأمل ويحيط بها الحذر

أكد مساعد السعيدي، رئيس المكتب السياسي للحركة الدستورية الإسلامية (حدس)، أن دولة الكويت الآن لديها فرصة حقيقية لتطوير تجربتها الديمقراطية والتحول نحو شراكة حقيقية تؤسس لمسار ينعم به الجميع بالعدالة وعائد الثروة.

ودعا، في الحوار الذي أجرته معه «المجتمع»، إلى ضرورة الإنصات للشباب وتفهم تطلعاتهم واستشراف المستقبل معهم، مؤكداً أهمية توسيع مشاركة الشباب سواء في أطر الحركة أو على مستوى الدولة.

وحول الحركة الدستورية الإسلامية (حدس)، أكد رئيس مكتبها السياسي أن الحركة تيار متجدد في قياداته ورموزه، وتيار واع بواقعه، يمازج بين الفكرة والواقع، ولا يقف جامداً مع حرصه علَى الالتزام بمبادئه.



حوار- سعد النشوان:

● ما رؤيتكم للحالة السياسية في الكويت خلال العقد القادم؟

- رؤية يملؤها التفاؤل والأمل، وفي الوقت ذاته يحيط بها الحذر، نحن لسنا منفصلين عن العالم؛ بل نعيش في ظل صراعات ومنازعات تفرض علينا خطوات إجبارية تبدأ بتثبيت الوحدة الوطنية الحقيقية وحمايتها من الاستغلال السياسي والانتخابي وعدم تعريضها للاهتزازات.

نحن في الكويت وبفضل الله لدينا فرصة حقيقية لتطوير تجربتنا الديمقراطية والتحول نحو شراكة حقيقية تؤسس لمسار ينعم به الجميع بالعدالة وعائد الثروة، القرن الماضي كان قرن الحقوق، ويطلق على القرن الحادي والعشرين «قرن الإنسانية»، ولنا -ولله الحمد- السبق بهذه الروح الإنسانية التي تعد إحدى ركائز الدولة الإستراتيجية في تحقيق مكانة دولية، وهذا يتطلب أن نواكب أكثر المعايير الإنسانية، وأن تتطور بيئتنا السياسية نحو مزيد من الإصلاحات والمشاركة العامة وتعزيز الحريات وإشاعة الاستقرار والازدهار ومكافحة الفساد المالي والسياسي.

● أين موقع «حدس» من الخريطة السياسية في الكويت؟

- «حدس» حاضرة في المشهد السياسي، ولها صوت مسموع وتمثيل مقدَّر في مجلس الأمة والمجتمع المدني، ولها خطوط اتصال مع كافة القوى السياسية والاجتماعية والفاعلة في صناعة القرار السياسي.

يعتبر الكثيرون «حدس» من أكثر التيارات السياسية تماسكاً وتنظيماً، وهذه حقيقة ولله الحمد، والحركة الدستورية الإسلامية تيار متجدد في قياداته ورموزه، وتيار واع بواقعه، يمازج بين الفكرة والواقع، ولا يقفُ جامداً مع حرصه على الالتزام بمبادئه.

تتواجد «حدس» على مساحة انتشار تغطي كافة المحافظات والمناطق، ولها حضور إعلامي وسياسي، تشارك في إعمار الدولة وأداء الواجب الوطني في التنمية.

ما زال أمامنا شوط لم نقطعه بعد، ولدينا طموحات تتطلبها وجود بيئة سياسية يمكن أن يمارس فيها العمل السياسي وفق الأصول والاعتبارات المراعاة في كافة دول العالم؛ وهو ما يتطلب عملياً تقنين العمل السياسي لتقدير الأوزان الحقيقية لكافة الكتل والتيارات بدلاً من الفوضى التي يعيشها العمل السياسي دون قانون أو مأسسة.

● برأيكم، ما أهمية مشاركة الشباب في الحياة السياسية؟

يجب تعديل القوانين المقيِّدة للحريات وقانون الانتخابات وفتح صفحة جديدة بعودة الشباب والنواب المحكومين سياسياً

- يشكل الشباب في المجتمع الكويتي ما نسبته 72% لمن هم أقل من 35 عاماً، وفق معايير الأمم المتحدة، وهذه النسبة العالية التي تعد «هبة ديموغرافية» علينا جميعاً أن نتنبه لأهمية استثمارها واحتوائها وإتاحة المساحات اللائقة لاستيعابها وإدماجها في ورشة التنمية وإعمار الدولة.

وعلينا أن نكون أكثر إنصاتاً للشباب؛ نتفهم تطلعاتهم ونستشرف مستقبلنا معهم؛ لذلك نرى أهمية توسيع مشاركة الشباب سواء في أطر الحركة أو على مستوى الدولة، بالإضافة إلى أهمية تبني إستراتيجية وطنية للعمل التطوعي حتى يتعزز رأس المال البشري الإبداعي والاجتماعي.

● كيف تمثل الكويت حالة سياسية ناجحة؟

- هناك من يقارن التجربة الديمقراطية في الكويت بالحالة السياسية السائدة في المنطقة التي تضيق فيها هوامش المشاركة الديمقراطية، وهناك من يقارن تجربتنا بالنماذج العالمية التي قطعت أشواطاً متقدمة في استقرار تجاربها الديمقراطية.

بين هذه المقاربات يسود حوار بين الرضا بالموجود والرغبة في تحسينه وتطويره، وصولاً إلى انتقال مرحلي وجني ثمار هذا التحول الآمن نحو مزيد من الحرية والتنمية والمشاركة والحوكمة الرشيدة.

● من خلال وجهة نظركم، كيف يمكن تطوير الحياة السياسية في الكويت؟

- علينا اختصار الطريق على أنفسنا ومباشرة تقنين التعددية السياسية وإصدار قانون الجمعيات السياسية؛ فقد بلغ المجتمع درجة من النضج وبات أكثر قبولاً لها ورغبة في المضي فيها وهو ما أتوقع حسمه في دور الانعقاد القادم؛ فهو مفتاح التطوير لحياتنا السياسية، وبوابة إنعاش بيئة صحية يمكن أن يمارس فيها العمل السياسي بكل أريحية وفاعلية لإثراء تجربتنا الديمقراطية، وكذلك يجب تعديل القوانين المقيِّدة للحريات، وتعديل قانون الانتخابات، وفتح صفحة جديدة بعودة الشباب والنواب المحكومين بقضايا ذات طابع سياسي.

● هل الكويت مهيأة لإعلان الأحزاب خلال السنوات العشر القادمة؟

- بكل تأكيد نعم، لدينا أجيال متعلمة وواعية تدرك ما يعنيه تقنين العمل السياسي، وكيف تدير الدول المتقدمة شؤونها العامة، ولدينا جيل عايش التجارب العصرية في أسفاره وجولاته ودراسته، فتلمس عن وعي نتائج التجربة الديمقراطية الناضجة، وتبنى آليات الحكم الرشيد.

لن نعجز في الكويت بكل ما نملك من موارد بشرية من استلهام الممارسات الجيدة والسياسات المُثلى لمواءمتها مع واقعنا، والانتقال في خياراتنا الديمقراطية لمكانة أفضل بين دول المنطقة؛ فهي من أكثر نقاط التفوق التي تمنحنا الميزة التنافسية على من حولنا.



«حدس» حاضرة في المشهد السياسي ولها صوت مسموع وتمثيل مقدَّر بمجلس الأمة والمجتمع المدني

هناك قضايا ما زالت المواقف فيها متباعدة تحتاج إلى حوارات وطرح بدائل وخيارات للتقريب

ليس لدينا موقف مسبق من الدخول في الحكومة وكل مرحلة تتطلب إعادة تقدير الموقف واتخاذ القرار الأنسب

● ما أفق التعاون المأمول بين التيارات السياسية خاصة خلال العقد القادم؟

- أحد أبرز التحديات التي تواجه العمل السياسي فكرة «التنسيق» بين القوى والتيارات السياسية، هناك حد أدنى من الاتصال، لكنه لم يرقَ لمستوى التنسيق، فضلاً عن الوصول لحالة من التكامل الذي تفرضه الانعطافات والتحديات التي تواجه مجتمعنا.

في تقديري أن أحد إشكالات الوصول لحالة التنسيق المأمولة هي الثقة التي يتطلب تكريسها جملة من الاعتبارات؛ أهمها التوافق على أجندة وطنية للقضايا محل الاتفاق، وهناك ملفات فيها تباينات محدودة يمكن الوصول إلى تفاهمات حولها، وهناك قضايا ما زالت المواقف فيها متباعدة تحتاج إلى حوارات وطرح بدائل وخيارات للتقريب والتوفيق.

في كل الأحوال، لدينا إيمان راسخ بأهمية التعاون حتى وإن تعثرت فرص التلاقي الحقيقي في مرات سابقة.

● هل هناك نية لدخول المعارضة السياسية في الحكومة؟

- من السابق لأوانه الإجابة عن هذا السؤال، فليس لدينا موقف مسبق من الدخول في الحكومة؛ فكل مرحلة تتطلب إعادة تقدير الموقف واتخاذ القرار الأنسب لكل حالة، هناك سوابق عديدة لدخول المعارضة السياسية الحكومة، ويمكن الدخول إذا توافرت شروط نجاحها وفرص إنجاز إصلاحات حقيقية يأملها الشارع الكويتي ويتطلع إليها.

● كلمة أخيرة.

- ونحن نبدأ عهداً جديداً بقيادة سمو الأمير، وسمو ولي العهد، حفظهما الله تعالى، نتضرع إلى المولى عز وجل أن يوفقهما لخير البلد وأبنائه، ونحن مثل باقي أفراد الشعب نضع كل إمكاناتنا في سبيل نهضة واستقرار وأمن بلدنا الكويت.■

د. مصطفى عطية جمعة
أكاديمي وناقد وخبير تربوي



احتلت الآداب والفنون مكانة متميزة في نهضة الكويت الحديثة، التي بدأت في عقدي الخمسينيات والستينيات في القرن العشرين، وتتابعت منجزاتها لتصنع تراكماً وإبداعات ليست على المستوى المحلي ولا الخليجي فحسب، وإنما على المستوى العربي كله؛ فكانت نهضة سامقة، شارك فيها المواطن الكويتي، مع أبناء العروبة المقيمين داخل الكويت أو في أوطانهم، فملأت المطبوعات الصادرة عن الكويت أسواق النشر العربية، مُشكّلة القوة الناعمة للكويت التي مكّنت لها الصدارة في العالم العربي، وتبدت في إصدارات متميزة، مثل مجلتي «العربي»، و«الثقافة العالمية»، ودوريات «عالم الفكر»، وسلسلة كتب «عالم المعرفة»، مع عشرات الإصدارات والفعاليات الثقافية والفنية والفكرية، ناهيك عن ظهور مبدعين تألقوا في المسرح والدراما والفن التشكيلي.

إبداعات السينما الكويتية..

نبض الوطن والأمة واستشراف المستقبل

الإنتاج السينمائي الروائي تميز بتعبيره عن روح المجتمع المحلي وعدم التصادم مع هويته الخليجية والعربية

السينما الكويتية لم تأتِ تقليداً للسينما العربية أو العالمية بالإغراق في الرومانسية وإنما وثّقت حقبة ما قبل النفط

يتوجب علينا ونحن نستشرف المستقبل أن نعي تميز الكويت؛ الوطن والإنسان والفنان، وعطاءها الإبداعي والثقافي والفني، الذي لم يكن علامة أو محطة مضيئة فحسب، وإنما قدّم تراكماً نوعياً، ومثّل رؤية سامية لحسن الاستثمار الثقافي والفني، وكما يذكر محمد حسن عبدالله، فإن الكويت لم تكن الدولة الوحيدة التي تملك المال في العالم العربي، وإنما كانت الدولة التي وظّفت الدعم المالي خدمةً لنهضة ثقافية ومعرفية محلياً وعربياً، دون انكماش على أبنائها، داخل حدودها[1]، فتحققت لها الريادة في خدمة الثقافة والإبداع، وأسست قاعدة ثقافية وفنية، سترتكز عليها مستقبلاً.

لقد تكوّنت مبكراً بيئة حاضنة للإبداع السينمائي؛ مُشاهدَةً وتلقياً وتفاعلاً، تمثّلت في إنشاء صالات السينما، لعرض الأفلام العربية والعالمية، بالإضافة إلى الإنتاج المحلي الذي وإن قلّ نسبياً، إلا أنه جاء متميزاً، كاشفاً عن كوادر فنية ومواهب كثيرة.

ويبرهن الماضي والواقع على أنه لا يمكن النظر إلى المستقبل دون أن نضع صناعة السينما في اعتبارنا، فنتساءل: كيف يمكن إنتاج سينما تعبر عن هويتنا وذاتنا المحلية والعربية؟ وكيف يمكن استثمار طاقات صانعي السينما بوصفهم سينمائيي المستقبل، أملاً في إبداع سينمائي معبر عن الكويت شعباً وثقافة وهوية؟ وكيف يمكن

الاستفادة من تقنيات فيديو «الديجيتال»، بكل إمكاناتها من أجل منح السينما الكويتية نبضاً جمالياً ودرامياً؟[2]، ومن أجل توظيف أمثل لمواهب فناني الكويت، فلا نهضة دون إبداع وفن.

وكي نفهم تاريخ السينما في الكويت، لا يمكن الاقتصار على الأفلام الروائية الطويلة أو القصيرة، وإنما لا بد من شمولية الرؤية حول دور السينما في التوثيق والتوعية والتنوير، فقد عرفت الكويت السينما مبكراً -كما يشير عماد النويري- في العام 1946م، مع تصوير أول فيلم تسجيلي عن ضخ النفط من ميناء الأحمدي، وفي عام 1950م قامت دائرة المعارف (وزارة التربية الآن) بتأسيس قسم السينما والتصوير، وتمكنت من خلاله من إنتاج 60 فيلماً وثائقياً تعليمياً عن التعليم والصحة وغيرهما من أمور تتعلق بالحياة في الكويت، وفي عام 1964م تم افتتاح قسم السينما بـ«تلفزيون الكويت»، ثم مراقبة السينما عام 1981م بطاقة إنتاجية من 20 إلى 30 فيلماً في السنة[3]، ليتضح جلياً أن السينما وثّقت حركة النهضة والحداثة، واستمرت هذه الأفلام التوثيقية والتسجيلية إلى يومنا، مع تعدد جهاتها الإنتاجية، إما في المؤسسات الرسمية، أو بجهود السينمائيين الأفراد، أو بدعم من بعض المؤسسات الأهلية.

وفي العام 1954م، تأسست شركة السينما الكويتية التي أخذت على عاتقها إنشاء دور العرض السينمائي، وقد دأبت هذه الشركة على استيراد الأفلام العربية والعالمية، واضعة آلية للرقابة، تستبعد من خلالها الأفلام التي تخالف قيم الإسلام، وأخلاق المجتمع، أو تقدّم آراء سياسية أو عنصرية، وبذلك تحافظ على هوية المجتمع[4]، مما شجع الجمهور على ارتياد السينما، وإيجاد قاعدة جماهيرية ذوّاقة لإبداعات الشاشة الفضية العربية والعالمية.

السينما الروائية

أما الإنتاج السينمائي الروائي الكويتي، فقد تميز بتعبيره عن روح المجتمع المحلي، كما جاء غير متصادم مع هويته الخليجية والعربية، ورغم قلة الأفلام المنتجة منه، فإنها بمثابة المرآة المعبرة عن أجيال عديدة من السينمائيين الكويتيين، وعن مدى تفاعلهم مع قضايا المجتمع وهمومه وهويته، وهو ما اتضح جلياً مع أول الأفلام الروائية، وهو فيلم العاصفة (1964م)، للمخرج والإعلامي محمد السنعوسي، وهو مأخوذ عن قصة قصيرة بالعنوان نفسه للفنان عبدالأمير التركي، وقد نشرها في مجلة «هذا الأسبوع»، وحوّلها السنعوسي إلى فيلم روائي قصير أبيض وأسود مدته 27 دقيقة، وقد أدى عبدالحسين عبد الرضا دور الأب الذي عاصر أيام البحر، وواجه عواصفه، وقدم خالد النفيسي دور الابن، إلى جانب الفنان جوهر سالم، وفرقة حمد بن حسين البحرية، والفيلم يعبر عن معاناة الإنسان الكويتي الذي طلب رزقه في حياة البحر؛ الصيد والغوص على اللؤلؤ والتجارة، بكل ما فيها من مشقات.

وهنا نشدد على أن ولادة السينما الكويتية لم تأت تقليداً للسينما العربية أو العالمية، بالإغراق في الرومانسية، أو تقديم مجتمع يشابه المجتمع الأوروبي، وإنما سعت إلى توثيق حقبة ما قبل النفط، وتجربة الإنسان الكويتي فيها، وهو المسار نفسه الذي سار عليه المخرج الكبير خالد الصديق في فيلمه «بس يا بحر»، (1971م)، الذي هو علامة متميزة للغاية في السينما العربية،



فيلم «بس يا بحر» أبلغ رد على من ادَّعى أن السينما دخيلة على أبناء الخليج

ويكفي أنه ترشح للمنافسة ضمن فئة أفضل فيلم أجنبي في الدورة الخامسة والأربعين لجوائز «الأوسكار» الأمريكية، وكان أبلغ رد على من ادّعى أن السينما دخيلة على أبناء الخليج، ويعرض الفيلم حياة صيادي اللؤلؤ قبل النفط الذين يقضون شهوراً في عرض الخليج؛ حيث كانوا يكتمون أنوفهم قبل غوصهم بحثاً عن اللؤلؤ لمدة دقائق معدود، وهو ما يعرض حياتهم لخطر شديد.

جاء سيناريو الفيلم والتصوير والإخراج بإحكام شديد، وكانت المفارقة أن المخرج وضع ترجمة بالعربية الفصحى والإنجليزية لحوار الفيلم، فاللهجة الكويتية المستخدمة كانت شديدة المحلية في مفرداتها وتعبيراتها، الأمر الذي قد يجعلها عصية على الفهم للمشاهد العربي، بعكس ما نراه الآن، حيث أصبحت اللهجة الخليجية عامة واضحة مفهومة للجمهور العربي في مسلسلاتها وأفلامها، وهو منجز لا بد من البناء عليه، فيمكن تسويق الأفلام الكويتية عربياً، في ضوء أن اللهجة الخليجية عامة باتت مفهومة في أقطار العرب.

واستمرت مسيرة خالد الصديق، وظهرت عبقريته في فيلم «عرس الزين» (1977م)، المأخوذ عن رواية للأديب السوداني الطيب صالح، وقد فاز بالجائزة الكبرى في مهرجان باريس الدولي، وتدور أحداثه عن شاب سوداني نصف أبله، تعشقه نساء القرية في السودان، ويكرهه الرجال، وقد استطاع الصّديق التعبير عن الريف السوداني بكل تفاصيله، فجاء الفيلم معبراً عن اتساع نظرة المخرج الكويتي إلى الفضاء العربي، غير مقتصر على الخليج، وإنما ترنو عيناه للبيئة المحلية العربية.

بعد الغزو

ولا شك أن افتقاد الكويت للكوادر والدعم الممنهج والمستمر كان سبباً في قلة الأفلام الروائية الطويلة، ومع تتالي السنين، ظهرت أجيال جديدة -بعد الغزو العراقي الغاشم- من المبدعين السينمائيين، الذين بدؤوا حياتهم هواة، ثم سافروا إلى الخارج وتتلمذوا في الكليات والمعاهد، واشتركوا في إنتاج الأفلام، وقد ظهر إبداعهم واضحاً في الأفلام الروائية القصيرة، التي أبدعوا من خلالها، معبرين عن أحلامهم وتطلعاتهم،



وأيضاً التغيرات التي أصابت المجتمع الكويتي على مستوى العمران والوعي والتعليم، ونوعية التحديات والقضايا التي باتت تلحّ عليه، وهي هموم تخالف حقبة ما قبل النفط، أو البدايات الأولى لنهضة الكويت منذ نصف قرن، وهو ما يظهر جلياً في الأفلام القصيرة التي أبدعها المخرجون الشباب منذ منتصف التسعينيات، واستمرت إلى يومنا، وتناولوا فيها عشرات القضايا الاجتماعية والثقافية والفكرية.

ومن أبرز الأفلام المتميزة في العقد الأخير من القرن العشرين فيلم «السدرة» لوليد العوض، و«المهلب» لحبيب حسين، و«أهل الديرة» لإبراهيم قبازرد، و«بادية الصحراء» و«الطيور» لخالد النصر الله، و«الفجر الحزين» لعبدالرحمن المسلم، و«البقاء للصحراء» لطلال شويش، وهؤلاء واصلوا تعميق المسار عن الكويت القديمة؛ السور والبيوت والبشر، وأيضاً حياة الصحراء وأهلها وأحيائها، وكم كان رائعاً منهم مزجُ الدراما مع الوثائقي، والسرد مع البيئة الطبيعية، بحرفية فنية عالية المستوى! وقد واصل هؤلاء المخرجون تجاربهم، وبعضهم ينتمي للمسرح، وآخرون للتلفزيون.

وفي العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، تواصلت إبداعات الأفلام القصيرة، فأنجز عبدالله المخيال فيلماً عن البادية وعالمها بعنوان «في أثر أخفاف الإبل»، وظهر الجيل الجديد، الذي نهل من الإبداع القصصي الكويتي المكتوب، أو صيغت لهم سيناريوهات درامية من كتّاب السيناريو الجدد، تناولوا فيها مشكلات مجتمعية، وهموماً فردية، ومخاوف الحياة، فأبدع المخرج الصاعد وليد العوضي فيلميه «صمت البراكين»، و«أحلام بلا نوم»، ومعه المخرج جاسمٍ يعقوب في فيلميه «زين» و«احتضار»، وأيضاً زياد الحسيني في فيلميه «النقي» و«كما تخيلتم»، ومعه عبدالله بوشهري في فيلميه البديعين «بطل كويتي»، و«مهملات»، وحبيب حسين في فيلم «الملاذ الأخير»، ومثّل فيلم «زيت على قماش» للمخرج عامر الزهير تجربة مدهشة في المزج بين الفن التشكيلي والدراما.

وحملت لنا السنوات الأخيرة أسماء مهمة في سينما الأفلام القصيرة، من أبرزهم: يوسف المجيم في فيلمه «صورة جواز»، حيث يروي بشفافية بصرية حكاية شاب يسعى للحصول على صورة جيدة لجواز سفره وخيبة أمله المتكررة في الحصول على تلك الصورة التي يريدها، في دلالة على انكباب الذات على نرجسية وعزلة، ويبرز المخرج داود شعيل في فيلم «ضابط مباحث»، ليقدّم لأول مرة فيلماً بوليسياً شيقاً، أما المخرج مشعل الحليل فقد صوّر وقائع من المجتمع الكويتي، في تفاصيله اليومية كما في فيلمه «صالون رجال»، أما فيلمه «شاي حليب» فيأخذنا إلى حكاية أحمد الذي يبحث عن والده بعد اختفائه في ظروف غامضة ليكتشف ما لم يكن يتوقعه عن حياة الأب وتقلباتها، كما لمعت أسماء أخرى في عالم الإخراج من مثل أحمد الخضري، ومشعل المانع، وعبدالله الحنيان.

السينمائيون الشباب يصنعون أفلاماً متميزة ترفع اسم الكويت عالياً بالمهرجانات العالمية لكنها نخبوية الطابع

كويت الغد

في ضوء ما تقدم، نؤكد أن كويت الغد ستُبنَى على ما أنجزته كويت الأمس واليوم، ومن هنا تأتي أهمية ترسيخ الإنتاج السينمائي في الكويت، ليكون معبراً عن هموم الشعب وقضاياه، فلا يمكن التعبير عن مجتمع إلا بإبداع أبنائه، الذين عاشوا على ثراه، وتشرّبوا قيمه وتقاليده، وتفاعلوا مع أحداثه وتبدلاته، خاصة أن هناك كوادر كثيرة، تم إعدادها، ولها إنجازاتها الفردية في الأفلام المستقلة أو القصيرة، أو الدراما التلفزيونية الكويتية، التي هي متميزة خليجياً وعربياً.

وكما يقول المخرج داود الشعيل، فإن السينما الكويتية تحتاج إلى إيجاد بنية سينمائية تحتية، خاصة أن السينمائيين الكويتيين الشباب يصنعون أفلاماً متميزة، ترفع اسم الكويت عالياً في المهرجانات العالمية، ولكنها نخبوية الطابع؛ ولذا، فإن الكويت تفتقد إلى أفلام سينمائية، محبوكة في السيناريو، قليلة في التكلفة، لا تقلّد السينمات العالمية، ولا تمتاح من قصصها، وإنما تناقش قضايا المجتمع، وتعبر عن خصوصيته وهويته، فبعض الأفلام المنتجة حالياً أقرب إلى الحلقة التلفزيونية منها إلى السرد السينمائي في تقنياته، ولا بأس من إنشاء صناديق خاصة لدعم السينما[5]، تساهم فيها أجهزة الدولة ومؤسساتها، ولا بأس من دعم من شركات القطاع الخاص ورجال الأعمال.

ونقرر في هذا الشأن أن السينما صناعة معقدة تعتمد على روافد عديدة؛ تصوير وموسيقى وتمثيل وديكور وإخراج.. لذا فهي في حاجة دائمة إلى التمويل، خاصة أن الأفلام الجيدة تكلفتها عالية، ولا يمكن أن تغطي تمويلها السوق التجارية السينمائية، إلا في حالة تسويقها خليجياً وعربياً، وهي النقطة التي نؤكد من خلالها أن فضاء الحركة للسينما الكويتية هو الخليج العربي أولاً، بحكم تقارب اللهجة، وحب المشاهد الخليجي للفنانين الكويتيين، ثم المجتمع العربي ثانياً بكل أقطاره وشعوبه، فلا يمكن أن يظل المجتمع الخليجي معتمداً على استيراد الأفلام من الخارج، وإنما لا بد من وجود سينما خليجية، تساهم الكويت فيها بما لها من خبرات متراكمة، وتتضافر مع غيرها من بلدان الخليج ومبدعيه.■

الهوامش

(1) الكويت والتنمية الثقافية العربية، د. محمد حسن عبدالله، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، أغسطس، 1991، ص214.

(2) قراءة نقدية في أزمة السينما العربية، نديم جرجورة، في كتاب قضايا السينما العربية، سلسلة كتاب مجلة العربي، يوليو 2015، ص19.

(3) السينما في الكويت، عماد النويري، مطبوعات مهرجان الشرق الأوسط، أبوظبي، 2010، ص4 وما بعدها.

(4) السينما في الوطن العربي، جان الكسان، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1982، ص286.

(5) السينما الكويتية: تاريخ خجول وآمال جريئة، تحقيق صحفي، وكالة الأنباء الكويتية، 22/3/2017م.

https: //www. kuna. net. kw/ArticleDetails. aspx?id=2597475&language=ar



د. زيد الرماني

مستشار اقتصادي وأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

كيف تزيد مرتبك؟

الواقع أنه في 99% من الحالات لا يحصل الموظف على زيادة في مرتبه إلا حينما يستحقها، وليس المحسوبية أو الحظ كما يتوهم، وكلما أصبح التنافس بين الشركات قوياً؛ عمد مديروها إلى تطبيق القاعدة القديمة «حسِّن عملك أو اعتزل».

أخي الموظف، فيما يلي نصائح تستطيع بواسطتها أن تتقدم في عملك وتوطد مركزك في مؤسستك:

إنَّ عدم التقدم في العمل وزيادة الأجر كثيراً ما يعود لعيوب في شخصية الموظف أو العامل، وقد لوحظ أنه حتى في المهن التي تقتضي مهارة فنية مثل الهندسة، فإن عدداً كبيراً من المهندسين الذين يشغلون أرقى المناصب، تأتي المهارة الفنية عندهم في المرتبة الخامسة من الصفات الست التي تكوّن شخصية العامل الممتاز؛ وهي: تحمس العامل للعمل كما لو كان عمله، والثقة بالنفس بغير غرور، وسرعة البديهة، وسلامة الحكم على الأشياء، واللباقة في الحديث، ودقة المواعيد، يضاف إلى ذلك الحرص على عدم ضياع أوقات العمل.

والمفروض أن الموظف يعطي الأجر عن عمل يوم كامل، ومن هنا كانت المكالمات الهاتفية الخاصة، وكتابة الرسائل الخاصة، وما إلى ذلك، من دواعي تزعزع ثقة أصحاب العمل في العامل، ولا يكفي أن تكون طيب السلوك مع رئيسك وحده، فإن السلوك الطيب نحو الآخرين وخاصة مع المرؤوسين من الصفات التي ترضي الرؤساء.

جاء في كتاب «كيف تكسب الثروة؟» لمؤلفه «دايل كارنيجي»: يقول رجال الأعمال: إن تسعة موظفين من عشرة يكتفون بأداء الأعمال المطلوبة منهم، ويضيقون ذرعاً بما يوكل إليهم من أعمال إضافية، فلتكن أنت الشخص الوحيد الذي يطلب أعمالاً أخرى، فذلك يهيئ لك فرصة طيبة لزيادة أجرك.

حاول أن تعرف تفاصيل عمل رئيسك المباشر حتى تتمكن من معاونته في أداء بعض أعماله، إنَّ رئيسك المباشر هذا يطمع أيضاً في الترقية وزيادة مرتبه، وقد تتوقف ترقيته على مقدرته على الاعتماد عليك في المهام المطلوبة منه، كي يتفرغ هو لأعمال أخرى.

حلِّل وظيفتك، وادرس أقسامها لتعرف أيها أصعب، وأيها يحتاج إلى دقة أكبر، وأيها يحتاج إلى سرعة، واعرف النواحي التي لا تجيدها ثم حاول أن تقوِّي نفسك فيها بكل ما تستطيع من وسائل، وحذار أن يطفئ حماسك هوان مرتبك، وأن تقول كما يقول بعضهم: إننا نعطي صاحب العمل ما يوازي الأجر الذي يعطيه لنا.

إنَّ صاحب العمل لن يزيد مرتبك ما لم يلمس بنفسه أنك تعطيه أكثر مما تأخذ منه، ثم إنَّ العجز عن التعبير عما يساورك من أفكار عقبة كبيرة في سبيل تقدمك في عملك، روِّض نفسك على الحديث حديثاً طبيعياً صريحاً بغير لعثمة أو تردد مع رؤسائك، وتدرب على كتابة محاضر وتقارير تنم عن ذوق وحسن اختيار للكلمات والعبارات، لهذا ينبغي أن تكثر من قراءة المجلات الثقافية والأدبية مهما كان عملك بعيداً عن النواحي الأدبية.

وكذلك ينبغي دراسة جميع المعاملات والرسائل والتقارير التي تمر بك خلال عملك، وليكن حديثك في الهاتف حديثاً لبقاً وصوتك بهيجاً ساراً، فلكي تشغل الوظائف الإدارية الكبيرة؛ عليك أن تعرف كيف تقنع الآخرين بأفكارك دون أن ترغمهم على قبولها بغير اقتناع، وأن توحي إليهم بالأشياء التي تريدهم أن يفعلوها دون أن تمليها عليهم.■

الكويت تنتفض: إلا رسول الله

«الخارجية»: ربط الإسلام بالإرهاب تزييف للواقع وتطاول على تعاليم شريعتنا السمحاء الرافضة للإرهاب

«الإصلاح»: إعادة نشر رسوم «شارلي إيبدو» المسيئة تعدٍّ على حُرمات الأنبياء الذين هم صفوة البشر

قسم التحقيقات بـ «المجتمع»

موجة غضب عارمة اجتاحت الدول الإسلامية بسبب تصريحات الرئيس الفرنسي «إيمانويل ماكرون» المسيئة للإسلام، وإعادة نشر الرسوم المسيئة للرسول صلى الله عليه وسلم، فيما ضجّت وسائل التواصل بدعوات لمقاطعة المنتجات الفرنسية، واتخاذ موقف عربي إسلامي ضد إساءات باريس للإسلام، وقد طالبت أوساط نيابية وسياسية كويتية الحكومة باتخاذ موقف رسمي يصل إلى المقاطعة السياسية وسحب السفير الكويتي من باريس.



أجمعت الأوساط الكويتية على أن موقف فرنسا يمثّل إهانة مباشرة للعالم الإسلامي، لا سيما بعد تبنّي الرئيس «إيمانويل ماكرون» الرسوم المسيئة للرسول صلى الله عليه وسلم ونشرها في الميادين العامة، مشددة على ضرورة مواجهة السلوك الفرنسي.

وفي رد فعل سريع، أعلنت وزارة الخارجية أن دولة الكويت تابعت باستياء بالغ استمرار نشر الرسوم المسيئة للرسول صلى الله عليه وسلم، مؤكدة تأييدها لبيان منظمة التعاون الإسلامي الذي «يعبر عن الأمة الإسلامية جمعاء، وما جاء به من مضامين شاملة رافضة لتلك الإساءات والممارسات».

وحذرت الوزارة، في بيان، من مغبة دعم تلك الإساءات واستمرارها سواء للأديان السماوية كافة أو الرسل عليهم السلام من قبل بعض الخطابات السياسية الرسمية التي تشعل روح الكراهية والعداء والعنف، وتقوّض الجهود التي يبذلها المجتمع الدولي لوأدها وإشاعة ثقافة التسامح والسلام بين شعوب العالم.

كما حذرت من مغبة الاستمرار في دعم هذه الإساءات والسياسات التمييزية التي تربط الإسلام بالإرهاب؛ لما تمثله من «تزييف للواقع وتطاول على تعاليم شريعتنا السمحاء الرافضة للإرهاب، فضلاً عما تمثله من إساءة بالغة لمشاعر المسلمين حول العالم».

والتقى وزير الخارجية الشيخ د. أحمد الناصر، مع سفيرة فرنسا لدى الكويت «آن كلير لو جيندر»؛ حيث تم خلال اللقاء بحث تداعيات الجريمة النكراء التي راح ضحيتها أستاذ التاريخ في إحدى المدارس الفرنسية التي سبق أن أدانتها الكويت في حينها، حيث أكد الشيخ الناصر موقف الكويت الرافض للإرهاب بكل أشكاله وصوره.

كما أكد الوزير ضرورة وقف الإساءات للأديان السماوية كافة والأنبياء عليهم السلام في بعض الخطابات الرسمية والسياسية التي من شأنها بث المزيد من روح الكراهية والعداء والعنصرية بين الشعوب،

والتأكيد أيضاً على أهمية إشاعة ثقافة التسامح والسلام بين الجميع.

وشدد على رفض الكويت لأي سياسات من شأنها ربط سماحة الدين الإسلامي بالإرهاب والمساس بشريعتنا السمحاء.

علمانية متوحشة

ووصف نواب ومفكرون وناشطون كويتيون العلمانية الفرنسية بأنها أصبحت متوحشة، لافتين إلى أن «ماكرون» يتحدى المسلمين، وما يفعله رغبة في الإهانة وليس حرية، مشددين على ضرورة مواجهة هذه العنصرية ضد ديننا القويم بكل بحزم، وبالسبل السلمية.

فمن جانبه، استنكر رئيس مجلس الأمة مرزوق الغانم نشر بعض الصحف الفرنسية وغيرها رسوماً كاريكاتيرية مسيئة للرسول الكريم، ودعا الغانم، في تصريح صحفي، الحكومة الكويتية إلى استنكار الإساءات المقصودة لرموز الإسلام، والتحرك العملي ضمن المحيط الدبلوماسي لحظر الإساءة لكافة المعتقدات حول العالم.

وقال النائب في مجلس الأمة خالد محمد المونس: رئيس فرنسا أعلن عن سريرته القبيحة بخلطه الأوراق، وإصراره على عدم تخليه عن نشر الرسوم المسيئة لأشرف الخلق، بعد أن فقدنا الأمل في الحكومات العربية والإسلامية، على الشعوب أن تلقن هذا التطرف درساً بمقاطعة المنتجات الفرنسية.

وأكد النائب محمد الدلال أن العلمانية الفرنسية متوحّشة ولا تحترم الآخر، وتحث وتدعو إلى التعصّب والكراهية والعنف.

من جهته، قال النائب عبدالله فهاد: على قادة الدول الإسلامية أن يكونوا بقدر همّة شعوبهم، ويعلنوا مقاطعة فرنسا سياسياً واقتصادياً، فالتسامح والتصالح هنا يتوقّفان؛ لأن المسألة ليست مناكفة سياسية، بل ولاء وبراء.

كما شدّد النائب عبدالكريم الكندري على أنه لا بد من موقف إسلامي موحّد، يستنكر إصرار الرئيس الفرنسي على الإساءة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم بتبنّي نشر الرسومات المسيئة، وعلى «الخارجية» الكويتية إدانته رسمياً، لكونه يمثّل خطاباً داعياً للكراهية، ومساساً بعقيدة المسلمين.

جمعية الإصلاح الاجتماعي: عدوان سافر

أصدرت جمعية الإصلاح الاجتماعي بالكويت بياناً صحفياً استنكرت فيه الهجوم المتكرر على شخص النبي صلى الله عليه وسلم من فرنسا ورئيسها، وأكدت أن إعادة نشر رسوم صحيفة «شارلي إيبدو» المسيئة على مبنى في ميدان عام في فرنسا يعد تعدياً على حرمات الأنبياء الذين هم صفوة البشر، لا سيما خاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم الذي هو رحمة للعالمين، ورسول للبشر أجمعين، واستفزازاً لمشاعر المسلمين في كل أنحاء العالم، وتأجيجاً لمشاعر الكراهية.

وإزاء هذا العدوان السافر، دعت الجمعية الأمة لنصرة نبيها صلى الله عليه وسلم والغيرة على حرمته، وإبداء هذا الإنكار بكل الصور الحضارية المشروعة، والذود عن جناب نبينا صلى الله عليه وسلم، ودعت الشعوب الإسلامية أن يقفوا متحدين في التصدي لحملات الإساءة والتشويه لمقام نبينا صلى الله عليه وسلم، وسائر أنبياء الله تعالى.

كما دعت الجمعيةُ الحكومات والمنظمات الرسميةَ؛ كمنظمة التعاونَ الإسلاميَ، لاستنكار هذه الاستفزازات نصرة لمقام النبي صلى الله عليه وسلم، وحفظاً للتعايش السلمي، ودرءاً لخطاب الكراهية والعنصرية بين فئات المجتمعات في العالم، حسب بيان الجمعية.

كما أدانت الحركة الدستورية الإسلامية الكويتية (حدس) تصريحات الرئيس الفرنسي «إيمانويل ماكرون» حول تمسكه بالرسومات المسيئة للرسول صلى الله عليه وسلم، وأكدت أن الأفعال المسيئة تتطلب تنديداً ووضع حد لها، لا تشجيعاً على استمرارها.

وطالبت الحركة باستدعاء السفيرة الفرنسية لدى البلاد، كما دعت الجمعيات الخيرية إلى تكثيف جهودها الدعوية في الغرب من أجل التعريف بسيرة خير الخلق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.■

كما أوضح النائب السابق، أستاذ القانون في جامعة الكويت، د. عبيد الوسمي، أن تبنّي الرئيس الفرنسي الرسومات المسيئة للرسول صلى الله عليه وسلم وإعادة عرضها بميادين عامة يمثّل إهانة للإسلام، وتحدياً سافراً لمشاعر المسلمين حول العالم.

وطالب الوسمي منظمة المؤتمر الإسلامي باتخاذ موقف واضح حيال ذلك، وكذلك الدول الإسلامية التي يفترض أن تدعو لمقاطعة المنتجات الفرنسية، على أقل تقدير.

الدلال: العلمانية الفرنسية متوحّشة ولا تحترم الآخر وتدعو إلى الكراهية والعنف

العنزي: على قادة الدول الإسلامية أن يكونوا بقدر همّة شعوبهم ويعلنوا مقاطعة فرنسا سياسياً واقتصادياً

من ناحيته، قال النائب السابق عمار العجمي: إن الخطاب العنصري الممنهج ضد المسلمين الذي يغذيه سلوك الرئيس الفرنسي ومعاونيه، يستوجب حشد كل الجهود الرسمية والشعبية في العالمين العربي والإسلامي لمواجهته.

وقال النائب السابق صالح الملا: إن الإساءة إلى الرسول الكريم أو إلى أي من الرسل والأنبياء والأديان ليست من الليبرالية في شيء، مضيفاً أن النهج الليبرالي أساسه التعايش وقبول الآخر واحترام معتقداته، وزاد الملا أن كلمة الرئيس الفرنسي بشأن الرسوم الكاريكاتيرية المسيئة للرسول تمثّل دعوة للكراهية، وتحدّياً سافراً لمشاعر المسلمين في كل مكان.

كما رأى النائب السابق فيصل اليحيى أن عرض الرسوم المسيئة للرسول بميادين فرنسا لا يأتي في سياق الدفاع عن الحرية أو العلمانية، وإنما هو رغبة في الإمعان بإهانة المسلمين، ويقين بأن أنظمة الحكم العربية والإسلامية باتت غير مؤثرة أو متأثرة بهذا

الفعل، ولن تحرك ساكناً، وأن حركتها لن تتجاوز حدود رفع العتب، إلا ما رحم الله.

واعتبر أستاذ العلوم السياسية د. عبدالله الشايجي أن الرئيس الفرنسي «ماكرون» وجد ضالته للتكسب بمزايداته على اليمين المتطرف، وشيطنة الإسلام، والتضييق على مسلمي فرنسا وإغلاق جمعياتهم، واتهام الإسلام بـ«المأزوم» في كل مكان؛ من أجل التكسب السياسي بعد انهيار شعبيته!

وأكد أن إغلاق 365 مسجداً وجمعية إسلامية، واتهام الإسلام بالمأزوم في كل مكان، يعكسان حالة عنصرية وتسييس من رأس الهرم في فرنسا بشيطنة الإسلام وتعميق «الإسلاموفوبيا» والعداء للمسلمين وتسعير الشعبوية ضد مسلمي الغرب، وهم حسب دساتيرهم لديهم نفس الحقوق، لافتاً إلى أن مسلمي فرنسا يمثلون 10% من السكان! فلماذا لا نرى التوحش والممارسة العنصرية الفرنسية ضد الإسلام في حكومتي بريطانيا وألمانيا وغيرهما؟!

سلاح المقاطعة

وقالت الناشطة السياسية والتربوية والاجتماعية خولة العتيقي: إنه لا بد أن يكون هناك موقف موحد من الدول الإسلامية لمقاطعة فرنسا بأي شكل من الأشكال، مضيفة: فقد تجرأ الرئيس الفرنسي «ماكرون» على الإسلام والمسلمين، ولا بد من الرد عليه، وليكن في علمه أن مصالح بلده قد تتضرر إن استمر في عدائه للإسلام، وتابعت: لقد أثبت «ماكرون» أنه ليس بسياسي محنك، ولا يمتلك الحكمة ولا الحنكة السياسية للتعامل مع مشكلات بلاده حين يعادي نصف مواطنيه من المسلمين ومن يتعاطف معهم، ولعل ما يقوم به، بإذن الله، يكون لمصلحة الإسلام نفسه والمسلمين.

هذا، وقد أعلنت أكثر من جمعية تعاونية كويتية رفع جميع السلع والمنتجات الفرنسية من أسواقها والأفرع التابعة لها، يأتي ذلك فيما شهدت منصات التواصل الاجتماعي مطالبات بوقف استيراد البضائع والسلع الفرنسية إلى البلاد، ورفعها من الأسواق التجارية المركزية، وتم إطلاق أكثر من وسم، منها «إلا رسول الله»، و«مقاطعة المنتجات الفرنسية».

كذلك، قال اتحاد الجمعيات التعاونية



في الكويت: إنه بعد عرض الرسومات المسيئة للرسول في ميادين عامة بفرنسا، وإيماناً بالدور التعاوني الذي لا يتجزأ ولا يقبل القسمة على الثوابت الإسلامية، ومن منطلق المسؤولية المجتمعية لرؤساء وأعضاء مجالس إدارات الجمعيات، فقد قرر الاتحاد مقاطعة كافة السلع والمنتجات الفرنسية، ورفعها من كافة الأسواق المركزية والفروع التابعة للجمعيات.

وبحسب البيانات الرسمية الصادرة عن غرفة التجارة والصناعة الكويتية، يبلغ حجم التبادل التجاري بين الكويت وفرنسا ما يقرب من 21 مليار دولار، كما يستثمر الصندوق السيادي الكويتي أكثر من 6 مليارات دولار في فرنسا.

هذا، وقد استنكرت الجمعية الكويتية لحقوق الإنسان بأشد عبارات الاستنكار إعادة نشر الرسوم المسيئة للرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، ومن التصريحات التي تسخر من الدين الإسلامي التي صدرت ممن يدَّعون الحفاظ على قيم حقوق الإنسان واحترام مشاعر المجتمعات الإسلامية.

وأدانت الجمعية التصريحات الرسمية للحكومة الفرنسية التي تسيء لمشاعر مليار ونصف مليار مسلم حول العالم، وترى أن سياسة الرئيس الفرنسي «ماكرون» تجاه الترويج لنفسه تقوض الجهود الدولية الرامية للقضاء على جميع أشكال التعصب والتمييز

الوسمي: تبنّي الرئيس الفرنسي الرسومات المسيئة إهانة للإسلام وتحدٍّ سافر لمشاعر المسلمين

القائمين على أساس الدين أو المعتقد.

كما أدانت الجمعية أي دعوة إلى الكراهية الدينية التي تشكل تحريضاً على التمييز والعداء والعنف، ودعت المجتمع الدولي وكافة المنظمات الدولية والإقليمية والإسلامية والعربية للضغط على الحكومة الفرنسية لوقف هذه الإساءات لنبي الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم، والاعتذار عمّا أقدم عليه الرئيس الفرنسي من ترويج لخطابات الكراهية في الوقت الذي يعمل فيه العالم بكل طاقته لوقف مثل هذه الخطابات والحد من انتشارها.

وقالت: لقد أشعلت فرنسا ردود فعل غاضبة في العالم الإسلامي، وعليها أن تعتذر الآن عن تجاوزاتها وجرح مشاعر المسلمين حول العالم.

وفي السياق ذاته، أكدت الجمعية أنها تدعم حرية الرأي والتعبير، دون الإساءة والمساس بحقوق الآخرين، إذ إن تصريحات الرئيس الفرنسي «ماكرون» لا يمكن إدراجها ضمن حرية التعبير عن الرأي، بل ضمن استهداف المعتقدات والرموز الدينية، وفي ذلك انتهاك لحرية التعبير وتخطٍّ واضح لحقوق الآخرين في حماية مشاعرهم الدينية، ويخالف حكم المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان، الصادر يوم 25 أكتوبر 2018م، في قضية إساءة مشابهة، الذي أكد أن مثل هذه التصريحات «تجاوز الحد المسموح به في النقاش، وتصنّف كهجوم مسيء على رسول الإسلام، كما تعرّض السلام الديني للخطر».

يحض على الكراهية

وقد أعلنت جمعية الكاريكاتير الكويتية بياناً عن رفضها الكامل واستنكارها الشديد لما تم عرضه من رسومات مسيئة للرسول صلى الله عليه وسلم في فرنسا، مؤكدة أن ذلك يحض على الكراهية، ويمثل اعتداءً على مقدسات المسلمين ومشاعرهم.

وتشير الجمعية إلى أن ما حدث ليس له علاقة بحرية الرأي، لأنه عمل يسيء إلى الإسلام والديانات السماوية والرموز الدينية، ويعرقل طرق الحوار بين الأديان، وحرية الرأي مقننة ولا تمت بصلة للكراهية ضد الديانات والأفراد.

ودعت الجمعية إلى عدم رد الإساءات بالإساءة في مثل هذه التصرفات، مؤكدة

ضرورة وجود دور فعال للجانب الثقافي الإسلامي للوقوف على منع تلك التصرفات المشينة.

كما أعلنت جمعية الكاريكاتير وقف أي تعاون مع أي منظمة كاريكاتيرية بالعالم تنشر رسومات مسيئة إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم أو لرمز من رموز الإسلام، داعية الرسامين بالعالم إلى احترام معتقدات الآخرين ومقدساتهم.

من جهة أخرى، وقعت 37 من مؤسسات المجتمع المدني الكويتية على بيان إدانة، معلنة استنكارها الشديد لدعوة القيادة الفرنسية لتبني الرسومات المسيئة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم بحجة حرية التعبير، والإصرار على حماية المنهج الفرنسي العلماني؛ مما سبب غضباً في العالم العربي والإسلامي، مؤكدة أن هذا التطاول على خاتم الأنبياء والرسل انتهاك صارخ بحق المسلمين بالعالم، وتعدٍّ سافر على خاتم الأنبياء والرسل.

وقالت: إننا كمجتمع مدني نعتبر أن تأجيج الفتنة والكراهية التي تنتهجها بعض الدول الغربية ومن بينها فرنسا لا سيما في ظل الحوادث المتوالية التي شهدتها أخيراً تجاوز على مبادئ الحرية وحقوق الإنسان والمعالجة السليمة لبعض الظواهر، مشيرة إلى أن تبني نشر الرسوم المسيئة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم من قبل قيادة واحدة من أكبر الدول الأوروبية يساهم بشكل كبير في تهديد قواعد التعايش المشترك بين الشعوب والأديان.

وشددت على أن تبرير نشر الرسومات المسيئة للنبي صلى الله عليه وسلم تحت شعار حرية الفكر والتعبير تبرير يختلف شكلاً وموضوعاً مع أحكام المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان، فالمحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان أكدت أن الإساءة للرسول لا تندرج ضمن حرية التعبير، وأكدت أن الاستهزاء بأنبياء الله ورسله والرموز والمقدسات الدينية أمر مستهجن ومجرم ولا يمكن السكوت عنه، وشددت على أن احترام الأنبياء والرسل والأديان السماوية وعدم المساس بها من شأنه تحقيق الأمن والسلم الاجتماعي للشعوب والدول.

وطالبت قادة العالم العربي والإسلامي والمنظمات والمؤسسات الإسلامية أن يقوموا بواجبهم باتخاذ المواقف المسؤولة في الدفاع عن نبيهم، ودعت، عبر بيانها، الجمعية العامة للأمم المتحدة ومجلس حقوق الإنسان استصدار قرار مُلزم يجرّم كل من يسيء أو ينتهك حرمات أنبياء الله ورسله، مؤكدة أن التطرف العلماني هو الذي يهدد استقرار المجتمع الفرنسي وليس الإسلام دين الرحمة والسلام، لا سيما مع حوادث الكراهية والعنصرية التي ضربت أوروبا أخيراً، مذكِّرة بأبرز ما قاله المفكرون الغربيون المنصفون، حيث يقول أستاذ الفلسفة والأديان في كلية ديفيس بولاية فرجينيا الأمريكية «ويليام إيفيس»: إنه من الصعب أن تجد الاحترام الذي يستحقُّه النبي محمد في الغرب وليس أحد من الشخصيات التاريخية لم يتم تقديرها وتكريمها في الغرب كمُحمَّد صلى الله عليه وسلم، فكُتَّاب الغرب مالوا إلى تصديق كل ما هو سيئ عن هذا النبي، وأينما سنحت الفرصة لتشويه أو تحريف أي عمل قام في عيون الغرب، عَمِلوا على عرض ذلك كحَقيقة.

أما القس «بوسورث سميث»، في كتابه «محمد والمحمدية»، فقد قال: لقد كان محمد من غير جيوش جـرَّارة، ومن غير حارس شخصي، ومن غير قصر أو قلعة، ومن غير إيرادات مادية ثابتة من أحد، فلو حُقَّ لأي رجل أن يقول: إنه يَحكُم بحق إلهي فهو محمد، فقد امتلك محمد القوة والسُّلطة من غير أسلحة أو دعم من أحد.



الشايجي: «ماكرون» وجد ضالته للتكسب بمزايداته على اليمين المتطرف وشيطنة الإسلام والتضييق على مسلمي فرنسا

بين الإسلام والإرهاب

من جانبه، شدّد مندوب الكويت الدائم لدى منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (يونسكو) على أن موقف دولة الكويت ثابت وواضح برفض الربط بين الدين الإسلامي والإرهاب، لما تمثله من تزييف للواقع وتطاول على تعاليم شريعتنا السمحة الرافضة للإرهاب، ونسعى لنشر هذه الحقيقة عبر «يونسكو».

وقال: إن مندوبية الكويت تسعى دائماً لتقديم وتبني القرارات والمبادرات بمنظمة «يونسكو» الداعمة للسلام واحترام الأديان السماوية ونبذ العداء والكراهية.

وأشار إلى أن المندوبية قادت تحركاً عربياً إسلامياً، العام الماضي، لإقرار قرار بأحد اللقاءات الدولية التابعة لـ«يونسكو» يندد بالممارسات العنصرية ضد الإسلام (إسلاموفوبيا)، وتم إقراره بالإجماع.

كما أصدر اتحاد الجمعيات والمبرات الخيرية الكويتية بياناً عبر فيه عن الاستنكار الشديد للإساءة إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، من نشر شخصيات وجهات حكومية وخاصَّة في جمهورية فرنسا صوراً مسيئة تستهزئ بمقامه الكريم، ومن تصريحات معادية للإسلام، وحاضَّة على الكراهية والإقصاء والتمييز ضدَّه، واصفاً إياها بأنها تُخالف النُّظَم والقوانين والأعراف الدولية بشأن احترام الأديان والمقدَّسات، وتتنافى مع أبسط أسس التعايش السِّلمي والتعاون الكريم بين الأمم والأديان والحضارات المختلفة، وهي الرسالة التي جاءت في قلب دعوة النبيّ صلى الله عليه وسلم.

واستنكر الاتحاد ردود الفعل المتطرفة والفردية التي تنتهج العنف وتسيء لسُمعة الإسلام في الخارج، وتعطي الفرصة لليمين المتطرف في هذه الدول لاستغلال الموقف نحو مزيد من التأجيج وبث الكراهية والإقصاء والتمييز الديني.■

خبراء لـ«المجتمع»:

هذه آليات تجريم مصطلح «الإرهاب الإسلامي»

تحقيق- علا سليمان:

ثلاثة مشاهد تحتاج إلى تأمل في الدوافع والأهداف وردود الفعل، المشاهد الثلاثة بطلها الرئيس الفرنسي «إيمانويل ماكرون»، دوافعها معروفة ومتعددة بين حقد دفين على الإسلام، وعقلية مستعمر يريد فرض رؤيته، وخلق عدو يحاربه ويكون مسوغاً لما يرتكبه من جرائم بحقه طمعاً فيما عنده.

وأهدافها معلومة واضحة؛ فهو يريد تأجيج الصراع ليظل الإسلام في بؤرة الاتهام دوماً.

أما عن ردود الفعل، فهي كما هي كل مرة؛ غضب واستنكار وشجب وإدانة، ثم لا شيء ولا حركة دؤوبة لمنع التكرار.

المشهد الأول: «ماكرون» في خطابه الأول الذي خصَّصه للسياسة الخارجية بعد توليه الحكم عام 2017م، وأمام أكثر من 150 سفيراً فرنسياً في اجتماعهم السنوي، يقول نصاً: «إن مكافحة «الإرهاب الإسلامي» تتصدر أولويات سياستنا الخارجية، نعم أنا أتكلم بالتحديد عن «إرهاب إسلامي»، وأنا أتحمل تماماً مسؤولية استخدام هذا التعبير».

المشهد الثاني: «ماكرون» في خطاب له بتاريخ 2020/10/2م يقول: «الإسلام دين يمر اليوم بأزمة في جميع أنحاء العالم، ولا نراها في بلادنا فقط، وعلى الدولة الفرنسية مكافحة الانعزالية الإسلاموية».

المشهد الثالث: «ماكرون» في 2020/10/8م، وفي كلمة له بمراسم تكريم 4 من عناصر شرطة باريس، قتلوا في هجوم شنه موظف بمقر الشرطة يقول: «سنخوض معركة دون هوادة ضد الإرهاب الإسلامي»، ويضيف: «يجب على فرنسا العمل لتطوير معركتها ضد التطرف الإسلامي، لقد سقط زملاؤكم تحت ضربات الإسلام المضلل والمميت الذي يجب علينا القضاء عليه»، ودعا جميع الفرنسيين إلى «الاتحاد والتحرك للعمل من أجل هذه المعركة، مهما اختلفت دياناتهم أو قناعاتهم».

القضية إذن لا تكمن في حدث مهما كانت بشاعته وقسوة مرتكبه، وإنما تكمن في عمق أيديولوجي يتحرك من خلاله ساسة أوروبيون كثيرون، وليس «ماكرون» فقط بالمناسبة.

السؤال هنا ليس عن «ماكرون» أو غيره، إنما السؤال ينبغي أن يتوجه في الأساس إلى الآليات التي يمكننا من خلالها أن نوقف سلسال الطعن المستمر في هذا الدين وربطه بالإرهاب.

الحركة بدأت من تغريدة لشيخ الأزهر أحمد الطيب بالعربية والفرنسية والإنجليزية يتحدث فيها عن غضبه من تلك التصريحات، ورغبته في التعاون مع الجادين لاستصدار تشريع دولي يجرِّم الإساءة للأديان.

تغريدة شيخ الأزهر -التي أعقبها بيان رسمي من الأزهر وقبله بيان من مجمع البحوث- وكأنها حرَّكت الماء الراكد، فتجاوب مع أصدائها كثيرون من الناشطين المسلمين في الغرب.

«المجتمع» بدورها فتحت الملف لتسأل الخبراء والمعنيين مجموعة من الأسئلة، لعل أهمها: ما الآليات التي يمكننا من خلالها تفعيل دعوة شيخ الأزهر لتجريم الإساءة للأديان؟ وهل من سبيل قانوني دولي يوصل إلى هذا الهدف؟ وعلى مستوى الاجتماع السياسي، كيف يمكننا مناهضة مثل هذه الأشكال من التنمر الصريح ضد الدين والعقيدة؟ وما الدور الذي يمكن أن تمارسه المنظمات الإسلامية في الغرب بصفتها «أهل مكة» الذين هم أدرى بشعاب الغرب كلها؟

أسئلة كثيرة تحاول «المجتمع» من خلال هذا التحقيق أن تجيب عنها.





في يوليو 2020م، نشرت صحيفة «ديلي ميل» البريطانية أنّ الشرطة الإنجليزية تدرس إلغاء استخدام مصطلحي «الإرهاب الإسلامي»، و«الجهادي»؛ لما لهما من أثر سلبي على العلاقات المجتمعية، بحسب مرصد الأزهر.

وأوضحت الصحيفة أنّ الشرطة اقترحت استخدام مصطلحات مثل «الإرهاب المبني على العقيدة، وإرهابيون مستغلون للدوافع الدينية..»، عوضاً عن تلك الكلمات التي تصف الأعمال الإرهابية التي يرتكبها مَن ينسبون أنفسهم إلى الإسلام.

الأزهر كان حاضراً وبقوة ليدعم تلك الخطوة، وأصدر من خلال «مرصد الأزهر لمكافحة التطرف» بياناً، في 2020/7/22م، ثمن فيه الخطوة، واعتبرها دليلاً على وعي بأزمات المجتمعات الكبرى؛ مؤكداً أن مَن يرتكبون أعمال الإرهاب فئة ضالة تنصَّلت من تعاليم الشريعة السمحة التي تحضُّ على قيم الرحمة والسلام، كما أن شيوع تلك المصطلحات التي تصف الإسلام بالإرهاب، ساعدت على انتشار ظاهرة «الإسلاموفوبيا» داخل المجتمعات الغربية، وأنه حال تنفيذ ذلك المقترح فإنه سيساعد على تقويض آفة

مبادرة الشرطة الإنجليزية لإلغاء استخدام مصطلحي «الإرهاب الإسلامي» و«الجهادي» لم تجد من يبني عليها ويتابعها

الكراهية التي تضرب أركان المجتمعات وتمس أمنها واستقرارها من الداخل.

الخطوة تم الإعلان عنها، لكن لم يصدر بعد ذلك أي تفاصيل عن خطوات يمكن أن تحدّ أو تمنع من استخدام هذه المصطلحات وأشباهها، وكأن الأمر كان بحاجة إلى تحرك موازٍ لدعم تلك الخطوة.

تجريم ازدراء الأديان

التحرك هذا وطبيعته، وكيف يكون، تحدث عنه د. نبيل السمالوطي، أستاذ علم الاجتماع السياسي بجامعة القاهرة، حيث أكد أنه عايش تجربة قادها الراحل د. جعفر عبدالسلام، الأمين العام السابق لرابطة الجامعات الإسلامية، من خلال التعاون مع العديد من المؤسسات الغربية لإصدار قانون دولي يجرّم ازدراء كل الأديان والمقدسات، ليس السماوية فقط، بل الوضعية أيضاً،

بحسبان حرية الاعتقاد مكفولة للجميع ولا وصاية لأتباع دين على الآخرين.

وقال السمالوطي: إن «اليونسكو» تبنت المبادرة عقب أزمة نشر الرسوم المسيئة للرسول صلى الله عليه وسلم في إحدى الصحف الدنماركية، وما تبع ذلك من مظاهرات في الكثير من الدول العربية والإسلامية، وحوادث قتل وحرق قام بها بعض الغاضبين دفاعاً –من وجهة نظرهم– عن الرسول صلى الله عليه وسلم، ولكن للأسف، فإن المبادرة لم تكمل مسيرتها لترى النور وتدخل حيز التنفيذ؛ لأن هناك مستفيدين من استمرار الأوضاع مشتعلة بين أتباع الأديان لتظل لهم السيادة؛ لأن منطقهم الاستعماري عبر العصور «فرِّق تسُد».

وكشف السمالوطي أن مصطلح «الإرهاب» لم يرد مرة واحدة في القرآن الكريم، وإنما ما ورد هو لفظة «الرهبة» بمشتقاتها المختلفة التي لها دلالات اصطلاحية تختلف تماماً عن المصطلح المقيت الشائع الآن «الإرهاب الإسلامي» الذي له دلالات عنصرية، أما اللفظة القرآنية بمشتقاتها فجاءت في إطار ما يمكن أن نطلق عليه «إستراتيجية الردع» التي تعني تخويف الطرف الآخر عن طريق خلق شعور لديه بمخاطر الإقدام على عمل مضر؛ لأن الإسلام يرفض الاستسلام والذل ويردع من يعتدون عليه، ويرفض أن يكون البادئ بالعدوان، بل ويحبذ العفو مع القوة من غير ضعف، قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرينَ﴾ (النحل: 126)، وقال سبحانه أيضاً: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة: 194).

أما مصطلح «الإرهاب» المقيت فهو ينصرف إلى التهديد باستخدام القوة غير المشروعة ضد أبرياء مدنيين لا علاقة لهم بالموضوع لتحقيق أهداف غير مشروعة، ومن يتأمل تعاليم الإسلام سيجد أن السلم مقدم على الحرب في العلاقة مع الآخر، وفي حالة رد العدوان يكون على المعتدي نفسه بآليات معينة وليس عشوائياً؛ لأن القاعدة في الإسلام: ﴿وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ (فاطر: 18).





تحرك بآليات قانونية

من جهته، يكشف د. إبراهيم أحمد، أستاذ القانون الدولي بجامعة الفيوم بمصر، أن بداية ظهور مصطلح «الإرهاب الإسلامي» ليس اليوم ولا حتى السنوات القليلة الماضية، وإنما له جذور قديمة في التراث الغربي للتنفير من الإسلام والمسلمين، وازداد استخدامه إعلامياً بعد انهيار القطبية الثنائية الدولية بين الولايات المتحدة الأمريكية التي تقود حلف «الناتو»، والاتحاد السوفييتي الذي كان يقود حلف «وارسو».

السمالوطي: «اليونسكو» تبنت مبادرة لتجريم الإساءة للأديان وعُطِّلت من المستفيدين بإشعال الخلاف بين أتباع الديانات

ولذلك طالب د. إبراهيم بالعمل وبذل الجهد من قبل المؤسسات الإسلامية في الغرب على وجه التحديد لتفعيل العديد من المبادرات الإنسانية التي تستهدف المحافظة على السلم والتعايش بين البشر، مثل «وثيقة الأخوة الإنسانية» التي وقَّعها شيخ الأزهر وبابا الفاتيكان، في فبراير 2019م، وفيها نصوص تتوافق تماماً مع المواثيق الدولية لحقوق الإنسان وحريته في الاعتقاد.

ولذا، طالب أستاذ القانون الدولي بضرورة بذل المنظمات الإسلامية الغربية مزيداً من الجهد القانوني والاجتماعي، مشدداً على أن المجتمعات الأوروبية لحسن الحظ مجتمعات يحكمها القانون، وبالتالي فإن التدرج في آليات المسلك القانوني يمكن أن يؤدي إلى نتائج هائلة، ربما يكون أيسرها فكرة تجريم استخدام هذه المصطلحات، وملاحقة مستخدميها وخضوعهم تحت طائلة القانون الغربي نفسه من خلال أدواته، لكن الأزمة تكمن في التحرك الفاعل للوصول إلى هذه النتيجة.

وممتدحاً «وثيقة الأخوة الإنسانية»، طالب د. إبراهيم بتفعيلها وجعلها أساساً لتحرك جماعي غربي، مشيراً إلى بداية الوثيقة التي جاء فيها نصاً: «يحملُ الإيمانُ المؤمنَ على أن يَرَى في الآخَر أخاً له، عليه أن يُؤازرَه ويُحبَّه، وانطلاقاً من الإيمان بالله الذي خَلَقَ الناسَ جميعاً وخَلَقَ الكونَ والخلائقَ وساوَى بينَهم برحمته، فإنَّ المؤمنَ مَدعُوٌّ للتعبير عن هذه الأخوَّةِ الإنسانيَّةِ بالاعتناءِ بالخَلِيقَةِ وبالكَوْنِ

كُلِّه، وبتقديم العَوْن لكُلِّ إنسان، لا سيَّما الضُّعفاء منهم والأشخاص الأكثر حاجَةً وعَوَزاً.

باسم الله الَّذي خَلَقَ البَشَرَ جميعاً مُتَساوين في الحُقُوق والواجبات والكَرامة، ودَعاهُم للعَيْش كإخوة فيما بَيْنَهم ليُعَمِّروا الأرضَ، ويَنْشُروا فيها قِيَمَ الخَيرِ والمحَبَّة والسَّلام، باسم النفس البَشَرِيَّة الطَّاهرة التي حَرَّمَ اللَّه إزهاقَها، وأَخبَرَ أنَّه مَن جَنَى على نَفْس واحدة فكأنَّه جَنَى على البَشَرِيَّة جَمْعاء، ومَنْ أَحْيَا نَفْساً واحدةً فكأنَّما أَحْيَا الناسَ جميعاً».

وتساءل أستاذ القانون الدولي قائلاً: ألا يتوافق ذلك مع ما نص عليه الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، الصادر عام 1948م، الذي جاء فيه بالنص: «ولا يجوز أن يكون هناك تمييز من أي نوع، كالتمييز بسبب العنصر أو اللون أو الجنس أو الميول الجنسية أو هوية النوع الاجتماعي أو اللغة أو الدين أو الرأي السياسي أو أي رأي آخر، أو الأصل الوطني أو الاجتماعي أو الثروة أو الميلاد أو أي وضع آخر، إن مصطلح «عالمي» يعني كل شخص وفي كل مكان».

وأنهى د. إبراهيم كلامه مؤكداً أن الأهم من النصوص الدولية تفعيلها على أرض الواقع، ورفض سياسة الكيل بمكيالين التي عانى منها العرب والمسلمون -وما زالوا- أشد المعاناة، حتى جعلوا المقاومة دفاعاً عن النفس والأرض والعرض والدين نوعاً من الإرهاب العربي والإسلامي، في حين حوَّل الإعلام الغربي كل الممارسات الغربية ضدنا نوعاً من أنواع الدفاع عن النفس ومكافحة الإرهاب، وللأسف؛ فإن الآلة الغربية الجهنمية استطاعت أن تخدع العالم وتجعل الظالم مظلوماً، وأن يوصف المظلوم بأنه ظالم، ولهذا لا بد من تنسيق الجهود التي تقوم بها منظمة التعاون الإسلامي وجامعة الدول العربية ومنظمات المجتمع المدني للتواصل مع المنظمات الأممية للوصول إلى تجريم دولي حقيقي لكل ما يمس الأديان والمقدسات.

واقع أوروبي

كيف يتحرك المسلمون في أوربا ليكونوا رأس حربة في تفعيل دعوة تجريم الإساءة للأديان ومنع استخدام مصطلح الإرهاب الإسلامي؟



د. أحمد: التدرج في آليات المسلك القانوني يمكن أن يؤدي إلى نتائج جيدة لأن المجتمعات الأوروبية يحكمها القانون

البشاري: كثير من غير المسلمين يمكن العمل معهم لقناعتهم بحقنا في الدفاع عن ديننا

«المجتمع» طرحت السؤال على د. محمد البشاري، الأمين العام للمؤتمر الإسلامي الأوروبي، رئيس فيدرالية مسلمي فرنسا، أحد المقربين من المؤسسة الدينية المصرية التي على رأسها مشيخة الأزهر، الذي أعلن كثيراً أنه يقود منظومة متكاملة لتصحيح صورة الإسلام والمسلمين في الغرب من خلال أعضاء المؤتمر الإسلامي المنتشرين في أكثر من عشرين دولة أوروبية، وكذلك بصفته مستشاراً لدى البرلمان الأوروبي للقضايا الإسلامية والعلاقات الأوروبية العربية.

البشاري أكد أن المؤتمر الإسلامي الأوروبي يعمل على الملفات المهمة والساخنة التي تهم الوجود الإسلامي في القارة الأوروبية، ومنها بلا شك الوصف المقيت للإرهاب بأنه إسلامي، مع أنه لا يوجد دين يمقت الإرهاب مثل الإسلام الذي حرَّم أن يتم إرهاب الحيوانات والطيور وكل الكائنات الحية؛ فما بالنا بالإنسان الذي كرَّمه الله وأمره بتعمير الأرض بالسلام وليس بالإرهاب والحروب؟

وأوضح البشاري أنه لا بد بداية من اتحادنا جميعاً كمنظمات إسلامية عاملة في الغرب من أجل سلوك نهج قانوني وحقوقي نصل من خلاله إلى تجريم استخدام هذا المصطلح.

وشدد على أن كثيرين من غير المسلمين يمكن العمل معهم في هذا الإطار؛ لقناعتهم بحقنا نحن المسلمين في الدفاع عن ديننا، وبالتالي لا بد من إقامة جسور من التعاون مع غير المسلمين لتصحيح الصورة السلبية عنا وعن ديننا، وقد قطعنا شوطاً في هذا المجال، لكنها الحرب بين الإسلام وأعدائه عبر التاريخ، وهذا طريق طويل ينبغي أن نتحلى فيه بالصبر وبالنفَس الطويل.

وأوضح أن المؤتمر الإسلامي رغم أنه مؤسسة أوروبية المنشأ، فإنه يمثل حلقة وصل بين العرب والمسلمين في الغرب من أجل تصحيح أي مفاهيم مغلوطة أو سوء تفاهم أو تعبير مثل مصطلح «الإرهاب الإسلامي»، مشدداً على أن المؤتمر سيعمل على التواصل مع البرلمان الأوروبي وغيره للتنبيه إلى أن هذا المصطلح يؤذي مشاعر المسلمين، والأولى بهم أن يسهموا في بناء جسور التعاون البنَّاء لما فيه مصلحة الإنسانية.■

زخم واسع على مستويات عدة، ومقاطعة اقتصادية اتسع نطاقها عربياً وإسلامياً؛ رداً على إعادة نشر رسوم كاريكاتيرية في فرنسا تسيء للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، ثم تصريحات رسمية من رأس الدولة «إيمانويل ماكرون» تتهم الإسلام بالإرهاب، وتدافع عن تلك الرسوم، باعتبارها مظهراً من مظاهر حرية التعبير، لكن ماذا عن ملايين المسلمين في المجتمعات الأوروبية؟ وكيف يمكنهم التعامل مع هذه الإساءات لمقدساتهم، لا سيما أنها متكررة، والأزمات المتكررة يلزمها وسائل مستدامة تناسب هذه المجتمعات؟ فما الوسائل العملية والموضوعية للرد على هذه الإساءة للمقدسات؟
طرحنا هذه التساؤلات على أهل الشأن من الدعاة والعلماء المقيمين بالغرب.

رموز وقادة العمل الإسلامي بالغرب لـ«المجتمع»:

اليمين المتطرف ينفخ نار الكراهية وعلينا تنويع مجالات الرد

محمد سرحان

بداية، يقول د. سمير فالح، رئيس مجلس مسلمي أوروبا، لـ«المجتمع»: إن مسألة الإساءة للمقدسات تتجاوز في آثارها وتداعياتها مسلمي أوروبا لتصل إلى المسلمين في كل العالم، وهذا في حد ذاته مسألة إيجابية، ولكنها أيضاً تظل سلبية حينما تكون ردود الفعل غير منسقة، أو حتى في بعض الأحيان متناقضة، وإن كان المسلمون في البلدان العربية والإسلامية ينتهجون مسار المقاطعة والتظاهر، إلا أن الوضع يختلف لدى المسلمين في الغرب.

فالمسلمون في أوروبا لديهم مساحة واسعة من الحريات، بحسب فالح، وبالتالي فلا بد من الاستفادة من هذه الحريات في الرد، وأن تتنوع مجالات الرد وتتفرع إلى مستويات متعددة إعلامياً وسياسياً ومجتمعياً وحقوقياً كذلك، لا سيما عندما تتجاوز هذه الإساءة حدوداً معينة في إطار المقبول، وفي هذه الحالة يمكن التوجه إلى المسار القانوني، وهناك مسار آخر لا يقل أهمية لكنه يحتاج استمرارية؛ وهو مسار التعريف بالإسلام ورسوله من خلال استخدام لغة خطاب تناسب هذه المجتمعات الأوروبية، وإن كان ما يظهر في المقدمة هي الطبقات السياسية والإعلامية، لكن هذا ليس كل المجتمع، هناك المجتمع الحقيقي في الأحياء والمدارس والجمعيات والشوارع، وهذا الذي لا بد من الاشتغال عليه في التعريف بالرسول



فالح: على مسلمي أوروبا الاستفادة من مساحة الحرية لديهم وتنويع مجالات الرد إعلامياً وسياسياً ومجتمعياً وحقوقياً

مامش: أحسن وسيلة هي الرد بالمثل والتعامل مع الفكر بالفكر والرسوم نرد عليها بالرسوم

من خلال لغة خطاب ووسائل مدروسة وجهود تتم بالتنسيق.

في فرنسا، تواصلنا مع مخلوف مامش، رئيس الفيدرالية الوطنية للتعليم الإسلامي الخاص في فرنسا، فقال: على المسلمين في فرنسا وأوروبا ألا يعيروا اهتماماً لهذه الرسوم الكاريكاتيرية المسيئة، وأن يستمروا في جهود التعريف بالرسول والإسلام، فالأمور تطورت إلى أن أصبحت مسألة كرامة دولة لا يمكن أن ترضخ للإرهاب المزعوم في نظرهم، وأن سحب هذه الرسوم بمثابة رضوخ من فرنسا أو هزيمة لها أمام الإرهاب، حتى إن وزارة التربية الوطنية تريد أن تضمِّن هذه الرسومات في المناهج التربوية، وواقعياً صارت هناك جماعة ضغط تدعو إلى بقاء هذه الرسوم بدعوى حرية التعبير وحرية المعتقد، وكل يختار ما يريد، وليس من مصلحة المسلمين أن يتأجج هذا الصراع أكثر من هذا.

وأضاف مامش: أعتقد أن حب الرسول والغضب من أجله ليس بالقتل، فهذا يعود بالسلب على واقع ملايين المسلمين في المجتمعات الأوروبية، الأمر المهم في التعامل مع هذه التقلبات هو استثمارها في التعريف على نطاق واسع بالإسلام وبالرسول، ففي فرنسا خصص أئمة المساجد خطبة الجمعة الماضية عن «أخلاق الرسول».

أما مع غير المسلمين فالتعريف بالرسول يتم من خلال مضاعفة أنشطة المساجد وفعاليات «الأبواب المفتوحة» التي تنظمها المساجد والمراكز الإسلامية، وتستضيف غير المسلمين للتعريف بالإسلام وسماحته، وكيف ينظر الإسلام لغير المسلم.

كما اعتبر مامش أن شخصية وأخلاق

الرسول الكريم تتعرض للظلم في هذه المجتمعات، سواء بسبب الجهل بشخصيته ومكانته من قبل غير المسلمين، فهم لا يعرفون عنه شيئاً، ولم تتوفر لدى أغلبهم مصادر أمينة تعرّفهم بهذا الرسول الكريم، أو بسبب ضعف جهود المسلمين في التعريف برسولهم ودينهم وإظهار صورتهم الحقيقية.

ويرى مامش أن أحسن وسيلة هي الرد بالمثل، والتعامل مع الفكر بالفكر، ولو صدر كتاب يسيء فنرد عليه بكتاب يحسن تعريف الإسلام، والرسوم نرد عليها بالرسوم، بعضهم يسيء ونحن نحسن، ونزيد من جهودنا للتعريف بديننا، والأمر لا يتعدى هذا المستوى ضمن الإطار القانوني استثماراً لمناخ الحرية الذي تكفله القوانين التي بدورها تكفل وتحمي حرية التدين والمعتقد.

الحفاظ على الوجود

ومن النرويج، يقول الشيخ علي فتيني، رئيس جمعية التعليم ورعاية الأسرة: إن هدف المسلمين بالغرب يتركز في الحفاظ على الوجود الإسلامي وتجذيره وتنميته وتطويره وتقديم صورة مشرقة ومشرفة له وعنه، وبالتالي فما يتخذونه من وسائل تنطلق من فقه «الاستطاعة»، وفي مقدمة الوسائل التي يمكن للمسلمين في الغرب العمل بها رداً على هذه الإساءات، توعية المسلمين أنفسهم بمكانة المقدسات واحترامها مع بيان الأسلوب الصحيح للتعامل مع هذه الأحداث، إلى جانب إطلاق مشاريع وحملات مجتمعية عامة بهدف الوصول إلى غير المسلمين وتصحيح المفاهيم الخاطئة، ومن الأمثلة على ذلك الحملة الأوروبية للتعريف برسول الإنسانية التي أطلقها التجمع الأوروبي للأئمة بالشراكة مع عدد من المؤسسات والمراكز في أوروبا.

ونوَّه إلى ضرورة تفعيل التواصل مع الجهات الرسمية والمدنية والدينية، كما حدث في السويد أثناء حادثة حرق المصحف، وكان لذلك نتائج إيجابية، وتفعيل مبادرات التحرك القانوني والقضائي، كما حدث في فرنسا بشأن صحيفة «شارلي إيبدو» قبل سنوات، وفي النمسا، وعلى مستوى المحكمة الأوروبية، وإن كان ذلك يستغرق وقتاً، لكنها مسارات طبيعية تكفلها القوانين، مشيراً إلى تجربة النرويج؛ إذ أقرت الحكومة النرويجية خطة لمكافحة العنصرية والكراهية ضد المسلمين، بعد جلسات ومشاورات جمعت القائمين على المراكز الإسلامية والمؤسسات الرسمية.

واختتم الشيخ فتيني بقوله: إن الأمر الذي يجب الانتباه إليه هو سعي اليمين المتطرف وأصحاب خطاب الكراهية عموماً لاستفزاز المسلمين، ومحاولة جرّهم إلى الفوضى والعنف، وتصويرهم أمام المجتمع أنهم همجيون وليسوا مؤهلين للتعايش والاندماج، ولا يصلحون للعيش في هذه البلاد!



فتيني: اليمين المتطرف يسعى لاستفزاز المسلمين وجرهم للعنف وتصويرهم أمام المجتمع أنهم همجيون

عامر: اليمين الذي ينفخ في نار الكراهية حقق مكاسب سياسية كبيرة ولن تتوقف حملات الإساءة للمسلمين

المدخل الثقافي

أما الشيخ طه سليمان عامر، رئيس هيئة العلماء والدعاة في ألمانيا، فيرى أن دلالة تجدد صور الإساءة للإسلام في الغرب من حين لآخر وبصور مختلفة هو عدم تبني المسلمين سياسة العمل التأسيسي المستدام، وبالتالي لا تكون الردود على الإساءات ذات طابع تأثيري طويل الأمد، بحيث تتجاوز حالة الغضب الوقتية، وتوظف العواطف نحو الرسول صلى الله عليه وسلم في مشاريع دائمة؛ مثل الفعاليات الخاصة بالسيرة النبوية في ألمانيا التي تأسس فيها «فريق السيرة النبوية» منذ 4 سنوات، ونظم فعاليات للتعريف بالرسول صلى الله عليه وسلم في معظم مدن ألمانيا، إلى جانب الاستفادة من كون الشعوب الأوروبية بوجه عام شعوباً قارئة، وتتسم بقدرة كبيرة على الحوار والاستماع، وبالتالي فإن المدخل الثقافي واسع وناجع في التعريف بالرسول صلى الله عليه وسلم من خلال الندوات العلمية وطباعة الكتب بجميع اللغات، وحسن اختيار المواضيع التي تناسب العقلية الغربية واهتماماتها.

وأضاف عامر: أعرف أن هناك ضعفاً على المستوى الإعلامي لدى مسلمي أوروبا، ولكن هذا الضعف ليس مبرراً، فالأزمات تفرض على المسلمين أن يحسنوا توظيف الأدوات الإعلامية في تصحيح الصور المغلوطة عن الإسلام ورسوله وكتابه، وتأهيل الكوادر، لا سيما وأن اليمين المتطرف يتربص بالمسلمين دوماً ويعمل على بث الأراجيف.

ويرى عامر أن المشاركة السياسية لمسلمي أوروبا لا تقل أهمية عن أي مسار، فاليمين المتطرف الذي ينفخ في نار الكراهية حقق مكاسب سياسية كبيرة؛ وبالتالي لن تتوقف حملات الإساءة لنا كمسلمين ونحن على هامش المجتمع، وسنبقى دوماً كبش فداء وفزّاعة ومحل مزايدة في مواسم الانتخابات، كما يجب علينا الانفتاح والتواصل الفاعل مع مكونات المجتمع والمشاركة الاجتماعية الواسعة، فهذه المساعي تتيح للمسلمين الحوار المباشر مع أبناء المجتمع على اختلاف مستوياتهم الاجتماعية والثقافية والسياسية، فالحوار يزرع المعرفة، والمعرفة تمحو الكراهية.■



د. مصطفى الحلوجي الرئيس الأسبق لقسم اللغة الفرنسية بجامعة الأزهر:

تناقض فج لدى الفرنسيين بين صورة الحضارة الإسلامية والإسلام نفسه

حاوره- إسلام فرحات:

هو د. مصطفى الحلوجي، الأستاذ بكلية اللغات والترجمة جامعة الأزهر والرئيس الأسبق لقسم اللغة الفرنسية بها، وواحد من أصحاب المشروعات الفكرية الملهمة في علاقة الإسلام بالغرب، منذ العام 2004م وهو يعمل على مشروع كبير يحاول من خلاله تصحيح الصورة المغلوطة عن الإسلام ورسوله وشريعته في المناهج الدراسية الغربية.. المشروع ومع أول ضوء نور له احتضنته منظمات دولية كـ«اليونسكو»، وعملت عليه واعتبرته من مشروعاتها الرائدة.

«المجتمع» التقت الحلوجي لتسأله عن الطريقة التي يمكن من خلالها النفاذ إلى العقل الغربي بعيداً عن التشنجات والعنتريات الزائفة التي توسع الفجوة بيننا وبينهم، ولتسأله كذلك عن الصورة المغلوطة وحجمها، وقضايا المغالطة، ووسائل التصحيح، بوصفه خاض تجربة في وقت صعب كانت الأقليات المسلمة فيه تعاني من حالة عدائية داخل المجتمع الغربي، بدا وكأنها تتجدد على ألسنة ساسة كبار؛ كالرئيس الفرنسي «إيمانويل ماكرون» وغيره.

• بداية، هل ثمة فرق بين صورة الإسلام وصورة المسلمين في مناهج الغرب؟ بمعنى: هل يتضح في أذهانهم ذلك أم أنهما متطابقتان؟

- لا أعتقد أن فرقاً ما يمكن أن يكون حاضراً في أذهانهم بين الأمرين، ودعني أؤكد لك ذلك من خلال ما كتبه مؤلفو كتب التاريخ المدرسية في الدول الغربية، حيث لا يقدمون الحضارة الإسلامية -حتى بعيداً عن الإسلام نفسه كشريعة- كحضارة مزدهرة، ولكن يقدمونها في صورة سلبية، وبالطبع تصحيح هذه الأخطاء يحتاج إلى نفَس طويل من قبل الأساتذة الباحثين الذين يجيدون لغات وثقافات تلك الدول.

لكن الحق يقال، فإن هناك بعض الجهود في دراسات عديدة لتصحيح صورة الإسلام في طبعات متتالية للكتب المدرسية التي تمت دراستها ومناقشة الدراسات المتوالية عقب كل طبعة جديدة مع المسؤولين عن التعليم ودور النشر المدرسية في فرنسا على سبيل المثال، ويمكنني القول: إن ذلك أدى إلى تصحيح ما يقارب الـ 90% من الأخطاء في بعض الطبعات الأخيرة لبعض تلك المناهج.

• أيعني ذلك أن جميع المناهج هناك تنكر تقدمنا عبر التاريخ حتى في فترات ازدهار المسلمين؟

- للإنصاف، هناك بعض الكتب المدرسية تشير إلى تقدم المسلمين في الطب والعلوم والفلك والرياضيات والآداب والفنون والفلسفة.. إلخ.

لكن على النقيض من ذلك، فصورة الإسلام في بعض كتب التاريخ المدرسية (الفرنسية تحديداً) كانت سلبية، وذلك من خلال تقديم بعض المفاهيم الإسلامية بشكل خاطئ.

• هذا يجرنا للحديث عن أهم تلك القضايا التي يتم الشغب من خلالها على عقول الطلبة هناك في مراحل التعليم المختلفة.

- نعم، يمكنك أن ترى مثلاً إيرادهم لآيات قرآنية تأمر المسلمين بالجهاد، بمعنى قتال العدو، دون ذكر السياق النصي أو التاريخي، أو أسباب النزول أو شرح -ولو بإيجاز- ليعرف التلاميذ أن المقصود بالجهاد في الإسلام هو الدفاع وليس الهجوم.

كما يمكنك أن ترى مثلاً أنهم يقدمون «الحجر الأسود» كصنم يعبده المسلمون في بعض كتب الدول التي تناولتها الدراسة مثل روسيا، على سبيل المثال.

أيضاً يقدم مؤلفو كتب التاريخ هناك الخلافة على أنها سلطة دينية وسياسية، في حين أن الإسلام لا يعرف السلطة الدينية.

كذلك وضع المرأة في الإسلام من خلال قضايا تخصها كتعدد الزوجات ونصيبها في الميراث وما إلى ذلك.

• لكن يبدو أن الأزمة الكبرى في هذه المناهج هي مفهوم الجهاد وما يستتبعه.

- نعم هو كذلك، فمفهوم الجهاد يقدَّم في بعض كتب التاريخ المدرسية في تلك الدول على أنه حرب مقدسة لنشر الإسلام بالقوة، والنبي محمد عليه الصلاة والسلام رجل يحارب غير المسلمين لإجبارهم على اعتناق الإسلام،

وذلك بدون التطرق للتعريف الكامل للجهاد في اللغة العربية أو لذكر أسباب الغزوات التي خاضها المسلمون للدفاع عن أنفسهم ضد مشركي مكة الذين هاجموا المسلمين في عدة غزوات حدثت بالقرب من المدينة.

ولا شك أن هذا يشجع بعض التلاميذ المسلمين في الدول الغربية وغيرها على التطرف والوقوع فريسة سهلة في أيدي الإرهابيين، كما أن هناك تجاهلاً من المؤلفين لآراء المؤسسات الإسلامية ذات التاريخ العريق مثل الأزهر الذي يقدم الصورة الصحيحة للإسلام منذ أكثر من ألف عام.

● في المقابل، هل ترى أن هناك مساعي جادة لتصحيح هذه المفاهيم المغلوطة؟

– هناك بالطبع محاولات جادة لحل مشكلة ربط الثقافة العربية والإسلامية بالإرهاب؛ فمثلاً سبق أن عقدت منظمة «اليونسكو» مؤتمراً عام 2004م تحت عنوان «صورة الثقافة العربية الإسلامية في كتب التاريخ المدرسية الأوروبية»، وذلك بمشاركة جامعة الدول العربية والمجلس الأوروبي والمعهد السويدي بالإسكندرية.

وقدم الباحثون العرب والأوروبيون والأمريكيون أبحاثاً رائعة، ترصد مشكلات الواقع، وتقدم اقتراحات الحل عن صورة الآخر في المناهج الدراسية في الغرب وفي الدول الإسلامية، وأكدوا أنه آن الأوان لتصحيح صورة الآخر أو المسلم المشوّهة في المناهج الدراسية في الدول الأوروبية، وكذلك صورة الآخر اليهودي والمسيحي المشوهة أيضاً في كتب التاريخ المدرسية في الدول العربية والإسلامية؛ لأن مؤلفي كتب التاريخ المدرسية الأوروبية يصدرون أحكاماً خاطئة وهم يعرضون الأحداث التاريخية الخاصة بالإسلام، وغالباً ما تكون سرداً لهذه الأحداث التي هي عبارة عن أحكام تقديرية مسبقة، تعكس وجهة نظرهم وموقفهم المتعنت تجاه الإسلام وفقدانهم لروح الموضوعية والأمانة العلمية.

● أشرتم إلى المؤتمر العالمي الذي نظمته «اليونسكو» مع جامعة الدول العربية؛ فما التوصيات التي انتهى إليها حتى نعرف إذا كان قد تم تنفيذها أم لا؟

– لا أظن أن فكرة التنفيذ يمكن رصدها بسهولة؛ فالأمر بحاجة إلى متابعة حثيثة، وكما قلت نفَس طويل أيضاً، وجهد مؤسسي لا مجرد جهد بحثي فردي.

وعلى مستوى توصيات المؤتمر، كان هناك بعض ما تم تنفيذه وتمت الاستفادة منه بالفعل، مثل الاستعانة بالخبراء والمتخصصين في عرض القضايا الشائكة في المنطقة لتقديم الصورة الصحيحة عن الآخر، وكذلك تشجيع تبادل الطلاب وعقد حلقات دراسية لمدرسي مادة التاريخ، وأيضاً دعوة المنظمات الدولية، و«الإيسيسكو»، بالإضافة إلى المجلس الأوروبي والجامعة العربية لتكوين فريق عمل يتولى اتخاذ الإجراءات العملية لتطوير ومراجعة المقررات الدراسية في الكتب المدرسية.

وقد تم تنفيذ بعض هذه التوصيات وتصحيح الأخطاء كما قلت، لكن العمل يسير ببطء بسبب الصراعات السياسية وأباطرة الإعلام وتحالف المعادين للإسلام وقوة تيار «الإسلاموفوبيا».

ولذا لا بد من تكثيف التعاون الوثيق مع الهيئات الدولية العاملة في مجال التربية والتعليم والثقافة، فهذه الهيئات هي خير من يقوم بتصحيح صورة الآخر المشوهة في المناهج الدراسية بالدول الأوروبية؛ لأنها متخصصة في قضايا التعليم في العالم، وكذلك تكثيف العلاقات والاتصالات مع القوى السياسية وأصحاب القرار في الدول الأوروبية، وكذلك في المجتمع المدني أي المنظمات الأهلية غير الحكومية التي تعمل في مجال حقوق الإنسان.

مطلوب إستراتيجية جادة مع منصفي أوروبا وأمريكا لتصحيح صورة الإسلام والمسلمين في مناهجهم التعليمية

بعض الكتب المدرسية تقدم الحجر الأسود على أنه صنم يعبده المسلمون والخلافة على أنها سلطة دينية وسياسية

● بحكم تخصصكم، تتركز معظم دراساتكم حول صورة الثقافة العربية والإسلامية الخاطئة في كتب التاريخ المدرسية بفرنسا؛ فماذا وجدتم فيها قبل أن يتم تصحيح بعضها بالفعل؟

– يمكننا في فرنسا تحديداً أن نرصد تناقضاً فجاً بين صورة الحضارة الإسلامية في كتب التاريخ، وصورة الإسلام نفسه.

فمثلاً، في حين تقدم تلك الكتب الحضارة العربية والإسلامية على أنها حضارة ساطعة دامت لسنوات، وأنها لم تحتفظ فقط بالتراث الثقافي والعلمي اليوناني والفارسي، وإنما قامت بتطويره، إذا بها تقدم صورة الإسلام نفسه كشريعة ومنهج حياة بطريقة سلبية!

ففي جميع كتب التاريخ المدرسية الفرنسية، نجد كثيراً من الأخطاء والتفسيرات السلبية المستندة بصفة خاصة إلى آيات قرآنية مترجمة ترجمة خاطئة أو مقتضبة.

فعلى سبيل المثال لا الحصر، تقدم الكتب الدراسية الفرنسية للطالب ظهور القرآن الكريم من خلال مجموعة من أساطير غير منطقية مستوحاة من صورة من نفس الطبيعة، كما تقدم المناهج الدراسية آيات قرآنية محرفة أو آيات مرتبطة تحديداً بسياقات لا تذكرها.

● في النهاية، ما الحل –من وجهة نظركم- حتى يتم تصحيح صورة الإسلام والمسلمين في المناهج الغربية؟

– لا بد من عمل مزيد من الدراسات والأبحاث، على أن يقوم بها مفكرون وواضعو مناهج التاريخ المؤهلون لذلك، بعد إبراز أوجه الخلل في المناهج التاريخية الموجودة، والعمل على تصحيحها من خلال استعراض الصورة العامة للثقافة العربية الإسلامية في كتب التاريخ الأوروبية، وآليات تحسين الحوار بين الثقافتين العربية والأوروبية، وذلك بهدف الوصول إلى تدريس التاريخ من أجل المصالحة والتسامح على أساس تعدد وجهات النظر.

ولهذا لا بد من العمل على تصحيح هذه الصورة النمطية السلبية التي تؤخذ عن المجتمعات العربية والإسلامية التي لها تأثير كبير في تشكيل الرأي العام في تلك المجتمعات الغربية عنا، خاصة أن كثيراً منها توارثته وتناقلته الأجيال الغربية منذ القرون الأولى لظهور الإسلام، واستمرت حتى الآن من خلال ما يسمى «الإسلاموفوبيا» أو العداء للإسلام.■



دراسة

فرنسيون أنصفوا الإسلام

نستأنف في هذا المقال ما كنا قد ختمنا به المقال السابق، حيث كان حديثنا عن الاستشراق الفرنسي، وكيف أنه كان ذراعاً علمية للهيمنة الفرنسية، ووسيلة السياسة الفرنسية لتسهيل احتلالها البلاد الإسلامية سواء من خلال قيامهم بالدور العلمي في فحص ودراسة هذه البلاد وأحوالها لإيجاد أفضل الطرق وأقلها تكلفة لعملية الاحتلال والسيطرة، أو من خلال قيامهم بالدور الإعلامي الذي يبرر ويشرعن عملية الاحتلال من خلال تشويه أهلها وثقافتهم وأخلاقهم.



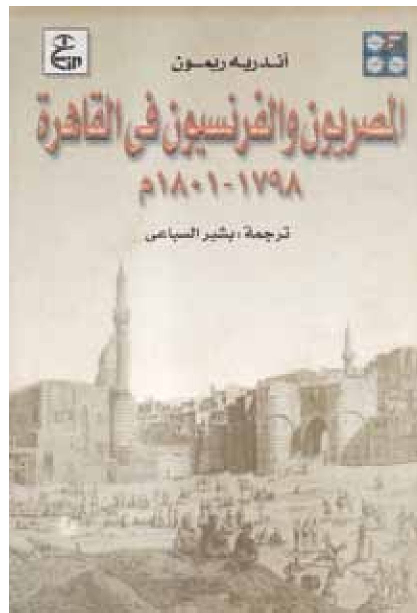
محمد إلهامي
باحث في التاريخ والحضارة الإسلامية

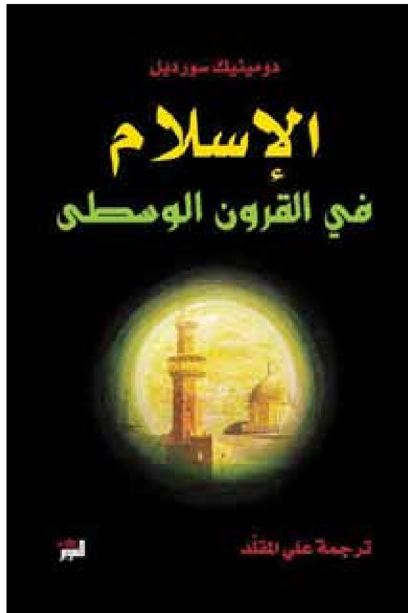
من بين طابور المستشرقين الفرنسيين الطويل خرج عدد قليل من أولئك الذين أنصفوا الإسلام ونبيه وحضارته، فمنهم من اصطفاه الله وكتب له الخير فأسلم واعتنق الدين، ومنهم من بقي على حاله.

وعموماً، فإن الكتابات المنصفة تصدر عن الغربيين بعد أن تنطوي صفحة الصراع المشتعل، حين ينتصرون في المعركة ويحسمونها لصالحهم، عندها لا يعود الشعور بالخطر قائماً، وتصير الأمة المغلوبة كالجثمان الممدد أو الفريسة العاجزة، لا يُخشى منها، وعندئذ يمكن أن تبدأ دراستها بطريقة أكثر علمية وموضوعية، مثلما تجري دراسة الآثار في المتاحف، لا يستنكف أحد أن يعترف بعظمة حضارة قد دثرت وماتت.



لوبون: ما جهله المؤرخون من حلم العرب الفاتحين وتسامحهم كان من الأسباب السريعة في اتساع فتوحاتهم





لذلك، فإن التأمل في تاريخ إنصاف الحضارة الإسلامية في الكتابات الاستشراقية سيفضي بنا إلى إدراك أن هذا الإنصاف لم يحصل إلا بعد العلو الغربي، أما ما قبل ذلك فقد كان الجهر بإنصاف الإسلام أمراً خطيراً، فمن ذا الذي يجرؤ -ولو بدافع العلمية والموضوعية- أن يمتدح عدوه الذي يستشعر منه الخطر؟! إنه أمر لا يقوم به إلا أفذاذ الناس الذين يرفعون قدر الحق والحقيقة فوق كل اعتبار وكل مصلحة، ويكونون مستعدين لدفع الثمن الباهظ بمخالفتهم تيار السياسة وتيار الإعلام وتيار التحريض الشعبي، إن الذي ينطق بالحق في وقت الهزيمة والقهر وقلة النصير وشدة الخطر إنما هو في مرتبة عليا، بل هو في الإسلام «سيد الشهداء».

ومع هذا كله، ومع استيعابنا لهذه الظروف التي تسمح بالكلمة المنصفة، فإنه لا بد أن نُقَدِّر أيضاً أولئك الذين أنصفوا ديننا ونبينا وتاريخنا، فلم يزل هذا الإنصاف مغامرة غير آمنة في كل الأحوال، لا سيما في فرنسا، ومن يتابع أعمال المستشرق المعاصر فرانسوا بورجا يرى بنفسه بعضاً من هذه المعاناة التي يلقاها، والتهم التي يُرمى بها، ليس ذلك إلا لأنه جال كثيراً من بلدان العالم العربي ورأى الصورة التي تحجبها فرنسا، وتلمس التاريخ الذي لا يُدَرَّس فيها.

وبعض أولئك الذين حاولوا إنصاف الإسلام وحضارته ورسالته سلك مسالك متنوعة وحذرة في إزجاء المدح الواضح، وامتلأ حديثه بالاستدراك والاستثناء وطرح الاحتمالات، كأنه يحاول أن يجد طريقاً لا

يخون به العلم ولا يزعج به الحالة السائدة.

في هذه السطور القادمة، التقطنا بعض هذه الشهادات المنصفة التي صدرت عن مستشرقين منصفين، وغرضنا منها أن نبين أن الباحث إذا أخلص لوجه الحقيقة وتجرد لها، فإنه سيصل بمشيئة الله إليها، حتى لو كانت بيئته وثقافته تنطلق من المعاداة.

1 – تحدث المستشرق الفرنسي وعالم الاجتماع المعروف جوستاف لوبون عن الفتوحات الإسلامية فقال: «وكان يمكن أن تعمي فتوح العرب الأولى أبصارهم، وأن يقترفوا من المظالم ما يقترفه الفاتحون عادة، ويسيئوا معاملة المغلوبين، ويكرهوهم على اعتناق دينهم، الذي كانوا يرغبون في نشره في العالم.. فالحق أن الأمم لم تعرف فاتحين متسامحين مثل العرب، ولا ديناً مثل دينهم.. وما جهله المؤرخون من حلم العرب الفاتحين وتسامحهم، كان من الأسباب السريعة في اتساع فتوحهم، وفي سهولة اعتناق كثير من الأمم لدينهم ونظمهم ولغتهم، التي رسخت وقاومت جميع الغارات، وبقيت قائمة حتى بعد تواري سلطان العرب عن مسرح العالم»[1].

ويعد كتاب «حضارة العرب» لهذا المستشرق شهادة ضخمة على أن الأمة الإسلامية كانت خير أمة أخرجت للناس، وإن لم يخلُ من أخطاء وهنَّات، إلا أنه كتاب إذا قرأه الجاهل كان له بمثابة الصدمة التي يعرف بها قدر هذه الأمة.

2 – وصف الشاعر الفرنسي الشهير ألفونسي دي مارتين نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم بقوله: «إنه فيلسوف، خطيب، نبي، مشرّع، مقاتل، فاتق أفكار، باعث عقائد في شريعة لا صور فيها ولا تماثيل، مؤسس عشرين مملكة على الأرض ومملكة روحية، ذاك هو محمد، ومهما تكن المعايير التي نقيس بها العظمة الإنسانية، فإننا نتساءل: أي إنسان كان أعظم منه؟»[2].

3 – قال المستشرق والقانوني الفرنسي مارسيل بوازار عن تسامح الإسلام مع غير المسلمين وحفظه لحقوقهم: «الإسلام يتراءى أكثر تسامحاً كلما قَوِيَ واشتدَّ على الصعيدين الداخلي والخارجي، وتنص الآية القرآنية التي تمنع الإكراه على اعتناق الدين عن تأكيد لا يتزعزع، وقوة الأمَّة تُوَفِّر للمؤمن ألا يُخِيفَ اليهودي ولا المسيحي، وأن يحترم



بوازار: الإسلام يتراءى أكثر تسامحاً كلما قَوِيَ واشتدَّ على الصعيدين الداخلي والخارجي

–بالتالي– شخصهما ودينهما ومؤسساتهما.. وينبغي من جهة أخرى الإشارة إلى أن الشعوب الإسلامية بمختلف نزعاتها؛ الدينية أو الفلسفية، قد قاست ما قاساه المعاهدون حين بلغ جو التعصب ذروته (في السلطة)، إن لم تكن قاست أكثر مما قاسوا، وتنقل الكتب مثلاً أن أحد المسلمين لم ينج من القتل على أيدي زمرة تخالفه الرأي إلا بعد أن ادعى أنه ذمي».

ويتحدث عن قيمة الدين في صمود هذه الأمة وتماسكها رغم كل ما أريد لها من التمزيق فيقول: «كان الدين حافزاً فعالاً على تأليف كيان متميز لم تصدعه صروف

ريسلر: القرآن يجد الحلول لجميع القضايا ويربط بين القانون الديني والأخلاقي ويسعى لخلق النظام والوحدة الاجتماعية



الدهر، والاحتكاك بمختلف الحضارات على مر العصور.. ولقد تمكن المجتمع الإسلامي –الذي قام على الدين– من الصمود في وجه التفكيك السياسي، ولم تتأثر الروابط الدينية على الحدود والتخوم بين الدول كبير التأثير».

ويرى بوازار أن هذا الأمر لا يقتصر على الماضي، بل «إن القرآن لم يقدر فقط لإصلاح أخلاق عرب الجاهلية، إنه على العكس يحمل الشريعة الخالدة والكاملة والمطابقة للحقائق البشرية، والحاجات الاجتماعية في كل الأزمنة»[3].

4 – ويؤكد المستشرق الفرنسي كارا دي فو على أن «السبب الآخر لاهتمامنا بعلم العرب هو تأثيره العظيم على الغرب؛ إن العرب ارتفعوا بالحياة العقلية والدراسة العلمية إلى المقام الأسمى، في الوقت الذي كان العالم المسيحي يناضل نضال المستميت للانعتاق من أحابيل البربرية وأغلالها»[4].

5 – ويقول المستشرق والقانوني الفرنسي جاك ريسلر عن شمولية الإسلام: «إن القرآن يجد الحلول لجميع القضايا، ويربط بين القانون الديني والقانون الأخلاقي، ويسعى إلى خلق النظام والوحدة الاجتماعية، وإلى تخفيف البؤس والقسوة والخرافات، إنه يسعى إلى الأخذ بيد المستضعفين، ويوصي بالبر، ويأمر بالرحمة وفي مادة التشريع وضع قواعد لأدق التفاصيل للتعاون اليومي، ونظم العقود والمواريث، وفي ميدان الأسرة حدد سلوك كل فرد تجاه معاملة الأطفال، والأرقاء، والحيوانات، والصحة، والملبس.. إلخ»[5].

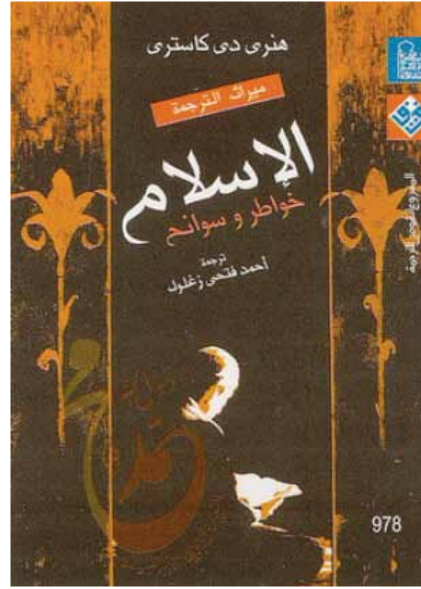
6 – ويقول المفكر والقانوني الفرنسي دومينيك سورديل في استعراضه لأخلاق المسلمين: «لا يمكن إنكار أن الإسلام مارس فضائل حقيقية وخاصة منها الفضائل الاجتماعية، وهي استجابة لنداءات القرآن، نعثر فيها على أساليب تضيف إلى وصايا الله، وتبدو كأنها استمرار للبر؛ وذلك كما تحدد الآية الرائعة التالية: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ

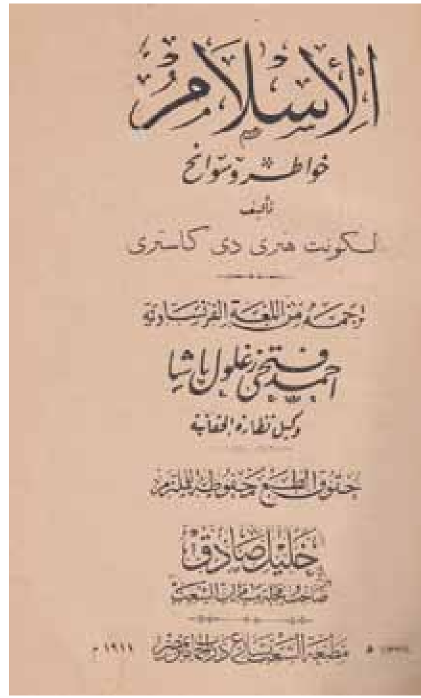


وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (البقرة: 177)، فالتعاون وحسن الضيافة والكرم والأمانة للالتزامات -التي تؤخذ تجاه أعضاء المجتمع والاعتدال في الرغبات والقناعة- تلك هي الفضائل التي لا تزال تميز المسلمين، وهي مثالية حقيقية، تريد أن ترتقي بقوى الطبيعة البشرية، التي تكفي لإعطائهم عزة نفس وكرامة كان يجهلها عرب الجاهلية»[6].

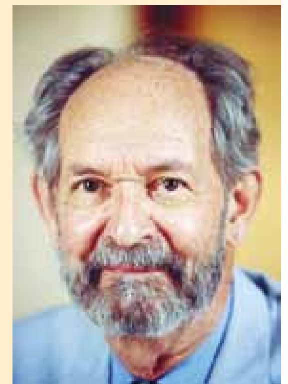
7 - يقول هنري دي كاستري، الكاتب والعسكري الفرنسي الذي خدم في الجزائر: «أنا قد قرأت التاريخ، وكان رأيي -بعد ذلك- أن معاملة المسلمين للمسيحيين تدل على ترفع عن الغلظة في المعاشرة، وعلى حسن مسايرة، ولطف مجاملة، وهو إحساس لم يشاهد في غير المسلمين إذ ذاك، وخصوصاً أن الشفقة والحنان كان عنوان الضعف عند الأوروبيين، وهذه الحقيقة لا أرى وجهاً للطعن فيها على وجه العموم»، ويقرر أنه «لو كان دين محمد انتشر بالعنف والإجبار، للزم أن يقف سيره بانقضاء فتوحات المسلمين، مع أننا لا نزال نرى القرآن يبسط جناحه في جميع أرجاء المسكونة»[7].

8 - ونختم بكلمة إنصاف للمستشرق الفرنسي المعروف أندريه ريمون الذي تخصص في دراسة البلاد العربية تحت الحكم العثماني، أنصف فيها العثمانيين وكيف كان العالم الإسلامي هو الملجأ الذي استقبل اليهود الفارين من التعصب المسيحي الكاثوليكي، يقول: «إن إنشاء الإمبراطورية العثمانية كان له بصفة عامة أثر إيجابي على مركز اليهود، وقد لجأ العديد من اليهود إلى البلاد الإسلامية للاحتماء بعد طردهم من إسبانيا أو هروبهم منها، وذلك خلال الفترة بين عامي 1492 و1496م، ثم في القرن السادس عشر.. وقد مارس اليهود في المدن العربية الكبيرة حيث تمركزت جاليتهم أنشطة متنوعة، من المعروف أن أشغال المعادن الثمينة وأعمال الصرافة هي مهنتهم التقليدية، وفي القاهرة كانت حارة اليهود تقع في قلب المدينة بجوار الصاغة، كما كان اليهود يعملون أيضاً في دار سك النقود، وكانوا يقومون بدور نشيط في التجارة الخارجية إذ كانوا يصدرون المنتجات المحلية ويستوردون المنتجات الأوروبية، وذلك بفضل علاقاتهم مع اليهود الأوروبيين، وتمكنوا بفضل رؤوس الأموال التي جمعوها من القيام بأنشطة بنكية في البلاد التي كانت البنوك فيها غير متطورة»[8].■




الإسلام
خواطر وسوانح
تأليف
الكونت هنري دي كاستري
ترجمة من اللغة الفرنساوية
أحمد فتحي زغلول باشا
وكيل نظارة الحقانية
حقوق الطبع محفوظة للمترجم
خليل صادق
صاحب مكتبة...
مطبعة الشعب ... ١٩١١

كاستري: لو كان دين محمد انتشر بالعنف والإجبار للزم أن يقف سيره بانقضاء فتوحات المسلمين



ريمون: كان للإمبراطورية العثمانية أثر إيجابي على اليهود الذين لجؤوا للبلاد الإسلامية بعد طردهم من إسبانيا

الهوامش

(1) جوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2000م)، ص605.

(2) ألفونسو دي لا مارتين، مختارات من كتاب حياة محمد، ترجمة: د. محمد قوبعة، (الكويت: مؤسسة جائزة البابطين، 2006)، ص124.

(3) مارسيل بوازار، إنسانية الإسلام، ترجمة: د. عفيف دمشقية، ط1 (بيروت: دار الآداب، 1980 م)، ص202، 73، 74، 109.

(4) كارا دي فو، «الفلك والرياضيات»، ضمن: توماس أرنولد (إشراف)، تراث الإسلام، تعريب: جرجيس فتح الله، ط2 (بيروت: دار الطليعة، 1972م)، ص564.

(5) جاك ريسلر، الحضارة العربية، ترجمة: خليل أحمد خليل، (بيروت: عويدات للطباعة والنشر، د. ت)، ص51.

(6) دومينيك سورديل، الإسلام، ترجمة: سليم قندلفت، ط2 (دمشق: دار حوران، 2003م). ص107.

(7) هنري دي كاستري: الإسلام خواطر وسوانح، ترجمة: أحمد فتحي زغلول، ط1 (الجيزة: مكتبة النافذة، 2008م)، ص79، 131.

(8) أندريه ريمون، المدن العربية الكبرى في العصر العثماني، ترجمة: لطيف فرج، ط1 (القاهرة: دار الفكر للدراسات، 1991 م)، ص 84، 85.





د. أشرف دوابه
أستاذ التمويل والاقتصاد بجامعة إسطنبول صباح زعيم



التورق المصرفي المنظم.. بين التبرير والتضليل

تم ميلاد المصارف الإسلامية مع ميلاد أول بنك إسلامي قطاع خاص في العام 1975م؛ وهو بنك دبي الإسلامي، ليشكل ذلك علامة فارقة في تاريخ المسلمين الاقتصادي المعاصر، وإثبات بصورة عملية خطأ شعار «لا اقتصاد بغير بنوك ولا بنوك بغير فوائد» الذي رفعه من تبنى استحالة وجود مصارف إسلامية.

حرص الآباء الأوائل المنظرون للبنوك الإسلامية على أن تكون بنوكاً تنموية اقتصادياً واجتماعياً؛ لذا كان جل تركيزهم على التمويل بالمشاركات، وتحت ضغط مخاطر المشاركات وفلسفة وعقلية جل القائمين على المصارف الإسلامية الذين أتوا إليها من بنوك تقليدية تم التوجه من المشاركات إلى المداينات من خلال استحواذ المرابحة للآمر بالشراء على غالبية صيغ التمويل بالمصارف الإسلامية، وقد كان التبرير لذلك بأن هذه فترة مؤقتة من خلالها يتم انتقاء العملاء المميزين في المرابحة للتعامل معهم بالمشاركة، ولكن حدث ما لم يكن متوقعاً؛ فقد اتجه العديد من المصارف الإسلامية إلى ما هو أشد وأنكى من خلال ترسيخ التعامل بالتورق المصرفي المنظم أو ما يطلق عليه تجميلاً «المرابحة السلعية»، وبعد أن كان هذا التعامل يتم حياء بات تبجحاً.

والتورق لغة مصدر تورق، والورق بكسر الراء: الدراهم المضروبة، وقيل: الفضة مضروبة كانت أو غير مضروبة، والتورق في الاصطلاح الشرعي أن يشتري سلعة نسيئة، ثم يبيعها نقداً -لغير البائع- بأقل مما اشتراها به؛ ليحصل بذلك على النقد، ولم ترد التسمية بهذا المصطلح إلا عند فقهاء الحنابلة، أما غيرهم فقد تكلموا عنها في مسائل بيع العينة.

مهمة البنوك الإسلامية ليست توفير سيولة نقدية للناس لاستخدامهم الشخصي وفتح الشهوات الاستهلاكية دون معرفة الاستخدام الحقيقي للتمويل

بين التورق الفردي والمنظم

والتورق بهذه الصورة يسمى بالتورق الفردي، وهو يمثل شراء سلعة بثمن آجل مساومة أو مرابحة ثم بيعها إلى غير من اشتريت إليه للحصول على النقد بثمن حال، وهو بخلاف العينة المحرمة من جمهور العلماء والمجامع الفقهية التي فيها يتم شراء سلعة بثمن آجل وبيعها إلى من اشتريت إليه بثمن حال أقل.

وجمهور العلماء على إباحة التورق الفردي سواء من سماه تورقاً وهم الحنابلة، أم من لم يسمه بهذا الاسم وهم من عدا الحنابلة؛ لعموم قوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ﴾ (البقرة: 275)، ولقول النبي صلى الله عليه وسلم، لعامله على خيبر: «بع الجمع بالدراهم ثم ابتع بالدراهم جنيباً» (رواه البخاري)، ولأنه لم يظهر فيه قصد الربا ولا صورته، وكرهه عمر بن عبدالعزيز، ومحمد



اقتصاد إسلامي

ابن الحسن الشيباني، وقال ابن الهمام: هو خلاف الأولى، واختار تحريمه ابن تيمية، وابن القيم؛ لأنه بيع المضطر، والمذهب عند الحنابلة إباحته.

وهذا بخلاف التورق المصرفي المنظم الذي يشتري فيه المستورق (العميل) سلعة من الأسواق المحلية أو الدولية ونحوها بثمن مؤجل، ويتولى البائع (البنك المموّل) ترتيب بيعها، إما بنفسه أو بتوكيل غيره أو بتواطؤ مع المستورق، بثمن حال أقل غالباً، وكذلك لو كان التورق عكسياً في حالة كون المستورق هو البنك والممول هو العميل.

وقد حرمت المجامع الفقهية هذا التورق المنظم باعتباره رباً، فالعينة واضحة جلية في المعاملة، والغرض من التورق المنظم واضح منذ البداية بتواطؤ أطراف المعاملة على بيع نقد بنقد بزيادة مع توسيط السلعة تحايلاً، وقد جاء بقرار مجمع الفقه الإسلامي الدولي بذات الخصوص «لا يجوز التورقان (المنظم والعكسي)؛ وذلك لأن فيهما تواطؤاً بين الممول والمستورق، صراحة أو ضمناً أو عرفاً، تحايلاً لتحصيل النقد الحاضر بأكثر منه في الذمة وهو ربا»، كما قرر المجمع الفقهي الإسلامي لرابطة العالم الإسلامي عدم جواز التورق المصرفي المنظم للأمور الآتية:

1 – التزام البائع في عقد التورق بالوكالة في بيع السلعة لمشتر آخر أو ترتيب من يشترطها يجعلها شبيهة بالعينة الممنوعة شرعاً، سواء أكان الالتزام مشروطاً صراحة أم بحكم العرف والعادة المتبعة.

2 – أن هذه المعاملة تؤدي في كثير من الحالات إلى الإخلال بشروط القبض الشرعي اللازم لصحة المعاملة.

3 – أن واقع هذه المعاملة يقوم على منح تمويل نقدي بزيادة لما سمي بالمستورق فيها من المصرف في معاملات البيع والشراء التي تجري منه التي هي صورية في معظم أحوالها، هدف البنك من إجرائها أن تعود عليه بزيادة على ما قدم من تمويل.

تحايلات مردودة

ورغم الحجج الواضحة في حرمة التورق المصرفي المنظم، ما زلنا نجد من يتبجح بأن هذا التورق المصرفي المنظم بيع والأصل فيه الإباحة وأنه فتح مبين، وأنه رئة البنوك الإسلامية الذي تتنفس به، وهو في حقيقته فتح لكبيرة أعلن الله عليها الحرب، وتلويث ليس لرئة البنوك الإسلامية فحسب بل لروحها وجسدها وسمعتها، وهو بيع باطل واضح فيه ما يؤول إليه العقد في نهايته من بيع نقد بنقد بزيادة مع جرم المقصد والتحايل المذموم والأمور بمقاصدها.

بل إن بعضهم استدل بحديث تمر خيبر مبررين ذلك بأن «الشيء قد يكون محرماً لعدم اتفاق صورته مع صيغته الشرعية، فإذا استطعنا أن نخرجه إلى صيغة شرعية مقبولة أصبح مباحاً، والتورق صيغة بيع صحيح مشتمل على شروطه وأركانه ومنتفية عنه أسباب الفساد والبطلان، وغايته الحصول على السيولة النقدية ليتجنب الناس الوقوع في الربا، والحاجة تدعو إلى مثل هذه المعاملة، فليس كل من يحتاج إلى مال يجد من يقرضه».

وهذا انحراف في الفهم وبُعد عن البصيرة، فالرسول صلى الله عليه وسلم وسط النقد في بيع التمر وما في حكمه حتى لا يقع الناس في الربا وليخرجوا من الحرام إلى الحلال، وهؤلاء يوسطون السلعة ليقع الناس في الربا وينتقلون من الحلال للحرام، فشتان بين توسيط النقد كوسيط للتبادل ومقياس للقيم ومعيار للمدفوعات الآجلة وبين بيع النقد بزيادة من خلال توسيط سلع بالتحايل المذموم، كما أن التداول على تلك السلع لا يحقق أي قيمة مضافة، اللهم سوى ارتفاع أسعار السلع لا سيما أن القبض فيها وهمي والتعامل عليها مستمر.

ثم إن القول بأن التورق المصرفي المنظم بغرض توفير السيولة النقدية لتجنب الوقوع في الربا هو كلام يهدم نفسه، فالتورق المصرفي المنظم هو عين الربا، كما أن الغاية لا تبرر الوسيلة، فالوسيلة يجب أن تكون حلالاً كالغاية، ومهمة البنوك الإسلامية ليست توفير سيولة نقدية للناس لاستخدامهم الشخصي وفتح الشهوات الاستهلاكية دون معرفة الاستخدام الحقيقي


جمهور العلماء على إباحة التورق الفردي لأنه لم يظهر فيه قصد الربا ولا صورته بخلاف التورق المصرفي المنظم

الغرض من التورق المنظم واضح من البداية بتواطؤ أطراف المعاملة على بيع نقد بنقد بزيادة مع توسيط السلعة تحايلاً

النبي صلى الله عليه وسلم وسَّط النقد في بيع التمر وما في حكمه حتى لا يقع الناس بالربا وليخرجوا من الحرام للحلال

«التورق المنظم يوفر السيولة للحكومات» قول استسلامي ترقيعي فالحكومات أولى من الناس بتطبيق الحلال والبعد عن الحرام

للتمويل، كما أن القول بأن الحاجة تدعو إلى مثل هذه المعاملة قول متهافت، فهذه الحاجة لا صلة لها بالحاجة المعتبرة شرعاً، وليست الحاجة ثوباً فضفاضاً تحركها الأهواء وأصلاً لا استثناء.

كما استدل البعض لتبرير التورق المصرفي المنظم بأن المصارف الإسلامية يجب عليها عدم تفويت أي فرصة للزيادة في ربحها، وتوفير ظروف التمويل لعملائها من خلال التورق المصرفي المنظم في ظل المنافسة المحتدمة مع المصارف الربوية، التي تقدم لعملائها منتجات مصرفية متنوعة تفوق بكثير منتجات المصارف الإسلامية، كما أن التورق المنظم صيغة مهمة تستطيع الحكومات بواسطتها تمويل العجز التجاري والحصول على السيولة اللازمة.

وهذا تبرير متناقض، فمنافسة البنوك الإسلامية للبنوك التقليدية لا تكون إلا بالطيب الحلال، كما أن المصارف التقليدية لا تحمل من صيغ التمويل سوى ثلاث صيغ جميعها محرم؛ القرض بفائدة، والحساب الجاري المدين، وخصم الأوراق التجارية، أما التمويل المصرفي الإسلامي فيصل إلى أكثر من عشرين صيغة تمويلية ما بين المداينات والمشاركات، ولكن أبت تلك البنوك إلا أن تلبس ثوباً واحداً هو المرابحة والتفنن في تجميله بالتورق المصرفي المنظم.

كما أن القول بأن التورق المنظم يوفر السيولة للحكومات هو قول استسلامي ترقيعي، فالحكومات أولى من الناس بتطبيق الحلال والبعد عن الحرام، والله تعالى يزع بالسلطان ما لم يزع بالقرآن.

استغلال «كورونا»!

وقد عكست تطبيقات التورق المصرفي المنظم رغم حرمته إهمال الضوابط التي وضعها من أجاز ذلك المنتج المذموم، حتى وصل البعض باسم أزمة «كورونا» إلى استخدام التورق المصرفي المنظم لقلب الدين وسداد متأخرات عملاء التمويل بصورة لا تختلف مطلقاً في المآل عن فوائد التأخير في البنوك التقليدية.

إن التورق المصرفي المنظم ما هو إلا بيع العينة المحرم شرعاً، والذين ظلموا الإمامين الشافعي، وابن حزم وافتروا عليهما بالقول بأنهما أباحا بيع العينة مطلقاً جانبهم الصواب؛ فالشافعي، وابن حزم وإن كانا ربطا صحة المعاملة بسلامة إجراءاتها من الناحية الشكلية (الإرادة الظاهرة) دون الأخذ في الاعتبار نية الطرفين المتعاقدين أو أحدهما (الإرادة الباطنة)، فإنهما ربطا ذلك إذا لم يتم التعبير أو الإعلان عن هذه الإرادة، وبذلك لم يتركا الحكم مستباحاً، بل ربطاه بحد واضح المعالم؛ وهو وجود ما يدل على النية الفاسدة من عدمه، فإذا كانت هناك قرائن أو دلائل على أن نية المتبايعين في العينة هي التحايل والوقوع في الربا، فإن الشافعي، وابن حزم يتفقان مع غيرهما من العلماء في تحريم العينة.

إن الذين يروجون لمنتجات تمويلية باسم الهندسة المالية الإسلامية وهيكلتها من خلال التورق المصرفي المنظم إنما يرسخون للهندسة المالية الشيطانية بفقه ترقيعي معوج، وأولى بهم الالتزام بما شرع الله دون تحايل على الحرام؛ فالتحايل على الحرام حرام، وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من التساهل في الاقتراب من المحرمات في قوله صلى الله عليه وسلم: «إن الحلال بيّن وإن الحرام بيّن، وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن حمى الله محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»

الهندسة المالية الإسلامية تنظر بعين الاعتبار إلى المقاصد والأمور الكلية ولا مكان فيها للحيل الشيطانية التي تقوم على المخادعة

(رواه مسلم)، فكيف بمن يعرفون المحرمات ويغمسون الناس فيها باسم توفير السيولة؟!

وقد حذر القرآن الكريم من تتبع الخطوات التي تستدرج العبد نحو الهاوية، فقال تعالى: ﴿وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (البقرة: 168)، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ (النور: 21).

إن الهندسة المالية الإسلامية تنظر بعين الاعتبار إلى المقاصد والأمور الكلية في الاقتصاد الإسلامي، من خلال النظر في بيان الحكم الشرعي إلى الجزئيات والكليات وإلى الفروع والمقاصد، ولا مكان فيها للحيل الشيطانية التي تقوم على المخادعة والتلبيس والتدليس وتتخذ كوسيلة للوصول إلى محرم أو تمويه الباطل أو إدخال الشبه فيه، وتهدم بذلك الأصول الشرعية وتناقض المصالح الشرعية، فالحيل تناقض سد الذريعة، وهي جرأة على استحلال محارم الله.

ومن يتأمل أحاديث اللعن يجد عامتها لمن استحل محارم الله، أو أسقط فرائضه بالحيل، كقول النبي صلى الله عليه وسلم: «لَعَنَ اللَّهُ الْمُحَلِّلَ، وَالْمُحَلَّلَ لَهُ» (رواه ابن ماجة)، وقال: «لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ؛ حُرِّمَتْ عَلَيْهِمُ الشُّحُومُ فَجَمَلُوهَا فَبَاعُوهَا، وَأَكَلُوا أَثْمَانَهَا» (رواه البيهقي)، وقال: «لعَنَ اللَّهُ آكِلَ الرِّبَا، وَمُوكِلَهُ، وَشَاهِدَهُ، وَكَاتِبَهُ» (رواه أحمد)، وقرن بين آكل الربا وموكله، والمحلل والمحلل له، وذلك للقدر المشترك بين هؤلاء الأصناف وهو التدليس والتلبيس؛ ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (النور: 63).■

الخرطوم - السماني عوض الله:

تفاجأت الأوساط الشعبية والسياسية السودانية بالقرار المتسارع الذي اتخذته الحكومة السودانية بالتطبيع مع دولة الكيان الصهيوني، متجاوزة الموقف العريض للشعب الرافض لهذه الخطوة التي يرى أنه دفع ثمنها غالياً في سبيل عدم التطبيع أو الاعتراف بدولة الكيان الصهيوني.

سودانيون: قرار «التطبيع» لا يمثلنا.. وملتزمون بمواقفنا التاريخية

«يوم حزين في تاريخ السودان السياسي، وغدر بالقضية الفلسطينية وبمواقف السودان»، بهذه العبارات الحزينة عبرت قطاعات واسعة من الشعب السوداني تعليقاً على قرار التطبيع المفاجئ الذي تم اتخاذه، بل ذهب البعض إلى القول: إن هذه الحكومة غير مفوضة باتخاذ مثل هذا القرار، وإنها قدمت السودان «كبش فداء» دون مقابل من أجل أن يفوز الرئيس الأمريكي «دونالد ترمب» في انتخابات نوفمبر الجاري، مؤكدين أن «ترمب» ظل يخادع ويراوغ السودان للحصول على رضا الكيان الصهيوني حتى يمهد الطريق له للانتخابات، لإدراكه أن السودان دولة مهمة بالنسبة للكيان الصهيوني، وأنه ظلَّ عصياً ومتمرداً عليه، إلا أن الخطوة التي اتخذتها الحكومة الانتقالية كانت موجعة ومؤلمة.

ورغم تباين المواقف بين الرفض والقبول، فإن حدة الرفض لقرار التطبيع كانت الأعلى صوتاً من قبل المواطنين ومن القوى السياسية السودانية؛ حيث قال حزب البعث القومي:

البعث القومي: قرار «التطبيع» من عدمه حق حصري لبرلمان مُنتخَب يعبر عن إرادة الشعب

المهدي: «التطبيع» يناقض القانون الوطني ويساهم في القضاء على مشروع السلام بالشرق الأوسط

إنه ليس من صلاحية مجلس السيادة أو مجلس الوزراء أو أي من هياكل الحكم الانتقالية التقرير في أمر إستراتيجي بهذا القدر من الحساسية، مؤكداً أن قرار التطبيع من عدمه حق حصري لبرلمان مُنتَخب يعبر عن إرادة الشعب السوداني.

واعتبر التطبيع بهذه الطريقة يعني تسليم القرار الوطني لمحاور خارجية، والدخول في نفق رهن السيادة الوطنية للمحاور الأجنبية والخضوع للضغوط والابتزاز.

وأضاف: نُدين بشدة التضليل المتعمّد والوعود الكاذبة بأن مشكلات السودان سوف تُحل تلقائياً بعد التطبيع، ورفع اسم السودان من قائمة الدول الراعية للإرهاب.

تهديد شركاء الحكم

رئيس حزب الأمة القومي الصادق المهدي، الذي يعتبر من الزعامات السياسية والدينية في السودان، هدَّد بسحب تأييده للحكومة الانتقالية في حال أقدمت على التطبيع مع الكيان الصهيوني، وقال الصادق: إن مؤسسات الحكم الانتقالية غير مؤهلة لاتخاذ أيِّ قرارات في القضايا الخلافية، مثل إقامة علاقات مع «إسرائيل»، وأكد أن حزبه ناشد نقابة المحامين فتح بلاغات ضد من يخالفون قانون مقاطعة الكيان الصهيوني، وأن محاميّ حزب الأمة سوف يتطوّعون بذلك.

وكخطوة احتجاجية أخرى، أعلن المهدي مقاطعة المؤتمر الدولي الذي استضافته الخرطوم، يومي 24 و25 أكتوبر الماضي، حول «التجديد.. بين الأصل والعصر»؛ حيث كان من المقرر مشاركته به وتقديم ورقة تم الإعلان عنها.

كما جدد المكتب السياسي لحزب الأمة القومي الذي يتزعمه المهدي موقفه الرافض للتطبيع من منطلقات مبدئيِّة، ورأى المكتب أن هذا القرار الخطير يشكِّل علامة فارقة في بيان خطل وانفرادية التصرفات المرتكبة خارج تفويض حكومة الفترة الانتقالية بمجلسيها السيادي والوزراء، وتتطلب مواجهته موقفاً قوياً يردع هذا التردي، ويعيد التوازن للفترة الانتقالية، ويمنعها من الانفلات بسبب قرارات غير مسؤولة ولا مدروسة ولا متشاور عليها، تخرق الوثيقة الدستورية، وتخلخل التوازن الهش القائم، مما يمهد الأوضاع لكافة سيناريوهات الانهيار، حسب رأي المكتب.

من جانبها، رفضت قوى الإجماع الوطني السوداني، التي تمثل مجموعة من الأحزاب السياسية السودانية المؤثرة في الساحة السياسية، بشدة قرار التطبيع، واعتبرته تجاوزاً للوثيقة الدستورية التي تحكم الفترة الانتقالية في السودان.

وقالت قوى الإجماع الوطني: إنه بعد يومين فقط من موكب 21 أكتوبر، الذي جاء للاحتفاء بأم الثورات السودانية العظيمة، تحت شعار عريض هو «تصحيح مسار ثورة ديسمبر والسلطة الانتقالية»، في اتجاه الالتزام بأهداف ومبادئ وشعارات الثورة، إذا بالسلطة الانتقالية تتعمد انتهاك الوثيقة الدستورية، وتمضي خطوات في اتجاه التطبيع مع الكيان الصهيوني، والخروج على ثوابت ومآثر سودان «اللاءات الثلاث»، في دعم الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني.

وأشارت إلى المواقف التي عبر عنها رئيس الوزراء برفض ربط التطبيع مع الكيان الصهيوني بالتطبيع مع الولايات المتحدة





الأمريكية، ورهن التطبيع نفسه بالتفويض، وهو ما كان ينبغي التمسك به في مواجهة الضغوط التي تتعرض لها الحكومة من أجل اتخاذ موقف يعزز فرص الرئيس الأمريكي «دونالد ترمب» الانتخابية، مقابل منافسه الديمقراطي «جو بايدن».

وأكدت قوى الإجماع الوطني أن تجاوز الوثيقة الدستورية فيما حددته من صلاحيات وسلطات، لأي من المجلسين، وتغول السيادي على سلطات الوزاري، والتقرير منفرداً في مسائل مختلف عليها، ليس بالأمر الجديد، فقد سبق لرئيس المجلس السيادي أن التقى برئيس وزراء الكيان الصهيوني في أوغندا، مدشناً عملية التطبيع دون تفويض أو سند من الوثيقة الدستورية.

وقالت: إنها ترى فيما تم تجاهلاً للرأي العام وللموقف الشعبي، واستخفافاً به، ونرى أن شعبنا، الذي يتم عزله وتهميشه بطريقة منهجية عبر الصفقات السرية، غير مُلزَم بما ينتهي إليه التطبيعيون من اتفاقيات، وسيلتزم شعبنا بمواقفه التاريخية، ويعمل من خلال جبهة عريضة لمقاومة التطبيع ودعم الشعب الفلسطيني من أجل الحصول على كامل حقوقه المشروعة، وسيناضل شعبنا من أجل الدفاع عن استقلاله وعن سيادته الوطنية في مواجهة الضغوط الخارجية والابتزاز والارتهان للقوى الخارجية، ومن أجل جعل مصالحه الوطنية هي الأعلى.

وجددت قوى الإجماع الوطني الدعوة للإسراع في تكوين المجلس التشريعي، كجهة رقابية وتشريعية، معنية بالتقرير في كافة القضايا التي نصت عليها الوثيقة الدستورية.

وأعلنت في الوقت ذاته الرفض لأي قرار يعني بالتطبيع يتم بدون تفويض من مجلس تشريعي منتخَب، خاصة في ظل تغييب تام للشعب ولقواه الحية.

أما الحزب الاشتراكي العربي الناصري، فقال: إن موقفه من الكيان الصهيوني المحتل موقف مبدئي غير قابل للمساومة، مضيفاً: نرفض بكل قوة كافة أشكال التطبيع مع هذا الكيان العنصري المحتل، وإيماننا الكامل بأنه عدو، وصراعنا معه صراع وجود لا حدود.

وقال الحزب: إن ما تم لا يخرج عن كونه جزءاً لا يتجزأ من «صفقة القرن» سيئة الصيت والذكر، وبكل أسف رضخت الحكومة الانتقالية لأساليبها وألاعيبها القذرة في تمرير أجندتها، فالأمر يتعدى الاستحقاق الانتخابي كما يتوهم البعض، بل أكبر من حد تصورهم، وما يترتب على هذه الجريمة سيجني ثماره شعبنا من تفكيك وتمزيق.

تبريرات غير مقنعة

الشارع السوداني لم يرحب بهذا التطبيع، ولم يتمكن من الاحتفال بقرار رفع الحظر الأمريكي؛ لأنه صُدم بقرار التطبيع الذي قال: إنه تم دون مقابل، بل بالخسارة الكبيرة من حيث الغرامة التي دفعها للرئيس «ترمب» التي طالب بها لرفع الحظر عن السودان، رغم أن الخرطوم تضررت كثيراً من الهجمات التي شنها الكيان الصهيوني عليها وتدمير مصنع الشفاء للأدوية، وتفجير مجمع اليرموك، والضربات التي حدثت في شرق السودان.

كما أن الشارع لم تعجبه التبريرات التي قدمها وزير الخارجية المكلَّف عمر قمر الدين الذي أكد أن الحكومة الانتقالية في السودان وافقت على تطبيع العلاقات مع «إسرائيل»، وأن المصادقة على الاتفاق حتى يدخل حيز التنفيذ تظل من اختصاص الأجسام التشريعية في البلاد.

كما انتقد رجال الدين الإسلامي في السودان خطوة التطبيع مع الكيان الصهيوني، معتبرين إياها انغماساً في «هوى اليهود» واتباع ملتهم، مستدلين بقوله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ (البقرة: 120).

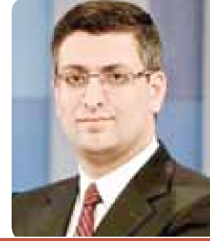
قوى الإجماع الوطني: ما حدث تجاهل للرأي العام وسيلتزم شعبنا بمواقفه التاريخية ولن يرضى بالصفقات السرية

هاشم: «التطبيع» مع دولة العدو يعتبر خيانة للقضية الفلسطينية التي ظلت تدافع عن المقدسات الإسلامية

وقال الشيخ محمد هاشم، إمام وخطيب أحد مساجد الخرطوم: إن قرار التطبيع مع دولة العدو يعتبر خيانة للقضية الفلسطينية التي ظلت تدافع عن المقدسات الإسلامية، مؤكداً أن عملية التطبيع لا تمثل الشعب السوداني، ولا تمثل توجهه، رافضاً ربط رفع السودان من قائمة الدول الراعية للإرهاب بعملية التطبيع مع الصهاينة، وطالب هاشم كافة المسلمين والمواطنين في السودان برفض هذه العملية وعدم قبولها.

وتوقع عدد من المراقبين أن يجد القرار رفضاً شعبياً واسعاً؛ حيث ستخرج الخرطوم ومدن أخرى في مسيرات رفض واسعة لهذا القرار الذي اعتبروه «وصمة عار» للسودان عامة، ولا يمثل موقفه الذي ظل متمسكاً بعدم الاعتراف بالكيان الصهيوني.■

ناغورنو قره باغ.. ملف إقليمي جديد على الأجندة التركية



د. سعيد الحاج
محلل سياسي مختص بالشأن التركي

خلافاً لسياستها الخارجية المنكفئة على نفسها تقليدياً، تنخرط تركيا في قضايا وملفات إقليمية عديدة في السنوات الأخيرة، من سورية للعراق لليبيا، وصولاً لأزمة شرق المتوسط المعقدة مع اليونان وأطراف أخرى، قبل أن تنضم لها أزمة إقليمية جديدة في القوقاز بين أرمينيا وأذربيجان.

تعود جذور الأزمة بين أرمينيا وأذربيجان إلى الفترة السوفييتية، حين ألحق ستالين إقليم ناغورنو قره باغ ذا الأغلبية الأرمينية بأذربيجان، وفعل العكس بإقليم ناهتشيفان ذي الأغلبية الأذربيجانية، في محاولة لإنشاء حالة نزاع وتوازن تبقي الطرفين في حاجة ماسة لموسكو.

انفجرت الأزمة إثر انهيار الاتحاد السوفييتي وإعلان إقليم ناغورنو قره باغ -الذي كان يتمتع بحكم إداري ذاتي- استقلاله عن أذربيجان؛ ما أشعل فتيل مواجهة عسكرية تدخلت فيها أرمينيا وأدت لاحتلالها مناطق عدة تقدر بحوالي خُمس الأراضي الأذربيجانية.

أصدر مجلس الأمن الدولي عدة قرارات طالبت أرمينيا بالانسحاب من الأراضي الأذربيجانية المحتلة، وأنشأت منظمة الأمن والتعاون في أوروبا «مجموعة مينسك» لحل الأزمة، لكن كل ذلك لم يفض إلى تسوية من أي نوع ولم يُعد الحقوق الأذَربيجانية.

بقيت أرمينيا محتلة للأراضي الأذربيجانية، وبالتالي تندلع كل فترة من الزمن جولة جديدة من المواجهة العسكرية بينهما، دون أن يفضي ذلك لحل الأزمة عسكرياً ولا التمهيد لمسار سياسي حقيقي.

أذربيجان أحد أهم موردي الغاز الطبيعي لتركيا المفتقرة لمصادر الطاقة وتمثل البديل النموذجي لها عن الغاز الروسي

القيادة الأرمينية الحالية أتت بعد ثورة مدعومة غربياً وتسعى للتقارب مع الغرب على حساب العلاقات الراسخة مع روسيا

الموقف التركي

تقف تركيا تقليدياً إلى جانب أذربيجان في صراعها مع أرمينيا لأسباب كثيرة، بعضها مرتبط بالعلاقة مع باكو، وبعضه الآخر مرتبط بالمنطقة، وثالث مرتبط بالصراع نفسه.

هناك مشتركات كثيرة بين تركيا وأذربيجان، في مقدمتها العرق والدين واللغة، تجعل العلاقة بينهما مميزة عن أي علاقات ثنائية بين دولتين؛ حيث يعدُّ الأذربيجانيون أنفسهم «الأتراك الحقيقيين»، ويتحدث الأتراك عن «شعب واحد في دولتين» للتدليل على عمق العلاقات -لا سيما العرقية- بين الجانبين.

كما أن أذربيجان أحد أهم موردي الغاز الطبيعي لتركيا المفتقرة حتى اللحظة لمصادر الطاقة، وتمثل البديل النموذجي لها عن الغاز الروسي الذي تحاول تقليل نسبة اعتمادها عليه قدر الإمكان.

أكثر من ذلك، فالقوقاز إحدى أهم مناطق التنافس الإقليمي بين كل من روسيا وتركيا وإيران، وبدرجة أقل الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة الأمريكية، هنا تمثل أذربيجان الموازن الإقليمي لأرمينيا الخصم التاريخي لتركيا، ويمثل الثلاثي (تركيا - أذربيجان - جورجيا) إطاراً إقليمياً منافساً لروسيا ومنظمة معاهدة الأمن الجماعي.

تعد منطقة الصراع الحالي منطقة عبور لمشاريع الطاقة من بحر قزوين بشكل عام والمشاريع التركية الأذربيجانية على وجه الخصوص؛ ما يعني أن أنقرة ترى نفسها مستهدفة مثلها مثل باكو في هذا الصراع.

كما أن معاهدة التعاون الإستراتيجي الموقعة عام 2010م بين البلدين سمحت لتركيا بممارسة دور مهم في تدريب وتسليح الجيش الأذربيجاني، وهو ما صنع فارقاً ملحوظاً في هذه الجولة من التصعيد.

أخيراً، لطالما وقفت أذربيجان إلى جانب تركيا في أكثر من مسألة إقليمية، وفي مقدمتها شرق المتوسط والعمليات التركية في الشمال السوري؛ ما يشعر أنقرة بواجب الوفاء وردِّ الجميل لها، فضلاً عن أحقية موقف الأخيرة التي تسعى لتحرير أراضيها المحتلة باعتراف المنظومة الدولية التي فشلت -إن لم نقل تقاعست عن- في إيجاد حل سلمي لها بعد أكثر من 30 عاماً عليها.

بنتيجة كل ذلك، لم يكن مستغرباً أن تقدم تركيا موقفاً مرتفع السقف في هذه الجولة، وعلى جميع المستويات، تعبيراً عن دعم كامل لأذربيجان ولكن دون الانخراط المباشر؛ فقد خرجت التصريحات الرسمية المؤكدة دعم تركيا الكامل لأذربيجان من الرئيس ووزيري الخارجية والدفاع ورئيس البرلمان، وقد تواصل وزير الدفاع خلوصي أكار هاتفياً مع نظيره الأذربيجاني، بينما زار رئيس البرلمان مصطفى شانتوب باكو وألقى كلمة أمام برلمانها.

سياسياً، وقّعت الأحزاب الأربع الكبرى في البلاد بياناً مشتركاً يدين «الاعتداءات الأرمينية» ويدعم أذربيجان في سعيها لتحرير أراضيها.



وشعبياً، أظهرت استطلاعات رأي وقوف الغالبية العظمى من الأتراك إلى جانب باكو ضد يريفان.

جولة مختلفة

تختلف الجولة الحالية من التصعيد بين الجانبين من عدة زوايا، لكن لعل أهمها اختلافان مهمان:

الأول: الموقف الروسي، الذي بدا أقرب للحياد، أو هكذا أرادت موسكو له أن يبدو، للخلافات الواضحة مؤخراً بينها وبين يريفان؛ حيث إن القيادة الأرمينية الحالية أتت بعد ثورة مدعومة غربياً، وهي تسعى بشكل واضح ومعلن للتقارب مع الغرب على حساب العلاقات التقليدية الراسخة مع روسيا، حليفها الإستراتيجي ومصدر سلاحها شبه الوحيد.

ولذلك فقد كانت بعض التصريحات الروسية لافتة للأنظار ودالة على هذا التغير، وفي مقدمتها تصريح وزير الخارجية لافروف بأن بلاده تدعم مطالب أذربيجان بانسحاب القوات الأرمينية من مناطقها المحتلة، وتصريحات «بوتين» بأن بلاده ملتزمة بمسؤولياتها تجاه أرمينيا، غير أن الاشتباكات الحالية لا تدور على أراضيها.

هذا الموقف الروسي فهم على أنه ضوء أخضر لأذربيجان لتستمر في تقدمها الميداني، وهو المتغير الكبير الثاني في هذه الجولة؛ حيث تتحدث باكو لأول مرة عن تحرير مدن وبلدات ومناطق عديدة بقيت محتلة منذ تسعينيات القرن الماضي.

الموقف التركي، الذي سبق تفصيله، متغير مهم كذلك، خصوصاً أنه واضح وحاسم ومعلن، وأنقرة لا تخفي دورها المهم في تطوير القوات المسلحة الأذربيجانية في السنوات الماضية، خصوصاً عن طريق بيعها الطائرات المسيّرة بدون طيار، التي أدت دوراً مهماً ضد القوات الأرمينية هذه الجولة.

أذربيجان ترى أنها أمام فرصة استثنائية لفرض معادلة جديدة تعطيها الأمل باسترداد أراضيها

الأزمة الحالية أضافت لزخم حضور تركيا في القوقاز وقوّت نسبياً من موقفها بالمنطقة في مواجهة روسيا

ونتيجة كل ما سبق، تختلف موجة التصعيد الحالية عن سابقاتها بأنها أكثر تحريكاً للملف؛ حيث وضعت العربة أمام الحصان كما يقال؛ ذلك أن تقدم باكو ميدانياً وتحريرها مناطق من الاحتلال الأرميني يعني أن الملف لن يعود إلى وضعه السابق، بل ينبغي أن يوضع في مسار ما للحل، وإلا فتح الباب أمام مواجهة مفتوحة على سيناريوهات عديدة لا تريدها القوى الإقليمية.

بهذا المعنى نقول: إن الموجة الحالية من المواجهة هي «حرب تحريك» للملف من قبل أذربيجان، ولعل ذلك تحقق من خلال المبادرات الروسية لإجلاس الطرفين على طاولة الحوار لتحقيق «هدنة إنسانية» تسعى موسكو لتثبيتها وتطويرها إلى هدنة دائمة تمهد لمسار سياسي.

المستقبل

وفق المعطيات الحالية، لا يبدو أن هناك حلاً قريباً للأزمة، فأذربيجان ترى أنها أمام فرصة استثنائية لفرض معادلة جديدة تعطيها الأمل باسترداد أراضيها، بينما يستبعد أن توقف أرمينيا المواجهة وهي في حالة الضعف والتراجع، ولذلك كان من المنطقي ألا تنجح الجهود الروسية في البدايات في وقف إطلاق النار، خصوصاً أن موسكو نفسها لم تكن متحمسة لذلك قبل أن تصل الرسالة ليريفان.

أما على المدى البعيد، فمن المستبعد أن تستمر المناوشات العسكرية حتى تحرير أذربيجان كامل أراضيها، الأرجح أن يكون هناك مسار سياسي ما بعد تغير المعادلة الميدانية، وهنا تريد روسيا أن تكون اللاعب الوحيد في الأزمة، التي تدور في عمقها الإستراتيجي وفضائها السوفييتي السابق، ولذلك ليس هناك رغبة روسية في أي مساهمة فاعلة من الأطراف الأخرى، ولا سيما تركيا التي تعد منافساً لها في المنطقة وداعماً للطرف الآخر، أذربيجان.

المعادلة العسكرية الجديدة التي فرضتها أذربيجان توحي بإمكانية استعادتها لأراضيها المحتلة، خصوصاً مع القرارات الدولية السابقة والموقف الروسي المستجد، لكن ذلك قد لا ينطبق على إقليم ناغورنو قره باغ نفسه، فما يتبدى بين سطور المبادرات الروسية وتصريحات الكرملين هو أن الأخير يريد فصل المسارين عن بعضهما بعضاً، بحيث يكون للإقليم وضع خاص قد ينتهي باستفتاء شعبي على مصير الإقليم ذي الأغلبية الأرمينية.

بالنسبة لتركيا، أضافت الأزمة الحالية لزخم حضورها في القوقاز وقوّت نسبياً من موقفها في المنطقة في مواجهة روسيا، وأضيف الملف إلى ملفات أخرى تمثل اهتماماً مشتركاً -وخلافاً- بين أنقرة وموسكو، بيد أن الموجة الحالية أتت في ظل مسار تقارب بين البلدين -عكس عام 2016م- وإن كان يشوبه بعض التوترات خصوصاً في سورية.

ولذلك، فإن الملف مرشح لأن يتضمن لاحقاً بعض التفاهمات التركية الروسية، لكن على قاعدة رغبة موسكو بدور لأنقرة مشجّع لباكو على الدخول في مسار تفاوضي، وليس على قاعدة الخلاف والندية والتنافس في الملف؛ وهو ما يمكن أن تتجاوب معه أنقرة التي لا تريد حرباً موسعة ولا الدخول في مواجهة -مباشرة أو غير مباشرة- مع موسكو، خصوصاً إذا ما مارست الأخيرة عليها ضغوطاً في ملفات أخرى، لا سيما سورية.■



أفريقيا والصراع العربي الصهيوني.. الطريق نحو «التطبيع»

روضة علي عبدالغفار
صحفية مهتمة بالشأن الأفريقي

التطبيع العربي الصهيوني لم يتم في يوم وليلة، ولا سنة أو اثنتين، بل هي خطة دقيقة، ترتسم أبرز خطوطها على القارة السمراء، تهدف لتطويق العالم العربي، وحيث المزايا العديدة التي تمتلكها القارة الأفريقية على المستوى الاقتصادي والسياسي والعسكري، توغل الكيان الصهيوني في القارة بخطوات متئدة، يسير بحذر، وينتشر في شرق القارة وغربها وجنوبها ووسطها، في الخفاء تارة وفي العلن تارة أخرى، خلف نوايا المصلحة الاقتصادية أو حماية يهود المنطقة.

وهذا التاريخ العريض من صناعة النفوذ الصهيوني داخل أفريقيا، كان ذلك إحدى أدوات الصراع العربي- الصهيوني، وإحدى دعائم عملية التطبيع الحالية؛ فكيف كانت أفريقيا أداة من أدوات التطبيع؟ وكيف تغيرت نظرة أفريقيا للكيان الصهيوني عبر التاريخ؟ وما مصالح الطرفين من هذه العلاقة؟ وما مدى تأثير الغياب العربي في أفريقيا على توغل الكيان الصهيوني في المنطقة؟

في هذا التحقيق تتناول «المجتمع» هذه القضايا.

الكيان الصهيوني.. الصديق والعدو:

عاشت العلاقات الصهيونية- الأفريقية ربيعها المزدهر منذ بداية الخمسينيات، حيث كان للكيان الصهيوني علاقات دبلوماسية بدول القارة كافة، عدا الدول العربية منها، حتى حرب يونيو 1967م؛ إذ أدى العدوان الصهيوني على مصر وسورية والأردن إلى تغيير صورة الكيان الصهيوني من دولة فتية ومسالمة، لا طموحات استعمارية لديها في نظر الأفارقة، إلى دولة قوية عدوانية وتوسعية، وبهذا شكلت حرب عام 1967م مساراً لقطع العلاقات شمل آنذاك 4 دول فقط، هي: غينيا، وأوغندا، وتشاد، والكونغو.

أما الدول الأفريقية الأخرى فقد استمرت علاقتها بالكيان الصهيوني حتى نشوب حرب أكتوبر 1973م، حين اتخذ المجلس الوزاري لمنظمة الدول الأفريقية، الذي عقد في نوفمبر 1973م، قراراً بقطع العلاقات الدبلوماسية بالكيان الصهيوني، ومطالبته بالانسحاب من الأراضي المحتلة، ومنح الشعب الفلسطيني حق تقرير المصير، وقد استجابت لهذا القرار الدول الأفريقية كافة.

يقول خبير الشؤون «الإسرائيلية»، أنس أبو عرقوب، لـ«المجتمع»: إن دولة الكيان الصهيوني منذ نشأتها وهي منبوذة من معظم الشعوب التي كانت تناضل لتحقيق استقلالها، وفي تلك الفترة ارتبطت معظم حركات التحرر الأفريقية بعلاقات تراوحت بين التعاطف والتحالف مع حركات التحرر الفلسطينية، ومنح ذلك الفلسطينيين تأييداً وشرعية على الصعيد الدولي، وساهم بتكريس رأي عام شعبي بحق تقرير مصيرهم واستعادة بلادهم.

انتهى عقد السبعينيات بتغييرات عديدة على مستوى القارة الأفريقية، وعلى مستوى الصراع العربي- الصهيوني، وكان هناك عدة عوامل ساعدت على عودة الكيان الصهيوني إلى القارة الأفريقية، أهمها:

أولاً: توقيع مصر اتفاقية «كامب ديفيد»، وخروجها من ساحة المواجهة مع الكيان الصهيوني، وقد كان احتلال الكيان لأراض مصرية يمثل مرتبة أولى في الموقف الأفريقي من هذا الكيان المحتل.

ثانياً: الصراعات الإقليمية على مستوى القارة، حيث كانت بعض الدول العربية طرفاً رئيساً فيها، مثل: ليبيا- تشاد، والسودان- إثيوبيا، وقضية إريتريا، وقضية الصحراء الغربية، وقد سببت هذه الصراعات انقسامات بين الدول الأفريقية، وأحدثت شرخاً في العلاقات العربية الأفريقية، وأدت في النهاية إلى نوع من الشلل على مستوى مؤسسات التنسيق العربي الأفريقي.

ثالثاً: تفاقم الأزمات الاقتصادية في الدول الأفريقية له دور بارز في تراجع العلاقات العربية الأفريقية؛ إذ حُمِّلَت الدول العربية بعض المسؤولية عن هذه الأزمة، بسبب ارتفاع أسعار النفط بعد الحظر الذي فرضته الدول العربية المصدرة للنفط بعد حرب أكتوبر 1973م، وعلى الرغم من المساعدات العربية لدول أفريقيا، فإنها لم تكن كافية لعدم تحميل الدول العربية مسؤولية تفاقم الأزمات الاقتصادية.

لقد تضافرت كل هذه المتغيرات الدولية وكانت لمصلحة عودة العلاقات الصهيونية الأفريقية، ففي عام 1981م، تم توقيع اتفاقية التعاون الإستراتيجي مع الولايات المتحدة الأمريكية التي أطلقت بموجبها يد الكيان الصهيوني في أفريقيا.

ويرى أبو عرقوب أن نجاح دولة الكيان الصهيوني بإنهاء هذه المقاطعة فتح أمامها المجال للتظاهر كأنها دولة طبيعية وليست دولة قامت على تشريد شعب، ويترجم الكيان الصهيوني هذه الحالة بإقامة علاقات تجارية واستخبارية؛ يجري استثمارها لحصار الفلسطينيين والدول العربية؛ التي ترى في الكيان الصهيوني عدواً رغم وجود علاقات سلام معه.

الكيان الصهيوني.. وخطة تطويق العالم العربي:

نظرت دولة الكيان الصهيوني من البداية إلى أفريقيا باعتبارها قادرة على القيام بدور محوري في تسوية محتملة للصراع العربي الصهيوني، وذلك استناداً إلى عدة حقائق، أبرزها:

- الصداقة المتبادلة بين أفريقيا والعرب والصهيونيين.
- تحرر أفريقيا من الأبعاد النفسية والأخلاقية الخاصة بطبيعة الصراع العربي في الشرق الأوسط، وبالفعل كانت قد طُرحت عدة مقترحات أفريقية للوساطة بين العرب والكيان الصهيوني، غير أنها باءت جميعاً بالفشل.

إن العلاقات المتينة بين دول أفريقيا والكيان الصهيوني تأتي في إطار المحاولة للالتفاف على حالة العداء العربي لها، وهي الإستراتيجية التي بلورها أول رئيس وزراء للكيان الصهيوني «دافيد بن غوريون»، وهي تقوم على تعزيز العلاقات مع الدول غير العربية المحيطة بالدول العربية، والانطلاق منها إلى إثارة النعرات الطائفية والعرقية والدينية في المجتمعات العربية؛ من أجل إشغالها عن الصراع العربي الصهيوني، واستنفاد قدراتها في صراعات أخرى، وقد تجلَّى ذلك بوضوح عبر الدور الصهيوني في السودان، ودعم الحركة الشعبية التي وجدت ملاذاً لها للانطلاق من كينيا وأوغندا وغيرهما من دول المنطقة.

وفي هذا السياق، صرح أبو عرقوب، لـ«المجتمع»، بأن الكيان الصهيوني يمارس دوراً شديد الخطورة في أفريقيا لخدمة مصالحه في الصراع العربي الصهيوني، والآن التغلغل الصهيوني في أفريقيا يتيح له إغراق مصر في أزمة مائية عبر علاقاته مع إثيوبيا، وفي حال تم إنجاز اتفاق التطبيع مع السودان سيقطع الكيان الصهيوني طريقاً مهماً لتهريب السلاح لقطاع غزة ينطلق من الخرطوم.

وقد نشطت الدبلوماسية الصهيونية

عام 2016م زار «نتنياهو» 4 دول بشرق أفريقيا تمتلك منافذ بحرية حيوية على المحيط الهندي والبحر الأحمر

العلاقات الصهيونية الأفريقية عاشت ربيعها المزدهر منذ بداية الخمسينيات

عبدالرحمن: اتفاقية السلام مع مصر كانت سبباً رئيساً لهرولة الدول الأفريقية للكيان الصهيوني

بالسنوات الماضية في أنحاء القارة السمراء، ففي صيف عام 2016م، زار «نتنياهو» أربع دول في شرق أفريقيا والقرن الأفريقي، هي: أوغندا وكينيا ورواندا وإثيوبيا، حيث تشكل هذه الدول أهمية إستراتيجية بالنسبة للكيان الصهيوني، باعتبارها تمتلك ممرات ومنافذ بحرية حيوية مطلة على المحيط الهندي والبحر الأحمر؛ حيث يمر 20% من هذه التجارة أمام سواحل القرن الأفريقي وفي مضيق باب المندب، الذي يعتمد عليه الكيان في تجارته مع أفريقيا وآسيا وأستراليا، وإقامة علاقات دبلوماسية مع أكبر عدد ممكن من الدول الأفريقية مقابل إضعاف التأييد الأفريقي للقضايا العربية، وكسب الرأي العام الأفريقي إلى جانبه؛ الأمر الذي قد يُفقد العرب رصيداً كبيراً من التأييد السياسي لهم، حيث يرى «يتسحاق شمير»، وزير الخارجية الصهيوني سابقاً، أن دول أفريقيا تتمتع بثقل دبلوماسي هائل، إذ تشكل أصواتها ثلث أصوات الجمعية العامة للأمم المتحدة، وتستطيع وحدها إذا أجمعت أن ترجح كفة أي قرار سلباً أو إيجاباً.

وإذا كان الكيان الصهيوني قد وضع ثقله في منطقة شرق أفريقيا ومنطقة القرن الأفريقي بما نسجه من علاقات مع الدول المذكورة وغيرها، فإن دبلوماسيته لم تقف عند هذا الحد، بل وجَّه نفوذه نحو أفريقيا الغربية؛ ففي أغسطس 2017م، رفعت السنغال وغينيا، وهما دولتان



أغلبية سكانهما مسلمون، مستوى علاقاتهما الدبلوماسية مع الكيان الصهيوني، وقد اتفقت داكار والكيان على تطبيع العلاقات في ذات العام، بينما تعهدت السنغال بدعم ترشيح الكيان الصهيوني عضواً مراقباً في الاتحاد الأفريقي، كما أعادت غينيا علاقاتها بالكيان المحتل، في يوليو 2016م، بعد 50 عاماً من القطيعة.

ومن المتوقع أن تزداد العلاقات الصهيونية الأفريقية قوة وانفتاحاً في الفترة القادمة بعد تطبيع بعض الدول العربية مع هذا الكيان الغاصب؛ حيث أعلنت «هيئة البثّ الصهيونية»، في سبتمبر الماضي، أن وفداً تشادياً وصل سراً إلى الأراضي الفلسطينية المحتلة، ليلتقي رئيس الوزراء الصهيوني «بنيامين نتنياهو»، وضمّ الوفد نجل الرئيس إدريس ديبي، ومستشار الأمن القومي التشادي، وتم بحث مواضيع تتعلق بتعزيز التعاون الاقتصادي بين الكيان الصهيوني وتشاد.

في حين كانت دولة جنوب أفريقيا من الدول المعارضة للتطبيع، وأكدت، في سبتمبر الماضي، دعمها للقضية الفلسطينية حتى إنهاء الاحتلال الصهيوني وإقامة دولة فلسطينية مستقلة.

ويُذكر أن جنوب أفريقيا قادت حراكاً دبلوماسياً، في عام 2017م، ضد محاولات الكيان الصهيوني تطبيع العلاقات مع الدول الأفريقية، بحسب ما ذكرت «القناة الصهيونية السابعة».

الدول الأفريقية.. ومآربها الأخرى:

عمل الكيان الصهيوني على إحداث نوع من المشابهة بين معاناة الشعبين الأفريقي واليهودي، مثل نفي اليهود وتشتت السود خارج بلادهم، والربط بين المحرقة وتجارة العبيد في أفريقيا، واستغلال الإبادة لقبيلة «التوتسي» في رواندا والتشابه بينها وبين محرقة اليهود، وروَّج لهذا بين الأفارقة، واستغل ما نُسب إلى العرب من دور في تجارة الرقيق بشرق أفريقيا؛ أي في جنوب السودان وأوغندا وكينيا وتنزانيا وشرق الكونغو؛ من أجل كسب ثقة الزعماء الأفارقة في المنطقة وتعاطفهم.

في هذا الصدد، يقول د. حمدي عبدالرحمن، أستاذ العلوم السياسية بجامعتي زايد والقاهرة، لـ«المجتمع»: إن الكيان الصهيوني دولة محدودة الموارد، ولكنها تستخدم قوتها الناعمة في أفريقيا، لما لها من قدرات هائلة، فترسل خبراء وفنيين في مجالات تحتاجها أفريقيا بشدة؛ مثل الري والزراعة والصحة، وتقوم بمشروعات وخدمات يحتاجها المجتمع، مثل المشروعات الزراعية المعتمدة على التكنولوجيا الملائمة، كل هذا يجذب قلوب وعقول الأفارقة، كما يروج الكيان الصهيوني أنه دولة نموذجية، وأن عملية بناء الدول الأفريقية تعتمد على الاقتباس من تجربته.



أبو عرقوب: الكيان يمارس دوراً شديد الخطورة بأفريقيا لخدمة مصالحه وتغلغله فيها يتيح له إغراق مصر بأزمة مائية

وأضاف د. عبدالرحمن أن التعاون الأمني والاستخباراتي جانب يتميز فيه الكيان الصهيوني، لذلك كل الدول التي مرت بأحداث إرهابية وهجمات ضد المتشددين قامت بعلاقات مباشرة مع الكيان الصهيوني؛ مثل كينيا وإثيوبيا وغيرهما، كما أن هناك جانباً ثقافياً مهماً، حيث توجد جاليات يهودية كبيرة في أفريقيا، بصفة خاصة في دولة جنوب أفريقيا، و«يهود الفلاشا» في إثيوبيا، وهؤلاء يشكلون رابطاً ثقافياً بين أفريقيا والكيان الصهيوني.

تُسَوِّق دولة الكيان الصهيوني نفسها لأفريقيا على أن لديها خبرات أمنية متطورة في مكافحة الإرهاب، وأنها أنتجت وسائل تكنولوجية متطورة للمراقبة والتنصت، وأن لديها شركات خاصة في جيش الدفاع الصهيوني من شأنها أن تقوي وتطور أداء الحرس الرئاسي ووحدات النخبة في الدول الأفريقية، وبهذه المعطيات المغرية للأنظمة الاستبدادية يجد الرؤساء الأفارقة في الكيان الصهيوني مبتغاهم.

غياب النفوذ العربي.. الطريق نحو التطبيع:

من خلال التدقيق في العوامل التي أدت إلى قطع العلاقات الصهيونية الأفريقية، لا يشكل الدين عاملاً حاسماً في هذه العلاقات، فمثلاً غينيا التي تبلغ نسبة المسلمين فيها 80% لم يؤخرها هذا عن إعادة العلاقات بالكيان الصهيوني، وأيضاً السنغال التي تبلغ نسبة المسلمين 85%، وهكذا باقي الدول الأفريقية، بينما اتضح أن عامل العلاقات بمصر أكثر أهمية، وبالتالي تشكل تجربة الدول العربية وغياب تأثيرها في أفريقيا عاملاً مساعداً في عودة العلاقات الصهيونية الأفريقية، بالإضافة إلى النجاح الصهيوني في تقديم تجربة ناجحة في تنفيذ مشاريع حيوية لا تزال تترك بصمتها على دول أفريقيا.

إن السياسة العربية تؤدي دوراً مهماً في كبح أو تسريع العلاقات الصهيونية الأفريقية، فإذا تمكنت من ترميم العلاقات وترميم المؤسسات الأفرو- العربية، بجدية أكبر في التعامل مع أزمات أفريقيا؛ يمكن أن تشكل عاملاً معرقلاً لتوغل الكيان الصهيوني، أما في حالة المراوحة وتراجع نفوذها في المنطقة؛ فمن الأرجح أن يتوغل الكيان الصهيوني أكثر ويزداد مكاسبه على كافة الأصعدة.

ويرى خبراء أن آفاق العلاقات الصهيونية الأفريقية مرهونة بعوامل تتعلق بمنحنى الصراع العربي الصهيوني من جهة، وبتحرك الدبلوماسية العربية من جهة أخرى، وفي حال خرج مسار للتسوية العربية الصهيونية، كبدء الحوار الفلسطيني الصهيوني مثلاً، فمن غير المستبعد أن تحسم الدول الأفريقية خيارها لصالح الكيان الصهيوني.

وختاماً، فإن التوجه الصهيوني للقارة الأفريقية يشكل جزءاً من الصراع العربي الصهيوني، وجزءاً من نظرية الأمن الصهيونية القائمة على اكتساب الشرعية والهيمنة والتحكم في المنطقة، ومقابل الإهمال العربي لأفريقيا شكَّل الكيان الصهيوني قبضة قوية حول الدول العربية، لا تملك بعدها إلا أن ترضى بتطبيع علاقاتها مع هذا الكيان بدلاً من الدخول في صراع معه وآخر أفريقي! فهل تستمر مشاهد التطبيع واحداً بعد آخر، أم سيَهُبّ العالم العربي لحماية مصالحه ووجوده والدفاع عن أراضيه المحتلة؟■





مسلمو ليبيريا.. معاناة من الفقر وضعف الدعم الإسلامي

أشرف عيد

ليبيريا إحدى دول غرب أفريقيا، تقع بين كوت ديفوار وسيراليون، وعاصمتها مونروفيا، وتعاني من الحروب الأهلية بين الحين والآخر التي كان آخرها عام 1999 - 2003م، ويتكلم السكان اللغة الإنجليزية والفرنسية ولغات محلية، ويقدر عدد السكان بحوالي 4 ملايين نسمة، عدد المسلمين منهم مليون نسمة (أي 25% تقريباً)، والمسيحيون والعقائد الأخرى يمثلون أكثرية، وينص دستور عام 1986م على أن ليبيريا دولة علمانية.

ومن أهم المدن التي يتركز فيها المسلمون: العاصمة مونروفيا (مونتسرادو)، مسادو، باكيدو، بوبولو، سانيكولي، تابيتا، سيكريبي، كامب فور، كامبلي، باهن، كولاهون.

ويرجع تاريخ تأسيس المدارس الإسلامية في ليبيريا لتعليم اللغة العربية والعلوم الإسلامية إلى بداية الستينيات من القرن الماضي، وقد قامت جهود الدعاة المسلمين في تلك المدن فردية وغير منظمة، ومن أهم الدعاة الذين كان لهم تأثير كبير الشيخ عبدالرحمن ابن أبي بكر، المشهور بالشيخ «مافي كابا»، الذي يعتبر مؤسس الدعوة السلفية في تلك المنطقة، حيث قام بتصحيح المعتقدات البعيدة عن الإسلام المنتشرة بين مسلمي ليبيريا.

أنشئت مراكز ومنظمات إسلامية كثيرة تشرف على شؤون المسلمين والدعوة في المناطق التي يعيشون فيها، ومنها: «مجلس جماعة مسلمي ليبيريا» تأسس عام 1366هـ/ 1946م، «جمعية مسلمي ليبيريا» تأسست عام 1387هـ/ 1967م، وهي تهتم ببناء المساجد وإنشاء المدارس الإسلامية، وتنظيم القوافل الدعوية، «منظمة التضامن الإسلامي» التي تأسست عام 1400هـ/ 1980م، وهي تستخدم الإذاعة المحلية للدعوة باللغات المحلية.. وغيرها.

والتواصل بين المنظمات الإسلامية في ليبيريا والعالم العربي ضعيف، سوى بعض البعثات التعليمية لطلاب ليبيريا في الجامعات العربية أو إرسال المدرسين إليها؛ حيث تقوم الجمعيات الإسلامية بإرسال الطلاب الذين يجيدون اللغة العربية إلى الأزهر الشريف بمصر لدراسة العلوم الإسلامية واللغة العربية، ويرسل إليها كذلك الأزهر مبعوثين للتدريس بها، والتحق كذلك بعض أبناء ليبيريا بالدراسة في الجامعات السعودية، وتولت الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالرياض، ورابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، مهمة إعداد الدعاة والمدرسين من أبناء ليبيريا، وقدمت وزارة التربية الكويتية منحاً دراسية لمدرسة جمعية مسلمي ليبيريا في مدينة سانيكولي.

التواصل بين المنظمات الإسلامية في البلاد والعالم العربي ضعيف ومقصور على بعض البعثات التعليمية

الشركات الأجنبية التي تتحكم في الاقتصاد توظِّف طاقتها لدعم المنظمات التنصيرية والتضييق على المسلمين

تحديات ومشكلات

ويواجه مسلمو ليبيريا مشكلات كثيرة، من أهمها:

- البؤس والفقر وضعف الخدمات الأساسية التي تعم البلاد، وإذا أخذنا الناحية الصحية مثلاً؛ فنجد انتشاراً للأمراض المزمنة في البلاد، مثل: الملاريا، و«إيبولا» المُعْدي، إضافة إلى «كورونا» المستجد الذي ينتشر في ليبيريا والعالم، والمؤسسات الصحية في الدولة قليلة جداً، وإمكاناتها ضعيفة، فلا يوجد في ليبيريا إلا مستشفى أكاديمي وحيد في مونروفيا العاصمة، وتراجعت القدرة على تقديم الخدمات الصحية الأساسية بالنسبة إلى كثير من مرضى العلاج والطوارئ، وأكثر الأعمال التي تؤلم المشاعر في المستشفيات التي تشبعت بالمرضى في مونروفيا أن يتم صرف المرضى بأعداد كبيرة يومياً؛ لعدم وجود مكان خالٍ لهم في المستشفى.

- قلة أعداد المساجد مقارنة بالكنائس؛ فالعاصمة مونروفيا مثلاً لا يوجد بها سوى 5 مساجد فقط، بينما يوجد بها 43 كنيسة.

- تحكم الشركات الأجنبية في اقتصاد البلاد بدرجة كبيرة؛ حيث يوظفون طاقتهم لدعم المنظمات التنصيرية، والتضييق على المسلمين؛ فالعطلة الأسبوعية يوم الأحد، وأيام الأعياد المسيحية عطلة رسمية، بينما يجد المسلمون مشقة في ترك أعمالهم لأداء صلاة الجمعة.

- قلة الدعم المادي والثقافي من الدول العربية والإسلامية الذي لا يتناسب مع حاجة المسلمين في ليبيريا للحفاظ على هويّتهم؛ فيعانون من انتشار الفقر والجهل، وضعف النشاط الدعوي؛ فالجهود المبذولة ضعيفة وغير كافية في ظل انتشار الفقر والجهل واشتداد التيار التنصيري في البلاد الذي يتمتع بكثير من الدعم المادي، وكثرة أعداد المؤسسات الخدمية التي يقدمونها من مدارس ومستشفيات ومنظمات خيرية تستغل جهل المسلمين بعقيدتهم.■

المصدران

1 - عباس صالح عباس كانه، الإسلام والنشاط التنصيري في ليبيريا، رسالة دكتوراه، كلية الدعوة والعقيدة، جامعة أم القرى، 1411هـ/ 1990م.

2 - المسلمون في ليبيريا.. واقع مأزوم، 4 جمادى الآخرة 1433هـ/ 25 أبريل 2012م.

إعداد - عبده دسوقي:
باحث في التاريخ الحديث

رغم رحيل العلماء والمصلحين والدعاة يبقى أثرهم وعلمهم بين الناس يتوارثونه ليبقى الخير بينهم، ونحمد الله أن جعلنا أدلاء على الخير من خلال استحضار سِيَر بعض هؤلاء العظماء وفاء لهم في ذكرى وفاتهم.

علماء رحلوا في نوفمبر..

الجودر وخليفة والمجحم وقميحة



عبدالرحمن علي الجودر.. والدعوة في البحرين

كان للبيئة العربية أثر طيب في تكوين شعوب دول الخليج، وفيها ولد الشيخ عبدالرحمن علي الجودر بمنطقة قلالي عام 1342هـ/ 1922م، إلا أنه ترعرع بمدينة المحرق القديمة في أسرة متدينة حرصت على تغذيته بالعلوم الشرعية منذ صغره، قبل أن يلتحق بمدرسة الهداية بالمحرق التي تخرج فيها عام 1941م، والتحق بمدرسة الصناعة وأتم دراسته فيها، وكان ضمن الطلبة المتفوقين الذين تم ابتعاثهم للدراسة العليا إلى القاهرة، وكان ذلك عام 1944م؛ حيث بقي هناك حتى عام 1946م؛ وتم سحب طلبة هذه البعثة قبل أن يكملوا دراستهم الجامعية بسبب مدير دائرة المعارف الإنجليزي، ورجع الشيخ مع زملائه إلى البحرين.

التقى الشيخ الجودر بالشيخ حسن البنا، مؤسس جماعة الإخوان المسلمين، حيث أعجب بفكره الوسطي وبطريقة دعوته، فعاد بعد أن تعهد بنشر الدعوة في دولة البحرين.

عضو مؤسس بمنظمة المساجد التابعة لرابطة العالم الإسلامي وكذلك في الهيئة الخيرية الإسلامية

وبعد أن عاد من القاهرة التحق بسلك التربية والتعليم؛ وقضى أكثر من 15 عاماً في التدريس، ثم عيِّن مديراً لمدرسة عراد، وفي السنوات التالية عيِّن إماماً بمسجد مدينة عيسى الشمالي، ثم خطيباً في الجامع الجنوبي، كما مارس عمل إبرام عقود الزواج بتصريح من وزارة العدل والشؤون الإسلامية.

اشترك في تأسيس «نادي الطلبة» عام 1941م الذي تغيَّر اسمه إلى «نادي الإصلاح» حتى عام 1980م؛ ثم تحول إلى «جمعية الإصلاح» الحالية، التي تعتبر رائدة العمل الإسلامي في مملكة البحرين، وقد شغل الشيخ الجودر منصب نائب رئيس جمعية الإصلاح لعدة سنوات، وكان خلالها مثالاً للحركة والنشاط، وكانت آراؤه وأفكاره منارة يستضيء بها إخوانه بالجمعية.

وفي أوائل الخمسينيات، أنشأ الجودر مع مجموعة من إخوانه الدعاة «مكتبة المحرق»، وبعد مضي عامين أو ثلاثة استقلَّ الشيخ بالمكتبة وأسماها «مكتبة الآداب»، التي ظلت لفترة طويلة من أكبر المكتبات الإسلامية التي تروِّج للفكر الإسلامي بالبحرين.

والشيخ عضو مؤسس في منظمة المساجد التابعة لرابطة العالم الإسلامي، وعضو مؤسس كذلك في الهيئة الخيرية الإسلامية التي مقرها دولة الكويت، كما حضر وشارك في المؤتمرات والندوات الإسلامية في كثير من البلاد، وكان له دور كبير في إصلاح ذات البين بين المجاهدين الأفغان.

انتقل إلى رحمة الله تعالى في 26 ربيع الثاني 1410هـ/ 24 نوفمبر 1989م عن عمر يناهز 67 عاماً؛ إثر مرض ألمَّ به لأكثر من 3 سنوات.■

المصادر

1 - عبدالله العقيل: من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة، دار البشير، 2008م، ص421.
2 - بلال محمد: إلى المواجهة (ذكريات عدنان مسودي)، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت، 2013م، ص37.
3 - موقع تاريخ الكويت: يوليو 2008م، https://bit.ly/3is6vYP.
4 - جابر قميحة رحلة من العطاء في الدعوة والأدب: إخوان ويكي.



محمد عبدالرحمن خليفة.. في وجه التطبيع

في مدينة السلط بالأردن، وفي عشيرة النسور، ولد محمد عبدالرحمن خليفة عام 1919م، وتلقى تعليمه الأولي قبل أن يرسل في بعثة إلى كلية «خضوري» في «طولكرم»، لدراسة الزراعة، وحصل على دبلوم زراعة فيها، وانتسب بعدها إلى معهد المعلمين في القدس، ليحصل على دبلوم تربية، ثم عمل مدرساً ومديراً في العديد من مدارس المملكة الأردنية، لكنه عاد إلى القدس لدراسة الحقوق، وعمل في مهنة المحاماة لمدة عامين، ثم التحق بعدها بالسلك القضائي عام 1946م، ليعمل قاضياً ومدعياً عاماً.

تعرف على جماعة الإخوان المسلمين

عبدالرحمن عبدالله المجحم.. و«الوعي الإسلامي»

بين الأدب والسياسة عاش العم عبدالرحمن عبدالله المجحم الذي ولد عام 1933م في أسرة قدمت إلى الكويت في أوائل القرن الماضي من الزلفي في نجد وسكنت جبلة.

أشرف على مجلة «الوعي الإسلامي» بداية نشأتها وكوَّن أول لجنة للفتوى بالكويت

التحق بمراحل التعليم حتى تخرج في كلية الشريعة عام 1956م، وبعد تخرجه تولى التدريس في المعهد الديني عامي 1956 و1957م، ثم التحق بدائرة الشرطة محققاً في قسم البحوث الجنائية عام 1957م، وبعدها عين وكيلاً مساعداً لوزارة الدفاع في 18 يونيو 1963م، ثم وكيلاً لوزارة الدفاع في 9 أبريل 1964م، وذلك قبل أن ينتقل للعمل وكيلاً لوزارة الأوقاف في 17 يونيو 1964م، وحينما تأسست مدينة الجهراء عام 1979م اختير ليكون محافظاً لها.

وحينما بدأت مجلة «الوعي الإسلامي» أول إصدار لها في غرة المحرم 1385هـ/ مايو 1965م الذي أسسها د. عبدالمنعم أحمد النمر، مدير إدارة الدعوة والإرشاد آنذاك، أشرف عليها المجحم، وكيل الوزارة حينها.

ومن أعماله المتميزة تكوين أول لجنة للفتوى بدولة الكويت، فقد شكَّلها من ثلاثة من خيرة العلماء الأكفاء في الكويت، بعدما صدر القرار الإداري رقم (21 لسنة 1969م)، وكان يرأس اللجنة الشيخ عبدالله النوري.

ويذكر د. علي الزميع أن عبدالرحمن المجحم أحد الذين شاركوا في تأسيس جمعية الإصلاح الاجتماعي عام 1963م.

وقد اشتهر العم المجحم بكونه أديباً من الأدباء الكويتيين رغم قلة إنتاجه، بسبب انشغاله بالعمل الوزاري والدعوي، حتى إنه كان ضيفاً في برنامج «مع المسؤولين» الذي كان يقدمه الإعلامي د. عبدالرحمن العوضي.

وقد رحل العم عبدالرحمن عبدالله المجحم يوم 18 نوفمبر 1979م، يرحمه الله رحمة واسعة.■

كان حرباً ضد المحتل الإنجليزي والصهيوني حتى تم نفيه ثم اعتقاله أكثر من مرة

عن طريق الحاج عبداللطيف أبو قورة وقتما كان يدرس في مدينة القدس، ثم صار أحد رجالاتها حتى تم انتخابه مراقباً عاماً في الأردن عام 1953م؛ وهو ما اضطره إلى الاستقلال من القضاء، كما أنه اختير عضواً في البرلمان الأردني ما بين عام 1956 إلى 1961م، وكان خليفة حرباً ضد المحتل الإنجليزي والصهيوني، حتى إن كلوب باشا نفاه إلى دمشق عام 1955م لمدة 6 أشهر، وبعد عودته من المنفى اعتقل أكثر من مرة في الخمسينيات والستينيات.

كان من جهوده أن عمل على إنشاء مؤسسات خيرية تسهم في إعانة الناس، وتقديم الخير لهم عبر مساعدة الفقراء والمحتاجين، وكفالة الأيتام، وعلاج الفقراء، والاهتمام بالأرامل والعجزة، وشارك في تأسيس جمعية المركز الإسلامي الخيرية، واختير رئيساً لها (1963 - 2000م).

ولأهمية قضية فلسطين عنده شكَّل لجنة إنقاذ القدس عام 1958م، كما شارك الإخوان في هذا العام بالعمل الفدائي تحت مظلة «فتح»، ولكن في قواعد خاصة سميت «قواعد الشيوخ».

يقول عنه الأستاذ حمزة منصور: إن قضيتين كانتا تشغلان أبا ماجد؛ الأولى: الإسلام بمفهومه الشامل، والثانية: فلسطين وكيفية تعزيز صمود الشعب الفلسطيني.

ظل خليفة مراقباً عاماً حتى عام 1994م حينما أثقله المرض فترك المكان لغيره، وظل وفياً لدعوته ووطنه حتى توفاه الله يوم الخميس 2 من ذي القعدة 1427هـ/ 23 نوفمبر 2006م، ودُفن في مدينة «السلط» حيث شهدت جنازته المهيبة حشداً من القيادات الرسمية، وحضوراً شعبياً من مختلف مناطق الأردن.■



له إسهامات كثيرة في مجال الأدب والدعوة سواء في مجال الشعر أو التأليف وكان مناصراً للقضية الفلسطينية

جابر قميحة.. بين الأدب والدعوة

ولد د. جابر قميحة في مدينة المنزلة التابعة لمحافظة الدقهلية بمصر، في 27 ذي الحجة 1352هـ/ 12 أبريل 1934م، وتخرج في كلية دار العلوم جامعة القاهرة عام 1957م، كما التحق بكلية الحقوق وحصل على ليسانس في القانون من جامعة القاهرة 1965م، ودبلوم في الشريعة الإسلامية عام 1967م.

وفي سبتمبر 1970م، سافر للعمل مدرساً بدولة الكويت معاراً من الحكومة المصرية، وانتُدب للعمل بقسم اللغة العربية بجامعة الكويت، وحصل على الماجستير في الأدب من جامعة الكويت عام 1974م، ودكتوراه في الأدب العربي الحديث من جامعة القاهرة عام 1979م.

تعرف على الشيخ حسن البنا وتأثر به كثيراً، وما إن دخل دار العلوم حتى انخرط في صفوف الإخوان المسلمين بعد ثورة يوليو 1952م، وشارك في مظاهرات عابدين المطالبة بعودة الرئيس محمد نجيب.

له إسهامات كثيرة في مجال الأدب والدعوة سواء في مجال الشعر أو التأليف، وكان مناصراً للقضية الفلسطينية، حتى توفاه الله في 24 ذي الحجة 1433هـ/ 9 نوفمبر 2012م، عن عمر ناهز 78 عاماً.■



مسيرة النور في روايات الكيلاني



الموضوع الروائي هو الموضوع التاريخي في روايات الواقعية التاريخية عند نجيب الكيلاني، ويدور حول نشر الدعوة الإسلامية ومجاهدة الأعداء، والتعرف على طبائعهم وأخلاقهم وكشف تصرفاتهم وأفعالهم.



أ. د. حلمي محمد القاعود
أستاذ الأدب والنقد

إن الروايات التاريخية الواقعية لدى نجيب الكيلاني تسعى لتأصيل الوعي بتاريخ الدعوة الإسلامية، ودور المسلمين في مقاومة خصومهم وأعدائهم، وأثر الخلافات بين المسلمين في إضعافهم وتشويه صورة الإسلام، ودور الشعوب المسلمة في مواجهة الغزاة الأجانب الذين احتلوا الأوطان وأذلوا أهلها ونهبوا ثرواتها وخيراتها في القرون الأخيرة.

وفي إطار هذا الجهاد المقدس، تبرز الشخصيات المؤمنة والمرابطة، والشخصيات الخائرة والخائنة، أصحاب الإيمان القوي في الدفاع عن الدين والوطن، وأرباب السلامة والجبن والهرب، من يضحون في سبيل الله عن طيب نفس ورضا بما وعدهم الله بعد الشهادة من جنة عرضها السماوات والأرض، ومن غفلوا عن ذكر الله وظنوا أن البعد عن ميدان القتال سيحميهم ويصون أموالهم وأعراضهم ويؤخر موتهم أو يطيل أعمارهم، من أصروا على مواجهة الأعداء وإعداد ما يستطيعون من قوة ثقة في نصر الله الذي وعد، ومن يظنون أن المقاييس المادية هي الفيصل الوحيد في المعارك فيولون الأدبار أو ينحازون إلى العدو.

هناك أعداء طبيعيون ومباشرون للدعوة الإسلامية مثل مشركي قريش أو الوثنيين، وهؤلاء يقاومون الدعوة؛ لأنها تغيِّر واقعهم وتنقله من وضع ألفوه وعاشوا به أزماناً طويلة، إلى حالة جديدة لا أصنام فيها ولا تفرقة عنصرية، ولا ولاء إلا لله الواحد الأحد.

وهناك أعداء محتملون، وهم أصحاب العقائد السماوية السابقة على الإسلام، وهم أهل كتاب، وهؤلاء لم يتعرضوا للمسلمين في أول الأمر بأذى، بل هناك من آمن ودخل راضياً إلى ساحة الدين الجديد، بيد أن هؤلاء كانوا أشد قسوة على الإسلام والمسلمين منذ نزول الوحي حتى اليوم، فقد تآمر اليهود على الدعوة وصاحبها عليه الصلاة والسلام، ودبَّروا المكائد والمؤامرات؛ حرضوا القبائل، وخانوا العهود والمواثيق، وجاهروا بالعداوة والأذى، وغدروا بالمسلمين في أحرج المواقف،

اليهود كانوا يظنون أنهم أقوى قوة بالجزيرة العربية وقادرون على تحدي المسلمين وسحقهم

الرواية تبرز مفاهيم التوحيد والعبادة وقيم الإسلام وبطولات المسلمين حتى حققوا الانتصار العظيم

وبعد انتصار الإسلام بدأت الحروب المنظمة والاحتلال من جانب الروم أو الفرنجة أو الصليبيين أو الاستعمار الغربي، وما زالت حتى اليوم.

روايات الواقعية التاريخية تعالج فكرة الصراع مع العدو، وتوضح معالم تكوينه العدواني، وأسسها المؤدية في إطار سردي شائق يجسم الأفكار ويستبطن النفوس، ويبرز المعاني الإنسانية في إطار التصور الإسلامي القائم على التوحيد والعدالة والأخوة البشرية.

مسيرة النور

فرواية «نور الله» تتناول هجرة المسلمين من مكة إلى الحبشة، ثم إلى يثرب (المدينة المنورة)، والصراع بين المسلمين المهاجرين وأهل مكة، وتظهر شخصية عمر بن الخطاب وهو يعادي الدعوة في أول الأمر، ثم يعلن إسلامه ويدعم الدعوة وينافح عنها بسيفه ولسانه.

وفي الرواية يدور الصراع بين الدعوة وخصومها على امتداد المسافة بين مكة والمدينة المنورة، فهناك الغزوات التي دارت في «بدر»، و«أحد»، و«الخندق» (حول المدينة) بين المشركين من قريش والقبائل من ناحية، والمسلمين من ناحية أخرى، وهناك أيضاً المؤامرات اليهودية التي تمثلت في الخداع والغدر والتحريض على الدعوة ونقض العقود والمواثيق في أشد اللحظات حرجاً، فكان عقاب اليهود في بني قينقاع، وبني النضير، وبني قريظة؛ نتيجة ما اقترفوه من جرائم، ولحق بهم يهود خيبر الذين أعلنوا الحرب

على المسلمين بغية القضاء على الإسلام.

ثم كان بناء الدولة الإسلامية وتأمينها في شتى الاتجاهات، واكتمال التشريع مع ردع مصادر التهديد والعدوان في المدينة وما حولها وعلى الحدود الشمالية للجزيرة العربية، وتنتهي الرواية بفتح مكة ودخول الناس في دين الله أفواجاً، وتبرز الرواية مفاهيم التوحيد والعبادة وقيم الإسلام وبطولات المسلمين واستشهادهم وتواضعهم حتى حققوا الانتصار العظيم.

ويتوسع الكاتب في تفصيل بعض القضايا، خاصة ما يتعلق بالتآمر اليهودي ضد الإسلام والمسلمين، فيكتب رواية «على أبواب خيبر»، وتتناول غزوة خيبر وتصفية آخر معاقل الخطر اليهودي على الإسلام والمسلمين في الجزيرة العربية.

وتقع خيبر شمال المدينة المنورة، وتعد مدينة محصَّنة تحصيناً قوياً، حيث تتعدد الحصون الحربية فيها، ويملك سكانها اليهود الكثير من الأموال والذهب والكنوز، فضلاً عن المزارع والبساتين والتجارة.

ويقود اليهود في خيبر نفر من مشاهيرهم، منهم: كنانة بن الربيع زوج صفية بنت حيي بن أخطب، وسلام بن مشكم زوج زينب بنت الحارث، والحجاج بن علاط وهو تاجر يهودي مشهور، وهؤلاء الزعماء على صلة بالمنافق الأشهر أو رأس المنافقين عبدالله بن أبي بن سلول، الذي يسكن المدينة ويتعامل مع المسلمين في الظاهر بوجه مسلم، ومع اليهود بوجهه اليهودي الخفي، كان دوره هو التحريض الخفي ضد المسلمين مما شجع يهود بني قينقاع والنضير وقريظة والقبائل على نقض المعاهدات مع المسلمين والغدر بهم في أثناء مواجهة قريش وحلفائها.

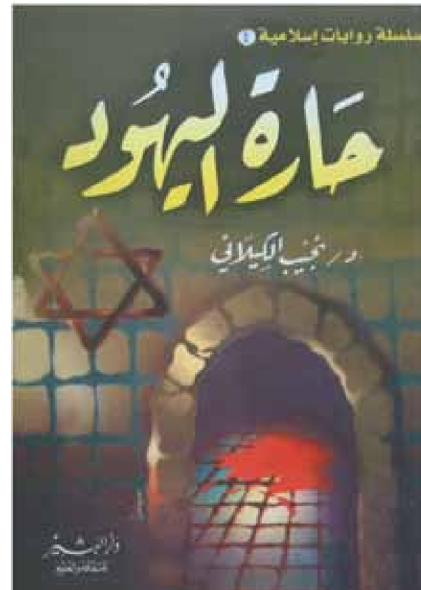
وكان اليهود يظنون أنهم أقوى قوة في الجزيرة العربية، وأنهم قادرون بما يملكون من مال وذهب ونفوذ على تحدي المسلمين وسحقهم والقضاء عليهم، وقد خاطبوا القوى الأخرى التي يمكن أن تساعدهم في حربهم ضد الإسلام وتصفيته، فقد ذهبوا إلى الروم، وتحدثوا مع أبي سفيان، زعيم قريش، وقبيلة غطفان، والقبائل الساخطة على المسلمين، وكانوا يظنون أيضاً أن التخطيط لشن هجومهم سيستغرق وقتاً، ولكن الرسول، صلى الله عليه وسلم، حين علم بغدرهم ونقضهم للعهد، سبقهم وسيَّر إليهم الجيش، ومع أن الفارق كان كبيراً، والقوى غير متكافئة، حيث يملك اليهود إمكانات أكبر؛ فقد استطاع المسلمون بفضل الله ثم إخلاصهم واستبسالهم أن يحققوا النصر، وأن يقضوا على أكبر مراكز الخطر اليهودي وآخرها، وغنموا أموال الغادرين وممتلكاتهم.

العمل الوثائقي

ولأن الطبيعة اليهودية نكدة على مدى التاريخ، والخلق اليهودي يؤمن بالغدر والأذى، فقد خصَّص الكاتب روايته «حارة اليهود» ليكشف الطبيعة اليهودية والخلق اليهودي بعد عشرة قرون تقريباً منذ القضاء على خطرهم في صدر الإسلام.

وتتناول الرواية حادثة حقيقية جرت في دمشق عام 1840م، حيث قام اليهود القاطنون بحارة اليهود في دمشق بذبح الأب المسيحي البادري توما، والعامل الذي يساعده إبراهيم عمار، وفصد دمهما لصناعة ما يسمى الفطير المقدس عند اليهود.

الحادثة لها وثائق رسمية عبارة عن محاضر تحقيق مع المتهمين اليهود واعترافاتهم التفصيلية بذبح رجل الدين المسيحي وتابعه، وتقطيع جسده ودق عظامه، والتخلص من الأجزاء المتبقية (اللحم والعظام في أحد المصارف المائية)، كما تضم بعض القرارات والفرمانات التي صدرت عن مسؤولين في دمشق وعن محمد علي، حاكم مصر والشام في ذلك الحين، فضلاً عن كتب اليهود مثل التلمود التي كتبها أحبارهم وتحض على كراهية غير اليهود واستحلال دمائهم وأموالهم وممتلكاتهم، بوصفهم أميين (غير يهود) لا حق لهم ولا واجب، ولا مسؤولية.



خصص روايته «حارة اليهود» ليكشف الطبيعة اليهودية بعد 10 قرون من القضاء على خطرهم بصدر الإسلام

ويسجل الكاتب في بداية الرواية والختام بعض الصور الزنكوغرافية من صفحات المحاضر والوثائق المتعلقة بالحادث.

وقد عبر الكيلاني عن صعوبة تحويل عمل وثائقي مثل هذا إلى عمل روائي شائق يحافظ على طبيعة الحادث، وفي الوقت نفسه يقيم بناء فنياً له مقتضياته وأسسه.

إن الوثائق غالباً ما تأتي جافة مباشرة، ولا تهتم إلا بالحقائق المجردة، مليئة بالصيغ التقليدية، والعبارات الركيكة المتداولة، وإذا كانت الوثائق تبرز الحقائق الأولية، فإنها لا تكترث بالأبعاد النفسية للشخصيات، وقد تغيب في ثناياها بعض الدوافع المهمة والأسس الخطيرة.

هذا الوضع قد يتعارض مع مستلزمات الفن القصصي، ويخرج به عن دائرة الإبداع المطلوب، والإجادة المرجوة، ومن ثم فلا طريق للفنان سوى أن يضع قاعدة عريضة وأساساً متيناً، يقيم عليهما بناءه الفني؛ ألا وهو الحقائق الكلية، والاستعانة ببعض الوقائع المبتكرة، وتعني الوقائع المبتكرة محاولة رسم الخلفية الاجتماعية والعاطفية والنفسية للحدث.

إن زوجة داود هراري (كاميليا) مثلاً لم يقصد بها سوى إبراز التناقض الحاد، والعفن الاجتماعي، والاضطراب العاطفي؛ الذي تبرزه التعاليم الزائفة المستقاة من شروح التلمود، وتعززه القيم الفاسدة، التي درج عليها المجتمع اليهودي بما يسيطر عليه من جشع وأنانية ومادية مفرطة، «كاميليا» رمز حيوي متحرك وتجسيم لمأساة الضلال اليهودي القديم، وصورة صادقة للعقد النفسية التي ينضح بها التاريخ لملة أصابها الزيف والشطط عبر العصور، وقِسْ على ذلك ما قد يرد من حوار موضوع، أو مواقف متخيلة، لا تتنافى وطبيعة القضية المطروحة، ولا تخرج عن إطار الحدث المثير.■

مقال



د. يوسف السند
إمام وخطيب بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت

الفوائد التربوية والإيمانية من طبقات الشافعية..

القائد الفاتح الفقيه صلاح الدين الأيوبي

يوسُف بن أيّوب بن شاذي بن مَرْوان، الدُّويتي الأصل، التكريتي المَوْلد، ودُوين بضم الدال وكسر الواو بعدها آخر الحروف ساكنة ثم نون، بطرَف أذْربيجان، من جهة أرّان أهلها أكراد.

وهو السلطان الملك الناصر، التقيّ النقيّ، العادل الزكيّ، فاتح الفتوح، بركة أهلِ زمانه، صلاح الدين المظفَّر، ابن الأمير الملك الأفضل نجم الدين.

وُلد سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة للهجرة، بتَكْريت، إذ أبوه واليها.

وسمع الحديث من الحافظ أبي طاهر السِّلَفيّ، وأبي الطاهر ابن عوف، والشيخ قطب الدين النَّيسابوريّ، وعبدالله بن بَرِّيّ النَّحويّ، وجماعة.

روى عنه يونس بن محمد الفارِقيّ، والعماد الكاتب، وغيرهما.

وكان فقيهاً، يقال: إنه كان يحفظ القرآن، و«التنبيه» في الفقه، و«الحماسة» في الشعر.

ومَلَك البلاد، ودانت له العباد، وأحبّه الخلق، ونصر الإسلام وغزا الفرنْج وكسرهم مرّات، وفتح المدن الكبار، وأقام في السَّلْطنة أربعاً وعشرين سنة، يُجاهد في سبيل الله بنفسه وماله.

وكان ملكاً عظيماً شجاعاً مَهيباً عادلاً، يملأ العيونَ رَوْعةً والقلوبَ محبةً، قريباً بعيداً، عابداً قانتاً لله، لا تأخذه لومةُ لائم، مجلسه يجمع الفضلاءَ والفقراءَ، وأصحابه كأنما هم على قلبِ رجلٍ واحد، محبةً فيه واعتقاداً وطواعيةً.

قَدِمَ به أبوه إلى دمشق وهو رضيع، فناب أبوه بِبَعْلَبَك لما أخذها أتابك زَنْكي في سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة للهجرة، وقيل: إن أباه خرج من تكْريت في الليلة التي وُلِد فيها صلاح الدين فَتطيَّروا به، وقال بعضهم: لعل فيه الخِيرة وأنتم لا تعلمون، فكان كذلك، ثم اتصل والده نَجْم الدين أيُّوب بالملك نور الدين الشهيد، فخدمه هو وولده صلاح الدين هذا خدمةً بالغة.

وكان صلاح الدين من حين اتصل بخدمة نور الدين قد طلَّق اللذات، وكان محبَّباً إليه خفيفاً على قلبه، ولما افتتح مع عمِّه مصر ثم استقل بالوَزارة عَظُمت سَطْوتُه.

وفي سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة للهجرة افتتح صلاح الدين بلاد الفرنْج، وأسر ملوكهم، وكسرهم على «حطِّين»، وتوالت عليه الفتوحات وأنقذ بيت المقدس منهم، وافتتحه وأعزَّ الدين.

ومما اقتلعه من يد الفرنْج طَبَريَّة، وقَتل وأسَر في ذلك اليوم أكثر من أربعين ألفاً، وتسلّم قلعتها، وأُحْضِر إليه صليب الصَّلَبُوت.

ثم افتتح مدينة عَكّا، وكانت من أعظم حصونهم وأكثر مدنهم، وأقام بها الخُطبة الإسلامية، ثم افتتح البيت المقدس وغيره.

وكانت مملكته من الغرب إلى تُخُوم العراق، ومعها اليمن والحجاز، فملك ديار مصر بأسرها، مع ما انضم إليها من بلاد المغرب والشام بأسرها، مع حَلَب وما والاها، وأكثر ديار ربيعة وبكر والحجاز بأسره، واليمن بأسره، ونشر العدل في الرَّعيَّة، وحكم بالقِسْط بين البَريَّة، مع الدِّين المتين والوَرع والزُّهد والعلم.

قال الموفَّق عبد اللطيف: رأيت السلطان صلاح الدِّين على القُدْس، فرأيت ملكاً عظيماً يملأ القلوبَ رَوْعَةً، والعيونَ محبَّةً،

قريباً وبعيداً، سهلاً محبَّباً، وأصحابه يتشبَّهون به، يتسابقون بالمعروف، وأول ليلة حضرته وجدت مجلساً حَفلاً بأهل العلم، يتذاكرون في أصناف العلوم، وهو يحسن الاستماع والمشاركة، ويأخذ في كيفيّة بناء الأسوار وحَفْر الخنادق، ويتفقَّه في ذلك، وكان مهتمّاً ببناء سور القدس وحَفْر خندقه، يتولّى ذلك بنفسه، وينقل الحِجارة على عاتقه، ويتأسَّى به جميع الأغنياء والفقراء.

وكان الناس يأمنون ظلمه لعدله، ويرجون رِفْده لكثرته، ولم يكن لُمبْطِل ولا لصاحب هَـزْل عنده نصيب، وكان إذا قال صدق، وإذا وَعد وَفَّى، وإذا عاهد لم يَخُن، وإذا نازل بلداً وأشرف على أخذه ثم يطلب أهلُه الأمان يُؤَمِّنهم، وكان جيشه يتألَّمون لذلك، لفَوات حظِّهم، ولا يسَعُهم إلا وِفاقه وامتثالُ أمره.

وكان رقيقَ القلب جداً، وربما حَلَّق على مدينة وأحاط بها، فسمع بكاء الحريم فتركها، وإنما يفعل ذلك مع المسلمين[1].

وفاته يرحمه الله:

ولما كانت ليلة الأربعاء السابع والعشرين من صفر سنة تسع وثمانين وخمسمائة للهجرة، وهي الليلة الثانية عشرة من مرضه، اشتد مرضُه وضعفت قوَّته، والشيخ أبو جعفر يقرأ عنده القرآن، ويذكّره بالله تعالى، وكان ذهنه غائباً من ليلة التاسع، ولا يكاد يفيق إلا في بعض الأحيان، وذكر الشيخ أبو جعفر أنه لما انتهى إلى قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (الحشر: 22)، سمعه وهو يقول: «صحيح».

وكانت وفاته بعد صلاة الصبح من يوم الأربعاء سابع وعشرين من صفر سنة تسع وثمانين وخمسمائة للهجرة، وأنه لما بلغ الشيخ أبو جعفر إلى قوله تعالى: ﴿لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ (الرعد: 30)، تبسَّم وتهلَّل وجهُهُ وسَلَّمها إلى ربه، وكان يوماً لم يُصَب الإسلام والمسلمون بمثله منذ فُقِد الخلفاء الراشدون وغُشِي القلعة والبلد والدنيا من الوحشة ما لا يعلمه إلا الله[2].

الفوائد التربوية والإيمانية:

- «الجندية طريق القيادة»، فلطالما ردد هذا المفهوم الجلي الذكي أستاذنا العزيز وشيخنا الجليل محمد أحمد الراشد عبر مجلة «المجتمع» منذ عقود مضت، وكنا شببةً لا نفقه هذا جيداً، ولكنه غرس تبناه الراشد الحكيم بعلم وفقه وصدق وإخلاص فلن يضيعه الله تعالى؛ فلقد كان صلاح الدين يرحمه الله تعالى فتىً مؤمناً متعلماً، ثم جندياً ملتزماً مطيعاً، ثم قائداً مغواراً عظيماً.

- القائد المسلم يغلب عليه التواضع مهما امتد ملكه وتمكنت دولته وقوي في الأرض سلطانه وتعددت نعم الله عليه.

- يجب ألا يستعجل طلبة العلم والدعاة على أنفسهم في طلب التصدر والقيادة؛ «فمن تعجل في شيء قبل أوانه عوقب بحرمانه»، بهذا المعنى كان يصدر العلماء نصائحهم وتوجيهاتهم للناشئة والشباب!

- إن البناء المحكم المتزن المتكامل هو البناء القوي الذي يتحمل التبعات ويُعتمد عليه؛ البناء الروحي القلبي، والبناء العبادي الإيماني السلوكي، والبناء الفكري العقدي، والبناء البدني العضلي.

- المربي المؤثر والقائد الرباني لا يستغني عن التعايش مع الأفراد؛ يرونه ويتعلمون منه ويشاهدونه فيفقهون ويعقلون ويقتدون.

- إن القيم الراسخة لتسود بين الناس إذا رأوها حاضرة حية في سلوك القادة والأئمة والدعاة والعلماء.

- الأمة التي تحسن صناعة القادة منصورة رائدة قوية في كل المجالات، مرهوبة الجانب، قوية صلبة تتحدى الصعاب، ويهابها الأعداء، ويتقرب لها الأصدقاء، وهذا هو المطلوب اليوم، بل يجب أن يكون على رأس الأولويات، حسب ما أرى.

- إن محبة الله والتقرب إليه عبادة وذكراً وتبتلاً وتضرعاً تورث العبد روعةً ومحبةً وهيبة.

- ملائكة الرحمن سبحانه تثبّت المؤمنين وتذكّرهم وتبشّرهم حال احتضارهم وموتهم بألا يخافوا ولا يحزنوا، بل تبشّرهم تشوّقهم إلى جنة الله ورضوانه.

والحمد لله رب العالمين.■

الهامشان

(1) عبد الوهاب بن علي السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج 7، تحقيق: عبدالفتاح محمد الحلو، ومحمود محمد الطناحي.

(2) علي محمد الصلّابي، صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس.

مقال



د. أحمد عيسى

مَن مَثلك الأعلى؟

مَن مَثَلك الأعلى؟ سؤال قديم جديد، بعضنا يعرف الإجابة فوراً، وبعضنا يفكر قبل الإجابة، وآخرون لا يعرفون، وقد تختلف الإجابات طبقاً للعلم والتربية والميول والبيئة والوظيفة، والمعنى المرادف للمثل الأعلى هو القدوة الهادية والأسوة الحسنة.

على مر التاريخ كان العظماء والمبدعون قدوات لغيرهم، واتخذ هؤلاء أيضاً قدوات لهم من غيرهم، مثل معلميهم أو آبائهم أو الحاذقين في مثل صنعتهم.

ها هو أرسطو، كانت قدوته معلمه أفلاطون، وأفلاطون أسوته سقراط أستاذه، أما أرسطو الذي بدأنا به فكان مثلاً أعلى للإسكندر الأكبر، الذي تأسى أيضاً بأبيه الملك فيليب الثاني ملك مقدونيا، وتأسى نابليون بالإسكندر وكذلك بالفيلسوف السويسري جان جاك روسو، وكان أرسطو قدوة مارتن لوثر الألماني صاحب الحركة الإصلاحية البروتستانتية في أوروبا.

وفي جانب العلم الطبيعي، كان نيوتن عالم أينشتاين المفضل، ونيوتن كان أستاذه إسحاق بارو من كمبريدج.

وفي جانب الحرب ضد العنصرية، كان ويلتر سيسولو -الذي قضى في السجن ربع قرن- قدوة نيلسون مانديلا، ومالكوم كان أسوته أباه، ومارتن لوثر كنج الأمريكي المكافح لحقوق السود كان مثله المهاتما غاندي، الذي بدوره تأثر بالشاعر والفيلسوف راجيثادرا.

وعلى النقيض، قال هتلر: إن أتاتورك أستاذه، وموسوليني تلميذه، وكذلك قال كاسترو: إن أتاتورك قدوته.

وفي العصر الحديث، فإن بيل جيتس (مؤسس شركة مايكروسوفت، وثاني أغنى رجل في العالم بعد مؤسس شركة أمازون)، هو قدوة مارك زوكربيرج (الملياردير، 36 عاماً، ثامن أغنى رجل في العالم، مؤسس فيسبوك)، ومحمد صلاح لاعب الكرة قدواته في فن الكرة بينهم كريستيانو رونالدو الذي يتخذ بدوره لويس فيجو مثله الأعلى.

لو تمعنا فيمن يتخذهم الناس قدوات لم تجد قدوة كاملة، ولوجدت من بينهم أشباه العظمة، شبه مصلح فيه طيش، أو شبه عالم فيه ضعف، أو خيال زعيم فيه ظلم، أو شبح غني فيه بخل، أو شجاعاً في غرور، أو منفقاً في منٍّ، أو عابداً مبتدعاً، أو قاضياً مرتشياً.

القدوة الكاملة

تعالَ فاترك هؤلاء وابحث عمن جمع الكمال الإنساني، والفضائل العليا، والأخلاق العظيمة، والعبادة الخالصة، والتقوى الجليلة، والهمة العالية، ابحث عن الإمام العادل، والقاضي المقسط، والزوج المحب، والأب الرحيم، من جمع كل المحامد والمآثر.. فهل عرفته؟

إنه نبيك محمد صلى الله عليه وسلم، كان أفضل قومه مروءة، وأحسنهم خلقاً، وأعزهم جواراً، وأعظمهم حلماً، وأصدقهم حديثاً، وألينهم عريكة، وأعفهم نفساً، وأكرمهم خيراً، وأبرهم عملاً، وأوفاهم عهداً، وآمنهم أمانة، حتى سماه قومه «الصادق الأمين».

وإذا نظرتَ إلى العُبّاد رأيته أتقاهم لله وأعبدهم، وإذا أردتَ الأزواج وجدته أصلحهم وأعظمهم، وإذا ابتغيت الأب الحاني والمربي الناصح فإنه هو هو بعينه، وإذا انتقيت القائد المحنك لا تجد أكفأ منه أو أكثر دراية وحنكة، يحب السلام ويجيب إليه، ولا يبدأ أحداً بعدوان، وإن فتّشتَ عن الإمام أو الحاكم أو الأمير كان أمير ذلك كله، فلا يعتد برأيه ولا يستبد بحكمه، أكثرهم نهجاً لمبدأ الشورى والعدل والإنصاف ولو من نفسه، يمارس ذلك في حكمه؛ فيأخذ للضعيف حقه، ويبين للظالم ظلمه، ويأخذ على يديه بحكمة، ليعيد نصاب الميزان بالعدل، فهو عبد لله قانت، وابن بار، وزوج صالح، وأب حنون، وصديق وفيّ، وأخ مخلص، وقائد بارع، وحاكم عادل، قد حاز الشرف من جميع جوانبه، وما ذاك إلا لأنه نبي مرسل ورسول خاتم، صلى الله عليه وسلم.

يقول ربنا عز وجل: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾ (الأحزاب: 21)، فالأسوة الحسنة في الرسول صلى الله عليه وسلم، فإن المتأسِّي به سالك الطريق الموصل إلى كرامة الله، وهو الصراط المستقيم، وأما الأسوة بغيره، إذا خالفه، فهو الأسوة السيئة، كقول الكفار حين دعتهم الرسل للتأسِّي بهم: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى

أُمَّة وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ (الزخرف: 22)، وهذه الأسوة الحسنة إنما يسلكها ويوفق لها من كان يرجو الله، واليوم الآخر، فإن ما معه من الإيمان، وخوف الله، ورجاء ثوابه، وخوف عقابه، يحثه على التأسي بالرسول صلى الله عليه وسلم (تفسير السعدي).

واختلف في هذه الأسوة بالرسول عليه الصلاة السلام، هل هي على الإيجاب أم على الاستحباب؟ على قولين؛ أحدهما: على الإيجاب حتى يقوم دليل على الاستحباب، الثاني: على الاستحباب حتى يقوم دليل على الإيجاب، ويحتمل أن يحمل على الإيجاب في أمور الدين، وعلى الاستحباب في أمور الدنيا (تفسير القرطبي).

وقال تعالى مخاطباً عبده ورسوله محمداً صلى الله عليه وسلم: ﴿أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام: 90)، «أولئك» يعني: الأنبياء المذكورين مع من أضيف إليهم من الآباء والذرية والإخوان وهم «الذين هدى الله» أي: هم أهل الهداية لا غيرهم، «فبهداهم اقتده» أي: اقتد واتبع، وإذا كان هذا أمراً للرسول صلى اللهَ عليه وسلم، فأمته تبع له فيما يشرعه لهم ويأمرهم به. (ابن كثير).

لقد اجتمع له صلى الله عليه وسلم من الصفات والفضائل والخصائص والعطايا ما لم يكن لغيره من إخوانه الأنبياء، فقد أوتي الحسن كله خَلْقاً وخُلقاً، وقد قال الله تعالى له: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ (الطور: 48)، واجتباه واصطفاه بالنبوة والرسالة الخاتمة، وآتاه من كل ما أوتيه أنبياء الله جميعهم؛ ففيه صبر نوح، وبرّ إسماعيل، ورفق يعقوب، وعفو يوسف، ورضا أيوب، وثبات موسى، وفهم سليمان، وسماحة عيسى، عليهم جميعاً أفضل الصلاة والتسليم، فقد آتاه الله الخير كله وجعله أكمل خلقه وأفضل أنبيائه ورسله، وكان فضل الله عليه عظيماً.

احذر أن تسيء في الاقتداء

لقد استمسك أهل الجاهلية بتراث الآباء حينما دُعوا إلى الإسلام، وقال القرآن عنهم: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّة وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ (الزخرف: 23)، أي: إنا وجدنا آباءنا على ملة ودين، وإنا على منهاجهم وطريقتهم مقتدون بفعلهم، نفعل كالذي فعلوا، ونعبد ما كانوا يعبدون. (تفسير الطبري).

ونحن في هذا الزمان انفتح فيه الناس على بعضهم، واختلط المسلمون بغيرهم، وأصبح الحق والباطل في صراع عظيم، وبدأ أهل الباطل يروّجون لباطلهم وذلك من خلال الإعلام، والقنوات الفضائية، والإنترنت، فأصبحوا يُبرزون للناس أشخاصاً يزخرفونهم على أنهم أبطال وعظماء وقادة ونجوم ليتخذهم الناس قدوات.

يقول ابن خلدون: «المغلوب مولع أبداً بالاقتداء بالغالب، في شعاره وزيِّه ونِحلته وسائر أحواله وعوائده»، ويستطرد قائلاً: انظر ذلك في الأبناء مع آبائهم كيف تجدهم متشبهين بهم دائماً وما ذلك إلا لاعتقادهم الكمال فيهم، وتأمل في هذا سر قولهم: العامة على دين الملك، فإنه من بابه إذ الملك غالب لمن تحت يده والرعية مقتدون به لاعتقاد الكمال فيه اعتقاد الأبناء بآبائهم والمتعلمين بمعلميهم. (ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر.. ابن خلدون، ج1، ص 184).

لقد كانت الهزيمة النفسية التي لحقت بالأمة فترات الاستعمار وما بعدها من أسباب أخذنا عنهم بلا تدقيق على ميزان الهوية، بل هو اندفاع بلوثة الانبهار، يقول المنفلوطي: «كأنه صار من المحتم علينا أن نقلد الأوروبيين في كل ما يعملون شبراً بشبر وذراعاً بذراع، حتى إذا دخلوا جحر ضب لدخلناه، أو شربوا نخباً لشربناه، أو صنعوا صنماً لصنعناه، كل ذلك بدا أصرح دلالة على أن الجمود ما برح مستحكماً فينا؛ لأن التقليد الأعمى شأن العاجز الضعيف الذي لا يدري بماذا فاقهُ القوي القادر، فهو يقلده في جميع حركاته وسكناته ظناً منه أنها سر قوته وقدرته» (النظرات، ج2، ص284، المنفلوطي).

إن مشكلة التقليد الأعمى عائق كبير لأي مشروع للنهضة والتقدم وبناء مجتمع راشد متمسك بدينه، وقد حذر المفكر الجزائري مالك بن نبي من نوعين من الأفكار؛ الأفكار الميتة، والأفكار المُميتة.

«الفكرة الميتة» يعرفها ابن نبي بأنها «فكرة خذلت أصولها وانحرفت عن نموذجها المثالي ولم يعد لها جذور في محيط ثقافتها الأصلي»؛ فالتقاليد التي تنافي الإسلام هي موروث ثقافي من العادات والتقاليد لم يتم تصفيته وتنقيته.

و«الفكرة المميتة» هي «فكرة فقدت شخصيتها وقيمتها الثقافية بعد أن فقدت جذورها التي ظلت في مكانها في عالمها الثقافي الأصلي». (مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ص202)، أي: الأفكار المستوردة التي تقلد تقليداً أعمى، ولا يمنع الإسلام الأخذ عن الآخرين في الأمور الحياتية وتقدمهم في الصناعات والفنون والعلوم الدنيوية النافعة ونحوه، طالما كانت لا تضر بالهوية الثقافية للأمة.

فهل نجعل لأنفسنا من القدوات أصلحها ومن العادات أحسنها؟ وهل نتخذ من نبينا محمد صلى الله عليه وسلم القدوة الأولى لنا؟■

اجتمع للنبي محمد من الصفات والفضائل ما لم يكن لغيره من إخوانه الأنبياء

جيتس قدوة زوكربيرج وصلاح قدوته رونالدو الذي يتخذ بدوره فيجو مثله الأعلى

ابن خلدون: المغلوب مولع أبداً بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيِّه ونِحلته وسائر أحواله

مشكلة التقليد الأعمى عائق كبير لأي مشروع للنهضة وبناء مجتمع راشد متمسك بدينه



تـربوي

إيمان مغازي الشرقاوي
ليسانس شريعة - ماجستير الدعوة
جامعة المدينة العالمية

محطات إيمانية في طريق التربية

رسول الحب

إذا بحثتَ عن الحب الصادق وجدتَه في أعلى صوره متجسداً فيه، يظهر في مَنطقه وفي فعاله، وفي معاشرته وأخلاقه، تُحسه في صمته وكلامه، وحركاته وسكونه، ينشر الحب وينثره على مَن حوله، فيواسي الحزين ليذهب حزنه، ويداعب الصغير ليفرح قلبه، ويغيث الملهوف لينفس كربه، ويعفو عن المسيء لينهض من عثرته.

تراه محباً مع الزوج والولد والأهل والأرحام، مع الأصحاب والجيران، مع الأيتام والأرامل والفقراء والمساكين، مع الطير والحيوان، بل ومع الشجر والنبات والجماد!

فإذا أردتَ أن تُحب أو تُحَب فهو دليلك إلى ذلك، فرسالته رسالة الحب والرحمة، وتحيته تحية السلام والبركة، وأصحابه أحبابه، يدعو بحب، وينصح بحب، ويعطي بحب، ويمنع بحب، ويكافئ بحب ويعاقب بحب، حتى يظن الجالس معه أنه المحبوب لديه دون الناس جميعاً، لما يرى من نظراته المُحبة وابتساماته الدائمة، ولين قوله وحسن معشره؛ فهو رسول الحب، الداعي إليه، الحبيب إلى ربه عز وجل، المحب لأمته، المحبوب من جميع المؤمنين إلى يوم القيامة؛ نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

لقد منحنا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من حبه الخالد، وعلمنا الحب الحقيقي الذي لا تُذهبه الأيام أو تمضي به السنون، ودعانا إليه، حتى نبادله حباً بحب، فقال لنا صلى الله عليه وسلم: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين» (رواه البخاري)، ذلك الحب الذي يُستمد من حب الله عز وجل ومن رسالته الخالدة، كما قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ (البقرة: 165)، فهو حب لا يأتي إلا بخير.

إن الناظر في شخص الرسول صلى الله عليه وسلم يجد فيه الإنسان الكامل من جميع النواحي، ولا عجب في ذلك، فقد أدبه ربه عز وجل، وجعله النبي الخاتم المرسَل إلى الناس كافة على مختلف الطبقات والأجناس واللغات، فكان يحب الخير والهداية لهم جميعاً، ويحزن حزناً شديداً على مَن أعرض منهم، حتى قال له الله تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (الشعراء: 3).

وقد حرص الرسول صلى الله عليه وسلم في دعوته على بناء قواعد الحب والتوادّ في نفوس المؤمنين على المستوى الخاص والعام، ذلك الحب الذي يقوّيه الصدق والإيثار، وينميه العدل والإحسان، مما جعلهم كالجسد الواحد كما وصفهم في قوله: «مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» (رواه مسلم).

وقد سلك الرسول صلى الله عليه وسلم في سبيل الوصول بنا إلى التواد والمحبة طريق القدوة الصالحة يقدمها لنا من نفسه، ولو كان إظهار هذا الحب مع جبل أشَم كجبل «أُحُد» إذ يقول عنه: «هذا جبل يحبنا ونحبه» (رواه البخاري)، أو مع أرض موطنه الذي نشأ فيه كما قال لمكّة: «ما أطيبك من بلد وأحبك إليَّ، ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك» (صحيح الترمذي)، فما ظننا كيف كان حبه لأصحابه ولأزواجه وأهل بيته ولكل المؤمنين والمؤمنات؟!

لذا، فلا عجب أن كان من أهداف رسالته المباركة إرساء القواعد التي تجعل من الفرد إنساناً سوياً حتى في مشاعره، ومن الأسرة المسلمة أسرة سعيدة متحابة، ومن مجتمعاتنا مجتمعات متآلفة متوادّة، قد ربط حب الله ورسوله بين قلوبها فتحابت به فيما بينها فكان ذلك الحب الطيب سبيلاً لكل خير.

الرسول المُحب صلى الله عليه وسلم:

حبه لأصحابه: كان الرسول صلى الله عليه وسلم ودوداً مع أصحابه، يحبهم حباً كبيراً، ولا يرضى أن يؤذيهم أحد ولو بكلمة، فيقول: «لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أُحُد ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدهم، ولا نصيفه» (رواه مسلم)، يعلمهم بحُبٍّ كالأب الشفيق الحاني ويقول لهم: «إنما أنا لكم بمنزلة الوالد، أعلمكم» (صحيح أبي داود)، يشاركهم أحوالهم ولا ينعزل عنهم وهو أعبدهم وأتقاهم لله، ويصف ذلك عثمان ابن عفان رضي الله عنه ويقول: «إنا والله قد صحبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم

في السفر والحضر، وكان يعود مرضانا ويتبع جنائزنا ويغزو معنا ويواسينا بالقليل والكثير» (رواه أحمد).

حبه لأزواجه: وقد أحب الرسول صلى الله عليه وسلم زوجاته رضوان الله عليهن، فكان نعم الزوج المحب، وحين سئل: من أحب الناس إليك؟ قال: «عائشة» (رواه الترمذي)، ولم ينسه مرور الوقت ومسؤولياته الكثيرة أن يعلمنا أن الحب الصادق للزوجة يستمر أيضاً بعد موتها ويُترجَم وفاء لها وإكراماً لأهلها وصديقاتها، وقد فعل ذلك مع زوجه خديجة رضي الله عنها، حيث كان يقول: «إني رزقت حبها» (صحيح ابن حبان)، وتذكر عائشة رضي الله عنها أنه إذا ذبح الشاة يقول: «أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة» (رواه مسلم)، فيقدم بذلك القدوة للرجال في حفظ الود للزوجة في حياتها وبعد مماتها، ويقول لهم: «لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقاً رضي منها آخر» (رواه مسلم)، ولا يفرك: أي لا يبغض، وفي المقابل؛ فإنه صلى الله عليه وسلم يبشر الزوجات المحبات لأزواجهن فيقول: «ونساؤكم من أهل الجنة الودود الولود العؤود على زوجها..» (السلسلة الصحيحة).

حبه لأولاده وأحفاده: وتصف عائشة رضي الله عنها ذلك الحب المتبادَل بين النبي صلى الله عليه وسلم وابنته فاطمة رضي الله عنها، فتقول: «كانت إذا دخلت عليه قام إليها، فأخذ بيدها وقبَّلها وأجلسها في مجلسه، وكان إذا دخل عليها قامت إليه، فأخذت بيده فقبلته وأجلسته في مجلسها» (صحيح أبي داود)، وكان يقول عن الحسن والحسين: «هذان ابناي وابنا ابنتي، اللهم إني أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما» (رواه الترمذي).

حبه لأمته: وأحب أمته فخبأ لها شفاعته، كما قال: «كل نبي دعوة مستجابة يدعو بها فيستجاب له، فيؤتاها، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة» (رواه مسلم).

دعوة.. وحب:

ولم يخلُ توجيه النبي صلى الله عليه وسلم من الترغيب والتحذير، والأمر والنهي في سبيل تحقيق المحبة بين الناس ونشرها، والتقليل من الشقاق والتنافر بين القلوب، وذلك بالأخذ بالوسائل المباحة لتحقيق ذلك، فالأسرة المتباغضة التي لا تعبر عن مشاعر الحب بالقول أو بالفعل؛ تنقصها بعض السكينة، والمجتمعات التي تسودها الكراهية والبغضاء بين أفرادها أو طبقاتها لن تنتج سوى المزيد من الحقد والعداوة والشحناء بينهم، بينما لو اتبعوا توجيهات الرسول صلى الله عليه وسلم الداعي إلى التحاب لَتغير حالها.

لذا، فقد نهى عن كل ما يؤدي إلى القطيعة والكراهية فقال: «لا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تقاطعوا، وكونوا عباد الله إخواناً» (رواه مسلم).



الرسول علمنا الحب الحقيقي الذي لا تُذهبه الأيام أو تمضي به السنون ودعانا إليه

نبينا سلك في سبيل الوصول بنا إلى التواد والمحبة طريق القدوة الصالحة من نفسه حتى مع جبل مثل «أُحد»

الأسرة المتباغضة تنقصها بعض السكينة والمجتمعات التي تسودها الكراهية لن تنتج سوى المزيد من الحقد والعداوة

ودعانا إلى الأخذ بأسباب المحبة، فقال: «لا يؤمن أحدكم، حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» (رواه البخاري)، وبيَّن أن ذلك من الإيمان فقال: «لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يحب للناس ما يحب لنفسه من الخير» (صحيح ابن حبان).

وذكر أن المحبة طريقها سهل وقد تحصل بهدية بسيطة يتولد بها الحب بين المتهادين، فقال: «تهادوا تحابوا» (صحيح الجامع).

وعلمنا جملة من الأعمال الطيبة والأخلاق الفاضلة التي تورث المحبة، ومن ذلك قوله: «أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو يقضي عنه ديناً، أو تطرد عنه جوعاً، ولأن أمشي مع أخ لي في حاجة أحب إليَّ من أن أعتكف في هذا المسجد (يعني مسجد المدينة) شهراً، ومن كف غضبه ستر الله عورته، ومن كظم غيظه، ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه رجاء يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى تتهيأ له أثبت الله قدمه يوم تزول الأقدام» (رواه الطبراني، وصححه الألباني).

وحثنا على إفشاء السلام فقال: «لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم» (رواه مسلم)، وأن نظهر مشاعرنا تجاه مَن نحبهم في الله، فقال: «إذا أحب الرجل أخاه فليخبره أنه يحبه» (صحيح أبي داود).

ودعانا إلى الحب الخالد، حب الله ورسوله، فهو أصل كل حب، حيث يثمر طاعات دائمة، وأخلاقاً طيبة، وقلوباً متآلفة، وحباً للخير وأهله، فقال صلى الله عليه وسلم: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار» (رواه البخاري)؛ لذا فإن علينا اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وطاعته، فهذا هو الدليل على حبنا لله تعالى القائل سبحانه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (آل عمران: 31).■



تنمية أسرية

للآبــاء.. كيف تعالج سلوكياتك التربوية الخاطئة؟

ياسر محمود

«قرأت العديد من المقالات، وشاهدت بعض الفيديوهات، وحضرت بعض الدورات التدريبية حول تربية الأولاد، ورغم ذلك استمرت مشكلتي في عدم قدرتي على التعامل مع أولادي بطريقة ناجحة، فأنا أشعر بالعجز في تطبيق ما أعرفه»، هذه شهادة أحد الآباء الذي يعبر عن مشكلة يواجهها كثير منهم في تربية أولادهم، حيث يعانون من عدم قدرتهم على ترجمة ما يعرفون من معارف إلى تصرفات وسلوكيات تساعدهم بطريقة عملية في تربية أولادهم تربية سليمة شاملة متوازنة.

وفي السطور التالية، نحاول أن نضع بعض القواعد العملية التي نرجو أن تسهم في انتقال الآباء من المعرفة النظرية التربوية إلى واقع يمارسونه مع أولادهم.

زيادة الدافعية:

1 - استحضار عظم المهمة:

استحضر دائماً عظم المهمة التي تقوم بها، فتربية الأولاد من أعظم المهام في الحياة، وقل لنفسك: إن كل أمر عظيم يحتاج إلى جهد وصبر ومثابرة، واستعن على تعميق هذا المعنى في نفسك بتذكر حديث النبي صلى الله عليه: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: من صدقة جارية، وعلم يُنتفع به، وولد صالح يدعو له» (رواه النسائي)، ويمكنك أن تكتب هذا الحديث أو غيره من الأحاديث أو الكلمات في هذا الباب، وتضعها في مكان بارز؛ لتذكرك بعظم ما تقوم به.

2 - استشعار المسؤولية:

ذكِّر نفسك دائماً بأن أولادك أمانة لديك، وأن الله تعالى سيسألك عما بذلته من جهد في حسن تربيتهم، وضع نصب عينيك قول النبي صلى الله عليه وسلم: «أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّته، فَالْأَمِيرُ الَّذي عَلَى النَّاس رَاعٍ، وَهُوَ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّته، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْته، وَهُوَ مَسْؤولٌ عَنْهُمْ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِه، وَهِيَ مَسْؤولَةٌ عَنْهُمْ..» (متفق عليه).

3 - التفكير في الآثار السلبية:

فكر في الآثار السلبية التي يمكن أن تطال شخصية أولادك؛ نتيجة عدمِ تطبيقك الأساليب التربوية الصحيحة، فمثلاً إذا كنت لا تستطيع تمالك نفسك وتضبط انفعالك عند ارتكاب طفلك لسلوك خاطئ، فكن كثير التذكير لنفسك بالآثار السلبية التي ربما تحدث لطفلك نتيجة عدم ضبطك لانفعالك، التي منها: الإيذاء البدني الذي قد يقع عليه، أو الآثار النفسية التي قد تترك جروحاً غائرة في شخصيته.. إلخ.

خريطة عمل:

1 - رفع الواقع:

وذلك بأن تجلس مع نفسك وتحضر ورقة وقلماً، ثم تسجل المواقف التي لا تلتزم فيها بمبادئ التربية السليمة، ونقاط الضعف التي تنتابك في هذه المواقف، وكذلك تحدد الأسباب التي تدفعك لممارسة السلوكيات غير التربوية مع أولادك.

2 - معالجات عملية:

وبعد أن تضع السلوكيات السلبية في تربيتك لأولادك وأسبابها، ابدأ في وضع خطة عامة لمعالجة هذه السلوكيات لديك، موضحاً فيها كل سلوك على حدة، وكيفية معالجة هذا السلوك، فمثلاً لو كنت سريع الانفعال تجاه سلوكيات الأولاد الخاطئة، فيمكن وضع بعض الإجراءات العملية التي تساعدك على ضبط غضبك واستعادة توازنك مثل: الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، الإكثار من ذكر الله تعالى، أخذ نفس عميق وبطيء لعدة مرات، العد تنازلياً من 10 إلى 1، تغير الوضع الذي أنت عليه؛ من الوقوف إلى الجلوس، ومن الجلوس إلى الاتكاء، المسارعة إلى الوضوء، خفض صوتك، وهكذا في كل سلوك تعاني منه في عملية التربية.

3 - ترتيب الأولويات:

وفي خطوة تالية لتحديد السلوكيات السلبية التي تمارسها مع أولادك وكيفية علاج كل منها، ضع ترتيباً لأولويات هذه السلوكيات، وما الذي سيكون له الأولوية في البدء بمعالجته، وما الذي سيتم تأجيله من هذه السلوكيات.

4 - فترة زمنية:

بعد اختيار السلوك الذي ستبدأ به، حدّد فترة زمنية تعمل خلالها على تعديل

هذا السلوك، مثل الصبر وتمالك النفس على سلوكيات الطفل السلبية، ولتكن شهراً أو أكثر مثلاً.

5 - تقمص دور المربي الناجح:

احرص على أن تتقمص دور المربي الناجح، وأن تتكلف الالتزام بهذا السلوك الإيجابي في تربيتك لأولادك خلال الفترة الزمنية المحددة، وبالتأكيد ستجد صعوبة بتنفيذه في بداية الأمر، لكن مع الاستمرار والمداومة في تطبيقه ستشعر بتحسن، وسيصبح الأمر أفضل مع الإصرار على التطبيق.

6 - لوحات تذكيرية:

من الأمور التي تساعدك على الالتزام بتنفيذ السلوكيات الإيجابية مع أولادك، أن تكتب السلوك الذي حددته في ورقة، ثم تعلقه في غرفتك أو في أي مكان يذكرك دائماً بما عليك القيام به، مثل: احذر الانفعال، التزم الصبر، لا تغضب، أجّل قرارك... إلخ.

7 - الصبر والمثابرة:

بلا أدنى شك ستجد صعوبة في تنفيذ ما وضعته؛ لأنه يخالف ما تعودت عليه من أسلوب في تربية أولادك، لكن ذكِّر نفسك دائماً بالأجر والمسؤولية تجاه تربيتهم، واحرص على التزام الصبر والمثابرة في تنفيذه.

8 - تقييم الأداء:

احرص على أن تقيِّم أداءك بشكل مستمر؛ ففي نهاية كل يوم قف مع نفسك واسألها: هل التزمت اليوم بما هو مطلوب منك أم لا؟ وكن موضوعياً في تقييمك لنفسك، فلا تجاملها ولا تجلدها بشكل مبالغ فيه، فالهدف هو أن تعرف جوانب القوة والضعف لتطور أداءك التربوي.

9 - قراءة التصرفات:

احرص على أن تكتب المواقف التي شعرت أنك لم تكن موفقاً في طريقة تعاملك فيها مع أولادك، وراجع قراءتها، فمثلاً إذا كنت كثير الغضب تجاههم، اكتب ما يسبب غضبك، والمواقف التي غضبت فيها، وكيف كان تصرفك، وكيف كان شعورك وقتها، والنتائج التي ترتبت على تصرفك، وعاود قراءة ذلك كل فترة، فهذا يساعدك على تحسين طريقة تعاملك في هذه المواقف.

10 - الثواب والعقاب:

مما يعينك على تقويم سلوكياتك التربوية أن تطبق على نفسك مبدأ الثواب والعقاب، فإذا وجدت منك التزاماً في التطبيق، فاعمل على مكافأة نفسك بأن تشتري طعاماً أو شيئاً تحبه أو غير ذلك مما هو محبب لنفسك، وإن وجدت تقصيراً، فعاقب نفسك بأن تقوم ببعض الأعمال الشاقة وغير المحببة إلى نفسك.

فكِّر في الآثار السلبية التي يمكن أن تطال شخصية أولادك نتيجة عدم تطبيقك الأساليب التربوية الصحيحة

احرص على أن تتقمص دور المربي الناجح وتتكلف الالتزام بهذا السلوك الإيجابي حتى يصبح الأمر أفضل

عوامل داعمة:

1 - استشارة أصحاب الخبرات:

من الأمور التي تساعدك على تعديل سلوكياتك تجاه الأولاد أن تجالس وتستشير أصحاب الخبرات العملية في تطبيق ما لديك من معارف.

2 - تخفيف الضغوط:

خصِّص لنفسك وقتاً للترفيه وممارسة أنشطتك وهواياتك المفضلة؛ فهذا يساعدك على تفريغ انفعالاتك السلبية، ويمنحك قدرة أكبر على احتمال الضغوط، ويجعلك أكثر هدوءاً في التعامل مع سلوكيات أولادك السلبية واستفزازاتهم.

اكتب المواقف التي شعرت أنك لم تكن موفقاً في طريقة تعاملك فيها مع أولادك وراجع قراءتها

خصص لنفسك وقتاً للترفيه وممارسة هواياتك المفضلة وتقبل إخفاقاتك مع أولادك بصدر رحب

3 - استيعاب المشكلات:

عوِّد نفسك على استيعاب المشكلات اليومية التي تمر بك مع أولادك، وذلك باسترجاع الذاكرة بأنك قد مر بك العديد من المواقف المحبطة من قبل وأمكنك التغلب عليها، وقل لنفسك: إنك قادر على التغلب عليها أيضاً هذه المرة.. وهكذا.

4 - تقبل الإخفاقات:

تقبل إخفاقاتك مع أولادك بصدر رحب، وابحث عن أسبابها بكل حيادية وموضوعية، وبعيداً عن التأثر النفسي السلبي بنتائجها، فهذا يساعدك على تلافيها في المستقبل، بل ويجعلها دافعاً ومنطلقاً للنجاح في تربيتهم، وقل لنفسك: إنك لست وحدك الذي تعاني من أعباء التربية، وإن طبيعة الحياة تفرض علينا أن نسقط ونقف، نرسب وننجح، وبمرور الوقت تزداد خبراتنا ونتعلم من أخطائنا.

5 - تجنب المتشائمين:

ابتعد عن المتشائمين وناشري الإحباط في تربية الأولاد؛ لأن كثرة كلامهم عن الإخفاقات ومصاعب تربية الأولاد تثير في النفس الشعور بالعجز، وعدم القدرة على تحقيق ما تهدف إليه مع أولادك.

6 - النصف الممتلئ:

انظر إلى النصف الممتلئ من الكوب، وذلك ببحثك عن جوانب القوة والسلوكيات الجيدة التي يتمتع بها طفلك، ولا تجعل كل تركيزك على الجوانب السلبية فقط، فهذا يقلل من إحباطك، ويجعلك أكثر قدرة على التعامل مع سلبياته بطريقة أفضل.

7 - خصائص المرحلة:

تعرف على خصائص المرحلة العمرية التي يمر أولادك بها؛ لأننا في كثير من الأحيان نظن أننا فشلنا في تربيتهم ونصاب بالإحباط لصدور بعض السلوكيات منهم، رغم أن هذه السلوكيات ربما تكون من طبيعة المرحلة التي يمرون بها.

8 - الاستعانة بالله:

وفي النهاية، توجه إلى الله تعالى بالدعاء، وألِحّ عليه سبحانه أن يعينك على تعديل سلوكياتك السلبية في تربية أولادك، وأن يكون لك عوناً في تربيتهم بشكل عام، واحرص على أن تدعو لهم بأن يجعلهم الله من الصالحين الموفقين.■



بقلم:
محمد سالم الراشد

وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ

يظن الرئيس الفرنسي «إيمانويل ماكرون» أنه ببعض رسوم كاريكاتيرية لشذاذ الصحافة الفرنسية أو الأوروبية سينال من نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، «بأبي أنت وأمي يا رسول الله»، صلّت عليك ملائكة الرحمن ما دام الزمان واستمر المكان.

لن يتجاوز أي فرد؛ رئيساً كان أم تابعاً، في بلد أوروبي أو في فرنسا، أن يعدو فعله إلا كما فعلت حمالة الحطب أم جميل أروى بنت حرب، زوجة أبي لهب بن عبدالمطلب، لقد أنزل الله آمراً نبيه بقوله: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (الشعراء: 214)، فقام النبي صلى الله عليه وسلم بجمع قومه وإبلاغهم بأنه رسولٌ من عند الله تعالى، وأنذرهم كما أمره ربه.

فقال أبو لهب: «تباً لك، ألهذا جمعتنا؟!»، وكانت أم جميل «حمالة الحطب» تضع الشوك في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم.

لقد انتهت قصتهما هي وأبي لهب بقوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (1) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (2) سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (3) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (4) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ (5)﴾ (المسد).

إن كل حرفٍ أو خطٍ أو رسم في كاريكاتير يرسمه حاقد أو جاهل فمصيره إلى فناء، أما من دعمه بسلطته السياسية والدولية كرئيس فرنسا فلا يعدو فعله فعل أبي لهب، سينتهي ذكره ويرد على عقبه، ومآله مآل كل من تطاول على النبي صلى الله عليه وسلم في حياته أو بعد مماته، مروراً بيوحنا الدمشقي (676 – 749م)، الذي أول من كتب في كتابه المسمى «DEVAERESBIUS» زوراً بأن بحيرى الراهب هو الذي قام بمساعدة الرسول صلى الله عليه وسلم في كتابة القرآن الكريم.

وللكنيسة الإسبانية دور في نشر الخرافات عن الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن أبرز من كتب مسيئاً للنبي صلى الله عليه وسلم المفكر الألماني «مارتن لوثر» (MAREIN LUTHER) (1483 – 1564) ونصّ -لعنه الله- بهتاناً «أن محمداً هو الشيطان، وهو أول أبناء إبليس»، فداك أبي وأمي يا رسول الله.

وفي العصر الحديث يأتي كتاب «آيات شيطانية» للهندي المرتد سلمان رشدي الذي نشر عام 1988م في قائمة المجدفين.

القائمة طويلة فيمن قاموا بمحاولة التقليل من شأن الرسول صلى الله عليه وسلم، وتوجيه الاتهامات زوراً وبهتاناً، كل أولئك نسيهم التاريخ وبقي ذكر محمد صلى الله عليه وسلم في العالمين.

وتظل فرنسا بطبيعة إرثها التاريخي تواصل حقدها المتستر بالعلمانية وشعارات الحرية منذ تجييشها لأول حرب صليبية على يد بابا فرنسا «أوربان الثاني» عام 1095م في كليرمونت جنوب فرنسا من أجل انتزاع القدس من أيدي المسلمين.

في حين أن الراهب الفرنسي «سان برنار» كان له الدور الأول والفعّال في الحملة الصليبية الثانية على الشام، وعقد بابا روما «يوحنا الثالث» من أجلها مجمعاً كنسياً في مدينة فيزولاي بمقاطعة آفالون الفرنسية، وتحمس الملك الفرنسي «لويس السابع» للحملة، وكان الملك الفرنسي «فيليب أغسطس» أحد أركان الحملة الصليبية الثالثة على بلاد الشام.

واستمرت فرنسا في نهجها ضد المسلمين ترفع راية الحروب الصليبية بحملات ممنهجة، منها حملة «لويس التاسع» على مصر عام 1249م وهزيمته، وبعدها بـ21 عاماً عاود بحملة صليبية ثامنة عام 1270م وفشل أيضاً، وتابع «نابليون بونابرت» بأيديولوجية الصراع ضد المسلمين في عام 1798م ليحتل مصر ثم يخرج منها فاشلاً، وعاد الفرنسيون لاحتلال الجزائر عام 1830م، وتونس عام 1881م.

لقد كان لفرنسا مسار تفتيت الكيان الإسلامي باتفاقية «سايكس بيكو» عام 1916م، ليظل العالم العربي والإسلامي إلى اليوم مفككاً.

إن دور فرنسا تاريخياً كان ضد الإسلام والمسلمين، وهو إرث صراع تاريخي قائم على أيديولوجية دينية، لكن هل سيستطيع «ماكرون» تغطية نور النبوة ودين الإسلام؟!

إن الإسلام سيبلغ ما بلغ الليل والنهار، وإن المسلمين يذكرون محمداً صلى الله عليه وسلم كل يوم خمس مرات مع كل أذان للصلاة، وكذلك في كل صلاة عند التشهد، لأن الله أراد ذلك، وسيظل ذكر محمد صلى الله عليه وسلم هو الأعلى؛ ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ (الشرح: 4)، وسينسى التاريخ فرنسا و«ماكرون»، وسيبقى ذكر محمد صلى الله عليه وسلم.■

AL-MUJTAMA'A

المجتمع

مجلة المسلمين في أنحاء العالم

العدد (2150) - السنة (51) ربيع الآخر 1442هـ / 1 ديسمبر 2020م



سمو الأمير يتفقد مؤسسات الدولة الحيوية لدعم منتسبيها

الكويت تترقب ولادة برلمان قادر على مواجهة التحديات

كيف تحولت تركيا لرقم إقليمي ودولي صعب؟

 @mugtama  facebook.com/mugtama  www.mugtama.com  @mugtama

الكويت 750 فلساً - السعودية 10 ريالات - البحرين دينار بحريني - قطر 10 ريالات - سلطنة عمان ريال عماني - الأردن 1.750 دينار أردني - لبنان 4500 ليرة - المغرب 23 درهماً

USA $ 5 - Canada $ 6 - Australia AUD 6 - URB 3.5 - India INR 110 - Pakistan PRS 200 - Turkey TRY 7 - U.k £ 3

www.mugtama.com







«المجتمع» مجلة إسلامية عالمية شاملة

تصدر أسبوعياً عن «جمعية الإصلاح الاجتماعي» بدولة الكويت، وقد صدر العدد الأول منها يوم الثلاثاء 9 من المحرم 1390 هـ - 17 مارس 1970م، ومازالت منتظمة الصدور منذ ذلك التاريخ، حددت «المجتمع» هويتها في أول مقال افتتاحي بالقول: إنها «تستمد فكرها الأصيل من الإسلام، وعلى ضوئه وبمقياسه، وتتقبل - بصدر رحب - كل نقد هادف بناء، وترفض النقد الغوغائي الذي يأباه الخلق الإسلامي.. وتمد يدها لكل الناس، يداً ترفع راية الإسلام، وتبشر بالخير والبر، وتقف في تحدٍّ لخصوم الإسلام.. وتكتب في كل القضايا التي تهم أمتنا، وتعالج مشكلات المجتمع بكل جرأة وأمانة، ولن تتخلى عن قضاياه».

ومازالت «المجتمع» ماضية في طريقها الذي رسمته لنفسها؛ حيث تتناول شتى القضايا التي تهم الأمة: القضية الفلسطينية والقدس والمسجد الأقصى - قضايا الأقليات الإسلامية حول العالم - موجات الغزو الثقافي والتيارات الفكرية المحرفة - موجات الانحلال الأخلاقي وتذويب الهوية - جهود المفكرين في ترسيخ الفكر الإسلامي وتربية أبناء الأمة - معالم الاقتصاد الإسلامي ودوره في بناء النهضة والنجاحات التي يحققها في مقابل الاقتصاد الربوي الذي كان السبب الأول في الكارثة المالية العالمية.. وغيرها من القضايا.

من أجل ذلك وغيره..

تبرع وساهم معنا بتوصيل أكثر من 3000 اشتراك

- لمراكز إسلامية تلح بطلبها
- لمدارس وجامعات إسلامية
- لقراء «المجتمع» في العالم الذين لا يستطيعون اقتناءها

الدفع على حساب : 0008881094 بنك بوبيان

(IBAN): KW54BBYN0000000000000008881094

البريد الإلكتروني: sales@mugtama.com

تليفون: 0096597228290 - تلفاكس: 0096522560525

AL-MUJTAMA'A

المجتمع

مجلة المسلمين في أنحاء العالم

العدد (2150) - (السنة 51)

إسلامية أسبوعية تصدر شهرياً مؤقتاً
تأسست عام 1390هـ - 1970م
جمعية الإصلاح الاجتماعي . الكويت

رأس مجلس إدارتها
حتى 1427/8/10هـ - 2006/9/3م
عبد الله علي المطوع يرحمه الله

رئيس التحرير
محمد سالم الراشد

مدير التحرير
جمال الشرقاوي

الإخراج الفني
مصطفى عزالدين

المراسلات

العنوان البريدي: الكويت ص.ب (4850) الصفاة.
الرمز البريدي (13049)

التحرير
22519539 - 22514180
22513616 (داخلي 205).
mujtamaa@gmail.com
info@mugtama.com

الاشتراكات والتوزيع
تليفاكس: 22560525 (00965)
sales@mugtama.com

الموقع الإلكتروني
www.mugtama.com

موقع جمعية الإصلاح
www.eslah.com

طبعت بمطابع «الهدف» التجارية



ادخل على موقع «المجتمع»



في هذا العدد

موضوع الغلاف

كيف تحولت تركيا لرقم إقليمي ودولي صعب؟

حركة «المجتمع» في فضاء الإعلام

أمر الله سبحانه وتعالى المسلم أن يعيش حياته نسيجاً واحداً متكاملاً شاملاً لله عز وجل، وأمره أن يكون شعاره في الحياة ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣) ﴾ (الأنعام). وأراد الإسلام من أتباعه أن يعيشوا حياتهم الاجتماعية والسياسية والعلمية والنفسية والتربوية والإعلامية، وما شئت من أسماء ومسميات مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بعرى هذا الدين سواء بسواء، ومن هذا المنطلق القيمي تنطلق «المجتمع» في فضاء الإعلام، متخذة شمولية الرسالة الإعلامية شعاراً لها؛ فتجمع بين الشأن الديني والتناول السياسي والتحليل الاقتصادي والتوجيه الأسري والتربوي.■



رأي المجتمع

مسلمو أمريكا.. والدور المطلوب

أدى مسلمو أمريكا دوراً بارزاً في فوز المرشح الديمقراطي «جو بايدن»، في انتخابات الرئاسة، فقد شاركوا بكثافة في تلك الانتخابات، وصوّت أغلبيتهم لصالح «بايدن» -حوالي 69% منهم- خاصة في الولايات المتأرجحة، التي حسمت على ما يبدو فوز المرشح الديمقراطي.

وهذا مؤشر واضح على أن مسلمي أمريكا أصبحوا كتلة حرجة لها تأثيرها المباشر في أي انتخابات تجرى بالولايات المتحدة، بما فيها تأثيرهم فيمن له حق الوصول للبيت الأبيض.

ويستمد مسلمو أمريكا تأثيرهم -يصل عددهم نحو 3.5 مليون- من خلال تمركزهم في بعض الولايات الحاسمة، مثل: ميشيغان وبنسلفانيا وفلوريدا وأريزونا وكولورادو ومينيسوتا ويسكونسن، بالإضافة إلى أن كثيراً منهم -خاصة القادمين من الشرق- وجدوا في البيئة الأمريكية فرصة لهم لممارسة ما حرموا منه في بلادهم؛ وهو ما كان دافعاً لهم للحرص على المشاركة في العملية الانتخابية تصويتاً وترشحاً بكثافة ملحوظة.

ولم يقتصر إنجاز مسلمي أمريكا مؤخراً على التصويت فقط؛ بل تجاوزوا ذلك لحجز مقاعد لهم في مجالس الولايات؛ حيث شهدت الانتخابات التي أجريت مؤخراً فوز 57 مرشحاً أمريكياً مسلماً من أصل 111 ترشحوا لمختلف المناصب، وسبق ذلك دخول بعضهم الكونجرس مثل إلهان عمر، ورشيدة طليب.

ورغم أهمية ما أنجزه المسلمون في أمريكا؛ فإنه ينبغي أن يتم ترجمة ذلك لخدمة مختلف القضايا الإسلامية سواء على مستوى السياسة الداخلية أو الخارجية؛ فالمطلوب من مسلمي أمريكا -خاصة أن كثيراً منهم مهاجرون من الوطن العربي- أن تكون لهم «أجندة» واضحة بأبرز القضايا المهمة والحساسة التي عليهم أن يتبنوها خلال الفترة المقبلة، وعلى رأسها القضية الفلسطينية من خلال ترميم ما أحدثته إدارة «ترمب» من شروخ وتصدعات في صلب هذه القضية، وعليهم في هذا السياق الضغط على الرئيس الأمريكي الجديد «جو بايدن» من أجل الوفاء بتعهداته لهم التي بناء عليها تكتلوا خلفه؛ حيث تعهد لهم -كما ذكر نهاد عوض، المدير التنفيذي لمجلس العلاقات الأمريكية الإسلامية (كير)- بإعادة فتح مكتب منظمة التحرير الفلسطينية من جديد، وإلغاء قرار حظر دخول المسلمين للولايات المتحدة، وإعادة تمويل وكالة غوث وتشغيل اللاجئين (الأونروا)، ذلك رغم إدراكنا أن سياسة الولايات المتحدة لن تتغير بشكل جذري تجاه العالم الإسلامي، لكن على الأقل ستكون طريقة تعاطي «بايدن» مع المسلمين وملف الحريات والربيع العربي مختلفة.

وحتى يستطيع مسلمو أمريكا تحقيق ما يصبون إليه من صانع القرار الأمريكي، ويحافظوا على مكتسباتهم ويعززوها خلال الفترة القادمة؛ عليهم أن يستفيدوا من التجربة اليهودية هناك، وذلك بتكوين «لوبي» إسلامي ضاغط ومؤثر من خلال رؤية واضحة لما يريدونه، واتباع أساليب ووسائل نافذة ومؤثرة لتحقيق هذه الرؤية، والتنسيق بينهم في تنفيذ هذه «الأجندة».■

آية العدد

﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ
أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا
بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا
وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾
وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ
آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ
هَٰؤُلَاءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا
إِلَّا الْكَافِرُونَ ﴿٤٧﴾﴾

(العنكبوت)

وكلاء التوزيع:

الكويت: شركة باب الكويت للصحافة:
ت : 22272733 ف: 22272736
distribution@alanba.com.kw

الشركة السعودية للتوزيع
Saudi Distribution Co.

السعودية:الشركة السعودية للتوزيع:
www.saudidistribution.com
الإدارة العامة: الرياض0096612128000
فرع الرياض: 0096612705837

فرع جدة: 0096626530909
فرع الدمام: 0096638473569

قطر :
دار الثقافة ت: 4622182 / ف: 4621800
البحرين :
مؤسسة الأيام للصحافة والنشر والتوزيع
ت :725111 / ف : 723763
TURKIYE- DUNY SUPER DAGITIM
Tel: (90 -1) 5120190
Fax: (90- 1) 5140883

الاشتراكات:

الكويت: 10 دنانير كويتية
الدول العربية: 17 ديناراً كويتياً
الدول الأجنبية: 25 ديناراً كويتياً
للمؤسسات والشركات: 30 ديناراً كويتياً

تشمل عمولة التحويل

الإعلانات :
امتياز الإعلان : مجلة المجتمع
ت: 22560525 - 22560526 الكويت.



شهر حافل بالزيارات الداخلية لسمو أمير الكويت..

سموه زار خمس وزارات ومؤسسات لتقديم الدعم المباشر لمنتسبيها



سمو الأمير الشيخ نواف الأحمد:

أثبت جيشنا الأبيّ على مر السنين أنه حصن الوطن ودرعه الواقية ضد الغزاة والمعتدين

سنقف بكل حزم في وجه مَنْ تسوّل له نفسه المساس بأمن الوطن ونسيجه الاجتماعي ولن نقبل بأي تقصير

نقدر دور رجال الحرس الوطني الدؤوب لضمان استمرار تشغيل المرافق الحيوية في فترات الحظر

ضرورة استمرار «الإطفاء العام» في العطاء ومضاعفة الجهود في خدمة الوطن والتحلي بالروح الوطنية العالية

الأطقم الطبية تستحق الشكر لما قدموه من تضحيات لأداء مهامهم الإنسانية التي لا تخلو من مخاطر

يعد نوفمبر الماضي شهراً حافلاً بسجل من الزيارات الداخلية لصاحب السمو أمير البلاد الشيخ نواف الأحمد الجابر الصباح، حفظه الله ورعاه؛ حيث حرص سموه على أن يتابع عمل بعض الوزارات والمؤسسات الحيوية عن قرب، وأن يقدم الدعم لمنتسبيها بصورة مباشرة وجهاً لوجه، في صورة ترسم علاقة التلاحم والتواصل بين كل أبناء الوطن؛ أميراً وحكومة وشعباً.

لقد جاءت زيارات سموه في هذه الظروف الاستثنائية التي يمر بها العالم كله، ومنه الكويت، بسبب تفشي وباء فيروس «كورونا»، لتقدم كل صور التحفيز لمن تصدروا الصفوف لمواجهة هذا الوباء، حيث شملت زيارات سموه وزارة الدفاع، ووزارة الداخلية، والحرس الوطني، والإطفاء، ووزارة الصحة.

المحطة الأولى: وزارة الدفاع:

نالت وزارة الدفاع الشرف بأن أصبحت أول جهة يزورها سمو أمير البلاد بعد توليه مقاليد الحكم.

واستنهض سموه، خلال الزيارة، الهمم، وحرص على بث روح العزة والقوة والتأهب لحماية الوطن ودرء أي مخاطر، مشدّداً على أن «تعزيز كفاءة قواتنا المسلحة في طليعة الأولويات».

وأشاد سموه بتضحيات رجال القوات المسلحة، مؤكداً الحرص على تزويد الجيش بما يستجد من الأسلحة والآليات، وتجهيزه بكل ما يحتاجه لأداء واجبه على أكمل وجه، وتطوير أساليب التدريب والتأهيل في كل القطاعات العسكرية.

وقال سموه، حفظه الله: إن جيشنا الأبيّ أثبت على مر السنين أنه حصن الوطن ودرعه الواقية ضد الغزاة والمعتدين، وقدّم في سبيل ذلك قوافل الشهداء وأغلى التضحيات؛ فاستحق فخر الوطن، وحب المواطنين واعتزازهم.

وأثنى سمو الأمير على ما قام به حماة الوطن في الآونة الأخيرة من إسهام فعّال في تطبيق الإجراءات الاحترازية وضمان انتظام ونجاح جهود مكافحة انتشار وباء «كورونا»، فكانوا دائماً خير عون وسند، رغم ما تعرّضوا له من مخاطر العدوى والإصابة.

المحطة الثانية: وزارة الداخلية:

وكانت المحطة الثانية لصاحب السمو وزارة الداخلية؛ حيث شدد سموه، في كلمة حازمة حاسمة حانية، على تطبيق القانون على الجميع بلا تهاون، لتعزيز الأمن والانضباط.

ووجه سمو الأمير التحية إلى وزير الداخلية ووكيلها وقادتها ومنتسبيها عسكريين ومدنيين، قائلاً: «أحييكم أطيب تحية، ويسرني أن ألتقي اليوم مع إخواني وأبنائي في قوات الشرطة والأمن بوزارة الداخلية الذين هم العين الساهرة على حفظ الأمن وسلامة المواطنين في وطننا الحبيب».

وأضاف سموه، حفظه الله، أن «توطيد دعائم الأمن والاستقرار هو الأساس الذي لا غنى عنه، والأمر الذي لا بد منه لاستمرار وفعالية حركة الحياة العامة في كل بلد من البلدان، ولا شك أنه إذا انعدم الأمن تتوقف عجلة التنمية وتتعطل جميع مقوماتها، لذلك فإن تعزيز دعائم الاستقرار وبث الطمأنينة في كل ربوع البلاد وتأمين أمن وسلامة المواطن وكل من يقيم على هذه الأرض الطيبة وحماية أرواحهم وممتلكاتهم تتصدر جميع أولوياتنا، وتحظى بمتابعتنا واهتمامنا الدائمين، وسنقف بكل حزم في وجه كل من تسوّل له نفسه المساس بأمن الوطن ونسيجه الاجتماعي، ولن نقبل بأي تقصير أو إهمال».

وعبّر سموه، رعاه الله، عن سعادته بما شهدته وزارة الداخلية من تطوير وإنجاز خلال الفترة الماضية، واختتم كلمته بمثل ما ابتدأ به من بث روح التفاؤل والعزيمة والانتماء قائلاً: «أكرر الشكر لقوات الشرطة والأمن، مؤكداً ثقتي فيهم ودعمي لهم للقيام بواجبهم في الحفاظ على الأمن، سائلاً الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا جميعاً لما فيه الخير لخدمة وطننا الغالي الكويت ليظل واحة للأمن والاستقرار».

المحطة الثالثة: الحرس الوطني:

كما نالت الرئاسة العامة للحرس الوطني شرف الزيارة

الثالثة لسمو الأمير؛ حيث أشاد بدور رجال الحرس الوطني في مساندة الجيش وقوات الشرطة والمدنيين خلال أزمة «كورونا»، مشدداً على أن «الروح الوطنية الراسخة التي جُبل عليها الكويتيون هي المبدأ الأساسي لمواجهة أي تحديات».

وأكد سموه حرصه على مواصلة دعم هذا الكيان الوطني لتمكينه من أداء واجبه على أكمل وجه، مثمناً المسيرة الوطنية المشرِّفة لرئيس الحرس الوطني سمو الشيخ سالم العلي، ومشيداً كذلك بالدور البارز لسمو ولي العهد الشيخ مشعل الأحمد أثناء فترة عمله نائباً لرئيس الحرس الوطني، وما قام به من جهود ملموسة لأجل ارتقاء وتطوير كفاءة هذه المؤسسة العسكرية الوطنية.

وأعرب سموه عن تقديره لعمل رجال الحرس الدؤوب لضمان استمرار تشغيل المرافق الحيوية في الدولة أثناء فترات الحظر، إلى جانب القيام بمهامهم العسكرية في تأمين وحماية المنشآت العامة، وختم سموه بتجديد التأكيد على تضافر الجهود لحماية الوطن وتعزيز الانضباط وتطبيق القانون بكل حزم واقتدار.

المحطة الرابعة: قوة الإطفاء العام:

وكانت المحطة الرابعة لزيارات سمو الأمير هي رئاسة قوة الإطفاء العام؛ حيث شدد على أن «الرجال الأوفياء يحملون على كاهلهم مسؤولية نجدة المواطنين والمقيمين عند الشدائد والأزمات»، ووجه سموه بعض النصائح والتوجيهات السامية خلال زيارته لرئاسة قوة الإطفاء العام؛ حيث أكد ضرورة استمرار العطاء ومضاعفة الجهود في خدمة الوطن والتحلي بالروح الوطنية العالية، وتطوير المؤسسات والجهات الحيوية.

وبينما أشاد سموه بجهود رجال الإطفاء في حماية الأرواح والممتلكات، ثمن تضحياتهم الكبيرة ومسؤولياتهم الجسيمة في أداء المهام رغم التعرض للمخاطر، كما عبر سموه عن أمنياته بأن يعمل الجميع لما فيه الخير للبلاد لتنعم الكويت بالأمن والأمان والطمأنينة، مشيداً بجهود قوة الإطفاء ودورها خلال أزمة «كورونا»، لافتاً إلى أن تضافر جهود جهات الدولة كافة ساهم في الحد من انتشار الوباء.

المحطة الخامسة: وزارة الصحة:

وكانت وزارة الصحة مع موعد لتكون المحطة الخامسة من سلسلة زيارات سموه، حفظه الله؛ حيث أشاد بالجهود الكبيرة التي بذلتها الكوادر الصحية والأطقم الطبية في مواجهة وباء «كورونا»، وشدد على أن الأزمات تبرهن دائماً على وحدة الصف الكويتي وصلابة أبناء الوطن وتماسكهم وتلاحمهم.

وأكد سموه أن الأطقم الطبية من مواطنين ومقيمين تستحق الشكر والتقدير لما قدموه من تضحيات في سبيل أداء مهامهم الإنسانية التي لا تخلو من مخاطر، مجدداً التأكيد على أن أبناء الكويت شخص واحد في الشدائد والأزمات.

ومما جاء في كلمة سموه أثناء زيارته لوزارة الصحة: «في هذا المقام، أود الإشادة بما قام به أبناء المنظومة الصحية من جهود كبيرة وتعاون بناء مع كل جهات الدولة الرسمية والتطوعية لمواجهة هذا الوباء، تمثلت في حسن التخطيط وتأمين كل الاحتياجات الطبية من مستشفيات ومحاجر ومعدات، وبروتوكول علاجي أسهم في تصاعد أعداد المتعافين، إلى جانب متابعتهم الحثيثة لكل المستجدات، وقد كان كل هذا محل ارتياح وتقدير الجميع».

ولفت سموه إلى أن الظروف الاستثنائية التي يمر بها العالم وما شهدناه من تكاتف وتعاضد في وطننا لأجل التصدي لهذه الجائحة يبرهنان على متانة وحدة الصف الكويتي وقت الشدائد، ومدى صلابة أبناء هذا الوطن في مواجهة أي تحديات بكل عزيمة وصبر وثبات.■



كتب - سيف باكير:



الكويتيون يختارون ممثليهم بالبرلمان الـ16 في ظروف استثنائية

تنطلق انتخابات مجلس الأمة الكويتي للفصل التشريعي السادس عشر (أمة 2020) وسط إجراءات صحية مشددة تواكب العملية الانتخابية بسبب انتشار وباء «كورونا».

وقد أغلق باب الترشح يوم 4 نوفمبر الماضي على إجمالي 395 مرشحاً ومرشحة، موزعين على 5 دوائر (بلغ عدد المرشحين الذكور 362، فيما عدد المرشحات الإناث 33)، وهو عدد يقل عن مرشحي انتخابات 2016م، الذين بلغ عددهم 454.

ويحق لـ574 ألف ناخب وناخبة أغلبهم ذكور التصويت في هذه الانتخابات، وقد حذفت إدارة الانتخابات، في فبراير الماضي، 7 آلاف ناخب متوفى من القوائم.

وأعلنت وزارة التربية الكويتية عن اختيار 102 مدرسة للجان الاقتراع، و5 مدارس للجان الرئيسة لعملية الانتخاب.

تصويت مصابي «كورونا»

إلى ذلك، وافق مجلس الوزراء على مشاركة المصابين بفيروس «كورونا» في التصويت بالانتخابات البرلمانية المقبلة مع الالتزام بالاشتراطات الصحية الضرورية لحماية سلامة المشاركين واللجان العامة من احتمالات العدوى.

وأوضح وزير العدل وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويتي د. فهد العفاسي بأن اللجنة الوزارية المشكّلة لوضع الآلية العملية لتنظيم الانتخابات استطلعت رأي إدارة الفتوى والتشريع في شأن مشاركة المصابين بفيروس «كورونا» المستجد، في ظل قيود الحجر الصحي التي فرضها قانون الاحتياطات الطبية، الذي انتهى إلى أن الحق الدستوري بالمشاركة في عملية الانتخاب حق أصيل كفله الدستور، على أن يتم تنظيم عملية الانتخاب في إطار إجراءات واشتراطات واضحة يتم الالتزام الجاد بها لحماية سلامة المشاركين واللجان العامة من احتمالات العدوى، التي ينبغي التزام الجميع بها تحقيقاً للصالح العام.

«الوزراء» وافق على مشاركة المصابين بـ«كورونا» مع الالتزام بالاشتراطات الصحية لحماية المشاركين واللجان العامة

3 قضايا رئيسة

ومجلس الأمة هو السلطة التشريعية في دولة الكويت، ويختص بتشريع القوانين والرقابة على السلطة التنفيذية، ويتألف من 50 عضواً منتخباً، ولا يصدر قانون إلا إذا أقره مجلس الأمة وصدَّق عليه سمو الأمير.

وقد حدد الفصل الثالث من الدستور الكويتي، الصادر عام 1962م، المواد الخاصة بالسلطة التشريعية واختصاصاتها في ثلاث قضايا رئيسة، وهي:

1 - الشؤون التشريعية؛ وتشمل مشروعات القوانين، والمراسيم والمعاهدات.

2 - الشؤون السياسية؛ وتشمل القرارات والرغبات وتوجيه الأسئلة والاستجوابات، وطلبات المناقشة أو التحقيق، وتلقي ومعالجة العرائض والشكاوى من المواطنين.

3 - الشؤون المالية؛ وتشمل المناقشة والتصديق على الميزانيات العامة وحساباتها الختامية السنوية وإقرار ميزانية المجلس.

ويعتبر الوزراء غير المنتخبين بمجلس الأمة أعضاء في هذا المجلس بحكم وظائفهم، ولا يزيد عدد الوزراء جميعاً على ثلث عدد أعضاء مجلس الأمة.

وفيما يتعلق بمدة المجلس فهي 4 سنوات ميلادية من تاريخ أول اجتماع له، ويجري التجديد خلال الستين يوماً السابقة على نهاية تلك المدة مع مراعاة حكم المادة (107) من الدستور.

وتثبت صفة النيابة للعضو من وقت إعلان انتخابه حتى نهاية مدة المجلس ما لم تزُل عنه تلك الصفة قبل ذلك لأي سبب قانوني.

وقد شهد الفصل التشريعي الخامس عشر إقرار 401 تشريع، تنوعت ما بين 69 قانوناً عاماً، و47 اتفاقية، و150 مشروعاً بربط ميزانيات، و135 حساباً ختامياً.■

مجلس 2020.. مستقبل وطن



سعد النشوان
رئيس قسم الشؤون المحلية

تدخل الكويت، في 5 ديسمبر 2020م، مرحلة سياسية جديدة مع انتخاب مجلس أمة جديد، وتعد هذه الانتخابات مفصلية، وسط الكثير من قضايا الفساد الذي أصبح يزكم الأنوف في الكويت، منها الفساد المالي والإداري، وهناك الواسطة التي تسلب الإنسان حقه لتعطيه لغير المستحق، بالإضافة إلى الكثير من المشكلات التي تواجه المواطنين الكويتيين مثل الإسكان والتعليم والصحة والفرص الوظيفية والتركيبة السكانية.

ونظراً لأهمية هذه الانتخابات وحساسية المرحلة التي تمر بها الكويت وسط عاصفة من التحديات الإقليمية والدولية، بالإضافة إلى هذا الوباء الذي ضرب العالم كله (كوفيد- 19)؛ فإن المواطن الكويتي مدعو لأن يتحمل مسؤوليته في اختيار الأصلح للتعامل مع مثل هذه المرحلة، خاصة أن دولة الكويت تتميز بأن الناخب فيها يتمتع بحق تقرير مصيره في اختيار من يمثله في مجلس الأمة؛ لذا يجب على الناخب أن يبتعد عن أي ضغوط في التصويت، وأن ينظر إلى مستقبل الكويت فقط؛ وعليه أن يضع نصب عينيه أن التصويت للقبيلة أو للطائفة أو للمصلحة الضيقة لن يفيد الوطن، وألا تتقدم المصالح الشخصية المؤقتة على المصلحة العامة للوطن.

إن المواطن الكويتي مطالب بالتصويت للمرشحين ذوي التوجهات الإصلاحية وأصحاب الأفكار التي تحافظ على قيم المجتمع الكويتي المحافظ، والابتعاد عن كل تغريبي، وكل من يدعو إلى التطبيع مع الكيان الصهيوني؛ فالكويت في إقليم ملتهب، ويجب أن يعي الناخب هذه الحقيقة، وأن يوصل للبرلمان المرشحين الذين ليس لديهم أجندة خارجية أو طائفية، ونرجو أن نرى مجلساً قوياً يضع مصلحة الكويت في المقدمة.

ومن الجدير بالذكر أن الانتخابات الحالية التي ستجرى بعد أيام فريدة من نوعها؛ بسبب تفشي فيروس «كورونا المستجد» الذي فرض واقعاً جديداً، حيث لا توجد مقرات انتخابية، ولا تواصل مباشر مع الناخبين إلا في أضيق الحدود، وهذا لا شك له تأثير سلبي على المرشحين الجدد الذين لم يستطيعوا زيارة الدواوين، وإنما اعتمدوا على وسائل التواصل الاجتماعي، وهذه قد تكون وسيلة تواصل جيدة بالنسبة للشباب، لكن كيف يصل المرشحون إلى كبار السن، وهناك وسيلة أخرى وهي التواصل مع الناخبين من خلال اللقاءات التلفزيونية، وهذه تتطلب تكلفة مالية عالية، لكن من أبرز إيجابياتها الدخول إلى كل بيت.

الخريطة الانتخابية

وقد تغيرت الخريطة الانتخابية في الكويت عدة مرات على النحو التالي:

- في بداية الحياة البرلمانية عام 1961م، قُسمت الكويت إلى 10 دوائر انتخابية، بحيث يمثل كل دائرة 5 أعضاء، واستمر هذا حتى عام 1976م عندما حُل المجلس حلاً غير دستوري لمدة 4 سنوات.

- بدءاً من مجلس 1981م، غُيرت الدوائر لتكون 25 دائرة حسب المرسوم بالقانون رقم (99) بإعادة تحديد الدوائر الانتخابية بواقع عضوين لكل دائرة، واستمر هذا حتى عام 2006م.

- بعد انتخابات 2006م، وافق مجلس الأمة على تعديل الدوائر الانتخابية إلى 5 دوائر، ولكل ناخب الحق في التصويت لـ4 مرشحين، وجرت أول انتخابات بنظام 5 دوائر و4 أصوات عام 2008م، وكذلك انتخابات فبراير 2012م التي أبطلت في العام نفسه.

- وفي عام 2012م، صدر مرسوم ضرورة بتعديل قانون الانتخاب إلى 5 دوائر وصوت واحد لكل ناخب، وهو المعمول به حتى الآن.

بدأت تجربة «الصوت الواحد» لإتاحة الفرصة بصورة أكبر لبعض الفئات لدخول المجلس مثل النساء، ومن ليس لديهم قاعدة انتخابية قبَلية كبيرة، وللقضاء على سلبيات الأصوات الأربعة، ووقف التحالفات، لكن أدخل الصوت الواحد الكويت في الكثير من المشكلات الاجتماعية؛ فقد قسم الأسر وكرّس الطائفية والقبلية، وكذلك أصبح عبئاً على كاهل المجتمع الكويتي، بناء على هذا، قدم نواب مجلس 2012، ومجلس 2016م، عدداً من المقترحات لتغيير النظام الانتخابي إلى النظام السابق أو نظام القوائم النسبية، لكن كل هذه المقترحات باءت بالفشل.■

فتاوى



الإجابة للدكتور عجيل النشمي

رئيس رابطة علماء الشريعة بدول مجلس التعاون الخليجي

مدح المرشح نفسه

● هل يجوز للشخص أن يمدح نفسه أمام الناس، ويذكر أخلاقاً وأوصافاً ليست فيه، وذلك لينتخبه الناس مثلاً؟

– لا يجوز للشخص أن يمدح نفسه، ولو كانت الأوصاف والأخلاق التي يذكرها فيه حقيقة، هذا هو الحكم العام، وهو ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ (النجم: 32)، وقوله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾ (النساء: 49)، والنبي صلى الله عليه وسلم أكد هذا المعنى، فقال صلوات الله وسلامه عليه: «لا تزكوا أنفسكم، الله أعلم بأهل البر منكم» (رواه مسلم، 3/1668).

ولكن يستثنى من عدم جواز مدح وتزكية المسلم نفسه إذا كان فيه من الصفات والقدرات ما لا يوجد عند غيره، خاصة إذا علم أن من سيتحمل مسؤولية أمر ما ليس أهلاً، ولا أميناً، وسيترتب على ذلك ضياع الحقوق؛ فإنه حينئذ ينبغي أن يتقدم ويزكي نفسه، ويتحمل المسؤولية لا لتحقيق مقاصد له بقدر ما هي مقاصد لحفظ الحقوق، وأداء الأمانات، ومن هذا قول يوسف عليه السلام لعزيز مصر: ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَآئِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ (يوسف: 55).■

الرشى الانتخابية

● يكثر في موسم الانتخابات العديد من الرشى بطرق مختلفة؛ منها تأجير المساكن بأسعار مرتفعة لمدة قصيرة، أو التوظيف برواتب عالية لمدة محدودة (شهرين تقريباً)؛ فأرجو من فضيلتكم توجيه نصيحة حول هذا الموضوع.

– إذا كان المرشح يستأجر مسكناً لحملته الانتخابية فهو الذي يتحمل ارتفاع السعر ولا شيء في ذلك، أما إذا كان يستأجر أكثر من شقة أو منزل بأسعار غير معتادة بقصد أن يستفيد المؤجر من ذلك مقابل ما يرتجيه من إعطائه الصوت، فهذا نوع من الرشوة العينية لما يتحمله المرشح من تكاليف وتبذير للمال توجب الحجر عليه لإسرافه غير المعقول.

وأما إن كان المرشح صاحب وظيفة قيادية ويتخذ من هذه الوظيفة طريقاً لجمع الأصوات عن طريق توظيف الناخبين، أو يتوسط لتعيين بعض الناخبين مقابل ضمان أصواتهم، فهذا من الرشوة المحرمة أيضاً؛ لأنه يوظف من لا يستحق، ويشغل وظيفة لمن كان له أولوية فيها، ومن المستحقين لها، وقد يكون انتظاره لهذه الوظيفة منذ سنوات.

وإذا كان التوظيف لمدة شهرين فهذا أكثر صراحة في اتخاذ سلطة المرشح، ومكافآته وسيلة للوصول إلى مبتغاه فهذا من الرشوة أيضاً؛ لأن كل شراء لضمائر الغير يعتبر في حكم الرشوة، ومن كان هذا طريق وصوله إلى المجلس، فإنه لا يستحق أن يمثل المواطنين، ومسؤولية وصول هذا النوع من البشر يتحمله الناخبون الذين باعوا صوتهم حين باعوا ضميرهم، فغشوا أنفسهم ومجتمعهم بأمثال هذا المرشح الذي ينبغي أن يكون مكانه السجن والحجز.

مشاركة المرأة بالانتخابات

● هل انتخاب المرأة واجب شرعي لاختيار الأصلح، منعاً لوصول غير المؤهل وغير الصالح للمجلس؟ وهل تعتبر المرأة آثمة إن لم تشارك في الانتخابات؟

– الانتخاب تزكية للمرشح وشهادة وتوكيل، ولما كانت الغاية هي وصول المرشح إلى مجلس الأمة، وهو مجلس مسؤول عن وضع النظم ومحاربة الفساد وعمل ما فيه خير للإسلام والمسلمين، فهو من هذا الجانب منبر للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكلما كثر فيه الصالحون المصلحون كان خيره كثيراً.

ولذا، فإن من يعطي صوته لرجل صالح يغير بصلاحه منكراً أو يقيم أمراً لصالح الإسلام فله أجره، وكذا من انتخبه يستحق الأجر، ولذا كان الانتخاب مطلوباً من الرجل ومن المرأة، ولما كان المرشحون غير الصالحين يدعمونه ويزكون من رجال ونساء، فيصبح صوت المرأة لدعم الصالح أكثر من كونه مرغوباً مطلوباً؛ لأنه حينئذ سد لباب قد يكون منه ضرر على الإسلام، أو على الأقل فإن الفساد يظل دون تغيير.

وبناء على هذا؛ فإن نصوص ودلائل الشرع تحث المرأة على أن تدلي بصوتها في الانتخابات، في انتخاب ما تراه هي الأصلح، والصلاح هو صلاح الدين والخلق، وهذه مسؤوليتها، وليست مسؤولية زوجها أو غيره، وعليها أن تسأل عن الأصلح فتعطي شهادتها وتزكيتها له، لأنه سيكون بمثابة وكيل عنها في الدفاع عن مصالح الإسلام والمسلمين.

وإذا رأت المرأة باجتهادها ألا تشارك في الانتخابات فعليها أن تستند إلى مبرر؛ لأن الأصل هو المشاركة لتحقيق المصالح ودرء المفاسد، فإذا كانت مقتنعة بعدم جدوى المشاركة لمبررات مقبولة هي تعتقدها فإنها لا تأثم لذلك، ولو أنها امتنعت لغير سبب فلا أظن أنها آثمة، ولكن مقصّرة في أمر يمكن أن يقوم عنها فيه غيرها.■



كيف تحولت تركيا لرقم إقليمي ودولي صعب؟

أصبحت تركيا خلال الفترة الماضية رقماً صعباً لا يمكن تجاوزه في المنظومة العالمية، وذلك في العديد من القضايا والمجالات؛ حيث نجحت تحت قيادة حزب «العدالة والتنمية» ذي التوجه الإسلامي في أن تجد لنفسها موطئ قدم بين القوى الدولية العملاقة.

والمتتبع لهذا الصعود التركي السريع يجده نتاج فهم عميق للنهضة في العصر الحديث؛ حيث اعتمد قادة العدالة والتنمية بقيادة الرئيس «رجب طيب أردوغان» السير في مسارين متوازيين ومتكاملين في الوقت نفسه؛ وهما مسار القوة الناعمة المتكئ على جاذبية الأداء السياسي والثقافي والتقني للدولة التركية الحديثة، والمسار الآخر الذي كان له دوره في فتح آفاق أرحب وهو القوة العسكرية التي كان لها دورها في حسم العديد من المعارك الداخلية أو الخارجية.

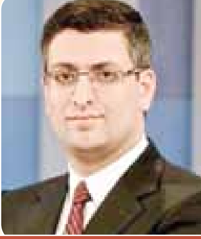
ولما كان هذا المشروع الصاعد منطلقاً من مرجعية ذات صبغة إسلامية، مستلهماً قيم الإسلام العليا ومقاصده النبيلة في تحقيق إعمار الأرض والاستخلاف فيها؛ كان جديراً بإلقاء الضوء عليه وعلى أهم مرتكزاته من خلال هذا الملف الذي تقدمه «المجتمع»، ويشمل هذه الموضوعات:

- تركيا.. والخروج من قيود الهيمنة الغربية.
- السفيرة التركية بالكويت: هدفنا اقتصاد مستقر وزيادة القدرة على تطوير التكنولوجيا والابتكار.
- الاقتصاد التركي.. عوامل النهوض ومستقبل منشود.
- تركيا.. نهوض الصناعات الدفاعية لقوّة صاعدة.
- «المسيَّرات» التركية تغيِّر قواعد الاشتباك في الشرق الأوسط.
- تركيا في أفريقيا.. إستراتيجية التمدد في مواجهة الاستعمار العجوز.■

تركيا.. والخروج من قيود الهيمنة الغربية

إذا ما كان هناك شعار مختصر يكثف الملامح العامة لتجربة حزب العدالة والتنمية في تركيا على مدى السنوات الطويلة التي حكم فيها البلاد، فلعله يكون «مكافحة أنظمة الوصاية»، يصلح ذلك في الشؤون الداخلية؛ مثل مواجهة أنظمة الوصاية العسكرية والقضائية والإعلامية وغيرها، مثلما يصلح للوصاية الخارجية عليها من المحور الغربي الذي انتمت له طويلاً.

صحيح أن الحزب تحول مع الوقت لحزب حاكم، ومهيمن على الحياة السياسية التركية خلال العقدين الأخيرين دون منافس حقيقي حتى اللحظة، بما يعني أنه قد يكون تحول في بعض المساحات إلى نظام وصاية نسبي بالنسبة لآخرين، وصحيح أن مساره الإصلاحي قد تراجع مؤخراً، إلا أن ذلك لا يغير من حقيقة أنه واجه أنظمة الوصاية وغيّر في واقع بلاده الكثير.



د. سعيد الحاج
محلل سياسي مختص بالشأن التركي



ظلت فترة رأس حربة لـ«الناتو» وجناحه الشرقي في مواجهة خطر توسع الاتحاد السوفييتي السابق

التقارب التركي مع موسكو تكتيكي ومؤقت رغم أهميته ومع الكتلة الغربية إستراتيجي ودائم رغم تحدياته

انضمت تركيا للكتلة الغربية برغبة ملحة منها، ولأسباب داخلية وأخرى خارجية، فقد أسست الجمهورية التركية الوليدة على أنقاض الدولة العثمانية التي تفككت بعد الحرب العالمية الأولى، وعلى يد مجموعة عسكرية رأت في امتدادات الدولة العثمانية وعلاقاتها العربية والإسلامية أحد أسباب الخسارة والانهيار، فاتجهت للغرب بشكل سريع وكامل.

كما أن أطماع الاتحاد السوفييتي السابق في مضائقها وبعض مناطقها الشرقية دفعتها للبحث عن الحماية الأمريكية، وقد تناغم ذلك مع مسار التغريب والتحديث الذي بدأه «أتاتورك» وسارت عليه الحكومات التركية المتعاقبة.

وهكذا دفعت عوامل داخلية وخارجية أنقرة للسعي نحو الانضمام للكتلة الغربية، فقدمت في عام 1950م طلباً للانضمام لحلف شمال الأطلسي (ناتو)، لكن الأخير رفضه، قبل أن تعود للطلب مجدداً عام 1952م إثر مشاركتها في الحرب الكورية، لتصبح عضواً في «الناتو» منذ ذلك الوقت.

وعلى مدى عقود طويلة، رأت أنقرة نفسها ضمن المحور الغربي، لكن دون أن تتمتع بأي قدر من الاستقلالية، بل كانت مجرد رأس حربة حلف «الناتو» وجناحه الشرقي في مواجهة خطر توسع الاتحاد السوفييتي السابق؛ ولذلك تستضيف تركيا على أراضيها عدداً من القواعد العسكرية الأمريكية والأطلسية حتى يومنا هذا.

وخلال هذه الفترة، أظهرت أكثر من أزمة أن «الناتو» كان ينظر لأنقرة نظرة وظيفية بحتة وكأداة تنفذ سياساته، ولعل أهم مثال على ذلك أزمة الصواريخ الكوبية عام 1962م التي كان يمكن أن تؤدي لحرب نووية عالمية انطلاقاً من الأراضي التركية، وهي الأزمة التي أنهتها واشنطن مع موسكو دون حتى التنسيق معها.

متغيران

لعقود طويلة، بقيت محاور السياسة الخارجية التركية تدور في الفلك الغربي، فكان الاتحاد الأوروبي محور العلاقات الاقتصادية، و«الناتو» محور العلاقات العسكرية، والولايات المتحدة محور العلاقات السياسية، وكل ما دون ذلك يجيّر لهذه المحاور أو يخضع لها.

لكن متغيّرين مهمين بدَّلا الكثير على هذا الصعيد؛ أولهما: نهاية الحرب الباردة في تسعينيات القرن الماضي، التي دفعت المحور الغربي للتشكيك في أهمية تركيا بالنسبة



«العدالة والتنمية» وضع تصوراً جديداً للسياسة الخارجية فيها الكثير من الذاتية والسعي نحو الاستقلالية

.. واعتمد سياسة خارجية متعددة الأبعاد والمحاور وابتعد عن حصرية التوجهات الغربية

لـ«الناتو» بعد انهيار الاتحاد السوفييتي، ودفعت تركيا لإعادة اكتشاف مكانتها ودورها الخاص بها، ولعل أحد أبرز معالم هذا البحث كتاب رئيس الوزراء الأسبق أحمد داود أوغلو «العمق الإستراتيجي» الذي قدّم تأطيراً نظرياً لسعيها كي تكون «دولة مركز» في محيطها.

والمتغير الثاني: كان وصول حزب العدالة والتنمية للحكم، وهو الذي أتى بتفسيرات وتصورات مختلفة حول تركيا ووعيها بنفسها ودورها في المنطقة والعالم، متناغمة إلى حد كبير مع تنظيرات داود أوغلو، الذي أدى أدواراً مهمة في حكومات العدالة والتنمية المتعاقبة وصولاً لرئاسة الحزب والحكومة.

بيد أنه من المهم القول: إن العدالة والتنمية لم ينقلب تماماً على الإرث السابق للجمهورية التركية، فبقيت محاور السياسة الخارجية للبلاد غربية في معظمها كما كانت سابقاً، بل كان السعي للانضمام للاتحاد الأوروبي بوصلة السياسة الخارجية التركية الأوضح خلال سنوات العدالة والتنمية الأولى، ما فعله العدالة والتنمية أنه وضع تصوراً جديداً للسياسة الخارجية لبلاده، فيها الكثير من الذاتية والسعي نحو الاستقلالية.

ملامح التغيير

طرأت تغييرات كثيرة على توجهات تركيا الإستراتيجية مع العدالة والتنمية فيما يخص العلاقة مع الغرب، أو بشكل أدق الهيمنة الغربية عليها، ذلك أنَّ أول وأهم ما فعله الحزب هو التحرر من التبعية الكاملة والشاملة للكتلة الغربية، من خلال إعادة الاعتبار للعمق الإستراتيجي لتركيا، وفي مقدمة ذلك الشرق الأوسط والبلقان والقوقاز، ولعل الأدوار التي مارستها أنقرة في المنطقة فيما بعد عام 2010م مثال مهم على ذلك.

المتغير الثاني كان الخروج عن الإطار الغربي (وفي مقدمته حلف «الناتو») واعتماد سياسة خارجية تركية إلى حد كبير، بما تسبب بخلافات واختلافات وأحياناً صدامات نسبية بين الجانبين، أو بين أنقرة وبعض أعضاء «الناتو»، لا سيما فيما يتعلق بقضايا المنطقة، وفي مقدمتها سورية وليبيا.

ولعل من أهم مسارات التغيير في سياسات العدالة والتنمية هو اعتماد سياسة خارجية متعددة الأبعاد والمحاور والابتعاد عن حصرية التوجهات الغربية، أبرز الأمثلة على ذلك تحول تركيا وروسيا من العداوة التقليدية والحروب التاريخية إلى مسارات التعاون والتنسيق (رغم الاختلاف والتنافس)، وبما شمل المسارات الاقتصادية وأمن الطاقة والملفات الإقليمية، بل وحتى الأسلحة الإستراتيجية؛ حيث اشترت أنقرة من موسكو منظومة «S400» الصاروخية الدفاعية رغم اعتراضات الولايات المتحدة العلنية وتهديدها بعقوبات عليها.

أسبغ كل ما سبق على السياسة الخارجية التركية شيئاً من الاستقلالية النسبية والندية مع الكتلة الغربية، وبدا ذلك واضحاً عبر التوتر الدائم والتراشقات مع دولة مثل فرنسا، والمناورة على مساحات الخلاف الأمريكية- الروسية، وكذلك الخلاف مع القوى الكبرى حول معظم ملفات المنطقة من سورية إلى ليبيا، ومن شرق المتوسط إلى قبرص، ومن الخليج إلى القوقاز.

مع «بايدن»

باختصار، يمكن القول: إن أنقرة خطت لنفسها مع العدالة والتنمية مشروعاً قومياً تركياً يحمل رؤية مستقلة عن الغرب، ويسعى نحو أهداف وأدوار وإستراتيجيات وسياسات تركية أو وطنية وقومية قدر الإمكان، لا تتصادم بالضرورة وبشكل دائم مع الغرب، لكنها متحررة من هيمنته والدور في فلكه بشكل ثابت.

ورغم ذلك، لا يمكن القول: إن تركيا قد خرجت تماماً من الكتلة الغربية، فمن جهة ما زالت علاقاتها الاقتصادية والعسكرية والسياسية مرتبطة بشكل وثيق مع حلفائها التقليديين في الغرب، ومن جهة ثانية، ما زالت أنقرة مصرّة على الانضمام للاتحاد الأوروبي رغم إدراكها لصعوبة ذلك بل ربما شبه استحالته، ومن جهة ثالثة، ثمة مخاوف وهواجس تركية حقيقية بخصوص الأصدقاء الشرقيين الجدد، وفي مقدمتهم روسيا.

ذلك أن التقارب التركي مع روسيا كان -وما زال- مدفوعاً بتجاهل حلفائها الغربيين لها ولمصالحها أكثر مما هو مدفوع برغبة حقيقية منها للتحالف مع موسكو وتبديل الأرضية التي تقف عليها في الساحة الدولية؛ ما يعني أن التقارب مع موسكو تكتيكي ومؤقت رغم أهميته، وأن التحالف مع الكتلة الغربية إستراتيجي ودائم رغم تحدياته الكثيرة.

ومما يدعم هذا التوجه لدى أنقرة انتخاب «جو بايدن» رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية، وما يُقرأ في الملامح العامة لسياسته الخارجية المتوقعة، حيث سيعطي أولوية لاستعادة ثقة حلفاء الولايات المتحدة الأمريكية وتماسك «الناتو» من جهة، ومواجهة التمدد الروسي من جهة أخرى.

ولذلك، فقد صدرت عن الرئيس التركي تصريحات تفيد هذا المعنى، حيث ركز على أن بلاده ترى نفسها جزءاً من أوروبا، وأنها ستبقى كذلك ما أرادها الأوروبيون، وأنها ما زالت تصر على عضوية الاتحاد الأوروبي والعلاقات الوثيقة مع حلفائها الغربيين، الذين أجبروها على خيارات أخرى، وفق «أردوغان».

في المحصلة، إذاً، ما زالت تركيا ترى نفسها جزءاً من العالم الغربي المتقدم، لكن على قاعدة استقلالية القرار وندية التعامل قدر الإمكان، وليس على قاعدة التبعية والانقياد كما كان سائداً خلال الحرب الباردة.■

السفيرة التركية بالكويت عائشة هلال سيان كويتاك لـ«المجتمع»:

هدفنا اقتصاد مستقر وزيادة القدرة على تطوير التكنولوجيا والابتكار

علاقاتنا السياسية بالكويت قوية ونهجنا تجاه التطورات الإقليمية والعالمية متشابه

«وصلت العلاقات الثنائية بين تركيا ودولة الكويت إلى مستوى مثالي؛ فعلاقاتنا السياسية إيجابية وقوية، ونهجنا تجاه التطورات الإقليمية والعالمية متشابه»، بهذه الكلمات عبرت السفيرة التركية في الكويت عائشة هلال سيان كويتاك عن طبيعة العلاقات بين البلدَيْن المسلمَيْن الشقيقين، وذلك من خلال هذا الحوار الذي أجرته معها «المجتمع» في مقر سفارة بلادها بالكويت.

وقد تطرق الحوار لعدد من القضايا والملفات الساخنة، سواء على الساحة الداخلية التركية، أو العلاقات التركية بمختلف الأطراف الخارجية.

وقالت السفيرة عائشة: إن تركيا تمكنت من الانتقال من تركيا التي كانت تتأثر بشكل كبير من أي هزة تشهدها لتتسبب بأضرار كبيرة تصيب الديمقراطية والاقتصاد وبنيتها السياسية والاجتماعية؛ إلى تركيا التي وصلنا إليها اليوم قوية تجتاز كافة الاختبارات الإقليمية والعالمية بكل أنواعها بنجاح تام.

أجرى الحوار: جمال الشرقاوي- سعد النشوان:

مصممون على زيادة جهودنا لتوطيد علاقاتنا الحالية مع الكويت في كل المجالات

بخصوص مطار الكويت تم البدء بمشروع مواقف السيارات ويستمر العمل حالياً بأقصى سرعة

• بداية، نرحب بك سعادة السفيرة في هذا الحوار، ثانياً اسمحي لنا أن نتعرف على عدد الجالية التركية بالكويت، وكذلك السياح الكويتيين في تركيا.

- أهلاً ومرحباً بكم وبمجلة «المجتمع» العريقة، وبهذه المناسبة أود أن أتقدم بأصدق التهاني القلبية إلى صاحب السمو الأمير الشيخ نواف الأحمد الجابر الصباح، وسمو ولي العهد الشيخ مشعل الأحمد الجابر الصباح؛ بمناسبة توليهما مهامهما الجديدة.

قبل تفشي وباء «كوفيد- 19»، كان يعيش في الكويت أكثر من 8 آلاف مواطن تركي؛ حيث يعمل غالبية مواطنينا في البنية التحتية ومشاريع البناء الكبرى في الكويت، وقد غادر جزء كبير منهم بصفة مؤقتة خلال إيقاف حركة الطيران بسبب تفشي الوباء عائدين إلى تركيا على متن رحلات الإجلاء التي نظمتها سفارتنا في تلك الفترة، وفي الوقت الحالي

يوجد نحو 5 آلاف مواطن تركي بالكويت.

أما بالنسبة للسياح الكويتيين في تركيا؛ فتعد تركيا إحدى أهم الوجهات التي يفضلها أشقاؤنا الكويتيون، وقبل تفشي الوباء كانت الكويت أكثر دول الخليج من حيث عدد الرحلات الجوية إلى تركيا.

وقد استمر عدد الكويتيين الذين يزورون تركيا في الزيادة عاماً بعد عام؛ حيث زار بلادنا أكثر من 374 ألف سائح كويتي في عام 2019م، وبالنسبة لعدد سكانها، فإن الكويت هي أكبر دولة من حيث عدد السياح إلى تركيا.

● ما أوجه التعاون الثنائي بين البلدين الشقيقين الكويت وتركيا؟

– وصلت العلاقات الثنائية بين تركيا والكويت إلى مستوى مثالي؛ فعلاقاتنا السياسية إيجابية وقوية، ونهجنا تجاه التطورات الإقليمية والعالمية متشابه، وأمامنا مجالات واسعة للتعاون؛ حيث تشهد تجارتنا الثنائية زخماً إيجابياً، رغم الظروف المعاكسة الناجمة عن تفشي وباء «كورونا»؛ حيث تدعم شركات المقاولات لدينا جهود التنمية في الكويت ومشاريع البنية التحتية.

ويبدي إخواننا الكويتيون اهتماماً متزايداً ببلدنا من حيث السياحة وشراء العقارات والاستثمار، بالإضافة إلى ذلك ومنذ اليوم الأول لتولي مهامي سفيرة لبلادي لدى دولة الكويت، وضعنا مجالات التعاون الصحي والتعليم العالي كمجالات ذات أولوية من حيث وجوب تنشيطها.

وأعتقد أن الكويت ستكون قادرة على تقييم الفرص المتاحة في بلدنا حول هذه المجالات بشكل أفضل، كما أن تطوير تعاوننا سينعكس إيجاباً على كلا البلدين على المدى الطويل، وقد بدأ عملنا المستمر يؤتي ثماره؛ فنحن نساوي من حيث الأهمية بين أمن واستقرار الكويت وأمن واستقرار بلدنا، واستناداً إلى هذا المفهوم، فإننا نولي أهمية خاصة للتعاون في مجال الصناعات الدفاعية.

● هل هناك رؤية لتعميق العلاقات بين البلدين؟ وما مظاهر هذا؟

– نحن مصممون على زيادة جهودنا لتعميق وتوطيد علاقاتنا الحالية مع الكويت في كل المجالات، وأكبر ضمانة لنا في هذه العملية هو أن مشاعر الصداقة والمودة المتجذرة التي تستند إلى تاريخ عميق بين شعبينا تشكل أساساً لعلاقاتنا.

لقد ترك الأمير الراحل الشيخ صباح الأحمد، رحمه الله، إرثاً قيماً في مجال العلاقات الكويتية التركية، ونحن نؤمن تماماً بأن هذا الإرث سيستمر في الازدهار بعهد صاحب السمو الشيخ نواف الأحمد، حفظه الله.

ولدينا رغبة صادقة في توطيد وتعزيز علاقاتنا في كافة المجالات بما يتماشى مع المصالح المشتركة للبلدين الشقيقين تحت القيادة الحكيمة لصاحب السمو الأمير، وولي عهده الأمين، وهما رجلا دولة وصاحبا خبرة واسعة.

> **القيادة الموهوبة لرئيسنا «أردوغان» والخطوات الحاسمة للحكومة من الأسباب المهمة لنجاحنا**
>
> **حكومتنا كشفت عن برنامج جديد لكيفية التعامل مع الاختلالات المالية والاقتصادية التي ظهرت مع «كورونا»**

● هل تركيا مستعدة لبناء تعاون ثقافي وعمالي مع الكويت؟

– بينما نسعى لتطوير علاقاتنا على جميع الأصعدة، فمن الأهمية أن ندعم هذه العلاقات بمشاريع تهدف إلى الالتقاء المتكرر وتحقيق التقارب بين شعبينا على أسس ثقافية، وفي هذا السياق نرغب بافتتاح «مركز يونس إمري الثقافي التركي» في الكويت.

وبما أن اللغة هي أحد أهم عناصر التفاعل الثقافي؛ لذلك فمنذ أن توليت مهامي قمنا بتوسيع وتكثيف دورات اللغة التركية في الكويت، وتفعيل منح اللغة العربية المخصصة للطلاب الأتراك من قبل الحكومة الكويتية بعد أن كانت في حالة من الخمول.

وفي واقع الأمر، هناك تزايد باهتمام الشباب الكويتي باللغة التركية، ويبادلهم الشباب التركي الاهتمام بتعلم اللغة العربية في الكويت، ومن ناحية أخرى؛ لدينا جامعات تحتل مراتب عالية في التصنيف العالمي وتوفر التعليم باللغة الإنجليزية، ولدينا القدرة والإمكانات لتوفير التعليم بجودة عالية لشبابنا في كافة المجالات سواء في الطب أو الهندسة أو العلوم الاجتماعية، وأدعو الشباب الكويتي لتلقي التعليم في تركيا حيث يشعرون بأنهم في وطنهم.

● بهذه المناسبة، شركة «ليماك» التركية تقوم ببناء مطار الكويت الجديد، متى ينتهي؟ وهل أثرت أزمة «كورونا» على سير العمل؟

– كما تعلمون، فإن وباء «كوفيد– 19» لم يؤثر سلباً على الكويت فحسب، بل على العالم بأسره، وفي هذا السياق؛ فقد أثر الوباء على مشروع المطار الجديد، كما أثر على جميع المشاريع الأخرى، فعلى سبيل المثال؛ انخفضت القوى العاملة بسبب القيود المفروضة، وبالرغم من ذلك تم البدء خلال هذه الفترة بمشروع مواقف السيارات وهو المرحلة الثانية من مشروع المطار، ويستمر العمل حالياً بأقصى سرعة، ويسعدنا هذا التطور، وتبذل الشركة قصارى



جهدها لاستكمال أعمال البناء لمبنى الركاب ومواقف السيارات في الوقت المحدد.

● إذا وسعنا مجال الحديث عن باقي دول الخليج، فهل لك أن تلقي الضوء على العلاقات الخليجية التركية؟

– تقع تركيا في شمال منطقة الشرق الأوسط التي تعاني من الأزمات وعدم الاستقرار، وفي الجنوب من تلك المنطقة تقع دول الخليج، التي تبرز كمنطقة مستقرة وآمنة، ويحمل التآزر بين تركيا ودول الخليج والانفتاح بين الشمال والجنوب أهمية كبيرة من أجل تحقيق الاستقرار في هذه المناطق المضطربة، ويعد الخليج العربي أيضاً منطقة تجارية مهمة اليوم، ويمكن لدول الخليج –التي لديها مصادر دخل حتى أثناء الأزمات المالية العالمية؛ بسبب صادرات الطاقة المنتظمة ورؤوس الأموال– أن توفر فرصاً كبيرة للاستثمار والتجارة، ومع ذلك ومن أجل توسيع العلاقات الاقتصادية والإقليمية على أسس أكثر صلابة، يجب توسيع الاستقرار إلى ما بعد المستوى الثنائي ليصبح على المستوى الإقليمي.

وفي هذا السياق، تولي تركيا أهمية خاصة للعلاقات مع دول المنطقة.

● ننتقل إلى الداخل التركي، كيف استطاعت تركيا الإفلات من القوى العظمى التي تحتكر التقدم وتمنع الدول الإسلامية من النهوض؟

– تمكنا والحمد لله من الانتقال من تركيا التي كانت تتأثر بشكل كبير من أي هزة تشهدها لتتسبب بأضرار كبيرة تصيب الديمقراطية والاقتصاد وبنيتها السياسية والاجتماعية؛ إلى تركيا التي وصلنا إليها اليوم قوية تجتاز كافة الاختبارات الإقليمية والعالمية بكل أنواعها بنجاح تام.

ومما لا شك فيه أن أهم التغيرات الحاسمة لقفزة بلادنا الكبيرة إلى الأمام هو انتقالنا إلى نظام إدارة جديد؛ حيث وصلت هذه العملية، التي كانت أولى مراحلها الانتخاب المباشر لرئيس الجمهورية من قبل الشعب، في 10 أغسطس 2014م، إلى نقطتها النهائية مع استفتاء 16 أبريل 2017م، وانتخابات 24 يونيو 2018م.

في هذه العملية، فإن القيادة الموهوبة لرئيسنا «رجب طيب أردوغان»، والخطوات الحاسمة التي اتخذتها حكومتنا من خلال



السفيرة التركية إلى جانب الزميل سعد النشوان ومدير التحرير جمال الشرقاوي

مراعاة مصالح بلادنا وتنفيذها بتضامن تام بين الدولة والأمة من بين الأسباب المهمة لنجاحنا.

● ما الخطط التنموية التي تقوم بها تركيا لتكون في مصاف الدول المتقدمة؟

– كشفت خطة التنمية الحادية عشرة (2019–2023م)، وهي أول خطة تطوير للنظام الرئاسي للحكم، عن الرؤية التنموية لبلدنا من منظور بعيد المدى؛ فمن خلال هذه الخطة –التي تم تصميمها كأول فترة 5 سنوات من منظور مدته 15 عاماً– نهدف إلى تحويل هيكل الاقتصاد بطريقة تضمن الاستقرار والاستدامة على المدى الطويل، وتعزيز رأس المال البشري مع التحرك التعليمي، وزيادة القدرة على تطوير التكنولوجيا والابتكار مع حملة التكنولوجيا الوطنية.

● ما أبرز المعوقات أمام نمو الاقتصاد التركي؟

تركيا تهدف حول مستقبلها مع الدول العربية إلى تطوير التفاعل الاجتماعي والتجاري والثقافي على أساس مبدأ الربح للجميع

سياسات النظام السوري تجر البلاد إلى أزمة عميقة وتؤدي إلى عدم الاستقرار الإقليمي

– في الوقت الذي يكتسب فيه اقتصادنا زخماً إيجابياً، كانت بداية وباء «كوفيد–19» من أشد وأندر الاختبارات قسوة التي يواجهها ليس الاقتصاد التركي فحسب، بل الاقتصاد العالمي.

في جميع أنحاء العالم، تباطأ النشاط الاقتصادي بشكل حاد، وتحت وطأة المجهول ونتيجة لتحول رؤوس الأموال إلى ذهب والاحتياطي إلى سيولة، نجم في البلدان النامية مثل تركيا موجات من تقلبات أسعار صرف العملات، كما أدى الانخفاض الحاد في عائدات السياحة إلى ظهور خلل في تحقيق التوازن في العمليات الجارية.

ومع ذلك، كشفت حكومتنا عن برنامج جديد لكيفية التعامل مع هذه الاختلالات المالية والاقتصادية الكلية التي ظهرت مع التأثير الوبائي في الاقتصاد، من خلال «برنامج الاقتصاد الجديد»، وستساعدنا التطورات في مجالات مثل زيادة الاستثمارات الأجنبية، وإعادة تطوير السياحة، ونمو حجم التجارة على تخطي هذه الفترة، والخروج منها أكثر قوة ومتانة؛ فلدينا ثقة كاملة في مستقبل اقتصادنا.

● ما دور المرأة التركية في تنمية الدولة؟

– للمرأة قيمة مهمة في الثقافة التركية وتقاليد الدولة، وقد مارست النساء في تركيا دوراً مهماً ليس فقط في الحياة الاجتماعية، ولكن أيضاً في الحياة السياسية عبر التاريخ؛ فالمرأة هي أحد العناصر الأساسية التي تتكون منها الأسرة، وإذا كانت الأسرة جيدة أصبح المجتمع جيداً، وإذا كان المجتمع جيداً فستقف الدولة قوية شامخة لفترة طويلة،

ولطالما كان الأتراك يقدّرون المرأة ويوصلونها إلى مناصب مهمة في الحياة السياسية والاجتماعية.

وفي تقاليد الدولة التركية القديمة جداً، كان يُنظر إلى الرجال والنساء على أنهم يتمتعون بحقوق متساوية من حيث القيم الإنسانية، ومع دخول الأتراك إلى الإسلام، ازدادت أهمية المرأة أكثر، واستمر هذا المفهوم بشكل عام حتى يومنا هذا.

● ما تقييمكم للتعاون العربي التركي؟

– تعتبر تركيا –وهي إحدى الدول المهمة بالمنطقة– أن استقرار وأمن وسلام الدول العربية مرتبط بشكل مباشر باستقرارها وأمنها وسلامها، وفي هذا السياق؛ تحاول تركيا الوقوف بجانب الدول العربية، وتبذل جهودها لدعمها والتضامن معها إزاء كافة التحديات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي تواجهها هذه الدول، ونؤمن تماماً بأنه لا يمكن حل المشكلات إلا من خلال التعاون والتنسيق والحوار، وإيجاد الحلول الدائمة بالطرق السياسية، وتهدف رؤية تركيا حول مستقبلها مع الدول العربية إلى تطوير التفاعل الاجتماعي والتجاري والثقافي على أساس مبدأ الربح للجميع في بيئة من الاستقرار السياسي والأمني الدائم والمستدام، وبالتالي زيادة رفاهية وسلام شعوب جميع دول المنطقة، بما في ذلك بلدنا.

● يعد الملف السوري من أخطر الملفات العربية التركية؛ فما الذي تم إنجازه في هذا الملف؟

– المعالم الأساسية لسياسة بلدنا والسياسات التي اتبعتها منذ اليوم الأول تجاه التطورات في سورية هي سلامة أراضي سورية ووحدتها، وإنهاء النزاعات وتلبية المطالب المشروعة للشعب السوري بتحقيق عملية التغيير السياسي بطريقة سلمية، وقد ساهمت تركيا بمواردها وقدراتها الوطنية بالعمليات العسكرية التي نفذها التحالف الدولي ضد «داعش»، كما قامت تركيا بتنفيذ 3 عمليات رئيسة لمكافحة الإرهاب في الأراضي السورية، مستندة في ذلك إلى القانون الدولي.

ووفقاً لحقوق الدفاع عن النفس وقرارات مجلس الأمن الدولي المتعلقة بمكافحة الإرهاب المنبثقة عن المادة (51) من ميثاق الأمم المتحدة، من أجل إيجاد حل سلمي للصراع في جميع المبادرات الدولية التي تم القيام بها حتى الآن؛ شاركت تركيا بنشاط وفعالية في سورية من أجل منع المزيد من التصعيد والحد من انتشاره إلى دول الجوار، وتبذل كافة الجهود باتجاه التعجيل في عملية إيجاد حل.

اللقاءات المتبادلة بين رواد الأعمال الأتراك والمصريين مستمرة بالإضافة لمواصلة مركز «يونس إمري الثقافي» لأنشطته بالقاهرة

سياسة تركيا بشرق البحر المتوسط ترتكز على حماية حقوقنا وسيادتنا وضمان حقوق القبارصة الأتراك

وتستمر تركيا بدعم العمل الذي تقوم به اللجنة الدستورية في جنيف، التي تعتبر زخماً كبيراً في العملية السياسية وعلامة فارقة من أجل القضاء على أسباب الصراع في سورية، وفتح الطريق الصحيح أمام تغيير سياسي حقيقي وشامل، ونأمل أن تؤدي هذه العملية إلى التأسيس السلمي لنظام حر وديمقراطي يضمن دستورياً الحقوق والحريات الأساسية لجميع السوريين على أساس المساواة، بغض النظر عن العرق والدين والمذهب، بما يتماشى مع المطالب والتوقعات المشروعة للشعب السوري.

● ما المعوقات التي تمنع الحسم في هذا الملف؟

– إن الصراعات التي تعيشها سورية، التي تجمعنا بها حدود برية تمتد إلى 911 كيلومتراً، تسببت حتى اليوم بفقدان الكثير من أرواح الأبرياء، كما تسببت بهجرة ملايين السوريين من أراضيهم التي يعيشون فيها؛ إما إلى مناطق أخرى بسورية، أو دول أخرى بما فيها تركيا، ووضعت بلدنا في مواجهة مسؤوليات وامتحانات سياسية وأمنية وإنسانية كبيرة.

وفي إطار الصراع في سورية، تؤدي سياسات النظام التي تجر البلاد إلى أزمة عميقة يوماً بعد يوم إلى عدم الاستقرار الإقليمي، وتسبب تهديدات إقليمية تكتسب بُعداً جديداً، وبسبب هذه السياسات، كوَّن «داعش» والجماعات المتطرفة الأخرى أرضية لها في المنطقة.

● إذا انتقلنا إلى الملف الليبي؛ هل استطاعت تركيا التوصل إلى اتفاق حول الأزمة الليبية؟

– لقد دعمت بلادنا عملية الحوار التي انطلقت في ليبيا منذ نهاية عام 2014م، وتتطور علاقاتنا مع ليبيا في جميع المجالات الممكنة على أساس المنفعة المتبادلة والمساهمة في إقامة سلام واستقرار وأمن دائم في ليبيا.

في هذا السياق، تم التوقيع على مذكرتي تفاهم «ترسيم الحدود البحرية في البحر الأبيض المتوسط»، و«التعاون الأمني والعسكري»، مع حكومة الوفاق الوطني، في 27 نوفمبر 2019م، كما تدعم بلادنا بنشاط الجهود الدولية لإيجاد حل سياسي للمشكلة في ليبيا، تحت قيادة الأمم المتحدة ومن خلال الحوار بين الليبيين.

● هل هناك أنباء عن تحسن في العلاقات التركية المصرية؟ وما أبرز نقاط الالتقاء؟

– العلاقات الدبلوماسية بين تركيا ومصر منذ عام 2013م مستمرة على مستوى القائم بالأعمال، هذا بالإضافة إلى وجود حوارات قصيرة بين وزيري خارجية البلدين جرت في مناسبات مختلفة، والسفارة المصرية في أنقرة وقنصليتها العامة في إسطنبول، كما سفارتنا في القاهرة وقنصليتنا العامة في الإسكندرية تعمل بتواصل دون انقطاع، بالإضافة إلى ذلك، يتم الحفاظ على الروابط الاقتصادية والاجتماعية العميقة المتجذرة التي تستمد قوتها من الإرث التاريخي المشترك بينهما، ويقيم حالياً ما يقارب 3500 مواطن تركي في مصر، وهي أكبر شريك تجاري لنا في القارة الأفريقية.

واللقاءات والزيارات المتبادلة بين رواد الأعمال الأتراك والمصريين مستمرة، هذا بالإضافة إلى مواصلة مركز «يونس إمري الثقافي» لأنشطته هناك، حيث تم افتتاحه بالقاهرة عام 2010م بموجب اتفاقية تم عقدها بين البلدين.

● أين تقف تركيا من الحرب الدائرة باليمن؟

– تدعم تركيا السلام والاستقرار ووحدة الأراضي اليمنية، حيث تجمعهما



علاقات تاريخية وثقافية متجذرة، وقد دعت تركيا منذ بداية الأزمة في اليمن إلى حل كافة المشكلات بالحوار والطرق السلمية على أساس احترام الشرعية، وتدعم تركيا الحكومة الشرعية منذ العملية التي بدأت باستيلاء الحوثيين على العاصمة صنعاء ومؤسسات الدولة، وتدعو لإيجاد حل سياسي شامل للمشكلة في إطار قرار مجلس الأمن (2216) عام 2015م، ونتائج مؤتمر الحوار الوطني (IAC)، ومبادرة دول مجلس التعاون، التي يتم قبولها كمعايير ثابتة.

وتراقب بلادنا عن كثب عملية الحل السياسي والوضع الإنساني المتدهور في اليمن، وتواصل إرسال مساعداتها الإنسانية بهدف مداواة جراح الشعب اليمني الشقيق.

● ما أبرز المستجدات في قضية الحدود البحرية والصراع على الغاز في شرق البحر المتوسط؟

– تركيا هي الدولة ذات الخط الساحلي الأطول في شرق البحر الأبيض المتوسط، لذلك فإن التطورات في هذه المنطقة لها تأثير مباشر على أمن بلادنا وحقوقها ومصالحها.

من ناحية أخرى، فإن العديد من البلدان، سواء كان لديها ساحل على البحر المتوسط أم لا، تتابع عن كثب الأحداث وتحاول التدخل، وأحد الأسباب الرئيسة لذلك هو الموارد الهيدروكربونية الغنية التي يعتقد وجودها في هذه المنطقة.

وتشير بعض الدراسات إلى أن كمية الغاز الطبيعي القابل للاستخراج في المنطقة تزيد على 3.5 تريليون متر مكعب، وهذا الرقم، الذي يمكن أن يلبي احتياجات الغاز الطبيعي لأوروبا بأسرها لسنوات، هو قوة اقتصادية لا يمكن لأي دولة تجاهلها، هذه الإمكانات الاقتصادية هي التي تقف وراء استفزازات بعض الدول في الآونة الأخيرة، وبمشاركة شركات الطاقة الدولية، أخذ شرق البحر المتوسط موقعه في قلب الجغرافيا السياسية للنفط والغاز.

● هل تقف تركيا وحدها في هذه القضية ضد الدول الإقليمية والأوروبية؟

– إن سياسة تركيا في شرق البحر المتوسط ترتكز على ركيزتين؛ أولاهما: حماية حقوقنا وسيادتنا في جرفنا القاري؛ وذلك بترسيم حدودها بالحق وبشكل عادل وفقاً للقانون الدولي في مناطق السيطرة البحرية، والثانية: ضمان حقوق ومصالح القبارصة الأتراك في الموارد الهيدروكربونية كشركاء متساوين للجزيرة.

ويجب التعامل مع قضية شرق المتوسط من منظور واسع ومتعدد الأبعاد، ويمكننا حل المشكلات في البحر المتوسط ليس من خلال استبعاد بعضنا بعضاً، ولكن بجمع كافة الجهات الفاعلة في المنطقة حول طاولة واحدة؛ فلا يمكن أن يأتي السلام في البحر المتوسط من أي معادلة لا تأخذ فيها تركيا وجمهورية شمال قبرص التركية وضعها بشكل عادل، من ناحية أخرى؛ قمنا بحماية حقوق ومصالح بلدنا وليبيا في شرق البحر المتوسط، خاصة مع اتفاقية ترسيم الحدود البحرية التي وقعناها مع ليبيا، وعززنا أيدي بلادنا في القانون البحري الدولي.



● ارتباطاً بذات القضية مشكلة تقسيم الحقوق المائية في البحر المتوسط مع اليونان؛ فما آخر تطورات هذا الملف؟

– توجِّه بعض الدول اتهامات لا أساس لها ضد تركيا، مدعية أنها تدعم السلام والاستقرار والتعاون في شرق البحر المتوسط، وتحاول طرح وتطوير بعض المبادرات، لا يمكن تحقيق التعاون الحقيقي في شرق المتوسط إلا من خلال نهج شامل يضم جميع البلدان المشاطئة، بمن في ذلك القبارصة الأتراك، وما لم تغير البلدان التي تثير المشكلات في المنطقة سياساتها المتطرفة والعدائية، فلا يمكن التوصل لحلول لتلك المشكلات، وستواصل تركيا بعزم حماية حقوقها وحقوق القبارصة الأتراك في شرق المتوسط.

في هذا السياق، نتوقع من اليونان سحب ادعاءاتها المتطرفة المخالفة للقانون الدولي، ووضع حد للتدريبات والأنشطة العسكرية التي تزيد من حدة التوتر في بحر إيجة والبحر المتوسط، والدخول في حوار صادق معنا، وخاصة في مجال المحادثات الاستكشافية.

● وماذا عن دور الاتحاد الأوروبي والتحالفات في مشكلة اليونان وتركيا؟

– إن الطريق لإحلال الطمأنينة والسلام والاستقرار في حوض البحر المتوسط يعبر من خلال احترام حقوق تركيا وجمهورية شمال قبرص التركية والاعتراف والتسليم بها، وكما بيَّن الرئيس «أردوغان»، فإن تركيا لن ترضى بغير ذلك، لا بالإجبار ولا بالحيلة.

ومع الأسف، أصبح الاتحاد الأوروبي سجين اليونان وجنوب قبرص، هذا الوضع يضر به أكثر من غيره، وبسبب الكيل بمكيالين تجاه بلادنا على حساب تجاهل جميع القيم التي دافع عنها حتى اليوم، تراجعت للأسف مصداقية الاتحاد الأوروبي، ويجب على دوله اتخاذ موقف عادل في المناقشات حول شرق المتوسط، وأن تتجه لإيجاد حل عادل لهذه المشكلات وتبني أجندة تعتمد على المصالح المشتركة والمستقبل المشترك واحترام حقوق تركيا والقبارصة الأتراك.■

الاقتصاد التركي..
عوامل النهوض ومستقبل منشود



د. أشرف دوابه
أستاذ التمويل والاقتصاد بجامعة إسطنبول صباح زعيم

يعيش العالم مرحلة تحولات فارقة في هذا العقد الذي نعيش فيه، فبعد أن ضربت أزمة «كوفيد- 19» القطاع الصحي وأثبتت هشاشته عالمياً، واشتعلت في الاقتصاد لتصيبه بالشلل، برز مع ذلك مقدمات لزوال نظام القطب الواحد لصالح أقطاب متعددة، في ظل الانقسام الأمريكي، وحب الذات الأوروبي، وتهافت كل دولة إلى مصلحتها على حساب غيرها، وترهل جل النظام العربي وتسليم مفاتيح بلادهم للصهاينة، حتى باتت الخيانة وجهة نظر.

إن المستقبل يحمل نمواً ملحوظاً لدول بنت نهضتها بسواعد أبنائها، فلن تكون الصين والهند والولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي وحدها ذات الأقطاب المتعددة، بل إن المستقبل يعكس بروز تركيا كذلك في ظل بناء نهضتها بنفسها واعتمادها على مواردها وسعيها للتكتل مع امتدادها التركي والإسلامي، رغم ما يحاك لها من مؤامرات يحركها محور «متصهين» بدت نواجذه واضحة في محاولة ضرب الاقتصاد التركي مرات ومرات من خلال ضرب العملة التركية التي ما زالت تعيش بين رحى الدعم والمقاومة.

السلطان عبدالحميد رفض عرض هرتزل بسداد ديون تركيا مقابل تسليم الصهاينة فلسطين فاجتمعوا عليه حتى أسقطت الخلافة

عام 2001م تراجع الاقتصاد 5.7% وانهارت الليرة 100% وارتفع التضخم 70% وأفلست نصف البنوك

وإذا عدنا بالتاريخ قليلاً لنقف كيف كان للمسلمين خليفة يستظلون بظله، وكيف تداعت الأمم لإسقاط آخر حصون الإسلام في القرن الماضي من خلال القضاء على الخلافة العثمانية بعد إغراق الدولة بالديون، لا سيما بعد منح الامتيازات الأجنبية للأوروبيين من قبل السلطان عبدالمجيد الأول تقية من تهديد محمد علي، والي مصر، للدولة العثمانية، وكذلك نتيجة إنهاك الدولة العثمانية في الحروب والاضطرابات الداخلية، وقد ورث السلطان عبدالحميد الثاني تلك التركة الثقيلة، وبذل كل جهده حتى تمكن من تخفيض تلك الديون إلى العُشر، ورفض عرض هرتزل لسداد الديون بالكامل مقابل تسليم الصهاينة أرض فلسطين، فاجتمع عليه القريب والبعيد حتى أسقطت الخلافة الإسلامية على يد أتاتورك، في عام 1924م، وعاشت بعدها تركيا فترة حالكة السواد؛ دينياً واقتصادياً وسياسياً واجتماعياً، فكان المواطن التركي لا يجد الخبز إلا بالوثيقة، وتم حرمانه من ممارسة شعائره الدينية، في ظل حكم عسكري باسم الحزب الواحد، حتى جاء حزب العدالة والتنمية للحكم، في عام 2002م؛ فتغيرت المعادلة، وانتقل الإنسان والاقتصاد التركي نقلة نوعية في كافة المجالات.





وحتى تكون الصورة أكثر وضوحاً لتلك التغيرات، فإنه بالعودة إلى الفترة من عام 1981 إلى 2002م للوقوف على حقيقة الوضع الاقتصادي التركي، نجد أنه في تلك الفترة تعرض لموجات قاسية من الركود، اختتمت بأزمة عام 2001م التي تراجع فيها الاقتصاد بنسبة 5.7%، وانهارت الليرة التركية بنسبة 100%، وارتفع التضخم إلى مستويات قياسية بلغت 70%، وأفلست نصف البنوك التركية، ووصلت معدلات البطالة إلى مستويات خرافية، ووصل العجز في الميزانية إلى 16%-، كما وصلت الديون العامة إلى 74%-، وانكمش الاقتصاد بنسبة 6%، وبلغت نسبة الفقر 50%.

السياسات التقشفية

وفي تلك الظروف الحرجة، لجأت الحكومة التركية حينذاك لصندوق النقد الدولي وفق برامج التكيف الهيكلي للصندوق، وتم من خلاله ربط الليرة التركية بالدولار، واستخدام سياسة نقدية صارمة، والتوجه نحو تحرير الاقتصاد، والتقشف، ورغم ما حققه البرنامج من انخفاض معدَّل التضخُّم، وانخفاض أسعار الفائدة، فإن هذا التغيير كان شكلياً كعادة برنامج صندوق النقد الدولي، فلم يسلم الاقتصاد التركي من عدم الاستقرار حتى تولى حزب العدالة والتنمية مقاليد الحكم، في نوفمبر 2002م؛ فتغير المشهد الاقتصادي تماماً، حيث لم تمض بضع سنوات حتى شهد الاقتصاد قفزة نوعية ليصل ترتيبه في وقتنا الحالي إلى السابع عشر عالمياً.

وقد التزمت حكومة حزب العدالة والتنمية بقيادة رئيس الوزراء حينئذ رجب طيب أردوغان باستمرار تنفيذ الاتفاق الموقع مع صندوق النقد الدولي عام 2001م، وهو ما ألزمها بالسياسات التقشفية، واتخاذ إصلاحات هيكلية لا سيما في القطاع المصرفي، حيث تم تعويم سعر الليرة التركية، وفتح المجال لتدفقات رؤوس الأموال الأجنبية، والتشديد على الانضباط المالي، ومنح الاستقلالية للبنك المركزي، وتعزيز الخصخصة.

ومع ذلك لم يركن الحزب في سياسته الاقتصادية لروشتة صندوق النقد الدولي فقط، بل مع التزامه بها أعطى لنفسه حرية الحركة في النهوض باقتصاد البلاد مستخدماً سياسة التدرج في الإصلاح الاقتصادي، وإيلاء أولوية للاقتصاد الحقيقي، حتى إنه في عام 2003م، زاد النمو بنسبة 5.3%، وبنسبة 9.4% في عام 2004م، وبنسبة 8.4% في عام 2005م، وبنسبة 6.9% في عام 2006م، وبنسبة 4.7% في عام 2007م، ومع دخول العالم في أزمة مالية عالمية لم يحقق الاقتصاد التركي نمواً سلبياً كغيره من الاقتصاديات، بل معدل نمو إيجابي بنسبة 0.7%، وقد وصل معدل النمو حالياً رغم أزمة «كوفيد- 19» في الربع الثاني من العام الحالي إلى 4.4%.

للنهضة التركية أسباب متعددة لكنها تتلخص في سبب رئيس هو بناء الإنسان باعتباره أهم مورد اقتصادي



صُنع في تركيا

لقد حققت تركيا معجزة اقتصادية ونهضة تنموية حتى باتت توفر غذاءها ودواءها وسلاحها، ولا تكاد تدخل متجراً تركياً إلا وتجد عبارة «صُنع في تركيا»، هي سيد الموقف، كما أنها من خلال اكتشافها لحقول غاز وتخلصها من معاهدة «لوزان» تفتح المجال بذلك للتخلص من العبء السلبي عليها في ميزان مدفوعاتها؛ فقضية الطاقة من القضايا التي تولي تركيا لها أهمية خاصة، وقد تم فيها عدد من الإصلاحات التي ساهمت بشكل كبير في جذب استثمارات كبيرة من القطاع الخاص.

والناظر إلى تجربة النهضة التركية يجد أن لها أسباباً متعددة، ولكنها تتلخص في سبب رئيس هو بناء الإنسان باعتباره أهم مورد اقتصادي، لا سيما أن العامل التركي يتميز بتقديسه للعمل وامتلاكه المهارات اللازمة لذلك وحب انتمائه لوطنه، وقد استفاد هذا المواطن من التغير في بنية الاقتصاد الذي تبناه حزب العدالة والتنمية من خلال الإحلال محل الواردات، وتشجيع الصادرات وجذب الاستثمارات الأجنبية وفقاً للمصالح المتبادلة، فنمت القطاعات الإنتاجية لتعزز من الاقتصاد الحقيقي.

وقد ساهم في ذلك أيضاً الاستقرار السياسي، من خلال وصول الحزب منفردا إلى السلطة وتحالفه مع حزب الحركة القومية الذي يسانده في توجهه، وتلك القوة الناعمة يسَّرت له تنفيذ مشروعاته التنموية دون معوقات، وهو ما منح الثقة للحكومة من المواطنين، حيث رأوا بأم أعينهم الفارق بين ما كان قبل وما حدث بعد، لا سيما في القطاعات الخدمية من صحة وتعليم ونقل وخلافه، وتوافر الاحتياجات الأساسية للمواطن دون عناء يذكر.

كما أن الإرادة السياسية من أهم نجاح النهضة التركية، فالرئيس أردوغان يملك هذه الإرادة ويحمل في قلبه عقيدة الإسلام، وما

توقفت خطواته مطلقاً رغم علمانية الدولة، فجعل العلمانية خاضعة لتوجهه الإسلامي بحكمة واقتدار وتدرج وانتصار، مستفيداً من تجربة وخبرة أستاذه نجم الدين أربكان.

أردوغان والتنمية الشاملة

وقد كانت مهمة الرئيس أردوغان رغم صعوبتها ناجحة في إنهاك «مافيا» الفساد، فخنق الفساد وحقق من وراء ذلك ملايين الوفورات التي امتد نفعها للقطاعات الاقتصادية المختلفة، ومن ثم على المواطن التركي.

لقد ركز الرئيس أردوغان، طيلة فترة حكمه، سواء كان رئيساً للوزراء أم رئيساً للدولة، على إحداث تنمية شاملة في كافة القطاعات، وإن توجه تركيزه بصفة خاصة إلى الإنسان التركي من خلال تعزيز القدرة التنافسية والتوظيف، والنهوض بالمشروعات التي توفر فرص عمل وتعالج مشكلة البطالة وتحقق قيمة مضافة، مع رفع الحد الأدنى للأجور ليعيش المواطن حياة كريمة.

وفي إطار الاهتمام بالإنسان التركي أيضاً، اهتم أردوغان بالقطاع الصحي من خلال برنامج التحول الصحي الذي عكس تحولاً سريعاً ومؤثراً في الأداء الصحي للفقراء بصورة فاقت ما عليه الحال في الدول الغربية، بعد أن كان المواطن التركي يستيقظ مع الفجر لتطأ قدمه المستشفيات ليلحق دوره في العلاج، وقد يمضي الوقت ولا يتيسر له الدخول للطبيب في يومه، ولعل معالجة أزمة «كوفيد- 19» تعكس مدى نجاح هذا القطاع في مواجهة الأزمة بصورة مخططة ومنظمة.

وفي إطار الإنسان التركي أيضاً، اهتم أردوغان بالتعليم، وأصبح كالماء والهواء، وجعل للمعلم قيمته وللطالب مكانته، كما اهتم بالحماية الاجتماعية والقضاء على الفقر، وما زالت الجهود تسير على قدم وساق في هذا الشأن.

إن تجربة أردوغان في نهضة تركيا هي تجربة كرامة الإنسان التي حرصت حكومته عليها من خلال تطوير البنية التعليمية والصحية والقضائية والحقوقية والتحتية، والاستكفاء والاستغناء وسداد قروض صندوق النقد الدولي وتوفير القوة العسكرية، والتعامل بلغة المصالح المتبادلة،



«العدالة والتنمية» لم يركن لروشتة صندوق النقد بل أعطى لنفسه حرية الحركة بالنهوض بالاقتصاد مستخدماً سياسة التدرج

لم تتوقف خطوات أردوغان رغم علمانية الدولة فجعل العلمانية خاضعة لتوجهه الإسلامي بحكمة وتدرج

والإرادة السديدة والإدارة الرشيدة، ومع ذلك لا تزال أيد خبيثة تريد إجهاض هذه التجربة؛ فلم يفلح الانقلاب العسكري في عام 2016م، وأجهضه الشعب التركي، فلجأت تلك الأيدي الآثمة إلى الانقلاب الاقتصادي من خلال التلاعب في سعر الليرة التركية بالمضاربات عليها، ولكن الحقيقة التي لا مناص منها أن المارد التركي انطلق ولا مجال لرجوعه، وما تحرير إقليم «قره باغ» في أذربيجان بدعم تركيا عنا ببعيد، ولهذا الأمر ما بعده.

إن المؤشرات التركية العامة تعكس صعود القوة التركية اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً رغم التحديات الراهنة ومحاولات التركيع عبر المؤامرات الاقتصادية، ولعل روح الإرادة والتحدي واستشراف مستقبل تركيا عكسها الرئيس أردوغان بقوله: إن تركيا في كفاح تاريخي في مواجهة الساعين لحصار البلاد في فخ ارتفاع أسعار الفائدة والتضخم وأسعار الصرف، وسوف تتغلب تركيا على العراقيل السياسية لمواصلة العمل على تحسين النمو الاقتصادي والتوظيف والصادرات.

وأضاف أن تركيا على رأس الدول التي تستعد لدخول حقبة جديدة عبر بنيتها التحتية المتطورة ومواردها البشرية الشابة والمتعلمة وإدارتها الثابتة والمستقرة، وفي كل منعطف أو أزمة نمر بها، نكتشف أهمية وقيمة ما حققته تركيا من منجزات في السنوات الـ18 الماضية في مجال البنية التحتية والخدمات العامة، ولمجابهة خطط النيل من اقتصادنا، زدنا من إنتاجنا وصادراتنا، ومن فرص العمل وحجم النمو، ورفعنا مستوى التكنولوجيا في البلاد، وتجاوزنا سداد الفجوات في بنيتنا التحتية، إلى تأمين احتياجات بلدنا المستقبلية، لنمهد دخول تركيا بين أكبر 10 اقتصادات في العالم، وإن كنا ننظر بطموح إلى المستقبل اليوم، فهذه ثمرة الجهود المبذولة في السنوات الـ18 الماضية.

وأردف أن العالم مقبل على إعادة تشكيل العلاقات السياسية والاقتصادية بعد وباء «كورونا»، وتركيا على مشارف مرحلة جديدة من أجل الديمقراطية والتنمية.■

تركيا.. نهوض الصناعات الدفاعية لقوّة صاعدة



د. علي باكير
مركز ابن خلدون- جامعة قطر

خلال العقد الماضي، نما قطاع الصناعات الدفاعية التركي بشكل سريع متجاوزاً القطاعات الصناعية الأخرى الأكثر رسوخاً في تركيا؛ حيث ارتبط التطوّر في مسيرة هذا القطاع برغبة جامحة لدى الحكومة لتحقيق أمرين؛ الأوّل: تخفيف الاعتماد بشكل إستراتيجي على واردات السلاح من الخارج، والثاني: تعزيز استقلالية أنقرة بما يخدم طموح البلاد في ممارسة أدوار إقليمية ودولية أكبر تضعها في عين التطورات الدولية.

منذ السبعينيات أدركت تركيا أنّه لا يمكن الاعتماد على الغرب في تأمين مصالحها الإستراتيجية وأمنها القومي

لا شك أن طموح تركيا في ممارسة أدوار إقليمية ودولية ليس طارئاً على النخبة السياسية والعسكرية التركية؛ بل يعود إلى حقبة الأزمة القبرصية في السبعينيات من القرن الماضي؛ حينما قامت الولايات المتّحدة الأمريكية بفرض عقوبات على حليفتها في حلف شمال الأطلسي (الناتو) تركيا، تضمّنت حظراً لبيع الأسلحة إليها بسبب رفض أنقرة الوقوف متفرّجة على المذابح التي ارتكبها الشطر الجنوبي من الجزيرة المدعوم من قبل اليونان والغرب ضد القبارصة الأتراك وذلك إبان الانقلاب العسكري الذي جرى في الجزيرة.

أدركت تركيا حينها أنّه لا يمكن الاعتماد على الغرب في تأمين مصالحها الإستراتيجية وحماية الأمن القومي للبلاد حتى ضمن التحالف الواحد، وانطلاقاً من هذا الواقع؛ قررت أنقرة آنذاك المضي قدماً في تطوير صناعة دفاعية وطنية، وبالرغم من أنّ هذا المسار استمر عقوداً، فإنه شهد قفزات كبيرة منذ مجيء حزب العدالة والتنمية إلى الحكم عام 2002م، ومنذ ذلك الحين؛ تمحورت أولويات السلطات التركيّة المتعاقبة حول: تحقيق الاكتفاء الذاتي من الناحية الدفاعية، وزيادة صادرات وعائدات صناعة الدفاع التركية، ورفع مكانة تركيا كقوة صاعدة على المستوى الدولي.

نجاح ملحوظ

أدت السياسات الحكومية الضاغطة إلى تحقيق قطاع الدفاع التركي نجاحاً ملحوظاً في فترة زمنية قصيرة نسبياً؛ حيث ارتفع صافي مبيعاته من 1.85 مليار دولار في عام 2006 إلى حوالي 8.7 مليار دولار في عام 2018م، وخلال الفترة نفسها، ارتفعت صادرات القطاع كذلك من 487 مليون دولار إلى حوالي 2.2 مليار دولار، تبع هذا الصعود تحوّلٌ في علاقة تركيا مع واردات السلاح، إذ انتقلت أنقرة من كونها ثالث أكبر مستورد للسلاح بالعالم في عام 1999م، لتحتل المرتبة 14 كأكبر مصدّر للمنتجات الدفاعية بالعالم في عام 2018م.

في العام نفسه، شهد القطاع أقوى نمو للصادرات بين جميع الصناعات التركية، حيث تجاوزت صادراته عتبة ملياري دولار لأول مرة، وحصل على العديد من صفقات الأسلحة الكبيرة مع الدول الأخرى، بما في ذلك طلبات شراء 30 طائرة هليكوبتر مقاتلة، و4 فرقاطات من قبل باكستان، وفي العام 2018م تمّ تصنيف تركيا على أنها «مصنِّع صاعد» يهدف إلى زيادة قدرات الإنتاج البحرية والجوية والبرية والإلكترونيات، بالإضافة إلى زيادة مستوى إنتاج الذخيرة.

يعكس هذا الوضع طموحات أنقرة الكبيرة في هذا المجال التي سبق لرئيس الصناعات الدفاعية التركية إسماعيل ديمير أن عبّر عنها بقوله: «الهدف الإستراتيجي لأنقرة هو جعل صناعة الدفاع التركية مستقلة بنسبة 100% بحلول عام 2053م، وزيادة قدراتها التصديرية من المنتجات الدفاعية والمعدّات العسكرية إلى 50 مليار دولار، وأن يكون لديها ما لا يقل عن 10 شركات دفاع تركية في قائمة أفضل 100 شركة بالعالم».

وفقاً لتقرير «سيبيري» للتسلّح العالمي لعام 2019م، الصادر في مارس 2020م، انخفضت واردات تركيا من الأسلحة بنسبة 48% بين عامي 2015 و2019م، مقارنة بالسنوات الخمس السابقة، وذلك رغم انخراط القوات المسلحة التركية في مزيد من العمليات

العسكرية الداخلية (ضد حزب العمال الكردستاني)، والخارجية (في سورية وليبيا) أكثر من ذي قبل، التراجع في الـواردات هو جزء من سياسة تسعى للحد من واردات الأسلحة وتعظيم الاعتماد على الأنظمة المحلية.

في السنوات العشر الماضية، أضافت أنقـرة أنظمـة دفـاع محلية وأسلحـة إلى مخزونها أكثر من أي وقت مضى، مما قلّل من اعتمادها على الـواردات الأجنبية وزاد نسبة المحتوى المحلي في مشترياتها الدفاعية من 24% في عام 2002 إلى 68.5% في عام 2016م، ترافق ذلك مع دخول عدد أكبر من شركات الدفاع المحليّة في قائمة «سيبري» لأكبر 100 شركة منتجة للسلاح في العالم لعام 2018م، وفي عام 2019م تم إدراج 5 شـركات دفـاع تركية فـي تصنيف «ديفنس نيوز» لأفضل 100 شركة دفاعية في العالم.

وفي نهاية ذلك العام، أصدرت الرئاسة التـركيـة لـلصـنـاعـات الـدفـاعـيـة خطتها الإستراتيجية للفترة 2019 – 2023م، التي تهـدف إلـى زيـادة إيــرادات قـطـاع الـدفـاع التـركي إلـى 26.9 مـلـيـار دولار، وزيـادة الصادرات إلى 10.2 مليار دولار، وتلبية 75% من الاحتياجات العسكرية للبلاد محلياً في عام 2023م، مقارنة بـ65% في عام 2018م، واستـنـاداً لبيانات رابطة مصنّعي صناعة الدفاع والطيران التركية للعام 2019م، التي تمّ نشرها في أبريل 2020م، زادت صادرات القطاع في عام 2019م بنسبة 40.2% لتصل إلى 3.1 مليار دولار، مقارنة بـ2.2 مليار دولار في عام 2018م، كما زادت المبيعات الإجمالية بنسبة 24.2% لتصل إلى 10.9 مليار دولار، مقارنة بـ8.8 مليار دولار في عام 2018م.

في هذه المرحلة بالتحديد، سطع نجم المُسيَّـرات التـركيّة على المستوى المحلي والإقليـمـي والـدولـي كـذلـك، لاسيـمـا مع القفزات الهائلة التي حقّقتها أنقرة في هذا المجال، المفارقة أنّ هذا التطوّر ما كان له أن يحصل لولا مقاطعة ورفض واشنطن تزويد حليفتها تركيا بالمسيَّرات المطلوبة لمحاربة حزب العمّال الكردستاني الذي صنفته تركيا إرهابياً.

لقد أثبتت المسيَّـرات التـركيـة كفـاءة وفعالية عالية، وأدّى استخدامها في عقيدة عسكرية جديدة تقوم على دمـج المُسيَّرات القتالية في معركة تقليدية، إلـى ثـورة في مفهوم المُسيَّـرات الهجومية من الناحية العملية، وقد اختبرت أنقرة هذا المفهوم في 3 ميادين؛ هي شمال سورية وليبيا وإقليم نـاجـورونـو كـاربـاغ الأذربـيـجـانـي المحتل من قبل أرمينيا، وحقّقت إنجازات عسكرية غير مسبوقة، ودمّـرت معدّات عسكريّة روسية متطورة وغيّرت معادلات ميدانية وسياسية.



صافي مبيعات قطاع الدفاع ارتفع من 1.85 مليار دولار عام 2006 إلى حوالي 8.7 عام 2018م

المسيّرات التركية أثبتت كفاءة عالية واستخدامها أدى إلى ثورة بمفهوم المُسيَّرات الهجومية من الناحية العملية

الحاجة إلى استثمارات كبرى جديدة عائق أمام قدرة القطاع على الاستمرار مستقبلاً مع التحديات الاقتصادية

تحديات

وبـالـرغـم مـن الاسـتـثـمـار الـسـيـاسـي والاقتصادي والتكنولوجي الضخم، بالإضافة إلى الإنجازات الكبيرة التي تحققت خلال وقت قصير، واجهت –ولا تـزال– صناعات الدفاع المحليّة في تركيا تحدّيات كبيرة على أكثر من صعيد، لعل من أبرزها:

1 – يُصاحب الارتفاع في حجم صادرات قطاع الصناعات الدفاعية المحلّي من المعدّات العسكرية، ارتفاعٌ مماثل في حجم الواردات مـن الـمـواد الأوّلـيـة المستخدمة عـادة، وهـو مؤشّر على الاعتماد الضار والخطير على المواد الخام الأجنبية والمعدات اللازمة للحفاظ على الزخم في عملية الإنتاج في هذا القطاع.

2 – هجرة الأدمغة والكفاءات مستـمـر بـالـرغـم مـن مـحـاولات تحسين أوضـاعـهـم، إذ يعاني كثير مـن هـؤلاء من عدم توفّر بيئة مناسبة لهم، ولذلك يفضّلون الهجرة إلـى الخـارج، ويتم استقطابهم في الغالب من قبل شركات أمريكية أو أوروبية مقابل امتيازات كبيرة.

3 – المواقف السياسية للحكومة من بعض الأزمات السياسية الخارجية تؤثّر على قدرة بعض شركات الصناعات الدفاعية المحليّة في بيع منتجاتها الدفاعية إلى دول تنظر إلى تركيا بصورة سلبيّة؛ وهو ما يؤثّر في نهاية المطاف على الحد من خيارات التسويق أو البيع لديها.

4 – البحث عن أسواق جديدة يعدّ تحدّياً كبيراً خاصّة خارج الأسواق التقليدية الكبرى للسلاح التي تتّخذ في الغالب مواقف سلبية من تركيا.

5 – الـحـاجـة إلـى اسـتـثـمـارات كبرى جديدة ومستمرة يعدّ كذلك عائقاً أمام قدرة القطاع على الاستمرار مستقبلاً، لا سيما مـع التحدّيات الاقتصادية التي تواجهها تركيا، وعدم رغبتها كذلك في فتح القطاع بشكل كامل أمام دول قد تمتلك المال، ولكن مشاركتها قد يشكّل خطراً على القطاع نفسها.

استمرار هـذه التحدّيات من شأنه أن يقوّض الإنجازات التي تحقّقت أو يمنع تطوّر القطاع مستقبلاً، ولذلك يجري الآن محاولة الحد من تداعياتها على القطاع والعمل على معالجتها.

لقد مثّلت جائحة «كورونا»، التي بدأت تنتشر بتركيا في مارس 2020م، تطوّراً غير متوقع وغير مرحب به لصناعة الدفاع، لكن كان لافتاً تعامل القطاع مع الجائحة بشكل ناجح جداً، ومساهمته في الجهود الصحيّة، وكذلك قدرته على جذب مشاريع وصفقات دولية كبيرة في خضمّ الجائحة، أعطت مؤشّراً إيجابياً على مستقبل قطاع صاعد لقوّة صاعدة على الأقل خلال المرحلة القصيرة والمتوسطة.■



جمال خطاب

لم تقتصر مفاجآت حرب «ناجورونو كاراباغ» التي خاضتها أذربيجان لتحرير أراضيها المحتلة على المسيّرات التركية التي فاجأت القوات الأرمينية المعتدية، ولكن المفاجأة الأبرز كانت في توظيف واستخدام الذكاء الاصطناعي في الحرب.

فقد نقلت صحيفة «لوس أنجلوس تايمز» عن «آشوت سركيسيان»، وهو مقاتل أرميني يبلغ من العمر 51 عاماً قوله: «لا نتمكن من رؤية المسيّرات التركية، لنطلق النار عليها، ولا نسمعها لنختبئ»!



تركيا تتصدر العالم في حروب الذكاء الاصطناعي

معلوم أن كل تطور تكنولوجي جديد يلغي ما قبله من التكنولوجيا أو يحيّده؛ فابتكار «البازوكا»، وهو قاذفة صواريخ مضادة للدبابات ابتكرها عالم الصواريخ الشهير «روبرت إتش جودارد»، أدى لتقليل خطر الدبابات إلى حد كبير، وبالمثل؛ فإن الاستطلاع الجوي جعل مناورات القوات السرية خلف الخطوط في الحروب البرية تكتيكاً قديماً.

وقد بدأت صناعة الطائرات بدون طيار منذ أكثر من عقدين، ويُرجع بعض الخبراء ظهورها إلى الحرب العالمية الثانية، وقد مرت بمراحل كثيرة كان فيها التطور بطيئاً، لكن الذكاء الاصطناعي وعبر خوارزميات التعلم العميق أحدث ثورة هائلة في هذه الصناعة.

وتركيا لم تتفوق فقط في توظيف الطائرات بدون طيار في الحرب، لكنها ابتكرت وطوَّرت أيضاً تقنيات مضادة للطائرات بدون طيار، مثل منظومات الليزر، ومنظومات الطاقة، وهي توظّف الذكاء الاصطناعي في كثير من العمليات الحربية والتحكم عن بُعد في العديد من الأسلحة الأخرى.

الثورة الثالثة

تشمل أسلحة الذكاء الاصطناعي الصواريخ المضادة للإشعاع، وهي صواريخ تطير في مسارات دائرية (تتسكع) حتى تكشف الرادار ثم تعطبه، ويمكن للصواريخ المضادة للإشعاع أن تعمل بشكل مستقل تماماً.

والذكاء الاصطناعي يوصف الآن بأنه «الثورة الثالثة» في الحروب، بعد البارود والأسلحة النووية، وهو (الذكاء الاصطناعي) لا يحارب وحده، لكنه يدعم المحاربين، ولأن لكل ثورة أخطارها، فستحمل إستراتيجية الذكاء الاصطناعي التي تركز على مساعدة المحاربين البشريين تحديات تشغيلية وأخلاقية هائلة.

فعلى الرغم من كل مخاوف البشر بشأن الروبوتات القاتلة على غرار «Terminator»، ومعناها المدمِّر أو المُبيد، فمن المرجح أن يظل هدف الذكاء الاصطناعي في الجيوش هو دعم البشر، وليس استبدالهم.

وافقت أرمينيا، يوم الثلاثاء 10 نوفمبر الماضي، على وقف إطلاق النار مع جارتها أذربيجان لوضع نهاية مأمولة للحرب القصيرة بينهما حول منطقة «ناجورنو كاراباغ» المتنازع عليها.

جاء ذلك بعد أن سيطرت أذربيجان

على الصراع جزئياً بفضل قدرة أساطيلها الرخيصة من الطائرات المسلحة بدون طيار على تدمير الدبابات الأرمينية، فيما وصفه المحلل العسكري «مالكولم ديفيس» بأنه «تغيير لقواعد اللعبة في الحروب البرية».

وقد يكون التغيير الأكبر في قواعد اللعبة هو احتمال أن تكون هذه الطائرات المسلحة بدون طيار مستقلة تماماً، يسيّرها ويتحكم فيها الذكاء الاصطناعي، ولكن المخاوف في المستقبل المنظور من «الأسراب القاتلة» التي يمكن استخدامها للقتل مع الإفلات من العقاب، وهذه ليست مخاوف مبالغاً فيها، كما يقول «مايكل هورويتز»، أستاذ العلوم السياسية في جامعة بنسلفانيا، وتركيا، حسب «ترك برس»، تُجري تجارب على هذه الأسلحة منذ عامين.

ومع ذلك، «فالغالبية العظمى من الاستثمارات العسكرية في الذكاء الاصطناعي لن تكون حول الأسلحة الفتّاكة ذاتية التشغيل فقط»، كما يقول «هورويتز»؛ فقد كشف تقرير، صدر في أكتوبر الماضي، عن مركز «جورجتاون للأمن والتكنولوجيا الناشئة» أن أبحاث الدفاع في الذكاء الاصطناعي لا تركز على «إزاحة البشر، لكنها تركز على مساعدة الأسلحة على التكيف مع طريقة تفكير البشر ومعالجتهم للمعلومات»، حسب قول «مارجريتا كوناييف»، المشاركة في تأليف التقرير.

وتم عرض نسخة من هذا التقرير المستقبلي في حدث أقامته القوات الجوية الأمريكية، في سبتمبر الماضي، لإظهار نظام إدارة المعارك المتقدم (ABMS)، الذي يمكنه معالجة البيانات بسرعة في المعركة واستخدامها لتوجيه المحاربين في الميدان.

وعلى الرغم من أن لدى الجنود أجهزة باهظة الثمن، فإنهم ما زالوا ينقلون المعلومات يدوياً في الغالب أثناء القتال، غالباً من خلال سلاسل الإرسال اللاسلكي، لكن نظام إدارة المعارك المتقدم (ABMS) يهدف إلى استخدام الحوسبة السحابية والتعلم الآلي لتسريع هذه العملية، وزيادة قدرات كل مقاتل.

وفي عرض توضيحي لشهر سبتمبر، عرضت شركة «أندوريل» -شركة ناشئة في وادي السيليكون تركز على الدفاع- نظام برمجيات شبكة «Lattice»، الذي يعالج بيانات المستشعر من خلال خوارزميات التعلم الآلي لتحديد وتعقب تلقائي لأهداف تتحرك بسرعات كبيرة مثل صواريخ «كروز».

وباستخدام واجهة الواقع الافتراضي للشركة، لم يكن على الطيار في العرض التوضيحي إلا تحديد الهدف وإقرانه بنظام أسلحة لتدميره، وإغلاق ما يسميه الجيش «سلسلة القتل».

ما تهدف له شركة «أندوريل» والشركات الأخرى هو المشاركة في هذا القطاع ليقوم الذكاء الاصطناعي بالمشاركة في الدفاع بالطريقة نفسها التي يعمل بها حالياً في الصناعات الأخرى؛ تسريع معالجة المعلومات، وإنشاء ما يرقى إلى قوة عاملة هجينة أكثر فاعلية بين الإنسان والآلة.

لكن على الرغم من أن الناس ما زالوا هم الذين يقررون ما إذا كانوا سيضغطون على الزناد أم لا، فإن الخبراء قلقون بشأن دقة الخوارزميات التي تنصح بهذا القرار.

الاستطلاع الجوي جعل مناورات القوات السرية خلف الخطوط في الحروب البرية تكتيكاً قديماً

الذكاء الاصطناعي يوصف الآن بأنه الثورة الثالثة في الحروب وهو يدعم المحاربين ولا يحارب وحده

المخاوف في المستقبل المنظور من «الأسراب القاتلة» التي يمكن استخدامها للقتل مع الإفلات من العقاب

وزير الدفاع الأمريكي: الدولة التي ستُسخِّر تكنولوجيا الذكاء الاصطناعي أولاً ستحسم ساحة القتال لسنوات قادمة

يقول «هورويتز»: «إذا كنت تؤمن (...) بالضبابية وعدم الوضوح الذي يحيط بالحرب؛ فكيف يمكنك الحصول على كل البيانات التي تسمح لك فعلياً بمحاكاة شكل بيئة ساحة المعركة بطريقة تمنحك الثقة لاستخدام الخوارزمية؟».

كما أنه ليس من الواضح تماماً من سيكون مسؤولاً عن حادث يتعلق بسيارة ذاتية القيادة في الغالب (الإنسان الراكب داخلها أم التكنولوجيا)، كما يتساءل «بي دبليو سينجر»: من يتحمل العواقب إذا حدث خطأ ما في ساحة المعركة؟

السرعة المتناهية

إنه أمر سيئ أن يتسبب خلل في خوارزميات التداول في حدوث انهيار سريع في سوق الأسهم، لكن إذا شجعت أنظمة الذكاء الاصطناعي المعيبة الجيش على التحرك بسرعة كبيرة في ساحة المعركة، فقد تكون النتيجة سقوط الكثير من الضحايا المدنيين، أو وقوع صراع دولي، أو حتى حدوث حرب.

وقد أكدت حرب أرمينيا وأذربيجان حقيقة أن الحروب بين البشر لن تنتهي، وأن أمريكا وخصومها مثل الصين وروسيا سيمضون قدماً في تطوير أنظمة دفاع خاصة بهم مدعومة بالذكاء الاصطناعي.

باختصار؛ لقد وصلت البشرية لفجر عصر جديد في الحروب يمكن أن يطلق عليها «حروب الذكاء الاصطناعي»، والمنتصرون في هذه الحروب هم أولئك الذين سيبتكرون أسلحة جديدة ويطوّرون التدابير المضادة لها، كما قال الرئيس الروسي «فلاديمير بوتين»: «من سيصبح قائداً في هذا المجال هو الذي سيحكم العالم»، وكما قال وزير الدفاع الأمريكي المقال «مارك إسبر»، في مؤتمر عقد بواشنطن عن الذكاء الاصطناعي: «الدولة التي ستُسخِّر تكنولوجيا الذكاء الاصطناعي أولاً سيكون لها ميزة حاسمة في ساحة القتال لسنوات قادمة».

وأضاف: «يجب أن نحقق هذا الأمر أولاً؛ فحروب المستقبل لن تقوم فقط على الأرض وعبر البحر كما كان الوضع منذ آلاف السنوات الماضية، أو حتى فقط في الجو كما كان الوضع في القرن الماضي، لكنها ستقوم أيضاً في الفضاء الخارجي والفضاء الافتراضي بأشكال غير مسبوقة».■

«المسيَّرات» التركية تغيِّر قواعد الاشتباك في الشرق الأوسط



محمد صادق أمين

أصبحت الطائرات المسيَّرة التركية رقماً عسكرياً صعباً في معادلات الشرق الأوسط، بعد أن حقَّقت نجاحات ميدانية مذهلة في ساحات المعارك، بسورية وليبيا وأخيراً في المعركة التي جرت بين أذربيجان وأرمينيا في ناغورنو كاراباغ، التي توقفت مؤخراً عبر اتفاق رعته أنقرة وموسكو اعتبر نصراً ساحقاً لباكو.

ويؤكد محللون عسكريون أن سر التفوق الذي حققته أذربيجان يعود إلى امتلاكها للمسيَّرات التركية المتطورة المخصصة للمراقبة والاستطلاع، وأخرى مسلحة لتنفيذ العمليات الهجومية؛ ما أدى إلى خروج سلاح الدروع الأرميني من المعركة وأضعف من مشاركته ودوره في الميدان، حيث أصبحت الدبابات أهدافاً مكشوفة وواضحة، الأمر الذي سهل على المسيَّرات استهدافها.

«طائرات تي بي 2 التركية تحقق ثورة في الحروب»، هكذا عنونت صحيفة «فيلت» الألمانية، بتقريرها الذي نشرته في يونيو الماضي، وتحدثت فيه كيف أصبحت تركيا واحدة من الدول الرائدة عالمياً في تكنولوجيا الطائرات المسيَّرة المسلحة.

ورأت الصحيفة أن إستراتيجية تركيا في استخدام طائرات «بيرقدار» بكثافة وفاعلية نجحت في تغيير موازين القوى العسكرية في الشرق الأوسط لصالح أنقرة، وقارنت بين الطائرة المسيَّرة الأمريكية «إم كيو 9 ريبر»، والطائرة المسيرة التركية «بيرقدار تي بي 2» التي وصفها بأنها فتاكة ورخيصة الثمن.

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن تركيا تستخدم هذا النوع من الطائرات منذ عدة سنوات، في مطاردة تنظيم «حزب العمال الكردستاني»، الذي يشاغل الجيش التركي من داخل الأراضي التركية وعبر الحدود العراقية، إلا أن أهمية هذا السلاح لفتت أنظار العالم لأول مرة خلال العمليات التي جرت بين تركيا والنظام السوري في إدلب بداية العام الجاري، حيث تمكنت من تدمير مئات الأهداف المتحركة والمنظومات الدفاعية بدقة عالية وبقوة تدمير كبيرة.

ثم أعقب ذلك الدور الفعَّال للمسيَّرات التركية في دعم حكومة «الوفاق» الشرعية المعترف بها دولياً ضد مليشيات اللواء المتقاعد خليفة حفتر، حيث تم بث عشرات

صحيفة ألمانية: إستراتيجية تركيا في استخدام طائرات «بيرقدار» نجحت بتغيير موازين القوى العسكرية بالشرق الأوسط

مقاطع الفيديو التي تظهر ضرب أهداف ثابتة ومتنقلة وعربات عسكرية مختلفة، كان أبرزها تدمير أكثر من 10 منظومات دفاعية روسية من طراز «بانتسير».

وكان لافتاً تصريح وزير الدفاع البريطاني «بن والاس»، خلال مشاركته في مؤتمر للقوات الجوية والفضائية البريطانية، في يوليو الماضي، بهذا الخصوص، حيث قال: إن الطائرات المسيَّرة التركية غيَّرت قواعد اللعبة في كل من ليبيا وسورية، مؤكداً أنه ينبغي لبلاده استخلاص الدروس من خبرة تركيا في هذا المجال.

وأضاف: علينا النظر في دروس الدول الأخرى؛ انظروا كيف نفذت تركيا عملياتها في ليبيا، حيث استخدمت الطائرات المسيَّرة من طراز «بيرقدار تي بي 2»، منذ أواسط العام 2019م.

وتابع الوزير البريطاني: هذه الطائرات المسيَّرة نفذت عمليات استخباراتية

واستطلاعية واستكشافية وتوجيهية في جبهات القتال وخطوط الإمداد والقواعد اللوجستية.

واستدرك موجهاً حديثه للقادة العسكريين: فكروا في انخراط تركيا بسورية واستخدامها وسائل الحرب الإلكترونية، والطائرات المسيَّرة المزودة بأسلحة خفيفة والذخائر الذكية لوقف الدبابات والعربات المدرعة ومنظومات الدفاع الجوي التي كانت تقف في طريقها، لقد تكبد نظام الأسد خسائر كبيرة، بينها 3000 عسكري، و151 دبابة، و8 مروحيات، و3 طائرات مسيَّرة، و3 مقاتلات، وعربات وشاحنات، و8 منظومات دفاع جوي، ومقراً واحداً، إضافة إلى معدات ومنشآت عسكرية أخرى.

كلفة أقل وفتك أكبر

المحلل العسكري السوري العقيد أحمد حمادة اعتبر المسيَّرات التركية سلاحاً فتاكاً، وله ميزة التفوق النوعي في الأداء، بالإضافة إلى رخص كلف التصنيع نسبياً مقارنة بالطائرات الحربية التي تصنعها الدول المتقدمة.

وقال حمادة لـ«المجتمع»: إن كلفة تصنيع الطائرة المسيرة الأمريكية نوع «إم كيو 9 ريبر» تبلغ 16 مليون دولار، بينما كلفة «تي بي 2» التركية تبلغ 6 ملايين دولار فقط، ومن حيث الكفاءة تستطيع الطائرة التركية مثل نظيرتها الأمريكية التحليق لأكثر من 24 ساعة في الأجواء، ورصد الأهداف وقصفها بقوة شرسة.

وأشار إلى أن هذه الميزة تتيح للدول الأقل ثراء إمكانية تحدي القوى العسكرية الكبرى، من خلال استخدام هذا السلاح الفعال، الذي من أهم مميزاته دقة الإصابة، ففي معارك كاراباغ دمرت هذه الطائرات الدبابات ومنظومات الدفاع الجوي وقوافل الإمدادات، وحرمت الأرمينيين من استخدام الدروع في المعركة، حيث تستخدم هذه الطائرات صواريخ من طراز «إم أي أم-إل» الصغيرة التي يمكن التحكم فيها، والقادرة على اختراق الدروع.

وتابع المحلل العسكري السوري: نفس الأمر حدث في ليبيا، حيث نجحت المسيرات التركية في تدمير الدفاعات الجوية الروسية التي تمتلكها قوات حفتر، واستطاعت الوفاق تحقيق تفوق عسكري ميداني، ونجحت في إبعاد الخطر عن طرابلس العاصمة وتحرير قاعدة الوطية وترهونة وغيرها.

وزير الدفاع البريطاني يدعو بلاده لاستخلاص الدروس من خبرة تركيا بمجال الطائرات المسيَّرة بعد نجاحها بليبيا وسورية

عسكري سوري: قلة تكلفة الطائرات التركية تتيح للدول الأقل ثراء تحدي القوى الكبرى باستخدام هذا السلاح الفعال

من جانبه، اعتبر المحلل العسكري العراقي أسعد إسماعيل شهاب أن هناك جملة ميزات جعلت من الطائرات التركية رقماً صعباً في ساحات المعارك.

وأشار، في حديثه لـ«المجتمع»، إلى أن أهم تلك الميزات دقة إصابة الهدف، والقدرة على التخفي من الرادارات، وتحرك الطائرات مع بعضها بعضاً كسرب واحد فعَّال.

وأضاف: وما يميز المسيَّرات التركية تقنياً أنها يمكن التحكم بها أوتوماتيكياً، ويمكن أن تصل إلى ارتفاع 24 ألف قدم، ويمكنها أن تبقى في الجو 24 ساعة، ويمكن الاتصال بها لمسافة تصل إلى 150 كيلومتراً، وتتمتع بنظام الطيار التلقائي الذي يخولها الهبوط والإقلاع تلقائياً، وتملك نظاماً خاصاً بها يغنيها عن الاعتماد على تطبيقات «جي بي إس» في إطلاق الصواريخ وإصابة الأهداف المتحركة.

وتابع المدرس السابق في كلية الأركان العراقية: القيادة التركية صنعت من التحديات التي واجهتها فرصاً للتفوق، فتطوير سلاح الطائرات المسيَّرة بدأ تحدياً من أنقرة لحظر فرضته عليها الولايات المتحدة الأمريكية قبل أكثر من 10 سنوات؛ الأمر الذي دفعها إلى خوض التحدي لسد حاجاتها في مواجهة حزب العمال، فنجحت بإنتاج الطائرات المسيَّرة محلياً عبر شركتي «سيلسان» الحكومية، وشركة «بيرقدار» الخاصة، مشيراً إلى أن هناك تحدياً مشابهاً ظهر مؤخراً حيث منعت كندا تصدير الكاميرات المثبتة على هذه الطائرات جراء تزويد تركيا أذربيجان بهذه الطائرات، واستطاع الأتراك خلال فترة قصيرة إنتاج نفس الكاميرات عبر شركة «أسيلسان».

عسكري عراقي: شركة «أنظمة الدفاع الحربية» التركية نجحت في تطوير منظومة إنذار مبكر ضد الطائرات المسيَّرة

ونوه شهاب إلى أن التفوق التركي في ميادين سورية وليبيا وأذربيجان لن يمر دولياً وإقليمياً مرور الكرام، فدول العالم خصوصاً المتقدمة منها تراقب عن كثب، وعادة ما تدرس هذه الدول المعارك التي تحدث في العالم، ومن ثم ستتسارع الأبحاث العسكرية لإيجاد وسائل الدفاع الناجعة في مواجهة التفوق التركي.

واستدرك: وفي تقديري، فإن القيادة التركية أخذت هذا الأمر بعين الاعتبار، حيث تشير تقارير صحفية تركية إلى أن أنقرة توجهت نحو الأبحاث المتعلقة بمواجهة الطائرات المسيَّرة، ونجحت شركة «أنظمة الدفاع الحربية» التركية في تطوير وإنتاج منظومة إنذار مبكر ضد الطائرات المسيَّرة لصالح الجيش التركي.

وختم المحلل العسكري العراقي حديثه بالقول: إن دخول تركيا إلى معترك تطوير الأسلحة المضادة للطائرات المسيَّرة سيجعل مهندسيها المحليين قادرين على تحوير وتطوير الطائرات المصنعة مستقبلاً للتعامل مع المضادات التي يمكن أن تنتجها الدول، وبالتالي أتوقع أن يستمر التفوق التركي لعدة عقود.

أخيراً؛ فإن تركيا بتفوقها في مضمار الصناعات الحربية، وتحويلها التحديات التي تواجهها إلى فرص، قدمت لدول العالم التي تعتمد في تسلحها على الدول المتقدمة، واستخدام الأخيرة هذه المسألة كورقة ضغط على هذه الدول لتغيير سياساتها، قدمت نموذجاً لعالم جديد يمكنها من خلال استغلال التكنولوجيا والتقنية الدقيقة مع وجود الإرادة القوية والقرار المستقل، لكي تكون على قدم المساواة في صناعة القوة بعالم متعدد الأقطاب.■

تركيا في استطلاعات الرأي العربي



د. سامر أبو رمان
مركز عالم الآراء لاستطلاعات الرأي

تعد تركيا من الدول ذات الثقل الكبير اقتصادياً وثقافياً وسكانياً في منطقة الشرق الأوسط، ولها إرثٌ طويل من العلاقات مع المنطقة العربية، التي بقي معظمها لقرون تحت حكم الدولة العثمانية، وقد نشطت خلال العقدين الأخيرين، بعد وصول حزب العدالة والتنمية إلى الحكم، كقوة إقليمية فاعلة في المنطقة العربية، وأثارت سياساتها تجاه هذه المنطقة وقضاياها ردود فعل متنوعة ومتناقضة، سواء عند النخب الحاكمة أو المثقفين أو عامة الناس.

58% من 13 بلداً عربياً يعتبرون السياسات الخارجية التركية بالمنطقة العربية إيجابية

54% من 12 بلداً عربياً يفضلون أن تكون العلاقات الاقتصادية مع تركيا أقوى مما كانت عليه في السنوات الماضية

1.9% من 12 بلداً عربياً يرون تركيا هي الأكثر تهديداً لاستقرار بلدانهم

سعياً نحو التعرف على المواقف العامة للجمهور العربي تجاه تركيا، تم الاستناد إلى عشرة من استطلاعات الرأي العام، العربية والعالمية، التي تناولت هذا البلد، وانخرط الكاتب في تنفيذ بعضها مثل «البارومتر العربي» الذي يعتبر أقدمها وأكثرها تنفيذاً بشكل دوري:

المؤشر العربي 2016: الصادر عن المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات في الدوحة، الذي نفد في 12 بلداً عربياً، هي: الجزائر، موريتانيا، والمغرب، وتونس، ومصر، والسودان، وفلسطين، ولبنان، والأردن، والعراق، والسعودية، والكويت، على عينة بلغ عددها الكلي 18310 مستجيبين ومستجيبات.

المؤشر العربي 2017/ 2018م: الذي نفّذ في 11 بلداً عربياً، هي: موريتانيا، والمغرب، وتونس، ومصر، والسودان، وفلسطين، ولبنان، والأردن، والعراق، والسعودية، والكويت، وشمل 18830 مستجيباً ومستجيبة.

المؤشر العربي 2019/ 2020م: الذي نفذ في 13 بلداً عربياً، هي: السعودية، والكويت، وقطر، والعراق، والأردن، وفلسطين، ولبنان، ومصر، والسودان، وتونس، والمغرب، والجزائر، وموريتانيا، على عينة قوامها 28 ألف مستجيب ومستجيبة.

البارومتر العربي– الدورة الأولى 2006-2009م: الذي نفذته شبكة البارومتر العربي بالتعاون في 7 بلدان عربية، هي: الجزائر، البحرين، الأردن، لبنان، المغرب، فلسطين، اليمن.

البارومتر العربي– الدورة الثانية 2010-2011م: الذي نفذته شبكة البارومتر العربي في 10 بلدان عربية، هي: الجزائر، مصر، العراق، الأردن، لبنان، فلسطين، السعودية، السودان، تونس، اليمن، وقد تكونت العينة في معظم البلدان من 1200 مواطن.

البارومتر العربي– الدورة الثالثة 2012-2014م: الذي نفذته شبكة البارومتر العربي في 12 بلداً عربياً، هي: الجزائر، مصر، العراق، الأردن، الكويت، لبنان، ليبيا، المغرب، فلسطين، السودان، تونس، اليمن.

البارومتر العربي– الدورة الرابعة 2016-2017م: الذي نفذته شبكة البارومتر العربي في 7 بلدان عربية، هي: الجزائر، مصر، الأردن، لبنان، المغرب، فلسطين، تونس، وقد تكونت العينة في معظم البلدان من 1200 مواطن، إضافة إلى 300 مواطن سوري ممن يعيشون خارج مخيمات اللاجئين في كل من الأردن ولبنان.

البارومتر العربي– الدورة الخامسة 2018/2019م: الذي نفذته شبكة البارومتر العربي في 12 بلداً عربياً، هي: الجزائر، المغرب، تونس، مصر، السودان، فلسطين، لبنان، الأردن، العراق، الكويت، ليبيا، اليمن، وشمل 25 ألف مستجيب ومستجيبة.

استطلاع معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى: الذي نفذته لصالح المعهد، في أواخر عام 2018م، شركة استطلاع تجارية إقليمية رائدة، في 6 دول عربية، هي: الإمارات العربية المتحدة، السعودية، الكويت، الأردن، لبنان، مصر.

مسح المواقف العالمية 2017م: الذي أجراه مركز «PEW» للأبحاث عن طريق الهاتف والمقابلات الوجاهية، على عينات وطنية مختارة من 37 دولة.

ونعرض فيما يلي أبرز النتائج:

النظرة إلى الرئيس التركي:

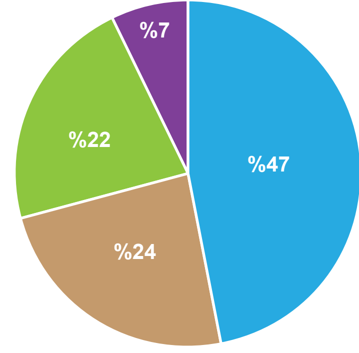
كشفت نتائج استطلاع «PEW 2017»، في 5 من دول الشرق الأوسط، أن النظرة الإيجابية إلى الرئيس التركي «رجب طيب أردوغان» قد وصلت إلى ذروتها في الأردن بنسبة 66%.

على حين ارتفعت هذه النسبة، في الأردن كذلك، وفي استطلاع معهد واشنطن 2018م، لتصل إلى 72%، ثم 77%، وفي استطلاع البارومتر العربي/ الدورة الخامسة، أما في لبنان، فقد تطابقت نسبة النظرة الإيجابية في لبنان في كلا الاستطلاعين الأولين 42%، لكنها انخفضت في البارومتر العربي لتصل إلى 30% فقط.

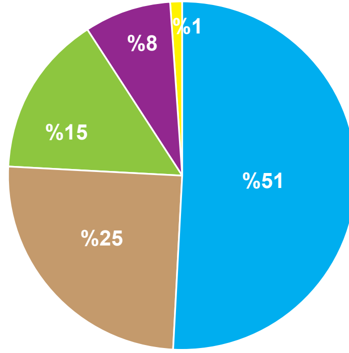
النظرة إلى تركيا كدولة ديمقراطية:

أظهرت نتائج البارومتر العربي/ الدورة

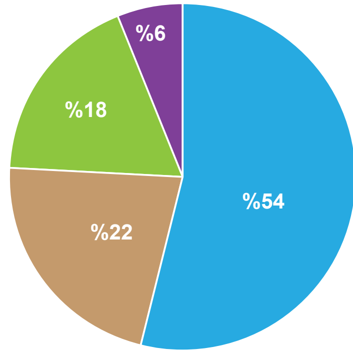
هل تفضل أن تكون العلاقات الاقتصادية بين بلدك وتركيا في المستقبل ...... (المعدل العام) الباروميتر العربي د3 2014/2012



هل تفضل أن تكون العلاقات الاقتصادية بين بلدك وتركيا في المستقبل ...... (المعدل العام) الباروميتر العربي د4 2017/2016



هل تفضل أن تكون العلاقات الاقتصادية بين بلدك وتركيا في المستقبل ...... (المعدل العام) الباروميتر العربي د5 2019/2018



كما كانت عليه خلال السنوات الماضية ■ أقوى مما كانت عليه خلال السنوات الماضية ■ لا أعرف ■ أقل مما كانت عليه خلال السنوات الماضية

الأولى، أن 59% من المستطلعين في اليمن، و55% في الأردن، يعتبرون تركيا دولة ديمقراطية، على حين ارتفعت النسبة في البارومتر العربي/ الدورة الثانية، لتصل إلى 80% في اليمن، و77% في الجزائر، و74% في الأردن، وكان لبنان في كلتا الدورتين الأقل في اعتبار تركيا دولة ديمقراطية.

العلاقات الاقتصادية مع تركيا:

أظهرت نتائج البارومتر العربي، في دورته الثالثة، أن 51% يفضلون أن تكون العلاقات الاقتصادية مع تركيا أقوى مما كانت عليه في السنوات الماضية، ثم انخفضت هذه النسبة إلى 47% في دورة البارومتر العربي الرابعة، وارتفعت مجدداً في دورته الخامسة لتصل إلى 54%، وعلى مستوى الأقطار، كانت فلسطين، في الدورة الثالثة، وبنسبة 63% أكثر البلدان التي فضل المستطلعون فيها أن تكون العلاقات الاقتصادية مع تركيا أفضل مما كانت عليه في السنوات الماضية، أما في الدورة الرابعة، فقد كان المغرب كذلك بنسبة 71%، ثم أصبح الأردن كذلك، في الدورة الخامسة، وبنسبة 81%.

السياسة الخارجية التركية في المنطقة العربية:

أظهر المؤشر العربي 2016م، أن 54% يعتبرون أن السياسات الخارجية التركية في المنطقة العربية إيجابية، وبقيت ذات النسبة في المؤشر العربي 2017/ 2018م، ثم ارتفعت لتصل إلى 58% في المؤشر العربي 2019/ 2020م، وعلى مستوى الأقطار، كانت السعودية، في المؤشر العربي 2016م، وبنسبة 85% الأعلى في التقييم الإيجابي للسياسات الخارجية التركية في المنطقة العربية، على حين كانت فلسطين كذلك في المؤشر العربي 2017/ 2018م، وبنسبة 86%.

السياسة التركية تجاه مجموعة من القضايا العربية:

أظهر المؤشر العربي 2016م، أن 49% يرون أن السياسة التركية إيجابية تجاه فلسطين، في مقابل 43% من يرونها كذلك تجاه سورية، و38% تجاه العراق، و36% تجاه اليمن، و35% تجاه ليبيا، وفي المؤشر العربي 2017/ 2018م، شهدت جميع هذه النسب ارتفاعاً، باستثناء اليمن، بينما بقيت نسبة التقييم الإيجابي للسياسة التركية تجاه سورية دون تغيير، على حين شهدت جميع هذه النسب انخفاضاً ملموساً في المؤشر العربي 2019/ 2020م.

تركيا كتهديد لأمن واستقرار الوطن العربي والدول العربية:

1 - تركيا كتهديد لاستقرار الدول العربية كل على حدة:

أظهر البارومتر العربي في دورته الرابعة، أن 0.8% فقط يرون أن تركيا هي الأكثر تهديداً لاستقرار بلدانهم، لكن هذه النسبة ارتفعت إلى 1.9% في الدورة الخامسة، أما على مستوى الأقطار، فقد كانت مصر، في كلتا الدورتين، الأعلى في النظر إلى تركيا كمصدر تهديد لاستقرارها.

2 - تركيا كأكبر تهديد لأمن الوطن العربي:

أظهرت نتائج المؤشر العربي في إصداراته المتتالية، أن 1% فقط يعتبرون تركيا الأكثر تهديداً لأمن الوطن العربي.

في المقابل، تراوحت نسبة من يرون، في المؤشر العربي، أن السياسات التركية الراهنة تهدد أمن المنطقة واستقرارها، ما بين 38% في عام 2016م، لتنخفض إلى 34% في عام 2017/ 2018م، ثم لترتفع إلى 35% في عام 2019/ 2020م.■

الدولة الأكثر تهديداً لأمن الوطن العربي - المؤشر العربي 2016، 2018/2017، 2020/2019

سنة الاستطلاع / الدولة الأكثر تهديداً	٢٠١٦	٢٠١٨/٢٠١٧	٢٠٢٠/٢٠١٩
إسرائيل	٪٤١	٪٣٩	٪٣٧
الولايات المتحدة الأمريكية	٪٢٧	٪٢٨	٪٢٩
إيران	٪١٠	٪١٠	٪١٢
دول عربية	٪٥	٪٧	٪٥
روسيا	٪٣	٪٢	٪١
دول أوروبية	٪١	٪١	٪١
تركيا	٪١	٪١	٪١
أخرى	٪١	٪٠	٪١
لا يوجد مصدر تهديد	٪١	٪٤	٪٢
لا أعرف/رفض الإجابة	٪٩	٪٨	٪١١



أفريقيا، قالوا عنها: إنها القارة البكر، أرض المعادن والخيرات، بكر في كل شيء؛ تربتها، خيراتها، كنوزها المخبأة رغم عذابات قرون كثيرة مرت عليها والاستعمار جاثم فوق أرضها.

الاستعمار العجوز، كما يلقبونه، ما زال يتشبث بالحياة، يحاول بسط نفوذه في القارة السمراء، معتقداً أن الزمان هو الزمان، وأنه قادر على اللعب بحرية دون مناوئين، ويبدو أنه لم يدرك أن دورة الزمان قد عملت عملها، وطفت على السطح قوى أخرى تحاول الإطاحة به بكل قوة.

هي اللعبة إذن، فرنسا، إيطاليا، إنجلترا، بلجيكا، إسبانيا، ملوك الاستعمار القديم، وعناوين الإمبراطوريات الكبرى خارج حدودها، لم تعد كما كانت، وأضحت أفريقيا ساحة مفتوحة، يدرك أهلها طبيعة مصالحهم، ويلعبون من أجلها مع الجميع.

فهناك الصين والهند والبرازيل، وحتى الكيان الصهيوني، ثم ظهرت تركيا، صاحبة النفوذ المتنامي، وأحد اللاعبين الأساسيين في الملعب الأفريقي، ظهرت بقوة أمام الاستعمار العجوز، هذا النفوذ المتنامي يدفع إلى العديد من الأسئلة حول النفوذ التركي بأفريقيا وتبعاته وقدرته على تغيير معادلة القوة هناك.

وقد طرحت «المجتمع» هذه التساؤلات وغيرها على محللين إستراتيجيين ومتخصصين في الشأن الأفريقي والتركي، فكان هذا التحقيق.

تحقيق- علا سليمان:

لاقت قبولاً لدى الأفارقة لقيامها على المصالح المشتركة

تركيا في أفريقيا.. إستراتيجية التمدد في مواجهة الاستعمار العجوز

في البداية، يشير د. السيد فليفل، العميد الأسبق لمعهد البحوث والدراسات الأفريقية، إلى أن توسع تركيا يثير قلقاً أوروبياً، ولا سيما من الجانب الفرنسي، إذ تقترب محاولات التمدد التركية نحو مناطق كانت تقع تحت النفوذ الفرنسي؛ لذا هاجم الرئيس الفرنسي «إيمانويل ماكرون» توجُّه الرئيس التركي «رجب طيب أردوغان» ووصفه بالطامع في ثروات أفريقيا، وبرهن على ذلك بما قال: إنه عدم وفاء بالوعود التي قطعها بشأن إنهاء التدخل في الأزمة الليبية، ومع هذا فمن المعروف أن العلاقات الدولية تقوم على التعاون المبني على المنافع المتبادلة والمصالح المشتركة.

وأوضح فليفل أن من حق تركيا وغيرها من الدول أن تضع إستراتيجية لمصالحها بشرط ألا تكون عدائية، مع العلم أن أفريقيا قارة لم تُستغل بشكل صحيح حتى الآن بما فيها مصالح شعوبها؛ لأنها عانت كثيراً من المستعمرين عبر التاريخ.

ولهذا، لا مانع من علاقات قائمة على الحفاظ على ثرواتها باعتبارها غنية بالموارد والثروات الطبيعية التي هيمنت عليها دول استعمارية غربية لقرون طويلة؛ حيث عانى الأفارقة من السياسات الاستعبادية التي طالت العنصر البشري، لهذا تسعى حالياً لتأسيس تعاون مبني على المنافع المتبادلة والمصالح المشتركة، ليربح الجميع، لا طرف واحد فقط، كما كان الأمر في السابق.

ويوضح د. فليفل أن الإستراتيجية التركية تجاه أفريقيا استفادت من تجارب الدول الأخرى التي سبقتها؛ فحاولت التقليل من السلبيات وتعظيم الإيجابيات، وربطت الجوانب السياسية بالاقتصادية والعسكرية والثقافية في إطار العلاقات الإستراتيجية البينية، مع ترتيب الأولويات في التنفيذ.

ويرى فليفل أنه في الوقت الذي تولي فيه تركيا اهتماماً بكل أفريقيا من خلال خلق المنافع والمصالح المشتركة، فإنها تركز على الدول ذات المواقع المميزة والأهمية الإستراتيجية؛ لإنشاء القواعد العسكرية والمشروعات التنموية والتجارية، ولا مانع من إظهار التعاطف مع الدول التي بها مسلمون يعانون، فتعمل على التعاون لتخفيف معاناتهم المعيشية وتوفير التعليم الديني، وكذلك دعم الدول الأفريقية في الأمم المتحدة، وهناك مطالبات تركية متكررة بأن تكون الدول الأفريقية ضمن «مجموعة العشرين السياسية» لعدم وجودها بين الدول الخمس الدائمين في مجلس الأمن.

إستراتيجية نشطة

من جانبه، أكد د. محمد محمود، الباحث بالشؤون الأفريقية، أن الإستراتيجية التركية تجاه القارة الأفريقية بدأت عام 1998م، ونشطت بقوة مع وصول حزب العدالة والتنمية للسلطة عام 2002م، حيث وضع إستراتيجية متكاملة لدعم الروابط الدبلوماسية والاقتصادية والثقافية التركية مع الدول الأفريقية التي تشكل عمقاً إستراتيجياً قوياً



في القارة، التي تضم ما يقارب 54 دولة يزيد عدد سكانها على مليار نسمة.

ويرى محمود أن البعض يربط اهتمام تركيا بالقارة الأفريقية بتراجع آمالها بالالتحاق بالسوق الأوروبية، بعد محاولات متعددة لسنوات طويلة، ولهذا قررت تركيا البحث لنفسها عن تجمعات جديدة تكون لها القيادة فيها، ووجدت ضالتها المفقودة في القارة الأفريقية، وخاصة من الناحية الاقتصادية، حيث تتيح فرصة فتح أسواق جديدة لشركاتها المصدرة؛ مما يسهم في إنعاش الاقتصاد التركي، ولا شك أن من امتلك النفوذ الاقتصادي في منطقة أو قارة فقد دعم وجوده العسكري والسياسي والثقافي والإستراتيجي فيها.

وأوضح أن النفوذ التركي في القارة السمراء بدأ بقوة حيث أصبحت تركيا منافساً قوياً للقوى الحديثة المسيطرة على أفريقيا، وهي: الصين والهند والبرازيل و«إسرائيل»، فضلاً عن استمرار النفوذ الاستعماري الأوروبي السابق، وخاصة فرنسا وبعض الدول الغربية الأخرى، التي لها إرث استعماري بالقارة السمراء، وتزيد استثماراتها على 100 مليار دولار.

ويشير محمود إلى أن المراقب للمؤشرات الاقتصادية والسياسية والعسكرية يجدها تؤكد صعود تركيا بشكل مطرد على الخريطة الجيوستراتيجية بالقارة؛ مما أدى إلى إزعاج شديد لفرنسا التي ما زالت متطلعة إلى استعادة أطماع وممتلكات الماضي الاستعماري.

د. السيد فليفل:

الإستراتيجية التركية تجاه أفريقيا استفادت من تجارب الآخرين فقلَّلت السلبيات وعظَّمت الإيجابيات

ركزت على الدول ذات المواقع المميزة والأهمية الإستراتيجية لإنشاء القواعد العسكرية والمشروعات التنموية

ويرى الباحث في الشؤون الأفريقية أن الإستراتيجية التركية بالقارة تعتمد بشكل أساسي على 4 أدوات رئيسة، هي: الاقتصاد، وتزايد التمثيل الدبلوماسي بشكل مباشر أو غير مباشر، حيث وصل التمثيل الدبلوماسي إلى أكثر من 40 دولة، وكذلك تزايد القوة الناعمة التي تعتمد على التعاون الثقافي والإنساني والإغاثي والديني، كما تربط الخطوط الجوية التركية رحلاتها إلى أكثر من 60 مدينة أفريقية؛ مما يسهم في دعم النشاط الاقتصادي بشقيه التجاري والسياحي، وأخيراً الحضور العسكري المباشر من خلال القواعد العسكرية.

وأشار محمود إلى أن الطموح التركي يستهدف تزايد المبادلات التجارية مع الأفارقة إلى أكثر من 50 مليار دولار بحلول عام 2023م، وقد بدأت مؤشرات مع الدول الأفريقية الكبرى في التحقق، فمثلاً مع نيجيريا تقارب 3 مليارات دولار، وتضاعف مع السنغال 3 مرات خلال سنوات قليلة.

ويؤكد أن الحال نفسها بالنسبة للدول العربية الأفريقية، فمثلاً رغم الخلافات السياسية مع مصر، فإن هناك تعاوناً اقتصادياً لمصلحة البلدين، وكذلك نجد تعاوناً متنامياً مع الجزائر وليبيا والمغرب، وكذلك السودان الذي به قاعدة عسكرية، كما قام الرئيس «أردوغان» ومسؤولوه بزيارة أكثر من 30 دولة أفريقية، مما جعله الرئيس الأكثر تواصلاً مباشراً بالقارة السمراء.

ولم تنسَ الإستراتيجية التركية أهمية التعليم؛ حيث تقدم الجامعات التركية سنوياً عشرات آلاف المنح الدراسية للطلبة الأفارقة، كما قامت مؤسسة «وقف المعارف التركية» بإنشاء شبكة مدارس قوية ومتميزة في مختلف دول القارة، ويكفي أن نعرف أن القارة الأفريقية هي الأكثر استقبالاً من المدارس التركية، حيث يصل أعدادها إلى 23 مدرسة من أصل 43 على مستوى العالم، مما يؤدي لتكوين قيادات أفريقية متميزة، وقادرة عملياً على التقارب السياسي والاقتصادي والثقافي بين تركيا والقارة الأفريقية.

اختلاف الآراء

ويشير د. ناصر عيسى، الباحث في الشؤون الأفريقية بمعهد الدراسات الأفريقية، إلى أن الآراء اختلفت حول الدوافع التركية من التوجه الأفريقي؛ حيث يرى المؤيدون لها أنها أقرب إلى «قوّة خيّرة» تتبنى مبادرات إنسانية ودعم الوجود الإسلامي السُّني، في حين يرى المعارضون أن خطوات الرئيس «أردوغان» تعكس إعادة إحياء «عثمانية جديدة» من خلال دبلوماسية دفع المال للدول الفقيرة التي تعاني من المجاعات، مثل الصومال الذي مزقته الحرب، حيث تقدم مساعدات وتطلق مشاريع تنموية وتعليمية.

ويعلق عيسى قائلاً: وأياً ما كان الرأي والتفسير، فإن الإستراتيجية التركية نجحت في تقوية نفسها دبلوماسياً، حيث قامت بافتتاح السفارات والقنصليات الأفريقية بأنقرة وإسطنبول، ليصل عدد هذه البعثات

الأفريقية إلى 35 تمثيلية دبلوماسية، وفي عام 2008م استضافت تركيا أول قمة تركية – أفريقية حضرها ممثلون عن 50 دولة أفريقية، ليتم انطلاق عجلة التعاون المشترك في مختلف المجالات، وفي عام 2010م استضافت تركيا مؤتمراً للمصالحة الصومالية ودعم السلام فيها، وأعقب ذلك فتح سفارات في كثير من الدول لدفع عجلة التنمية فيها واستثمار مواردها الطبيعية وتحقيق مصالح مشتركة، تعزز مواقفها السياسية على الساحة الدولية وخاصة في ظل الانقسام العالمي حول سياساتها.

ويوضح عيسى أن القادة الأتراك يحاولون تقديم أنفسهم للقادة الأفارقة على أنهم وسيلتهم للتخلص من الهيمنة الغربية، سواء الأوروبية التي لها جذور استعمارية، أو الأمريكية التي تمثل قائداً للهيمنة الغربية الحديثة بعد التخلص من الاستعمار الأوروبي المقيت الذي استغل خيرات أفريقيا، واستبدال علاقات صداقة وتعاون حقيقي بها، قائمة على تحقيق المصالح المشتركة للجميع، حيث نفذت الشركات التركية خلال الأعوام الخمسة الأخيرة أكثر من 1150 مشروعاً، قيمتها أكثر من 65 مليار دولار، بل تضاعف التعاون التجاري التركي الأفريقي أكثر من 6 مرات، ويحاول الرئيس «أردوغان» تغليف الإستراتيجية التركية باللمحة الإنسانية، حيث جعل نفسه مدافعاً عن المستضعفين في العالم الإسلامي، ولا ينبغي الفصل بين أهمية الاستثمارات التركية ومخططاتها السياسية والعسكرية في القارة السمراء.

ونبه عيسى إلى انتقال المعركة بين فرنسا وتركيا من شرق المتوسط إلى منطقتَي الساحل والصحراء، التي هي من الملاعب التقليدية للسياسة الفرنسية منذ أيام الاستعمار، رغم أنها مناطق فقيرة، وأبرز مثال على ذلك زيارة وزير الخارجية التركي «مولود جاويش أوغلو» إلى النيجر التي تعد من أفقر دول العالم، وتوقيع اتفاقيات التعاون العسكري والأمني والاقتصادي، حيث تجيد الإستراتيجية التركية الاستثمار في مناطق الأزمات، ولعل هذا ما نلاحظه في ليبيا، والنيجر، وتشاد، ومالي، وبوركينا فاسو، وموريتانيا؛ حيث المعاناة المزدوجة من الفقر وانتشار الجماعات الإرهابية والصراعات الداخلية بين المتعصبين القبليين والعرقيين والإثنيين.

د. محمد محمود:

انزعاج فرنسي بسبب صعود تركيا بشكل مطرد على خريطة الجيوستراتيجي بالقارة

التمثيل الدبلوماسي أحد أهم مرتكزات الإستراتيجية التركية بأفريقيا حيث وصل إلى أكثر من 40 دولة

الطموح التركي يستهدف تزايد المبادلات التجارية مع الأفارقة إلى أكثر من 50 مليار دولار بحلول عام 2023م

ويرى عيسى أنه يجب ألا ننسى أن في القلب من الإستراتيجية التركية محاولتها محاصرة المدارس الإسلامية المؤمنة بفكر الداعية التركي المعارض «فتح الله كولن»، وقد نجحت في إعادة البرامج التعليمية لها في العديد من الدول الأفريقية، خاصة أن مدارس «وقف المعارف» التركي تعد الذراع التعليمية الخارجية، حيث يوجد 333 مدرسة في 43 دولة، منها 23 في القارة الأفريقية.

ويؤكد عيسى أن الإستراتيجية التركية لم تهمل التعاون الاقتصادي مع الدول الكبرى بالشرق الأفريقي مثل كينيا وإثيوبيا، باعتبارهما من بين أكبر اقتصاديات شرق القارة الأفريقية، حيث يؤدي المستثمرون الأتراك دوراً مهماً لمساعدتهما ووضعهما في قائمة الدول ذات الأولوية لدى الحكومة التركية، وأعلنت القيادة التركية في «منتدى الاقتصاد والأعمال التركي الأفريقي، الذي عقد مؤخراً، بأن الاستثمارات التركية في قارة أفريقيا وفرت أكثر من 100 ألف فرصة عمل، وقيمة المشاريع التركية المنجزة فيها بلغت نحو 70 مليار دولار، ولم يتخل المستثمرون الأتراك عن مشروعاتهم خلال فترة انتشار وباء «كورونا» الذي أدى إلى فرار الكثير من الشركات الأجنبية؛ بل عملت تركيا على تدعيم التعاون التجاري مع الدول الأفريقية؛ فقامت بتوقيع اتفاقيات تجنب الازدواج الضريبي مع 13 دولة أفريقية، وكذلك توقيع اتفاقية التجارة الحرة مع 5 دول أخرى؛ ما أدى إلى ارتفاع التبادل التجاري إلى 27 مليار دولار، منها صادرات تركية أكثر من 17 مليار دولار، ومستهدف وصوله خلال السنوات المقبلة إلى 50 مليار دولار.

وينهي د. عيسى كلامه مؤكداً أن تركيا استفادت من النموذج الصيني في التعاون الاقتصادي والسياسي والعسكري مع القارة الأفريقية، بجعلها سوقاً لتصريف منتجاتها وتوريد الخامات الأفريقية الزراعية والمعدنية والطبيعية إليها، وكذلك نجاحها في فصل خلافاتها السياسية مع مصر عن المصالح الاقتصادية.

ويرى عيسى أن هذا النموذج من ازدواجية العلاقات يعد أمراً طيباً، حيث لم يتوقف التعاون الاقتصادي بين البلدين عند حدود التبادل التجاري، فقد قدرت وزارة التجارة والصناعة المصرية حجم الاستثمارات التركية في مصر بنحو 5 مليارات دولار، وتقدر أعداد مصانعها بحوالي 418 منشأة صناعية، يعمل بها 52 ألف عامل مصري، وهو ما يشير لرغبة متبادلة من الطرفين على إبقاء المصالح الاقتصادية بعيدة عن أي توتر سياسي، وإعلاء مصالح الشعبين الاقتصادية، وهو نموذج يجب الإشادة به والتشجيع على أهمية استمراره وتحديه لأي صعوبات متوقعة.

دولة محورية

من جانبه، يشير الباحث محمد سليمان الزواوي، المشرف على موقع قراءات أفريقية باللغة الإنجليزية، إلى أن القارة السمراء لا تزال حتى الآن قارة بكراً بالرغم من سنوات الاستعمار الطويلة، من حيث المصادر الطبيعية والمعادن ومصادر المياه والأرض القابلة للزراعة، كما أن منطقة جنوب الصحراء لا تزال تتكون من دول فقيرة ومهمّشة استغلتها القوى الإمبراطورية في السابق، وتطحنها

الرأسمالية الطاغية والديون والاتفاقات الدولية حالياً، وهذا ما أعطى الفرصة للسياسة الخارجية التركية لممارسة قوتها الناعمة وكسب أصواتها في المنظمات الدولية، وعقد اتفاقيات لتسويق البضائع التركية مع محاولة استثمار العلاقات التاريخية ببعضها؛ حيث كانت مصر وليبيا وتونس والجزائر وإريتريا والصومال والسودان تابعة لها في الفترة ما بين عامي 1536 و1912م.

ويشير الزواوي إلى أن السياسة الخارجية التركية تنظر إلى العالم بوصفه دولة مركزية ومحورية فيه، خاصة المناطق الغنية بالمصالح والثروات مثل قارة أفريقيا، فمثلاً في عام 1998م أصدرت تركيا وثيقة عن توجهها الجديد تجاه ما أطلقت عليها اسم «السياسة الأفريقية» التي تهدف لتدعيم الروابط الدبلوماسية والاقتصادية والثقافية معها في ظل سياسة أطلقت عليها «تصفير المشكلات»، لتستطيع تركيا أن تتمدد في جوارها القريب أو البعيد، وتعقد اتفاقيات شراكة في كل المجالات حيث ترى نفسها دولة ذات اهتمامات «أفروأوراسيا»

وقد كشفت تقارير تركية عن الحضور العسكري المباشر أو غير المباشر باعتباره جزءاً أساسياً من الإستراتيجية التركية بأفريقيا، حيث لها قواعد وجنود في ليبيا والصومال والسودان وجيبوتي والنيجر، فقد زاد التواجد العسكري التركي ابتداء من الشمال الأفريقي حيث ارتبط الحرص على استغلال الغاز والموارد الطبيعية بالمتوسط، وصار أكثر تعقيداً وحساسية بعد توقيع تركيا لمعاهدة التعاون الأمني وترسيم المناطق البحرية مع حكومة الوفاق الليبية، إضافة إلى قاعدتي الوطية ومصراتة في ليبيا هذا العام، بموجب هذا الاتفاق أصبح الوجود العسكري التركي على الأراضي الليبية جزءاً من المعادلة العسكرية، حيث أرسلت تركيا عدداً من قواتها يقدر بـ3 آلاف جندي، مسلحين بعتاد عسكري مصنوع في تركيا ومتقدم تكنولوجياً.



وفي عام 2017م، قام الرئيس «أردوغان» بزيارة جزيرة «سواكن» السودانية التي لها تاريخ قديم حيث كانت نقطة انطلاق المسلمين الأفارقة إلى مكة لأداء الحج والعمرة، واستمرت مركزاً تجارياً عثمانياً لفترة ثم توقف نشاطها كميناء منذ فترة طويلة، وتم توقيع اتفاق لمدة 99 عاماً لإعادة تأهيل الميناء عسكرياً وتجارياً، واستئناف الرحلات منه إلى بلاد الحرمين الشريفين بتكاليف 650 مليون دولار، كما تم الاتفاق على دعم التعاون العسكري، إلا أن هذا الاتفاق على المحك حالياً بعد خلع الرئيس السوداني عمر البشير وسقوط نظامه؛ ولهذا فإن البعض اعتبر سقوط البشير ضربة إستراتيجية للنفوذ التركي في السودان.

د. ناصر عيسى:

القادة الأتراك يقدمون أنفسهم للقادة الأفارقة على أنهم وسيلتهم للتخلص من الهيمنة الغربية

الشركات التركية نفذت خلال الأعوام الخمسة الأخيرة بأفريقيا أكثر من 1150 مشروعاً بنحو 65 مليار دولار

كذلك هناك القاعدة العسكرية في الصومال التي أنشأتها في عام 2016م، وهي ثالث المحطات العسكرية، حيث افتُتحت قاعدة «تركسوم» رسمياً بتكلفة بلغت 50 مليون دولار تقريباً، على مساحة بلغت 400 هكتار، بقوام 1500 جندي تركي كدفعة أولى، بموجب اتفاقية عسكرية بهدف إعادة تأهيل وتدريب الجيش الصومالي، بدأت بـ10 آلاف جندي صومالي. كما أنها القاعدة الكبرى لتركيا في الخارج، وهي قادرة على استقبال قِطع بحرية وطائرات عسكرية وقوات «كوماندوز»، وقد أُلحقت بالقاعدة 3 مدارس عسكرية يشرف عليها 200 ضابط تركي تولوا عمليات التدريب.

ولم ينتهِ عام 2017م إلا وكانت تركيا قد توصلت لاتفاق على إنشاء قاعدة عسكرية في جيبوتي، حيث جرى الاتفاق بين البلدين عليها بالإضافة لعدة اتفاقيات اقتصادية، حيث تنظر تركيا إلى جيبوتي باعتبارها مركزاً أفريقياً مهماً للتجارة التركية، فموقعها الإستراتيجي على البحر الأحمر دفع الرئيس التركي «أردوغان» إلى زيارتها أكثر من مرة، وقام بإنشاء منطقة اقتصادية فيها عام 2014م، على مساحة 5 ملايين متر مربع.

ورابع المحطات العسكرية التركية في غرب أفريقيا بجمهورية النيجر؛ حيث وقَّعت اتفاقاً معها لإنشاء قاعدة عسكرية برية وجوية تهدف لتدريب جيش النيجر وتزويده بالسلاح، فضلاً عن اشتمال الاتفاقية على بنود حول تطوير قطاعات النقل والبناء والطاقة والتعدين والزراعة وغيرها.

ويبقى السؤال: هل ستحمل الأيام القادمة تبعات على تركيا جراء هذا النفوذ المتنامي، أم أن حزب العدالة والتنمية أعد عدته لكل المواجهات؟ هذا ما ستكشف عنه الأحداث لاحقاً.■

السينما التركية الجديدة..
قراءة في ضوء إستراتيجيات القوة الناعمة

د. مصطفى عطية جمعة
أكاديمي وناقد وخبير تربوي



بات مفهوم النهضة في العصر الحديث شاملاً للثقافة والفنون، فلا معنى لأي تقدُّم دون رعاية الإبداع الوطني ليكون معبراً عن هوية المجتمع الصاعد وثقافته؛ ولتحمل الفنون وازدهار الآداب رسالة الشعب إلى العالم بقيمها وأخلاقها ورؤاها.

يعد مصطلح «القوة الناعمة» (Soft Power)، الذي عمّقه منظّر السياسة والعلاقات الدولية «جوزيف ناي» في العديد من كتبه، أحد مكونات القوة في الدولة، فقوة الدولة ليست القوة العسكرية والاقتصادية فقط، وإنما تتسع لتشمل مختلف القدرات العلمية والإبداعية والفنية المعبرة عن خصوصية المجتمع، التي هي قوة مضافة تتخطى حدود الدول لتؤثر في ثقافات الشعوب الأخرى.

القضية ليست في كثرة الإنتاج الفني ولا ضخامة التمويل وإنما في نوعية القيم والثقافة التي ستحملها هذه الفنون

التجربة التركية أصبحت مصدر إلهام للشعوب الإسلامية للنهضة مع استلهام العدالة والتنمية المرجعية الإسلامية

ويحدد «ناي» المصطلح أكثر بأن القوة الناعمة في معناها الأساسي تعني تحقيق هدف ما دون إكراه أو تكلفة مادية، بل يشير إلى أن هناك قطاعات تتطلب القوة الناعمة مثل قطاع السياحة، الذي يحتاج إلى سردية جذابة تُرَوَّج بواسطة أعمال سينمائية وتلفازية، وهي مهمة لن تقوم بها بأي حال القوة الصلبة (العسكرية والاقتصادية).

فالقضية ليست في كثرة الإنتاج، ولا ضخامة التمويل، وإنما في نوعية القيم والثقافة التي ستحملها هذه الفنون إلى شعوب العالم، فلا بد أن تكون قيماً سامية، وأخلاقاً راقية، تعبر عن ثقافة المجتمع وهويته، وتكون نابعة من نظام سياسي له مصداقية في خطابه، وشرعية سياسية مستمدة من إرادة الشعب، وليست سلطة جبرية أو قسرية.

وهو ما يؤكده علي حسين باكير عن القوة الناعمة التركية في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، وقد نتجت عن إصلاحات سياسية واقتصادية وحقوقية في بنية السلطة ومنظومتها؛ ضمن سعي تركيا للانضمام إلى الاتحاد الأوروبي، وقد تلكّأ الأخير –ولا يزال– في قبول تركيا عضواً به؛ مما دفع قادة حزب العدالة والتنمية إلى تبني إستراتيجية الانطلاق إلى المحيط الجغرافي شرقاً وجنوباً؛ ففي الشرق تحركت القوة الناعمة التركية نحو شعوب الأوروآسيوية القاطنة شمال ووسط وغرب أوراسيا، المتحدثة بلغات تنتمي لعائلة اللغات التركية، ومنها الآذريون والقرغيز والكازاخ والتتار والقرقيز والتركمان والأويجور والأوزبك، وكذلك السلاجقة والخزر والمماليك.

وفي الجنوب، نشطت السياسة نحو الأقطار العربية السُّنية، التي كانت تابعة للدولة العثمانية سابقاً، واستغلت تركيا في ذلك موقعها الجيوستراتيجي، بوصفها جسراً رابطاً بين الحضارات والأديان والقوميات والمصالح الاقتصادية بين آسيا وأوروبا، وفق إستراتيجية واضحة المعالم والأهداف، وبأطر سياسية واقعية، لتضع أسساً للتعاون الإقليمي، ورافق كل هذا قفزات اقتصادية وعسكرية هائلة، لتصبح التجربة التركية مصدر إلهام للنهضة للشعوب العربية والإسلامية قاطبة (تركيا في ظل التحولات الجيوبوليتيكية في الشرق الأوسط: أفول القوة الناعمة وصعود القوة الصلبة، علي حسين باكير)، خاصة أن الفكر الإسلامي هو المرجعية الفكرية والقيمية في تنظيرات حزب العدالة والتنمية.

وكان الملمح الأهم لها هو التصالح مع

الماضي العظيم المتمثل في تاريخ الدولة العثمانية، وبطولاتها وفتوحاتها، وامتدادها في ثلاث قارات، ممتزجاً بالاعتزاز بالهوية القومية التركية بدلالته الإيجابية (الشيخ الرئيس مؤذن إسطنبول ومحطم الصنم التركي، شريف تغيان)، بعيداً عن المفهوم العلماني العنصري الأتاتوركي في نظرته للقومية وفق المنظور الغربي، الذي يجعلها عنصرية ذميمة وتكبراً مقيتاً، في سعيه لعلمنة تركيا وتغريبها، وتغييب ماضيها الإسلامي العريق.

العصر الذهبي

جاء صعود السينما التركية الجديدة في العقد الأول من الألفية الثالثة متواكباً مع تركيا الصاعدة، لتعيش السينما التركية عصرها الذهبي، من خلال إنتاج مئات الأفلام سنوياً، خاصة أنها لاقت دعماً غير محدود من أجهزة الثقافة الرسمية، عبر بناء قاعات السينما وشركات الإنتاج والكوادر الفنية، كما تواصل عرض الأفلام في قنوات التلفزيون المحلية التي بلغ تعدادها 281 قناة، تشمل 265 قناة خاصة، و16 قناة حكومية، بما يؤكد قدرتها على إشباع الذائقة الشعبية والنخبوية للشعب التركي، مع تمتع هذه القنوات بقدر كاف من التمويل الحكومي لتعزيز القوّة والنفوذ الجيوسياسي لتركيا، وتنفيذ برامج القوة الناعمة ممثلة في منح جوائز ومساعدات مالية سخية لدعم المنتجين والمخرجين، لإيجاد منتجات درامية وإعلامية داعمة لصورة تركيا كقوّة اقتصادية ووجهة سياحية لدى المتلقي الأجنبي (الدراما التاريخية التركية: تحليل مضامين ومرتكزات القوة الناعمة، سهام الدريسي).

وواكب ذلك انتعاش قطاع الإعلان، وتنوّع موضوعات الأفلام، وجودة الصناعة، خاصة بعدما حُلَّت المشكلات الفكرية المتعلقة بهوية الدولة الإسلامية وقيمها، بما لا يتعارض مع مبادئ العلمانية الحديثة في صورتها الإيجابية، في دعم الحريات وحقوق الإنسان، حيث خضعت السينما التركية منذ نشأتها في أوائل القرن العشرين إلى الرؤية العلمانية المعادية لروح الإسلام والتاريخ العثماني وهوية الشعب.

ولذا، اهتمت المسلسلات التركية المدعومة من الدولة بتقديم صورة رائعة للتاريخ العثماني، مثل مسلسل «قيامة أرطغرل» (2014م) في أجزائه العديدة المعبّر

المسلسلات التركية المدعومة من الدولة اهتمت بتقديم صورة رائعة للتاريخ العثماني كـ«أرطغرل» و«السلطان عبدالحميد»

النزعة العلمانية بعهد «أتاتورك» منعت وجود سينما قومية حقيقية تستند إلى هوية الشعب وخصوصيته الثقافية

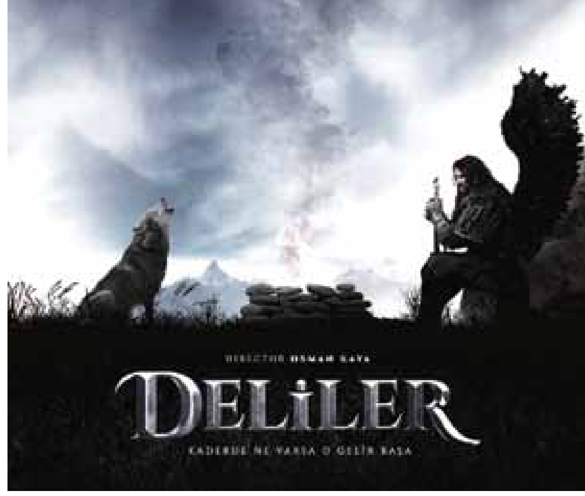
عن مراحل تأسيس الدولة العثمانية على أسس الإسلام والتمدد ونشر الإسلام غرباً في أراضي الدولة البيزنطية وأوروبا، وكذلك مسلسل «السلطان عبدالحميد (2015م)، الذي أبانَ روح الوحدة الإسلامية بشكل ملحمي، ورسّخ قيمة الجهاد للدفاع عن أراضي الأمة ومقدساتها، والسبل القويمة في إدارة الشأن العام بالحق والعدل، من خلال استعراض مسيرة شخصيات قيادية فذة في التاريخ العثماني.

والمفارقة أن هذا الإنتاج الدرامي الضخم عاد بأرباح هائلة على الدولة التركية قُدِّرت بـ350 مليون دولار عام 2015م، متوازياً مع أرباح السينما التركية المتدفقة، وليمثّل قطاعا التلفاز والسينما مجالين للاستثمار المربح، وباتت تركيا الدولة الثانية عالمياً في تصدير المسلسلات؛ وذلك عائد إلى إدارة هذين القطاعين برؤية اقتصادية واعية، جمعت ما بين الحفاظ على الهوية وترويج قيم الدولة وسياساتها، مع نشر صورة رائعة عن تركيا الحضارة والنهضة والسياحة، وأيضاً قدمت محتوى فنياً راقياً، بعيداً عن الإسفاف والابتذال وترويج أنماط الحياة الغربية.

وكانت تلك مشكلة السينما التركية في الحقبة العلمانية، التي أسسها «كمال أتاتورك» بحزب علماني واحد، حيثساير الإنتاج السينمائي -كما يذكر «يوسف كابلان»- الأيديولوجية الرسمية للدولة التي أجبرت الكتّاب والمثقفين على إيجاد مجتمع متخيل يعكس الأبنية الاجتماعية والثقافية والسياسية للمجتمع الغربي، ومنعت هذه النزعة وجود سينما قومية حقيقية، تستند إلى هوية الشعب وخصوصيته الثقافية، مما أعاق تطور السينما التركية، في ظل قانون رقابة مشدد، مستوحى من النموذج الفاشي الإيطالي، مما كان له الأثر المقيد والمدمر على السينما التركية (السينما التركية، يوسف كابلان).

وقد تبدل الوضع في حقبة رئيس الوزراء «عدنان مندريس» (1950 – 1960م)، مع نشوء التعددية الحزبية، وارتفاع سقف الحريات، فتضاعف الإنتاج السينمائي من 100 فيلم عام 1957م، إلى 150 فيلماً، ثم 200 فيلم؛ ليكون برهاناً على أن انتعاش الفنون، ونهضة الإبداع، وتميّز المبدعين مرتبط باتساع منظومة الحريات، ودعم الديمقراطية،





خاصة أن «مندريس» سعى لإعادة الهوية الإسلامية.

إلا أن السينما التركية عانت من الإسفاف والتسطح والابتذال الأخلاقي، بعد الانقلاب العسكري في عام 1960م، حيث شهد المجتمع صراعات ثقافية وفكرية، والإمعان في التغريب والاستبداد، وانتشار الإحباط واليأس، مما أفضى إلى حرب أهلية استمرت حتى أواخر السبعينيات، شهدت السينما فيها انتكاسة غير مسبوقة.

السلطان الفاتح

نقول ذلك، ونحن نتطلع الآن إلى السينما التركية الجديدة، التي رسّخت هوية ثقافية مميزة لها بين الشرق والغرب، وأوجدت مكانة راقية في السينما العالمية، بجانب التميز الهائل في تقنيات التصوير والإخراج، وكتابة السيناريو المحكم، وكانت ذروة الإنتاج في الأفلام التاريخية التي جسّدت منجزات الدولة العثمانية في أوج مجدها، مثل فيلم «السلطان الفاتح» (2012م)، من إخراج «فاروق آكصوي»، الذي يؤرخ لفتح السلطان محمد الثاني لمدينة القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية المحصنة المنيعة، ويُعَدُّ هذا الفيلم الأعلى تكلفة في تاريخ السينما التركية، حيث بلغت تكلفته أكثر من 18 مليون دولار.

ونشاهد في الفيلم بسالة محمد الفاتح وذكاءه العسكري، على الرغم من رفض الصدر الأعظم للدولة (رئيس الوزراء) هذه المحاولة؛ خوفاً من نقمة أوروبا المسيحية ضد الدولة، ولكن محمد الفاتح يعلنها جهراً: «إما أن آخذ القسطنطينية وإما أن تأخذني هي»، ومن ثم يعدّ حملته، مستعيناً بالمهندس المجري «أوربان»، الذي يعصي أوامر الإمبراطور البيزنطي ويتعاون مع محمد الفاتح في تصنيع مدافع ضخمة لدك أسوار القسطنطينية، وقد استنجد الإمبراطور الأرثوذكسي المذهب بالبابا وبملوك أوروبا الكاثوليك مما أغضب جمهور الأرثوذكس وجعلهم يقومون بأعمال مضادة لقراره، وقد فضلوا حكم المسلمين المتسامح على التعصب المذهبي الكنسي، وأخيراً انتصر محمد الفاتح، ويأتي الفيلم التاريخي العظيم «ديليلر» (2018) (Dililer م) معبراً عن تسامح العثمانيين مع البلدان الأوروبية المفتوحة في القرن الخامس عشر، حيث تقع أعمال شغب ومظالم وفتنة عظيمة في إحداها، فيرسل محمد الفاتح سبعة من أفضل محاربيه لوأد الفتنة، ومعاقبة المفسدين، معلياً قيمة الإسلام، وتدور في ذلك معارك ملحمية بتصوير وإخراج مذهلين، ليدرك العالم رسالة الإسلام التي تحمي غير المسلمين، وتحترم عقيدتهم، دون إكراه، وليعاد تقديم التاريخ العثماني في أزهى مراحله ومحطاته، بدلاً من التشويه المتعمد، وتصوير الدولة العثمانية على أنها دولة رجعية متخلفة مستبدة.

الفيلم التاريخي «ديليلر» يأتي معبراً عن تسامح العثمانيين مع البلدان الأوروبية المفتوحة بالقرن الخامس عشر

فيلم «آيلا» المأخوذ من قصة حقيقية يمثّل قمة الإبداع السينمائي التركي بوصفه دراما حرب تاريخية

بين الفلسفة والتاريخ

كما ظهرت أفلام فكرية فلسفية، عبرت عن واقع الحياة المحلية في تركيا، ومشاعر الإنسان التركي وأفكاره، وهو ما تجلى في فيلم «البيات الشتوي» (Sleep Winter) (2014م)، وحصل على جائزة السعفة الذهبية في مهرجان كان السينمائي، وهو من إخراج «نوري بيلجي جيلان»، وهو أحد المخرجين الموهوبين المتميزين منذ حقبة التسعينيات، ويصور الفيلم الحياة في فندق قرية جبلية خلال فترة الشتاء، حيث يذهب إليها الممثل المسرحي «آيدن»، الراغب في كتابة كتاب، ومعه زوجته «نيهال»، وشقيقته «نيكيلان»، التي تطلقت مؤخراً، وتعاني من آثار الطلاق، وفي الصقيع الشتوي، تخرج مكنونات الإنسان، ومشاعره المكبوتة، مع اصطدام الشخصيات، ويشتد نقاشهم حول الأمور المتواجدة في المجتمع مثل الفقر، ثم الخير والشر وكيفية تعامل الإنسان مع مواقفهما.

ويمثّل فيلم «آيلا» قمة الإبداع السينمائي التركي بوصفه دراما حرب تاريخية، وقد حصل على جائزة أفضل فيلم أجنبي في جوائز الأوسكار الأمريكية (2017م)، وتدور قصة الفيلم حول الرقيب التركي «سليمان ديلبيرليغ»، الذي شارك مع القوات التركية في الحرب الكورية عام 1950م، حيث عثر في إحدى الغابات على طفلة كورية عمرها أربعة أعوام شبه عارية، تكاد تتجمد من الصقيع، وقد قتل والداها في الحرب، فأخذها إلى معسكره، واعتنى بها، وأسماها «آيلا» (معناه القمر باللغة التركية)، فقد كان وجهها مستديراً ومضيئاً كالقمر، وعلمها اللغة التركية، وباتا كلاهما صديقين، واعتادت البنت على الحياة في المعسكر التركي، وعاملها الجنود كابنة لهم، ثم اضطر سليمان إلى إيداعها أمانة لدى أسرة كورية، بعدما اضطر إلى المغادرة مع قواته التركية.

الفيلم مأخوذ عن قصة حقيقية، وأبطالها أحياء إلى يومنا، وكان «سليمان» قد أخرج صورة لـ«آيلا» في زيارة له إلى القنصلية الكورية في إسطنبول، وروى قصته معها، فهي حية في قلبه، مما دفع السلطات الكورية للبحث عنها، ووصلوا إليها، وعمرها 65 عاماً، وقد أصبحت أماً لولد، وجدّةً لحفيدين وتعمل في مصبغة، وحدثت المفارقة حينما قامت «آيلا» بزيارة والدها المعنوي «سليمان» في مستشفى بإسطنبول، حيث روى الطبيب الخاص بـ«سليمان» الذي كان فاقداً الوعي لإحدى القنوات التركية أن «سليمان» لم يكن ليستجيب لأحد أبداً، إلا أنه استجاب لملامسة «آيلا» له عندما زارته، في مشاعر أبوية جياشة.

وهكذا، تحمل السينما التركية الجديدة قيماً إنسانية رفيعة، عنوانها الرحمة والتسامح والمؤاخاة، التي هي لب الإسلام ديناً وفكراً وقيماً وحضارة.■



أشرف عيد



مسلمو أوغندا.. من أغلبية حاكمة إلى أقلية مُهمَلة

أوغندا، أو «لؤلؤة أفريقيا» كما كانت تعرف، دولة غير ساحلية في شرق أفريقيا، تحدها من الشرق كينيا، ومن الشمال جنوب السودان، ومن الغرب الكونغو، ومن الجنوب رواندا وتنزانيا، وهي من دول حوض النيل، وتشترك مع كينيا وتنزانيا في بحيرة فيكتوريا، ويبلغ عدد سكانها نحو 45 مليون نسمة عام 2020م، وعدد المسلمين بها يقدر بـ14 مليون نسمة بنسبة 30% تقريباً من السكان، واللغة الرسمية هي الإنجليزية والسواحلية ولغات أخرى محلية، وعاصمتها كمبالا.

تشتهر أوغندا بالانقلابات على الحكم منذ أن استقلت عن بريطانيا عام 1962م، فلم يكد يتولى رئيس حكم البلاد حتى يتم الانقلاب عليه.

المسلمون.. بين الماضي والحاضر

كان المسلمون يمثلون أغلبية بأوغندا منذ عهد الملك «سونا»، ثم فترة ابنه «موتيسا الأول» (1862– 1875م) الذي أسلم وعمل على نشر اللغة العربية في أقاليم أوغندا؛ فوصل التعليم الإسلامي أوج قمته في عهده، وأعلن الإسلام ديناً رسمياً للمملكة، وانتشرت الكتاتيب حتى غدا المسلمون أغلبية.

وفي أوائل القرن العشرين بعهد الاحتلال الإنجليزي للبلاد، قامت حملة تنصيرية شرسة ضد المسلمين؛ فتم طمس الهوية الإسلامية، وإجبار المسلمين على تغيير أسمائهم، والالتحاق بمدارس الإرساليات الكنسية، وحظر التعليم الإسلامي، وأسرعت الإرساليات التنصيرية في عملها، وخلت إدارة الدولة من المسلمين تماماً، حتى غدا مسلمو أوغندا اليوم أقلية.

ويتركز معظم مسلمي أوغندا في المدن، بينما يقل عددهم في القرى؛ حيث يمارسون الزراعة والتجارة لكنهم يعانون الفقر.

التعليم الإسلامي وصل أوجُه بعهد الملك «موتيسا الأول» الذي أسلم وأعلن الإسلام ديناً رسمياً وغدا المسلمون أغلبية

وينتشر المسلمون– حالياً– في منطقة بوغويري (Bugweri) الشرقية، التي تعدُّ الآن أكثر مناطق أوغندا إسلاماً (70%)، ويرجع إسلامها إلى إسلام زعيمها القبلي «مينهيا» (Menhya)، ومن أكثر المناطق ذات الحضور الإسلامي أيضاً منطقة أريا (Arua) في الشمال الغربي، وبوساغا (Busaga) في الشرق، وأنكولي (Ankole) في الغرب، وفي العاصمة كمبالا.

التعليم الإسلامي

لا توجد تقارير حديثة ترصد سيرورة التعليم الإسلامي بأوغندا وتطوُّره وتقدم إحصائية دقيقة بمؤسسات التعليم، لكن واقع التعليم هناك يشهد ركوداً واضحاً عمَّا كان عليه في الماضي، فأحدث التقارير ترجع إلى عام 2007م، وهي تشير إلى أن تعداد تلك المدارس 3500 مدرسة ابتدائية، و200 مدرسة ثانوية، بالإضافة إلى 4 معاهد لتدريب المعلمين؛ حيث قام الجيل الأول من المثقفين المسلمين الذين درسوا في مدارس الإرساليات المسيحية بمقاومة المشروع التنصيري؛ فأسسوا جمعية مسلمي أوغندا للتعليم عام 1944م (UMEA)، وهي حجر الزاوية لحركة التعليم الإسلامي بأوغندا الحديثة؛ حيث قامت هذه الجمعية بمهامّ متعددة، مثل تحديث المناهج، ووضع المقررات، والإشراف على المدارس الحديثة، ويضم المجلس الإسلامي الأعلى بأوغندا الذي تأسس عام 1972م قسماً كاملاً لشؤون تعليم العلوم الإسلامية واللغة العربية بشكل واسع.

وأنشئت جامعة إسلامية وحيدة بأوغندا عام 1988م بدعم من منظمة المؤتمر الإسلامي، فرعها الرئيس في «إمبالي»، ولها فروع في العاصمة كمبالا ومدينة «أروى»، وتتحصر مهمتها في تعليم مسلمي الدول الأفريقية الناطقة بالإنجليزية، وتحتل المرتبة السابعة من بين 24 جامعة وطنية بأوغندا.

ولكنَّ هناك كثيراً من التحديات التي تواجه مسلمي أوغندا، مثل:

- تشتُّت المسلمين الجغرافي في أرجاء أوغندا كافة؛ وهو ما يمثل تحدياً كبيراً لهم في الحقل الإداري والتربوي التعليمي والسياسي؛ فالبرلمان لا يوجد به سوى 8 نواب من بين 121 عضواً.
- لا يوجد بأوغندا سوى جامعة إسلامية واحدة مقارنة بـ11 جامعة مسيحية (عام 2010م).
- الإشراف الحكومي على المدارس الإسلامية للحصول على الدعم الحكومي أدى إلى تهميش المواد الإسلامية بها؛ فتم تقليص نطاق التعليم الإسلامي كمادة فقط ضمن المقررات الأخرى؛ وتعيِّن الحكومة لها إدارة ومعلمين غير مسلمين، وتُحوِّل إليها أعداداً من التلاميذ غير المسلمين.
- عجز المسؤولين التربويين عن تخطيط منهج تعليمي جيد بإزاء المقرر الحكومي الذي ينبغي الأخذ به كاملاً.■

المصدران

1 – د. آدم بمبا: التعليم الإسلامي بشرق أفريقيا.. أوغندا نموذجاً، مجلة قراءات أفريقية، 16 سبتمبر 2018م.

2 – إدريس عيد: مسلمو أوغندا يواجهون الفقر والجهل والحصار العقائدي، مجلة البيان، 21 أغسطس 1998م.

محمد العودات

انتخابات الأردن..

الأحزاب تراجعت بعد تحويل القبائل لكيانات سياسية مؤقتة



انتهت، في العاشر من نوفمبر الماضي، الانتخابات البرلمانية الأردنية، حيث انتخب الشعب الأردني الغرفة الأولى للمجلس التشريعي (الذي يتألف من غرفتين؛ مجلس النواب المكون من 130 نائباً منتخباً من الشعب، ومجلس الأعيان المكون من 70 عضواً يعينهم الملك، ويتم اختيارهم من الكفاءات السياسية والمهنية من وزراء ورؤساء وزراء سابقين وقيادات عسكرية متقاعدة وشخصيات تشريعية ورجال أعمال).

جرت الانتخابات البرلمانية الأردنية وفقاً لقانون القائمة النسبية المفتوحة، إذ تم تصميم القانون ليفرز نفس نتائج قانون الصوت الواحد الذي استخدمه النظام الأردني منذ عام 1993 إلى عام 2016م، الذي أدى بالنهاية إلى تجريف الحياة السياسية، وتفريغ مجلس النواب من مضمونه، فتحول من مجلس رقابة وتشريع إلى مجلس خدمات للمناطق المهمشة ومجلس رجال الأعمال وإدارة المصالح.

وضع الأردن في عام 2016م قانون الانتخابات البرلمانية وفقاً لقانون النسبية المفتوحة، إذ لا يمكن الترشح إلا من خلال القائمة، والتصويت يتم للقائمة، ويتم أيضاً الاختيار من داخل القائمة، إلا أن القانون لم يضع عتبة انتخابية؛ فترتب على هذا القانون نتائج قانون الصوت الواحد نفسها؛ فمثلاً دائرة مخصص لها 4 مقاعد يتم أخذ أعلى 4 قوائم في التصويت حتى لو لم تحقق الرقم الصحيح.

البيئة الحزبية تعاني رغم وجود وزارة للتنمية السياسية وقانون ينظم عمل الأحزاب ويدعمها مادياً

حصة الأحزاب بالمجلس الأخير تراجعت 60% مقارنة بالمقاعد المحصلة بانتخابات عام 2016م

يوجد في الأردن أكثر من 50 حزباً مرخصاً ينتظم بها أكثر من 55 ألف شخص بنسبة تقل عن 0.5% من الشعب الأردني؛ حيث تعاني البيئة الحزبية أشد المعاناة، في الوقت الذي توجد فيه وزارة للتنمية السياسية، ويوجد قانون ينظم عمل الأحزاب ويخصص لها الدعم المادي، لكن في الحقيقة ينظر تيار داخل السلطة إلى الأحزاب بعين الريبة، ويتهم الكثير منها بأن لها ولاءات خارجية، وأجندتها ليست وطنية، وإن لم يصرح بذلك علانية، ويتم التعامل مع الأشخاص المنضوين تحت العمل الحزبي كطابور خامس، ويتم استهدافهم بشكل ناعم في أرزاقهم وحياتهم المعيشية دون استخدام السجون أو المطاردات الأمنية أو القضائية لكونه عملاً مشروعاً بنص القانون.

في الانتخابات التي جرت قبل أسابيع، تراجعت حصة الأحزاب في هذا المجلس ليصل 12 نائباً من 4 أحزاب من أصل 47 حزباً شارك في الانتخابات، وبتراجع يصل إلى 60% في المقاعد المحصلة، إذ حصلت الأحزاب على 34 مقعداً في انتخابات عام 2016م، ووصل للقبة 11 حزباً سياسياً.

ويرجع هذا النكوص للأحزاب في الانتخابات النيابية الحالية إلى عدة عوامل، منها:

- تحويل العشائر والقبائل الأردنية من مكونات اجتماعية قبلية تمارس أعمال التضامن الاجتماعي وفقاً لرابطة الدم والأصول، إلى كيانات سياسية مؤقتة تمارس العمل السياسي في المواسم الانتخابية ثم تعود إلى طبيعتها الاجتماعية؛ إذ سمحت السلطات الأردنية بإجراء الانتخابات الداخلية للعشائر لتحقيق توافقات للقبائل قبل الذهاب للصناديق لضمان وصولها للقبة.

- السلوك الدائم للحكومات المتعاقبة في إضعاف الأحزاب والتعامل معها بريبة وتجريفها من محيطها الاجتماعي، من خلال الضغط على البيئة الحاضنة لتلك الأحزاب، واستخدام سياسة العقاب الجماعي للعضو الحزبي؛ إذ يتم حرمانه وأصوله وفروعه وأقاربه حتى الدرجة الثانية والثالثة أحياناً من بعض الحقوق المدنية، خصوصاً الوظائف الحكومية (عسكرية ومدنية)؛ مما يخلق بيئات اجتماعية رافضة للعمل الحزبي وتحاول التبرؤ منه لتُبقي على مكاسبها الريعية.

- افتقار الأحزاب للنظرية السياسية البرامجية، وإغراقها في الأيديولوجيا القديمة المنقسمة بين أيديولوجيا إسلامية، وأيديولوجيا يسارية تحاول أن تستنسخ تجارب عهود الاستبداد العربي اليساري مثل النموذج الصدامي في العراق، والأسدي في سورية، والناصري في مصر، وأحزاب وطنية تحاول أن تقدم نفسها كأحزاب ممثلة للسلطة، بينما الأخيرة لا ترغب في أن يكون لها حزب يمثلها، فهي لا تحتاج لمثل تلك الأحزاب في ظل سيطرتها الكاملة على كل السلطات.

- قناعة تيار الأمنوقراط المسيطر على كثير من مفاصل الدولة بأن المشكلة في الأردن اقتصادية، ويرون أن حل المشكلة الاقتصادية يكون بجذب الاستثمار وتحسين البيئة الجاذبة له وتدفق مزيد من المساعدات الدولية، كما أن هذا التيار يرى أن التداول السلمي للسلطة متحقق في الأردن من خلال تكليف الحكومات من قبل رأس النظام حسب ما تفرضه طبيعة المرحلة السياسية في كل فترة زمنية، إذ يعتبرون تدوير المناصب مناطقياً وعشائرياً تداولاً للسلطة، وهذا ما جاء على لسان وزيرة الإعلام في حكومة د. عمر الرزاز، منكرين وجهة النظر التي ترى أن الأزمة الاقتصادية هي عَرَض لمرض حالة اللاديمقراطية التي يعيشها الأردن، وأن الحل لن يكون اقتصادياً إلا بالحل السياسي، لتخرج الديمقراطية الحقيقية وحكم الشعب لنفسه أفضل ما لدى المجتمع من إمكانات بشرية لإدارة الدولة والمال العام.

القبائل كيانات سياسية

إن تجريف الأحزاب وتهميشها واستخدام القبائل والعشائر الأردنية كأحزاب سياسية موسمية مؤقتة تمارس العمل الانتخابي فقط سيترك آثاراً كارثية على الحياة السياسية، تتمثل في:

- إضعاف اللحمة الوطنية، وتعزيز الروح الجهوية والمناطقية؛ مما يُضعف بنية الدولة وتماسكها في المنعطفات السياسية الحادة.

- تحويل مجلس النواب من مجلس يمارس الرقابة والتشريع وبوابة للتداول السلمي للسلطة وفقاً لنموذج الحكومات البرلمانية، إلى مجلس خدمي يطلب الأعطيات والحقوق لقواعده القبلية من الحكومات المعينة.

- إضعاف النخب وتهميش الكفاءات السياسية، إذ تعتبر الأحزاب بيوت خبرة سياسية كبيرة، وبها خزانات بشرية مقتدرة قادرة على إدارة المراحل الصعبة والأزمة الاقتصادية الكبيرة التي تثقل كاهل الدولة.

- تآكل الكتلة السياسية الحرجة التي يمكن أن تكون وسيطاً بين السلطة والشعب في أوقات الأزمات والانفجارات المجتمعية من اضطرابات وثورات؛ مما يعرض مستقبل البلاد للخطر عند أول منعطف سياسي.

- تفاقم أزمة الدولة الاقتصادية من خلال استمرارها في النظام الريعي لضمان استمرار الحالة السياسية الراهنة، إذ لا يمكن لأي نظام الاستمرار في القدرة على الإنفاق الريعي مهما كانت قوته الاقتصادية؛ فما بالنا بنظام اقتصادي يعاني الكثير، ويمثل الدعم الخارجي 25% من ميزانيته السنوية، والربع الآخر يكون ديوناً داخلية وخارجية!



يجب تعديل قانوني الانتخاب والأحزاب لنحصل على مجلس حزبي يمارس الرقابة والتشريع

أين الحل؟

تصويت الناس للعشائر شيء تفرضه طبائع الأشياء في المناخ السياسي السائد في الأردن، كما لا ينتقص ذلك من وعي الناس وغيرتهم على بلدهم، فلا يمكن لقانون مصمم لإخراج نواب الخدمات أن ينتخب الناس بموجبه نواب أحزاب؛ فالناس تبحث عن أقصر الطرق للحصول على حقوقها في ظل نقص الموارد والتزاحم عليها.

للخروج من حالة اللاديمقراطية التي تضرب الأردن منذ عام 1957م وحل الحكومة البرلمانية الوحيدة إلى وقتنا الحالي نحتاج إلى تعديل قانون الانتخاب وقانون الأحزاب؛ لنحصل على مجلس حزبي يمارس الرقابة والتشريع في المرات القادمة تكون معالم هذا الإصلاح كالتالي:

- تعديل قانون الأحزاب ليكون عدد الأشخاص المؤسسين للحزب لا يقل عن 15 ألف فرد؛ وهو ما سوف يجبر الأحزاب الخمسين على الاندماج في حزبين أو ثلاثة أحزاب فقط، ومن لا يندمج يلزم بزيادة عدد أفراده ليبلغ الرقم المطلوب أو يحل قانوناً.

- تعديل قانون الانتخاب ليكون القانون المختلط (الفردي والقوائم الحزبية المغلقة والقوائم الحزبية المفتوحة)، وتكون معالم هذا القانون:

أ- تخصيص 40 مقعداً للنظام الفردي؛ لإفراز نواب الخدمات، ويخصص العدد لمدن الأطراف الأقل تنمية وخصوصاً مدن الجنوب والمخيمات.

ب- يتم تخصيص 40 مقعداً وفقاً لنظام القائمة الحزبية المغلقة على مستوى الوطن؛ بحيث يكون التصويت للقائمة فقط دون التصويت لأحد داخلها، ويتم إنجاح من داخل القائمة على الترتيب الرقمي من داخلها من كان ترتيبه الرقمي في القائمة 1، 2، 3.. إلخ، مع وجود العتبة الانتخابية 5 - 10%، وهكذا نحصل في البرلمان على شخصيات من قامات حزبية عريقة ذات خبرات سياسية كبيرة.

جـ- تخصيص 40 مقعداً وفقاً لنظام القائمة الحزبية المفتوحة على مستوى المحافظة، بحيث يكون التصويت للقائمة والتصويت داخلها أيضاً كما هو معمول به حالياً، ويتم توزيع المقاعد على المحافظات حسب الكثافة السكانية للمحافظات مع وجود عتبة انتخابية 5 - 10%، وهكذا نحصل على طبقات وعقول حزبية من جميع المحافظات.

بهذا القانون نحقق كل المعايير الدولية لوضع قانون انتخابي عصري، وفقاً لمعيار الجغرافيا، والديمغرافيا، والتنمية، وبذلك نكون قد خرجنا من الأزمة السياسية الأردنية التي يزيد عمرها على 63 عاماً، لتدير النخب القادمة من رحم الصندوق ومن بيوت الأحزاب عملية تفكيك مشكلات الأردن المعقدة المتراكمة على مر العقود الماضية.■



مستشار مفتي صربيا وكبير الأئمة في نوفي بازار أنور عمروفيتش لـ«المجتمع»:

نخشى من زيادة نشاط المنصِّرين وهجرة المسلمين

«رغم أن تاريخ المسلمين في البلقان يمتد إلى القرن العشرين، فإن وجودهم اليوم في صربيا ما زال يعاني الكثير من القلاقل؛ بسبب العنصرية التي خلَّفتها حرب البوسنة والهرسك في نهاية القرن الماضي»، بهذه الكلمات عبر الشيخ أنور عمروفيتش، مستشار مفتي صربيا وكبير الأئمة في نوفي بازار، عن حال المسلمين في صربيا، في الحوار الذي أجرته معه «المجتمع».

لكنه أكد أن لديهم فرصة تاريخية لإرشاد المسلمين في صربيا والدول المجاورة؛ نتيجة الاتجاهات السياسية الحديثة التي تتيح جميع الحريات ما لم تتدخل في الاعتداءات والإرهاب، معرباً عن حاجتهم إلى الدعاة والعلماء الذين يوضِّحون وسطية الدين الإسلامي خاصة في ظل وجود بعض الجماعات المتشددة، التي قد يصل تشددها لتكفير المسلمين، مشيداً بموقف دولة الكويت الداعم لهم في مختلف المجالات.

حوار- سعد النشوان:

• بداية، أطْلعنا على خريطة توزيع المسلمين في صربيا.

- لا توجد إحصائية دقيقة لعدد مسلمي صربيا، لكن تتراوح التقديرات بين 700 إلى 900 ألف نسمة، وتصل نسبتهم إلى ما بين 5 و8% من إجمالي عدد السكان البالغ نحو 8 ملايين نسمة.

وينحدر غالبية المسلمين في صربيا من أصول بوسنية وألبانية؛ نتيجة لضم الأراضي التي يعيشون فيها إلى صربيا قبيل الحرب العالمية الأولى (1914 - 1918م)، وتتواجد الغالبية العظمى منهم في تجمعين كبيرين جنوب صربيا؛ الأول: بإقليم السنجق جنوبي صربيا، الذي تنحدر غالبية سكانه من أصول بوسنية، ويمثل أكبر تجمع للمسلمين في صربيا، وتبلغ نسبتهم 85% من تعداد سكان الإقليم البالغ نحو 500 ألف نسمة، والثاني: في وادي بريشيفا، الذي يضم 3 محافظات بجنوب صربيا، ويعيش فيه نحو 100 ألف ألباني مسلم، بينما يزيد عدد المسلمين في مقاطعة فويفودينا الشمالية عن 8 آلاف نسمة، من أصل نحو 2.3 مليون نسمة، وفقاً لإحصائيات أخيرة.

كما توجد نسبة من المسلمين في أوساط الغجر، إلا أنه يصعب معرفة عددهم أو نسبتهم؛ لأن غالبية هذه العرقية من الفقراء، ولا يدخل أبناؤهم المدارس، كما أن كثيراً منهم يُعدّون رُحَّلًا ولا يعيشون في منازل.

• نريد أن نتعرف على الوضع الاقتصادي الذي يعيشه المسلمون في صربيا.

- كما سبق ذكره، فإن أكبر تجمع للمسلمين هي مناطق سنجق وجنوب صربيا، ولكثرتهم في تلك المناطق كانت السياسات السابقة تمنع من الاستثمار والتطوير في البنية التحتية والاقتصاد العام؛ وهو ما أدى إلى هجرة كثير من المسلمين إلى تركيا وأوروبا الغربية وأمريكا طالبين لقمة العيش والحقوق الإنسانية؛ لذلك تجدون أن أفقر طبقة في المجتمع الصربي هم المسلمون، والبطالة منتشرة جداً، أما المسلمون الذين وجدوا عملاً فمعظمهم يعملون في أصعب الأعمال وبأدنى المرتبات، ولو استمر الوضع الاقتصادي الحالي فإننا نخشى من زيادة نشاط المنصِّرين وفقدان الهوية والانتماء؛ وحتى لو لم يتحولوا إلى النصرانية، فإنهم سيهاجرون إلى البلدان المختلفة؛ وذلك سيجعل بقية المسلمين في ضيق وحرج لقلتهم.

دول البلقان تواجه مشكلات مثل قلة الدعاة مع وجود التنصير والغزو الفكري من المنظمات المختلفة

• المسلمون في صربيا تعرضوا لإيذاء شديد، فكيف تجاوزوا ذلك؟

- لا يخفى عليكم ما تعرض له المسلمون من ظلم واضطهاد على يد القوات الصربية، خلال مرحلة تفكك يوغسلافيا السابقة، لكن الأوضاع الأمنية في السنوات الأخيرة تحسنت، لا سيما بعد قرار الحكومة الصربية الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي الذي من شروطه توفير الأمن العام وإعطاء جميع الحريات.

إذن أوضاع مسلمي صربيا حالياً أفضل في ظل نظام يحاول أن يكون ديمقراطياً،

ويسعى للدخول ضمن الاتحاد الأوروبي، لكن التمييز ضد المسلمين ما زال واضحاً، ولا يتساوى المسلمون مع الآخرين في الحقوق، خاصة مع الدوائر الرسمية.

● ما أهم المشكلات التي تواجه المسلمين عامة في جمهورية صربيا؟

- شهدت منطقة البلقان حروباً دامية أبرزت كيف يمكن أن تنقلب الفوارق بين الطوائف والأعراق إلى عنصرية عنيفة وسياسات قتل عشوائي، ورغم أن تاريخ المسلمين في البلقان يمتد إلى القرن العشرين، فإن وجودهم اليوم في صربيا ما زال يعاني الكثير من القلاقل؛ بسبب العنصرية التي خلفتها حرب البوسنة والهرسك في نهاية القرن الماضي، وبرغم انتهاج قادتهم الدينيين لغة الحوار وتركيزهم في كل المناسبات على عوامل التعايش مع غيرهم، فإنهم ما زالوا يعانون بشدة في الحفاظ على هويتهم وتراثهم.

ومن أهم المشكلات التي تواجه المسلمين عموماً في جمهورية صربيا هي عدم اعتماد حقوق الأقليات، مثل قلة وجود المؤسسات والجهات الثقافية والإرشادية، وعدم توازن الوجود في الأدوار الحكومية، وعدم الإقرار بهوية المسلمين وتقاليدهم من قبل الصرب.

كما تواجه جميع دول البلقان بعض المشكلات مثل قلة الدعاة، بالإضافة إلى التنصير والغزو الفكري من المنظمات المختلفة، وقلة وجود الشركات والمصانع التي تسهم في تحسين مستوى حياة المسلمين.

وبشكل عام، يتعرض مسلمو صربيا لمظاهر متعددة من التمييز ضدهم، ويتَّهمون السلطات الصربية بأنها تمارس ضدهم أساليب تضييق مدنية «سلمية» للحدِّ من نفوذهم داخل المجتمع.

ومن جهتها، تطالب المشيخةُ الإسلاميةُ السلطاتِ الرسميةَ بإعطائهم كافة حقوقهم التي نص عليها القانون الجديد للأديان مساواة بغيرهم من الديانات الأخرى، ومن بين هذه الحقوق استعادة جميع الأوقاف الإسلامية التي صودرت في العهد الشيوعي السابق.

● ما أبرز الأنشطة التي تقوم بها المشيخة الإسلامية لخدمة الإسلام والمسلمين؟

- تعتبر المشيخة الإسلامية في صربيا الجهاز التنفيذي لمجلس الاتحاد الإسلامي، وتعتبر أعلى سلطة للشؤون الدينية والتعليمية، وتقوم بتنظيم شؤون الحج والعمرة وجمع التبرعات وتحصيل أموال الزكاة والإشراف على أوقاف المسلمين في جميع أنحاء البلاد، وإصدار الفتاوى والردّ على استفسارات المسلمين وغيرهم، ورعاية المسلمين الجدد وتوعيتهم بأحكام وهدايات الدين الإسلامي الحنيف، وتعيين أئمة المساجد والدعاة والمؤذنين وأساتذة الجامعات والمدارس الإسلامية، وتشرف المشيخة في الوقت الحاضر على أكثر من 80 وقفاً إسلامياً، و250 مسجداً، وللمشيخة إدارات مهمة تمكّنها من القيام بواجباتها، مثل إدارة التعليم الإسلامي، وإدارة الشؤون الدينية، وإدارة الطبع والنشر، وإدارة الأوقاف، إضافة إلى إدارة الشؤون الاقتصادية، وبذلك يمكن القول: إن مهمة المشيخة في صربيا تماثل مهمة وزارة الشؤون الدينية في بعض بلدان العالم العربي والإسلامي؛ حيث تقوم بكل ما يتعلق بالدعوة والإرشاد.

ونحن لدينا عمل كبير في مجال الإعلام؛ حيث تمكنت المشيخة الإسلامية في صربيا من إدخال المادة الدينية في التعليم، فضلاً عن ذلك نقوم بإلقاء المحاضرات على التلفاز التابع لمنطقة سنجق والإذاعة كذلك، ولدينا العمل على شبكة الإنترنت وغيرها.

من هنا يمكننا القول: إن لدينا فرصة تاريخية لإرشاد المسلمين في جمهورية صربيا وكذلك في الدول المجاورة؛ وذلك نتيجة الاتجاهات السياسية الحديثة التي تتيح جميع الحريات ما لم تتدخل في الاعتداءات والإرهاب؛ فنحن بحاجة إلى الدعاة والعلماء الذين سيوضحون أكثر وسطية الدين الإسلامي؛ لأنه ظهرت لدينا بعض الجماعات المتشددة، التي قد تصل لتكفير المسلمين؛ فواجبنا حفظ المسلمين من تيار الإرهاب، وكذلك حفظهم من التنصير، ونسأل الله أن يعيننا على ذلك بإخواننا من الدول الإسلامية والعربية.

مهمة المشيخة تماثل مهمة وزارات الشؤون الدينية في بعض بلدان العالم العربي والإسلامي

الكويت تتميز بتعاونها معنا ودعمها لنا في تنفيذ المشاريع التعليمية والإنسانية

● هل توجد لديكم مؤسسات دعوية في صربيا؟ وما مدى تأثيرها؟

- لدينا رياض الأطفال، ومدارس إسلامية للذكور والإناث، وعندنا كلية الدراسات الإسلامية، والجامعة العالمية في نوفي بازار، كما لدينا قناة تلفزيونية وإذاعة، ولا شك أن تأثيرها كبير جداً، وقد استطعنا، بفضل الله ثم بفضل هذه المؤسسات، تغيير الأوضاع وتحسينها.

● ما دور دولة الكويت في دعمها لمسلمي صربيا؟

- تتميز دولة الكويت بتعاونها الكبير معنا والوقوف بجانبنا ودعمها لنا في تنفيذ المشاريع التعليمية والإنسانية والوقفية والموسمية، ونحن نشكر الكويت؛ حكومة وشعباً ومؤسسات، على ذلك الدعم.

وقد زرت الكويت أكثر من مرة، واستقبلنا إخواننا في جميع المؤسسات الحكومية والخيرية بكل احترام وسرور، وقدموا لنا من سعة صدورهم ومحبتهم ما لن ننساه أبداً، فإننا نشكرهم جميعاً على وقفتهم معنا في جميع أنشطتنا الدعوية والخيرية، ونرجو أن يزورونا في صربيا أكثر حتى يروا بأعينهم حالة المسلمين والدعوة الإسلامية، وكذلك مشاريعهم التي يدعمونها مادياً ومعنوياً عن طريق المشيخة الإسلامية في صربيا، نسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يوفقهم لما يحب ويرضى، ويجمعنا وإياهم في جنات النعيم.

● ما أهم احتياجات المسلمين في صربيا؟

- المسلمون بحاجة إلى من يقف بجانبهم ويدعمهم ليتمكنوا من الحفاظ على هويتهم الإسلامية وتطوير أنفسهم، فنحن بحاجة إلى شركات ومصانع في منطقتنا ليتمكن الناس من العمل؛ فعلى الدول الإسلامية دعم مسلمي صربيا، والمشيخة لديها كثير من المشاريع الوقفية الخيرية والتعليمية، وهي بحاجة إلى دعم، علماً أن الحكومة الصربية لا تقدم لنا أي دعم.■



لم يهدأ الجدل في فرنسا حول مبدأ حرية التعبير وحدودها منذ أن عمدت صحيفة «شارلي إيبدو» إلى إعادة نشر الرسوم المسيئة إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم بمناسبة محاكمة متورطين في أعمال إرهابية قبل خمس سنوات لها علاقة بنشر نفس الرسوم، علماً بأن إعادة نشرها تسببت في أعمال إرهابية جديدة، والدخول في حلقة مفرغة من الاستفزاز والعنف.

الجديد هذه المرة، تزامُن هذه الأحداث مع مشروع خطة تعدّ لها دوائر صنع القرار في فرنسا تحت مسمى دعم العلمانية وتثبيتها في سياق دعوة الرئيس الفرنسي «إيمانويل ماكرون» إلى محاربة ما وصفه بالانعزالية أو الانفصالية، وخلال ذلك؛ تصاعدت وتيرة الخطاب السياسي والإعلامي في إشارات واضحة إلى المكوّن الإسلامي، الأمر الذي نتج عنه توتر الأجواء داخل فرنسا، وتوتر العلاقات الفرنسية مع العالم الإسلامي.

فرنسا.. عقلاء يصرّحون: لا معنى لحرية تعبير تزرع الكراهية وتستفز المشاعر الدينية

باريس- د. محمد الغمقي:

يعود جوهر المشكل والجدل الدائر حول نشر الرسوم المسيئة للرسول صلى الله عليه وسلم بفرنسا إلى تفاوت المواقف في مسألة حدود حرية التعبير، مع الاتفاق بين كل الأطراف على أن حرية التعبير من حيث المبدأ لا نقاش فيها، وأنها ركن من أركان وقيم الجمهورية الفرنسية كما يُروّج له سياسياً وإعلامياً.

وهنا نتطرق إلى مواقف لعقلاء من أوساط دينية وسياسية ومثقفة، باعتبارها نماذج للجدل بشأن حرية التعبير وتداعياتها.

رئيس أساقفة تولوز: نشر الرسوم الكاريكاتيرية لـ(النبي) محمد خطير ويرقى إلى صب الزيت على النار

نائبة بالبرلمان الأوروبي: العلمانية ليست ذريعة لإثارة كراهية المسلمين في الصباح والظهيرة والمساء

على المستوى الديني:

صرح رئيس أساقفة تولوز الأب «لو غال» (Le Gall): لا يمكن أن نسخر من الأديان دون عواقب وخيمة، وأضاف أن نشر الرسوم الكاريكاتيرية لـ(النبي) محمد خطير، ويرقى إلى صب الزيت على النار، وعبّر عن استنكاره لحرية الاستهزاء بكل الأديان في فرنسا، وقال: إن حرية التعبير لها حدود مثل كل حرية يتمتع بها الإنسان، مدافعاً بدلاً من ذلك عن حرية أن نكون معاً، وأن نتحدث معاً، وأن نكون إخوة معاً.

وفي مقابلة مع صحيفة «نيس ماتين»، يوم السبت 31 أكتوبر الماضي، صرّح أسقف نيس الأب «أندريه مارسو» (André Marceau) بقوله: هناك هويات لا يمكن الاستهزاء بها بسهولة، في إشارة إلى الهوية الدينية، وأضاف: لا، أنا لست شارلي (إشارة إلى صحيفة «شارلي إيبدو» التي نشرت الرسوم المسيئة للرسول صلى الله عليه وسلم)، أنا أندريه مارسو، دعونا نكُن نحن بقناعاتنا، وقال: إن هذه الرسوم ليست مشكلتي، بالطبع إن حرية التعبير مقدسة في فرنسا، لكن لنتحمل مسؤولية ما نعبّر عنه.

وفي تصريح لصحيفة «لوباريزيان»، أوضح الأب «جان لويس جيوردان» (Jean-Louis Giordan)، وهو مسؤول سابق في كاتدرائية نوتردام دي نيس، أنه غاضب من «شارلي إيبدو»، وأولئك الذين يشجعون على نشر رسومهم الكاريكاتيرية ضد الأديان، في هذه الحالة الإسلام ورسوله، وأضاف: أنا لست شارلي، وأنا غاضب من هذه الخطب التي تتستر بالدفاع عن العلمانية وحرية التعبير؛ فتجعل الأديان قذرة، وينتهي بها الأمر إلى إثارة مجانين، لكنه ردّ على من يلجأ إلى العنف للتعبير عن غضبه بقوله: إذا رسمت «شارلي إيبدو» صورة كاريكاتيرية للمسيح (وهو ما حدث بالفعل في عدة مناسبات)، سأكون آسفاً، لكن إذا شعرنا بالصدمة نذهب إلى المحكمة.

على المستوى السياسي:

قالت «مانون أوبري» (Manon Aubry)، النائبة الفرنسية في البرلمان الأوروبي عن حزب «فرنسا المُستعصية» في مقال نشر في الموقع الإخباري الفرنسي «ميديا بارت»: إن العلمانية ليست ذريعة ومبرراً لإثارة كراهية المسلمين في الصباح والظهيرة والمساء، وشددت «أوبري» على ضرورة الرد على وزير الداخلية الفرنسي «جيرالد دارمانان» الذي قال: إن بيع المنتجات الحلال يسبب التطرف، وكذلك على وزير التعليم «جان ميشيل بلانكار» الذي يرى أن الجامعات هي المكان الذي يوجد فيه أساتذة «إسلاميون».

وذكرت «أوبري» أن فرنسا تشهد حالياً



أحد مهندسي قانون العلمانية المشهور لم يتردد من انتقاد الرسوم الكاريكاتيرية للنبي محمد باستهداف «شارلي إيبدو» ضمنياً

عالم اجتماع: المسلمون بفرنسا يتعرضون لإهانات ممنهجة منذ خمس سنوات رغم أنهم يريدون العيش بسلام

وبشكل غير مسبوق شرعنة للخطابات العنصرية، يعززها السياسيون اليمينيون، وغيرهم من وسائل الإعلام المتحيزة، على حد تعبيرها، وأعربت عن استنكارها لإغلاق الحكومة للجمعيات الإسلامية، من بينها منظمة «بركة سيتي»، وجمعية «التجمع ضد الإسلاموفوبيا بفرنسا» (CCIF)، معتبرة أن ذلك يصب في مصلحة اليمين المتطرف، وأنه بذلك لا يمكن محاربة الإرهاب بمعزل عن الأسس القانونية.

من ناحيته، لم يتردد وزير التربية والتعليم السابق «ليك فاريّ» (Luc Ferry) خلال مقابلة مع إذاعة وقناة «franceinfo» من انتقاد الرسوم الكاريكاتيرية للنبي محمد صلى الله عليه وسلم من خلال استهداف «شارلي إيبدو» ضمنياً، رغم أنه أحد مهندسي قانون العلمانية المشهور عندما كان وزيراً للتربية عام 2004م في عهد الرئيس «شيراك»، الذي يمنع من إبراز الرموز الدينية في المؤسسات العامة ومن أهمها المؤسسات التعليمية.

وقد صرح السياسي والفيلسوف الذي لا يؤمن بالحرية المطلقة بقوله: لسنا ملزمين من أجل تعليم حرية التعبير بإظهار رسوم كاريكاتيرية تصل إلى حدّ الإباحية، علاوة إلى كونها حقيرة وفيها أشكال من الإهانة، وقال: لو كنت مدرساً لوضعت الرسوم التي نشرتها «شارلي إيبدو»، ولكن لكل من عيسى، وموسى، ومحمد (عليهم السلام)، أو لبدأت بتقديم رسوم نشرها الرسام «شارل فيليبون» يستهزئ فيها بآخر ملوك فرنسا «لويس فيليب» (وكانت هذه الرسوم قد تسببت في جدل كبير وأزمة إعلامية وسياسية وصلت إلى حد محاكمة الرسام، وتعبيراً عن استنكاره للحد من حريته في التعبير، قام الرسام يوم محاكمته في 14 نوفمبر 1831م بتصوير الملك في شكل إجّاصة).

على مستوى النخبة المثقفة:

كما ارتفعت أصوات في أوساط المثقفين مستنكرة حرية التعبير غير المسؤولة، ومن بين هؤلاء عالم الاجتماع الفرنسي «رفائيل ليوجياي» (Raphaël Liogier)، أستاذ بمعهد الدراسات السياسية في «إيكس أون بروفانس» جنوب فرنسا.

يقول «ليوجياي»، في تصريح لوكالة «الأناضول» التركية: لا نستطيع أن نرى مدى عدوانية وعنف هذه الرسوم الكاريكاتيرية بالنسبة إلى المسلمين، وأوضح أن الرسوم الكاريكاتيرية بحق النبي محمد تشبه تلك التي رسمتها مجلات اليمين المتطرف أو المجلات الألمانية النازية بحق اليهود في ثلاثينيات القرن الماضي.

وتطرق «ليوجياي» إلى ظاهرة استسلام السياسيين للشعبوية بدلاً من التحلي بروح المسؤولية، إلى حدّ تبني سياسات معادية للإسلام ومؤيدة لليمين المتطرف، وشدّد على أن المسلمين في فرنسا يتعرضون لإهانات ممنهجة منذ 5 سنوات، رغم أنهم يريدون العيش بسلام في البلاد، لكن العلمانية أصبحت أداة للشعبوية منذ عام 2003م وحتى اليوم، وهذا أمر مقلق.

وذكر أن الجهات التي تدافع عن الحريات الدينية في البلاد يتم استهدفها، والمرأة التي ترتدي حجاباً في فرنسا ينظر إليها على أنها إرهابية محتملة، وقد باتت الوسائل الإعلامية تبحث عن المشكلة في المسلمين دون الحديث عن المصدر الأساسي للإرهاب، وتساءل: إذا كنا نعيش في عالم لا حدود فيه لحرية التعبير، فهل لي الحق في إهانة الناس وطلبة العلم؟ إذا كانت حرية التعبير غير محدودة، فإنه يجب أن أكون قادراً على القيام بذلك، لكنني لا أستطيع القيام بذلك اليوم، مشيراً إلى قضايا استثنائية يمنع الخوض فيها وإلا يتعرض صاحبها للمحاكمة.

وأضاف: هذا أمر سياسي بحت، وهو بالفعل يمثل مشكلة، يمكن انتقاد الأيديولوجيات السياسية، وإذا كانت حرية التعبير محدودة، فينبغي أن ينطبق هذا على الجميع، ويبدو أن حدود حرية التعبير لا تنطبق عندما يتعلق الأمر بالمسلمين.

من ناحيته، كتب «جون ميشال بران» (Jean-Michel Brun) على موقع «مسلمون في فرنسا» يقول: لكل حرية حدودها؛ بل لا يمكن أن توجد بدون هذه، وعلى سبيل المثال؛ تضمن حدود أي بلد الحرية للمواطنين من خلال حمايتهم من التهديدات الخارجية، كما أن القانون وقواعده تحمي حرية الأضعف بإلغاء قانون الأقوى، يتم تحديد حدود الحرية من خلال المبدأ المشهور الذي نادراً ما يتم تطبيقه: «تقف حرية البعض حيث تبدأ حرية الآخرين»، إن حدود حرية التعبير هي الاحترام، وبالأخص احترام شخص مختلف عنا.

هذه عينة من مواقف لنخبة من العقلاء في فرنسا من مختلف الأوساط، ارتفعت أصواتهم لتنبيه الرأي العام والمسؤولين إلى مخاطر الانحراف باسم حرية التعبير إلى حرية الاستفزاز خاصة ما يتعلق بالمشاعر الدينية، علاوة على التنبيه إلى عدم الخلط بين حرية الفكر أو التفكير المطلقة، وحرية التعبير المقيَّدة بروح المسؤولية.■

مقال



محمد إلهامي
باحث في التاريخ والحضارة الإسلامية



كيف تتشكل صورة المسلمين في فرنسا؟

في عام 2016م، أصدر المستشرق الفرنسي «فرانسوا بورغا» كتابه «فهم الإسلام السياسي»، وفيه حاول أن يوجز رحلاته في الديار الإسلامية، حيث اكتشف هناك زيف الصورة التي يعتنقها الفرنسيون، واكتشف أيضاً أن هذه الصورة ليست لمجرد ضعف الثقافة أو لأن الفرنسيين لا يعرفون إلا الغرب، بل لأن ثمة شبكة من المؤسسات السياسية والإعلامية والأكاديمية تعمل على ترويجها وفرضها وتثبيتها كصورة وحيدة، ونفس هذه الشبكة هي التي تُرَوِّج تحليلاتها وتفسيراتها وتقدم «الفهم الوحيد الصحيح» لما يحدث في بلاد المسلمين، ليس هذا فحسب، بل إنها تسعى سعيها المحموم لمطاردة أي صوت آخر يحاول أن يقدم صورة أخرى أو تحليلاً آخر لما يجري هناك.

ومن ثَمَّ كان على المتحدث في شأن الشرق أن يلتزم بهذه الرواية الرائجة، فإذا تجرأ وقدَّم رواية أخرى تنصف المسلمين أو تحاول فهمهم، كان عليه أن يدفع الثمن، ومن الجدير بالذكر أن تهمة التعاطف مع الإسلام تساوي «باختصار: الخيانة» (ص20، 22، 23).

خرج الكتاب مزيجاً بين السيرة الذاتية وأدب الرحلات والفكر والتحليل السياسي! ومع أن فهمه لعموم المشاعر الإسلامية كان جيداً، إلا أن فهمه للحركات الإسلامية يعاني قدراً غير قليل من التشوش والضبابية.

يبدأ «بورغا» كتابه باقتباس من رسالة الروائي الفرنسي الشهير «إميل زولا»، يقول: «إنهم يُهَيِّجون فرنسا، يختبئون وراء عاطفتها المباحة، يكممون الأفواه بتكدير القلوب وإفساد العقول، لا أعرف جريمة مدنية أعظم من ذلك»، ثم يشرع في بيان أن التوتر مع العالم الإسلامي يعود إلى المشكلات السياسية، لا الدينية، فالمسلمون يريدون الانعتاق من الاستعمار وقيوده التي لا تزال مستمرة، وهذا ما لا يريد الغربي أن يفهمه لأنه منكفئ على نفسه ولا يرى في العالم غير فرنسا أو الغرب فحسب، وبدلاً من أن ينشط الغربي لفهم هذه الظاهرة الإسلامية، فإنه يستعمل سوء الظن ليفسر به حركة هؤلاء «الأشرار» الآخرين.

يحاول «بورغا» التمييز بين المسلمين والإسلاميين، فالمسلمون كأي أمة يريدون أن يعيشوا كما تمليه عليهم ثقافتهم وشريعتهم، فميلهم إلى الهوية الإسلامية هو فعل طبيعي، ليس فيه بالضرورة رفض مطلق للغرب ولا رغبة في إفناء الشعوب الغربية، ولكنها حركة استقلال وتحرر وانخلاع من الثقافة الاستعمارية التي لا تزال مفروضة عليهم بفعل الهيمنة الغربية، وهذه الحركة موجهة إلى العلمانيين والقوميين أيضاً باعتبارهم ممثلي الثقافة الغربية ونتاجاً لحقبة الاستعمار، هذه الرغبة في الاستقلال والتحرر لا بد لها من الانتماء إلى الإسلام وحضارته وتقاليده وقيمه، لأن أصحابها مسلمون، وهذه الرغبة هي التي تسود العالم الإسلامي، ولا يمكن إدانتها.

وأما الإسلاميون فهم أولئك الذين ترجموا هذه الرغبة إلى عمل وحركة، ومن الطبيعي أنهم سيعملون بقوة تحت الشعارات الإسلامية، وسيتبنون خطاباً إسلامياً، ولكن التنوع الكبير بين هؤلاء الإسلاميين (بدءاً من الغنوشي وحتى البغدادي) في طرق العمل وطبيعة الأفكار، يجب أن يلفت النظر إلى أن الخطاب الإسلامي إنما هو مظلة واسعة للغاية، فمن الخطأ حصر الإسلام في شكل نمطي واحد كما يحدث في الغرب، ولفهم هذا التنوع يجب أن ننظر في الظروف والدوافع التي هيمنت على كل حركة حتى صار كل من الغنوشي، والبغدادي ينتسبان إلى الإسلام ويستعملان الخطاب الإسلامي.

يستخلص «بورغا» من خلال دراسته ورحلاته إلى قناعة مفادها أن رد فعل حركة إسلامية ما «غالباً ما يكون ذا طبيعة انفعالية؛ أي أن باعثه المؤسس يتمثل في عنف ابتدائي» (ص18)، وبعبارة أخرى: أن ظهور التطرف والإرهاب لا يتحمل الإسلاميون وحدهم مسؤوليته، لا سيما إن كانت البداية عملاً عنيفاً جاء من الطرف الغربي كالاحتلال العسكري أو من ممثلي الغرب المحليين كالقمع والاضطهاد! ومن هنا يختلف «بورغا» مع معاصره الفرنسي «جيل كيبيل» (وهو واحد من أشهر الباحثين في الحركات الإسلامية) إلى درجة التناقض، إذ يرى «كيبيل» أن ما في الإسلام من قيم وأفكار إنما هي منتجة للتطرف بطبيعتها، وأنه حيثما وُجِد الإسلام فسيوجد التطرف!

يختصر «بورغا» أفكاره فيقول: «إذا ما اعتقدنا أنه ينبغي إصلاح الفكر الديني الراديكالي بغية إحلال السلام، نكون قد سلكنا طريقاً خطأ، فالسبيل إلى إحلال السلام في المنطقة لا يمر عبر إصلاح الخطاب الديني، وإنما نبدأ بإحلال السلام في المنطقة لكي نصل إلى إصلاح

الخطاب الديني»، ويضيف: «لا يصدر العنف «الإسلامي» من الإسلام، إنه نتاج التاريخ الحديث للمسلمين، تاريخ كتبته أياد عدة، منها أيادي الجارة الغربية الكبيرة (أوروبا)» (ص19، 25).

طفق «بورغا» عبر هذا المدخل يسرد كيف انفتح على العالم الإسلامي، والبلاد التي زارها، وروى كثيراً من المواقف التي تعرَّض لها مما له دخل بهذه الفكرة أو مما يُروى للطرافة والغرابة أحياناً:

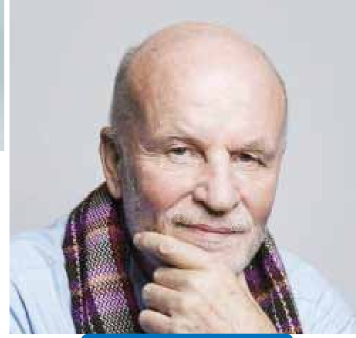
كانت رحلته الأولى إلى «إسرائيل»، وذلك قبل أن يبدأ الاهتمام بأحوال الشرق، وكانت معرفته المستقاة من المدرسة ومن الصحافة الفرنسية تقول: إن «الإسرائيليين» كانوا هم الذين نجحوا في زرع الورود وسط الصحراء، التي كانت مجرد أرض لم يفعل العرب إلا التجول فوق كثبانها على ظهور جِمالهم طوال هذه القرون، هناك استفاق علىَ كلمة شاب فلسطيني يقول له: «لقد أخذ اليهود بلدي مني»، لم يكن يعرف شيئاً عما جرى ولا لديه أدنى علم بالتاريخ الذي يحكي كيف صارت «إسرائيل»! وبهذا يمكن أن نتصور كيف يفهم الفرنسي الجاهل صورة الوضع إذا سمع بخبر هجوم على الذين نجحوا ولأول مرة في زراعة الورود في قلب الصحراء!

وفي رحلته وعمله بالجزائر، اكتشف ولأول مرة أن الاستعمار الفرنسي وجرائمه حاضرة في الجزائر حضوراً طاغياً ومؤثراً في كل شيء، ويكاد يكون أثر هذا حاضراً في كل رد فعل يقوم به الجزائريون، بينما هذا التاريخ لا يدرّس في فرنسا ولا يعرف الفرنسيون شيئاً عما فعله أسلافهم في الجزائر، ومن ثَمَّ فإن كل رد فعل غاضب في الجزائر يفسرونه على أنه ناتج عن الطبيعة المتطرفة الأصيلة المغروسة في نفوس المسلمين، بل إن أولئك المسلمين إنما هم ناكروا جميل، وذلك أنهم يتعاملون بعداء مع فرنسا مع أنها هي التي أدخلتهم العصر الحديث وبنت لهم المدارس وشقت لهم الطرق وألحقتهم بالثقافة العصرية!

وحين وقع الانقلاب العسكري في الجزائر على الجبهة الإسلامية للإنقاذ، وبدأت حرب الجيش على الإسلاميين، بكل ما شملته من جرائم ومذابح، فإن فرنسا قدَّمت الدعم الكامل -هي وسائر الغرب- للجيش في معركته، ولم تأبه أن تسأل عن الديمقراطية المذبوحة! يرى «بورغا» أن هذه

«فهم الإسلام السياسي» من الكتب المهمة التي ينبغي لفت نظر الشعب الفرنسي إليه





فرانسوا بورغا

«بورغا» عانى لتقديم الصورة الحقيقية في مناخ تعمل فيه الشبكة السلطوية لترسيخ روايتها الوحيدة عن «الإرهاب الإسلامي»

واحدة من اللحظات النموذجية التي يمكن من خلالها تفسير وفهم الحركات الجهادية، ولكن من سيسمح بذلك، إن «بورغا» نفسه كان يعاني غاية المعاناة لأنه يحاول تقديم الصورة الحقيقية في مناخ تعمل فيه الشبكة السلطوية كلها وبكل طاقتها في ترويج وترسيخ روايتها الوحيدة عن «الإرهاب الإسلامي».

هذه الشبكة جذبت إليها حتى الأحزاب اليسارية في فرنسا، التي من المفترض أنها تدافع عن العدالة والطبقات الفقيرة والظروف غير الطبيعية التي تدفع إلى العنف، لقد كانت حاجة هذه الأحزاب إلى الأصوات التي تذهب إلى أحزاب اليمين أهم عندها من الإخلاص لمبادئها!

يذكرنا حديث«بورغا» عن الشبكة المهيمنة على إنتاج المعرفة في الغرب بما قاله «إدوارد سعيد»، وتذكرنا معاناته ببعض ما لقيه مستشرقون حاولوا الإنصاف منذ «رايسكه» وحتى الآن، إننا لن نفهم الاستشراق حقاً إذا لم نفهم أنه الذراع الأكاديمية لسياسات الهيمنة، وليس مسموحاً ولا هو ممكن أن يتحول الاستشراق ليكون دراسة موضوعية تنتهي نتائجها إلى اتهام السياسة الغربية، وتحسين صورة العدو «الإسلامي».

ليست المشكلة في جهلٍ سببه ضعف التواصل أو ندرة المراجع أو قلة الباحثين، المشكلة في شبكة الطغيان التي تصنع الصورة اللازمة لاستمرار الحرب والنهب والعداء، وعموم الناس في الغرب هم ضحايا بوجه من الوجوه، إلا أن منهم من إذا عرف الحقيقة فضَّل ما هو فيه من الترف والمكاسب -التي هي من دماء الشعوب المستضعفة- على أن ينقلب مدافعاً عن الحق ومتحملاً ثمنه، وهو بهذا ينحاز إلى شبكة الطغيان طواعية ليكون جندياً في صفوفها!

إصلاح الخطاب الديني يبدأ بإحلال السلام في المنطقة وليس العكس

لن يستيقظ الجندي الفرنسي الغافل الذي يهاجمنا إلا إذا مُسَّت بعض رفاهيته بمقاطعة المسلمين لمنتجات بلاده

من المؤسف أننا لا نملك الكثير لإنقاذهم من جهلهم، فهذا الجندي الجاهل الذي يهاجمنا بسلاحه في ديارنا ليس له إلا الصدّ والردّ والدفع بكل ما يندفع به! ومثلُ هذا الجندي الجاهل هذا الفرنسي الغافل في بلاده، لن يستيقظ إلا إذا مُسَّت بعض رفاهيته بمقاطعة المسلمين لمنتجاتهم، وبما يستطيعون من وسائل المقاومة الأخرى.

وهنا نفهم، لماذا كانت الفتوحات الإسلامية هي أوسع عملية في التاريخ لإنقاذ البشر من هيمنة الطغاة!■

أخذ التنافس الدولي على القارة الأفريقية بُعداً إستراتيجياً مُهماً في السنوات الأخيرة، لكون القارة تحتل موقعاً حيوياً، وتضم مضايق رئيسة في طرق الملاحة الدولية، ولأنها ثاني أكبر القارات، وتتوافر بها ثروات هائلة، وعاشت العلاقات الأمريكية الأفريقية مراحل متباينة، أثرت على القارة الأفريقية من جهة، وعلى مصالح الولايات المتحدة من جهة أخرى، لكن في الفترة الأخيرة، في عهد الرئيس «دونالد ترمب»، أخذت هذه العلاقة في التراجع لتكشف عن نظرة ازدراء من «ترمب» لهذه القارة، وعلى أعتاب عهد جديد للرئيس الأمريكي المنتخب «جو بايدن»؛ تظهر ملامح تغيير مرتقب في العلاقات الأمريكية الأفريقية، فما مدى تأثر أفريقيا بسياسة البيت الأبيض؟ وما مقدار التغيير الذي يمكن أن يطرأ على العلاقات الأمريكية- الأفريقية في عهد «بايدن»؟ في هذا التحقيق تتناول «المجتمع» هذه القضايا.

بعد فوز «جو بايدن»..

هل تتغير السياسة الأمريكية تجاه أفريقيا؟

روضة علي عبدالغفار
صحفية مهتمة بالشأن الأفريقي

العلاقات الأمريكية الأفريقية.. بين الانعزالية والتغلغل:

اتسم النمط العام للسياسة الأمريكية تجاه أفريقيا، قبل بداية الحرب الباردة، بالعزلة وكف الأيدي عن التدخل في الشؤون الداخلية للقارة، ومثال ذلك الوقوف الأمريكي الصامت تجاه مؤتمر برلين عامي 1884 – 1885م، الذي تم بمقتضاه تقسيم أفريقيا بين القوى الاستعمارية الأوروبية، وواجهت الدبلوماسية الأمريكية تجاه أفريقيا في ذلك الوقت مشكلات أساسية؛ أولها: أنها كانت تؤمن بالدور المحوري للقوى الأوروبية في مستعمراتها الأفريقية السابقة، وثانيها: اعتقاد كثير من الأمريكيين أن ممارسة التمييز العنصري داخل الولايات المتحدة ذاتها، أدى إلى رد فعل غاضب بين صفوف المثقفين الأفارقة.

على أن رياح التحرر الوطني التي هبت على أفريقيا منذ خمسينيات القرن الماضي، دفعت بالولايات المتحدة إلى إعادة النظر في سياساتها السابقة تجاه أفريقيا، وبالفعل أرسل الرئيس «أيزنهاور»، في عام 1957م، نائبه «ريتشارد نيكسون» إلى أفريقيا، حيث زار 8 دول دفعة وحدة، من أجل تحليل الأوضاع المتغيرة والمتسارعة التي شهدتها القارة، وقد أكد «نيكسون» في تقريره أهمية الاستقلال والتحرر الوطني للأفارقة، وطالب بضرورة اعتراف الإدارة الأمريكية بالأهمية المتزايدة لأفريقيا بالنسبة لمصالحها.

رياح التحرر الوطني التي هبت على أفريقيا منذ الخمسينيات دفعت أمريكا لإعادة النظر في سياساتها السابقة تجاهها

سياسة «ترمب» تجاه أفريقيا اتسمت بعقلية رجل الأعمال على حساب الدور الأمريكي الداعم للدول المحتاجة لوساطة الحلفاء

واقترح «نيكسون» أن يتم تعيين مساعد مستقل لوزير الخارجية للشؤون الأفريقية، وأن يتم توجيه الاستثمارات الأمريكية إلى أفريقيا، والكف عن ممارسة التمييز العنصري حتى تكسب تأييد الأفارقة، وعليه ظهرت خلال عقد الخمسينيات مجموعة من المنظمات الأهلية الأمريكية المهتمة بأفريقيا، مثل اللجنة الأمريكية الخاصة بأفريقيا، والمعهد الأمريكي الأفريقي، ومجلس الشؤون الأفريقية.

وتعليقاً على هذا الأمر، قال د. خيري عمر، أستاذ العلوم السياسة بجامعة صقاريا التركية، لـ«المجتمع»: إن السياسة الأمريكية تجاه أفريقيا ترتبط بإستراتيجية ما بعد الحرب الباردة، حيث سعت الولايات المتحدة

لمواجهة النفوذ السوفييتي، وتمكنت من الاستفادة من الانكماش الروسي في القارة، ثم بعد ذلك واجهت الصين، ويرى عمر أن التنافس الأمريكي الصيني لم يكن معضلة، حيث تمكنت الدولتان من التعاون في بعض القضايا، مثل التنسيق الأمريكي الصيني في أنجولا.

عندما أوشكت الحرب الباردة على الانحسار، شهد النظام الدولي تطورات مهدت الطريق أمام الإدارة الأمريكية لإعادة النظر في سياستها تجاه أفريقيا، وتحقق ذلك في عهد الرئيس الأمريكي «بيل كلينتون» الذي لم يكتف بسياسة الاحتواء؛ بل استشعر المصالح الحيوية التي يمكن أن تستغلها الإدارة الأمريكية للاستفادة من القارة الأفريقية، حيث عمل «كلينتون» على إعادة توجيه السياسة الأمريكية، من خلال التركيز على دبلوماسية التجارة كأداة للاختراق، ونجح في ذلك إلى حد كبير.

بينما أراد الرئيس الأمريكي «جورج بوش»، صاحب فكرة «النظام العالمي الجديد»، أن يستمر على هذا النهج، فوقَّع مع الدول الأفريقية اتفاقية «أغوا»، عام 2000م، وهي اتفاقية تجارية تسهل التبادل التجاري بين القارتين، وتعفي حوالي 7000 من منتجات 39 دولة أفريقية، من رسوم دخول أسواق الولايات المتحدة، وفي ظل إدارة «باراك أوباما» مد الكونجرس الأمريكي هذا القانون إلى عام 2025م بعد انتهاء صلاحيته عام 2015م.

ثم جاء الرئيس الأمريكي «أوباما» ليتبنى سياسة التوسع في أفريقيا ومنافسة الصين، فأعلن عن تعهدات لشركات أمريكية بالاستثمار في أفريقيا بقيمته 14 مليار دولار، ودعا بعد ذلك إلى قمة أمريكية أفريقية، هي الأولى من نوعها في أغسطس 2014م بمشاركة 50 دولة أفريقية، تحت عنوان

المقارنة بين الحزبين الديمقراطي والجمهوري من حيث السياسة الخارجية تجاه أفريقيا لن تُحدث فارقاً ملموساً

وجود أفراد في فريق «بايدن» لهم أصول أفريقية سيُحدِث انفتاحاً في السياسة الخارجية الأمريكية


د. خيري عمر

«الاستثمار في الجيل القادم»، وكانت محاولة لتحويل الاهتمام الأمريكي من مجرد النظر للقارة الأفريقية على أنها منطقة حروب، إلى أنها تتمتع بفرص اقتصادية واستثمارية هائلة أغفلتها الولايات المتحدة لمدة طويلة.

ويقول محمد بشير جوب، الباحث السنغالي المختص في الشؤون الأفريقية، لـ«المجتمع»: إن الأفارقة لديهم انطباع أن سياسة الحزب الديمقراطي تجاه أفريقيا أكثر نشاطاً من الحزب الجمهوري، ولا يزال في ذاكرة الأفارقة أن أول زيارة لرئيس أمريكي إلى أفريقيا كان من طرف «روزفلت»، كذلك جولة الرئيس «كلينتون» الأفريقية، في مارس 1998م، هي الأطول التي ينظمها البيت الأبيض؛ حيث زار الرئيس الديمقراطي 6 دول أفريقية لنشر أجندته.

ترمب.. سياسة رجل الأعمال!

شهدت السياسة الخارجية الأمريكية تحولات وتغييرات جوهرية منذ تولي الرئيس الأمريكي «دونالد ترمب»، في يناير 2017م، حيث أعاد مصطلح «أمريكا أولاً» لمفردات السياسة الأمريكية، وأدت هذه السياسة التي اتبعها «ترمب» إزاء حلفاء الولايات المتحدة التقليديين؛ في أوروبا وآسيا والشرق الأوسط، إلى إثارة المخاوف الأفريقية من أن تمتد تلك السياسة إلى العلاقات الأمريكية الأفريقية، وبدورها تُقلص أمريكا التزاماتها تجاه الدول الأفريقية.

وفي هذا الصدد، يقول الباحث بشير: إنه لا يوجد اختلاف بين التيارات السياسية الأمريكية حول الأهداف المنشودة في أفريقيا، ولا يمنع هذا وجود فروق بسيطة في ترتيب الأولويات داخل الملف الأفريقي، ففي عهد «ترمب»، نهاية عام 2018م، كشف مستشار الأمن القومي الأمريكي «جون بولتون» عن الخطوط الأساسية للإدارة الأمريكية تجاه أفريقيا، وتحددت في مواجهة النفوذ الروسي والصيني، وخفض الإنفاق على بعثات حفظ السلام، والتعاطي مع الملف الأمني مع الحليف الأوروبي بما يحفظ المصالح الأمريكية.

وجاءت تحركات الولايات المتحدة في اتجاه تحقيق مصالحها الإستراتيجية، دون أن ينعكس ذلك على مصلحة الشركاء الأفارقة بشكل رئيس، فعلى سبيل المثال؛ جاء انفتاحها على الإدارة الانتقالية السودانية مشروطاً بغية التطبيع مع «إسرائيل»، أو الحصول على تعويضات من اقتصاد مُنهَك، كما جاءت رعاية إدارة «ترمب» لمفاوضات «سد النهضة» الإثيوبي ضبابية وغير حاسمة، هذا فضلاً عن إعادة النظر في دعمها العسكري لمجموعة الساحل وقوات حفظ السلام بالصومال.

وعن تراجع الدور الأمريكي في أفريقيا وزيادة النفوذ الصيني، يقول د. أحمد المفتي، خبير القانون الدولي بالسودان، لـ«المجتمع»: إن أمريكا لم تتخلف عن أفريقيا في الفترة السابقة، وإنما العلاقات لم تتطور، فهي أنشأت قوات «أفريكوم»، وفي ليبيا تتصدى للنفوذ الروسي من طرف خفي، كما تدعم العون الإنساني في أفريقيا أكثر مما تفعل الصين، وأضاف المفتي أن لغة الصين مختلفة، لأنها لا تفرض العقوبات وتستمر في التعاون مع الدول الأفريقية، وذلك يخلق لها فرص عمل ضخمة، وبصورة عامة؛ فإن سياسة الصين هي ترسيخ أقدامها في أفريقيا، بينما

الأفارقة لديهم انطباع أن سياسة الديمقراطيين تجاه أفريقيا أكثر نشاطاً من الجمهوريين

قد نجد سياسة أمريكية أقوى بالجانب الإنساني في مواجهة الحروب الأهلية وانتهاكات حقوق الإنسان بالمنطقة


محمد بشير جوب



سياسة أمريكا هي مجابهة الصين مباشرة؛ حتى لا تزيحها عن سيادة العالم.

كان أحد قرارات «ترمب» الأولى عند تولّيه قيادة البلاد هو تقييد تأشيرات الدخول الأمريكية لمواطني العديد من البلدان ذات الأغلبية السكانية المسلمة، فقد تمَّ مَنْع مواطني ليبيا والسودان من الدخول إلى الأراضي الأمريكية، وفي يناير 2020م، قرَّر «ترمب» مَنْع مواطني السودان وتنزانيا وإريتريا ونيجيريا من الإقامة في الولايات المتحدة؛ مما أغلق الباب أمام إمكانية لَمّ شَمْل بعض الأُسَر، وبحسب الرئيس «ترمب»، فقد عُوقِبَتْ هذه الدول الأفريقية؛ لعدم امتثالها للقواعد الأمنية التي طالب بها.

ويضيف الباحث بشير، لـ«المجتمع»، أن مع محاولة الإدارة الأمريكية تسيير العلاقات مع أفريقيا عبر القنوات الدبلوماسية، لم تمنع خروج «ترمب» عن السياق؛ حين قام بتصريحات غير لائقة تجاه القارة أحدثت توتراً في العلاقات بين الطرفين، وقد عبّر الرؤساء الأفارقة عن غضبهم طالبين الاعتذار من الرئيس الأمريكي، كما نفذ «ترمب» عقوبات على عدة دول أفريقية؛ من خلال منع مواطنيها من دخول أمريكا.

وبحسب د. خيري عمر، فإن المقارنة بين الحزبين الديمقراطي والجمهوري من حيث السياسة الخارجية تجاه أفريقيا لن تُحدث فارقاً ملموساً؛ لأن العلاقات مع أفريقيا لم يُختَلف عليها، إلا أن فترة الرئيس «ترمب» كان لها وضع خاص، حيث شكلت نتوءاً في السياسة الأمريكية الداخلية والخارجية، وهي فترة عارضة، لا تقاس عليها العلاقات الأمريكية الأفريقية التقليدية.

«بايدن».. وملامح التغيير المرتقب:

إن كون الرئيس المنتخب «جو بايدن» كان النائب للرئيس السابق من أصول أفريقية «باراك أوباما»، واختياره أيضاً لنائبته «كامالا هاريس» من أصول هندية وأفريقية، واستدعاء قضايا الأفارقة والعلاقة مع أفريقيا كأحد موضوعات الانتقاد التي ركّز عليها في منافسته لخصمه الانتخابي «ترمب»، كل هذه العوامل في سياق انتخابي شديد الاستقطاب، وفي ظل سياق أفريقي يشهد مزيداً من التحول في علاقاته التقليدية الأمريكية، ومع تصاعد المنافسة الدولية والإقليمية في أفريقيا، يستدعي ذلك محاولة استشراف مستقبل الدور الأمريكي في القارة الأفريقية بعد فوز «بايدن».


د. أحمد المفتي

«بايدن» ينظر للأفارقة باعتبارهم بشراً كاملي الأهلية ويشكلون نسبة مقدرة من الشعب الأمريكي

ويفيد بشير، لـ«المجتمع»، أن وصول «بايدن» إلى البيت الأبيض قد يُبشِّر بإمكانية تبلور سياسات جديدة مختلفة عن سابقه «ترمب»، وإن لم يكن الخلاف جذرياً، وبالأخص عندما يكون هذا التغيير مطلوباً؛ نسبة لما يعتبره بعض القادة الأمريكيين تشويهاً لسمعة أمريكا في العالم، وهذا ما جعل «بايدن» يروّج لشعار إعادة الاحترام لأمريكا.

بينما يرى د. عمر أن وجود أفراد في فريق «بايدن» لهم أصول أفريقية سيُحدث تنوعاً وانفتاحاً في السياسة الخارجية الأمريكية، سواء مع أفريقيا أو مع غيرها، لكن تحقيق هذا الانفتاح سيتوقف على آلية اتخاذ القرار الأمريكي وإمكانية نفاذه.

وقد برزت أفريقيا في البرنامج الانتخابي للحزب الديمقراطي، الذي ركّز على إعادة تنشيط الشراكة مع أفريقيا؛ لما تتمتع به من اقتصاديات واعدة، وعدد سكان سيصل لأكثر من ملياري نسمة، بحلول منتصف القرن الحالي، وعليه يجب على الدبلوماسية الأمريكية أن تؤدي دوراً حاسماً في المساعدة على مواجهة التغير المناخي والأمراض والأوبئة، وسوء الإدارة والغذاء والماء وانعدام الأمن الصحي.

وفي هذا الصدد، يرى د. المفتي أن نظرة «بايدن» الإستراتيجية تجاه أفريقيا وكافة دول العالم الثالث تختلف بالكامل عن نظرة «ترمب»، فـ«بايدن» يعتبرهم بشراً كاملي الأهلية، ويشكلون نسبة مقدرة من الشعب الأمريكي، ولذلك تمتد تلك النظرة إلى أصولهم خارج أمريكا خاصة أفريقيا، في حين كان «ترمب» يرى أن إنسان العالم الثالث لا يستحق العيش، ويجلس على ثروات هائلة، ولو بيده لأبادهم لصالح الرجل الأبيض، ولقد صرح بذلك علانية! وعلى ضوء ذلك؛ يتوقع المفتي أن ينتهج «بايدن» سياسة مغايرة تنطوي على تواصل إنساني واقتصادي مع القارة الأفريقية، ويتوقف ذلك على قدرة «بايدن» على اتخاذ القرار الحاسم فيما يعتزمه.

ويقول د. عمر: إن أمريكا ستلجأ إلى تهدئة الأوضاع وحل الصراعات في القارة الأفريقية؛ لأنه ليس من مصلحتها إشعال هذه الصراعات.

وبحسب بشير، فإن سياسة «بايدن/ هاريس» تجاه أفريقيا قد تكون استمراراً لسياسة «أوباما/ بايدن»، ويمكن أن تكون محددات سياسة «بايدن» تجاه أفريقيا؛ في الجانب الأمني والدفاعي: إعطاء أولوية للقرن الأفريقي الذي طالما كان منطقة إستراتيجية، ويستضيف القاعدة الأمريكية الدائمة الوحيدة في أفريقيا، والمحافظة على «أفريكوم» التي تمثل المهمة الأساسية في تنسيق البرامج العسكرية العديدة الموجودة بالفعل في القارة، بينما الجانب الاقتصادي: يمكن أن نرى عدم الدخول في صراع اقتصادي مفتوح مع الصين؛ نظراً للفرق الهائل بين الدولتين في مستوى علاقاتهما التجارية مع أفريقيا، بل يمكن أن نشهد تنسيقاً بينهما.

وأضاف بشير أنه في جانب حقوق الإنسان: قد نجد سياسة أمريكية أقوى في مواجهة الحروب الأهلية وانتهاكات حقوق الإنسان في المنطقة، بالإضافة إلى ضغط الدول الأفريقية لمراجعة تشريعاتها وإعادة النظر في حقوق الأقليات.

وفي ظل الرؤى المتباينة حول سياسات «بايدن» المتوقعة تجاه القارة الأفريقية، فإن أفريقيا تمتلك الكثير من الفرص الواعدة على كافة المستويات، وتشهد نهضة وتنمية مرتقبة، إلا أنها تحتاج لمزيد من الأمن والاستقرار، وتسوية للصراعات التي أنهكت أراضيها، فهل نشهد تغييراً في عهد «بايدن»، أم يظل الوضع كما هو عليه؟■

مقال

العبر والفوائد التربوية

من «ترتيب المدارك وتقريب المسالك»[1].. طبقات المالكية:

عبدالله بن المبارك



د. يوسف السند
إمام وخطيب بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت

هو مولى لبني تميم، ثم لبني حنيفة، مروزي، وكنيته أبو عبدالرحمن.

سمع من ابن أبي ليلى، وهشام بن عروة، والأعمش، وسليمان التيمي، وحميد الطويل، ويحيى بن سعيد، وابن عون، وموسى بن عقبة، والسفيانين، والأوزاعي، وابن أبي ذيب، ومالكاً..

قال الشيرازي: تفقه بمالك والثوري، وكان من أصحاب أبي حنيفة، ثم تركه ورجع عن مذهبه.

قال أبو إسحاق الفزاري: ابن المبارك إمام المسلمين.

قال ابن مهدي: لقيت أربعة من الفقهاء: مالكاً، وشعبة، وسفيان، وابن المبارك -وفي بعضها حماد مكان شعبة- فما رأيت أنصح للأمة من ابن المبارك، وحديث لا يعرفه ابن المبارك فنحن لا نعرفه.

ولما نعي ابن المبارك إلى سفيان بن عيينة، قال: رحمه الله، لقد كان فقيهاً عالماً عابداً زاهداً سخياً شجاعاً شاعراً.

قال محمد بن المعتمر: قلت لأبي لما مات الثوري: من فقيه العرب؟

قال: ابن المبارك.

وقال النسائي: لا يعلم في عصر ابن المبارك، أجل منه ولا أعلى، ولا أجمع لكل خصلة محمودة منه.

قال الأوزاعي لأبي عثمان الكلبي عنه: لو رأيته لقرت عينك.

قال أبو زرعة: اجتمع فيه فقه ومروءة وشجاعة وسخاء وأشياء.

قال ابن وضاح: سمعت جماعة من أهل العلم يقولون: اجتمع في ابن المبارك العلم، والتقى، والحديث، والمعرفة بالرجال، والشعر، والسخاء، والعبادة، والورع.

قال الإمام القاضي أبو الفضل رحمه الله تعالى: ذكر الصدفي، قال: لما بلغ ابن المبارك، دفع إليه أبوه خمسين ألف درهم يتجر بها، فطلب العلم حتى أنفذها، فلما انصرف لقيه أبوه، فقال: ما جئت به؟

فأخرج إليه الدفاتر، فقال: هذه تجارتي! فدخل أبوه المنزل، فأخرج له ثلاثين ألف درهم أخرى، وقال: خذ هذه فابتع بها تجارتك، فأنفقها.

قال ابن المبارك طلبت الأدب ثلاثين سنة، وطلبت العلم عشرين سنة.

وقال ابن حنبل: لم يكن في زمن ابن المبارك أحد أطلب للعلم منه، دخل اليمن، ومصر، والشام، والحجاز، والبصرة، والكوفة، وكان من رواة العلم، وكان أهلاً لذلك، كتب عن الصغار والكبار، وما أقل سقطه، كان يحدث من كتاب.

قال ابن وضاح: كان ابن المبارك يروي نحواً من خمسة وعشرين ألف حديث.

وقيل له: إلى متى تطلب العلم؟ قال أرجو أن تروني فيه إلى أن أموت.

وكان يقول: الزهد، الذي إن أصاب الدنيا لم يفرح، وإن فاتته لم يحزن.

وكان ابن المبارك يقول: أول العلم النية، ثم الاستماع، ثم الفهم، ثم العمل، ثم الحفظ، ثم النشر.

ويقال: إنه كان يحج عاماً، ويغزو عاماً.

لا يمر بمدينة إلا قال لمشيختها من أهل العلم والإقلال: ليخرج معي من أراد الحج، يكفيهم مؤونتهم، ويفعل مثل ذلك إذا غزا.

قال الفسوي العابد: كنت مع ابن المبارك في غزاة في ليلة ذات برد ومطر، فبكى، فقلت: أتبكي من مثل هذا؟

فقال: إنما أبكي على ليال سلفت ليس فيها مثل هذا من الشدة لنؤجر عليها.

وقال رجل لابن المبارك: قرأت البارحة القرآن في ركعة؛ فقال ابن المبارك: لكني أعرف رجلاً لم يزل البارحة يقرأ «التكاثر» إلى الصبح، ما جاوزها؛ يعني نفسه.

قال رحمه الله تعالى:

جاهد لسانك إن اللسان
سريع إلى المرء في قتله
وهذا اللسان بريد الفؤاد
يدل الرجل على عقله

وقال رحمه الله:

أرى أناساً بأدنى الدين قد قنعوا
ولا أراهم رضوا في العيش بالدون
فاستغن بالله عن دنيا الملوك كما
استغنى الملوك بدنياهم عن الدين

وقال:

تنعم قوم بالعبادة والتقى
ألذ نعيم، لا اللذاذة بالخمر
فقرت به طول الحياة عيونهم
وكانت لهم والله زاداً إلى القبر
على برهة نالوا بها العز والتقى
ألا ولذيذ العيش بالبر والصبر

وقال:

كل عيش قد أراه نكداً
غير ركز الرمح في ظل الفرس
وقيام في ليال دجن
حارساً للناس في أقصى الحرس

وسأله آخر عن صفة الخائفين، فقال:

إذا ما الليل أظلم كابدوه
فيسفر عنهم وهم ركوع
أطار الخوف نومهم فقاموا
وأهل الأمن في الدنيا هجوع
لهم تحت الظلام وهم سجود
أنين منه تنفرج الضلوع
وخرس بالنهار لطول صمت
عليهم من سكينتهم خشوع

توفي ابن المبارك بهيت منصرفة من الغزو، في سفينة، فدفن بهيت في رمضان سنة إحدى وثمانين ومائة.

قال البخاري: ومولده سنة ثماني عشرة ومائة[2].

العبر والفوائد الإيمانية والتربوية:

- الأمة تحتاج دائماً إلى العالم الناصح.
- شخصية المسلم تجمع بين الفقه والعبادة والجهاد والزهد والسجاعة والسخاء، وهذا من عجيب المنهج الإسلامي التربوي!
- الاستثمار الأمثل في تعليم الأبناء، وهو الاستثمار المضمون غرسه، المأمون نباته بإذن الله تعالى.
- الأدب والخلق له الصدارة في التربية والتوجيه، وبه يبارك الله في العلم.
- حب العلماء الربانيين للجهاد والرباط والدفاع حوزة الدين وبيضة المسلمين.
- الاستمرار والثبات في طلب العلم وعدم التوقف مهما طال العمر وكثر العلم!
- تدبر القيام والقيام به وتأمله ولو بسورة واحدة نهج الصالحين العابدين.

والحمد لله رب العالمين.■

الهامشان

(1) ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تأليف: القاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي، المتوفى سنة 544هـ، الجزء الثالث، تحقيق: عبدالقادر الصّحراوي.

(2) المرجع السابق.



استئصال الإسلام في الحياة الثقافية



أ. د. حلمي محمد القاعود
أستاذ الأدب والنقد

لا ريب أن الإسلام في معظم بلاد المسلمين يعاني من متاعب كثيرة، ومن تضييق شديد، ومن دعاية وتدليس تربط بينه وبين ممارسات العنف والعدوان، فضلاً عن تهميشه أو استئصاله في كثير من جوانب الحياة، وإصرار النخب المثقفة أو التي يفترض أنها مثقفة على تشويه مفاهيمه وقيمه وتصوراته.

تقلبات السياسة استطاعت أن تصنع من الإسلام فزّاعة مخيفة لدى كثير من النخب فضلاً عن العامة

إن من يعلن أن الإسلام منهجه وإيمانه يظل متهماً أمام النخب الثقافية التي ترفض الإسلام، أو تؤمن بمناهج غير إسلامية أو قيم غربية، وهذا الاتهام يشكل مناخاً عاماً رسخته بعض الحكومات التي ترى في الإسلام خطراً عليها، أو تضطر لمسايرة قوى كبرى تناهض الإسلام لأسباب شتى فتقضي على النبرة الإسلامية أو تضعفها، وتحل مكانها نظريات أخرى أو أفكاراً تناقضها تراها ملائمة لنظام الدولة؛ ومن ثم يأخذ التهميش والتضييق طابعاً رسمياً أو شبه رسمي؛ فالذي يتبنى الإسلام لا يتمكن من إصدار صحيفة أو إقامة منبر إعلامي أو ثقافي، ولا يستطيع أن يعبر عن أفكاره مثل الآخرين ممن يتبنون النظريات المادية والبشرية، ولا ترحب به صحيفة أو مجلة أو دار نشر رسمية أو تجارية.

لقد استطاعت تقلبات السياسة في القرن الماضي أن تصنع من الإسلام فزّاعة مخيفة لدى كثير من النخب، فضلاً عن

العامة، وتفاقم الأمر بعد استبعاد تدريسه من المناهج المدرسية دراسة جادة وتحويله إلى مادة صورية لا تضاف إلى المجموع (في بعض البلدان)، فأهملها المدرسون والطلاب جميعاً، ثم جاءت «كورونا» فأتاحت لبعض الحكومات أن تلغي امتحانها لأنها زائدة عن الحاجة!

بيد أن الأخطر من كل ذلك هو ربط الإسلام بالعنف والإرهاب والتطرف والتشدد من خلال بعض الممارسات الفردية أو المجموعات الشاذة فكرياً، أو تلك التي تحركها الأجهزة الاستخبارية العالمية أو المحلية، فصار الإسلام في الذهن العام رمزاً معادياً للإنسان، ورديفاً للتخلف والقمع والوحشية، هكذا أرادوا له، في الوقت الذي يصورون فيه الغرب وثقافته بالنور والمحبة والإنسانية والتعاطف البشري، فانعكست الصورة، وصار دين الرحمة في دائرة الاتهام، بينما منهج الوحشية الغربي الاستعماري الدموي في دائرة النور!

وضع مقلوب

هذا الوضع المقلوب ساعدت على إبقائه الصحافة وأجهزة الدعاية والنشر الرسمية والعلمانية والتجارية ومراكز التعليم التي تولى السيطرة عليها خصوم الإسلام والجاهلون به، فصار الإسلام على صفحاتها وموجاتها وشاشاتها ومؤسساتها في أحسن الأحوال مجرد مناسبة موسمية تأتي في رمضان أو الحج أو المولد النبوي، وليس عقيدة وتشريعاً ومنهجاً وتصوراً يحكم الإيمان والفكر والسلوك والعلاقات.

من خلال الوزارات المختصة في صناعة المخ القومي مثل الإعلام والثقافة والتعليم يغيب الحديث عن الإسلام بوصفه هوية الأمة، ومحور وجودها، ومنطلق مستقبلها، لتحل مكانه دعوات غريبة مثل علمنة الدولة، والفصل بين الدين والدنيا، والدولة المدنية في مواجهة ما يسمى بالدولة الدينية (وهي دولة لا يعرفها الإسلام، الذي لا علاقة له بالإكليروس أو الحرمان والغفران)، وبعث الانتماءات الشعوبية والقُطرية ورموزها القديمة التي مضى عليها آلاف السنين بوصفها بديلاً للهوية الإسلامية، وغير ذلك من دعوات.

في المقابل، لا يتاح الرد على مثل هذه الدعوات والأفكار والنظريات، بل يتاح لها مزيد من التمدد والتكرار، من ذلك مثلاً أن كاتباً طائفياً متعصباً يكتب منذ سنوات مئات المقالات في أبرز الصحف اليومية ترويجاً للعلمانية التي يزعم أنها الطريق لتقدمنا وقوتنا، بينما لا يشير أدنى إشارة إلى افتقاد المواطن إلى حقوقه الأساسية في الحرية والأمن والمشاركة في قضايا بلاده بطريقة حقيقية، متجاهلاً أن العرب منذ محمد علي حتى اليوم لا تحكمهم الشريعة ولا الإسلام!

ويزداد الأمر قتامة حين تنهض دور النشر الرسمية والعلمانية بنشر الكتب المعادية لدين الأمة أو تلك التي تتودّد إلى الطائفية وتكرسها في المجتمع تحت مسمى التنوير والتجديد والتسامح، دون أن تتسامح بنشر الكتب التي تقدم جوهر الإسلام، وتكشف عن عطائه الإنساني الزاخر، إنها ترفض ما يكتب دفاعاً عن الإسلام بحجة الرجعية والظلامية والأصولية.. إلى آخر هذه الأوصاف التي اخترعها الشيوعيون العرب وأشباههم، إرهاباً لمن يحملون الهوية الإسلامية، وينافحون عنها.

لقد أضحى الحقل الثقافي أو الحياة الثقافية بعامة ترفض مصطلح الإسلام، وتزعم أنه مصطلح طائفي! وهو دين الأمة كلها، وتتقي وجود أدب إسلامي، أو تصور إسلامي أو رؤية إسلامية، وتربط ذلك ببعض الجماعات أو التنظيمات، متجاهلة أن هناك قرآناً كريماً وسُنة شريفة وسيرة نبوية وتاريخاً إسلامياً.. غاية ما يسمح به هو «الإسلام منزوع الدسم»؛ أي الذي يتكلم في الفضائل المجردة والعبادات الفردية وفرائض الوضوء، إنهم يريدون إسلاماً بعيداً عن الحياة!

حدثان كاشفان

قد يتساءل بعضهم: وأين وسائط التعبير والنشر الإسلامية؟

الإجابة عن ذلك لا تسرّ، وسأخصّص لها صفحات أخرى إن شاء الله.

لكني معنيٌّ هنا بالإشارة إلى حدثين ثقافيين وقعا في أكتوبر 2020م، يؤكدان ما سبق، ويتعلقان باثنين من الأدباء؛ أحدهما مسلم، والآخر شيوعي، وقد فاز كل منهما بجائزة إحدى الجهات الأدبية.

الأول كاتب من الوزن الثقيل، ويمثل قيمة عالية بموازين الأدب الرفيع، وقد فاز بجائزة رمزية لكنها ذات دلالة، ولكن مشكلته في مفهوم الشيوعيين وأشباههم من المهيمنين على الحياة الثقافية أنه «مسلم»، ويتبنى التصور الإسلامي الناضج الفائق، وقد قوبل فوزه في البداية بصمت مطبق، ثم تحول الصمت إلى حالة هستيرية يقودها الشيوعيون الحكوميون وأشباههم (أغلبهم ملحد أو طائفي، أو موالٍ لثقافة الاستعمار)، من الهجوم الرخيص على شخص الفائز المسلم، وتقمصوا دور المخبر الغبيّ الذي كان يمثله إسماعيل يس في أفلامه الكوميدية، فقدموا بلاغات كيدية، وتناسوا أن الأجهزة المعنية تعلم دبة النملة في حياة كل من يحملون القلم!

الآخر صحفي كتاباته متواضعة، مُنح جائزة باسم أديب عراقي «سرياني» اشتهر بكتابة ما يُسمّى «قصيدة النثر»، وقالت لجنة التحكيم في بيان دورتها الثالثة: «مُنحت جائزة (...) للشعر وترجمته للعام 2020م إلى (...)؛ وذلك لكون قصيدته الحرّة (غير العروضية، رغم أن بعضهم يدعوها قصيدة نثر، عن جهل أو تماهياً مع روح القطيع) (تأمل الأدب الرفيع في وصف المخالف!) قد أخذت إيقاعها الخاص، لغة وموسيقى وبساطة، كتعبير عن ذائقة جديدة، ذائقة معبّرة عن دقائق الحياة اليومية، مبيّنة لنا المصائر البشرية وهي تهتزّ معلقة، بصوت خافت أقرب إلى الصمت أو التلاشي، قصيدة مترفعة عن السائد في لغة الشعر اليوم، وفي إطلالة تذكّرنا بإطلالة محمد الماغوط في نهاية الخمسينيات من القرن الماضي، مبتعداً عن طلب الشهرة والانتشار، مكتفياً بالظلّ الذي يقيه شمس الظهيرة (...)».

الأمر يزداد قتامة حين تنهض دور النشر الرسمية بنشر الكتب المعادية للإسلام التي تكرس الطائفية

من خلال الوزارات المختصة في صناعة المخ القومي يغيب الحديث عن الإسلام بوصفه هوية الأمة





وأشارت الأخبار التي ظلت تأتي تترى لأيام عديدة أن أمانة الجائزة تتكون من أصدقاء (الشاعر) العراقي الكبير في أوروبا وأمريكا، ويتزامن الإعلان عنها سنوياً مع ذكرى رحيله، وتتولى «دار الجمل» التغطية الإعلامية للجائزة وحفل تسليمها، وتمنح جائزة تقدر بأضعاف ما منح للفائز المسلم، ولكنهم يستقلونها! وتم وصف الفائز بالشاعر المحترم المتحقق عالمياً المتجاهل في الداخل!

لم يتوقف الأمر عند التهنئة بالفوز، واستقلال القيمة المادية للجائزة، وإغداق الأوصاف الكبيرة على الفائز الذي لا أظن أحداً يحفظ له سطراً أو فقرة مما كتبه، أو يحتفظ في ذاكرته بفكرة أو معنى مما نشره! فقد هاجت الشلة الاستئصالية المهيمنة على الدعاية والصحافة، وهاجمت هيئة النشر الرسمية واتهمتها ضمنياً بالتقصير في حق الفائز (الملائكي!)، وتساءلت في صيغة مظلومية للفائز: هل تنشر هيئة الكتاب أعمال الشاعر فلان؟ كما نقلت عن أحد الشيوعيين الحكوميين سؤالاً تهكمياً ساخراً: ماذا يضير الهيئة العامة للكتاب أو قصور الثقافة أن تنشر دواوين (فلان) ليقرأها الناس والعالم؟

وتكتمل حبكة التهكم والسخرية من عقول الناس بافتراض أن المذكور لا يحبذ نشر أعماله! وقد توجهت الدعاية الديماجوجية بالسؤال إلى الدكتور رئيس الهيئة الرسمية للنشر، الذي أفاد بأن الهيئة ترحب بشدة بنشر دواوين الشاعر الذي وصف أعماله بأنها مهمة، وفي حال موافقته؛ فإن الهيئة سوف تسعى لإصدارها في أقرب وقت، وتوالت الدعاية بالحديث عن حفاوة المثقفين الشيوعيين (الحكوميين!) المهيمنين على الحياة الثقافية بالجائزة ورأوا فيها انتصاراً للشعر ولتجربة الفائز اللافتة!

وقال شيوعي حكومي يدعي الانتساب إلى الشعر والترجمة: «إن إطلاق جائزة تحمل اسم الشاعر العراقي الراحل هي خطوة مهمة لصالح الشعر العربي عموماً ولصالح الترجمة» (كيف؟ لم يقل لنا).

غير مسموح أن تعبر عن إسلامك بالحياة الثقافية ولو كنت في موهبة إقبال أو الرافعي

الإسلام في الذهن العام صار رمزاً معادياً للإنسان ورديفاً للتخلف والوحشية!

وتغزَّل بعضهم في الفائز، فوصفه بالضوء الطليق المتباعد، المتعفف، المستغني، المنعزل، المتعالي.. لكن قصيدته هي الأكثر حضوراً وتأثيراً، في كثير من القصائد يسخر من صورة أمه أو صورة أبيه، يقسو أحياناً، لكن جلباب أمه المتسخ بالعرق والتراب، يمسك به باكياً، وهي تخرج غاضبة من البيت، هو أعمق صورة للحب!

ثم انتفضت صحيفة أدبية أسبوعية لتجعل الفائز موضوعاً رئيساً، وتضع صورته بحجم الغلاف وتخصص صفحات عديدة لكلامه، وكلام آخرين يتغزلون في إبداعه، وما يسمى شعره، ويصلون به إلى السماء!

إن من تحمل الجائزة اسمه لا يقول الشعر بمعناه المعروف نقدياً وتاريخياً، فهو يكتب كلاماً نثرياً قد يكون مفهوماً ومقبولاً، لكنه لا يعرف طريقه إلى الموسيقى والقافية وتوليد الصورة المبتكرة، اقرأ مثلاً قوله:

وإذا ما صرخنا
إذا ما أفصحنا عن أصواتنا الأخرى
فحتى الملائكة
ستخفي رؤوسها تحت أجنحتها الثقيلة
لئلا تسمع الصرخة

غير مسموح لك أن تعبر عن إسلامك في الحياة الثقافية ولو كنت في موهبة محمد إقبال، أو مصطفى صادق الرافعي، الإسلام محرّم عليك؛ لأنه يعني في مفاهيم الشيوعيين تلامذة الصهيوني «هنري كورييل» والعلمانيين والمرتزقة في الحياة الثقافية أن تقع تحت طائلة اتهام يقودك إلى جهنم الاستبداد والقمع والتغييب.

كيف تستطيع أن تقول: أنا كاتب مسلم أو أديب مسلم والاستئصاليون الشيوعيون وأشباههم من المسيطرين على ثقافتنا يسمون الإسلام بالإظلام والظلام والجمود والرجعية والطائفية والأصولية والسلفية والتطرف والتشدد والتعصب والإرهاب! أبسط الأشياء أن يقدموا ضدك بلاغات مكتوبة بأنك تنتمي إلى «داعش» أو «القاعدة»، أو هذه الجماعة أو تلك، ونسوا –كما قلت من قبل– أمراً بسيطاً، وهو أن السلطات في بلادنا العربية تعلم دبة النملة في حياة كل من يحمل القلم، ولكن شهوة الاستئصال تقودهم إلى الإرهاب الفكري ومهنة المخبرين الأغبياء ليظلوا على حجر الأنظمة، وحلب بقرتها الثقافية.■

«ابن الحاجب حياته وآثاره العلمية والفكرية»..

رسالة دكتوراه لباحث تركي في جامعة جزائرية


الباحث إسماعيل دمير

خاص- «المجتمع»:

أعد الباحث التركي في جامعة أبي بكر بلقايد بولاية تلمسان الجزائرية إسماعيل دمير رسالة دكتوراه بعنوان «ابن الحاجب حياته وآثاره العلمية والفكرية»، بإشراف أ.د. محمد زمري.

يدور البحث حول حياة أحد العلماء الذين تركوا بصمة واضحة في حقل الدراسات اللسانية والعلمية والأصولية، هو أبو عمرو عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس الكردي، الدويني الأصل، الإسنائي المولد، الفقيه المالكي، المعروف بـ«ابن الحاجب»، والده كان حاجباً للأمير عز الدين بن موسك الصلاحي، خال صلاح الدين الأيوبي، ولد في بلدة «إسنا» التابعة إلى مدينة قوص بصعيد مصر، في عام 570هـ/ 1175م، ووصفه المؤلف بأنه أحد جهابذة النصف الثاني من القرن السادس الهجري والثلث الأول من القرن السابع.

وعن نشأته، يشير كاتب البحث دمير إسماعيل إلى أن ابن الحاجب رحل مع والده إلى القاهرة في صغره، ونشأ فيها، وانكبّ على الدرس والتحصيل، وتعلم القرآن الكريم وحفظه، ودرس العلوم كالفقه وأصوله حتى أصبح عالماً في الفقه على مذهب الإمام مالك، وكذلك في علم الكلام، وفي أصول النحو وأصول اللغة والأدب، زار بيت المقدس وغزة، ونزل دمشق مراراً، كان آخرها عام 617هـ، وأقام في جامعها مدرّساً للفقه المالكي، ثم عاد إلى القاهرة.

يقول المؤلف في ملخص بحثه: أسهم ابن الحاجب بقسط وفير في تعليم النشء، وتصنيف الكتب، وإنجاز التلخيصات بمنهجية محكمة، وتقديم الشروح بدقة متناهية.

ويضيف المؤلف أن ابن الحاجب من ضمن العلماء الذين نالوا شهرة في أروقة


الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أبي بكر بلقايد. تلمسان.
كليـة الآداب واللـغـــــات
قسم اللغة والأدب العربي

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم تخصص الدراسات اللغوية

الفوائد الشافية على إعراب الكافية

الشيخ حسين بن أحمد الشهير بابن يعلى زاده

تقديم وتحقيق

إعداد الطالب:
إسماعيل دمير

إشراف:
أ.د. محمد زمري
المشرف المساعد:
أ.د. عمر إسحاق أوغلو

العام الجامعي 1440 – 1441هـ / 2019 – 2020م

دور العلم، وحلقات الدروس، وأنارت مصنفاته رفوف المكتبات، ونالت كتاباته عن قواعد اللغة العربية إقبالاً من دارسي اللسان العربي من أمم مختلفة في أفريقيا وآسيا وسائر البلدان الإسلامية، كما أن كتابه «الكافية» حقّق اهتماماً منقطع النظير من العلماء والمتعلمين.

ويذكر أن عصر ابن الحاجب شهد تحولات في بُنى الحياة السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية، إذ تكوّنت دويلات وإمارات في البلاد الإسلامية، مثل الدولة الأيوبية في مصر والشام بعد ضعف الخلافة العباسية، وكذلك ظهر من قبلها البويهيون بفارس، والسلاجقة بالعراق، والفاطميون بالمغرب.

ويشير إلى أنه نال ثناء واسعاً من العلماء، فورد اسم ابن الحاجب في بطون كتب التراجم والمصنفات، وتحدثوا عن غزارة علمه واتساع معارفه، ومدحوا أخلاقه، ورباطة جأشه، ووصفوا تواضعه بشتى الصفات.

فهذا الذهبي يذكره قائلاً: «وكان من أذكياء العلماء، رأساً في العربية وعلم النظر، درّس بجامع دمشق، وبالنورية المالكية، وتخرّج به الأصحاب وسارت بمصنفاته الركبان، ولقد خالف ابن الحاجب النحويين في موضوعات كثيرة من مؤلفاتهم من ناحية النحو».

وابن الجزريّ: «الإمام العلامة الفقيه المالكيّ الأصوليّ النحويّ المقرئ أبو الفتح عمر بن الحاجب الأميني، هو فقيه فاضل مفت مناظرٌ مبرّزٌ في عدة علوم متبحّرٌ مع ثقة ٍودين ٍوورع وتواضع واحتمال ٍتكلّف».

والسّيوطيّ: «كانَ رُكناً من أركان ِالدين في العلم والعمل».

ويسهب الباحث في اتصاله بمجموعة غير قليلة من المشايخ أشهرهم الإمام أبو محمد القاسم بن فيرة بن خلف بن أحمد الرعيني الأندلسي الشاطبي الضرير، درس على يده علم التفسير والشاطبية، وأبو القاسم هبة الله بن علي بن مسعود بن ثابت بن هاشم بن غالب الأنصاري الخزرجي المنستيري الأصل البوصيري، أخذ عنه علم الحديث.

وعن مؤلفاته، فيذكر أنه تفنّن في تصنيفاته، ونالت لأهميتها عناية كثير من العلماء الذين جاؤوا من بعده فتناولوها بالشرح والتعليق، ومن أبرزها في النحو كتاب «الكافية»، وهو أوّل مؤلفاته عن تعليم النحو في العربية، وكتاب «منتهى الوصول والأمل في علمَيّ الأصول والجدل»، وهو مثال من الأمثلة المشتركة في طريق أصول الفقه في مناهج الكلاميين.

أخيراً، يشير الباحث إلى أن ابن الحاجب رحل إلى الإسكندرية في نهاية عمره وسكن فيها وتوفي بها في عام 646هـ/ 1249م.

(البحث كاملاً على موقع «المجتمع» الإلكتروني).■



دراسة



الأوقاف الفكرية.. وآفاق التنمية الحضارية للأمة



أ.د. حسان عبدالله
أستاذ أصول التربية المساعد بجامعة دمياط- مصر

تأسست الأوقاف في التاريخ الإسلامي من أجل تلبية احتياجات الأمة، وإن كانت في الأساس عملاً إيمانياً يطلب العبد به من ربه القربة والغفران والرحمة من الله في الآخرة، فهي فعل إيماني أخروي ودنيوي معاً. فالوقف في العرف الإسلامي هو انتقال لأصول ملكية فردية إلى نوع من الملكية العامة بغرض تحقيق النفع في مجال من مجالات الحياة، والعمران يخص الأحياء.

النهج «التوحيدي» الذي جاء به الإسلام أرسى قاعدة إيمانية استقرت في وجدان المسلمين، وهي أن «الدنيا مزرعة الآخرة»، وهذه الدعوة نوجهها إلى أمتنا كي ينبعث فيها من جديد نمط من الوقف يتوجه إلى بناء العقل المسلم، والبنيان الثقافي والفكري الإسلامي عبر التاريخ، وهو ما أطلقنا عليه «الأوقاف الفكرية»؛ أي التي ترتبط بعالم أفكار الأمة وما يتعلق به من مؤسسات بناء، أو مراكز تفكير، أو مصادر معرفة.

لقد أكد النهج القرآني قيمتين رئيستين في «عالم العمران»، هما: قيمة القراءة؛ ﴿اقْرَأْ﴾ (العلق: 1)، وقيمة التفكر أو التفكير؛ ﴿أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾ (سبأ: 46)، وفي ذات الوقت أولى المقاصديون في الأمة عناية فائقة بمسائل حفظ العقل واعتباره من الضروريات الخمس الواجب المحافظة عليها، باعتباره مناط التكليف في الإسلام، وحرص التوجيه القرآني والنبوي للحث على تيسير كل سبل المعرفة للعقل، ومواجهة كل سبل الجمود والجهل التي تقف في سبيل ذلك، وأكدا كذلك تعزيز كل ما شأنه الوصول إلى معرفة حقيقة الأشياء ومحو ظلمة الجهل والتقليد.

في ضوء هذا المعنى، وعى المسلمون فقه «الأوقاف الفكرية» الذي يقف على بناء العقل واعتبار أن قيمة «العمران» التي وُجد الإنسان من أجلها في الأرض تتجاوز الجانب المادي إلى الجانب المعنوي والفكري في الإنسان والكون، وهو ما من شأنه أن يعلي قيمة «الفكرة» في الوجدان الإسلامي التي هي مدار النظر والعمل لحركة المسلم ونشاط الأمة.

المسلمون وعوا فقه «الأوقاف الفكرية» واعتبار أن قيمة العمران تتجاوز الجانب المادي إلى المعنوي

«الأوقاف الفكرية» وفَّرت مصدراً للتمويل المجتمعي المستقل لمؤسسة التعليم فلم تخضع للاتجاهات السائدة بالدولة

تجسيد الأوقاف الفكرية

إن حركة الأفكار في تاريخ الأمة الإسلامية وما يتعلق بها من أنشطة تعليمية وعلمية وثقافية ومعرفية، ارتبطت ارتباطاً مباشراً بالأوقاف الفكرية، وتجسد ذلك في تقديم التمويل للتعليم كاملاً من المراحل الأولى حتى المراحل العليا، حيث شمل الإنفاق الوقفي على كل عناصر المنظومة التعليمية ومكوناتها (المعلم، الطالب، الأدوات، المؤسسات التعليمية، المرافق، أماكن المبيت..)، كذلك شملت الأوقاف الفكرية توفير مصادر المعرفة المجانية للطلاب من خلال تأسيس المكتبات الكبرى التي كانت توفر مصادر المعرفة المجانية للطلاب والباحثين، ومن أشهرها في التاريخ الإسلامي: مكتبة دار الحكمة، أو بيت الحكمة، خزانة بني أمية بالأندلس، دار العلم أو دار الحكمة الفاطمية، دار العلم العامرية، خزانة الكتب الحلبية، بيت الحكمة بالقيروان، مكتبة سابور، مكتبة المدرسة النظامية.. وغيرها.

وعلى المدار التاريخي لتطور الحضارة الإسلامية وتطور العلوم والمعارف الشرعية والتطبيقية، استوجب الأمر أن تنمو معهم مؤسساتهم الوقفية التعليمية، فانتهى الأمر لتتحول المدارس الوقفية وبيوت إيواء العلماء إلى جامعات خاصة، خصوصاً في مراكز الحضارة الإسلامية بدمشق وبغداد والحجاز والقاهرة ومكة المكرمة والمدينة المنورة، ولعل المدرسة المستنصرية التي أنشئت عام 631هـ اتخذت أول طابع لمؤسسة جامعية إسلامية قائمة على أموال الوقف، التي كان يدرس بها العلوم الشرعية والتطبيقية والرياضية.. وغير ذلك[1].

كما وفرت «الأوقاف الفكرية» مصدراً للتمويل المجتمعي المستقل عن الدولة استقلالاً لمؤسسة التعليم والعلم التي اعتمدت على الأموال الموقوفة كلية فلم تخضع للاتجاهات السائدة في الدولة؛ بما أتاح ازدهاراً لسائر العلوم العقلية والاتجاهات الفلسفية والكلامية والمذاهب الفكرية المختلفة.

ومن التجارب الحديثة والمعاصرة في الأمة للأوقاف الفكرية التي تستخدم الوقف في المجال الفكري والمعرفي الحضاري:

1 – وقف الأميرة فاطمة بنت إسماعيل (ت 1920م)، وأشهره وقف جامعة القاهرة.

2 – وقف المستشار محمد شوقي الفنجري (1925 – 2013م)، وأشهره مسابقة خدمة الدعوة والفقه الإسلامي، ومنح طلاب الجامعة الأزهرية، والدراسات العليا.

3 – وقف د. زهيرة حافظ عابدين (1917 – 2002م)، وأشهره سلسلة مدارس اللغات الإسلامية.

4 – وقف المعهد العالمي للفكر الإسلامي (1401هـ/ 1981م) الذي سجل في الولايات المتحدة الأمريكية «مؤسسة فكرية علمية خيرية مستقلة» تعمل في ميدان الإصلاح الفكري والمعرفي.

هرم الاحتياجات الفكرية للأمة

إن توجيه الوقف للمجال الفكري يتطلب بناء هرم الاحتياجات الفكرية المعاصرة للأمة، ونقترح في هذا المجال ما يلي:

1 – إعداد الباحثين المنتمين للأمة، وهذا المجال نفتقد فيه الإعداد المؤطر المنتمي بعيداً عن الإعداد المتدني في الجامعات وغيرها من مراكز البحوث في الدولة العربية المعاصرة،

بالكيان الصهيوني 16 مؤسسة جامعية وبحثية بين الألف الأولى بالعالم بينما بالدول العربية كلها 5 مؤسسات فقط!

هل يمكن إعادة بوصلة الوقف وتوجيهه نحو عناصر التنمية الحضارية للأمة وفق منهج مدروس؟

وتمثل هذه الفئة الطاقات العقلية للأمة التي يناط بها استيعاب أفكار الإسلام وأفكار العصر، وممارسة الاجتهاد المعرفي، وبناء علوم إنسانية جديدة تسهم في حل إشكالات الأمة وأزماتها.

2 – المراكز البحثية المنتمية التي تمثل ضرورة حضارية معاصرة للأمة، فالأمة التي تفتقر إلى مراكز بحثية منتمية تفقد حاضرها وكذلك مستقبلها، ويكفي أن نشير هنا إلى أن من أصل 2124 جامعة ومركز أبحاث مستقلة نشرت أكثر من 100 مقال في الدوريات المفهرسة عالمياً خلال الفترة من عام 1996 – 2008م هناك 23 جامعة عربية تظهر من بينها (أي حوالي 10%)، وفي المقابل؛ نجد في الكيان الصهيوني 7 جامعات من بين الـ806 الأولى بمرتبة وسيطة تقابل المرتبة 302، وبمتوسط 363؛ أي في حدود ما نسبته 15% الأولى في العالم، بالإضافة إلى 9 مراكز أبحاث غير جامعية بمتوسط قدره 981؛ أي أن في الكيان الصهيوني وحده 16 مؤسسة جامعية أو بحثية بين الألف الأولى في العالم، بينما ليس في مجمل الدول العربية سوى 5 أو 6 مؤسسات جامعية ما بين الألف الأولى في العالم، حسب ترتيب الجامعات بناء على الأبحاث المنشورة في الدوريات المفهرسة عالمياً في مجموعة «سكوبوس السفير»[2].

3 – مجال المؤسسات الجامعية الحضارية، تلك التي تتولى تشخيص حالة الأمة، ورسم خطط النهوض من خلال الكوادر البشرية التي تقوم بإعدادها، والأفكار التي تنتجها؛ فمهمة هذه الجامعات –التي نرى أن يتوجه إليها الوقف– هي إنتاج أفكار الحضارة وتحويلها إلى قيم يمكن ممارستها في الواقع المعيش والنظم واللوائح والمؤسسات.

4 – وسائط بناء العقل الجمعي؛ إن بناء النهضة قاعدته الناس، أي العقل الجمعي الذي يجب أن يكون مسانداً لحركة التغيير والإصلاح المعرفي، وهنا تظهر أهمية توجيه الوقف في مجال بناء العقل الجمعي، إما بتأسيس مراكز وسيطة تمثل جسوراً لأفكار الإصلاح في الأمة بحيث يتم ردم الفجوة بين الرواد وقاعدة المجتمع، أو بابتكار وسائل ثقافية وترويجية تسهم في سد ثغور هذا الميدان المهم.

5 – مؤسسات التوزيع الفكري والحضاري، حيث يمثل أيضاً نشر الأفكار أهمية في الترويج للبناء الفكري الصالح في الأمة، وإن كانت وسائل الاتصال والتواصل الحديثة أسهمت في سرعة نقل الأفكار عبرها، إلا أن الفكرة المكتوبة ما زالت تمثل أهمية كبيرة، وينبغي أن نعيد إليها هذه الأهمية لنعيد الإنسان العربي والمسلم مرة أخرى إلى العناية بالقلم والقرطاس والتدوين والمراجعة والتأمل، وهو ما لا يتوفر في القراءة العابرة عبر الوسائل الحديثة.

هذه بعض خواطر نحو توجيه أحد عناصر الفاعلية في الأمة للإسهام في بناء نهضتها الفكرية، ويكون هنا السؤال الختامي: هل تملك الأمة قدراً من الشعور بالمسؤولية الحضارية كي تبعث من جديد فقه «الأوقاف الفكرية»، وقد عرفت الأمة التجسيد لهذا الفقه في نسق حضاري نشأ، ورشد، وشب على قيمة «اقرأ» وانبعاثاتها في الوجدان والتفكير الإسلامي الراشد؟ وهل يمكن إعادة بوصلة الوقف وتوجيهه نحو عناصر التنمية الحضارية للأمة وفق منهج مخطط ومدروس، يتجاوز الانفعالات والعاطفة اللحظية؟■

الهامشان

(1) انظر:

– يحيى ساعاتي: الوقف وبنية المكتبة العربية، الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث، 1988م.

– جورج المقدسي: نشأة الكليات، معاهد العلم عند المسلمين وفي الغرب، ترجمة: محمود سيد، جدة، جامعة الملك عبد العزيز، 1994م.

– سامي الصلاحات: «المال الوقفي بين العلماء والسلاطين»، مجلة كلية الدراسات العربية والإسلامية، دبي، العدد (23)، 2002م.

(2) مؤسسة الفكر العربي: التقرير العربي للتنمية الثقافية، العدد الثالث، بيروت، 2010، ص45.

رغم رحيل العلماء والمصلحين والدعاة يبقى أثرهم وعلمهم بين الناس يتوارثونه ليبقى الخير بينهم، ونحمد الله أن جعلنا أدلاء على الخير من خلال استحضار سير بعض هؤلاء العظماء وفاء لهم في ذكرى وفاتهم.

إعداد - عبده دسوقي:
باحث في التاريخ الحديث

دعاة رحلوا في ديسمبر.. المير وبورسلي والسعيد

وليد المير.. والعمل الخيري والإغاثي

شارك بتأسيس لجنة «العالم الإسلامي» بجمعية الإصلاح لتبدأ مدّ أول جسور الخير من الكويت إلى بقاع الأرض

إذا ذُكر وليد يوسف حمد المير ذُكر معه الإحسان والعمل الخيري والإغاثي، ليس في الكويت فحسب؛ بل في بقاع كثيرة على وجه الأرض ظلت تدعو له بعد وفاته بالخير.

ولد وليد المير في 7 فبراير 1949م بمنطقة «قبلة» بمدينة الكويت العاصمة، والتحق بالتعليم في مدرسة عبدالله السالم الثانوية، قبل أن يتخرج في المعهد التطبيقي -الذي قضى فيه مدة عامين- مساعد مهندس، وعمل في بداية حياته في بلدية الكويت، ثم انتقل للعمل في الهيئة العامة للإسكان، قبل أن يلتحق بجمعية الإصلاح الاجتماعي منذ نشأتها في بداية الستينيات ويتفرغ للعمل فيها.

ومع إطلالة عقد الثمانينيات من القرن العشرين، بزغت فكرة اضطلاع جمعية الإصلاح الاجتماعي بدور خيري وإغاثي في العالم الإسلامي؛ فانتدب مجلس إدارة الجمعية كلاً من عبدالله العتيقي، ووليد المير للسفر إلى شرق آسيا؛ لاستطلاع وضع المسلمين هناك وتقدير احتياجاتهم، وكان من نتائج هذه الزيارة أن تأسّست أول لجنة خيرية في الجمعية، سُميت بلجنة «العالم الإسلامي»، وذلك في عام 1982م، لتبدأ من هذه اللحظة مدّ أول جسور الخير من الكويت إلى شتّى أصقاع الأرض.

وحينما عقدت انتخابات مجلس إدارة جمعية الإصلاح الاجتماعي عام 2005م، اختير وليد المير عضواً بمجلس الإدارة، كما اختير أميناً لصندوق الجمعية؛ وظل عضواً بمجلس الإدارة لعدة سنوات.

عُرف عنه التواضع ودماثة الخلق، وكان شخصية محبوبة، بشوش الوجه، ولا يغضب إلا لما يُغضب الله تعالى، كما اتسم بالإخلاص وحب التقوى والإيمان وأداء واجباته العبادية من صلاة في المسجد وصيام وقيام واعتكاف وعمرة في رمضان والنشاط في كل عمل خيري وتربوي، وكان يعمل ذلك في صمت وهدوء؛ وهو ما كان له أثره في الشباب وبمن تعامل معه، وقد زكّاه د. ناصر الصانع بقوله: «له فضل بعد الله على قطاع واسع من الإخوة والشباب (وأنا منهم) منذ الستينيات، حيث اهتم بشباب الدعوة والعمل الكشفي والتربية».

وبعد صراع مع المرض الذي ضرب فيه أروع الأمثلة في الصبر، رحل يوم الثلاثاء 27 ربيع الآخر 1441هـ/ 24 ديسمبر 2019م.■



إذا ذكر المير ذكر الإحسان والعمل الخيري والإغاثي في الكويت وبقاع كثيرة على الأرض

فوزي السعيد.. والثبات على الحق

فوزي السعيد أحد الدعاة الذين صدعوا بالحق حتى أوذي في سبيله رغم تقدم عمره.

ولد فوزي محمد السعيد سيد أحمد بقرية عرب الرمل مركز قويسنا بمحافظة المنوفية بجمهورية مصر العربية، عام 1945م، واهتم والده بتعليمه حتى تخرج في كلية الهندسة قسم كهرباء جامعة عين شمس عام 1970م، وقد شارك في حرب السادس من أكتوبر 1973م، وكان وقتها جندياً في سلاح المدفعية.

وبعد الحرب عمل بالشركة العربية للصناعات الدوائية وترقى فيها حتى وصل لمنصب المدير الإداري بها.

كان لنشأته الدينية أثر كبير في حياته، مع ما وهبه الله من ملكات مكنته من الولوج إلى قلوب الناس بسهولة والتأثير فيهم بخطبه، حيث ارتبط اسمه بمسجد «التوحيد» في شارع رمسيس بالقاهرة، حيث استطاع إلحاق ملجأ للفقراء وكبار السن، ومستوصف طبي لمحدودي الدخل بالمسجد، وذلك قبل أن تؤممه



نوح سلطان بورسلي.. وتعلقه بالمساجد

رحل العم نوح سلطان بورسلي وقلبه معلق بالمساجد وتلاوة القرآن الكريم، فقد كان يختمه كل ثلاثة أيام، وكان لتربيته في الصغر أثر في فعل ذلك.

ولد العم نوح في عام 1929م، في بيت عائلته بفريج الرومي في الحي الشرقي بجانب مسجد القطامي من الناحية الشمالية بالكويت.

تلقى العلم في بداية حياته على يدي الملا عبدالعزيز حمادة، الذي كانت مدرسته في مسجد بن خميس، ثم انتقل إلى مدرسة الملا يوسف حمادة، والتحق بالمدرسة الشرقية مدة أربع سنوات، ودرس على يد خالد الغربللي وغيره، وكان يعمل في الصباح، ويذهب إلى المدرسة المباركية في المساء؛ وتخرج فيها عام 1952م في تخصص المحاسبة، ولم يكتف بذلك بل أخذ على عاتقه تعلم اللغة الإنجليزية.

كان لدراسة العم نوح للمحاسبة أثر كبير بالانخراط في تجارة الصرافة مع أسرة المزيني، وأثناء عمله تعرف على العم عبدالعزيز العلي المطوع الذي اختاره لتربية وتعليم ابنه محمد، قبل أن يصبح أميناً على مستودع عبدالعزيز المطوع.

ونظراً لمهارته الحسابية، اختارته شركة «حمّال باشي» ليعمل محاسباً فيها براتب 40 روبية آنذاك، وارتفع الراتب مع مرور الأيام والسنوات ليصبح 140 روبية، بعدما تعلم اللغة الإنجليزية.

وفي عام 1948م بدأ العمل مع عبدالعزيز، وعلي المزيني في شركتهما المعروفة، وساهم بشكل ملموس في تطوير الشركة وتحقيق نجاحها، لكنه بعد ثلاث سنوات انتقل للعمل مع التاجر فهد سلطان العيسى، إلى أن قرر أن يستقل بتجارته الخاصة، فاشترى محلاً في سوق «المقاصيص» عام 1959م، وتخصص في بيع مستلزمات وأدوات البناء، ثم انتقلت تجارته إلى منطقة الشويخ الصناعية عام 1978م، وكان مميزاً في النشاط الاقتصادي، حتى إن كل من أراد ولوج هذا المجال كان لا بد أن يستشيره ويأخذ بنصائحه، فكان قبلة من يريد، وكانت أياديه بيضاء على الجميع ولسانه عفيفاً وقلبه نقياً.

ظل العم بورسلي يشرف على تجارته الخاصة وينميها ويتابعها كل يوم إلى أن مرض في سنواته الأخيرة، فعكف على القرآن الكريم تلاوة، ولزم المسجد تعبداً، إلى أن توفاه الله يوم 23 ربيع الآخر 1440هـ/ 30 ديسمبر 2018م.■

رحل وقلبه معلق بالمساجد وتلاوة القرآن الكريم فكان يختمه كل ثلاثة أيام

تنويه واعتذار

تنوِّه «المجتمع» إلى خطأ غير مقصود وقع في باب «وفاء لذكراهم» بالعدد السابق (2149)، حيث تضمَّن وفاة العم عبدالرحمن المجحم في نوفمبر 1979م، وذلك نتيجة التباس الأمر في تدقيق بعض المعلومات الواردة عن العم المجحم، أطال الله بقاءه.

و«المجتمع» إذ تعترف بخطئها غير المقصود، فإنها تتقدم بالاعتذار للعم عبدالرحمن المجحم وأسرته الكريمة، سائلين الله تعالى لشيخنا المجحم دوام الصحة وموفور العافية، وطول البقاء مع حسن العمل.■

الدولة وتلحقه بوزارة الأوقاف التي أغلقت كل هذه النشاطات.

كان صوت الشيخ قوياً في قضايا المسلمين بالبوسنة والهرسك والشيشان وكوسوفا خاصة أثناء الحرب فيها، وحينما اشتعلت انتفاضة الأقصى انبرى الشيخ منددا بالسياسة الأمريكية.

يعد الشيخ أحد الدعاة البارزين في مواجهة سياسات الفساد التي استشرت في بلدان المسلمين، مما عرضه للاعتقال في القضية رقم (24 لسنة 2001م جنايات عسكرية) المعروفة إعلامياً بـ«بتنظيم الوعد»، بتهمة أنهم كانوا يحضون الناس على التبرع لإخوانهم في فلسطين إبان الانتفاضة الثانية! وأصدرت الحكم في 9 سبتمبر 2002م بسجن 51 متهماً، وبراءة 43 منهم الشيخ فوزي السعيد، إلا أن وزارة الداخلية أمرت باعتقاله.

كان الشيخ –رغم تقدم سنه– شاباً وسط شباب ثورة 25 يناير، وكان أحد الدعاة المؤثرين في ميدان التحرير إبان ثورته، كما أعلن تأييده للثورة السورية.

خالف التيار السلفي، ودعم د. محمد مرسي في الانتخابات الرئاسية، إلا أنه تعرض للاعتقال في 5 يوليو 2014م، وظل سجيناً مريضاً خاصة بعد وفاة ابنته وهو في السجن، حتى خرج في أواخر مارس 2016م بعد تدهور صحته مع وضعه تحت التدابير الاحترازية، وهو ما أقعده في البيت حتى توفاه الله صباح الأحد الموافق 11 ربيع الآخر 1441 هـ / 8 ديسمبر 2019م، عن عمر 74 عاماً وشيعت جنازته من مسجد حسن الشربتلي بالتجمع الخامس في القاهرة الجديدة.■



رغم تقدم سنه كان شاباً وسط شباب ثورة يناير وخالف التيار السلفي ودعم د. مرسي بالانتخابات الرئاسية

مقال



د. أحمد عيسى

زواج مختلط أم خلط مزدوج؟!

تأتينا الأخبار الغريبة المضحكة المبكية من أطراف الدنيا العجيبة عن أصناف من الزواج المختلط تخلى فيه قلة من المسلمين والمسلمات عن هدي الإسلام؛ فيتزوج المسلم من الهندوسية أو البهائية أو اللادينية، وتتزوج المسلمة من اليهودي أو المسيحي أو الهندوسي أو البوذي، والخوف من أن ينتشر ذلك في بلاد الإسلام، مع انفتاح الإنترنت، وظهور فتاوى الجهل الحداثي من مصادر مشبوهة، وباسم الحب والتقارب والمساواة بعشوائية وتخبط وفوضى، والأمر يحتاج إلى وقفة للحاجة للتربية والتعليم لحفظ الأعراض.

ولا أدل على ذلك من إلغاء الحكومة التونسية، عام 2017م، مرسوماً حكومياً كان يحظر زواج التونسيات المسلمات من غير المسلمين، وقد لاقى إلغاء المرسوم ترحيب منظمات نسائية تونسية، وقالت: إن هذه الإجراءات هي مواصلة لمسيرة بورقيبة في المساواة بمجال الأحوال الشخصية، من أجل تأسيس المجتمع العلماني في تونس.

هناك فرق بين المساواة والعدل؛ فالمساواة ليست هي العدل دوماً، وفي هذه الحالة

ليس من المساواة أن يعترف الزوج المسلم بدين زوجته الكتابية ثم نبيح زواج مسلمة لرجل يجحد دينها ورسولها

فالمساواة تكون تجاوزاً للنصوص الواضحة وبناء بيت على أرض هشة تفقد مقومات الزواج المستقر الذي يتحقق معه مقاصده، وليس من المساواة أن يعترف الزوج المسلم بدين زوجته الكتابية ويحترم الرسل الكرام، ثم نبيح زواج مسلمة لرجل يجحد كتابها ودينها ورسولها؛ لأن الإسلام يعترف بحق الكتابية في أداء شعائرها الدينية بحرية، ولا يجوز لمسلم في حال تزوج الكتابية أن يُكرهها على اعتناق الإسلام.

أما في الحالة الأخرى، فإن الزوجة يمكن أن تتعرض لمحاولات تنصيرها أو تهويدها، وتغيب عنا قيم أخرى أولى بالاعتبار، وهي قيمة الوئام والتوافق والكفاءة والانسجام بين الزوجين، وتوسيع مفهوم الأسرة ليتجاوز العلاقة بين الزوجين إلى الأقارب والأرحام من الطرفين، والأصل أن نبدأ الحياة على أساس التوافق المجتمعي المستقر، وتستمر برعاية الأولاد.

في إنجلترا، يتحصل من الزواج المختلط أولاد تائهون في بحر الهوية، 28% فقط من هؤلاء الأولاد الذين يكون أحد الزوجين مسلماً يعتبرون مسلمين.

عقد زواج إسلامي ليبرالي!

أما ما يسمى بالاتحاد الإسلامي الليبرالي برئاسة لمياء قدور، الألمانية السورية الأصل، فقد أفتى للفتاة «حنيفة» المسلمة من أصل تركي بشرعية زواجها من ألماني غير مسلم، كما تولى الاتحاد عقد قران «إسلامي» لها! وهو يتخذ موقفاً في قضية زواج المسلمة من غير المسلم، مغايراً لتفسير إجماع علماء المسلمين، إذ يستند في رأيه إلى عدم وجود آية تحرم زواج المسلمة من المسيحي أو اليهودي بشكل صريح، كما ينظر إلى الآية الخامسة من سورة «المائدة» من زاوية أنها تحتمل تفسيرين: «إما تحريم طعام أهل الكتاب على المسلمات لأنهن لم يذكرن في الآية، أو أن تعم هذه الآية كلا الجنسين مما يحلّ للمسلمة الزواج من أهل الكتاب»، وهو مخالفة للإجماع، وجهل مركب وظلمات بعضها فوق بعض.

وقد رد على ذلك رئيس هيئة العلماء والدعاة بألمانيا الشيخ طه عامر، فكتب (بتصرف): سيقول قائل: لن تتزوج المسلمة بمشرك إنما بكتابي، فأين دليل الحرمة؟ فيجاب: بعد تحريم زواج المشركة من قبل في سورة «البقرة» بقول الله عز وجل: ﴿وَلاَ تَنكِحُواْ الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلاَ تُنكِحُواْ الْمُشِرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُواْ﴾ (البقرة: 221)، أباح الله زواج المسلم من أهل الكتاب بقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلُّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ

مُسَافِحِينَ وَلاَ مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾ (المائدة: 5)، فلو لم تنزل هذه الآية لبقي التحريم والحظر عاماً على المسلم؛ ما يعني تحريم الزواج من المشركة والكتابية على السواء، لكن لمّا ثبت تخصيص المحصنات من الذين أوتوا الكتاب، ولم يثبت تخصيص الرجال من أهل الكتاب، بقي النهي والتحريم على أصله وإطلاقه في حق المسلمة.

يقول الشيخ فيصل مولوي: «الإجماع منعقد فعلاً بين جميع المذاهب السنية الأربعة والظاهرية مع الشيعة الجعفرية والزيدية، ولم نسمع ما يخالف ذلك عن أحد من العلماء المجتهدين أن المسلمة لا تحل لغير مسلم..» (إسلام المرأة وبقاء زوجها على دينه، ص 277).

أخبار صادمة

- جاء في الأخبار أن الصين تُجبر نساء طائفة الأويجور المسلمين على الزواج قسراً من رجال من أبناء طائفة الهان البوذية، وفي حال رفضن ذلك، فقد يتم إلقاء القبض عليهن وعلى أفراد أسرهن أو إرسالهم جميعاً إلى معسكرات الاعتقال.

- حملت الأخبار أيضاً زواج شابة بهائية (تؤمن بالبهاء مدعي النبوة وناسخ الشريعة) بشاب مسلم من العراق.

- زواج إعلامية مسلمة من ممثل يهودي في «إسرائيل» بعد أربع سنوات من العلاقة المحرمة.

- اعتناق مسيحي في العراق الإسلام -على الورق فقط- كي يتزوج بمسلمة، ويمارس حياته الطبيعية كمسيحي لا كمسلم.

- تزوجت عراقية مسلمة من مسيحي، وأنجبا طفلين، وعاشا لسنوات دون أوراق ثبوتية للطفلين، وتجنباً من الأب لتسجيلهما مسلمين، هاجروا من العراق.

- رفع أمريكي دعوى تطليق من زوجته الكندية من أصل عربي لأنه اكتشف خداعها له حيث أقرت في عقد الزواج بأنها مسيحية لكنه اكتشف أنها مسلمة، وقضت المحكمة بإبطال عقد الزواج المدني في البحرين.

أما في الهند، فالأخبار لا تتوقف عن زيجات عجيبة ضُرب فيها بالدين والأعراف عرض الحائط، وقام بعضهم بإطلاق مشروع «الحب الهندي» لينشر فيه حكايات الزواج المختلط، أطلق المشروع، الشهر الماضي، عبر تطبيق «إنستجرام»، كما قالوا؛ «للاحتفاء

لا يزال زواج الهندوسيات من مسلمين الأكثر استهجاناً بالهند وتصفه بعض العائلات الهندوسية المتطرفة بأنه «جهاد الحب»!

بالزيجات التي حطمت القيود والحواجز الدينية والطائفية والعرقية والجنسية»، من ذلك:

- روبا، وهي هندوسية، تكتب عن رد فعل والدتها عندما أخبرتها أنها كانت تخطط للزواج من مسلم يدعى راضي عبدي، كانت والدتها قلقة من سهولة الطلاق في الإسلام، وكتبت: «لكن، وبمجرد أن التقى والداي براضي وأدركا أنه إنسان رائع، تلاشت مخاوفهما»، واصفة إياهما بأنهما «منفتحان نسبياً»، والآن، مرّ ثلاثون عاماً على زواج روبا، وراضي، ولديهما ولدان بالغان، ويحتفلون بكل من عيد الأضحى وعيد ديوالي الهندوسي كل عام!

- كتب الصحفي فيراراغاف عن زواجه من سلمى، قائلاً باستخفاف: إن الدين في بيتهم ليس بأهمية كاري الأرز وبرياني لحم الضأن، ما زلت نباتياً، وهي تستمتع بأكل لحم الضأن، ونتاج حبنا هو طفلتنا آينش، تكون هندوسية أو مسلمة بناءً على ما يتم طهيه!

- تنوير إعجاز، مسلم متزوج من امرأة هندوسية تدعى فينيتا شارما، كتب عن قصة تسمية ابنتهما باسم كوهو، وسئل عما إذا كان اسماً هندوسياً أم مسلماً؟ وما الدين الذي ستتبعه ابنتهما عندما تكبر؟ فأجاب: يبدو أن زواجنا الهندوسي- الإسلامي يمكن أن يكون نموذجاً للعلمانية، ويناقض توقعات الناس!

- سانجاي، هندوسي تزوج سراً من مسلمة ولم يخبرا آباءهما إلا بعد عام من الزواج، يقول: إن زوجته تبنت العادات الهندوسية في منزلهما، في حين أن طفليهما يتجاهلان الاختلافات الدينية ويعرفان كيف يقولان السلام عليكم لأجدادهما المسلمين!

- أنجالي، كانت تسمى عُظمى رضا عندما كانت مسلمة قبل أن تتزوج من 18 عاماً بهندوسي يدعى داناجاي سينغ!

لا يزال زواج النساء الهندوسيات من رجال مسلمين هو الأكثر استهجاناً في الهند، وتصف بعض العائلات الهندوسية المتطرفة هذه الزيجات بأنها «جهاد الحب»، فيه حث على العنف ضد المسلمين، وهو اصطلاح شائع مضاد للإسلام لاتهام الرجال المسلمين بالمشاركة في المؤامرة لتحويل النساء الهندوسيات عن ديانتهن عبر إغوائهن، وتقابل العائلات الهندية المحافظة هذه الزيجات باللوم والاستنكار، إلا أن ربط الزواج بدوافع عميقة وخبيثة كوصف جهاد الحب يعتبر ظاهرة جديدة، وبرزت هذه الهوة العميقة بشكل جلي حديثاً، عندما اضطرت شركة مجوهرات إلى سحب إعلان لها بعد رد فعل غاضب لأن الإعلان كان يظهر زوجين؛ مسلماً وهندوسية.

ويبدو أن عرى الإسلام -وهي ما يتمسك به من أمر الدين ويتعلق به من شعب الإسلام- تنقض عروة بعد الأخرى، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لتنقضن عرى الإسلام عروة عروة، فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها، وأولهن نقضاً الحكم وآخرهن الصلاة» (رواه أحمد وصححه الحاكم والألباني)، فاللهم سلّم سلّم.■

قال تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ۖ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ۖ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾﴾

البقرة: ٢٢١

المصادر

1 - العشق الممنوع: تجارب الحب العابرة للأديان والأعراق، بي بي سي دلهي، 11 نوفمبر 2020م.
https://www.bbc.com/arabic/magazine-54886752

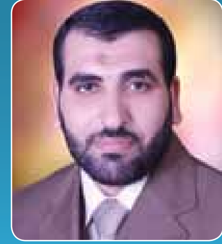
2 - India's religious right denounces intermarriage as 'love jihad'
Financial Times، 28 November 2014

3 - لماذا لا تتزوج المسلمة غير المسلم؟ طه سليمان عامر.
https://www.aljazeera.net/blogs/201921/8/

4 - زواج المسلمات من غير المسلمين في ألمانيا.
https://www.dw.com/ar

5 - Religiously mixed marriages in England and Wales
https://ukdataservice.ac.uk/media/604843/voas.pdf

مقال



محمد فتحي النادي



الالتفاف حول العلماء الراسخين

حينما يقع العلماء في المضايق بسبب مواقفهم، فإنه مما يثبت جنانهم أن يروا أو يستشعروا وقوف الناس بجانبهم، حتى وإن لم يملك هؤلاء الناس أن يخففوا عنهم شيئاً من البلاء.

في كثير من الأحيان يكون ساعد الحق ضعيفاً، لكن يكون لسانه ومنطقه قويين، ويستمد هذه القوة من قوة جنانه، ويستمد الجنان هذه القوة من إيمانه الوثيق بالله وأنه على الحق، وكذا بكلمة قد يسمعها من غيره تثبته وترفع همته وعزيمته، أو إحساسه أن القلوب المؤمنة به وبموقفه معه تسانده وتؤازره.

لكنه إن كان في محنته ورأى انصراف الناس عن مؤازرته فلا شك أنه سوف يشعر

قد يأتي التثبيت للعالِم من أناس لا يتوقعهم وربما لا يكونون على درجة من العلم

التفاف الناس جعل السلطة تخاف من الإقدام على قتل ابن حنبل وجعلها تخفف من قبضتها على ابن تيمية

بخيبة أمل ومرارة وغصة.

هو يلوذ ويعتصم بإيمانه بالله حتى لا يحبط عمله؛ ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (آل عمران: 101)، لكن هذا لا يمنع من تجرعه للغصص والمرارات من مواقف الناس وانصرافهم عنه، أو انحيازهم لخصومه، وهو الذي يفعل ذلك من أجلهم، ولو شاء لصان عرضه، وحفظ دمه، وأبقى مهجته، ولبلغ المناصب العالية، ورفل في النعيم.

وقد يأتي التثبيت من أناس لا تتوقعهم ولا يخطرون لك ببال، بل قد لا يكونون على درجة من العلم الشرعي أو الفكري، ورغم هذا يكون لكلامهم أعظم الوقع في النفوس، فقد «حضر أحمد بن حنبل أبو محمد الطفاوي، فذكر له حديث، فقال أبو عبدالله: أخبرك بنظير هذا، لما أخرج بنا، جعلت أفكر فيما نحن فيه، حتى إذا صرنا إلى الرحبة، أنزلنا بظاهرها، فمددت بصري، فإذا بشيء لم أستثبته، فلم يزل يدنو، وإذا أعرابي جعل يتخطى تلك المحامل حتى صار إليَّ، فوقف عليَّ، فسلم.

ثم قال: أنت أحمد بن حنبل؟

فسكت تعجباً!

ثم أعاد، فسكت.

فبرك على ركبتيه، فقال: أنت أبو عبدالله أحمد بن حنبل؟

فقلت: نعم.

فقال: أبشر واصبر، فإنما هي ضربة هاهنا، وتدخل الجنة هاهنا.

ثم مضى.

فقال الطفاوي: يا أبا عبدالله! إنك محمود عند العامة.

فقال: أحمد الله على ديني، إنما هذا دين، لو قلت لهم، كفرت»[1].

فقد يتصنع البعض الحكمة في موضع الشدة والبلاء هرباً من الوقوف في وجه الباطل والثبات على الحق، لكن تأتي الحكمة الحقيقية والتثبيت من بعض العوام الذين لا يذكرهم التاريخ ولا يعرف لهم حسباً ولا نسباً ولا عملاً غير ما ذُكر.

وهذا الالتفاف من العامة حول الإمام أحمد جعل السلطة تخاف من الإقدام على قتله، بل كانت تخشى على نفسها من العامة، يقول الذهبي: «قال ابن سماعة: يا أمير المؤمنين، اضرب عنقه ودمه في رقبتي، فقال ابن أبي دؤاد: لا يا أمير المؤمنين، لا تفعل؛ فإنه إن قتل أو مات في دارك، قال الناس: صبر حتى قتل، فاتخذه الناس إماماً، وثبتوا على ما هم عليه، ولكن أطلقه الساعة، فإن مات خارجاً من منزلك، شك الناس في أمره، وقال بعضهم: أجاب، وقال بعضهم: لم يجب.

وقال ابن أبي حاتم: سمعت أبا زرعة يقول: دعا المعتصم بعم أحمد، ثم قال للناس: تعرفونه؟ قالوا: نعم، هو أحمد بن حنبل.

قال: فانظروا إليه، أليس هو صحيح البدن؟ قالوا: نعم.

ولولا أنه فعل ذلك، لكنت أخاف أن يقع

شيء لا يقام له.

قال: ولما قال: قد سلمته إليكم صحيح البدن، هدأ الناس وسكنوا.

قلت: ما قال هذا مع تمكنه في الخلافة وشجاعته إلا عن أمر كبير، كأنه خاف أن يموت من الضرب، فتخرج عليه العامة.

ولو خرج عليه عامة بغداد لربما عجز عنهم.

وقال حنبل: لما أمر المعتصم بتخلية أبي عبدالله، خلع عليه مبطنة وقميصاً وطيلساناً وقلنسوة وخفاً، فبينا نحن على باب الدار، والناس في الميدان والدروب وغيرها، وغلقت الأسواق إذ خرج أبو عبدالله على دابة من دار المعتصم في تلك الثياب، وأحمد بن أبي دؤاد عن يمينه، وإسحاق بن إبراهيم -يعني: نائب بغداد- عن يساره.

فلما صار في الدهليز قبل أن يخرج، قال لهم ابن أبي دؤاد: اكشفوا رأسه فكشفوه، يعني: من الطيلسان، وذهبوا يأخذون به ناحية الميدان نحو طريق الحبس.

فقال لهم إسحاق: خذوا به هاهنا يريد دجلة، فذهب به إلى الزورق، وحمل إلى دار إسحاق ابن إبراهيم، فأقام عنده إلى أن صليت الظهر.

وبعث إلى والدي وإلى جيراننا ومشايخ المحال، فجمعوا وأدخلوا عليه.

فقال لهم: هذا أحمد بن حنبل، إن كان فيكم من يعرفه وإلا فليعرفه.

وقال ابن سماعة -حين دخل الجماعة- لهم: هذا أحمد ابن حنبل، وإن أمير المؤمنين ناظره في أمره، وقد خلى سبيله، وها هو ذا، فأخرج على فرس لإسحاق بن إبراهيم عند غروب الشمس، فصار إلى منزله، ومعه السلطان والناس، وهو منحن»[2].

ابن تيمية

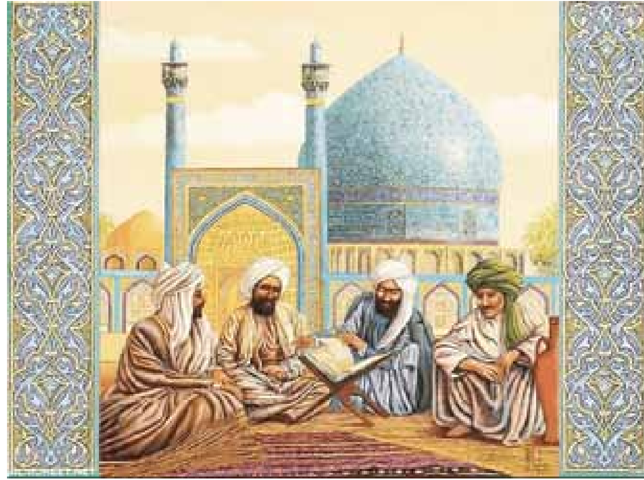
ورغم وجود الضيق وحلول البلاء يلتف الناس حول بعض العلماء، فلا يُعجب ذلك بعض أطراف السلطة، فتمعن في التضييق والإيذاء، يقول ابن حجر عن ابن تيمية: «عُقد مجلس في ثالث عشر منه (أي: رمضان) بعد صلاة الجمعة، فادُّعي على ابن تيمية عند المالكي فقال: هذا عدوي، ولم يجب عن الدعوى، فكرر عليه فأصر، فحكم المالكي بحبسه، فأقيم من المجلس وحبس في برج، ثم بلغ المالكي أن الناس يترددون إليه، فقال: يجب التضييق عليه إن لم يقتل وإلا فقد ثبت كفره، فنقلوه ليلة عيد الفطر إلى الجب»[3].

والتفاف الناس حول ابن تيمية جعل السلطة تخفف من قبضتها عليه، وذلك يأتي من باب تصارع القوى والسلطات داخل النظام الواحد؛ إذ قد يتشدد الفقهاء وهم الأقران ويتلطف الأمراء، أو يكون التباين داخل فريق الأمراء أو فريق الفقهاء.. إلخ، يقول ابن حجر: «اعتقل بسجن بحارة الديلم في ثامن عشر شوال إلى سلخ صفر 709هـ، فنقل عنه أن جماعة يترددون إليه، وأنه يتكلم عليهم في نحو ما تقدم، فأمر بنقله إلى الإسكندرية، فنقل إليها في سلخ صفر، وكان سفره صحبة أمير مقدم ولم يمكن أحداً من جهته من السفر معه، وحبس ببرج شرقي، ثم توجه إليه بعض أصحابه فلم يمنعوا منه، فتوجهت طائفة منهم بعد طائفة، وكان موضعه فسيحاً فصار الناس يدخلون إليه ويقرؤون عليه ويبحثون معه»[4].

والتفاف الناس حوله كان مصاحباً له في كل مكان، في الشام ومصر، يقول ابن حجر: «سكن القاهرة وتردد الناس إليه إلى أن توجه صحبة الناصر إلى الشام بنية الغزاة في سنة 712هـ، وذلك في شوال، فوصل دمشق في مستهل ذي القعدة، فكانت مدة غيبته عنها أكثر من سبع سنين، وتلقاه جمع عظيم فرحاً بمقدمه»[5].

فالتفاف الناس حول أحد العلماء في وقت محنته سلاح ذو حدين؛ إما يجعل السلطة لا تبالغ في التضييق عليه إن كانت عاقلة، أو تحاول إثبات هيبتها بالإمعان في التضييق والإيذاء إن غرَّتها قوتها ونسيت سياساتها.

وفي كل الأحوال هذا الالتفاف يخيف السلطات.



قد تحاول السلطة إثبات هيبتها بالإمعان في التضييق والإيذاء إن غرَّتها قوتها ونسيت سياستها

العقل الجمعي للعامة فيه من الذكاء ما يمكِّنهم من تمييز العلماء الأثبات الراسخين من العلماء المدعين

وفي المقابل، قد تصنع السلطة رموزاً من علماء السلطان، وتحاول بكل ما أوتيت من قوة أن تصنع حولهم هالة كي يعظمهم الناس ويكونوا طوع بنانهم، وحبل هؤلاء العلماء موصول بالسلطات، فيكون حبل الناس موصولاً بالسلطة عن طريق هؤلاء العلماء.

والعقل الجمعي للعامة فيه من الذكاء ما فيه مما يمكنهم من تمييز العلماء الأثبات الراسخين من العلماء المدعين الذين لا يثبتون على موقف، وتدور مواقفهم بدوران أصحاب القصر والسلطان، فيقولون اليوم ما قد يخالفونه غداً طالما ارتآه أهل السلطان.

فقد ينخدع هذا العقل الجمعي بعض الوقت، لكنه لا ينخدع كل الوقت، ويعرف العلماء الجديرين بحبهم وتقديمهم والأخذ عنهم والتأثر بمواقفهم وأحوالهم.■

الهوامش

(1) سير أعلام النبلاء، للذهبي، 11/258-259.
(2) المرجع السابق، 11/259-260.
(3) الدرر الكامنة، 1/171.
(4) المرجع السابق، 1/173.
(5) المرجع السابق، 1/174.



تـربوي

إيمان مغازي الشرقاوي
ليسانس شريعة - ماجستير الدعوة
جامعة المدينة العالمية

محطات إيمانية في طريق التربية

إذا تحدثتَ عن الرحمة بهم وجدتَ قلبه يفيض بها رأفة ورقة، وعطفاً وحنواً، ورفقاً وإشفاقاً، فكان للجميع أباً رؤوفاً رحيماً؛ فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «ما رأيتُ أحداً كان أرحمَ بالعيال من رسول الله صلى الله عليه وسلم» (رواه مسلم)، فقد وسعت أخلاقه العظيمة كل من حوله، وامتدت رحمته لتشمل فصيلة الضعاف الذين ليس لهم نصيب من القوة بعد، وهم الأطفال؛ حيث أثبت النبي صلى الله عليه وسلم حق الطفل في الحياة الطيبة، وحقه في التربية الصحيحة والرعاية الصحية والتغذية البدنية، والحماية من الأخطار، والعيش في أمان، وحمل النبي صلى الله عليه وسلم هذه الرسالة للعالمين، ولا عجب، فالطفل سرعان ما يكبر ليصير عماد الأمة ومستقبلها واللبنة التي إن صلحت صلح بها بناء أمته؛ لذا كان يُعِدُّ الأطفال منذ نعومة أظفارهم لذلك.

أرحم الناس بالعيال



النبي كان يعامل الأطفال بما يناسب عقولهم وأعمارهم فيُظهر لهم عطفه وينمي فيهم الشعور بمكانتهم

إذا بحثنا عن أصول التربية وقواعدها فسنجد أن النبي هو المؤسس الأول لها

كان النبي صلى الله عليه وسلم رحيماً بالعيال، وقد يُظهر رحمته لهم في قُبلة يطبعها على جبينِ أحدهم، كما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الأقرع بن حابس، أبصر النبي صلى الله عليه وسلم يُقبِّل الحَسَن فقال: إن لي عشرة من الولد، ما قبّلتُ واحداً منهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنه من لا يَرحم لا يُرحم» (رواه مسلم).

وقد تظهر هذه الرحمة في دعوة بالبركة لهم، كما تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «كان النبي صلى الله عليه وسلم يُؤتَى بالصبيان فيدعو لهم» (متفق عليه)، أو في حُنوّه عليهم كما روى أسامة بن زيد، وقال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذني فيقعدني على فخذه ويقعد الحسن بن عليّ على فخذه الأخرى ثم يقول: «اللهم إني أرحمهما فارحمهما» (صحيح ابن حبان)، أو في السلام عليهم كما روي عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يزور الأنصار ويسلم على صبيانهم ويمسح رؤوسهم (صحيح ابن حبان)، أو في لعقة من حلوى يحبها الطفل، كما روي عن جابرٍ ابن عبدالله أنه أهديت للنبي صلى الله عليه وسلم جرة فيها حلواء، فجعل يأتي على رجل رجل فيلعقه، حتى أتى عليَّ وأنا غلام، فألعقني لعقة ثم قال: «أزيدك؟»، فقلت: نعم، فألعقني أخرى لصغري، فلم يزل كذلك حتى أتى على آخر القوم.

وقد تظهر رحمته الكبيرة في ملامسة يده الشريفة خدود الأطفال يمسح عليها عطفاً وحباً، كما روي عن جابر بن سمرة قوله: صليتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الأولى (الصبح أو الظهر)، ثم خرج إلى أهله وخرجت معه، فاستقبله ولدان، فجعل يمسح خَدَّيْ أحدهم واحداً واحداً، قال: وأما أنا فمسح خَدِّي، قال: فوجدْتُ لِيَده بَرْداً، أو ريحاً كأنما أخرجها من جُؤْنة عطار (أي سَلَّته) (صحيح مسلم).

فيا لها من رحمة! ويا لها من مواقف تُنقش في عقول الأطفال ولا تبرحها مهما كبروا، أثرها كبير ومفعولها واضح في بناء الطفل وتنمية مشاعره وتغذية عقله وروحه وعاطفته!

اللعب والرعاية والتعليم

انظر كيف كان يتعامل النبي صلى الله عليه وسلم مع الأطفال بما يناسب عقولهم وفطرتهم وأعمارهم واحتياجاتهم، فيظهر لهم عطفه وحبه ورحمته، وينمي فيهم الشعور بمكانهم ومكانتهم، فلم يكن النبي صلى الله عليه وسلم ليهمل حقهم كأطفال في اللعب الذي هو جزء مهم في حياة كل طفل يساهم في بناء عقله وجسده، فتحكي عائشة رضي الله عنها وتقول: كُنْتُ ألعَبُ بالبنات وتجيءُ صواحبي فيلعَبْنَ معي، فإذا رأيْنَ النبي صلى الله عليه وسلم قُمْنَ منه، فكان يُدخِلُهنَّ إليَّ فيلعبن معي. (صحيح ابن حبان)، يمر على الأطفال وهم يلعبون فلا ينهرهم ولا يزجرهم

بل يسلم عليهم، قال أنس: أتى عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ألعب مع الغلمان فسلم علينا. (رواه مسلم)، وكان يصُفّ عبدالله، وعبيدالله، وكُثَيِّراً، بني العباس ثم يقول: «مَن سبقَ إليَّ فله كذا وكذا»، قال: فيستبقون إليه، فيقعون على ظهره وصدره فيقبِّلهم، ويلزمهم. (رواه أحمد).

كان صلى الله عليه وسلم يوجههم بحب ويعلمهم برفق، فيقول لعمر بن أبي سلمة: «يا غلام، سَمِّ الله، وكُلْ بيمينك، وكُلْ مما يليك» (رواه مسلم)، ويقول لابن عباس: «يا غلام، إني معلمك كلمات؛ احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك» (رواه أحمد).

وكان يقدرهم ويجلسهم في مجلسه، فعن سهل بن سعد الساعدي قال: أتي النبي صلى الله عليه وسلم بقدح فشرب منه، وعن يمينه غلام أصغرُ القوم، والأشياخ عن يساره، فقال: «يا غلام، أتأذن لي أن أعطيه الأشياخ؟»، قال: ما كنتُ لأوثِرَ بفضلي منكَ أحداً يا رسول الله، فأعطاه إياه. (رواه البخاري).

ويعلمهم أن الكلمة أمانة ويأتمنهم عليها، كما قال أنس بن مالك: «أسرّ إليّ النبي صلى الله عليه وسلم سراً، فما أخبرت به أحداً بعده، ولقد سألتني أم سليم رضي الله عنها –أمّه– فما أخبرتها به» (رواه البخاري).

ويدعو إلى الصدق معهم وعدم الاستخفاف بعقولهم البريئة، فعن عبدالله ابن عامر قال: دعتني أمي يوماً ورسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد في بيتنا، فقالت: ها تعالَ أعطيك، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وما أردت أن تعطيه؟»، قالت: أعطيه تمراً، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أما إنك لو لم تعطيه شيئًا كتبت عليك كذبة» (صحيح أبي داود).

فإذا بحثنا عن أصول التربية وقواعدها وأسسها، فسنجد أن النبي صلى الله عليه وسلم هو المؤسس الأول لها، وواضع أصولها، ومطبقها على أرض الواقع، فلم تكن مجرد نظريات تُصاغ لتمتلئ بها الكتب وتلوكها الألسنة في المحافل والمؤتمرات؛ بل صاغ بها نفوساً عالية ملأت الأرض نوراً وعلماً، فكانت بحق خير القرون إلى يوم الدين.

لم يكن ليهمل حق أحد مهما صغر، بل كانت الحقوق محفوظة لصاحب كل حق منها، وقد وضع وثيقتها متمثلة في أقواله وأفعاله، وسنته وشريعته، فأعلن حقوق الأطفال قبل أكثر من ألف وأربعمائة عام، وقبل أن تتكلم عنها الهيئات الحقوقية، وسَجَّلها عملاً وتطبيقاً دون إجحاف أو إهمال، وبلا عنصرية أو تعصب لنسب الطفل وقبيلته، أو لونه وجنسه.



كثير من الأطفال اليوم بحاجة لحمايتهم من الوقوع في مستنقع المخدرات تعاطياً أو بيعاً

لم يُعرف في التاريخ للطفل حقه كما في الإسلام ولم يُشَرّع قانون حقوقاً متكاملة للطفل كما شرّعها هذا الدين

بين الحقوق والتحديات

إن الأطفال اليوم في معظم بلاد العالم ذهبت حقوقهم، وسُلبت طفولتهم، وسُرقت سعادتهم، وجاع كثير منهم وساءت تغذيته.

وقد حذرت منظمة «يونيسف»، في تقرير لها عام 2019م، من أن ما لا يقل عن واحد من كل ثلاثة أطفال دون سن الخامسة يعانون من نقص التغذية.

إنهم يعيشون تحديات كبيرة في ظل الصراعات والسياسات الدولية، التي يضيع معها حق الطفل قبل أن يولد، وتوأد أحلامه قبل أن يفتح عينيه على الحياة! وإنّ حال كثير منهم اليوم الذين زُجَّ بهم في الصراعات المسلحة وصاروا ضحايا الحروب، وأصبحوا ذوي عاهات نفسية وبدنية، مشردين لاجئين بلا آباء أو أمهات، وما حدث أخيراً في أمريكا من تفريق آلاف الأطفال المهاجرين عن ذويهم، لهو خير شاهد على ذلك.

لكن الإسلام قد كفل للطفل سلامته وأمنه، وحضن أبيه وأمه، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «من فرَّق بين الوالدة وولدها، فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة» (صحيح الترمذي).

كما يتعرض العديد من الأطفال لأشكال مختلفة من العنف والاستغلال والإيذاء، بما في ذلك الاعتداء والاستغلال الجنسي، والعنف المسلح، والاتجار بالأطفال، والترهيب على الإنترنت، وعمالة الأطفال، وغير ذلك من الممارسات الضارة الأخرى، ويُقدر عدد الأطفال الذين يعملون ويعمل كثير منهم بدوام كامل في جميع أنحاء العالم نحو 215 مليون طفل (منظمة العمل الدولية).

وإن كثيراً من الأطفال اليوم في حاجة لحمايتهم من الوقوع في مستنقع المخدرات تعاطياً أو بيعاً، كما أنهم في حاجة ماسة للحفاظ على عقولهم وقلوبهم الغضة من أخطار الإدمان للأجهزة الإلكترونية بحلوها ومرها التي تنتزع منهم براءتهم وصحتهم وعمرهم وأسرتهم، والنظر بجدية في كل ما يقدم لهم وتنقيحه.

لقد جاءت شريعة الإسلام قرآناً وسُنة داعية لأداء حقوق الأطفال ذكوراً وإناثاً، والحفاظ عليها، والتواصي بها، وذلك من قبل أن يوجد هذا الطفل ويخرج إلى الحياة، فما أسعد الأطفال إن أخذ بها! ولم يُعرف في التاريخ للطفل حقه كما عُرف في الإسلام، ولم يُشَرَّع أي قانون حقوقاً متكاملة للطفل كما شرّعتها شريعة الإسلام، ولم يوجد مَن هو أحنّ على الأطفال وأرحم بهم وأحرص عليهم من رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم.■



تنمية ذاتية

تصرفات شائعة تصنع مشكلات في العمل

نجلاء محفوظ
نائب رئيس تحرير «الأهرام»

يشكل النجاح بالعمل جزءاً مهماً من النجاح بالحياة، وكيف لا وهو يمنحنا الرضا عن النفس والفرح بالإنجاز ويساعدنا على النجاح بباقي تفاصيل الحياة؟ والعكس صحيح؛ فمشكلات العمل تؤثر علينا بالسلب وتقلل من صبرنا ومن قدرتنا وأحياناً رغبتنا بالتعامل بهدوء خارج العمل مما يعرضنا لمتاعب. نكشف هنا عن تصرفات تتسبب في مشكلات بالعمل لنتجنبها ولنصبح أكثر فاعلية بالتعامل مع مشكلات العمل الأخرى.



لتنجح بعملك حافظ على مواعيدك بالذهاب وبمغادرة العمل، واهتم بأداء مهامك بالوقت المطلوب، ولا تجهد نفسك لتؤديها قبله؛ فسينظر إليك البعض على أنك مغرور يسعى لإثبات أنه أفضل من الجميع أو متسرع، وقد يضيفون إليك أعباء جديدة ترهقك أو يتوقعون منك الأداء السريع دوماً ولن تستطيعه.

يبالغ البعض بالتودد وبالمديح للرؤساء والزملاء بالعمل لكسب محبتهم وتجنب المشكلات، وهذا خطأ، فالمبالغة بكل شيء تفسده، والود المتصنع يفضح نفسه، ولا نرحب بالمعاملة الجافة؛ فخير الأمور الوسط.

المبالغة بكل شيء تفسده والود المتصنع يفضح نفسه ولا نرحب بالمعاملة الجافة فخير الأمور الوسط

من الجيد الدعاية لنفسك ولكن المبالغة تأتي بنتائج عكسية وتدفع للتعامل معك على أنك مغرور

يتوقع البعض أنه بسبب حسن تعامله مع الجميع لن تحدث له أي مشكلات، وهذا غير واقعي؛ فلا بد من وجود مشكلات بالعمل، ومن الخطأ التعامل معها وكأنها كارثة، ونوصي بمواجهتها بهدوء ومعرفة دورنا فيها؛ فالتنازل عن امتيازاتنا يصنع المشكلات ولا يمنعها، وكذلك التشدد بالمطالبة بها وعدم رؤية الواقع -كما هو- للفوز بالأفضل حالياً، ونتنبه للفوز بالباقي لاحقاً.

ساعد نفسك

يشكو البعض من عدم حب المدير أو المسؤول لهم، وهؤلاء نهديهم هذه الأسئلة ونود الإجابة عنها بأمانة تامة لمساعدة أنفسهم على إيجاد الحلول المناسبة:

إذا كان مديرك لا يحبك؛ فتوقف وراقب تصرفاتك معه:

هل تسيء معاملته أمام الزملاء؟

هل تتجاهل تعليماته بالعمل؟

هل تتكلم عنه بما يسيء إليه في غيابه؟

هل هناك من يفسد العلاقة بينك وبينه؟

هل لا يثق بك لأنك أفشيت -ولو دون تعمد- أسرار العمل أو كلاماً خصَّك به؟

هل تعتمد على طلب المساعدة من الزملاء ولا تحاول العمل وحدك مما سيدفعهم للشكوى منك كثيراً؟

هل تتعامل معه بتحدٍّ، أو كأنه ليس جديراً بمنصبه؟

وحتى لو كان كذلك، فهل تعتقد أن سوء معاملتك له سيدفع إلى تغييره وتعيين غيره بدلاً منه، أم فقط ستدفعه لإساءة معاملتك وربما لعقابك أيضاً؟

هل يستفيد زملاؤك بالالتحاق بالدورات وزيادة مهاراتهم وتكتفي أنت بما تعلمته سابقاً؟

هل أنت لا تختار الوقت المناسب لإخباره بالأخبار السيئة، أو الكلام معه بأمور مهمة؛ كأن يكون مشغولاً جداً أو مرهقاً أو إثر تلقيه مكالمة مزعجة أو بعد مشاجرة؟

هل تهاجمه عندما لا يلبي طلباً تراه من حقك وتتهمه بالظلم وتواجهه بعنف؟

هل تقوم بإحباطه عندما يتحدث عن خطط طموحه للعمل؟

هل تبدو أمامه بصورة الموظف المتكاسل الذي يحرص على أداء أقل ما يمكنه ليتفادى العقاب والمساءلة؟

هل تبالغ بتقدير أدائك وكأنه إنجاز غير مسبوق أو معجزة؟ من الجيد الدعاية لنفسك ولكن المبالغة تأتي بنتائج عكسية، وتدفعهم للتعامل معك على أنك مغرور ويتجنبونك حتى لو كنت مميزاً.

هل تغالي بالاعتزاز بالنفس وتقلل من احترامك لمديرك أو لزملائك؟ تذكر أن حسن علاقتك بزملائك يشكل جزءاً مهماً من نجاحك المهني ومن علاقتك الناجحة بمديرك ونجاحها بالتعاون معهم، عندما يطلبون ذلك، واحذر من فرض ذلك عليهم والحفاظ على مسافات بينك وبينهم للحفاظ على خصوصيات الجميع ومنع تطفلهم عليك بحزم وبلطف ولا تتطفل عليهم.

هل تكثر من طلب الإجازات كلما شعرت بتعب بسيط أو عند تعرض أحد أفراد أسرتك لأي مشكلة؟

هل ترى أن مديرك وزملاءك يجب أن يتحملوا مشكلاتك الخاصة وتقلبات مزاجك ويتسامحوا مع غضبك؟ وتتناسى أن الجميع لديهم مشكلاتهم وليسوا مسؤولين عن سعادتك وتحسين مزاجك؛ فأنت المسؤول الوحيد عن ذلك، وأن التعامل بحدة وعصبية بالعمل بسبب مشكلاتك الخاصة ستصنع لك مشكلات جديدة بالعمل تضاعف من متاعبك وتضعف قدرتك على التعامل مع مشكلاتك الخاصة؛ والأذكى تجنب صنع متاعب جديدة بالعمل، ولا تكن كالدولة التي تحارب مع عدة دول في الوقت نفسه، فمهما كانت قوتها فستتعرض للهزيمة ولو بعد حين مع الاستنزاف غير المبرر لطاقاتها.

تستطيع تحسين ظروفك

أخيراً، هل مديرك لا يحبك لمبالغتك بالشكوى له من رؤسائك السابقين وإفشائك أسرارهم وفضحهم أمامه؛ فيخاف أن تفعل ذلك به إذا اختلفت معه أو تركك للعمل؟ إذا كنت فعلت ذلك فأصلح الأمور، واذكر أي محاسن لمديرك السابق لتمحو الصورة السيئة التي كوَّنها عنك أو تقلل منها.

لا تتعامل مع عدم حبه لك كواقع لا يمكن تغيره؛ فدائماً تستطيع فتح ثغرة بأي جدار إن لم تتمكن من هدمه.

ولا تجعل هدفك أن يحبك مديرك أو أن يرضى عنك زملاؤك؛ فقد يدفعك ذلك -لا قدر الله- للتنازل عن مبادئك لإرضائهم أو مجاملتهم بالتخلي عما تراه مفيداً للعمل أو تملقهم وما يتبعه من خسائر دينية ودنيوية فادحة يجب النأي بنفسك عنها.

لا تتعامل مع عدم حب مديرك لك كواقع لا يمكن تغييره فقد تستطيع فتح ثغرة بأي جدار إن لم تهدمه

اصنع لنفسك هالة من الاحترام ابدأها بالثقة بنفسك فلا تفعل ما يقلل من تقديرك

واهتم بأداء عملك جيداً، وتقليل الأخطاء ولن نقول منعها، فلا أحد معصوم من الخطأ، ومهم منع الاستكبار وحذفه من حياتك بالعمل وخارجه، فعندما تخطئ سارع بالاعتراف بهدوء وبأقل كلمات واعتذر بلا مبالغة؛ فالمبالغة بالاعتذار مرفوضة وتشجع ضعاف النفوس على النيل منك، والاعتذار بصلف أو بكلمات مثل: أعتذر لو كنت مخطئاً؛ تضايق الآخرين، وتحرضهم فيردون بالأسوأ.

وتعهد بعدم تكرار خطئك وتنبه لذلك؛ لتنجح بالالتزام به، وضاعف التركيز بالعمل وإلقاء نظرة مدققة ومتأنية قبل الدفع به لزميل أو لمدير؛ لتمنح نفسك فرصة اكتشاف أي أخطاء والمسارعة بتصحيحها، واجعل ذلك عادة وستصبح أخطاؤك نادرة، وستتحسن علاقتك بالجميع والعكس صحيح؛ عندما تتهاون بأداء عملك وتكرر الأخطاء وتتحجج بأن الجميع يخطئون، كما يقول البعض، والأفضل منع تكرار الأخطاء وتذكر أنك عرضة لأخطاء جديدة، فلماذا تزيد حمولتك بتكرار الأخطاء القديمة؟

إذا تعرض مديرك أو زميلك لمشكلة صحية أو أسرية؛ فلا تتجاهل عرض تقديم المساعدة، ولا تبالغ فتبدو كمن يريد انتهاز الفرصة للتقرب، ولا تحاول معرفة ما يريد إخفاءه، وإذا رفض المساعدة؛ فلا تتضايق ولا تعتبر ذلك رفضاً أو عدم ترحيب شخصي بك ولا تلحّ، واكتف بالقول بأنك مستعد للمساعدة في أي وقت يريده، وستدعو له بالخير وانصرف لشؤونك ولا تشكه للزملاء؛ فما أكثر من ينقلون الكلام بسوء نية أو دون تعمد لحبهم للثرثرة وللقيل والقال فتجنب ذلك.

اصنع لنفسك هالة من الاحترام؛ وابدأها باحترام نفسك فلا تفعل ما يقلل من تقديرك ومن تقدير الآخرين لها، واحترمهم وكن وسطاً؛ فلا تتعالَ على أحد بسبب منصبك، ولا تغالِ بالتواضع وإن كنت في بداية حياتك العملية.

تذكر أهمية مجاملة مديرك وزملائك - أياً كانت علاقتك بهم- في مناسباتهم السارة أن تبدي لهم مشاعر جميلة وودودة، فحتى لو كانت علاقتك سيئة بالبعض وهنأته بصدق لترقية أو مناسبة شخصية، فستتحسن علاقتك به وسيقل توتر علاقتكما، والعكس صحيح، ولا تقل بأنه لا يحبني ولن يتقبل ما أفعله، أو ربما يراه تملقاً، وافعل الصواب -دون مبالغة- ولا تبدو متلهفاً لتغيير تصرفاتهم معك.

تذكر أن الكلمة الطيبة صدقة، وأن تبسمك في وجه أخيك صدقة، واحرص على ذلك بالعمل وخارجه؛ وستتسع حياتك وستقل مشكلاتك به وخارجه، وستفوز بادخار طاقاتك لبذلها فيما يفيدك، بينما التهجم والكلام المسيء يخصمان منك دينياً ودنيوياً؛ والأولى معروفة، والثانية ستصنع عداوات لا مبرر لها، ويتجهم البعض توهماً أن ذلك يجلب له الهيبة والمهابة، وهذا خطأ؛ فالواثق من نفسه وحده يتعامل بلطف وبحزم ولا يتصنع القوة بالتجهم وبالصوت العالي وبالحدة وبالكلام المسيء؛ فمن يفعل ذلك يخسر حب الناس وتقديرهم ويحرضهم على إيذائه بالقول وبالتصرف متى سنحت لهم الفرصة، وتجنب خطأ كثرة المزاح مع الزملاء، وضع مسافات بالكلام والتصرفات لا تسمح بتجاوزها لا أنت ولا هم؛ لتقلل مشكلاتك ولتضاعف نجاحك.■



بقلم:
محمد سالم الراشد

الإدارة الأمريكية الجديدة.. وتحدي التعامل مع قضايا العرب

بعد حسم الانتخابات الرئاسية الأمريكية لصالح المرشح «جون بايدن» أخيراً، حيث إنه من المؤكد أن الجاليات العربية والإسلامية كان لها دور في نجاح الرئيس الأمريكي الجديد وخصوصاً في ولاية ميشيغان، لكن من المعروف أن تصريحات المرشحين الأمريكيين للرئاسة أثناء الانتخابات هدفها النجاح والتكسب الانتخابي، فلا عبرة بالشعارات والوعود التي يطرحها المرشحون أثناء الانتخابات.

ولكن تظهر مصداقية الرئيس حال فوزه في تنفيذ شعاراته من عدة أمور، منها: إصدار القوانين التي وعد بها ناخبيه، وإحداث تغييرات في إدارته بتعيين الداعمين له أو من يمثلهم، وينحاز لقضاياهم الداخلية، أو تنفيذ سياسات خارجية تنسجم مع مطالبهم تجاه القضايا العادلة التي طالبوا بها أثناء دعمهم للمرشح في فترة الانتخابات.

فهل ستحصد الجاليات العربية والإسلامية من تلك الوعود شيئاً؟ فالجميع ينتظر «بايدن» وسياساته وقراراته الجديدة.

لكن في الواقع هناك تحديات أمام الإدارة الأمريكية الجديدة في قدرتها على تنفيذ وعودها ما بين مصلحة الولايات المتحدة ومبادئ العدل والحق والقانون، فمنذ أن دخلت الولايات المتحدة المنطقة بدلاً من الاستعمار البريطاني، فإن السياسة الخارجية الإستراتيجية للولايات المتحدة لم تتغير في 3 أهداف رئيسة:

1 - انسياب النفط إلى المجمع الغربي بأسعار معقولة وبأمان.

2 - الحفاظ على أمن «إسرائيل» كدولة حليفة للولايات المتحدة.

3 - مقاومة النفوذ الدولي لأي قوة ضد الولايات المتحدة.

وعليه، فإن سياسات الولايات المتحدة الأمريكية الجديدة التي سيطلقها «بايدن» قد تستخدم أسلوب الدبلوماسية الخشنة، لكنها لن تسعى للحرب أو إرباك المنطقة بحروب كبيرة قد تورطها في ظل تراجع الاقتصاد الأمريكي وجائحة «كورونا»، وضعف اليقين للتعاون مع حلفاء الولايات المتحدة في أوروبا، وازدياد حجم التقدم الصيني في منطقة الشرق الأوسط والخليج وأفريقيا ودول شرق آسيا.

ستظل المنطقة العربية تحت بصر الولايات المتحدة ممسكة بأزماتها دون حل، وأيضاً دون الدخول في الفوضى غير المسيطر عليها.

لكن المنطقة ستكون ذات أولوية ثانوية بسبب تراجع أهمية النفط كعامل متحكم في السياسات والاقتصاد بالولايات المتحدة، وأيضاً بسبب التزام الولايات المتحدة بالكيان الصهيوني متفوقاً إستراتيجياً على جيرانه العرب؛ مما لن يعطي العرب أي خيرة أو أولوية.

أما موضوع إيران والاتفاق النووي، فمن المتوقع أن يعيد «بايدن» المفاوضات مع إيران والتفاهم معها، واستثمار الضغوطات والحصار الاقتصادي التي خلفها «ترمب» لإعادة إنتاج اتفاق جديد ولكن على حساب المنطقة، والتفاهم مع إيران في العراق وسورية ولبنان واليمن، خصوصاً أن «بايدن» يعارض الحرب في اليمن؛ وبالتالي فإن هناك تحدياً أمام الإدارة الأمريكية الجديدة في كيفية تنظيم مصالحها مع دول الخليج ومصر وليبيا، ومن أهم التحديات أمام «بايدن» هو كيف يتعامل مع الملف السوري والليبي وحصار قطر في ضوء التواجد التركي المباشر بها؛ مما يضع الرئيس الأمريكي الجديد في توازنات مصلحية ذات خيار مضطرب، وبما يتنافى مع كل ما وعد به ناخبيه متعددي التوجهات والمطالب من الأقليات المختلفة، فهو حليف قوي للجالية اليونانية التي تطالب بالضغط على تركيا الحليف الإستراتيجي في «الناتو».

سيجد «بايدن» نفسه أمام خيارات صعبة للتعامل مع المستجدات والأطراف الفاعلة في الشرق الأوسط والمنطقة العربية، وسينتظر العرب كالعادة 4 سنوات أخرى بدون عمل أو رؤية سياسية توحدهم وتنقذ واقعهم السياسي والاقتصادي المتردي.■

AL-MUJTAMA'A

المجتمع

مجلة المسلمين في أنحاء العالم

العدد (2151) - السنة (51) جمادى الأولى 1442هـ / 1 يناير 2021م



سمو الأمير للنواب: عليكم الإخلاص للوطن والذود عن حريات الشعب ومصالحه وأمواله

الكيان الصهيوني من الداخل

 @mugtama  www.mugtama.com  facebook.com/mugtama  @mugtama

الكويت 750 فلساً - السعودية 10 ريالات - البحرين دينار بحريني - قطر 10 ريالات - سلطنة عمان ريال عماني - الأردن 1.750 دينار أردني - لبنان 4500 ليرة - المغرب 23 درهماً

USA $ 5 - Canada $ 6 - Australia AUD 6 - URB 3.5 - India INR 110 - Pakistan PRS 200 - Turkey TRY 7 - U.k £ 3

AL-MUJTAMA'A

المجتمع

مجلة المسلمين في أنحاء العالم

العدد (2151) - (السنة 51)

إسلامية أسبوعية تصدر شهرياً مؤقتاً
تأسست عام 1390هـ - 1970م
جمعية الإصلاح الاجتماعي. الكويت

المراسلات

العنوان البريدي: الكويت ص.ب (4850) الصفاة.
الرمز البريدي (13049)

التحرير
22519539 - 22514180
22513616 (داخلي 205).
mujtamaa@gmail.com
info@mugtama.com

الاشتراكات والتوزيع
تليفاكس: 22560525 (00965)
sales@mugtama.com

الموقع الإلكتروني
www.mugtama.com

موقع جمعية الإصلاح
www.eslah.com

طبعت بمطابع «الهدف» التجارية





ادخل على موقع «المجتمع»

في هذا العدد

موضوع الغلاف
الكيان الصهيوني من الداخل

حركة «المجتمع» في فضاء الإعلام

أمر الله سبحانه وتعالى المسلم أن يعيش حياته نسيجاً واحداً متكاملاً شاملاً لله عز وجل، وأمره أن يكون شعاره في الحياة ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ (الأنعام). وأراد الإسلام من أتباعه أن يعيشوا حياتهم الاجتماعية والسياسية والعلمية والنفسية والتربوية والإعلامية، وما شئت من أسماء ومسميات مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بعرى هذا الدين سواء بسواء، ومن هذا المنطلق القيمي تنطلق «المجتمع» في فضاء الإعلام، متخذة شمولية الرسالة الإعلامية شعاراً لها؛ فتجمع بين الشأن الديني والتناول السياسي والتحليل الاقتصادي والتوجيه الأسري والتربوي.■



رأي المجتمع

هرولة عربية للتطبيع مع الكيان الصهيوني

شهدت الأسابيع الماضية هرولة رسمية عربية متسارعة نحو التطبيع مع الكيان الصهيوني الغاصب لأرض فلسطين والمحتل لأولى القبلتين ومسرى الرسول صلى الله عليه وسلم، في ظل رفض شعبي واسع لهذا الانحدار.

ويبدو للعيان أن طبيعة التسوية التي يحاول الكيان الصهيوني فرضها على العرب تتجاوز إقامة علاقات بين الجانبين، أو حتى إقامة نوع من التعاون بين دول المنطقة، إنه إلغاء جذري وشامل ومنهجي ومخطط للأمة العربية وتاريخها وثقافتها وقيمها الأخلاقية والدينية، وشخصيتها القومية، وتحويلها إلى آلات تدور في ترس المصالح الصهيونية -وجودية وسياسية واقتصادية- بما يكرس الوضع القائم ويرسخ أقدام الاحتلال، ويضيع حقوق المسلمين والعرب والفلسطينيين في استرداد أرضهم ومقدساتهم.

ويعرّف المراقبون التطبيع بأنه أخطر نتائج اتفاقيات التسوية بين النظام العربي الرسمي والكيان الغاصب، وسينعكس هذا التطبيع حتماً على المناهج المدرسية الرسمية، التي ستكون ملزمة بإجراء التغييرات فيها، بما لا يتناقض مع الاتفاقات المعقودة والوضع الجديد، الذي يكرس الاعتراف بالاحتلال والتسليم باغتصاب الأرض، مما يضعف مناعة الأجيال القادمة تجاه عدوها التاريخي.

ويكاد الكيان الصهيوني أن يحصد بالتطبيع ما لم يحصده في كل حروبه ضد الأمة العربية منذ عام 1948م وحتى الآن، مرة بالتخويف من العدو الإيراني المفترض، وأخرى باسم مقايضات إستراتيجية تسمح لدولة في المغرب العربي وأخرى في حوض النيل أن تتصورا بالوهم أن الكيان الصهيوني هو بوابتهما للخروج من مشكلتيهما المزمنتين عبر عشرات السنين.

كما أن الاتفاقيات الناتجة عن هذه الهرولة تسمح للعدو الصهيوني بفرض الحلول التي يراها للقضية الفلسطينية، فيما هو أبعد حتى من «صفقة القرن».

في النهاية لا بد للشعوب العربية والمسلمة من وقفة لإفشال مسلسل الهرولة المخزي نحو التطبيع مع العدو الصهيوني الغاصب، الذي فُرض عليها فرضاً.

ويبقى الأمل في الشعب الفلسطيني الصابر المثابر الذي يلتف حول حركات المقاومة، ولن يتوقف حتى يسترد أرضه، ويقيم دولته وعاصمتها القدس الشريف إن شاء الله تعالى.■

آية العدد

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ
وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ
وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ
لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى الَّذِينَ
فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ
نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَن
يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا
عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾

(المائدة)

وكلاء التوزيع:

الكويت: شركة باب الكويت للصحافة:
ت : 22272733 ف: 22272736
distribution@alanba.com.kw



السعودية: الشركة السعودية للتوزيع:
www.saudidistribution.com
الإدارة العامة: الرياض 0096612128000
فرع الرياض: 0096612705837

فرع جدة: 0096626530909
فرع الدمام: 0096638473569

قطر :
دار الثقافة ت: 4622182 / ف: 4621800
البحرين :
مؤسسة الأيام للصحافة والنشر والتوزيع
ت :725111 / ف : 723763
TURKIYE- DUNY SUPER DAGITIM
Tel: (90 -1) 5120190
Fax: (90- 1) 5140883

الاشتراكات:

الكويت: 10 دنانير كويتية
الدول العربية: 17 ديناراً كويتياً
الدول الأجنبية: 25 ديناراً كويتياً
للمؤسسات والشركات: 30 ديناراً كويتياً

تشمل عمولة التحويل

الإعلانات :
امتياز الإعلان : مجلة المجتمع
ت: 22560525 - 22560526 الكويت.





سمو الأمير للنواب: عليكم الإخلاص للوطن والذود عن حريات الشعب ومصالحه وأمواله

في 15 ديسمبر 2020م، كانت الجلسة الافتتاحية لمجلس الأمة الكويتي في نسخته السادسة عشرة، التي افتتحها سمو الأمير الشيخ نواف الأحمد الجابر الصباح، حفظه الله ورعاه، وشهدت انتخاب رئاسة المجلس ومكتبه.

وفي كلمته بجلسة الافتتاح، شدد سمو الأمير على ضرورة أداء النواب لما انتخبهم له الشعب من الذود عن حرياته ومصالحه، بأمانة وإخلاص واحترام للدستور والوطن.

وخاطب سموه النواب المنتخبين قائلاً: «لا شك أنكم تدركون ما يشهده العالم والمنطقة بشكل خاص من تطورات، وأمامكم تحديات جسام، ولم يعد هناك متسع لهدر المزيد من الجهد والوقت والإمكانات في ترف الصراعات وتصفية الحسابات وافتعال الأزمات».

وأضاف أن هذه السلوكيات أصبحت محل استياء وإحباط من

نسبة التغيير في تركيبة المجلس بلغت 62% والوجوه الجديدة 42%

مجلس الأمة في نسخته السادسة عشرة.. بدايات ساخنة رغم برودة الأجواء

رغم برودة الأجواء بالكويت؛ فقد شهد مجلس الأمة في فصله التشريعي السادس عشر بداية ساخنة وملتهبة؛ بسبب التهاب الأجواء العالمية والدولية بسبب فيروس «كورونا» وتداعياته الخطيرة، وتغير الإدارة الأمريكية وانعكاساته المرتقبة على كل الأصعدة، وتأزم الوضع العربي والخليجي وتأثيره في الداخل الكويتي.

أما على الصعيد المحلي، فقد جاء هذا المجلس في ظل قيادة جديدة بعد وفاة سمو الأمير الشيخ صباح الأحمد، طيب الله ثراه، وتولي سمو الشيخ نواف الأحمد، حفظه الله، مسند الإمارة، وسمو الشيخ مشعل الأحمد، حفظه الله، ولاية العهد.

كل هذه الأجواء انعكست على بدايات المجلس الذي شهدت انتخاباته تغييراً كبيراً ربما لم يكن متوقعاً للكثيرين؛ حيث بلغت نسبة التغيير في تركيبة المجلس 62%؛ فلم ينجح من أعضاء «مجلس 2016» إلا



19 نائباً، في سيناريو مكرر للانتخابات التي أجريت في عام 2016م، وغلبت الوجوه الجديدة على معظم الدوائر بنسبة تجاوزت 42%.

وقد شهدت الدائرتان الأولى والثالثة نسبة تغيير وصلت 70%، في حين تساوت الدائرتان الرابعة والخامسة بتغيير بلغ 60%، أما الدائرة الثانية فكانت الأقل تغييراً بنسبة 50%، وقد غابت الوجوه النسائية عن المجلس للمرة الأولى منذ تطبيق نظام «الصوت الواحد» في عام 2012م، بعد أن خسرت النائبة صفاء الهاشم مقعدها الذي حافظت عليه لأكثر من دورة برلمانية.

وقبيل الجلسة الافتتاحية بيوم واحد (14 ديسمبر) تم تشكيل الحكومة الجديدة برئاسة سمو الشيخ صباح الخالد الصباح الذي أعيد تكليفه من قبل سمو الأمير بتشكيل الحكومة الجديدة، وهي الحكومة السابعة والثلاثون في تاريخ الكويت منذ الاستقلال.

وقد ضمت الحكومة وجوهاً تتولى وزارات سيادية لأول مرة، كالشيخ حمد جابر العلي السالم الصباح الذي تسلم منصب نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع.

ومن أبرز ملامح التشكيل الحكومي الجديد عودة حقيبة الداخلية إلى الأسرة الحاكمة بعد أن شغلها الوزير أنس الصالح في الحكومة السابقة، حيث كُلِّف بحملها الشيخ ثامر علي صباح السالم الصباح.

وإلى جانب رئيس الحكومة الشيخ صباح الخالد الصباح؛ فقد عاد إلى التشكيل 5 وزراء من الحكومة السابقة، هم وزير الخارجية الشيخ أحمد الناصر الصباح، والصحة الشيخ باسل الصباح، بينما تولى أنس الصالح منصب نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الدولة لشؤون مجلس الوزراء، ود. رنا الفارس وزارة شؤون البلدية إلى جانب حقيبة الأشغال العامة، في حين تولى مبارك الحريص وزارة شؤون مجلس الأمة.

وكلف عضو مجلس الأمة عيسى الكندري بحقيبتي الشؤون الاجتماعية والعمل، ووزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية؛ ليكون بذلك الوزير المحلل للحكومة من البرلمان، بحسب ما ينص عليه الدستور الكويتي.

المواطنين، وعقبة أمام أي إنجاز.

وقال سمو الأمير مخاطباً النواب الجدد: «وإذ أهنئكم بالفوز بعضوية مجلس الأمة وبالثقة الغالية التي أولاكم إياها شعبنا الأبي؛ فإنني أذكركم بأنكم ستؤدون بعد قليل قسمكم الدستوري، وإنه لقسم -لو تعلمون- عظيم، وبشهادة شعب كريم وضع ثقته بكم، وهي أمانة ثقيلة في أعناقكم، كما هي خارطة طريق لكل مخلص يريد لوطنه خيراً وتقدماً وازدهاراً، ولأبنائه أمناً واستقراراً، إنه التزام أمام الله والمواطنين بالإخلاص للوطن واحترام الدستور والقانون، والذود عن حريات الشعب ومصالحه وأمواله، وأداء أعمالكم بالأمانة والصدق، هذه هي مهمتكم الأساسية التي انتخبكم الشعب من أجلها لتحقيق آماله وتطلعاته».

ووجّه سموه، حفظه الله، نصيحة خالصة للنواب، بأن «تبقى ممارسات قاعة عبد الله السالم ومداولاتها مدرسة لأبنائنا وأجيالنا القادمة، وقدوة صالحة تجسّد الإيمان بالنهج الديمقراطي والتداول، وساحة للإنجاز وصورة حضارية ناصعة لمجتمعنا الكويتي الأصيل».

وأكد سمو الأمير أنه يتوجب، على جناح السرعة، وضع برنامج شامل يقدم الحلول الناجعة، حتى تستقيم الأمور، وتنطلق المسيرة للوصول إلى تحقيق التنمية المستدامة.■

وقد شهدت الجلسة انتخاب رئاسة المجلس وأمانته التي جاءت في أجواء عاصفة ومتوترة؛ حيث سبقت الجلسة بعض الاجتماعات التنسيقية بين 40 نائباً للتوافق على رئيس للمجلس غير مرزوق الغانم، وهو ما لم يتحقق في جلسة الانتخاب، كما شهدت الجلسة بعض أحداث الفوضى والشغب التي أثارت استياء الشعب الكويتي، وقد انتقدت قوى وتيارات ومواطنين ما حدث بالجلسة، وأصدرت الحركة الدستورية الإسلامية (حدس) بياناً، في وقت لاحق، تدين فيه هذه التصرفات وتدعو لتحقيق محايد فيها.

وبعد شد وجذب في الجلسة جرت مراسم انتخاب رئيس المجلس الذي تمكن النائب مرزوق الغانم بحسمه لصالحه للمرة الثالثة على التوالي؛ حيث حصل على 33 صوتاً مقابل 28 لمنافسه بدر الحميدي؛ وهو ما أثار الكثير من التساؤلات والاتهامات بين مجموعة الـ40 التي كانت قد تعهدت على التصويت للحميدي.

كما استطاع النائب أحمد الشحومي الفوز بمنصب نائب رئيس المجلس بأغلبية 41 صوتاً، متقدماً على منافسه د. حسن جوهر الذي حصل على 19 صوتاً.

كما فاز النائب فرز الديحاني بمنصب أمين السر بحصوله على 39 صوتاً مقابل 20 صوتاً لمنافسه سعدون حماد، بينما جرت تزكية النائب أسامة الشاهين لمنصب مراقب المجلس.

وفي جلسة لاحقة، وصفت بالهادئة، تم انتخاب أعضاء اللجان الدائمة والمؤقتة؛ حيث وصل عددها إلى 22 لجنة؛ وقر المجلس 10 لجان مؤقتة، أبرزها لجنة الظواهر السلبية، التي تعنى برصد الظواهر السلبية داخل المجتمع، إضافة إلى لجنة تحسين بيئة الأعمال البرلمانية، ولجنة المقيمين بصورة غير قانونية «البدون».

وبعد أن استقرت الأمور بالمجلس والحكومة، فإن آمال الكويتيين تتطلع لأن يقوم الأعضاء بتنفيذ خارطة الطريق التي وضع ملامحها سمو الأمير في كلمته، التي تعبر عن آمال وطموحات لن يتهاون الشارع الكويتي -الذي أصبح على درجة من النضج السياسي الفريد في المنطقة العربية تقريباً- في التفريط فيها من خلال ممارسة حقه في مكافأة من يكون على قدر المسؤولية، ومعاقبة من غير ذلك؛ من خلال الصندوق في المرات القادمة.■



حوار- سعد النشوان:

د. حمد المزروعي نائب رئيس قطاع الدعوة والتثقيف الشرعي بجمعية الإصلاح الاجتماعي:



رسالتنا إصلاح الفرد والأسرة والمجتمع وفق تعاليم الإسلام برؤية وسطية

يعد قطاع الدعوة والتثقيف الشرعي من القطاعات المهمة والحيوية في جمعية الإصلاح الاجتماعي؛ حيث يهدف إلى نشر الدعوة والثقافة الشرعية وتعزيز القيم والأخلاق الإسلامية العامة في المجتمع، وذلك للإسهام في إصلاح الفرد والأسرة والمجتمع وفق تعاليم الإسلام برؤية وسطية، تجمع بين الأصالة والمعاصرة.

نتعرف عن قرب على القطاع وأبرز أنشطته واختصاصاته من خلال هذا الحوار مع د. حمد المزروعي، نائب رئيس قطاع الدعوة والتثقيف الشرعي بجمعية الإصلاح الاجتماعي.



القطاع يختص بنشر الفكر الإسلامي الوسطي الصحيح لدى المجتمع ليكون منهج حياة

شاركنا في العديد من المؤتمرات الجماهيرية منها «العلوم في الحضارة الإسلامية وآثارها الفكرية والثقافية»

• بداية، نرحب بكم في هذا الحوار، ونرجو أن تعطينا فكرة عن قطاع الدعوة والتثقيف الشرعي وأنشطته.

- أهلاً ومرحباً بكم، ونسعد بهذا اللقاء معكم في «المجتمع».

قطاع الدعوة والتثقيف الشرعي كما يتضح من اسمه قطاع دعوي وشرعي وتثقيفي، يتبع إدارة النشاط الدعوي والتربوي بجمعية الإصلاح الاجتماعي، نشأ في 12 مارس 2013م، ويختص بنشر الفكر الإسلامي الوسطي الصحيح وترسيخه لدى الفرد والأسرة والمجتمع ليكون منهج وأسلوب حياة، وترسيخ القيم الإسلامية بين أطياف المجتمع، ونشر العلم الشرعي بين الدعاة وطلاب العلم.

وذلك من خلال عدد من الوسائل، مثل الدورات ودروس علمية وشرعية تأصيلية، وطباعة ونشر العديد من الإصدارات العلمية والشرعية، والمسابقات الشرعية، ودروس الاستماع وشروحات الكتب العلمية، وكذلك المنصة الشرعية للتعليم (أون لاين)، بالإضافة إلى سلاسل دعوية، وورش العمل الشرعية والتثقيفية، كما ينظم القطاع رحلات علمية داخل وخارج الكويت، ويقيم أيضاً مؤتمرات علمية وجماهيرية، بالإضافة إلى العديد من الوسائل الأخرى.

• ما أبرز الأنشطة التي قام بها القطاع داخل جمعية الإصلاح وخارجها؟

- قام القطاع منذ نشأته بعدد كبير من الأنشطة، نذكر منها:

1 - تدشين منصة «الراسخون» الإلكترونية للعلوم الشرعية ضمن فعاليات معرض الكتاب الإسلامي بحضور وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية.

2 - قدم مركز «الراسخون» التابع للقطاع العديد من الدورات المسجدية، فضلاً عن الدورات التي أقيمت «أون لاين» من خلال منصة «الراسخون» الإلكترونية، التي تعدت

12 دورة، اختتمت بدورة «المراتب العلية» التي تضمنت شرح 10 كتب شرعية، ووصل عدد المشتركين فيها إلى 1360 مشتركاً من 36 دولة مختلفة حول العالم.

3 - برنامج زيارة دار الرعاية الاجتماعية بوزارة الشؤون ضمن فعاليات الاحتفال بذكرى الاستقلال والتحرير تحت شعار «أحبك يا وطن».

4 - الاشتراك في تنظيم ماراثون «مهما اختلفنا حب الوطن يجمعنا»، تحت رعاية وزير الإعلام وزير الدولة لشؤون الشباب الشيخ سلمان الحمود، بمشاركة العديد من الشخصيات الرياضية والدعوية.

5 - مشروع تعزيز القيم والثقافة التربوية والاجتماعية والأسرية والصحية (واعي)، من سلسلة حلقات «يوتيوب»، أشرف عليها العديد من الأساتذة والاختصاصيين في المجال الصحي والرياضي والتربوي والأسري، منهم د. محمد الدوسري، رئيس قسم التوعية والبحوث المعلوماتية بالهيئة العامة للشباب والرياضة، ود. محمد رشيد العويد، المستشار التربوي والأسري، ود. عبدالرحمن الفلاح، الحاصل على الدكتوراه في علم النفس من جامعة شيفلد بالمملكة المتحدة والمدرس بكلية العلوم الاجتماعية بقسم علم النفس بجامعة الكويت، ود. محمد الكندري، الحاصل على الدكتوراه في الإرشاد الأسري والمتخصص في المشكلات الأسرية والزوجية والنفسية، ود. عبدالحميد البلالي.

6 - شارك القطاع في العديد من المؤتمرات الجماهيرية كمؤتمر «العلوم في الحضارة الإسلامية وآثارها الفكرية والثقافية»، ومؤتمر «المشروع الوطني لزيادة الوعي والوقاية من أخطار المخدرات»، ومؤتمر «تمكين الشباب».

7 - مشروع رصد وعلاج الظواهر السلبية في المجتمع، وإصدار كتيب إحصائي يتعلق بها، فعلى سبيل المثال؛ تم إنجاز 16 حملة قيمية بالاشتراك مع مكتب الدعوة الإلكترونية بالقطاع خلال العام الماضي، مع التركيز على القيمة المراد تعزيزها والظاهرة السلبية المراد علاجها ووسائل تحقيق ذلك، ومن تلك الحملات: «لن تفسدوا فطرتنا»، «لماذا الطعن في ثوابت الدين؟»، «العلماء بين التقديس والتبخيس»، «هاتفك نعمة فلا تجعله نقمة»، «لا للتنمر» (لا للعنف المدرسي)، «بيوت بلا ديون».. وغيرها.



توجد مساهمات يومية لمكتب الدعوة الإلكترونية من خلال وسائل التواصل للتوعية حول أزمة «كورونا»

8 - أقام القطاع العديد من ورش العمل والدورات التدريبية كورشة عمل «هذا نبينا» التي نظمتها الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية، وورشة «استخدام التقنيات في إعداد وإلقاء وتوثيق الخطب والمحاضرات»، وورشة «فهم النفسيات»، ودورة «التخطيط واستخدام التقنيات الحديثة والتكنولوجيا في الدعوة».

9 - نظم القطاع من خلال مكتب «الراسخون» العديد من الرحلات التربوية والعلمية الشبابية لمكة المكرمة والمدينة المنورة.

10 - تم إصدار العديد من الكتب والإصدارات الشرعية والدعوية والتثقيفية والعلمية والتأصيلية التي تجاوزت 53 إصداراً.

11 - دأب القطاع على التواجد بشكل فعَّال في مساجد محافظات الكويت المختلفة منذ إنشائه عام 2013م، خاصة خلال شهر رمضان، من خلال برامج تتضمن ما لا يقل عن 100 محاضرة وخاطرة وفعالية في كل عام خلال الشهر المبارك.

12 - قدم القطاع مئات الخواطر الأسبوعية من خلال «خاطرة الثلاثاء»، تحت إشراف مكتب «نداء المحراب».

13 - حرص القطاع على المشاركة في ملتقيات العمل الاجتماعي المختلفة كملتقى «بالإصلاح نسمو»، وكذلك المشاركة في معارض الكتاب بشكل دائم.

14 - تم التعرض لكثير من الملفات الدعوية المهمة، ومنها: «علاج الإسلام للفقر»، «التربية والتعليم في الحضارة الإسلامية»، «جريمة قتل المسلمين في نيوزيلندا»، «المعلم الداعية»، «شخصية الطالب المسلم».. وغيرها من الملفات المهمة.

15 - ومن المشروعات الدعوية للقطاع: «مِنْ تراث العلماء والدعاة: انتقاء ونشر بعض تراث العلماء والدعاة»، «وقفات إيمانية» (مقاطع فيديو قيمية ودعوية قصيرة)، «رسائل إلى الدعاة» (بالتعاون مع مجلة «المجتمع»)، «نشر مقالات دعوية وفتاوى شرعية بعدة مواقع ومجلات إسلامية»، «الأيام والمناسبات الدولية برؤية شرعية».

● هل للمرأة نصيب في نشاط قطاع الدعوة؟

- نعم للمرأة حظ وافر في أنشطة القطاع، وفي دورات مركز «الراسخون»، سواء في دور المتلقي أو المشرف والمحكم على الأنشطة والمسابقات المختلفة، وكانت مشاركتهن واسعة وفاعلة من حيث الكم والكيف من خلال التعاون مع أمانة العمل النسائي.

● هل توجد شراكة مجتمعية مع الوزارات الحكومية ومؤسسات المجتمع المدني؟

- بكل تأكيد، ويتجلى ذلك في الشراكة والتعاون مع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والدعم المقدم منهما لأنشطة



الكويت

القطاع المختلفة، ومشروع الحقائب التدريبية، وكذلك مع وزارة الشباب والرياضة، كما حدث في ماراثون «حب الوطن يجمعنا»، والتعاون مع أساتذة الجامعات الكويتية، كما حدث في مشروع «واعي» القيمي، ومع وزارة الداخلية فيما يتعلق بالظواهر السلبية في المجتمع ومنها ظاهرة المخدرات، ووزارة الشؤون الاجتماعية الذي تمثل في زيارات القطاع لدار المسنين، وكذلك الاتساق مع أهداف التنمية المستدامة لمشروع الأمم المتحدة.

● ما الأسس والمعايير التي اعتمد عليها القطاع في عمله؟

– أهم الأسس التي يقوم عليها عمل القطاع:

1 – نشر الفكر الإسلامي الوسطي الصحيح وترسيخه لدى الفرد والأسرة والمجتمع ليكون منهج وأسلوب حياة.

2 – ترسيخ القيم الإسلامية بين أطياف المجتمع.

ندعو جميع المهتمين بالعلم الشرعي إلى الالتحاق بأنشطة القطاع والمشاركة بمشاريعه

3 – نشر العلم الشرعي بين الدعاة وطلاب العلم.

4 – المساهمة في تفعيل دور المسجد.

5 – تعزيز القيم والثقافة الإسلامية والتربوية والاجتماعية والأسرية والصحية.

6 – رصد الظواهر السلبية التي تفتك بالمجتمع، وإيجاد الطرق الفعالة للحد منها وعلاجها.

● ما إسهامات القطاع أثناء أزمة «كورونا»؟

– شارك القطاع مع إدارة الجمعية في تنظيم العديد من المسابقات العلمية والشرعية والصحية والتوعوية حول الأزمة، كذلك شارك في العديد من البرامج الإذاعية والحوارية الخاصة بتوعية المجتمع، كما شارك بالعديد من الفتاوى النوعية الجديدة الخاصة بالناحية الفقهية في التعامل مع الجوانب المختلفة للأزمة.

كما كانت هناك مساهمات يومية عديدة لمكتب «الدعوة الإلكترونية» من خلال وسائل التواصل الاجتماعي للتوعية حول الأزمة وكيفية وفقه التعامل معها، وقد اشتملت على العديد من النصائح التوعوية للمجتمع فيما يخص الناحية الصحية والاجتماعية، وخاصة المتعلقة منها بموقف الإسلام من الإشاعات وضرورة التثبت من الأخبار المختلفة، والتكافل بين أفراد المجتمع، والتعاون مع الدولة في مواجهة الأزمة.

● كلمة أخيرة.

– نشكر مجلة «المجتمع» على هذا اللقاء الطيب، الذي يساهم في نشر مشاريع قطاع الدعوة والتثقيف الشرعي، وندعو جميع المهتمين بالعلم الشرعي من الرجال والنساء الصغار والكبار إلى الالتحاق بأنشطة القطاع، والمشاركة في مشاريعه العلمية والدعوية، وذلك من خلال متابعة حسابات القطاع في وسائل التواصل الاجتماعي لمعرفة كل جديد ومفيد. ■









ذكرى وفاته 3 يناير

وليد السبع.. «تاج الوالدين» شاهد له

كتب- عادل عصفور:

قد مات قوم وما ماتت فضائلهم

وعاش قوم وهم في الناس أموات

ينطبق الشطر الأول من هذا البيت على شخصيتنا التي نحن بصدد الحديث عنها؛ حيث ما زالت فضائله حيَّة بين الناس، تنبئ عن شخصية أحبت الخير وأحبت الناس فبقي ذكرهم خالداً.

إنه الشاب وليد عبدالله السبع، صاحب الهمة العالية والبسمة الدائمة والأعمال الجليلة، ليس أجلّ من خدمة كتاب الله تعالى.

ولد وليد السبع في 12 يوليو 1974م، ونشأ في منطقة جليب الشيوخ، وكان في صغره هادئاً، ومحبوباً بين أقرانه.

درس المرحلة الابتدائية في مدرسة زيد بن حارثة بمنطقة الجليب، والمرحلة المتوسطة في مدرسة العضيلية.

إسهاماته وصفاته:

من أبرز إسهاماته تأسيس مركز «تاج الوالدين» التابع لجمعية الإصلاح الاجتماعي، والمتخصص بتربية الشباب وتحفيظهم القرآن الكريم، ثم ترؤسه للمركز، وهو أحد مؤسسي مشروع «الرواق» للشباب في جمعية الإصلاح، وله عدة مشاركات إعلامية.

من أبرز إسهاماته تأسيس «تاج الوالدين» ومشروع «الرواق» للشباب بجمعية الإصلاح الاجتماعي

من أبرز صفاته الهدوء والهمة العالية، دائم الابتسامة والتفاؤل، وكان كريماً جواداً إلى أبعد الحدود.

كان السبع مهموماً بقضايا أمته؛ فشارك، رحمه الله تعالى، في إحدى قوافل كسر الحصار (أميال من الابتسامات) الوافدة إلى قطاع غزة.

مآثره:

مما يؤثر عن السبع أنه كان يسعى على أرملة، يوصل لها المساعدات بيده، ولم تعرف بوفاته، وبعد وفاته قال أحد العاملين في الهيئة الخيرية الإسلامية: إن الأخ وليد السبع كان يسعى على أرملة، وأعطاهم عنوانها، فلما ذهبوا إليها، وقبل أن يخبروها بوفاته، قالت: هل توفي وليد؟

فقالوا لها: كيف عرفت ذلك؟

قالت: لا يمكن لمثله أن ينقطع إلا إذا منعته الوفاة.

ثم قالت بحزن: لم أفتقد المساعدات، فهي لم تنقطع من أهل الخير، بل الذي افتقدت وليداً، وابتسامته، ولعبه مع أبنائي عندما كان يأتي بالمساعدة.

وفاته:

توفي وليد السبع في 9 صفر 1433هـ/ 3 يناير 2012م إثر حادث مروري، تاركاً خلفه سيرة حسنة بحسن صفاته وكريم أفعاله؛ فرحمه الله وتقبله في الصالحين.■

حوار- سعد النشوان:

تقوم مبرة الدعم الإيجابي لمرضى السرطان بدور مهم في مساعدة المقيمين المصابين بهذا المرض على التعافي منه، من خلال تقديم الدعم الإيجابي لهم؛ سواء بتصحيح بعض الأفكار الخاطئة عن المرض لرفع روحهم المعنوية، أم بتقديم العلاج لهم في ظل ارتفاع أسعاره التي يعجز بعض المواطنين الكويتيين عن توفيره، فضلاً عن المقيمين، وفي هذا الحوار الذي تجريه «المجتمع» مع محمد فهيد العجمي، رئيس مجلس إدارة مبرة الدعم الإيجابي لمرضى السرطان، نلقي المزيد من الضوء على هذه المبرة وأهدافها وأهم أنشطتها.



رئيس مجلس إدارة مبرة الدعم الإيجابي لمرضى السرطان محمد فهيد العجمي لـ«المجتمع»:

رسالتنا توفير الدعم للمقيم المريض بالسرطان أياً كان جنسه أو دينه

● **متى تم تأسيس مبرة الدعم الإيجابي لمرضى السرطان؟**

- تأسست مبرة الدعم الإيجابي عام 2009م بقرار من وزارة الشؤون، وكان هدفها خدمة مرضى السرطان داخل الكويت، من غير الكويتيين، من خلال تقديم الأدوية لهم، أما الكويتيون فنقدم لهم الدعم الإيجابي والمشورة والنصيحة.

● **ما أهداف المبرة؟**

- أهدافنا هي تصحيح الأفكار الخاطئة عن مرض السرطان، فنحن نسعى لنقل فكرة أن مرض السرطان غير قاتل إذا تم تشخيصه مبكراً، من خلال عمل التحصين المبكر، والأجهزة المتطورة الموجودة الآن تساعد على كشف المرض في بداياته، والحمد لله الدواء الموجود متطور جداً، ويساعد على الشفاء والقضاء على المرض.

جهد الطبيب المعالج لا يساوي تجربة شخص كان مريضاً ومنّ الله عليه بالشفاء حينما يحكي قصته لمريض آخر

كما نهدف لاستثمار الطاقات البشرية لمرضى السرطان، ممن شافاهم الله وعافاهم، لنقل تجربتهم مع المرض للمرضى حديثي العهد بمرض السرطان، إن الله إذا ابتلى شخصاً بالمرض، ثم رزقه العافية والشفاء من هذا المرض، ثم يقوم بنقل التجربة كاملة من البداية إلى النهاية لأخيه حديث العهد بالمرض؛ سوف يساهم في تغيير نظرته للمرض نفسه، ويقتنع أنه ليس مرضاً قاتلاً، وبذلك يشعر بالأمل، وأنه ما دام الله قد منَّ بالشفاء على هذا المريض، إذن هناك أمل كبير أن يمنَّ الله عليه بالشفاء والعافية.

كذلك، نقوم بعمل ندوات وورش عمل، نقدم من خلالها الخبرات التي عندنا، ولدينا محاضرات طبية عن المرض يلقيها ثلة من خيرة الأطباء عندنا، من حيث مواكبة التقدم العلمي والتعامل مع أحدث الأجهزة لمواجهة المرض، وكذلك نقدم الدعم المادي لمرضى السرطان، وكذلك العلاج.

● **هل يوجد تعاون بينكم وبين وزارة الصحة؟**

- التعاون بيننا وبين مركز «حسين مكي جمعة لمرضى السرطان»، فهناك شراكة واتفاقيات بيننا وبينهم، وهنا يسعدني التقدم بجزيل الشكر لإدارة مستشفى حسين مكي جمعة، وعلى رأسهم المدير العام للمستشفى،

وللكوادر الطبية والتمريضية، الذين يسهّلون لنا كل شيء، حتى إنهم قدموا لنا هويات باسم الإدارة، بأننا ندخل المركز في أي وقت نحتاج فيه لزيارة المرضى، وتقديم أي دعم أو مساعدة، سواء مادية أو نفسية؛ فجزاهم الله خيراً.

● هل عندكم قسم نسائي؟

- نعم موجود، وتقوم عليه إحدى الأخوات، وهي الأخت هدى طارش، وكانت في أحد الأيام رئيسة الخدمة الاجتماعية بمركز حسين مكي جمعة، وعندها خبرة طويلة بهذا المجال، وعندنا كذلك فريق للدعم الإيجابي من الأخوات والسيدات ممن عافاهن الله من المرض، ومنّ عليهن بالشفاء، لسرد تجربتهن مع المرض لأخواتهن حديثات العهد به، سواء الموجودات داخل المركز أو خارجه.

● مرض السرطان في حالة تزايد بالكويت بعد التحرير، ماذا عن الإحصاءات الخاصة به؟

- الإحصاءات موجودة، ونسبة الشفاء من المرض تجاوزت 58%، حسب إحصاءات مركز حسين مكي جمعة، وهذا أمر طيب جداً، ونتمنى ألا يُصاب أحد بالمرض، وأن يمنّ على الجميع بالصحة والعافية، لذلك ننصح بالفحص المبكر من خلال الأجهزة الحديثة والمتطورة الموجودة عندنا بالكويت، ومن يتم اكتشاف إصابته بالمرض، توجد لدينا الأدوية الحديثة المتوافرة أيضاً، التي ساعدت في ارتفاع نسبة الشفاء والقضاء على المرض بنسبة كبيرة.

● هناك زعم بأن مرض السرطان ليس له علاج، ماذا تقول في ذلك؟ وكيف تتصرفون مع هذا الأمر؟

- مثل هذه الحالات مرّت علينا كثيراً، وبما أننا اكتسبنا كثيراً من الخبرات والتجارب، استطعنا أن نُحسن التعامل معها، وعلى سبيل المثال؛ كنا في زيارة اعتيادية للمرضى، وكان ذلك في يوم عيد الأضحى، وكنا نقدم بعض الهدايا الرمزية للمرضى التي نوفرها بدعم من الإخوة المتبرعين، وزرنا أحد الأجنحة، فتقابلنا مع ابنة أحد المرضى بالسرطان، وكان معي أحد الإخوة ممن منّ الله عليهم بالشفاء، وهو عضو بمجلس الإدارة، وعضو أيضاً في فريق الدعم الإيجابي من إخواننا المتطوعين



عندنا فريق للدعم الإيجابي من الأخوات ممن منَّ الله عليهن بالشفاء

نسبة الشفاء تجاوزت 58% حسب إحصائيات مركز «حسين مكي جمعة» وهذا أمر طيب جداً

خلال ذروة «كورونا» تواصلنا مع مرضانا ووفرنا الدواء «أونلاين» بالتعاون مع الشركات

الذين يقدمون خبراتهم وتجاربهم لمساعدة المرضى، وغرس الأمل في قلوبهم، فاستأذنا ودخلنا غرفة هذا المريض فوجدناها مظلمة، إيحاء من المريض للزائرين له بأنه يستعد للموت في أي لحظة من اللحظات.

وحين تكلمنا معه، وعرَّفناه بأنفسنا، بأننا من «مبرة الدعم الإيجابي»، وكان يتحدث معه المتطوع والمريض السابق بالسرطان، وقال للمريض الحالي: هل تصدق أنني بالفعل كنت نائماً على هذا السرير في أحد الأيام وكنت مريضاً بالسرطان، وفي تلك اللحظة دخل الممرض والممرضة، وعرفا المريض السابق، وقالا: بالفعل كان نزيلاً عندنا، ويعاني من السرطان، ومنّ الله عليه بالشفاء، ولكن المريض لم يصدق هذا الكلام في أول الأمر، وطلب من المريض السابق أن يقسم بالله على ذلك، وبالفعل أقسم بالله، ومكثنا عند ذلك المريض فترة طويلة، وكان المريض السابق يقص عليه رحلته الطويلة من المرض إلى الشفاء التام بفضل الله ومَنِّه، حينها طلب المريض الحالي المساعدة في النهوض من على السرير، والجلوس حتى يستوعب الأمر، وكانت حالته المعنوية عالية جداً، وانتقل من اليأس التام من الشفاء إلى الأمل في غد أفضل ملؤه السعادة والشفاء التام من هذا المرض العضال، واقتنع هذا المريض بأن مرضه قابل للعلاج.

فالدعم الإيجابي يساعد على العلاج من مرض السرطان بنسبة 50%.

الأطباء المشرفون على العلاج يجتهدون في تقديم الدواء الناجع، ولكن كل هؤلاء مع جهودهم المشكورة لا يساوون شخصاً كان مريضاً بالسرطان ومنّ الله عليه بالشفاء ويحكي قصته لمريض حالي، بالتأكيد ذلك سوف يمنحه الأمل.

● كيف أثَّرت جائحة «كورونا» على جدول أعمالكم؟

- كانت لها تأثير كبير في الإجراءات الإدارية، والحمد لله في خلال ذروة الأزمة، استطعنا التواصل مع مرضانا، وقمنا بتوفير الدواء «أونلاين»، بالتعاون مع الشركات، ووفرنا لهم المساعدات المادية، حيث توجد بعض الأسر في حاجة إلى مساعدات، واستطعنا بفضل الله، ثم سخاء وعطاء المتبرعين الكرام توفيرها لهم؛ لأن مريض السرطان يتوقف عن العمل، وله أسرة يعولها، ويحتاج لمساعدات لدفع إيجار المسكن، وتوفير الطعام، ودفع رسوم المدارس، وغيرها من الضروريات، كل ذلك نحن نقوم بتوفيره قدر المستطاع.

● في ظل جائحة «كورونا» وصعوبة التواصل، هل كل الخدمات التي تقومون بها عبر «أونلاين» فقط؟

- الآن تأتي لنا رسالة عبر «واتسآب» بأن المريض الفلاني بحاجة إلى دواء كذا، ونحن نتعامل مع الشركات من أجل توفير هذا الدواء وتوصيله إلى مركز حسين مكي جمعة في الوقت الذي يحتاج فيه المريض لأخذ الجرعة الخاصة به.



الكويت

● الأدوية التي تقومون بتوفيرها خاصة بالمقيمين فقط؟

– نعم، لأن الحكومة الكويتية توفر العلاج الكامل للكويتيين و«البدون»، أما المقيمون، فنحن من نقوم بتوفير الدواء لهم.

● هل سعر الدواء مكلف؟

– نعم، من 1000 دينار إلى 5000 دينار للجرعة الواحدة، كل ثلاثة أسابيع، فإذا كان الكويتي الذي يتقاضى 4000 دينار لا يستطيع تحمُّل نفقة هذا العلاج؛ فالمقيم الذي يتقاضى راتباً قدره 250 ديناراً، حتماً لن يستطيع توفير الدواء.

لذا، نحن نقوم بتوفير كل هذه الأدوية باهظة الثمن بالمجان للمقيمين، بالاتفاق مع بعض الشركات، التي وقفت معنا وساعدتنا جزاهم الله خيراً، ونحن بفضل الله نكفل المريض حتى يتم شفاؤه بإذن الله تعالى، مهما طالت المدة، وهناك بعض المرضى يتلقون العلاج منذ 5 سنوات، ونكفل عدداً معيناً من المرضى، على حسب الميزانية الخاصة بنا.

وعندما نقول للمقيم إن ثمن الدواء علينا نرفع من روحه المعنوية، وهذا بحد ذاته نصف العلاج، وفوق مصاريف العلاج التي نتكفل بها، نقوم بدراسة حالة المقيم المادية، ونساعد أسرته وأبناءه، بتوفير الالتزامات الخاصة بهم من غذاء ودواء ودراسة وغيرها من الالتزامات.

● ما الجهات التي تقدم الدعم لكم؟

– الشركات هي التي تقدم لنا لدعم، مثل المعجل، وعلي عبدالوهاب، والغانم، وكذلك شركات الأدوية الكبيرة، يقومون بعمل خصومات كبيرة لنا قد تصل إلى 75%.

● هل يوجد تعاون خارج الكويت؟ وهل تسعون لنقل الفكرة إلى الخارج؟

– عملنا ينحصر داخل دولة الكويت؛ لأن وزارة الشؤون تلزمنا بأن يكون عملنا في الداخل، وفي عام 2011م عقدنا مؤتمراً حضره ممثلون من دول مجلس التعاون؛ البحرين وقطر والسعودية وعُمان، والآن يوجد تعاون بيننا وبين جمعية السرطان في المملكة العربية السعودية.

والمؤتمر الخليجي الأول الذي قمنا بعقده

الحكومة توفر العلاج الكامل للكويتيين و«البدون» أما المقيمون فنحن نقوم بتوفير الدواء لهم

إذا كان الكويتي الذي يتقاضى 4000 دينار لا يستطيع تحمُّل نفقة العلاج فما بال المقيم الذي يتقاضى 250 ديناراً؟!

شارك معنا فيه الجمعيات المهتمة بمرض السرطان بدول الخليج، والحمد لله استفاد من المؤتمر العديد من الجمعيات، ونقلوا تجربتنا إلى دولهم، وهناك جمعيات تقوم بعمل الدعم الإيجابي والنفسي، وتمت بحمد الله نقل تجربتنا إلى دول الخليج العربي.

● هل تقدمون العلاج لغير المسلمين؟

– يقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً﴾ (المائدة: 32)، حسب الملفات التي عندنا، توجد ملفات لغير المسلمين، لأن هدفنا هو علاج المريض بصرف النظر عن الدين أو العرق أو اللون أو الجنس، ونحن نقوم بهذا العمل مع غير المسلمين، كباب من أبواب الدعوة، وهناك حالة مسيحية أعلنت إسلامها في اللحظات الأخيرة من حياتها، ولله الحمد والمنّة.

ولدينا فتوى من وزارة الأوقاف أنه يجوز مساعدة مرضى السرطان من الصدقات؛ فكل مريض يأتي إلينا يتلقى العلاج.

● ما خطتكم لتطوير أعمالكم؟

– مبرتنا تابعة لمركز حسين مكي جمعة لمرضى السرطان، ولو تم فتح أفرع لعلاج مرضى السرطان في المستشفيات الأخرى سنكون معهم، فنحن مع المريض بالسرطان أينما كان.

لدينا برنامج «نتحدى السرطان»، ونقوم الآن بعمل توعية بالمرض بجميع المستشفيات، وكيفية التعامل معه، وفريق الدعم الإيجابي هم مرضى السرطان السابقون الذين تم تعافيهم، ويقومون بنقل تجربتهم مع المرض والتعريف بها.

● كيف يتم الاتصال بكم؟

– عن طريق الهاتف، أو الموقع الإلكتروني التابع لنا، أو التواصل مع مركز حسين مكي جمعة، إدارة الخدمة الاجتماعية، وفيها يتم دراسة الحالة، وإرسالها إلينا.

● هل لديكم برامج تلفازية أو إذاعية؟

– نعم، لدينا برامج، وكل أنشطتنا موجودة في مركز حسين مكي جمعة، مثل النشرات والمطبوعات، وسبق أن تواصلنا مع الإذاعة والصحف والقنوات التلفازية، وصار لنا لقاءات معها.

● الكويت مركز إنساني عالمي، هل هذه المكانة العالمية للكويت في خدمة الإنسانية تدعم أنشطتكم؟

– نفتخر بأننا نقوم بعمل شيء لم يسبقنا إليه أحد، وهو الدعم الإيجابي لمرضى السرطان، وهي أول مبادرة على مستوى الخليج، بل على مستوى الوطن العربي، وهذا إن دل فإنما يدل على أن هذا البلد هو منطلق للعمل الإنساني، ومنارة للعمل الخيري، ودائماً يُشار إلينا بالبنان بأننا سباقون في العمل الخيري، وهذا لن يكون ما لم يكن هناك دعم من الحكومة الكويتية، وخصوصاً وزارة الشؤون.

● ماذا تقول لمرضى السرطان؟

– أنصح الجميع بعمل الفحص المبكر، فالأجهزة والفحوصات سهلة، وبواسطتها يتم اكتشاف المرض مبكراً، وبالعلاج والمتابعة يتم القضاء عليه، ومرض السرطان قابل للعلاج بإذن الله تعالى.

● كلمة للداعمين والمتبرعين.

– مرضى السرطان في حاجة إلى الدعم من أهل الخير الكرام؛ لأن العلاج باهظ الثمن جداً، والمواطن الكويتي نفسه لا يستطيع تحمله، فما بالنا بالمقيم الذي يتقاضى راتباً متواضعاً جداً؟

● كلمة لمنظمات المجتمع المدني والوزارات بالكويت.

– أتقدم بجزيل الشكر لوزارة الشؤون على تنظيم العمل، وتسهيل الإجراءات، وكذلك وزارة الصحة، وأخص بالشكر أيضاً مركز حسين مكي جمعة على ما يقوم به من جهود، وتسهيل الإجراءات التي تتيح لنا التعاون مع المرضى وزيارتهم، وكذلك أتقدم بالشكر لإخواننا في مؤسسات المجتمع المدني، وأخص نماء للزكاة والتنمية المجتمعية، وبيت الزكاة كمؤسسة حكومية، وإخواننا في الأمانة العامة للأوقاف.■



الكيان الصهيوني من الداخل

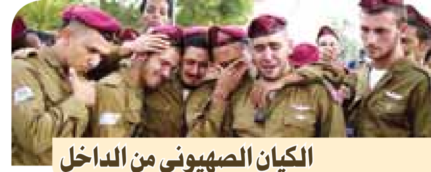
تعد الحرب النفسية أحد أنواع الحروب منذ قديم الزمان؛ حيث تعتمد على تضخيم الذات وإظهارها للعدو أكبر وأقوى مما عليه في الحقيقة؛ فرؤية العدو قوياً تؤثر على الروح القتالية، بل وربما تدعو للانسحاب من المعركة والاستسلام له، والعكس صحيح، ونلمح هذا من الإشارة القرآنية في قوله تعالى: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيراً لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (43) وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾ (الأنفال).

والمتتبع لتاريخ الكيان الصهيوني الغاصب يجده يعتمد هذه الإستراتيجية منذ نشأته؛ حيث يسخّر آلته الإعلامية في تضخيم قدراته العسكرية، وتصوير نفسه داخلياً على أنه مجتمع قوي ومتماسك وخال من الأدواء التي تنخر في مفاصل المجتمعات فتهلكها، ومما يؤسف له أن إعلامنا العربي -والإسلامي أحياناً- يسير وراءه في هذه الفرضية؛ فتراه يركز على مؤشرات القوة، متغافلاً عن التهديدات التي تؤشر على هشاشته وضعفه؛ حتى يمكن القول: إنه أوهن من بيت العنكبوت.

إن التعامل مع هذا العدو الغاصب يقتضي أن ننظر إلى الأمور من خلال عدسة مستوية (لا مقعرة ولا محدبة)؛ بحيث لا نهول من قدرته؛ فنكون مثل جن سليمان الذين لبثوا في العذاب المهين حتى جاءت دابة الأرض لتدلهم على موته، وكذلك لا نهون من الأمر؛ فنكون مثل بعض الصحابة الذين قالوا: «لن نهزم اليوم من قلة»؛ فكادوا أن يُهزموا لولا أن تداركتهم رحمة الله تعالى.

وفي هذا الملف، تحاول «المجتمع» كشف بعض الجوانب الخفية داخل هذا الكيان المحتل؛ حتى نعرف عدونا من الداخل بنظرة موضوعية؛ فنعد للأمر عدته ونقدّر الأمر قدره، وذلك من خلال الموضوعات التالية:

- الصهيونية.. الجذور والتطور والمآل.
- حركات يهودية تعادي «إسرائيل».. هل يأتي انفجار الصهاينة من داخل اليهود؟
- تأصيل العنف في الاعتقاد الصهيوني.
- مكامن القوة وعوامل التفكك لدى الكيان الصهيوني.
- عن الأسرة في الكيان الصهيوني.■



مصطلح «صهيون»، أو «تسيون»، هو اسم القدس في كتاب «التناخ» الذي يعتبر كتاب التاريخ الأول لليهود، ومصطلح «أحباء صهيون» يشير إلى مجموعة من المنظمات التي نشأت في عام 1881م على خلفية المذابح الروسية لليهود، واجتمعت في مؤتمر عام 1884م، وقد أنشئت المجموعات الأولى في أوروبا الشرقية بهدف تنظيم الهجرة إلى فلسطين، والاستيطان هناك، وبقي معظمها بعيداً عن السياسة، وفي عام 1890م أطلق مصطلح «الصهيونية» الحديث على النشاط الصهيوني من قبل المفكر «نتان بيرنبويم»، وفي عام 1897م أحصت لجنة «أوديسا» أكثر من 4 آلاف عضو في هذه الجمعيات، وبمجرد إنشاء الحركة الصهيونية، انضمت إليها معظم جمعيات أحباء صهيون.

الصهيونية.. الجذور والتطور والمآل

صلاح الدين العواودة
باحث في الشؤون الإسرائيلية
مركز رؤية للتنمية السياسية بإسطنبول

نشأت الحركة الصهيونية كثمرة لظروف دولية وسياق تاريخي بأوروبا في ذروة عصر النهضة، وذروة الاعتزاز بالدولة القومية الأوروبية التي نشأت على أنقاض الإمبراطوريات الدينية، وفي ذروة الشعور القومي الموصل إلى العنصرية التي كانت أحد تجلياتها المعاداة الأوروبية للسامية، وفي ظل الاندفاع الأوروبي لاحتلال واستعمار القارات الأخرى وإنشاء المستعمرات فيها، ليس من قبل الدول فقط؛ بل من قبل أشخاص وعائلات أحياناً، ولدت فكرة دولة لليهود، وفكرة تحويل اليهودية إلى قومية، والتفكير بإقامة مستعمرة بالتعاون مع الدول العظمى في تلك المرحلة التي تعتبر نتاجاً طبيعياً لروح المرحلة الثقافية والسياسية والاجتماعية.

في مقدمة كتابه «دولة اليهود»، يقول «تيودور هرتزل»: إن القضية هي مشكلة اليهود في العالم التي يجب أن تحل، مؤكداً أن أنشطة أحباء صهيون ما هي إلا رد فعل لمعاداة السامية، و«هرتزل» الصحفي النمساوي الذي كان متشرباً بالثقافة النمساوية والألمانية العلمانية، الذي كان يكره حقيقة كونه يهودياً، بل رفض الالتزام بالتقاليد اليهودية لدرجة رفضه ختان ابنه «هانس»، عندما غطّى محاكمة «درايفوس»، الضابط الفرنسي اليهودي الذي اتهم بالخيانة في فرنسا عام 1894م، استشعر حجم الكراهية لليهود في أوروبا، وكان يشاهد اليهود كيف يضطرون لتنصير أبنائهم من أجل الحصول على فرصة للتعليم والعمل كنظرائهم من مواطني الدول الأوروبية، فكان هدفه حل مشكلة اليهود والحصول على دولة يكون اليهودي فيها متساوي الحقوق، ولم تكن فلسطين في حينه خياره الوحيد، بل وأول ما فكر فيه، وفقاً لمذكراته، كان تنصير اليهود بشكل جماعي حتى يستطيعوا الاندماج في المجتمعات الأوروبية النصرانية.

الحركة الصهيونية نشأت كثمرة لظروف دولية وسياق تاريخي بأوروبا في ذروة عصر النهضة

.. وتميزت على مر السنين بالتطور وفقاً للأحداث على الساحة الدولية والإقليمية

وعندما بدأ الحديث مع أقرانه من اليهود العلمانيين، وكانوا قلة نادرة، حول إقامة دولة خاصة باليهود، لم يحدد بقعة جغرافية محددة، بل طرح بدائل عدة؛ من بينها الأرجنتين وأوغندا، ولكن أصدقاءه نصحوه بأن يختار فلسطين؛ لما للديانة اليهودية من ارتباط بها، وقالوا له: إن اليهود لن يتوافقوا على مشروع وطن لهم غير فلسطين.

أما عن اليهود عموماً وفي أوروبا خصوصاً، ففي تلك الفترة وكما في القرون السابقة، عاشوا كجاليات دينية منغلقة محافظة على تقاليدها الدينية التي حالت دون اندماجهم في المجتمعات الأوروبية الآخذة بالتحرر والابتعاد عن مظاهر التدين، ولا سيما أن اليهود عموماً كانوا يُمثلون من خلال رجال الدين الذين كانوا يقودونهم ويشكلون حياتهم وعلاقاتهم بالمحيط، وفي ظل هذا كله رفض عموم اليهود فكرة «هرتزل» رفضاً مطلقاً، بل إن مجمع الحاخامات في النمسا منع «هرتزل» من عقد المؤتمر الصهيوني الأول في فيينا؛ مما اضطره لعقده في بازل بسويسرا عام 1897م، الذي اتفق فيه المؤتمرون على تأسيس الحركة الصهيونية وبدء العمل في المشروع الصهيوني.

التنفيذ

تم الاتفاق في مؤتمر «بازل» على أن الوجهة هي فلسطين، وأنه لا بد من دولة عظمى لتتبنى المشروع، فتم التوجه أولاً إلى القيصر الألماني الذي رفض الفكرة، ثم تم التوجه إلى السلطان العثماني عبدالحميد الثاني الذي صدَّهم أيضاً، وكان رده حازماً وحاسماً؛ أنه لا يمكنه أن يبيعهم فلسطين ولا جزءاً منها بحال من الأحوال؛ وهو ما جعلهم يفكرون بالبدائلَ الأخرى بشكل جدي، حتى إنه بدأ العمل فعلاً على إنشاء مستوطنات في الأرجنتين ما زالت بقاياها شاهدة حتى اليوم.

ولكن، ما كانت العقلية الاستعمارية الأوروبية لتضيع الفرصة التي تشكلت أمامها؛ فكان مؤتمر «كامبل» في لندن عام 1905م، الذي أوصى بإنشاء «الدولة العازلة» (إسرائيل) في فلسطين، فوجد ضالته في الحركة الصهيونية التي بدأ العمل معها ابتداء من خلال تسهيل الهجرات وجمع المال وعقد المؤتمرات مروراً بخدمة اليهود في فلسطين عبر القنصليات هناك، وصولاً إلى الحرب العالمية الأولى وتشكيل الكتائب العبرية الصهيونية التي شاركت في احتلال فلسطين، وشكلت الأساس لعصابات «الهاجاناة» و«الإيتسل» الإرهابية المسلحة فيما بعد، مروراً باتفاقية «سايكس بيكو»، و«وعد بلفور»



عام 1917م، وإعلان الانتداب البريطاني على فلسطين عام 1920م.

وتميزت الحركة الصهيونية على مر السنين بالتطور وفقاً للأحداث على الساحة الدولية والإقليمية، وتميزت سياساتها بالواقعية الطموحة دون التقيد بقيود أيديولوجية لاجمة، فتساوقت مع المصالح البريطانية في عموم سياساتها، وتفاوضت وعقدت الاتفاقيات والتحالفات مع قوى إقليمية عربية، فأنشأت المؤسسات السياسية الممثلة للاستيطان في فلسطين بالتعاون مع سلطات الانتداب، وحصلت على الدعم اللازم لاستقدام المهاجرين وبناء المستوطنات وتأسيس جيش صهيوني نظامي تحت مسمى «الهاجاناة» بذريعة الدفاع عن المستوطنات الناشئة، كما أنشأت الوكالة اليهودية لتستخدمها كغطاء لعملها في أوساط اليهود في العالم الرافضين للصهيونية، وأقامت مكاتب لها ولا سيما في لندن، واستطاعت كسب ود القيادة البريطانية من خلال قبولها بمقترحات بريطانيا للحل مع الفلسطينيين.

تمثلت الواقعية الصهيونية بالتعاطي مع المشاريع المقدمة للحل من قبل القيادة الرسمية للحركة (اليسارية) الممثلة بـ«دافيد بن جوريون» و«حاييم وايزمان»، التي تعارضت في مجملها مع الجوانب الأيديولوجية التي آمن بها الجناح اليميني في الحركة الصهيونية المسمى «الصهيونية الإصلاحية» بزعامة «جيبوتسكي»، الذي مثَّل الأقلية ولم يستوعب التنازلات للبريطانيين لدرجة حمله السلاح ضدهم والقتال من خلال عصابة «الإيتسل»، وعصابة «الليحي» بقيادة «إبراهام شتيرن».

قبلت القيادة اليسارية -وهي القيادة الرسمية للحركة والمتمتعة بالأغلبية في المؤسسات السياسية- بالمشاريع المقترحة التي أعطت الحركة الصهيونية أجزاء فقط من فلسطين خلافاً لما أراده الجناح اليميني وهو فلسطين والأردن، وصولاً إلى قرار التقسيم في 1947/11/29م، الذي أعطى غالبية فلسطين للحركة الصهيونية؛ حيث اندلعت المواجهات مع الفلسطينيين بناء عليه وصولاً إلى حرب عام 1948م وإعلان قيام «إسرائيل» على أكثر من 78% من فلسطين الانتدابية.

وقد كان قبول الحركة الصهيونية بدولة دون القدس وعاصمتها في «تل أبيب» محل انتقاد من الجناح اليميني وهو الأقلية، حيث رأى أن أرض «إسرائيل» التاريخية هي الخليل وبيت لحم ورام الله ونابلس، حيث كانت ممالك داود، وسليمان، ومن قبلهما مسكن إبراهيم، وإسحق، ثم مملكة «الحشمونائيم»، وهي ممالك لم تقم على الساحل الفلسطيني الذي قامت عليه دولة «إسرائيل» عام 1948م، وهنا تظهر الواقعية السياسية من جهة والحركة الحالمة والطموحة من جهة أخرى، ولا سيما في مسألة القدس التي نص قرار التقسيم على تدويلها التي كانت

اليهود عاشوا كجاليات منغلقة على تقاليدها الدينية التي حالت دون اندماجهم بالمجتمعات الأوروبية

اليسار الصهيوني أسَّس «إسرائيل» بخليط من الفكر الاشتراكي وكثير من الإمبريالي مع أسطورة قومية مصطنعة

تفاصيل القرار بشأنها ستجعلها تؤول إلى «إسرائيل» بعد عدة سنوات وبشكل قانوني دون احتلال.

أسس اليسار الصهيوني «إسرائيل» بخليط من الفكر الاشتراكي الذي جند الدعم السوفييتي من جهة، وكثير من الفكر الإمبريالي الذي سخَّر الغرب الرأسمالي للتمويل والحماية من جهة أخرى، مع أسطورة قومية (دينية علمانية) مصطنعة، وتبنٍّ للقيم السياسية الغربية المتمثلة في النظام السياسي البرلماني الذي وضعت قواعده على عين بريطانيا منذ عشرينيات القرن العشرين، فنص إعلان الاستقلال على أن «إسرائيل دولة يهودية ديمقراطية يتمتع فيها المواطنون بالمساواة دون فرق»، ولأن الغالبية الساحقة كانت علمانية، بل ومعادية للدين؛ كانت مظاهر وسمات النظام تميل إلى الديمقراطية على حساب اليهودية.

مع مرور السنوات واستقدام الملايين من اليهود المتدينين في غالبيتهم، تحول الطابع إلى الديني إلى اليمين، حتى علا اليمين إلى السلطة عام 1977م لأول مرة، ولم يستطع اليسار العودة للسلطة منفرداً إلا عام 1992م ثمرة للانتفاضة الأولى التي وضعت القضية الفلسطينية على رأس سلم المواطن «الإسرائيلي»، وحكم اليسار حتى مقتل رئيس الوزراء «إسحق رابين»، في 1995/11/5م، على خلفية توقيعه اتفاق «أوسلو»، وعلى وقع العمليات الفدائية التي نفذتها المقاومة، وكان القاتل من اليمين الصهيوني الذي صعد للحكم بعده بقيادة «بنيامين نتنياهو» الذي يقود «إسرائيل» نحو اليمين ونحو التدين ونحو الاستفراد في السلطة، وهو ما يسمى «جمهورية نتنياهو اليمينية» في طريق قيام مملكة «إسرائيل» الدينية التوراتية قبل الخراب الثالث الذي يردد التحذير منه «نتنياهو» ليل نهار، الذي نسأل الله أن يكون قريباً بأيدينا وأيدي المؤمنين!■

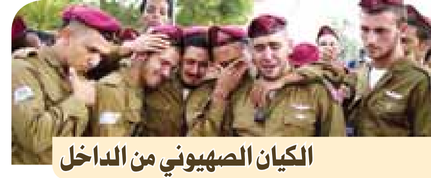
المصادر

1 - أمين محمود، في ذكرى قرار تقسيم فلسطين، جريدة الغد، 2020/11/29.

2 - محسن صالح، وثيقة كامبل بنرمان.. حقيقية أم مزيفة؟! الجزيرة، 2017/9/12.

3 - الدولة اليهودية، تيودور هيرتزل، ترجمة: محمد فاضل، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، 2007، ص7.

4 - مركز مدار، وثيقة الاستقلال، 2020/12/27.





«يهود ويعادون إسرائيل»، قد يبدو هذا التعبير غريباً على البعض، لكن الواقع يؤكد أن مثل تلك الحركات موجودة ولها تأثيرها وإن بدا بسيطاً، وتعد حركة «ناطوري كارتا» اليهودية الرافضة للصهيونية ولدولة الاحتلال إحدى أهم تلك الحركات.

من هنا تأتي أهمية إلقاء الضوء على مسيرة تلك الحركة، خاصة أن أعضاءها أصدقاء لبعض المؤسسات الإسلامية؛ كالأزهر الذي استضافهم في مؤتمر عالمي لنصرة القدس عام 2018م.

علا سليمان

حركات يهودية تعادي «إسرائيل».. هل يأتي انفجار الصهاينة من داخل اليهود؟

تعد حركة «ناطوري كارتا» واحدة من 6 منظمات يهودية ترفض دولة «إسرائيل» وسياساتها الاحتلالية، حيث يعارض بعض اليهود الأرثوذكس «الصهيونية»، ويعلنون مناهضة قيام دولة يهودية على الأرض الفلسطينية وانتهاج القتل والتخريب، ورفع السلاح بوجه العرب والعنصرية، ويرى أعضاء تلك الحركات أن دولة الاحتلال مخالفة لرغبة الرب.

وبحسب تعبير رئيس الحركة، فإن «ناطوري كارتا» تمثل شوكة في ظهر دولة الاحتلال؛ حيث يجاهرون بمعتقداتهم ومناهضتهم للصهيونية في كل مكان بالعالم، بل وينظمون مظاهرات تؤكد ذلك، كما يحضرون المؤتمرات الدولية المناصرة لحق الفلسطينيين، ورفض دولة الاحتلال.

ولعل أبرز تلك المؤتمرات «المؤتمر العالمي» الذي نظمه الأزهر لنصرة القدس بعد إعلان الرئيس الأمريكي المنتهية ولايته «دونالد ترمب» الاعتراف بها عاصمة للكيان الصهيوني، وترأس الحاخام «مير هيرش»، زعيم الحركة، وفداً من أعضائها أمام ممثلي 86 دولة من مختلف قارات العالم.

وقد ألقى «هيرش» كلمة طويلة بحضور د.أحمد الطيب، شيخ الأزهر، جاء فيها: «.. نحن نأمل ونصلي من أجل قضاء فوري على النظام الصهيوني، وأن نعيش تحت الحكم الفلسطيني في كل أنحاء فلسطين، على حدود عام 1948م، وعاصمتها القدس».

وأكد قائلاً: «الصهيونية لا تمثل تعاليم اليهودية التي جاء بها موسى عليه السلام، وإننا كممثلين عن الشعب اليهودي الأصلي، نود التأكيد على أنه تقريباً في كل الدول العربية عاش مئات الآلاف من اليهود مئات الأعوام، وسط احترام وتقدير متبادل».

وشدد «هيرش» على أنه ليس هناك حقوق لهؤلاء الصهاينة وقادتهم في تمثيل الشعب اليهودي، أو التحدث باسمه، وأن لفظة «إسرائيل» التي يستعملونها ليست إلا تزييفاً شائناً، وليس هناك ارتباط بين هؤلاء الصهاينة وقادتهم بالشعب اليهودي وشريعته، وليسوا يهوداً على الإطلاق.

وأضاف: «ومن هنا نلتمس من قادة العالم الإسلامي ألا يلقبوا هؤلاء الصهاينة بالإسرائيليين أو اليهود؛ لأنهم يمنحونهم شرعية، فينبغي أن ينعتوهم بالصهاينة المحتلين، وأن يعلنوا أنهم ليسوا يهوداً على الإطلاق، ولا يرتبطون بالشعب اليهودي ولا بتوراته، وليس لهؤلاء الصهاينة حقوق سيادة ولو على ذرة تراب من كل أراضي فلسطين».

وأردف «هيرش» قائلاً: «قسماً بالله! قد حُرم بصورة كبيرة على اليهود إقامة أي حكم سواء في فلسطين أو في أي مكان آخر بالعالم، حتى لو منحتهم الأمم المتحدة تفويضاً بذلك، ووفق أوامر التوراة نحن نذعن وبإخلاص لتلك الأنظمة التي تمنحنا المأوى والملاذ، ونتضرع من أجل سلامة تلك الحكومات التي تؤوينا».

وكان الحاخام «دوفيدويس»، عضو حركة «ناطوري كارتا»، قد أعلن رفضه وحركته نقل السفارة الأمريكية للقدس، مؤكداً أن القدس حق أصيل للمسلمين، رافضاً ما يقوم به الصهاينة حالياً من حفر تحت المسجد الأقصى، مؤكداً أنهم عارضوا قرار «ترمب» بضم القدس لـ«إسرائيل» والاعتراف بها عاصمة لها، وتظاهروا ضده.

إزالة «إسرائيل»

يؤمن أعضاء «ناطوري كارتا» بحتمية إنهاء الاحتلال وتسليم الفلسطينيين وطنهم؛ لأنهم يؤمنون بأن الخلاص بيد الرب لا بيد

«ناطوري» أعلنت ياسر عرفات رئيساً لجميع سكان فلسطين وشارك رئيسهم بحكومته وزيراً للشؤون اليهودية

«صوت يهودي للسلام» شاركت بـ«أسطول الحرية» لكسر حصار غزة وتعمل لتشويه العلاقة بين يهود أمريكا و«إسرائيل»

«فوضويون» تشارك بكل المظاهرات ضد الاستيطان ولها أنشطة احتجاجية لإظهار بشاعة الاحتلال

«الإسرائيليين»، وهو ما تتكلم به صراحة نصوص التوراة، ولهذا فهم ينضمون لأي مظاهرات ضد الاحتلال البغيض، بل يشعلون النار في العلم الصهيوني؛ لأن دولة الصهيونية لا تستند إلى اليهودية التي هي دين يعبد الرب، وإنما هي حركة سياسية دولية تتناقض أهدافها مع ذلك، بل إنها تمثل تهديداً لليهود في العالم، ولليهودية كديانة.

وتؤكد «ناطوري كارتا» أنهم يعارضون الدولة الصهيونية منذ اليوم الأول، وأنهم أودعوا وثائق في المنظمات الدولية تفيد بذلك.

وبحسبهم، فهذه الدولة الصهيونية يجب ألا تبقى على الأرض؛ لأنها دولة ضد إرادة الرب، وغير مقبول أن تكون القدس عاصمة لها، ويؤكدون أنها أتت بالحرب والدم ويجب أن تزول، وعلى الجميع أن يدرك أن الصراع ليس دينياً، هناك مئات الآلاف يرفضون ذلك، ولدينا معارضون للصهيونية يزدادون يوماً بعد يوم، ونحن لن نسكت عن هؤلاء الذين يجبرون أولادنا على الالتحاق بالجيش الذي يرتكب الجرائم، هذا ضد تعاليم الدين.

وقد بدأت حركة «ناطوري كارتا»، التي تعني «حراس المدينة» بالعبرية، عام 1938م من يهود أرثوذكس محافظين سكنوا فلسطين قبل قيام دولة الاحتلال «الإسرائيلي»، غالبيتهم جذورهم مجرية، وينادون بضرورة إزالة دولة «إسرائيل»، ويعتبرون أن الله عاقب اليهود بإزالة دولتهم في العهد القديم، وأن محاولتهم الآن معارضة لمشيئة الرب وستعرضهم للعقاب الإلهي.

ويقدر عددهم بأكثر من ألفي شخص، ويرفضون الخدمة بجيش الاحتلال، كما أن لها أتباعاً بنيويورك ولندن وفيينا.

وسبق أن أعلنت منظمة «ناطوري» ياسر عرفات رئيساً لجميع سكان أرض فلسطين، وشارك رئيسهم «موشيه هيرش» في حكومة عرفات وزيراً للشؤون اليهودية، وعندما طلبت إيران مشاركتهم مؤتمراً نظمته حول حقيقة «الهولوكوست» واستغلال محرقة اليهود لخدمة أهداف «إسرائيلية» قبلوا الدعوة، وأيدوها، حتى قيل: إنهم يحسنون الصلات مع أكثر المجموعات عداء لـ«إسرائيل» واليهود.

ليست «ناطوري كارتا» وحدها على ساحة المعارضة للصهيونية، بل هناك 5 جماعات أخرى، هي:

1 - منظمة «صوت يهودي للسلام»:

وهي تنشط في الجامعات الأمريكية لتشويه العلاقة بين يهود أمريكا و«إسرائيل» بأساليب تشمل حملة لدعم حق عودة اللاجئين الفلسطينيين، مع أساليب اقتصادية كسحب الاستثمارات من الشركات مثلاً، وتأهيل طلاب ناشطين في معسكرات خاصة لحركة المقاطعة لـ«إسرائيل».

وشاركت المنظمة في «أسطول الحرية» لكسر حصار غزة عام 2011م، كما تتبع إستراتيجية اسمها «ديربان للحرب السياسية ضد إسرائيل»، وقد وضعت في مؤتمر «ديربان» عام 2001م، وشارك فيه أكثر من 1500 منظمة تساند فرض عزلة دولية على «إسرائيل» كدولة صهيونية معتدية، كما تشارك في حركة التضامن مع الشعب الفلسطيني.

2 - «هعيدا هحريديت» (الطائفة الحريدية):

وهي تضم تياراً من اليهود المتشددين دينياً والمعارضين للصهيونية، وتضم قرابة 10 آلاف عائلة، وتعارض الثقافة العلمانية في «إسرائيل» وترفض التحاور معها.

وقد تأسست المنظمة عام 1921م، وتنظم مظاهرات ضد تدنيس يوم السبت في القدس، ولديها هيئة خاصة للمصادقة على الطعام والشراب الحلال حسب الشريعة اليهودية، ويمتنعون عن المشاركة في الانتخابات العامة لـ«الكنيست»، وترفض أي مخصصات مالية تدفعها الدولة، ولا يتحدث أبناؤهم العبرية؛ لأنها لغة الصهاينة، وتلتزم بمقولة دينية يهودية قديمة بأن «التوراة تحظر تبني عادات وتقاليد جديدة، ولا يمكننا تغيير أي شيء من تراث آبائنا، الذين لم يناضلوا من أجل استقلال اليهود».

3 - حركة «فوضويون ضد الجدار العازل الإسرائيلي»:

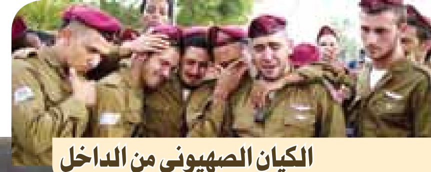
تأسست عام 2003م، وتتعاون مع الفلسطينيين في نضالهم الشعبي ضد الجدار والحصار والاعتداءات العسكرية ضد قطاع غزة، وضد الاحتلال بشكل عام، وتشارك في كل المظاهرات ضد الاستيطان، ولها أنشطة احتجاجية داخل «إسرائيل» لإظهار بشاعة الاحتلال، ويتعرض أعضاؤها لقمع قوات جيش الاحتلال والاعتقال والإصابة، وتهددهم نيابة الاحتلال، لكنهم يصرخون دائماً: «نرفض أن نكون أعداء، وسنكون شركاء في النضال الشعبي ضد الاحتلال».

4 - حركة «ترابط»:

تسعى تلك الحركة للتغيير الاجتماعي والسياسي، وتعتبر نفسها «يهودية عربية»، وأن المجتمع «الإسرائيلي» ناتج عن مشروع «كولونيالي»، قادته الحركة الصهيونية بحماية القوى الغربية العظمى، وهو عنصري ضد الفلسطينيين، وبحجة الأمن يدفع المجتمع بأبنائه للحروب، وتناضل الحركة ضد الاحتلال وضد سياسات الاحتلال مع الأقلية العربية في الأراضي المحتلة، وضد مخططات التهويد وسلب الأراضي العربية في النقب، وتطالب بتحسين ظروف حياة العرب في المدن المختلطة؛ لأنها تؤمن بحق اليهود والفلسطينيين سكان «إسرائيل» في تقرير مصيرهم، ما دام ذلك لا يمس حقوق الطرف الآخر.

5 - جمعية «زوخروت»:

تهدف لتعميق الوعي لدى اليهود في «إسرائيل» بالأزمة الفلسطينية، وقد نشأت عام 2002م، واستمرت في دعوتها لتطبيق حق العودة للاجئين الفلسطينيين، وتحميل اليهود المسؤولية عن أحداث النكبة وقتلاها، واعتبارها ذنباً في طريق السلام العادل والمصالحة بين اليهود والفلسطينيين، وتدعو يهود «إسرائيل» للتخلي عن الممارسات الاستعمارية، ومواقف وقرارات الحكومة «الإسرائيلية» بحق الفلسطينيين.■



يمثل العنف إحدى السمات الأصيلة للشخصية اليهودية التي بلورت ذلك العنف في «الأيديولوجيا الصهيونية» التي مارست كل أشكال وأنواع العنف على المستوى الدولي، خاصة العربي - الفلسطيني.

نحاول في هذه المقالة البحث في الأسباب السيسولوجية والنفسية والعقدية التي عملت على غرس وتثبيت هذه الروح العدوانية لدى الشخصية اليهودية الصهيونية -إلى الحد الذي نجد فيه كل مستوطني ومستعمري فلسطين مسلحين سواء كانوا رجالاً أم نساءً أم شباباً- وقد وجدنا أن هناك مصادر تراثية دينية (تلمودية تارة، وتوراتية محرفة تارة أخرى)، يقوم عليها هذا الأمر.

دراسة للأسباب السيسولوجية والنفسية والعقدية..

تأصيل العنف في الاعتقاد الصهيوني

من دعائم تأصيل عقيدة العنف ما استقر في النفسية اليهودية وعقيدتهم أن «فلسطين أرض بلا شعب»

مذابح دير ياسين وكفر قاسم وخان يونس وصبرا وشاتيلا من أبرز النماذج المترجمة لشخصية العنف الصهيونية

د. حسان عبدالله حسان
أستاذ أصول التربية المساعد بجامعة دمياط- مصر

التوراة والعنف:

التوراة -كما يشير د. رشاد الشامي- تطبع العقيدة الصهيونية برباط وثيق بين «حرب إسرائيل» و«رب إسرائيل»، حيث يصبح هذا الرب هو «رب الجنود» الذي يمهد لبني إسرائيل السبيل لتحقيق مآربهم في الغزو والاحتلال وطرد الشعوب؛ «ولا يسمع لكما فرعون حتى أجعل يدي على مصر فأخرج أجنادي شعبي بني إسرائيل من أرض مصر بأحكام عظيمة».

ويقول: «الرب إلهك يطرد هؤلاء الشعوب من أمامك، ويدفع ملوكهم إلى يدك فتمحو اسمهم من تحت السماء»، وهو الرب القاسي المتوحش الذي لا يعرف الرحمة بالإنسان أو الحيوان؛ «فحدث في نصف الليل أن الرب ضرب كل بكر في أرض مصر من بكر فرعون الجالس على كرسيه إلى بكر الأسير في السجن وكل بكر بهيمة»، «الرب إلهك هو العابر أمامك ناراً أكلة، هو يبيدهم ويذلهم أمامك فتطردهم وتهلكهم سريعاً كما كلمك الرب».

أسست هذه النصوص التراثية الدينية مضامين ومحتويات الدعوة الصهيونية العالمية المشبعة بروح العداء والعنف، كما قامت على هذه النصوص أفكار منظريها ومؤسسي أيديولوجيتها؛ فقد جاء «جابوتنسكي» (1880م)، أحد المؤسسين الأوائل لأيديولوجية العنف الصهيونية، ليؤكد أن دعوته للصهيونية تتخذ من العنف والإرهاب والقوة وسائل لها في تحقيق غاياتها، ويقول: «إننا نجاهد في سبيل تأكيد المفهوم الهرتزلي (هرتزل) القديم ضد عقد المنفى التي تسيطر على زمام الحركة الصهيونية في الوقت الحاضر»، وأخذ يركز دعوته بين الأوساط الشبابية ويدعو الشباب اليهودي إلى «العسكرة»، وانطلاقة «جابوتنسكي» تبدأ من نفس النقطة التي انطلق منها «هرتزل» في حديثه عما أسماه «محنة اليهود»، لذا فهو لا يرى سبيلاً للخروج منها إلا عن طريق «الاستعمار اليهودي وسلطة الدولة اليهودية والقوة العسكرية كأداة لتنفيذ ذلك».

وكان لا بد -وحتماً- تربية النشء اليهودي على مثل هذه الروح العدائية المشبعة بالعنف وتأصيل هذه السمة في الشخصية اليهودية؛ فكان نظام التعليم الذي أصبح مخططاً ومنظماً لغرس هذه السمة (العنف) وتلك الروح العدائية؛ فالتعليم في «إسرائيل» يعبر عن فلسفة الدولة ومقاصدها وطموحاتها، لذلك فإن برامج التعليم «الإسرائيلي» تعمل

دائماً على تشويه صورة الإنسان العربي وصورة الإسلام والتاريخ الإسلامي من أجل غرس روح العداء تجاه الإنسان العربي في نفوس الناشئة، وقد أثبتت البروفيسور «كوهين»، في بحثه المنشور بالعبرية تحت عنوان «وجه قبيح في المرآة»، أن تحليله لمضامين ألف كتاب عبري أثبت أن هناك صورة مخيفة للإنسان العربي تعرضها كتب الأطفال الصهيونية، وأن هذه الصورة تُظهر العربي في شكل قاتل أو مختطف للأطفال، وأن هذه الصورة مستقرة لدى 75% من أطفال المدارس الابتدائية «الإسرائيليين».

إن هذا التمثيل وغيره لصورة العربي تمثل أسلوباً للشحن العدائي ضد العرب والمسلمين بما يخلق في النهاية شخصية يهودية عدائية لا يمكن أن تتعايش مع أحد غير نفسها، ومن ثم فلا يمكن أن يأمنها –أيضاً– أحد للتعايش معها.

الرؤية الصهيونية للواقع:

من دعائم تأصيل عقيدة العنف ما استقر في النفسية اليهودية حول رؤية الصهيوني للواقع العربي والفلسطيني تحديداً؛ فهو يعتقد في المقولة الراسخة لديه بأن فلسطين «أرض بلا شعب»، هذه المقولة التي شكَّلت الإطار الإدراكي والأيديولوجي لكل الصهاينة، واتفق عليها الاجتماع الصهيوني، ففلسطين من منظور صهيوني، هي «إيريتس يسرائيل»/ وطن قومي لليهود، وعلى حد تعبير «ليبرمان»، وزير خارجية الكيان الصهيوني السابق: «إيريتس يسرائيل (أرض إسرائيل) هي المكان الذي وُلد فيه الشعب اليهودي، وهنا تبلورت هويته الروحية والدينية والسياسية، وهنا اكتسب صفة الدولة لأول مرة، وبلور قيماً حضارية ذات دلالة قومية وعالمية، وقدم للعالم سفر الأسفار الخالد (التوراة)».

ومن ثم، فإن كل اليهود لهم حقوق مطلقة فيه، والحقوق المطلقة لا تقبل الآخر؛ مما يعني انعدام الوجود العربي في فلسطين، ومن هنا صدر قانون العودة عام 1950م، الذي وصفه «بن جوريون» بأنه عمود الصهيونية الفقري، وهو قانون يمنح أي يهودي ترك وطنه المزعوم من عدة آلاف من السنين الحق في العودة ليصبح مواطناً فور عودته إليه.

وفي ضوء هذا الاعتقاد المزعوم، ظهرت أسطورة أخرى هي أسطورة الاستيطان، وأحقية كل صهيوني في سكن بهذه الأرض الموعودة، واقتلاع كل من احتلها –من العرب وغيرهم– على حد زعمهم، ومن ثم أضحى كل صهيوني مسلحاً يدافع عن هذا الحق المزعوم بقوة السلاح.

النصوص التراثية الدينية أسست مضامين الدعوة الصهيونية العالمية المشبعة بروح العداء والعنف



ومما عمق العنف الإدراكي لدى الصهاينة هو تفسيرهم للعقيدة اليهودية، فقد حولوا العهد القديم إلى فلكلور الشعب اليهودي، وهو كتاب تفيض صفحاته بوصف حروب كثيرة خاضها العبرانيون ضد الكنعانيين وغيرهم من الشعوب التي أبادوا بعضها، وهو يفصل فصلاً حاداً بين الشعب اليهودي المقدس! وغيرهم من الأغيار (أي غير اليهود)، بكل ما يتبع ذلك من ازدواجية معايير تجعل الآخر مباحاً تماماً، وتجعل استخدام العنف تجاهه أمراً مقبولاً، (الأكاذيب الصهيونية، د.عبدالوهاب المسيري).

مأسسة العنف المسلح:

لم يكن العنف الذي تأسس في وعي الصهيونية الاعتقادي يقوم على التبني الوجداني الانفعالي فقط، بل انعكس في الواقع المادي من خلال تأسيس المنظمات المسلحة التي مارست العنف من أجل تحقيق عملية الإحلال والاستيطان للمحتلين الصهاينة على أرض فلسطين، ومن أقدم المنظمات المسلحة نشير إلى ما يلي:

1 - «الهاجانا والبالماك»:

وهي منظمة عسكرية مسلحة جيدة التسليح، تتبع قيادة مركزية في «تل أبيب»، تدعمها قيادات إقليمية ذات فروع ثلاثة تضم نساء في عضويتها، وتتألف على الشكل التالي:

– قوة أساسية تتألف من المستوطنين وسكان المدن.

– جيش ميدان يتألف من شرطة الأحياء اليهودية، ويقوم بالعمليات السريعة.

– قوة على أهبة الاستعداد (البالماك)، مزودة بوسائل نقل، ويقدر عدد أفرادها بألفي رجل في زمن السلم، و6 آلاف في حالة الحرب.

2 - «الآرغن زفاي لومي» (منظمة قومية عسكرية):

تأسست عام 1935م من الأعضاء المنشقين عن «الهاجانا»، عملت تحت إمرة قيادتها السرية، وقدرت قوتها –وقتذاك– من 3 – 5 آلاف رجل.

3 - عصبة «الشتيرن»:

قدرت قوتها في عام 1939م من 200 – 300 من المتطرفين الخطرين، وقد تعاونت هذه العصابة مع «الآرغن زفاي لومي» تعاونا كاملاً على اعتبار أن الطرفين يتبعان سياسة بالغة التطرف.

ومما يذكر في مسيرة هذه العصابات وغيرها أنها جميعها أو أكثرها تحت قيادة واحدة هي «الوكالة اليهودية» التي جمعت تحت رايتها كثيراً من العصابات المسلحة التي قادت حروبها الأولى ضد الجيوش العربية في فلسطين المحتلة.

وقد شهد تاريخ هذا الكيان الغاصب الكثير من النماذج العملية والمترجمة لشخصية العنف الصهيونية، وهذه النماذج وغيرها سجلها تاريخ الشهداء الذين راحوا ضحية العدوانية والهمجية الوحشية الصهيونية، التي من أبرزها: مذبحة دير ياسين (9 أبريل 1948م)، ومذبحة كفر قاسم بعيد العدوان الثلاثي على مصر، ومذبحة خان يونس (3 نوفمبر 1956م)، وكذلك الكارثة الإنسانية في صبرا وشاتيلا (عام 1981م).

إن نماذج العنف والعداء «الإسرائيلي» لا تُحصى ولا تُعد، وكل يوم يشهد العالم منها ما يشاء وما لا يشاء، إلا أننا نتساءل: هل يحق لنا أن نتصافح مع هذه اليد الملطخة بدماء إخواننا وأمهاتنا وآبائنا وأطفالنا؟ هل يحق لنا أن نتفاوض مع من يستبيح أرضنا وأعراضنا؟ هل يجوز لنا أن ننتظر موافقتهم على إقامة دولة فلسطينية؟! هل يجوز أن نعطيهم شرعية الوجود وهم يعملون على فنائنا يوماً بعد يوم؟!■

الانحراف الاجتماعي داخل الكيان الاستيطاني «الإسرائيلي»..

مظاهره وأنماطه

إعداد- أ. د. وليد عبدالحي(*):

يُعرِّف علماء الاجتماع الانحراف الاجتماعي (social deviance) بأنه الخروج الصارخ والمتكرر على مسلمات المنظومة القيمية في مجتمع معين لفظاً أو فعلاً، ويتم قياس الانحراف من خلال ثلاثة مؤشرات، هي: درجة التكرار، وَحِدَّة الانحراف، وتنوع أشكاله.

وتتمثل إحدى أبرز مشكلات المجتمعات الاستيطانية (مثل «إسرائيل»، والولايات المتحدة، وجنوب أفريقيا في فترة التمييز العنصري.. إلخ) في أن تنوع البيئات الاجتماعية التي جاء منها المستوطنون يجعل المنظومة القيمية للمجتمع متضاربة، من حيث ترتيب وتركيب السلم القيمي بشكل عام، وتحديد القيمة العليا في هذه المنظومة بشكل خاص؛ فالمجتمع «الإسرائيلي» مثلاً تعود فيه أصول الشرائح الأكبر من المجتمع إلى خلفيات متنوعة تنتمي طبقاً للإحصاءات الرسمية «الإسرائيلية» إلى نحو 46 دولة موزعة في القارات الخمس.



طبقاً لعدد من الدراسات المتخصصة، يتبين أن المجتمعات الاستيطانية الإحلالية، التي قامت بتصفية أو تهجير أو تدمير أو تمزيق المجتمع الأصلي، تجعل من القوة القيمةَ العليا الجامعة، التي يشترك فيها أغلب أفراد المجتمعات الاستيطانية؛ على الرغم من التباين الحاد في خلفياتهم الاجتماعية والثقافية؛ إذ إن نشوء المجتمعات الاستيطانية تمّ بالقوة، ثم إن النجاح في ممارسة هذه القوة سواء ضدّ السكان المحليين أم ضدّ الطبيعة يعزز من مركزية فكرة القوة والعنف؛ فليست مصادفة أن الولايات المتحدة هي صاحبة أعلى معدل تدخل عسكري خارجي في العالم، أو أن أعنف أشكال التمييز العنصري سُجل في جنوب أفريقيا، أو أن «إسرائيل» هي أكثر دولة مخالفة لقرارات الأمم المتحدة، إذ إن مخالفاتها لقرارات مجلس حقوق الإنسان الأممي الذي تمّ إنشاؤه عام 2006م يفوق مجموع مخالفات دول العالم قاطبة.

ذلك يعني أن مصدر الانحراف الاجتماعي والسياسي في المجتمع «الإسرائيلي» ليس منفصلاً عن عوامل ثلاثة تمجد القوة والعنف، وتُشكل الخلفية الثقافية لكل شريحة من شرائح المجتمع «الإسرائيلي»:

1 - طريقة تشكُّل المجتمع الاستيطاني بالقوة، فـ«الإسرائيلي» تمرد على مجتمعه الأصلي الذي هاجر منه، واستخدم القوة للسيطرة على جغرافيا جديدة، ويمارس بقاءه من خلال دورات العنف مع السكان الأصليين وجيرانهم، وتعززت قيمة القوة لدى الفرد الصهيوني بنجاحه في بلوغ أغلب غاياته، وهو ما جعله يعتقد أن القوة بمضمونها العنيف هي الحل لكل المعضلات الاجتماعية والسياسية.

2 - منظومة قيم دينية تقوم على فكرة محددة هي التفوق، استناداً لمنظومة معرفية ميتافيزيقية تجعله «الشعب المختار»، وتعطيه طبقاً لنصوصه الدينية الحق في السيطرة على الآخرين؛ وهو ما يعزز فكرة القوة لديه؛ لأنه يراها مبررة أخلاقياً؛ لأنها مسنودة بنص ديني، فمركزية يشوع (أو يوشع في الكتابات العربية) بن نون في الفكر الصهيوني اليهودي جاءت من أنه الأكثر تمجيداً وممارسة للقوة ضدّ الأغيار، وفي نصوص التوراة قسوة وتمجيد للقوة لا نظير له.

3 - إرث غربي مبني في بعض أبعاده على مزاوجة بين قيم الصراع والقوة، ومعلوم أن أغلب القيادات الصهيونية نشأت في هذه البيئة الثقافية الغربية التي تمجد القوة من ناحية، وتعد الفكرة صحيحة بمقدار النفع المترتب عليها من ناحية أخرى، وهو جوهر البراجماتية.

أولاً: مظاهر الانحراف الاجتماعي في

منظومة القيم الدينية اليهودية القائمة على فكرة التفوق أحد مصادر الانحراف الاجتماعي والسياسي

يهود الاتحاد السوفييتي السابق الأعلى بين شرائح المجتمع «الإسرائيلي» والأكبر في نسبة الجريمة

المجتمع الاستعماري الاستيطاني «الإسرائيلي»:

نظراً لتباين الخلفيات المجتمعية والمنظومة القيمية للمجتمع الاستيطاني، بحكم تعدد أصولهم المجتمعية، فإن بعض مظاهر الانحراف تظهر في شرائح مجتمعية أكثر من غيرها، بينما تتقاطع مظاهر انحراف أخرى على الرغم من تباين الخلفيات المجتمعية، وهو ما يتضح على سبيل المثال في أن تدفق المهاجرين اليهود من جمهوريات الاتحاد السوفييتي السابق، وبشكل رفع عدد سكان «إسرائيل» خلال الفترة من عام 1990 – 1993م بنسبة 20%، أدى إلى توترات عالية وانحرافات في العلاقة بين اليهود السوفييت واليهود الإثيوبيين، نظراً للتباين الحاد في الخلفيات الاجتماعية؛ فمثلاً تشير الدراسات الاجتماعية إلى أن اليهود المهاجرين من الاتحاد السوفييتي السابق هم الأعلى بين شرائح المجتمع «الإسرائيلي» قياساً لنسبتهم السكانية في ثلاثة أبعاد، هي:

1 – هم الأعلى في نسبة التسرب المدرسي، والأعلى عجزاً في التكيف مع النظام المدرسي.

2 – هم الأعلى في نسبة الإدمان على الكحول، قياساً لنظرائهم في العمر من الشرائح الأخرى.

3 – هم الأعلى في نسبة الجريمة التي يقترفونها، وبنسبة تفوق معدل نسبتهم في إجمالي السكان، كما سيتضح معنا في هذه الدراسة.

ويرى الباحثون «الإسرائيليون» أن المجتمع لا يتبنى نمط «الاندماج» للمهاجر الجديد، بل يتبنى نمط «الاستيعاب»، إذ تقوم الفلسفة السياسية الصهيونية في التعامل مع المهاجرين على أساس استيعاب هؤلاء المهاجرين لمقومات الهوية «الإسرائيلية»، وهي الدين اليهودي، واللغة العبرية، وتأدية الخدمة العسكرية (وأي خروج على هذه الأبعاد الثلاثة يعد نوعاً من الانحراف)، وتنفرد «إسرائيل» عن بقية مجتمعات العالم في أنها تفرض على اليهود استيعاب هذه المقومات.

ثانياً: أنماط الانحراف السائدة في المجتمع الاستيطاني «الإسرائيلي»:

1 - جرائم القتل والسرقة والاعتداء على الممتلكات وغيرها:

ارتفع معدل جرائم القتل خلال الفترة من عام 2015 – 2018م من 1.4 لكل 100 ألف إلى 1.5، وتحتل «إسرائيل» المرتبة 149 من بين 230 كياناً سياسياً بالعالم في مستوى هذه الجرائم، مما يجعلها في موقع متوسط تقريباً، لكن التدقيق في البيانات الخاصة بعدد من تمّ إدخالهم إلى المستشفيات للعلاج من إصابات ناتجة عن جرائم عنف يتبين أن توزيع الضحايا لا يتناسب عرقياً مع نسبة العرق في إجمالي السكان إلى معدل الضحايا.

من جانب آخر، فإن القلق الذي ينتاب المجتمع بسبب تكرار الجرائم يوجد بيئة مواتية لنشوء مجتمع عصابي (Neuroticism) يتسم في أحد أبعاده بالميل أكثر إلى تفسير المواقف البسيطة على أنها تهديدات، والإحباطات الطفيفة على أنها إحباطات عميقة ومعقدة، وتكشف استطلاعات الرأي العام «الإسرائيلي» للفترة من عام 2017 – 2020م عن هذه الجوانب.

ويمكن الربط بين ارتفاع وتيرة القلق ومعدلات الانتحار؛ إذ تدل الدراسات «الإسرائيلية» والتقارير الرسمية التي تمّ تقديمها مؤخراً لوزارة الصحة عن حجم الانتحار، التي تتضمن معلومات عن عدد حالات الانتحار ونسبتها في الفترة الممتدة من عام 2000 – 2016م على النتائج التالية:

أ- معدل الانتحار السنوي بين 385 – 390 حالة.

ب- أعلى نسبة انتحار بين الجنسين وقعت لمن هم في سن 75 وما فوق.

جـ- معدل الانتحار لليهود في «إسرائيل» أعلى بـ2.4 مرة من متوسط معدل الانتحار بين الفلسطينيين من أهالي 1948م.

ويربط بعض الباحثين بين مستويات الانتحار في المجتمع وتوتر البيئة السياسية في «إسرائيل»، فمثلاً؛ تشير دراسة «إسرائيلية» إلى أن معدل الانتحار يتزايد في كل مرة في العام الذي يلي وقوع حرب بين «إسرائيل» والدول العربية، وقد طبق باحث «إسرائيلي» هذه القاعدة على «إسرائيل» في جميع حروبها خلال الفترة من عام 1948 – 2007م، ووجد أنها صحيحة في كل الفترات، وهو ما يعني أن الحرب تقود بعد نهايتها إلى توترات عالية في الشعور الجمعي.

ولوحظ ارتفاع نسب المنتحرين من العسكريين قياساً بنظرائهم من الأعمار نفسها من الذين لا ينخرطون في الجيش، وترتفع النسبة بعد العمليات العسكرية، وهو ما كان ملاحظاً بشكل واضح بعد الانتفاضة الفلسطينية الثانية؛ وهو ما يعني عدم اتساق معرفي لدى العسكري الذي تغذى على قيم القوة من ناحية، لكنه يعيش حالة توتر دائمة من ناحية أخرى، وهو الوضع نفسه للجنود الأمريكيين بعد حرب فيتنام، وبعد الحرب العراقية عام 2003م.

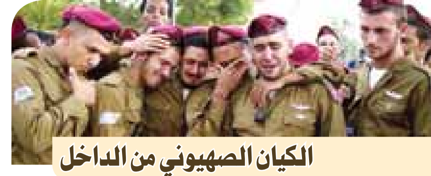
2 - الانحراف الجنسي (تجارة الجنس):

يتمثل الانحراف الجنسي في بُعدين؛ هما العبودية الجنسية (تأجيراً أو بيعاً) من ناحية، وتهريب البشر من خلال الخطف أو التضليل لأغراض العبودية الجنسية من ناحية أخرى.

ورغم أن «إسرائيل» تحتل المرتبة المائة بين الدول طبقاً لعدد السكان، فإنها تحتل المرتبة 20 عالمياً في الدخل من تجارة الجنس، حيث وصل دخل تجارة الجنس في عام 2016م إلى نحو 318 مليون دولار سنوياً، بينما قدرت مصادر أخرى الدخل بنحو 500 مليون دولار،

مستوطنو حدود غزة الأعلى في إدمان المخدرات بسبب حالة الاضطراب النفسي التي يعيشونها





ويعمل في القطاع ما بين 12 ألفاً إلى أكثر من 17 ألف فرد، وأن 71% منهم لجؤوا إلى هذه المهنة بسبب الظروف الاقتصادية.

وتشكل الجمهوريات السوفييتية السابقة المصدر الرئيس لتهريب النساء إلى «إسرائيل» لأغراض الجنس، ووصل المعدل إلى ما بين 3 آلاف إلى 5 آلاف سنوياً، وهو ما يقارب من 40 - 50% من مجموع العاملين في تجارة الجنس، حسب التقارير الرسمية «الإسرائيلية» لعام 2016م.

وطبقاً للتصنيفات الدولية، يتم تقسيم العالم إلى ثلاثة مستويات أو إطارات (Tiers) حسب حدة التجارة الجنسية، وكانت «إسرائيل» مصنفة ضمن الإطار أو الحزام الثالث حتى عام 2001م، إلا أنها انتقلت إلى الحزام الثاني عام 2009م، ثم إلى الحزام الأول عام 2011م، كما أن «الكنيست» أقر عام 2018م قانوناً بتأييد 34 عضواً دون اعتراض أي عضو يمنع الاشتغال بتجارة الجنس، لكنه يُجَرِّم الزبائن ولا يجرم بائعة الهوى، رغم ذلك فإن المراجع المتخصصة تشير إلى أن 10 آلاف «إسرائيلي» يذهبون لدور الدعارة شهرياً.

واللافت للنظر في هذه الظاهرة بالمجتمع، هو تزايدها من ناحية، وتنامي العنف في الحصول عليها من ناحية أخرى، فطبقاً للتقارير الأمنية لعامي 2013 و2014م، فإن معدل الشكاوى التي تصل للمراكز الأمنية بخصوص الاعتداءات الجنسية على النحو التالي:

أ- يصل عدد الشكاوى التي تتلقاها كافة الجهات المختصة بالاغتصاب إلى 40 ألف شكوى سنوياً، يصل منها 15% للأجهزة الأمنية.

ب- معدل التزايد السنوي في عمليات الاغتصاب يصل إلى 12%.

جـ- 64% من المشتكين هم من أعمار ما بين 12 - 18 عاماً.

د- وقوع 957 حالة اعتداء جنسي بين العسكريين، أكثر من نصفها خلال أداء الواجب العسكري.

هـ- 4 من كل 5 شباب تعرضوا بشكل أو آخر للعنف الجنسي.

كما تزايد معدل العنف الجنسي بنسبة الضعف خلال عام 2020 مقارنة بعام 2019م.

وقد لوحظ في الفترات الأخيرة أن عمليات الاغتصاب المنظمة أو العنف الجنسي



ارتفاع نسب المنتحرين العسكريين بعد العمليات العسكرية قياساً بنظرائهم من الأعمار نفسها

«إسرائيل» تحتل المرتبة الـ20 عالمياً في الدخل من تجارة الجنس وزاد التحرش بنسبة 13%

ضدّ النساء التي تديرها عصابات إجرامية، أخذت طابعاً عنيفاً بشكل كبير؛ وهو ما أدى لوقوع المظاهرات ومشاركة أكثر من 30 هيئة رسمية وخاصة في عدد من المدن من بينها تل أبيب وحيفا وبئر السبع وغيرها.

ووفقاً لتقرير «الاعتداءات الجنسية ضدّ النساء» المقدم إلى لجنة «الكنيست» حول وضع المرأة والمساواة بين الجنسين، فتحت الشرطة 6123 قضية جرائم جنسية عام 2017م، بزيادة 7% عن عام 2016م، وزادت حالات التحرش الجنسي بنسبة 13%، ومن بين النساء اللواتي تعرضن للتحرش، كانت أعمار الثلثين بين 20 و34 عاماً، 22% بين 12 و18، و11% من الأطفال.

ووفقاً لمسح الأمن الشخصي الذي أجراه المكتب المركزي للإحصاء (CBS)، فإن 3% فقط من الضحايا أبلغوا الشرطة عن إساءة معاملتهن، ويقدر مكتب الإحصاء المركزي أن 121500 حادث اعتداء جنسي وقع عام 2017م، وهو ما يعزز تزايد هذه الظاهرة بشكل واضح خلال الأعوام الخمسة الأخيرة.

وقد أثارت الحركة النسوية «الإسرائيلية» مشكلة العلاقة بين الأمن القومي، والأمن الفردي، خصوصاً العنف الذي تتعرض له المرأة من جانب النوع الاجتماعي أو الجندر (Gender)، ومن جانب الاعتداء الجنسي عليها، أو من زاوية المكانة التي تحظى بها المرأة في صفوف الجيش في الترقية أو الالتحاق ببعض الوحدات.

3 - المخدرات:

تحتل «إسرائيل» المرتبة 136 من بين 183 دولة من حيث نسبة الوفيات الناتجة عن تعاطي المخدرات، وتصل نسبة الوفيات لكل 100 ألف نسمة إلى 0.67 وفاة.

وتشير تقارير صحفية «إسرائيلية» إلى أن المستوطنين الأقرب لحدود قطاع غزة هم الأعلى في الإدمان على المخدرات، بسبب حالة الاضطراب النفسي التي يعيشونها، وأن هذه النسبة تشهد تزايداً واضحاً.

وأفاد مسح وبائي في «إسرائيل» بين البالغين الذين تتراوح أعمارهم بين 18 و65 عاماً إلى أن 27% من السكان استخدموا القنب، و2% مخدرات أخرى غير مشروعة، مع 0.25% أبلغوا عن استخدام الهيروين خلال هذه الفترة.

وتدل الدراسات على أن ظاهرة تعاطي المخدرات في المجتمع تزايدت منذ عام 1967 إلى عام 1980م بمعدل يصل إلى نحو 26%، وبلغت عام 1980م نحو 7200 مدمن، وارتفع العدد إلى نحو 300 ألف يتعاطون المخدرات في المناسبات، أو بشكل دائم عام 2018م؛ مما يكشف عن تزايد واضح ومتسارع.

4 - الفساد:

تشير تقارير الشفافية الدولية إلى أن معدل الفساد السياسي والاقتصادي في «إسرائيل» يتزايد خصوصاً في السنوات الأخيرة، فقد تراجعت مرتبة «إسرائيل» في مستوى الشفافية من المرتبة 28 عام 2016، إلى المرتبة 32 عام 2017، ثم المرتبة 35 عام 2019، وكان معدل الشفافية عام 2016 هو 64 نقطة ثم تراجع إلى 60 عام 2019م.

لكن الظاهرة التي تستحق العناية هي تزايد عدد الشخصيات في المناصب السياسية العليا الذين تمّ الحكم عليهم بالفساد خلال الفترة من عام 2000 - 2020م.■

الهامش

(*) المقال مأخوذ باختصار من ورقة علمية منشورة بمركز الزيتونة للدراسات والاستشارات بعنوان «الترابط بين الانحراف الاجتماعي والعنف السياسي في مجتمعات الاستعمار الاستيطاني.. «إسرائيل» نموذجاً».

علماء وسياسيون وخبراء عسكريون لـ«المجتمع»:

الوحدة الوطنية والإعداد الجيد وإرهاق الاحتلال من مقومات تحرير فلسطين



حق العودة إلى الوطن وتحرير فلسطين من الاحتلال حلمٌ لم تنسَه ولن تنساه الأجيال الفلسطينية والعربية المتعاقبة، فحتمية النصر والعودة لم تفارق اللاجئين الفلسطينيين بالمخيمات في فلسطين المحتلة والشتات، والدفاع عن فلسطين لاسترجاعها؛ فكر ومنهج تتوارثه الأجيال الفلسطينية، وقد سقط وما زال من أجل تحرير فلسطين عشرات آلاف الشهداء والجرحى.

في هذا التحقيق، تسلط «المجتمع» الضوء على هذه القضية، وكيفية استثمار حالة التفكك والصراعات التي يعيشها المجتمع الصهيوني.

فلسطين المحتلة- مها عواد:

في البداية، يقول رئيس مؤسسة القدس الدولية د. أحمد أبو حلبية، لـ«المجتمع»: إن منهج المقاومة السبيل لتحرير الأرض والإنسان من الاحتلال، وكل الدول التي استُعمرت من القوى الاستعمارية لم تتحرر إلا بالمقاومة بكافة أشكالها، وهناك تجارب عربية كثيرة في هذا المجال، وثورات تحرر كبَّدت القوى الاستعمارية خسائر فادحة في كافة المجالات.

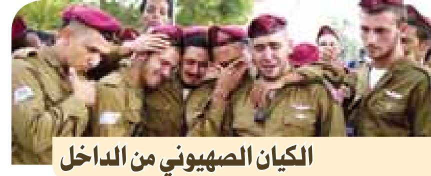
وطالب أبو حلبية الأمتين العربية والإسلامية والعالم الحر بتقديم كل الدعم للشعب الفلسطيني، والاستفادة من المشهد السياسي القائم عند الاحتلال؛ حيث يعيش حالة تشرذم وصراعات عميقة، والله عز وجل بيَّن في القرآن الكريم حالتهم من الداخل حين قال تعالى: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ (الحشر: 14).

وأشار أبو حلبية إلى أنه لا يمكن تحرير فلسطين وجبهتنا الداخلية الفلسطينية على هذه الحال من انقسامٍ وتشتت وصراعات؛ لذا فالمطلوب فلسطينياً توحيد الجهود كافة من قبل الفصائل الفلسطينية وعودة الوفاق الوطني وبناء شراكة وطنية كاملة على أسس الحفاظ على الثوابت الوطنية الفلسطينية والعمل على تحقيقها.

من جانبه، قال الخبير في الشأن الصهيوني د. صالح النعامي، لـ«المجتمع»: إن المجتمع الصهيوني يعيش حالة استقطاب شديدة بين كل طوائفه المتعددة والمنقسمة على ذاتها؛ بسبب اختلاف البيئات التي قدموا منها من الخارج سواء من أوروبا أم أمريكا أم الاتحاد السوفييتي سابقاً، بالإضافة إلى التصنيفات الطبقية بين السفارديم؛ وهم الصهاينة الشرقيون، والشكنازيم؛ وهم الصهاينة الذين قدموا من أوروبا وهم يمتلكون المال والإعلام ويسيطرون على مقاليد الحكم داخل الكيان الصهيوني، بعكس السفارديم الذين يشعرون بالظلم والغبن، وجل الفقراء من تلك الطبقة.

استقطاب الكيان

وأكد النعامي أنه في مقابل حالة التفكك والصراعات داخل الكيان الصهيوني، يجب أن تكون هناك قوة فلسطينية لتؤثر على الاحتلال، فكلما كان هناك ضغط وعمل مقاوم من قبل الفلسطينيين ضد الاحتلال الصهيوني، برزت تحركات شعبية ونقابية





أبو حلبية: لا يمكن تحرير فلسطين وجبهتنا الداخلية على هذه الحال من الانقسام والصراعات

داخل الكيان الصهيوني تدعو للانسحاب وإنهاء الاحتلال، وحدث مثل ذلك في الانتفاضة الأولى عام 1987م، وخلال الحروب «الإسرائيلية» على لبنان، وهذا ما تم؛ حيث أُجبر الاحتلال عام 2000م على الانسحاب من جنوب لبنان.

وأشار النعامي إلى أن إنهاء الانقسام الداخلي الفلسطيني ضرورة ملحة للتحرير، والتوافق على برنامج وطني شامل وموحد، وهي عوامل أساسية على طريق التحرير والخلاص من الاحتلال.

وأوضح النعامي أن الاحتلال عنده عقدة وتخوف دائم من الحالة الفلسطينية، وهو لا يشعر بالاستقرار دون أن يتوافق مع الفلسطينيين ويرصد مليارات الدولارات للأسلحة بمختلف أنواعها، ويحرص على التقدم التكنولوجي وتنظيم هجمات إلكترونية بهدف توفير الأمن والحماية لكيانه، لذلك كلما كان هناك توافق كامل على برنامج وطني موحد سيظهر ضعف الكيان مع الاحتلال، وسيخلق حالة من الالتفاف العربي والإسلامي وحتى الدولي مع القضية الفلسطينية.

لغة العدو

من جانبه، قال عضو اللجنة المركزية للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين صابر الزعانين، لـ«المجتمع»: هذا العدو هو المجرم والمغتصب والقاتل والسارق للأرض الفلسطينية، العدو هو الإرهاب والإجرام والعنصرية والفاشية، وإن الشعب الفلسطيني منذ نكبة عام 1948م يتعرض للقتل والتشريد والتهجير والاعتقال والمعاناة، حتى أصبحت الخيمة رمزاً للاجئين والمشردين، ومنذ عام 1948م أصبح الشعب الفلسطيني تحت وطأة الاحتلال الصهيوني الذي غيَّر أسماء المدن والقرى الفلسطينية لتصبح عبرية، ولكن تلك الأسماء العربية مثل حيفا ويافا وأم الرشراش، ما زالت راسخة في عقول وأذهان الأجيال الفلسطينية المتعاقبة ويحلمون بالعودة إليها.

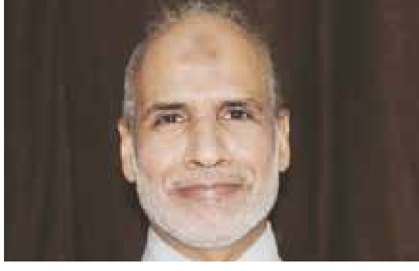
وأشار الزعانين إلى أنه على الرغم من كل تلك الجرائم البشعة، فإن المجتمع الدولي طيلة الفترة السابقة من عمر الاحتلال وقف صامتاً، واكتفت الجمعية العامة للأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولي فقط بالإدانة، وإصدار قرارات أممية وعددها 750 قراراً لم تطبق، وتم وضعها في أدراج المنظمات الدولية، وأمام هذا المشهد الذي لا يفهم إلا لغة القوة في حماية الحقوق والدفاع عنها؛ كان لا بد من مواجهة ومقاومة العدو الصهيوني؛ فكانت هناك نماذج ثورية فلسطينية ما زالت مشتعلة لاسترجاع وتحرير فلسطين.

وأوضح الزعانين أن الشرعية الدولية منحت الشعوب التي ترزح تحت وطأة الاحتلال الحق بالمقاومة والنضال والكفاح، ومن هنا نؤكد شرعية الثورة والمقاومة



مفتي القدس: فلسطين جزء من عقيدة الأمة وتحريرها من الكيان الغاصب واجب شرعي

الزعانين: الشرعية الدولية منحت الشعوب المحتلة الحق في المقاومة والنضال



النعامي: المجتمع الصهيوني يعيش حالة استقطاب شديدة بسبب اختلاف البيئات التي قدمت منها طوائفه

الفلسطينية صاحبة الحق التاريخي في فلسطين، والمقاومة خيار شعبنا الفلسطيني للخلاص من الاحتلال.

وأكد الزعانين أن الكيان الصهيوني يعيش أزمة سياسية وأزمات أخرى متعددة؛ منها التفكك في الكيان الصهيوني، والفساد المستشري من حكوماته المتعاقبة، وأبرزها المتطرف رئيس حكومة الكيان الصهيوني الحالي «بنيامين نتنياهو» المتورط في قضايا فساد مالي وإداري، وهذا التفكك في الكيان الصهيوني يفترض أن نستثمره نحن الفلسطينيين للدفع تجاه تحشيد كل المناصرين والداعمين للقضية الفلسطينية، بمشاركة الكل الوطني الفلسطيني.

أما الخبير في الشأن العسكري المختص بالشأن الصهيوني اللواء هلال جرادات، فقال لـ«المجتمع»: إن عودة المقاومة الفلسطينية بالزخم الذي انطلقت فيه الثورات الفلسطينية قبل النكبة وبعدها هو الطريق لاسترجاع فلسطين، ويجب الاستلهام من نجاحات الثورة الجزائرية؛ حيث كان الوضع الداخلي في فرنسا سيئاً، وجبهة تحرير الجزائر قرأت المشهد الداخلي الفرنسي جيداً؛ فكثفت الضغط على فرنسا عسكرياً وإعلامياً وتحقق النصر، وتحتاج تلك المرحلة لعملية إعداد وتحضير بشكل منظم من أجل خوض معركة التحرير، وهذا يحتاج من الفلسطينيين بناء جبهة وطنية قائمة على الشراكة، والعمل المشترك أساسه توحيد البيت الفلسطيني أولاً.

وأشار جرادات إلى أن حالة الصراعات الداخلية بين الأحزاب الصهيونية ووضع





التفكك والانشقاقات من الممكن استثمارها جيداً للانتصار على المحتل.

جزء من عقيدة الأمة

في السياق ذاته، أكد مفتي القدس والديار الفلسطينية الشيخ محمد حسين، أن فلسطين جزء من عقيدة الأمة، وتحريرها من الكيان الغاصب واجب شرعي، ويجب الحفاظ على استمرار حب فلسطين والانتماء إليها في ضمير الأمة، ولقد سبق أن احتلت فلسطين وبلاد الشام، وبتكاتف العرب والمسلمين تم تحريرها بالطريقة الصحيحة، سواء في عهد الخلفاء الراشدين، أو في عهد صلاح الدين الأيوبي.

وأوضح الشيخ حسين، لـ«المجتمع»، أن طريق تحرير فلسطين يمر عبر وحدة الفلسطينيين، وتوحيد المواقف حول مركزية القضية الفلسطينية، لافتاً إلى أن فلسطين



خاطر: فلسطينيو الداخل يشكلون ثقلاً سياسياً واجتماعياً واقتصادياً داخل الكيان



جرادات: يجب استثمار حالة الصراعات الداخلية بين الأحزاب الصهيونية

حية في قلوب شعوب الأمتين العربية والإسلامية، وروابط العقيدة بينها وبين الأمتين قوية، وهي جزء من عبادات وعقيدة المسلمين، ولها مكانة خاصة، وتحريرها من الكيان الصهيوني أمر حتمي.

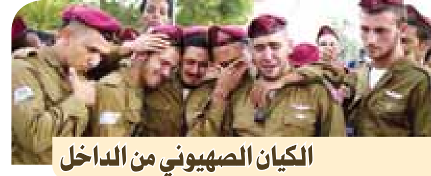
ووجه الشيخ حسين دعوة إلى علماء الأمة وقادة الرأي وكل المفكرين أن يوجهوا بوصلة الأمة لقضية فلسطين، باعتبارها تستند إلى مرتكزات دينية وعقائدية، وهي أمة خالدة وباقية بنصوص القرآن الكريم والسُّنة النبوية، وسيتم نفض الغبار واستعادة فلسطين، ولا شك أن للعلماء والفقهاء تأثيراً كبيراً في العمل على تحرير فلسطين.

من جانبه، أشار مدير مركز القدس الدولي حسن خاطر، لـ«المجتمع»، إلى أن استرجاع الوحدة الوطنية وإنهاء التمزق الداخلي وبناء الجبهة الداخلية الفلسطينية وتوحيد كل المواقف المتعلقة بفلسطين هي أهم الأدوات لاسترجاع فلسطين من هذا المحتل الغاشم، الذي يواصل سلب الأرض بالاستيطان والتهويد وتطبيق عملية الضم الاستعمارية.

وتابع: يجب تغيير المنهج الحالي القائم في فلسطين الذي تتبعه الفصائل والتنظيمات الفلسطينية من خلال الاتفاق الجماعي على منهج التحرير واختيار الكفاءات والقيادات الوطنية، وإنهاء الانقسام وتوحيد الإستراتيجية الوطنية، ويجب زرع حب فلسطين في الأجيال الفلسطينية، وأن من يحافظ على حقه ويدافع عنه يحصل عليه.

وشدد خاطر على ضرورة إعادة الاعتبار للمقاومة وللقضية الفلسطينية، وخلق تواصل مع أهلنا داخل فلسطين عام 1948م؛ باعتبارهم يمثلون ذخراً مهماً على طريق الخلاص من الاحتلال، وهم يشكلون ثقلاً سياسياً واجتماعياً واقتصادياً داخل الكيان الصهيوني، والاحتلال يعتبرهم قنبلة موقوتة بسبب الزيادة الكبيرة في عددهم، وباتوا يشكلون أكثر من 20% من سكان دولة الاحتلال.

وطالب خاطر بإعادة ترميم الوضع الداخلي الفلسطيني والحفاظ على الثوابت الوطنية، وأهمها تحقيق العودة، ولمّ الشمل الوطني، واستثمار كفاءات فلسطين، بدون ذلك من الصعب الحديث عن عملية تحرير لفلسطين من الاحتلال.■



مكامن القوة وعوامل التفكك لدى الكيان الصهيوني



ربما تُعرَض مكامن قوة العدو الصهيوني في أقصى درجاتها على لسان قادته، ولا سيما ملك البيت الثالث «بنيامين نتنياهو» عندما قال: «لا بقاء ومستقبل لدولة «إسرائيل» دون قوة عسكرية (طائرات مقاتلة وسايبر وقبة حديدية إلخ..)، والقوة العسكرية غير ممكنة إلا بالمال، والمال لا يمكن كسبه من الضرائب التي تجبى من المستثمرين؛ لأنها ستطرد الاستثمار، فالحل اقتصاد حر، ومجموع القوتين الاقتصادية والعسكرية أوجد لنا القوة السياسية، وكل هذا لا يكفي بدون القوة الروحانية، وعليه؛ فإن الأضلاع الأربعة للمربع الحديدي: القوة العسكرية، القوة الاقتصادية، القوة السياسية، القوة الروحية».

محمود مرداوي
كاتب ومختص بالشأن الصهيوني

الكيان يمتلك 700 طائرة هجومية ومقاتلة وطائرات «إف35» ومئات دبابات «المركافاة» وناقلات الجنود المحصنة

كل حملات التطبيع لا تصنع وجوداً للاحتلال الذي يعتمد في كل شيء على الإمداد

تعتبر مصادر القوة هذه التي ذكرت بالمقدمة لدى الكيان الصهيوني، التي استعرضها «نتنياهو»، هي ما امتاز به هذا العدو، ومن نقاط القوة لديه:

أولاً: التفوق النوعي في الأسلحة:

يمتلك العدو الصهيوني سلاح جو متميزاً يتفوق على أسلحة الجو (المعادية) كماً ونوعاً، فلديه ما يزيد على 700 طائرة هجومية ومقاتلة، وقد تعزز في الآونة الأخيرة بعدد من طائرات «F35» المتطورة، وسلاح بر مؤلف من مئات دبابات «المركافاة» وناقلات الجنود «نامير» المحصنة، ومدافع من كل الأعيرة والمديات، وسلاح بحري مزود بـ6 غواصات متطورة وفرقاطات وسفن حربية أخرى متنوعة، إضافة لعدد من القوات الخاصة في كل سلاح تعمل خلف الخطوط، وتبادر في عمليات استباقية على غرار «سييرت متكال» التابعة للاستخبارات العسكرية وتخضع لهيئة الأركان، و«الشييتت 13» التابعة لسلاح البحر، و«الرفرف» التابعة لسلاح الجو، إضافة للواء «الكوماندوز» المحمول جواً، إلى جانب طبقات السلاح المضاد للصواريخ والطائرات؛ «القبة الحديدية»، و«العصا السحرية»، ومنظومة «حيتس».

ثانياً: القدرة الاستخبارية:

نظراً لاعتماد الإنذار المبكر في العقيدة العسكرية، تحرص الأجهزة الأمنية والعسكرية على امتلاك قدرات متنوعة تكنولوجية وبشرية لجمع المعلومات؛ لتمكِّن القيادة السياسية والعسكرية من تقدير الموقف وتحديد المخاطر والتحديات، واتخاذ الموقف المناسب بشكل استباقي؛ لمنع الحصول على أسلحة تخل بالتوازن، أو تنفيذ عمليات وشن هجمات مباغتة تفاجئ العدو يكون غير مستعد لها ومتحرز منها؛ الأمر الذي عزَّز بناء أجهزة استخبارية مهنية ومتنوعة تقوم بالمبادأة والمبادرة.

ثالثاً: التفوق «السايبراني»:

تنبه الكيان مبكراً لأهمية «السايبر»، وعين في هيئة الأركان قائداً برتبة لواء لإدارة

هذا الملف، ورصد ميزانيات عالية جداً، وجنَّد قراصنة ومختصين في المجال، على قاعدة إقامة منظومة من «السايبر» تساعد المقاتلين على الأرض، ولتوفير أكبر قدر ممكن من المعلومات الأمنية والاستخبارية؛ فـ«السايبر» لم يعد وسيلة دفاعية، وإنما جزء من المنظومة الهجومية لدى العدو.

رابعاً: تحالفاته الدولية والإقليمية:

أدرك قادة العدو أنهم لن يتمكنوا من تحقيق الاكتفاء الذاتي كاملاً؛ كون كيانهم صغيراً ولا يحتمل العزلة الدولية أثناء الحروب، ولا يحتمل حرباً مركزة لفترة طويلة، حيث يحتاج لدعم دبلوماسي في الأمم المتحدة ومجلس الأمن، ودعم اقتصادي يضمن الاستمرارية والبقاء، وعسكري يضمن التفوق النوعي والتكنولوجي.

بناء على هذا، رسخ في عقيدته الأمنية اعتماد دولة كبرى كحليف تقدم له الدعم في كل المجالات التي يرى فيها نقصاً مخلاً يؤثر على أمن الكيان واستقراره.

خامساً: قدراته العلمية والتكنولوجية:

تشكل صناعة التكنولوجيا 50% من صادرات «إسرائيل»، وتتطلع لأن تصبح من الدول الريادية في عالم «الهايتك» والابتكار والبحث العلمي، حيث يوجد لديها حوالي 4 آلاف شركة توظف 300 ألف مهندس وباحث في مجال التكنولوجيا الطبية والتطبيقات وتطوير البرامج والاتصالات والبرمجة والإنترنت.

سادساً: الاستثمار في الغاز:

تم اكتشاف كميات كبيرة من الغاز الطبيعي في المياه الإقليمية على سواحل فلسطين والمحاذية للبنان وقبرص ومصر، تبلغ فوق الـ199 مليار متر مكعب من الاحتياطيات المثبتة، حيث ستمنح الكيان مزايا اقتصادية هائلة.

نقاط الضعف

كما لهذا الكيان من نقاط قوة، فلديه أيضاً نقاط ضعف تتمثل في:

الثقة بالأحزاب قلَّت فلم تعد المصلحة الوطنية معياراً لسلوك القيادات ومحدداً لقراراتها

اليمين المتطرف سجَّل حضوراً بالاستطلاعات ما عرَّض التأييد الدولي للكيان للضرر وحسم خيار المقاومة لدى الفلسطينيين

أولاً: تراجع مكانة الجيش والروح القتالية والقيم الوطنية:

تم رصد تراجع ملحوظ بنسب التجنيد للجيش عموماً والألوية المقاتلة خصوصاً، وأصبح البقرة المقدسة (الجيش) الذي كان فوق النقد، ويقع في قلب الإجماع؛ عرضة للانتقاد العلني على وسائل التواصل الاجتماعي، كما أن المصلحة الوطنية لم تعد معياراً وضابطاً لسلوك القيادات ومحدداً لقرارات الأحزاب، فسادت حالة من قلة الثقة بالأحزاب وفقدت المصداقية.

ثانياً: تزايد الانقسام السياسي والاجتماعي:

خلال عامين، أجريت 3 انتخابات متتالية لم تشكل على إثرها حكومة مستقرة، وبقيت هذه المرحلة الحافلة بالأحداث المزدحمة بالتحديات بدون استقرار سياسي؛ حيث لم تتمكن الحكومات الثلاث من تمرير الميزانيات، ولم تتمكن من استنفاد جزء من وقتها المحدد قانونياً، وفي الوقت الحاضر توشك الأحزاب على الذهاب لانتخابات رابعة؛ نظراً لغياب الاستقرار السياسي وعجزها عن إقرار الميزانية، وكل ذلك يعود لخلافات شخصية ودينية وقانونية تتعلق بدور المحكمة العليا وعلاقة الدين بالدولة.

ثالثاً: صعود اليمين المتطرف:

أظهرت كل الاستطلاعات الأخيرة أن الجمهور الصهيوني استدعى الدين بقوة، وانحاز باتجاه اليمين بشدة، وانعكس ذلك على حضور الأحزاب اليمينية والمتطرفة في كل الاستطلاعات؛ حيث سجل ارتفاعاً ملحوظاً لصالح اليمين يسمح بتشكيل أي حكومة بأريحية؛ الأمر الذي سينعكس على علاقة الكيان مع المحيط الإقليمي والدولي، ويعزز خيارات الحركات الإسلامية لدى الفلسطينيين بقوة؛ مما يمس مكانة الكيان ويعرض تأييده الدولي للضرر، ويحسم خيار الكفاح والمقاومة لدى الفلسطينيين والعرب.

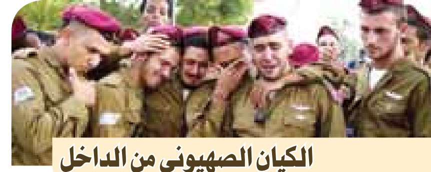
رابعاً: تعاظم تأييد المتدينين في المجتمع الصهيوني:

يزداد حضور المتدينين ويتضاعف تأييدهم؛ حيث بلغت نسبة التيار الأرثوذكسي من 25 - 35%، والتيار الديني القومي من 15 - 20%، وتيار الحريديم 10%، ونسبة الذين لا ينخرطون في سوق العمل ولا يتجندون في الجيش ويتعلمون بمدارس خاصة تعليماً غير متصل بسوق العمل 20%، وهو قابل للزيادة بعد عقد ليصل إلى ثلث الجمهور؛ حيث يشكل عالة ويتكل على الدولة بشكل كامل، ويكتفي بتعلم التوراة وحتى الدعاء يوجَّه ضد الدولة نظرًا لاعتبارها دولة علمانية كافرة.

خامساً: تعدد التصدعات في المجتمع الصهيوني:

لقد فشل مشروع الصهر المجتمعي للطوائف والعرقيات في بوتقة واحدة، وما زالت أقلية من «الأسكناج» (اليهود الغربيين) تتحكم بالمجتمع





وطوائفه، وما زال اليهود الشرقيون درجة ثانية، وفي داخل هذه الطائفة درجات وفوارق ما بين الشرقي من أصول مصرية وعراقية وسورية ومغربية وجزائرية ويمنية وإثيوبية.. إلخ، وهناك طبقات أسياد وعبيد بالتسلسل والتراتب، ويتربع على القمة 2.5% نخبة من «الأسكناج» المكونة من ضباط الجيش والأمن ورؤوس الأموال والسياسيين والأساتذة الجامعيين والصحفيين.

سادساً: المساحة الجغرافية وفقدان العمق الإستراتيجي:

حيث شكل الكيان الممتد من الجنوب إلى الشمال الضيق من الغرب إلى الشرق، وتكدس السكان في مساحات ضيقة في منطقة «جوش دان» (تل أبيب وما حولها)، وتجمع القاعدة الصناعية في منطقة ضيقة في منطقة «هرتسيليا» وشمالها، حيث من السهل بترها واستهداف تجمعاتها الحيوية.

التهديدات وكيفية الاستثمار

يواجه العدو الصهيوني معضلة عالقة بكيفية بناء قوة قادرة على التعامل مع التحديات الأمنية الحالية والمستقبلية في آن واحد، وكيف يحافظ على جهوزيته من حيث الإمكانات والتشكيلات لمواجهة كل التحديات، حيث اتضح للعدو في كل مواجهة مع المقاومة أن السلاح الذي تم شراؤه وصناعته والتدرب عليه لمواجهة التحديات لم يكن ملائماً مع سلاح وتكتيكات المقاومة، وفي ظل تنامي قوة محور المقاومة وتعدد الجبهات سيكون التفوق الإستراتيجي لدى العدو عرضة للخطر والتبدد في مواجهة التحديات التكتيكية العملياتية.

لا شك أن الكيان الصهيوني يمتلك جهازاً استخبارياً متفوقاً و«سايبرانياً» مهنياً، إلا أن اتساع المهمات وتعدد الجبهات بعد ما كانت مقتصرة على غزة وجنوب لبنان لتصبح ممتدة على رقعة أوسع وفي مجالات ومستويات مختلفة؛ فرض إيقاع معركة تختلف مع ما تم التدريب عليه للجيش، وما يتوافق مع المعدات على دقتها في الإصابة وقدرتها في التدمير وتنوعها ومداها وكثافتها، حيث لو اتخذنا غزة نموذجاً لوجدنا أنها افتقرت للتضاريس الوعرة، لكنها ابتكرت في أعماق الأرض أنفاقاً للهجوم والدفاع، وبذلك حيَّدت التفوق الجوي والبري والبحري أثناء الدفاع والهجوم والإمداد.

كما أن المستحضر لتاريخ البيت الأول والثاني يجد أنه لم ينهَر من قلة موارد وإمكانات وسلاح على أنواعه، إنما لصراعات وخلافات نشبت بين الأسباط والطوائف أدت لانهيار البيتين، والبيت الثالث اليوم يعاني من نفس العوارض التي عانى منها البيتان الأول والثاني، خلافات وتصدعات بين العلمانيين والمتدينين، بين الشرقيين والغربيين، بين اليهود والفلسطينيين، بين الأغنياء والفقراء، بين المتدينين القوميين والمتدينين الحريديم، ولم يعد شيء مقدساً؛ حيث تمنى «نتنياهو» أن يقود البيت الثالث أكثر من البيت الثاني زمن الحشمنائيم، الذي دام 80 عاماً ونيفاً، و«نفتالي بينت» كان قد توسل على اليمين التوافق لحماية البيت الثالث ما يزيد على حكم الحشمنائيم.

ولا يبتعد عن ذلك «بني موريس»، أحد المؤرخين الجدد، عندما قال: «النهاية محتومة لا أرى لنا مخرجاً»، و«أبراهام بورج»، ابن رئيس الدولة وأحد قيادات اليسار وعضو «الكنيست»، تنبأ بانهيار البيت الثالث لهيمنة عقلية «الجيتو»؛ فالوضع الاقتصادي يرثى له، ومنذ عقود ثلاثة لا يتعافى من الأزمات التي يمر بها، والاعتماد على الدولة العظمى في الإمداد البشري والاقتصادي والعسكري لن يدوم ولن يستمر، وكل حملات التطبيع لا تصنع وجوداً للاحتلال الذي يعتمد في كل شيء على الإمداد، وهو يقع في بحر من الأعداء الفطريين والأيديولوجيين.

كما أن سلم التطور الحضاري ليس في صالحه؛ فكل مهندس حصل على علمه في بلاد الغرب يوجد مقابله عشرة من العرب ويزيد، وكذلك كل تخصص ومورد له علاقة بالتطور نتفوق عليه أضعافاً مضاعفة؛ فالتجربة الإنسانية عبر التاريخ أثبتت أن الظلم والاحتلال لا يدومان، بقليل من الصبر والثبات والإيمان بالأمة التي قامت ونهضت مراراً عبر التاريخ وتفوقت وأنجزت وانتصرت ما زالت حية، والتجربة في الماضي تجاوزت النطفة والبويضة في الرحم والعلقة والمضغة، وأصبحت جنيناً، وخرج إلى النور، وتمدد من طنجة حتى جاكرتا؛ فالأيام دُوَل، والإرادة السياسية المكبلة ستتحرر، ولن تقبل بالظلم ولن تذعن وتستسلم للاحتلال.■


الداخل الفلسطيني المحتل
مصطفى صبري:

تم تأسيس القائمة العربية المشتركة في المجتمع العربي بالداخل الفلسطيني المحتل بالانتخابات الأخيرة في ائتلاف بين الأحزاب اليسارية والحركة الإسلامية الجنوبية لأول مرة.

وفي الاستطلاعات الأخيرة قبل أسابيع، انخفض عدد أعضاء القائمة المشتركة من 15 عضواً في «الكنيست» الحالي إلى 11 عضواً في الانتخابات القادمة، في تراجع واضح نتيجة توترات بين ائتلاف القائمة المشتركة.

أيمن عودة رئيس القائمة العربية المشتركة في «الكنيست»:

نجحنا في عرقلة استقرار الحكومة «الإسرائيلية» حتى الآن

قال رئيس القائمة المشتركة في «الكنيست» (البرلمان الصهيوني) أيمن عودة، في حديث لـ«المجتمع»: نحن نتوجه إلى الحركة الإسلامية كي يكون هناك وحدة وطنية، وهذه هي أولوياتنا في الوقت الحاضر، ولا يمكن أن تكون وحدة وطنية شاملة بدون الحركة الإسلامية.

لا بد من التحالف بين الحركات الوطنية والحركات الإسلامية حتى تكون الوحدة الوطنية، وحديثي عن الحركات الإسلامية لا يعني أنني أنفي البعد الوطني لهذه الحركات.

وتابع قائلاً: في الخمسينيات والستينيات والسبعينيات، كان باستطاعتنا إقامة وحدة وطنية بدون الحركات الإسلامية، وكانت الحركات الشيوعية والقومية هي السائدة، وفي الثمانينيات لم يكن باستطاعتنا إقامة وحدة وطنية بدون الحركات الإسلامية، وتميزت العلاقة بيننا مع الحركات الإسلامية بعدم الثقة، ربما لأن النصوص المؤسِّسة استُمدت من مصر خاصة في الخمسينيات والستينيات، وتجربة الشعب الفلسطيني في ظل الانقسام الحاصل، وحدث تراشق حاد بين الإطار الوطني والإسلامي.

أمر عظيم

وأضاف عودة: ما فعلناه في القائمة المشتركة لدخول «الكنيست» أمر عظيم جداً للتقريب بين الحركات الوطنية والإسلامية، وأستطيع أن أشهد بأنه منذ عام 2015 وحتى 2019م، شهدت القائمة المشتركة الأولى علاقة طيبة وقوية بين الحركة الوطنية والإسلامية، وفي عام 2020م نشهد علاقة متوترة بين الحركتين،

ما فعلناه بالقائمة المشتركة لدخول «الكنيست» أمر عظيم للتقريب بين الحركات الوطنية والإسلامية

كل يوم تتعثر الحكومة لأن القائمة المشتركة صعدت من 13 عضواً إلى 15

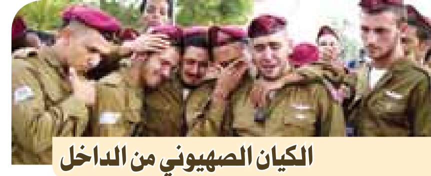
ولا بد من إيجاد مسار للحفاظ على وحدتنا الوطنية.

وأضاف: لا بد من الجديد في ظل هذا التوتر، والجديد يتمثل بالوحدة الوطنية، والقديم هو التفرقة، وما يحدث الآن هو القديم الذي لا نريده.

وأشار عودة إلى أن الأمر الآخر الذي طرح أننا كقائمة مشتركة في «الكنيست» لسنا في جيب أحد، وأريد أن أقول: من منا في جيب أحد؟ نحن في الجبهة الصغيرة جداً لأبناء شعبنا، ولمصالح شعبنا، والبعض اعتقد أننا في جيب أحد بعد التوصية التي أوصينا بها لـ«بني جانتس» لإسقاط «نتنياهو»، وأكثر من ذلك؛ نحن لم نوص في تاريخنا إلا مرتين في التسعينيات، وعام 2020م، ولماذا أوصينا فقط في التسعينيات، وعام 2020م؟ لأننا كنا بيضة القبان، وعندما أوصينا لم نكن بجيب أحد، وكان الهدف -كما قلت- التوصية هذا العام بإسقاط «صفقة القرن»، التي هي كارثية علينا في الداخل؛ لأن من بنودها المساس بأهل الداخل عام 1948م في منطقة المثلث.

وعن خطاب الإنجازات، قال عودة: في الشهرين الأخيرين، حقق «نتنياهو» إنجازات بنسبة 4/صفر؛ يعني أننا اليوم في «الكنيست» 15 مقعداً، وانخفض العدد إلى 11 عضواً؛ لذا نجح «نتنياهو» أن يخلخل ويزرع التوتر وعدم الثقة، والصفر يعني صفر إنجازات، وبالمقابل استطعنا أن نمنع «نتنياهو» من أن يشكل حكومة بـ61 مقعداً تجمع اليمين وتستمر 4 سنوات؛ فكل يوم تتعثر الحكومة؛ والسبب أن القائمة المشتركة صعدت من 13 عضواً إلى 15، وأيضاً لا نقبل أن تكون حقوقنا مقابل هبات ومقايضة، وهناك تمييز عنصري واضح في كل المجالات؛ فالميزانيات بين المجالس العربية واليهودية يصل فيها الفارق بمليارات الشواكل؛ فنحن نطالب بحقوقنا، والقائمة المشتركة إنجاز تاريخي حديث العهد يجب أن نحافظ عليه بوحدة شاملة لأبناء شعبنا.■







لا تقل أهمية المعرفة بمجتمع العدو عن أهمية المعرفة بثكناته العسكرية وأسلحته؛ فالعنصر البشري بما يحمله من قيم وتصورات ومعتقدات، وفي سعيه لتكوين وحدة مجتمعية كالأسرة يمثل أخطر وأهم ما في المعادلة.

ومن هنا، كانت هذه المحاولة لمعرفة كيف تعيش الأسرة في المجتمع الصهيوني؛ ما أهم القيم التي تستند إليها؟ كيف يربى النشء؟ وكيف يتعلم؟ وكيف تتم رعايته؟ وما مفردات خطاب الكراهية التي ينشأ عليها؟ وما العقيدة المزيفة التي يتلقاها؟ وكيف تعيش الأسرة العربية داخل هذا المجتمع العنصري؟ وما مستقبل الحرب الديمغرافية الدائرة هناك؟

عن الأسرة في الكيان الصهيوني

فاطمة عبدالرؤوف
كاتبة متخصصة بقضايا المرأة والمجتمع

إذا كانت الصهيونية استعارت الأساطير اليهودية لشعب الله المختار وأرض الميعاد والماشيح اليهودي، واستعارت رموز هذه الأساطير كالنجمة السداسية والطاليت (شال الصلاة) والمينوراه (الشمعدان السباعي) وغير ذلك لكي تمنح معنى ما لعقيدتها الاستعمارية، بينما كان مؤسسوها الكبار مجرد ملحدين كـ«هرتزل»، و«بن جريون»، فإنه لم يكن من الممكن لهذا الكيان أن يستمر دون التماهي مع يهودية الأسرة ومن ثم يهودية الدولة.

ففي هذا الكيان لا يوجد ما يسمى بالزواج المدني، وكل محاولات الأحزاب اليسارية لطرح ما يسمى بالزواج المدني تنتهي بوصولها للسلطة، حيث لا تسمح الأحزاب الدينية المشاركة (والمؤثرة بصورة متصاعدة) في الائتلافات الحاكمة بطرح الموضوع للمناقشة، رغم أن 10% من زيجات هذا الكيان مدنية، ولكنها تعقد بالخارج خاصة في قبرص.

المرأة الخاسر الأكبر في الزواج اليهودي حيث يغالي الحاخامات كثيراً في الأحكام المرتبطة بهذا الزواج

.. وهي ملكية خاصة لزوجها في الثقافة اليهودية وكلما كانت الأسرة أكثر تديناً قلت مكانتها فيها

تبدو المرأة هي الخاسر الأكبر في هذا الزواج اليهودي؛ حيث يغالي الحاخامات كثيراً في الأحكام المرتبطة بهذا الزواج، يكفي في هذا الصدد أن نتحدث عن معاناة المعلقات اللاتي هجرهن الأزواج، ورغم ذلك لا يستطعن الحصول على الطلاق لسنوات طويلة جداً؛ حيث لا يمكن تطليق المرأة في المحاكم الحاخامية (وهي المحاكم المختصة بكل ما يرتبط بالزواج والطلاق والأسرة) إلا بإرادة الزوج، وعندما يصر على الرفض يتم الضغط عليه وربما سجنه أو تجريده من حقوقه المدنية حتى يقوم بالتطليق، وحتى تصل المحكمة لهذه النقطة فلا بد أن يكون الزوج مجرماً حقاً؛ فحتى الزنا لا يعد جريمة ما دام لم يكن بامرأة يهودية، ومن الشائع هناك مشاهدة هؤلاء اليهود المتدينين في القدس -وهم الذين يرتدون الزي التقليدي الأسود ليهود شرق أوروبا في القدس- وهم يعرضون العلاقة على السائحات دون أي شعور بالذنب أو تلقي اللوم من الآخرين.

تعد المرأة في الثقافة اليهودية ملكية خاصة لزوجها، حتى إن الأرملة التي لم تنجب طفلاً لا تستطيع الزواج من رجل آخر سوى بعد اجتيازها للطقس المسمى «حليتساه» (تعني الكلمة في معناها الحرفي المعجمي «خلع، نزع، قلع»، أما معناها الديني اليهودي فهو مراسيم خلع حذاء أخي الزوج الذي توفي دون أن يخلف ذرية من أرملته، وذلك دليلاً على أنها أعفت أخا زوجها من التزوج منها، وبذلك تصبح هي أيضاً حرة في الزواج من شخص آخر)[1].

يمكننا القول: إنه كلما كانت الأسرة اليهودية أكثر تديناً قلت منزلة ومكانة المرأة فيها، حتى إن امرأة الحريديم (جماعة من اليهود المتشددين الذين يغالون في الطقوس الدينية ويعيشون حياتهم اليومية وفق التفاصيل الدقيقة للشريعة «الهالاخاه») تعد منبوذة كلياً أثناء فترة الحيض؛ فهي «نيدا» لا يكاد يكلمها زوجها ولا يلمسها، حتى إنه يحرم عليه أن يتناول كوب شاي من يدها؛ فهي تعد نجسة ممنوعة من ذكر اسم الله تنجس أي مكان تلمسه، وينجس من يلمس أغراضها ولا تطهر بعد انتهاء الحيض مباشرة، بل عليها أن تنتظر أسبوعاً كاملاً بعد ذلك وبعدها تغتسل وتطهر.

دعم الأسرة

تتلقى الأسرة الصهيونية دعماً حكومياً لا محدوداً حتى تستقر في تربة الاستيطان، ومن ذلك توفير مساكن شعبية وتقديم قروض إسكان بشروط ميسرة، ويتم تقديم دعم ومعونة مالية للزوج العاطل عن العمل



اليهود الغربيون يرفضون الاختلاط بالتعليم مع اليهود الشرقيين ويصرون على مدارسهم الخاصة

المستقبل الحقيقي للكيان يعتمد على خصوبة نساء الحريديم الذين لا يمثلون أكثر من 15% من اليهود

والإعفاء من دفع رسوم التأمين الوطني والصحي وتخفيضات كبيرة على الخدمات البلدية مثل فاتورة الكهرباء ونحو ذلك.

كما تمنح حكومة الكيان مسكناً شعبياً للمطلقات والعائلات أحادية الوالدية، كما تدفع حكومة الكيان تعويضات للأمومة ومنحاً للولادة، ومنذ العام 1959م تدفع للعائلات علاوات شهرية استناداً لعدد أطفال كل عائلة.

أما العائلة العربية داخل الخط الأخضر التي تتجاوز 20% من عدد السكان ولا تملك سوى 3% من الأراضي؛ فإن 60% منهم بحاجة ماسة لوحدة سكنية خاصة مع ارتفاع معدل البطالة بينهم، حيث تصل لنحو 20%؛ وهو ما انعكس على مستوى معيشة الأطفال العرب الذين يعاني أكثر من ربعهم من الفقر المدقع.

بالنسبة للتعليم، لا تتجاوز نسبة الإنفاق على الطالب العربي داخل الخط الأخضر في الميزانية الصهيونية ربع ما يحصل عليه الطالب اليهودي؛ ومن ثم ازدادت الفجوات بين نتائج الطلاب بحسب نتائج الامتحانات في القراءة والعلوم والرياضيات، حيث وصل الفارق بين التلاميذ اليهود والعرب إلى مئات النقاط.

وهي خطة مقصودة لتهميش العائلة الفلسطينية بحرمان أطفالها من التعليم اللائق، وهي خطة تبدأ مبكراً جداً؛ حيث لا يلتحق إلا 44% من الأطفال العرب برياض الأطفال، مقابل 95% من الأطفال اليهود في سن الثالثة.

على أن التمييز في التعليم داخل الكيان لا يقتصر على الطلاب العرب فحسب، فكثيراً ما يرفض اليهود الغربيون (أشكيناز) الاختلاط في المدارس مع اليهود الشرقيين (سفرديم)، ويصرون على أن يكون لهم مدارس منفصلة أكثر تميزاً، وهي إحدى أهم نقاط الضعف والخلل في البنية المجتمعية لهذا الكيان.

على أن الكارثة الحقيقية هي في مضمون التعليم الصهيوني؛ فالكيان ينفق على المدارس الدينية ضعف ما ينفقه على المدارس العلمانية، وخريجو المدارس الدينية في الكيان هم من يقفون خلف المواقف والعمليات الإرهابية العنيفة التي نفذتها التنظيمات اليهودية؛ كالمحاولات المتكررة لهدم الأقصى والهجوم على الحرم الإبراهيمي، بل إن طلاب المدارس الدينية في الكيان الذين يتبنون مثل هذه الأفكار يعتبرون الإرهابي «باروخ جولدشتاين» الذي ارتكب مذبحة الحرم الإبراهيمي قديساً، ويجعلون حتى الآن من قبره مزاراً يتبركون به! وصنعوا من جريمته كتاباً أسموه «باروخ البطل»، وهو يُدرّس كقصة تاريخية للصف الرابع الابتدائي بالمدارس الصهيونية، وقد جاء في الصفحة (23) منه: «إن العرب والمسلمين كالثعابين، ويجب قتلهم جميعاً؛ فلغة الحوار الوحيدة بين المسلمين واليهود هي الرصاص».

تحدي الصحة

إذا كانت الحرب الديمغرافية أو حرب الأرحام هي هاجس الكيان الصهيوني، فإنهم لا يكفيهم في ذلك سياسة الترحيل أو استقدام مزيد من اليهود أو هذه الضغوط التي تمارس على العائلة العربية حتى تقلل من خصوبتها؛ فوحشية الكيان تتمثل بشكل أوضح في تلك الفجوات الكبيرة في الوصول إلى الخدمات الصحية بين المواطنين العرب الفلسطينيين واليهود حتى ما قبل أزمة «كورونا»، حتى إن معدل وفيات الأطفال بين العرب وصل إلى 5.4 لكل ألف طفل مقارنة بـ2.4 لدى الأطفال اليهود.

وإذا علمنا أن 86% من الأسر العربية تبعد عن أقرب مستشفى بـ5 كم، وأن معدل ولادة اليهوديات في المستشفيات ضعف العربيات؛ أدركنا أن الدفع للمزيد من وفيات أطفال العرب عمل صهيوني مقصود.

وتشير الأرقام داخل الخط الأخضر إلى التفوق الواضح للمرأة اليهودية بمتوسط 4 أطفال مقابل 3 أطفال للعربية، وربما يعود ذلك للعديد من الأسباب؛ كالفقر والبطالة وخروج المرأة العربية للعمل في ظل ظروف غير مواتية، بينما حظيت اليهودية بكثير من الدعم والمساعدات والتعويضات من الحكومة.

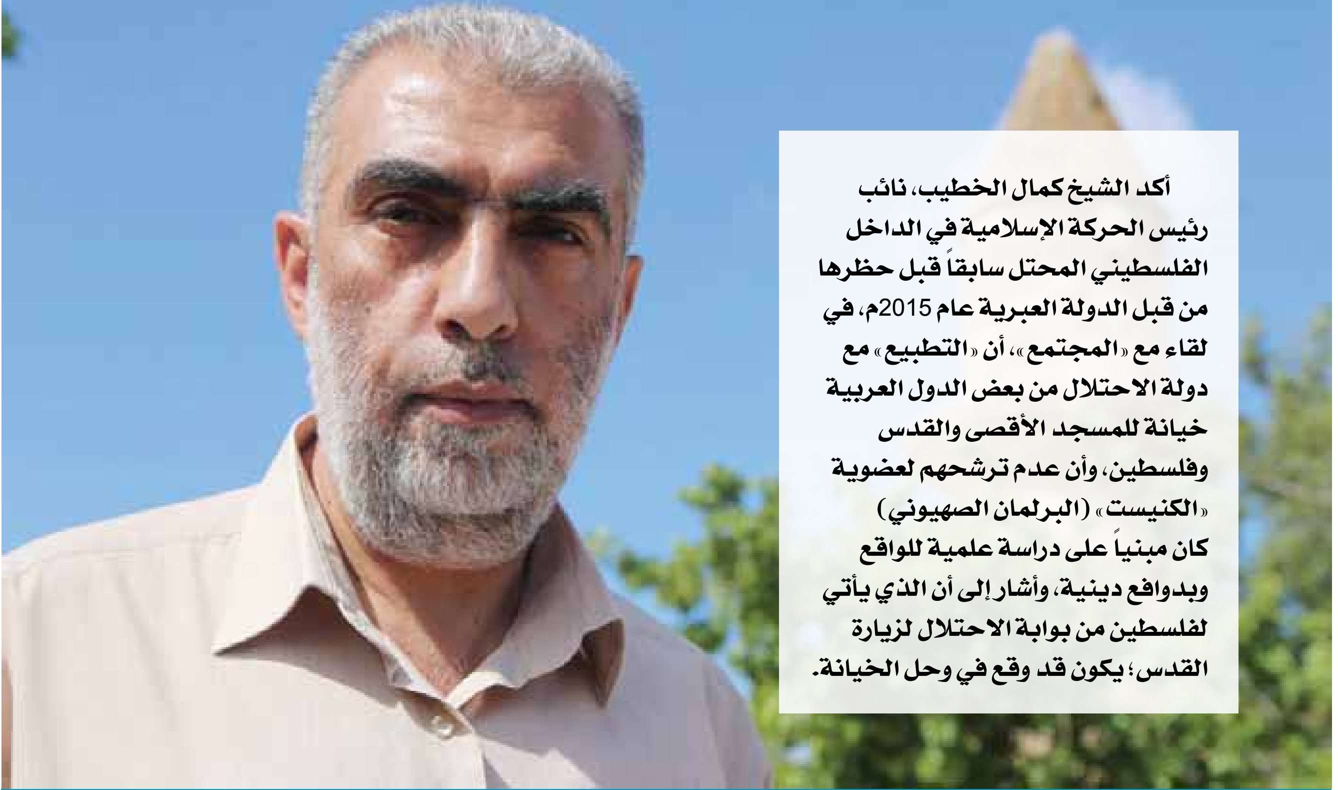
لكن المستقبل الحقيقي للكيان يعتمد بشكل أساسي على خصوبة نساء الحريديم اللاتي مثلن رقماً صعباً في حرب الأرحام، حيث تنجب المرأة من 7 إلى 10 أطفال، وبينما لا يمثل اليهود الحريديم أكثر من 15% من عدد اليهود في اللحظة الراهنة، فمن المنتظر أن يتضاعف عددهم في السنوات القادمة، وهذا يعمل في اتجاهين؛ فمن ناحية تتغير طبيعة المجتمع الصهيوني العلماني، ومن ثم يخضع لمزيد من النفوذ الديني المتطرف ومزيد من الصراع والانقسام في المجتمع، ورغم ذلك يتم دعم هذا التيار لأنه المفتاح لمستقبل الكيان الديمغرافي للكيان وضمان ليهودية الدولة.

على أن المستقبل المجتمعي للكيان لا تشكله فقط الديمغرافيا ولا التيار الديني المتطرف؛ فالفساد الأخلاقي المستشري بين الشباب، وما يخلفه من أبناء زنا يصنع جيلاً لا يتحمل الخوف أو المعاناة؛ فيتحرك في اتجاه حركة هجرة عكسية.■

الهامش

(1) نساء الكيان الصهيوني وغياب العدالة الاجتماعية: أوريت كامير، المشهد الإسرائيلي، نقلاً عن المركز الفلسطيني للإعلام.





أكد الشيخ كمال الخطيب، نائب رئيس الحركة الإسلامية في الداخل الفلسطيني المحتل سابقاً قبل حظرها من قبل الدولة العبرية عام 2015م، في لقاء مع «المجتمع»، أن «التطبيع» مع دولة الاحتلال من بعض الدول العربية خيانة للمسجد الأقصى والقدس وفلسطين، وأن عدم ترشحهم لعضوية «الكنيست» (البرلمان الصهيوني) كان مبنياً على دراسة علمية للواقع وبدوافع دينية، وأشار إلى أن الذي يأتي لفلسطين من بوابة الاحتلال لزيارة القدس؛ يكون قد وقع في وحل الخيانة.

كمال الخطيب نائب رئيس الحركة الإسلامية بالداخل الفلسطيني المحتل سابقاً لـ«المجتمع»:

«التطبيع» خيانة للمسجد الأقصى.. والمشاركة بـ«الكنيست» حرام شرعاً وواقعاً

الداخل الفلسطيني المحتل- مصطفى صبري:

تطرق اللقاء مع الشيخ كمال الخطيب، في البداية، عن التساؤل حول موقفهم من دخول بعض العرب لـ«الكنيست»، ولماذا يرفضون ذلك؛ فقال الشيخ الخطيب: عدم مشاركتنا في «الكنيست» يرجع إلى عام 1996م، وكان بناء على رؤيتين؛ شرعية وواقعية.

أما الرؤية الشرعية، فكان هناك 75 عالماً من العالم الإسلامي أيَّدوا عدم المشاركة في برلمان يشرعن القوانين لدولة الاحتلال.

والرؤية الواقعية فهي تجربة من سبقونا في الدخول لـ«الكنيست»؛ حيث كانت فاشلة بامتياز، ووصلنا إلى نتيجة مؤكدة أن دخولنا لـ«الكنيست» تستفيد منه الدولة العبرية، والواقع الذي نعيشه أكد صواب نظرتنا التي كانت بناء على الأسس التي ذكرت، ورفعنا وقتها شعار «مشاركتنا في الكنيست ستساهم في تجميل الوجه القبيح للدولة العبرية»، واليوم «إسرائيل» في غاية السعادة.

ورئيس الوزراء «بنيامين نتنياهو» في عام 2017م، وأمام الجمعية العامة للأمم المتحدة في نيويورك قال للعالم: «نحن لدينا برلمان فيه يهود ومسيحيون ومسلمون»، وهذا تحسين لهذه الدولة، وإظهارها بأنها دولة ديمقراطية ومتسامحة.

واليوم، يقول أحد النواب العرب: «أنا أريد السلام، و«نتنياهو» لا يريد الحرب»، فهذا تحسين لصورة «نتنياهو»؛ لذا موقفنا كان بناء على دراسة الواقع والتجارب السابقة للأحزاب العربية، التي لم تحقق أي شيء سوى تجميل دولة الاحتلال، فلم تمنع هذه الأحزاب سن قانون ضد العرب كقانون التحريض وقانون القومية، أو منع حروب على غزة ولبنان، أو قوانين تتعلق بقضايا هدم المنازل ومصادرة الأراضي، بل تم سن قوانين تشرعن القتل للفلسطينيين والاستيطان وغيرها.

واستطرد الخطيب قائلاً: اليوم هناك 15 عضواً عربياً في «الكنيست»، تأثيرهم صفر! وهؤلاء حاولوا إيصال «بيني جانتس» للحكم بحجة إسقاط «نتنياهو»، وهذا أمر خطير أن يساهم عضو عربي في دعم شخص له تاريخ أسود مع الفلسطينيين، ومع ذلك رفض «جانتس» دعمهم وتحالف مع «نتنياهو»، حتى

لا يتم معايرته من قبل المجتمع «الإسرائيلي» بأنه وصل للحكم من خلال دعم العرب.

لذلك، وصلنا إلى نتيجة مفادها أنه لا بد من بناء المجتمع العصامي، المبني على إقامة مؤسساتنا الخاصة بنا من مدنية وأهلية؛ فنتيجة هؤلاء النواب من الناحية السياسية صفر كبير من حيث التأثير، ومن الناحية الخدماتية صفران أيضاً! حيث لم يتغير وضع الميزانيات للمجالس المحلية في المجتمع العربي؛ فالجريمة متزايدة، وهدم البيوت مستمر، والتمييز العنصري قائم، والمصادرات على أشدها، ومثال ذلك قرية العراقيب في النقب المحتل، وهي بيوتها من الزينك، هدمها الاحتلال 180 مرة!

وعن سبب زيادة التصويت في الانتخابات الأخيرة للقائمة المشتركة، لفت الخطيب إلى أن ذلك يعود إلى خوف الأحزاب من عدم النجاح والوصول إلى نسبة الحسم، فتجمعت الأحزاب في قائمة مشتركة، وخلقت القائمة نوعاً من الأمل برفع شعار زيادة أعداد النواب العرب في «الكنيست»، يمكن أن يكون هناك تأثير، وحصلوا على 15 مقعداً، لكن تأثيرهم بقي صفراً! والاستطلاعات الآن تشير إلى انخفاض عدد أعضاء القائمة المشتركة إلى 11 عضواً في الحد الأعلى في حال خوض انتخابات جديدة، وهذا يدلل على نزع الثقة من القائمة المشتركة، وشعبنا صدم من تصويت القائمة المشتركة لقانون دعم الشواذ جنسياً الذي طرح مؤخراً، وهذا يخالف ديننا وأخلاقنا وقيمنا.

ونوه الخطيب قائلاً: الحركة الإسلامية تم حظرها من قبل الدولة العبرية في نوفمبر 2015م، ولم نكن نشارك لا تصويتاً ولا ترشيحاً، والموقف اليوم يؤكد صواب ما ذهبنا إليه.

زيارة الأقصى من الخارج

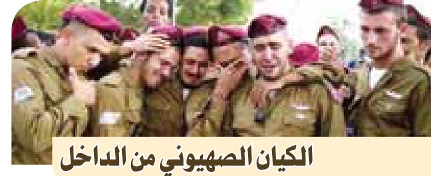
وعن زيارة المسلمين من خارج فلسطين للمسجد الأقصى، قال الشيخ الخطيب: هناك فتوى من الشيخ يوسف القرضاوي تحرم الزيارة للمسجد الأقصى للمسلمين من الدول العربية والإسلامية؛ لأنه سيكون عبر التأشيرة «الإسرائيلية»، وهذه مقدمات للتطبيع، وهذه الفتوى قبل عشر سنوات، وما يحصل الآن يؤكد ما ذهب إليه الشيخ القرضاوي، حتى إن الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين تبنى الفتوى، والسلطة الفلسطينية وقتها هاجمت الفتوى وفضيلة الشيخ، وطالبت بقدوم المسلمين والعرب، ولكن عندما طبَّعت بعض الدول الخليجية قبل ثلاثة أشهر؛ تراجعت السلطة الفلسطينية عن المهاجمة للفتوى القديمة، واعتبرت الزيارة لا تجوز، والصلاة عبر البوابة «الإسرائيلية» لا تصح، لذلك هذا التطبيع بشكله الحالي يشير إلى خطورة مستقبل الأمة العربية والإسلامية.

وبمناسبة هرولة بعض الدول العربية للتطبيع مع الكيان الصهيوني، قال الخطيب: خطورة التطبيع على المسجد الأقصى كان واضحاً في اتفاق تطبيع إحدى الدول المطبعة أخيراً، الذي نص على أن السيادة فيه لـ«إسرائيل»، والعبادة للمسلمين ولكل الديانات، فالبيت الإبراهيمي الذي أقيم في هذه الدولة الذي يصلي فيه المسيحي والمسلم واليهودي، كان رسالة لنقل التجربة داخل المسجد الأقصى وتكون فيه العبادة مشتركة، وظهرت أصوات من المستوطنين المقتحمين للمسجد الأقصى تطالب بأن يصلي الجميع في المسجد الأقصى، وهذا ما قاله مستشار الرئيس الأمريكي وصهره «جاريد كوشنير»: «من حق أبناء الديانات السماوية جميعاً أن يصلوا في جبل الهيكل (يقصد المسجد الأقصى) ومع بعضهم بعضاً، يتفقون على الترتيبات»، وأصبح دورنا العبادة فيه فقط دون أي حق فيه!

وختم الخطيب قائلاً: من قرأ الصحف العبرية مؤخراً يجد أن جميعها أكدت مهمة الدولة العبرية في نزع الوصاية الدينية للأردن على المسجد الأقصى، وإعطاء هذه الوصاية إلى الإمارات والمغرب -فالدور الأردني يتحدث أن المسجد الأقصى هو حق خالص للمسلمين- وهذا الأمر سيزيد من عملية تهويد المسجد الأقصى، وقبل أيام تم وضع الشمعدان اليهودي على أبواب المسجد الأقصى، والحفريات بالمقبرة اليوسفية، وهي واحدة من الحدائق التلمودية، وهذه الأفعال صفعة في وجه من راهن أن «إسرائيل» ستحترم الوضع القائم بعد التطبيع، لذلك التطبيع كله شر، ولا فائدة منه، والمستفيد الأول والأخير هي «إسرائيل».■

75 فقيهاً حرَّموا المشاركة في «الكنيست» وتجربة من شاركوا من العرب أثبتت صحة هذه الرؤية







الشيخ بسام جرار من مدينة البيرة، له قراءة علمية في قضية زوال دولة «إسرائيل»، وألّف كتاباً في هذا اسمه «زوال دولة إسرائيل في عام 2022م.. نبوءة أم صدف رقمية؟»، أثناء الإبعاد إلى مرج الزهور جنوب لبنان عام 1992م، وعندما عاد إلى فلسطين وجد كتابه قد انتشر انتشار النار في الهشيم، وله أكثر من 25 محاضرة علمية حول موضوع زوال دولة «إسرائيل» عام 2022م، وله أكثر من 6 كتب في الإعجاز العددي وزوال دولة «إسرائيل».

«المجتمع» حاورت الشيخ بسام جرار، الكاتب والباحث الإسلامي الفلسطيني، الذي آثر في البداية التذكير بالقضايا السياسية التي تؤكد نبوءة زوال هذه الدولة، وحتى إن اليهود في الخارج أصبحوا غير مؤيدين لها.

الباحث الإسلامي الفلسطيني الشيخ بسام جرار لـ«المجتمع»:

الكيان الصهيوني يعد أيامه الأخيرة بناء على قراءة علمية ووقائع سياسية عالمية وإقليمية و«إسرائيلية»

رام الله- مصطفى صبري:

يقول الشيخ بسام جرار: الملاحظ في البداية من خلال ما يصرح به زعماء سياسيون أو عسكريون أو حتى فكريون أن هناك خوفاً على مصير دولة «إسرائيل»، وأذكر من سنوات اتصل بي أحد الصحفيين، وقال لي: إن مؤتمر هرتسليا المنعقد في تل أبيب انتهى، ولأول مرة تطرح أوراق داخل المؤتمر تتضمن أن زوال «إسرائيل» وارد، وأراد الاستفسار عن ذلك كوني أشرت في محاضرات وكتابي إلى هذه القضية.

وتابع قائلاً: عندما جاء الرئيس الأمريكي «جورج بوش» الابن إلى «إسرائيل»، وخطب في الكنيست بمناسبة مرور 60 عاماً على قيام دولة «إسرائيل»، وتمنى لها أن تستمر إلى 60 عاماً قادمة، وبعد الخطاب مباشرة قام عدد من الصحفيين بمقابلة «شمعون بيريز»، الذي كان وقتها رئيساً للدولة، ووجهوا له سؤالاً عن قول الرئيس «بوش» باستمرار دولة «إسرائيل» إلى 60 عاماً قادمة، فرد عليهم «بيريز» المعروف بذكائه وحنكته، والذي التقط حديثه وقتها المرحوم المفكر عبدالوهاب المسيري ولم تعقب الصحافة العربية على هذا القول وقال (بيريز): «هذا إذا بقيت «إسرائيل» 10 سنوات»، ويقصد وقتها: إذا بقيت «إسرائيل» على هذا النهج فستكون نهايتها قصيرة، والإشارة بـ10 سنوات تعبير عن قرب الزوال لها».

تقرير أمريكي سري: إذا بقيت الأمور على ما هي عليه فلا نظن أن «إسرائيل» ستبقى إلى عام 2022م

ويتابع جرار حديثه: في عام 2012م، قال وزير الخارجية الأمريكي الأسبق «هنري كيسنجر» في مقابلة صحفية: بعد 10 سنوات لن توجد «إسرائيل»، وهذا رجل لديه معلومات، وهي التي جعلته يقول هذا الكلام بعد قراءته للتغييرات في المنطقة إقليمياً وعالمياً، وأذكر في يونيو 2012م خلال مقابلة في «تلفزيون فلسطين» لمفكر فلسطيني لا أذكر اسمه يقول فيه: «رفع تقرير للرئيس الأمريكي بعنوان «فقط للرئيس»، وتبين فيما بعد أن التقرير تضمن من جهات أمريكية مختصة: إذا بقيت الأمور على ما هي عليه ولم تتغير السياسات، فلا نظن أن «إسرائيل» ستبقى إلى عام 2022م»، والناطقة الصحفية في البيت الأبيض صرحت تصريحاً «لماذا «إسرائيل» موجودة؟»، وطلب منها وقتها الاستقالة، وكذلك «جون كيري»، وزير الخارجية الأمريكية الأسبق، استهزأ بـ«إسرائيل».

وفي الجامعات الأمريكية هناك توجهات بين الطلبة ضد «إسرائيل»، ورفض طلاب جامعة السماع لمسؤول «إسرائيلي» وخرجوا من القاعة، وفي أوروبا كان «نتنياهو» في زيارة للاتحاد الأوروبي، وترك الميكروفون مفتوحاً، وتم سماع حديث «نتنياهو» وهو يشكو لرئيس وزراء إحدى دول الاتحاد الأوروبي من عداوة أوروبا لدولة «إسرائيل»، كما أذكر في آخر عام 2003م كان الاتحاد الأوروبي يوزع استبياناً، ومن ضمن الأسئلة في هذا الاستبيان: «ما أخطر دولة على أمن العالم؟»، وكانت نسبة دولة «إسرائيل» 60%، وبعض دول الاتحاد الأوروبي أخذت «إسرائيل» 80%، فـ«إسرائيل» أخذت المرتبة الأولى في خطورتها على أمن العالم في دول الاتحاد الأوروبي، وفي عام 2004م في بريطانيا كان هناك استبيان تضمن: «ما أقبح دولة في منظورك من دول العالم؟»؛ وأخذت «إسرائيل» الدولة الأولى في العالم.

وتابع الشيخ جرار قائلاً: الاتحاد

الأوروبي يوزع هذه الاستبيانات بهدف الرصد، لكنه يقوم بتوزيع النتائج، وهذا يعبر عن الاتجاهات الموجودة، ويهود أمريكا لم يعودوا كما كانوا يؤيدون «إسرائيل»، والانتخابات في «إسرائيل» تفرز أحزاباً يمينية أصبحت تشكل إزعاجاً لليهود في أمريكا؛ فهذه المتغيرات على مستوى دولي وإقليمي، وفي المنطقة العربية منذ عام 2011م بعد «الربيع العربي» لا يزال هناك تفاعل لم ينته، وفي كل يوم مفاجآت.

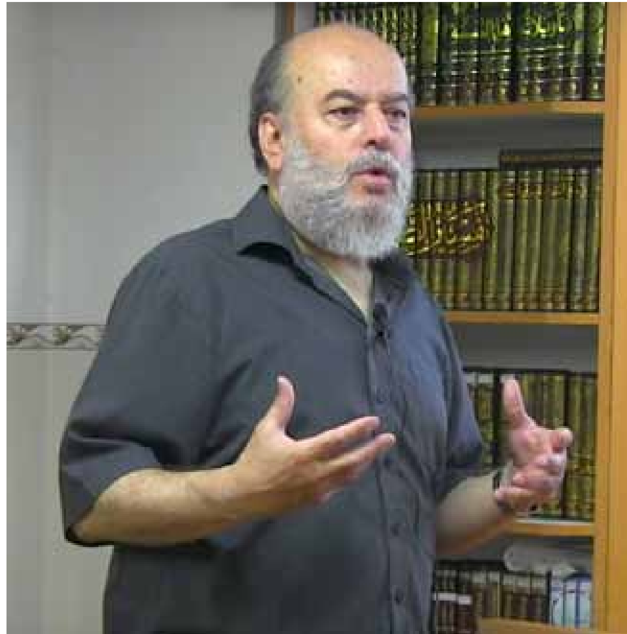
دعاية التطبيع

ويستطرد جرار قائلاً: بالنسبة للتطبيع الحالي، أنظر له على أنه دعاية أكثر منه حقيقة، يستفيد منه «ترمب» ونتنياهو» كونهما ملاحقين بالفساد والسجن، فدولة المغرب مطبِّعة مع «إسرائيل» منذ عقود، وهذه الدول العربية المطبِّعة لها دور في دعم «إسرائيل» كون الغرب أصبح منزعجاً من «إسرائيل»، ومن هذا المشروع الفاشل الذي اسمه «إسرائيل»؛ فالغرب دعم «إسرائيل» بما فيه الكفاية، ولم تعد «إسرائيل» تخدم مصالح الغرب، كمثل شخص اشترى كلباً للحراسة، وبعد فترة أصبح صاحب الكلب يحرس الكلب خوفاً من سرقة الكلب!

«إسرائيل» منذ عام 1967م اقتنع الغرب أنه يمكن الاعتماد عليها في حماية مصالحهم، ولكن بعد فشلها في حروب مع «حزب الله» والمقاومة في غزة تبين أنها دولة فاشلة في حماية نفسها، ولا تستطيع حماية مصالحهم بالرغم من تفوقها العسكري، فهي لم تواجه جيوشاً بل جماعات صغيرة، فالعقيدة القتالية لدى الجندي «الإسرائيلي» لم تعد قائمة، وتنتشر ظاهرة المخدرات في صفوفه، إضافة إلى فساد القيادات، وهذا الذي حصل مع «إسرائيل»، كان بمثابة أكبر ضربة توجه لوجودها؛ لأنها انكشفت أمام من أقامها، واليوم بعض الزعامات العربية تدعم «إسرائيل» عكس توجه الشعوب، وهي تدرك أن وجودها مرتبط بالدول الكبيرة.

ولفت جرار إلى أنه على مستوى المجتمع «الإسرائيلي»، أصبح الشعب متناقضاً داخلياً، والجندي «الإسرائيلي» غير صالح للقتال، والانتخابات خير دليل على عدم اتفاقهم، والانقسامات الحزبية، كما جرى في العمل والليكود، والمفكرون مدركون أن الانتخابات تفرز جماعات يمينية ينفر منها العالم، وهي جماعات فاسدة.

المفكر اليهودي «ليوفيتش» -الذي تنبأ لدولة الاحتلال بعد عام 1967م مستقبلاً زاهراً- قال عندما قامت «إسرائيل» بعملية



الرأي العام بالاتحاد الأوروبي يرجح أن «إسرائيل» هي أخطر دولة على أمن العالم

التطبيع دعاية أكثر منه حقيقة يستفيد منها «ترمب» و«نتنياهو» كونهما ملاحقين بالفساد

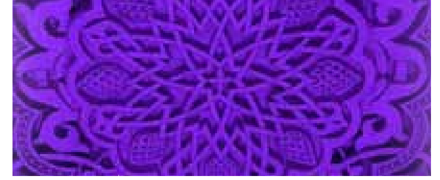
بنسبة 97% أثق أن دولة الاحتلال عام 2022م إلى زوال تام وهناك هامش للخطأ

إبعاد واسعة لمرج الزهور، رداً على سؤال من الصحفيين حول بقاء دولة «إسرائيل» في الأعوام العشرين القادمة: «هذا إذا بقيت «إسرائيل» موجودة»! وهو مؤرخ وفيلسوف مشهور، فقضية الزوال عندهم حتمية، والخلاف على الوقت الذي يحدث فيه الزوال عندهم.

ويقول جرار: في عام 1987م ما بين 6 – 10 ديسمبر، عقد في القدس المؤتمر الصهيوني الـ12، ولأول مرة كان هناك خلاف بين يهود الخارج وهم يهود أمريكا، ويهود الداخل، وهذا الخلاف كاد أن يؤدي إلى انشقاق داخل المؤتمر، حول التأييد لسياسات الحزبين الكبيرين؛ فيهود الخارج يؤيدون حزب العمل، ويهود الداخل يؤيدون حزب الليكود، وتم طرح قضية من هو اليهودي، والموقف من القضية الفلسطينية والسلام، وتوافقوا وقتها على حل القضية الفلسطينية في ظل مؤتمر دولي، وبعدها جرى المؤتمر في إسبانيا، وهذا يدلل على مدى الخلاف بينهم وابتعدوا كثيراً عن التوافق كما نشاهده اليوم.

وأشار جرار: دراستي الشخصية عن زوال دولة الاحتلال عام 2022م وهو الزوال التام، وهذا بالنسبة لي تصل نسبته إلى 97%، ويبقى هامش ضئيل للخطأ؛ لأنني أتعامل مع أرقام وضمن دراسات علمية؛ فدولة «إسرائيل» تعد أيامها الأخيرة، فهناك حكومات فاسدة ورؤوس فاسدة تتصارع على مصالحها .

وختم قائلاً: أندهش من تصديق الناس لهذه النبوءة! لأنهم يدركون ما يجري على الأرض ولا مجال للصدف، ولكن أكرر: نحن نتعامل مع أرقام وليس عبارات صريحة، لذا هناك هامش ضئيل من الخطأ، وذكرت في مقدمة كتابي «زوال دولة إسرائيل» لا أقول: إنها نبوءة أو أنها ستحصل، ولكن تركت هذا للقارئ، وأنبياء اليهود في توراتهم بشّروا بمستقبل أسود لليهود، وجماعة «ناطوري كارتا» وضعت حداً لدولتهم عام 2023م.■



إعداد- محمد سرحان:



الروهنجيا.. معاناة التغييب مرتين

في بقعة جغرافية متصلة الحدود يرتفع أنين المسلمين في 3 دول متجاورة، هي: ميانمار والصين والهند؛ ففي الأولى قتل وتهجير الروهنجيا وتجريدهم من المواطنة في إقليم آراكان، وفي الصين تتواصل معاناة مسلمي تركستان الشرقية من تضييق عليهم في حياتهم، أما الهند، ففيها نسمع أنين المسلمين في ولاية «جامو وكشمير» يعانون قتلاً واعتقالاً وحصاراً، أحال الولاية إلى سجن كبير، ومؤخراً تغيير ديموغرافي على حساب الأغلبية المسلمة، إلى جانب إجراءات لتهميش المسلمين في بقية الولايات.

وإيماناً بواجبها تجاه المسلمين حول العالم، تفرد «المجتمع» مساحة شهرية لتغطية ومتابعة أحوال المسلمين في هذه المناطق الثلاث.

بين وطن أُخرجوا منه لا يحملون سوى أرواحهم المثقلة بالجروح، حفاة تتثاقل أقدامهم في رحلة الهروب تذل حيناً فوق الحصى وأحياناً في وحل النهر، وبين شتات ضاق على أمله فأبى إلا أن يغيبهم مرة أخرى إلى جزيرة نائية فتكون عزلة من الوطن وعزلة في الشتات، في هذا الواقع المرير تمتد معاناة المسلمين الروهنجيا، فلا استغاثة تلقى صدى، أو صرخة توقف المعاناة، فما قصتهم التاريخية؟

الروهنجيا، العرقية المسلمة التي تشكل السكان الأصليين لمملكة آراكان، التي أصبحت لاحقاً إحدى ولايات بورما، وكان الروهنجيا يمثلون العرقية الثانية في البلاد من حيث العدد قبل تصفية وجودهم.

آراكان، ولاية في غرب ميانمار، كانت مملكة مستقلة احتلتها بورما، تطل على خليج البنغال وتجاور بنجلاديش من الشمال الغربي بحدود طولها 150 كيلومتراً، يفصل بينهما نهر ناف، بينما تفصلها عن بقية ولايات ميانمار جبال «أركان يوما».

ميانمار (بورما)، تقع جنوب شرقي آسيا، تتكون من حوالي 145 عرقية، عرفت بهذا الاسم منذ عام 1989م بعد تغيير اسم الدولة من بورما إلى ميانمار.

تنتهج ميانمار سياسة محو الأثر، فمدينة «أكياب» أهم مدن آراكان أصبح اسمها «سيتوي» ضمن موجة التغيير الديموغرافي، وحالياً أغلب سكانها من البوذيين، إلى جانب حرق قرى الروهنجيا والمجيء بالبوذيين لتوطينهم محل الروهنجيا.

سكان آراكان كانوا نحو 4 ملايين نسمة، غالبيتهم من مسلمي الروهنجيا، تناقصوا بفعل عمليات التهجير القسري المتكرر، وبقي منهم أقل من نصف مليون، لك أن تتخيل أن نحو 740 ألفاً فروا فقط بعد الهجمة العسكرية، في 25 أغسطس 2017م، بحسب تقارير أممية.

آراكان التاريخية تكونت من مقاطعتي «تشيتاجونج» جنوب بنجلاديش حالياً، وولاية «راخين» غرب ميانمار، غير أن الأولى انتزعت منها بعد غزو المغول لها عام 1666م، وآراكان غنية بالموارد الطبيعية والأراضي الخصبة؛ ما جعلها مطمعاً لجيرانها، حتى احتلتها بورما عام 1784م.

دخول الإسلام:

يقال: إن آراكان عرفت الإسلام في عهد هارون الرشيد عام 172هـ، ورواية تقول: إنه ما بين عامي 788 و810م تحطمت سفن تجار مسلمين أثناء توجههم إلى جنوب شرقي آسيا، فلجأ من نجا منهم إلى جزيرة «راهمبري» بخليج البنغال قرب آراكان، فاختار بعضهم العيش بالجزيرة من خلال التزاوج مع السكان المحليين، ودعوهم إلى الإسلام، وساهموا في التجارة البحرية لآراكان ما وفر لهم تسهيلات ومكانة بين أهلها، وفي عام 1430م دفع السلطان البنجالي بجيش قوامه 70 ألفاً لطرد المون والبورمان من آراكان، استجابة لاستغاثة ملكها، بقي بعضهم مع أسرهم في آراكان لحمايتها، وهذه كانت أكبر موجة لدخول الإسلام إلى آراكان، وبمرور الوقت تمت أسلمة آراكان على يد الملك سليمان شاه.

منذ احتلالها، بدأت بورما تشريد سكان آراكان المسلمين، ففي عام 1942م تعرض الروهنجيا لمذبحة مروعة ذهب ضحيتها قرابة 100 ألف، وذلك بدعم اليابانيين أثناء احتلالهم بورما، وبعد استقلالها عام 1948م بدأت مراحل جديدة من تصفية وتشريد الروهنجيا، وتجريد من المواطنة بموجب قانون الجنسية عام 1982م؛ بحجة أنهم مهاجرون غير شرعيين من بنجلاديش، ونحو 38 حملة عسكرية لتصفيتهم!■

«أكياب» أهم مدن آراكان أصبحت «سيتوي» ضمن موجة التغيير الديموغرافي وحالياً أغلبها بوذيون

في عام 1942م تعرضوا لمذبحة ذهب ضحيتها 100 ألف بدعم من اليابانيين



تركستان الشرقية..
حرب على الهوية

في روايته الشهيرة «ليالي تركستان»، ينقل د. نجيب الكيلاني، على لسان مصطفى مراد حضرت: إن تركستان قد انقسمت بفعل الاستعمار إلى تركستان غربية؛ احتلها الروس وضموها إلى اتحاد الجمهوريات السوفييتي (السابق)، وأخرى شرقية؛ احتلها الصينيون وضموها إليهم وسموها «سينكيانج»، وإن الشيوعية قد نشرت جناحيها على تركستان شرقها وغربها، وهكذا ضاعت بلاد إسلامية كانت من أعظم بلاد الله حضارة وتاريخاً وكفاحاً ومجداً، إنها الأندلس الثانية؛ فما قصة تركستان؟

تركستان تعني موطن الأتراك، وبلا شك فإن كل الأتراك حول العالم تربطهم صلة بهذه المنطقة، يقول عبدالعزيز جنكيز خان، في كتابه «تركستان قلب آسيا»: لم تتغير وحدتها السياسية واستقلالها إلا في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، حيث وقع بعضها في أيدي الصين يعرف بتركستان الشرقية، ومساحته تتجاوز 1.6مليون كيلومتر مربع، ويسكنه مسلمون من الكازاخ والأوزبك والمغول والتتار وأغلبية من الأويجور، والقسم الثاني خضع للروس ويسمى «تركستان الغربية»، ومساحته 4 ملايين و106 آلاف كيلومتر مربع.

تركستان.. والإسلام:

تقول د. ماجدة مخلوف، أستاذة الدراسات التركية، في لقاء تلفزيوني: في عهد الخليفة عثمان بن عفان، بدأت محاولات المسلمين فتح تركستان (بلاد ما وراء النهر؛ نهر سيحون وجيحون)، واستصعب عليهم الأمر في بدايته إلى أواخر القرن الأول الهجري، عندما وصل القائد قتيبة بن مسلم الذي تمكن من فتح مقاطعات عديدة ووصل بالإسلام حتى حدود الصين، لكن بقي دخول الإسلام قاصراً على الأفراد، ودخل كثير من الناس في الإسلام بفضل قوافل التجارة التي تسلك طريق الحرير آنذاك، حتى منتصف القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) عندما أسلم أول خاقان تركي هو «ستوق بغرا خان»، الذي أسلم ومعه شعبه كله يقدر بحوالي 200 ألف خيمة دخلوا الإسلام في يوم واحد معه!

الصين لم تألُ جهداً في حربها على هوية مسلمي الإقليم لـ«تصيينهم» فهدمت المساجد وحولت بعضها لمراقص

موظفون صينيون يقيمون بمنازل المسلمين يفرضون عليهم الأسلوب الصيني من شرب الخمر وغيره!

تركستان.. والاحتلال:

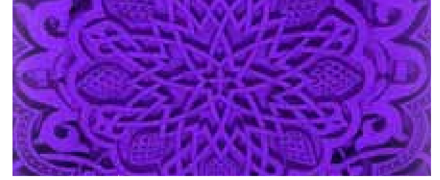
وتضيف د. مخلوف: بقيت تركستان مكوناً واحداً تشكله إمارات مسلمة، حتى أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، عندما تسلل الضعف إلى الخلافة العثمانية، وضعفت هذه الإمارات بتركستان، بالتزامن مع صعود القوى الاستعمارية مثل روسيا التي التهمت الجزء الغربي من تركستان؛ وهو جمهوريات: أوزبكستان، كازاخستان، تركمانستان، طاجيكستان، قرغيزستان، أما الجزء الشرقي فبدأت الصين تتأهب للاستيلاء عليه، وبمساعدة روسية سقطت تركستان الشرقية تحت نير الاحتلال الصيني عام 1949م، ولا تزال حتى الآن تُحارَب في هويتها الإسلامية.

لم تألُ الصين جهداً في حربها على هوية مسلمي تركستان الشرقية لـ«تصيينهم»، فهدمت آلاف المساجد، والمساجد التي بقيت حُولت إلى مراقص، وجرّمت الصلاة وتحفيظ القرآن، فهذه رقية فرحات (أويجورية) سجنت 4 سنوات هي وأطفال جيرانها الذين كانت تحفّظهم القرآن الكريم!

في أغسطس 2018م، قالت لجنة حقوق الإنسان بالأمم المتحدة: إن تقارير وثقت اعتقال الصين نحو مليون مسلم في معسكرات، يتم داخلها «تصيين» المسلمين بالإجبار، وتدريبهم على حرف يتم استغلالهم لاحقاً كعمالة مجانية لصالح الشركات الصينية.

وفي عدد سبتمبر 2020م، نشرت مجلة «صوت تركستان» إحصاءات تشير إلى انخفاض المواليد بنسبة 24% العام الماضي، فضلاً عن إجراء أكثر من 60 ألف عملية تعقيم قسري للنساء المسلمات لمنع الإنجاب خلال عام 2018م، مقابل 3214 عملية خلال عام 2014م!

وفرضت الصين نظام مراقبة شاملة بالكاميرات بالشوارع، وفي البيوت من خلال «نظام القرابة»؛ إذ يقيم موظفون صينيون بمنازل المسلمين يفرضون عليهم الأسلوب الصيني من شرب الخمر وغيره، بجانب تقارير كاملة يكتبها هؤلاء الموظفون حول ما إذا كانت هذه الأسرة لديها مصحف أو سجادة صلاة.■



كشمير.. جنة تطوِّقها النيران!

بين فترة وأخرى يتجدد بين الهند وباكستان النزاع الممتد لأكثر من 70 عاماً، شهدت 3 حروب بينهما، وكلمة السر هي كشمير، أو «أرض الجنة» لما تتميز به من طبيعة خلابة، لكن هذه الجنة تئنُّ تحت وطأة التنكيل الهندي بحق سكانها ذوي الأغلبية المسلمة.

تمتد كشمير على مساحة تقدر بنحو 222 ألف كيلومتر مربع، وتنقسم إلى 3 مناطق، تسيطر الهند على نحو 106.5 ألف كيلومتر مربع، ويسمى «جامو وكشمير»، وهو ذو أغلبية مسلمة، بينما يتبع باكستان نحو 78 ألف كيلومتر مربع، ويسمى «آزاد كشمير»، وتسيطر الصين على 38 ألف كيلومتر مربع يسمى «أكساي تشين» إلى جانب منطقة تقع بين مرتفعات «كاراكوروم» تنازلت عنها باكستان للصين.

تتنازع الهند وباكستان من جهة على إقليم كشمير؛ إذ تتجاهل الأولى قواعد التقسيم بضم الولايات ذات الأغلبية المسلمة إلى باكستان، وتتهم الأخيرة باحتلال جزء من أراضيها، ومن جانب آخر تتنازع الهند والصين حول «هضبة أكساي تشين»، ففي عام 1962م دخلت الصين على الخط وسيطرت على منطقة «أكساي تشين».

يقدر سكان كشمير في الجانبين الهندي والباكستاني بنحو 13 مليون نسمة، من أجناس متعددة، منها آريون ومغول وأفغان وأتراك، يتحدثون عدة لغات كالكشميرية والهندية والأوردو.

تتمتع ولاية «جامو وكشمير» بحكم ذاتي منذ عام 1954م، يمنحها خصوصية القوانين والعَلَم والسكان وفق المادة (370) من الدستور الهندي، لكن في 5 أغسطس 2019م ألغت الهند الحكم الذاتي للولاية التي يطوقها نحو 900 ألف جندي هندي، وفي أكتوبر 2020م أجرت تعديلات تسمح لغير سكان «جامو وكشمير» بشراء أراض بالولاية، سبقها في أبريل 2020م تشريعات تمنح صفة «مواطن محلي» لمن مكث 15 عاماً فيها، جرى تنفيذه فعلياً بمنح شهادة «مواطن محلي» لأكثر من 25 ألف شخص، وهي مساع تهدد الأغلبية المسلمة وتضيق الخناق عليها؛ إذ يشكل المسلمون نحو 69%، والهندوس نحو 29% من إجمالي سكان الولاية، وفق إحصاء رسمي هندي في عام 2011م.

خلفية تاريخية:

مع رحيل الاحتلال البريطاني عام 1947م، وضع الإنجليز خطة لتقسيم شبه القارة الهندية (باكستان والهند) قسمين؛ الأول مسلم يضم الولايات ذات الأغلبية المسلمة، والثاني للهندوس، لكن حدثت مشكلة في ولايات جوناغر وحيدر آباد وكشمير، ففي الأولى تدخلت الهند بقواتها ونظمت استفتاء انتهى بانضمام جوناغر للهند؛ الأمر نفسه تكرر مع حيدر آباد؛ إذ ضمتها الهند بالقوة، في 13 سبتمبر 1948م.

أما كشمير فحاكمها الهندوسي هاري سينغ ارتمى في أحضان الهند متجاهلاً رغبة الأغلبية المسلمة وقواعد التقسيم، وتدخلت الهند عسكرياً واحتلت ثلثي الولاية عام 1947م، وتدخلت باكستان واستمر القتال حتى يناير 1949م، حينها أصدر مجلس الأمن قراراً، في أغسطس 1948م، يدعو لوقف إطلاق النار وإجراء استفتاء لتقرير مصير كشمير لكنه لم يتم حتى الآن.



في عام 1965م، تجددت المواجهة بين الهند وباكستان، ثم تكررت في عام 1971م عندما اتهمت باكستان الهند بدعم باكستان الشرقية (بنجلاديش) التي انفصلت في العام نفسه، وفي عام 1972م وقعت معاهدة «شملا» بين الطرفين، ونصت على اعتبار خط وقف إطلاق النار، الموقع في 17 ديسمبر 1971م، خط هدنة بين الطرفين.

استمر التنكيل الهندي بمسلمي «جامو وكشمير» ليتجاوز ضحاياها نصف مليون، من بينهم 250 ألفاً قتلوا في يوم واحد يُعرف بـ«اليوم الأسود» لكشمير، بحسب سردار مسعود خان، رئيس «آزاد كشمير»، في حوار مع «الأناضول»، قال: إن القوات الهندية دخلت «سريناجار» عاصمة الولاية، في 27 أكتوبر 1947م، وقتلت 250 ألف مسلم.■







مسلمو تنزانيا.. أغلبية مهمَّشة تسعى لنيل حقوقها

أشرف عيد

تقع تنزانيا في منتصف شرق أفريقيا على المحيط الهندي، ويقدر عدد سكانها بـ57 مليون نسمة عام 2018م، وعدد المسلمين منهم 32 مليوناً تقريباً؛ بما يعادل 56%، وباقي السكان مسيحيون وذوو معتقدات أخرى، والإنجليزية هي اللغة الرسمية للبلاد، والسواحلية هي اللغة الأم، وعاصمتها حالياً دودوما.

والدولة عبارة عن منطقتين، هما: «تنجانيقا»، و«زنجبار»، اللتان اتحدتا عام 1964م تحت اسم «جمهورية تنزانيا المتحدة»، وينتشر المسلمون في زنجبار؛ حيث تبلغ نسبتهم فيها 95%، بالإضافة إلى دار السلام، وبامبا، وتانجا، وليندي، والمدن الساحلية، ويقلون داخل البلاد.

واجه المسلمون بتنزانيا عقوداً من الظلم والتهميش، حُرموا خلالها من تبوؤ أيّ منصب رفيع، فسيطرت الأقلية المسيحية على الحكم والاقتصاد، ووضعوا أيديهم على أغلب مؤسسات الدولة، وفتحوا الباب أمام مؤسسات التنصير لتَعيث فساداً بين المسلمين، لكن مساعيهم تلك لم تنجح؛ لتمسُّك الأغلبية المسلمة بهويتها، ونجحت منظمات الإغاثة الإسلامية في التصدي لمدٍّ تنصيري جارف؛ مما دعاهم للكيد لها، والتخطيط لطردها.

وقد عاش مسلمو تنزانيا أوضاعاً اقتصادية بالغة السوء؛ فالغالبية العظمى منهم يعيشون فقراء لا يجدون قوت يومهم؛ أسرى الجهل والمرض، لكنهم لم يستسلموا؛ فسعوا إلى توحيد صفوفهم ليكون لهم دور

في عام 2005م تولى الرئيس المسلم «كيكويتى» فسعى إلى تغيير الواقع الأليم للمسلمين

يحتاجون دعماً عربياً وإسلامياً لتحقيق التوازن مع الأقلية المسيحية

في الحياة العامة، وظهر ذلك في انتخابات عام 2005م التي تولى فيها السلطة الرئيس المسلم جاكايا كيكويتى (2005 - 2015م)؛ فأنهى عقوداً من الاضطهاد والتهميش، وسعى إلى تغيير الواقع الأليم للمسلمين وإقرار العديد من الخطط التنموية لمناطق المسلمين، وتولى في عهده شخصيات مسلمة مناصبَ سياسية رفيعة.

ويوجد بتنزانيا بعض الهيئات الإسلامية، أبرزها: «المجلس الإسلامي الأعلى» الذي تأسس عام 1387هـ/ 1967م، و«مركز الحرمين الإسلامي» تأسس عام 1397هـ/ 1977م، ومؤسسة «ذي النورين الخيرية».

أيضاً قام د. عبدالرحمن السميط بالمساعدة في إنشاء «لجنة مسلمي أفريقيا» عام 1987م التي قامت بجهود دعوية وتعليمية واجتماعية في عموم أفريقيا ومنها تنزانيا، وهناك أيضاً «هيئة علماء المسلمين» التي تأسست عام 2012م، وهي تهدف إلى جمع علماء للمسلمين في تنزانيا وإيجاد مرجعية علمية للمسلمين تناقش قضاياهم.

قام الاحتلال الإنجليزي بإلغاء اللغة السواحيلية التي كان يتحدث بها المسلمون، وأغلقت جميع المدارس الإسلامية وتحولت إلى مدارس علمانية وأخرى مسيحية، ووضع نظام التعليم تحت إشراف المؤسسات التنصيرية، وأصبح 80.6% من مدرسي المدارس الإعدادية والثانوية في تنزانيا من غير المسلمين، و60% من الجامعات تابعة لمجمع الكنائس في تنزانيا.

ولمَّا وجد المسلمون في تنزانيا أنفسهم مجبرين على تعليم أبنائهم في المدارس التنصيرية مما يؤثر على عقيدتهم؛ أحجم كثير منهم عن إرسال أولادهم إلى تلك المدارس؛ فزادت نسبة الأمية بين المسلمين إلى 50%، وأصبحت نسبة المسلمين الذين يتخرجون في جامعات تنزانيا أقل من 30%.

وقد سعى المسلمون للتغلب على هذا الوضع؛ فأدخلوا المناهج الحكومية إضافة إلى تدريس المبادئ العامة للعلوم الشرعية الإسلامية، وهذا النوع من التعليم المعترف به من الحكومة، ويتيح لخريجي تلك المدارس الالتحاق بالجامعات الحكومية والتنافس في فرص العمل.

والمسلمون في تنزانيا في حاجة إلى دعم عربي وإسلامي لتحقيق التوازن مع الأقلية المسيحية، فضلاً عن حاجتهم للدراسة في الجامعات الإسلامية؛ فجهود العالم الإسلامي مقصورة على الدعم السعودي، ومنح الدراسة في الأزهر أو إيفاد مدرسين إلى تنزانيا للتدريس غير كافية.

والمسلمون في تنزانيا يحرصون على التنشئة الإسلامية لأبنائهم، ويزداد أعداد حفظة القرآن، وتقام المسابقات في حفظ القرآن الكريم، مثل: مسابقة أفريقيا الكبرى الـ20 للقرآن برعاية السعودية.■

المصادر

1 - السيد عبدالرحمن: حوار مع الداعية الإسلامي التنزاني الشيخ إسماعيل محمد سالم، الألوكة، 8 جمادى الآخر1436هـ/ 29 مارس 2015م.

2 - حاتم إبراهيم سلامة: حوار مع رئيس هيئة علماء المسلمين بتنزانيا الشيخ سليمان كيليميلي، مجلة المجتمع، 9 مارس 2017.

3 - د. كمال محمد جاه الله الخضر: الوجود الإسلامي في تنزانيا في ضوء التحدّيات المعاصرة، مجلة قراءات أفريقية، العدد 17، 2018/6/28م.

4 - هاني صلاح: حوار مع الأمين العام لمؤسسة «ذي النورين الخيرية» الشيخ شمس علمي، موقع مسلمون حول العالم، 2016م.



د. سعيد الحاج
محلل سياسي مختص بالشأن التركي

بداية ديسمبر الماضي، قررت قمة قادة الاتحاد الأوروبي في اجتماعها الدوري توقيع عقوبات على تركيا بسبب ملف شرق المتوسط، وما أسمته القمة «تصرفات تركيا غير القانونية والعدائية» ضد اليونان وقبرص اليونانية.

وتأتي هذه العقوبات بعد ثلاثة أشهر تقريباً من القمة السابقة التي لوحت بالعقوبات دون أن تقرها، داعية أنقرة للحوار ولوقف أنشطتها في شرق المتوسط.

تركيا والاتحاد الأوروبي.. العقوبات ومسار العلاقات

قال دبلوماسي في الاتحاد الأوروبي: إن العقوبات التي تم إقرارها على تركيا من قبل الاتحاد الأوروبي «فردية»، ولكن قد يقر الاتحاد لاحقاً إجراءات إضافية إذا ما واصلت تركيا أعمالها في منطقة شرق المتوسط، قاصداً أنشطة المسح الجيولوجي والتنقيب وغيرها، ويفترض، في هذا الإطار، أن يعد الاتحاد قائمة بالشخصيات التركية المستهدفة بالعقوبات لعرضها على الدول الأعضاء لإقرارها، وهي قائمة يتوقع أن تضم مسؤولين في شركة النفط التركية وشخصيات أخرى ترتبط بأعمال التنقيب في المتوسط.

تاريخ العلاقات

تلقي هذه القرارات بظلالها على تاريخ طويل من العلاقات التركية الأوروبية التي تعود لقرون خلت، وتراوحت بين التحالفات والحروب، لكن القصة الأهم تعود لعقود سابقة حين بدأ المشروع الأوروبي وأرادت أنقرة أن تكون جزءاً منه، دون جدوى حتى اللحظة.

ترى تركيا نفسها من أوروبا وإن لم تكن فيها (جغرافياً)، بينما يراها الأوروبيون في أوروبا ولكن بالتأكيد ليست منها (انتماءً)، منذ ستينيات القرن الماضي، تنتظر تركيا على أبواب الاتحاد الأوروبي -بمختلف مراحله وتسمياته- وقُبلت عضواً مرشحاً في عام 2004م ثم بدأت مفاوضات الانضمام في العام الذي يليه.

بيد أنه في السنوات الماضية مرت مياه كثيرة تحت الجسر، واختلفت سياقات عديدة؛ فلا الاتحاد بقي على حاله ولا تركيا، لا الاتحاد ما زال يريد تركيا، ولا هي بقيت بنفس مستوى الحاجة إليه، وارتفعت أمواج الخلافات بينهما كما لم يحدث سابقاً، رغم العلاقات الاقتصادية والتجارية الجيدة بينهما؛ حيث يعدُّ الاتحاد الأوروبي أكبر شركاء تركيا التجاريين، ويختلف الجانبان على عدد من القضايا المتعلقة بالسياسة الخارجية، وأضيف لها مؤخراً مسألة شرق المتوسط.

شرق المتوسط

تربط تركيا باليونان خصومة مركبة يمتزج فيها التاريخي بالديني بالثقافي بالجيوسياسي؛ حيث هناك خلافات بين الجانبين بخصوص السيادة على عدة جزر في بحر إيجة، فضلاً عن الخلاف التقليدي بخصوص قبرص، إضافة لملف شرق المتوسط الذي ازداد أهمية في السنوات القليلة الأخيرة مع اكتشافات الغاز الطبيعي بعدة مناطق في حوض المتوسط.

هنا، وإضافة إلى الخلاف التاريخي على

للمرة الأولى ترتفع أمواج الخلافات بين تركيا والاتحاد بهذه الصورة رغم العلاقات الاقتصادية الجيدة بينهما

الاتحاد بات حساساً لفكرة التضامن الداخلي بعد الأزمات الوجودية التي تواجهه مثل «بريكست» وأزمة الديون واليورو

السيادة وأهمية الجزر الصغيرة فيما يتعلق بنفوذ ودور الدولتين في المتوسط، بات للأمر أهمية مضاعفة من الناحيتين الاقتصادية والجيوسياسية، تدعو اليونان لترسيم الحدود البحرية وفق منطق «التنصيف»؛ أي المسافة الوسط تماماً بين تركيا وأصغر الجزر التي تتبع للسيادة اليونانية، بينما ترفض تركيا ذلك وتدعو لمنطق «الإنصاف»؛ أي العدل والمنطق في توزيع المساحات والثروات، وخصوصاً أنها (تركيا) الدولة ذات الشواطئ الأطول على شرق المتوسط، كما أنها لا تسلّم لليونان بالسيادة على كل الجزر، إذ انتقل إليها بعضها بعد الحرب العالمية الثانية من إيطاليا، دون موافقة تركيا على ذلك، وهي التي كانت خلال حكم الدولة العثمانية تابعة لها.

المهم، أن اليونان وبتحريض ودعم من فرنسا حولت المسألة من خلاف تركي- يوناني، إلى تركي- أوروبي، مستغلة قوانين الاتحاد الأوروبي التي تتطلب الإجماع في القرارات المهمة؛ ما يدفع باقي الدول لاسترضائها في هذا الملف لنيل موافقتها على قرارات وملفات أخرى، وخصوصاً ملف بيلاروسيا مؤخراً، حيث ربطت اليونان موافقتها على قرارات الاتحاد بخصوصه بتوقيعه عقوبات على تركيا، كما أن الاتحاد بات حساساً جداً لفكرة التضامن الداخلي بعد الأزمات الوجودية التي تواجهه مؤخراً، مثل «بريكست» وأزمة الديون وأزمة اليورو والخلافات بين دول شرق الاتحاد وغربه.

العقوبات

ثمة تغير جذري في العلاقات التركية- الأوروبية نحو التوتر والتصعيد في السنوات القليلة الأخيرة، بلغ ذروته في عام 2017م، ورغم تراجعه نسبياً في السنتين الأخيرتين، فإنه ما زال حاضراً، منذ فترة، تلوّح بروكسل ببطاقة العقوبات في وجه أنقرة، مدفوعة بهذه الخلافات من جهة، وبالتحريض الفرنسي- اليوناني وابتزاز الاتحاد في قضايا أخرى (تتطلب قراراتها الإجماع) من جهة أخرى.

ولكن رغم اللهجة الحادة لكثير من التصريحات الأوروبية، لم يكن متوقعاً صدور عقوبات على أنقرة في قمة قادة الاتحاد في أكتوبر 2020م، لعدة أسباب؛ فمن جهة ليس هناك إجماع على هذا التوجه داخل الاتحاد، فموقف فرنسا التحريضي يختلف عن موقف ألمانيا الهادئ وعن موقف إيطاليا -مثلاً- الأقرب لتركيا في بعض القضايا، كما أن جُملة المصالح والمهددات التي تجمع الطرفين، والتأثيرات المتوقعة لأي عقوبات على دول الاتحاد وليس فقط تركيا، وقناعة بعض الدول الأوروبية بصحة سردية تركيا ودُفوعها، وتجاوب أنقرة أكثر من مرة مع مبادرات الوساطة والحوار، وبعض بادرات حسن النية التي قدمتها تركيا، وحرص الاتحاد على الحفاظ على دور الوسيط في المستقبل، وقناعته بضعف أدواته في الضغط على تركيا حالياً، كلها عوامل كانت تقول بصعوبة توقيع العقوبات على تركيا، وهو ما كان في القمة السابقة، التي دعت للحوار وأمهلت تركيا حتى القمة التالية لتقييم سلوكها، محتفظة باحتمالية العقوبات.

ثمة تغير جذري بالعلاقات التركية الأوروبية نحو التوتر والتصعيد بالسنوات الأخيرة بلغ ذروته 2017م

العقوبات الرمزية التي فرضت على تركيا ليس لها تأثير على اقتصادها ولا على العلاقات التركية الأوروبية

في قمة قادة الاتحاد الأخيرة، لم تتغير مجمل العوامل سالفة الذكر، باستثناء إعادة تركيا سفينة «عروج رئيس» للعمل بعد إبقائها على الشاطئ لمدة؛ ولذلك، مرة أخرى، لم يكن متوقعاً أن تخرج القمة بعقوبات شديدة ومؤثرة، لكن هذه المرة كان المتوقع أن تصدر بعض العقوبات «الرمزية»، بسبب ازدياد التحريض الفرنسي- اليوناني، وكذلك رغبة الاتحاد في تقديم رسالة حازمة قدر الإمكان لتركيا كي لا يظهر وكأنه عاجز أمامها.

المستقبل

تزامنت العقوبات الأوروبية مع عقوبات أمريكية كذلك على تركيا ضمن قانون «كاتسا» (قانون مكافحة أعداء الولايات المتحدة من خلال العقوبات) استهدفت مؤسسة الصناعات الدفاعية التركية ورئيسها وبعض الشخصيات الأخرى؛ ما أثار علامات استفهام حول علاقات تركيا الأوروبية والأمريكية في المستقبل، لا سيما في ظل التقارب مع موسكو.

بيد أنه من المهم ملاحظة تقديم أنقرة مؤخراً خطاباً سياسياً مختلفاً بدا وكأنه مؤشر على انتهاجها سياسة جديدة استعداداً لمرحلة رئاسة «بايدن» والديمقراطيين في الولايات المتحدة، فقد أكد «أردوغان» ارتباط بلاده الوثيق بحلفائها الغربيين، مؤكداً أنها «ترى نفسها في أوروبا وليس في أي مكان آخر، وتريد أن تبني مستقبلها مع أوروبا».

كما أن العقوبات الرمزية التي فرضت على تركيا ليس لها تأثير واضح على الاقتصاد التركي؛ وبالتالي من غير المتوقع أن يكون لها ارتدادات كبيرة على العلاقات التركية- الأوروبية، من جهة أخرى، يدرك الاتحاد الأوروبي -كما تدرك الولايات المتحدة- أن زيادة الضغوطات على أنقرة سيدفعها للتقارب والتنسيق أكثر مع موسكو، في حين يرغب الطرفان في عكس ذلك تماماً.

وعليه، في المحصلة، ليس من المرجح حصول متغيرات كبيرة على صعيد علاقات تركيا مع الاتحاد الأوروبي، إذ ليس للعقوبات الأخيرة انعكاسات مباشرة عليها؛ ولذا، فالمتوقع أن تستمر العلاقات على تذبذبها صعوداً وهبوطاً، ومراوحتها بين العضوية الكاملة في الاتحاد وهو ما يبدو مستحيلاً وفق الظروف الراهنة والقطيعة الكاملة التي تبدو كذلك مستحيلة وفق منظومة المصالح المشتركة.

هذا الأمر الذي يدركه الطرفان سيدفعهما على المدى البعيد للبحث عن مسار ثالث بين المسارين المذكورين، الذي سيتمثل في الغالب بشراكة خاصة أو إستراتيجية أو أي صيغة بينية أخرى، تحفظ العلاقات بين الجانبين ومصالح كل منهما.

وهو ما يعني أن على الطرفين (تركيا والاتحاد) مسؤولية في بناء الثقة أولاً ثم تحضير الأرضية لهذا المسار الثالث، الذي سيتطلب بالضرورة تهدئة في الخطاب وتعزيزاً للحوار وتطويراً للمصالح المشتركة.■



«التطبيع» يهز أركان «العدالة والتنمية» المغربي.. تبريرات مؤسفة وتداعيات مكلفة

الرباط - عبدالغني بلوط:

يعيش حزب العدالة والتنمية ذو المرجعية الإسلامية، بحكم قيادته للتحالف الحكومي، هذه الأيام على وقع هزة قوية داخل صفوفه بعد إقدام المملكة المغربية على «تطبيع العلاقات» مع «إسرائيل»، ارتفعت حدتها بعد جلوس الأمين العام للحزب د. سعد الدين العثماني إلى الطاولة وتوقيع اتفاقيات مع «تل أبيب» للحكومة.

ورأى بعض المحللين أن ذلك سيكون له تداعيات مكلفة على الحزب في تماسكه الداخلي، وفي المراحل الانتخابية المقبلة، فيما سوّغ الحزب موقفه بربط ما وقع بالحفاظ على الوحدة الوطنية والتذكير بعدم التفريط في القضية الفلسطينية.

أثار «التطبيع» جدلاً كبيراً غير مسبوق بالأوساط السياسية والشعبية في المغرب، امتد ليرخي بظلاله القوية القاتمة على حزب العدالة والتنمية الذي يقود الحكومة المغربية لفترة ثانية، الذي كان يعتبر نصرة القضية الفلسطينية وعدم الاعتراف بالكيان الصهيوني عقيدة أيديولوجية، تجلت منذ نشأته في بياناته ومواقفه، ومشاركته المكثفة في المسيرات والفعاليات المساندة للقضية الفلسطينية، بل إن فريقه في مجلس النواب قدم مشروع قانون إلى جانب أحزاب أخرى يجرّم «التطبيع»، لكنه بقي عالقاً في رفوف البرلمان، كما كان دائماً محافظاً على استقبال عدد من قيادات المقاومة الفلسطينية في مؤتمراته الوطنية، أبرزهم قياديو حركة «حماس».

ولم يكن أحد يتوقع إلى زمن قريب أن يضع قيادي في الحزب يده في يد أحد المسؤولين الذين يحكمون في الأراضي المحتلة، لا سيما أن العثماني نفسه أشار، في وقت سابق، إلى أن أي اعتراف بالكيان الصهيوني يشجعه على انتهاك حقوق الفلسطينيين.

وكانت الصدمة قوية، بعدما وصف رئيس الحكومة سعد الدين العثماني، الأمين العام للحزب، بعد ذلك بلغة الدبلوماسي، إعادة العلاقة المغربية «الإسرائيلية» بـ«الانفتاح على الآخر»، مبرزاً في الوقت نفسه أن المغرب القوي الموحد، بعد اعتراف أقوى دولة في العالم بسيادته على صحرائه، أقدر على الدفاع عن القضية الفلسطينية.

خرج الأمين العام السابق عبدالإله بنكيران بما له من ثقل كبير بصفته أميناً

بنكيران:



إذا كانت هناك أزمة فلتحدث بالحزب.. فالرجل الثاني للدولة لا يخرج على قرارات الرجل الأول

سابقاً قاد انتصارات كبرى في المحطات الانتخابية، يدافع عن سعد الدين العثماني (الذي لم يعد يتواصل معه بعد إعفاء الأول من تشكيل الحكومة وتعيين الثاني رئيساً لها).

ورفض بنكيران، الذي يتمتع بشعبية واسعة، الضغط على العثماني، حتى لا يستقيل وتحدث أزمة للدولة، مضيفاً: إذا كانت ستحدث أزمة فلتحدث في الحزب، معتبراً أن الرجل الثاني للدولة لا يخرج على قرارات الرجل الأول للدولة.

وأبرز بنكيران أنه لا يوجد إنسان عاقل يقول: إنه ضد اعتراف الولايات المتحدة الأمريكية بسيادة المغرب الصحراء، هذا قرار كبير جداً، مشيراً إلى أن الحزب قادم من الحركة الإسلامية، وثقافة مناهضة «التطبيع» مع «إسرائيل» متأصلة فيه، قبل أن يستدرك أن المغرب يعرف جيداً ما يفعل ويخطو خطواته مضبوطة.

وخفف هذا التصريح قليلاً الضغط على الأمانة العامة لحزب العدالة والتنمية التي نوهت بموقف الأمين العام السابق، وذكّرت بالبلاغ الصادر من قبل الذي يؤكد أهمية الموقف الأمريكي الأخير والالتفاف وراء الملك في الخطوات التي اتخذها في مجال تعزيز سيادة المغرب على الصحراء والموقف المغربي، وعلى أولوية القضية الوطنية مع التأكيد على المواقف الثابتة لبلادنا فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية، وهي المواقف التي ستتواصل وستعزز بقيادة الملك.

عبدالصمد بلكبير، المحلل السياسي ذو التوجه اليساري والمقرب من الإسلاميين، أبرز، في تصريح لـ«المجتمع»، أن العدالة والتنمية يواجه معادلة صعبة، ولم يعد له بين يديه أمر سوى أن يختار بين السيئ والأسوأ منه، مؤكداً أن مسألة «التطبيع» يمكن أن تكون مرحلة يتم تجاوزها بالتراجع عنها، لكنها تمت مقترنة بقضية الصحراء ذات البعد الإستراتيجي، التي ربح فيها المغرب على أصعدة شتى.

رفض قطعي

وقد اعترض عدد من أعضاء الحزب الفاعلين في الشأن السياسي على قرار «التطبيع»، بل إن حركة التوحيد والإصلاح الجناح الدعوي، وشبيبة الحزب، أصدرا بياناً يعبران فيه عن رفضهما القطعي له.

الهلالي: يمكن أن يكون للحزب موقف مخالف للدولة وللملك في إطار الاختيار الديمقراطي بالبلاد

التليدي: من المنتظر الدعوة إلى مؤتمر استثنائي لمحاسبة القيادات وفصل الحزب عن الحكومة

وفي هذا السياق، يقول عبدالصمد بنعباد، المحلل السياسي، لـ«المجتمع»: إنه لا بد أن نميز بداية بين الحزب وشبيبته؛ فالشبيبة كانت أكثر وضوحاً وتعبيراً عن الارتباط بقيم الحزب ومبادئه، بينما القيادة التاريخية للحزب اختارت لغة جديدة تخالف ما كانت تسميه ثوابتها تجاه فلسطين و«التطبيع».

وأضاف أن القيادة التاريخية للعدالة والتنمية التي تقود هذه المرحلة أدخلت حزبها في ضيق شديد، والسبب هو بحثها عن خطاب جديد، في الوقت والقضية الخطأ، التي يستحيل أن يقبلها المغاربة؛ لأنهم متعلقون بشدة بقضية فلسطين التاريخ والرموز والإنسان.

ويرى إمحمد الهلالي، عضو المجلس الوطني للحزب وحركة التوحيد والإصلاح، أنه يمكن أن يكون للحزب موقف مخالف أو حتى معارض للدولة أو للملك؛ فذلك يسعه ثابت الاختيار الديمقراطي في البلاد والاعتراض أو الرفض ضمن دائرة الاختيار الديمقراطي، وهو لا يدخل ضمن مفهوم التنازع مع أولياء الأمور باعتباره يدخل في مفهوم ديني تجاوزه الحزب وتجاوز منطقه.

وقال، في تصريح لـ«المجتمع»: إن الدولة نفسها تتفهم أن يكون حزب من الأحزاب السياسية معارضاً لسياسة أو قرار جاء في سياق معروف هو ابتزاز المغرب في قضيته الوطنية.

بدوره، يقول بلال التليدي، المحلل السياسي والإعلامي، لـ«المجتمع»: إن الحزب لم يستطع مرة أخرى –بعد أن وقع في «فرنسة» التعليم– الالتزام بمبادئه والإخلاص لقواعده وذهب في اتجاه التطبيع.

تصفية حسابات

من جهته، يشدد البرلماني إبراهيم الضعيف عن حزب العدالة والتنمية بمدينة العيون (عاصمة الصحراء) أنه ينتمي إلى حزب مؤسسات وحزب مواطن، مؤكداً أن طيلة ممارسته للسياسة على مدى عقود اكتسب ثقة ملكه وثقة أعضائه وعامة المواطنين، وأثبت للجميع وبالملموس أنه يجعل مصلحة الوطن فوق المصلحة الحزبية والانتخابية.

ويشرح بلكبير أن «العدالة والتنمية» لم يغير أطروحته السياسية الرافضة لـ«التطبيع»، مبيناً أن الحزب يمكن أن يدير الأمر سياسياً ومرحلياً، في ظل وجود ذراعه الدعوية، المتمثلة في حركة التوحيد والإصلاح، التي تعبر عن مواقف صريحة إزاء رفض «التطبيع».

ويضيف بلكبير أن الحزب يحترم التزاماته حيال المؤسسة الملكية، ويعرف ما له وما عليه، لا سيما الشؤون الخارجية، وهي أمور سيادية من صلاحيات الملك.

ولم يستبعد بلكبير أن تكون هناك جهات توظف قضية «التطبيع» لتصفية حساباتها مع «العدالة والتنمية» لدفعه إلى الاستقالة، وهو أمر يمكن أن يضرب في الصميم

بنعباد:



القيادة التاريخية لـ«العدالة والتنمية» أدخلت حزبها في ضيق شديد والسبب بحثها عن خطاب جديد

بويخف: خروج الحزب للمعارضة لا يخدم القضية الفلسطينية لأن أقصى ما قد يفعله بيانات استنكار

الديمقراطية في المغرب لمكانه الحزب القوية في المشهد السياسي.

ويقول حسن بويخف، المحلل السياسي: إنه من الخطأ الفظيع وضع تطبيع المغرب في نفس الخانة مع تطبيع الإمارات ومصر فيما يتعلق بالمشروع الاستئصالي «الإسرائيلي» الأمريكي ضد الإسلام السياسي وضد قضية فلسطين، ذلك أن الإسلاميين الآن جزء من جهاز الحكم في المغرب الذي لم يوقع اتفاق سلام مع «إسرائيل» يهم القضية الفلسطينية أيضاً، على غرار ما قامت به دول التحالف الإقليمي في المشرق العربي.

وحول اقتران «التطبيع» باعتراف الولايات المتحدة بسيادة المغرب على الصحراء جنوب المملكة، يقول إبراهيم الضعيف، لـ«المجتمع»: إن سكان الصحراء المغربية سئموا من وضعية «الانتظار» و«منطقة نزاع» و«اللاحرب واللاسلم» التي طبعت منطقة الصحراء لمدة 45 عاماً، وهي المنطقة التي تناهز في مساحتها ثلث مساحة المغرب تقريباً، ولوقف ذلك ووضع حد لابتزازات بعض الدول للمغرب ومساومته على صحرائه، اتجه المغرب رأساً لأهل الحل والعقد في السياسة الدولية وهي الولايات المتحدة الأمريكية، رغم الربط الفج لذلك مع إعادة فتح مكتب الاتصال المغربي «الإسرائيلي».

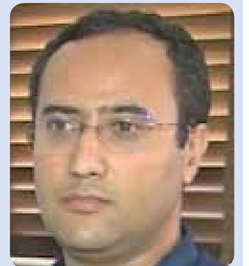
تداعيات تنظيمية

يؤكد المحللون السياسيون أن هذه الخطوة ستكون لها تداعيات مكلفة بالنسبة لحزب «العدالة والتنمية»، والأمر لن يقتصر على الكلفة في الجانب التنظيمي، كما يقول المحلل السياسي بلال التليدي؛ فمن المنتظر أن يتم الدعوة إلى مؤتمر استثنائي لمحاسبة القيادات الوطنية عن التدبير، أو فصل الحزب عن الحكومة، وإناطة تسيير الحزب برجل في التنظيم، بل قد تمتد أيضاً إلى العلاقة مع القواعد الطبيعية التي ارتبط بها لاعتبارات مرجعية وهوياتية، منها التعلق بالقضية الفلسطينية واعتبار الصراع وجودياً يقتضي دعم المقاومة وجبهة الممانعة.

من جهته، أكد الكاتب والصحفي يونس مسكين، لـ«المجتمع»، أن حزب «العدالة والتنمية» سيتحمل القسم الأكبر من عبء التبعات السياسية لخطوة استئناف العلاقات الرسمية بين المغرب و«إسرائيل»، أولاً لأنه يتولى رئاسة الحكومة، ثم وبشكل خاص بعدما تولى أمينه العام رئيس الحكومة سعد الدين العثماني مهمة توقيع الإعلان المشترك مع كل من كبير مستشاري الرئيس الأمريكي، ومستشار الأمن القومي لرئيس الوزراء «الإسرائيلي».

ويضيف مسكين أن خطوة إعادة العمل بمكتبي الاتصال بين المغرب و«إسرائيل» مرتبطة بالاعتراف الأمريكي بمغربية الصحراء، هو حجة مفيدة في تبرير وتفسير الخطوة بالنسبة للدولة، لكنها قد لا تكون كافية بالنسبة لحزب «العدالة والتنمية» في علاقته بقواعده وكتلته الناخبة.

ويؤكد أنه إذا كانت البراغماتية والتعاطي مع الضغوط الدولية بمثل هذه الخطوة أمراً يمكن تقبّله من طرف عموم المغاربة



مسكين:

ربط «التطبيع» بمغربية الصحراء حجة مفيدة للدولة لكنها ليست كافية لقواعد الحزب وكتلته الناخبة

بلكبير:



هناك جهات توظف «التطبيع» لتصفية حساباتها مع «العدالة والتنمية» لدفعه إلى الاستقالة

تجاه الدولة وتحديداً المؤسسة الملكية، فإن قواعد حزب «العدالة والتنمية» ترتبط به برابط أيديولوجي بالدرجة الأولى؛ أي المرجعية الإسلامية والموقف الذي يكاد يكون عاطفياً، وهو الموقف الرافض لأي تقارب مع «إسرائيل».

ويوضح المتحدث ذاته أن الأمر ستكون له تداعيات واضحة على الكتلة الناخبة، سواء منها التي تصوّت بانتظام لحساب حزب «العدالة والتنمية»، أو التي تميل إليه من باب الشعور بقربه إلى مشاعرها الدينية، ولا شك أن المحطة الانتخابية المقبلة ستحمل فاتورة لا مفر للحزب من دفع كلفتها، بغض النظر عن التبرير الذي يمكن أن تقدمه قيادات الحزب.

خروج إلى المعارضة

كثيرون يرون أنه من الواجب أن يخرج الحزب إلى المعارضة بدل تقديم التنازلات الواحدة تلو الأخرى، لكن المحلل السياسي حسن بويخف يؤكد، في تصريح لـ«المجتمع»، أن الخروج إلى المعارضة لا يخدم القضية الفلسطينية؛ لأن أقصى ما قد يعطيها بيانات تنديد واستنكار، وأن الذي سيفيد القضية الفلسطينية هو التموقع في مراكز القرار، إن لم يكن لوقف «التطبيع»، فليكن لمنع توسعه ولإبطائه على أقل تقدير.

إن واجب الوقت يفرض على الإسلاميين في المغرب، كما في كل مكان، أن يبلوروا إستراتيجيات ذكية لمواجهة «التطبيع»، وأن يدركوا أن «التطبيع» لا يواجَه بالمواقف والبلاغات مهما كانت قوية وراديكالية، إستراتيجية مواجهته تبدأ بتقوية علاقة الإسلاميين بدولهم، وكسب ثقتها، وتقويتها أمام الضغوطات والإغراءات الخارجية القوية.■

عرض كتاب

حرب الشفق

خفايا ثلاثين عاماً من الصراع الأمريكي - الإيراني

عرض - محمود المنير:

هذا الكتاب:

منذ الثورة الإيرانية الإسلامية عام 1979م والولايات المتحدة وإيران تخوضان حرباً خفية، بطلتاها وكالتا الاستخبارات الأمريكية والإيرانية، وقد شملت هذه الحرب حملات تجسس وعمليات سرية وأخرى عسكرية، وتمكّنت من إرباك كبار الرؤساء الأمريكيين، وهددَّت بإدخال البلدين في حروب مفتوحة.

يتناول «كريست»، في كتابه هذا، الصراع الإيراني الأمريكي خلال العقود الثلاثة الأخيرة، مركّزاً على البُعد العسكري للصراع في فترة حكم ستة رؤساء أمريكيين، هم: جيمي كارتر، ورونالد ريجان، وجورج بوش الأب، وبيل كلينتون، وجورج بوش الابن، وباراك أوباما.

- فماذا، مثلاً، عن مفاوضات إيران وأمريكا السرية بعد أحداث 11 سبتمبر؟

- وما الذي دفع السلطات الأمريكية إلى السكوت عن تفجير مقرات المارينز في بيروت عام 1983م الذي أودى بحياة 241 جندياً أمريكياً؟

- وكيف تتعامل واشنطن مع إيران فيما يتعلق ببرنامجها النووي؟

- وما الدور التفصيلي لإيران في لبنان منذ بداية الثمانينيات؟

قيمة الكتاب الوثائقية:

ما يميز كتاب «كريست» -وهو العسكري السابق الذي خدم في العراق وأفغانستان- أنه يلقي الضوء على البُعد العسكري للصراع، مستفيداً بذلك من علاقاته وعلاقات والده من قبله بالنخبة العسكرية الأمريكية، فقدَّم في كتابه جهداً بحثياً استنزف فيه جميع المعلومات المتاحة والمصادر المتوافرة،

بيانات الكتاب:

عنوان الكتاب: حربِ الشفق.. خفايا ثلاثين عاماً من الصراع الأمريكي - الإيراني.
المؤلف: ديفيد كريست.
الناشر: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر.
سنة النشر: الطبعة الأولى- 2016م.
ترجمة: رجاء شلبي.
عدد صفحات الكتاب: 638 من القطع الكبير.

التي قدمها في 600 صفحة، تفاصيلها مرهقة أحياناً، وحاول خلالها توثيق العلاقة الأمريكية - الإيرانية منذ اندلاع الثورة في طهران في العام 1979م على نحو غير مسبوق، كاشفاً طبيعة الصراع بين البلدين.

غطى «كريست» في كتابه فترة حكم ستة رؤساء أمريكيين، كما أسلفنا، مع تفاوت في طبيعة المعلومات الواردة في كل حقبة زمنية ونوعية المعلومات التي يقدمها عن كل فترة، فالكتاب ثري بالمعلومات والمصادر والوثائق، ومصادرها معروفة حتى فترة الرئيس كلينتون، ولكن بعد ذلك، تتحول إلى مصادر سياسية مبهمة، على الأرجح تتحدث لا للتاريخ وإنما لأهداف سياسية.



خيوط الصراع

يعرض «كريست» في كتابه خيوط الصراع بين البلدين على مختلف المستويات، ويتعرض لموضوعات مهمة وسرية، حيث استغرق الكتاب عشرين عاماً من البحث بحسب مؤلفه، الذي استند إلى عدة شهادات من المشاركين في البلدين، مازجاً شهاداتهم بخبرته كعسكري سابق، والكتاب يناقش الحسابات الخطأ والمناقشات المريرة والخسائر الفادحة والخيانة.

ويقدم الكثير من التفاصيل عن صفقة «إيران كونترا» التي تمت بين الإدارة الأمريكية برئاسة رونالد ريجان والإيرانيين، بعدما بدأت الحرب مع العراق، حيث حصل الجيش الإيراني على سلاح أمريكي متطوّر في مقابل مساعدة طهران على تحرير رهائن أمريكيين في بيروت.

ويشير «كريست» إلى أن الاستخبارات الأمريكية لم تكن



بذاك المستوى الكبير من الخوف من نوايا النظام الإيراني الجديد، مقارنة بما حصل بعد فترة من نجاح الثورة الإيرانية، فيتحدث في هذا الصدد عن معلومات مرّرتها «CIA» لأجهزة الأمن الإيراني أدت إلى إلقاء القبض على جواسيس يعملون لصالح الاتحاد السوفييتي، بعضهم أعضاء في حزب «تودة» الموالي لموسكو آنذاك، وذلك بعدما فرّ ضابط كبير في الاستخبارات الروسية المتمركزة في طهران يُدعى فلاديمير كوزيشكين إلى بريطانيا حاملاً معه كنزاً دفيناً من وثائق تتعلّق بعمليات تجسس سوفييتية، بحسب رواية «كريست».

ويقول: مع الوقت، بدأ الأمريكيون يتلمّسون مشاعر الإيرانيين السلبية تجاههم، وذلك بسبب العلاقة التاريخية بين الشاه والبيت الأبيض، هكذا قرّر الأمريكيون العمل على إنشاء شبكات تجسسية داخل إيران لاسترجاع فعالية دورهم في هذا البلد.

ويروي «كريست» كيف أن الكثير من أموال دافعي الضرائب في الولايات المتحدة تم إنفاقها من دون أن تحقق أي خرق استخباراتي حقيقي داخل الجيش الإيراني، لافتاً إلى أنه حتى الصفوف المتدنية التي تمكّنت «CIA» من اختراقها نجحت الأجهزة الإيرانية لاحقاً بالتعامل معها؛ مما دفع الأمريكيين للشعور باليأس.

ويشرح كيف كان لقرار واشنطن باستقبال الشاه الإيراني للعلاج من مرض خبيث أثرٌ كبيرٌ ضاعَف من عداء الإيرانيين للولايات المتحدة.

كذلك يشير «كريست» إلى درجة التعاون الذي بلغها الأمريكيون والعراقيون من أجل هزيمة طهران في الحرب التي استمرّت ثماني سنوات، ويلفت الانتباه إلى أن واشنطن مرّرت لبغداد حينها الكثير من صور الأقمار الاصطناعية التي تكشف تحرّكات الجيش الإيراني، مما مكّن الجيش العراقي من صد هجمات كلّفت الإيرانيين خسائر بشرية ضخمة.

المواجهة في العراق

في حين يشير «كريست» إلى نجاح ما حققه التعاون الإيراني – الأمريكي في أفغانستان، أثناء العمل على قيام نظام جديد يحلّ محلّ نظام «طالبان»، فقد تحدث عن تفاصيل المواجهة الكبيرة التي دارت بين الطرفين في العراق بعد اجتياح عام 2003م.

وفي حين راهن الأمريكيون على أن يقف المزاج الشعبي العراقي إلى جانبهم بعدما أسقطوا نظام صدام حسين، انكبّ الإيرانيون على العمل الميداني، من خلال دعم علاقاتهم المتنوعة مع العراقيين، وبدؤوا بمساعدة الكثير من الفصائل التي قررت قتال الاحتلال الأمريكي؛ مما منح إيران أفضلية كبيرة على الولايات المتحدة في الساحة العراقية، وذلك بالرغم من كل الجهود الأمريكية التي هدفت في مراحل لاحقة إلى القضاء على تلك الجماعات التي نسجت علاقات متينة مع حليفها الإيراني.

وبحسب «كريست»، فإن إدارة الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن راهنت على أن نجاح التجربة الديمقراطية في العراق بعد سقوط نظام صدام حسين سيؤدي إلى ارتدادات كبيرة في الداخل الإيراني الذي سيُطالب بالوصول إلى وضع مشابه في بلاده، على اعتبار أن النظرة الأمريكية للواقع الإيراني تزعم غياب الديمقراطية عن الإيرانيين بشكل كامل، لكن تطوّر الوضع الميداني في العراق ووصوله إلى درجة سلبية جداً بالنسبة للحسابات الأمريكية، وشدة تركيز الحرس الثوري الإيراني على عمله داخل العراق كشف عن مدى عدم صوابية الرؤية الأمريكية لواقع ذاك البلد.

يلقي الضوء على البُعد العسكري للصراع مستفيداً من علاقات مؤلفه ووالده بالنخبة العسكرية الأمريكية

يقدِّم الكثير من التفاصيل عن صفقة «إيران كونترا» التي تمت بين الإدارة الأمريكية برئاسة «ريجان» والإيرانيين

ويقدم «كريست» الكثير من التفاصيل عن صفقة «إيران كونترا» التي تمت بين الإدارة الأمريكية برئاسة رونالد ريجان والإيرانيين، بعدما بدأت الحرب مع العراق، بحيث حصل الجيش الإيراني على سلاح أمريكي متطوّر في مقابل مساعدة طهران على تحرير رهائن أمريكيين في بيروت.

ويشرح كيف تلاعب أحد الوسطاء بالإدارة الأمريكية، هو منوشهر غربانيفار، الذي قيل لاحقاً: إن له علاقات مع «الموساد الإسرائيلي»، وكيف تمكّن الحرس الثوري الإيراني من الحصول عبر تلك الصفقات على مئات من صواريخ «تاو»، تم استخدامها لاحقاً ضد البحرية الأمريكية في الخليج العربي.

ويسلّط الضوء على الضربة التي وجهتها صفقات «إيران كونترا» للعلاقات بين واشنطن والعواصم الخليجية الحليفة لها، بالإضافة إلى عواصم أوروبية أيضاً، فقد ظهر أن الولايات المتحدة التي فرضت عقوبات على دول تهرّب الأسلحة إلى الإيرانيين، تقدّم لهم الأسلحة المتطورة على طبق من فضة، بحسب الكاتب.

حرب ناقلات النفط بالخليج

كما يستعرض «كريست» العديد من تفاصيل حرب ناقلات النفط في الخليج خلال سنوات الحرب الإيرانية – العراقية، فبعد أن بادرت الطائرات العراقية إلى ضرب ناقلات النفط الإيرانية؛ مما سبب الكثير من الضرر الاقتصادي لطهران، راح الحرس الثوري يستهدف بما أمكنه ناقلات النفط العراقية، بالإضافة إلى ناقلات نفط الدول التي كانت تدعم صدام حسين في الحرب، وخاصة الكويتية والسعودية منها.

ويروي كيف نجحت الألغام الإيرانية بإحداث أذى حقيقي لتلك الناقلات، وعرقلت تجارة النفط؛ وهو ما دفع بالحكومات الخليجية إلى طلب حماية البحرية الأمريكية لتحرّك ناقلات نفطها، لكن أثر الألغام الإيرانية لم يتوقف عند ناقلات النفط، لكن استهدف السفن الحربية الأمريكية، وأدّى في إحدى المرّات إلى تدمير إحدى أكبرها وتكبيد طاقمها خسائر كبيرة.

يؤكد «كريست» أنه بالرغم من الحقيقة التي ظهرت بسرعة لاحقاً بأنه تم استهداف طائرة مدنية إيرانية لا طائرة حربية، فإن الضابط الأمريكي الذي أمر بإطلاق صاروخ

أرض – جو قد تمّت ترقيته على عمله هذا.

ويرى، بحسب المعلومات التي توافرت لديه، أن هذا «الخطأ» الأمريكي كان له الأثر الحاسم بدفع النظام الإيراني لقبول وقف إطلاق نار بأقرب وقت، بعدما فهمت طهران ما حصل على أنه قرار أمريكي نهائي بفرض حصار جوي على إيران، وأن ما حدث يمكن أن يتكرر في أي لحظة ويودي مجدداً بحياة مئات الإيرانيين.

ويشرح «كريست» كيف ضاعف قرار واشنطن باستقبال الشاه الإيراني للعلاج عداء الإيرانيين للولايات المتحدة مع الوقت؛ حيث بدأ الأمريكيون يتلمّسون مشاعر الإيرانيين السلبية تجاههم، وذلك بسبب العلاقة التاريخية بين الشاه والبيت الأبيض، هكذا قرّر الأمريكيون العمل على إنشاء شبكات تجسسية داخل إيران لاسترجاع فعالية دورهم في هذا البلد.

خلاصات الأفكار:

قدم كريست من خلال كتابه «حرب الشفق» جملة من الخلاصات لفهم العلاقات الأمريكية الإيرانية، من أهمها:

– أن أساس الخلاف الأمريكي الإيراني أقرب إلى سوء تفاهم بين البلدين منه إلى صراع مصالحي وعقائدي.

– حكام إيران يعتقدون أن واشنطن تحاول الإطاحة بنظامهم، مما يجبرهم على التحسب دوماً من نيات الأمريكيين، الذين لا يثقون بدورهم بأهداف الإيرانيين وينقسمون في طريقة التعامل معهم.

– منذ الثورة الإسلامية عام 1979م والولايات المتحدة وإيران تخوضان حرباً خفية شملت حملات موازية للتجسس وعمليات سرية وأخرى عسكرية، ورغم أن الأزمة حول برنامج طهران النووي قد أشعلت عدم الثقة المتجذرة بين الحكومتين، فإن هذه فقط إحدى القضايا الكثيرة المسببة للخلاف بينهما.

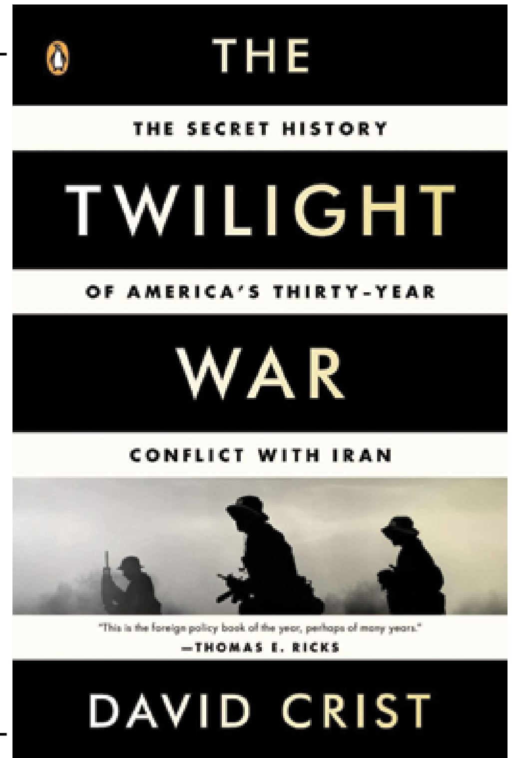
– يرى المؤلف أنه حتى لو تمكن الطرفان (الأمريكي – الإيراني) من حسم المشكلة النووية دبلوماسياً، فإن الحرب الأمريكية الكبرى القادمة ستكون على الأرجح ضد إيران.

– يُعتبر تاريخ العلاقات بين الولايات المتحدة وإيران إحدى الفرص الضائعة، حيث عندما كان أحد الطرفين مستعداً للتقارب لم يكن الآخر متحفزاً لذلك، والعكس بالعكس، وفي مناسبات عدة عرض محاورون إيرانيون ما ظنه البعض في واشنطن بأنه «صفقات كبرى» إلا أن مبادرات كهذه كانت هي أصل الريبة.

– يعتقد المؤلف أن الولايات المتحدة قد تلكأت وبشكل ثابت في وجه العدوان الإيراني، فتفجير ثكنات بيروت عام 1983م، والهجوم على «أبراج الخُبَر» في عام 1996م، واستخدام الجماعات الوكيلة لإيران لتقويض الجهود الأمريكية في العراق، ومحاولة اغتيال السفير السعودي لدى واشنطن، جميعها ووجهت بردود غير كافية.

– تحولت سياسة باراك أوباما خلال السنوات الثلاث الأولى التي قضاها في منصبه من التفاؤل المفعم بالأمل واليد الممدودة إلى عقوبات اقتصادية قاسية واستعدادات للحرب بسبب سلوك إيران السياسي وسياستها العدائية في المنطقة.

– يخلص «كريست» إلى أن مشكلة إيران ما زالت ثابتة بالنسبة للسياسة الأمريكية، وأنه كلّما حاول فريق ما أن يتقرّب من الآخر، سبق البارود الجميع ليبقى هو سيّد الموقف، هكذا لم تسهم 30 سنة من الصراع الأمريكي – الإيراني في تحسين العلاقات بين الطرفين حتى اليوم.■



إدارة «بوش» الابن راهنت على أن نجاح التجربة الديمقراطية بالعراق بعد «صدام» سيؤدي إلى ارتدادات كبيرة داخل إيران

أساس الخلاف الأمريكي الإيراني أقرب إلى سوء تفاهم بين البلدين منه إلى صراع مصالحي وعقائدي

نبذة عن المؤلف



«ديفيد كريست» مؤرخ يعمل مع الحكومة الأمريكية، وهو مستشار خاص في شؤون الشرق الأوسط لكبار مسؤولي الحكومة الأمريكية، حائز على دكتوراه في تاريخ الشرق الأوسط من جامعة فلوريدان، شهد شخصياً في سياق عمله كضابط في قوات المشاة البحرية حروباً عديدة، منها الحرب على تنظيم «القاعدة» والمواجهات الأمريكية ضد إيران.



حوار- مازن المصري:

الشيخ محمد الصغير مستشار وزير الأوقاف المصري الأسبق لـ«المجتمع»:

هناك تأصيل فقهي وتاريخي لمقاطعة الأعداء باعتبارها نوعاً من الجهاد

ثمّن الشيخ محمد الصغير، مستشار وزير الأوقـاف المصري الأسبق، عضو الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، في حـواره مع «المجتمع»، وقفة الشعوب الإسلامية من الإساءة للرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، وهبّتها لنصرته وتفعيل سلاح المقاطعة ضد فرنسا، كما أثنى على وقفة الشعب الكويتي تحديداً؛ حكومة وشعباً، باعتباره من أوائل الشعوب التي فعّلت المقاطعة.

وفي هذا السياق، تطرق الشيخ الصغير إلى فقه المقاطعة؛ حيث رأى أن مقاطعة المستهزئ بديننا والداعم للسخرية من نبينا هو أضعف الإيمان، فهو سلاح الامتناع والترك، ونجاحه في الاستمرارية والصبر.

● **كيف ترى سلاح المقاطعة؟**

- استخدام سلاح المقاطعة ليس خاصاً بأمة دون أخرى، بل استخدمته شعوب مختلفة قديماً وحديثاً لتحقيق أهداف معينة، وغالباً ما تكللت جهود المقاطعين بالنجاح.

● **هل هنـاك تأصيل دينـي للمقاطعة وفتاوى تاريخية في هذا السياق؟**

- أول فتوى صدرت في وجوب مقاطعة الأعداء تحدث عنها الإمام القرافي المالكي في «الـذخيـرة»؛ حيث ذكر أن الطرطوشي صنّف كتاباً في تحريم جبن الروم (نشرته دار الغرب الإسلامي)، وجاء في «الديباج» لابن فرحون أن «الطرطوشـي حرم الجبن الذي يأتي به النصارى».

كيف يكون هناك حوار بين الحضارات وتعايش بين أصحاب الديانات المختلفة وأنت تسخر من أقدس المقدسات؟!

● **ما التأصيل الديني لهذا الأمر؟**

- من ثوابت الشريعة قول النبي صلى الله عليه وسلم: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان».

ومقـاطـعـة المستـهـزئ بـديـنـنـا والـداعـم للسخرية من نبينا هو أضعف الإيمـان، إنه سـلاح الامتنـاع والـتـرك، الـذي نجاحه في الاستمرارية والصبر، وهو أقل القليل الذي نقدمه لإمام المرسلين عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم؛ ﴿وَلاَ تَهِنُواْ فِي ابْتِغَاء الْقَوْمِ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللّهِ مَا لاَ يَرْجُونَ وَكَانَ اللّهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾ (النساء: 104).

● **هل هناك نمـاذج في السُّنة والسيرة تؤكد ما سبق؟**

- بالتأكيد؛ فـأول مـن اسـتـخـدم سـلاح المقاطعة في الإسلام ثمامة بن أثال سيد بني حنيفة، رضي الله عنه، عندما قال لقريش وهو يؤدي العمرة بعد إسلامه: «والله لا تأتيكم حبة حنطة حتى يأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم»، والقصة بتمامها في صحيح البخاري، وعلق عليها ابن حجر بأن قريشاً لم تجد بداً من مخاطبة رسول الله في أمر ثمامة بما لهم من رحم لرفع الحصار عنهم، واستجاب لهم عليه الصلاة والسلام.

● **مـاذا عـن أول فتوى بمقاطعة فرنسا تجارياً؟**

- أول فتوى في وجوب مقاطعة بضائع فرنسا صدرت عام 1898م عن الشيخ محمد المكّي بـن عـزّوز، أحـد كبـار علماء تونس، دعا فيها إلى المقاطعة الاقتصادية للمحتل الفرنسي، ذكر ذلك علي رضا الحسيني في كتاب «محمّد المكّي بن عزّوز.. حياته وآثاره».

كذلك فتوى الشيخ عبدالرحمن السعدي: «ومن أعظم الجهاد وأنفعه السعي في تسهيل اقتصاديات المسلمين والتوسعة عليهم في غذائياتهم الـضـروريـة والكمالية، وتوسيع مكاسبهم وتجاراتهـم وأعمالهم وعمالهم، كما أن مـن أنفع الجهـاد وأعظمه مقاطعة الأعداء في الصادرات والواردات، فلا يسمح لـوارداتـهـم وتجاراتـهـم ولا تفتح لها أسـواق المسلمين، ولا يمكنون من جلبها إلـى بلاد المسلمين؛ بل يستغني المسلمون بما عندهم من منتوج بلادهم، ويأخذون ما يحتاجونه من البلاد المسالمة، وكذلك لا تصدر لهم منتوجات بلاد المسلمين ولا بضائعهم».

● **وماذا عن استخدام المسلمين للمقاطعة**

ضد فرنسا تحديداً بعد الإساءة لرسولنا الكريم؟

– مع إصرار فرنسا على الإساءة إلى مقام النبي المكرم، وغياب رد الفعل الرسمي، لجأ المسلمون إلى سلاح المقاطعة الذي ظهر تأثيره سريعاً؛ مما جعل وزير الخارجية الفرنسي يزور بعض العواصم العربية طالباً إيقاف مقاطعة منتجات بلاده.

لكن حلفاء الرئيس الفرنسي «إيمانويل ماكرون» ورعايا الفرنكوفونية من أبناء جلدتنا الذين يتحدثون بألسنتهم، أخذوا على عاتقهم إفشال الحملة بالتشكيك في جدواها، ولما فشلوا عمدوا إلى ضرب الأساس الذي تقوم عليه، وهو مدى مشروعية هذه المقاطعة دينياً، وحكمها من الناحية الشرعية، مع أن الأمر قديم وكتبت فيه مؤلفات، وسجلت فيه رسائل علمية في الجامعات.

● كيف ترى وقفة الشعوب ضد هذه الإساءة وتفعيل سلاح المقاطعة؟

– هذه واقعة مهمة وقوية من الأمة الإسلامية وشعوبها، وجاءت –كما ذكرنا– رادعة لـ«ماكرون» وفرنسا في تبجحهم، ومحاولة تبرير الإساءة بالحرص على حرية التعبير، وهو ما ليس في موضعه على الإطلاق.

● كيف ترى وقفة الشعب الكويتي تحديداً باعتباره كان أول من فعّل المقاطعة؟

– هذا موقف يحسب للشعب الكويتي الشقيق الذي أخذ زمام المبادرة، وكان أول من فعَّلها بقوة وحماس؛ ولم يقف الأمر عند الشعب الكويتي، بل امتدت المقاطعة أيضاً للجانب الرسمي الكويتي، ممثلاً في البرلمان وأعضائه، وهذا شيء طيب.

● لماذا تظهر قضية الرسوم المسيئة من آن لآخر بأوروبا بشكل عام؟

– قضية الرسوم المسيئة تظهر من حين لآخر بأوروبا لاستفزاز المسلمين، ولو وجهوا ما يبذل في هذه الحملات لشيء نافع آخر لكان أفضل لهم، ونحن نتساءل: كيف يكون هناك حوار بين الحضارات وتعايش بين أصحاب الديانات المختلفة وأنت تسخر من أقدس المقدسات؟! وهو ما أصَّله الله تبارك وتعالى بالنهي عن السخرية أو التعرض لغير المسلمين بآلهتهم ومعبوداتهم ومعتقداتهم، وبالتالي في المقابل نحن لا نقبل بهذه الإساءة.

● هل مطالب فرنسا بإنهاء المقاطعة سوف تتم الاستجابة لها؟

– فرنسا أعلنت انزعاجها من المقاطعة بعجرفة وغرور دون أن تعتذر، وهذا أعطى المقاطعة حيوية وزخماً، وعدم الاستجابة لمطالب «ماكرون» بوقفها، وجعل الكثير ينضمون إليها؛ وهو ما جعل «ماكرون» يظهر على قناة «الجزيرة» الفضائية، ولكن كان حواره معها ملتوياً دون الاعتذار الصريح، ووقع في شر عمله ولم يقتنع أحد بكلامه، وهو ما زاد من أسباب المقاطعة.

● ننتقل إلى ملف العالم الإسلامي، كيف ترى واقعه الآن؟

– واقع العالم الإسلامي والأمة الإسلامية الآن ليس في أسوأ أحواله، ولكن بدأت تدب فيه الحياة وينتصر في أكبر معركة وهي معركة الوعي، وتسقط أقنعة لأدباء ومفكرين، ودول تتآمر على الأمة وهويتها، خاصة أن وسائل الإعلام أصبحت الكلمة العليا فيها للشعوب عبر وسائل التواصل الاجتماعي؛ حيث استطاعت أن يكون لها تأثير أكبر وتوضح كثيراً من الحقائق وتُظهر الكثير من الاضطهاد



العالم الإسلامي ليس بأسوأ حالاته وبدأت تدب به الحياة وينتصر في أكبر معركة وهي الوعي

الإسلام الدين الوحيد الذي لا ترعاه دولة لكنه دين الفطرة وينتشر ذاتياً

المنظمات الإسلامية تدين لمن يموّلها واتحاد علماء المسلمين يعاني بعض المشكلات

للمسلمين، كما هي الحال بفلسطين وبورما والصين.

وهناك موجة من الصعود على مستوى الدول، مثل تركيا وتونس وماليزيا، وهناك قدرة على أن تستعيد دول أخرى قوتها، ونأمل أن تتسع الدائرة وأن تكون الجولة القادمة للشعوب، وعندما تتحقق الحرية ستكون الشعوب هي المستفيد الأكبر من هذه الحرية.

● ماذا عن الأقليات الإسلامية؟

– في تقديري، لم تعد أقليات، بل أصبحت جاليات، ودليل ذلك ما نراه من تأثير الصوت الإسلامي في انتخابات فرنسا، وأيضاً تأثير الصوت الإسلامي لصالح «جو بايدن» بانتخابات الرئاسة الأمريكية، ولكن المشكلة أن الإسلام هو الدين الوحيد الذي لا ترعاه دولة، ولكنه دين الفطرة، وينتشر بذاته، ولكن بعض الموروثات التي أخذها المسلمون معهم بدول المهجر هي التي تحول دون أن يكون لهم مكانة لائقة، ثم تأثير الحضارة الطاغي يجعل أبناء المسلمين في الجيل الثاني والثالث لا يحافظون على الإسلام كما حافظ عليه آباؤهم وأجدادهم.

● بمناسبة الحديث عن العالم الإسلامي والأقليات المسلمة.. ما تقييمكم لأداء المنظمات الإسلامية تجاه قضايا الأمة الكبرى، ومنها مثلا قضية القدس؟

– أداؤها باهت تجاه القدس، وهي المحتلة وليس القدس فقط، فهي متأثرة بدول المقر أو التمويل، ولا تتحرك خطوة إلا بدعم الدول الراعية أو الداعمة، وليس لها موقف يُذكر أو ينشر تجاه هذه القضية العادلة والمقدسة.

● وماذا عن «الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين»؟

– «الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين» مؤسسة وهيئة علمائية ولا تتبع دولة بعينها، وإنما هي مؤسسة لعلماء المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، لكنها تعاني بعض المشكلات، مثل عدم وجود دعم كاف، بالإضافة إلى محاربة بعض الدول الإسلامية والعربية لها، وكل ما فيه من العلماء على قوائم إرهاب بعض الدول، هذا كله يحد من دوره ولا يسمح له أن يقوم بدوره كما ينبغي.

أيضاً هناك بالاتحاد من يمثل دولته ووجهة نظرها، ويحاول أن يؤثر على قرارات الاتحاد وعلى اتجاهاته، بما يتناسب مع الدولة التي ينتمي لها أو يقيم فيها، وهذا شيء مؤسف بالطبع.■

مقـال



د. يوسف السند
إمام وخطيب بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت

العبر والفوائد التربوية من «ترتيب المدارك وتقريب المسالك» طبقات المالكية

محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه

هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هشام بن عبدالمطلب ابن عبد مناف بن قصي، وأمه أزدية.

ولد بالشام بغزة، وقيل باليمن، سنة خمسين ومائة، وحمل إلى مكة فسكنها، وتردد بالحجاز والعراق وغيرهما، ثم قدم مصر فاستوطنها.

روى عنه أحمد بن حنبل، والحميدي، وأبو الطاهر بن السراج، وحرملة بن يحيى، والبويطي، والمزني..

ابتداء طلبه وحفظه:

قال الشافعي: كنت وأنا في الكتّاب أسمع المعلم يلقن الصبي فأحفظ ما يقول، ولم يكن عند أمي ما تعطي المعلم، وكنت يتيماً، وكان المعلم يرضى مني بأن أخلفه إذا قام، ولقد كانوا يكتبون، وقبل أن يفرغ المعلم من الإملاء حفظت جميع ذلك.

وفي رواية: فقال لي ذات يوم: ما يحل لي أن آخذ منك شيئاً؛ ثم لما خرجت من الكتّاب، كنت ألتقط الخزف وكرب النخل وأكتاف الجمال، فأكتب فيها الحديث..

قال: ثم خرجت من مكة فلزمت هذيلاً أتعلم كلامها، فبقيت فيهم سبع عشرة سنة، راحلاً برحلتهم، ونازلاً بنزولهم، فلما رجعت إلى مكة، جعلت أنشد الأشعار، وأذكر الأدب والأخبار وأيام العرب، فمر بي رجل من الزبيريين فقال لي: يا أبا عبدالله، عز عليَّ ألا يكون مع هذه الفصاحة والذكاء فقه، فتكون قد سدت أهل زمانك؛ فقلت: ومن بقي يقصد؟

فقال لي: هذا مالك سيد المسلمين يومئذ؛ فوقع في قلبي، وعمدت إلى «الموطأ» واستعرته، وحفظته في تسع ليال.

اقتداؤه بمالك:

وقال الشافعي: مالك بن أنس معلمي، وفي رواية أستاذي، ومنه تعلمت العلم، وإذا ذكر العلماء فمالك النجم، وما أحد أمنّ عليَّ من مالك وعنه أخذت العلم.

وقال: إنما أنا غلام من غلمان مالك؛ وقال: جعلت مالكاً حجة فيما بيني وبين الله.

ذكر ثناء العلماء عليه:

قال محمد بن عبدالحكم: قال لي أبي: الزم هذا الشيخ (يعني الشافعي)، فما رأيت أبصر منه بأصول العلم، أو قال: بأصول الفقه.

قال محمد: لولا الشافعي ما عرفت ما عرفت، وهو الذي علمني القياس، وكان صاحب سُنة وأثر وفضل وخير، مع لسان فصيح طويل، وعقل رصين صحيح.

وقال فيه ابن عيينة: هذا أفضل فتيان زمانه.. وكان ابن عيينة إذ جاءه شيء من التفسير والفتيا قال: سلوا هذا، يعني الشافعي.

وقال له مسلم بن خالد الزنجي شيخه، وهو شاب ابن خمس عشرة سنة، ويقال: ابن ثماني عشرة سنة: قد آن لك أن تفتي يا أبا عبدالله.

وقال يحيى بن سعيد القطان: إني لأدعو للشافعي في صلاتي لما أظهر من القول بما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقال أحمد بن حنبل: ما أحد يحمل محبرة من

أصحاب الحديث إلا وللشافعي عليه منة.

وقال: كنا نلعن أصحاب الرأي ويلعوننا حتى جاء الشافعي فمزج بيننا.

وقال: ما عرفت ناسخ الحديث من منسوخه حتى جالسته.

وقال ابن حنبل: كان الشافعي أفقه الناس في كتاب الله وسُنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وكان قليل الطلب للحديث.

وقال أحمد: كان الشافعي كالشمس للدنيا، والعافية للناس، فانظر هل لهذين من عوض؟

وقال إسحاق: الشافعي إمام.

وقال أبو عبيد: ما رأيت رجلاً قط أكمل من الشافعي.

وقال هارون: ما رأيت مثله، لو ناظر على أن هذا العمود الذي من حجارة أنه من خشب، لأثبت ذلك لقدرته على المناظرة.

وقال هلال بن العلا: الشافعي فتح أقفال العلم.

قال النسائي: وهو أحد العلماء، ثقة مأمون.

قال البويطي: إنما كان الشافعي يتبع أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فضائله:

انصرف الشافعي من اليمن إلى مكة، ومعه عشرة آلاف دينار، فضرب خباء خارج مكة، وجاءه الناس، فما برح حتى فرقها كلها، فلما دخل مكة استسلف ما أنفق.

قال الربيع: ما أرى أتى عليه يوم إلا تصدق فيه، وكان في شهر رمضان كثير الصدقة بالثياب والدراهم، ويطعم الفقراء، وأصلح رجل زره فأعطاه ديناراً، واعتذر إليه، وناوله آخر سوطه، فأعطاه صرة دنانير، وقال: لم يحضرني غيرها.

قال الربيع: كان الشافعي يختم في كل ليلة ختمة، فإذا كان رمضان ختم في كل ليلة منه ختمة، وفي كل يوم ختمة.

وقال: وأفتى وهو ابن خمس عشرة سنة، وكان يحيي الليل حتى مات.

جمل من حكمه وآدابه:

قال الشافعي: من ولي القضاء ولم يفتقر فهو سارق، ومن حفظ القرآن نبل قدره، ومن تفقه عظمت قيمته، ومن حفظ الحديث قويت حجته، ومن حفظ العربية والشعر رق طبعه، ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه.

وقال: أحسن الاحتجاج ما أشرقت معانيه، وأحكمت مبانيه، وابتهجت له قلوب سامعيه.

وكان الشافعي كثيراً ما ينشد:

أهين لهم نفسي لأكرمها بهم
ولن يكرم النفس الذي لا يهينها

يريد: لمن يطلب العلم عنده.

وكانت وفاته بمصر يوم الخميس، وقيل ليلة الجمعة، منسلخ رجب سنة أربع ومائتين للهجرة(1).

العبر والفوائد الإيمانية والتربوية:

- اهتمام أهل العلم باللغة العربية؛ إذ هي المنطلق لكل العلوم.
- تحمّل العلماء وإهانة أنفسهم لمن يتعلمون منهم.
- السخاء والجود من صفات العلماء وسلوكهم.
- ثناء العالم على من تعلّم منه وعلّمه العلم.
- التزام العالم بخُلق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لدليل رسوخه في العلم.
- حرص طالب العلم على الكتابة والتدوين والحفظ بداية طلبه للعلم.
- حرص العالم الرباني على ختم القرآن وتلاوته.
- حكمة العالم في التأليف بين المدارس الشرعية والفكرية المختلفة، وما أحوجنا لمثل هذا السلوك والمسار للعالم.

والحمد لله رب العالمين.■

الهامش

(1) ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تأليف: القاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي المتوفى سنة 544هـ، الجزء الثالث، تحقيق: عبدالقادر الصّحراوي.

مقـال



د. أحمد عيسى

إدمان القمار.. جائحة ووباء

إن حكمة الإسلام بالغة في تحريم الميسر (القمار) الـذي شـاع في الجاهلية، وسماه رجساً من عمل الشيطان، ودعا الله سبحانه المؤمنين لاجتنابه ليفلحوا، وفـي السنوات الأخيرة صار إدمان القمار في العالم جائحة ووبـاء، تسقط ظلالها القاتمة على الأفراد والأسـر والمجتمعات، وفي زمن كورونا ومع بقاء الناس في بيوتهم، ارتفعت نسب إدمان المقامرة عن طريق الإنترنت.

نـرصـد فـي هـذا المـقـال مـا يـحـدث في بريطانيا، حيث يخسر المقامرون 14 مليار جنيه إسترليني سنوياً، وفي ازدياد، ويشترك 36 مليون بريطاني في أشكال قمار الإنترنت.

يقدر عدد المقامرين في بريطانيا بنصف عدد السكان البالغين، أمـا الـذيـن هـم في خطـورة الـوقـوع فـي إدمـان الـقـمـار فيقدر عـددهـم بمليـونـي شـخـص، أمـا المدمنـون فحوالي 400 ألف، منهم 55 ألف طفل بين 11 – 16 عاماً، ويكلف الإدمان على القمار الحكومة مبلغاً ضخماً يصل إلى 1.2 مليار سنوياً، وتصرف هذه الأموال على الأمراض الذهنية التي يسببها الإدمـان على القمار وعلى الاستـشـارات النفسية والاجتماعية للمدمنين[1].

تقول الجمعيات الخيرية التي تساعد المقامرين في حل مشكلاتهم: إن هذا العام كانت (هذه الجمعيات) من أكثر المؤسسات ازدحـامـاً؛ فعدد النساء اللواتي يبلّغن عن مشـكـلات المـقـامـرة ضعـف عـدد الـرجـال، وهناك هذا العام 75 ألف امرأة من المقامرات المدمنات يقضين ساعات طويلة في المراهنة على الإنترنت، تقول إحداهن وقد خسرت 100 ألف جنيه: إن القمار كان لها طبيعياً مثل التنفس[2].

إن إدمان القمار قد يودي بحياة المدمنين لتشابه آثـاره بـإدمـان المـخـدرات، ويسبب أضراراً اقتصادية ونفسية، وانعكاسات إدمان القمار على العلاقة الأسرية وانهيار الروابط الاجتماعية واحـدة مـن الأضــرار المتعددة التي تلحق مدمن القمار؛ كمشكلات الصحة العقلية، وفقدان العمل، والطلاق، والإفلاس والسجن.

وأظهرت دراسة علمية وجود تشابه بين النشاط الذهني لدى الأشخاص المفرطين في لعب القمار ومدمني المخدرات، وتثبت النتائج أن المقامرة نوع من الإدمان[3]، ولعل ذلك من حكمة ربط الخمر بالميسر في القرآن كما يقول صاحب «المنار»: «ويشترك الميسر مع الخمر في أن متعاطيهما قلما يقدر على تركهما والسلامة من بلائهما»[4].

إنهم يخسرون أموالهم وأنفسهم، حيث ينتحر ما يصل إلى 650 شخصاً كل عام في بريطانيا نتيجة إدمان القمار[5]، وقد انتحر هـذا الـعـام شـاب (25 عـامـاً) مـن شيفيلد بعد أن خسر 30 ألف جنيه إسترليني في القمار[6]، ومنذ سنتين انتحر شاب آخر (24 عاماً) بعد أن أدمن القمار منذ أن كان في المدرسة الثانوية[7]، وأقدمت بريطانية من ليدز (32 عاماً) على الانتحار بعد أن خسرت 44 ألف جنيه بسبب إدمانها للقمار، وقالت الأم: إنها باعت منزلها، وأعطت لابنتها ما تسدد به ديون القمار، لكنها لم تسددها، بل خسرت المبلغ كله في المقامرة في غضون أسبوعين، وأصبحت الأم بلا مأوى[8].

وفي بريطانيا، واحد من كل عشرة أطفال يعترفون بالمقامرة بأموالهم الخاصة، وسط مخاوف من انزلاق الآلاف من العائلات في «موجة مد وجزر من البؤس»، وأكثر من ثلث الأطفال راهـنـوا فـي الـعـام المـاضـي، وألقى الخبراء باللوم على انتشار إعلانات المقامرة، خاصة في مجال الرياضة[9]، ولقد اتضح لي أن نصف أندية الـدوري الإنجليزي الممتاز لكرة القدم، و17 من بين 24 نادياً في الدوري الأول، كفيلهم هو شركات القمار، ويظهر إعلانهم في كل الملابس الرياضية التي تلعب بها المباريات، وعلى جوانب الملاعب[10].

إدمان القمار قد يودي بحياة المدمنين لتشابه آثاره مع إدمان المخدرات مسبباً أضراراً اقتصادية ونفسية كبيرة

36 مليون بريطاني يشتركون بأشكال قمار الإنترنت ويخسرون 14 مليار جنيه إسترليني سنوياً

عندما أعلن الرئيس الأمريكي «دونالد ترمب» عن اعترافه بالقدس عاصمة لدولة «إسرائيل» مستهتراً بقرارات الأمم المتحدة، برزت مشكلة بناء مبنى جديد للسفارة، فأعلن رجل الأعمال اليهودي وإمبراطور كازينوهات القمار في أمريكا وجزيرة ماكاو الصينية، الذي تقدر ثروته بأكثر من 34 مليار دولار «شيلدون أديلسون» عن استعداده لتحمل كلفة بناء المبنى التي تقدر بنحو نصف مليار دولار، ومنذ زواجه من امرأة إسرائيلية وهو يدعم «إسرائيل»، وأحزابها المتطرفة، ويبني المستوطنات[11]، والقمار محرم في الديانة اليهودية، ولكن حدث تحايل منهم كعادتهم، ففي أثناء حكومة «شارون» تم الترخيص للعب القمار داخل الطائرات المحلقة؛ فتقلع طائرة بوينج 3 مرات يومياً من تل أبيب لتحلق فوق البحر المتوسط[12]!

ولا تنحصر مشكلات القمار على الأمور المالية، بل تمتد لتلقي في المدمن صفات مذمومة من أجل الحصول على المال، فيقترض من أفراد العائلة أو الأصدقاء، ويمارس الكذب والاحتيال، وربما يلجأ إلى ارتكاب جرائم كبيرة، فقد سُجن زوج «بيكي» لسرقته 300 ألف جنيه إسترليني من العمل لتمويل إدمانه على القمار، وكانت حاملاً في شهرها الثامن عندما سُجن زوجها لثلاث سنوات، تقول: إنه لا يوجد دعم كاف للعائلات للتعامل مع هذه التداعيات[13].

وفي بانوراما بالتلفزيون البريطاني، قصت «أماندا» كيف خسرت أكثر من نصف مليون في المقامرة؛ حيث كانت كلما خسرت الكثير من المال عبر الإنترنت، عرضت عليها شركات القمار مكافآت نقدية مجانية لإغرائها لمواصلة اللعب، تقول: «إن ما فعلته بنفسي أمر مروع، أطفالي وضعوا أملهم فيَّ، وأنا نسفت ميراثهم»[14].

من القمار العصري

بناء على تعريف الميسر بأنه «كل مخاطرة يُعلَّق تمييز مستحق الغُنم، والملزم بالغرم، من جميع المشاركين فيها، على أمر تخفى عاقبته»، فمن أشكال القمار العصري: ما يسمى بألعاب الكازينو حضوراً أو بالإنترنت، وجوائز ترويج السلع، ومن سيربح المليون، واللوتري (اليانصيب)، والقمار في السباقات مثل سباق الخيول، والكلاب، وكرة القدم، والمضاربة في سوق الأسهم، ففي الغالب تعتمد على معاملات وهمية شكلية تقوم على الاحتمالات، ولا يترتب عليها أي مبادلات فعلية للسلع والخدمات.

وكذلك التسويق الإلكتروني القائم على الجوائز، والبيع عن طريق سحب الأرقام، ومسابقات الصحف والفضائيات، حيث يدور المشترك فيها الباذل للمال باتصال ونحوه بين الغنم والغرم، وجوائز السحب المرصودة للمشتركين إذا حملت الشركة المستهلك بتلك التكلفة، وكل لعب يتضمن مالاً يأخذه الغالب من المغلوب، انظر: التفاصيل الفقهية في موسوعة التفسير الموضوعي[15].

من أشكال القمار العصري الكازينو وجوائز ترويج السلع والمضاربات بسوق الأسهم ومسابقات الصحف والفضائيات

القمار شهوة آثمة تصد عن سبيل الله وتلتهم الوقت وتعوّد على الخمول وتعطل الأمة عن العمل

أما الحكمة من تحريم الإسلام للقمار، فمنها أنه:

1 – يجعل الإنسان يعتمد في كسبه على المصادفة، والأماني الفارغة، لا على كد اليمين، وعرق الجبين، والأسباب المشروعة.

2 – أداة لهدم البيوت العامرة، وفقد الأموال في الحرام، وافتقار الأسر الغنية، وإذلال النفوس العزيزة.

3 – يورث العداوة والبغضاء بين المتلاعبين بأكل الأموال بينهم بالباطل.

4 – يصد عن ذكر الله وعن الصلاة، ويدفع بالمتلاعبين إلى أسوأ الأخلاق، وأقبح العادات كشرب الخمور وتناول المخدرات.

5 – شهوة آثمة تلتهم الوقت والجهد، وتعوّد على الخمول والكسل، وتعطل الأمة عن العمل.

6 – يدفع صاحبه إلى الإجرام لأن المفلس يريد المال من أي طريق كان، ولو عن طريق السرقة أو الرشوة والاختلاس.

7 – يورث الإدمان على القمار القلق، والأمراض العصبية، وقد يؤدي إلى الإجرام أو الانتحار[16].

فلم يكن عبثاً أن يحرم الإسلام القمار ليحفظ دين المسلم ونفسه وماله وعرضه وعقله، فالحمد لله على نعمة الإسلام.■

الهوامش

1 –Gambling–related harm as a public health issue. Briefing paper for Local Authorities and local Public Health providers، February 2018، www.gamblingcommission.gov.uk

Also: Gambling participation in 2018: behaviour، awareness and attitudes –Annual report 2019

2 – ‘Gambling was as normal as breathing’ BBC. 28 November 2020.

3 – علماء يؤكدون الشبه بين القمار والإدمان على المخدرات، بي بي سي، 10 يناير 2005.

4 – تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ج2، ص267.

5 - Understanding the Gambling Industry and the Impact of Gambling, May 2018. https://www.gamblingwithlives.org/

6 - Sheffield family 'betrayed' over gambling death case. BBC. 27 May 2020.

7 - Jack Ritchie gambling death: Parents say government liable. BBC. 18 June 2019.

8 - Gambling addiction: Mum's hopes for new Leeds NHS service. BBC. 18 September 2019

9 - One in 10 children admit gambling with their own money. The Daily Mail. 9 November 2020

10 - Gambling in football: Bookmakers considering ban on shirt and pitchside advertising

BBC Sport .04 February 2020

11 – إمبراطور القمار يعرض بناء سفارة الولايات المتحدة في القدس، بي بي سي، 26 فبراير 2018.

12 – «إسرائيل» ترخص لنوادي القمار الطائرة، بي بي سي، 28 مايو 2002.

13 - ‘My husband stole £300,000 to fund his gambling habit’ BBC. 3 March 2020.

14 - BBC Panorama: Addicted to Gambling.12 August 2019.

15 – الميسر: موسوعة التفسير الموضوعي للقرآن الكريم https://modoee.com/

16 – الحكمة من تحريم القمار، موقع إسلام سؤال وجواب، بتصرف.

مقال

هل يتغير موقف الشعوب الغربية إذا عرفوا محمداً ﷺ؟



محمد إلهامي

باحث في التاريخ والحضارة الإسلامية

روى فايز الكندري، الأسير الكويتي المحرر من سجن جوانتانامو، في كتابه شديد الروعة «البلاء الشديد والميلاد الجديد»، أن أحد الجنود الأمريكيين في معسكر قندهار بدا أنه مثقف وذو أدب، حاول التعرف على الإسلام، فكان يستمع باهتمام بالغ إلى شرح أفكاره، ويتعامل باحترام كبير مع الأسرى، حتى إنه إذا أراد أن ينصرف ليستكمل جولته استأذن من الأسير في الانصراف! ولما رأى الرقيبُ العسكري هذا الجنديَّ واقفاً مع الأسرى، استدعاه إليه، ووبَّخه على ذلك، وهدده بالعقاب إذا رآه مرة أخرى في هذا الموقف.

انقلب الجندي بعدها إلى وحش، صار ناراً على الأسرى، أو بتعبير الكندري «رضي أن يكون آلة في هذه المنظومة الظالمة التي لا تراعي أبسط الحقوق الإنسانية، فألغى عقله في معرفة الحق والباطل والظلم والعدل، وألغى قلبه الذي يطالبه بأن يكون إنساناً يُعامل الآخرين بإنسانية»[1].

أتّخذُ هذه القصة مدخلاً للإجابة عن بعض استدراكات القراء التي وصلتني على المقال الماضي (كيف تتشكل صورة المسلمين في فرنسا؟)؛ إذ قُلْتُ بأن الشعوب الغربية ضحية للخطاب الإعلامي الكاذب عن المسلمين الذي تنتجه شبكات السلطة والنفوذ الغربية -كما عرضنا ذلك من خلال تجربة المستشرق الفرنسي المعاصر «فرنسوا بورجا»[2]- إلا أنه حتى إذا أتيح لبعضهم معرفة الحق فلن تكون مجرد المعرفة كافية لانتقاله من معسكر الغالبين إلى معسكر المغلوبين مُضَحِّياً في ذلك بامتيازاته وترفه ومتحملاً تكاليف معاكسة التيار.

ولهذا، فإن حملة مقاطعة المنتجات الفرنسية هي أقل ما يفعله المسلمون لاستعادة كرامتهم، إذ تلك هي الوسيلة التي يمكن أن تكون مؤلمة ومفيدة في تنبيه هؤلاء إلى خطورة النَّيْل من نبينا صلى الله عليه وسلم، وبها يضع المسلمون أنفسهم ضمن شبكة القوى وشبكة المصالح التي تؤثر على اختيارات هذه الشعوب.

لكن يبرز السؤال هنا: لماذا تكون معرفة الحق غير كافية وحدها لاتباعه عند أغلب الناس؟ ولماذا يرضى أغلب الناس بمخالفة الحق -بل ومحاربته- في سبيل منفعتهم الذاتية؟!

ذلك واحدٌ من الأسئلة التي كم هلكت فيها العقول وفاضت الكتب في محاولة الإجابة عنها، ولن يمكن أن نقدم الإجابة ولا أن نختصر ما قيل في هذا المقال، وإنما نهدف من هذه السطور القادمة إلى بيان أن الشعوب الغربية تهيمن عليها مناهج فكرية ونظم سياسية وُلِدت في مسارات تاريخية بعينها، تجعل من المستبعد أن يتغير موقف هذه الشعوب مهما اجتهدنا في إيصال الصورة الصحيحة لديننا ونبينا إليهم.

علم نفس الطاعة

من بين الفروع التي يدرسها علم النفس السياسي، فرع عن علم نفس الطاعة، وتبرز في هذا الفرع تجارب «ستانلي مليجرام» الشهيرة التي توصلت إلى أن 65% ينفذون ما يُطلب منهم فعله مهما كان هذا الطلب يؤذي الآخرين أو حتى يقتلهم.

تتضاعف نسبة الطاعة في حالات أخرى، من أهمها حين يكون الذي يُصدر الأمر جهة فوقية، فالاعتقاد في أن الذي يطلب أو يأمر أوسع علماً أو أكثر مالاً أو أرفع شأناً يجعل الطاعة تزداد، وأما إذا كان الآمر يمثل السلطة التي تملك الجزاء والعقاب، فنسبة الطاعة تزداد إلى حدودها القصوى، ولا يبقى إلا النادر الذي يفكر في التمرد أو يقوى على تنفيذه.

وأسفرت التجارب أن الإنسان وهو يقوم بهذا العمل غير الإنساني يُنْتِج مبرراته لنفسه، وهذه النقطة الخطيرة أشار إليها رئيس سابق لجهاز الاستخبارات الأمريكية -كما أورد ذلك «ستيفن جراي» في كتاب «أسياد الجاسوسية الجدد»- في درسه للمتدربين على قيادة شبكات التجسس، فقد أخبرهم أنه ليس من المُجْدي كثيراً بحث المداخل والدوافع لتجنيد العميل، بل يجب إيقاعه في الخيانة فعلاً، ثم سيتولى هو بنفسه إيجاد المبرر لنفسه[3].

كذلك تتضاعف نسبة الطاعة حين تكون المسافة بعيدة، فالذي يمارس القصف بالطائرة أو بالصاروخ لا يشاهد نتيجة عمله على الضحية، ومن ثَمَّ فلا يفكر في الرفض أو التمرد، بينما تزيد احتمالية التمرد لو أنه سيقتل بالسكِّين، وتكمن الفائدة العملية من هذه النتيجة في أن تقسيم الجريمة إلى مجموعة من الأعمال تجعلها أسهل عليهم جميعاً، فالذي يأمر بقصف المدنيين -مثلاً- لن يتألم لأنه لا يفعل أكثر من كتابة قرار، والذي يوصل القرار إلى الهيئة التنفيذية لن يشعر بأي ألم جراء مشاركته في هذه

مقاطعة المنتجات الفرنسية الوسيلة التي يمكن أن تكون مؤلمة للتنبيه لخطورة النَّيْل من نبينا

65% ينفذون ما يُطلب منهم فعله مهما كان هذا الطلب يؤذي الآخرين أو حتى يقتلهم

المذبحة، ومثله الذي يرتب خطة القصف، وكذلك الذي يشحن الطائرة بالصواريخ، وكذلك الطيار الذي يلقي القنبلة، وبطبيعة الحال لن يشعر بالألم كل الفريق العلمي والصناعي الذي أنتج القنبلة.

وتتضاعف نسبة الطاعة أيضاً حين تكون الضحية قد جرى تشويهها أو نزع الإنسانية عنها، مثلما يحدث في السجون -مثلاً- من إلغاء اسم السجين واستبدال رقم به، أو الحديث المتكرر عن غبائه أو عن خُبثه وخطورته.. إلخ! إن هذا يجعل عملية الإيذاء مبررة، بل وضرورية، إن لم تكن شيئاً مطلوباً ومرغوباً فيه لتخليص البشرية أو الوطن من عنصر الشرّ هذا أو على الأقل: لتجنب خطورته وخبثه!

ثلاثية التأثير

إذا جمعنا بين هذه الأمور الثلاثة: تأثير الجهة الفوقية والسلطة، وتأثير تقسيم العمل إلى أجزاء صغيرة، والتشويه المتكرر للعدو، وطبقناها على حالتنا هذه، فسنجد أنه من الصعوبة جداً أن يتغير موقف الشعوب الغربية من النبي صلى الله عليه وسلم ومن المسلمين؛ فنحن إزاء شبكة سلطوية قوية مُنْتِجة لصورة المسلمين في الغرب، تتمثل في نخبة متميزة من السياسيين والوزراء والمثقفين والأكاديميين والصحفيين وحتى المثلين، والكلمة من هؤلاء تجد طريقها بغير صعوبة إلى عقول عموم الناس هناك وقلوبهم، فليس من طبائع البشر أن يناقضوا قولاً يتفق عليه ويردده زعماؤهم وأعيانهم وكبارُهم.

ثم إنه ليس مطلوباً من عموم الناس هناك ارتكاب جرائم مباشرة ضد المسلمين، بل على العكس، ليس مطلوباً إلا الإبلاغ عمن يعتقدون أنه يمثل خطورة وتطرفاً، مع تقديم الدعم الاجتماعي لإجراءات الحكومة، وهو ما يكفي فيه مجرد السكوت والوقوف في مكان المتفرج الذي لن يرتكب شيئاً بيده، أما الأجهزة الحكومية التي ستنفذ قرارات السلطة، فإن العمل مقسَّم فيما بينها بحيث لن يشعر أحدٌ ما بنوع من ألم الضمير، لأنه مجرد منفذ لجزء صغير من سياسات كبرى هو لا يستوعبها ولا يعرف نتائجها على الضحية.

وحتى إذا شعر البعض بتأنيب الضمير، فإن الميراث الطويل من خطاب الكراهية الذي يتحدث عن الخطر الإسلامي صنع فعلاً حالة من الخوف المرضي من الإسلام (الإسلاموفوبيا)، وهذا الأمر يعمل كمُخَدِّر ومُنَوِّم للمشاعر المتعاطفة مع الضحايا، كما يعملُ كحافز ومثير للمشاعر المتضامنة مع الدولة والسلطة والأجهزة التي تنفذ واجبها في حماية المجتمع من الأخطار المحتملة!

وإذا افترضنا أن مواطناً صالحاً في فرنسا أو في غيرها من بلاد أوروبا كان يكتفي بموقع المتفرج، أو حتى تسيطر عليه عاطفة التضامن مع الضحايا، فإن هذا المواطن بمجرد أن يتولى وظيفة في الشرطة أو الجيش أو نحوها من الأجهزة التي تتولى هذه الحرب ضد المسلمين؛ الأغلب أن هذا المواطن يتحول تحولاً مفاجئاً إلى جندي مخلص في هذه الحرب، على ذات النحو الذي فعله الجندي الأمريكي الذي ذكرناه في بداية المقال.

فتلك هي نتيجة التجارب النفسية العديدة التي أجراها العديد من خبراء علم النفس الاجتماعي، وتناولها كثيرون مثل «سولومون آش»، و«ستانلي مليجرام»، و«فيليب زمباردو»، و«ديفيد باتريك هوتون»، و«باتريك بوكانان»، و«حنة أرندت»، و«زيجمونت باومان».. وغيرهم[4].

إن نسبة نادرة يمكنها أن تقاوم الحالة الاجتماعية السائدة، لا سيما في مجتمعات تهيمن عليها العلمانية والإلحاد، وتضمر فيها الهيمنة الأخلاقية، بحيث يمكن لأي عمل مهما كان وضيعاً أن يوجد له المبرر الذي يجعله ضرورة أو حتى يجعله مرغوباً فيه، وأندر منها نسبة الذين يقاومون السلطة أو يتمردون عليها، وهذا أمرٌ نلمحه في حديث النبي صلى الله عليه وسلم: «ليأتين عليكم أمراء يقربون شرار الناس، ويؤخرون الصلاة عن مواقيتها، فمن أدرك ذلك منكم فلا يكونن لهم عريفاً ولا شرطياً ولا جابياً ولا خازناً»[5]، فمما نتبينه من هذا الحديث أن مقاومة عنصر الجهاز الأمني أو العسكري أو المالي لأوامر السلطة الظالمة أمرٌ لا يكاد يُستطاع، فجاء النهي النبوي عن الدخول فيه من الأصل.

كان هذا كله عاملاً واحداً، وهو «علم نفس الطاعة» الذي يحمل الشعوب على أن تظل في مواقعها العدائية حتى وإن وصلت إليهم الصورة الصحيحة عن النبي وعن المسلمين، مع أن هذا افتراضٌ جدلي على سبيل التنزل، إذ كيف يمكن منافسة الشبكة السلطوية المهيمنة على شعب ما فضلاً عن التغلب عليها لإعادة تشكيل وعي الشعب؟!■


ستانلي مليجرام

نسبة نادرة يمكن أن تقاوم الحالة الاجتماعية السائدة خاصة بمجتمعات تهيمن عليها العلمانية والإلحاد

مقاومة أوامر السلطة الظالمة أمرٌ لا يكاد يُستطاع لذا جاء النهي النبوي عن الدخول فيها من الأصل



الهوامش

(1) فايز الكندري، البلاء الشديد والميلاد الجديد، ط1 (بيروت: جسور للنشر والترجمة، 2020م)، ص109، 110.

(2) محمد إلهامي، «كيف تتشكل صورة المسلمين في الغرب: خبرة مستشرق فرنسي»، مجلة المجتمع الكويتية، ديسمبر 2020م.

(3) ستيفن جراي، أسياد الجاسوسية الجدد، ترجمة: مركز التعريب والبرمجة، ط1 (بيروت: الدار العربية للعلوم، 2016م)، ص218.

(4) للمزيد، انظر: «الإذعان للسلطة» (Obedience to Authority) لستانلي مليجرام.

(5) رواه ابن حبان (4586) وغيره، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (360).

مقال

سياسة التشهير بالعلماء



محمد فتحي النادي



عقوبة التشهير بالعلماء استُخدمت باكراً في الدولة الإسلامية من قِبَل عمَّال بني أمية ضد المخالفين لهم

في العصر الحديث الإعلام هو الوسيلة المثلى للتشهير بالعلماء وبث الشائعات عنهم وتصيُّد الأخطاء لهم

العلماء ملوك القلوب، وهيبتهم في النفوس راسخة، ألقاها الله عليهم لما بذلوه من تنوير وتبصير وتعليم للخَلْق، وللخشية التي امتلأت بها قُلوبهم مِّن الله تعالى.

لكن الحكام لا يريدون أن يشاركهم أحد عند العامة؛ لأنه إن شاركهم أحد عند العامة كانت سلطتهم منقوصة؛ فهم يريدون أن يكون الأمر أمرهم والرأي رأيهم، لكن أن يرى غيرهم رأياً غير رأيهم ويحرِّض العامة عليهم، أو على الأقل يرى العامة اعتراضه فيستنُّون بسُنته، فهذا مدعاة لخوفهم على مُلكهم وسلطانهم.

ولقد تفنن أهل الحكم والنفوذ في إنزال العقوبات بمخالفيهم من العلماء؛ لكسر نفوسهم، ولردهم عن آرائهم ومواقفهم التي يخالفون فيها الحكام، التي قد تكون سبباً في تأليب الرأي العام عليهم، أو إيجاد بؤر معارضة هم في غنى عنها.

وهذه العقوبات تتفاوت في درجاتها؛ فمنها ما هو شديد قاس قد يصل إلى حد إتلاف الأجساد وإزهاق الأرواح، ومنها ما هو دون ذلك، وإن كان داخلاً في حد التضييق أو الإقصاء أو التهميش.

ومقدار العقوبة يتوقف على تقديرهم لحجم المخالفة التي يرون العلماء خالفوهم فيها.

وقد أسميناها عقوبة، وإن كانت العقوبة إنما تكون على جرم قد اقترفه صاحبه؛ لأنها في نظر الحكام أو غيرهم جرم، قد يصل لحد الجرم الذي لا يغتفر، فيُنزل على إثره أشد العقوبة على صاحبه، أو يُكتفى بما دون ذلك حسبما يتراءى له، أو بما يشير عليه مستشاروه.

وقد تكون عقوبة شديدة قاسية غير مناسبة مع موقف بعض العلماء، ولكن الحاكم ينزلها بهم ليكونوا عبرة لغيرهم، فلا يجرؤ أحد على حذو حذوهم.

وقد تكون عقوبة على غير جرم مقترَف، بل يقع عليهم لافتراء مفترى، أو لخوفه من رد فعل قد يقومون به على شيء ينوي أصحاب السلطان والشأن القيام به، فتكون العقوبة احترازاً من الوقوع في أمر يخشونه ويخافونه.

الأمويون وابن المسيب

وفيما يلي سوف نلقي الضوء على صورة من صور العقوبات المتخذة ضد أهل العلم والفكر والثقافة، وهي التشهير.

ويستخدم الحكَّام عقوبة التشهير لكسر هيبة العالم في القلوب، وليكون عبرة لغيره، فإذا كان الحكَّام قد فعلوا ذلك بالسادة الكبار فماذا سيكون مصير سائر العوام إن سلكوا نفس الدرب، وانتهجوا نفس النهج.

وقد استُخدمت هذه العقوبة باكراً في الدولة الإسلامية؛ إذ استخدمها عمَّال بني أمية ضد المخالفين لهم.

وممن استُخدمت ضده تلك العقوبة سعيد بن المسيب، هذا التابعي الكبير، والسبب كما قال الواقدي: «إن عبدالعزيز ابن مروان توفي بمصر سنة أربع وثمانين للهجرة، فعقد عبدالملك لابنيه الوليد، وسليمان، بالعهد، وكتب بالبيعة لهما إلى البلدان، وعامله يومئذ على المدينة هشام ابن إسماعيل المخزومي، فدعا الناس إلى البيعة، فبايعوا، وأبى سعيد بن المسيب أن يبايع لهما، وقال: حتى أنظر، فضربه هشام ستين سوطاً، وطاف به في تُبَّان[1] من شَعْر، حتى بلغ به رأس الثنية[2]، فلما كرُّوا به قال: أين تكرون بي؟ قالوا: إلى السجن.

فقال: والله لولا أني ظننته الصلب، ما لبست هذا التُّبَّان أبداً.

فردوه إلى السجن، فحبسه وكتب إلى عبدالملك يخبره بخلافه.

فكتب إليه عبد الملك يلومه فيما صنع به ويقول: سعيد، كان والله أحوج إلى أن تصل رحمه من أن تضربه، وإنا لنعلم ما عنده خلاف.

ودخل قبيصة بن ذؤيب على عبدالملك بكتاب هشام بن إسماعيل يذكر أنه ضرب سعيداً وطاف به.

قال قبيصة: يا أمير المؤمنين، يفتات عليك هشام بمثل هذا، والله لا يكون سعيد أبداً أمحل ولا ألج منه حين يضرب، لو لم يبايع سعيد ما كان يكون منه، وما هو ممن يخاف فتقه، يا أمير المؤمنين اكتب إليه.

فقال عبدالملك: اكتب أنت إليه عني تخبره برأيي فيه، وما خالفني من ضرب هشام إياه.

فكتب قبيصة بذلك إلى سعيد.

فقال سعيد حين قرأ الكتاب: الله بيني وبين من ظلمني.

وقال عبدالله بن يزيد الهذلي: دخلت على سعيد بن المسيب السجن، فإذا هو قد ذبحت له شاة، فجعل الإهاب على ظهره، ثم جعلوا له بعد ذلك قضباً رطباً، وكان كلما نظر إلى عضديه قال: اللهم انصرني من هشام.

وقال عمران بن عبدالله الخزاعي: دعي سعيد بن المسيب للوليد، وسليمان، بعد أبيهما فقال: لا أبايع اثنين ما اختلف الليل والنهار.

فقيل: ادخل واخرج من الباب الآخر.

قال: والله لا يقتدي بي أحد من الناس.

قال: فجلده مائة وألبسه المسوح.

وقال عبدالرحمن بن عبدالقاري لسعيد بن المسيب حين قامت البيعة للوليد، وسليمان، بالمدينة: إني مشير عليك بخصال، قال: ما هن؟ قال: تعتزل مقامك؛ فإنك تقوم حيث يراك هشام بن إسماعيل، قال: ما كنت لأغير مقاماً قمته منذ أربعين سنة، قال: تخرج معتمراً.

قال: ما كنت لأنفق مالي وأجهد بدني في شيء ليس لي فيه نية، قال: فما الثالثة؟ قال: تبايع، قال: أرأيت إن كان الله أعمى قلبك كما أعمى بصرك فما عليَّ؟

فدعاه هشام بن إسماعيل إلى البيعة، فأبى، فكتب فيه إلى عبدالملك.

فكتب إليه عبدالملك: ما لك ولسعيد؟ ما كان علينا منه شيء نكرهه، فأما إذ فعلت فاضربه ثلاثين سوطاً وألبسه تبان شعر، وأوقفه للناس لئلا يقتدي به الناس»[3].

فهذا العامل لبني أمية كان أشد على الناس من أصحاب الأمر، وكما نقول الآن: كان ملكيا أكثر من الملك.

وما حدث مع سعيد بن المسيب في عصر بني أمية حصل مع أبي حنيفة في عصر بني العباس، قال المتوكل بن شداد: «لما أبى الإمام القضاء كان يخرج كل يوم فيُنادى عليه، ويجتمع الناس حتى ضُرب مائة وعشرين سوطاً في اثني عشر يوماً، وطيف به في السوق»[4].

وابن قيم الجوزية ناله هذا الأذى، قال ابن حجر: «كان له حظ عند الأمراء المصريين، واعتقل مع ابن تيمية بالقلعة بعد أن أهين وطيف به على جمل مضروباً بالدِّرة، فلما مات أفرج عنه»[5].

التشهير الإعلامي

وفي العصر الحديث، أصبح الإعلام هو الوسيلة المثلى للتشهير بالعلماء، حيث يتم تشويه صورتهم، وبث الشائعات عنهم، وتصيُّد الأخطاء لهم ولذويهم.

وينجر الأمر على العاملين للإسلام على الساحة؛ فكل من ينادي بالإسلام منهجاً للحياة فهو رجعي وظلامي ومتخلف، وراحوا يشيطنونهم، وأخذوا يبثون ذلك في الصحافة والكتب والدوريات والإذاعات والأفلام والمسلسلات، وأصبح الأصل التهكم من أهل الدين واللغة في الأعمال الفنية؛ وذلك لتشويههم، ولتحطيم رمزيتهم في العقول والقلوب.

الندوي: من أعظم أسباب نكبات مصر والتي امتدت إلى جميع البلاد العربية الصحافة والإذاعة

من أمثلة اضطهاد العلماء حديثاً ما يقوم به الإعلام ضد الداعية الهندي د. ذاكر نايك

وقد جنت الأمة من ثمار هذا الإعلام الموجَّه الحنظل؛ قال أبو الحسن الندوي، رحمه الله: «إن من أعظم أسباب النكبة التي نكبت بها مصر، وامتدت هذه النكبة إلى جميع البلاد العربية: الصحافة والإذاعة المصريتان؛ فقد مارستا دوراً في إفساد الذوق، وشل النظام الفكري، وتخدير الأعصاب، وتعمية الأبصار عن إدراك الحقائق، ونشر المجون، والعبث بالقيم والموازين، وأصول الأخلاق والشرائع.

وإن كل شعب يعيش تحت وطأة هاتين السلطتين اللتين تستحق كل واحدة منهما أن تسمى «صاحبة الجلالة»، ويهبها قلبه وعقله وسمعه وبصره، لا بد أن يفقد الاتزان، ويخل الميزان، فلا يعرف معروفاً، ولا ينكر منكراً، ولا يحب طيباً، ولا يعاف خبيثاً، وإنه عرضة لكل خطر، وهدف لكل إهانة، وجدير بكل هزيمة»[6].

ومن أمثلة اضطهاد الإعلام لبعض العلماء ما يقوم به الإعلام الهندي ضد د. ذاكر عبدالكريم نايك، خليفة الشيخ أحمد ديدات، رحمه الله؛ حيث تتهمه بأنه يشوِّه سمعة الأديان الأخرى، وأنه يسب أديان غير المسلمين، وقد قامت السلطات الهندية بإبطال جواز سفره، وطلبت من الشرطة الدولية وضعه ضمن النشرة الحمراء.

وهو خارج بلده منذ عام 2016م وتتقل بين البلدان، وحط رحاله بماليزيا، لكن المشكلات ما زالت تطارده، والتربص به وبتصريحاته ومهاجمته بها على أشده.■

الهوامش

(1) «التُّبَّانُ: هُوَ سَرَاوِيلُ صَغِيرٌ مِقْدَارُ شِبْرٍ يَسْتُرُ الْعَوْرَةَ الْمُغَلَّظَةَ يَكُونُ مَعَ الْمَلَّاحِينَ» «المُغرب في ترتيب المُعرب، (101/1)».

(2) «الثَّنِيَّةُ: أَعْلَى مَسِيْلٍ فِي رَأْسِ جَبَلٍ يُرى من بَعِيْدٍ فيُعْرَف، وهي العَقَبَةُ أيضاً، وجَمْعُها ثَنَايَا «المحيط في اللغة، (180/10)».

(3) سير أعلام النبلاء، للذهبي، (4/-230 231) باختصار وتصرف.

(4) مناقب الإمام الأعظم، للكردري، 20/2.

(5) الدرر الكامنة، لابن حجر، 138/5.

(6) المسلمون وقضية فلسطين، للندوي، ص 163-164.

إعداد - عبده دسوقي:
باحث في التاريخ الحديث

الحمد لله الذي جعل في كل زمان بعد الرسل بقايا من أهل العلم، يدعون مَنْ ضلّ إلى الهدى، ويوقظون بكتاب الله الغافلين، ويبصّرون بنور الله أهل العمى، والمصلحون كبار في مبادئهم، هانت حياتهم في رفعة الدين وماتوا على ذلك، وحقهم علينا أن نستذكرهم؛ لندعو لهم ونسير على هديهم ونتلمس من نور علمهم وميراثهم.

مصلحون رحلوا في يناير..

الكليب والمزيني وعبداللطيف والشريف

عبدالله سلطان الكليب.. والإصلاح الاجتماعي

ولد عبدالله سلطان إبراهيم الكليب وترعرع على أرض الكويت بالحي القبلي عام 1925م، من أسرة لها باع في العلم؛ فوالده كان عضواً في أول مجلس للمعارف عام 1936م، وهو ما جعله حريصاً على تعليم ابنه وتربيته التربية الصحيحة المستمدة من تعاليم الإسلام الحنيف؛ حيث لم يخيب الابن عبدالله تعب والده فكان نعم الابن البار به.

درس بمدرسة الشيخ محمد العجيري، ثم في مدرسة الشيخ أحمد الخميس، ثم في مدرسة إبراهيم العريض بالبحرين، ثم في مدرسة المباركية بالكويت، وأخيراً في مدرسة الأحمدية قبل أن يتجه لممارسة الأعمال الحرّة، بجانب تقلد بعض الوظائف الحكومية، وكان آخرها وكيل وزارة البريد والبرق والهاتف، كما يعد أحد مؤسسي جمعية الهلال الأحمر الكويتي.

كان، رحمه الله، كريم النفس، يبذل بسخاء في مواطن الخير، ويسعى في قضاء حوائج إخوانه المسلمين، ويشفع لمن يستحق الشفاعة، ويقول كلمة الحق لا يخاف لومة لائم، كما عرف عنه أنه كان يعرف لأصحاب السابقة والفضل سبقهم وفضلهم ويذكرهم بالخير ويدعو لهم، كما كان صاحب همة ونشاط، ينافس إخوانه العاملين في الحقل الإسلامي من أجل إعلاء كلمة الله.



من مؤسسي جمعية الإرشاد ووقف بجانب القضية الفلسطينية وكان شعلة من الحماس لإحياء الجهاد

كان، رحمه الله، أحد المصلحين الذين ساهموا في نشأة جمعية الإرشاد الإسلامي ومن بعدها جمعية الإصلاح الاجتماعي؛ فكان له الدور الأساسي في تأسيس جمعية الإرشاد الإسلامي، حيث عُقد الاجتماع الأول التحضيري في ديوانيته عام 1952م بحضور عدد كبير من الكويتيين الغيورين على دينهم.

كما وقف بجانب القضية الفلسطينية، حتى إنه سافر بصحبة العم عبدالرزاق الصالح المطوع لتقديم العون والمساعدات المالية والعينية من الخيام والملابس والأغذية إلى إخوانهم اللاجئين الفلسطينيين في مخيماتهم بالأردن عام 1952م، وكان شعلة من الحماس يتحرَّق لإحياء فريضة الجهاد.

ترشح لانتخابات البرلمان عن الدائرة الخامسة بالقادسية عام 1963م وحل في المركز الثامن، كما ترشح على نفس الدائرة عام 1985م وحصل على نفس المركز.

عاش العم أبو سلطان بقية حياته عازفاً عن الدنيا مقبلاً على الآخرة مكثراً من الصيام وخاصة يومي الإثنين والخميس، مجتمعاً مع النخبة من خلصاء إخوانه كل أسبوع، يتدارسون شؤون المسلمين ويعيشون قضاياهم ومشكلاتهم ويسهمون قدر المستطاع، حتى رحل عن دنيانا في رجب 1410هـ الموافق يناير 1990م[1]. ■

العم محمود عبداللطيف.. عاشق تراب الكويت

أمضى عمره بالدعوة وعمل الخير وكان عاشقاً للقدس تواقاً لتحريرها

على أرض مباركة ولد، وعلى أرضها المباركة رحل ودفن العم أبو خطاب الذي كانت وفاته آية من آيات الرحمن حينما مات وهو يذكّر بدين الله وسنن الإسلام في الزواج في عرس أحد الشباب.

في قرية بلعا بمحافظة طولكرم بالضفة الغربية بفلسطين ولد العم محمود عبداللطيف (أبو خطاب) عام 1941م، حيث تربي في بيت جاهد ضد المغتصب الصهيوني، وحرص على التسلح بالعلم في ظل الظروف التي عاشتها فلسطين، وقد أمضى عمره في الدعوة وحب الخير وتأليف القلوب وإصلاح ذات البين، وكان همه الفقراء والمعوزين والمساكين وأصحاب الدخول الضعيفة الذين يحاول أن يساعدهم على الصمود في الحياة.



صادق سلمان المزيني.. التاجر الصدوق



كان ثائراً مع الشهيد عز الدين القسام وأحد نواة التصدي لمشروع التوطين

على الأرض المباركة ومن قبيلة مزينة التي تنتسب إلى بطون مضر امتد نسل الحاج صادق المزيني، حيث ولد في عام 1905م بحارة التركمان بحي الشجاعية شرق مدينة غزة، لأسرة تقية وثرية، وقد حرص والده على غرس معاني الرجولة فيه منذ الصغر؛ فعلمه القرآن الكريم، كما ألحقه بالتعليم الابتدائي، ومع ذلك كان يصحبه إلى الحقل حيث كان يجمع الحصاد من وراء العمل الزراعي الذي كان يقوم به والده، ويقوم ببيعه وشراء الدجاج بثمنه، وبيع بيض الدجاج ومن ثم شراء بعض الاحتياجات، ومن هنا بدأت تتشكل عقليته التجارية، التي ملكت عليه حياته فتفرغ لها حتى صار مقصد التجار.

كان واحداً من الثوار الذين عملوا مع الشهيد عز الدين القسام في ثورة 1936م، وأثناء سفره لمصر من أجل دعم الثورة تعرف على الأستاذ حسن البنا وصار واحداً من رجالات دعوة الإخوان، ثم أسس شعبة للإخوان بغزة بمشاركة العالم هاشم الخازندار، وقد نزل عليه الشيخ البنا أثناء زيارته لغزة في مايو 1947م.

شارك في حرب فلسطين عام 1948م، حيث انحصر عمله في توفير السلاح للمجاهدين بمشاركة ظافر الشوا.

كان الحاج صادق أحد نواة التصدي لمشروع التوطين ومشروع التدويل، وأحد نواة حركة المقاومة في عام 1956م، وقد اعتقلته السلطات المصرية ضمن مجموعة من غزة في أحداث عام 1965م، ورحِّل إلى السجن الحربي بتهمة دعم الإخوان المسلمين، وحكم عليه بالسجن 5 سنوات، لكنه قضى ما يزيد على 6 سنوات بالسجن قبل توسط ياسر عرفات لدى السادات للإفراج عنه فوافقت السلطات المصرية على ترحيله لدولة الكويت أواخر عام 1971م، غير أن السلطات الصهيونية صادرت جميع أمواله، وحينما عاد لغزة استطاع أن ينمي تجارته من جديد، ويشارك إخوانه مقاومة المحتل الصهيوني، وظل كذلك حتى مرض ورحل مع انطلاقة الانتفاضة يوم 1 يناير 1988م[2]. ■

ترك بلده وانتقل للعمل في شركة الموانئ بالكويت أوائل السبعينيات، وظل بالكويت ما يزيد على الـ50 عاماً حتى عرفه كبيرها وصغيرها بهمته وسعيه على قضاء حاجة المساكين، حتى شارك في تأسيس لجنة زكاة العثمان، إحدى أقدم لجان الزكاة والعمل الخيري في الكويت، كان عاشقاً للقدس تواقاً لتحريرها من الصهاينة، ولم يكن يخلو حديثه من وقفات مع المسجد الأقصى أو فلسطين السليبة المحتلة.

يصفه البعض بأنه كان صاحب ابتسامة دائمة ترتسم على محياه، كما كان حصيفاً، مثقفاً، اجتماعياً، قائداً، حكيماً، متوازناً.

ظل -رغم تقدمه في العمر- حريصاً على دينه والدعوة له حتى آخر لحظاته التي ختم الله له بها أثناء إلقاء موعظة في أحد الأفراح، فخرَّ مغشياً عليه وفارق الحياة على ذلك ليلة الجمعة ودفن في مقبرة الصليبيخات بالكويت، في 15 جمادى الأولى 1441هـ/ 10 يناير 2020م[3]. ■

كامل إسماعيل الشريف.. قائد حرب فلسطين

عرفته أرض فلسطين بجهاده على أرضها في حرب فلسطين عام 1948م حيث كان أحد قادتها.

ولد عام 1926م بمدينة «العريش» بمصر، من أسرة يعود نسبها إلى الأشراف الحجازيين، والتحق بالتعليم حتى درس الصحافة والأدب الفرنسي بـ«الجامعة المصرية» وجامعة «جنيف»، وأثناء تواجد كتائب الإخوان بالعريش التقى بالإمام البنا الذي رأى فيه صفات القائد، فعيَّنه قائداً على إحدى كتائب الإخوان المتجهة لغزة بجانب الشيخ محمد فرغلي، ويوسف طلعت، حيث أبلى بلاءً حسناً.

انتهت الحرب واعتقل جميع مجاهدي الإخوان بمن فيهم كامل الشريف حيث زج بهم في معتقل الطور ليظل به ما يزيد على العام، وحينما أفرج عنه كانت مقاومة الإنجليز في القنال قد بدأت؛ فقاد شباب الإخوان في حرب ضروس ضد الإنجليز فيما عرف بحرب القنال عام 1951م.

شارك إخوانه في حماية ثورة 23 يوليو حتى وقع الصدام بين الإخوان وقادة الثورة الذين عزلوا الرئيس محمد نجيب واعتقلوا الإخوان؛ مما دفع بعض الإخوان للهرب ومنهم كامل الشريف، الذي انتقل للعيش في الأردن، ويصبح سفيرها في القارة الأفريقية وفي عدة دول، منها ألمانيا وباكستان وماليزيا وإندونيسيا والصين، كما اختير وزيراً للأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية في عدة حكومات أردنية منذ عام 1976 وحتى 1984م، وغيرها من الأعمال والمناصب، ونال العديد من الأوسمة، كما له العديد من المؤلفات.

ظل عاملاً مجاهداً حتى توفاه الله صباح الأربعاء 4 المحرم 1429هـ/ 23 يناير 2008م، ودفن بالأردن[4]. ■



عرفته فلسطين بجهاده وشارك في حماية ثورة 23 يوليو بمصر وأصبح سفيراً للأردن بالقارة الأفريقية

المصادر

1 - عبدالله العقيل: المجاهد الصامت عبدالله الكليب، مجلة المجتمع، العدد 1280، 16 شعبان 1418هـ، 16 ديسمبر 1997م، ص-50-51.

2 - فلسطين أحمد محمد: حول شخصية الحاج صادق المزيني، https://bit.ly/36jLxlH

3 - يوسف عبدالرحمن: ورحل.. «عالي الجناب»، 12 يناير 2020م، https://bit.ly/3mnwi79

4 - كامل الشريف: الإخوان المسلمون في حرب فلسطين، ط 3 (مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، 1984).



تـربوي

إيمان مغازي الشرقاوي
ليسانس شريعة - ماجستير الدعوة
جامعة المدينة العالمية

محطات إيمانية في طريق التربية

أرحم الناس بالمرأة



إنها الأم الحنون التي تنجب الرجال وترعاهم وتربيهم وتسهر على راحتهم، تجوع وتطعمهم، وتحزن وتسعدهم، وتتعب وتريحهم، وتفتديهم بروحها ونفسها.

وهي الأخت المحبة التي هي أمٌّ ثانية لإخوتها، تمارس معهم الأمومة ولو كانت تصغرهم، تحنو عليهم وترعاهم وتعطيهم حبها الأخوي الرائع.

وهي الجدة المحبوبة التي يتدلل عليها الأحفاد ويتدافعون إلى حضنها الكبير، فتنفق عليهم ما تبَقَّى في قلبها من حب الحياة في حبها لهم، كما أنها العمة والخالة وكل منهما بمثابة الأم تحمل بين شغاف قلبها الرحمة والحب والحنان.

وهي الزوجة الرفيقة التي خلقها الله تعالى للرجل تحبه وترعاه، وتقاسمه منامه وصحوه، ولا يطيب عيشه بعيداً عنها، يسكن إليها، ويُرزق أولاده منها فيستمر نسله ويمتد أثره.

وهي الابنة الرقيقة التي يتعلق قلبها بحب أبيها منذ صغرها، وترى فيه مثلها وقدوتها، وحسبها وجاهها، وعزها ومنعتها.

هذه هي المرأة.. كما أنها هي التي تلد الذكور والإناث، فيشبون رجالاً ونساء بين يديها، ولا تستقيم بدونها الدنيا بأي حال!

وبالرغم من كل ذلك، فقد كانت هذه المرأة قديماً في الجاهلية -قبل الإسلام- محتقرة، مهينة، ضائعة مكانتها، مهضومة حقوقها، بل قد تُدفن حية في التراب، لا لشيء إلا لأنها أنثى! فأي ظلم تعرضت له منذ ولادتها في تلك الفترة الزمنية المظلمة؟!

أرحم الناس بالمرأة:

لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أرحم الناس جميعاً بالمرأة، قبل النبوة وبعدها، وحين انبلج فجر الإسلام وظهر نوره ولاح ببعثة هذا النبي الرحيم هلت بشائر الحقوق تطل برأسها وتظهر، فقد جاء صلى الله عليه وسلم ليعيد نصاب العدل ويُرجع الحقوق إلى أصحابها؛ ليقوم الناس بالقسط، وقد قال الله تعالى له: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: 7)، فكان نصيراً وناصراً للمرأة، حيث جعل لها مكانة وشأناً وحقوقاً في كل أحوالها، ونهى وحذر من استضعافها وظلمها، فقال: «إني أُحَرِّجُ عليكم حق الضعيفين: اليتيم، والمرأة» (صحيح الجامع).

فأوصى النبي صلى الله عليه وسلم بها وأوجب لها الحقوق، وذلك منذ أكثر من ألف وأربعمائة سنة، ليكون لنبي الإسلام صلى الله عليه وسلم السَّبق في ذلك، ولتكون المرأة المسلمة أول من تُكرم من النساء هذا التكريم العظيم وتحفظ حقوقها فينزل بها القرآن الكريم وتتضمنها السُّنة النبوية، فصارت ترث بعد أن كانت تورَث، وأصبح لها ذمتها المالية المستقلة بعد أن كانت لا أهلية لها، يقول عمر رضي الله عنه: «والله، إن كنا في الجاهلية ما نعد للنساء أمراً، حتى أنزل الله تعالى فيهن ما أنزل، وقسم لهن ما قسم» (رواه مسلم).

كانت المرأة في الجاهلية مهينة مهضومة حقوقها حتى كانت تُدفن أحياناً حية في التراب

النبي جاء نصيراً للمرأة فجعل لها حقوقاً بكل أحوالها وحذر من ظلمها

دعوة النبي إلى الرحمة بالمرأة:

كان النبي صلى الله عليه وسلم رحمة مهداة، ومن رحمته أنه دعا إلى الرحمة بالمرأة والإحسان إليها في كل وقت إلى يوم الدين؛ فهي إن كانت أمّاً فإن لها من البر أعظمه، ومن الطاعة أتمها، ومن الرحمة ما يناسب قلبها الرحيم، فنهى عن عقوقها وقال: «إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات» (رواه البخاري)، وقد قال رجل: يا رسول الله، من أحق الناس بحسن الصحبة؟ قال: «أمك، ثم أمك، ثم أمك، ثم أبوك، ثم أدناك أدناك» (رواه مسلم)، وقد أنزل عليه القرآن يوصي بالبر والإحسان بها.

وإن كانت المرأة أختاً، فقد حث على حسن صحبتها، فقال: «مَن كانت له أختان، فأحسن صُحْبتَهما ما صَحِبَتاه، دخل بهما الجنة» (رواه أحمد)، وقال: «من كان له أُختان أو ابنتان، فأحسن إليهما ما صحبتاهُ، كنتُ أنا وهو في الجنة كهاتين، وقرنَ بين أُصبعيه» (السلسلة الصحيحة).

أما الزوجة، فقد أوصى بها خيراً، وقال: «استوصوا بالنساء خيراً» (صحيح الجامع)، وقال: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي» (رواه الترمذي)، بل وجعلها بصلاحها خير متاع الدنيا، فقال: «إنما الدنيا متاع وليس من متاع الدنيا شيء أفضل من المرأة الصالحة» (صحيح ابن ماجة)، وذكر أنها من السعادة فقال: «أربعٌ من السعادة: المرأةُ الصالحةُ..» (أخرجه ابن حبان، وصححه الألباني)، وقد أنزل عليه القرآن يأمر الأزواج بحسن العشرة لزوجاتهم.



رحـمــة الـنـبـي بالبنت:

أما البنت التي كانت توأد قبل الإسلام، فقد نالت من رحمة النبي صلى الله عليه وسلم القسط الوافر، فكانت بعثته رحمة لكل البنات، وقد رزقه الله تعالى أربع بنات ربّاهن ورحمهن وأحسن إليهن، وكلهن ولدن قبل بعثته صلى الله عليه وسلم، فنهى عن وأد البنات وقال: «إن الله حرم عليكم: عقوق الأمهات، ووأد البنات..» (رواه البخاري)، وقال: «مَن كانت له أنثى فلم يَئِدْها ولم يُهِنْها ولم يُؤثِر ولَدَهُ عليها -قال: يعني الذكور- أدخَله الله الجنة» (رواه أبو داود).

ومن رحمته بهن أنه ساق من البشارات العظيمة للوالدين، وحث على نيل هذه البشريات بالإحسان إلى البنت وإكرامها وعدم ظلمها، وقال: «مَن كان له ثلاثُ بنات يُؤدِّبُهن ويرحَمُهن ويكفُلُهن وجَبَت له الجنَّةُ ألبتةَ»، قيل: يا رسولَ الله، فإن كانتا اثنتين؟ قال: «وإن كانتا اثنتين»، فرأى بعضُ القوم أنَ لو قال واحدةً لقال واحدةً. (أخرجه البخاري في الأدب المفرد).

ومن رحمته بها أنه حث على إخراجها من ظلام الجهل، فدعا إلى تعليمها، وقال: «من كانت له بنت فأدبها فأحسن أدبها وعلمها فأحسن تعليمها وأسبغ عليها من نعم الله التي أسبغ عليه كانت له ستراً أو حجاباً من النار» (أخرجه أبو نعيم)، ولا عجب في توصيته بالبنت، فهي التي ستكون بعد وقت هي الأم والأخت والمرأة بصفة عامة.

من مظاهر رحمة النبي بالمرأة:

- ومن رحمته بالمرأة النهي عن قتلها في الحروب، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا بعث جيشاً قال: «انطلقوا باسم الله، لا تقتلوا شيخاً فانياً، ولا طفلاً صغيراً، ولا امرأة..» (رواه أبو داود).

- رحمته بالأم: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إني لأدخل في الصلاة، وأنا أريد أن أطيلها، فأسمع بكاء الصبي، فأتجوز في صلاتي، مما أعلم من شدة وجد أمه ببكائه» (صحيح الجامع).

- ومن رحمته بها المواساة لها وتبشيرها حيث قال: «أيما امرأة منكن قدمت ثلاثاً من ولدها، كانوا لها حجاباً من النار، قالت امرأة: يا رسول الله، أنا قدمت اثنين، قال: واثنين» (رواه أحمد).

- ومن رحمته بها تعليمها: فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قالت النساء للنبي صلى الله عليه وسلم: غلبنا عليك الرجال، فاجعل لنا يوماً من نفسك، فوعدهن يوماً لقيهن فيه، فوعظهن وأمرهن. (رواه البخاري).

- ومن رحمته بها أنه نهى عن منعها من الزواج، ونهى عن تزويجها بغير إذنها، فقال: «لا تُنكح الأيِّم حتى تُستأمر، ولا تُنكح البكر حتى تُستأذن»، قالوا: يا رسول الله، وكيف إذنها؟ قال: «أن تسكت» (رواه البخاري).

من رحمة النبي بالفتاة أنه نهى عن منعها من الزواج وجعل النفقة على الأرملة عبادة

الاقتداء بالنبي يتطلب أن نؤتي المرأة حقوقها ولا نحرمها ميراثها ونكرمها

- ومن رحمته بالمرأة أنه دعا إلى الوفاء بما اشترطته على زوجها، فقال: «إن أحق الشروط أن يوفى به ما استحللتُم به الفروج» (صحيح النسائي).

ومن رحمته بها أنه جعل النفقة عليها عبادة فقال: «وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت بها، حتى ما تجعل في في امرأتك» (رواه البخاري).

- ومن رحمته أنه جعل السعي على الأرملة عبادة فقال: «الساعي على الأرملة والمسكين، كالمجاهد في سبيل الله، أو القائم الليل الصائم النهار» (رواه البخاري).

هكذا كانت رحمة النبي صلى الله عليه وسلم بالمرأة، وهكذا يريد أن تكون المرأة في كل وقت، فأين هذا مما ذكرته الأمم المتحدة في اليوم الدولي للأرامل؟! حيث تذكر أنه توجد في العالم 258 مليون أرملة، تعيش عشرهن في ربقة فقر مدقع، وفي بعض البلدان يتنكر الأقارب لآلاف الأرامل فيصبحن بلا مأوى، مما يجبر كثيراً منهن على البحث عن عمل غير نظامي كخادمات بيوت أو اللجوء إلى التسول أو البغاء، وقد تصبح الأرامل مسؤولات عن ديون الزوج المتوفى.

الرحمة المهداة:

لقد قدم لنا النبي صلى الله عليه وسلم أجمل الصور التي تتجلى فيها رحمته بالمرأة، ولنا فيه القدوة والمثل، فالاقتداء به يتطلب منا أن نؤتيها حقوقها ولا نحرمها ميراثها، وأن نكرمها فلا نهينها بأي شكل من أشكال الإهانة.

فمن الرحمة حسن معاملة المرأة أماً وأختاً وابنة وزوجة، فنرعاها ونوفر لها الأمن ونعمل للحفاظ على صحتها وعفتها وكرامتها ومشاعرها، وإخراجها من ظلمة الجهل إلى نور العلم والإيمان، وأن نغمرها بفيض الرحمة قولاً وعملاً وسلوكاً، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «الراحمون يرحمهم الرحمن» (رواه الترمذي).■



تنمية أسرية

في خطوات عملية..
كيف تكسب ودَّ طفلك؟

ياسر محمود
متخصص في الشؤون التربوية والأسرية

تمثل العلاقة الطيبة بين الآباء والأبناء الأساس الذي يُبنى عليه كل جهد تربوي نحو الأبناء، وبدونها تتضرر العملية التربوية، وتصبح العلاقة السلبية جداراً صخرياً تتحطم عليه جهود الآباء، دون أن تحدث تأثيراً إيجابياً في شخصية الأبناء.

حين تتسم العلاقة بين الآباء والأبناء بالود والحب والتفاهم والانسجام، فإنها تحقق العديد من الفوائد التربوية؛ حيث إنها:

1 - **تسهم بشكل عام** في فاعلية تربية الطفل، وتؤدي دوراً كبيراً في اكتسابه للقيم؛ فهو يتمثل قيم مَن يحب، والعلاقة الدافئة تمرر اكتسابه للقيم بيسر ودون عناء.

الطفل الذي لديه علاقة طيبة مع والديه يستطيع تكوين علاقات ناجحة مع الآخرين ويندمج بمجتمعه بطريقة إيجابية

اللعب من أكثر الوسائل التي تقرب المسافات النفسية بين الناس عامة ومع الطفل خاصة

2 - **تؤثر بصورة إيجابية** في التكوين النفسي للطفل، فينشأ متمتعاً بتقدير الذات والثقة بالنفس، ويشعر بأمان واستقرار نفسيين، وهذا يكسبه قدرة أفضل على مواجهة صعاب الحياة، وعلى النقيض من ذلك، فكلما ضعفت العلاقة بين الآباء والأبناء أثر ذلك بصورة سلبية على نموه النفسي وعلى شخصيته.

3 - **تساعد على نمو خصائصه الاجتماعية** بصورة إيجابية، فالطفل الذي لديه علاقة طيبة مع والديه يستطيع تكوين علاقات ناجحة مع الآخرين، ويمكنه الاندماج في مجتمعه بطريقة إيجابية.

4 - **تقلل التأثير السلبي** للبيئة الخارجية، فكلما كانت العلاقة وثيقة بالوالدين، فإن ذلك يقلل التأثير السلبي للبيئة الخارجية على الطفل، ويظهر ذلك بوضوح مع خروجه من دائرة البيت إلى دائرة الروضة أو المدرسة، وكذلك يظهر بصورة أكثر وضوحاً في مرحلة المراهقة.

5 - **تجعل الوالدين** هما المرجعية التي يعود إليها الطفل إذا ما واجه بعض العقبات أو الصعوبات أو المشكلات في حياته، التي يحتاج لمن يرشده أو يوجهه أو يسانده فيها.

ولذلك، فمن الضروري أن يهتم الوالدان وأن يبذلا جهداً كبيراً في بناء علاقة طيبة يسودها الود والحب والألفة والتفاهم مع أبنائهما، ونرجو أن تكون النقاط التالية عوناً لهما على ذلك.

بناء جسور المودة:

وحتى تبني هذه الجسور عليك بما يلي:

1 - ابدأ مبكراً:

ابدأ في بناء علاقة جيدة مع طفلك منذ ولادته، وذلك بالفرحة بقدومه وتلبية احتياجاته من طعام ودفء وحب واهتمام.. إلخ، واحرص على الاستمرار فيما يدعم الود والتفاهم معه في مراحل عمره المختلفة، واحذر من الاعتقاد الذي يتصور فيه بعض الآباء أن مصادقة الأبناء تبدأ عندما يكبرون أو في سن المراهقة؛ لأن ذلك وإن كان ممكناً فإنه يتطلب عزماً وجهداً وصبراً أكثر بكثير في عمره هذا.

2 - عبّر عن مشاعر الحب:

عوّد نفسك على أن تعبر عن مشاعر الحب والود التي تكنها له بكل الوسائل الممكنة، كإخباره بذلك بصورة مباشرة أو غير مباشرة، أو بتقبيله، أو بضمه إلى صدرك، أو بالمسح على رأسه، أو بغير ذلك من وسائل التعبير، واختر في ذلك ما يناسب عمره وشخصيته.

3 - عش مرحلته:

عش معه المرحلة التي يمر بها، وتعامل معه طبقاً لعمره وطبيعته وحاجاته، وليس وفقاً لعمرك وطبيعتك أنت، فإذا كان صغيراً فإنه يحتاج إلى الحركة واللعب معه، وإذا كان مراهقاً فإنه يحتاج أكثر إلى دعمك وثقتك به، وهكذا.

4 - تفقّد مشاعره:

كن قريباً منه، متفقداً ما ينتابه من مشاعر الفرح والسعادة أو الإحباط والضيق والحزن أو غير ذلك، واحرص على مشاركته إياها، وكن خير داعم له في تجاوز المؤلم منها.

5 - شاركه اهتماماته:

احرص على مشاركته اهتماماته وهواياته المفضلة لديه، وذلك بممارستها معه أو بتشجيعه والثناء عليه والتفاخر به عند ممارسته لها، وشاركه الحديث حولها؛ لأن مشاركته في هذه المساحات يشعره بالسعادة ويعمق مشاعر الألفة والود بينكما.

6 - العب معه:

شاركه في ممارسة بعض الألعاب المحببة إلى نفسه، فاللعب من أكثر الوسائل التي تقرب المسافات النفسية بين الناس بشكل عام، ويزداد تأثيره حين يكون مع الطفل؛ لأن اللعب بالنسبة له هو الحياة.

7 - احكِ له:

داوم على حكي بعض القصص التي يسعد بها، فجلوسك بجواره، وقص بعض القصص عليه، وإدارة حوار بينك وبينه حولها، يزيد الارتباط بينكما، ويبني جسوراً من التواصل والعلاقات الدافئة.

8 - تحرك معه:

أكثِر من اصطحابه في بعض النزهات أو عند قضاء بعض أغراضك، فهي من الوسائل التي تقرب المسافات النفسية، وتساعدك على بناء جسور المحبة معه.

9 - احرص على مهاداته:

أحضر له هدية مفضلة إليه على فترات متفاوتة، واجعلها في بعض الأحيان مفاجئة وغير متوقعة، فهذا له تأثير سحري عليه.

10 - أوفِ بوعودك:

احرص على الوفاء بوعودك له؛ فهذا ينمي ثقته فيك ويشعره بأهميته ومكانته لديك، ويدعم مكانتك في قلبه.

11 - امدحه واحتفِ بإنجازاته:

ترصد التصرفات الطيبة التي تصدر منه، وامتدحه عليها، فهو يحب من يثني على خصاله الحميدة ويتعلق به، بينما ينفر ممن يكثر من لومه ونقده، وكذلك احرص على الاحتفاء بما يحققه من إنجازات، في مجال الدراسة أو في الهوايات والأنشطة أو غير ذلك.

12 - اختر مدخلاً مناسباً:

اختر المدخل المناسب لتعاملك مع طفلك، وراعِ الفروق الفردية بين أطفالك، فلا تعامل العاطفي كالعقلاني، ولا تطلب من صاحب المستوى المتوسط دراسياً ما تطلبه من المتفوق، وهكذا.

13 - لا تغضب عند خطئه:

عندما يُخطئ وتشعر بالغضب منه فلا تسارع بإعلان هذا الغضب، بل تصرف كما يتصرف الأصدقاء، حاول أن تبتسم وتستمع له، وتفهم وجهة نظره ومشاعره، ثم حاول أن تُعيده إلى الصواب بالمناقشة والإقناع.

اختر المدخل المناسب لتعاملك مع طفلك وراعِ الفروق الفردية بين أطفالك فلا تعامل العاطفي كالعقلاني

تواصل فعال:

وهذه بعض النصائح لتحقيق التواصل الفعال:

1 - دربه على الحكي معك:

احرص على تدريبه على الحديث معك والحكي عما فعله أثناء يومه، ويمكنك تشجيعه على ذلك من خلال كلامك أنت أولاً عما فعلته في يومك، وما مر بك من مواقف، بل وربما تطلب تعليقه ورأيه في بعض هذه المواقف، وذلك في حدود ما يستوعبه عمره وقدراته.

كن مستمعاً جيداً لأحلامه وخيالاته دون استخفاف أو تقليل من شأنها مهما بدت ساذجة

2- أنصت له ولأحلامه:

أحسن الإنصات إليه حين يتحدث إليك، ولا تتشاغل عنه بشيء آخر، ولا تقاطعه حتى ينهي كلامه، ولا تنس استخدام بعض الإشارات اللفظية أو الجسدية التي تدل على أنك متابع لكلامه بشكل جيد، وكن على يقين أن هذا الإنصات الجيد سيشعره باهتمامك وحبك له، وسيرغبه في الحديث معك، واحرص على أن تكون مستمعاً جيداً لأحلامه وخيالاته، دون استخفاف بها أو تقليل من شأنها مهما بدت ساذجة أو مضحكة، لكن أظهر اهتمامك بما يقوله وناقشه فيها بطريقة مناسبة له.

3 - اطلب رأيه:

اطلب رأيه في بعض أمورك الخاصة، كاختيارك ملابسك أو بعض أدواتك.. إلخ، واستشره في بعض المشكلات البسيطة التي تواجهك بالمنزل أو العمل، بما يناسب عمره وقدراته.

4 - أظهر له الاحترام:

احرص على احترامه، فلا تسفّه آراءه أو أفكاره مهما كانت بسيطة أو ساذجة من وجهة نظرك، وإذا طلبت منه فعل شيء فقدّم طلبك ببعض الكلمات المهذبة مثل: «لو سمحت»، «من فضلك».

5 - احفظ أسراره:

كن أمين أسراره، ولا تفشِ له أمراً أسرَّ إليك به لأي شخص، وإذا وجدت حاجة لعرض الموضوع على أحد غيرك، فليكن ذلك بعد أن تستأذنه.

6 - عند الاختلاف:

إذا اختلف معك في أمر ما أثناء حديثك معه، فاحرص على تقبل آرائه التي تخالف رأيك بصدر رحب، وناقشها معه بمنتهى الهدوء، ففي ذلك تعليم له على احترام الرأي المخالف لرأيه، ومد لجسور التواصل معه رغم الاختلاف في الرأي.■

بدء الخليقة وقدرة الله سبحانه وتعالى



د. علي الصلابي

كاتب إسلامي ليبي

إن الناس -في كل زمان ومكان- يشتاقون إلى معرفة كيفية خلق العالم، ويكثر تساؤلهم: متى؟ وكيف؟ ويريدون تحديداً واضحاً عن الأول من المخلوقات وعما بعده، إنهم يريدون ترتيباً يكون فيه التعيين والتحديد.

لقد شغلت هذه المسألة الكثير من الصحابة، فأخذوا يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها، بل إن الوفود كانت تأتيه من بعيد، يدفعها حب الاستطلاع، ويتجشمون السفر من أجل المعرفة، ها هم أولاء ناس من أهل اليمن، كما يروي الإمام البخاري رضي الله عنه، فيقولون: جئنا نسألك عن هذا الأمر؛ أي أمر الخلق، خلق الكون، لقد جاؤوا من اليمن يسألون عن: متى؟ وكيف؟

وقد روى الإمام البخاري أيضاً عن سيدنا عمر ابن الخطاب رضي الله عنه، قال: قام فينا النبي صلى الله عليه وسلم مقاماً، فأخبرنا عن بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم، حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه[1].

ومعنى كلام سيدنا عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ يحدث الصحابة عن بدء الخلق متدرجاً مع الترتيب حتى انتهى إلى نهاية العالم ومصيره، والبعث والحساب، حتى دخل الذين نالتهم رحمة الله الجنة، والذين اكتسبوا السيئات عاقبهم الله بما كسبت أيديهم فأدخلهم النار.

ولقد رُوي عن بعض الصحابة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبهم في ذلك من العصر إلى أن غربت الشمس، ويبدو أن رسول الله خطب في ذلك عدة مرات، فقد روى الإمام مسلم عن أبي زيد الأنصاري قال: صلى بنا رسول الله صلاة الصبح فصعد المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر، ثم نزل فصلى بنا الظهر، ثم صعد المنبر فخطبنا، ثم صلى العصر كذلك حتى غابت الشمس، فحدثنا بما هو كائن، فأعلمُنا أحفظُنا.

ولقد روت الأحاديث الصحيحة جملةً من القضايا؛ منها ما رواه الإمام البخاري عن عمران بن حصين رضي الله عنه، وهي إجابة الرسول صلى الله عليه وسلم عن سؤال وفد اليمن؛ والقضية الأولى في ذلك: كان الله ولم يكن شيء غيره، والقضية الثانية: كان عرشه على الماء، والقضية الثالثة: أنه سبحانه وتعالى كتب في الذكر كلَّ شيء؛ «أيّ: في محل الذِّكر؛ أي: اللوح المحفوظ»، والقضية الرابعة: أنه سبحانه وتعالى خلق السماوات والأرض[2].

فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل اليمن: «كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السماوات والأرض»[3].

وقد تكرر في القرآن الكريم ذكر بدء الخلق في أكثر من آية؛ مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (العنكبوت: 20)، فالقرآن الكريم من طريقته أن يتخذ الكون كله معرضاً لآيات الإيمان ودلائله، وصفحة مفتوحة للحواس والقلوب، تبحث فيها عن آيات الله، وترى دلائل وجوده ووحدانيته، وصدق وعده ووعيده، ومشاهد الكون وظواهره، حاضرة أبداً لا تغيب عن إنسان، ولكنها تفقد جدَّتها في نفوس الناس بطول الألفة، ويضعف إيقاعها على قلوب البشر بطول التكرار، فيردُّهم القرآن الكريم إلى تلك الروعة الغامرة، وإلى تلك الآيات الباهرة، بتوجيهه الموحي المحيي للمشاهد والظواهر في القلوب والضمائر، ويثير تطلُّعهم وانتباههم إلى أسرارها وآثارها، ويجعل منها دلائله وبراهينه التي تراها الأبصار وتتأثر بها المشاعر، ولا يتخذ طرق الجدل الذهني البارد، والقضايا المنطقية التي لا حياة فيها ولا حركة، التي وفدت على التفكير الإسلامي من خارجه فظلت غريبة عليه، وفي القرآن المثل والمنهج والطريق[4].

- ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾: والسير في الأرض يفتح العين والقلب على المشاهد الجديدة التي لم تألفها العين ولم يملَّها القلب، وهي لفتة عميقة إلى حقيقة دقيقة، وإن الإنسان ليعيش في المكان الذي ألفه فلا يكاد ينتبه إلى شيء من مشاهده أو عجائبه، حتى إذا سافر وتنقل وساح استيقظ حسُّه وقلبه إلى كل مشهد، وإلى كل مظهر في الأرض الجديدة، مما كان يمرُّ على مثله أو أروع منه في موطنه دون التفات ولا انتباه، وربما عاد إلى موطنه بحسٍّ جديد وروح جديد ليبحث ويتأمل ويعجب بما لم يكن يهتم به قبل سفره وغيبته، وعادت مشاهد موطنه وعجائبه تنطق له بعدما كان غافلاً عن حديثها، أو كانت لا تفصح له بشيء ولا تناجيه، فسبحان منزل هذا القرآن، الخبير بمداخل القلوب وأسرار النفوس[5].

- ﴿فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾: إن التعبير هنا بلفظ الماضي «كيف بدأ الخلق»، بعد الأمر بالسير في الأرض لينظروا كيف بدأ الخلق، يثير في النفس خاطراً معيناً؛ ترى هنالك في الأرض ما يدل على نشأة الحياة الأولى وكيفية بدء الخليقة فيها، كالحفريات التي يتتبعها بعض العلماء اليوم ليعرفوا منها خط الحياة؛ كيف نشأت؟ وكيف انتشرت؟ وكيف ارتقت؟ وإن كانوا لم يصلوا إلى شيء في معرفة سر الحياة: ما هي؟ ومن أين جاءت إلى الأرض؟ وكيف وجد فيها أول كائن حي؟ ويكون ذلك توجيهاً من الله للبحث عن نشأة الحياة الأولى والاستدلال به عند معرفتها على النشأة الآخرة.

ويقوم بجانب هذا الخاطر خاطر آخر؛ ذلك أن المخاطبين بهذه الآية أول مرة لم يكونوا مؤهلين لمثل هذا البحث العلمي الذي نشأ حديثاً، فلم يكونوا بمستطيعين يومئذ أن يصلوا من ورائه إلى الحقيقة المقصودة به -لو كان ذلك هو المقصود- فلا بد أن القرآن كان يطلب منهم أمراً آخر داخلاً في مقدورهم، يحصلون منه على ما ييسر لهم تصور النشأة الآخرة، ويكون المطلوب حينئذ أن ينظروا كيف تبدأ الحياة في النبات والحيوان والإنسان في كل مكان؛ ويكون السير في الأرض -كما أسلفنا- لتنبيه الحواس والمشاعر برؤية المشاهد الجديدة، ودعوتها إلى التأمُّل والتدبُّر في آثار قدرة الله على إنشاء الحياة التي تبرز في كل لحظة من لحظات الليل والنهار.

وهناك احتمال أهم يتماشى مع طبيعة هذا القرآن؛ وهو أنه يوجه توجيهاته التي تناسب حياة الناس في أجيالهم جميعاً، ومستوياتهم جميعاً، وملابسات حياتهم جميعاً، ووسائلهم جميعاً، ليأخذ كل منها بما تؤهله له ظروف حياته ومقدراته، ويبقى فيها امتداد يصلح لقيادة الحياة ونموها أبداً، ومن ثم لا يكون هناك تعارض بين الخاطرين، هذا أقرب وأولى.

- ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: يبدأ الحياة ويعيدها بهذه القدرة المطلقة التي لا تتقيد بتصورات البشر القاصرة، وما يحسبونه قوانين يقيسون عليها الممكن وغير الممكن بما يعرفونه من تجاربهم المحدودة ومن قدرة الله على كل شيء[6].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ (الأنبياء: 104)، وقوله: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً وَعْدَ اللَّهِ حَقّاً إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ (يونس: 4).■

الهوامش

(1) قصص الأنبياء في رحاب الكون مع الأنبياء والرسل، عبدالحليم محمود، ص 27.
(2) المرجع السابق، ص 28.
(3) قصة الخلق، الخرعان، ص 14.
(4) في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط 17، 1412، 5/2729.
(5) المرجع السابق، 5/2730.
(6) المرجع السابق، 5/2730.